

محارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المُرقي
شهاب الدين أبي حفص عمر البكري الشهرزوري
(٥٣٩ - ٦٣٢ هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصول عديدة نفيسة
بعضها مفقود على الصنف أو قريب العهد به

ومعه

وحيثه، ونبهة من عقيدته، ودرائته الشرعية والبدعية المستأجرة؛

أنوار الشرائع وشرائع الأنوار

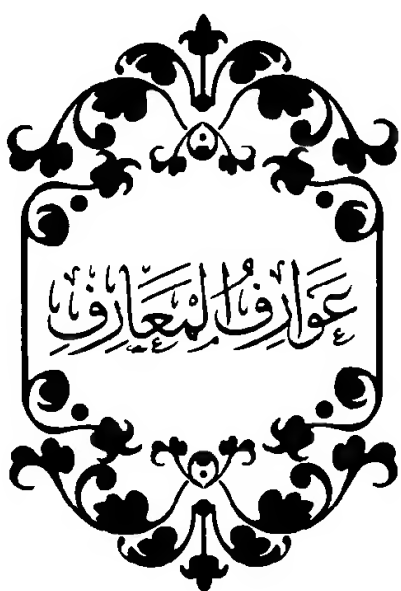
محققه وعلّق عليه
بلال محمد حاتم السقا



قدّم له
الدكتور محمد ياسر القضياني

الجزء الأول

دار التّشويق
دمشق الشام





معارف البحار

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المُرّي
شهاب الدين أبي حفص عماد البكري الشهرزدي
(٥٣٩-٦٣٢هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصولٍ عديدةٍ نفيسة، بعضها مفروضة على الصنف أو قريب العهد به.

ومعه

وصيته، ونبذة من عقيدته، وزائبة الشريفي البدعية المسماة بـ:

أنوار الشرائر وسرائر الأنوار

محققه وعلّق عليه
بلال محمد حاتم السقا

قدّم له
الدكتور محمد ياسر القضماني

الجزء الأول

دار التقوى
دمشق الشام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب : عوارف المعارف

المؤلف : عمر البكري السهرودي

الطبعة الأولى : ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

الرقم الدولي : 978-9933-610-35-7



لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه ، وبأي شكل من
الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه
في أي نظام إلكتروني أو
ميكانيكي يمكن من استرجاع
الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك
ترجمته إلى أي لغة أخرى دون
الحصول على إذن خطي مسبق
من الناشر.

دار التَّقْوَى
دمشق

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٦٠٠٧ ٩٣٣٢٠ ٩٦٣ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣
daraltaqwa.pu@gmail.com

سماقالوه في ووصف مؤلفات السهروردي لاسيما « عوارف المعارف » :

السهروردي مصنف كتاب « العوارف » ، المشتمل على مكنونات المعارف
ومصونات المحاسن واللطائف ، وغير ذلك من التصانيف الحسنة ، اجماعته
من بلاغة لمساحة وبراعة الفصاحة وحلاوة العبارة ، المشتملة على درر المعارف
ويواقيت الحكم وطلاوة الاشارة .

الإمام اليافعي

وسماقالوه في القصيدة الشريفة :

ان هذه القصيدة حجة عند اهل هذه الطريقة ، ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم
يخضون عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها .

الإمام ابن تيمية المراكشي

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المُحتجبِ بذاته ، الظاهرِ بنعوته وصفاته ، المُنعمِ بعباياه
وهباته ، المُكرمِ منِ اصطفاه بعظيمِ تجلياته ، ولطيفِ إشاراته .
والصلاة والسلام على من شرب من قَدَحِ الحُبِّ فامتلى ، وخاض في
بحار شهود الأحديّة فارتوى ، وارتقى إلى مقامات العِرفان الربّانية فاستوى .
وعلى عترته وأصحابه معادنِ الأسرار والمعارف ، ومنابع العلوم
والعوارف ، وعلى من لاح لهم معشوقُهم بنعوت الجمال والجلال ،
وأكرمهم بلذيد مناجاته في سُدَفِ الليال .
وبعد :

فإنَّ التَّصَوُّفَ أساسٌ من أساسات الإسلام القويمة ، وسبيلٌ واضح للنجاة
من الفتن البهيمية ، وهو مقامُ الإحسان ، المشارُ إليه في كلام سيّد الأكوان :
« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .
وهو طريقٌ مُؤَيَّدٌ ومُقيَّدٌ بكلام الله تعالى القديم ، ومُشبَّكٌ وممزوج
بحديث رسوله صلى الله عليه وسلم العظيم ، وهو مبنيٌّ على ثلاث خصال :
التمسُّك بالفقر والافتقار ، والتحقُّق بالبذل والإيثار ، وترك التعرُّضِ
والاختيار .

وهو عبارة عن التسربل بالآداب المرضيَّات ، والدخول في الأخلاق السَّيِّئَات ، والخروج من الأوصاف الدِّنيَّات ، والاكتناه بذلك في جميع الساعات والأوقات ، ولله دَرُّ سيِّدي أبي حفص النيسابوري الحدَّاد في قوله : (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ آدَابٌ ؛ لكلِّ وقتٍ أدب ، ولكلِّ حالٍ أدب ، ولكلِّ مقامٍ أدب ؛ فمَنْ لَزِمَ آدَابَ الأوقات بَلَغَ مبلغَ الرجال ، وَمَنْ ضَيَّعَ الآدَابَ فهو بعيدٌ مِنْ حيثُ يَظُنُّ القُرب ، ومردودٌ مِنْ حيثُ يَرجو القَبول) .



هَذَا ؛ وقد اعتزى إلى التَّصَوُّفِ أقوامٌ وقفوا على رُسومِهِ ، وانتسب إليه أصنافٌ لم يمتزجوا بعلومِهِ ، فَاكْتَفَوْا بِاسْمِهِ وَسُدَّاهُ ، وَابْتَعَدُوا عَنْ جَوْهَرِهِ وَمُسَمَّاهُ ، وَجَعَلُوهُ سُلَّمًا يَرْتَقُونَ بِهِ إِلَى أَعْرَاضٍ فَانِيَةٍ ، وَأَطْلَالٍ بَالِيَةٍ ، وَمُتَعٍ زَائِلَةٍ ، وَنَسُوا قَوْلَ إِمَامِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ سَيِّدِي أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ : (مَا أَخَذْنَا التَّصَوُّفَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ ، وَلَكِنْ عَنِ الْجُوعِ ، وَتَرَكِ الدُّنْيَا ، وَقَطَعَ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ) .

ولله دَرُّ سيِّدي أبي سعيد الخَرَكُوشِي في إبراز حقيقة التَّصَوُّفِ عندما قال (١) :

ليس التَّصَوُّفُ حِيلَةً وَبَطَالَةً	وَتَكْلُفًا وَتَوَاجِدًا بِصِيَاغِ
ليس التَّصَوُّفُ كَذِبَةً وَتَظَالِمًا	وَجَهَالَةً وَدُعَابَةً بِمُزَاحِ

(١) تهذيب الأسرار (ص ٣٨) .

بَلْ عِفَّةٌ وَفُؤَةٌ وَمَرْوَةٌ وَزَهَادَةٌ وَطَهَارَةٌ بِصَلَحِ
وَتَيَقُّنٌ وَتَصَبُّرٌ وَتَوَكُّلٌ وَتَوَرُّعٌ وَتَخَشُّعٌ بِسَمَاحِ
مَنْ قَامَ فِيهِ بِحَقِّهِ وَحَقُّوqِهِ وَخَلَا عَنِ الْحَدَثَانِ وَالْأَشْبَاحِ
تَتَشَعَّعُ الْأَنْوَارُ مِنْ أَسْرَارِهِ كَتَشَعَّعِ الْمِشْكَاتِ فِي الْمَصْبَاحِ
لَمْ تَخْطُرِ الدُّنْيَا لَهُ فِي بَالِهِ هَانَتْ عَلَيْهِ حُظُوظُ كُلِّ مَبَاحِ



كَمَا فَوْقَ طَغَامٍ وَأَغْتَامٍ مِنَ النَّاسِ أَسِنَّةَ الطَّعْنِ عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ الْمُئِيفِ ،
وَطَمَسُوا أُسَاسَهُ وَتَعَالَيْمَهُ الَّتِي لَا تَتَعَارَضُ مَعَ دِينِنَا الْحَنِيفِ ، وَطَعَنُوا فِي
رِجَالِهِ الَّذِينَ حَازُوا كُلَّ مَقَامٍ شَرِيفٍ ، وَادَّعَوْا أَنَّ التَّصَوُّفَ بَقَايَا فِلْسَفَاتٍ
بَائِدَةٍ ، وَانْحِلَالٌ عَنِ الدِّينِ وَرَهْبَانِيَّةٌ زَائِدَةٌ ، وَالتَّصَاقُ بِزَوَايَا الضَّعْفِ
وَالْخُمُولِ ، وَتَلَبُّسٌ بِعُقَائِدِ الْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ ، وَهُوَ ابْتِدَاعٌ فِي الدِّينِ ،
وَهَجْرَةٌ لِسَنَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ .

وَفِي سِيرِ الْأَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ، وَطَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ الْأَصْفِيَاءِ ، وَدَوَاوِينِ
الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ ، وَأُمَمَاتِ الْكُتُبِ التَّصَوُّفِيَّةِ . . نَفْيٌ لِمَا زَعَمُوهُ ، وَتَكْذِيبٌ
لِمَا نَسَبُوهُ ، وَتَبْيِينٌ بِأَنَّ التَّصَوُّفَ مُلَازِمَةٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَتَرْكٌ
لِلْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَمُدَاوِمَةٌ عَلَى الْأَذْكَارِ وَالصَّلَوَاتِ ، وَتَرْكٌ لِلرَّخْصِ
وَالْتَّأْوِيلَاتِ ، وَبَآئِنَةٌ طَرِيقٌ لِلتَّحَرُّرِ مِنْ أَسْرِ النَّفْسِ وَآفَاتِهَا ، وَالتَّخَلُّصِ مِنْ
قَبُودِهَا وَشَهَوَاتِهَا .



هذا ؛ وإنَّ من التصانيف المفيدة الرئيسة ، والتآليف السديدة النفيسة ، في علم التصوُّف والتزكية ، والسلوك والتربية . . كتاب « عوارف المعارف » للإمام الصوفي الربَّاني ، والعارف الصَّمَداني ؛ سيِّدي أبي حفصِ عمرَ الشُّهْرُوردي البكري الصَّدِّيقِي ، الذي نهله من معين « قوت سيدي أبي طالب المكي » ، وقد اشتمل الكتاب على بعض علوم الصوفيَّة وأحوالهم ومقاماتهم ، وآدابهم وأخلاقهم ، ودقيقِ إشاراتهم ، ولطيفِ اصطلاحاتهم .

ونظراً لأهميَّته وقيَّمته ، وعمومِ نفعه ونفاسته ، واعتمادِه لدى الأئمَّة المُربِّين والعارفين ، وانتشاره في زوايا المريدين والعابدين . . جعله الإمامُ الفقيه المُحقِّقُ شيخُ الإسلام ابنُ حجر الهيتميُّ أحدَ الكتب الأربعة التي عليها المدارُ والمُعَوَّلُ في طريق القوم ؛ فقال : (وعليك إن أردتَ أن يظهرَ لك الحقُّ ، وأنَّك تتحلَّى بالصدق . . بمطالعة « إحياء الغزالي » رحمه الله تعالى ، و« رسالة الإمام العارف القُشيري » ، و« عوارف المعارف » للشُّهْرُورديِّ ، و« القوت » لأبي طالب المكيِّ ؛ فإنَّ هذه هي الكتبُ النافعة المُبيِّنة لأحوال الصادقين ، وتليساتِ المُبْطِلين ، والحاملةُ على معالي الأخلاق ، وإيثارِ الفقر والإملاق ، وإدمانِ الطاعات ، وملازمة العبادات ، سيِّما الجماعات ، والإعراضِ عن سفاسف أقوامٍ غَلَبَ عليهم الشيطان)^(١) .



(١) الفتاوى الحديثية (ص ١٤٣) .

وقد حوت جوهراً هذا الكتاب وثمرته ، وضمت مقاصده وعصارتة ..
القصيدة البديعة الرائقة للإمام الأديب العارف تاج الدين أبي العباس
الشريشي ، المُسمَّاة بـ « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » ، والتي قال فيها
صاحبُ « إثم العينين » : (إنَّ هذه القصيدة حُجَّةٌ عند أهل هذه الطريقة ،
ولم يزل المشايخ رضي الله عنهم يحضُّون عليها ويوصُّون تلامذتهم بالعمل
بها)^(١) ، وحثَّ عليها صاحبُ « الإبريز » بقوله : (وهذه القصيدة مِنْ
أنفس ما يُسمَعُ ، وينبغي للمريد أن يحفظَ هذه القصيدة ؛ فإنَّها قصيدةٌ
مُنَوَّرة)^(٢) .



وقد عرا (دار التقوى) هِزَّةً وسرور ، وعلاها نشوة وحُبور ، عندما
ارتأت إصدار هذا المَعْلَم النفيس « عوارف المعارف » ، فاستجلبت له أعتق
النسخ الخطية ، وأولته في جميع مراحل تحقيقه العناية العلمية الدقيقة ،
وزيَّنته بما يُبهرُ القلوب والسرائر ، وزركشته بما يُبهجُ الأبواب والخواطر .

ونظراً إلى أنَّ القصيدة الشريشية شديدة اللصوق بكتابتنا هذا ، ومن أنفس
وأبداع ما نُظِمَ في علم السلوك .. فقد قامت الدار بإحيائها ونشرها مُحَقَّقةً
مُدَقَّقة في هذا الإصدار ، والحمد لله على ذلك .

وفي الختام : فإنَّا نسأل المولى الكريم أن يجعلنا من الصُوفيَّة

(١) انظر « شرح الفاسي على القصيدة الشريشية » (ص ٣) .

(٢) الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (ص ٢١٤) .

الْمُتَحَقِّقِينَ ، ويحشرنا مع رجال الله الْمُقَرَّبِينَ ، ويُكْرِِمُنَا بعلومهم
وإمدادتهم ، وينفعنا بأنفسهم وإشاراتهم ، ويُدِقُّنَا من معارفهم ونفحاتهم .

وصلی اللہ علی سیدنا و مولانا محمد علی آلہ وصحبہ وسلم تسلیما کثیرا



تقريب الكتاب

بقلم الدكتور الداعية محمد ياسر لقضمانى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذين زين من شاء من عباده بزيينة المعارف ، وأثحف صفوة الصفوة بأزهى العوارف .

وصلّى الله وسلّم وبارك على من كان ولا يزال السبب لكل الكرامات واللطائف ، والمدد الأعظم لكل عالم وعارف ، وعلى كل صادق محب أو واصف أو ذائق أو غارف ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان وعنّا معهم إلى يوم الأُنس والأمن أو الهول والمخاوف .
وبعد :

فإنّ هذا الكتاب الذي بين يديك كتاب عظيم ؛ فقد كنّا ولا نزال نسمع من شيوخنا وساداتنا - رحمنا الله بحرمتهم - بأنّه من أهمّ كتب السادة الصوفية ، أهل المسالك السوية ، التي أصلت لمنهجهم ، ورَكَزَت الصوئ على طريقهم .

ومن أشهر الإشارات والثناءات على هذا الكتاب - ضمن جملة من كُتِب السُّلوك - : ما قاله الإمام شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩ هـ - ٩٧٤ هـ) في كتابه القيم الشهير : « الفتاوى الحديثية » : (وعليك إن أردت أن يظهر لك الحق وأنت تتحلّى بالصدق . . بمطالعة « إحياء الغزالي » رحمه الله تعالى ، و « رسالة الإمام العارف القشيري » ، و « عوارف المعارف » للشهرزودي ، و « القوت » لأبي طالب المكي ؛ فإنّ هذه هي الكتب النافعة المبيّنة لأحوال الصادقين ، وتليسات المبتطلين ، والحاملة على معالي الأخلاق ،

وإيثار الفقر والإملاق ، وإدمان الطاعات ، وملازمة العبادات ، سيما الجماعات ، والإعراض عن سفاسف أقوام غلب عليهم الشيطان ^(١) .

ومن ثناءات المتأخرين : ثناء الإمام عَينْدَرُوس بن عمر الحَبْشِي ؛ يقول العلامة الحبيب زين بن إبراهيم ابن سُمَيْط باعلوي الحُسَيْنِي حفظه الله تعالى في كتابه « المنهج السَّوِّي » : (قال سيِّدُنا الإمام عَينْدَرُوسُ بنُ عمرَ الحَبْشِيِّ رضي الله عنه « ١٢٣٧ - ١٣١٤ هـ » : الأمهاتُ السَّتُّ في التصوف ستَّةُ كتب : « الإحياء » ، و« منهاج العابدين » ، و« الأربعين الأصل » للغزالي ، و« رسالة القشيري » ، و« عوارف الشُّهْرُورْدي » ، و« القوت » لأبي طالب المكي ^(٢) .

سببُ تسمية الكتاب :

وقد تأملتُ في سِرِّ اختيار الإمام أبي حفص الشُّهْرُورْدي رحمه الله لكلمة (عوارف) في عنوان « كتابه » ، ثم فرحتُ بقول الإمام الزَّبيدي في « التاج شرح القاموس » في مادة (عرف) : (و« العارِفَةُ » : المعروف ؛ ك « العُرف » بالضم ؛ يُقالُ : أوْلاه عارِفَةً ؛ أي : معروفًا ، كما في « الصحاح » ، وجمعُها : « عوارف » ؛ ومنه سمَّى الشُّهْرُورْدي كتابَهُ : « عوارف المعارف ») .

إذاً : بانَ لنا أنَّ إضافة (عوارف) إلى (معارف) ؛ لِذِكْرِ غَرَرِ علومٍ ومعارف العارفين ، ومباحثِ السادة الصالحين .

والمُطالِعُ لفهرست الكتاب يجدُ أنَّه يَحوي : زُبْدَةَ الكلام عن ماهية التصوف ، ومنشأ علومه ، ونماذج من رجاله ، وعن رِباطِهِمْ ، وخِرْقَتِهِمْ ، ولباسهم ، وخصائصهم ، وأسفارهم ، وسَماعِهِمْ ، وأربعينِيَّتِهِمْ الْمُصَفِّيَّة ، وآداب عباداتهم ، وتوزيع وظائفهم ، وأهمِّ حقوقِ صُحْبَتِهِمْ ، وكُشُوفِهِمْ وخواطرهم ،

(١) الفتاوى الحديثية (ص ١٤٣) .

(٢) المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي (ص ٢٥٥) .

وأحوالهم ومقاماتهم ، وأهم مصطلحاتهم الدائرة على ألسنتهم ، وغير ذلك ، رضي الله عنهم .

كلمات في حق الكاتب :

في نسب أبي حفص الشهروردي عند الإمام تاج الدين الشبكي في كتابه العظيم « طبقات الشافعية الكبرى » . . نجد أن الأب السادس عشر له هو الصديق الأكبر لهذه الأمة ؛ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ؛ ولذا يقال له : (البكري) . فبالله عليكم ؛ إذا قرأتم للشهروردي في « عوارفه » . . فاشهدوا نبوة الصديق فيها ، واستشعروا قدرها الغالي ، وشرفها العالي .

وأكتفي بكلمات مما في « طبقات الشبكي » تلقي بظلال عن حال هذا العارف من أهل الكمال : (قال ابن النجار : كان شيخ وقته في علم الحقيقة ، وانتهت إليه الرئاسة في تربية المريدين ، ودعاء الخلق إلى الله ، وتسليك طريق العبادة والزهد ، صحب عمه حتى مات ، وسلك طريق الرياضات والمجاهدات ، وقرأ الفقه والخلاف والعربية ، وسمع الحديث ، ثم انقطع ولازم الخلوة ، وداوم الصوم والذكر والعبادة . ومات ولم يخلف كفناً ، مع ما كان يدخل له)^(١) .

شجوني مع الكتاب :

بعد عودتي من موسم حج عام (١٤٢٧ هـ) . . بدأت بخدمة هذا الكتاب ، وكانت الخدمة محصورة في توضيح ما أمكن من الغريب ، وشكل ما يشكل لغة ، وتراجم موجزة لبعض الأعلام ، وذلك بنظر ودعاء سيدي الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ ، أمتنا الله بحياته .

وانتهيت من الخدمة المذكورة في ضحى الخميس (٥) من جمادى الأولى

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٣٣٨-٣٤١) .

(١٤٢٧ هـ) ، الموافق (١ / ٦ / ٢٠٠٦ م) ، وقد كنت مُغْتَبِطاً بإهدائي النسخة مع الخدمة لسَيِّدي الحبيب عمرَ بن حفيظ ، وهي الآن بتريم الغناء .

ومن الموافقات العجيبة : أنَّ الخامسَ من جُمادى الذي نحن فيه وافق أيضاً أنَّه يوم الخميس !! ووافقَ أنِّي أضعُ كلماتٍ في أوَّل هذه الطبعة الجديدة المُتميِّزة للكتاب ، التي تشرَّفت (دار التقوى) في دمشق بإخراجه في هذه الحُلة القشبية .

والشكرُ لكلِّ مَنْ ساهم بخدمةٍ لظهور هذه الطبعة ؛ يُخصُّ منهم : الأخُ محقق الكتاب الأستاذ بلال محمد حاتم السَّقَّا ، حفظه الله وزاده من فضله وتوفيقه ، والأستاذ المبارك الأخ لؤي الأحمر ، حفظه الله وأيّده وحرَّسه وداره مِنْ كلِّ سوء ، وكنتُ قد شجَّعتهُ على إخراج الكتاب ، فحالفه التوفيقُ وساعدتهُ العناية حتى برز لأهل العلم والسلوك .

ما تمتازُ به هذه الطبعة :

إنَّ ما يَسُرُّ خاطرَ كلِّ محبٍّ لهذا الكتاب أن تجتمعَ له عشرُ مخطوطات ، وأن يُرى فيه مُضافاً أوَّلَ مرَّةٍ : « وصيةُ هذا الإمام » بعد الرجوع إلى ثلاث مخطوطات ، و« القصيدةُ الرائيةُ الشَّريشية » النازمةُ لمسائل الكتاب ومُهمَّاته ، وهذا من عنايات الله تعالى للدار العامرة .

هذا والله التوفيق وله الحمد أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا

وكتبه
راجي الجود الرباني
محمد ياسر لقضمانى

مررت في دمشق الشام
ليلة الخميس (١٢) جمادى الأولى (١٤٤٣هـ)
الموافق (١٦) كانون الأول / ديسمبر (٢٠٢١م)

ترجمة شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف الرباني شهاب الدين أبي حفص عمر البكري السهروردي^(١)

نسبه ومولده

هو الإمام الكبير ، والصوفيُّ الشهير ، قُدوةُ العارفين ، وعُمدَةُ السالكين ، أستاذُ الشيوخ الأكابر ، الجامعُ بين علمي الباطن والظاهر ،

- (١) مصادر ترجمته : « مشيخة السهروردي » من مواضع متفرقة ، « التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد » (ص ٣٩٨-٣٩٩) ، « إكمال الإكمال » (٣/٥٥٥-٥٥٦) ، « تاريخ دُنَيْسَر » (ص ١٤٣-١٤٧) ، « ذيل تاريخ بغداد » (١٥/٢٨٧) ، « تاريخ إربل » (١/١٩٢-١٩٤) ، « مرآة الزمان » (٢٢/٣٢١-٣٢٢) ، « ذيل الروضتين » (ص ٢٤٨) ، « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٣٨٠-٣٨١) ، « معجم البلدان » (٣/٢٩٠) ، « وفيات الأعيان » (٣/٤٤٦-٤٤٨) ، « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » (ص ٧٤-٧٥) ، « نجم المهتدي ورجم المعتدي » (١/٥٩٥-٥٩٦) ، « سير أعلام النبلاء » (٢٢/٣٧٣-٣٧٨) ، « تاريخ الإسلام » (٤٦/١١٢-١١٥) ، « المعين في طبقات المحدثين » (ص ١٩٦) ، « العبر » (٣/٢١٣) ، « المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الدُّبَيْثِي » (ص ٢٩٣) ، « تاريخ ابن الوردي » (٢/١٥٨-١٩٥) ، « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢٠/١١٢-١١١) ، « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/٣٣٨-٣٤١) لابن السبكي ، « طبقات الشافعية » (١/٣٤٢) للإسنوي ، « مرآة الجنان » (٤/٧٩-٨٢) ، « البداية والنهاية » (١٣/١٣٨-١٣٩) ، « طبقات الشافعيين » (ص ٨٣٥-٨٣٦) لابن كثير ، « روضة الحبور ومعدن السرور » (ص ١٧٨-١٩١) ، « النجوم الزاهرة » (٦/٢٨٣-٢٨٥) ، « طبقات الأولياء » (ص ٢٦٢-٣٦٥) ، « العقد المذهب في طبقات حملة =

شيخ الإسلام ، وبركة الأنام ، الفقيه المحدث المحقق ؛ شهاب الدين أبو حفص وأبو نصر وأبو القاسم وأبو عبد الله^(١) ، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمّويه - وهو عبد الله - بن سعد بن الحسين بن القاسم^(٢) بن النضر^(٣) بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن فقيه المدينة وابن فقيها عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن الصحابي الجليل خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة رضي الله عنهما ، القرشي التيمي البكري الشهرزدي البغدادي الشافعي ، رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه .

ويلتقي نسبه مع الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج ابن الجوزي . . في القاسم بن النضر بن القاسم^(٤) .

والشهرزدي : نسبة إلى (شهرزرد) بلدة قريبة من زنجان ، وتقع الآن

= المذهب » (ص ٣٥٧ - ٣٥٨) ، « نزهة الأنام » (ص ٦٠ - ٦٢) ، « طبقات الشافعية » (٨٢ / ٢ - ٨١) لابن قاضي شهبة ، « المقفى الكبير » (٣٧٩ / ٤ - ٣٨٠) ، « الفلاحة والمفلوكون » (ص ١٢٠) ، « كنوز الذهب في تاريخ حلب » (٣٨٩ / ١ - ٣٩١) ، « التاريخ المعتبر » (٧٤ / ٣) ، « شذرات الذهب » (٢٦٨ / ٧ - ٢٧٠) ، « كشف الظنون » من مواضع متفرقة ، « هدية العارفين » (٧٨٥ / ١ - ٧٨٦) ، « الأعلام » (٦٢ / ٥) ، « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » (ص ٥٣ - ٥٦) ، « معجم المؤلفين » (٥٧٥ / ٢) .

(١) أورد جميع هذه الكنى ابن كثير في « طبقات الشافعيين » (ص ٨٣٥) ، ودون ذكر أبي القاسم ابن المستوفي في « تاريخ إربل » (١٩٢ / ١) ، وقال : (إن الأكثر : أبو نصر) ، والمشهور في كنيته : (أبو حفص) .

(٢) زاد السمعي في « الأنساب » (٣٠٧ / ٧) : (بن علقمة) .

(٣) زاد السمعي في « الأنساب » (٣٠٧ / ٧) : (بن معاذ) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (٣٧٦ / ٢٢) .

في الشمال الغربي من جمهورية إيران ، وهي على الأكثر والأشهر بضم السين وإسكان الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء ودال مهملة ، وضبط ابن نقطة الراء الأولى بالضم^(١) .

ويخلط بعض الباحثين بينه وبين شهاب الدين يحيى بن حبش الشهيرُوردي المقتول الفيلسوف المشهور (ت ٥٨٧هـ) ؛ وذلك بسبب اتفاق اللقب والنسبة ، وكان الفيلسوف يقطن حلب ، فأفتى علماؤها بقتله لأمر صدرت منه ليس هنا محلُّ عرضها ، وكتب السلطان صلاح الدين الأيوبي بذلك^(٢) .

وأما عن مولد إمامنا الشهيرُوردي : فقد سأله عنه تلميذه الإمام المؤرخ أبو عبد الله الدبيني ، فقال : (وُلِدْتُ بِشَهْرُورَدَ فِي أَوَاخِرِ رَجَبٍ أَوْ أَوَائِلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ)^(٣) ، وظاهرٌ أنَّ الشكَّ منه رحمه الله تعالى .

أُسْرَتُهُ

ينتمي إمامنا المترجم إلى عائلة كبيرة مشهورة بالعلم والولاية ، ولا شكَّ أنَّ هذه العائلة الكريمة قد شملتْها أنفاسُ ونفحاتُ مَنْ ينتهي نسبُها إليه ؛ وهو إمامُ الصِّدِّيقين وسيِّدُ العارفين ، سيِّدُنا الصَّحَابِيُّ الجليل أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه ، وكان مِنْ ذُرِّيَّةِ المترجم أيضاً فضلاءً وكُبراء .

(١) انظر « توضيح المشتبه » (٣٧٣ / ٥) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٢٦٨ - ٢٧٤) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠٧ / ٢١ - ٢١١) .

(٣) انظر « تاريخ إربل » (١٩٣ / ١) .

وَمِنْ أَبْرَزِ رَجَالَاتِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ :

- والدُ جدِّ المؤلِّفِ الشَّيْخُ الصُّوفِي المُعَمَّرُ : مُحَمَّدٌ بن عبد الله المعروف
بـ (عَمُّوهِ) بن سعد ، تُوفِّيَ سنة (٤٦٨ هـ) وقد بلغ في العمر مئةً
وعشرين سنة^(١) .

- وعمُّ أبيه الشَّيْخُ الصُّوفِي الواعظ : أبو حفص عمر بن مُحَمَّد بن
عَمُّوهِ ، كان جميلَ الأمر ، مرضيَّ الطريقة ، سمع منه : الحافظُ السَّلَفِيُّ ،
ولبس منه الخرقة : ابن أخيه أبو النَّجِيب ، ومنه إمامنا المُترجم ، تُوفِّيَ سنة
(٥٣٢ هـ)^(٢) .

- وأبوه الفقيه الواعظ : أبو جعفر مُحَمَّدٌ ، تفقَّه ببغداد : على أسعد
المِهنِيِّ ، وكانت تُعقد له مجالسُ الوعظ في جامع القصر وفي المدرسة
النَّظامِيَّة ببغداد ، وتولَّى قضاء سُهْرُورَدَ ، ومات مقتولاً سنة (٥٣٩ هـ) .

- وعمُّ المؤلِّفِ وشيخُه ، الإمام الكبير ، والوليُّ الشهير ، نُخبة العلماء
العاملين ، وصفوةُ الأولياء العارفين ، شيخ الإسلام ، ومُفتي الأنام : ضياء
الدين أبو النَّجِيب عبد القاهر بن عبد الله بن مُحَمَّد البكري السُّهْرُورَدِي
الشافعي ، وهو من أشهر رجالات هذه العائلةِ الكريمة المباركة بعد إمامنا
المترجم .

ولد في صفر سنة (٤٩٠ هـ) ، وأخذ العلم على كبار علماء عصره ؛

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦٨/٣١ - ٢٦٩) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨٩/٣٦ - ٢٩٠) ، وسيأتي سند الخرقة من طريق إمامنا
السهروردي في (٦٠٨/٢ - ٦١٣) .

فسمع : أبا علي بن نبهان ، وعصام الدين أبا حفص الصفَّار ، وأبا منصور ابن خيرون ، وزاهر بن طاهر الشَّحامي ، والقاضي أبا بكر الأنصاري ، والشریف نور الهدى أبا طالب الزَّينبي ، وغيرهم رحمهم الله تعالى ، وتفقه بالمدرسة النظامية : على الإمام أبي الفتح أسعد الميهني ، وتأدب : على أبي الحسن علي بن محمد الفصيح ، وسلَّك الطريق : على يد الإمام القدوة أبي عبد الله حمَّاد الدبَّاس ، والإمام المُربِّي أبي الفتوح أحمد الغزالي أخي الإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد ، وظهرت عليه أنواره ، وسرَّت إليه أسرارُه ، واشتهرَ اسمُه ، وبُعِدَ صيتهُ ، واستفاضت كراماتُه ، وبنى رباطاً ، وبنى إلى جانبه مدرسة ، فصار كعبةً للمريدين والسالكين ، وحمى لمن التجأ إليه من الخائفين ، يُجيرُ من السلطان والخليفة وغيرهما ، وأفلح بسببه خلقٌ كثيرون ، وأملى مجالسَ كثيرةً ، وصنَّفَ كتباً عديدةً .

وسمع منه : أبو القاسم ابن عساكر ، وابنه القاسم ابن عساكر ، وابن سعد السَّمعاني ، وزين الأمانة أبو البركات ، وأحمد ابن سُكينة ، وابن أخيه المُترجمُ شهاب الدين الشُّهُرُوردي ، وخلقٌ سواهم رحمهم الله تعالى .

وقد اتَّفَقَ له في بدايته مجاهداتٌ كثيرة ؛ حكى عن نفسه رضي الله عنه قال : (كنتُ أدخل على شيخي وربَّما يكون اعتراني بعضُ الفتور عمَّا كنت عليه من المجاهدة ، فيقول لي : أراك قد دخلتَ وعليك ظُلْمةٌ ، فأعلمُ سببَ ذلك وكرامةَ الشيخ .

وكنتُ أبقى اليومين والثلاثة لا أستطعمُ بزاد ، وكنتُ أنزل إلى دجلة وأتقلَّب في الماء ليسكن جوعي ، حتى دَعَتْنِي الحاجةُ إلى أن اتَّخذتُ قِربةً

أستقي بها الماء للقوت ، فمن أعطاني شيئاً أخذته ، ومن لم يُعطني تركته ،
ولمّا تعذّر عليّ ذلك في الشتاء خرجت يوماً إلى بعض الأسواق ، فوجدتُ
رجلاً وبين يديه طَبْرَزْدٌ وعنده جماعةٌ يدقُّون الأُرْزَ^(١) ، فقلت : هل لك أن
تستأجرني ؟ فقال : أرني يدك ، فأرَيْتُهُ ، فقال : هذه يدٌ لا تصلح إلا
للقلم ، ثمّ ناولني قِرْطاساً فيه ذهب ، فقلت : ما آخذ إلا أجرَةَ عملي ،
فاستأجرني على النسخ ؛ إن كان لك نسخٌ وإلا انصرفتُ ، وكان رجلاً
يَقْظاً ، فقال : اصعد ، وقال لغلامه : ناولهُ المِدَقَّةَ ، فناولني فدققتُ معهم
وليس لي عادةٌ وصاحبُ الدُّكَّانِ يَلْحَظُّني ، فلمّا عملتُ ساعةً قال : تعال ،
فجئتُ إليه فناولني الذهبَ ، وقال : هذه أجرُتُكَ ، فأخذتُهُ وانصرفتُ .

ثمّ أَوْقَعَ اللهُ في قلبي الاشتغالَ بالعلم ، فاشتغلتُ حتى أتقنتُ المذهبَ ،
وقرأتُ أصولَ الدين وأصولَ الفقه ، وحفظتُ « وسيطَ الواحدي » في
التفسير ، وسمعتُ كتبَ الحديثِ المشهورةَ^(٢) .

تُوفِّيَ في جُمادى الآخرةِ سنة (٥٦٣ هـ) .

وقد أسند عنه إمامنا الشُّهُرُورُدي في كتابنا هذا كثيراً من الأخبار
والآثار ، وأورد له بعضَ الحكايات والقصص النافعة ، كما سيأتي الحديث
عنه إن شاء الله تعالى^(٣) .

(١) الطَبْرَزْدُ : الشُّكْرُ ، أو نوع منه ، وهو فارسي مُعَرَّبٌ ، ويُقال بالذال والنون واللام بدل
(الدال) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (١٧٥ / ٧) .

(٣) انظر (٢٤ / ١) .

نشأة ومحطة من سيرة العلم والتربية

وُلِدَ إمامنا المُرْجَمُ بِسُهُرُورَدَ ونشأ بها ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو النَّجِيبِ عَبْدُ الْقَاهِرِ إِلَى بَغْدَادَ الَّتِي كَانَتْ فِي تِلْكَ الْآوَنَةِ كَعْبَةَ الْمَعَارِفِ ، وَمَنْعَ الْأَسْرَارِ وَالْعَوَارِفِ ، فَصَحَبَهُ بِهَا وَتَسَرَّبَلَ بِطَرِيقَتِهِ الصُّوفِيَّةِ ، وَارْتَوَى مِنْ إِخَاذَاتِهِ الْهِنِّيَّةِ ، وَصَحَبَ أَيْضاً الْإِمَامَ الْقُطْبَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ ، وَانْحَدَرَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَأَخَذَ بِهَا عَنْ الْوَلِيِّ الْكَبِيرِ أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْبَصْرِيِّ ، وَقَرَأَ الْفَقْهَ وَالْخِلَافَ وَالْعَرَبِيَّةَ ، وَاسْمَعَ الْحَدِيثَ : مِنْ عَمِّهِ ، وَأَبِي الْمُظَفَّرِ الشُّبْلِيِّ ، وَأَبِي زُرْعَةَ الْمَقْدِسِيِّ ، وَمَعْمَرِ بْنِ الْفَاخِرِ ، وَأَبِي الْفَتْحِ ابْنَ الْبَطِّي ، وَعَبْدَ الْوَهَّابِ ابْنَ سُكَيْنَةَ ، وَغَيْرِهِمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَسَيَأْتِي الْحَدِيثَ عَنْ بَعْضِ مَرْوِيَّاتِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَمِنَ الْقِصَصِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي حَدَّثْتُ لَهُ مَعَ شَيْخِهِ ابْنِ عَبْدِ الْبَصْرِيِّ . .
مَا حَدَّثَ بِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (انْحَدَرْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ لِأُزَوِّرَ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدَ الْبَصْرِيَّ بْنَ عَبْدِ ، فَمَرَرْتُ فِي طَرِيقِي بِمَوَاشٍ وَزُرُوعٍ وَنَخِيلٍ كَثِيرَةٍ ، وَكُنْتُ كُلَّمَا اجْتَرْتُ شَيْءَ مِنْهَا سَأَلْتُ عَنْهُ رَاعِيَهُ وَمَنْ يَقُومُ بِهِ ، فَيَقُولُونَ : هَذَا لِلشَّيْخِ [أَبِي] مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ ، فَخَطَرْتُ فِي نَفْسِي أَنَّ هَذَا حَالُ الْمُلُوكِ ، فَدَخَلْتُ الْبَصْرَةَ وَأَنَا أَتْلُو سُورَةَ « الْأَنْعَامِ » ، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ آيَةٍ أَنْتَهَيْتُ إِلَى دَارِ الشَّيْخِ وَأَنَا أَقْرَأُهَا . فَهِيَ حَالِي مَعَهُ ، قَالَ : فَوَصَلْتُ إِلَى بَابِ دَارِهِ ، وَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى بَابِ عَتَبَةِ دَارِهِ وَأَنَا أَتْلُو : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدَةً ﴾ [الأنعام : ٩٠] ، فَخَرَجَ إِلَيَّ خَادِمُهُ عَلَى الْفُورِ مُسْرِعاً قَبْلَ

أن أستاذنا وقال : إنَّ الشيخ يدعوكم ، فدخلتُ عليه وقال لي ابتداءً : يا عمرُ ؛ جميعُ ما رأيتهُ على الأرض هو على الأرض ، وليس في قلب عبيدٍ منه شيءٌ ، فاشتدَّ تعجُّبي من علمه بحالي في شيء لم يعلمه إلا اللهُ تعالى (١) .

وأما شيخُ فتحه في الوعظ والتأله والسلوك ، إلى حضرة ملك الملوك . . فهو عمُّه ومُربيُّه أبو النّجيب السُّهرُوردي الذي سلك طريقه واهتدى بهديه ، وقد استنار من ضوء مشكاته ، واستجابت أعضاؤه إلى نظراته ، ولانت نفسه إلى مُجاهداته ، وقد عاين بعين رأسه وقلبه منهجه الرُّباني في التربية والهداية والإرشاد ، وروى في كتابنا هذا نبذة يسيرة منه .

فمن ذلك : أنّه قال : (رأيتُ شيخنا ضياءَ الدين أبا النّجيب وكنتُ معه في سفره إلى الشام وقد بعث بعضُ أبناء الدنيا له طعاماً على رؤوس الأسارى من الإفرنج وهم في قيودهم ، فلما مُدَّت السُّفرة والأسارى ينتظرون الأواني حتى تفرغ . قال الشيخ للخادم : أحضر الأسارى حتى يقعدوا على السُّفرة مع الفقراء ، فجاء بهم وأقعدهم على السُّفرة صفّاً واحداً ، وقام الشيخ من سجداته ومشى إليهم وقعد بينهم كالواحد منهم ، فأكل وأكلوا ، فظهر لنا على وجهه ما نازل باطنه من التواضع لله ، والانكسار في نفسه ، وانسلاخه من التكبر عليهم بإيمانه وعلمه وعمّله (٢) .

وقال أيضاً : (وقد كان شيخنا أبو النّجيب السُّهرُوردي لا يتقيّد بهيئة من الملبوس ، بل كان يلبس ما يتفق من غير تعمُّلٍ وتكلفٍ واختيار ، وقد كان

(١) انظر « خلاصة المفاخر » (ص ١١٢) .

(٢) انظر (٣٠/٢) .

يَلْبَسُ الْعِمَامَةَ بَعَشْرَةَ دَنَانِيرَ ، وَيَلْبَسُ الْعِمَامَةَ بَدَانِقٍ (١) .

وقال أيضاً : (وقد كنتُ أحمُّ ، فدخل عليَّ عمِّي وشيخي أبو النجيب الشهروردي رحمه الله ، فیرشعُ جسدي عرقاً ، وكنتُ أتمنى العرق لتخفَّ عني الحمى ، فكنتُ أجدُ ذلك عند دخول الشيخ عليَّ ، ويكونُ في قدومه بركةٌ وشفاء .

وكنتُ ذاتَ يومٍ في البيت خالياً ، وهناك منديلٌ وهبه لي الشيخ ، وكان يتعمَّمُ به ، فوقع قدمي على المنديل اتفاقاً ، وتألم باطني من ذلك ، وهالني وطئي بالقدم منديلَ الشيخ ، وانبعث من باطني من الاحترام ما أرجو بركته (٢) .

وقال أيضاً : (وسمعتُ شيخنا يقول : لي سنينَ ما أكلت شيئاً بشهوة نفسٍ ابتداءً واستدعاءً ، بل يُقدِّمُ لي الشيءُ فأرى فضلَ الله ونعمته وفعله ، فأوافقُ الحقَّ في فعله .

وذكرَ أنَّه ذاتَ يومٍ انتهى الطعام ولم يحضر من عادته تقديمُ الطعام إليه ، قال : ففتحتُ باب البيت الذي فيه الطعام ، وأخذتُ رمانةً لآكلها ، فدخلتِ السنورُ وأخذتُ دجاجةً كانت هناك ، فقلتُ : هذا عقوبةٌ لي على تصرُّفي في أخذِ الرِّمَّانِ (٣) .

وقال أيضاً : (وقد كان شيخنا يطوف في مسجد الخيف بمنى ،

(١) انظر (٢/٢٥٣) .

(٢) انظر (٢/٣٤٣-٣٤٤) .

(٣) انظر (٢/٢١٠) .

ويتفحصُ وجوه الناس ، ففيل له في ذلك ، فقال : لله عبادُ إذا نظروا إلى الشخص أكَسْبُوهُ سعادة ، فأنا أَتَطَلَّبُ ذلك) (١) .

ثمَّ انقطع إمامنا الشَّهْرُورُدي ، ولازم الخلوة ، وداوم على الصوم والذكر والعبادة ، فلاح له أسرارُ المعارف ، وغرَفَ من بحار العوارف ، وارتوت نفسه من الفيوضات الربَّانية ، وغمرت بالمعاني العِرفانيَّة ، وارتقى أعلى المقامات ، ولاح له دقيقُ الإشارات .

وبعد تحقُّقه بذلك بدأ بدعاء الخلق إلى ربِّ الأرباب ، وتسليكهم طريقَ الزهد والعبادة ، وعقدَ مجالسَ الوعظ والإرشاد بمدرسة عمِّه أبي النجيب على شاطئِ دجلة ، وكان يتكلَّم بكلامٍ حديث العهد برَّبِّه من غير تكلف أو تزويق ، واشتهرَ اسمه ، وقُصدَ من جميع الأقطار ، وظهرت بركاتُ أنفاسِه على المذنبين والعُصاة ، ووصل به خلقُ إلى الله تعالى ، وصار له أصحابٌ كالنجوم ، وكان مجلسُ وعظِه يحضرُه العلماءُ والصالحون ، والأولياءُ والعارفون ، والصغيرُ والكبير ، والعبد والأمر .

يُروى : أَنَّهُ أنشد يوماً على الكرسي :

(من الكامل)

لا تَسْقِنِي وَخُدي فما عَوَّدْتَنِي أَنِّي أَشْحُ بها على جُلَّاسِي

أنتَ الكَرِيمُ ولا يَلِيقُ تَكْرُماً أَن يَعْبرَ النَّدْماءَ دَوْرُ الكاسِ

فتواجد الناسُ لذلك ، وقُطعتْ شعورٌ كثيرة ، وقاب خَلْقٌ عظيم (٢) .

(١) انظر (١/ ٣٨٠) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٦) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ٨٠) .

وَيُرَوَّى أَيْضاً : أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا بَبْغَدَادَ ، فَذَكَرَ أَحْوَالَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ
أَنشَدَ :

مَا فِي الصُّحَابِ أَخُو وَجْدٍ نَظَارِحُهُ حَدِيثَ نَجْدٍ وَلَا صَبِّ نَجَارِيهِ
وَجَعَلَ يُرَدِّدُ الْبَيْتَ وَيَطْرُبُ ، فَصَاحَ شَابٌّ مِنْ أَطْرَافِ الْمَجْلِسِ ، وَعَلَيْهِ
قَبَاءٌ وَكُلُوتَةٌ^(١) ، وَقَالَ : يَا شَيْخُ ؛ إِلَى كَمْ تَشْطُحُ وَتَنْتَقِصُ بِالْقَوْمِ ؟ ! وَاللَّهِ ؛
إِنَّ فِيهِمْ مَنْ لَا يَرْضَى أَنْ يُجَارِيكَ ، وَلَا يَصِلُ فَهْمُكَ إِلَى مَا يَقُولُ ، هَلَّا
أَنشَدْتَ :

مَا فِي الصُّحَابِ وَقَدْ سَارَتْ حُمُولُهُمْ إِلَّا مُحِبٌّ لَهُ فِي الرِّكْبِ مُحِبُّوبُ
كَأَنَّمَا يُوسِفُ فِي كُلِّ رَاحِلَةٍ وَالْحَيُّ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ يَعْقُوبُ
فَصَاحَ الشَّيْخُ ، وَنَزَلَ مِنْ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَقَصَدَ الشَّابَّ لِيَعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَلَمْ
يَجِدْهُ ، وَوَجَدَ مَوْضِعَهُ حُفْرَةً فِيهَا دَمٌ مِمَّا فَحَصَ بَرَجْلِيهِ عِنْدَ إِنْشَادِ الشَّيْخِ
الْبَيْتِ^(٢) .

وَكَانَ أَرْبَابُ الطَّرِيقِ مِنْ مَشَايِخِ عَصْرِهِ يَكْتُبُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ صُورَةَ فَتَاوَى
يَسْأَلُونَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ ؛ يُرَوَّى : أَنَّ بَعْضَهُمْ كَتَبَ إِلَيْهِ : يَا سَيِّدِي ؛
إِنْ تَرَكْتُ الْعَمَلَ أَخْلَدْتُ إِلَى الْبَطَالَةِ ، وَإِنْ عَمِلْتُ دَاخَلَنِي الْعُجْبُ ، فَأَيُّتُهُمَا
أَوْلَى ؟ فَكَتَبَ جَوَابَهُ : اْعْمَلْ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنَ الْعُجْبِ^(٣) .

وَحَجَّ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً ، وَرَبَّمَا جَاوَرَ فِي بَعْضِهَا ، وَهَنَّاكَ التَّقَى بِهِ بَعْضُ

(١) الْكُلُوتَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْقَلَانِسِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مُعَرَّبَةٌ .

(٢) انْظُرْ « مَرَاةَ الزَّمَانِ » (٣٢٣ / ٢٢) ، وَ « الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ » (١٣٩ / ١٣) .

(٣) انْظُرْ « وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ » (٤٤٧ / ٣) ، وَ « مَرَاةَ الْجَنَانِ » (٨٠ / ٤ - ٨١) .

المريدين ، فأجازهم وأبسهم خرقته الشريفة ، ونُقذ رسولا إلى الشام
مرّات ، وإلى السلطان خوارزم شاه ، وإلى كثير من البلاد ، ورأى من
الحُرمة والجاه ما لم يره أحد ، وحصل له بذلك أموالٌ جزيلة ، ففرّقها على
الفقراء والمحتاجين ، ولم يأخذ منها شيئا ، وحدث في أسفاره ووعظ ،
وانتفع بطريقته خلقٌ كثيرون ، ورُتّب بالرباط المنصوريّ ورباط المأمونية
ورباط السطامي ، وأضرّ وأقعد في آخر عمره ، فما أخلّ بالأوراد ودوام
الذكر والعبادة وحضور الجُمع في محفّته^(١) ، إلى أن دخل في عُشر المئة
وعجز وضعف ، فانقطع في منزله إلى حين وفاته ، رحمه الله تعالى ورضي
عنه وأرضاه .

هذا ؛ وقد كان الإمام الشَّهْرُورْدِيُّ من أهل العلم بالحديث ، وهو
معدودٌ في طبقاتهم ورواتهم ، وله ذكرٌ طافحٌ في كتب الفهارس والأثبات ،
وقد ذكّر في كتابنا هذا بعض أسانيده إلى بعض المصادر والأجزاء الحديثية
وغيرها .

فوجد على سبيل المثال سندهُ إلى « صحيح البخاري » ، و« سنن
أبي داود » ، و« سنن الدارمي » ، و« الزهد » لابن المبارك ، وبعض كتب
السُّلَميّ . . من طريق عمّه أبي النّجيب الشَّهْرُورْدِي رحمه الله تعالى .

ونجد سندهُ إلى « سنن الترمذي » من طريق شيخه ضياء الدين
عبد الوهاب ابن سُكينة البغدادي .

وسندهُ إلى « حلية الأولياء » ، وبعض كتب السُّلَميّ ، و« العزلة »

(١) المحفّة : المركب .

للخطّابي ، و« غريب الحديث » للحزبي . . من طريق شيخه أبي الفتح
محمّد بن عبد الباقي البغدادي .

وسنّدهُ إلى « صفوة التصوّف » ، و« سنن ابن ماجه » ، وبعض كتب
السُّلَميّ ، و« مسند ابن الجعد » . . من طريق شيخه أبي زُرعة طاهر
المقدّسي .

وسنّدهُ إلى « الكشف والبيان » للثعالبي ، و« الرسالة » للإمام
القشيري . . من طريق شيخه رضيّ الدين أحمد بن إسماعيل القزويني .

شيوخه

أخذ الإمام الشُّهْرَوْرْدِيّ عن كبار الأئمّة والعلماء ، وأسند أُمّات كتب
الحديث والرواية عن كبار المُحدِّثين الثُّبَلَاء ، وله « مشيخة » رواها عنه
أبو المعالي أحمد بنُ إسحاق الأبرقُوْهيّ ، ولم يستوعب فيها جميع
شيوخه ، بل إنّما ذكر ستة عشر شيخاً^(١) ، وسأذكر في هذه العُجالة أبرزهم
وأشهرهم ؛ فمنهم :

- الإمام الفقيه الواعظ ذو الفنون : رضيّ الدين أبو الخير أحمد بن
إسماعيل بن يوسف القزوينيّ الطَّالِقَانِيّ الشافعي (ت ٥٩٠ هـ) ، كان رئيسَ
أصحاب الشافعيّ في وقته ، وكان إماماً في المذهب والخلاف والأصول
والتفسير والوعظ والزهد ، وليس له ذِكرٌ في « المشيخة » مع أنّ إمامنا

(١) وانظر خاتمة النسخة (هـ) ؛ ففيها ذكر بعض شيوخه في لبس الخرقَة الشريفة .

السُّهُرُورْدِيُّ أَسَدٌ عَنْهُ كَثِيرٌ فِي كِتَابِنَا هَذَا^(١) .

-الإمامُ الصُّوفِيُّ المَسْنَدُ : أبو الرُّشِيدِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ
الْخَفِيفِيُّ الْأَبْهَرِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت ٥٧٧هـ) ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَصْحَابِ
أَبِي النَّجِيبِ السُّهُرُورْدِيِّ ، وَكَانَ ذَا مَجَاهِدَاتٍ وَكَرَامَاتٍ^(٢) .

-الإمامُ الفقيه المَسْنَدُ الثَّقَةُ : أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْمُقَرَّبِ بْنِ الْحُسَيْنِ
الْبَغْدَادِيُّ الْكَرْخِيُّ الشَّافِعِيُّ (ت ٥٦٣هـ) ، كَانَ صَدُوقًا مُتَوَاضِعًا صَحِيحَ
الِسَّمَاعِ ، وَقَرَأَ الْقِرَاءَاتِ وَتَصَوَّفَ وَحَدَّثَ بِالْكَثِيرِ^(٣) .

-الإمامُ المَسْنَدُ الصَّدُوقُ الصُّوفِيُّ : أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرُ بْنُ الْحَافِظِ مُحَمَّدُ بْنُ
طَاهِرِ الشَّيْبَانِيِّ الْمَقْدَسِيِّ الْهَمْدَانِيِّ (ت ٥٦٦هـ) ، تَفَرَّدَ بِرَوَايَةِ الْكُتُبِ
وَالْأَجْزَاءِ ، وَأَسَدٌ عَنْهُ الْمُتَرَجِّمُ كَثِيرٌ فِي كِتَابِنَا هَذَا^(٤) .

-الإمامُ الْكَبِيرُ الْقُطْبُ الْمُرَبِّي ، عُمْدَةُ الْمُرِيدِينَ وَالسَّالِكِينَ ، وَقُدْوَةُ
الْأَوْلِيَاءِ وَالْعَارِفِينَ : سَيِّدِي الشَّرِيفُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحْيِي الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَبْدِ اللَّهِ الْجِيلَانِيُّ الْحَسَنِيُّ الْبَغْدَادِيُّ الْحَنْبَلِيُّ
(ت ٥٦١هـ) ، كَانَ سُلْطَانِ أَوْلِيَاءِ زَمَانِهِ ، وَمَلْجَأَ أَهْلِ أَوَانِهِ ، تَخَرَّجَ عَلَى

(١) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٥٩-٦١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/١٩٠-١٩٣) ،
و« طبقات الشافعية الكبرى » (٦/٧-١٣) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٧٠-٧١) ، و« المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن
الديبشي » (ص ١١٩) .

(٣) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (١٥/١٢٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٤٧٣) .

(٤) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٥٥-٥٧) ، و« ذيل تاريخ بغداد » (١٥/٢٠٥) ،
و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٥٠٣-٥٠٤) .

يديه كبار العلماء والتَّجَبَاء ، ونُخْبَةُ الصُّلَحَاء والأولياء ، ولعلَّ إمامنا السُّهْرُورْدِيَّ
أبرزُ مثالٍ على ذلك ، وقد ذكره في كتابنا هذا في أكثر من موضع^(١) .

- عمُّ المؤلفِ الإمامُ الفقيه المفتي الواعظُ المُربِّي العابدُ القُدوة : ضياء
الدين أبو النَّجيب عبدُ القاهر بن عبد الله بن محمَّد البَكْرِيُّ السُّهْرُورْدِي
الشافعي (ت ٥٦٣هـ) ، كان إماماً من أئمَّة الشافعيَّة ، وعَلَمًا كبيراً من أعلام
الصوفيَّة ، وهو ممَّن أخذ الطريقَ عن الإمام المُربِّي الصُّوفي أحمد الغزالي
أخي حُجَّة الإسلام أبي حامد ، وهو من كبار شيوخ المُترجم ، بل هو شيخُ
فَتْحِهِ في علوم الظاهر والباطن ، وأسند عنه كثيراً في كتابنا هذا ، وأورد له
قصصاً عديدة مفيدة قيِّمة ، وقد ترجمته ترجمة موجزة أثناء الحديث عن
هذه الأسرة الكريمة المباركة^(٢) .

- الإمامُ المُحدِّث الثقة : أبو المُعَمَّر عبد الله بن سعد بن الحسين بن
الهاطرا الوزَّانُ الأزْجِي (ت ٥٦٠هـ) المشهور بـ (خَزِيْفَة)^(٣) .

- الإمامُ الفقيه الصُّوفيُّ شيخُ الإسلام مسندُ العراق ومُحدِّثُهُ : ضياء الدين
أبو أحمد عبد الوهَّاب بن علي بن علي ابنُ سُكَيْنَةَ البغدادِيُّ الشافعي
(ت ٦٠٧هـ) ، كان شيخَ وقته في علوِّ الإسناد والمعرفة والإتقان ، والزهدِ
والمعرفة وحُسنِ السَّمْت ، وموافقة الكتاب والسُّنَّة ، وسلوكِ طريق السلف

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠ / ٤٣٩ - ٤٥٠) ، و « مرآة الزمان » (٧٧ / ٢١ - ١٠٨)
وترجمته فيه ترجمة حافلة ، و (١ / ٤٤٩ ، ٤٦٧ ، ٢ / ٢٥٣ ، ٣٤٩) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٤٧ - ٤٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢٠ / ٤٧٥ -
٤٧٨) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » (٧ / ١٧٣ - ١٧٤) ، و (١ / ٢٠ - ٢٢) .

(٣) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٦٥ - ٦٦) ، و « ذيل تاريخ بغداد » (١٥ / ٢١٥) .

الصالح ، أسند عنه سيدي السُّهُرُورْدِيُّ في كتابنا هذا كثيراً من الأحاديث إلى « سنن الإمام الترمذي »^(١) .

-الإمامُ الصدوق مسندُ العراق : أبو الفتح محمَّد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان ابنُ البَطِّي البغدادِيُّ الحاجب (ت ٥٦٤هـ) ، كان شيخَ أهلِ بغداد في وقته ، وكانت أكثرُ سماعاته على أبي الفضل ابن خيرون ، وحَدَّث بكتبٍ عديدة ، وقد ذكر السُّهُرُورْدِيُّ أسانيدَهُ لبعضها في كتابنا هذا^(٢) .

-الإمامُ المُحدَّث الثقةُ الواعظ الرَّحَّال : أبو أحمد معمر بن عبد الواحد ابن رجاء ابنُ الفاخر القرشيُّ الأصبهاني المُعدَّل (ت ٥٦٤هـ) ، كان موسوماً بالحفظ والمعرفة والثقة والصلاح والمروءة والورع^(٣) .

-الإمام الفقيه : أبو القاسم واثق بن علي ابن فضلان الشافعي (ت ٥٩٥هـ) ، كان من كبار الفقهاء وأعلام العلماء^(٤) .

-الإمامُ المسندُ المُعَمَّرُ : أبو المُظَفَّر هبة الله بن أحمد بن محمَّد الشَّيْبَلِيُّ البغدادِي المؤدَّن (ت ٥٥٧هـ) ، وهو خاتمة مَنْ روى عن الإمام الشريف

(١) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (٢١٢-٢١٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/٥٠٢-٥٠٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/٣٢٤-٣٢٥) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٥٣-٥٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٤٨١-٤٨٣) ، و« المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/١٦) .

(٣) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٧٦-٧٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٤٨٥-٤٨٧) ، و« المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » (٢١/١٧٤-١٧٥) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٧/٣٢٢) .

أبي نصر الزَّينبيّ ، وهو أكبرُ شيخٍ روى عنه إمامنا الشُّهُرُوردي^(١) .

- الإمامُ المسند : أبو القاسم يحيى بن ثابت بن بُندار الدِّينُوريّ البغدادي
البَقَال (ت ٥٦٦ هـ) ^(٢) .

- الإمام الفقيه الواعظ الصُّوفي : أبو الحَجَّاج وأبو الفتح يوسف بن
محمَّد بن مقلد الدمشقيّ التَّنُوخي الشافعي (ت ٥٥٨ هـ) المشهور بـ (ابن
الجماهري) ، وبـ (ابن بنت الدَّوَانِقي) ^(٣) .

- ومن شيوخه أيضاً : الوليُّ الكبير أبو محمَّد بن عبد البَصْرِيّ ، وقد
أوردتُ قبلَ قليلِ قصَّةً لطيفةً جرت لإمامنا المُترجم معه ^(٤) .

- وممَّن روى عنهم من النساء : المُحدِّثَةُ بِشارةُ بنتُ أبي السعادات
مسعود بن موهوب ، وكان سماعُ الشُّهُرُورديّ منها سنة (٥٥٦ هـ) ^(٥) .

شأنُ إمامنا عليه

أجمع جميعُ مَنْ تَرَجَّمَ لإمامنا الشُّهُرُورديّ على أنَّه من كبار العارفين ،
وقُدوةُ الزاهدين ، وبقيةُ السلف الصالحين ، وبُغْيَةُ المريدين السالكين ، وأنَّه بَلَغَ
في الولاية والتربية مبلغاً كبيراً لم يَصِلْ إليه أحدٌ غيرُهُ في زمانه ، وسأكتفي بهذه
العُجالة بذكرِ نزرٍ يسيرٍ جامعٍ من كلامهم في مدحه والثناء عليه .

(١) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٥٠-٥٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٣٩٣-٣٩٤) .

(٢) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٦١-٦٢) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٥٠٥-٥٠٦) .

(٣) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٦٨-٧٠) ، و« تاريخ دمشق » (٧٤/٢٥٥) .

(٤) انظر (٢٣-٢٤) .

(٥) انظر « مشيخة السهروردي » (ص ٧٤-٧٦) ، و« إكمال الإكمال » (٣/٢٦٨) .

فقال فيه تلميذه الإمام الحافظ المؤرخ ابن النجار : (كان شيخ وقته في علم الحقيقة وطريق التصوف ، وإليه انتهت الرئاسة في تربية المريدين ودعاء الخلق إلى الله عز وجل ، وسلوك طريق العبادة والزهد في الدنيا)^(١) .

وقال تلميذه الإمام الحافظ المؤرخ ابن نقطة : (شيخ العراق في وقته ، يرجع إلى فضل وإيثار ومروءة تامة ، وأوراد دائمة على كبر سنه ، ووعظ الناس مدة ببغداد وغيرها ، فما أخذ عليه شيء مما يكره من قول ولا حركة)^(٢) .

وقال تلميذه الإمام الحافظ الفقيه المحقق زكي الدين المُنذري : (كان شيخ وقته في الطريقة وتربية المريدين ، ودعاء الخلق إلى الله تبارك وتعالى ، وكان مع علو سنه كثير العبادة . . . وكان له المحل الرفيع عند الخاص والعام)^(٣) .

وقال الإمام قاضي القضاة المؤرخ الأديب شمس الدين ابن خلكان : (كان شيخاً صالحاً ورعاً كثيراً الاجتهاد في العبادة والرياضة ، وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله . . . وكان شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان له مجلس وعظ ، وعلى وعظه قبول كثير ، وله نفس مبارك)^(٤) .

(١) ذيل تاريخ بغداد (١١١ / ٢٠) .

(٢) إكمال الإكمال (٥٥٦ / ٣) .

(٣) التكملة لوفيات النقلة (٣ / ٣٨٠ - ٣٨١) .

(٤) وفيات الأعيان (٤٤٦ / ٣) .

وقال الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي : (الشيخ الإمام العالم ، القدوة الزاهد العارف ، المحدث شيخ الإسلام ، أوحّد الصُوفيّة)^(١) .

وقال الإمام الفقيه القاضي الأصوليُّ المحقّق تاج الدين السُّبكي : (كان فقيهاً فاضلاً ، صوفياً إماماً ورِعاً زاهداً عارفاً ، شيخَ وقته في علم الحقيقة ، وإليه المُنتهى في تربية المريدين ، ودعاء الخلق إلى الخالق ، وتسليك طريق العبادة والخُلوة)^(٢) .

وقال الإمام الفقيه المؤرخ الصُوفيُّ المحقّق الأديب الشاعر عفيف الدين الياضي : (أستاذُ زمانه ، وفريدُ أوانه ، مَطْلَعُ الأنوار ، وَمَنْبَعُ الأسرار ، دليل الطريقة ، وتَرْجُمانُ الحقيقة ، أستاذُ الشيوخ الأكابر ، الجامعُ بين علمي الباطن والظاهر ، قُدوةُ العارفين ، وعُمدة السالكين ، العالمُ الربّاني)^(٣) .

تلامذته

سَلَكَ على الإمام الشُّهُرُورُديّ جملةً وافرة من المريدين ، وعَرَفَ من بحر عوارفه ثُلَّةً من السالكين ، وتَسَرَّبَلَ بِخِرْقَتِهِ الشريفة ثُبَّةً من الصادقين ، وقد ذُكِرَ في خاتمة النسخة (ب) و (هـ) أسماءُ كثيرٍ من المريدين الذين سمعوا منه كتابنا هذا « عوارف المعارف » ، وبعضُ من الذين لَبِسُوا منه خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ^(٤) .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٢ / ٣٧٣ - ٣٧٤) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٨ / ٣٤٠) .

(٣) مرآة الجنان (٤ / ٧٩) .

(٤) انظر (٢ / ٦٠٢ - ٦١٣) .

وَمِنْ أَشْهُرِ هَؤُلَاءِ التَّلَامِيذِ وَأَبْرَزِهِمْ :

- الإمامُ الفقيه المحدثُ المُقَرَّبُ الزاهد العابد : عزُّ الدين أبو العباس أحمدُ بن إبراهيم بن عمر الواسطيُّ الفاروُني الخطيب الشافعي (ت ٦٩٤هـ) ، كان له قَبُولٌ تامٌّ من الخواصِّ والعوام ، ومحَبَّةٌ في القلوب ووقعٌ في النفوس ، وكان حُلُوَ المجالسة طَيِّبَ الأخلاق ، وأجازهُ السُّهُرُورُديُّ ، وألبسه الخِرْقَةَ^(١) .

- الإمامُ المسند الرَّحَّال الصُّوفي : شهابُ الدين أبو المعالي أحمدُ بن إسحاق بن محمَّد الهَمْدَانِي المِصْرِي الأَبْرُقُوْهي (ت ٧٠١هـ) ، كان خَيْرًا متواضعًا ، حَسَنَ القراءة للحديث الشريف ، قارئًا مُرْتَلًّا لكتاب الله تعالى ، ومات بِمَكَّةَ بسببِ بَشَارَةِ وَعِدَةِ نبوِيَّةٍ بِذلك^(٢) ، وكان يُعرف بين الصُّوفيَّةِ بالسُّهُرُورُديِّ ؛ لِأَنَّهُ كان يَلْبَسُ عنه الخِرْقَةَ^(٣) .

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/٦-٨) ، و (٦٠٨/٢) .

(٢) ولا بأس بذكر هذه البشارة إفادةً للقارئ ؛ روى الذهبي في « معجم الشيوخ » (٧٤/١) عن شيخه تاج الدين أبي العباس المارديني قال : (ذهبنا إلى شهاب الدين الأَبْرُقُوْهي لَنَلْبَسَ مِنْهُ الخِرْقَةَ عن السُّهُرُورُديِّ ، فَوَجَدْنَاهُ في مرضٍ شديد ، فَقُمْنَا وَذهبنا ، فَنَفَذَ مَنْ رَدَّنَا ، وقال : ما تطلبونه تنالونه إن شاء الله ، وأنا فما أموتُ في مرضي هذا ، فَأَنكَرَ باطني هذا منه ، فاستدرك وقال : لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَنِي أَنِّي أَمُوتُ بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا كان بعدَ مُدَّةٍ جاء إلى مدرستنا اتِّفَاقًا ، فَرَحَّبَ به الوالد ، فقال : لا تتكلَّفُوا ، قلنا : قد هيَّأنا طعامًا لنا ، ثم بعث أبي رجلًا يشتري طاقِيَّاتٍ ، فقال : إلى أين يذهبُ هذا ؟ قلنا : يا سيِّدي ؛ يُحْضِرُ طاقِيَّاتٍ لَنَلْبَسَنَّ ، فقال : اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُلْبَسُ لِنَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَلْبَسَنَا الخِرْقَةَ ، وسمعنا منه شيئًا ، وسار من يومه إلى الحج ، فَحَضَرَهُ أَجَلُهُ بِمَكَّةَ) .

(٣) انظر « معجم الشيوخ » للذهبي (٣٧/١-٣٨ ، ٧٤) ، و « الدرر الكامنة » (١١٦/١) . (١١٧)

- الإمامُ الأصولي الصُّوفي النَّحوي الشاعر : تاجُ الدين أبو العباس أحمدُ بن محمَّد بن العباس البَكْرِيُّ الشَّرِيشي المالكي (ت ٦٤١هـ) ، دخل بغدادَ فَلَقِيَ الإمامَ الشُّهُرُورَدِيَّ وأخذ عنه ، وله رائِيةٌ نفيسة أودَعَ فيها زُبْدَةَ كتاب شيخه « عوارف المعارف » ، ونظراً لقيمتها الأدبيَّة والسُّلوكيَّة فقد أوردتها تامَّةً قبل الشروع في كتابنا هذا ، وعرَّفت بها وبمؤلَّفها تعريفاً مُوجزاً^(١) .

- الإمامُ الفقيه الصُّوفي الأديب : نجمُ الدين أبو البقاء ثابتُ بن تاوان بن أحمد التَّفْلِيسِيَّ (ت ٦٣١هـ) ، كان صوفيّاً جليلاً مُعظِّماً نبيلاً ، وكان من كبار تلاميذ الشُّهُرُورَدِي ، وأذِنَ له أن يُصلِحَ ما رأى في تصانيفه من الخلل ، وسمع ثابتٌ عليه مُصنَّفه « عوارف المعارف » ، وقال الشُّهُرُورَدِي في تقييد هذا السماع : (قرأ عليَّ هذا الكتاب : الولدُ الصالح العالم الزاهد العارف ، نجمُ المِلَّةِ والدين ثابتُ بنُ تاوان ، قراءةً مَنْ تفهَّم ما فيه من المعاني والإشارات والغرائب التي يختصُّ بمعرفتها مَنْ سَلَكَ طريقَ مشايخ الصُّوفيَّة ، واللهُ تعالى يزيدهُ تأييداً وتوفيقاً)^(٢) .

- الإمامُ الحافظ الكبير الفقيه المُحقِّق المؤرِّخ شيخُ الإسلام : زَكِيُّ الدين أبو محمَّد عبدُ العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المُنْذِرِيُّ الشامي المِصْري الشافعي (ت ٦٥٦هـ) ، كان عديمَ النظير في علم الحديث على اختلاف فنونه ، ثَبَّتاً حُجَّةً ، وَرِعاً مُتَحَرِّياً ، كَتَبَ إليه الإمام الشُّهُرُورَدِيَّ

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٦/٤٢٧-٤٢٨) ، و(١/١١٩-١٤٨) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٦/٥٧-٥٨) ، و(٢/٥٩٦) .

بالإجازة غير مرّة ، منها في سنة (٦١٨ هـ) (١) .

- الإمام الحافظ المؤرّخ الطيب : كمال الدين أبو حفص عمر بن الخضر بن اللّمش التُّركيُّ الدُّنيسري الشافعي (ت ٦٤٠ هـ) ، قال في « تاريخه » : (حضرت له مجالس كثيرة وشاهدت ذلك ، وكلامه على الناس بغير سجع ، وهو مُطَرِّحُ التكلّف في لُبِّهِ) (٢) .

- الإمام المُحدّث الصُّوفي المُعَمَّر : ضياء الدين أبو الهدى عيسى بن يحيى بن أحمد الأنصاري السبّئي الشافعي (ت ٦٩٦ هـ) ، لَبَسَ خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ من إمامنا المُترجم بمكّة سنة (٦٢٧ هـ) ، وَلَبَسَهَا منه بالقاهرة تلميذه الإمام الذّهبي (٣) .

- الإمام الفقيه المُحدّث الأديب الصُّوفي : قُطْبُ الدين أبو بكر محمّد بن الولي الكبير أبي العبّاس أحمد القسطلانيّ التّوزري المكي الشافعي (ت ٦٨٦ هـ) ، كان مَمَّنْ جَمَعَ العِلْمَ والعمل والهيبة والورع والكرم ، روى عن الإمام السُّهُرُورديّ « عوارف المعارف » ، وأَلْبَسَهُ السُّهُرُورديّ طَاقِيَةً أرسلها له من بغداد ، ثُمَّ أَلْبَسَهُ إِيَّاهَا مِنْ يَدِهِ المَبَارَكَةِ بالحرم الشريف تُجَاهَ الكعبة المُكَرَّمَةِ عندما وَرَدَهَا حاجًّا (٤) .

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٣١٩/٢٣ - ٣٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٢٥٩/٨ - ٢٦١) .

(٢) تاريخ دُنيسر (ص ١٤٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٦٤/٤٦ - ٤٦٥) .

(٣) انظر « معجم الشيوخ » (٨٧/٢ - ٨٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١١٥/٤٦) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧٧/٥١ - ٢٧٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٤٣/٨ - ٤٤) ، و(٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٢) .

- الإمام الحافظ المؤرّخ : أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى اللبّيثي الواسطي الشافعي (ت ٦٣٧هـ) ، كان واحداً من الحُفَاط المُكثِرِينَ مِنْ حفظ التواريخ والسِّيَر وأَيَّام الناس^(١) .

- الإمام الحافظ المؤرّخ المُتَقِن الرَّحَّال : مُعِينُ الدِّين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن أبي بكر البغدادي الحنبلي (ت ٦٢٩هـ) الشهير بـ (ابن نقطة) ، كان من كبار أئمّة الحديث في زمانه ، ورحل في طلبه وتحصيله إلى أماكن كثيرة^(٢) .

- الإمام الحافظ المؤرّخ الرَّحَّال : مُحِبُّ الدِّين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن ابن النجَّار البغدادي الشافعي (ت ٦٤٣هـ) ، كان مُتَبَحِّراً في علم الحديث واسعَ الحفظ فيه ، وكان إماماً ثقة حُجَّة ، مُتَوَاضِعاً صَالِحاً مُتَنَسِّكاً ، وقال مؤرّخاً أَخَذَهُ عن إمامنا الشُّهُرُورَدِيِّ : (كَتَبْتُ عَنْهُ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيراً ، وَصَحِبْتُهُ مُدَّةً ، وَكَانَ صَدُوقاً نَبِيلاً)^(٣) .

شذرة من شعره

ذكر الأستاذ الزركلي أَنَّ مِنْ مقتنياته شعراً حسناً للإمام الشُّهُرُورَدِيِّ في كُنَاش ، ولم يتيسَّر لي الوصولُ إليه ، وقد عثرتُ له على بعض الأشعار

(١) انظر « تاريخ إربل » (١ / ١٩٤ - ١٩٥) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » (٨ / ٦١ - ٦٢) .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢ / ٣٤٧ - ٣٤٩) .

(٣) انظر « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠ / ١١٢) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٧ / ٢١٧ - ٢٢٠) ، و « طبقات الشافعية » للإسنوي (٢ / ٢٨٢) .

منشورة ومُتفرقة في مصادرٍ ومراجع ترجمته .

فمما قاله رضي الله عنه^(١) :

(من البسيط)

رَبْعُ الْحِمَى مُذْ حَلَلْتُمْ مُعِشِبَ نَصِرُ تَرَوْقُ أَكْنَفُهُ يَزْهُو بِهَا النَّظَرُ
لَا كَانَ وَادِي الْغَضَا لَا يَنْزِلُونَ بِهِ وَلَا الْحِمَى سَحَّ فِي أَرْجَائِهِ مَطَرُ
وَلَا الرِّيَّاحُ وَإِنْ رَقَّتْ نَسَائِمُهَا إِنْ لَمْ تُفِدْ نَشْرَكُمْ لَا ضَمَّهَا سَحَرُ
وَلَا خَلَتْ مُهْجَتِي تَشْكُو رَسِيسَ جَوَى وَحَرُّ قَلْبِي بَرِيًّا حُبُّكُمْ عَطَرُ
وَلَا رَقَّتْ عَبْرَتِي حَتَّى تَكُونَ لَمَنْ ذَاقَ الْهَوَى وَصَبَا فِي عَبْرَتِي عِبَرُ

وَمِنْ بَدِيعِ مَا تَرْجَمَهُ لِسَانُهُ عَنْ قَلْبِهِ وَحَالِهِ^(٢) :

(من مخلع البسيط)

تَصَرَّمْتُ وَخَشَةُ اللَّيَالِي وَأَقْبَلْتُ دَوْلَةَ الْوِصَالِ
وَصَارَ بِالْوَصْلِ لِي حَسُوداً مَنْ كَانَ فِي هَجْرِكُمْ رَثِي لِي
وَحَقُّكُمْ بَعْدَ أَنْ حَصَلْتُمْ بَكْلٌ مَا فَاتَ لَا أَبَالِي
أَحْيَيْتُمُونِي وَكُنْتُ مَيْتاً وَبِعَيْتُمُونِي بَغِيرِ غَالِي
تَقَاصَرْتُ عَنْكُمْ قُلُوبُ فَيَا لَهُ مَوْرِداً حَلَا لِي
عَلَيَّ مَا لِلْوَرَى حَرَامٌ وَحُبُّكُمْ فِي الْحَشَا حَلَالِي
تَشَرَّبْتُ أَعْظَمِي هَوَاكُمْ فَمَا لَغَيْرِ الْهَوَى وَمَا لِي
فَمَا عَلَى عَادِمٍ أَجَاغَا وَعِنْدَهُ أَعْيُنُ الزُّلَالِ

(١) انظر «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (١٥٧/٢١) ، و«المقفى الكبير» (٣٨٠/٤) .

(٢) انظر «وفيات الأعيان» (٤٤٧/٣) ، و«تاريخ إربل» (١٩٤/١) .

وقيل : كان الشيخ جمال الدين الخوزي مغري - أي : مولعاً -
بالسمع ، فلمَّا وَقَفَ على (باب السماع) من كتاب « العوارف » . . كتب
إلى الإمام الشَّهْرُورَديَّ هذه الأبيات :

(من الكامل)

يا مَنْ حَبَّاهُ اللهُ صَفْوَ وِدَادِهِ وَأَنَالَهُ مِنْ قُرْبِهِ مَأْمُولُهُ
ماذا النَكِيرُ على السَّماعِ لعاشِقٍ جَعَلَ السَّماعَ إلى الحبيبِ رسولَهُ
ولقد عَلِمْتُ بأنَّ هذا مَوْقِفٌ يشكو المُحِبُّ إلى الحبيبِ عَلَيْهِ
فأجابه الإمام الشَّهْرُورَديُّ بقوله :

إِنِّي لَأَعْلَمُ ما تقولُ وأرتجِي لَكَ قُرْبَ مَنْ تختارُهُ ووصولَهُ
وأرى السَّماعَ مُحَلَّلاً لَكَ دائماً لكنْ لغيرِكَ لا أرى تحليلَهُ
يا حَبْذا قُرْبُ الحبيبِ ووَصْلُهُ لِمَتِّمٍ أَضحى لديه قَتِيلُهُ^(١)

وممَّا قاله مُسْتَدِلًّا على وجود المولى وتوحيده^(٢) :

(من المتقارب)

أَلَا أَيُّهَا العابدُ الجاحِدُ عَصَيْتَ إِلَهَكَ يا راقِدُ
عَمِيتَ فجاهدتَ في حقِّهِ لَكَ الويلُ يا للهوى عابدُ
براهينُنا واضحٌ بَيِّنٌ دلائلُنا حاضرٌ شاهِدُ
دليلُ صنائعِهِ كُلِّها على أَنَّهُ واحدٌ ماجِدُ

(١) وَجَدت هذه القصة على هامش من هوامش النسخة (ح) نقلاً عن « حاشية زين الدين الخوافي » ، وانظر (٥٠٨ / ١) .

(٢) رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر (ص ١٢١) .

مؤلفاته

وَصَفَ الإمامُ اليافعيُّ تصانيفَ الشُّهُرُوردي فقال : (له التصانيفُ الحَسَنَةُ الجامعةُ من بلاغةِ الملاحه وبراعةِ الفصاحه وحلاوةِ العبارة ، المُشتمِلَةُ على دُرَرِ المعارفِ ويواقيتِ الحِكَمِ وطلاوةِ الإِشارة ، المُحتَوِيَةُ على حياةِ القلوبِ وشفائِها من السقم)^(١) .

فَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ^(٢) :

- أجوبة على أسئلة بعض أئمة خراسان ، وهي عبارة عن ثمانية عشر سؤالاً في التصوُّف والتزكية والسلوك ، وقد وقفتُ عليها ، وأوردت بعضاً منها في كتابنا هذا ، ومضمونُ أغلبِ هذه الأجوبة موجودٌ فيه مُفصَّلاً مُطوَّلاً .

- أدلة العيان والبرهان .

- إرشاد المريدين وإنجاد الطالبين ، وهو مجموعٌ مختصر في بيان مذهب أصحاب السلوك ، وشرح بعض مصطلحاتهم المتداولة في كتب التصوُّف ؛ كـ (القبض والبسط ، والهيبة والأنس ، والتواجد والوجد والوجود) ، وغيرها .

- أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى ، وهي عقيدة نفيسة مختصرة قال

(١) مرآة الجنان (٧٩ / ٤) .

(٢) انظر « معجم تاريخ التراث الإسلامي » (٣ / ٢٢٩٥ - ٢٢٩٧) ، بالإضافة إلى مصادر ترجمته السابقة .

عنها الإمام الياقعي : (وعقيدته معروفة مشهورة ، موصوفة مشكورة ، رَوَيْتُهَا عن غير واحدٍ من شيوخنا بسندهم العالي الذي بينهم وبين مُصَنِّفه ، وأخذ في تصنيفها بمكة المُشْرِفة ، وكان إذا أشكل عليه شيءٌ منها يرجع فيه إلى الله سبحانه وتعالى ، ويستخيرهُ حولَ بيته ، ويتضرَّعُ إليه في التوفيق ، لإصابة الحقِّ والتحقيق)^(١) ، وعدّها في « روض الرياحين » من مِلاح عقائد الأولياء العارفين^(٢) ، وقد أوردتُ جزءاً منها في بداية الكتاب .

- جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب .

- رسالة إلى الإمام فخر الدين الرازي .

- رسالة السَّيْر والطَّيْر ، وهي رسالة في تصوُّف .

- رسالة الفتوح ، وهي رسالة في تصوُّف أيضاً .

- رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر ، وهي رسالة مختصرة نفيسة في

نصح الفقير الصُّوفي ، ومعرفة النَّفْس وعاداتها ، وتفضيل الفقر على ما سواه ، وغير ذلك .

- رسالة في خواصِّ أسماء الله الحسنى .

- رسالة في فضل الدعاء أولَ السنة ويومَ عاشوراء .

- رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية ، وقد ألَّفه في

أخريات حياته .

(١) مرآة الجنان (٧٨-٧٩ / ٤) .

(٢) روض الرياحين (ص ٥٨١) .

- زاد المسافر وأدب الحاضر .

- شرح كلمات لأبي محمّد الجُريري ، وهي كلمات قالها في آداب
الحضرة الإلهية .

- عوارف المعارف ، وهو من أنفس وأشهر كتبه على الإطلاق ، وقد
اشتمل على مكنونات المعارف ، ومَصُونات المحاسن واللطائف ، وهو
كتابنا هذا ، وسيأتي الحديث عنه مختصراً إن شاء الله تعالى^(١) .

أ - وقام بشرحه والتعليق عليه جملة من العلماء ؛ ومنهم^(٢) :

- الإمام الولي الصُّوفي فريد الدين مسعود بن سليمان بن شعيب
الأجودهني (ت ٦٦٤هـ) ، علّق عليه تعليقات نفيسة .

- والإمام الصُّوفي صدر الدين جُنيد بن فضل الله بن عبد الرحمن
الشِّيرازي (ت ٧٩١هـ) ، وهو شرح مختلط بالفارسيّة والعربيّة ، وقد وقفت
عليه ونقلت منه بعض التعليقات المفيدة .

- والإمام الصوفي المُربي زين الدين أبو بكر محمّد بن محمّد بن علي
الخَوافي (ت ٨٣٨هـ) ، وهي حاشية نفيسة قيّمة ، وقد نقلت منها النسخة
(ح) كثيراً من التعليقات ، وانتقيت بعضاً منها وأثبتتها في مكانها .

- والإمام الولي الصُّوفي عبد القُدوس بن إسماعيل الكنكوهي

(١) انظر (١/٤٨-٦٥) .

(٢) انظر « جامع الشروح والحواشي » (٢/١٢٤٠-١٢٤١) ، و« نزهة الخواطر »
(١/١٢٨) .

(ت ٩٤٤ هـ) ، وسمي شرحه بـ : « ذوارف اللطائف شرح عوارف المعارف » ، وقد وقفت عليه ونقلت منه بعض التعليقات المهمة .

ب - وقام باختصاره :

- الإمام الفقيه أبو العباس مُحِبُّ الدين أحمد بن عبد الله بن محمد الطَّبْرِيُّ (ت ٦٩٤ هـ) ، وسمّاه بـ : « غرر اللطائف مختصر عوارف المعارف » .

- والإمام الولي الشريف محمد بن زين بن سميّط باعلوي الحسيني (ت ١١٧٢ هـ) ، وسمّاه بـ : « الدرر واللطائف في اختصار عوارف المعارف » .

ج - وخرّج أحاديثه :

- الإمام الفقيه المحدث زين الدين أبو العدل القاسم بن قُطْلُوبُغا السُودُونِيّ الجمالي (ت ٨٧٩ هـ) .

- والعلامة المحدث أحمد ابن الصّدِّيق الغُمَارِيُّ المغربي (ت ١٣٨٠ هـ) ، وله عليه تخريجان ؛ مُطَوَّلٌ سَمَّاه بـ : « عواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف » ، ومُختَصَرٌ سَمَّاه بـ : « غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف » .

د - ونظّم زُبدته وحوى عُصارتَه :

- الإمام الأصولي الصوفي النّحوي الشاعر : تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد البَكْرِيُّ الشَّرِيشِيّ (ت ٦٤١ هـ) ، وسمي نظمه بـ : « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » ، وهو نظم بديع على بحر الطويل ، وقد أثبتّه كاملاً في إصدارنا هذا ، والله الحمد على ذلك .

هـ - وتُرجم إلى الفارسيّة والتركيّة والإنكليزيّة وغيرها .

- مشيخة الشُّهُرُورْدي ، وهي برواية تلميذيه ؛ الإمام عماد الدين أبي الفضل محمّد بن محمّد الشِّيرازي ، والإمام شهاب الدين أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقُوهي ، وتخريج الإمام الحسن بن محمّد ابن جَرَوَيْه الشَّيباني المَوْصلي .

- مغاني العاني^(١) ، في تصوّف وآداب القوم وأحوالهم ، وقد حدّث به مراراً .

- نخبة البيان في تفسير القرآن .

- وصيّة ، وهي لتلميذه نجم الدين ثابت بن تاوان التَّفليسي .

- وصيّة ، وهي لولده وتلميذه عماد الدين الشُّهُرُورْدي ، وهي مختصرةٌ نفيسة نافعة ؛ ونظراً لقيمتها ونفاستها ونفعها أوردتها تامّةً في بداية الكتاب ، والحمد لله على ذلك .

وفات

ارتقت روحُ إمامنا الشُّهُرُورْديّ الزكيّة ، وانتقلت إلى ربّها راضية مرّضية ، وكان ذلك في بغدادَ في أوائل سنة (٦٣٢ هـ) ، ودُفن قريباً من سُور الرُّصافة من الجانب الشرقي من بغدادَ في وسط المقبرة المعروفة بالورْدِيّة ، وقد بُني بجانب قبره جامعٌ حَمَلَ اسمَهُ بعد ذلك .

(١) كذا في «المقفى الكبير» (٣٧٩/٤) ، ويحتمل : أنه (المعاني) بدل (العاني) ، والله تعالى أعلم .

وبذلك طُوِيَتْ صحيفتهُ المضيئةُ المشرقة ، بعدَ حياةٍ حافلةٍ قضّاها في
سلوك طريق العارفين ، وتربية المريدين ، وإرشاد السالكين ، ومات ولم
يُخَلِّفْ كفنًا ، ولا شيئاً من متاع الدنيا الزائف ، مع كثرة الأموال التي كانت
تأتيه وتُبدل له .

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار



كلمة موجزة

عن التصوف ، وكتاب « عوارف المعارف »

إنَّ التَّصَوُّفَ ركنٌ مَتِينٌ من أركان الإسلام ، وأساسٌ عظيمٌ للنَّجاة يوم الزَّحَام ، وحصنٌ حصينٌ في وجوه الأراذل والطَّغَام ، وقلعةٌ منيعةٌ يُلجأ إليها في ليالي الفِتَنِ والظلام ، وسبيلٌ مُمهَّد لمن أراد أن يصلَ إلى حضرة الملك العلام ، وَمَسْبَأٌ مُذَلَّلٌ لِمَنِ ابْتَغَى أن يَرْقى إلى أعلى مَقام .

تعريفُ التَّصَوُّف ، والمعنى الجامعُ في تحديده

وقد اختلفَ في تحديده وبيانِ ماهيَّته ؛ فَمِنْ قائلٍ : (إِنَّهُ التَّمسُّكُ بالفقر والافتقار ، والتَّحَقُّقُ بالبذل والإيثار ، وتركُ التَّعَرُّضِ والاختيار)^(١) .

وَمِنْ قائلٍ : (إِنَّهُ الأخْذُ بالحقائق ، واليأسُ ممَّا في أيدي الخلائق)^(٢) .

وَمِنْ قائلٍ : (إِنَّهُ تصفيةُ القلب عن مُوافقة البريَّة ، ومُفارقةُ الأخلاق الطبيعيَّة ، وإخمادُ الصفات البشريَّة ، ومُجانبةُ الدواعي النَّفْسانِيَّة ، ومُنازلةُ الصفات الروحانيَّة ، والتعلُّقُ بالعلوم الحقيقيَّة ، واتباعُ الرُّسولِ في الشريعة الحَنيفِيَّة)^(٣) .

(١) قائله رُويم رحمه الله تعالى . انظر (٢٤٦ / ١) .

(٢) قائله معروف الكرخي رحمه الله تعالى . انظر (٢٤٦ / ١) .

(٣) قائله الجنيد أو أبو عبد الله بن خفيف رحمهما الله تعالى . انظر (٢٥٤ / ١) .

وَمِنْ قَائِلٍ : (إِنَّهُ لُبَسُ الصُّوفِ عَلَى الصِّفَا ، وَإِذَاقَةُ الْهَوَى طَعْمَ الْجَفَا ، وَلِزَوْمُ طَرِيقِ الْمُصْطَفَى ، وَكَوْنُ الدُّنْيَا عَلَى الْقَفَا) (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (أَصْلُ التَّصَوُّفِ : مُلَازِمَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَتَرْكُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِ الْمَشَايِخِ ، وَرُؤْيَا أَعْذَارِ الْخَلْقِ ، وَالْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْأَوْرَادِ ، وَتَرْكُ ارْتِكَابِ الرُّخَصِ وَالتَّأْوِيلَاتِ) (٢) .

وَقَدْ ذَكَرَ إِمَامُنَا الشُّهُرُورُذِّيُّ أَقْوَالَ عَدِيدَةٍ فِي بَيَانِ مَا هِيَ ، ثُمَّ قَالَ : (وَأَقْوَالُ الْمَشَايِخِ فِي مَا هِيَ التَّصَوُّفُ تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ قَوْلٍ ، وَيَطُولُ نَقْلُهَا ، وَنَذْكُرُ ضَابِطًا يَجْمَعُ جَمَلَ مَعَانِيهَا ؛ فَإِنَّ الْأَلْفَاظَ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ مُتْقَابِرَةٌ الْمَعَانِي ؛ فَنَقُولُ :

الصُّوفِيُّ : هُوَ الَّذِي يَكُونُ دَائِمَ التَّصْفِيَةِ ، لَا يَزَالُ يُصَفِّي الْأَوْقَاتَ عَنْ شَوْبِ الْأَكْدَارِ ؛ بِتَّصْفِيَةِ الْقَلْبِ عَنْ شَوْبِ النَّفْسِ ، وَيُعِينُهُ عَلَى هَذِهِ التَّصْفِيَةِ دَوَامُ افْتِقَارِهِ إِلَى مَوْلَاهُ ؛ فَبَدَوَامِ الْافْتِقَارِ يَنْفُطِنُ لِلْكَدَرِ ، وَكَلَّمَا تَحَرَّكَتِ النَّفْسُ وَظَهَرَتْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا . . أَدْرَكَهَا بِبَصِيرَتِهِ النَّافِذَةِ ، وَفَرَّ مِنْهَا إِلَى رَبِّهِ ، فَبَدَوَامِ تَصْفِيَتِهِ جَمْعِيَّتُهُ ، وَبِحَرَكَةِ نَفْسِهِ تَفَرُّقَتُهُ وَكَدَرُهُ ، فَهُوَ قَائِمٌ بِرَبِّهِ عَلَى قَلْبِهِ ، وَقَائِمٌ بِقَلْبِهِ عَلَى نَفْسِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] ، وَهَذِهِ الْقَوَّامِيَّةُ لِلَّهِ عَلَى النَّفْسِ هُوَ التَّحَقُّقُ بِحَقِيقَةِ التَّصَوُّفِ) (٣) .

(١) قَائِلُهُ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذِبَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . انْظُرْ « التَّعَرُّفُ لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ » (ص ١٨) .

(٢) قَائِلُهُ أَبُو الْقَاسِمِ النَّصْرَابَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . انْظُرْ « الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ » (ص ٢٢٦) .

(٣) انْظُرْ (١/٢٥٥-٢٥٦) .

نعتُ الصوفيّة في كلام بعض الأئمّة المُحقّقين

فالصوفيّة هم الساداتُ البرّة ، المُصطفون الخيرة ، الجامعون بين الشريعة والحقيقة ، المؤيّدون بعوارف المعارف الدّقيقة ، الذين تُرتجى الرحمةُ بذكرهم ، ويُستنزلُ الغيثُ بدعائهم .

ولله دَرُّ الإمامِ القشيريّ عندما قال : (جَعَلَ اللهُ هَذِهِ الطائِفَةَ صَفْوَةَ أَوْلِيائِهِ ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْكَافَّةِ مِنْ عِبَادِهِ بَعْدَ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ مَعَادِنَ أَسْرَارِهِ ، وَاخْتَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمَّةِ بِطَوَالِ أَنْوَارِهِ ، فَهُمْ الْغِيَاثُ لِلْخَلْقِ ، وَالِدَائِرُونَ فِي عُمُومِ أَحْوَالِهِمْ مَعَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ ، صَفَاهُمْ مِنْ كُدُورَاتِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَرَقَّاهُمْ إِلَى مَحَالِّ الْمُشَاهَدَاتِ بِمَا تَجَلَّى لَهُمْ مِنْ حَقَائِقِ الْأَحْدِيَّةِ ، وَوَفَّقَهُمْ لِلْقِيَامِ بِآدَابِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَأَشْهَدُهُمْ مَجَارِيَ أَحْكَامِ الرُّبُوبِيَّةِ ، فَقَامُوا بِإِدَاءِ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ وَاجِبَاتِ التَّكْلِيفِ ، وَتَحَقَّقُوا بِمَا مِنْهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ مِنَ التَّقْلِيلِ وَالتَّصْرِيفِ)^(١) .

وقد أبدع إمامنا السُّهْرُورُديّ في الكشف عن بعض أوصافهم ؛ فقال : (أَلْبَسَ قُلُوبَ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ مَلَابِسَ الْعِرْفَانِ ، وَخَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ بِخَصَائِصِ الْإِحْسَانِ ، فَصَارَتْ ضَمَائِرُهُمْ مِنْ مَوَاهِبِ الْأَنْسِ مَمْلُوءَةً ، وَمَرَايَا قُلُوبِهِمْ بِنُورِ الْقُدُسِ مَجْلُوءَةً ، فَتَهَيَّأَتْ لِقَبُولِ الْأُمْدَادِ الْقُدْسِيَّةِ ، وَاسْتَعَدَّتْ لَوُرُودِ الْأَنْوَارِ الْعُلُويَّةِ ، وَاتَّخَذَتْ مِنَ الْأَنْفَاسِ الْعَطِرَةِ بِالْأَذْكَارِ جُلَاسًا ، وَأَقَامَتْ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنَ التَّقْوَى حُرَّاسًا ، وَأَشْعَلَتْ فِي ظُلَمِ الْبَشَرِيَّةِ

(١) الرسالة القشيرية (ص ٨٠) .

من اليقين نبراساً ، واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها ، وأنكرت مصايد الهوى
وتبعاتها ، وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت ، واستفرشت بعلو هممتها
بساط الملكوت ، وامتدت إلى المعالي أعناقها ، وطمحت إلى اللامع
العلوي أحداقها ، واتخذت من الملاء الأعلى مساميراً ومُحاوراً ، ومن النور
الأعزّ الأقصى مُزاوراً ومُجاوراً... لا يزال في كل عصر وزمان منهم علماء
قائمون بالحق ، داعون للخلق ، مُنحوا بحُسن المتابعة رتبة الدعوة ،
وجُعِلوا للمتقين قُدوة ، فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم ، وتُزهَر في الآفاق
أنوارهم ، من اقتدى بهم اهتدى ، ومن أنكرهم ضلّ واعتدى ^(١) .

وقال الإمام الكلاباذي فيهم : (جَعَلَ فِيهِمْ صَفْوَةً وَأَخْيَاراً ، وَنُجَبَاءً
وَأَبْرَاراً ، سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى ، وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَعَزَفَ
بِنَفْسِهِمْ عَنِ الدُّنْيَا ، صَدَقَتْ مَجَاهِدَتُهُمْ فَنَالُوا عُلُومَ الدِّرَاسَةِ ، وَخَلَصَتْ
عَلَيْهَا مَعَامِلَتُهُمْ فَمُنَحُوا عُلُومَ الْوِرَاثَةِ ، وَصَفَتْ سِرَائِرُهُمْ فَأَكْرَمُوا بِصِدْقِ
الْفِرَاسَةِ) ^(٢) .

نشأة علم التصوف

والتصوف بثمراته وجوهره ولُبّه قديم نشأ مع الإسلام ؛ وهو علم الحقيقة
المشار إليه في حديث أمين الوحي جبريل عليه السلام ، عندما سأل سيّد
الأنام صلى الله عليه وسلّم عن الإحسان ، فأجابه بقوله : « أن تعبد الله

(١) انظر (١/١٥٢-١٥٤) .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف (ص ٥-٦) .

كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » (١) .

ولم يكن التصوف - كمدرسة وطُرق يُدعى إليها - معروفاً في العصر الأول ؛ لأنَّ أهله كانوا أهلَ تقوى وورع ، وأرباب مُجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم وقُرب اتّصالهم برسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فكانوا يتسابقون ويتبارون في الاقتداء به في جميع ما صَدَرَ منه ، فلم يكن ثَمَّة ما يدعو إلى تلقينهم علماً يُرشدُهم إلى أمرٍ هم قائمون به فعلاً .

فلَمَّا تقادم العهد ، ودخل في حظيرة الإسلام أممٌ شتى وأجناسٌ عديدة ، واتَّسعت دائرة العلوم ، وتقسّمت وتوزّعت بين أرباب الاختصاص . . قام كلُّ فريقٍ بتدوين الفنِّ والعلم الذي يجيده أكثر من غيره ، وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحي يتضاءل شيئاً فشيئاً ، وأخذ الناسُ يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية والقلب والهمّة ، ممّا دعا أرباب الرياضة والزهد إلى تدوين علم التصوف والتأليف فيه (٢) .

قال الإمام المؤرّخ الكبير ابنُ خلدون في « مُقدّمته » الشهيرة : (عِلْمُ التصوف من العلوم الشرعيّة الحادثة في المِلّة ، وأصلُّه : أنَّ طريقة هؤلاء القوم لم تزلْ عند سلف الأئمّة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية ، وأصلُّها : العُكوف على العبادة ، والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زُخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقْبَلُ عليه الجمهور من لذةٍ ومالٍ وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ،

(١) رواه مسلم (٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) انظر « حقائق عن التصوف » (ص ٢٢ - ٢٣) .

وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف ، فلمّا فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجَنَحَ الناسُ إلى مخالطة الدنيا . . . اختصَّ المُقبِلون على العبادة باسم « الصُّوفِيَّة » و« المُتصَوِّفة » (١) .

نسبةُ عِلْمِ الحقيقة مِنْ عِلْمِ الشريعة

ونسبةُ علمِ التصوُّف والحقيقة إلى علمِ الشريعة - كما قال الإمام السُّيوطي - كنسبة علمِ المعاني والبيان إلى علمِ النحو ، فهو سرُّه ومبنيُّ عليه ؛ فمَنْ أراد الخوضَ في علمِ الحقيقة مِنْ غيرِ أَنْ يَعْلَمَ الشريعة . . . فهو من الجاهلين ، ولا يحصلُ على شيء ، كما أَنَّ مَنْ أراد الخوضَ في أسرار علمِ المعاني والبيان مِنْ غيرِ أَنْ يُحْكَمَ النحو . . . فهو يَخِيطُ خَبْطَ عَشَوَاءَ ، وكيف يُدْرِكُ أحوالَ الإسناد والمسند إليه والمسند ومُتعلِّقات الفعل مَنْ لم يعرفِ المبتدأ من الخبر والفاعل من المفعول ؟! هذا يَبَيِّنُ لكلِّ أحد ، والحقيقةُ سرُّ الشريعة وَلَبَنُهَا الخالص ، كما أَنَّ المعاني والبيان سرُّ النحو ولطائفُه (٢) .

ويُقَوِّي هذا الكلامَ ويُؤَيِّدُه : ما قاله الإمام الحُجَّةُ أبو حامدٍ الغزالي رحمه الله تعالى : (أمّا الإسلامُ : فيتكلَّمُ الفقيهُ فيما يصحُّ منه وما يفسد ، وفي شروطه ، وليس يلتفتُ فيه إلا إلى اللسان ، وأمّا القلبُ فخارجٌ عن ولاية الفقيه . . . وأمّا الصلاةُ : فالفقيهُ يُفتي بالصَّحَّةِ إذا أتى بصورة الأعمال معَ ظاهرِ الشروط ، وإن كان غافلاً في جميعِ صلاته مِنْ أوَّلِها إلى آخرها ،

(١) تاريخ ابن خلدون (٦١١/١) ، وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٠٠) ، وكتابنا هذا في (١٦١/١ ، ١٦٧) وما بعدها .

(٢) تأييد الحقيقة العلية وتشديد الطريقة الشاذلية (ص ٢١) .

مشغولاً بالتفكير في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير ، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة ، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ، ولكن الفقيه يفتي بالصحة ؛ أي : أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر ، وانقطع به عنه القتل والتعزير ، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر . لا يتعرض له الفقيه ، ولو تعرض له لكان خارجاً عنه (١) .

تبين كذب المُفترين والظالمين ، فيما نسبوا إلى الأئمة الربانيين

أما ما ينسبه الزنادقة والمستشرقون والتنويريون وكثير من المبتدعة إلى التصوف والصوفية دون تقييد وتفصيل ، وبيان وتأويل ؛ من عقائد الاتحاد والحلول ، ورواية القصص والخرافات بزعمهم التي تأباها العقول ، وهجرة الفروع والأصول ، وإثارة الضعف والخمول ، والابتعاد عن شريعة سيد المرسلين ، والابتداع في الملة والدين ، وموالات الطغاة والظالمين ، إلى غير ذلك من الأمور . فهو كذب وبُهتان ، وظلم وعدوان ، جرّهم إليه جهل فاضح ، وعدوان لائح ، ودراية من بعضهم ويقين أن التصوف هو روح الإسلام وقلبه ، وجوهره ولبّه ، وأنه الطريق الوحيد الذي يصل فيه العبد إلى الحرية ، ويتخلص من رق الأغيار بالكلية .

وفي كتب الصوفية الكثيرة - وخصوصاً كتابنا هذا « عوارف المعارف » - نفي لجميع هذه المزاعم والأباطيل ، ودحض لزغبر الافتراءات

(١) إحياء علوم الدين (١/٦٩-٧٠) .

والأضاليل ، ويكفي في ردّ جميع ذلك قولُ إمامِ الصُّوفِيَّةِ وسَيِّدِهِم وهادِيهِم
وَمُرْشِدِهِم أبي القاسم الجُنَيْد البَغْدَادِي رحمه الله تعالى : (مَنْ لَمْ يَحْفَظِ
الْقُرْآنَ ، وَلَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ . . لَا يُقْتَدَى بِهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ لِأَنَّ عَلَمَنَا هَذَا
مُقَيَّدٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) (١) .

وَيُرَوَّى : أَنَّ أَبَا يَزِيدَ السِّسْطَامِيَّ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : قُمْ بِنَا
حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ شَهَرَ نَفْسَهُ بِالْوَلَايَةِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ فِي
نَاحِيَتِهِ مَقْصُوداً مَشْهُوراً بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ ، قَالَ : فَمَضَيْنَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ
بَيْتِهِ يَقْصِدُ الْمَسْجِدَ . . رَمَى بُزَاقَهُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ ، فَقَالَ أَبُو يَزِيدَ : انْصَرِفُوا ،
فَانْصَرَفَ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ
آدَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَأْمُوناً عَلَى مَا يَدَّعِيهِ مِنْ
مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ ؟! (٢) .

وَسُئِلَ خَادِمُ الشُّبْلِيِّ : مَاذَا رَأَيْتَ مِنْهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ؟ فَقَالَ : لَمَّا أُمْسَكَ
لِسَانَهُ ، وَغَرِقَ جَبِينُهُ . . أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ وَضَعْتُ لِلصَّلَاةِ ، فَوَضَّأَتْهُ ، فَنَسِيتُ
تَخْلِيلَ لِحْيَتِهِ ، فَقَبَضَ عَلَى يَدِي ، وَأَدْخَلَ أَصَابِعِي فِي لِحْيَتِهِ يُخَلِّلُهَا (٣) .

وَقَدْ مَدَحَ الصُّوفِيَّةَ وَأَشَادَ بِهِمْ كِبَارُ الْأَثَمَةِ وَالْعُلَمَاءِ ، وَعِظَمَاءُ الْمُحَدِّثِينَ
وَالْفُقَهَاءِ ، وَأَقْوَالُهُمْ فِيهِمْ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَثَنَاءُتُهُمْ عَلَيْهِمْ عَدِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ ،
وَمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ ذَمٍّ وَقَدَحٍ ، أَوْ صَرِيحٍ نَقْدٍ وَجَرَحٍ . . فَإِنَّمَا يَعْنُونَ
بِهِ بَعْضَ مَنْ لَبَسَ لِبَاسَهُمْ وَلَمْ يُحْكَمْ شَيْئاً مِنْ أَسَاسِهِمْ ، وَمَنْ جَلَسَ عَلَى

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٥٥) .

(٢) انظر (٢٤٣ / ١) .

(٣) انظر (٢٤٣ / ١ - ٢٤٤) .

أحلاسهم ولم يذُق رَشْفَةً مِنْ كَاسِهِمْ ، بل إِنَّ الصُّوفِيَّةَ أَنْفَسَهُمْ - ومنهم إمامنا
الشُّهُرُورُذِيّ - نَبَّهُوا عَلَى ضَلَالَاتِهِمْ ، وَحَذَّرُوا مِنْ جَهَالَاتِهِمْ .

« قوتُ القلوب » من أوائل الكتب المُدَوَّنَةِ في علم التصوُّف

هذا ؛ وَمِنْ أوائل الكتب التي دُوِّنت في التصوُّف تدويناً واضحَ المعالم ،
مُحَكَّمِ الأساس ، مُشَيِّدِ البُنيان . . كتابُ « قوت القلوب » للإمام الرِّبَّانِيّ
أبي طالبِ المَكِّيّ ، الذي قال فيه وفي كتابه تلميذُ الشُّهُرُورُذِيّ نجمُ الدين
ابنُ تاوانِ التَّفَلِيسِيّ :

سقى الله تُرْبَ أبي طالبٍ	مِنْ السَّلَسِيلِ بِمُزْنِ سَكُوبٍ
وجازاهُ بالفضلِ أَسْنَى الجزاءِ	على حُسْنِ تَأْلِيفِ « قوتِ القلوبِ »
ولَقَّاهُ نَضْرَةً دارِ النعيمِ	وَأَسْكَنَهُ في جِوَارِ الحبيبِ
كما ضَمَّنَ « القوتَ » سِرَّ العلومِ	وأودَعَهُ كُلَّ معْنَى عَجيبِ
إِشارَتُهُ مِنْ وراءِ العُقُولِ	وأَسْرارُهُ مِنْ مَطَاوِي الغُرُوبِ
ويكشفُ للمرءِ عن نَفْسِهِ	مَكَانَ الهَوَى وَخَفَايَا العيوبِ
متى خُصَّ عَبْدٌ بهذا الكتابِ	وفَهَّمَهُ اللهُ فَهْمَ اللَّيْبِ
فلا مَسَّهُ نَصَبٌ بَعْدَهُ	ولا مَسَّهُ أَبَدًا مِنْ لُغُوبِ

كتابُ « عوارِفِ المعارفِ » مِنْ أركانِ عِلْمِ التصوُّفِ

وَمِنْ الكتبِ التي نَهَلْتُ مِنْ مَعِينِ « القوت » . . كتابُ « عوارِفِ
المعارفِ » للإمامِ الكبيرِ المُربِّي الصُّوفي المُحَقِّقِ شيخِ الإسلامِ شهابِ الدين
أبي حفصِ عمرَ البَكْرِيّ الشُّهُرُورُذِيّ ، الذي انتشر في حياته انتشاراً واسعاً ،

وحدّث به مراراً ، وقرأه عليه المريدون والسالكون ، والأولياء والفقهاء والمُحدّثون ، وانتفعوا به انتفاعاً كبيراً ، وغرّفوا من بحر عوارفه علماً غزيراً ، وانتشر بعد وفاته في كلّ قطرٍ ومكان ، واستمرّ ذلك وامتدّ في كافّة الأزمان ، وقرئ في الجوامع والمساجد ، واهتدى به أصحاب الزوايا والمعابد .

وقد جعله الإمامُ الفقيه المُحقّقُ شيخُ الإسلام ابنُ حجر الهيثمي أحدَ الكتب الأربعة التي عليها المدارُ والمُعولُ في طريق القوم ؛ فقال : (وعلىكَ - إن أردتَ أن يظهرَ لك الحقُّ ، وأنَّكَ تتحلّى بالصدق - بمطالعة « إحياء الغزالي » رحمه الله تعالى ، و« رسالة الإمام العارف القُشيري » ، و« عوارف المعارف » للشُّهُرُورديّ ، و« القوت » لأبي طالب المكي ؛ فإنّ هذه هي الكتبُ النافعةُ المُبيّنةُ لأحوال الصّادقين ، وتليّساتِ المُبطلين ، والحاملةُ على معالي الأخلاق ، وإيثارِ الفقر والإملاق ، وإدمانِ الطاعات ، وملازمة العبادات ، سيّما الجماعات ، والإعراضِ عن سفاسف أقالِم غلبَ عليهم الشيطان ، فسوّلَ لهم القبيحَ حسناً ، والمنكرَ معروفاً ، والمذمومَ ممدوحاً ، فاستغرقوا في بحار شهواتهم ، وقبيحِ اعتقاداتهم وإراداتهم ، وهم مع ذلك يحسبون أنّهم يُحسنون صنعا ، أو يُحكمون وضعاً)^(١) .

الحاملُ والباعثُ على تأليف « عوارف المعارف »

وكان داعيةُ إمامنا الشُّهُرُورديّ إلى تأليفه ، والنيةُ الحاملةُ له على ذلك . . ما ذكره بقوله : (ثمَّ إنّ إيثاري لهذي هؤلاء القوم ، ومحبتّي لهم ، علماً

(١) الفتاوى الحديثية (ص ١٤٣) .

بشرف حالهم ، وصحّة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة ، المُتحقّق بها من الله الكريم الفضل والمِنَّة . . حَدّاني أَنْ أَذُبَّ عن هذه العِصابة بهذه الصُّبابة ، وأُؤلِّفَ أبواباً في الحقائق والآداب ، مُعربةً عن وجه الصواب فيما اعتمدوه ، مُشيرةً بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه ، حيثُ كَثُرَ المُتَشَبِّهون واختلَفَت أحوالُهُم ، وتَسَرَّ بِزِيَّهِم المُتَسَتِّرونَ وفَسَدَت أَعْمَالُهُم ، وسَبَقَ إلى قلب مَنْ لا يعرفُ أصولَ سلفهم سوءُ ظنٍّ ، وكاد لا يسلمُ من وقعة فيهم وطعن ؛ ظناً منه أَنَّ حاصلَهُم راجعٌ إلى مُجرَّد رَسم ، وتخصُّصَهُم عائِدٌ إلى مُطلقِ اسم .

وممَّا حَضَرَنِي فيه مِنَ النِّيَّةِ : أَنَّ أَكْثَرَ سَوَادِ القومِ بالاعتزاء إلى طريقتهم ، والإشارة إلى أحوالهم (١) .

نظرة موجزة على أهمِّ أبواب « عوارف المعارف »

وقد جعله الإمام الشَّهْرُورُ دِيّ في ثلاثةٍ وستين باباً مُحرَّرةً ، مُشتملةً على بعض علوم الصوفيّة وأحوالِهِم ومقاماتِهِم ، وآدابِهِم وأخلاقِهِم ، وغرائبِ مَوَاجِدِهِم ، وحقائقِ معرفتِهِم وتوحيدهم ، ودقيقِ إشاراتهم ، ولطيفِ اصطلاحاتهم (٢) .



وقد عَقَدَ الإمامُ الشَّهْرُورُ دِيّ الأبوابِ الأولى للحديث عن ماهيّة التصوُّف

(١) انظر (١/١٥٥) .

(٢) انظر (١/١٦١) .

واختلاف الأقوال في تحديده ، ثم ذَكَرَ كلاماً جامعاً في ذلك أوردته قبل قليل^(١) ، وذكرَ سببَ تخصيصهم بهذا الاسم دون غيرهم .

كما تحدّث عن فضيلة علم التصوّف على غيره من العلوم ، وأنّ الصّوفيّة رزقوا سائر العلوم من المأمورات والمنهيّات وغيرها ، ثمّ تفرّدوا بعلوم امتازوا بها عن غيرهم ، ومن هذه العلوم : علمُ اليقين ، وعلم الإخلاص ، وعلمُ معرفة أقسام الدنيا ، ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النّفس ، وعلمُ المراقبة ، وعلمُ المحبّة ، وعلومُ المشاهدات ؛ كعلم الهيبة والأنس ، والقبض والبسط ، والفناء والبقاء ، وغيرها ، وقد حوى هذا المختصر من هذه العلوم على طَرَفٍ صالح ، وقد ذكر المؤلّف أنّ علوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبّة الدنيا ، ولا تنكشف إلّا بمجانبة الهوى ، ولا تُدرّس إلّا في مدرسة التقوى ، وإنّما حصلت لهم بسبب إقبالهم على الله تعالى والانقطاع إليه ، وخلوص أرواحهم إلى مقام القرب منه ، فأفاضت أرواحهم على قلوبهم أنواراً تهيّأت بها قلوبهم لإدراك العلوم .

وتكلّم في هذه الأبواب أيضاً عن الفرق بين الصّوفي والمتصوّف والفقير والمتشبّه ، وخصّص باباً للحديث عن الملاميّة ، وهي طائفة مشهورة في زمان المؤلّف كانت تعني بالإخلاص اعتناء شديداً ، وذكر أنّ حالهم حالٌ شريف ، ومقامٌ عزيز ؛ وهو عبارة عن التمسك بالسُنن والآثار ، والتحقّق بالصدق والإخلاص .



(١) انظر (١/٤٩) .

وأفردَ البابَ التاسعَ للكلامِ عن أقوامٍ انتسبوا إلى الصُّوفيَّةِ وليسوا منهم ؛ كالقَلَنْدَرِيَّةِ الذين خَرَّبُوا العادات ، وطَرَحُوا التقيدَ بِآدابِ المُجالساتِ والمُخالطاتِ ، وساحوا في ميادين طِيبةٍ قلوبهم ، فقلَّتْ أعمالُهُم من الصوم والصلاةِ إلا الفرائضَ ، ولم يُبالُوا بتناول شيءٍ من لذات الدنيا من كلِّ ما كان مُباحاً برخصة الشرع ، وربَّما اختصروا على رعاية الرخصة ، ولم يطلبوا حقائق العزيمة ، بل إنَّ بعضَهُم قد ينتهجُ مناهج أهل الإباحة ، ويزعمُ أنَّ ضمائرَهُم خَلَصَتْ إلى الله تعالى ، ويقولون : هذا هو الظفرُ بالمراد ، والارتسامُ بمراسم الشريعة رتبة العوامِّ ، وقاصِرِي الأفهام ، المُنحَصِرِينَ في مَضِيقِ الاقتداءِ تقليداً ، وأوردَ المؤلِّفُ ضابطاً نفيساً مُهِمّاً يزيل كثيراً من التُّهم عن هذا الطريق بسبب بعض المُنتسِبِينَ إليه رَسْماً ، لا حقيقةً وعَزْماً ؛ فقال : (فإذا رَأَيْنَا مُتَهَاوِناً بحدود الشرع ، مُهِمَّلاً للصَّلواتِ المفترَضاتِ ، لا يعتدُّ بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ، ويدخلُ في المداخلِ المكروهةِ المُحرَّمةِ . . نردُّهُ ولا نقبلُهُ ، ولا نقبلُ دَعْوَاهُ أنَّ له سريرةً صالحةً) (١) .

وذكرَ أيضاً أقواماً من الحُلُولِيَّةِ والإباحيَّةِ ، وردَّ دعاويَهُم الكاذبة ، ومذاهبَهُم الفاسدة ، ونفى عن أقوامٍ من أئمةِ التَّصَوُّفِ عُرِفُوا بالاستقامة والولاية والزهد في الدنيا . ما صدرَ عنهم في حال غلباتِهِم وسُكْرِهِم في حُبِّ الذَّاتِ المُقدَّسة ، أو نُسبِ إليهم ؛ من عباراتٍ ظاهرُها الاتِّحاد والحلول ، ونزَّه مقامَهُم الشريفَ مِن اعتقاد هذا الظاهرِ المُوهِم ، أو الانتسابِ إلى هذا المذهبِ المُظْلِم .



وَعَقَدَ بَاباً مُهِمّاً للكلام عن رُتْبَةِ المَشِيخَةِ ، وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الرُّتْبَةَ هِيَ أَعْلَى الرُّتْبِ عِنْد الصُّوفِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا نِيَابَةٌ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الدَّعْوَةِ الْحَقِيقِيَّةِ إِلَى طَرِيقِ الْوَلَايَةِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ يَسْلُكُ بِالْمُرِيدِ طَرِيقَ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَقَدَ أَبْوَاباً مُهِمَّةً مُحَقَّقَةً فِي السَّمَاعِ وَحُكْمِهِ وَأَدَابِهِ وَشُرُوطِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِعَارِفٍ مَكِينٍ ، وَلَا يَصْلُحُ لِمُرِيدٍ مُبْتَدِئٍ ، وَمَا اخْتَارَهُ مَنْ اخْتَارَهُ مِنْ أَيْمَةِ التَّصَوُّفِ إِلَّا بِشُرُوطٍ وَقِيُودٍ وَأَدَابٍ ؛ يَذْكُرُونَ بِهِ الْآخِرَةَ ، وَيَرْغَبُونَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ ، وَيُحَذِّرُونَ مِنَ النَّارِ ، وَيَزِدَادُ بِهِ طَلِبُهُمْ ، وَتَحَسِّنُ بِهِ أَحْوَالُهُمْ .



وَالْأَخْلَاقُ عِنْدَ سَادَتِنَا الصُّوفِيَّةِ مِنْ أَهَمِّ مَدَارِجِ مَقَامَاتِ أَرْبَابِ السَّلُوكِ ، بَلْ إِنَّ سَيِّدِي الْمُرَبِّيَّ أَبَا بَكْرَ الْكَتَّانِي عَرَّفَ التَّصَوُّفَ بِقَوْلِهِ : (التَّصَوُّفُ خُلُقٌ ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي التَّصَوُّفِ)^(١) ؛ وَلِذَلِكَ عَقَدَ السُّهْرُورْدِيُّ بَاباً قِيَمًا للكلام عن أخلاق الصُّوفِيَّةِ ، وَشَرَحَ مَاهِيَةَ الْخُلُقِ عِنْدَهُمْ ، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ هُمْ أَوْفَرُ النَّاسِ حِظًّا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَحَقُّهُمْ بِأَحْيَاءِ سُنَّتِهِ ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ وَفَّقُوا فِي بَدَايَاتِهِمْ لِرِعَايَةِ أَقْوَالِهِ ، وَفِي وَسْطِ حَالِهِمْ اقْتَدَوْا بِأَعْمَالِهِ ، فَاتَّمَرَ لَهُمْ ذَلِكَ أَنْ تَحَقَّقُوا فِي نَهَايَاتِهِمْ بِأَخْلَاقِهِ ؛ وَالسَّبَبُ الْجَوْهَرِيُّ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ رَاضُوا نَفْسَهُمْ بِالْمُكَابِدَاتِ وَالْمُجَاهِدَاتِ حَتَّى أَجَابَتْ إِلَى تَحْسِينِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ كُلِّهَا .

(١) انظر (٢٠/٢) .

وَأَتْبَعَهُ بِيَابَ مُطَوَّلٍ فِي تَفْصِيلِ أَخْلَاقِهِمُ الْمُسْتَقَاةِ مِنْ نَوْرِ مِشْكَاتِ النُّبُوَّةِ ؛
كَالتَوَاضُعِ ، وَالْمُدَارَاةِ ، وَاحْتِمَالِ الْأَذَى مِنَ الْخَلْقِ ، وَالتَّجَاوُزِ عَنْهُمْ وَالْعَفْوِ
وَلِيْنِ الْجَانِبِ لَهُمْ ، وَالْإِيْثَارِ وَالْمَوَاسَاةِ ، وَالْإِنْفَاقِ مِنْ غَيْرِ إِقْتَارٍ وَتَرْكِ
الْأَذْخَارِ ، وَالْقَنَاعَةِ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَتَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْمَجَادَلَةِ . . . إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ ، وَدَلَّلَ لِجَمِيعِ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَأَقْوَالِ السَّلَفِ
وَالتَّابِعِينَ ، وَأَثَمَةِ التَّصَوُّفِ الْمُعْتَبَرِينَ ، وَهَذَا الْبَابُ يُبْرِزُ التَّصَوُّفَ الْعَمَلِيَّ
الْحَقِيقِيَّ الْمُتَجَلِّيَّ فِي مَقَامِ الْإِحْسَانِ ، وَيَرُدُّ عَلَى أَبَاطِيلِ أَهْلِ الْإِفْكَ
وَالْعُدْوَانِ ، وَمَزَاعِمِ أَوْلِيِ الْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ .



وَأَفْرَدَ الْمُؤَلِّفُ أَبْوَاباً كَثِيراً لِلْحَدِيثِ عَنْ آدَابِ الصُّوفِيَّةِ مَعَ الْحَضَرَةِ
الْإِلَهِيَّةِ ، وَفِي طَهَارَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَأَكْلِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
وَقَدْ أَطْنَبَ الْمُؤَلِّفُ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْآدَابِ وَأَوَّلَاهُ عَنَاءً كَبِيراً ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
الْأَدَبَ أَسَاسٌ مِنْ أَسَاسَاتِ الْوُصُولِ وَالْمَعْرِفَةِ عِنْدَ سَادَتِنَا الصُّوفِيَّةِ ؛ وَلِذَلِكَ
قَالَ سَيِّدِي الصُّوفِيُّ يَوْسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّازِي : (بِالْأَدَبِ يُفْهَمُ الْعِلْمُ ،
وَبِالْعِلْمِ يَصْحُ الْعَمَلُ ، وَبِالْعَمَلِ تُنَالُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِكْمَةِ يُقَامُ الزُّهْدُ ،
وَبِالزُّهْدِ تُتْرَكُ الدُّنْيَا ، وَبِتَرْكِ الدُّنْيَا يُرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ ، وَبِالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ
تُنَالُ الرُّتْبَةُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى) (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الزَّمِ الْأَدَبَ ظَاهِراً وَبَاطِناً ، فَمَا أَسَاءَ أَحَدٌ الْأَدَبِ فِي

(١) انظر (٢/١٠٥-١٠٦) .

الظاهر إلا عُوقب ظاهراً ، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عُوقب باطناً (١) .



وتكلّم في بعض الأبواب عن كَيْفِيَّةِ وَهِيَّةِ بعض العبادات التي تتكرّر في حِلِّهم وتَرْحالهم ؛ كالصلاة وما يتقدّمها من الوضوء والتميم والمسح على الخُفَّين ، وانتقى من « قوت القلوب » وغيره بعض الأوراد والأذكار التي ينبغي أن يُحافظَ عليها السالك ليلًا ونهاراً ، وهذه الأبواب من الأبواب المهمة التي انفرد بها كتابنا هذا عن « رسالة الإمام القشيري » رحمه الله تعالى .

ومن الأبواب المهمة في هذا الكتاب : أدب الصُّحبة والأخوة في الله ، وأدب المُريد مع شيخه المُربي ، وأدب الشيخ وما يعتمد به مع الأصحاب والمريدين ، وقد أورد المؤلفُ جملةً من الآداب المهمة في هذين البابين ، وضمَّنهما قصصاً ماثرة ، وتوجيهات نافعة ، وحِكماً مفيدة ، ووصايا سديدة .



وتكلّم في الأبواب الأخيرة من الكتاب عن الخواطر التي تردُّ على القلب وأنواعها وتفصيلها ، وذكر أنَّ أقوم الناس بتمييز الخواطر الإيمانية من الخواطر الشيطانية . أقومهم بمعرفة النَّفس التي لا تكاد تيسر إلا بعد الاستقصاء في الزُّهد والتقوى ، وأنَّ مَنْ كان أكله من الحرام لا يُفرّق بين الإلهام والوسوسة .

(١) انظر (٢/١١٠) .

وَأَفْرَدَ بَابَيْنِ مُهِمَّيْنِ لِلْحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ مَقَامَاتِ الصُّوفِيَّةِ وَأَحْوَالِهِمْ ،
وَشَرَحَ بَعْضَ الْمَصْطَلَحَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ دَوْرَانُهَا فِي كُتُبِ سَادَتِنَا الصُّوفِيَّةِ .

السُّهْرَوْرْدِيُّ مِنْ مُحَقِّقِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ وَالْمُنَظِّرِينَ فِيهِ

وإمامنا السُّهْرَوْرْدِيُّ مِنْ مُحَقِّقِي الصُّوفِيَّةِ ، وإمامٌ كبيرٌ مِنْ أئِمَّتِهِمْ ، وإليه
انتهت رئاسةُ التَّصَوُّفِ والوعظ والإرشاد ، ودلالةُ المريدين إلى ربِّ العباد ؛
فلذلك نجدُ رأيه طافحاً في هذا الكتاب في كثير من المسائل ؛ نقداً
وتصحيحاً ، أو توجيهاً وترجيحاً .

ومن ذلك : ما اعتمده وحرَّره في تحديد العلم المُفْتَرَضِ ؛ إذ قال بعدَ
ذِكْرِ كثير من الأقوال : (وعندي في ذلك حدٌّ جامع لطلب العلم المُفْتَرَضِ ،
والله أعلم ؛ أقولُ : العلمُ الذي طَلَبُهُ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ : علمُ الأمرِ
والنهي ، والمأمورُ : ما يُثَابَ على فعله ويُعاقَبُ على تركه ، والمنهيُّ :
ما يُعاقَبُ على فعله ويُثَابَ على تركه ، والمأموراتُ والمنهيَّاتُ منها : ما هو
مُسْتَمِرٌّ لازمٌ للعبد بحُكْمِ الإسلام ، ومنها : ما يتوجَّه الأمرُ فيه والنهيُّ عندَ
وجودِ الحادثة ؛ فما هو لازمٌ مُسْتَمِرٌّ لزومه مُتوجَّهٌ بحُكْمِ الإسلام . . علمُهُ
واجبٌ من ضرورةِ الإسلام ، وما يتجدَّدُ بالحوادث ويتوجَّهُ الأمرُ والنهيُّ
فيه . . علمُهُ عندَ تجدُّده فرضٌ لا يَسَعُ مسلماً على الإطلاق أن يجْهله .

وهذا الحدُّ أعمُّ من الوجوه التي سبقت ، والله أعلم)^(١) .



(١) انظر (١/٢٠٥-٢٠٦) .

وبالجملة : فالكتاب مَعْلَمٌ من معالم علم التصوّف ، وركنٌ من أركانه
الضروريّة التي لا بدّ للسالك من دراسته والاهتداء بتعاليمه وتوجيهاته التي
تُمثّل قلب الإسلام وروحهُ ، وقد نال قبولاً وشهرة واسعة في زمان مؤلّفه
وحتى يومنا هذا ؛ نظراً لما حواه من العلوم الموصلة إلى ربّ العالمين ،
وما بيّنه ووضّحه وفصّله للمُريدين السالكين ، كلُّ ذلك بعباراتٍ سهلة
رائقة ، ومعانٍ غزيرة فائقة .



منهج العمل في الكتاب

تم بفضل الله تعالى استجلاب أهم النسخ الخطية لهذا الكتاب النفيس ، واعتمادها جميعها في إخراج نص سليم خالٍ من الأخطاء والتحريفات التي وقعت في نسخه المطبوعة التي وقفت عليها ، ومما تفرّد به عملنا زيادةً على ذلك : توثيق وتخريج أخباره وآثاره التي أوردتها المؤلف أو أسندتها ، وتصحيح أسانيده والتحقق منها ، وضبط نصّه وشكله بحيث يكون سهل التناول للقارئ ، والله الحمد على ذلك .

وقد نهجتُ في سبيل ذلك مراحلَ علميةً دقيقةً ، تمثلت فيما يأتي :

- مقابلة الكتاب على نسخه المعتمدة مقابلةً متأنيةً ، مع تجنّب الفروق التي هي عبارة عن تحريف وتصحيف وخطأ إملائي أو نحوي بعيد عن سياق المؤلف وأسلوبه ، ولا يندرج تحت وجه من الوجوه التي ذكرها أئمة النحو في كتبهم .

- ثم اتبعتُ منهج التلفيق بين النسخ ، ورأيتُ أسلم وأمتن وأوضح في توثيق النص واعتماده ، وخصوصاً في مثل هذا الكتاب وكثرة النسخ المعتمدة فيه ؛ وذلك بعد مقارنتها وإجراء دراسة بينها ، وقد أثمر اعتماد هذا المنهج نصّاً دقيقاً صحيحاً سليماً خالياً من التصحيف والتحريف والسقط ، وهذا من أهم مراحل تحقيق كتاب ما ، بل لقد عرّف التحقيق - كما

ذكره الأستاذ الأديب محمود شاكر - بأنه إخراج النص كما أراده مؤلفه ،
فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون قد وفَّقني لذلك وأعاني عليه .

- ذكرتُ في الهامش أهمَّ الفروق والمغايرات الخطيَّة التي تُضفي معنىً
جديداً ، أو تندرجُ تحت وجهٍ لغوي أو نحوي أو صرفي .

- أثبتُّ أهمَّ التعليقات والحواشي الموجودة على هوامش بعض النسخ
الخطيَّة ، وخصوصاً النسختين (ج) و (ح) ، وهي حواشٍ قيِّمةٌ نفيسة
أثَّرتِ النصَّ المُحقَّق ؛ بالبيان والتوضيح ، والشرح والتعليل ، والتقسيم
والتفصيل ، وسأتكلَّم عن هذه الحواشي قريباً أثناء وصفي للنسخ
الخطيَّة^(١) .

- وكما هي عادتي غالباً أثناء تحقيق أيِّ كتاب . . حاولتُ الاهتمام إلى
مصادر مؤلفه ومراجعِهِ ، وقد تحصَّلتُ بفضل الله ومَنَّه وعونه على كثير من
ذلك ، وهذه الخطوة من أهم الخطوات في تحقيق النصِّ وضبطه
واعتماده ؛ إذ يظهرُ من خلالها تصويبُ بعض التحريفات ، وإثباتُ بعضِ
الزيادات التي لا يستقيمُ ولا يتَّضحُ النصُّ إلا بها ، وتبيينُ ما تهرأ من أصله
بسبب الرطوبة أو الأرضة أو غيرهما ، ومن المصادر التي أخذ منها إمامنا
السُّهْرُورْدِيُّ كثيراً : « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، و « إحياء علوم
الدين » للإمام الغزالي ، و « اللمع » لأبي نصر السَّراج الطُّوسي ، و « تهذيب
الأسرار » لأبي سعد الخَرَكُوشي ، و « الرسالة القشيرية » للإمام أبي القاسم
القُشيري ، و « التعرُّف » للكلاباذي .

(١) انظر (٧٧/١ ، ٨٣ - ٨٤) .

- خَرَجْتُ الآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ ؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب الكتاب ضمن معقوفين ، ومع حصر الآية ضمن قوسين مُزَهَّرَيْن ، ورسمها برسم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم ، وقد أَرَسَمُهَا أحياناً برواية غيره من القُرَّاء .

- خَرَجْتُ الأحاديث والأخبار والآثار التي أوردتها المؤلفُ أو رواها بإسناده ؛ من أُمَّات المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك ، وقد استفدت كثيراً في تخريج الأحاديث المرفوعة من كتاب « غنية العارف » للعلامة المُحدِّث أحمد ابن الصَّدِّيق الغُماري ، وكان التخريج غالباً مختصراً مفيداً ، مع رعاية وتقديم كتب الأئمَّة الواردين في سند « العوارف » على غيرهم إن كان النقل مسنداً .

- وثَقْتُ ما صرَّح المؤلف بنقله عن العلماء والأئمَّة ، أو نسب به لبعضهم دون تصريح ؛ بالعزو إلى مؤلفاتهم أو المصادر والمراجع التي نقلت كلامهم أو أشارت إليه ، ونادراً ما يُصرِّح المؤلف بالنقل عن العلماء والمُصنِّفات .

- شرحتُ بعض الألفاظ الغامضة والمُبْهَمة ، ورجعت في ذلك إلى الكتب المُختَصَّة في ذلك دون التصريح غالباً بأخذي عنها والنقل منها ، وكان رجوعي في الغالب إلى كتاب « الصحاح » و« مختاره » ، و« المصباح المنير » ، و« تاج العروس » ، وبعض شروح الصَّحاح والسنن وكتب الغرائب الحديثية ؛ كـ « إرشاد الساري » ، و« مرقاة المفاتيح » ، و« النهاية في غريب الحديث والأثر » ، وقد استفدت أحياناً في ذلك من هوامش بعض النسخ الخَطِّيَّة .

- ضبطت الرجال الواردين في أسانيد الكتاب ، وعرفت ببعض منهم بشكل لطيف مختصر ، وصححت وصوبت أسماء بعضهم ، وقد وفقني الله سبحانه وتعالى للوقوف على كثير من ذلك مما تحرف وتصحف في غالب النسخ المطبوعة .

- خرجت الأبيات الشعرية ؛ بعزوها إلى دواوين قائلها أو المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك ، ونسبتها إلى بحورها الشعرية ، وقد كانت الأبيات قليلة في كتابنا هذا .

- شككت الأحاديث المرفوعة والأبيات الشعرية شكلاً تاماً ، وبقي الكتاب شكلاً إعرابياً ، وصرفياً لبعض الكلمات المشككة والموهمة ، وهي خطوة مفيدة ونافعة في هذا الكتاب وأمثاله ؛ نظراً لتداوله من قبل كثير من الطلبة المتنوعين في معارفهم وتحصيلهم العلمي ، وقد استفدت واستأنست من شكل بعض النسخ التي جاء الضبط فيها غالباً دقيقاً مستقيماً ، وقد أشكل الكلمة بعض الأحيان بأكثر من وجه إفادة للقارئ .

- أحلت جميع ما صرح المؤلف بتقديمه أو تأخره ؛ بعزوه إلى مكانه المحدد والمناسب ، وهو على قلته في كتابنا هذا مفيد معين على ربط فقراته ومقاطعها .

- لينت الكتاب من خلال ترقيمه ترقيماً مُحكماً دقيقاً ، ويدخل في ذلك تقسيمه إلى فقرات ومقاطع يُسر للقارئ الإلمام بأفكار الموضوع .

- جعلت رقماً متسلسلاً لجميع الأحاديث والآثار والأخبار المروية المسندة ، وهي خطوة مفيدة في كتابنا هذا ؛ إذ يُسر الوصول إلى الصنعة

الحديثية الموجودة فيه ، وتُعرّف برواياته المسندة ، وتحصر ما انفردت به منها .

- وُسِّيتُ الكتاب بإضافة اللون الأحمر العريض لعناوين الأبواب وبعض الجمل والعبارات المُهمّة والمفيدة ، كما أضفتُ اللون الأحمر لصيغ الأداء والتحمُّل الواردة في الأسانيد ، وقد نحوتُ في تلوين الكتاب عموماً مَنحاً ذوقياً جمالياً ، ولم أتَّبِعْ منهجاً علمياً مُحدّداً ومُطرّداً في ذلك .

- ذكرتُ في بداية الكتاب ترجمةً متوسطةً مُعرّفةً بمؤلّفه ، تناولتُ فيها جانباً من الحديث عن أسرته ، وطبله العلم ، ومراحل سلوكه طريق التصوّف ، وذكرت بعضَ الشيوخ الذين أخذ عنهم ، وبعضَ المريدين الذين لبسوا خِرْقَتَهُ واهتدوا بطريقته ، وأهمّ مؤلفاته في التصوّف وغيره .

- وصفتُ النسخَ المعتمدة والمستأنس بها في تحقيق هذا الكتاب . .
وصفاً عاماً كاشفاً مفيداً ، وابتعدتُ عن الوصف المُتعلّق بماهيّة الورق وطبيعة المِداد وغير ذلك .

- أوردتُ قبل الشروع بالنصِّ المُحقّق عقيدةً مُختصرةً نفيسة للإمام الشُّهرُورديّ ؛ وعمدت إلى ذلك ؛ إشهاراً لعقائد أئمّتنا الصّوفيّة ، واستئناساً بصنيع الإمام القُشيري في بدئه « رسالته » بذكر اعتقاد أئمّة التصوّف في مسائل الأصول .

- كما أوردتُ له وصيّةً نافعةً أوصى بها ولدُه عماد الدين ، وهي وصيّة مُختصرة قيّمة مشهورة .

- وإتماماً للفائدة فإنّني أوردتُ القصيدة البديعة البليغة للإمام الشاعر

الصُّوفي تاج الدين أبي العباس الشَّرِيشِي المُسَمَّاة بـ « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » مضبوطة مُحَقَّقة ، والشَّرِيشِي من تلاميذ السُّهْرُورْدي ، وقد ذكر في قصيدته زُبْدَة ما حوى كتابُ شيخِه « عوارفُ المعارف » ، وذكرتُ قبل ذلك كلمةً موجزة عن فضل القصيدة وأهمِّيَّتها ، وتعريفاً مختصراً بمؤلفها ، وقد ضبطتها ضبطاً تاماً ، وذكرتُ بعضَ رواياتها ، وأهملت الكثير منها ، وخصوصاً ما كان بعيدَ المعنى ومُعَقَّدَ اللفظ ، وشرحتُ بعضَ أبياتها شرحاً لطيفاً مختصراً يحلُّ ألفاظها ، ويفتح مُغْلَقَها ، وقد رجعتُ في ذلك كثيراً إلى « شرح الإمام الفاسي » لهذه القصيدة المباركة .

- وإفادةً للباحث فقد تمَّ تزويد الكتاب ببعض الفهارس العلمية المهمة ؛

وهي :

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار والأقوال والأخبار .
- فهرس الأبيات الشعرية .
- فهرس القصص والمنامات والوصايا .
- فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق .

ولا يسعني بعدَ إتمام هذا العمل المبارك إلا أن أتقدَّم بالشكر الجزيل إلى فضيلة شيخنا المُربِّي ياسر القضماني الذي شَمَلَتنا عينُ عنايته في تحقيق هذا الكتاب ، والذي كان له الفضلُ الكبير في تشجيعنا على إعادة نشره

وإحيائه ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الوافر إلى صاحب (دار التقوى) الأخ الكريم لؤي الأحمر على بذله وتيسيره ما يُعين على تحقيقه ، وهمته العالية وخدمته الظاهرة والواضحة في طباعة كتب سادتنا الصوفيّة وأئمّتنا الأشاعرة رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ، وإلى جميع الإخوة الأفاضل العاملين في (دار التقوى) ، وكلّ مَنْ ساهم منهم في إفادتي ببعض التصويبات والملاحظات .

وفي الختام : فإنني أسأل المولى الكريم أن يشملنا بلطفه وعنايته ، ويجعلنا من أهل مرضاته ورعايته ، ويُمِدَّنَا بأنظار الأولياء والمُقرَّبِينَ ، ويحشرنا مع السعداء والصالحين .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا ونبيّنا محمد نور الأنوار
وزين المرسلين الأخيار

وكتبه
لمفتقر إلى من هو خير وأبقى
بلال محمد حاتم السقا

مررني دمشق الشام
(١٢) ربيع الأول (١٤٤٣ هـ)
الموافق (١٩) تشرين الأول / أكتوبر (٢٠٢١ م)

وصف النسخ الخطية

تمَّ بعون الله وفضله الاعتمادُ على ثماني نسخ خطية في تحقيق الكتاب ،
إحداها قريبة العهد بوفاة المؤلف ، وثلاثة منها مكتوبة في القرن الذي تُوِّفِي
فيه ، وجميع النسخ اتَّسمت عموماً بالنَّقاسة والعناية والجودة والدقَّة
والضبط ، وتعانقت على نسجٍ نصٍّ سليمٍ خالٍ من التحريف والتصحيف
والسقط ، مشفوع ببعض التعليقات القيِّمة الهامَّة المأخوذة من هامشها ، والله
الحمد والمِنَّة على ذلك ، وربَّتُها على حسب قِدَمِها وتَمَامِها ، وقد أُرَاعِي
الأهميَّة بعضَ الأحيان .

وإليك وصفَ هذه النسخ :

النسخة الأولى

مخطوطة مكتبة حكيم أوغلو علي باشا (إستانبول - تركيا) ، وهي من
محفوظات المكتبة السلিমانيَّة ، ذات الرقم : (٤٨٣) ، وتقع في :
(٢٣٠) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات
السطر الواحد : (١٣) كلمة تقريباً .

وهي نسخة تامَّة في غاية النَّقاسة والضبط والصَّحَّة ، وخطُّها نسخي معتاد
واضح مقروء ، وقد اعتنى بها ناسخها ومقابلها اعتناء كبيراً ، تجلَّى ذلك :

في ضبط أغلب كلمات الكتاب ضبطاً صحيحاً دقيقاً ، وتلوين عناوينه وبعض العبارات والأفكار الرئيسة باللون الأحمر العريض ، وإثبات بعض المغايرات والفروق المهمة والتعليقات المفيدة والمطالب المتناثرة على الهامش .

وقبل طُرة المخطوط : أبيات رقيقة عذبة كتبها أبو المعالي بن أبي حامد بن أبي بكر بن أبي عمر بن أبي بكر بن أبي غانم ، دون نسبتها إلى قائلها ، ويحتمل أنها لكايتها ؛ والأبيات هي :

يا لمعة البرق بل يا نسمة الريح	رُوحِي برُوحِي إلى مَنْ عنده رُوحِي
خُذِي لَهْمٍ مِنْ سَلَامِي عَنبراً عِيقاً	وأوقديه بنارٍ من تَبَارِيحِي
هُبِّي لَهْمٍ بِالذِي حُمِّلْتُ مِنْ كُرْبٍ	ففي هبوبِكِ تَفْرِيجِي وتَفْرِيجِي
وعرّضي لي بذكرٍ إن مررت بهم	وهنا وإيّاك أن تأتي بتصرّيح
فإن في الحي غيراناً يغارُ إذا	قُرُبَتِ منه على القيْصُومِ والشَّيْحِ

وكتب أسفل هذه الأبيات : فرع فقهي مفيد مأخوذ من « روضة الطالبين » للإمام النووي رحمه الله تعالى ؛ وهو : (لا يجوز أن يضاجع الرجل الرجل ، ولا المرأة المرأة وإن كان كل واحد في جانب من فراش ، وإذا بلغ الصبي والصبيّة عشر سنين وجب التفريق بينه وبين أمّه وأبيه وأخته وأخيه في المضجع) .

وقبل الطُرة أيضاً : إجازة عامّة وإجازة خاصّة بالخرقة الشريفة من قبل الشيخ عبد الصمد بن عبد السلام ، وقد كتبتُ نصّ الإجازة بعد خواتيم النسخ الخطية آخر الكتاب^(١) .

(١) انظر (٦٠٨/٢ - ٦٠٩) .

وعلى طرّة المخطوط : عنوان الكتاب وعزوّهُ إلى مؤلفه الإمام الشّهْرُورْدي ، مع ذِكْرِ نسبه تامّاً إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعليها أيضاً أسماءُ لبعض المُتملّكين للنسخة ، وختم باسم المكتبة الواقعة ، وتوسّطها حديثان معزّوان إلى النبيّ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم ؛ وهما : « إذا أحب الله عبداً لم يضرّه الذنب » ، و : « كلُّ إناء يترشّح بما فيه » .

وهي من أقدم النسخ التي اعتمدنا عليها أثناء تحقيق الكتاب ؛ إذ كان الفراغ من نسخها : عصر يوم السبت من شهر جمادى الآخرة سنة (٦٧٧هـ) ، وكان على يد : إسماعيل بن سالار بن زكي بن سالار الكازروني .

ورمزت لهذه النسخة بـ (أ) .

النسخة الثانية

مخطوطة المكتبة الأزهرية (القاهرة - مصر) ، ذات الرقم العام : (٩١٧٦١) ، والخاص : (٢٤٦٧) ، وتقع في : (٢١٣) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٣) كلمة تقريباً .

وهي نسخة تامّة نفيسة ، وخطّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وضُبط كثير من عبارات الكتاب ضبطاً متناثراً مفيداً ، وكُتبت عناوينه وبعض العبارات المُهمّة باللون الأحمر العريض .

وتظهر نفاسةُ هذه النسخة : بأنّها مسموعة على الإمام علاء الدين

أبي الحسن القنوي ، كما قُيدَ ذلك في خاتمتها ، وقد ذكرتُ نصرَ السماع هناك^(١) ، وبأنها مسموعة أيضاً على الإمام الحافظ المُحدث عبد الملك ، وكان هذا السماع في مجالسَ عديدةٍ بقراءة مالك النسخة الإمام الفقيه المُحدث المُتَفَنُّ عز الدين عبد السلام بن داود المقدسي ، كما قُيدَ ذلك على هوامشٍ كثيرٍ من ورقاتها ، وجميع هذا يشير إلى كثرة المُتملِّكين لهذه النسخة .

وتظهرُ نفاستُها أيضاً : بأنها مُعتنى بنصّها من خلال مقابلتها مقابلةً تامّةً كما نصَّ على ذلك في هامشها^(٢) ، وكُتب في الخاتمة : (بلغ مقابلةً حسب الطاقة فوافق ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمّد خاتم النبيّين) .

وعلى طرّة المخطوط : عنوانُ الكتاب مع إيراد زيادة لم توجد في النسخ الأخرى ، ونصُّ العنوان : (كتاب عوارف المعارف في شرح أحوال المشايخ الصّوفيّة) ، ونسبهُ الكتاب إلى مؤلِّفه وتفخيمُهُ وبيانُ قدره ومنزلته بأرقى وأسمى عبارات المدح والثناء ، وذكرُ نسبه تامّاً إلى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وذُيلَ الكتاب بشرحٍ مفيدٍ وقيّمٍ للمؤلِّف لبعض كلمات الإمام الصّوفي المُربّي أبي محمّد الجُريري في آداب الحضرة الإلهيّة ، وأتبع ذلك بوصيّة نفيسة مختصرة للإمام الشُّهُرُوردي منقولة من خطه رحمه الله تعالى .

(١) انظر (٢/٦٠٢-٦٠٣) .

(٢) وقد ذكرت أثناء التحقيق جميع ذلك في مكانه المناسب .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الأربعاء في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة (٦٩٢ هـ) ، وكان على يد : محمّد بن يوسف بن عبد الرحمن الحوراني .

ورمزت لهذه النسخة بـ (ب) .

النسخة الثالثة

مخطوطة مكتبة تُرخان والده السلطان محمد الرابع (إستانبول - تركيا) ، وهي من محفوظات المكتبة السليمانية ، ذات الرقم : (١٨٦) ، وتقع في : (٤١٩) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (١٥) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (٧) كلمات تقريباً .

وهي نسخة تامة نفيسة ، وخطها نسخي واضح مقروء ، وكتب غالب كلمات عناوين الكتاب وبعض العبارات المهمة بالخط الأحمر العريض .

وتجلى نفاستها : في أنها تمّ مقابلتها على النسخة المقابلة بالنسخة المقابلة على نسخة المؤلف المكتوبة بخطّه والمقروءة عليه مراراً ، وفي أنها مقروءة ومُعتنى بها ، كما يظهر ذلك في الحواشي والفروق والمغايرات المفيدة التي كتبت على الهامش ، وقد كتبت بعض الحواشي باللغة الفارسية ممّا يشير إلى كثرة المُتملّكين لهذه النسخة .

وعلى طرّة الكتاب : عنوان الكتاب ، ونسبته إلى مؤلفه ، وتصريحٌ بأنّه من تلاميذ سيّدي المربّي الصوفي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى ، وختمٌ باسم المكتبة التي تملّكت الكتاب آخرأ .

وكان الفراغ من نسخه : في مكة المكرمة في الربع الثاني لسنة (٧٦٨هـ) ، وكان على يد : محمد بن إسحاق بن أبي العباس بن إسحاق الأبرقوهي ، وقد قابله مع الإمام الفاضل علاء الدين محمود عرب الخراساني ، وقد كتب الأبرقوهي هذه النسخة للإمام أبي المكارم شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد الدثتي الكيلاني ، وفي خاتمة الكتاب وصف مطوّل لهذه المقابلة ، وأبيات في مدح « العوارف » ومؤلفه ، وقد أوردت جميع ذلك فيها^(١) .

ورمزت لهذه النسخة بـ (ج) .

النسخة الرابعة

مخطوطة المكتبة الأزهرية (القاهرة - مصر) ، ذات الرقم العام : (٩٣٩٣٣) ، والخاص : (٢٥٥٦) ، وتقع في : (٢٢٩) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٢) كلمة تقريباً .

وهي نسخة مفيدة تامة ، خلا صفحة في بدايتها ، فتمّ استكمالها من نسخة مغربية مجهولة ، وخطها نسخي واضح مقروء ، وكُتبت كلمة (الباب) بالخط الأسود العريض ، وهو كافٍ في التمييز وسرعة الوصول إلى المطلوب ، وضُبطت الأبيات ضبطاً تاماً ، وبعض الكلمات ضبطاً بسيطاً غير مطّرد في جميع الكتاب .

(١) انظر (٥٩٣/٢ - ٥٩٨) .

وكتب على هامشها بعض الفروق المفيدة المأخوذة من نسخة أخرى ،
مما يدل على أن هذه النسخة مقابلة ومُعتنى بها .

وهذه النسخة هي أقدم النسخ التي استطعنا تحصيلها والوصول إليها ؛ إذ
كان الفراغ من نسخها : يوم الأربعاء السابع من صفر سنة (٦٥٦ هـ) ؛
أي : بعد وفاة المؤلف بثلاث وعشرين سنة تقريباً ، وكان ذلك على يد :
محمد بن عبد الله بن محمد السورباني بالمدرسة العادلية في دمشق ، ولولا
التحريف أحياناً وبعُد بعض الكلمات والعبارات عن مراد المؤلف وسياقه .
لقدّمت على غيرها من النسخ .

ورمزت لهذه النسخة بـ (د) .

النسخة الخامسة

مخطوطة الجامع الأحمدى (طنطا - مصر) ، الذي آلت مخطوطاته إلى
المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية في جامع السيدة زينب (القاهرة -
مصر) ، ذات الرقم العام : (١١٣) ، والخاص : (١٤٣) ، وتقع في :
(١٤٨) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (٢١) و (٢٧) سطراً ،
ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٦) كلمة تقريباً .

وهي نسخة تامة نفيسة ، وقد تمّ الاستفادة منها كثيراً في ضبط بعض
الكلمات والعبارات ، وتصحيح بعض الأخطاء والتصحيحات ، وخطؤها
نسخي واضح مقروء ، وكتب عناوين الكتاب بالخط الأحمر العريض ،
وندر أن نرى اللون الأحمر فيها لغير ذلك .

وعلى طرّة المخطوط : عنوان الكتاب واسم مؤلفه مختصراً ، وختم
بمالك الكتاب ؛ وهو العلامة الشيخ محمد الإمام القسبي شيخ الجامع
الأحمدي بطنطا ، وترجمة موجزة للإمام الشَّهْرُورْدِيّ منقولة من كتاب
« شرح المواهب اللدنيّة » للإمام الزرقاني رحمه الله تعالى .

وتظهر نفاسة هذه النسخة : بأنها تامة ومُعْتَنَى بها من حيثُ المقابلة ،
وضبط كثير من كلمات وعبائر الكتاب ضبطاً تامّاً دقيقاً ، إلا ما شذَّ ونَدَرَ ،
وبأنَّ عليها سماعات كثيرة لكتابنا « عوارف المعارف » ، وهي للإمام المسند
أحمد بن محمد بن محمد البخاري النجّاري ، وقد تَضَمَّنَتْ هذه السماعاتُ
إجازاتِهِ وإجازاتِ بعض أولاده بالكتاب المذكور وبالخرقة الشريفة^(١) .

وكان الفراغ من نسخها : في ظهر يوم الخميس غرّة المحرم من سنة
(٧٤٣ هـ) ، على يد : خلف بن أبي زيد بن الحسين الصَّبَّاغِي
الكاشغري ، في خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة .
ورمزت لهذه النسخة بـ (هـ) .

النسخة السادسة

مخطوطة مكتبة هُدائي أفندي الرومي (إستانبول - تركيا) ، وهي من
محفوظات المكتبة السلিমانيّة ، ذات الرقم : (٣٨٧) ، وتقع في :
(١٦٨) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : (٢٩) سطراً ، ومتوسط كلمات
السطر الواحد : (١٢) كلمة تقريباً .

(١) وقد أوردت جميع هذه السماعات والإجازات في خاتمة الكتاب . انظر (٦٠٣/٢) .
(٦٠٧ ، ٦٠٩ - ٦١٤) .

وهي نسخة تامة نفيسة ، وخطها نسخي معتاد واضح مقروء ، وعلى هامشها فروق مأخوذة من نسخة أخرى ، وبعض التصحيحات والتصويبات ، مما يدل على أنها نسخة مصححة ومقابلة ومُعْتَنَى بها ، بل إنه نُصِّحَ على ذلك في طُرَّتْها ، وقد تمَّ الاستفادة والاستئناس من هذا الهامش في تصحيح نص الكتاب وضبطه .

وضُبط كثير من كلماتها ضبطاً صحيحاً دقيقاً غالباً ، وأُحِيطَ متن الكتاب وعناوينه بإطارٍ أحمر ، وكُتِبَت العناوين وبعض الكلمات ؛ كالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبارة (قال الله تعالى) ، وكلمة (قال) المتكررة في الأسانيد ، وغيرها . . باللون الأحمر العريض .

وعلى طُرَّة المخطوط : عنوان الكتاب ، وكُتِبَ بعده : (من فوائد شيخ الإسلام ، مرشد الأنام ، شهاب الملة والدين ، إمام المُتَّقِينَ ، كهف الطالبين ، قدس الله روحه العزيز ، أبي عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله السُّهْرُورَدي) ، وعليها أيضاً : تأريخ بولادة المؤلف ووفاته ، وسنْدُهُ بالخرقة الشريفة المباركة إلى الإمام الجنيد رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته .

ويوجد قبل طُرَّة الكتاب : ختم باسم المكتبة المالكة ، ووقف باسم (محمود بن فضل الله بن محمود) ، وهو الشيخ الواعظ المشهور بـ (هدائي الرومي) صاحب المكتبة المأخوذ منها كتابنا هذا ، وعلى طُرَّتْه وفي خاتمته : فوائد نافعة ، ونكات مائعة ، وأشعار رائقة ، وأقوال فائقة .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان

المبارك ، سنة (٦٧٤هـ) ، وكان النسخ على يد : محمّد بن الحسين بن محمّد بن عمر بن الحسين الدافري .
ورمزت لهذه النسخة بـ (و) .

النسخة السابعة

مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام فيض الله أفندي (إستانبول - تركيا) ، ذات الرقم : (١٢٦٢) ، وتقع في : (٢٤٠) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (٢١) و (٢٣) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (١٣) كلمة تقريباً .

وهي نسخة جيدة عموماً ، وخطّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وكتبت العناوين والآيات بالخط الأسود العريض ، وأحياناً تكتب العناوين باللون الأحمر ، وعلى هامشها بعض الفروق المنقولة من نسخة أخرى ، وهي قليلة جداً مقارنة ببعض النسخ السابقة .

ويوجد قبل الطّرة كلام باللغة الأعجمية بحدود الورقة ، ولم يُعتن بالطّرة كما هو العادة في هذا الكتاب وأمثاله ، ولم يُذكر فيها سوى دعاء وفائدة في سبب تسمية الكتاب بـ « عوارف المعارف » .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الجمعة وقت الضحى في السادس والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (٧٠٣هـ) ، ولم يُذكر فيها اسم الناسخ .

ورمزت لهذه النسخة بـ (ز) .

النسخة الثامنة

مخطوطة دار الكتب القطرية (الدوحة - قطر) ، ذات الرقم :
(٩٧٩) ، وتقع في : (١٧٩) ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين
(٢٣) و (٢٤) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : ما بين (١٥)
و (١٧) كلمة تقريباً .

وهي نسخة نفيسة مُتَقَنَّة ، إلا أنَّها سقط منها قريب من ستة أبواب في
بدايتها ، فتمَّ استدراكها من نسخة أخرى ، وخطُّها نسخي معتاد في الأوراق
المُستدرَكة وفارسي في باقي الكتاب ، وهو واضح ومقروء ، وكُتبت
العناوين بالخط الأحمر العريض ، وضُبط غالب كلماتها ضبطاً صحيحاً مُتَقَنّاً
عموماً .

وتتجلَّى نفاسةُ هذه النسخة : في أنَّها مقروءةٌ ومقابلةٌ ومُعَتَنى بها من
ناسخها ومنْ تداولها وتملَّكها ، ويظهرُ ذلك جليّاً من خلال الفروق المأخوذة
من نسخ أخرى ، وهي مفيدة ونافعة ، ومن خلال إرجاع الكثير من الضمائر
الموهمة الموجود في ثنايا الأسطر ، والتعليقات العلميّة الكثيرة التي تناثرت
في جميع النسخة الأصليّة على هامشها وبين سطورها ، وقد خُتِمَ كثير من
هذه التعليقات بالرمز (ح) ، ولعلَّ المراد بها : « حاشية الإمام زين
الخوّافي » كما صرَّح بذلك في بعض المواضع^(١) ، وكاتب هذه التعليقات

(١) وزين الدين الخوّافي : هو من شيوخ الإمام المحقق الكمال بن الهمام . انظر ما كتبه
عن هذه « الحاشية » في (٤٤ / ١) .

هو حنفي المذهب كما هو الظاهر من مضمونها في بعض الأماكن ، وكما
نُصَّ على ذلك في بعضها ، وقد تمَّ انتقاء وإثبات كثير منها في هامش
الكتاب ؛ نظراً لفائدتها وإيضاحها لكثير من عباراته .

ويوجد في بداية الكتاب وفي خاتمته حوالي ثلاث عشرة ورقة احتوت
على بعض الفوائد المتنوعة وعلى تفسير وشرح آيات قرآنية معزوة إلى بعض
التفاسير ؛ كـ « تفسير أبي الليث السمرقندي » ، و « تفسير الكواشي » ،
« وتفسير الوسيط » ، وغيرها ، كما احتوت هذه الأوراق على شرح
لدباجة الكتاب ، ولعلها للإمام زين الدين الخوافي المذكور آنفاً ، والله
تعالى أعلم .

وكان الفراغ من نسخه : يوم الاثنين من شهر رمضان المبارك سنة
(٨٦٦ هـ) ، على يد : يعقوب بن بدر بن مصطفى بن خضر بن ميكائيل .

وكتب في الخاتمة على الهامش : (بحمد الله ومَنَّه تَمَّتْ مطالعته ومقابلته
وقت الظهر من يوم الأحد في نصف شهر الله المبارك المُسمَّى بـ
«الرمضان» ، من شهور سنة أربع وسبعين وثمان مئة في بورسة
المحروسة ، في أيام الجلوة للشيخ العالم العامل الكامل المُكَمَّل المُحَقِّق
في الإرشاد والتحقيق شيخي عبد الله ، سَلَّمَهُ اللهُ سلامه دائمة ، ثمَّ بعد ذلك
إني قرأت هذا الكتاب تماماً على الشيخ المذكور في أوقات الخدمة
والمصاحبة) .

ورمزت لهذه النسخة بـ (ح) .

وقد تمّ أيضاً الاستئناس بنسختين أخريين ؛ وهما :

النسخة التاسعة

مخطوطة أكاديمية محمد الكبير (السند - باكستان) ، وتقع في :
(٥٩٨) صفحة ، وعدد أسطر كل صفحة : ما بين (١٥) و (١٩)
سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد : (٩) كلمات تقريباً .

وهي نسخة جيدة عموماً ، وخطُّها نسخي معتاد واضح مقروء ، وكُتِبَ
على هامشها بعض التعليقات باللغة العربية والأعجمية ، وقد أوردت قليلاً
منها في الهامش ، وتفرّدت هذه النسخة عن باقي النسخ بحذف ناسخها
لأسانيد الكتاب ، لهذا من جملة أسباب عدم اعتمادها والرجوع إليها كثيراً
أثناء التحقيق ، إلا أنّه تمّ الاستفادة منها أحياناً في تصويب بعض العبارات أو
ترجيحها .

وكان الفراغ من نسخه : ضحى يوم الخميس من شهر المُحرّم الحرام
سنة (١١٢٥ هـ) ، على يد : أحمد بن عبد النبي ترك الغوري .
ورمزت لهذه النسخة بـ (ي) .

النسخة العاشرة

نسخة المطبعة الأزهرية (القاهرة - مصر) ، المطبوعة في شهر رمضان سنة
(١٣١٦ هـ) ، والمكتوبة على هامش « إحياء علوم الدين » المُكوّن من
أربعة مجلدات ، وقد تمّ الاستفادة من هذه الطبعة في إثبات بعض

الزيادات ، وتصويب وترجيح بعض الألفاظ والعبارات .

ورمزت لهذه النسخة بـ (ط) .



وأما « وصية الإمام الشَّهْرُورْدي » : فقد تمَّ الرجوع إلى ثلاث نسخ منها :

الأولى : مخطوطة شيخ الإسلام فيض الله أفندي ، ذات الرقم : (١٢٦٣) ، وقد كُتبت هذه الوصية في بداية نسخة من « العوارف » ، وتاريخ نسخها : سنة (٩٦٢ هـ) ، ورمزت لها بـ (أ) .

والثانية : مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (١٣٢٩٠٥) ، والخاص : (٢٢٨١) ، وهي ضمن مجموع يحوي رسائل وكتباً لطيفة ، وتبدأ الوصية من الورقة (١٩) وتنتهي بالورقة (٢١) ، ورمزت لها بـ (ب) .

والثالثة : مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (٣٤٧٨٨) ، والخاص : (٧٤١) ، وهي ضمن مجموع أيضاً يحوي وصايا ورسائل في علم العقيدة ، وتبدأ الوصية من الورقة (٣٦) وتنتهي بالورقة (٣٧) ، ورمزت لها بـ (ج) .



وأما « القصيدة الرائية الشَّريشيَّة » . فقد اعتمدتُ على النسخة التي شرَّحَ عليها الإمام أبو العباس أحمد الفاسي هذه القصيدة المباركة ، وهي

مطبوعة المكتبة العامرة التي صدرت في سنة (١٣١٦ هـ) ، كما اعتمدت أيضاً على نسخة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام : (٩٧٥٨٦) ، والخاص : (٢٠٤٠) ، وتقع ضمن مجموع ، وتبدأ القصيدة من الورقة (١٩٠) وتنتهي بالورقة (١٩٦) ، وتمتاز هذه النسخة بأنها جاءت معنونة لجميع أفكار ومواضيع القصيدة .



ولا بدّ من التنبيه : أنّ غالب نسخ « العوارف » وخصوصاً (ج ، ح ، ي) قد كُتب كثير من هوامشها باللغة الأعجمية ، وأنّ صيغ التحمل والأداء التي وردت في الأسانيد جاءت غالباً مختصرة مرموزة على حسب ما اصطلاح وتواضع عليه أئمة الحديث في كتب الرواية ، وقد كتبتها تامّة حتى لا تُشوَّش القارئ ولا تختلط بصيغ أخرى ، وخصوصاً أنّ هذا الكتاب كثير التداول من كافة الاختصاصات والمستويات .

ولا بدّ من التنبيه أيضاً : أنّ بعض النسخ - وخصوصاً (أ ، و ، ح ، ي) - جاءت صيغة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها مختصرة مرموزة ؛ هكذا : (صلعم) ، وذلك في كثير من المواضع ، وقد نصّ أئمة الحديث ومنهم الإمام النووي على كراهة ذلك وعدم حسنه ، وقد أثبتّها تامّة على حسب الصيغة المتداولة كثيراً في الكتاب .





صور من المخطوطات المستعانة بها

سید محمد علی علی محمد علی
محمد علی علی محمد علی

[illegible]

رأى موز ورقه العنبر في من النسخة (أ)

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
سورة الفاتحة

رأى الموز الثورقة الأولى من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن
مكتوباً في كتابه العزيز

والله اعلم بالصواب
من عند الله عز وجل

اللهم انفعنا من
ما غلبنا

واخسرنا في
ديننا ودنيانا

يا ذا الجلال والإكرام

الحمد لله الذي جعل القرآن
مكتوباً في كتابه العزيز
والله اعلم بالصواب
من عند الله عز وجل
اللهم انفعنا من
ما غلبنا
واخسرنا في
ديننا ودنيانا
يا ذا الجلال والإكرام

رأوز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل القرآن
مكتوباً في كتابه العزيز
والله اعلم بالصواب
من عند الله عز وجل
اللهم انفعنا من
ما غلبنا
واخسرنا في
ديننا ودنيانا
يا ذا الجلال والإكرام

رأوز ورقة العنود من النسخة (ب)

187



BOLEYMANIYE D. RY		NAME
Name		Teacher
Year		
Page		
1. 2. 3. 4.		

1A-7

[illegible][illegible]

رأى موز التورفة الأولى من النسخة (ج)

[illegible]

مختصر

رأى في الورقة الأخيرة من النسخة (ج)

سنة
عارف العارف بالله
الشيخ شهاب الدين
محمد بن السمر وردى
رضي الله عنه

۷۲۴۲۲
۵۰۵۳

محمد زکریا محمدی
مدرسہ اسلامیہ دارالعلوم دیوبند
پتہ: لاہور، پاکستان

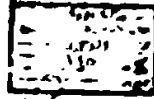


الموز ورقه العنبر من النسخة (د)

مجله علمی و ادبی «نقد و نظر» شماره ۱۰۰، زمستان ۱۳۸۵

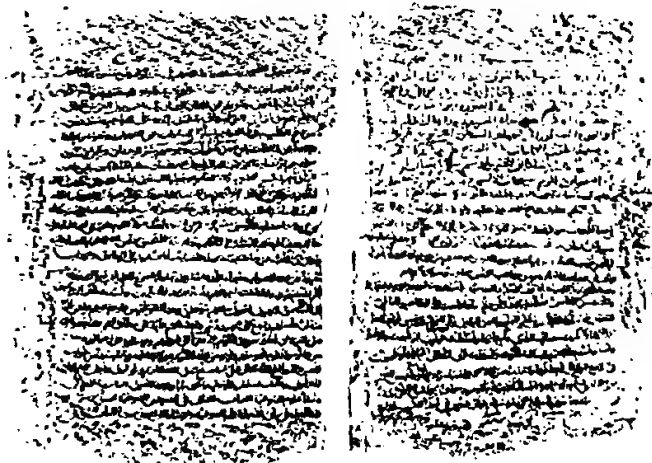
نقد

۱۱۱



این سند در تاریخ ۱۳۸۵/۱۰/۱۰ صادر شد و به شماره ۱۰۰ ثبت گردید. این سند به موجب آنکه...

راهنمای ورقه‌های مختلف (ه)



راهنمای ورقه‌های مختلف (ه)



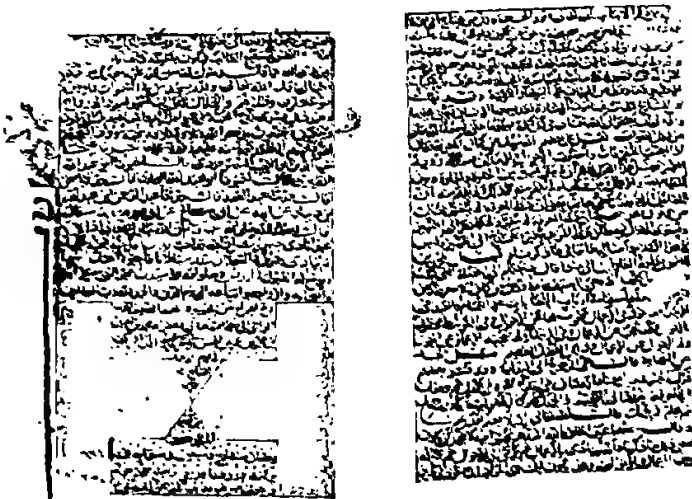
رأوز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)



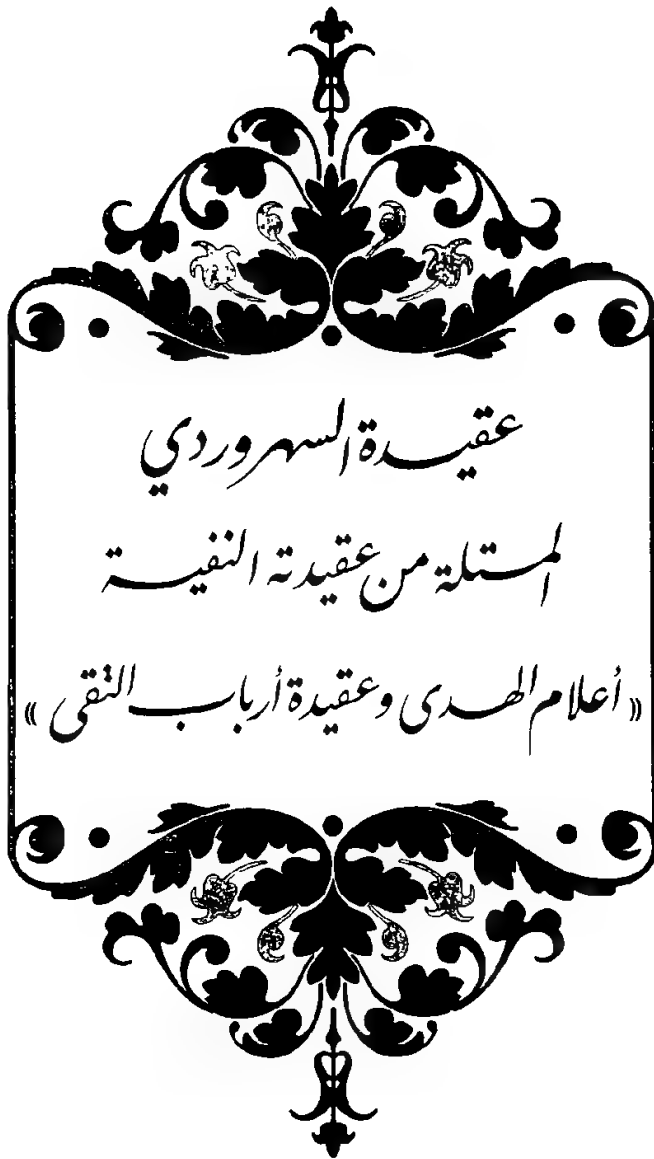
رأوز ورقة العنود من النسخة (و)



رأس الورقة الأولى من النسخة (و)



رأس الورقة الأخيرة من النسخة (و)



عقيدة السهروردي
المستلزمة من عقيدة التقيّة
«أعلام الهدى وعقيدة أرباب النقي»

[عقيدة السهروردي]

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي^(١)

تعالى الله لا إله إلا هو ، لا ضدَّ له ، ولا ندَّ له ، ولا شبهَ له ، ولا مثلَ له ، ولا ولدَ له ، ولا والدَ له ، ولا وزيرَ له ، ولا نظيرَ له .
لا تُدرِكُ كُنْهَ عَظَمَتِهِ الأوهامُ ، ولا تَبْلُغُ شَأْوَ كِبَرِيَّائِهِ الأفهامُ ، ولا يَغْتَرِي ذَاتُهُ الْمُقَدَّسَ التَّائِثُ والآلَامُ ، والتَغْيِثُ والأسقامُ ، والسَّنَةُ والمَنَامُ ، والافتراقُ والالتئامُ .
جَلَّ عَمَّا يَجُولُ بِهِ الوَسْوَاسُ ، وَعَظُمَ عَمَّا تَتَكَيَّفُهُ الحَوَاسُ ، وَكَبُرَ عَمَّا يَحْكُمُ بِهِ القِيَاسُ ، لا يُصَوِّرُهُ خَيَالٌ ، ولا يُشَاكِلُهُ مِثَالٌ ، ولا يُنَوِّبُهُ زَوَالٌ ، ولا يَشُوْبُهُ انْتِقَالٌ ، ولا يَلْحَقُهُ فِكْرٌ ، ولا يَحْصُرُهُ ذِكْرٌ ، قَيُّومٌ أَزَلِيٌّ ، دَيُّومٌ سَرْمَدِيٌّ ، لا تُحَدُّ أَزَلِيَّتُهُ بِ (متى) ، ولا تُقَيَّدُ أَبَدِيَّتُهُ بِ (حتَّى) ، لا يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ التَّعْيِينُ ، ولا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ التَّأْيِينُ .

إِنْ قُلْتَ : (أَيْنَ) فَقَدْ سَبَقَ الْمَكَانَ ، وَإِنْ قُلْتَ : (مَتَى) فَقَدْ تَقَدَّمَ

(١) هذه العقيدة مُسْتَلَّةٌ من عقيدته النفيسة : « أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى » ، وهي عبارة عن الفصل الثاني منها ، الذي تناول الحديث عن شهادة (لا إله إلا الله) والتوحيد والتنزيه ونفي التشبيه ، وقد عدّها الإمام العارف المُحَقِّقُ عَفِيفُ الدِّينِ البَافِعِيُّ مِنْ مِلاحِ عَقَائِدِ الأَوْلِيَاءِ العَارِفِينَ ، واكتفى في كتابه « روض الرياحين » (ص ٥٧٦ - ٥٧٧) بإيراد هذا الفصل منها ؛ نظراً لأهمّيَّته ومدارِ علم التوحيد عليه .

الأزمان ، وإن قلت : (كيف) فقد جاوزَ الأشباه والأمثال والأقران ، وإن طلبتَ الدليلَ فقد غلبَ الخبرَ العيانُ ، وإن رُمتَ البيانَ فذراتُ الكائناتِ بيانٌ وبرهانٌ .

أَوَّلُ آخِرُ ، ظاهرٌ باطنٌ ، تفانتِ الأوائلُ والأواخرُ في أزليّته وأبديّته ، تفرَّدَ في الأزلِ بنعتِ العظَمَةِ والجلالِ قبلَ الكونِ والمكانِ ، والدُّهُورِ والأزمانِ ، والحينِ والأوانِ ، فالمكانُ جواهرٌ وأجسامٌ خلَقها ، والدُّهُورُ أوقاتٌ وأزمانٌ قَدَّرها ، كلُّ ذلكَ موسومٌ بالحدَثِ .

عَرَفْنَا المكانَ والزمانَ بتعريفِهِ إِيَّانَا ، وإن شاءَ كَوَّنَا ولم نعرفْ زماناً ولا مكاناً ، وكَوَّنَا في المكانِ ، ولو شاءَ كَوَّنَا ولا مكانَ ، فَعِلْمُنَا بَأَنَّا لا نكونُ إلا في مكانٍ . . مِنْ قضايا عَقَلِنَا ، وهذه القضايا هيَّأها لنا نعقلُ بها المعقولَ ونعلمُ بها المعلومَ ، ولو شاءَ هيَّأ لنا غيرَ هيئاتِنَا .

فَعَوَالِمُ قُدْرَتِهِ غيرُ محصورةٍ ، وغرائبُ مَشِيئَتِهِ غيرُ منكورةٍ ، وما نحنُ فيه مِنْ العالمِ بما نحنُ عليه مِنْ العقلِ والعِلْمِ . . عالمٌ مِنْ عوَالِمِهِ .

ولا تَسْتَبِعِدْ قولي : (لو شاءَ كَوَّنَا في غيرِ مكانٍ) ؛ فقد كَوَّنَ المكانَ لا في مَكَانٍ ؛ إذ لو كانَ في مكانٍ لَتَسَلَّسَلَ .

فلا تَحْصُرِ القُدْرَةَ بعقلِكَ ؛ إذ العقلُ قُوَّتُهُ أَنْ يَحْصُرَ الحِكْمَةَ ، فأما القُدْرَةُ فلا تَحْصُرُها ، فَحَدِّثْ عنِ البحرِ ولا حَرَجَ .

وَمِنْ هَذَا الأساسِ تَمَشَّتْ وَتَبَيَّنَتِ الأمورُ الأخرَوِيَّةُ ، وَعَلِمَها مَنْ عِلِمَها ، وَأَنكَرَها مَنْ عَجَزَ عقلُهُ عن إدراكِها .

فَمَنْ يَكُونُ المكانُ والمُكُونُ فِيهِ والزمانُ والمُقَدَّرُ فِيهِ عالِماً مِنْ عوَالِمِهِ ،

ويسيراً مِنْ عَمِيمِ قُدْرَتِهِ . . كيف يَحْصُرُهُ الزمانُ والمكانُ ؟!

فما أَظْهَرَ في عَالَمِ المُلْكِ والشهادةِ عَالَمِ الحِكْمَةِ ، والعقلُ الموهوبُ لنا مُوَكَّلٌ بهذا العالمِ ، وهذا العالمُ مِنَ العَرْشِ إلى التَّرى . . عالمٌ مِنْ عوَالِمِهِ ، فَصُورُ العالمِ ، وكلُّ ما حواه ؛ مِنَ الأرضِ والسماءِ ، والماءِ والنارِ والهواءِ ، والعَرْشِ والكُرْسِيِّ ، والجَنِّيِّ والإنْسِيِّ ، والأَفلاكِ والأَمْلاكِ ، والأَلْوَانِ والأَكْوَانِ ، والأَجْرامِ والاضْطِكاكِ ، والشمسِ والقمرِ والنجومِ ، إلى أعماقِ أَطباقِ التُّخُومِ ؛ بالنسبةِ إلى العَظَمَةِ الإلهِيَّةِ . . أَقْلٌ وَأَحْقَرُ مِنْ خَرْدَلَةٍ بالنسبةِ إلى جميعِ العالمِ .

فَفَرَّغْ بِالكَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ قِياسِكَ أَنَّهُ سَبْحانَهُ داخلُ العالمِ أو خارجُ العالمِ ، فما أَحَقَرَكَ وَأَحْقَرَ عِلْمَكَ !! فلو فَتَحْتَ عَيْنَ بَصِيرَتِكَ . . اسْتَخَيَّتَ مِنْ قِياسِكَ وَفِكْرِكَ ، وَوَهْمِكَ وَخِيالِكَ .

أَيُّها المَحْدودُ المَحْصورُ ؛ لا يَنْتِجُ فِكْرُكَ إلا مَحْدوداً مَحْصوراً ، وأَيُّها المُحِيطُ بِهَ الجَهاثُ ؛ لا يَحْكُمُ عِلْمُكَ إلا بِالْجَهاثِ ؛ فَالْجَهاثُ مِنْ جُمْلَةِ العالمِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ نَسْبَتَهُ إلى عَظَمَةِ اللَّهِ .

قَبَّارُكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ





وصية السهروردي
إلى ولده وتلميذه
عماد الدين أبي محمد السهروردي

[وصية السهروردي]

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه الإعانة^(١)

يا بُنَيَّ ؛ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَخَشْيَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَلِزُومِ
حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَقِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَقِّ وَالِدِكَ ،
وَحَقِّ الْمَشَايِخِ أَجْمَعِينَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى عَنْكَ ، وَاحْفَظِ اللَّهَ تَعَالَى فِي
السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

وَلَا تَدْعُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَسِرًّا وَعَلَانِيَةً ؛ بِالْفَهْمِ وَالتَّدْبِيرِ
وَالْتَفَكُّرِ ، وَالْحُزْنِ وَالبُكَاءِ ، وَارْجِعْ إِلَى الْقُرْآنِ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ ؛ فَإِنَّ
الْقُرْآنَ حُجَّةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ، وَاحْفَظْ حَقَّهُ .

وَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْعِلْمِ خَطْوَةً ، وَتَعَلَّمِ الْفَقْهَ ، وَلَا تَكُنْ مِنْ جُهَّالِ الصُّوفِيَّةِ
وَعَوَامِّهِمْ ، وَقُرَاءِ الْأَسْوَاقِ^(٢) ؛ فَإِنَّهُمْ لُصُوصُ الدِّينِ ، وَقُطَّاعُ الطَّرِيقِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ .

(١) هذه الوصية من أنفس الوصايا لدى سادتنا الصوفية ، وهي مأخوذة من مشكاة النبوة ،
وتلخص طريق القوم المتجلي بمقام الإحسان الذي تميزوا ببيانهم وشرحه وتفصيله ، وقد
أوصى بها إمامنا الشهروردي ولده عماد الدين أبا محمد عبد الله الشهروردي ، قدس الله
روحهما الطاهرة .

(٢) في (أ ، ب) : (واهجر أهل الأسواق) بدل (وقراء الأسواق) ، وفي (ج) : (وفرّ
من الأسواق) ، والمثبت من نسخة مستأنس بها ، ويؤيده : ما أورده السمرقندي في
« تنبيه الغافلين » (ص ٣٥٨) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه قال : (إِيَّاكُمْ
وَجِيرَانِ الْأَغْنِيَاءِ ، وَقُرَاءِ الْأَسْوَاقِ ، وَعِلْمَاءِ الْأَمْراءِ) .

وعليك بالسُّنَّةِ ، وَكُنْ عَلَى اعتقادِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ، واجتنبِ المُحَدَّثَاتِ ؛
فإنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِذَعَةٍ ، وَكُلٌّ بِذَعَةٍ ضَلَالَةٌ .

ولا تصحبِ الأَحْدَاثَ والنَّسْوَانَ ، والمُبْتَدِعَةَ والأَغْنِيَاءَ وَأَهْلَ الهَوَى^(١) ؛
فإنَّهَا تُذْهِبُ دِينَكَ .

واقنعْ مِنَ الدُّنْيَا باليسيرِ ، والزَمِ الخُلُوةَ ، وابكِ عَلَى خطيئَتِكَ .

وَكُلِّ الحَلَالَ ؛ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ الخَيْرَاتِ ، وَلَا تَمَسَّ الحَرَامَ ، فَتَمَسَّكَ النَّارُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالبَسِ الحَلَالَ تَجِدْ حِلَاوَةَ الإِيمَانِ والْعِبَادَةِ ، وَكُنْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ عَلَى وَجَلٍ^(٢) ، وَلَا تَنْسَ مَوْقِفَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَأَكْثِرْ مِنْ صَلَاةِ اللَّيْلِ وصِيَامِ النَّهَارِ ، وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنِ الْجَمَاعَةِ غَيْرَ أَنْ
تَكُونَ إِمَامًا وَمُؤَدِّنًا .

وَلَا تَطْلُبِ الرِّئَاسَةَ ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ الرِّئَاسَةَ لَمْ يُفْلَحْ أَبَدًا ، وَلَا تُوقِعْ فِي
الْقَبَالَةِ شَهَادَةً^(٣) ، وَلَا تَحْضُرْ مَجَالِسَ الْقَضَاةِ وَالسَّلَاطِينِ ، وَلَا تَدْخُلْ فِي
الْوَصَايَا .

وَفِرَّ مِنَ النَّاسِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ ، وَعَلَيْكَ بِالْخُلُوةِ حَتَّى لَا يَذْهَبَ
دِينَكَ .

(١) فِي (ج) : (وَالْعَوَامِ) بَدَلَ (وَأَهْلِ الْهَوَى) .

(٢) فِي (ب) : (وَكُنْ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ) .

(٣) الْقَبَالَةُ : الْوَرَقَةُ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا الْحَقُّ وَالتَّوَثُّقُ ، وَرُوي عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : (إِيَّاكُمْ وَالْقَبَالَاتِ ؛ فَإِنَّهَا صَغَارٌ وَفَضْلُهَا رِبَاً) ؛ وَهُوَ أَنْ يَتَقَبَّلَ بِخَرَاكِ أَوْ
جَبَايَةٍ أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ ، فَذَلِكَ الْفَضْلُ رِبَاً . انْظُرْ « تَحْفَةُ الْمُحْتَاجِ » (١٠٦ / ٥) ،
وَالنِّهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ » (١٠ / ٤) .

وعليك بالسَّفرِ لتُذِلَّ نَفْسَكَ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« صُومُوا تَصِحُّوا ، وَسَافِرُوا تَغْنَمُوا »^(١) .

واحفظْ قلوبَ المشايخِ ، ولا تغترَّ بقولِ مَنْ يمدحُكَ ، ولا تغتمَّ بقولِ مَنْ
يذمُّكَ ، وليكنِ المدحُ والذمُّ عندَكَ سواءً .

وحسِّنْ خُلُقَكَ مَعَ الْخَلْقِ أَجْمَعِ ، وَالزِّمِ التَّوَاضِعَ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ »^(٢) .

وعليك بالأدبِ في جميعِ الأحوالِ معَ كُلِّ بَرٍّ وفاجرٍ ، وارْحَمْ جميعَ
الخلائقِ صغيرِهِمْ وكبيرِهِمْ ، ولا تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ إِلَّا بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ .

ولا تضحكُ ؛ فَإِنَّ الضَّحِكَ مِنَ الْغَفْلَةِ ، وَهُوَ يُمِيتُ الْقَلْبَ ؛ فَقَدْ قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ
كَثِيرًا »^(٣) ، ولا تأمنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، ولا تَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَعِشْ بَيْنَ
الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ .

يا بُنَيَّ ؛ اتركِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ فِي طَلِبِهَا ذَهَابَ دِينِكَ ، وعليك بالصومِ
والصلاةِ ، وَكُنْ مَعَ الْفَقْرِ خَفِيفًا عَفِيفًا نَظِيفًا^(٤) ، مُتَأَدِّبًا مُتَوَاضِعًا مُتَوَرَّعًا^(٥) ،
عَالِمًا مُتَفَقِّهًا ، بَائِنًا عَنْ جُهَالِ الصُّوفِيَّةِ وَعَوَامِّهِمْ ، خَادِمًا لِلْمَشَايخِ بِالْمَالِ

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٣١٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٧٦) ، وأحمد (٧٦/٣) ، وابن حبان (٥٦٧٨) عن سيدنا
أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٦٤٨٦) ، ومسلم (٢٣٥٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) في (ج) : (حنيفاً) بدل (خفيفاً) .

(٥) في (أ) : (مُتَدَيِّنًا) بدل (مُتَأَدِّبًا) .

والبدن والجاه ، واخفظ قلوبهم وأوقاتهم وسيرتهم ، ولا تنكر عليهم شيئاً إلا ما خالف الجماعة ؛ فإنك إن أنكرت عليهم لم تفلح أبداً .

ولا تسأل عن الناس شيئاً أبداً ، ولا تسأل الناس شيئاً ، ولا تعارضهم ، ولا تدخر شيئاً لغد ؛ فإن الله تعالى يأتي كل يوم برزقٍ مقسوم^(١) .

وكن سخي النفس والقلب ، باذلاً ما رزقك الله تعالى ، وإيتاك والبخل والحسد والغل والغش ؛ فإن البخيل والحسود في النار .

ولا تظهر حالك للخلق في جميع الأحوال^(٢) ، ولا تزين الظاهر ؛ فإن تزين الظاهر من خراب الباطن^(٣) ، وثق بما وعد الله تعالى من أمر الرزق ؛ فإن الله تعالى قد تكفل برزق كل حيوان ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] .

وأيس من جميع الخلاق ، ولا تأنس بهم ، وقل الحق ولو كان مرأ ، ولا تركز إلى المخلوقين ؛ فإن الخالق يطردك عن باب^(٤) ، وعليك بخاصة نفسك ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »^(٥) ، وكن ناصحاً للخلق أجمعين .

وأقلل من الطعام والشراب والنوم والكلام ، ولا تأكل إلا عن فاقة ،

(١) في (ب) : (يأتي برزق غد) ، ونحوه في (أ) .

(٢) في (ج) : (الأحكام) .

(٣) في (ب ، د) : (من خراب النفس) ، وفي (أ) : (من خراب النفس) .

(٤) في (ج) : (المخلوق) بدل (الخالق) .

(٥) رواه الترمذي (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) ، وابن حبان (٢٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ولا تتكلم إلا عن ضرورة ، ولا تنم إلا عن غلبة النوم .

والزم صلاة الليل وصوم النهار ، ولا تكثر الجلوس في السماع ؛ فإنه ينبت النفاق ، ثم يميت القلب ، ولا تنكره ؛ فإن له أرباباً ، والسماع لا يصلح إلا لمن قلبه حي ، ونفسه ميتة ، فمن كان على غير هذه الحالة . . فاشتغاله بالصوم والصلاة والأوراد أولى .

وليكن قلبك حزيناً ، وبدنك عليلًا ، وعيناك دامعة ، وعملك خالصاً ، ودعاؤك حمداً ، وثيابك خلقة ، ورُفقاؤك فقراء ، وبيتك مسجداً ، ومالك فقهاً ، وزيتك زهداً ، ومؤنسك رباً كريماً .

ولا تؤاخ أحداً حتى يتبين لك منه خمس خصال : يختار الفقر على الغنى ، ويختار العمل على العلم ، ويختار الآخرة على الدنيا ، ويختار الذل على العز ، ويكون بصيراً بعلم السر والعلانية ، ويكون مستعداً للموت .

يا بُني ؛ لا تغرنك الدنيا بزخرفها ؛ فإن الدنيا خصرة نصرة خلوة ؛ من تعلق بها تعلقت به ، ومن رفضها رفضته ؛ لأنه لا سبيل لإبقائها ، وكُن في الليل والنهار مستعداً للارتحال ، مائلاً إلى الآخرة^(١) .

يا بُني ؛ عليك بالخلوة ، وكُن وحيداً فريداً منكسر القلب من خوف الله تعالى حتى تغرق في كرامات الله تعالى ، وكُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أصحاب القبور ، واخرج منها كما دخلتها ؛ فإنك لا تدري ما اسمك غداً يوم القيامة .

(١) في (أ ، ب) : (وكن مستعداً للارتحال إلى الآخرة) بدل (وكن في الليل . . .) .

وَفَقَّنَا اللّٰهُ تَعَالٰی لِلْعَمَلِ بِمَا فِيْهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ ، وَيَعِصْمُنَا مِنْ خِلَافِهِ .
وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰی أَعْلَمُ .

وَحَسْبُنَا اللّٰهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ



الْفَضِيلَةُ الشَّرِيفَةُ

المُسَمَّاةُ بِـ :

أَهْوَالِ السَّيِّئَاتِ وَسَرَائِرِ الْإِهْوَالِ

لِلْإِمَامِ الْعَارِفِ الصُّوفِيِّ

تَاجِ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَعْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيِّ الشَّرِيفِيِّ

(٥٨١ - ٦٤١ هـ)

مَقْفُورًا وَعَلَى عِلْمِهَا

بِلَالِ مُحَمَّدٍ حَاتِمِ السَّقَا

كَلَامُ التَّقْوَى
مَشَقَّ الشَّامِ

كلمة موجزة
عن « القصيدة الرانيت »
ومولفها تاج الدين الشرشبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً يَجِلُّ عن العدِّ والحِصْرِ ، والصلاة والسلام على مَنْ
ارتقى مقاماتٍ كثيرةً دونها رُتَبَةُ النَّسْرِ ، وعلى آله وأصحابه الذين شَهِدُوا
مَوَلاهم في السِّرِّ والجَهْرِ ، وعلى أولياء الله وأصفياه الذين غابوا عن كلِّ
كَوْنٍ ومُكَوَّنٍ ولو كانوا بين المُثَقِّفة السُّمُرِ .

وبعد :

فإنَّ القصيدةَ النفيسةَ المُسمَّاةَ بـ : « أنوار السرائر وسرائر الأنوار » . . مِنْ
أَجَلِّ القصائد التي نُظِّمَتْ في تدرِيج السلوك ، إلى حضرة مَلِكِ الملوك ؛
لكونها مع صِغَرِ جِزْمِها . . غزيراً عِلْمُها ، مُضِيئاً نَجْمُها ، حُلُوءاً طَعْمُها ،
بديعاً نَظْمُها ، ذاتَ عبارات رائقة ، وعُدُوبَةٍ في لفظها ومعانٍ فائقة ، قد
احتوت على جملةٍ من آداب الطريق ومُهِمَّاتِهِ ، وتدرِيجِ سلوكِهِ وذِكْرِ أحواله
ومقاماتِهِ .

قال في « إئمد العينين في مناقب الأخوين » : (إنَّ هذه القصيدةَ
حُجَّةٌ عند أهل هذه الطريقة ، ولم يَزَلِ المشايخُ رضي الله عنهم يَحْضُونُ

عليها ويوصون تلامذتهم بالعمل بها) .

ثم نقل عن الشيخ أبي عبد الله محمد الهزميري رضي الله عنه أنه كثيراً ما كان يُحرّض عليها أصحابه وجميع تلامذته ، وكان شديد العناية بها ، ملتزماً الخير للمداوم عليها ، قال : (وكان هو يُديم الكلام عليها ، ويشرح بعض مقاماتها)^(١) .

وقال الفاسي في « شرحه لهذه القصيدة » عند قوله : (وإن اشتياقي . . .) البيت : (وهذا شأنه رضي الله عنه في هذه القصيدة ؛ لا يكاد يأتي بثلاثة أبيات فأكثر على صفة واحدة ، بل يُنوّع الأسباب ، ويُخالف بين صفات التراكيب ، ويُبدّل الكلام فهو على أنواع ، فهي كروضة مُتعدّدة الأزاهير ، مُتنوّعة النواوير ، تجذب داخلها قهراً بجولان جميعها ، وهذا المعنى من المقال ، هو المُسمّى بالسّخر الحلال ، وأنّي يفي مثلي بوصف هذا العجب العُجاب !؟)^(٢) .

وقال أيضاً عند قوله : (فلا تكُ إلا تالياً . . .) البيت : (إنّ من جملة محاسن هذه القصيدة : أنّ من نظرها يبادي الرأي هابها ، ومن أَمعن النّظر فيها أَلفها ، وبقدّر مَضغها تُستحلى ، وهذا شأنُ كلام الرّبّانيّين)^(٣) .

وقال سيّدي السّجلّماسي في « الإبريز » في نهاية شرحه للأبيات المتعلّقة

(١) انظر « شرح الفاسي على الرائية » (ص ٣) ، و « الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » (ص ٢١٤) ، ووقع في « شرح الفاسي » : (الدميري) بدل (الهزميري) ، ولعلّ الصواب ما أثبت من « الإبريز » ، والله تعالى أعلم .

(٢) شرح الفاسي (ص ١٥١) .

(٣) شرح الفاسي (ص ١٢٥) .

بالشيخ المرَبِّي وآدابه وآداب المرید معه : (وهذه القصيدة مِنْ أنفس ما يُسمَعُ ، وينبغي للمرید أن يحفظَ هذه القصيدة ؛ فإنها قصيدة مُنَوَّرَة ، فإن لم يُمكنه حفظُها كُلِّها . فليحفظِ الأبياتَ المُتعلِّقة بالشيخ المرَبِّي)^(١) .

ومِمَّا يَدُلُّ على عَظْمَة هذه القصيدة وأهمَّيتها . أنها أتت بجوهر ومضمونٍ كتابِ أساس في علوم السلوك والتصوُّف ؛ وهو كتابنا هذا « عوارف المعارف » ؛ فهي زُبْدَةُ هذا الكتاب وخُلاصَتُهُ ، وفيها لُبُّهُ وعُصارَتُهُ .

وَمِنْ المَرَّائي والمُبَشِّرات في قَبُول هذه القصيدة الجليلة والعناية بها . ما نقله الفاسيُّ أثناء شرح قول الناظم : (ففي التَّوب والزُّهْدِ المقاماتُ كُلُّها . . .) عن صاحب « إثمَد العينين » ؛ وهو أنَّ أحدَ أكابر تلامذة الشيخ أبي عبد الله الهَزْميري - وهو الشيخ العارف أبو عثمانَ سَعِيدُ بنِ سليمان بن زاهد رضي الله عنه - قال : كنتُ ليلةً نائماً ، فرأيتُ كأنَّ الشيخَ - أعني : سيِّدي أبا عبد الله - في جامع الجزَّارين مِنْ مُرَّاكَشٍ قاعداً على يسار الداخل من الباب الشرقي ، وعليه جماعةٌ من الناس جلوساً لأخذ العلم عنه ، فدخلتُ من الباب ، فلمَّا انتهيتُ إلى الحَلَقَة وأنا أريدُ الجلوسَ معهم . . إذ رأيتُ جماعةً مُقْبِلِينَ من جهة القِبْلة ولهم نورٌ ساطعٌ وجمالٌ ظاهر ، فنظرتُ إليهم ، فإذا هم أربعةٌ نَفَرٍ ؛ نبينا مُحَمَّدٌ صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وإبراهيمُ صلواتُ الله عليه ، وموسى صلواتُ الله عليه ، وعيسى صلواتُ الله عليه وعليهم أجمعين .

فقام الشيخ رحمه الله وكلُّ مَنْ كان معه ، فَلَقِيَهُمْ في نصف المسافة التي

(١) الإبريز (ص ٢١٤) .

كانت بينهم ، فَلَقِيَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبشر والسرورُ ظاهرٌ في وجهه ، فتعلقتُ به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وجعلتُ أبكي وأتضرعُ وأنادي : يا سيدي يا رسولَ الله ؛ عساكَ أنْ تُلَقِّنِي شيئاً أنجو به مِنْ هذه الدُّنيا ، وأتخلَّصُ به عند ربِّي ، فينظرُ إليَّ ويرجعُ إلى إقباله على الشيخ مرَّاتٍ ، ثمَّ التفتَ إليَّ وردَّ وجهه للشيخ وقال له : أَلْقِ إِلَيْهِ يا فلانُ ، فقال له : يا رسولَ الله ؛ قد أَلْقَيْتُ إِلَيْهِمْ ما عندي وبلغتُ حَبَّهُمْ ، فردَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهه إليَّ وإذا بهذه القصيدة في يدي ، وكنتُ كثيراً ما أُلْزِمُهَا ، فأخذها من يدي ، وجعل يتصفَّحُها إلى أنْ وصل إلى بيت من أبياتها ، فوضع عليه إصْبَعَهُ ، وناولني الكُرَّاسَةَ ، وأومأ إلى البيت وقال لي : عليك بهذا ، والبيتُ قوله رحمه الله تعالى :

ففي التَّوبِ والزُّهْدِ المقاماتُ كُلُّها فروضُهما مِنْ طِيبِهِ عَبَقُ النَّشْرِ^(١)

ثمَّ قال الفاسيُّ : (وأخبرني الأخ في الله ، والحبيب في ذاته ؛ الشيخ أبو عبد الله محمَّدُ بنُ علي النبعجي الزروالي . . أَنَّهُ وجد بخطِّ شيخه الأوَّل الشيخ العارف أبي محمَّد عبد الوارث بن عبد الله الياصوتي رضي الله عنه على حاشية هذا البيت : رُوي [أَنَّ] الناظم رحمه الله لَمَّا كَمَلَ هذه القصيدة رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام وقد وضع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَبِّحَتَهُ الكريمة على هذا البيت وهو يقول له : لُبَّابُ قَصِيدَتِكَ هَذَا الْبَيْتُ)^(٢) .



(١) شرح الفاسي (ص ١١٩) .

(٢) شرح الفاسي (ص ١١٩) .

وأما الحائِك لألفاظِ هذه القصيدةِ الرفيعة ، والمُطرَّرُ لمعانيها البديعة . .
فهو سيدي العارف المُربي الصُّوفي ، الأصولي النَّحوي الشاعر الأديب ؛
تاج الدين أبو العبَّاس أحمدُ بنُ محمَّد بنِ أحمد بن محمَّد بن خلفِ القرشي
البكري الصَّدِّيقِي السَّلَوِي الشَّرِيشِي المالكي .

وُلِدَ رضي الله عنه بـ (سَلَى) بالمغرب سنة (٥٨١هـ) ، ونشأ
بـ (مُرَاكُشَ) ، واستوطن الفيُومَ من مصرَ ، وبها تُوفِّيَ في ربيع الأنور سنة
(٦٤١هـ) ، وقيل : سنة (٦٤٠هـ) .

كان رضي الله عنه وافرَ الحِظِّ من علم البيان نحواً وأدباً ، شاعراً مُحسِناً ،
مُحقِّقاً لعلم الكلام ، بارعاً في أصول الفقه ، مُتقدِّماً في التَّصوُّف ، وإليه
انقطع ، وعليه عوَّل ، وفيه صَنَّفَ .

وأخذ بالمغرب : عن الإمام الأصوليِّ الزاهد أبي عبد الله محمَّد بن
علي بن عبد الكريم الكَتَّانِي (ت ٥٩٥هـ) ، والإمام النَّحويِّ أبي ذرٍّ
مصعب بن محمَّد بن مسعود الخُشَنِي الأندلسي الجَيَّانِي (ت ٦٠٤هـ) .

ثمَّ شَرَّقَ وحجَّ ، فروى ببغدادَ : عن الإمام قاضي القضاة عمادِ الدين
أبي صالح نصر بن عبد الرزَّاق بن القطب الكبير سيدي الشريف عبد القادر
الجِيلَانِي (ت ٦٣٣هـ) ، والإمام المُحدِّث المؤرِّخ أبي الحسن محمَّد بن
أحمد ابن خَلَف القطِيعِي (ت ٦٣٤هـ) .

وأخذ التَّصوُّفَ ذوقاً وإشراقاً : عن شيخ شيوخ وقته ، وقُدوةِ أهل
عصره ، الإمام الفقيه الصُّوفي شهابِ الدين أبي حفص عمر بن محمَّد بن

عبد الله الشَّهْرُورُذِيُّ البَكْرِيُّ الصَّدِيقِيُّ (ت ٦٣٢ هـ) (١) .

وأخذ علمَ الكلام : عن الإمام الأَصُولِيِّ الْمُتَكَلِّمِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي العِزِّ
مُظَفَّرِ بن عبد الله المعروف بـ (المُقْتَرَح) .

وأصولَ الفقه : عن الإمام الأَصُولِيِّ الْمُتَكَلِّمِ شمسِ الدِّينِ أَبِي الحسن
عَلِيِّ بن إسماعيل بن علي الأبياري (ت ٦١٦ هـ) .

ومن مؤلفاته غير « القصيدة الرائية » : « أسرار أصول الدين » ،
و« أسرار الرسالة » ، و« الأسرار » ، و« أسنى المواهب » ، و« صحبة
المشايع » ، و« عوارف الهدى وهدى العوارف » ، وكتاب في السماع ،
و« شرح المُفَصَّل » في النحو ، و« شرح الجُزُولِيَّة » في النحو أيضاً (٢) .



(١) وذكرت في (٤٥ / ١) أنه نَظَّمَ لَبَّ كتابه « عوارف المعارف » .

(٢) انظر ترجمة الشَّريشي : في « التكملة لوفيات النقلة » (٦٠٠ / ٣) ، و« نجم المهتدي »

(٨ / ٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢٧ / ٤٦ - ٤٢٨) ، و« المقفى الكبير »

(٤٣٢ / ١) ، و« بغية الوعاة » (٣٦٠ / ١ - ٣٦١) ، و« شرح الفاسي على الشَّريشية »

(ص ٣ - ٤) ، و« الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » (ص ٢١٤ - ٢١٥) .

[القصيدة الشريشية]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الإمام المَحَقُّ تاجُ الدِّينِ الشَّرِيشِي ، رحمه الله تعالى ورضي

عنه ونفعنا به :

مُقَدِّمَاتُ التَّوْبَةِ الْأُولَى^(١)

١- إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ بَاطِنٍ حَالَهُ الزَّجَرِ فَمَا هُوَ إِلَّا الْبِرُّ مِنْ مَنِحِ الْبَرِّ^(٢)

٢- وَمِنْ حُكْمِ حَالِ الْإِنْتِبَاهِ إِذَا بَدَأَ شُهُودُكَ حَالَ النَّفْسِ فِي غَايَةِ الْفَقْرِ

علامة الانتباه خمسٌ

٣- فَتَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَنَ مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ وَتَسْأَلُهُ عَفْوَاً يُرِي الْبَشَرَ فِي النَّشْرِ^(٣)

٤- وَإِنْ ذَكَرْتَ دُنْيَا أُعْتَبِرْتَ وَإِنْ جَرَى لِأَخْرَاكَ ذِكْرٌ كُنْتَ مُشْرِحَ الصَّدْرِ^(٤)

(١) جميع العناوين مُسْتَلَّةٌ من المخطوطة الأزهرية ، مع تصرُّف يسير في بعضها ، ولعلها من وضع الناسخ ، والله تعالى أعلم ، وأضفتُ بعض العناوين من عندي .

(٢) لم يبدأ الناظم بالبسملة والحمدلة خطأً ، ولعلُّه فعل ذلك بلسانه أو في نفسه ، قال الفاسي في « شرحه » (ص ٥) : (ولعلَّ الناظم رضي الله عنه لشدَّة تعطُّشه إلى ذكر ما بيِّن من المسالك ، ومحبة سُرعَةِ [الانتمار] للأمر الوارد بذلك . . شَرَعَ في مقصوده من أوَّل وهلة مُكتفياً بحمد الله في نفسه ؛ إذ ذاك كان بِحُكْم وقته ؛ أي : لكونه مأخوذاً عن نفسه ، مُقْتَطِعاً عن دائرة حِسِّه ، ناطقاً لا بلسانه ، مُسْطَرّاً لا بَيِّنانه) .

(٣) أي : ومن حكم حال الانتباه أيضاً : استغفارُكَ الرَّحْمَنَ مِنْ كُلِّ زَلَّةٍ وَخَطِيئَةٍ ، وسؤالُكَ منه عَفْوَاً يُرِيكَ السُّرُورَ والفرح في الحياة الثانية يومَ يقومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ بخلاصك من ألم العذاب ، وسقوطِ العقاب . « شرح الفاسي » (ص ٨ - ٩) .

(٤) في بعض النسخ : (اعتزلت) بدل (اعتبرت) ، والمعنى عليهما واضح ، والمثبت أوفق لـ « العوارف » ، كما سيأتي في (٤٦٢ / ٢) .

٥- وَإِنْ ذَكَرَ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ نَشَرْتَ عَلَى الْعَلِيَاءِ أَلْوِيَةَ الْفَخْرِ^(١)

حَالُ الْيَقَظَةِ

٦- وَمِنْ بَعْدِهِ الْحَالُ الَّذِي هُوَ يَقَظَةٌ وَرُودٌ يَرُدُّ الْكَسْرَ فِي غَايَةِ الْجَبْرِ^(٢)

٧- تُشَاهِدُ أَنْحَاءَ النُّحَاةِ فَتَنْتَحِي عَلَى ثِقَةٍ مَا لَيْسَ بِالْمَسْلُوكِ الْوَعْرِ^(٣)

مَقَامُ التَّوْبَةِ

٨- فَيَبْدُو مَقَامُ التَّوْبِ وَهُوَ مُمَهَّدٌ فَدُونَكَ فَاقْرَعْ بَابَهُ قَرَعَ مُضْطَرَّ^(٤)

٩- وَمِنْ بَعْدِهِ الشَّيْخُ الَّذِي هُوَ قُدْوَةٌ يُلْقَى مُرَادَ الْحَقِّ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ^(٥)

الْمُرَادُ بِالتَّوْبَةِ

١٠- فَقُمْ وَأَجْتَنِبْ مَا ذَمَّهُ الشَّرْعُ وَأَجْتَلِبْ لِمَا خَصَّهُ بِالْمَدْحِ فَهُوَ جَنَى الدَّبْرِ^(٦)

(١) ويُلَخِّصُ هذه الأبيات الثلاثة : قولُ سيدي العارف أبي يزيد البسطامي : (علامة الانتباه خمسٌ : إذا ذَكَرَ نفسه افتقر ، وإذا ذكر ذنبَهُ استغفر ، وإذا ذكر الدنيا اعتبر ، وإذا ذكر الآخرة استبشر ، وإذا ذكر المولى افتخر) ، وسيأتي في (٢ / ٤٦٢) .

(٢) في النسخة الأزهرية : (يُرِيكَ الكسْرَ عارية الجبر) بدل (يَرُدُّ . . .) إلى آخره ، وفي البيت روايات أخرى ذكرها الفاسي ، والمعنى على المثبت : وينزل بالعبد بعدَ حال الانتباه مِنْ رَقْدَةِ الغفلة . . . حَالُ الْيَقَظَةِ ، وهو واردٌ من الحقِّ يهجم على قلبه ، فيَرُدُّ ما كان فيه مكسوراً بصدمة المخالفة في غاية الجبر والتلافي . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٠) .

(٣) أي : تشاهدُ وترى بسبب هذا الواردِ مقاصدَ القاصدين - أي : طُرُقَ الْمُتَوَجِّهِينَ - فتَقْصِدُ منها على بصيرة ومعرفة منك بما قصدته . . . طريقاً ومسلِكاً سهلاً للمرور فيه ، ليس فيه وُغُورَةٌ ولا صعوبة . « شرح الفاسي » (ص ١٠) .

(٤) أي : يظهر وينشأ مقامُ التوبة مُوطأً مُمَهَّداً بعدَ المُقَدِّمات السابقة ، فالزَمَ حِصْنَ هذا المقام ، واقْرَعْ بَابَهُ قَرَعَ مُضْطَرَّ صادق في الولوج . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٠) .

(٥) قوله : (ومن بعده) : أي : ومن بعد مقام التوبة ، وفي بعض النسخ : (يُلْقَى) من الإلقاء بدل (يُلْقَى) ، وفي بعضها : (يُلَاقِي) . انظر « شرح الفاسي » (ص ١١ - ١٢) .

(٦) في نسخة الشرح : (العلم . . . الدَّر) بدل (الشرع . . . الدَّبْر) ، والمراد بالشرع : =

بداية المريد

- ١١- وَإِنْ تَسْمُ نَحْوَ الْفَقْرِ نَفْسُكَ فَأَطْرَحْ هَوَاهَا وَجَانِبُهُ مُجَانِبَةُ الشَّرِّ
- ١٢- وَضَعَهَا بِحَجَرِ الشَّيْخِ طِفْلاً فَمَا لَهَا خُرُوجٌ بِلَا فَطَمٍ عَنِ الْحَجَرِ وَالْحَجَرِ^(١)
- ١٣- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ سَلْبَ الْإِرَادَةِ وَضَفُهُ فَلَا يَطْمَعَنْ فِي شَمِّ رَائِحَةِ الْفَقْرِ^(٢)
- ١٤- وَهَذَا وَإِنْ كَانَ الْعَزِيزَ وَجُودُهُ وَلَكِنَّهُ فِي الْحَزْمِ خَالٍ مِنَ الْعُسْرِ^(٣)

علامة الشيخ

- ١٥- وَلِلشَّيْخِ آيَاتٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ فَمَا هُوَ إِلَّا فِي لِيَالِي الْهَوَى يَسْرِي
- ١٦- إِذَا لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ لَدَيْهِ بِظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ فَأَضْرِبْ بِهِ لُجَجَ الْبَحْرِ^(٤)

= الشارح ، وهو الله سبحانه وتعالى حقيقة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائب عنه ومُبلِّغ ، ويُطْلَقُ ويُرادُّ به : القواعد الدِّينِيَّة والأحكام السَّمْعِيَّة ، ويجوز إرادته هنا أيضاً ، والدَّبر : جماعة النحل والزنابير ، والمُرَاد به هنا : النحل ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٥-١٦) .

- (١) الحجر الأول : هو الحجر المعروف الذي هو مُقَدَّم القميص ، والحجر الثاني : معناه المنع ؛ فالأول : كناية عن نَظَر الشيخ وتصرفه ، والثاني : كناية عن منعه للمريد ما لا يليق به . « الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز » (ص ٢٠١-٢٠٢) .
- (٢) قوله : (سلب الإرادة) ؛ أي : مسلوب الاختيار والتصرف مع الشيخ المُربِّي ، وهذا السَّلْب لا يَجْري في الواجبات ولا في الضروريات ؛ لأنَّ الشيخ معزولٌ عن النَّظَر فيها ، والمريد ممنوعٌ من الاختيار فيها ؛ للزومها له على كل حال ، فاستثانُهُ جهل واشتراطه ضلال . انظر « شرح الفاسي » (ص ٢١-٢٢) .
- (٣) قوله : (وهذا) ؛ أي : الاتصافُ بسلب الإرادة .
- (٤) أي : فانيذهُ وأخرجهُ من دائرة سفينة المشيخة ، وألقِه في لُجَج بحر التَّفَاق ؛ بإيهامه وإظهاره خلاف ما هو به . « شرح الفاسي » (ص ٢٣) .

- ١٧- وَإِنْ كَانَ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ جَامِعٍ لِيَوْصِفَيْنِهِمَا جَمْعاً عَلَى أَكْمَلِ الْأَمْرِ^(١)
- ١٨- فَأَقْرَبُ أَحْوَالِ الْعَلِيلِ إِلَى الرَّدَى إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا الطَّيِّبُ عَلَى خُبَرِ^(٢)
- ١٩- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْوُجُودُ أَقَامَهُ وَأَظْهَرَهُ مَنْشُورُ أَلْوِيَةِ النَّصْرِ^(٣)
- ٢٠- فَأَقْبَلَ أَرْبَابَ الْإِرَادَةِ نَحْوَهُ بِصَدَقٍ يُخْلِي الْهَشَّ فِي جَلَدِ الصَّخْرِ^(٤)
- ٢١- وَآيَتُهُ إِلَّا يَمِيلَ إِلَى هَوًى فَدُنْيَاهُ فِي طَيٍّ وَأُخْرَاهُ فِي نَشْرِ^(٥)
- ٢٢- وَإِنْ كَانَ ذَا جَمْعٍ لِأَكْلِ طَعَامِهِ مُرِيدُ فَلَا تَصْحَبُهُ يَوْماً مِنَ الدَّهْرِ^(٦)

- (١) قوله : (وإن كان) ؛ أي : وُجد ، وفاعل (كان) : إمّا الشيخ ، أو عِلْمُ الظاهر والباطن . انظر « شرح الفاسي » (ص ٢٧) ، و « الإبريز » (ص ١٩٩) .
- (٢) العليل : المريض ، وفي بعض النسخ : (منه) بدل (منها) ؛ أي : من العليل ، وعلى التأنيث يرجع إلى (أحوال العليل) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ٢٧) .
- (٣) المراد بالوجود هنا : الناس ، وقوله : (منشور ألوية النصر) فاعل (أظهره) إن قرئ بالرفع ، وإن قرئ بالنصب كان حالاً ، وفاعل (أظهره) ضمير يعود على (الوجود) . « شرح الفاسي » (ص ٢٨) .
- (٤) قوله : (فأقبل) معطوف على (أظهره) ، وجواب الشرط في البيت السابق محذوف ؛ أي : فهو كذلك ؛ أي : غير مقبول كالذي قبله ، وقوله : (يُخْلِي الْهَشَّ . . .) إلى آخره ؛ أي : يترك الأثر في الصخر الشديد الصلابة ، وفي النسخ التي شرح عليها السَّجْلُمَاسِي فِي « الإبريز » : (جَلَمَد) بدل (جَلَد) ، وفي نسخة أشار إليها الفاسي : (جامد) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ٢٨) ، و « الإبريز » (ص ١٩٩) .
- (٥) أي : تكون دنياه عنده في استتار ، وآخرته في انتشار ؛ فقوله : (فدنياه في طي) كناية عن الزهد فيها والإعراض عنها ، كما أنَّ قوله : (وأخراه في نشر) كناية عن الرغبة والإقبال عليها . « الإبريز » (ص ١٩٩) .
- (٦) في بعض النسخ : (لبيت طعامه) بدل (لأكل طعامه) ؛ أي : يجمع الناس عنده لأكل الطعام ولا أثر له فيهم بتربية وسلوك وتزكية ، وقوله : (مريد) ؛ أي : يا مريد ، وفي بعض النسخ : (مريداً) على أنه لم يقصد مريداً مُعَيَّناً ، وفي النسخ اختلاف ذكره الفاسي في « شرحه » (ص ٣٣-٣٤) .

٢٣- وَأَمَّا بَيَانُ الشَّيْخِ عَيْنَهُ لَنَا وَتَعْيِينُهُ يُغْنِي عَنِ الْبَحْثِ وَالسِّرِّ^(١)

مَنْ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْخِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ

٢٤- وَلَا تَسْأَلْنِ عَنْهُ سِوَى ذِي بَصِيرَةٍ خَلِيٍّ مِنْ الْأَهْوَاءِ لَيْسَ بِمُغْتَرٍّ

٢٥- فَمَنْ صَدِثَتْ مِرَاةُ نَاطِرٍ فَهَمِهِ أَرْتُهُ بِوَجْهِ الشَّمْسِ مِنْ كَلَفِ الْبَذْرِ^(٢)

٢٦- وَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَذَرِي الْعُرُوضَ فَرَبَّمَا يَرَى الْقَبْضَ فِي التَّطْوِيلِ مِنْ أَظْهَرِ الْكَسْرِ^(٣)

حَالُ الْمُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ

٢٧- وَلَا تُقَدِّمَنَّ قَبْلَ اعْتِقَادِكَ أَنَّهُ مُرَبِّ وَلَا أَوْلَى بِهَا مِنْهُ فِي الْعَصْرِ

٢٨- فَإِنَّ رَقِيبَ الْإِلْتِفَاتِ لِغَيْرِهِ يَقُولُ لِمَخْبُوبِ السَّرَايَةِ لَا تَسِرْ

٢٩- وَلَا تَعْتَزْضْ يَوْمًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ كَفِيلٌ بِتَشْتِيتِ الْمُرِيدِ عَلَى هَجْرٍ

٣٠- وَمَنْ يَعْتَرِضُ وَالْعِلْمُ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ يَرِ الْقَبْضَ فِي عَيْنِ الْكَمَالِ وَلَا يَذَرِ

٣١- وَمَنْ لَمْ يُوَافِقْ شَيْخَهُ فِي اعْتِقَادِهِ يَظَلُّ مِنَ الْإِنْكَارِ فِي لَهَبِ الْجَمْرِ

٣٢- فَذُرِ الْعَقْلَ لَا يَرْضَى سِوَاهُ وَإِنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ نَأَى اللَّيْلِ عَنْ وَاضِحِ الْفَجْرِ^(٤)

(١) فاعل (عينه) يعود إلى ما ذكر في الآيات قبله . « شرح الفاسي » (ص ٣٥) .

(٢) أي : فمن صدثت عينه يرى السواد في وسط القمر على وجه الشمس التي لا سواد فيها أصلاً ؛ لانعكاس الحقائق في حقه ، ومُراده : أن مَنْ لم يكن ذا بصيرة فإنه يرى العيب في الشيخ الكامل فينفّر عنه ، ويرى الكمال في السالك فيدل عليه . « الإبريز » (ص ٢٠٠) .

(٣) أي : ومن لم يكن يعرف علم ميزان الشعر . فإنه ربّما يظن أن القبض في (مفاعيلن) - وهو حذف الخامس الساكن منها - من أقبح العيوب ، وقوله : (في التطويل) ؛ أي : في البحر الطويل .

(٤) قوله : (سواه) ؛ أي : سوى شيخه ، أو سوى ما صدر منه ، والمعنى على الأول : فذو العقل الكامل السليم من آفات غلبة الهوى وحكم الطبع السقيم . لا يرضى سوى =

- ٣٣- وَلَا تَعْرِفْنَ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ غَيْرَهُ وَلَا تَمْلَأَنَّ عَيْنًا مِنَ النَّظَرِ الشَّرِّ (١)
- ٣٤- وَلَا تَنْطِقَنَّ يَوْمًا لَدَيْهِ فَإِنْ دَعَا إِلَيْهِ فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْكَلِمِ النَّزْرِ (٢)
- ٣٥- وَلَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلَا تَجْهَرُوا جَهْرَ الَّذِي هُوَ فِي قَفْرِ (٣)
- ٣٦- وَلَا تَرْفَعَنَّ بِالضَّحْكِ صَوْتَكَ عِنْدَهُ وَلَا قُبْحَ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ فَاسْتَقْرِ (٤)
- ٣٧- وَلَا تَقْعُدَنَّ قُدَّامَهُ مُتْرَبِّعًا وَلَا بَادِيًا رَجُلًا فَبَادِرْ إِلَى الشَّرِّ
- ٣٨- وَلَا بَاسِطًا سَجَّادَةً بِحُضُورِهِ وَلَا قَصْدًا إِلَّا السَّعْيُ لِلْخَادِمِ الْبَرِّ
- ٣٩- وَسَجَّادَةً الصُّوفِيَّ بَيْتُ سُكُونِهِ وَلَا وَكْرَ إِلَّا أَنْ يَطِيرَ عَنِ الْوَكْرِ (٥)

شيخه صاحباً ، ولا تميلُ نفسهُ لغيره ؛ لِمَا شاهد منه بِسرِّه ، وإن بُعدَ شيخه عن الحقِّ في بادئ الرأي بُعدَ الليل عن الفجر الواضح البيّن ، والمعنى على الثاني : فذو العقل لا يرضى سوى ما صدر من شيخه بالتسليم وحُسن الظنِّ وجميل الاعتقاد ، وإن بُعدَ ما صدر عن الشيخ في الظاهر بُعدَ الليل عن الفجر الواضح البيّن ؛ لكونه لا يقفُ مع ظواهر الأشياء ، بل يتعدّها وينظرُ إلى بواطنها ، ويستخرجُ الحقَّ والحقيقة من ذلك .

« شرح الفاسي » (ص ٤٦) بتصرف .

(١) قوله : (النَّظَرُ الشَّرُّ) يُقال : شَرَرُهُ : نَظَرَ منه في أحدِ شِقِيهِ ، أو نَظَرَ الغضبانَ بمؤخر العين ، أو هو نَظَرٌ فيه إغضاء ، أو النَّظَرُ عن يمين وشمال ، وكلُّها مُرادَةٌ هنا إلا الأخير ؛ فَإِنَّهُ داخلٌ في قوله : (ولا تعرفن ...) ؛ لَأَنَّهُ حَثٌّ على الإقبال على الشيخ بالقلب والقالْب . « شرح الفاسي » (ص ٤٧) بتصرف .

(٢) النَّزْرُ : القليل .

(٣) الْقَفْرُ : المفازة لا ماء بها ولا نبات .

(٤) أي : تتبّع أنواع القبائح وصوَرها ؛ فَإِنَّكَ تجدها دون هذه القبيحة ؛ وهي الضَّحْكُ أمام الشيخ وفي حضرته .

(٥) أي : محلُّ سَجَّادَةِ الصُّوفِيَّ بَيْتُ سُكْنَاهُ ، لا مجلسُ شيخه ، بل ينبغي له في مجلس شيخه التواضعُ والتصاغُرُ والاستغَالُ بالخدمة ، وقولُهُ : (ولا وَكْرَ ...) الْوَكْرُ : عُشُّ الطائر الذي يأوي إليه ، وأطلقه هنا على مجلس الشيخ الذي يأوي إليه المريدون .

« الإبريز » (ص ٢٠٧) .

- ٤٠- وَمَا دُمْتَ لَمْ تُقْطَمَ فَلَا فَرْجِيَّةً عَلَيْكَ وَلَا تُلَفَّ عَلَيْهَا بِمُسْتَجْرِي^(١)
- ٤١- وَلَا تُرَيْنَ فِي الْأَرْضِ دُونَكَ مُؤْمِنًا وَلَا كَافِرًا حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ
- ٤٢- فَإِنَّ خِتَامَ الْأَمْرِ عَنْكَ مُغَيَّبٌ وَمَنْ لَيْسَ ذَا خُسْرٍ يَخَافُ مِنَ الْمَكْرِ
- ٤٣- وَلَا تَنْظُرُنْ يَوْمًا إِلَى الْخَلْقِ إِنَّهُ يُخْلِي طَلِيقَ الصَّفْرِ فِي كَدْرِ الْأَسْرِ^(٢)
- ٤٤- وَإِنْ نَظَمَ الْحَقُّ الْكِرَامَاتِ أَسْطَرًا فَلَا تُبْدِينَ حَرْفًا لِغَيْرِكَ مِنْ سَطْرِ
- ٤٥- سِوَى الشَّيْخِ لَا تَكْتُمُهُ سِرًّا فَإِنَّهُ بِسَاحَةِ كَشْفِ السَّرِّ يَجْرِي عَلَى بَحْرِ
- ٤٦- وَفِي الْكَشْفِ إِنْ كُوشِفَتْ رَاجِعُهُ إِنَّهُ لِإِضْاحِ سِرِّ الْكَشْفِ مُبْتَسِمُ الثَّغْرِ
- ٤٧- وَلَا تَنْفَرِدْ عَنْهُ بِوَاقِعَةٍ جَرَتْ فِي عِشَاءٍ عَيْنَاكَ وَالسَّمْعُ فِي وَفْرِ^(٣)
- ٤٨- وَفَرَّ إِلَيْهِ فِي الْمُهَمَّاتِ كُلِّهَا فَإِنَّكَ تَلْقَى النَّصْرَ فِي ذَلِكَ الْفَرِّ
- ٤٩- وَلَا تَكُ مِمَّنْ يَحْسُنُ الْفِعْلُ عِنْدَهُ فَيَفْسُدَ إِلَّا أَنْ تَفِرَّ إِلَى الْكَرِّ^(٤)

والمعنى : أنه لا ينبغي للمريد أن يجلس مكان الشيخ ويصرف الوجه إليه ، إلا إذا كمل أمره ووصله الفطام ، وطار عن شيخه واستقل بنفسه ؛ كالفرخ الذي كملت تربيته وقدر على الطيران ؛ فإنه يستقل بأمره ولا يحتاج إلى من يربيّه ويغذّيه .

(١) الفَرْجِيَّة : ثوبٌ واسع طويل الأكماء يتزيّا به المشايخ ، وهذا الحكم جارٍ في كلّ زِيٍّ للشيوخ ؛ لأنّ العِلَّةَ واحدة ، وهو يختلف باختلاف الأعراف ، والمستجري : هو الذي له جرأة على الشيء . « الإبريز » (ص ٢٠٨) بتصرف .

(٢) أي : لا تنظرن لحظة من اللحظات ووقتاً من الأوقات إلى الخلق فتراعيهم في أحوالك وأفعالك وأقوالك وشؤونك كلّها من عبادات وعادات ؛ فإنّ هذا النظر يخلي الطليق الصافي من العلل والآفات في كدر أسريهما ؛ لأنك حيث نظرت إلى الخلق يدخل عليك الرياء والتصنّع . « الإبريز » (ص ٢١٠) بتصرف .

(٣) العِشَاء : ضعف البصر ، والوَقْر : ثقل في الأذن ، وقيل : ذهاب السمع كلّهُ . « شرح الفاسي » (ص ٦٦) ، والشطر الثاني غير موزون ، إلا إذا استبدلنا (عِشَاء) بـ (عَشْوَة) ، والله تعالى أعلم .

(٤) الكر : الرجوع ضد الفرّ ؛ أي : لكن إذا فررت من ذلك العُجب والاستحسان إلى =

٥٠- وَمَنْ حَلَّ مِنْ صِدْقِ الْإِنَابَةِ مِثْرًا يَرِ الْعَيْبَ فِي أَفْعَالِهِ وَهُوَ مُسْتَبْرِي^(١)

مَقَامُ الْمُجَاهِدَةِ

٥١- وَإِنَّ مَقَامَ التَّوْبِ فِيهِ لِحِفْظُهُ مُجَاهِدَةٌ لَا تُنْتَحَى بِسِوَى الصَّبْرِ^(٢)

٥٢- فَصَبْرٌ عَلَى الْمَفْرُوضِ وَقْتَ أَدَائِهِ وَصَبْرٌ مَعَ الْأَزْمَانِ عَنْ مَوْرِدِ الْحَظْرِ^(٣)

٥٣- وَصَبْرٌ عَلَى الْمُنْدُوبِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَكْرُوهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَهَرِ

مَقَامُ الْمُحَاسَبَةِ

٥٤- وَفِيهِ بِذَاكَ الْحِفْظِ حِفْظُ مَقَامِهِ مُحَاسَبَةٌ لَا وَزَرَ تُبْقِي مَعَ الْأَجْرِ^(٤)

الرجوع إلى ربك . . فَإِنَّ فَعْلَكَ لَا يَفْسُدُ ؛ لَأَنَّكَ إِذَا رَجَعْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَجِدُهُ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيكَ وَالْمُجَرِّيَ ذَلِكَ عَلَيْكَ ، وَتَرَى نَفْسَكَ فِيمَا صَدَرَ مِنْكَ كَمَنْ يَفْتَخِرُ بِفَعْلٍ غَيْرِهِ ، فَيَتَبَدَّلُ الْعُجْبُ بِالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ ، وَالْخَوْفُ مِنْ مَقْتِهِ ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى جَزِيلِ نِعْمَتِهِ . انظر « الإبريز » (ص ٢١٣) ، و« شرح الفاسي » (ص ٦٩-٧٠) .

(١) أي : وَمَنْ حَلَّ وَنَزَلَ مِنْ صِدْقِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِ الرَّجُوعَ الْكُلِّيَّ مِثْرًا . . يَرِ الْعَيْبَ فِي أَفْعَالِهِ الَّتِي تَقَرَّبَ إِلَى مَوْلَاهُ بِهَا وَهُوَ مُسْتَبْرِيٌّ ؛ أَي : وَهُوَ بَرِيءٌ ، وَإِنَّمَا كَانَ بَرِيئًا مِنْ ذَلِكَ الْعَيْبِ الَّذِي رَأَاهُ ؛ لَكُونَهُ قَدْ أَتَى بِهِ عَلَى مَا يَنْبَغِي شَرِيعَةً وَحَقِيقَةً فِي ظَاهِرِهِ وَفِي بَاطِنِهِ ، لَكِنَّهُ يَتَّهَمُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ خَفِيَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ دَسَائِسِهَا . « الإبريز » (ص ٢١٤) .

(٢) قوله : (لِحِفْظِهِ مُجَاهِدَةٌ) ؛ أَي : حِفْظُهُ كَائِنٌ بِمُجَاهِدَةٍ فِيهِ ؛ فَ (مُجَاهِدَةٌ) مَنْصُوبٌ عَلَى إِسْقَاطِ الْخَافِضِ ، وَهُوَ خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ (إِنَّ) . « شرح الفاسي » (ص ٧٢) وَيَجُوزُ صِنَاعَةٌ أَنْ يُضْبَطَ : (لِحِفْظِهِ مُجَاهِدَةٌ) ؛ أَي : فِيهِ مُجَاهِدَةٌ لِأَجْلِ حِفْظِهِ ، وَقَوْلُهُ : (لَا تُنْتَحَى) ؛ أَي : لَا تُقْصَدُ وَلَا تُطْلَبُ .

(٣) أي : عَنْ وُرُودِ الْمَوْضِعِ الْمَحْظُورِ وَالْمَمْنُوعِ مِنْهُ ؛ أَي : أَنْ يَصْبِرَ مُدَّةَ حَيَاتِهِ عَمَّا نُهِيَ عَنْهُ .

(٤) أي : وَيَحْتَاجُ فِي مَقَامِ التَّوْبَةِ مَعَ الْحِفْظِ الْمُتَقَدِّمِ بِالْمُجَاهِدَةِ إِلَى حِفْظِ ثَانٍ يَكُونُ بِمُحَاسَبَةٍ مِنْ صِفَتِهَا أَنَّهَا لَا تُبْقِي وَزَرَ بَيْنَ عَيْنَيْ قَلْبٍ صَاحِبِهَا . « شرح الفاسي » (ص ٧٥) .

٥٥- بِحِفْظِكَ لِلْأَنْفَاسِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَوَصَفِ الْخَوَاسِ الْخَمْسِ بِالضَّبْطِ وَالْحَضَرِ^(١)

٥٦- وَأَنْ تَكُ لِلْأَوْقَاتِ رَاعٍ وَمُؤَثِّرًا لِكُلِّ مُهِمٍّ فِي السَّمَاخَةِ وَالْقَهْرِ^(٢)

٥٧- وَفِي التَّوْبِ حَالُ الْخَوْفِ وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا فَأَكْرِمْ بِهِ لِلْحَقِّ مِنْ تَائِبٍ بَرًّا

٥٨- وَفِيهِ مَقَامُ الْخَوْفِ وَالصَّبْرِ وَالرِّضَا كَذَاكَ الرَّجَاءُ الْمَدُّ أَوْلَى مِنْ الْقَصْرِ^(٣)

مَقَامُ الْمُرَاقَبَةِ

٥٩- وَيَلْزَمُ عَنْهُ أَنْ يُرَاعِيَ سِرَّهُ فَلَا خَاطِرٌ مُزِرٍ عَلَيْهِ بِذِي أَمْرِ^(٤)

(١) المراد بالخمس هنا : الأذن ، والعين ، والفم ، واليد ، والرجل . « شرح الفاسي » (ص ٧٤) .

(٢) قوله : (وَأَنْ تَكُ) الأصل : (وَأَنْ تَكُونَ) ، والجزم بـ (أَنْ) ذكره بعض الكوفيين وأبو عبيدة عن بعض العرب ، ونقله اللخنياني عن بعض بني صباح من ضَبَّةً ، وأنشدوا عليه :

إِذَا مَا غَدَوْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلِنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطِبُ
وقوله : (رَاعٍ) هو خبر (تَكُ) فحَقُّه النصبُ بفتحة ظاهرة ، إلا أَنَّهُ سَكَنَ الياء على لغة ؛ ومنه قول الشاعر :

وَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيِمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا
وهو جائزٌ في السَّعة كما صحَّحه الصَّبَّان ؛ بدليل قراءة جعفر الصادق : (من أوسط ما تطعمون أهاليكم) بسكون الياء . انظر « مغني اللبيب » (٤٣ / ١) ، و« حاشية الصَّبَّان » (١٧٤ / ١) .

(٣) قوله : (وَالْمَدُّ أَوْلَى مِنَ الْقَصْرِ) زيادةٌ بيانٍ في مُعَادِ الإشارة ، على أَنَّ فيه توريةً ؛ وهو أَنْ يُطْلَقَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ قَرِيبٌ وَبَعِيدٌ وَيُرَادُ الْبَعِيدُ اعْتِمَادًا عَلَى قَرِينَةٍ [خَفِيَّةٍ] ، وذلك موجودٌ هنا ؛ فَإِنَّ الْمَتَبَادَرَ مِنْ سَمَاعِ هَذَا التَّرَكِيبِ كَوْنُ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ مِنْ صِفَتَيْ اللَّفْظِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَقَامَ الرَّجَاءِ مَدُّهُ وَجَعَلُهُ حَالًا وَمَقَامًا فِي التَّوْبَةِ . . أَوْلَى مِنْ قَصْرِهِ عَلَى الْمَقَامِ فَقَطْ ، وَقَرِينَةُ [الْبَسْطِ] تُعَيِّنُ هَذَا الْمَعْنَى الْبَعِيدَ . « شرح الفاسي » (ص ٧٦-٧٧) .

(٤) قوله : (وَيَلْزَمُ عَنْهُ) الضمير في (عنه) يعود على المحاسبة وعلى التوبة على ما هي =

٦٠- مُلَاحَظَةٌ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَفِي لَفْظَةٍ لَوْ لَمْ يَفْهُ بِسَوَى عَمْرٍو^(١)

مَقَامُ الْوَرَعِ

٦١- وَهَذَا مَقَامٌ لَا يَفُوزُ بِدَرْكِهِ سَوَى وَرَعٍ فِي صَفْوِ بَاطِنِهِ يَسْرِي^(٢)

٦٢- وَلَا وَرَعٌ حَقٌّ وَلَا مُتَوَرِّعٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالصَّبْرِ مُعْتَصِدًا الْأَزْرِ^(٣)

٦٣- فَصَبْرٌ عَلَى النِّعَمَاءِ مِنْهُ إِذَا سَمَتْ إِلَيْكَ سُمُو الطَّيْرِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^(٤)

٦٤- وَصَبْرٌ عَلَى الضَّرَاءِ يَبْلُغُ أَنْ يَرَى سَوَاءً إِلَيْهِ وَارِدَ النَّفْعِ وَالضَّرِّ

٦٥- فَمَا يَغْتَنِي إِلَّا بِمَا بَانَ أَصْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لَيَالِي فِي الشَّهْرِ^(٥)

٦٦- فَلَا تَكُ مِمَّنْ لَا يُفَارِقُ حُبْرَهُ فَدِيمَةُ جُودِ الْحَقِّ دَائِمَةُ الْقَطْرِ^(٦)

= عليه . « شرح الفاسي » (ص ٧٨) .

(١) بَقَّةٌ ؛ أَي : يَنْطِقُ .

(٢) قَوْلُهُ : (وَهَذَا) ؛ أَي : مَقَامُ التَّوْبَةِ بِمُقَدِّمَاتِهِ وَمُتَمِّمَاتِهِ .

(٣) أَي : وَلَا ثُبُوتَ لِمُتَصِفٍ بِصَرِيحِ الْوَرَعِ وَلَا لِمُحَاوِلٍ لَهُ وَمُتَكَلِّفٍ حَصُولَهُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الشَّخْصُ مُعَانًا بِالصَّبْرِ وَمَشْدُودَ الظَّهْرِ بِهِ ؛ فَقَوْلُهُ : (وَلَا وَرَعٌ) ؛ أَي : وَلَا ذُو وَرَعٍ .

(٤) أَي : وَبَيَانُ كَوْنِهِ مَشْدُودَ الظَّهْرِ بِالصَّبْرِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى أَنْوَاعِ الرِّفْقِ وَالْإِكْرَامِ ، وَضُرُوبِ الْإِمْتِنَانِ وَالْإِنْعَامِ ، وَلَا يَزْدَرِي بِسَبَبِ ذَلِكَ وَاحِدًا مِنَ الْأَنْامِ ، وَقَصَدَ بِالْبَرِّ : النِّعَمَ الظَّاهِرَةَ ، وَبِالْبَحْرِ : الْمُنْحَ الْبَاطِنَةَ . انْظُرْ « شرح الفاسي » (ص ٨٦) .

(٥) قَوْلُهُ : (فَمَا يَغْتَنِي) الْفَاءُ فَاءُ النِّتِيجَةِ بِالصَّبْرِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ قَبْلُ ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : (فَلَا تَغْتَنِي) ، وَالْفَاءُ عَلَيْهِ فَصِيحَةٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْوَرَعَ . . قَدَّرَ سَائِلًا سَأَلَهُ عَنْ بَيَانِ مُتَعَلِّقِهِ لِيَسْتَعْمَلَهُ فِيهِ ، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتَ ذَلِكَ فَلَا تَغْتَنِي . . إِلَى آخِرِهِ ، وَاسْمُ (يَكُنْ) يَعُودُ عَلَى الْإِغْتِذَاءِ الْمَفْهُومِ مِنَ الْفِعْلِ (يَغْتَنِي) . انْظُرْ « شرح الفاسي » (ص ٨٨) .

(٦) أَي : لَا تَكُنْ أَثِيهَا الْمَرِيدُ مِنَ الَّذِينَ هُمُّهُمْ بَطْنُهُمُ الْمُتَلَازِمِينَ لِحُبْزِهِمْ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَطْعُومَاتِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ ، بَلِ اقْتَدِ بِنَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَوْنِهِ كَانَ لَا يَذْخِرُ لَغَدٍ وَيَنْهَى عَنْهُ ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ مَطَرَ عَطَاءِ اللَّهِ وَجُودِهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُطُ ، وَشَامِلٌ لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ .

- ٦٧- وَفِي النَّاسِ مَنْ لَا يَنْتَمِي لِتَوَرُّعٍ وَيَكْفِيهِ عِنْدَ الْجُوعِ مِصْرُ نَوَى التَّمْرِ^(١)
- ٦٨- وَأَيُّ يَقِينٍ فِي أَدْخَارِكَ كِسْرَةً لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا عِيبَ مِنْ أَوْعَفِ الذَّرِّ^(٢)
- ٦٩- وَأَقْبَحُ مِنْهُ أَنْ تُقَدِّمَ لِلْقَرَى سِوَاهَا وَتُبْدِي التُّكْرَ فِيمَا بِهِ تَقْرِي^(٣)
- ٧٠- وَإِنْ كُنْتَ فِي الْأَسْفَارِ كَانَ مَكَانُهَا أَمَامَكَ دُونَ الْكُلِّ مِنْ سَفَرِ السَّفَرِ^(٤)
- ٧١- وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ مِنْكَ لِيَصْنَةَ فَلِلْبُخْلِ مِنْهُ جَانِبٌ غَيْرُ مُزَوَّرٍ^(٥)

(١) أي : وفي الناس من لا ينتسب لتورُّع ومع ذلك فإنه يكفيه عند الجوع مصْرُ نوى التمر ، ويقصدُ بهم الأعراب وسكَّان القفار والفيافي الذين اعتادوا ذلك بحكم العادة التي جُبلوا عليها ، لا ثقةً بالرازق جلَّ جلاله ، فإذا كان هؤلاء كذلك فالمريدُ أولى أن يُسارعَ إلى هذه الخصلة .

(٢) الذَّر : صغار النمل ، وقد عدَّد الشيخ أبو طالب والإمام الغزالي رضي الله عنهما من يذخر من الحيوانات ، وذكرهم في سياق الذمِّ ؛ فقالا : (وقد قيل : لا يذخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة ، والنملة ، وابن آدم) . انظر « شرح الفاسي » (ص ٩٢) .

(٣) أي : وأقبحُ من ادِّخار الكِسرة ألا تُقدِّم للضيف سواها ؛ لكونك لا تجد في الوقت غيرها ، ثم تُظهِر التحقير لما قدَّمته ؛ لكونه قليلاً أنزلَ مِنْ قَدْرِ الْمُقَدِّمِ إليه ، فـ (تقدم) على تقدير (لا) ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَتَيْنِ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ [النساء : ١٧٦] ، أو دون تقدير ، ومعناه ذكره الفاسي في « شرحه » ، وقوله : (تُبْدِي) حقُّه بفتح الباء ؛ لكونه معطوفاً على المنصوب ، إلا أنه سَكَنه للضرورة ، ودليل هذا البيت : ما أورده الشَّهْرُورُدي عن أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أنهم كانوا يقولون : (ما ندري أيُّهم أعظمُ وزراً ؛ الذي يحتقرُ ما يُقدِّم إليه ، أو الذي يحتقرُ ما عنده أن يُقدِّمه) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ٩٣) .

(٤) هذا البيت داخلٌ في الأقبحية أيضاً ، والسُّفَر : جمع (سُفْرة) ؛ وهي ما يُوضَع عليه الطعام ، والسُّفَر : جمع (سافر) ؛ كـ (رَكِبَ وراكب) ، والهَاءُ في (مكانها) راجعة على السفرة ، وعلى هذا التفسير والبيان فمعنى البيت واضح .

(٥) أي : وكونُ مكانِ خبزك أمامَكَ دُونَ مَنْ مَعَكَ من رفقاءك وإنْ فَرَضْنَا أَنَّهُ صَدَرَ مِنْكَ [لا] لأجل بخلٍ وشُحٍّ . فللبخل فيه جانبٌ قائم معتدل غير مائل ؛ أي : هو فعلٌ صورته واضحة الدلالة على البخل وقلة المروءة ، وهو كذلك . « شرح الفاسي » (ص ٩٤) .

- ٧٢- وَلَنْ يَخْلُصَ إِلَّا خَلَاصُ يَوْمٍ لِّتَارِكِ طَعَامًا لِّمَا ضَاهَاهُ كَالْأَرْزِ وَالْبُرِّ^(١)
- ٧٣- وَفِي كُلِّ مَطْعُومٍ وَفِي كُلِّ مَلْبَسٍ تَوَرَّعَ أَصْحَابُ التَّوَرَّعِ لَوْ تَذَرِي
- ٧٤- فَلَا تَكُ مِمَّنْ خَصَّ بِالْبَعْضِ حُكْمَهُ وَأَهْمَلَهُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ الْقَدْرِ
- ٧٥- وَفِي الْبَقْلِ يَجْرِي حُكْمُهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَفِي الْمِلْحِ وَالْكَثْمُونِ وَالسَّعْتَرِ الْبَرِّي
- ٧٦- وَفِي الْخَلِّ وَالْمَاءِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ وَلَا سِيَّما مَاءِ الصَّهَارِيحِ فِي الثَّغْرِ^(٢)
- ٧٧- وَمَنْ كَانَ هَذَا عَنْ يَقِينٍ مَقَامَهُ فَلَا يَشْتَرِي شَيْئًا بِنَقْدٍ وَلَا يَشْرِي^(٣)

مَقَامُ الزُّهْدِ

- ٧٨- وَقَدْ جَاءَ وَقْتُ الزُّهْدِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا مَكَانَكَ بَيْنَ السَّخْرِ مِني وَالنَّخْرِ^(٤)

(١) الْأَرْزُ : لغة في (الْأُرْزُ) ، والْبُرُّ : القمح ؛ أي : ولن يَخْلُصَ ويصفو ويثبت الإخلاصُ حيناً من الأحيان لمن ترك طعاماً كان عنده من غير عُذْرٍ أَحْوَجُهُ لتركه إلى طعامٍ آخَرَ ، وتكلَّفَ إحضاره ؛ وذلك كترك الرُّزِّ للْبُرِّ أو العكس . « شرح الفاسي » (ص ٩٥) .

(٢) ذكر في هذا البيت وما قبله بعض ما يُتَوَرَّع عنه ؛ وهو ما ينبئ بنفسه أو يُسْتَنْبَت ؛ لأنَّه قد يكون مجهولاً أربابُهُ ، أو معلوماً ولم يُصَرِّحُوا بالأخذ منه ، والخلُّ ؛ لأنَّه قد يكون أصلُهُ خمرًا فتخلَّل بفعل الغير ، فيحصلُ فيه خلاف ، والماء الذي يُبْنَى في الطرقات وخصوصاً ماء الصَّهَارِيح التي تكون في الثغور ؛ وهي ما بينها السلاطينُ غالباً ؛ لأنها قد تكون مغسوبة ، أو مجهولاً أصلُها ، أو غير ذلك ، فينبغي أن يحتاطَ في ذلك جميعه .

(٣) ذكر في هذا البيت مَنْ رسخت في الورع قدمُهُ ، وصار يجري فيه مَجْرَى الدم ، وهذا النوع نادرٌ في خير القرون فضلاً عن زماننا هذا ؛ ولذلك كان سيِّدي سَرِي السَّقْطِي رضي الله عنه يقول : (كان أهلُ الورع في وقتهم أربعةً : حُذيفة المرعشي ، ويوسف بن أسباط ، وإبراهيم بن أدهم ، وسليمان الخوَّاص ، فَتَطَرَّوْا في الورع ، فلمَّا ضاقت عليهم الأمورُ فَرَّعُوا إلى التعلُّل) ، وقوله : (بنقد) خرج مخرج الغالب ، وإلا فالمراد : أنَّه لا يبيع ولا يشتري مطلقاً ؛ لقلة الحلال المحض الخالص ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٠٠) .

(٤) السَّخْرُ : الرِّثَّة ، والنَّخْرُ : موضع القلادة من الصدر ؛ أي : جاء وقتُ الزهد وحن =

٧٩- خَلَوْتُ عَنِ الْأَمْلَاقِ طُرّاً فَلَا أَرَى أَمِيلُ إِلَى مَلِكٍ وَلَوْ كَانَ ذَا خَطَرٍ^(١)

٨٠- لَكَ الصَّبْرُ عَنْ حَمْدِ الْوَرَى وَلَكَ الشَّا وَلَا خَيْرَ فِي عِزٍّ يُفَارِقُ فِي الْحَشْرِ^(٢)

مَقَامُ التَّوَكُّلِ

٨١- وَإِنَّ مَقَامَ الزُّهْدِ مَا حَلَّهُ سَوَى بَرِيءٍ مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْحَوْلِ وَالْجَبْرِ^(٣)

٨٢- يُشَاهِدُ وَعَدَ الْحَقِّ عَيْنَ يَقِينِهِ فَلَا أَمْنٌ فِي وَفْرِ وَلَا خَوْفٌ فِي فَقْرٍ^(٤)

٨٣- فِي التَّوْبِ وَالزُّهْدِ الْمَقَامَاتُ كُلُّهَا فَرَوْضُهُمَا مِنْ طَيْبِهِ عَبَقُ النَّشْرِ^(٥)

مَقَامُ الْعُبُودِيَّةِ

٨٤- وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تُدَاوِمَ كُلَّ مَا تَكُونُ بِهِ عَبْدًا إِلَى آخِرِ الْعُمْرِ

= أَوَانُهُ ، وصادف محلاً لقبوله ؛ لإحكام الركن الأول ، والبلوغ في الورع إلى ترك الكل والإقبال على الله تعالى .

(١) الخطر - ويحرك - : الشرف والمال والمنزلة .

(٢) الورى : الخلق ، واللام في قوله : (لك) في كلا الموضعين : بمعنى (على) ؛ أي : يجب عليك الصبر عن حمد الخلق وثنائهم عليك اللذين سيجلبان لك العز في الدنيا والشرف ؛ فإنَّهُما لا خير فيهما ؛ لأنَّهُما سيفارقانك في الآخرة ، ولن ينفعك فيهما إلا عملك ، وهذا الصبر داخل في الزهد ومُشمِّلٌ عليه .

(٣) الجبر : الاستطاعة والقوة وارتفاعُ القدر ، وأصل البيت : ما ذكره الشهرُوردي في (٢ / ٤٨٥) عن سيدي الجنيد رضي الله عنه أَنَّهُ قال : (الزهد : خُلُوُ الأيدي مِنَ الأملاك ، والقلوبِ مِنَ التَّبَعِ) .

(٤) الوفّر : المال والمتاع الكثير الواسع ؛ أي : لا فرق عنده بين حالي الفقر والغنى ؛ لو توفّق قلبه بما وعد الله ، واطمئنّاه بذلك .

(٥) الضمير في (طيبه) : يعود على الرّؤوس والمقامات بتأويل ما ذكر . « شرح الفاسي » (ص ١١٧) ، وَعَبَقُ النَّشْرِ : ظهور وانتشار الرائحة الطيبة ، ولهذا البيت بشارَةٌ عظيمة ضمن قصّة بديعة ، وقد ذكرتها في (١٢١ / ١ - ١٢٢) .

- ٨٥ - وَتُكْمِلَ أَرْكَانَ الْوِلَادَةِ فَاخْتَرِقُ بِهَا مَلَكُوتَ السَّبْعِ مِنْ غَيْرِ مَا حَجَرَ^(١)
- ٨٦ - وَمِنْ خَيْرِ مَا تُعْطَى الدَّوَامُ فَلَا تَزَلْ تَطِيرُ إِلَى الْعَلْيَا بِأَجْنَحَةِ الشُّكْرِ^(٢)
- ٨٧ - فَلَا تَكُ إِلَّا تَالِيًا أَوْ مُصَلِّيًا وَدَائِمَ ذِكْرِ الْقَلْبِ أُيَّدَ مِنْ ذِكْرِ^(٣)
- ٨٨ - وَأَفْضَلُ ذِكْرِ الْمَرْءِ حِينَ لِقَائِهِ حُضُورٌ يَغِيبُ الذِّكْرُ فِيهِ عَنِ الذِّكْرِ^(٤)
- ٨٩ - فَإِنْ يَكُ تَلْوِينٌ فَذُو الْعِلْمِ حَسْبُهُ مُحَاضِرَةٌ مِنْ خَلْفٍ مُنْسَدِلِ السُّرْرِ^(٥)
- ٩٠ - وَإِنْ يَكُ ذَا عَيْنٍ الْيَقِينِ فَحَظُّهُ مُكَاشَفَةٌ جَلَّتْ عَنِ النَّظَرِ الْفِكْرِ

(١) أركان الولادة : هي الإيمان ، والتوبة النصوح ، والزهد ، وتحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ، والمراد بالولادة هنا : الولادة المعنوية ؛ وهي الخروج من مشيمة النفس وبطن العادة والتقييد بعالم الملك إلى عالم الملكوت وفضاء القدرة . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٢١-١٢٢) .

(٢) أي : الدوام على أسباب العبودية لله في الظاهر والباطن . . من أفضل ما تُعطاه وتنالُه أيها السالكُ طريق الآخرة ، فابقِ مُستمرَّ الصعود إلى معالي الأمور بأجنحة شكر الله سبحانه وتعالى على ما أولاك من المنن ، وأسدي إليك من المنح ، وفي بعض النسخ : (السُّر) بدل (الشكر) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٢٤) .

(٣) قوله : (أُيَّدَ مِنْ ذِكْرِ) كان أصل التركيب : (أُيَّدَهُ اللهُ مِنْ ذَاكِر) ؛ فـ (ذَاكِر) تمييزٌ لضمير المفعول أظهرت معه (مِنْ) ، وذلك جازٍ في تمييز العدد والتمييز المنقول من الفاعل ، وليس لهذا منهما ، ثم بُني لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعلهُ . « شرح الفاسي » (ص ١٢٥) .

(٤) أي : وأفضلُ ذِكْرِ المرء حين يكون قلبه حاضراً حضوراً يغيبُ فيه عن الذِّكْرِ نفسه وعن غيره من المخلوقات ؛ فلا يبقى له عن نفسه إخبار ، ولا مع غير الله قرار . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٢٧) .

(٥) التلوين : صفة أرباب الأحوال ، ومعناه : ما اقتضاه لفظه من الانقلاب وعدم الثبات على صفة واحدة ، بل كلُّ وارِدٍ يَرُدُّ عليه يصرفه على مُوجِبِهِ وحكمه ، وهو صاحبُ مقام علم اليقين ، فحسبُ صاحبِ هذا المقام من حضوره المحاضرة التي هي النظرة من وراء حجاب وجوده المَرَّخِيِّ بينه وبين ربِّه . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٢٩-١٣٠) .

- ٩١- وَإِنْ يَكُ تَمَكِينٌ فَذُو الْحَقِّ حَقُّهُ مُشَاهِدَةٌ مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ وَلَا سِتْرٍ^(١)
 ٩٢- يُشَاهِدُ أَنْوَارَ التَّجَلِّي حَقِيقَةً فَلَا خَوْفَ يَوْمًا مِنْ حِجَابٍ وَلَا سِتْرٍ
 ٩٣- يُشَاهِدُهَا سِرُّ الَّذِي ذَكَرُ قَلْبِهِ عَتِيدٌ وَإِنْ كَفَّ اللَّسَانَ عَنِ الذِّكْرِ^(٢)

مَقَامُ الْمَحَبَّةِ

- ٩٤- وَلِلْكَلِّ مِنْ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ شَرْبَةٌ سَرَتْ فِيهِ سَرَى الْمَاءِ فِي الْغُصْنِ النَّضْرِ^(٣)

[الْمَحَبَّةُ عِنْدَ صَاحِبِ عِلْمِ الْيَقِينِ]

- ٩٥- فَذُو الْعِلْمِ طَوْعُ الْحُبِّ وَالْحُبُّ عِنْدَهُ مُوَافَقَةُ الْمَحْبُوبِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ^(٤)
 ٩٦- فَلَوْ قَالَ طَأْ فِي النَّارِ وَالنَّارُ جَمْرُهَا لَهُ لَهَبٌ يَرْمِي الشَّرَارَةَ كَالْقَصْرِ
 ٩٧- لَمَّا كَانَ لَمْحُ الْبَرْقِ أَسْرَعُ مَا يُرَى بِأَسْرَعَ مِنِّي فِي أُمْتِثَالِي لِلْأَمْرِ^(٥)
 ٩٨- وَلِي مِنْهُ بُشْرَى لَوْ حَلَلْتُ بِقَعْرِهَا أَبْتُ لِي أَنْ أَدْرِي بَبَرْدٍ وَلَا حَرٍّ^(٦)

- (١) التمكين : صفة أهل الحقائق والرسوخ الذين وصلوا إلى مقام حق اليقين .
 (٢) العتيد : الحاضر المهيأ ، وفي بعض النسخ تقديم هذا البيت على ما قبله ، والمثبت أولي وأنسب على ما وضّحه الفاسي في « شرحه » (ص ١٣٤) .
 (٣) قوله : (للكل) ؛ أي : لكل واحد من المقامات الثلاثة السابقة ؛ وهي علم اليقين ، وعينه ، وحقّه ، والنّضر : الحُسن والرّونق .
 (٤) قوله : (فذو العلم) ؛ أي : صاحب المقام الأوّل ؛ وهو علم اليقين .
 (٥) قوله : (أسرع) حال ، وقوله : (بأسرع) خبر (كان) ، وفي معنى هذا البيت : ما قاله سلطان العاشقين عمر بن الفارض رحمه الله تعالى : (من الوافر)

- ولو عذبّنتني في النار حَتْمًا دَخَلْتُ مُطَاوِعًا وَسَطَ الْجَحِيمِ
 إِذَا كَانَ الْجَحِيمُ رِضَاكَ عَنِّي فَمَا ذَاكَ الْجَحِيمُ سِوَى النِّعَمِ
 (٦) أي : لي من الله تعالى بُشْرَى بإثابتي على العمل القليل بما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطرَ على قلب بشر ، وهذه البُشْرَى استولت على أحاسيسي ؛ حتى لو حللتُ معها بقعر جهنّم لغيّبتني عن الإحساس بآلمها ، والمبالاة ببرد زمهريرها وحرّها =

الفناء عند صاحب علم اليقين

٩٩- وَإِنَّ وُجُودِي أَنْ أَرَى فِيكَ فَانِيًا وَلَا حَظَّ لِي مِنْ دُونِ أَمْرِكَ فِي أَمْرٍ

القُرْبُ وَالْأُنْسُ

١٠٠- فَطَاعَتُهُ قُرْبِي وَأُنْسِي عِبَادَتِي فَلَا أُنْسَ إِلَّا فِي الْعِبَادَةِ لِلْحُرِّ

التَّجَلِّي بِطَرِيقِ الْأَفْعَالِ

١٠١- أَرَى بِطَرِيقِ الْفِعْلِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَجُودَ يَقِينٍ مِنْ وُجُودِكَ فِي سِرِّي^(١)

١٠٢- فَأَنفِي صُدُورَ الْفِعْلِ عَنْ كُلِّ مُمَكِّنٍ وَأَبْقَى عَلَى حُكْمِ الْمَشِيئَةِ فِي أَمْرِي^(٢)

التَّجَلِّي بِطَرِيقِ الصِّفَاتِ

١٠٣- وَهَذَا مَقَامٌ فِي الْوُصُولِ وَفَوْقَهُ مَقَامَاتُ أَقْوَامٍ عَلَا قَدْرُهُمْ قَدْرِي

= لَهَا ، كما رُوي أَنَّ امرأةً فَتَحَ الموصلي عَثْرَتَ فَانْقَطَعَ ظَفَرُهَا ، فَضَحَكَتْ ، فَقِيلَ لَهَا :
أَمَا تَجْدِينَ الِوَجَعَ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ لَذَّةَ ثَوَابِهِ أَزَالَتْ عَن قَلْبِي مَرَارَةً وَجَعَهُ ، وَانْظُرْ « شرح
الفاسي » (ص ١٤٣) .

(١) أَي : أَرَى وَأَجِدُ يَا مَوْلَايَ بِطَرِيقِ تَجَلِّي فَعْلِكَ وَظَهْوَرِ أَثَرِكَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَطَرَفَةٍ .
وَجُودَ يَقِينٍ وَزِيَادَةَ اطمئنانٍ فِي سِرِّي ؛ مِنْ أَجْلِ وَجُودِكَ فِي ذَلِكَ الْمَلْحُوظِ بِعُمُومِ
التَّصَرُّفِ ابْتِدَاءً وَدَوَاماً ، وَفِي تِلْكَ الطَّرْفَةِ . « شرح الفاسي » (ص ١٤٨) .

(٢) شَطْرَهُ الْأَوَّلَ وَاضِحٌ ، وَمَعْنَى شَطْرِهِ الثَّانِي : أَنَّنِي أَبْقَى فِي شَأْنِي عَلَى حُكْمِ الْإِرَادَةِ
الْإِلَهِيَّةِ وَالْمَشِيئَةِ السَّابِقَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، مُقْطُوعَ الْاعْتِمَادِ وَالِاسْتِنَادِ لغيرِكَ ، لَا وَقُوفَ لِي إِلَّا
بِبَابِكَ ، وَلَا لَوَازِ إِلَّا بِجَنَابِكَ ، غَيْرَ مُتَطَلِّعٍ لغيرِكَ ، نَازِلاً لِفَضْلِكَ ، مُنْتَظِراً لِأَمْرِكَ ،
رَاضِياً بِقَضَائِكَ ، سَاكِناً تَحْتَ مَجَارِي أَقْدَارِكَ ، مُسْتَسْلِماً لِحُكْمِكَ . « شرح الفاسي »
(ص ١٤٨) .

الشوق إلى الله

١٠٤- وَإِنَّ أَشْتِيَاقِي نَحْوَهَا لَيَطِيرُ بِي لِأَقْرَبَهَا مِنِّي بِأَجْنَحَةِ النَّسْرِ^(١)

[المحبة عند صاحب عين اليقين]

١٠٥- وَذُو أَلْعَيْنِ لِأَسْتِيْلَاءِ سُلْطَانِ حَالِهِ عَلَيْهِ لَهُ سُكْرٌ يَزِيدُ عَلَى الشُّكْرِ^(٢)

١٠٦- أَدَارَ عَلَيْهِ الْحُبُّ كَأْسَ مُدَامِهِ فَلَا سُكْرَ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ مِنْ خَمَرٍ^(٣)

القبض والبسط

١٠٧- وَلَا بَسْطَ إِلَّا فِي أَوَائِلِ حَالِهِ فَلَا صَدْرَ فِي قَبْضٍ وَلَا قَبْضَ فِي صَدْرٍ^(٤)

الغلبة

١٠٨- وَفِي غَلَبَاتِ الْوَجْدِ مَكْنُونُ سِرِّهِ مُذَاعٌ فَلَا سَدْلٌ بِسِتْرِ عَلَى سِرِّ^(٥)

(١) في نسخة : (ليصيرني) بدل (ليطير بي) ، وفي أخرى : (الشكر) بدل (النسر) ، وفي ثالثة : (النشر) ، وفي هذا البيت نهى بغير صيغة على الوقوف في مقام من المقامات ، أو حالة من الحالات ، أو تبرزج ظواهر كائنات ، وأمر بغير صيغة أيضاً بالتسبب ما أمكن في الارتقاء وطلب المزيد ، والعبد لا يزال سائراً أبداً إلى أحضر حضرات الوصول أو فيها . « شرح الفاسي » (ص ١٥٠-١٥١) .

(٢) أي : لصاحب عين اليقين سكرٌ يزيد على سكر صاحب علم اليقين ؛ وذلك بسبب ما فاجأه وسطع من نور جمال محبوبه ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٥٤) .

(٣) هذا البيت بيانٌ لمنشأ الاستيلاء السابق ، ومعنى شطره الثاني : أنه لا سكر حاصل من شرب الخمر المعهودة وإن بلغ بصاحبه ما بلغ . . إلا دون السكر الحاصل لمن شرب كأس المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونعوت الكمال . « شرح الفاسي » (ص ١٥٥) .

(٤) المراد بالصدر هنا : قلب السائر إلى الله تعالى ، والبسط : واردٌ من الحق ينزل بالعبد فيمازجه وينصبغ به انصباعاً بحيث لا يمكنه التخلُّف عن موجهه ، والقبض كذلك . « شرح الفاسي » (ص ١٥٦) .

(٥) أي : صاحب هذا المقام مكنونٌ سرٌّ محبته مُذاعٌ عند غلبة الوجد عليه ، فلا سدل له =

١٠٩- وَمُظْهِرُ هَذَا الْحُبِّ يُوشِكُ أَنْ يُرَى قَتِيلًا لِمَحْبُوبٍ يَغَارُ عَلَى السِّرِّ^(١)

[الفناء عند صاحب عين اليقين]

١١٠- وَإِنَّ وَجُودِي فِي فَنَائِي فَإِنَّهُ فَنَاءُ صِفَاتِ النَّفْسِ عَنْ مَحْكَمِ الْبَشْرِ^(٢)

المَحْوُ والإِثْبَاتُ

١١١- وَفِيهِ لَنَا مَحْوٌ وَإِثْبَاتُنَا لَدَى طُلُوعِ كُؤُوسِ الْحُبِّ كَالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ^(٣)

١١٢- تَجَرَّدْتُ عَنْ كُلِّي وَعَنْ كُلِّ خَاطِرٍ يُلِمُّ سِوَى الْمَحْبُوبِ بِالْقَلْبِ وَالْفِكْرِ^(٤)

= ولا تغطية بستر ما من الأستار ، كما يفعله الأصحاء أرباب التمكين على أسرار الحق التي منحهم إيّاها ، وهو معذور في تلك الإذاعة ؛ لسقوط التكليف عنه حيثئذ .

(١) في بعض النسخ : (سر الحب) بدل (هذا الحب) ؛ أي : ومُظْهِرُ هَذَا الْحُبِّ وهو قادرٌ على كتمانهِ يوشِكُ وَيَقْرُبُ أَنْ يُرَى قَتِيلًا حَقِيقَةً ، أو معنى بإبعاده وسَلْبِهِ ، وقد يتفق له الاثنان والعباد بالله تعالى ، فيخسر الدنيا والآخرة ؛ وذلك لإظهاره أسرار الحق التي يُودِعُها قلوب أوليائه ، وبَذْلِهَا لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا ، ومن النوع الأول : الحسين بن منصور الحلاج الذي أظهر أسرار المحبة فأدّى إلى صَلْبِهِ وقَتْلِهِ ، وفي ذلك يقول بعضهم : (من الوافر)

فَمَنْ شَهِدَ الْحَقِيقَةَ فَلْيَصْنُهَا وَإِلَّا سَوْفَ يُقْتَلُ بِالسَّنَانِ
كحَلَّاجِ الْمَحَبَّةِ إِذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ بِالتَّدَانِي

وكلامنا عن الحلاج سيأتي مُفَصَّلًا في (٣٠١ / ١ ، ٥٢٠ / ٢) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٥٩ - ١٦١) .

(٢) في بعض النسخ : (في فناء فنائه) بدل (في فنائي فإنه) ، والبشر : بإسكان الشين للوزن ؛ أي : إِنَّ وَجُودِي وبقائي ثابتٌ في عين فنائي ؛ وذلك بأن تَفْنِي صِفَاتُ نَفْسِي وتضعف أن تكون حاكمة عليّ وقاهرة لي ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٦٢) .

(٣) قوله : (وفيه) ؛ أي : في مقام عين اليقين ، والمَحْوُ عند القوم : عبارة عن إزالة معلولات النَّفْسِ ورفع أوصافها على مراتب أهلها ؛ فهو بمعنى التخلية ، والإِثْبَاتُ : كناية عن الإتيان بدل ذلك بالأوصاف الحميدة ؛ فهو بمعنى التحلية . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٦٤) .

(٤) التجرّد : التعرّي عن الشيء والخروج عنه ، وعن كُلِّي : عن دائرة حسيّ وحكم وجودي ، ويُلِمُّ : مضارع (أَلَمَ) ؛ أي : نزل . « شرح الفاسي » (ص ١٦٥) .

القُرْبُ

١١٣- تَعَرَّفْتُ مِنْهُ الْقُرْبَ وَهُوَ مُؤَيَّدٌ بِهِ فَوْجُوهُ اللَّطْفِ ظَاهِرَةُ الْبَشْرِ^(١)

التجريدُ والتفريدُ

١١٤- وَلِي مِنْهُ تَجْرِيدٌ وَتَفْرِيدٌ غَائِبٌ عَنْ الْكَسْبِ لَا يَذْرِي بِشَفْعٍ وَلَا وَثَرٍ^(٢)

الحُضُورُ والغَيْبَةُ

١١٥- وَهَآنَا مِنْهُ حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ وَلِي غَيْبَةٌ بِالْحَقِّ عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي^(٣)

الْجَمْعُ والْفَرْقُ

١١٦- وَإِنِّي بِهِ فِي عَيْنِ جَمْعٍ فَإِنْ أَقِفْ لَدَيْهِ بِلَا فَرْقٍ فَإِنِّي فِي خُسْرِ^(٤)

(١) أي : تعرّفتُ من هذا المقام قُرْبَ محبوبي مِنِّي على ما يليقُ به والحالُ أَنَّهُ مُؤَيَّدٌ لي بذلك القُرْبَ وناصرٌ لي به ؛ يتولّاني ويُعينني حتى لا يراني حيث نهاني ولا يفقدني حيث أمرني ، ومن ثمرات هذا التأييد أَنَّهُ يَمُنُّ عليَّ بوجوه ألطافه الظاهرة ، وإنعاماته المتواترة .

(٢) التجريد : أن يتجرّد العبدُ عن الأغراض ، فلا يأتي ما أمر به ولا ينتهي عمّا نهى عنه نظراً إلى الأعواض في الدنيا والآخرة ، بل ما كُوشِفَ به من حقِّ العظْمةِ يُؤدِّيهِ حسبَ جهدهِ عبوديةً وانقياداً ، والتفريدُ : ألا يرى نفسه فيما يأتي به ، بل يرى مَنَّهُ الله عليه فيه ، وقوله : (بشفع ولا وثر) كُنِيَ بهما عن كُلِّ ما يجري بالعالم ؛ لاستغراق الزوج والفرد لذلك ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٧٠) .

(٣) الغَيْبَةُ : عدمُ الإشعار بالخلق ، والحُضُورُ : حُضُورُ الحقِّ بالقلب . « شرح الفاسي » (ص ١٧٢) .

(٤) الجمع : عين الفناء بالله ، والفرقة : العبوديةُ مُتَّصِلٌ بعضها ببعض ، وهو حكم الرُّوح ، والفرقةُ حكم القلب ، قال السُّهْرُورُدي في : (٥٥٥ / ٢) : (وقد غَلَطَ قومٌ ، وادَّعَوْا أَنَّهُمْ في عين جمع الجمع ، وأشاروا إلى صِرْفِ التوحيد ، وعطلوا الأسباب ، فترندقوا) ، وبهذا البيان يتَّضح معنى البيت .

[نفى الاتحاد]

- ١١٧- وَإِنْ أَعْتَقَادَ الْإِتِّحَادَ جَهَالَةً فَسَلْ عَنْهُ مَنْ يَذَرِيهِ إِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِي^(١)
 ١١٨- إِذَا كَانَ مَنْ لَا تَقْبَلُ الضَّدَّ ذَاتُهُ بِحَالٍ مُحَالٌ أَنْ يُرَى قَابِلَ الضَّرِّ^(٢)
 ١١٩- فَلَيْسَ يُجِيزُ الْإِتِّحَادَ بِرَبِّهِ سِوَى فَاقِدٍ لِلْعَقْلِ أَوْ جَاهِلٍ غَمَرِ^(٣)

التَّجَلِّي بِطَرِيقِ الصِّفَاتِ

- ١٢٠- إِذَا طَالَعَ الْقَلْبُ الْكَرِيمُ صِفَاتِهِ فَلِي أَنْسُ ذِي أَمْنٍ وَهَيْبَةٍ ذِي دُغْرِ^(٤)
 ١٢١- وَهَذَا مَقَامٌ فِي الْوُصُولِ وَفَوْقَهُ مَقَامٌ مُحِبٌّ دُونَهُ رُتْبَةٌ النَّسْرِ^(٥)

(١) الاتحاد لغة : صيرورة الذاتين أو الذوات ذاتاً واحدة ، وهو المراد هنا ؛ أي : وإن اعتقاد الاتحاد ، والاغترار في ذلك بظاهر ما وقع لمن يحسن بهم الظن - كما هو مسطور - . . جهالة من معتقديه ، وخلاف للحق نقلاً وعقلاً ؛ فإنه يؤدي لنفي الألوهية رأساً ، وإذا وقع ما ظاهره اتحاداً . . فسَلْ عنه مَنْ يذريه إن كنت جاهلاً ؛ ليبيته لك ويُرِيَلْ عن عقلك اللبس والوهم في ذلك . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٧٥) .

(٢) في بعض النسخ : (الضير) بدل (الضر) ، وكلاهما صحيح .

(٣) الغمر : الذي لم يُجَرَّبْ الأمور ، ولا خَبَرَ شيئاً منها ؛ فأشار المؤلف بقوله : (فاقِد للعقل) : إلى مَنْ فَقَدَ العقل الوهبي الذي يتفضل به الله سبحانه وتعالى بلا تعمُّل من العبد ولا تسبُّب ، وأشار بقوله : (أو جاهل غمر) : إلى مَنْ عنده نُبْذَةُ من العقل الوهبي ، إلا أنه عارٍ من العقل الكسبي التجريبي ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ١٧٦) .

(٤) أشار بالصفات : إلى الصفات الجمالية ؛ من الكرم والفضل والحلم والرحمة واللطف وغيرها ، والجلالية ؛ من العزة والبطش والسطوة وغيرها ؛ يريد : أنه في حال مُطالعة صفات جماله تعالى لا يأمنُ بطشه ومكره ، وفي حال مُطالعة صفات جلاله لا يغيبُ عنه فضلُه ورحمته .

(٥) أي : وفوق مقام عين اليقين في الوصول والمحبة . . مقام حق اليقين الذي ليس فوقه مقام إلا الزيادة منه والعروج في مراتبه ، وكلُّ مقام ورتبة فهي دونه وتحتة ، كمقام النسْر ورتبته في علوه ؛ فإنه لا ينالها ولا يرتقي إليها غيره من الطيور ، هذا ما يتعلّق بالفاظ البيت ، وأمّا المعاني والأسرار ، وما تحمله من الحِكم والأنوار . . فدونك كتابنا هذا « العوارف » ، و« شرح الفاسي » على هذه القصيدة ، ومثل ذلك يُقال في جميع أبيات =

[المحبة عند صاحب حق اليقين]

١٢٢- وَذُو الْحَقِّ لَمَّا طَالَعَ الذَّاتَ صَاحِباً بِرُوحِ سَمَاوِيٍّ لَدَى عَالَمِ الْأَمْرِ^(١)

حَالُ الْمَحَبَّةِ

١٢٣- سَقَتُهُ بِرَاحَاتِ الْمَحَبَّةِ رَاحُهَا فَلَوْلَا دَوَامُ الشُّرْبِ لَمْ يَصْحُ مِنْ سُكْرِ^(٢)

١٢٤- وَلَمَّا سَرَتْ فِي النَّفْسِ زَكَّتْ وَطَهَّرَتْ وَطَارَتْ بِرُوحِ الْبَرِّ فِي مَنَهِجِ الْبَرِّ^(٣)

١٢٥- فَمَدَّتْ إِلَيْهِ رَحْمَةً يَدَ جَاذِبٍ فَنَاهِيكَ مِنْ بَرٍّ وَنَاهِيكَ مِنْ بَشَرٍ^(٤)

تَجَلَّى الذَّاتِ

١٢٦- هُنَالِكَ لِلْأَوْصَافِ أَشْرَفُ خِلْعَةٍ عَلَيْهِ وَلِلْأَخْلَاقِ فَخْرٌ عَلَى فَخْرِ^(٥)

= هذه القصيدة النفيسة المباركة .

(١) عالم الأمر : عالم الأرواح ، يُقال له باعتبار عدم الوساطة ، وهو احتراز عن عالم الخلق الذي هو عالم الأشباح . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٨٢-١٨٣) .

(٢) الراح : الخمر ، سُمِّيَتْ بذلك : لأنها تُتَاوَل بالراحات ؛ وهي الأكفُ ، وقوله : (سَقَتُهُ ...) إلى آخره ؛ أي : سَقَتِ الذَّاتُ الْأَقْدَسُ هَذَا الْمَحَبَّ خَمْرَةَ الْحُبِّ وَدَاوَمَتْ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَلَوْلَا دَوَامُ الشُّرْبِ الْمَفْرَعُ عَنْ دَوَامِ سَقْيِهَا . لم يصح ولم يُفِقْ مِنْ غَلَبَاتِ سَكْرِهِ الْحَاصِلِ لَهُ قَبْلَ التَّدْرُبِ مَعَ خَمْرِهَا . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٨٥) .

(٣) قوله : (وَلَمَّا سَرَتْ) ؛ أي : الْمَحَبَّةُ أَوْ خَمْرُهَا ، وَالْبَرُّ : الْبَارِ ؛ أي : الْكَثِيرُ الْخَيْرِ الْمُتَقَرَّبُ إِلَى مَوْلَاهُ بِالنَّوَافِلِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ ، وَمَنْهَجُ الْبَرِّ : طَرِيقُ اللَّهِ ؛ فَالْبَرُّ الْأَوَّلُ : هُوَ الْعَبْدُ الْبَارُّ الْمَحَبُّ عَلَى حَسَبِ مَقَامِهِ ، وَالْبَرُّ الثَّانِي : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(٤) قوله : (فَمَدَّتْ) ؛ أي : الذَّاتُ الْكَرِيمَةُ ، وَالْمُرَادُ بِمَدِّ الْيَدِ : التَّنْبِيهُ عَلَى غَايَةِ التَّقَرُّبِ وَالْإِصْطِفَاءِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ الَّذِي هُوَ إِبْرَازُ الْمَعَانِي الْعَقْلِيَّةِ فِي الصُّوَرِ الْحَسِّيَّةِ قَصْداً إِلَى كَمَالِ السَّائِرِ ، وَإِلَّا فَالْمَدُّ وَالْيَدُ وَالْجَذْبُ الْحَسِّيَّاتُ مُتَنَفِيَةٌ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، وَقَوْلُهُ : (فَنَاهِيكَ) كَلِمَةٌ تُسْتَعْمَلُ فِي التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَمَعْنَاهَا : أَنَّ مَا بَعْدَ لِكَمَالِهِ فِي مَقَامِهِ يَنْهَاكَ عَنْ تَطَلُّبِ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٨٦-١٨٧) .

(٥) قوله : (هُنَالِكَ) ؛ أي : فِي هَذَا الْمَوْطِنِ وَالْمَقَامِ ، وَقَوْلُهُ : (لِلْأَوْصَافِ ...) ؛ =

١٢٧- وَهَذَا مَقَامٌ فِي الْوُصُولِ وَحِفْظُهُ بِيَاعِثِ شَوْقٍ مِنْ فُؤَادٍ عَلَى جَمْرِ^(١)

نفْيُ الْحُلُولِ

١٢٨- وَإِنَّ أَعْتِقَادَاتِ الْحُلُولِ ضَلَالَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ كُفْرٌ فَلَا يَخُلُ مِنْ كُفْرٍ^(٢)

١٢٩- وَلَيْسَ يَخُلُ الْحَادِثَاتِ مُنَزَّةٌ عَنِ النِّقْصِ وَالتَّغْيِيرِ فَأَهْجُرْ ذَوِي الْهُجْرِ^(٣)

١٣٠- وَلِلرُّوحِ إِطْرَاقٌ لِأَجْلِ جَلَالِهِ وَإِجْلَالِهِ إِنَّ الْحَيَاءَ لَذُو حَضَرٍ^(٤)

= أي : هنالك يكون للأوصاف القدسية الكمالية ، والأخلاق الإلهية الربانية . . أشرف خلعة لهذا المحب ، ولما كان في كل من خلج الأوصاف والأخلاق سُوددٌ وشرف لا يُسبح له تبار ، ولا يُشق له غبار . . كان قوله : (فخر على فخر) في غاية التمكن ؛ وهو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أي : وذلك فخرٌ على فخر ؛ أي : سُوددٌ على سُودد ، وشرفٌ على شرف . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٨٦-١٨٧) .

(١) قوله : (وهذا) إشارة إلى مقام حقّ اليقين ، وقوله : (وحفظه) ؛ أي : حمايته وحراسته والثبوت فيه بحيث لا يرجع فيه صاحبه القهقري ، وقوله : (يباعث شوق . . .) إلى آخره ؛ أي : كائنٌ يباعث شوقٍ وطلبٍ ناشئ من فؤادٍ على جمرٍ مُتلهب من نار المحبة الخاصة الذاتية . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٩٠) .

(٢) يُقال الحُلُولُ : بمعنى القيام بالغير ؛ كحلول اللون بالجسم ، وبمعنى الاستقرار ؛ كحلول الجسم في الحيّز ، وقد يُقال على الاتّصاف ؛ كحلول الصفة بالموصوف ، وقد يُقال على التقدّم ؛ كحلول الصورة في المادّة ، والجميعُ باطلٌ ومحالٌ على الله سبحانه ، ولذلك جمع الناظم الاعتقادَ فقال : (اعتقادات) ، وقوله : (فلا يخلُ) بحذف الواو للضرورة ، وجعل الفاسي (لا) ناهيةً ، فلا ضرورة حينئذ . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٩١-١٩٢) .

(٣) الهُجْرُ : الفُحْشُ والقبیح من الكلام ، وفي البيت تقديم وتأخير لضرورة الوزن ، والتقدير : (وليس مُنَزَّةٌ عن النقص والتغيير يَخُلُ الحادثات) . « شرح الفاسي » (ص ١٩٢) .

(٤) أي : لروح هذا المحبّ إطراقٌ وإغضاء لأجل عظمة الله وتعظيمه ؛ فإنّ حياءه وخجله حبسه ومنعه عن المباشطة بالمشاهدة والمكالمة والإقدام إلى التقبُّض والإحجام . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٩٥-١٩٦) .

١٣١- وَإِنَّ لَدَيْهِ فِي كَمَالِ جَمَالِهِ لِلذَّةِ أَمْنٍ أَمَّنْتَ طَارِقَ الذُّغْرِ

مَقَامُ الْفَنَاءِ

١٣٢- وَقَدْ كَانَ فِي كَشْفِ الصِّفَاتِ فَنَائُهُ يَغِيبُ بِهِ عَنْ عَالَمِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ^(١)

١٣٣- وَفِي النُّورِ مَهْمَا شَاهَدَ النُّورَ سِرُّهُ وَلَوْ أَنَّهُ يَبْنِي الْمُثَقَّفَةَ السُّمْرَ^(٢)

مَقَامُ الْبَقَاءِ

١٣٤- وَهَذَا لِأَهْلِ الْقُرْبِ فِي الْوَصْلِ رُبَّةٌ وَلَكِنَّهَا مِنْ دُونِ ذَلِكَ فِي الْقَدْرِ^(٣)

١٣٥- وَكَانَ وَجُودُ الْهَجْرِ هَجْرَ اخْتِيَارِهِ فَنَاءٌ فَأَفْنَاهُ الْبَقَاءُ عَنِ الْهَجْرِ^(٤)

١٣٦- فَلَا عَدَمٌ بَعْدَ الْوُجُودِ فَإِنَّهُ بِمُودَعٍ سِرِّ الْعَيْنِ فِي بَاطِنِ السَّرِّ^(٥)

(١) قوله : (وقد كان في كشف...) البيت : هو حكاية لما طرأ له في مقام عين اليقين . « شرح الفاسي » (ص ١٩٨) ، وسبق في (١ / ١٤٥) الإلماح إلى معنى عالم الخلق والأمر .

(٢) قوله : (وفي النور...) البيت : هو حكاية لما كان وقع في أول مقام حق اليقين قبل أن يتدرَّب مع شربها ويتجوهرَ به ، والمُثَقَّفَةُ : الرماح المُقَوِّمَةُ المُسَوِّاة ، والسُّمْرُ : المائلة إلى السواد ، وُصِفَتْ بذلك ؛ لصفائها وقوة زُرْقَتِهَا ؛ لأنها إذا بلغت غايتها تقرب لونها إلى السواد ، وهي أجود أنواع الرماح ؛ أي : يصلُّ المُحِبُّ في هذا الفناء إلى أنه يغيب عن الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات ، ولا يشعر بشيء من ذلك ولو كان بين الرماح المُثَقَّفَةِ السمرَاء . انظر « شرح الفاسي » (ص ١٩٨) .

(٣) قوله : (دون ذلك) ؛ أي : دون رتبة وصفة صاحب حق اليقين .

(٤) أي : وكان صاحبُ هذا المقام في مقام علم اليقين وتجلي الأفعال هاجراً اختياراته ، فانياً عن مُراداته ، فأفناه البقاء بالله الحاصل له عند تمكُّنه في مقام حق اليقين بدوام شربه ، حتى تجوهرَ به ، وتخلَّص من وجوده بنفسه عن ذلك الهَجْر الذي تقدَّم له في ذلك المقام المُتَقَدِّم . « شرح الفاسي » (ص ١٩٩) .

(٥) في النسخة الأزهرية : (الكشف) بدل (العين) ، و (أل) في (الوجود) للعهد ، والمعهود ما تقدَّم في البيت قبله من ذكر البقاء ، والضميرُ في (فإنه) عائِدُ لـ (الوجود) ، والباءُ في (بمودع) سببيَّة ، وسرُّ العين : خالص الشهود ، =

١٣٧- وَإِنِّي بِهِ فِي جَمْعٍ مُّؤَيَّدٌ وَمَحْوٍ وَإِثْبَاتٍ إِلَى مُنْتَهَى عُمْرِي ^(١)

ما للخواصّ في الدُّنيا مِنْ حقِّ اليقين

١٣٨- وَلِلنُّورِ فِي كُلِّيَّةِ الْعَبْدِ سَارِي سِرَايَةَ مَاءِ الزَّهْرِ فِي وَرَقِ الزَّهْرِ ^(٢)

١٣٩- فَيَحْظِي بِهِ رُوحاً وَقَلْباً وَقَالِباً وَنَفْساً أَلَا أَكْرِمُ بِذَلِكَ مِنْ بَرٍّ

١٤٠- وَهَذَا لِأَهْلِ الْقُرْبِ أَشْرَفُ رُتْبَةٍ وَمِنْ فَوْقِهَا مَا لَمْ يَمُرَّ عَلَى فِكْرٍ ^(٣)

تمت الرأيت المباركة

بحمد الله وتوفيقه

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



= وانظر « شرح الفاسي » (ص ٢٠٠) .

(١) قوله : (به) ؛ أي : بالوجود بالله ، وقوله : (محو) بالجر ، وهو واضح ، وبالرفع على معنى : (ولي محو) ، ومقام جمع الجمع : هو شهود الحق والخلق وإعطاء المراتب حقها ، والمحو هنا : رفع الأوصاف البشرية عيناً وأثراً وإذهاب العلة ، والإثبات : إثباتها بالحق سبحانه وتعالى ، وقوله : (إلى منتهى عمري) تنازع فيه المصادر السابقة ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ٢٠١) .

(٢) قوله : (وللنور) ؛ أي : نور المشاهدة ، وقوله : (العبد) هو صاحب مقام حق اليقين ، وقوله : (ساري) ظهرت حركة الرفع على الياء لضرورة الوزن .

(٣) قوله : (وهذا) ؛ أي : مقام حق اليقين ، وقال أبو طالب المكي رضي الله عنه في تقريب معنى الشطر الثاني : (ولا نهاية لعلم التوحيد ، ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ، ولكن لهم نهايات يُوقَفون تحتها ، وغايات يصدّرون عنها ، تُجَعَلُ أماكن لمزيدهم ، ويزدادون في وسعها ، ويمدّون بعلوم يطلبون بها ما يُكاشفون به لما وراءها أبد الآباد ، بلا آخر ولا أمد) ، وانظر « شرح الفاسي » (ص ٢٠٣) .

معارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المُرِّي
شهاب الدين أبي حفص عمر البكري الشهرزوري
(٥٣٩ - ٦٣٢ هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصولٍ عديدةٍ نفيسة، بعضها مقروء على المصنف أو قريب العهد به.

محققه وعلّق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الأول

دار التقوى
دمشق الشام

[خطبة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله العظيم شأنه ، القويّ سلطانه ، الظاهر إحسانه ، الباهر حجته وبرهانه ، المحتجب بالجلال^(١) ، والمتفرد بالكمال ، والمتردّي بالعظمة في الآباد والآزال^(٢) ، لا يُصوّره وهم ولا خيال ، ولا يحصره حد ولا مثال ، ذي العزّ الدائم السرمديّ ، والمُلك القائم الدائموميّ ، والقدرة الممتنع إدراك كُنْهها ، والسّطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها .
نطقت الكائنات بأنّه الصانع المبدع ، ولاح من صفحات ذرّات الوجود بأنّه الخالق المخترع .

(١) المحتجب : الذي دخل الحجاب ؛ فالمُحتجب المستتر ، ويُقال في الله تعالى : محتجب لا محجوب ؛ لأنّ المحجوب ممنوع ، والممنوع مقهور للمانع ؛ لأنّه ستره ، والمقهور يليق بالعبد ، وأيضاً : المحجوب من حجابّه من خارج ومن غير ، والمحتجب من حجابّه من نفسه ؛ فالله تعالى محتجب لا محجوب ؛ لأنّ صفاته حجابّه ، كما روي : « حجابّه النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

(٢) المتردّي : المتّصف ، والآباد : جمع (أبد) ؛ وهو ما لا آخر له ، والآزال : جمع (أزل) ؛ وهو ما لا أول له .

وَسَمَ عَقْلَ الْإِنْسَانِ بِالْعَجَزِ وَالنُّقْصَانِ ، وَالزَّمَ فَصِيحَاتِ الْأَلْسُنِ وَصَفَ
الْحَصَرَ فِي حَلْبَةِ الْبَيَانِ^(١) ، وَأَخْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ أَجْنَحَةَ طَائِرِ
الْفَهْمِ^(٢) ، وَسَدَّتْ تَعَزُّزاً وَجَلالاً مَسالكَ الْوَهْمِ ، وَأَطْرَقَ طامِحُ الْبَصِيرَةِ
تَعْظيماً وإِجلالاً ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ فَرْطِ الْهَيْبَةِ فِي فضاءِ الْجَبَرُوتِ مَجالاً^(٣) ،
فَعادَ الْبَصْرُ كَلِيلاً ، وَالْعَقْلُ عَلِيلاً ، وَلَمْ يَنْتَهِجْ إِلَى كُنْهِ الْكِبْرِياءِ سَبِيلاً .

فَسَبْحانَ مَنْ عَزَّتْ مَعْرِفَتُهُ لَوْلا تَعْرِيفُهُ ، وَتَعَذَّرَ عَلَى الْعُقُولِ تَحْدِيدُهُ
وَتَكْيِيفُهُ !!

ثُمَّ أَلْبَسَ قُلُوبَ الصَّفْوَةِ مِنْ عِبادِهِ مَلابِسَ الْعِزِّفانِ ، وَخَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ
عِبادِهِ بِخِصائِصِ الْإِحْسانِ ، فَصارَتْ ضَمائِرُهُمْ مِنْ مَواهِبِ الْأُنْسِ مَمْلُوءَةً ،
وَمَرَّايَا قُلُوبِهِمْ بِنُورِ الْقُدْسِ مَجْلُوءَةً ، فَتَهَيَّأتْ لِقَبُولِ الْأَمْدادِ الْقُدْسِيَّةِ ،
وَاسْتَعَدَّتْ لَوُرُودِ الْأَنْوارِ الْعُلُويَّةِ ، وَاتَّخَذَتْ مِنَ الْأَنْفاسِ الْعَطِرَةِ بِالْأَذْكارِ
جُلَّاساً ، وَأقامَتْ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْباطِنِ مِنَ التَّقْوَى حُرَّاساً ، وَأشْعَلَتْ فِي
ظُلَمِ الْبُشْرِيَّةِ مِنَ الْيَقِينِ نَبْرَاساً^(٤) ، وَاسْتَحَقَرَتْ فَوائِدَ الدُّنْيا وَلَذَّاتِها ،
وَأَنكَرَتْ مَصايِدَ الْهَوَى وَتَبِعَاتِها^(٥) ، وَامْتَطَتْ غَواربَ الرِّغَبِوتِ

(١) الْحَصَرُ : الْعَيْ ، وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَيانِ .

(٢) سُبُحاتُ وَجْهِهِ : جَلالُ اللَّهِ وَعَظَمَتُهُ وَنُورُهُ وَبِهاوُهُ .

(٣) أَيُ : لَمْ يَجِدْ فِي عَالَمِ الْأَسْماءِ وَالصِّفاتِ دَخولاً يَدْرِكُ بِهِ كُنْهَ حَقائِقِها ، وَفِي هامِشِ
(ج) : (الْجَبَرُوتُ : عَالَمُ أَفعالِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ مَظْهَرُ صِفاتِهِ ، وَسُمِّيَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ جَبَرٌ
مَحْضٌ خالٍ عَنِ الْواسِطاتِ وَالْأَسْبابِ الْمَلْكيَةِ وَالْمَلْكوْتِيَةِ ، وَهُوَ فِي عَالَمِ الْمَلْكوْتِ الَّذِي
هُوَ مَحَلُّ تَصَرُّفاتِ الْمَلِكِ ، وَفَوْقَ الْجَبَرُوتِ مَحَلُّ الرِّغَبِوتِ ؛ وَهُوَ عَالَمُ الصِّفَةِ) .

(٤) النَّبْرَاسُ : الْمَصْباحُ .

(٥) فِي (أ) وَنَسْخَةِ عَلَى هامِشِ (ج) : (مَصائِبُ) بَدَلُ (مَصايِدُ) ، وَالْمَصايِدُ هُنا : =

والرَّهْبُوتِ^(١) ، واستفرشت بعلو همتها بساط المَلَكُوتِ ، وامتدَّت إلى المعالي أعناقها ، وطَمَحَتْ إلى اللّامعِ العلويِّ أحداقُها^(٢) ، واتَّخَذَتْ مِنَ المَلَأِ الأعلى مُسَامِراً ومُحَاوِراً^(٣) ، وَمِنَ النُّورِ الأَعَزِّ الأَقْصَى مُزَاوِراً ومُجَاوِراً^(٤) .

أجسادُ أَرْضِيَّةٍ بقلوبِ سَمَاوِيَّةٍ ، وأشباحُ فَرَشِيَّةٍ بأرواحِ عَرْشِيَّةٍ ، نفوسُهُمْ في منازلِ الخدمَةِ سَيَّارَةٌ ، وأرواحُهُمْ في فضاءِ القُرْبِ طَيَّارَةٌ ، ومذاهيبُهُمْ في العُبودِيَّةِ مشهُورَةٌ ، وأعلامُهُمْ في أَقْطَارِ الأرضِ منشُورَةٌ .

يقولُ الجاهِلُ بِهِمْ : فَقِدُوا ، وما فَقِدُوا ، وَلَكِنْ سَمَتْ أحوَالُهُمْ فَلَمْ يُدْرِكُوا ، وعلا مقامُهُمْ فَلَمْ يُمْلِكُوا^(٥) ، كائِنَ بِالْجُثْمَانِ^(٦) ، بائِنَ بقلوبِهِمْ عن أوطانِ الحِذْثَانِ .

= اللذات ؛ لأنها هي التي تصيدُ نفوساً بنصالها .

(١) امتطت : ركب ، والغوارب : جمع (غاربة) ؛ وهي في الأصل ما بين سنام الإبل وعنقها ، والرَّغْبُوتُ والرَّهْبُوتُ : الرجاء والخوف ، وتاؤهُما زائدة ، ومثلهما : (الرَّحْمُوتُ) و(الجَبْرُوتُ) و(المَلَكُوتُ) ، وانظر « تاج العروس » (٣٥٦ / ١٠) .

(٢) طَمَحَتْ : ارتفعت ، واللامعُ العلوي : النور الأزلي .

(٣) المَلَأُ الأعلى : الملائكة المقربون .

(٤) المراد بالنور : نور الذات ، وقوله : (مُزَاوِراً ومُجَاوِراً) ؛ أي : حالاً ومقاماً ، وإنَّما سُمِّيَ الحالُ حالاً ؛ لتحوُّله تحوُّلَ الزُّوَّار ، والمقامُ مقاماً ؛ لثبوته واستقراره استقرارَ المجاورين .

(٥) وفي ذلك يقول سيدي العارف الفقيه عبد الرحمن بُلْفقيه باعلوي :

يقول قومٌ عن هُدَاهُمْ ضَلُّوا قد عُدِمُوا في عَصْرِنَا أَوْ قَلُّوا

فَقُلْ لَهُمْ كَلًّا وَلَكِنْ جَلُّوا عَنْ أَنْ تَرَاهُمْ أَغْيُنُ الْجُهَّالِ

(٦) في هامش (ج) : (أي : لا يعرفهم الجاهل ؛ لعدم استعداده ، فيقول : هم معدومون ، وما هم بمعدومين ؛ فإنهم لم يُدْرِكُوا لعلُّو أحوالهم عن نظر الجاهل ، =

لَأُرَوِّجِهِمْ حَوْلَ الْعَرْشِ تَطَوُّافٌ ، وَلِقُلُوبِهِمْ مِنْ خَزَائِنِ الْبِرِّ إِسْعَافٌ ،
يَتَنَعَّمُونَ بِالْخِدْمَةِ فِي الدِّيَاجِرِ^(١) ، وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْ وَهَجِ الطَّلِبِ بَظْمًا
الْهَوَاجِرِ^(٢) ، تَسْلَوْنَ بِالصَّلَوَاتِ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَتَعَوِّضُوا بِحَلَاوَةِ التَّلَاوَةِ عَنِ
اللَّذَّاتِ ، يَلُوحُ مِنْ صَفَحَاتِ وَجُوهِهِمْ بِشَرِّ الْوِجْدَانِ ، وَيَنْمُ عَلَى مَكْنُونِ
سَرَائِرِهِمْ نَضَارَةُ الْعِرْفَانِ^(٣) .

لَا يَزَالُ فِي كُلِّ عَصْرِ زَمَانٍ مِنْهُمْ عِلْمَاءٌ قَائِمُونَ بِالْحَقِّ ، دَاعُونَ لِلخَلْقِ ،
مُنْحُوا بِحُسْنِ الْمَتَابَةِ رُبَّةَ الدَّعْوَةِ ، وَجُعِلُوا لِلْمُتَّقِينَ قُدْوَةً ، فَلَا يَزَالُ تَظْهَرُ
فِي الْخَلْقِ آثَارُهُمْ ، وَتُزْهِرُ فِي الْآفَاقِ أَنْوَارُهُمْ ، مَنْ اقْتَدَى بِهِمْ اهْتَدَى ، وَمَنْ
أَنْكَرَهُمْ ضَلَّ وَاعْتَدَى .

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا هَيَّأَ لِلْعِبَادِ ؛ مِنْ بَرَكَةِ خَوَاصِّ حَضَرَتِهِ مِنْ أَهْلِ

= وقوله : « كَاتِنِينَ » نصب على المدح ، أو حال من الضمائر المتقدمة الراجعة إلى
« الصَّفوة » وأمثالها فيما بعدها .

(١) الدِّيَاجِر : جمع (دَيَّجُور) ؛ وهو الظلام أو الظُّلْمَةُ ، وَخُصَّ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ ارْتِفَاعِ
الْمَوَانِعِ مِنْ رُؤْيَةِ الْأَشْيَاءِ وَسَمَاعِ الْأَصْوَاتِ ، فَيَتِمُّ بِذَلِكَ الْإِخْلَاصُ وَالْمُنَاجَاةُ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى وَالْأَنَسُ بِهِ .

(٢) أَي : بِالْعَطَشِ فِي فَصْلِ الصَّيْفِ فِي صَوْمِهِمْ ، وَالْهَوَاجِر : جمع (هَاجِرَة) ؛ وَهِيَ
نِصْفُ النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ .

(٣) قَوْلُهُ : (يَنْمُ) كَذَا ضَبَطَ فِي (ج) بِالْوَجْهِينِ ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى مَا أوردَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ وَابْنُ
مَالِكٍ ، وَقَالَ الزَّيْبِيدِيُّ فِي « تَاجِ الْعُرُوسِ » (٣٤ / ٩) نَقْلًا عَنْ شَيْخِهِ الطَّيِّبِ الْفَاسِي :
(وَرَأَيْتُ الْمِزِّيَّ قَدْ تَفَقَّهَ فِيهِ وَفَصَّلَ ؛ فَقَالَ : « يَنْمُ » بِالْكَسْرِ فِي الْإِلْزَامِ ؛ أَي : يَظْهَرُ ،
وَبِالضَّمِّ فِي الْمُتَعَدِّي ؛ أَي : يَنْقَلُ ، فَتَأَمَّلْ) .

وَفِي هَامِشِ (ج) : (يُقَالُ : « إِبِلٌ نَمَّةٌ » : إِذَا لَمْ تُبْقِ فِي أَجْوَافِهَا مَاءً ، وَالتَّمَامُ مِنْهُ ؛
لِأَنَّهُ لَا يُبْقِي الْكَلَامَ فِي جَوْفِهِ ؛ يَعْنِي : ظَوَاهِرُهُمْ تَحْكِي عَنْ مَكْنُونَاتِ سَرَائِرِهِمْ) .

الوداد ، والصلاة والسلام على نبيّه ورسولِهِ محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ
الأكرمينَ الأمجادِ .

[الداعي إلى تأليف الكتاب]

ثمَّ إنَّ إيثاري لهذِي هؤلاءِ القومِ ، ومحَبَّتِي لَهُمْ علَماً بشرفِ حالِهِمْ ،
وصحَّةِ طريقَتِهِمُ المبنِيَّةِ على الكتابِ والسُنَّةِ ، المُتَحَقِّقِ بها مِنَ اللَّهِ الكريمِ
الفضلِ والمِنَّةِ^(١) . . . حَدَّانِي على أنْ أَذُبَّ عن هَذِهِ العِصَابَةِ بهَذِهِ الصُّبَابَةِ^(٢) ،
وأوَّلَفَ أبواباً في الحقائقِ والآدابِ ، مُعْرِبَةً عن وجهِ الصوابِ فيما
اعتمدُوهُ^(٣) ، مُشْعِرَةً بشهادةِ صريحِ العلمِ لَهُمْ فيما اعتقدُوهُ^(٤) ؛ حيثُ كَثُرَ
المُتَشَبِّهُونَ واختلَفَتْ أحوالُهُمْ ، وتَسَتَّرَ بِزِيَّتِهِمُ المُتَسَتِّرُونَ وفسدتْ أَعْمَالُهُمْ ،
وسبقَ إلى قلبِ مَنْ لا يعرفُ أصولَ سلفِهِمْ سوءُ ظنٍّ ، وكادَ لا يسلمُ مِنْ
وقيةٍ فِيهِمْ وطَعْنٍ ؛ ظناً منه أنْ حَاصِلُهُمْ راجعٌ إلى مُجَرَّدِ رَسَمٍ ،
وتخصُّصُهُمْ عائِدٌ إلى مُطْلَقِ اسمٍ .

ومِمَّا حَضَرَني فِيهِ مِنَ النِّيَّةِ : أنْ أَكْثَرَ سَوَادَ القومِ بالاعتزاءِ إلى طريقِهِمْ^(٥) ،
والإشارةِ إلى أحوالِهِمْ ، وقد وردَ : « مَنْ كَثَرَ سَوَادَ قَوْمٍ . . فَهُوَ مِنْهُمْ »^(٦) ،

(١) في (أ ، ج ، و ، ز ، ي) : (ذي الفضل) بدل (الفضل) .

(٢) حَدَّانِي : دعاني وحرَّضني ، وَأَذُبُّ : أدفع وأمنع ، والعِصَابَةُ : الجماعة ، والمراد :
جماعة الصوفية المارَّةِ سَمْتُهُمْ ، والصُّبَابَةُ في الأصل : البقية من الماء واللبن .

(٣) مُعْرِبَةً : مُبَيِّنَةً وكاشفة .

(٤) مُشْعِرَةً : مُعْلِنَةً .

(٥) الاعتزاء : الانتساب .

(٦) رواه أبو يعلى وعلي بن معبد في « الطاعة والمعصية » ، كما في « كشف الخفاء »

(٢٧٤ / ٢) من حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والدليمي في =

وأرجو من الله الكريم صحّة النية فيه ، وتخليصها من شوائب النفس .
وكلّ ما فتح الله تعالى عليّ فيه . . منح من الله الكريم وعوارف ، وأجلّ
المنح عوارف المعارف^(١) .

[محتوى الكتاب]

والكتاب يشتمل على نيّ و ستين باباً ، ومن الله تعالى العون والتوفيق .

الباب الأول : في منشأ علوم الصوفيّة .

الباب الثاني : في تخصيص الصوفيّة بحسن الاستماع^(٢) .

الباب الثالث : في بيان فضيلة علوم الصوفيّة والإشارة إلى أنموذج

منها .

الباب الرابع : في شرح حال الصوفيّة واختلاف طريقهم .

الباب الخامس : في ذكر ماهيّة التصوّف .

الباب السادس : في ذكر تسميتهم بهذا الاسم .

= « الفردوس » (٥٦٢١) ، وابن المبارك في « الزهد » (٤٢) ضمن « زيادات نعيم بن حماد » ، وانظر « كشف الخفاء » (٢ / ٢٧٤) ، و« غنية العارف » (٤ / ١) .

(١) العوارف : جمع (عارفة) ؛ يُقال : أولاه عارفة ؛ أي : معروفاً ، قال الزبيدي في « التاج » (١٣٨ / ٢٤) : (ومنه سمّي الشّهْرُورْدِيّ كتابه « عوارف المعارف ») ، وإنّما كانت أجلّ المنح ؛ لأنّ المعرفة أشدّ عروةً وأحسن وسيلةً من غيرها من الأحوال والمقامات .

(٢) في (ب) هنا وفيما سيأتي : (في تخصص) بدل (في تخصيص) ، والمعنى عليهما ظاهر .

الباب السابع : في ذكرِ الْمُتَصَوِّفِ والمُتَشَبِّهِ بِهِ .

الباب الثامن : في ذكرِ المَلَامَتِيِّ وشرحِ حالِهِ^(١) .

الباب التاسع : في ذكرِ مَنْ انتمى إلى الصُّوفِيَّةِ وليسَ مِنْهُمْ .

الباب العاشر : في شرحِ رُتْبَةِ المَشِيخَةِ .

الباب الحادي عَشَرَ : في شرحِ حالِ الخَادِمِ وَمَنْ يَتَشَبَّهُ بِهِ .

الباب الثاني عَشَرَ : في شرحِ خِرْقَةِ المَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ .

الباب الثالث عَشَرَ : في فضيلةِ سُكَّانِ الرُّبُطِ^(٢) .

الباب الرابع عَشَرَ : في مشابهةِ أَهْلِ الرِّبَاطِ بِأَهْلِ الصُّفَّةِ .

الباب الخامس عَشَرَ : في خصائصِ أَهْلِ الرُّبُطِ فيما يتعاهدونه بَيْنَهُمْ .

الباب السادس عَشَرَ : في اختلافِ أحوالِ المَشَايخِ بالسفرِ والمقامِ .

الباب السابع عَشَرَ : فيما يحتاجُ المَسَافِرُ إِلَيْهِ مِنَ الفرائضِ والفضائلِ .

الباب الثامن عَشَرَ : في القدومِ مِنَ السفرِ ودخولِ الرِّبَاطِ والأدبِ فِيهِ .

الباب التاسع عَشَرَ : في حالِ الصُّوفِيِّ المُتَسَبِّبِ^(٣) .

الباب العشرون : في حالِ مَنْ يَأْكُلُ مِنَ الفَتُوحِ^(٤) .

(١) الملامتي : هو الذي لا يُظْهِرُ خيراً ولا يُضْمِرُ شراً ، وهو الذي تَشَرَّبَتْ عروقه طعم الإخلاص ، ونَحَقَّقَ بالصدق ، فلا يحبُّ أن يَطَّلِعَ أَحَدٌ عَلَى حاله وأعماله ، وسيأتي أصل اشتقاقه وبيان أحواله وأقسامه في بابه في (١ / ٢٨٤ - ٢٩٥) .

(٢) الرُّبُطُ : جمع (رِبَاط) ؛ وهو مُتَعَبِّدُ الصُّوفِيَّةِ ، وسيأتي شرحه مُؤَصَّلاً في (١ / ٣٤٦ - ٣٥٤) .

(٣) وتكَلَّمَ فِيهِ عن اختلافِ أحوالِ ساداتنا الصُّوفِيَّةِ في الوقوفِ مع الأسبابِ والإعراضِ عنها .

(٤) وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ إِذَا كَمَلَ شغل الصُّوفِيِّ بِاللَّهِ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ التَّعْرِيفِ بِطَرِيقِ المَقَابِلَةِ عَلَى كُلِّ

الباب الحادي والعشرون : في شرح حال المتجرّد من الصّوفيّة والمتأهّل .

الباب الثاني والعشرون : في القول في السماع قبولاً وإيثاراً .

الباب الثالث والعشرون : في القول في السماع ردّاً وإنكاراً .

الباب الرابع والعشرون : في القول في السماع ترفعاً واستغناء .

الباب الخامس والعشرون : في القول في السماع تأدّباً واعتناء .

الباب السادس والعشرون : في خاصيّة الأربعينيّة التي يتعاهدها الصّوفيّة^(١) .

الباب السابع والعشرون : في ذكر فتوح الأربعينيّة .

الباب الثامن والعشرون : في كيفيّة الدخول في الأربعينيّة .

الباب التاسع والعشرون : في ذكر أخلاق الصّوفيّة وشرح الخلق .

الباب الثلاثون : في ذكر تفاصيل أخلاق الصّوفيّة .

الباب الحادي والثلاثون : في ذكر الأدب ومكانه من التصوّف .

الباب الثاني والثلاثون : في آداب الحضرة الإلهيّة لأهل القرب .

الباب الثالث والثلاثون : في آداب الطهارة ومقدماتها .

الباب الرابع والثلاثون : في آداب الوضوء وأسراره .

= فعل يصدر منه ، ثم يتجرّد له فعل الله تعالى ، وأورد في ذلك قصصاً جلييلة عجيبة .

(١) الأربعينيّة : عبارة عن خلوة بين العبد وربّه يلتزمها سادتنا الصّوفية ، وتقدّر بأربعين يوماً .

البابُ الخامسُ والثلاثونَ : في آدابِ أهلِ الخصوصِ والصوفيّةِ في
الوضوءِ .

البابُ السادسُ والثلاثونَ : في فضيلةِ الصلاةِ وكُبرِ شأنِها .

البابُ السابعُ والثلاثونَ : في وصفِ صلاةِ أهلِ القُربِ .

البابُ الثامنُ والثلاثونَ : في ذكرِ آدابِ الصلاةِ وأسرارِها .

البابُ التاسعُ والثلاثونَ : في فضلِ الصومِ وحُسنِ أثرِهِ .

البابُ الأربعونَ : في أحوالِ الصوفيّةِ في الصومِ والإفطارِ .

البابُ الحادي والأربعونَ : في آدابِ الصومِ ومَهامِّهِ .

البابُ الثاني والأربعونَ : في ذكرِ الطعامِ وما فيه مِنْ المصلحةِ
والمفسدةِ .

البابُ الثالثُ والأربعونَ : في آدابِ الأكلِ .

البابُ الرابعُ والأربعونَ : في ذكرِ آدابِهِمْ في اللباسِ ونيّاتِهِمْ ومقاصدِهِمْ

فيه .

البابُ الخامسُ والأربعونَ : في ذكرِ فضلِ قيامِ الليلِ .

البابُ السادسُ والأربعونَ : في الأسبابِ المُعِينَةِ على قيامِ الليلِ .

البابُ السابعُ والأربعونَ : في أدبِ الانتباهِ مِنَ النومِ والعملِ بالليلِ .

البابُ الثامنُ والأربعونَ : في تقسيمِ قيامِ الليلِ .

البابُ التاسعُ والأربعونَ : في استقبالِ النهارِ والأدبِ فيه .

البابُ الخمسونَ : في ذكرِ العملِ في جميعِ النهارِ وتوزيعِ الأوقاتِ .

الباب الحادي والخمسون : في أدب المريد مع الشيخ .

الباب الثاني والخمسون : في أدب الشيخ ، وما يعتمدُهُ الشيخُ مع الأصحابِ والتلامذة .

الباب الثالث والخمسون : في حقيقة الصُّحبة وما فيها مِنَ الخير والشرِّ .

الباب الرابع والخمسون : في أداءِ حقوقِ الصُّحبة والأخوة في الله تعالى .

الباب الخامس والخمسون : في آدابِ الصُّحبة والأخوة في الله .

الباب السادس والخمسون : في معرفة الإنسانِ نفسه ، ومكاشفاتِ الصُّوفيَّةِ مِنْ ذلك .

الباب السابع والخمسون : في معرفة الخواطرِ وتفصيلِها وتمييزِها .

الباب الثامن والخمسون : في شرحِ الحالِ والمقامِ والفرقِ بينهما .

الباب التاسع والخمسون : في الإشارةِ إلى المقاماتِ على الاختصارِ والإيجازِ .

الباب السُّتون : في ذكرِ إشاراتِ المشايخِ في المقاماتِ على الترتيبِ .

الباب الحادي والسُّتون : في ذكرِ الأحوالِ وشرحِها .

الباب الثاني والسُّتون : في شرحِ كلماتٍ مِنْ اصطلاحِ الصُّوفيَّةِ مُشيرةً إلى الأحوالِ .

الباب الثالث والسُّتون : في ذكرِ شيءٍ مِنَ البداياتِ والنهاياتِ وصحَّتِها .

فهذه الأبواب تحررت بعون الله تبارك وتعالى مُشمِلةً على بعضِ علومِ الصُّوفِيَّةِ وأحوالِهِم ومقاماتِهِم ، وآدابِهِم وأخلاقِهِم ، وغرائبِ مواجِدِهِم ، وحقائقِ معرفَتِهِم وتوحيدِهِم ، ودقيقِ إشارَتِهِم ، ولطيفِ اصطلاحاتِهِم .

فعلومُهُم كُلُّها إنباءٌ عن وُجْدانٍ ، واعتزاءٌ إلى عِرْفانٍ ، وذوقٌ تحقُّقٍ بصدقِ الحالِ ، ولم يَفِ باستيفاءِ كُنْهِهِ صريحُ المقالِ ؛ لأنَّها مواهبُ ربَّانِيَّةٍ ، ومناخُ حَقَّانِيَّةٍ ، استنزَلْها صفاءُ السرائِرِ ، وخُلُوصُ الضمائرِ ، فاستعصَتْ بكنْهِها على الإشارةِ ، وطَفَحَتْ على العبارةِ^(١) ، وتهادَّتْها الأرواحُ بدلالةِ التَّشامُّ والائتلافِ^(٢) ، وكرَعَتْ حقائقُها مِنْ بحرِ الألفاظِ^(٣) .

وقد اندرسَ كثيرٌ مِنْ دقيقِ علومِهِم ، كما انطمسَ كثيرٌ مِنْ حقائقِ رُسومِهِم ، وقد قالَ الجُنيدُ رحمهُ اللهُ : (عِلْمُنَا هَذَا قَدْ طُوِيَ بِسَاطُهُ مِنْذُ كَذَا

(١) طَفَحَتْ : امتلأت حتى فاضت ؛ أي : أنَّ علومَ سادتنا الصوفية لا تدخل في العبارة ؛ لدقَّتْها وغلبتها على الفهوم .

(٢) في هامش (ج) : (التهادي : مراسلة الهدية من الجانبين ، والتشامُّ : الشَّمُّ من الجانبين أيضاً ، لا تدخل تلك العلوم في العبارة ؛ [لدقَّتْها] وغلبتها على الفهوم ، بل تهادتها الأرواح بدلالة التشامُّ ، [والتشامُّ] ها هنا : عبارة عن فتح مَشامِّ قلب الطالب لأخذ الأنفاس العَطرَةِ من صفاء ضمائر أهل الله ، والمعنى : أنَّ كلَّ روح من الأرواح قَبِلَ في القرب موهبةً خاصة من الله ، ثم أهدى بعض الأرواح إلى بعضها شيئاً من موهبته ؛ بدلالة تشامِّ كلِّ واحدٍ ذلك من الآخر عند الطلب ؛ بدلالة ائتلاف الرُّوحية فيهم .

والحاصل : أنَّ الأرواح شَمَّتْ تلك العلومَ والمناخ من مقام القرب من الله ، ثم أهدتها إلى قلوب أصحابها ، ولم تقدر الأرواح أن تأخذ المواهب منه بوصولها إليها وإحاطتها بها ، بل بطريق التشامِّ لقربها وائتلافها ومناسبتها بذلك العلم ، والله أعلم .

(٣) كَرَعَتْ : شربت وتناولت .

سنة ، ونحن نتكلم في حواشيه (١) .

وبدا هذا القول منه في وقته مع قُرب العهد بعلماء السلف وصالحِي
التابعين ، فكيف بنا ذلك مع بُعد العهد وقلّة العلماء الزاهدين ، والعارفين
بحقائق علوم الدين ؟!

والله المأمول أن يُقابلَ جهدَ المُقلِّ بحسنِ القبولِ ؛ إنّه خيرُ مسؤولٍ ،
والحمدُ لله ربّ العالمين (٢) .



(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١ / ٤٤٨) ، وفيه : (منذ عشرين
سنة) ، وأورد عن الجنيد أيضاً قوله : (كنتُ أجالس قوماً سنين يتحاورون في علوم
لا أفهمها ، ولا أدري ما هي ، وما بُليتُ بالإنكار قط ، كنتُ أتقبلُها وأحبُّها من غير أن
أعرفها) ، وكان يقول أيضاً : (كُنَّا نتجاري مع إخواننا قديماً في علوم كثيرة ما تُعرف
في وقتنا هذا ، ولا سألني عنها أحدٌ) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة
كاتبه عبد السلام المقدسي الشافعي) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة على الشيخ جلال الدين
(...) ، كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الأول

في ذكر منشأ علوم الصوفية

(١) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ السُّهْرَوَرْدِيُّ إِمْلَاءً مِنْ لَفْظِهِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّرِيفُ نَوْرُ الْهَدْيِ أَبُو طَالِبٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَتْنَا كَرِيمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَرْوَزِيَّةُ الْمُجَاوِرَةُ بِمَكَّةَ حَرَسَهَا اللَّهُ ، قَالَتْ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَكِيِّ الْكُشْمِيهَنِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَبَرِيُّ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ بُرَيْدٍ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ

(١) نسبة إلى (كُشْمِيهَنَ) قرية بمرور ، وقد حَدَّثَ الْكُشْمِيهَنِيُّ بِـ «صحيح البخاري» عن الْفَرَبَرِيِّ مراتٍ عديدة حتى اشتهر بذلك ، توفي في يوم عرفة سنة (٣٨٩هـ) انظر «سير أعلام النبلاء» (٤٩١/١٦) ، و«إكمال الإكمال» (٦٥٠/٢) .

(٢) نسبة إلى (فَرَبَرٍ) بَلْدَةٌ بَيْنَ جَيْحُونَ وَبُخَارَى ، قَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ : (بَكسر أَوَّلِهِ ، وقد فتحه بعضهم) انظر «معجم البلدان» (٢٤٥/٤) ، و«تبصير المتبص» (١١٠١/٣) ، و«تاج العروس» (٣١١/١٣) ، وَالْفَرَبَرِيُّ مِنْ أَشْهُرِ وَأَوْتَقَ مَنْ رَوَى «الصحيح» عن الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ، توفي سنة (٣٢٠هـ) وقد أَشْرَفَ عَلَى التَّسْعِينَ .

مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ .. كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ : يَا قَوْمُ ؛ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ
بِعَيْنِي ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ ، فَالْنَّجَاءُ ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ
فَادْجَوْا ، فَأَنْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا
مَكَانَهُمْ ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَأَجْتَاَحَهُمْ - أَيِ : اسْتَأْصَلَهُمْ ، وَمِنْ
ذَلِكَ : الْجَائِحَةُ الَّتِي تُفْسِدُ الثَّمَارَ - فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ ،
وَمَثَلٌ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ الْحَقِّ « (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ..
كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهَا طَيِّبَةً قَبِلَتْ الْمَاءَ ،
فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ إِخَاذَاتٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ،
فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ
أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ؛ فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقِهَ فِي

(١) صحيح البخاري (٧٢٨٣) ، ورواه مسلم (٢٢٨٣) ، وانظر « غنية العارف »
(١٢/١) ، وفي (أ ، ج) : (فالنجاء النجاء) مكرراً ، وهي رواية في « البخاري »
(٦٤٨٢) ، وقوله : (أنا النذير العريان) قال الملا علي القاري في « المرقاة »
(٢٣١/١) : (مثل مشهور سائر بين العرب ، يُضرب لشدة الأمر ودُنُو المحذور ،
وبراءة المُحذَّر عن التُّهْمَة ، وأصله : أن الرجل إذا رأى العدو قد هجم على قومه وأراد
أن يفاجئهم وكان يخشى لحوقهم قبل لحوقه .. تجرَّد عن ثوبه وجعله على رأس خشبة
وصاح ليأخذوا حذرهم ، وقيل : هو الذي غَشِيَهُ العدو وكان ربيَّة قومه - أي :
جاسوسهم - فأخذوه وتعلَّقوا بشيابه ، فانسَلَّ منها ولحق بقومه فأنذرهم ، فلمَّا رآوه على
حالته تلك ارتحلوا عن آخرهم ، وقيل : إنه الذي سَلَبَ العدو ما عليه من الثياب ، فأتى
قومه عُريَاناً يخبرهم ، فصَدَّقوه ؛ لما عليه من آثار الصدق ، وخصَّ العريان بالذكر ؛
لأنه أبين في العين ، وأغرَّ وأشنع عند البصر) ، وقوله : (فالنجاء) جاء في غالب
النسخ مكرراً ، والمثبت موافق لـ « الصحيح » ، وجاء فيه مكرراً في (باب الانتهاء عن
المعاصي) برقم : (٦٤٨٢) .

دِينِ اللَّهِ وَنَفَعُهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ^(١) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِقَبُولِ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . أَصْفَى الْقُلُوبِ وَأَزَكَّى النُّفُوسِ ، وَظَهَرَ تَفَاوُثَ الصِّفَاءِ وَالتَّزَكِّيَةِ فِي تَفَاوُثِ الْفَائِدَةِ وَالنَّفْعِ .

فَمِنْ الْقُلُوبِ : مَا هُوَ بِمَثَابَةِ الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي أَنْبَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَهَذَا مَثَلُ مَنْ انْتَفَعَ بِالْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ وَاهْتَدَى ، وَنَفَعَهُ عِلْمُهُ ، وَهَدَاهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ مِنْ مُتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْ الْقُلُوبِ : مَا هُوَ بِمَثَابَةِ الْإِخَاذَاتِ ؛ أَيِ : الْغُدْرَانِ ؛ جَمْعُ (إِيْخَاذَةٍ) ؛ وَهُوَ الْمَصْنَعُ وَالْغَدِيرُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْمَاءُ ^(٢) ؛ فَنُفُوسُ الْعُلَمَاءِ الزَّاهِدِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالشُّيُوخِ تَزَكَّتْ ، وَقُلُوبُهُمْ صَفَّتْ ، فَاخْتَصَّتْ بِمَزِيدِ الْفَائِدَةِ ، فَصَارُوا إِخَاذَاتٍ .

قَالَ مَسْرُوقٌ : (صَحَبْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) رَوَاهُ بَنُحُوهُ الْبُخَارِيُّ (٧٩) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٨٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غِنْيَةَ الْعَارِفِ » (١٣ / ١) ، وَقَوْلُهُ : (إِخَاذَاتٌ) فِي نَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِشٍ (ج) : (أَجَادِب) ، وَسَيَأْتِي شَرْحَ الْمَثْبُتِ بَعْدَ قَلِيلٍ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ ، وَقِيَعَانُ : جَمْعُ (قَاعٍ) ؛ وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْمَلْسَاءُ .

(٢) وَهَذَا الشَّرْحُ مِنَ الْمُؤَلِّفِ بِنَاءً عَلَى رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ لِلْحَدِيثِ ، وَالْمَثْبُوتُ فِي « الصَّحِيحِينَ » وَغَيْرِهِمَا : (أَجَادِب) بَدَلُ (إِخَاذَاتٍ) ، وَالْأَجَادِبُ : جَمْعُ (جَذَبَ) ؛ وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ الَّتِي لَا يَنْضُبُ مِنْهَا الْمَاءُ . انْظُرْ « فَتَحُ الْبَارِي » (١٧٦ / ١) ، وَ« مَرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ » (٢٣٤ / ١) .

فوجدتُهُم كَالِإِخَاذِ^(١) ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ وَاعِيَةً ، فَصَارَتْ أَوْعِيَةُ الْعُلُومِ ؛
بِمَا رُزِقَتْ مِنْ صَفَاءِ الْفُهُومِ .

(٢) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَضِيَ الدِّينُ أَبُو الْخَيْرِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
الْقَزْوِينِيُّ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ الْخَلِيلِيُّ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
الْقَاضِي أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ الْفَرُّخَزَادِيُّ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَحْمَدُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الثَّعَالِبِيُّ^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ فَنُجُويَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ حَيَّانَ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ
عَيْسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَمْرَةَ الثُّمَالِيُّ ،
قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَتَعَبَّأْ
أُذُنٌ وَعَيْةٌ ﴾ [الحاقة : ١٢] . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : « سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ » ، قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : فَمَا نَسِيتُ شَيْئاً بَعْدُ ، وَمَا كَانَ لِي أَنْ أَنْسِيَ^(٥) .

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٤٢ / ٢) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ »
(٥٤٢ / ٢) ، وزادا : (فالإخاذا يُروى الرجل ، والإخاذا يُروى الرجلين ، والإخاذا
يُروى العشرة ، والإخاذا يُروى المئة ، والإخاذا لو نَزَلَ بِهِ أَهْلُ الْأَرْضِ لَأَصْدَرَهُمْ ،
فوجدتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ من ذلك الإخاذا) .

(٢) هو النَّوْقَانِي . انظر (٣٤٢ / ١) تعليقا .

(٣) في (أ ، ب ، و) : (الفرخزادي) بالمعجمة ؛ وهو محمد بن سعيد بن محمد
الطوسي القاضي (ت ٤٧٧ هـ) ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (٧٠ / ١) ،
و« تاريخ الإسلام » (٢٠٦ / ٣٢) .

(٤) هو الْمُفَسِّرُ المشهور ، ويُقال له : الثعلبي ، كما جاء كذلك في (د) ، وهو لقب له لا نسب .
انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٢٣٨ / ١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٤٣٦ / ١٧) .

(٥) الكشف والبيان (٢٨٨ / ٢٧) ، والحديث مرسل ، ورواه ابن جرير الطبري في =

قال أبو بكر الواسطي : (آذَانٌ وَعَتٌ عَنِ اللَّهِ أَسْرَارُهُ)^(١) .

وقال أيضاً : (واعيةٌ في معادِنِها ، ليس فيها غيرَ ما شاهدَها شيءٌ ، فهي الخاليةُ عما سواهُ ، فما اضطرابُ الطبائعِ إلا ضربٌ مِنَ الجَهِلِ)^(٢) .

فقلوبُ الصُوفِيَّةِ وَعَتٌ ؛ لأنَّهُم زَهَدُوا في الدنيا بعدَ أنْ أَحْكَمُوا أساسَ التقوى ، فبالتقوى زَكَّتْ نفوسُهُم ، وبالزُّهْدِ صَفَتْ قلوبُهُم ، فلمَّا عَدِمُوا شواغلَ الدنيا بتحقيقِ الزهدِ . . انفتحتْ مَسَامُ بواطنِهِم ، وسمعتْ آذانُ قلوبِهِم ، وأعانَهُم على ذلك زهدُهُم في الدنيا .

فعلماءُ التفسيرِ ، وأئمَّةُ الحديثِ ، وفقهاءُ الإسلامِ . . أحاطُوا عِلْماً بالكتابِ والسنةِ ، واستنبطُوا مِنْهُمَا الأحكامَ ، وردُّوا الحوادثَ المُتجدِّدةَ إلى أصولٍ مِنَ النصوصِ ، وحمى اللهُ تعالى بِهِمُ الدِّينَ .

وعرفَ علماءُ التفسيرِ وجهَ التفسيرِ ، وعلمَ التأويلِ ، ومذهبَ العربِ في اللغةِ ، وغرائبَ النحْوِ والتصريفِ ، وأصولَ القصصِ ، واختلافَ وجوهِ القراءةِ ، وصنَّفُوا في ذلكَ الكتبَ ، فاتَّسَعَ بطريقِهِم علومُ القرآنِ على الأُمَّةِ .

= « تفسيره » (٥٧٩ / ٢٣) مرسلًا عن مكحول رحمه الله تعالى . وانظر « تخریج أحادیث الکشاف » للزيلعي (٨٤ / ٤) ، و« غنية العارف » (١٥ / ١) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٧ / ٢) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٧ / ٢) ، وقوله : (فما اضطراب) ؛ أي : فما اضطراب الطبائع لبعض الناس في حفظ العهود والأسرار . . إلا بظهور النفس وصفاتها ؛ لأنها منبعُ الجهالات ؛ يعني : ليس نسيان البيان ، ومانع الوعي والتذكر لأسرار الرحمن . . إلا لاضطراب الطبائع عند التقلب في الأطوار والأزمان . من هامش (ج) .

وأئمة الحديث ميّزُوا بين الصّحاح والحِسان ، وتفرّدُوا بمعرفة الرّواة
وأسامي الرجال ، وحكمُوا بالجرح والتعديل ؛ ليتبيّن الصحيح من السقيم ،
ويتميّز المُعَوِّجُ من المستقيم ، فيتحفّظَ بطريقهم طريقُ الرواية والسند حفظاً
للسنّة^(١) .

وانتدب الفقهاء لاستنباط الأحكام ، والتفريع في المسائل ، ومعرفة
التعليل ، وردّ الفروع إلى الأصول بالعِلَلِ الجوامع ، واستيعاب الحوادث
بحكم النصوص .

وتفرّع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه ، وعلم الخلاف ،
وتفرّع من علم الخلاف علم الجدال ، وأحوج علم أصول الفقه إلى شيء من
علم أصول الدين^(٢) .

وكان من علمهم علم الفرائض ، ولزم منه علم الحساب والجبر
والمقابلة... إلى غير ذلك .

فتمهّدت الشريعة وتأيّدت ، واستقام الدين الحنيفي ، وتفرّع وتأصل
الهدى النبوي المصطفوي ، فأنبث أراضي قلوب العلماء الكلاء والعشب ؛
بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم .

قال الله تعالى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد : ١٧] .

(١) في (ب ، د ، و) : (فينحفظ) بدل (فيتحفظ) ، وفي نسخة على هامش (د) :
(فانحفظ) .

(٢) في نسخة على هامش (ج) : (واحتاج) بدل (وأحوج) .

قال ابن عباس : (الماء : العلم ، والأودية : القلوب) (١) .

وقال أبو بكر الواسطي : (خلق الله تعالى دُرَّةً صافيةً ، فلاحظها بعين الجلال ، فذابت حياءً منه ، فسالت ، فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ ، فصفا القلوب من وصول ذلك الماء إليها) (٢) .

وقال ابن عطاء : (﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ هذا مثلُ ضربةِ الله تعالى للعبد إذا سال السيلُ في الأودية ، لا يبقى في الأودية نجاسةٌ إلا كنسها وذهب بها ؛ كذلك إذا سال النورُ الذي قَسَمَ الله تعالى للعبد في نفسه ؛ لا يبقى فيه غفلةٌ ولا ظلمةٌ ؛ ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ يعني : قسمة النور ، ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ يعني : في القلوب الأنوارُ على ما قَسَمَ لها في الأزل ، ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ ، فتصيرُ القلوبُ مُنَوَّرَةً لا يبقى فيها جفوةٌ (٣) ، ﴿ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ تذهبُ البواطلُ وتبقى الحقائق (٤) .

وقال بعضهم : (﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أنواع الكرامات ، فأخذ كلُّ قلبٍ بحظِّه ونصيبه ؛ فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه . . بقدرها ، وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المُتَمَسِّكِينَ بحقائق التقوى . . بقدرها) (٥) .

(١) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١٠٦ / ٣) ، والراغب الأصفهاني في « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (ص ٨٨) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٣٠ / ١) ، وفيه : (بعين الجمال) بدل (بعين الجلال) .

(٣) أي : صفة ذميمة من الغلظة وغيرها .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٣٠ - ٣٣١ / ١) .

(٥) انظر « تفسير السلمي » (٣٣١ / ١) .

فَمَنْ كَانَ فِي بَاطِنِهِ لَوْثٌ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا مِنْ فَضُولِ الْمَالِ وَالْجَاهِ ، وَطَلَبِ
الْمَنَاصِبِ وَالرَّفْعَةِ . . سَالَ وَادِي قَلْبِهِ بِقَدَرِهِ ، فَأَخَذَ مِنَ الْعِلْمِ طَرَفًا صَالِحًا
وَلَمْ يَحْظَ بِحَقَائِقِ الْعُلُومِ ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اتَّسَعَ وَادِي قَلْبِهِ ، فَسَالَتْ فِيهِ
مِيَاهُ الْعُلُومِ ، وَاجْتَمَعَتْ وَصَارَتْ إِخَاذَاتٍ .

قِيلَ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ : هَكَذَا قَالَ الْفَقَهَاءُ ، فَقَالَ : وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهًا
قَطُّ ؟ ! إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا^(١) .

فَالصُّوفِيَّةُ أَخَذُوا حِطًّا مِنْ عِلْمِ الدِّرَاسَةِ ، فَأَفَادَهُمْ عِلْمُ الدِّرَاسَةِ الْعَمَلِ
بِالْعِلْمِ ، فَلَمَّا عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا . . أَفَادَهُمُ الْعَمَلُ عِلْمَ الْوِرَاثَةِ ، فَهَمَّ مَعَ سَائِرِ
الْعُلَمَاءِ فِي عُلُومِهِمْ ، وَتَمَيَّزُوا عَنْهُمْ بِعُلُومٍ زَائِدَةٍ ؛ هِيَ عُلُومُ الْوِرَاثَةِ ، وَعِلْمُ
الْوِرَاثَةِ : هُوَ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

فَصَارَ الْإِنذَارُ مُسْتَفَادًا مِنَ الْفَقْهِ ، وَالْإِنذَارُ : إِحْيَاءُ الْمُنْذَرِ بِمَاءِ الْعِلْمِ ،
وَالْإِحْيَاءُ بِالْعِلْمِ رُتْبَةُ الْفَقِيهِ فِي الدِّينِ ، فَصَارَ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ مِنْ أَكْمَلِ الرُّتَبِ

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٣٣٦) ، والدارمي في « المسند » (٣٠٢) ،
وابن المبارك في « الزهد » (٣٠) ضمن « زوائد نعيم بن حماد » ، والطبراني في
« الأوسط » (٢٠٨٥) ، فالفقه في العصر الأول إنما كان ينصرف إلى علم طريق
الآخرة ، والزهد في الدنيا ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وغير
ذلك ، إلى أن حُوِّرَ وَنُقِلَ إلى علم الفروع الفقهية وما يتعلق بها ، وراجع « إحياء علوم
الدين » (١ / ١٢٠) وما بعدها ؛ ففيه بحث نفيس مُحَرَّر في ذلك .

وأعلاها ؛ وهو علمُ العالمِ الزاهدِ في الدنيا المُتَّقِي ، الذي يبلغُ رُتبةَ الإنذارِ بعلمِهِ .

فمَوْرِدُ الهدى والعلمِ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا ؛ وَرَدَ عَلَيْهِ الهدى والعلمُ مِنَ اللهِ تعالى ، فارتوى بذلك ظاهراً وباطناً ، فظهرَ مِنْ ارتواءِ ظاهرِهِ الدِّينُ .

والدِّينُ : هو الانقيادُ والخضوعُ ؛ مُسْتَقٌّ مِنَ الدُّونِ ، فكلُّ شيءٍ اتَّضَعَ فهو دُونُ ، والدِّينُ : أَنْ يَضَعَ الإنسانُ نفسه لربِّهِ عزَّ وجلَّ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] .

فبالتفريقِ في الدِّينِ يستولي الذُّبُولُ على الجوارحِ ، ويذهبُ عنها نِصَارَةُ العلمِ ، والنِّصَارَةُ في الظاهرِ بتزيينِ الجوارحِ بالانقيادِ في النَّفْسِ والمالِ . . مُسْتَفَادٌ مِنْ ارتواءِ القلبِ ، والقلبُ في ارتواءِهِ بالعلمِ بمثابةِ البحرِ .

فصارَ قلبُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعلمِ والهدى . . بحراً مَوْاجاً ، ثُمَّ وَصَلَ مِنْ بحرِ قلبِهِ إِلَى النَّفْسِ ، فظهرَ عَلَى نَفْسِهِ الشَّرِيفَةُ نِصَارَةُ العلمِ وَرِيئُهُ ، فَتبدَّلَتْ نَعْوَتُ النَّفْسِ وَأَخْلَاقُهَا ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى الجوارحِ جَدُولٌ فصارتُ رِيَانَةً نَاضِرَةً ، فلمَّا اسْتَمَّتْ نِصَارَةً وَامْتَلَأَ رِيَاءً . . بعثَهُ اللهُ تعالى إِلَى الخَلْقِ ، فَأَقْبَلَ عَلَى الأُمَّةِ بِقَلْبٍ مَوْاجٍ بِمِيَاهِ العلومِ ، واستقبلَتْهُ جداولُ الفُهْمِ ، وَجَرَى مِنْ بحرِهِ فِي كُلِّ جَدُولٍ قِسْطٌ وَنَصِيبٌ ، وَذَلِكَ الْقِسْطُ الوَاصِلُ إِلَى الفُهْمِ هو الفقهُ فِي الدِّينِ .

روى عبدُ اللهِ بنُ عمرَ عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا

عَبَدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهِ فِي الدِّينِ ، وَلَفَقِيَهُ وَاحِدًا أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ
أَلْفِ عَابِدٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِمَادٌ ، وَعِمَادُ هَذَا الدِّينِ الْفِقْهُ « (١) .

(٣) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِمْلَاءٌ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ الزَّيْنَبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرْتَنَا كَرِيمَةُ بِنْتُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْمَرْوَزِيَّةُ ، قَالَتْ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْفَرَبَرِيُّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ ابْنِ [عُفَيْرٍ] (٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ ، عَنْ يُونُسَ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا . يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ
وَاللَّهُ يُعْطِي » (٣) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا وَصَلَ مَاءُ الْعِلْمِ إِلَى الْفَهْمِ . انْفَتَحَ بَصَرُ
الْقَلْبِ ، فَأَبْصَرَ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ .

وَلَمَّا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ [الزلزلة : ٧-٨] .

(١) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١٠٩ / ١) دون قوله : « وَلَفَقِيَهُ وَاحِدًا . . . » ،
ورواه بلفظه الدارقطني في « السنن » (٣٠٨٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٦١٦٦)
عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢٠ / ١) .

(٢) في النسخ : (سعيد بن حفص) ، والمثبت من « صحيح البخاري » ، وهو سعيد بن
كثير بن عُفَيْرٍ أَبُو عَثْمَانَ الْمَصْرِي . انظر « سير أعلام النبلاء » (٥٨٣ / ١٠) ،
و« تهذيب الكمال » (٣٦-٣٧ / ١١) .

(٣) صحيح البخاري (٧١) ، ورواه مسلم (١٠٣٨) .

قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : حَسْبِي حَسْبِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِقْهُ الرَّجُلُ » (١) .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ : الْفِقْهُ فِي الدِّينِ) (٢) .

وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الْفِقْهَ صِفَةً الْقَلْبِ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، فَلَمَّا فَقَّهُوا عِلِمُوا ، وَلَمَّا عِلِمُوا عَمِلُوا ، وَلَمَّا عَمِلُوا عَرَفُوا ، وَلَمَّا عَرَفُوا اهْتَدَوْا ؛ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَفْقَهُ كَانَتْ نَفْسُهُ أَسْرَعَ إِجَابَةً وَأَكْثَرَ انْقِيَادًا لِمَعَالِمِ الدِّينِ ، وَأَوْفَرَ حِظًّا مِنْ نُورِ الْيَقِينِ .

فَالْعِلْمُ جَمَلَةٌ مُوهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْقُلُوبِ ، وَالْمَعْرِفَةُ تَمِيزُ تِلْكَ الْجَمَلَةِ ، وَالْهُدَى وَجْدَانُ الْقُلُوبِ ذَلِكَ ؛ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ » (٣) . . أَخْبَرَ أَنَّهُ وَجَدَ الْقَلْبُ النَّبَوِيَّ الْهُدَى وَالْعِلْمَ ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَادِيًا مَهْدِيًا ، وَعِلْمُهُ

(١) قوله : (فِقْهُ) يُقَالُ بِكسر القاف وضمها ، والضمُّ أشهر وأجود . انظر « مرقاة المفاتيح » (٢٨٤ / ١) ، والحديث رواه أحمد (٥٩ / ٥) ، والحاكم (٦١٣ / ٣) ، والنسائي في « الكبرى » (١١٦٣٠) ، وليس فيها زيادة : (فقال رسول الله . . .) ، والأعرابي المذكور في الحديث : هو صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس ، كما صوّبه ابن حجر وغيره ، ووقع في « المسند » و« سنن النسائي » وغيرهما أنه عم الفرزدق . انظر « أسد الغابة » (٢١ / ٣) ، و« الإصابة » (٣٤٦ / ٣) ، و« غنية العارف » (٢١ / ١) . (٢٢) .

(٢) رواه القضاعي في « المسند » (١٢٩٠) عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٢٦٤) عن ابن عمر وحده ، وانظر « غنية العارف » (٢٢ / ١) .

(٣) سبق تخريجه (١٦٤ / ١ - ١٦٥) .

صلواتُ الله وسلامُهُ عليه منها وراثَةٌ معجونةٌ فيه مِنْ آدمَ أبي البشرِ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه ؛ حيثُ علِّمَ الأسماءَ كُلَّها ، والأسماءُ سِمَةُ الأشياءِ ، فكَرَّمَهُ اللهُ تعالى بالعلمِ فقالَ : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٥] .

فآدمُ عليه السلامُ بما رُكِّبَ فيه مِنَ العلمِ والحكمةِ . . صارَ ذا الفهمِ والمعرفةِ والفطنةِ ، والرَّأْفَةِ واللُّطْفِ ، والحبِّ والبُغْضِ ، والفرحِ والغَمِّ ، والغضبِ والرِّضا ، والكياسَةِ ، ثمَّ اقتضاهُ استعمالُ كلِّ ذلكَ ^(١) ، وجُعِلَ لقلبه بصيرةٌ واهتداءٌ إلى الله تعالى بالنورِ الذي وُهِبَ لَهُ ؛ فالنبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بُعِثَ إلى الأُمَّةِ بالنورِ الموروثِ والموهوبِ لَهُ خاصَّةً .

وقيلَ : لَمَّا خاطَبَ اللهُ تعالى السماواتِ والأرضَ بقوله سُبْحانَهُ : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] . . نطقَ مِنَ الأرضِ وأجابَ موضعُ الكعبةِ ، وَمِنَ السماءِ ما يُحاذِيها ، وقد قالَ عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُما : (أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ . . مِنْ سُرَّةِ الأرضِ بِمَكَّةَ) .

فقالَ بعضُ العلماءِ : هَذَا يُشْعِرُ أَنَّ ما أَجَابَ مِنَ الأرضِ ذَرَّةُ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وَمِنْ مَوْضِعِ الكعبةِ دُحِيتِ الأرضِ ، فَصارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ هُوَ الْأَصْلُ فِي التَّكْوِينِ ، وَالْكَائِنَاتُ تَبَعٌ لَهُ .

وإلى هَذَا الإِشارةُ بقوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ » ، وفي روايةٍ : « بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » ^(٢) ، وقيلَ : لذلِكَ سُمِّيَ

(١) اقتضاه ؛ أي : دلَّ عليه .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٠٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وأحمد (٥٩/٥) ، =

أُمِّيًّا ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ أُمِّ الْقُرَى ، وَذَرَّتُهُ أُمُّ الْخَلِيقَةِ .

وَتُرْبَةُ الشَّخْصِ مَدْفَنُهُ ، فَكَانَ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ مَدْفَنُهُ بِمَكَّةَ حَيْثُ كَانَتْ تُرْبَتُهُ مِنْهَا ، وَلَكِنْ قِيلَ : الْمَاءُ لَمَّا تَمَوَّجَ رَمَى الزَّبَدَ إِلَى النَّوَاحِي ، فَوَقَعَتْ جَوْهَرَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا يُحَازِي تُرْبَتَهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكِّيًّا مَدْنِيًّا ، حَنِينُهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَتُرْبَتُهُ بِالْمَدِينَةِ .

وَالْإِشَارَةُ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ذَرَّةٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . هُوَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ، وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ : (أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَسَحَ ظَهَرَ آدَمَ وَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْهُ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ)^(١) ، اسْتَخْرَجَ الذَّرَّ مِنْ مَسَامٍ شَعَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَخَرَجَ الذَّرُّ كَخُرُوجِ الْعَرَقِ .

وَقِيلَ : كَانَ الْمَسْحُ مِنْ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ ، فَأُضَافَ الْفِعْلُ إِلَى الْمُسَبِّبِ .
وَقِيلَ : مَعْنَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ مَسَحَ ؛ أَيِ : أَحْصَى ؛ كَمَا تُحْصَى الْأَرْضُ بِالسَّاحَةِ .

وَكَانَ ذَلِكَ بَيْطَنَ نَعْمَانَ ؛ وَادٍ بِجَنْبِ عَرَفَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ .
فَلَمَّا خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى الذَّرَّ وَأَجَابُوا بِ (بَلَى) . . كَتَبَ الْعَهْدَ فِي رِقِّ

وَالْحَاكِمُ (٦٠٨/٢ - ٦٠٩) عَنْ مَيْسِرَةَ الْفَجْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الْأُولَى : فَقَالَ السَّخَاوِيُّ فِي « الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ » (ص ٥٢١) : (وَأَمَّا الَّذِي عَلَى الْأَلْسِنَةِ بِلَفْظِ : « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ » . . فَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ) .

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤٤١/٦) ، وَالبَزَارُ فِي « الْمُسْنَدِ » (٤١٤٣) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةَ الْعَارِفِ » (٢٤/١ - ٢٥) .

أبيض^(١) ، وأشهد عليه الملائكة ، وألقمه الحجر الأسود^(٢) ، فكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المقيمة من الأرض ، والعلم والهدى فيه معجونان ، فبعث بالعلم والهدى موروثاً له وموهوباً .

وقيل : لما بعث الله جبريل وميكائيل ليقبضا قبضة من الأرض . . فأبت^(٣) ، حتى بعث الله عزرائيل ، فقبض قبضة من الأرض ، وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه ، فصار بعض الأرض بين قدميه ، والبعض بين موضع أقدامه ، فخلقت النفس ممّا مسّ قدم إبليس ، فصارت مأوى الشرّ ، وبعضها لم يصل إليه قدم إبليس ، فمن تلك التربة أصل الأنبياء والأولياء .

وكانت ذرة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل ، لم تمسّها قدم إبليس ، فلم يصبه حظّ الجهل ، بل صار منزوع الجهل ، مؤقراً حظه من العلم ، فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم ، وانتقل من قلبه إلى القلوب ، ومن نفسه إلى النفوس ، ف وقعت المناسبة في أصل طهارة الطينة ، ووقع التأليف بالتعارف الأول .

فكلّ من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة . . كان أوفر حظاً من قبول ما جاء به ، فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة ، فأخذت من العلم حظاً

(١) الرّق في الأصل : جلد رقيق يكتب فيه ، وكسر الراء لغة قليلة فيه .

(٢) رواه الحاكم (٤٥٧/١) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٧٤٩) ، وانظر « تفسير الطبري » (٢٢٢-٢٥٠) ، و « الدر المنثور » (٦٠٧-٥٩٨/٣) ، وفيهما روايات متعددة فيما يتعلق بتفسير الآية السابقة ، وفيما أورده المؤلف ها هنا .

(٣) كذا في النسخ بدخول الفاء على الجواب ، وهو جائز على قلّة ، كما صرح به بدر الدين ابن مالك في « تكملة شرحه على التسهيل » (١٠٣/٤) .

وافراً ، وصارت بواطنهم إخاذات ، فعَلِمُوا وَعَمِلُوا ؛ كَالْإِخَاذِ الَّذِي يُسْقَى مِنْهُ وَيُزْرَعُ مِنْهُ ، وَجَمَعُوا بَيْنَ فَائِدَةِ عِلْمِ الدَّرَاسَةِ وَعِلْمِ الْوَرَاثَةِ بِأَحْكَامِ أُسَاسِ التَّقْوَى .

وَلَمَّا تَزَكَّتِ النُّفُوسُ انْجَلَتْ مَرَايَا قُلُوبِهِمْ بِمَا صَقَلَهَا مِنَ التَّقْوَى ، فَانْجَلَى فِيهَا صُورُ الْأَشْيَاءِ عَلَى هَيْئَتِهَا وَمَاهِيَّتِهَا ، فَبَانَتْ الدُّنْيَا بِقُبْحِهَا فَرَفُضُوهَا ، وَظَهَرَتِ الْآخِرَةُ بِحُسْنِهَا فَطَلَبُوهَا ، فَلَمَّا زَهَّدُوا فِي الدُّنْيَا انْصَبَّتْ إِلَى بَوَاطِنِهِمْ أَقْسَامُ الْعُلُومِ انْصِبَاباً ، وَانْصَافَ إِلَى عِلْمِ الدَّرَاسَةِ عِلْمُ الْوَرَاثَةِ .

وَاعْلَمْ : أَنَّ كُلَّ حَالٍ شَرِيفٍ نَعَزُوهُ إِلَى الصُّوفِيِّ فِي هَذَا الْكِتَابِ (١) . .
هُوَ حَالُ الْمُقَرَّبِ ، وَالصُّوفِيُّ هُوَ الْمُقَرَّبُ ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ اسْمُ الصُّوفِيِّ ، وَاسْمُ الصُّوفِيِّ تَرْكٌ وَوُضِعَ لِلْمُقَرَّبِ عَلَى مَا سَنُشْرَحُ ذَلِكَ فِي بَابِهِ (٢) .

وَلَا يُعْرَفُ فِي طَرَفِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ شَرْقاً وَغَرْباً هَذَا الْاسْمُ لِأَهْلِ الْقُرْبِ ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ لِلْمُتَرَسِّمِينَ ، وَكَمِ مِنَ الرِّجَالِ الْمُقَرَّبِينَ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ تُرْكِسْتَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَفَرَّغَانَةَ وَلَا يُسَمَّوْنَ صُوفِيَةً !! لِأَنَّهُمْ لَا يَتَزَيَّوْنَ بِزِيِّ الصُّوفِيَّةِ ، وَلَا مُشَاحَّةَ فِي الْأَلْفَاظِ .

فَيُعْلَمُ أَنَّا نَعْنِي بِالصُّوفِيَّةِ : الْمُقَرَّبِينَ .

(١) فِي (أ ، و) وَنَسَخَةٌ عَلَى هَامِشِ (د) : (نَعَزِيهِ) بَدَلَ (نَعَزُوهِ) ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ ، إِلَّا أَنَّ الْوَاوَ أَفْصَحُ ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي « تَحْرِيرِ أَلْفَاظِ التَّنْبِيهِ » (ص ٣٤٤) .

(٢) انْظُرْ (١ / ٢٦٧ - ٢٦٩) .

فمُشايخُ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ أَسْمَاؤُهُمْ فِي الطَّبَقَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ ^(١) . .
كُلُّهُمْ كَانُوا فِي طَرِيقِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَعِلْمُهُمْ عِلْمُ أَحْوَالِ الْمُقَرَّبِينَ .

وَمَنْ تَطَّلَعَ إِلَى مَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَبْرَارِ . . فَهُوَ مُتَصَوِّفٌ ، مَا لَمْ
يَتَحَقَّقْ بِحَالِهِمْ ، فَإِذَا تَحَقَّقَ بِحَالِهِمْ صَارَ صُوفِيًّا ، وَمَنْ عَدَاهُمَا مِمَّنْ تَمَيَّزَ
بِزَيٍّ وَنُسَبَ إِلَيْهِمْ . . فَهُوَ مُتَشَبِّهٌ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٢) .



(١) يحتمل : أنه يريد بـ (الطبقات) « طبقات الصوفية » للسلمي ، ويحتمل العموم .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في الثاني للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ،
بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة في الثاني على جلال
الدين ، كاتبه عبد السلام) .

الباب الثاني

في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع

(٤) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ إِمْلَاءً ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ الْمُقَرِّيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ
أَبُو بَكْرِ الْخَطِيبُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمَرَ الْهَاشِمِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ
الْلُّؤْلُؤِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا يَحْيَى ، عَنْ شُعْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُ بْنُ سَلِيمَانَ مِنْ وَلَدِ عَمْرِو بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ
ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ ، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ
هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ غَيْرِ فَقِيهِ » (١) .

قَالَ الشَّيْخُ : أَسَاسُ كُلِّ خَيْرٍ : حُسْنُ الْإِسْتِمَاعِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ
عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٣] .

(١) سنن أبي داود (٣٦٦٠) ، ورواه الترمذي (٢٦٥٦) ، والدارمي (٢٣٥) ، وفي
الباب عن غير زيد بن ثابت رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (١ / ٢٨-٢٩) ، وقد
أفرد مؤلفها المحدث الشريف أحمد ابن الصديق الغماري رسالة في طرق هذا الحديث
سمّاها : « المسك التبتى في طرق حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي » .

يقول بعضهم : (علامة الخير في السَّماعِ : أن يسمع العبدُ بفناء أوصافِهِ ونُعوته ، ويسمعه بحقٍّ مِنْ حقٍّ) (١) .

وقال بعضهم : (لو عَلِمَهُمْ أَهْلًا لِلسَّماعِ لفتح آذانَهُم للاستماع) (٢) ، فَمَنْ تَمَلَّكَهُ الْوَساوسُ ، وَغَلَبَ عَلَى باطنِهِ حَدِيثُ النَفْسِ . . لا يَقْدِرُ عَلَى حُسْنِ الاستماعِ .

فَالصُّوفِيَّةُ وَأَهْلُ الْقُرْبِ لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى رَسَائِلُهُ إِلَى عِبَادِهِ وَمَخاطبَاتُهُ إِيَّاهُمْ . . رَأَوْا كُلَّ آيَةٍ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى بَحْرًا مِنْ أَبْحُرِ الْعِلْمِ ؛ بِمَا يَتَضَمَّنُ مِنْ ظَاهِرِ الْعِلْمِ وَباطنِهِ ، وَجَلِيَّةٍ وَخَفِيَّةٍ ، وَبَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؛ بِاعتبارِ ما تُنبِّهُ أو تدعو إِلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ .

وَرَأَوْا كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى - مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَتَعَيَّنُ الاستماعُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ مِنْ أَهَمِّ مَا عِنْدَهُمُ الاستعدادُ للاستماعِ .

وَرَأَوْا أَنَّ حُسْنَ الاستماعِ قَرَعُ بَابِ الْمَلَكُوتِ ، وَاسْتِزَالُ بَرَكَةِ الرِّغَبِوتِ وَالرَّهْبِوتِ .

وَرَأَوْا أَنَّ الْوَساوسَ أَذْحَنُ ثَائِرَةٍ مِنْ نَارِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ، وَقَتَامٌ يَتْرَاكُمُ مِنْ نَفْثِ الشَّيْطَانِ (٣) ، وَأَنَّ الْحِظْوَظَ الْعَاجِلَةَ وَالْأَقْسَامَ الدُّنْيَوِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الْهَوَى وَمَثَارُ الرَّدَى . . بِمَثَابَةِ الْحَطَبِ الَّذِي تَزْدَادُ النَّارُ بِهِ تَأْجُجًا ،

(١) انظر « تفسير السلمي » (١ / ٢٦٣) .

(٢) انظر « تفسير السلمي » (١ / ٢٦٤) .

(٣) القَتَامُ : الْغَبَارُ .

ويزداد القلب به تحرجاً ، فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها ، فلما انقطعت عن نار النفس أخطأها ، وفترت نيرانها ، وقل دُخانها . . شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم ، فهَيَّؤوا مواردها بصفاء الفُهوم ، فلما شَهِدُوا سَمِعُوا ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] .

قال السُّبُلِيُّ رحمه الله : (موعظة القرآن لِمَنْ قلبه حاضرٌ مع الله لا يغفل عنه طرفة عين)^(١) .

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله عليه : (القلبُ قلبان : قلبٌ قد احتشى بأشغال الدنيا ؛ حتى إذا حضرَ أمرٌ مِنْ أمورِ الطاعة^(٢) . . لم يدرِ صاحبه ما يصنع ؛ مِنْ شغلِ قلبه بالدُّنيا ، وقلبٌ قد احتشى بأحوال الآخرة ؛ حتى إذا حضرَ أمرٌ مِنْ أمورِ الدُّنيا . . لم يدرِ صاحبه ما يصنع ؛ لذهابِ قلبه في الآخرة ، فانظر كم بين بركة تلك الأفهام الثابتة^(٣) ، وشُؤم هذه الأشغال الفانية التي أقعدتكَ عن الطاعة)^(٤) .

قال بعضهم : (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ سَلِيمٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْأَمْرَاضِ)^(٥) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٩/٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٩١/٢٤) .

(٢) وهي أمور الآخرة ، كما صُرح بذلك في « الكشف والبيان » بدل المثبت ، وجاء كذلك في نسخة على هامش (أ ، هـ) .

(٣) في (أ ، ب ، هـ ، و) : (الأوهام) بدل (الأفهام) ، وفي (ج) ونسخة على هامش (د) : (الأحوال) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٩/٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٩١/٢٤) .

(٥) انظر « تفسير السلمي » (٢٦٩/٢) ، وفيه وفي (ب) : (الأعراض) بدل (الأغراض) .

قال الحسين بن منصور : لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ لَا يَخْطُرُ فِيهِ إِلَّا شَهْوَدُ
الرَّبِّ ، وَأَنْشَدَ :

أَنْبِي إِلَيْكَ قُلُوبًا طَالَمَا هَظَلْتُ سَحَابُ الْوَحْيِ فِيهَا أَنْخَرَ الْحَكَمُ^(١)
وقال ابن عطاء : (قَلْبٌ لَاحِظُ الْحَقِّ بَعِينُ التَّعْظِيمِ ، فَذَابَ لَهُ وَانْقَطَعَ
إِلَيْهِ عَمَّا سِوَاهُ)^(٢) .

وقال الواسطي : (أَي : لَذِكْرِي لِقَوْمٍ مَخْصُوصِينَ لَا لِسَائِرِ النَّاسِ ،
لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ؛ أَي : فِي الْأَزَلِ ؛ وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ أَوْ
مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢])^(٣) .

وقال أيضاً : (الْمَشَاهِدَةُ تُذْهِلُ ، وَالْحُجْبَةُ تُفْهِمُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا
تَجَلَّى لَشَيْءٍ خَضَعَ لَهُ وَخْشَعَ) .

وهذا الذي قاله الواسطي صحيح في حق أقوام ، وهذه الآية تَحْكُمُ
بخلاف هذا لأقوام آخرين ؛ وَهُمْ أَرْبَابُ التَّمْكِينِ ؛ يَجْمَعُ لَهُم بَيْنَ الْمَشَاهِدَةِ
وَالْفَهْمِ ؛ فَمَوْضِعُ الْفَهْمِ مَحَلُّ الْمَحَادَثَةِ وَالْمُكَالَمَةِ ؛ وَهُوَ سَمْعُ الْقَلْبِ ،
وَمَوْضِعُ الْمَشَاهِدَةِ بَصَرُ الْقَلْبِ .

وَاللَّسْمُ حُكْمُهُ وَفَائِدَتُهُ ، وَلِلْبَصَرِ حُكْمُهُ وَفَائِدَتُهُ ؛ فَمَنْ هُوَ فِي سُكْرِ
الْحَالِ يَغِيبُ سَمْعُهُ فِي بَصَرِهِ ، وَمَنْ هُوَ فِي حَالِ الصَّخْوِ وَالتَّمْكِينِ لَا يَغِيبُ
سَمْعُهُ فِي بَصَرِهِ ؛ لِتَمَلُّكِه نَاصِيَةِ الْحَالِ ، وَيَفْهَمُ بِالْوَعَاءِ الْوُجُودِيَّ الْمُسْتَعِدَّ

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٩ / ٢) ، والبيت في « أخبار الحلاج » (ص ٦٥) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٩ / ٢) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٩ / ٢) .

لفهم المقال ؛ لأنَّ الفهمَ مَوْرَدُ الإلهامِ والسماعِ ، والإلهامُ والسماعُ يستدعيانِ وعاءَ وجوديًّا ، وهذا الوجودُ يكونُ موهوباً مُنشأً إنشَاءً ثانياً للمُتمكِّنِ في مقامِ الصَّخْرِ ، وهوَ غيرُ الوجودِ الذي يتلاشى عندَ لمعانِ نورِ المشاهدةِ لِمَنْ جازَ على مَمَرِّ الفناءِ إلى مَقَارِّ البقاءِ^(١) .

وقال ابنُ سَمْعُونٍ^(٢) : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْرِفُ آدَابَ الخِدْمَةِ ، وآدَابُ القلبِ ثلاثةُ أشياءَ : فالقلبُ إذا ذاقَ طعمَ العبادةِ عَتَقَ مِنْ رِقِّ الشهوةِ ؛ فَمَنْ وَقَفَ عن شهوتِهِ وجدَّ ثُلُثَ الأدبِ ، وَمَنْ افْتَقَرَ إلى ما لم يجدْ مِنَ الأدبِ بعدَ الاشتغالِ بما وَجَدَ . فقد وجدَّ ثُلثي الأدبِ ، والثالثُ امتلاءُ القلبِ بالذي بدأ بالفضلِ عندَ الوفاءِ تَفْضُّلاً)^(٣) .

وقال مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الباقرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَوْتُ القلبِ مِنْ شهواتِ النفسِ ، فكلُّما رَفَضَ شهوةً نَالَ مِنَ الحَيَاةِ بِقِسْطِهَا)^(٤) ، فالسماعُ للأحياءِ لا للأَمْواتِ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل : ٨٠] .

وقال سهلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ رحمهُ اللهُ : (القلبُ رقيقٌ تُؤَثِّرُ فِيهِ الخَطَرَاتُ المَذْمُومَةُ ، وَأَثَرُ القَلِيلِ عَلَيْهِ كَثِيرٌ)^(٥) ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ

(١) في (أ) ونسخة على هامش (هـ) : (مقام) بدل (مقار) ، وفي (د) : (مقر) .

(٢) يجوز في (سَمْعُون) الصرفُ وعدمه ، ومثله : (سمنون) و (سحنون) و (حمدون) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٧٠) ، وقوله : (عند الوفاء تَفْضُّلاً) ؛ أي : عند الوفاء بما يوجبه الاستحقاق . من هامش (ز) ، وفي بعض النسخ المطبوعة : (فالذي بدأ بالفضل عند الوفاء تَفْضُّلاً . فقد وجدَّ كلَّ الأدب) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٧٠) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٢٨٠) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٧٠) .

يَعِشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿ [الزخرف : ٣٦] .

فالقلبُ عَمَّالٌ لا يَفْتَرُ ، والنفسُ يَقْطِي لا تَرْقُدُ ، فَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ مُسْتَمِعًا إِلَى اللَّهِ ^(١) ، وَإِلَّا فَهُوَ مُسْتَمِعٌ إِلَى الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ سَدَّ بَابَ الْإِسْتِمَاعِ فَمِنْ حَرَكَةِ النَّفْسِ ، وَفِي حَرَكَتِهَا يَطْرُقُ الشَّيْطَانُ ^(٢) ، وَقَدْ وَرَدَ : « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ . لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ » ^(٣) .

وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَلَّاجُ : (بِصَائِرُ الْمُبْصِرِينَ ، وَمَعَارِفُ الْعَارِفِينَ ، وَنُورُ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ ، وَطُرُقُ السَّابِقِينَ النَّاجِينَ ، وَالْأَزَلُ وَالْأَبَدُ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْحَدَثِ . . لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ^(٤) .

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : (هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي يُلَاحِظُ الْحَقَّ وَيُشَاهِدُهُ ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ خَطَرَةٌ وَلَا فِتْرَةٌ ، فَيَسْمَعُ بِهِ بَلْ يَسْمَعُ مِنْهُ ، وَيَشْهَدُ بِهِ بَلْ يَشْهَدُهُ ، فَإِذَا لَاحِظَ الْقَلْبُ الْحَقَّ بَعَيْنِ الْجَلَالِ . . فَرَعَ وَارْتَعَدَ ، وَإِذَا طَالَعَهُ بَعَيْنُ الْجَمَالِ . . هَدَأَ وَاسْتَقَرَّ) ^(٥) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ بَصِيرٌ يَقْوَى عَلَى التَّجَرُّدِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى

(١) فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (ب) : (الْقَلْبُ) بَدَلَ (الْعَبْدُ) .

(٢) أَوْ يُضْبَطُ : (تَطْرُقُ الشَّيْطَانُ) ، كَمَا فِي بَعْضِ النُّسخِ ، وَفِي بَعْضِهَا : (يَتَطْرَقُ الشَّيْطَانُ) .

(٣) رَوَاهُ بَنُحُوهُ أَحْمَدُ (٣٥٣ / ٢) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٣٧٧٢٩) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غِنْيَةَ الْعَارِفِ » (٣٣ / ١ - ٣٤) .

(٤) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٢٧٠ / ٢) ، وَفِيهِ : (الْمَنَاجِينَ) بَدَلَ (النَّاجِينَ) .

(٥) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٢٧٠ / ٢) .

والتفريد له ، حتى يخرج من الدنيا والخلق والنفس ، فلا يشتغل بغيره ، ولا يركن إلى سواه ^(١) .

فقلب الصوفي مجرد عن الأكوان ، ألقى سمعه ، وشهد بصره ؛ فسمع المسموعات ، وأبصر المبصرات ، وشاهد المشهودات ؛ لتخلصه إلى الله تعالى ، واجتماعه بين يدي الله تعالى ، والأشياء كلها عند الله ، وهو عنده ، فسمع وشاهد ، فأبصر وسمع جملها ، ولم يسمع ولم يشاهد تفاصيلها ؛ لأنَّ الجمل تدرك لسعة عين الشهود ، والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود ، والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل .

وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس في الاستماع وقال : إنَّ الباذر خرج ببذره فملاً منه كفه ، فوقع منه شيء على ظهر الطريق ، فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاخطفه .

ووقع منه شيء على الصفوان - وهو الحجر الأملس عليه تراب يسير وندى قليل - فنبت ، حتى إذا وصلت عروقه إلى الصفا . لم تجد مساعاً تنفذ فيه ، فييس .

ووقع منه شيء على أرض طيبة فيها شوك نابت ، فنبت ، فلما ارتفع خنقه الشوك فأفسده واختلط به .

ووقع منه شيء على أرض طيبة ليس على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك ، فنبت ونما وصلاح .

فمثل الباذر مثل الحكيم ، ومثل البذر كمثال صواب الكلام .

(١) عزاه السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٧٠) إلى ابن عطاء رحمه الله تعالى .

ومَثَلُ ما وَقَعَ على ظَهْرِ الطريقِ . . مَثَلُ الرجلِ يَستمَعُ إلى الكلامِ وهو لا يريدُ أن يَسمَعَهُ ، فما يَلَبَثُ الشيطانُ أن يَخَطِفَهُ مِنْ قَلْبِهِ فينساها .

ومَثَلُ الذي وَقَعَ على الصَّفْوانِ . . مَثَلُ الرجلِ يَستمَعُ إلى الكلامِ فيستَحْسِنُهُ ، ثُمَّ تُفْضِي الكلمةُ إلى قلبٍ ليسَ فيه عزمٌ على العملِ ، فيُنسَخُ مِنْ قَلْبِهِ .

ومَثَلُ الذي وَقَعَ في أرضٍ طَيِّبَةٍ فيها شوكٌ . . مَثَلُ الرجلِ يَستمَعُ إلى الكلامِ وهو ينوي أن يعملَ بهِ ، فإذا اعترضَتْ لَهُ الشهواتُ قَيَّدَتْهُ عن النهوضِ إلى العملِ ، فيتركُ ما نوى عملهً لغلبةِ الشهوةِ ؛ كالزراعِ يَخْتَنِقُ بالشوكِ .

ومَثَلُ الذي وَقَعَ في أرضٍ طَيِّبَةٍ لاشوكٍ فيها . . مَثَلُ المُستمعِ الذي ينوي عملهً ، فيفهمُهُ ويعملُ بهِ ويُجانبُ هواهُ .

وهذا الذي جانبَ الهوى ، وانتهجَ سُبُلَ الهدى . . هو الصُّوفيُّ ؛ لأنَّ للهوى حلاوةً ، والنفْسُ تَشَرَّبَتْ حلاوةَ الهوى ، فهي تَرَكَنُ إليه وتَسْتَلِذُّهُ ، واستلذاذُ الهوى هو الذي يَخْنُقُ النَّبْتَ كالشوكِ ، وقلبُ الصُّوفيِّ نازلهُ حلاوةَ الحُبِّ الصافي ، والحُبُّ الصافي يُعَلِّقُ الروحَ بالحضرةِ الإلهيَّةِ^(١) ، وَمِنْ قُوَّةِ انجذابِ الروحِ إلى الحضرةِ الإلهيَّةِ بداعيَةِ الحُبِّ . . تستبَعُ القلبَ والنفْسَ^(٢) .

وحلاوةُ الحُبِّ للحضرةِ الإلهيَّةِ تَغْلِبُ حلاوةَ الهوى ؛ لأنَّ حلاوةَ الهوى كشجرةٍ خبيثةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأرضِ ما لها مِنْ قرارٍ ؛ لكونها لا ترتقي عن حدِّ النَّفْسِ ، وحلاوةُ الحُبِّ كشجرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ ؛

(١) قوله : (يُعَلِّقُ الروحَ) ضُبِطَ في بعض النسخ : (تَعَلَّقُ الروحَ) .

(٢) في (ج) : (يستبَعُ القلبَ والنفْسَ) .

لأنها مُتَأَصِّلَةٌ فِي الرُّوحِ ، فرُعُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَعُرُوقُهَا ضَارِبَةٌ فِي أَرْضِ النَّفْسِ .
 فَإِذَا سَمِعَ الْكَلِمَةَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 يَتَشَرَّبُهَا بِالرُّوحِ وَالْقَلْبِ وَالنَّفْسِ ، وَيُفِدِّيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ وَيَقُولُ^(١) : [من البسيط]
 أَشَمُّ مِنْكَ نَسِيماً لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَظُنُّ لَمِيَاءَ جَرَّتْ فِيكَ أَرْدَانَا
 فَتَعَمُّهُ الْكَلِمَةُ وَتَشْمَلُهُ ، وَتَصِيرُ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْهُ سَمْعاً ، وَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنْهُ
 بَصِراً ، فَيَسْمَعُ الْكُلَّ بِالْكُلِّ ، وَيُبْصِرُ الْكُلَّ بِالْكُلِّ ، وَيَقُولُ^(٢) : [من الخفيف]
 لِي حَيْبٌ خَيَالُهُ نُصْبٌ عَيْنِي سِرُّهُ فِي ضَمَائِرِي مَدْفُونٌ
 إِنْ تَأَمَّلْتُكُمْ فَكُلِّي عُيُونٌ أَوْ تَذَكَّرْتُكُمْ فَكُلِّي قُلُوبٌ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
 الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (اللَّبُّ وَالْعَقْلُ مِثْلُ جُزْءٍ ؛ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ فِي النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْجُزْءُ الَّذِي فِي سَائِرِ
 الْمُؤْمِنِينَ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ سَهْماً ؛ فَسَهْمٌ تَسَاوَى الْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ فِيهِ ؛ وَهُوَ
 شَهَادَةٌ : « أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » ، وَعِشْرُونَ سَهْماً
 يَتَفَاضِلُونَ فِيهَا عَلَى مَقَادِيرِ حَقَائِقِ إِيْمَانِهِمْ)^(٣) .

قِيلَ : فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِظْهَارُ فَضِيلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛

(١) البيت للشريف الرضي في « ديوانه » (٤٠٥ / ٢) ، ولمياء : مؤنث (أَلْمَى) ،
 وَاللَّمَى : سُفْرَةٌ فِي الشَّفَةِ ، وَالْأَرْدَانُ : جَمْعُ (رُدْن) ؛ وَهُوَ أَصْلُ الْكُمِّ .

(٢) أورد البيهقي أسامة ابن منقذ في « البديع في نقد الشعر » (ص ١٨٤) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (١٩٥ / ٢) .

أي : الأحسن ما يأتي به ؛ لأنه لما وقعت له صُحبة التمكين ، ومقارنته الاستقرار قبل خلق الكون . . ظهرت عليه الأنوار في الأحوال كلها ، وكان معه أحسن الخطاب ، وله السبق في جميع المقامات ؛ ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول : « نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ »^(١) ؛ أي : الآخرون وجوداً ، السابقون في الخطاب الأول في الفضل في محلّ القدس .

وقال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

قال الحارث المحاسبى : (مَنْ لَمْ يَسْمَعْ نِدَاءَ اللَّهِ تَعَالَى . . كَيْفَ يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ !؟)^(٢) .

قال الجنيد رحمه الله عليه : (تَنَسَّمُوا رُوحَ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَاسْرِعُوا إِلَى مَخَوِ الْعَلَاتِقِ الشَاغِلَةِ ، وَهَجَمُوا بِالنَفُوسِ عَلَى مُعَانِقَةِ الْحَذَرِ ، وَتَجَرَّعُوا مَرَارَةَ الْمُكَابِدَةِ ، وَصَدَّقُوا اللَّهَ فِي الْمُعَامَلَةِ ، وَأَحْسَنُوا الْأَدَبَ فِيمَا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ ، وَعَرَفُوا قَدْرَ مَا يَطْلُبُونَ ، وَسَجَنُوا هُمُومَهُمْ عَنِ التَّقَلُّبِ إِلَى مَذْكَورٍ سِوَى وَلِيِّهِمْ ، فَحَيُّوا حَيَاةَ الْأَبَدِ بِالْحَيِّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ)^(٣) .

(١) رواه البخاري (٢٣٨) ، ومسلم (٨٥٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧٥ / ١٠) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٢ / ١٠) ضمن كلام طويل ، وأورده السلمي في

« تفسيره » (٢٦٤ / ١) ، وفي (ب ، ج ، و) : (همهم) بدل (همومهم) ، وفي

« الحلية » : (همومهم عن التلفت) .

وقال الواسطي رحمه الله تعالى : (حياتها تصفيتها عن كل معلول لفظاً وفعلاً)^(١) .

وقال بعضهم : (استجيبوا لله بسرائركم ، وللرسول بظواهركم ؛ فحياة النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب ؛ وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير)^(٢) .

وقال ابن عطاء رضي الله عنه : (في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه : أولها : إجابة التوحيد ، والثاني : إجابة التحقيق ، والثالث : إجابة التسليم ، والرابع : إجابة التقريب)^(٣) .

فالاستجابة على قدر السماع ، والسماع من حيث الفهم ، والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام ، والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ، ووجوه الفهم لا تنحصر ؛ لأن وجوه الكلام لا تنحصر ؛ ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

فلله تعالى في كل كلمة من القرآن كلماته التي ينفذ البحر دون نفادها^(٤) ؛ فكل الكلام كلمة ؛ نظراً إلى ذات التوحيد ، وكل كلمة كلمات ؛ نظراً إلى سعة العلم الأزلي .

(٥) - حدثنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب الشهروردي رحمه الله

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٤ / ١) .

(٢) انظر « تفسير السلمي » (٢٦٤ / ١) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٦٤ / ١) .

(٤) في (د) : (كلمات) بدل (كلماته التي) .

عليه ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الرَّئِيسُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ نُبَهَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ شَازَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا دَعْلَجُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَغَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنِ الْحَسَنِ ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ »^(١) ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطْلَعٌ » ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ^(٢) ؛ مَا الْمُطْلَعُ ؟ قَالَ : يَطْلَعُ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهِ .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : (أَحْسَبُ أَنَّ قَوْلَ الْحَسَنِ هَذَا إِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)^(٣) .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ مُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (مَا مِنْ حَرْفٍ أَوْ آيَةٍ إِلَّا وَقَدْ عَمِلَ بِهَا قَوْمٌ ، أَوْ لَهَا قَوْمٌ سَيَعْمَلُونَ بِهَا)^(٤) .

فَالْمُطْلَعُ : الْمَصْعَدُ يُصْعَدُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ عِلْمِهِ ، فَيَكُونُ الْمُطْلَعُ الْفَهْمَ

(١) في (د) : (ظاهر وباطن) .

(٢) القائل : هو علي بن زيد التيمي الوارد في السند ، وأبو سعيد : كنية الحسن البصري التابعي الشهير رحمه الله تعالى .

(٣) فضائل القرآن (ص ٩٨) دون قول أبي عبيد آخراً ، غريب الحديث (٢٣٨ / ٢ - ٢٣٩) ، ورواه المؤلف في « مشيخته » (ص ٤٩) بالسند نفسه ، والحسن : هو البصري ؛ فالحديث مرسل ، وروي مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (٣٨ / ١ - ٣٩) .

(٤) فضائل القرآن (ص ٩٩) ، غريب الحديث (٢٣٩ / ٢) ، وانظر « مشيخة السهروردي » (ص ٤٩) .

بفتح الله على كل قلب بما يُرزق من النور .

واختلف الناس في معنى الظهر والبطن :

فقال قوم : (الظهر : لفظ القرآن ، والبطن : تأويله)^(١) .

وقيل : الظهر : صورة القصة ممّا أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه إياهم ؛ فظاهر ذلك إخبار عنهم ، وباطنه عظة وتنبية لمن يقرأ ويسمع من الأمة^(٢) .

وقيل : ظاهره : تنزيه الذي يجب الإيمان به ، وباطنه : وجوب العمل به^(٣) .

وقيل : ظهره : تلاوته كما أنزل ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل : ٤] ، وبطنه : التدبّر والتفكير فيه ؛ قال الله سبحانه : ﴿ كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَذَبَرُواْءَ آيَاتِهِ وَلِيَسْتَذَكِّرَ أُولُواْ الْأَلْبَابِ ﴾ [ص : ٢٩] ^(٤) .

وقيل : قوله : « لكل حرفٍ حدٌ » ؛ أي : في التلاوة لا يُجاوز المصحف الذي هو الإمام ، وفي التفسير لا يُجاوز المسموع المنقول^(٥) .

وفرّق بين التفسير والتأويل :

فالتفسير : علمُ نزول الآية وشأنها وقصّتها والأسباب التي نزلت فيها ،

(١) انظر « غريب الحديث » لأبي عبيد (٢ / ٢٤٠-٢٤١) .

(٢) انظر « غريب الحديث » لأبي عبيد (٢ / ٢٤٠) .

(٣) انظر « شرح السنة » للبغوي (١ / ٢٦٤) .

(٤) انظر « شرح السنة » للبغوي (١ / ٢٦٤) .

(٥) انظر « شرح السنة » للبغوي (١ / ٢٦٤) .

وهذا محظورٌ على الناسِ كافةً القولُ فيه إلا بالسمعِ والأثرِ .

وأما التأويلُ : فَصَرَفُ الآيةِ إلى معنىٍ تحتملهُ إذا كانَ المُحتمِلُ الذي يراهُ يُوافقُ الكتابَ والسنةَ^(١) ؛ فالتأويلُ يختلفُ باختلافِ حالِ المؤولِ على ما ذكرناه ؛ مِنْ صفاءِ الفهمِ ، ورُتبةِ المعرفةِ ، ونصيبِ القُربِ مِنَ الله تعالى .

قالَ أبو الدرداءِ رضيَ اللهُ عنه : (لا يفقهُ الرجلُ كلَّ الفقهِ حتى يرى للقرآنِ وجوهاً كثيرةً)^(٢) .

فما أعجبَ قولَ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه : (ما مِنْ آيةٍ إلا ولها قومٌ سيعملونَ بها) !!

وهذا الكلامُ مُحَرَّضٌ لكلِّ طالبٍ صاحبِ همّةٍ أنْ يُصنّفِي مواردَ الكلامِ ، ويفهمَ دقيقَ معانيهِ وغامضَ أسرارِهِ مِنْ قلبِهِ .

فللصُّوفيِّ بكمالِ الزهدِ في الدُّنيا ، وتجريدِ القلبِ عمّا سوى اللهِ عزَّ وجلَّ . . مُطَّلَعٌ مِنْ كلِّ آيةٍ ، ولهُ بكلِّ مرّةٍ في التلاوةِ مُطَّلَعٌ جديدٌ وفهمٌ عتيقٌ ، ولهُ بكلِّ فهمٍ عملٌ جديدٌ ؛ ففهمُهُم يدعو إلى العملِ ، وعملُهُم يجلبُ صفاءَ الفهمِ ودقيقَ النَّظَرِ في معاني الخطابِ ؛ فمِنْ الفهمِ علمٌ ، ومِنْ

(١) انظر الفرق بين التفسير والتأويل في « البرهان في علوم القرآن » (١٤٩/٢ - ١٥٣) ، و« الإتيقان في علوم القرآن » (١٩٢/٤ - ١٩٥) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٨٩) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٥٧/٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥١٦) ، ورواه ابن عبد البر أيضاً مرفوعاً (١٥١٥) من حديث سيدنا شداد بن أوس رضي الله عنه ، وقال : (وهذا حديث لا يصحُّ مرفوعاً ، وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء) .

العلم عملٌ ، والعلم والعمل يتناوبان فيه .

وهذا العمل أنفأ إنما هو عملُ القلوب ، وعملُ القلوب غيرُ عملِ القلبِ ، وأعمالُ القلوب للطفها وصقالتها مُشاكِلَةٌ للعلوم^(١) ؛ لأنها نياتٌ وطَوَيَاتٌ وتملُّقاتٌ رُوحِيَّةٌ^(٢) ، وتأدُّباتٌ قَلْبِيَّةٌ ، ومُسامراتٌ سِرِّيَّةٌ .

وكَلِّمُوا أَتُوا بِعَمَلٍ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ . . رُفِعَ لَهُمْ عِلْمٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَاطَّلَعُوا عَلَى مُطَّلَعٍ مِنْ فَهْمِ الْآيَةِ جَدِيدٍ .

وَيُخَالِجُ سِرِّي أَنْ يَكُونَ الْمُطَّلَعُ لَيْسَ بِالْوَقُوفِ بِصَفَاءِ الْفَهْمِ عَلَى دَقِيقِ الْمَعْنَى وَغَامُضِ السَّرِّ فِي الْآيَةِ ، وَلَكِنَّ الْمُطَّلَعُ أَنْ يَطَّلَعَ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ عَلَى شُهُودِ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا ؛ لِأَنَّهَا مُسْتَوْدَعٌ وَصَفٍ مِنْ أَوْصَافِهِ وَنَعْتٍ مِنْ نَعَوْتِهِ ، فَيَتَجَدَّدُ لَهُ التَّجَلِّيَّاتُ بِتِلَاوَةِ الْآيَاتِ وَسَمَاعِهَا ، وَتَصِيرُ لَهُ مَرَاءٍ مُنْبِئَةٌ عَنْ عَظِيمِ الْجَلَالِ .

وَلَقَدْ نَقَلَ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي كَلَامِهِ ، وَلَكِنْ لَا يُبْصَرُونَ)^(٣) ، فَيَكُونُ لِكُلِّ آيَةٍ مُطَّلَعٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ؛ فَالْحَدُّ حَدُّ الْكَلَامِ ، وَالْمُطَّلَعُ التَّرْقِيُّ عَنْ حَدِّ الْكَلَامِ إِلَى شُهُودِ الْمُتَكَلِّمِ .

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ي) : (وَصَلَاتُهَا) بَدَلَ (وَصَقَالَتُهَا) ، وَفِي (ي) :

(وَصَدَاقَتُهَا) ، وَالْمُثَبَّتُ نَسْخَةٌ مِنْ هَامِشٍ (ز) ؛ بِمَعْنَى جَلَائِهَا وَصَفَائِهَا .

(٢) التَّمَلُّقَاتُ : التَّوَدُّدَاتُ ؛ يُقَالُ : تَمَلَّقَ لَهُ : إِذَا تَوَدَّدَ ، وَقَالَ فِي « الذَّوَارِفِ »

(١ / ق ٥٠) : (أَي : تَضَرُّعَاتُ مِنَ الرُّوحِ مَعَ الْحُضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « قُوَّةِ الْقُلُوبِ » (١ / ١٤٥) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ »

(٢ / ٣١٦) ، وَانْظُرْ « إِتْحَافُ السَّادَةِ الْمُتَقِينَ » (٤ / ٥٢٣) .

وقد نُقِلَ عن جعفر الصادق أيضاً : أَنَّهُ خَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ ،
فُسِّئِلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا زِلْتُ أُرَدِّدُ الْآيَةَ حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنْ الْمُتَكَلِّمِ
بِهَا^(١) .

فَالصُّوفِيُّ لَمَّا لَاحَتْ لَهُ نَاصِيَةُ التَّوْحِيدِ ، وَأَلْقَى سَمْعَهُ عِنْدَ سَمَاعِ الْوَعْدِ
وَالْوَعِيدِ ، وَصَفَّى قَلْبَهُ بِالتَّخْلِصِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ . . صَارَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَاضِراً
شَهِيداً ، يَرَى لِسَانَهُ أَوْ لِسَانَ غَيْرِهِ فِي التَّلَاوَةِ كَشَجَرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛
حَيْثُ أَسْمَعَهُ اللَّهُ مِنْهَا خُطَابَهُ إِتْيَاهُ بِأَنِّي أَنَا اللَّهُ^(٢) ، فَإِذَا كَانَ سَمَاعُهُ مِنَ اللَّهِ
وَاسْتِمَاعُهُ إِلَى اللَّهِ . . صَارَ سَمْعُهُ بَصَرُهُ ، وَبَصَرُهُ سَمْعُهُ ، وَعِلْمُهُ عَمَلُهُ ،
وَعَمَلُهُ عِلْمُهُ ، وَعَادَ آخِرُهُ أَوَّلَهُ ، وَأَوَّلُهُ آخِرُهُ .

وَمَعْنَى ذَلِكَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ الذَّرَّ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾
[الأعراف : ١٧٢] ، فَسَمِعَتِ النَّدَاءَ عَلَى غَايَةِ الصَّفَاءِ ، ثُمَّ لَمْ تَزَلِ الذَّرَّاتُ تَتَقَلَّبُ
فِي الْأَصْلَابِ وَتَتَنَقَّلُ إِلَى الْأَرْحَامِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ *
وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٨-٢١٩] ؛ يَعْنِي : تَقَلَّبَ ذَرَّتُكَ فِي أَصْلَابِ
أَهْلِ السَّجُودِ مِنْ آبَائِكَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَمَا زَالَتْ تَتَنَقَّلُ الذَّرَّاتُ حَتَّى بَرَزَتْ إِلَى

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١٤٥ / ١) ، والغزالي في « الإحياء »
(٣١٦ / ٢) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٥٢٣ / ٤ - ٥٢٤) .

(٢) الذي كان مسموعاً من الشجرة : هو الصوت والحرف ، وهما مخلوقان ، وكلامُ الله
القديمُ القائم بذاته غيرُ مسموع ، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي في تفسير
الآية ، وقال أبو الحسن الأشعري : إِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ يُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ مَسْمُوعاً ، كَمَا أَنَّ الذَّاتَ الَّتِي لَيْسَتْ بِجِسْمٍ وَلَا عَرَضٍ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَرْتَبَةً ،
وعليه : فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ قَدْ سَمِعَ الْحَرْفَ وَالصَّوْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَسَمِعَ الْكَلَامَ الْقَدِيمَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَا مِنْهَا ، فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ . انظر « تفسير الرازي » (٥٩٣ / ٢٤) .

أجسادها ، فاحتجبت بالحكمة عن القدرة ، وبالعالم الشهادة عن عالم الغيب ، وتراكم ظلمتها بالتقلب في الأطوار .

فإذا أراد الله بالعبد حسن الاستماع بأن يصيره صوفياً . لا يزال يُرقِّيه في رُتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة إلى فضاء القدرة ، ويُزال عن بصيرته النافذة سُجْفُ الحكمة^(١) ، فيصير سماعه ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ كشفاً وِعياناً ، وتوحيده وعرفانه تبياناً وبرهاناً ، وتندرج له ظلمُ الأطوار في لوامع الأنوار .

قال بعضهم : (أنا أذكرُ خطاب ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾) ؛ إشارة منه إلى هذا الحال .

فإذا تحقَّق الصُّوفيُّ بهذا الوصف . صار وقته سرمداً ، وشهوده مؤبداً ، وسماعه متوالياً مُتجدداً ، يسمع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم حقَّ السماع^(٢) .

قال سفيان بن عُيينة : (أوَّل العلم : الاستماع ، ثمَّ الفهم ، ثمَّ الحفظ ، ثمَّ العمل ، ثمَّ النَّشر)^(٣) .

وقال بعضهم : (تَعَلَّمَ حُسْنَ الاستماع كما تتعلَّم حُسْنَ الكلام)^(٤) .

(١) السُّجْفُ : جمع (سِجَاف) ؛ وهو السُّر .

(٢) في نسخة على هامش (د) : (لسمع) بدل (يسمع) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٤ / ٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٥٨) ، وروي بنحوه عن ابن المبارك وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وغيرهم رحمهم الله تعالى .

(٤) هو من جملة وصايا ابن المُقَفَّع في « الأدب الكبير » (ص ١٢٩) ، ورواه بنحوه =

وقيل : مِنْ حُسْنِ الاستماعِ : إمهالُ المُتكلِّمِ حتى يقضيَ حديثه ، وقلةُ التلفتِ إلى الجواب^(١) ، والإقبالُ بالوجهِ ، والنظرُ إلى المُتكلِّمِ ، والوعي^(٢) .

قال اللهُ تعالى لنبيه : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] ، وقال تعالى : ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ [القيامة : ١٦] ، هذا تعليمٌ مِنَ اللهِ تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حُسْنَ الاستماعِ .

قيل : معناه : لا تُملِه على الصحابة حتى تدبَّرَ معانيه ، حتى تكونَ أنتَ أوَّلَ مَنْ يحظى بغرائبِهِ وعجائبِهِ .

وقيل : كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا نزلَ عليه جبريلُ عليه السلامُ وأوحى إليه . . لا يفتُرُ مِنْ قراءةِ القرآنِ ؛ مخافةَ الانفلاتِ والنسيانِ ، فنهاه اللهُ تعالى عن ذلك^(٣) ؛ أي : لا تعجلْ بقراءته قبلَ أن يفرِّغَ جبريلُ عليه السلامُ مِنْ إلقائه إليك .

وقد تكونُ مُطالعةُ العلومِ وأخبارِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمعنى السماعِ ، ويحتاجُ المُطالعُ للعلومِ والأخبارِ وسيرِ أهلِ الصلاحِ وحكاياتِهِمْ وأنواعِ الحِكمِ والأمثالِ التي فيها نجاةٌ مِنْ عذابِ الآخرةِ . أن يكونَ في ذلكَ كَلَهُ مُتَادِّباً بآدابِ حُسْنِ الاستماعِ ؛ لأنَّه نوعٌ مِنْ ذلكَ ، وكما أنَّ القلبَ استعدَّ

= الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٣١) عن الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(١) في (ي) ونسخة على هامش (أ) : (إلى الجوانب) .

(٢) هو من جملة وصايا ابن المقفع في « الأدب الكبير » (ص ١٢٩ - ١٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٥) ، ومسلم (٤٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

بُحْسِنِ الاستماع بالزَّهَادَةِ والتقوى حتى أَخَذَ مِنْ كُلِّ مَا سَمِعَ أَحْسَنَهُ . . فيكونُ
أَخِذًا بِالْمُطَالَعَةِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ .

وَمِنْ الْأَدَبِ فِي الْمُطَالَعَةِ : أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُطَالِعَ شَيْئًا مِنَ الْحَدِيثِ
وَالْعِلْمِ . . يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَكُونُ مُطَالَبَةٌ ذَلِكَ ^(١) بِدَاعِيَةِ النَّفْسِ وَقِلَّةِ صَبْرِهَا عَلَى
الذِّكْرِ وَالتَّلَاوَةِ وَالْعَمَلِ ، فَتَسْتَرْوَحُ بِالْمُطَالَعَةِ ، كَمَا تَسْتَرْوَحُ بِمَجَالَسَةِ النَّاسِ
وَمَكَالَمَتِهِمْ .

فَلْيَتَفَقَّدِ الْمُتَفَقِّدُ نَفْسَهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَحْلِي مُطَالَعَةَ الْكِتَابِ إِلَى حَدٍّ
يَأْخُذُ ذَلِكَ مِنْ وَقْتِهِ وَيُرَاعِي الْإِفْرَاطَ فِيهِ ، وَإِذَا أَرَادَ مُطَالَعَةَ كِتَابٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ
الْعِلْمِ . . لَا يُيَادِرُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ التَّثَبُّتِ وَالْإِنَابَةِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَطَلَبِ
التَّيَاسُّدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُرْزَقُ بِالْمُطَالَعَةِ مَا يَكُونُ مَزِيدًا
لِحَالِهِ ، وَلَوْ قَدَّمَ الاسْتِخَارَةَ لِذَلِكَ كَانَ حَسَنًا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ بَابَ الْفَهْمِ
وَالْتَفْهِيمِ مُوَهَّبَةً مِنَ اللَّهِ ^(٢) ، زِيَادَةً عَلَى مَا يَتَبَيَّنُ مِنْ صُورَةِ الْعِلْمِ ؛ فَلِلْعِلْمِ
صُورَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَسِرٌّ بَاطِنٌ ؛ وَهُوَ الْفَهْمُ .

وَاللَّهُ تَعَالَى نَبَّهَ عَلَى شَرَفِ الْفَهْمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا
ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ؛ أَشَارَ إِلَى الْفَهْمِ بِمَزِيدِ اخْتِصَاصٍ وَتَمَيُّزٍ عَنِ
الْحُكْمِ وَالْعِلْمِ ^(٣) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٢] ، فَإِذَا كَانَ الْمُسْمَعُ

(١) كُتِبَ عَلَى هَامِشٍ (ب) : (لَعَلَهُ : « يَطَالَعُهُ ») ؛ أَي : بَدَلَ (مُطَالَبَةِ ذَلِكَ) ، وَعَلَيْهِ
يَكُونُ الْفِعْلُ قَبْلَهُ بِالْيَاءِ .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : (وَالتَّفْهِيمِ) بَدَلَ (وَالتَّفْهِيمِ) .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخ : (وَتَمَيُّيزٍ) بَدَلَ (وَتَمَيُّيزٍ) .

هُوَ اللهُ تَعَالَى ؛ يُسْمَعُ تَارَةً بِوَاسِطَةِ اللِّسَانِ ، وَتَارَةً بِمَا يَرْزُقُ بِمِطَالَعَةِ الْكُتُبِ
مِنَ التَّيَّانِ . . فَصَارَ مَا يَفْتَحُ اللهُ تَعَالَى بِمِطَالَعَةِ الْكُتُبِ عَلَى مَعْنَى مَا يَرْزُقُ مِنَ
الْمَسْمُوعِ بِبِرْكَةِ حُسْنِ الْاسْتِمَاعِ .

فَلْيَتَفَقَّدِ الْعَبْدُ حَالَهُ فِي ذَلِكَ^(١) ، وَيَتَعَلَّمْ عِلْمَهُ وَأَدَبَهُ ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ كَبِيرٌ مِنْ
أَبْوَابِ الْخَيْرِ ، وَعَمَلٌ صَالِحٌ مِنْ أَعْمَالِ الْمَشَائِخِ وَالصُّوفِيَّةِ وَالْعُلَمَاءِ الزَّاهِدِينَ
الْمُتَّبِعِينَ لِاسْتِفْتَاكِحِ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ ، وَالْمَزِيدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَنْفَعُ لِسُلُوكِ
الْآخِرَةِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ^(٢) .



(١) قوله : (فليفتقد) جاءت في النسخ ما بين المثلث و (ليعتقد) و (فليفتقد)

و (ليعتقد) ، والتعليل يكون لما سبق ، والمثلث أنسب مع السياق ، والله تعالى أعلم .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في الثالث للجماعة على الشيخ أمين الدين
عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثالث

في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها

(٦) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصُّوفِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ السَّرَخْسِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عِمْرَانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نَعِيمٌ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَقِيَّةٌ ، عَنْ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشَّرِّ ، فَقَالَ : « لَا تَسْأَلُونِي عَنِ الشَّرِّ ، وَأَسْأَلُونِي عَنِ الْخَيْرِ » ، يَقُولُهَا

(١) هو الإمام شيخ الإسلام الزاهد الصوفي أبو عبد الرحمن وأبو الوقت عبد الأول أو محمد بن عيسى بن شعيب السَّجْزِي الهروي الماليني (ت ٥١٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٠٣ / ٢٠) .

(٢) هو الإمام الورع المسند أبو الحسن الدَّارِمِيُّ البُوشَنجِي ، (ت ٤٦٧هـ) ، وهو مِنْ أَجَلٍ مَنْ رَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ السَّرَخْسِيِّ ، وَمِنْ شَعْرِهِ : (من السريع)

كَانَ اجْتِمَاعُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى يُورَثُ الْبَهْجَةَ وَالسَّلَوَةَ
فَانْقَلَبَ الْأَمْرُ إِلَى ضِدِّهِ فَصَارَتِ السَّلَوَةُ فِي الْخُلُوةِ

وفي (د) : (عبد الرحمن بن محمد السجزي) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢٣ / ١٨) .

ثلاثاً ، ثم قال : « إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرَارُ الْعُلَمَاءِ ، وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ » (١) .

فالعلماء أدلاء الأمة ، وعمد الدين ، وسرُج ظلمات الجهالات الجبليّة ، ونُقباء ديوان الإسلام ، ومَعَادُن حِكَمِ الكتاب والسنة ، وأمناء الله تعالى في خلقه ، وأطباء العباد ، وجهابذة المِلّة الحنيفة ، وحَمَلَة عظيم الأمانة ، فهم أحقُّ الخلق بحقائق التقوى ، وأحوجُّ العباد إلى الزهد في الدنيا ؛ لأنّهم يحتاجون إليها لنفسيهم ولغيرهم ؛ ففسادهم فسادٌ مُتَعَدٍّ ، وصلاحهم صلاحٌ مُتَعَدٍّ .

قال سفيان بن عُيينة : (أَجْهَلُ النَّاسِ : مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ : مَنْ عَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ : أَخْشَعُهُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ) (٢) .

وهذا قولٌ صحيحٌ ، يَحْكُمُ بَأَنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ ، فَلَا يَغُرَّنَكَ تَشَدُّقُهُ وَاسْتِطَالَتُهُ وَحَذَاقَتُهُ وَقَوَّتُهُ فِي الْمُنَاطَرَةِ وَالْمَجَادَلَةِ ؛ فَإِنَّهُ جَاهِلٌ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ ، إِلَّا أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِبِرْكَةِ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ فِي الْإِسْلَامِ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ ، وَيُرْجَى عَوْدُ الْعَالِمِ بِبِرْكَةِ الْعِلْمِ .

والعلمُ : فريضةٌ وفضيلةٌ .

فالفريضةُ : ما لا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ؛ لِيَقُومَ بِوَاجِبِ حَقِّ الدِّينِ .

(١) مسند الدارمي (٣٨٢) ، والحديث مرسل ؛ لأن حكيم بن عمير والد الأحوص تابعي ، ورؤي الحديث موصولاً من حديث سيدنا معاذ بن جبل ، كما في « مسند البزار » (٢٦٤٩) ، و« مسند الشاميين » للطبراني (٤٤٧) ، وانظر « غنية العارف » (٤٦/١-٤٧) .

(٢) رواه الدارمي (٣٤٢) .

والفضيلة : ما زاد على قدر حاجته مما يُكسبه فضيلة في النفس موافقةً للكتاب والسنة ، وكل علم لا يُوافق الكتاب والسنة ، وما هو مُستفاد منهما ، أو مُعين على فهمهما ، أو مُستند إليهما كائناً ما كان . . فهو رذيلة وليس بفضيلة ، يزداد الإنسان به هواناً ورذالة في الدنيا والآخرة .

فالعلم الذي هو فريضة لا يسع الإنسان جهله ؛ على ما :

(٧) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُسْتَمْلِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ هَوَازِنَ الْقُشَيْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ الْأَصْفَهَانِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَامِرٍ الْعَسْكَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَطِيَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاتِكَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ ؛ فَإِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » (١) .

واختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة (٢) :

قال بعضهم : (هو طلب علم الإخلاص ، ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال ؛ لأن الإخلاص مأمور به ، كما أن العمل مأمور به ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] ؛ فَإِنَّ

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (١٥٤٣) ، و « المدخل » (١٤٤٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٠) ، وانظر « كشف الخفاء » (١٣٨/١ - ١٣٩) ، و « غنية العارف » (٤٨/١ - ٤٩) ، وانظر (٣٧٦/١) .

(٢) في نسخة على هامش (د) : (الذي طلبه فريضة) .

الإخلاصَ مأموراً به ، وخُدْعُ النفسِ وغُرُورُها ودسائسُها وشهواتُها الخَفِيَّةُ .
تُخَرِّبُ مَبَانِيَ الإِخْلَاصِ المأمُورِ بهِ ، فَصَارَ عِلْمُ ذَلِكَ فَرَضاً حَيْثُ كَانَ
الإِخْلَاصُ فَرَضاً ، وَمَا لَا يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى الْفَرَضِ إِلَّا بِهِ صَارَ فَرَضاً ^(١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (مَعْرِفَةُ الْخَوَاطِرِ وَتَفْصِيلُهَا فَرِيضَةٌ ؛ لِأَنَّ الْخَوَاطِرَ هِيَ
أَصْلُ الْفَعْلِ وَمَبْدُؤُهُ وَمَنْشُؤُهُ ، وَبِذَلِكَ يُعْلَمُ الْفَرْقُ بَيْنَ لَمَّةِ الْمَلِكِ وَلَمَّةِ
الشَّيْطَانِ ^(٢) ، فَلَا يَصِحُّ الْفَعْلُ إِلَّا بِصَحَّتِهَا ، فَصَارَ عِلْمُ ذَلِكَ فَرَضاً حَتَّى يَصَحَّ
الْفَعْلُ مِنَ الْعَبْدِ لِلَّهِ ^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (هُوَ طَلَبُ عِلْمِ الْوَقْتِ) ^(٤) .

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : (هُوَ طَلَبُ عِلْمِ الْحَالِ) ^(٥) ؛ يَعْنِي : حَكَمَ

(١) وَهُوَ مَذْهَبُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ يَحْيَى الْأَزْمَوِيِّ وَمَنْ تَابَعَهُ . انْظُرْ « قَوْتَ الْقُلُوبِ »
(١ / ٣٦٢) ، وَ« إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ » (١ / ٥٥) .

(٢) اللَّمَّةُ - بِالْفَتْحِ - : التَّزَوُّلُ وَالْقُرْبُ وَالْإِصَابَةُ ، وَالْمُرَادُ بِهَا : مَا يَقَعُ فِي الْقَلْبِ بِوَاسِطَةِ
الْمَلِكِ أَوِ الشَّيْطَانِ ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ (٢٩٨٨) ، وَالنَّسَائِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكُبْرَى »
(١٠٩٨٥) ، وَابْنُ حِبَّانَ (٩٩٧) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بَابِنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً ؛ فَأَمَّا
لَمَّةُ الشَّيْطَانِ : فَإِعَادُ الشَّرِّ وَتَكْذِيبُ الْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ : فَإِعَادُ الْخَيْرِ وَتَصْدِيقُ
بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخِرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾
[البقرة : ٢٦٨] ، وَانْظُرْ « مِرْقَاةَ الْمَفَاتِيحِ » (١ / ١٤٣) .

(٣) وَهُوَ مَذْهَبُ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ وَفَرَّقَهُ السَّبْخِيُّ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ ، وَكَانَ أَسْتَازُهُمُ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ يَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ ، وَعَنْهُ حَمَلُوا عُلُومَ الْقُلُوبِ . انْظُرْ « قَوْتَ الْقُلُوبِ »
(١ / ٢٦٤) .

(٤) انْظُرْ « قَوْتَ الْقُلُوبِ » (١ / ٣٦٣) .

(٥) تَفْسِيرُ التَّسْتَرِيِّ (ص ٧٥) ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ : (وَمَا عِلْمُ الْحَالِ ؟ قَالَ : مِنَ الْبَاطِنِ =

حالِهِ التي بينَهُ وبينَ اللَّهِ تعالى في دنياهُ وأخرتِهِ .

وقيلَ : هوَ طلبُ علمِ الحلالِ حيثُ كانَ أكلُ الحلالِ فريضةً^(١) ، وقد وَرَدَ : « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ »^(٢) ، فصارَ علمُهُ فريضةً مِنْ حيثُ إِنَّهُ فريضةٌ .

وقيلَ : هوَ طلبُ علمِ الباطنِ ؛ وهوَ ما يزدادُ بِهِ العبدُ يقيناً ، وهذا العلمُ هوَ الذي يُكتسَبُ بالصُّحْبَةِ ومُجالَسَةِ الصالحينَ ؛ مِنْ العلماءِ المُوقنينَ ، والزُّهادِ المُقربينَ ، الذينَ جعلَهُمُ اللَّهُ تعالى مِنْ جنودِهِ ، يسوقُ الطالبينَ إِلَيْهِمْ ، وَيُقَوِّيهِمْ بطريقِهِمْ^(٣) ، وَيُرْشِدُهُمْ بِهِمْ ، فهمُ وَرَثَةُ علمِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومنهُمُ يُتَعَلَّمُ علمُ اليقينِ^(٤) .

وقالَ بعضُهُمْ : (هوَ علمُ البيعِ والشراءِ ، والنكاحِ والطلاقِ ؛ إذا أرادَ الدخولَ في شيءٍ مِنْ ذلكَ يجبُ عليه طلبُ علمِهِ)^(٥) .

وقالَ بعضُهُمْ : (هوَ أَنْ يكونَ العبدُ يريدُ عملاً يجهلُ ما لله عليه في

= الإخلاصُ ، ومن الظاهرِ الاقتداءُ ، فمن لم يكن ظاهراً إمامَ باطنه ، وباطنُهُ كمالَ ظاهره .. فهو في تَعَبٍ من البدنِ ...) ، وانظر « قوت القلوب » (١ / ٣٦٣) .

(١) ومال إلى هذا القول إبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط وغيرهما . انظر « قوت القلوب » (١ / ٣٦٤) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩٠ / ١٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٢٨ / ٦) ، و« الشعب » (٨٣٦٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٤٦ / ٢ ، ١١٠) ، و« غنية العارف » (٥٠ / ١) .

(٣) في (ي) ونسخة على هامش (د) : (وَيُقَرَّبُهُمْ) بدل (وَيُقَوِّيهِمْ) .

(٤) انظر « قوت القلوب » (١ / ٣٦٤) ، و« إحياء علوم الدين » (٥٥ / ١) .

(٥) وذهب إلى ذلك بعضُ فقهاء الكوفة ، ومال إليه سفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابهما . انظر « قوت القلوب » (١ / ٣٦٥) ، و« إحياء علوم الدين » (٥٥ / ١) .

ذلك ، فلا يجوزُ له أن يعملَ برأيه ؛ إذ هو جاهلٌ فيما له وعليه في ذلك ،
فیراجعُ عالماً يسأله عنه ليعجبه على بصيرةٍ ولا يعملَ برأيه ، وهذا علمٌ يجبُ
طلبه حيثُ جهلَ (١) .

وقال بعضهم : (طلبُ علمِ التوحيدِ فرضٌ) ؛ فمن ذلك قائلٌ يقولُ :
إنَّ طريقَه النَّظرُ والاستدلالُ ، ومن قائلٍ يقولُ : إنَّ طريقَه النقلُ (٢) .

وقال بعضهم : (إذا كان العبدُ على سلامةِ الباطنِ ، وحُسنِ الاستسلامِ
والانقيادِ في الإسلامِ ، ولا يحيكُ في صدره شيءٌ . . فهو سالمٌ ، فإن حاكُ
في صدره شيءٌ ، أو توسوسَ بشيءٍ يقدحُ في العقيدةِ ، أو ابتليَ بشبهةٍ
لا يؤمنُ غائلتها أن تجرَّهُ إلى بدعةٍ أو ضلالةٍ . . فيجبُ عليه أن يستكشفَ عن
الاشتباهِ ، ويراجعَ أهلَ العلمِ ومن يفهمه طريقَ الصوابِ (٣) .

وقال الشيخُ أبو طالبٍ المكيُّ رحمه الله في « كتابه » : (هو علمُ
الفرائضِ الخمسِ التي بُنيَ عليها الإسلامُ ؛ لأنها افترضتُ على المسلمينَ ،
وإذا كانَ عملُها فرضاً صارَ علمُ العملِ بها فرضاً) .

وذكرَ أنَّ علمَ التوحيدِ داخلٌ في ذلك ؛ لأنَّ أولَّها الشهادتانِ ،
والإخلاصُ داخلٌ في ذلك ؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ ضرورةِ الإسلامِ ، وعلمُ

(١) وقال هذا القولُ بعضُ المتقدمين من علماء خراسان ، وحكي عن عبد الله بن المبارك
وبعض أصحاب الحديث . انظر « قوت القلوب » (٣٦٥ / ١) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣٦٥ / ١) ، و « إحياء علوم الدين » (٥٤ / ١) .

(٣) وهو مذهب أبي ثور وداود الظاهري والحسين الكرايسي والحارث المحاسبي ، ومن
تابعهم من المتكلمين . انظر « قوت القلوب » (٣٦٥ / ١ - ٣٦٦) .

الإخلاص داخلٌ في صحّة الإسلام^(١) .

وحيثُ أَخْبَرَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ . .
يقتضي ألاَّ يَسَعَ مسلماً جهلهُ ، وكلُّ ما تقدَّمَ مِنَ الأقاويلِ أَكثَرُها ممَّا يَسَعُ
المسلمَ جهلهُ ؛ لأنَّهُ قد لا يعلمُ علمَ الخواطرِ ، وعلمَ الحالِ ، وعلمَ الحلالِ
بجميعِ وجوهِهِ ، وعلمَ اليقينِ المُستفادَ مِنْ علماءِ الآخرةِ ، كما ترى أَكثَرَ
المسلمينَ على الجهلِ بهذهِ الأشياءِ ، ولو كانتِ هذهِ الأشياءُ فُرضتْ
عليهم . . عَجَزَ عنها أَكثَرُ الخلقِ إِلَّا ما شاء اللهُ .

وميلي في هذهِ الأقاويلِ : إلى قولِ الشيخِ أبي طالبٍ المكيِّ رحمهُ الله . .
أكثرُ ، وإلى قولِ مَنْ قالَ : يجبُ عليهِ علمُ البيعِ والشراءِ والنكاحِ والطلاقِ
إذا أرادَ الدخولَ فيه ، وهذا لَعَمري فرضٌ على المسلمِ عِلْمُهُ ، وهكذا الذي
قالَهُ الشيخُ أبو طالبٍ .

وعندي في ذلكَ حَدٌّ جامعٌ لطلبِ العلمِ المُفترضِ ، واللهُ أعلمُ :
أقولُ : العلمُ الذي طلبُهُ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ : علمُ الأمرِ والنهيِ ،
والمأمورُ : ما يُثابُ على فعلِهِ ويُعاقبُ على تركِهِ ، والمنهيُّ : ما يُعاقبُ
على فعلِهِ ويُثابُ على تركِهِ ، والمأموراتُ والمنهيَّاتُ منها : ما هوَ مُستمرٌّ
لازمٌ للعبدِ بحُكمِ الإسلامِ ، ومنها : ما يتوجَّهُ الأمرُ فيه والنهيُّ عنه عندَ
وجودِ الحادثةِ .

فما هوَ لازمٌ مُستمرٌّ لزومُهُ مُتوجَّهٌ بحُكمِ الإسلامِ . . علمُهُ واجبٌ مِنْ
ضرورةِ الإسلامِ .

(١) انظر « قوت القلوب » (١ / ٣٦٧) .

وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهي فيه . . علمه عند تجددِه فرض
لا يسع مسلماً على الإطلاق أن يجهله .

وهذا الحد أعم من الوجوه التي سبقت ، والله أعلم^(١) .

ثم إن المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا . . شَمَرُوا
عن ساق الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه ، وأقاموا الأمر
والنهي ، وخرجوا من عهد ذلك بحسن توفيق الله ، فلما استقاموا في ذلك
متابعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بالاستقامة
فقال : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود : ١١٢] . . فتح الله عليهم أبواب
العلوم التي سبق ذكرها .

قال بعضهم : (مَنْ يُطِيقُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَخَاطَبَةِ بِالِاسْتِقَامَةِ إِلَّا مَنْ أُيِّدَ
بِالْمَشَاهِدَاتِ الْقَوِيَّةِ ، وَالْأَنْوَارِ الْبَيِّنَةِ ، وَالْآثَارِ الصَّادِقَةِ ، ثُمَّ عُصِمَ بِبِرٍّ عَظِيمٍ
بِالتَّثْبِيتِ^(٢) ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ ﴾ [الإسراء : ٧٤] ، ثُمَّ حُفِظَ
فِي وَقْتِ الْمَشَاهِدَةِ وَمَشَافَهَةِ الْخُطَابِ ، وَهُوَ الْمُزَيَّنُّ بِمَقَامِ الْقُرْبِ ،

(١) وسئل المؤلف رضي الله عنه : ما الأولى بالمريد الاشتغال بالعلم ليعلم الأحكام ممّا
وجب عليه أو ندب إليه ، أو الانقطاع إلى الله بالتجرد عمّا سواه ؟

فأجاب : بأن المريد إذا علم من الأحكام ما لا بدّ منه . . فالأولى به : الانقطاع
إلى الله ودوام التبتّل ، إلا أن يكون غير صابر على الحقّ الصّرف ، ونفسه لا تُجيبه على
الدُّؤُوبِ عَلَى الْعَمَلِ وَالذِّكْرِ ، وَتُنَازِعُهُ بِالْفُتُورِ وَمَطَالِبَةِ الْبَطَالَةِ ؛ فعند ذلك يشتغل بشيء
من العلم من قبيل فروض الكفايات ؛ ليكون تبتُّله عزيمةً حاله ، واشتغاله رخصةً حاله .
« أجوبة السهروردي » (ق / ٢٤) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ي) : (ببر عظيم بالتثبیت) ، بدل (ثم عصم . .) ، وفي
بعض النسخ المستأنس بها : (بالتثبیت ببرهان عظيم) .

والمُخَاطَبُ عَلَى بِسَاطِ الْأَنْسِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ خُوطِبَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْمُقَدَّمَاتُ مَا أَطَاقَ الْإِسْتِقَامَةَ الَّتِي أَمَرَ بِهَا ^(١) .

قِيلَ لِأَبِي حَفْصِ الْحَدَّادِ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْإِسْتِقَامَةُ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اُسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا » ^(٢) .
وَقَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ :
(افْتَقِرْ إِلَى اللَّهِ بِصِحَّةِ الْعَزْمِ) ^(٣) .

وَرَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، قَالَ :
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ رُويَ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ : « شَيَّبَنِي سُورَةُ (هُودِ) » ^(٤) ،
فَقَالَ : « نَعَمْ » ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي شَيَّبَكَ مِنْهَا ؟ قَصَصُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ ؟ فَقَالَ : « لَا ، وَلَكِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ ﴾ » ^(٥) .

(١) انظر « عرائس البيان » (ص ٤٠١) .

(٢) روى قول النبي صلى الله عليه وسلم ابن ماجه (٢٧٧) ، والدارمي (٦٨١) ، والحاكم (٣٠ / ١) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وقوله : (لن تُحْصُوا) ؛ أي : لن تطيقوا أن تستقيموا حق الاستقامة لعُسرها ، أو لن تطيقوها بقوتكم وحولكم وإن بذلتم جهدكم ، بل تكون توفيقاً من الله تعالى . انظر « فيض القدير » (٤٩٧ / ١) .

(٣) أورده الزمخشري في « الكشاف » (٤٣٣ / ٢) ، والبقلي في « عرائس البيان » (ص ٤٠١) .

(٤) زاد في (ط) : (وأخواتها) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٤٧٣) ، وفيهما : أن الراثي هو أبو علي الشُّبْرِيُّ رحمه الله تعالى ، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « شَيَّبَنِي سُورَةُ (هُودِ) » رواه الترمذي (٣٢٩٧) ، والحاكم (٣٤٣ / ٢) عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه . انظر « غنية العارف » (٥٥-٥٤ / ١) .

فكما أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدَ مُقَدِّماتِ المشاهداتِ خُوطِبَ بهذا الخطابِ ، وطُوِّبَ بحقائقِ الاستقامةِ .. فكَذلكَ علماءُ الآخرةِ الزاهدون ، ومشايخُ الصُّوفِيَّةِ الْمُقَرَّبُونَ ؛ مَنْحَهُمُ اللهُ تعالى مِنْ ذلكَ بِقِسْطٍ ونصيبٍ ، ثُمَّ أَلْهَمَهُمْ طَلَبَ النهوضِ بِواجِبِ حقِّ الاستقامةِ ، ورأوا الاستقامةَ أَفْضَلَ مطلوبٍ وأشرفَ مأمولٍ .

قالَ أبو عليٍّ الجُوزْجانيُّ^(١) : (كُنْ طالبَ الاستقامةِ لا طالبَ الكرامةِ ؛ فَإِنَّ نَفْسَكَ مُتَحَرِّكَةٌ فِي طَلَبِ الكرامةِ ، وَرُبُّكَ يَطْلُبُ مِنْكَ الاستقامةَ)^(٢) .

وهذا الذي ذَكَرَهُ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي البابِ ، وَسِرٌّ غَفَلَ عَنْ حَقِيقَتِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّلُوكِ وَالطَّلَبِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُجْتَهِدِينَ وَالْمُتَعَبِّدِينَ سَمِعُوا بِسِرِّ الصَّالِحِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَمَا مُنَحُوهُ مِنَ الكراماتِ وَخَوَارِقِ العاداتِ ، فَأَبْدَأَ نَفُوسُهُمْ لَا تَزَالُ تَطَّلَعُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُرْزُقُوا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، وَلَعَلَّ أَحَدَهُمْ يَبْقَى مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ ، مُتَّهِماً لِنَفْسِهِ فِي صِحَّةِ عَمَلِهِ ؛ حَيْثُ لَمْ يُكْشَفْ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَوْ عَلِمُوا سِرَّ ذَلِكَ لَهَانَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ فِيهِ .

فليَعْلَمْ : أَنَّ اللهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ يَفْتَحُ عَلَى بَعْضِ الْمُجْتَهِدِينَ الصَّادِقِينَ

(١) فِي النسخ ما عدا (ج ، و) : (الجرجاني) ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ ما أثبت ، والجُوزْجاني : هو أبو عليٍّ الحسن بن عليٍّ ، مِنْ كَبَارِ مشايخِ خراسان ، صاحبِ الحكيمِ الترمذي ومحمد بن الفضلِ البلخي وغيرهما ، وَجُوزْجان أو جُوزْجانان : كُورَةٌ واسعةٌ مِنْ كُورِ بلخِ بخراسان . انظر « طبقات الصوفية » (ص ٢٤٦) ، و « معجم البلدان » (١٨٢ / ٢) .

(٢) أوردَه القشيري فِي « رسالته » (ص ٤٧٣) .

مِنْ ذَلِكَ بَاباً ، وَالْحِكْمَةُ فِيهِ : أَنْ يَزْدَادَ بِمَا يَرَى مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ وَآثَارِ
الْقُدْرَةِ يَقِيناً ، فَيَقْوَى عَزْمُهُ عَلَى الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَالخُرُوجِ مِنْ دَوَاعِي
الْهَوَى .

وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُ عِبَادِهِ يُكَاشِفُ بِصِرْفِ الْيَقِينِ^(١) ، وَيُرفَعُ عَنْ قَلْبِهِ
الْحِجَابُ ، وَمَنْ كُوشِفَ بِصِرْفِ الْيَقِينِ أُغْنِيَ بِذَلِكَ عَنْ رُؤْيَا خَوَارِقِ
الْعَادَاتِ ؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ مِنْهَا كَانَ حُصُولَ الْيَقِينِ وَقَدْ حَصَلَ الْيَقِينُ ، فَلَوْ
كُوشِفَ هَذَا الْمَرْزُوقُ صِرْفَ الْيَقِينِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . . مَا أَزْدَادَ يَقِيناً .

فَلَا تَقْتَضِي الْحِكْمَةُ كَشْفَ الْقُدْرَةِ بِخَوَارِقِ الْعَادَاتِ لِهَذَا ؛ لِمَوْضِعِ
اسْتِغْنَائِهِ ، وَتَقْتَضِي الْحِكْمَةُ كَشْفَ ذَلِكَ لِلْآخِرِ ؛ لِمَوْضِعِ حَاجَتِهِ ، فَكَأَنَّ
هَذَا الثَّانِيَّ يَكُونُ أَتَمَّ اسْتِعْدَاداً وَأَصَحَّ أَهْلِيَّةً مِنَ الْأَوَّلِ ؛ حَيْثُ رُزِقَ حَاصِلَ
ذَلِكَ - وَهُوَ صِرْفُ الْيَقِينِ - بَغَيْرِ وَاسِطَةٍ مِنْ رُؤْيَا قُدْرَةٍ ؛ فَإِنَّ فِيهِ آفَةً ؛ وَهُوَ
الْعُجْبُ ، فَأُغْنِيَ عَنْ رُؤْيَا شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ .

فَسَبِيلُ الصَّادِقِ مُطَالَبَةُ النَّفْسِ بِالِاسْتِقَامَةِ ؛ فَهِيَ كُلُّ الْكِرَامَةِ .

ثُمَّ إِذَا وَقَعَ فِي طَرِيقِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَلِمَ فِيهِ مِنَ الْعُجْبِ بِنَفْسِهِ . . جَازَ
وَحَسُنَ ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ فَلَا يُبَالِي ، وَلَا يَنْقُصُ بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَنْقُصُ بِالِإِخْلَالِ
بِوَاجِبِ حَقِّ الْاسْتِقَامَةِ .

فَلْيُعْلَمْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ أَصْلٌ كَبِيرٌ لِلطَّالِبِينَ .

فَالْعُلَمَاءُ الزَّاهِدُونَ وَمَشَايِخُ الصُّوفِيَّةِ الْمُقَرَّبُونَ حَيْثُ أَكْرِمُوا بِالْقِيَامِ

(١) أَي : الْيَقِينُ الصِّرْفُ الْخَالِصُ مِنْ طَلَبِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ .

بواجب حق الاستقامة . . رُزِقُوا سائر العلوم التي أشار إليها المُتَقَدِّمُونَ - كما ذكرنا - وزعموا أنها فرضٌ .

فَمِنْ ذَلِكَ : علمُ الحال^(١) ، وعلمُ القيام^(٢) ، وعلمُ الخواطرِ ، وسنشرح علمَ الخواطرِ وتفاصيلها في بابٍ إن شاء الله^(٣) .

وعلمُ اليقينِ ، وعلمُ الإخلاصِ ، وعلمُ النفسِ ومعرفتها ومعرفة أخلاقها ، وعلمُ النفسِ ومعرفتها مِنْ أعزِّ علومِ القومِ ، وأقومِ الناسِ بطريقِ المُقَرَّبِينَ والصُّوفِيَّةِ أَقْوَمُهُمْ بمعرفةِ النفسِ .

وعلمُ معرفةِ أقسامِ الدنيا ، ووجودِ دقائقِ الهوى ، وخفايا شهواتِ النفسِ وشربها^(٤) ، وعلمُ الضرورةِ ، ومطالبةِ النفسِ بالوقوفِ على الضرورةِ قولاً وفعلاً ولُبساً وخلعاً وأكلاً ونوماً ، ومعرفةِ حقائقِ التوبةِ ، وعلمُ خفيِّ الذنوبِ ، ومعرفةِ سيئاتِ هيَ حسناتِ الأبرارِ ، ومطالبةِ النفسِ بتركِ ما لا يَغْنِي ، ومطالبةِ الباطنِ بِحَضَرِ خواطرِ المعصيةِ ، ثمَّ بِحَضَرِ خواطرِ الفضولِ . ثمَّ علمُ المراقبةِ ، وعلمُ ما يَقْدَحُ في المراقبةِ ، وعلمُ المحاسبةِ والرَّعايةِ ، وعلمُ حقائقِ التوكلِ ، وذنوبِ المُتَوَكِّلِ في توكلِهِ ، وما يَقْدَحُ في

(١) علم الحال : هو أن يتحوَّل العبد من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحَقِيقِيَّة ودرجات القُرب . انظر « ذوارف اللطائف » (١ / ق ٥٨) .

(٢) أي : علم القيام لله ؛ وهو الاستيقاظ من نوم الغفلة والنهوضُ عن سَنَةِ الفترة عند الأخذ في السير إلى الله تعالى ، وأما علم القيام بالله : فهو الاستقامة عند البقاء بعد الفناء . انظر « ذوارف اللطائف » (١ / ق ٥٨) ، و« التعريفات » (ص ١٥٣) .

(٣) انظر (٢ / ٤٣٤ - ٤٤٨) .

(٤) الشُّرْب : الحِطُّ والنصيب ، وفي (هـ) : (وشرها) ، وفي نسخة مستأنس بها : (وشرها وشرها) .

التوكل وما لا يقدح ، والفرق بين التوكل الواجب بحكم الإيمان وبين التوكل الخاص المختص بأهل العرفان ، وعلم الرضا وذنوب مقام الرضا ، وعلم الزهد وتجديده بما يلزم من ضرورته وما لا يقدح في حقيقته ، ومعرفة الزهد في الزهد ، ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد ، وعلم الإنابة والالتجاء ، ومعرفة أوقات الدعاء ، ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء .

وعلم المحبة ، والفرق بين المحبة العامة المفسرة بامثال الأمر والمحبة الخاصة - وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة ، كما أنكروا الرضا وقالوا : ليس إلا الصبر - وانقسام المحبة الخاصة إلى محبة الذات وإلى محبة الصفات ، والفرق بين محبة القلب ، ومحبة الروح ، ومحبة العقل ، ومحبة النفس ، والفرق بين مقام المحب والمحبوب ، والمريد والمُراد .

ثم علوم المشاهدات ؛ كعلم الهيئة والأنس ، والقبض والبسط ، والفرق بينهما ، والفرق بين القبض والهَمُّ والبسط والنشاط ، وعلم الفناء والبقاء ، وتفاوت أحوال الفناء ، والاستتار والتجلي ، والجمع والفرق ، واللوامع والطوالع ، والبوادي والصحور والسُكْرِ . . . وإلى غير ذلك ، ممَّا لو اتَّسع الوقت لذكرناها وشرَحناها في مجلِّداتٍ ، ولكنَّ العمرَ قصيرٌ ، والوقت عزيزٌ ، ولولا سهمُ الغفلة لضاق الوقتُ عن هذا القدرِ أيضاً^(١) .

(١) وقد لخص شرح جميع هذه العلوم والمعارف صاحب « ذوارف اللطائف » ، وراجع الباب الثاني في « رسالة الإمام القشيري » ؛ فقد شرح وبيَّن فيه بعض الألفاظ التي أوردها المؤلف ها هنا .

وهذا المختصر المؤلف يحتوي من علوم القوم على طرف صالح ،
نرجو من الله تعالى الكريم أن ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا .

وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة
الزاهدون ، وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون ، وهي علوم ذوقية لا يكاد
النظر يصل إليها إلا بذوق ووجدان ؛ كالعلم بكيفية حلاوة السكر ؛
لا يحصل بالوصف ، فمن ذاقه عرفه .

وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء : أن العلوم كلها لا يتعذر
تحصيلها مع محبة الدنيا والإخلاص بحقائق التقوى ، وربما كان محبة الدنيا
عونا على اكتسابها ؛ لأن الاشتغال بها شاق على النفوس ، فجبلت النفوس
على محبة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم .
أجابت إلى تحمّل الكلف وسهر الليل^(١) ، والصبر على الغربة والأسفار ،
وتعذر الملاذ والشهوات .

وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة
الهوى ، ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ؛ جعل العلم ميراث التقوى ، وغير علوم
هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك .

فعلم فضل علم علماء الآخرة ؛ حيث لم يكشف النقاب إلا لأولي
الألباب ، وأولو الألباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا .

(١) الكلف : جمع (كلفة) ؛ وهي ما يتكلفه الإنسان من نائبة أو حق .

قال بعضُ الفقهاء : (إذا أوصى إنسانٌ بمالهٍ لأعقلِ الناسِ . . يُضَرَفُ إلى الزُّهَّادِ ؛ لأنَّهُمُ أعقلُ الخلقِ)^(١) .

قال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّستَرِيِّ رحمهُ اللهِ : (للعقلِ ألفُ اسمٍ ، ولكلِّ اسمٍ منه ألفُ اسمٍ ، وأوَّلُ كلِّ اسمٍ منه تركُّ الدنيا)^(٢) .

(٨) - حدَّثنا الشيخُ الصالحُ أبو الفتحِ محمَّدُ بنُ عبدِ الباقي ، قال : أخبرنا أبو الفضلِ حمَّدُ بنُ أحمدَ^(٣) ، قال : أخبرنا الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ ، قال : حدَّثنا محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدٍ ، قال : حدَّثنا العبَّاسُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ ، قال : حدَّثنا أبو عقيلٍ الوصَّافيُّ^(٤) ، قال : حدَّثنا أبو عبدِ اللهِ الخَوَّاصُ - وكانَ مِنْ أصحابِ حاتمٍ - قال : دخلتُ معَ أبي عبدِ الرحمنِ حاتمِ الأَصَمِّ الرِّيِّ ومعهُ ثلاثُ مئةٍ وعشرونَ رجلاً يُريدونَ الحجَّ ، وعليهمُ الصوفُ والزُّرْمَانِقَاتُ^(٥) ، ليسَ معهمُ جِرابٌ ولا

(١) عزاه الماوردي في « الحاوي الكبير » (٣٥٣/٨) ، والعمراني في « البيان » (٢٢٨/٨) ، والنووي في « الروضة » (١٦٩/٦) إلى الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ السماع للجماعة في الرابع على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

(٣) هو الإمام الثقة أبو الفضل حمد بن أحمد بن الحسين الأصفهاني الحدَّاد (ت ٤٨٨ هـ) ، حدَّث بيغداد بكتاب « الحلية » لأبي نعيم عنه أثناء مروره بها لأداء الحج ، وكان إماماً فاضلاً ، صحيح السماع ، محققاً في الأخذ . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢١-٢٠/١٩) .

(٤) في هامش (ج) : (الرصافي) ، ولم يُرمز بشيء .

(٥) في النسخ ما عدا (ي) : (الزرْبَانِقَات) ، والزُّرْمَانِقَات : جمع (زُرْمَانِقَة) ؛ وهي جُبَّة من صوف ، قال أبو عبيد : أراها عبرانية ، وقيل : فارسيٌّ معرَّبٌ (أشرَبانَه) ؛ =

طعام^(١) ، فدخلنا الرِّيَّ ، ودخلنا على رجلٍ مِنَ التُّجَّارِ مُتَسِّكٍ يُحِبُّ
الْمُتَقَشِّفِينَ ، فَأُضَافَنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ لِحَاتِمٍ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ أَلَيْكَ حَاجَةٌ ؟ فَإِنِّي
أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ فُقَيْهًا لَنَا هُوَ عَلِيلٌ^(٢) ، فَقَالَ حَاتِمٌ : إِنْ كَانَ لَكُمْ فَقِيهٌ عَلِيلٌ
فَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ الْفَقِيهِ لَهَا فَضْلٌ^(٣) ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْفَقِيهِ عِبَادَةٌ ، وَأَنَا أَيْضًا
أَجِيءُ مَعَكَ ، وَكَانَ الْعَلِيلُ مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ قَاضِي الرِّيِّ ، قَالَ : مُرُّ بِنَا يَا أَبَا
عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٤) .

فَجَاءُوا إِلَى الْبَابِ ، فَإِذَا بَابٌ مُشْرِفٌ حَسَنٌ^(٥) ، فَبَقِيَ حَاتِمٌ مُتَفَكِّرًا
يَقُولُ : بَابٌ عَالِمٍ عَلَى هَذَا الْحَالِ ؟!

ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا ، فَإِذَا دَارٌ قَوْرَاءُ^(٦) ، وَإِذَا بَزَّةٌ وَمَنْعَةٌ وَسُتُورٌ
وَجَمْعٌ^(٧) ، فَبَقِيَ حَاتِمٌ مُتَفَكِّرًا !!

أي : متاع الجمال . انظر « تاج العروس » (٤٠٢ / ٢٥) ، وفي « التكملة والذيل على
درة الغواص » (ص ٨٧٨) : (ويقولون للجنة من الصوف : « زربانقة » ، وإنما هي
« زربانقة ») .

(١) الجِرَاب : وعاء الزَّاد .

(٢) عَلِيل : مريض .

(٣) في بعض النسخ دون ذكر (الفقيه) ، وفي بعضها دون ذكر (المريض) .

(٤) في (ح) : (سِرُّ بِنَا) بدل (مر بنا) .

(٥) الْمُشْرِف : العالي .

(٦) الْقَوْرَاء : الدار الواسعة الجوف .

(٧) الْبَزَّة : الهيئة الحسننة ؛ يُقَال : فَلَانٌ حَسَنُ الْبَزَّةِ ؛ أي : حسنُ اللباس والهيئة ، وقال في
« الذوارف » (١ / ق ٦٩) : (الْبَزَّة : الثياب الفاخرة كانت مُعَلَّقةً بِالسَّقْفِ وَالْجُدْرَانِ) ،
وَالْمَنْعَةُ : جمع (مانع) ؛ وهو مَنْ يَحْمِي غَيْرَهُ مِنَ الضَّيْمِ ، والمراد هنا : الْحُجَّاب .

ثُمَّ دَخَلُوا إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ، فَإِذَا بِفُرْشٍ وَطِيبَةٍ^(١) ، وَإِذَا هُوَ رَاقِدٌ عَلَيْهَا ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ غُلَامٌ وَبِيَدِهِ مِذْبَةٌ^(٢) ، فَقَعَدَ الرَّازِيُّ فَسَأَلَهُ وَحَاتِمٌ قَائِمٌ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ مِقَاتِلٍ ؛ أَنْ اقْعُدْ ، فَقَالَ : لَا اقْعُدْ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ مِقَاتِلٍ : لَعَلَّ لَكَ حَاجَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : مَسْأَلَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا ، قَالَ : سَلْنِي ، قَالَ : فَقُمْ فَاسْتَوِ جَالِساً حَتَّى أَسْأَلَكَهَا ، فَأَمَرَ غُلَمَانَهُ فَأَسْنَدُوهُ .

فَقَالَ لَهُ حَاتِمٌ : عِلْمُكَ هَذَا مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهِ ؟ قَالَ : الثَّقَاتُ حَدَّثُونِي بِهِ ، قَالَ : عَمَّنْ ؟ قَالَ : عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنْ ؟ قَالَ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَيْنَ جَاءَ بِهِ ؟ قَالَ : عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالَ حَاتِمٌ : فَفِيمَ أَدَّاهُ جِبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَّاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَدَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، وَأَدَّاهُ أَصْحَابُهُ إِلَى الثَّقَاتِ ، وَأَدَّاهُ الثَّقَاتُ إِلَيْكَ ؟ هَلْ سَمِعْتَ فِي الْعِلْمِ : مَنْ كَانَ فِي دَارِهِ أَمِيرًا وَمَنْعَتْهُ أَكْثَرُ . . كَانَتْ لَهُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ اللَّهِ أَكْثَرَ ؟ قَالَ : لَا .

قَالَ : فَكَيْفَ سَمِعْتَ ؟ قَالَ : مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا ، وَرَغِبَ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَحَبَّ الْمَسَاكِينَ ، وَقَدَّمَ لآخِرَتِهِ . . كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ أَكْثَرَ .

قَالَ حَاتِمٌ : فَأَنْتَ بِمَنْ اقْتَدَيْتَ ؟ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ

(١) الْوَطِيبَةُ : اللَّيْتَةُ ، وَالْفُرَاشُ الْوُطْيَاءُ : الَّذِي لَا يُؤْذِي جَنْبَ النَّائِمِ .

(٢) الْمِذْبَةُ : مَا يُدْفَعُ بِهِ الذُّبَابُ .

والصالحين ، أم بفزعون ونمروذ أول من بنى بالجص والاجر؟ (١) .

يا علماء السوء ؛ مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول :
العالم على مثل هذه الحالة لا أكون أنا شراً منه (٢) ، وخرج من عنده ،
فازداد ابن مقاتل مريضاً .

فبلغ أهل الرّي ما جرى بينه وبين ابن مقاتل ، فقالوا له : يا أبا عبد
الرحمن ؛ بقزوين عالم أكثر شيء من هذا (٣) ، وأشاروا به إلى الطنافسي .

قال : فسار إليه متعمداً ، فدخل عليه ، فقال : رحمتك الله أنا رجل
أعجمي ، أحب أن تعلمني أول مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي ؛ كيف أتوضأ
للصلاة ؟ قال : نعم وكرامة ، يا غلام ؛ هات إناء فيه ماء ، فأتي بإناء فيه
ماء ، فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ، ثم قال : هكذا فتوضأ ، فقعد (٤) ،
فتوضأ حاتم ثلاثاً ثلاثاً ، حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعاً ، فقال له
الطنافسي : يا هذا ؛ أسرفت ، فقال له حاتم : فيماذا ؟ قال : غسلت
ذراعيك أربعاً ، قال حاتم : يا سبحان الله !! أنا في كف ماء أسرفت وأنت
في هذا الجمع كله لم تسرف ؟! فعلم الطنافسي أنه أراد بذلك ولم يرد منه
التعلم ، فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً .

(١) في (أ ، د ، ي) : (ونمروذ) بالمهملة ، ويجوز فيها الإهمال والإعجام ، وبعضهم
رجح الإعجام . انظر « تاج العروس » (٩ / ٢٤٠) .

(٢) في بعض النسخ : (إلا أكون) بدل (لا أكون) .

(٣) في (ح) : (بقزوين عالم أكبر شأناً من هذا) ، وفي « الحلية » : (بقزوين أكثر شيء
من هذا) .

(٤) في النسخ ما عدا (ح) سقط قوله : (فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً . . . فقعد) ، والظاهر أنه من
الناسخ ، والله تعالى أعلم .

وكتبَ تَجَارُ الرِّيِّ وقَزَوِينَ ما جرى بينَهُ وبينَ ابنِ مقاتِلٍ والطَّنَافِسيِّ ، فلمَّا دخلَ بغدادَ اجتمعَ إليه أهلُ بغدادَ ، فقالوا لَهُ : يا أبا عبدِ الرحمنِ ؛ أنتَ رجلٌ أَلَكُنْ أعجميٌّ ليسَ يُكَلِّمُكَ أحدٌ إلَّا قطعتهُ ؟! ^(١) .

قالَ : معي ثلاثُ خِصالٍ بهنَّ أَظْهَرُ على خِصْمي ، قالوا : أيُّ شيءٍ هي ؟ قالَ : أفرحُ إذا أصابَ خِصْمي ، وأحزنُ إذا أخطأَ ، وأحفظُ نفسي أَلَّا أَجهَلَ عليه .

فبلغَ ذلكَ أحمدَ بنَ حنبلٍ ، فجاءَ إليه وقالَ : سبحانَ اللهِ ما أَعقلُهُ !! فلمَّا دخلَ عليه قالَ ^(٢) : يا أبا عبدِ الرحمنِ ؛ ما السلامةُ مِنَ الدنيا ؟ قالَ حاتمٌ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لا تسَلِّمُ مِنَ الدنيا حتَّى تكونَ مَعَكَ أربعُ خِصالٍ ، قالَ : أيُّ شيءٍ هي يا أبا عبدِ الرحمنِ ؟ قالَ : تغفِرُ للقومِ جهْلَهُم ، وتمنعُ جهْلَكَ عَنْهُمْ ، وتبذُلُ لَهُم شَيْئَكَ ، وتكونُ مِنْ شَيْئِهِم آيساً ، فإذا كانَ هذا سلِمْتَ .

ثمَّ سارَ إلى المدينة ^(٣) .

(١) الأَلَكُنْ : الرجل الذي في لسانه عُجْمَةٌ ، وقطعتهُ : غلبتهُ بالحُجَّةَ .
(٢) في (ب ، ج ، و ، ز) : (فلما دخلوا عليه قالوا) ، وفي (أ ، هـ) : (فلما دخلوا عليه قال) ، والعبارة في « الحلية » : (قوموا بنا حتَّى نسيرَ إليه ، فلما دخلوا عليه قالوا) .

(٣) حلية الأولياء (٨ / ٨٠ - ٨٣) ، واستكمالاً للفائدة نورد ما جرى معه في المدينة كما في « الحلية » : (ثم سارَ إلى المدينة ، فاستقبله أهلُ المدينة ، فقال : يا قوم ؛ أيُّ مدينةٍ هذه ؟ قالوا : مدينةُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : فأين قصرُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فأصليَّ فيه ركعتين ؟ قالوا : ما كانَ له قصرٌ ، إنَّما كانَ له بيتٌ لا طيَّ ، قال : فأين قصورُ أصحابه بعدهُ ؟ قالوا : ما كانَ لهم قصورٌ ، إنَّما كانَ لهم =

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، ذَكَرَهُ
بِكَلِمَةٍ (إِنَّمَا) ، فَيَنْتَفِي الْعِلْمُ عَمَّنْ لَا يَخْشَى اللَّهَ ؛ كَمَا إِذَا قَالَ : إِنَّمَا يَدْخُلُ
الدَّارَ بَغْدَادِيٌّ ؛ يَنْتَفِي دُخُولُ غَيْرِ الْبَغْدَادِيِّ الدَّارَ ، فَلَا حَ لِعُلَمَاءِ الْآخِرَةِ^(١) أَنْ
الطَّرِيقَ مَسْدُودٌ إِلَى أَنْصِبَةِ الْمَعَارِفِ وَمَقَامَاتِ الْقُرْبِ إِلَّا بِالزَّهْدِ وَالتَّقْوَى .

قَالَ أَبُو يَزِيدَ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ : بَقِيتُ الْبَارِحَةَ إِلَى الصَّبَاحِ أَجْهَدُ
أَنْ أَقُولَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ ، قِيلَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : ذَكَرْتُ

بِوَيْتٍ لَاطِئَةٍ ، قَالَ حَاتِمٌ : يَا قَوْمُ ؛ هَذِهِ مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، فَذَهَبُوا بِهِ إِلَى
السُّلْطَانِ ، فَقَالُوا : هَذَا الْعَجْمِيُّ يَقُولُ : هَذِهِ مَدِينَةُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، قَالَ الْوَالِي :
وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ حَاتِمٌ : لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ ، أَنَا رَجُلٌ عَجْمِيٌّ غَرِيبٌ دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ ، فَقُلْتُ :
فَأَيْنَ قَصْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ؟ قَالُوا : مَا كَانَ لَهُ قَصْرٌ ،
إِنَّمَا كَانَ لَهُ بَيْتٌ لَاطِئٌ ، قُلْتُ : فَلَأَصْحَابِهِ بَعْدَهُ ؟ قَالُوا : مَا كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ ، إِنَّمَا كَانَ
لَهُمْ بِيوتٌ لَاطِئَةٌ ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
[الْأَحْزَابُ : ٢١] ، فَأَنْتُمْ بَمَنْ تَأْسَيْتُمْ ؟ ! بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، أَوْ
بِفِرْعَوْنَ أَوَّلِ مَنْ بَنَى بِالْجِصِّ وَالْأَجْرُ ؟ ! فَخَلُّوا عَنْهُ وَعَرَفُوهُ .

فَكَانَ حَاتِمٌ كُلَّمَا دَخَلَ الْمَدِينَةَ يَجْلِسُ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ وَيَدْعُو ،
فَاجْتَمَعَ عُلَمَاءُ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا : تَعَالَوْا حَتَّى نُخَجِّلَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، فَجَاؤُوهُ وَمَجْلِسُهُ غَاصٌّ
بِأَهْلِهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ مَسْأَلَةٌ نَسْأَلُكَ ، قَالَ : سَلُّوا ، قَالُوا : مَا تَقُولُ فِي
رَجُلٍ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ؛ ارْزُقْنِي ؟ قَالَ حَاتِمٌ : مَتَى طَلَبَ هَذَا الرِّزْقَ ؟ فِي الْوَقْتِ أَمْ قَبْلَ
الرِّزْقِ ؟ قَالُوا : لَيْسَ يُفْهَمُ هَذَا يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : إِنْ كَانَ هَذَا الْعَبْدُ طَلَبَ
الرِّزْقَ مِنْ رَبِّهِ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ . . فَنِعْمَ ، وَإِلَّا فَأَنْتُمْ عِنْدَكُمْ حَزَنٌ ، وَدِرَاهِمٌ فِي
أَكْيَاسِكُمْ ، وَطَعَامٌ فِي مَنَازِلِكُمْ ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : اللَّهُمَّ ؛ ارْزُقْنَا !! قَدْ رَزَقَكُمُ اللهُ ،
فَكُلُّوا وَأَطْعِمُوا إِخْوَانَكُمْ ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَسَلُّوا اللَّهَ حَتَّى يُعْطِيَكُمْ ، أَنْتَ عَسَى تَمُوتُ
غَدًا وَتُخَلَّفَ هَذَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَنْتَ تَسْأَلُهُ أَنْ يَرْزُقَكَ زِيَادَةً ، فَقَالَ عُلَمَاءُ الْمَدِينَةِ :
نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، إِنَّمَا أَرَدْنَا بِالسَّأَلَةِ تَعْتُّا .

(١) أَيُ : ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ فَحْوَى هَذِهِ الْآيَةِ .

كَلِمَةً قَلَّتْهَا فِي صِبَايَ ، جَاءَتْني وَخْشَةُ تِلْكَ الْكَلِمَةِ فَمَنْعَتْنِي عَنْ ذَلِكَ ،
وَأَعْجَبُ مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ !!^(١) .

فبِصَفَاءِ التَّقْوَى وَكَمَالِ الزَّهَادَةِ يَصِيرُ الْعَبْدُ رَاسِخًا فِي الْعِلْمِ .

قَالَ الْوَاسِطِيُّ : (الرَاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ : هُمُ الَّذِينَ رَسَخُوا بِأَرْوَاحِهِمْ فِي
غَيْبِ الْغَيْبِ فِي سِرِّ السِّرِّ ، فَعَرَفَهُمْ مَا عَرَفَهُمْ ، وَخَاضُوا فِي بَحَارِ الْعِلْمِ
بِالْفَهْمِ لَطَلَبِ الزِّيَادَاتِ ، فَانْكَشَفَ لَهُمْ مِنْ مَذْخُورِ الْخَزَائِنِ تَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ
مِنَ الْكَلَامِ ؛ مِنْ الْفَهْمِ وَعَجَائِبِ الْخَطَابِ ، فَنَطَقُوا بِالْحِكَمِ)^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الرَاسِخُ : مَنْ أَطْلَعَ عَلَى مَحَلِّ الْمَرَادِ مِنَ الْخِطَابِ)^(٣) .

وَقَالَ الْخَرَّازُ : (هُمُ الَّذِينَ كَمَلُوا فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ وَعَرَفُوهَا ، وَاطَّلَعُوا
عَلَى هِمَمِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ)^(٤) .

وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ لَا يَعْنِي بِهِ : أَنَّ الرَاسِخَ فِي الْعِلْمِ يَنْبَغِي أَنْ
يَقِفَ عَلَى جُزْئِيَّاتِ الْعُلُومِ وَيَكْمُلَ فِيهَا ؛ فَإِنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
كَانَ مِنَ الرَاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَوَقَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَفَكَهَّةً وَأَبَّأً ﴾
[عبس : ٣١] ، وَقَالَ : مَا الْأَبُّ ؟ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا إِلَّا تَكَلُّفٌ^(٥) ، وَنُقِلَ هَذَا

(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (٩٠ / ١) .

(٢) أوردته السلمي في « تفسيره » (٨٧ / ١) ، وفي (ز ، ح) : (من مذخور) بدل (من
مذخور) ، ومذخور الخزائن : ما دُخِرَ وَخُجِّيَ فِيهَا مِمَّا بَيَّنَّهَ بِقَوْلِهِ : (من الفهم ...) .

(٣) أوردته السلمي في « تفسيره » (٨٧ / ١) .

(٤) أوردته السلمي في « تفسيره » (٨٧ / ١) .

(٥) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣) ، والحاكم في « المستدرک » (٥١٤ / ٢) ،
والبيهقي في « الشعب » (٢٠٨) .

الوقوف في معنى الأبَّ أنه كان من أبي بكر رضي الله عنه^(١) .

وإنما عني بذلك أبو سعيد : ما يُفسَّرُ أوَّلُ كلامِهِ بآخِرِهِ ؛ وهو قوله :
(اطلُّوا على هَمَمِ الخلائقِ كلِّهم) ؛ لأنَّ المُتَّقِي حقَّ التقوى ، والزاهد حقَّ
الزَّهَادَةِ في الدنيا . صفا باطنه ، وانجلت مِرْآةُ قلبه ، ووقعت له مُحَاذَاةُ
بشيءٍ مِنَ اللُّوحِ المحفوظِ ، فأدرك بصفاء الباطنِ أَمَّهَاتِ العلومِ وأصولها ،
فيعلمُ مُتَتَهِي أَقْدَامِ العلماءِ في علومِهِم ، وفائدة كلِّ علمٍ ، والعلومُ الجُزْئِيَّةُ
مُتَجَزِّئَةٌ في النفوسِ بالتعلُّمِ والممارسةِ ، فلا يُغْنِيهِ علمُهُ الكُلِّيُّ أَنْ يُرَاجَعَ في
الجُزْئِيِّ أَهْلُهُ الَّذِينَ هُمْ أَوْعِيَّتُهُ ، فنفسُ هؤلاءِ امتلأتْ مِنَ الجُزْئِيِّ واشتغلتْ
به ، وانقطعتْ بِالْجُزْئِيِّ عَنِ الكُلِّيِّ .

ونفوسُ العلماءِ الزاهدين بعدَ الأخذِ ممَّا لا بدَّ لَهُمُ مِنْهُ في أصلِ الدِّينِ
وأساسِهِ مِنَ الشَّرْعِ . . أَقْبَلُوا على اللَّهِ ، وانقطعُوا إِلَيْهِ ، وَخَلَصَتْ أرواحُهُمُ
إِلَى مَقَامِ القُرْبِ مِنْهُ ، فَأَفَاضَتْ أرواحُهُمُ على قلوبِهِم أنواراً تَهَيَّأتْ بها
قلوبُهُم لِإِدْرَاكِ العلومِ .

فأرواحُهُمُ ارتقتْ عن حَدِّ إدراكِ العلومِ بِعُكُوفِهَا على العَالِمِ الْأَزَلِيِّ ،
وتَجَرَّدَتْ عن وجودِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ وَعَاءً لِلْعِلْمِ ، وقلوبُهُمُ بنسبةِ وجهِها
الذي يَلِي النفوسَ صارتْ أَوْعِيَّةً وجودِيَّةً ، تُنَاسِبُ وجودَ العِلْمِ بالنسبةِ
الوجودِيَّةِ ، فتألَّفتِ العلومَ وتألَّفتْها العلومُ بِمُنَاسِبَةِ انفصالِ العلومِ بِاتِّصَالِهَا
بِاللُّوحِ المحفوظِ ، وَالْمَعْنِيُّ بِالانْفِصَالِ : انْتِقَاشُهَا فِي اللُّوحِ لَا غَيْرُ ،

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٣١) ، وأبو عبيد في « فضائل القرآن »
(ص ٣٧٥) .

وانفصالُ القلوبِ عن مقامِ الأرواحِ ؛ لوجودِ انجذابِها إلى النفوسِ ، فصارَ بينَ المُنفصلينِ نسبةُ اشتراكٍ مُوجبٍ للتألفِ ، فحصلتِ العلومُ لذلكَ ، وصارَ العالمُ الربّانيُّ راسخاً في العلمِ .

أوحى اللهُ تعالى في بعضِ الكُتبِ المُنزلةِ : (يا بني إسرائيلُ ؛ لا تقولوا : العلمُ في السماءِ مَنْ ينزلُ به ؟ ولا في تُخومِ الأرضِ مَنْ يصعدُ به ؟^(١) ، ولا مِنْ وراءِ البحارِ مَنْ يعبرُ يأتي به ؟ العلمُ مَجعولٌ في قلوبِكُمْ ، تأدّبوا بينَ يديّ بآدابِ الرُّوحانيّينَ ، وتخلّقوا لي بأخلاقِ الصّديقينَ . . أظهرِ العلمَ مِنْ قلوبِكُمْ حتّى يُعطِيَكُم وَيَغْمُرَكُم)^(٢) .

فالتأدّبُ بآدابِ الرُّوحانيّينَ : حَصْرُ النفوسِ عن تقاضي جِبَلاتها ، وقمعُها بصريحِ العلمِ في كلّ قولٍ وفعلٍ ، ولا يصحُّ ذلكَ إلّا لِمَنْ عِلِمَ وقَرَّبَ ، وتطرّقَ إلى الحضورِ بينَ يديّ اللهِ ، فيتحفّظُ بالحقِّ للحقِّ .

(٩) - أخبرنا شيخنا شيخُ الإسلامِ أبو النّجيبِ عبدُ القاهرِ السُّهرُورديُّ رحمه اللهُ عليه إجازةً ، قالَ : أخبرنا أبو منصورٍ بنُ خَيْرُونٍ إجازةً ، قالَ : أخبرنا أبو محمّدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَريُّ إجازةً ، قالَ : أخبرنا أبو عمرٍ محمّدُ بنُ العباسِ^(٣) ، قالَ : أخبرنا أبو محمّدٍ يحيى بنُ صاعدٍ ، قالَ : أخبرنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوزيُّ^(٤) ، قالَ : أخبرنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ،

(١) التُّخومُ : جمع (تَخَم) ؛ وهو منتهى الأرض .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١ / ٣٨٦) ، والغزالي في « الإحياء » (١ / ٢٦٥) .

(٣) هو ابن حيّويه البغدادي الخزّاز ، الإمام المحدث المسند الثقة (ت ٣٨٢ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦ / ٤٠٩) .

(٤) هو الإمام الحافظ الصادق أبو عبد الله السلمي المروزي (ت ٢٤٦ هـ) صاحب =

قَالَ : أَخْبَرَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةَ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ : اثْنُونَا بِالشُّفْرَةِ نَعْبَثُ بِهَا^(١) ، فَأَنْكَرَ مِنْهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مِنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا ثُمَّ أَرْزُمُهَا غَيْرَ هَذِهِ^(٢) ، فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ^(٣) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَمِثْلَ هَذَا يَكُونُ التَّأْدُّبُ بِآدَابِ الرُّوحَانِيِّينَ .
مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ : (لَا تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا حَتَّى تَعْمَلُوا بِمَا قَدْ عِلِمْتُمْ)^(٤) .

وَقَدْ وَرَدَ فِي خَبَرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا سَبَقَكُمْ بِالْعِلْمِ » ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَيْفَ يَسْبِقُنَا بِالْعِلْمِ^(٥) ؟ قَالَ :

-
- = ابن المبارك ، وَحَدَّثَ عَنْهُ بَشِيرٌ . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٢ / ١٩٠) .
- (١) الشُّفْرَةُ : طَعَامٌ يُصْنَعُ لِلْمَسَافِرِ ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَتْ لِلْجِلْدَةِ الَّتِي يُوضَعُ فِيهَا الطَّعَامُ مَجَازًا .
- (٢) الْخَطْمُ فِي الْأَصْلِ : ضَرْبُ أَنْفِ الدَّابَّةِ ، وَالزُّمُّ كَذَلِكَ : تَعْلِيقُ الزُّمَامِ عَلَيْهَا .
- (٣) الزَّهْدُ (٨٤٣) لابن المبارك ، وَرواه أحمد (١٢٣ / ٤) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » (٧٧ / ٦) ، وَوصله ابن حبان (٩٣٥) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (٣٤٥ / ٧) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » (٢٦٦ / ١) .
- (٤) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (٣٨٦ / ١) ، وَالْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » (٢٣٧ / ١) .
- (٥) فِي (ح) : (يَسُوفُكُمْ . . . كَيْفَ يُسُوفُنَا) بَدَلُ (سَبَقُكُمْ . . . كَيْفَ يَسْبِقُنَا) ، وَفِي « الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّاوي » : (لَيْسَبُعُكُمْ . . . كَيْفَ يَسْبِعُنَا) قَالَ الزَّبِيدِيُّ فِي « الْإِتْحَافِ » (٣٧٦ / ١) : (وَوَجَدْتُ فِي نَسْخَةِ « الْمَغْنِيِّ » لِلْحَافِظِ الْعِرَاقِيِّ الَّتِي قُرِئْتُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا خَطُّهُ : « رُبَّمَا يَسْبِعُكُمْ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ مَكَانَ الْقَافِ ، وَعَلَيْهِ التَّصْحِيحُ ، وَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَعْنَى) ، وَقَالَ الْغَمَارِيُّ فِي « الْغَنِيَّةِ » (٦٧-٦٨) : (تَنْبِيهُ : الْمُتَدَاوُلُ فِي كُتُبِ الصُّوفِيَّةِ ؛ كَ « الْقُوتِ » وَ« الْإِحْيَاءِ » وَ« الْعَوَارِفِ » فِي هَذَا الْحَدِيثِ : « سَبَقُكُمْ » بِالْقَافِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَالصَّوَابُ - كَمَا وَقَعَ بِخَطِّ الْحَافِظِ الْعِرَاقِيِّ فِي =

« يَقُولُ : أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَعْمَلْ بِهِ حَتَّى تَعْلَمَ ، فَلَا يَزَالُ فِي الْعِلْمِ قَائِلًا وَلِلْعَمَلِ مُسَوِّفًا حَتَّى يَمُوتَ وَمَا عَمِلَ »^(١) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (ليس العلمُ بكثرة الرواية ، إنما العلمُ الخَشْيَةُ)^(٢) .

وقال الحسنُ رحمه الله : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْْبَأُ بِذِي عِلْمٍ وَرَوَايَةٍ ، إِنَّمَا يَعْْبَأُ بِذِي فَهْمٍ وَدَرَايَةٍ)^(٣) .

فعلومُ الِوراثَةِ مُستخرِجَةٌ مِنْ عِلْمِ الدِّرَاسَةِ .

ومثالُ علومِ الدِّرَاسَةِ : كاللِّبَنِ الْخَالِصِ السَّائِغِ لِلشَّارِبِينَ ، ومثالُ علومِ الِوراثَةِ : كالزُّبْدِ الْمُستخرِجِ مِنْهُ ، فلو لم يكن لَبَنٌ لم يكن زُبْدٌ ، ولكنَّ الزُّبْدَ هُوَ الدُّهْنِيَّةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنَ اللَّبَنِ ، والمائيَّةُ فِي اللَّبَنِ جِسْمٌ قَامَ بِهِ رُوحُ الدُّهْنِيَّةِ ، والمائيَّةُ بِهَا الْقَوَامُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ؛ أَي : كَانَ مِيتًا

= « المغني » - : « سبعكم » بالعين المهملة ؛ أَي : يسرقكم بالعلم ويغويكم به ، ويختطفكم من ميدان العمل والإقبالِ عليه إلى الاشتغال بالعلم والانهماك فيه إلى الممات) .

(١) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي » (٣٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٣٧٦ / ١) ، و« غنية العارف » (٦٦ / ١) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٨٦٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٣١ / ١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣٧٣ / ١) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٣ / ٤٨) عن أبي محمد الجُريري ممَّا سمعه في منامه .

بالكفر فأحييناهُ بالإسلام ؛ فالإحياءُ بالإسلامِ هو القِوامُ الأوَّلُ والأصلُ
الأوَّلُ .

وللإسلامِ علومُهُ ؛ وهي علومُ مباني الإسلامِ ، والإسلامُ بعدَ الإيمانِ
نظراً إلى مُجرَّدِ التصديقِ ، ولكنْ للإيمانِ فروعٌ بعدَ التحقُّقِ بالإسلامِ ،
وهي مراتبُ ؛ كعلمِ اليقينِ ، وعينِ اليقينِ ، وحقُّ اليقينِ ، وقد يُقالُ :
التوحيدُ ، والمعرفةُ ، والمشاهدةُ ، وللإيمانِ في كلِّ فرعٍ مِنْ فروعِهِ علومٌ .

فعلومُ الإسلامِ علومُ اللسانِ ، وعلومُ الإيمانِ علومُ القلوبِ .

ثمَّ علومُ القلوبِ : لها وصفٌ خاصٌّ ، ووصفٌ عامٌّ :

فالوصفُ العامُّ : علمُ اليقينِ ، وقد يُتوصَّلُ إليه بالنظرِ والاستدلالِ ،
ويشتركُ فيه علماءُ الدنيا معَ علماءِ الآخرةِ .

وله وصفٌ خاصٌّ يختصُّ به علماءُ الآخرةِ ؛ وهي السَّكينةُ التي أنزلتْ في
قلوبِ المؤمنينَ ليزدادوا إيماناً معَ إيمانِهِمْ^(١) .

فعلى هذا : جميعُ الرُّتبِ يشملُها اسمُ الإيمانِ بوصفِهِ الخاصِّ ،
ولا يشملُها بوصفِهِ العامِّ ؛ فبالنظرِ إلى الوصفِ الخاصِّ : اليقينُ ومراتبُهُ مِنَ
الإيمانِ ، وبوصفِهِ العامِّ : اليقينُ زيادةً على الإيمانِ ، والمشاهدةُ وصفٌ
خاصٌّ في علمِ اليقينِ ؛ وهو عينُ اليقينِ ، وفي عينِ اليقينِ وصفٌ خاصٌّ ؛
وهو حقُّ اليقينِ ؛ فحقُّ اليقينِ إذاً فوقَ المشاهدةِ ، وحقُّ اليقينِ موطنُهُ

(١) قوله : (السَّكينة) ؛ أي : سكونُ النفسِ عن الميلِ إلى شهوةٍ ، واطمئنَّانها بذكرِ الله
تعالى ، وقيل : مَلَكٌ يسكنُ قلبَ المؤمنِ . من هامش (ي) .

وَمُسْتَقَرُّهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَفِي الدُّنْيَا مِنْهُ لَمَحٌّ يَسِيرٌ لِأَهْلِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَعَزِّ مَا يَوْجَدُ مِنْ أَقْسَامِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَانٌ .

فَصَارَ عِلْمُ الصُّوفِيَّةِ وَزُهَادِ الْعُلَمَاءِ نَسْبَتُهُ إِلَى عِلْمِ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الَّذِينَ ظَفَرُوا بِالْيَقِينِ بِطَرِيقِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ . . كَنَسْبَةِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ عِلْمِ الْوَرَاثَةِ وَالِدِّرَاسَةِ ؛ عِلْمُهُمْ بِمُثَابَةِ اللَّبَنِ ؛ لِأَنَّهُ الْيَقِينُ وَالْإِيمَانُ الَّذِي هُوَ الْأَسَاسُ ، وَعِلْمُ الصُّوفِيَّةِ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَنْصِبَةِ الْمَشَاهِدَةِ ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ وَحَقُّ الْيَقِينِ كَالزُّبْدِ الْمُسْتَخْرَجِ مِنَ اللَّبَنِ .

فَفُضِّلَةُ الْإِنْسَانِ بِفُضِيلَةِ الْعِلْمِ ، وَرَزَانَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى قَدْرِ الْحِظِّ مِنَ الْعِلْمِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ : « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي » (١) .

وَالْإِشَارَةُ فِي هَذَا الْعِلْمِ لَيْسَ إِلَى عِلْمِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ ، وَالطَّلَاقِ وَالْعَتَاقِ ، وَإِنَّمَا الْإِشَارَةُ إِلَى الْعِلْمِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّةِ الْيَقِينِ ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ عَالِمًا بِاللَّهِ تَعَالَى ذَا يَقِينٍ كَامِلٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ فُرُوضِ الْكُفَايَاتِ ، وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ بِحَقَائِقِ الْيَقِينِ وَدَقَائِقِ الْمَعْرِفَةِ ، وَقَدْ كَانَ عُلَمَاءُ التَّابِعِينَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَقْوَمُ بِعِلْمِ الْفَتَوَى وَالْأَحْكَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ .

(١) رَوَاهُ الْحَارِثُ كَمَا فِي « بَغِيَةِ الْبَاحِثِ » (٣٩) ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ » (٩٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٨٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلْفَظٍ : « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُم » ، وَانْظُرْ « كَشْفُ الْخَفَاءِ » (٨٦ / ٢) ، وَ« غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (٦٩ / ١) .

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يَقُولُ :
(سَلُّوا سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ) (١) .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : (سَلُّوا جَابِرَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ ، لَوْ نَزَلَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَلَى فُتْيَاهُ لَوَسِعَهُمْ) (٢) .

وَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (سَلُّوا مَوْلَانَا الْحَسَنَ ؛ فَإِنَّهُ
قَدْ حَفِظَ وَنَسِينَا) (٣) .

فَكَانُوا يَرُدُّونَ إِلَيْهِمُ النَّاسَ فِي عِلْمِ الْفَتَوَى وَالْأَحْكَامِ ، وَيُعَلِّمُونَهُمْ حَقَائِقَ
الْيَقِينِ وَدَقَائِقَ الْمَعْرِفَةِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنَ التَّابِعِينَ ، صَادَفَهُمْ
طَرَاوَةُ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ ، وَغَمَرَهُمْ غَزِيرُ الْعِلْمِ الْمُجْمَلِ وَالْمُفَصَّلِ (٤) ، فَتَلَقَّى
مِنْهُمْ طَائِفَةٌ مُجْمَلَةٌ وَمُفَصَّلَةٌ ، وَطَائِفَةٌ مُفَصَّلَةٌ دُونَ مُجْمَلِهِ ، وَطَائِفَةٌ مُجْمَلَةٌ
دُونَ مُفَصَّلِهِ ، وَالْمُجْمَلُ : أَصْلُ الْعِلْمِ ، وَمُفَصَّلُهُ (٥) : الْمُكَتَسَبُ بِطَهَارَةِ

(١) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٤٠ / ٥) ، والفسوي في « المعرفة والتاريخ »
(٤٧٦-٤٧٥ / ١) .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٧٩ / ٧) ، وأبو نعيم في « الحلية »
(٨٥ / ٣) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (٤١٢ / ١) ، وفيها جميعها أنه
قاله في حق جابر بن زيد أبي الشعثاء ، وهو الصواب ، كما هو الواضح من خلال
السياق .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٧٤٥) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى »
(١٧٦ / ٧) ، والحسن : هو ابن يسار البصري التابعي الشهير رحمه الله تعالى ورضي
عنه .

(٤) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، و ، ز) : (عزيز) بدل (غزير) ، وفي (و) :
(الوحي) بدل (العلم) .

(٥) في النسخ ما عدا (ح) : (ومطلقة) .

القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد ، وهو خاص بالخواص^(١) .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وقال : ﴿ قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

فلهذه السبل سابلة^(٢) ، ولهذه الدعوات قلوب قابلة ؛ فمنها نفوس
مُستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبليتها ، فليتها بنار الإنذار
والموعظة والحدار ، ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة
منها ؛ فمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه . . دعاه بالموعظة ، ومن كان قلبه
ظاهراً على نفسه . . دعاه بالحكمة .

فالدعوة بالموعظة أجاب بها الأبرار ؛ وهي الدعوة بذكر الجنة والنار .
والدعوة بالحكمة أجاب بها المُقربون ؛ وهي الدعوة بتلويح منح
القرب ، وصفو المعرفة ، وإشارة التوحيد ، فلما وجدوا التلويحات
الحَقَّانية^(٣) ، والتعريفات الربَّانية . . أجابوا بأرواحهم وقلوبهم ونفوسهم ،
فصارت متابعة الأقوال إجابتهم نفساً ، ومتابعة الأعمال إجابتهم قلباً ،
والتحقق بالأحوال إجابتهم رُوحاً ؛ فإجابة الصُوفية بالكل ، وإجابة غيرهم
بالبعض .

(١) في بعض النسخ : (خاص لخصوص) بدل (وهو خاص بالخواص) ، وفي بعضها :
(خاص لخواص) ، وفي بعضها : (خاص بخصوص) .

(٢) السابلة في الأصل : جمع (سابل) ؛ وهي الجماعة المختلفة في الطرقات في
حوائجهم .

(٣) وهي المنسوبة إلى الحق جل جلاله .

قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (رَحِمَ اللَّهُ صُهَبِيًّا ؛ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهُ لَمْ يَعِصِهِ)^(١) ؛ يَعْنِي : لَوْ كُتِبَ لَهُ كِتَابُ الْأَمَانِ مِنَ النَّارِ . . حَمَلَهُ صِرْفُ الْمَعْرِفَةِ بِعَظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْقِيَامِ بِوَاجِبِ حَقِّ الْعِبَادَةِ^(٢) ؛ أَدَاءً لِمَا عَرَفَ مِنْ حَقِّ الْعَظَمَةِ .

فَإِجَابَةُ الصُّوفِيَّةِ إِلَى الدَّعْوَةِ إِجَابَةُ الْمُحِبِّ لِلْمُحْبُوبِ عَلَى اللَّذَازَةِ وَذَهَابِ الْعُسْرِ ، وَإِجَابَةُ غَيْرِهِمْ عَلَى الْمُكَابَدَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، وَهَذِهِ الْإِجَابَةُ يَظْهَرُ مَعَ السَّاعَاتِ أَثَرُهَا فِي الْقِيَامِ بِحَقَائِقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْعِبَادَةِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُوهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [الليل : ٥-٧] .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (﴿ أَعْطَى ﴾ الدَّارَيْنِ وَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، ﴿ وَاتَّقَى ﴾ اللُّغُو وَالسَّيِّئَاتِ ، ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ أَقَامَ عَلَى طَلَبِ الزُّلْفَى)^(٣) .

(١) أوردته أبو عبيد في « غريب الحديث » (٢٨٤ / ٤) ، وقال الإمام السيوطي في « جامع الأحاديث » (٣١٥٥٨) : (أوردته أبو عبيد في « الغريب » ولم يسق إسناده ، وقد ذكر المتأخرون من الحفاظ أنهم لم يقفوا له على إسناده ، وإنما ذكرته هنا وإن كان ليس من شرط الكتاب ؛ لشهرته ، ولأنه على أن أبا عبيد أوردته ، وأبو عبيد في الصدر الأول قريب العهد ، أدرك أتباع التابعين ؛ فالظاهر : أنه وصل إليه بإسناده ، ولم أذكر في هذا الكتاب شيئاً لم أقف على إسناده سوى هذا فقط) ، وروى أبو نعيم في « الحلية » (١٧٧ / ١) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه مرفوعاً : « إِنَّ سَالِمًا شَدِيدُ الْحُبِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لَوْ كَانَ لَا يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ . . مَا عَصَاهُ » ، وانظر « كشف الخفاء » (٣٢٣ / ٢) ، و« المقاصد الحسنة » (١٢٥٩) .

(٢) في (أ) : (وتعظيم) بدل (بعظيم) ، وفي (ي) : (بتعظيم) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (٣٩٨ / ٢) .

والآية قيل : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(١) .

ويلوح في الآية وجه آخر : ﴿ أَعْطَى ﴾ بالمواظبة على الأعمال ، ﴿ وَأَنْفَى ﴾ الوسواس والهواجس ، ﴿ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ﴾ لازم الباطن بتصفية موارد الشهود ، عن مُزاحمة لوث الوجود . . ﴿ فَسَيِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ نفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والأنس ، ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴾ بالأعمال ، ﴿ وَأَسْتَفْنَى ﴾ امتلاً بالأحوال ، ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴾ لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال . . ﴿ فَسَيِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل : ٥-١٠] نسد عليه باب اليسر في الأعمال .

قال بعضهم : (إذا أراد الله تعالى بعدد سوءاً . سد عليه باب العمل ، وفتح عليه باب الكسل) .

فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهراً وباطناً . . كان حظهم من العلم أوفر ، ونصيبتهم من المعرفة أكمل ، فكانت أعمالهم أزكى وأفضل .

جاء رجل إلى معاذ رضي الله عنه فقال : أخبرني عن رجلين ؛ أحدهما مجتهد في العبادة ، كثير العمل ، قليل الذنوب ، إلا أنه ضعيف اليقين ، يعتوره الشك ، قال معاذ : ليحيطنَّ شكُّه أعماله .

قال : فأخبرني عن رجل قليل العمل ، إلا أنه قوي اليقين ، وهو في ذلك كثير الذنوب ، فسكت معاذ ، فقال الرجل : والله ؛ لئن أحبط شكُّ الأول أعمال برّه . . ليحيطنَّ يقين هذا ذنوبه كلها ، قال : فأخذ معاذ بيده

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص ٤٥٦) ، و « الدر المنثور » (٥٣٨ / ٨) .

وقال : ما رأيتُ الذي هو أفقه من هذا !! (١) .

وفي وصية لقمان لابنه : (يا بُنَيَّ ؛ لا يُستطاعُ العملُ إلا باليقينِ ، ولا يعملُ المرءُ إلا بقدرِ يقينه ، ولا يُقصرُ عاملٌ حتى يُقصرَ يقينه) (٢) .

فكانَ اليقينُ أفضلَ العلمِ ؛ لأنه أدعى إلى العملِ ، وما كانَ أدعى إلى العملِ كانَ أدعى إلى العبوديةِ ، وما كانَ أدعى إلى العبوديةِ كانَ أدعى إلى القيامِ بحقِّ الربوبيةِ ، وكمالُ الحظِّ من اليقينِ والعلمِ بالله... للصوفية والعلماء الزاهدين ، فبانَ بذلك فضلُهم وفضلُ علمهم .

ثمَّ إنِّي أصوِّرُ مسألةً يستبينُ بها للمُعْتَبِرِ فضلُ العالمِ الزاهدِ العارفِ بصفاتِ نفسه على غيره :

عالمٌ دخلَ مَجْلِساً وقعدَ ، وميَّزَ لنفسِهِ مَجْلِساً يجلسُ فيه ، كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمَحَلٍّ وعلمِهِ ، فدخلَ داخلٌ من أبناء جنسِهِ وقعدَ فوقَهُ ، فانعصرَ العالمُ وأظلمتْ عليه الدنيا ، ولو أمكنَهُ لبَطَشَ بالداخلِ .

فهذا عارضٌ عَرَضَ لَهُ ، ومرضٌ اعتراه ، وهو لا يَفْطِنُ أَنَّ هذهِ علَّةٌ غامضةٌ ، ومرضٌ يحتاجُ إلى المُداواةِ ، ولا يتفكَّرُ في منشأِ هذا المرضِ ، ولو تفكَّرَ أحدٌ لعَلِمَ أَنَّ هذهِ نفسٌ ثارتْ وظهرتْ بجَهْلِها (٣) ، وجَهْلُها لوجودِ كِبَرِها ، وكِبَرُها برؤيةِ نفسها خيراً من غيرها ، فعلمُ الإنسانِ أَنَّهُ أكبرُ من غيره كِبَرٌ ، وإظهارُهُ ذلكَ إلى الفعلِ تكبُّرٌ ، فحيثُ انعصرَ صارَ فعلاً به تكبُّرٌ .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣٨٠ / ١) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣٨١ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » (٢٦٩ / ١) .

(٣) في النسخ ما عدا (و) : (ولو علم) بدل (ولو تفكَّرَ أحدٌ لعلم) .

فَالصُّوفِيُّ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ لَا يُمَيِّزُ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَرَى
نَفْسَهُ فِي مَقَامٍ تُمَيِّزُهَا بِمَجْلِسٍ مَخْصُوصٍ مُمَيِّزٍ ، وَلَوْ قُدِّرَ لَهُ أَنْ يُتَلَى
بِمِثْلِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ، وَيَنْعَصَرَ مِنْ تَقَدُّمِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ وَتَرْفُعِهِ . . يَرَى النَّفْسَ
وظُهُورَهَا ، وَيَرَى أَنَّ هَذَا دَاءٌ ، وَأَنَّهُ إِنْ اسْتَرْسَلَ فِيهِ بِالْإِصْغَاءِ إِلَى النَّفْسِ
وَانْعِصَارِهَا . . صَارَ ذَلِكَ ذَنْبَ حَالِهِ ، فَيَرْفَعُ فِي الْحَالِ دَاءَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ،
وَيَشْكُو إِلَيْهِ ظُهُورَ نَفْسِهِ ، وَيُحْسِنُ الْإِنَابَةَ بِقَطْعِ دَابِرِ ظُهُورِ النَّفْسِ ، وَيَرْفَعُ
الْقَلْبَ إِلَى اللَّهِ مُسْتَعِثًا مِنَ النَّفْسِ ، وَيَشْغَلُهُ اشْتِغَالُهُ بِرُؤْيَا دَاءِ النَّفْسِ فِي طَلَبِ
دَوَائِهَا عَنِ الْفِكْرِ فَيَمُنُّ قَعْدَ فَوْقَهُ ، وَرَبَّمَا أَقْبَلَ عَلَى مَنْ قَعْدَ فَوْقَهُ بِمَزِيدِ
التَّوَاضُعِ وَالْإِنْكَسَارِ ؛ تَكْفِيرًا لَذَنْبِهِ الْمَوْجُودِ ، وَتَدَاوِيًا لَدَائِهِ الْحَاصِلِ .

فَيَتَبَيَّنُ بِهَذَا : الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ .

فَإِذَا اعْتَبَرَ الْمُعْتَبِرُ ، وَتَفَقَّدَ حَالَ نَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ . . يَرَى نَفْسَهُ
كَنَفُوسِ عَوَامِّ الْخَلْقِ وَطَالِبِي الْمَنَاصِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ
مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ ؟ !

وَلَوْ أَكْثَرْنَا تَصْوِيرَ هَذِهِ الْمَسَائِلِ لِنُبْرِهِنَ فَضِيلَةَ الزَّاهِدِينَ ، وَنُقْصَانَ
الرَّاغِبِينَ . . لَاؤُرَثَ الْمَالِ ، وَهَذَا مِنْ أَوَائِلِ عِلُومِ الصُّوفِيَّةِ ، فَمَا ظَنُّكَ
بِنَفَائِسِ عِلُومِهِمْ ، وَشَرَائِفِ أَحْوَالِهِمْ ؟ ! وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ لِلصَّوَابِ ^(١) .



(١) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلْغُ قِرَاءَةٍ) ، وَفِيهِ : (بَلْغُ السَّمَاعِ فِي الْخَامِسِ لِلْجَمَاعَةِ عَلَى
الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ دَاوُدَ الْمُقَدَّسِيِّ) ، وَفِيهِ أَيْضًا : (بَلْغُ فِي
الثَّلَاثِ قِرَاءَةً عَلَى الشَّيْخِ جَلَالِ الدِّينِ ، كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُقَدَّسِيِّ الشَّافِعِيِّ) .

الباب الرابع

في شرح حال الصوفية واختلاف طريقتهم

(١٠) - أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي^(١) ، قال : أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الهروي ، قال : أخبرنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقى ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحى ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المخبوبى ، قال : أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى ، قال : حدثنا مسلم بن حاتم الأنصارى^(٢) ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن أبيه ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ . . فَأَفْعَلْ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا بُنَيَّ ؛ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا

(١) هو المحدث المقرئ الفقيه ابن سَكِينَةَ البغدادي ، شيخ العراق في الحديث والزهد وحسن السُّنْتِ ، وموافقة السنة والسلف (ت ٦٠٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢١ / ٥٠٢-٥٠٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨ / ٣٢٤-٣٢٥) ، وهذا الشيخ لم يذكره الحسن ابن أبي جَرُؤَيْهِ الموصلي في « مشيخة السهروردي » .

(٢) في (ح) : (مسلمة) بدل (مسلم) ، ولعل الصواب ما أثبت من باقي النسخ ، وهو أبو حاتم البصري (ت بعد ٢٥٠هـ) انظر « تهذيب الكمال » (٢٧ / ٤٩٦ - ٤٩٧) ، و« الثقات » لابن حبان (١٥٧٥٨) .

سُتِّي فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ »^(١) .

قال الشيخ رضي الله عنه : وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق مَنْ أَحْيَا سُتَّهُ .

فَالصُّوفِيَّةُ هُمُ الَّذِينَ أَحْيَوْا هَذِهِ السُّنَّةَ ، وَطَهَارَةُ الصُّدُورِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ عِمَادُ أَمْرِهِمْ ، وَبِذَلِكَ ظَهَرَ جَوْهَرُهُمْ ، وَبَانَ فَضْلُهُمْ .

وَأِنَّمَا قَدَّرُوا عَلَى إِحْيَاءِ هَذِهِ السُّنَّةِ ، وَنَهَضُوا بِوَاجِبِ حَقِّهَا ؛ لَزَهْدِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَتَرْكِهَا عَلَى أَرْبَابِهَا وَطُلَّابِهَا ؛ لِأَنَّ مَثَارَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ مَحَبَّةُ الدُّنْيَا ، وَمَحَبَّةُ الرَّفْعَةِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ النَّاسِ ، وَالصُّوفِيَّةُ زَهَدُوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : (طَرِيقُنَا هَذَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِأَقْوَامٍ كُنِسَتْ بِأَرْوَاحِهِمُ الْمَزَابِلُ)^(٢) ، فَلَمَّا سَقَطَ عَنْ قُلُوبِهِمْ مَحَبَّةُ الدُّنْيَا وَحُبُّ الرَّفْعَةِ . . أَصْبَحُوا وَأَمْسَوْا وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ غِشٌّ لِأَحَدٍ .

فَقَوْلُ الْقَائِلِ : (كُنِسَتْ بِأَرْوَاحِهِمُ الْمَزَابِلُ) إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى غَايَةِ التَّوَاضِعِ ، وَأَلَّا يَرَى نَفْسَهُ تَمَيِّزًا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِحَقَارَتِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَعِنْدَ هَذَا يَنْسَدُّ بَابُ الْغِلِّ وَالْغِشِّ .

وَجَرَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ ، فَقَالَ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَصْحَابِنَا : وَقَعَ لِي أَنَّ

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٨) ، ولفظه : (. . . وَمَنْ أَحْيَا سُتِّي فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ) مِنَ الْإِحْبَابِ ، وَالْمَثْبُتُ إِحْدَى نَسَخِهِ ، كَمَا فِي « تَحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ » (٣٧١ / ٧) ، وَكَمَا هُوَ فِي طَبْعَةِ « جَامِعِ الْأَصُولِ » (٧٣٢١) ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةَ الْعَارِفِ » (٧٦ - ٧٥ / ١) .

(٢) أوردته بنحوه القشيري في « رسالته » (ص ٥٩١) ، وعزاه الشعراني في « الطبقات الكبرى » (٧٦ / ١) إِلَى أَبِي بَكْرٍ الزُّزَّاقِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

معنى : (كُنِسْتُ بِأَرْوَاحِهِمُ الْمَزَابِلُ) : أَنَّ الْإِشَارَةَ بِالْمَزَابِلِ إِلَى النُّفُوسِ ؛
لأنَّهَا مَأْوَى كُلِّ رَجَسٍ وَنَجَسٍ كَالْمَزْبَلَةِ^(١) ، وَكُنَسُهَا بِنُورِ الرُّوحِ الْوَاصِلِ
إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّ الصُّوفِيَّةَ أَرْوَاحُهُمْ فِي مَحَالِّ الْقُرْبِ ، وَنُورُهَا يَسْرِي إِلَى
النُّفُوسِ ، وَبِوَصُولِ نُورِ الرُّوحِ إِلَى النَّفْسِ تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ^(٢) ، وَيَذْهَبُ عَنْهَا
الْمَذْمُومُ مِنَ الْغِلِّ وَالْغِشِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ ؛ فَكَأَنَّهَا تُكْنَسُ بِنُورِ الرُّوحِ .
وهذا المعنى صحيحٌ وإن لم يُردِ القائل بقوله ذلك .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا
عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

قَالَ أَبُو حَفْصٍ : (كَيْفَ يَبْقَى الْغِلُّ فِي قُلُوبٍ اتَّלَفَتْ بِاللَّهِ ، وَاتَّفَقَتْ عَلَى
مُحِبَّتِهِ ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَى مَوَدَّتِهِ ، وَأَنَسَتْ بِذِكْرِهِ ؟ ! إِنَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ قُلُوبٌ
صَافِيَةٌ مِنْ هَوَاجِسِ النُّفُوسِ وَظُلُمَاتِ الطَّبَائِعِ ، بَلْ كُحِلَتْ بِنُورِ التَّوْفِيقِ ،
فَصَارَتْ إِخْوَانًا)^(٣) .

فَالْخَلْقُ حِجَابُهُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِأَحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَوْلًا وَفِعْلًا وَحَالًا . . . صِفَاتُ نَفْسِهِمْ ، فَإِذَا تَبَدَّلَتْ نُعُوتُ النَّفْسِ . . . ارْتَفَعَ

(١) قوله : (رَجَسٌ وَنَجَسٌ) قَالَ الزَّيْدِيُّ فِي « التَّاج » (١٦ / ٥٣٤) : (قَالَ أَبُو عبيد :
زَعَمَ الْفَرَاءُ أَنَّهُمْ إِذَا بَدَّوْا بِالنَّجَسِ وَلَمْ يَذْكُرُوا الرَّجْسَ . . . فَتَحُوا النَّونَ وَالْجِيمَ ، وَإِذَا
بَدَّوْا بِالرَّجْسِ ثُمَّ أَتْبَعُوهُ بِالنَّجَسِ . . . كَسَرُوا النَّونَ ؛ فَهَمَّ إِذَا قَالُوهُ مَعَ الرَّجْسِ أَتْبَعُوهُ
إِيَّاهُ) ، وَالْأَكْثَرُ - كَمَا فِي « التَّاج » أَيْضًا - : مَجِيءُ النَّجَسِ مُقْتَرِنًا وَمَتْبُوعًا بِالرَّجْسِ ،
وَلَيْسَ وَاجِبًا ، كَمَا زَعَمَهُ الْحَرِيرِيُّ فِي « الدَّرَةِ » .

(٢) فِي (ز ، ح) : (تَطَهَّرَ) بَدَلَ (تَطْمِئِنَّ) .

(٣) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (١ / ٣٥٥) ، وَأَبُو حَفْصٍ : هُوَ عَمْرُ بْنُ سَلَمٍ النِّسَابُورِيُّ
الْحَدَّادُ .

الحجاب ، وصَحَّتِ المتابعة^(١) ، ووقعت الموافقة في كل شيء مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ووجبت المحبة من الله عند ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

جعل متابعة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربّه ، وجعل جزاء العبد على حُسن متابعة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم محبة الله تعالى إيّاه ، فأوفّر الناس حظاً من متابعة الرسول صَلَّى الله عليه وسلم . أوفرهم حظاً من محبة الله تعالى .

والصُوفيّة من بين طوائف الإسلام ظَفِرُوا بحُسن المتابعة ؛ لأنَّهُم اتَّبَعُوا أقواله ، فقاموا بما أمرهم ، ووقفوا عما نهاهم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا قُرْآنًا مَعَكُمْ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

ثم اتَّبَعُوهُ في أعماله^(٢) ؛ مِنْ الجِدِّ والاجتهاد في العبادة ، والتهجد والنوافل مِنْ الصوم والصلاة وغير ذلك ، ورُزِقُوا ببركة المتابعة في الأقوال والأفعال التَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ ؛ مِنْ الحياء والحلم ، والصَّفْح والعفو ، والرَّأْفَةِ وَالشَّفَقَةِ ، والمُداراة والنصيحة والتواضع ، ورُزِقُوا قِسْطاً مِنْ أحواله ؛ مِنْ الْخَشْيَةِ وَالسَّكِينَةِ ، والهيبة والتعظيم ، والرِّضا والصبر ، والزهد والتوكل ، فاستوفوا جميع أقسام المتابعة ، وأَحْيَوْا سُنَّتَهُ بِأَقْصَى الْغَايَاتِ .

قيل لعبد الواحد بن زيد : مَنْ الصُّوفيّةُ عندك ؟ قال : القائمون بعقولهم

(١) زاد في (ج) : (ورُفِعَتِ المتابعة) ، ولعلها : (الممانعة) بدل (المتابعة) .

(٢) في (د ، هـ ، ح) : (أعمالهم) .

على هممهم^(١) ، والعاكفون عليها بقلوبهم ، والمُعْتَصِمُونَ بِسَيِّدِهِمْ مِنْ شَرِّ
نفوسهم .. هم الصُّوفِيَّةُ^(٢) .

وهذا وصف تام وصفهم به ، فكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم دائم
الافتقار إلى مولاه ؛ حتى يقول : « لَا تَكْلِنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ »^(٣) ،
ويقول : « أَكْلَأُنِي كَلَاءَةُ الْوَلِيدِ »^(٤) .

ومن أشرف ما ظفر به الصُّوفي من متابعة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم
وسلم : هذا الوصف ؛ وهو دوام الافتقار ودوام اللجأ^(٥) ، ولا يتحقق
بهذا الوصف من صدق الافتقار إلا عبد كُوشِفَ باطنه بصفاء المعرفة ،
وأشرق صدره بنور اليقين ، وخلَصَ قلبه إلى بساط القرب ، وخلا سره
بلذاتِ المُسامرة ، فَبَقِيَتْ نفسه بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ، ومع
ذلك كله يراها مأوى كل شر ، وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت
عالمًا ، وهي وشيكة الرجوع ، سريعة الانقلاب والانفلات .

فالله تعالى بكمال لطفه عَرَفَهَا إلى الصُّوفي ، وكَشَفَهَا له على شيء من

(١) في (ح) : (على فهم السنة) بدل (على هممهم) ، وفي « تهذيب الأسرار » : (على
همومهم) .

(٢) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٥) .

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠) ، وابن حبان (٩٧٠) ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة »
(٦٥١) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٥٠) ، وأبو يعلى في « المسند » (٥٥٢٧) ، والطبراني في
« الدعاء » (١٤٤٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، ولفظه فيها : « اللهم ؛ واقية
كواقية الوليد » ، والوليد : المولود ؛ فعيل بمعنى مفعول .

(٥) أي : الالتجاء ، وجاء كذلك في بعض النسخ ، وفي بعضها : (اللجاء) .

معنى ما كَشَفَهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهو دائمُ الاستغاثَةِ إلى مَوْلَاهُ مِنْ شَرِّهَا ، فَكَأَنَّهَا جُعِلَتْ سَوَاطِئَ لِلْعَبْدِ ، تَسَوُّقُهُ لِمَعْرِفَتِهِ بِشَرِّهَا مَعَ اللَّحَظَاتِ إِلَى جَنَابِ الْإِلْتِجَاءِ وَصَدَقِ الْإِفْتِقَارُ وَالِدَعَاءُ ، فَلَا يَخْلُو الصُّوفِيُّ عَنْ مُطَالَعَتِهَا أَذْنَى سَاعَةٍ ، كَمَا لَا يَخْلُو عَنْ رَبِّهِ أَذْنَى سَاعَةٍ ، وَرَبُّطُ مَعْرِفَتِهَا بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا وَرَدَ : (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ)^(١) . . كَرَبُّطُ مَعْرِفَةِ اللَّيْلِ بِمَعْرِفَةِ النَّهَارِ .

وَمَنْ الَّذِي يَقُومُ بِإِحْيَاءِ هَذِهِ السُّنَّةِ مِنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ الصُّوفِيِّ الْعَالِمِ بِاللَّهِ ، الزَّاهِدِ فِي الدُّنْيَا ، الْمُتَمَسِّكِ مِنَ التَّقْوَى بِأَوْثِقِ الْعُرَا ؟ وَمَنْ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَى فَائِدَةِ هَذِهِ الْحَالِ غَيْرُ الصُّوفِيِّ ؟

فَدَوَامُ افْتِقَارِهِ إِلَى رَبِّهِ تَمَسُّكُ بِجَنَابِ الْحَقِّ وَلِيَاذُ بِهِ ، وَفِي هَذَا اللَّيَازِ اسْتِغْرَاقُ الرُّوحِ ، وَاسْتِتْبَاعُهُ الْقَلْبَ إِلَى مَحَلِّ الدَّعَاءِ ، وَفِي انْجِذَابِ الْقَلْبِ إِلَى مَحَلِّ الدَّعَاءِ بِلِسَانِ الْحَالِ وَالْكُونِ فِيهِ . . قَفَّءُ النَّفْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا مِنَ الْأَقْسَامِ الْعَاجِلَةِ^(٢) ، وَنَزْوُلُهَا إِلَيْهَا فِي مَدْرَجِ الْعِلْمِ ، مُحْفُوفَةً بِحِرَاسَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرِعَايَتِهِ ، وَالنَّفْسُ الْمُدْبِرَةُ بِهَذَا التَّدْبِيرِ مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِ اللَّهِ تَعَالَى . . مَأْمُونَةٌ الْغَائِلَةِ مِنَ الْغِلِّ وَالْغَشِّ ، وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَسَائِرِ الْمَذْمُومَاتِ .

(١) قَالَ الْإِمَامُ السِّيُوطِيُّ فِي « الْقَوْلِ الْأَشْبَهَ فِي حَدِيثٍ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » (٢٣٨-٢٣٩ / ٢) ضَمَّنَ « الْحَاوِي لِلْفَتَاوِي » : (إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ النَّوَوِيُّ فِي « فِتَاوَاهِ » ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ ، وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ : مُضَوَّعٌ ، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي « الْأَحَادِيثِ الْمَشْتَهَرَةِ » : ذَكَرَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ : أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مَعَاذِ الرَّازِيِّ) ، وَانْظُرْ « كَشَفُ الْخَفَاءِ » (٢٦٢ / ٢) .

(٢) قَفَّءُ النَّفْسِ : قَطْعُهَا وَقَلْعُهَا ، وَفِي (ج ، د ، ز) : (قَفَوُ النَّفْسِ) ، وَفِي (و) : (قَفُولُ النَّفْسِ) .

فهذا حال الصوفي .

ويجمعُ جُمَلَ حالِ الصُوفِيَّةِ شيانٍ : هما وصفُ الصُوفِيَّةِ ، وإليهما الإشارةُ بقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

فقومٌ مِنَ الصُوفِيَّةِ خُصُّوا بالاجتباءِ الصَّرفِ ، وقومٌ منهم خُصُّوا بالهدايةِ بشرطِ مُقدِّمةِ الإنابةِ ، فالاجتباءُ المحضُ غيرُ مُعلَّلٍ بكسبِ العبدِ ، وهذا حالُ المحبوبِ المرادِ ؛ يُيادئُهُ الحقُّ بِمنحِهِ ومواهِهِ مِنْ غيرِ سابقةِ كَسْبٍ منه ، يسبقُ كُشوفُهُ اجتهادهُ .

وفي هذا أُخِذَ بطائفةٌ مِنَ الصُوفِيَّةِ رُفِعَتِ الحُجُبُ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، وبَادَأَهُمْ سُطُوعُ نورِ اليقينِ^(١) ، فَأَثَارَ نازِلُ الحالِ فِيهِمْ شهوةُ الاجتهادِ والأعمالِ ، فَأَقْبَلُوا عَلَى الأعمالِ باللَّذَاذةِ ، والعيشُ فِيهَا قُرَّةُ أعْيُنِهِمْ ، فَسَهَّلَ الكَشْفُ عَلَيْهِمُ الاجتهادَ ، كما سَهَّلَ عَلَى سَحَرَةِ فرعونَ لَذَاذَةُ النازلِ بِهِمْ مِنْ صَفْوِ العِرْفَانِ تحمُّلَ وعيدِ فرعونَ ؛ فقالوا : ﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ [طه : ٧٢] .

قالَ جعفرُ الصادقُ رضيَ اللهُ عَنْهُ : (وجدُّوا رِياحَ العنايةِ القديمةِ بِهِمْ ، فالتجَّؤوا إِلَى الشُّجُودِ شُكْرًا وقالوا : ﴿ أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢١])^(٢) .

(١) في (ز) : (وناداهم) بدل (وبادأهم) ، وفي (ي) : (وبادهم) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢٣٥ / ١) ، وفي (د ، هـ ، ح) : (أرياح) بدل (رياح) ، وفي (ب) : (ريح) ، و (أرياح) جمعُ شاذٌّ ، والقياس فيه : (أرواح) ، وانظر « تاج العروس » (٤١٣ / ٦) .

(١١) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَنْصُورًا يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الزُّقَاقَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخَرَّازَ يَقُولُ : (أَهْلُ الْخَالِصَةِ الَّذِينَ هُمْ الْمُرَادُونَ ، تَوَلَّاهُمْ اللَّهُ ^(١)) ، وَأَكْمَلَ لَهُمُ النِّعْمَةَ ، وَهَيَّأَ لَهُمُ الْكِرَامَةَ ، فَأَسْقَطَ عَنْهُمْ حَرَكَاتِ الطَّلَبِ ، فَصَارَتْ حَرَكَاتُهُمْ فِي الْعَمَلِ وَالْخِدْمَةِ عَلَى الْأَلْفَةِ وَالذِّكْرِ ، وَالتَّنَعُّمِ بِمُنَاجَاتِهِ ، وَالْإِنْفِرَادِ بِقُرْبِهِ) .

(١٢) - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ إِلَى أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ سَعِيدٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ الْحُسَيْنِ الْحِمَاصِيَّ يَقُولُ ^(٢) : سَمِعْتُ فَاطِمَةَ الْمَعْرُوفَةَ بِجُؤَيْرِيَّةَ تَلْمِيزَةً أَبِي سَعِيدٍ تَقُولُ : سَمِعْتُ الْخَرَّازَ يَقُولُ : (الْمُرَادُ مَحْمُولٌ فِي حَالِهِ ، مُعَانٌ عَلَى حَرَكَاتِهِ وَسَعِيهِ فِي الْخِدْمَةِ ، مَكْنَفِيٌّ مَصُونٌ عَنِ الشَّوَاهِدِ وَالنَّوَاطِرِ) .

وهذا الذي قاله الشيخ أبو سعيد هو الذي اشتبه حقيقته على طائفة من الصوفية ، ولم يقولوا بالإكثار من النوافل ، وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم ، فظنوا أن ذلك حال مستمر على الإطلاق ، ولم يعلموا أن الذين تركوا النوافل واختصروا على الفرائض ^(٣) . . كانت بداياتهم بدايات المريدين ، فلمَّا وصلوا إلى رُوحِ الحالِ ، وأدركتهم الكشوف بعد

(١) في (ج ، ي) : (الخاصة) بدل (الخالصة) .

(٢) في (د) : (الحسنی) بدل (الحمصي) .

(٣) في (ح ، ي) : (واقتصروا) بدل (واختصروا) .

الاجتهاد.. . امتلؤوا بالحال ، وطرحوا نوافل الأعمال .

فأما المُرادونَ تبقى عليهمُ الأعمالُ والنوافلُ ، وفيها قُرّةُ أعينهم ، وهذا أنتم وأكمل من الأول .

فهذا الذي أَوْضَحْنَاهُ أحدُ طريقي الصُّوفيّةِ ، فأما الطريقُ الآخرُ طريقُ المرِيدينَ - وهمُ الذينَ شَرِطَ لَهُمُ الْإِنَابَةُ ؛ فقالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] .. . فَطُوبُوا أَوَّلًا بِالْاجْتِهَادِ قَبْلَ الْكُشُوفِ ؛ قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

يُدَرِّجُهُمُ اللهُ تعالى في مدارجِ الكَسْبِ بأنواعِ الرِّياضاتِ والمُجاهداتِ ، وَسَهَرِ الدِّيَاجِرِ وَظَمِّ الهَوَاجِرِ ، تَتَأَجَّجُ فِيهِمْ نِيرَانُ الطَّلَبِ^(١) ، وَتَنَحِجُّ دُونَهُمْ لَوَامِعُ الْأَرْبِ^(٢) ، يَتَقَلَّبُونَ فِي رَمْضَاءِ الْإِرَادَةِ ، وَيَنْخَلَعُونَ عَنْ كُلِّ مَأْلُوفٍ وَعَادَةٍ ، وَهِيَ الْإِنَابَةُ الَّتِي شَرَطَهَا الْحَقُّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمْ ، وَجَعَلَ الْهَدَايَةَ مَعْدُوقَةً بِهَا^(٣) .

وهذه الهدايةُ آنفًا هدايةٌ خاصّةٌ ؛ لأنّها هدايةٌ إليه ، غيرُ الهدايةِ العامّةِ التي هي التّهْدِي إلى أمرِهِ ونهيِهِ بِمُقْتَضَى الْمَعْرِفَةِ الْأَوَّلَةِ^(٤) ، وهذا حالُ

(١) تَتَأَجَّجُ : تتوقّد ، ونيران الطلب : حرارة الشوق .

(٢) الْأَرْب : الحاجة الدنيوية .

(٣) مَعْدُوقَةٌ ؛ أي : مربوطة ، كما في « الذوارف » (١ / ق ٨٦) ، وفي « شرح المشكلات » (ق / ٢٠) وهامش (و) : (أي : منوطة) .

(٤) في (ح) : (الأولى) ، وفي (ي) : (الأولى) ، وفي نسخة على هامش (و) : (الأزلية) ، ودخول التاء على المثبت جائز ، كما نصّ عليه الخفاجي في « شرح درة الغواص » (ص ٤٦٦) ، وذكر أنّ تخطئتها خطأ .

السالكِ المُحِبِّ المريدِ ، فكانتِ الإنابةُ عينَ الهدايةِ العامةِ ، فأثمرتْ هدايةً خاصةً ، واهتدوا إليه بعد أن اهتدوا له بالمُكابِداتِ ، فخلَّصُوا مِنْ مَضِيقِ العُسْرِ إلى فضاءِ اليُسْرِ ، وبرَزُوا مِنْ وَهَجِ الاجتهادِ إلى رَوْحِ الأحوالِ ، فسَبَقَ اجتهادُهُمْ كُشُوفُهُمْ ، والمُرَادُونَ سَبَقَ كُشُوفُهُمْ اجتهادُهُمْ .

(١٣) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الثَّقَةُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ مُوسَى ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْجُرَيْرِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : (مَا أَخَذْنَا التَّصَوُّفَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالِ ، وَلَكِنْ عَنِ الْجُوعِ ، وَتَرَكِ الدُّنْيَا ، وَقَطَعَ الْمَأْلُوفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ)^(١) .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ الشَّيرَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْإِرَادَةُ : سُمُو الْقَلْبِ لَطَلِبِ الْمُرَادِ ، وَحَقِيقَةُ الْإِرَادَةِ : اسْتِدَامَةُ الْجِدِّ وَتَرْكُ الرَّاحَةِ)^(٢) .
وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ : (الْمُرِيدُ : الَّذِي مَاتَ قَلْبُهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ ؛ فَيُرِيدُ اللَّهَ وَحْدَهُ ، وَيُرِيدُ قُرْبَهُ وَيَشْتَأِقُ إِلَيْهِ ، حَتَّى تَذْهَبَ شَهَوَاتُ الدُّنْيَا عَنْ قَلْبِهِ ؛ لِشِدَّةِ شَوْقِهِ إِلَى رَبِّهِ) .

(١) حلية الأولياء (٢٧٧/١٠) ، ورواه السلمي في « طبقاته » (ص ١٥٨) ، ومن طريقه القشيري في « رسالته » (ص ١٥٤) ، وفيها وفي (ح) : (عن القيل والقيل) ، وفي « شرح المشكلات » (ق/٢٩) : (هَذَا الْقَوْلُ يَدُلُّ مِنْهُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُحِبِّينَ الْمُرِيدِينَ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ هَذَا لِإِرْشَادِ الطَّالِبِينَ ؛ حَتَّى لَا يَغْتَرُّوا بِرَوْحِ الْحَالِ وَيَتْرَكُوا الرِّيَاضِيَّاتِ وَالْمُجَاهِدَاتِ) .

(٢) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِهِ » (ص ٤٦٥) ، وَأَوْرَدَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي « رِسَالَتِهِ » (ص ٢١٩) دُونَ قَوْلِهِ : (الْإِرَادَةُ ... الْمُرَادُ) .

وقال أيضاً : (عقوبة قلوب المريدين : أن يُحجَبُوا عن حقيقة
المعاملات والمقامات إلى أضدادها) .

فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية^(١) ، ودونهما طريقان آخران
ليس من طرق التحقيق بالتصوف :

أحدهما : مجذوبٌ أبتُرَ على جذبته ما رُدَّ إلى الاجتهاد بعد الكشف^(٢) .

والثاني : مجتهدٌ مُتَعَبِّدٌ ما خَلَصَ إلى الكشف بعد الاجتهاد .

والصوفية في طريقتيهما بابٌ مزيدهم وصحة طريقتهم بحسن المتابعة^(٣) ،
ومن ظن أن يبلغ غرضاً أو يظفر بمُرادٍ لا من طريق المتابعة . . فهو مخذولٌ
مغرورٌ .

(١٤) - أخبرنا شيخنا أبو النجيب الشهرزدي ، قال : أخبرنا عصام
الدين عمر بن أحمد الصفار ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن
خلف ، قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن ، قال : سمعتُ نصر بن أبي نصر
يقول : سمعتُ قُسيمًا غلام الزقاق يقول : سمعتُ أبا سعيد السكري يقول :
سمعتُ أبا سعيد الخزاز رحمه الله يقول : (كل باطنٍ يُخالِفُه ظاهرٌ . . فهو
باطلٌ)^(٤) .

(١) قوله : (فهذان الطريقان) ؛ أي : طريق المحبوب المراد ، والمحِب المريد . « شرح
المشكلات » (ق / ١٩) .

(٢) قوله : (مجذوبٌ أبتُرَ على جذبته) ؛ أي : مقطوعٌ باقٍ على جذبته . « شرح
المشكلات » (ق / ١٩) .

(٣) في بعض النسخ : (وللصوفية في طريقتهم) بدل (والصوفية في طريقتيهما) .

(٤) طبقات الصوفية (ص ٢٣١) ، وفيه : (قاسماً) بدل (قسيماً) ، وأورده القشيري في
« رسالته » (ص ١٧٦) .

وكانَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : (عَلِمْنَا هَذَا مُشَبَّكَ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا . . نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا . . نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ) (٢) .

حُكِيَ أَنَّ أَبَا يَزِيدَ الْبِسْطَامِيَّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : قُمْ بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ شَهَرَ نَفْسَهُ بِالْوَلَايَةِ ، وَكَانَ الرَّجُلُ فِي نَاحِيَتِهِ مَقْصُودًا مَشْهُورًا بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ ، قَالَ : فَمَضَيْنَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ يَقْصِدُ الْمَسْجِدَ . . رَمَى بُزَاقَهُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ ، فَقَالَ أَبُو يَزِيدَ : انْصَرَفُوا ، فَانْصَرَفَ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عَلَى آدَبٍ مِنْ آدَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَأْمُونًا عَلَى مَا يَدَّعِيهِ مِنْ مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّادِقِينَ ؟! (٣) .

وَسُئِلَ خَادِمُ الشُّبْلِيِّ : مَاذَا رَأَيْتَ مِنْهُ عِنْدَ مَوْتِهِ ؟ فَقَالَ : لَمَّا أُمِسِكَ لِسَانُهُ ، وَعَرِقَ جَبِينُهُ . . أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ وَضُّعْنِي لِلصَّلَاةِ ، فَوَضَّأَتْهُ ، فَنَسِيتُ

(١) أوردته القشيري في « رسالته » (ص ١٥٥) ، وفيها وفي نسخة على هامش (و) : (مُشَيَّد) بدل (مشبك) ، ورواه أيضاً بلفظ : (مذهبنا هذا مُقَيَّد بالأصول ؛ الكتاب والسنة) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٢٤٤) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٣١٩ ، ٣٧٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ١٥٨) من كلام أبي عثمان الحيري النيسابوري رحمه الله تعالى ، وزادوا بعده : (لَأَنَّ الله تعالى يقول : ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور : ٥٤]) .

(٣) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ١٤٤-١٤٥) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص ١٢٨) .

تخليل لحيته ، فقبض على يدي ، وأدخل أصابعي في لحيته يخللها^(١) .

وقال سهل بن عبد الله التستري : (كلُّ وجدٍ لا يشهدُ له الكتابُ والسُّنةُ .. فباطلٌ)^(٢) .

هذا حال الصوفيّة وطريقهم ، وكلُّ من يدّعي حالاً على غير هذا الوجه .. فمدّع مفتونٌ كذابٌ^(٣) .



(١) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ١٤٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤٨٣ / ٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٣٢) ، والسائل : هو جعفر بن نصير الخُلدي ، وعندما أُجيب بكى وقال : (أيش ينهيّا أن يُقالَ في رجلٍ لم يذهب عليه تخليلٌ لحيته في الوضوء عند نزاع روحه ، وإمساكٍ لسانه ، وعرقٍ جبينه !؟) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ١٤٦) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين » (٥٢١ / ٤) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في السادس على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الخامس

في ذكر ماهية التصوف

(١٥) - أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل في « كتابه » ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة ، قال : أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء ، قال : أخبرنا عبد الله ابن أحمد البغدادي^(١) ، قال : حدثنا عثمان بن معبد ، قال : حدثنا عمر بن راشد ، عن مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحٌ ، وَمِفْتَاحُ الْجَنَّةِ حُبُّ الْمَسَاكِينِ ، وَالْفُقَرَاءِ الصَّبْرُ هُمْ جُلَسَاءُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢) .

الفقر كائن في ماهية التصوف ، وهو أساسه ، وبه قوامه .

(١) هو الإمام الحافظ الثقة أبو العباس عبد الله بن جعفر بن أحمد بن خُشَيْش الصَّيرفي البغدادي (ت ٣١٨ هـ) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٩ / ٤٣٤) .

(٢) قال الإمام العراقي في « المغني » (٣٩٤٨) : (رواه الدارقطني في « غرائب مالك » ، وأبو بكر بن لال في « مكارم الأخلاق » ، وابن عدي في « الكامل » ، وابن حبان في « الضعفاء » من حديث ابن عمر) ، ورواه الخرکوشي في « تهذيبه » (ص ١٥٤) ، والقشيري في « رسالته » (ص ٥٧١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٨٧ / ١ - ٨٨) .

قَالَ رُوَيْمٌ : (التَّصَوُّفُ مَبْنِيٌّ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : التَّمَسُّكُ بِالْفَقْرِ
وَالِافْتِقَارِ ، وَالتَّحَقُّقُ بِالْبَذْلِ وَالْإِثَارِ ، وَتَرْكُ التَّعَرُّضِ وَالِاخْتِيَارِ) (١) .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ التَّصَوُّفِ ؛ فَقَالَ : أَنْ تَكُونَ مَعَ اللَّهِ
بِلَا عِلَاقَةٍ (٢) .

وَقَالَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (التَّصَوُّفُ : الْأَخْذُ بِالْحَقَائِقِ ،
وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي الْخَلَائِقِ) (٣) .

فَمَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ بِالْفَقْرِ لَمْ يَتَحَقَّقْ بِالتَّصَوُّفِ .

وُسُئِلَ الشُّبْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ حَقِيقَةِ الْفَقْرِ ، فَقَالَ : أَلَّا يَسْتَغْنِي بِشَيْءٍ دُونَ
الْحَقِّ (٤) .

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الثُّورِيُّ : (نَعْتُ الْفَقِيرِ : السَّكُونُ عِنْدَ الْعَدَمِ ، وَالْبَذْلُ
وَالِإِثَارُ عِنْدَ الْوُجُودِ) (٥) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (إِنَّ الْفَقِيرَ الصَّادِقَ لِيَحْتَرِزُ مِنَ الْغِنَى ؛ حَذَرًا أَنْ يَدْخَلَ
عَلَيْهِ الْغِنَى فَيُفْسِدَ فَقْرَهُ ، كَمَا أَنَّ الْغَنِيَّ يَحْتَرِزُ مِنَ الْفَقْرِ ؛ حَذَرًا أَنْ يَدْخَلَ

(١) رَوَاهُ الْقَشِيرِيُّ فِي « رِسَالَتِهِ » (ص ٥٨٦-٥٨٧) .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّامِعِ » (ص ٤٥) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ »
(ص ٥٨٦) .

(٣) أَوْرَدَهُ الْخُرَكُوشِيُّ فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ » (ص ٢٥) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ »
(ص ٥٨٧) ، وَزَادَ الْخُرَكُوشِيُّ بَعْدَ (بِالْحَقَائِقِ) : (وَالْكَلَامُ فِي الدَّقَائِقِ) .

(٤) أَوْرَدَهُ الْخُرَكُوشِيُّ فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ » (ص ١٥٧) دُونَ نِسْبَةٍ ، وَرَوَاهُ الْقَشِيرِيُّ فِي
« رِسَالَتِهِ » (ص ٥٧٨) .

(٥) رَوَاهُ الْبِيهَقِيُّ فِي « الشَّعْبِ » (١٢٥٥) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٥٧٨ ،
٥٨٢) .

عليه الفقرُ فيفسدَ عليه غناه^(١) .

(١٦) - وبالإسناد الذي سَبَقَ إلى أبي عبد الرحمن ، قال : سمعتُ أبا عبد الله الرازي يقولُ : سمعتُ مُظَفَّراً القَرْمِيسِيَّ يقولُ : (الفقيرُ : الذي لا يكونُ له إلى الله حاجةٌ)^(٢) .

قال : وسمعتُهُ يقولُ : سألتُ أبا بكرٍ المصريَّ عن الفقيرِ ، فقال : الذي لا يملكُ ولا يملكُ^(٣) .

قوله : (لا يكونُ له إلى الله حاجةٌ) معناه : أنَّه مشغولٌ بوظائفِ عِبُودِيَّتِهِ ، تامُّ الثقةِ برَبِّهِ ، عالمٌ بحُسْنِ كَلالَتِهِ بِهِ ، لا يُحَوِّجُهُ إلى رفعِ الحاجةِ ؛ لعلِّمه بعلمِ الله بحالِهِ ، فيرى السؤالَ في البينِ زيادةً^(٤) .

وأقوالُ المشايخِ تتنوعُ معانيها ؛ لأنَّهم أشاروا فيها إلى أحوالٍ في أوقاتٍ دونَ أوقاتٍ ، ونحتاجُ في تفصيلِ بعضها منَ البعضِ إلى الضوابطِ^(٥) ؛ فقد تُذكرُ أشياءٌ في معنى التصوُّفِ ذُكِرَ مثلُها في معنى الفقرِ ، وتُذكرُ أشياءٌ في

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٧٤) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤١٤ / ١٤) عن ابن الكرنبي رحمه الله تعالى ، وفي (ح ، ي) : (من الغني . . . من الفقير) بدل (من الغني . . . من الفقر) ، وعليهما يجوز أن يُقرأ (يدخل) بضم أوله رباعياً ، أو بفتحه ثلاثياً ، مفعولاً أو فاعلاً .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٧٩) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢) دون نسبة ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨١) .

(٤) وقال الإمام القشيري مُعَقِّباً أيضاً على كلام القرميسيني : (وهذا اللفظ فيه أدنى غموضٍ لمن سمعه على وصف الغفلة عن مرمى القوم ، وإنما أشار قائلُهُ إلى سقوط المطالبات ، وانتفاء الاختيار ، والرضا بما يُجري الحقُّ سبحانه) .

(٥) في (ب ، د ، هـ) : (في تفضيل) بدل (في تفصيل) .

معنى الفقرِ ذِكْرَ مثلها في معنى التصوُّفِ ، وتذكرُ أشياء في معنى الزهدِ ذِكْرَ مثلها في معنى الفقرِ ، وحيث وقعَ الاشتباهُ فلا بدَّ من بيانٍ فاصِلٍ ؛ فقد تشبَّهَ الإشاراتُ في الفقرِ بمعاني الزهدِ تارةً ، وبمعاني التصوُّفِ تارةً ، ولا يتبيَّنُ للمسترشِدُ بعضها من البعضِ ؛ فنقولُ :

التصوُّفُ غيرُ الفقرِ ، والزهدُ غيرُ الفقرِ ، والتصوُّفُ غيرُ الزهدِ ؛
فالتصوُّفُ : اسمٌ جامعٌ لمعاني الفقرِ ومعاني الزهدِ ، معَ مزيدِ أوصافٍ وإضافاتٍ لا يكونُ بدونها الرجلُ صُوفيّاً وإن كانَ زاهداً وفقيراً .

قال أبو حفصٍ : (التصوُّفُ كلُّهُ آدابٌ ؛ لكلِّ وقتٍ أدبٌ ، ولكلِّ حالٍ أدبٌ ، ولكلِّ مقامٍ أدبٌ ؛ فمن لَزِمَ آدابَ الأوقاتِ بَلَغَ مبلغَ الرجالِ ، ومن ضَيَّعَ الآدابَ فهو بعيدٌ من حيث يظنُّ القُربَ ، ومردودٌ من حيث يرجو القبولَ)^(١) .

وقال أيضاً : (حُسْنُ أدبِ الظاهرِ عنوانُ حُسْنِ أدبِ الباطنِ ؛ لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُهُ لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ »)^(٢) .

(١٧) - أخبرنا الشيخُ رَضِيُّ الدِّينِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ إجازةً ، قالَ : أخبرنا الشيخُ أبو المُظَفَّرِ عبدُ المنعمِ ، قالَ : أخبرني والدي أبو القاسمِ القُشَيْرِيُّ ، قالَ : سمعتُ محمَّدَ بنَ أحمدَ بنِ يحيى الصُّوفيَّ يقولُ : سمعتُ

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ١١٩) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ١٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٣٠ / ١٠) ، والحديث رواه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٣٠٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٦٨٥٤) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٣٣٠٨ ، ٣٣٠٩) من قول سعيد بن المسيَّب رحمه الله تعالى .

عبد الله بن عليّ يقول : سُئِلَ أبو محمّد الجُرَيْرِيُّ عَنِ التَّصَوُّفِ ، فَقَالَ :
الدَّخُولُ فِي كُلِّ خُلُقٍ سَنِيٌّ ، وَالخُرُوجُ عَنْ كُلِّ خُلُقٍ دَنِيٌّ^(١) .

فَإِذَا عُرِفَ هَذَا الْمَعْنَى فِي التَّصَوُّفِ ؛ مِنْ حَصُولِ الْأَخْلَاقِ وَتَبْدِيلِهَا ،
واعتُبرتْ حَقِيقَتُهُ^(٢) . . يُعْلَمُ أَنَّ التَّصَوُّفَ فَوْقَ الزَّهْدِ وَفَوْقَ الْفَقْرِ ، وَقِيلَ :
نَهَايَةُ الْفَقْرِ مَعَ شَرَفِهِ هُوَ بَدَايَةُ التَّصَوُّفِ .

وَأَهْلُ الشَّامِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالْفَقْرِ ؛ يَقُولُونَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾
[البقرة : ٢٧٣] ، هَذَا وَصْفُ الصُّوفِيَّةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَمَّاهُمْ فَقَرَاءً^(٣) .

وَسَأَوْضَحُ مَعْنَى يَفْتَرِقُ الْحَالُ بِهِ بَيْنَ التَّصَوُّفِ وَالْفَقْرِ ؛ فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ
التَّوْفِيقُ :

الْفَقِيرُ فِي فَقْرِهِ مُتَمَسِّكٌ بِهِ ، مُتَحَقِّقٌ بِفَضْلِهِ ، يُؤَثِّرُهُ عَلَى الْغِنَى ، مُتَطَلِّعٌ
إِلَى مَا تَحَقَّقَ مِنَ الْعَوَاضِ عِنْدَ اللَّهِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « يَدْخُلُ فَقَرَاءُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ ؛ وَهُوَ خَمْسُ مِائَةٍ
عَامٍ »^(٤) .

(١) الرسالة القشيرية (ص ٥٨٥) ، وأورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٥) ،
ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٢ / ١) ، وبنحوه البيهقي في « الشعب » (٦٤٥٧) عن
الجنيد رحمه الله تعالى ، وعزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص ٣١) إلى سمنون
الخواص رحمه الله تعالى .

(٢) في (ز ، ي) : (حَقِيقَتُهَا) ، ويعود الضمير على (الأخلاق) .

(٣) انظر « اللمع » (ص ٤٦) .

(٤) رواه الترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، وأحمد (٤٥١ / ٢) عن سيدنا
أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هذا الحديث دليلٌ على أَنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ خَيْرٌ مِنَ الْغَنِيِّ =

فكلّما لاحظَ العَوَضَ الباقي . . أمسكَ عنِ الحاصلِ الفاني ، وعانقَ الفقرَ والقِلَّةَ ، وخَشِيَ زوالَ الفقرِ لفواتِ الفضيلةِ والعَوَضِ ، وهذا عينُ الاعتلالِ في طريقِ الصُّوفيِّ ؛ لأنَّهُ تطلَّعَ إلى الأعواضِ وتركَ لأجلِها^(١) .
والصُّوفيُّ يتركُ الأشياءَ لا للأعواضِ الموعودةِ ، بل للأحوالِ الموجودةِ ؛ فإنَّهُ ابنُ وقتهِ .

وأيضاً : تركُ الفقيرِ الحظَّ العاجلَ واغتنامهُ الفقرَ . . اختيارٌ منه وإرادةٌ ، والاختيارُ والإرادةُ علَّةٌ في حالِ الصُّوفيِّ ؛ لأنَّ الصُّوفيَّ صارَ قائماً في الأشياءِ بإرادةِ الله تعالى لا بإرادةِ نفسه ، فلا يرى فضيلةً في صورةِ فقرٍ ولا في صورةِ غنى ، وإنَّما يرى الفضيلةَ فيما يُوقِفُهُ الحقُّ فيه^(٢) ، ويدخلُهُ عليه ، ويعلمُ الإذنَ مِنَ الله تعالى في الدخولِ في الشيءِ .

وقد يدخلُ في صورةِ سَعَةٍ مُباينةٍ للفقرِ بإذنٍ مِنَ الله ، ويرى الفضيلةَ حينئذٍ في السَّعةِ ؛ لمكانِ إذنٍ مِنَ الله فيه ، ولا يُفسَحُ في السَّعةِ والدخولِ فيها للصادقينَ إلا بعدَ إحكامِهِم عِلْمَ الإذنِ ، وفي هذا مَزَلَّةٌ للأقدامِ ، وبابُ دعوى للمُدَّعينَ ، وما مِنْ حالٍ يتحقَّقُ به صاحبُ الحالِ إلا وقد يحكيه راكبُ المُحالِ ؛ ليهلكَ مَنْ هلكَ عن بيئتهِ ، ويحيا مَنْ حيَّ عن بيئتهِ .

فإذا اتَّضحَ ذلك : ظَهَرَ الفرقُ بينَ الفقرِ والتصوُّفِ ، وعُلِمَ أَنَّ الفقرَ

= الشاكر ، كما ذهب إليه الصوفية وأكثر العلماء ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٣١٢٨ / ٨) ، (٣٦٨٨ / ٩) ، و« غنية العارف » (٩٢-٩١ / ١) .

(١) وترك : أي : زهد . من هاشم (و) ، والضبط في (هـ ، ي) : (لأنه تطلَّعَ إلى الأعواضِ وتركَ لأجلِها) .

(٢) في (أ) : (يوافقُه) بدل (يوقفُه) ، وفي (ب ، و ، ز) : (يُوقِفُه) .

أساسُ التصوُّفِ وبِهِ قِوَامُهُ^(١) ؛ على معنى : أنَّ الوصولَ إلى رُتَبِ التصوُّفِ طريقُهُ الفقرُ ، لا على معنى : أنَّه يلزَمُ مِنْ وجودِ التصوُّفِ وجودُ الفقرِ .
 قالَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ : (التصوُّفُ : هوَ أنَّ يُمِيتَكَ الحقُّ عنكَ ،
 وَيُحْيِيكَ بِهِ)^(٢) ، وهذا المعنى هوَ الذي ذَكَرْنَاهُ ؛ مِنْ كونه قائماً في الأشياءِ
 باللهِ لا بنفسِهِ .

فالفَقِيرُ والزَاهِدُ مُكوَّنَانِ في الأشياءِ بِنَفْسِهِمَا^(٣) ، واقفانِ معَ إرادَتِهِمَا ،
 مجتهدانِ مبلغَ عِلْمِهِمَا ، والصُّوْفِيُّ مُتَّهِمٌ لِنَفْسِهِ ، مُسْتَقِلٌّ لِعِلْمِهِ^(٤) ، غيرُ
 رَاكِنٍ إلى معلومِهِ ، قائمٌ بِمُرَادِ رَبِّهِ لا بِمُرَادِ نَفْسِهِ .

قالَ ذو النُّونِ المِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : (الصُّوْفِيُّ : مَنْ لا يُعِيبُهُ طَلَبٌ ،
 ولا يُزَعِّجُهُ سَلَبٌ)^(٥) .

-
- (١) في (ب ، ي) : (واعلم) بدل (وعلم) .
 (٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٨٥) ، ومن طريقه ابن العديم في « بغية الطلب »
 (٤٦١٧ / ١٠) .
 (٣) جاء في بعض النسخ : (بنفوسهم) مجموعاً ، وكذلك في قوله الآتي : (إرادتهما)
 و (علمهما) ، والمختار صناعةٌ : (بنفوسهما) بالجمع ؛ كقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحریم : ٤] . انظر « شرح التسهيل » (١٠٦ / ١) ، و « شرح الأشموني »
 (٤٠٣ / ٢ - ٤٠٤) .
 (٤) أي : يعدُّه قليلاً .
 (٥) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٥ - ٤٦) ، وعزاه الكلاباذي في « التعرف »
 (ص ١٠٥) إلى أبي يعقوب السوسي ، وهو في « الرسالة القشيرية » (ص ٥٨٩) دون
 نسبة ، وفيها : (سبب) بدل (سلب) ، والمعنى : أنَّ مَحَبَّةَ الصوفي لربه تَحْمِلُهُ على
 الطلب والعمل له ، لا يزعجه سبب من الأسباب ؛ لعلمه بحسن اختيار الله له ذلك ،
 فعلمُهُ بذلك يريحه من الفكرة والانزعاج عند تغيُّر الأسباب . انظر « إحكام الدلالة »
 (٩ / ٤) .

وقال أيضاً : (الصُّوفِيَّةُ آثَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَثَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)^(١) .

فَكَانَ مِنْ إِثَارِهِمْ أَنْ آثَرُوا عِلْمَ اللَّهِ عَلَى عِلْمِ نَفْسِهِمْ ، وَإِرَادَةَ اللَّهِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْسِهِمْ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَنْ أَصْحَبُ مِنَ الطَّوَائِفِ ؟ قَالَ : الصُّوفِيَّةُ ؛ فَإِنَّ لِلْقَبِيحِ عِنْدَهُمْ وَجْهًا مِنَ الْمَعَاذِيرِ ، وَلَيْسَ لِلْكَثِيرِ^(٢) مِنَ الْعَمَلِ عِنْدَهُمْ وَقَعٌ يَرْفَعُونَكَ بِهِ فَتُعْجِبَكَ نَفْسُكَ^(٣) .

وَهَذَا عِلْمٌ لَا يَوْجَدُ عِنْدَ الْفَقِيرِ وَالزَّاهِدِ ؛ لِأَنَّ الزَّاهِدَ يَسْتَعِظُمُ التَّرْكَ ، وَيَسْتَقْبَحُ الْأَخْذَ ، وَهَكَذَا الْفَقِيرُ ؛ وَذَلِكَ لَضَيْقِ وَعَائِهِمْ ، وَوَقُوفِهِمْ عَلَى حَدِّ عِلْمِهِمْ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الصُّوفِيُّ : مَنْ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ حَالَانِ حَسَنَانِ أَوْ خُلُقَانِ حَسَنَانِ .. يَكُونُ مَعَ الْأَحْسَنِ)^(٤) .

(١) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٩) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، د ، هـ) : (للكبير) .

(٣) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٦) ، وعزاه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٦) ، والقشيري في « رسالته » (ص ٥٨٧) إلى حمدون القصَّار رحمه الله تعالى ، وأوردته بنحوه الكلاباذي في « التعرف » (ص ٢٠) ، وعزاه إلى سهل التستري رحمه الله تعالى .

(٤) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٠) ، وعزاه الخرکوشي في « التهذيب » (ص ٣٣) إلى أبي الحسين الورَّاق رحمه الله تعالى .

والفقيرو والزاهد لا يُميّزان كلّ التمييز بين الخلقين الحسنين ، بل يختاران من الأخلاق أيضاً ما هو الأذعى إلى الترك ، والخروج عن شواغل الدنيا ، حاكمان في ذلك بعلمهما ، والصوفي هو المستبين الأحسن من عند الله ؛ بصدق التجائه ، وحسن إنابته ، وحظّ قُربه ، ولطف وُلوجه وخروجه إلى الله تعالى الكريم ؛ لعلمه بربه ، وحظه من مُحادثته ومُكالمته .

قال رُويمٌ : (التصوّف : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يُريد)^(١) .

وقال عمرو بن عثمان المكيّ : (التصوّف : أن يكون العبد في كلّ وقت بما هو أولى في الوقت)^(٢) .

وقال بعضهم : (التصوّف أوّله عِلْمٌ ، وأوسطه عملٌ ، وآخره موهبةٌ من الله تعالى)^(٣) .

وقيل : التصوّف : ذكرٌ مع اجتماع ، ووَجْدٌ مع استماع ، وعَمَلٌ مع اتِّباع^(٤) .

(١) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٤٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٦) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٤٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٦) ، وفي (ح) : (مشغولاً بما) بدل (بما) .

(٣) عزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص ٢٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٧) إلى الجنيد رحمه الله تعالى .

(٤) عزاه الخركوشي في « التهذيب » (ص ٢٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٧) إلى الجنيد رحمه الله تعالى .

وقيل : التصوّف : ترك التصرف ، وبذل الرّوح^(١) .

وقال سهل بن عبد الله التّستري : (الصّوفي : مَنْ صفا مِنْ الكَدْرِ ، وامْتَلَأَ مِنَ الْفِكْرِ ، وانقطعَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْبَشَرِ ، واستوىَ عِنْدَهُ الذَّهَبُ والمَدَرُ)^(٢) .

وسئِلَ بعضهم عَنِ التّصوّفِ ، فقال : (تصفيةُ القلبِ عن مُوافقةِ البريّةِ ، ومُفارقةِ الأخلاقِ الطّبيعيّةِ ، وإخمادُ الصّفاتِ البشريّةِ ، ومُجانبةُ الدّواعي النّفسانيّةِ^(٣) ، ومُنازلةُ الصّفاتِ الرّوحانيّةِ ، والتعلّقُ بالعلومِ الحقيقيّةِ ، واتباعُ الرّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشّريعةِ الحَنيفيّةِ)^(٤) .

قال ذو النّون المصري : رأيتُ ببعضِ سواحلِ الشّامِ امرأةً ، فقلتُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ ؟ قالتُ : مِنْ عِنْدِ أَقْوَامٍ تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ، فقلتُ : وَأَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ قالتُ : إِلَى رِجَالٍ لَا تُلْهِهِمْ

(١) عزاه الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٤١٢ / ٢) إلى الجنيد رحمه الله تعالى ، وفي (ح) : (ترك التّكلف) بدل (ترك التصرف) ، وفي (ز ، ي) : (ترك التصوف) ، وعُلّقَ على هامش (ي) : (أي : كمال التصوف : تركه ، [وهذا] إشارة إلى جمع الجمع ، كما قال الشّبلي : التّصوّفُ شركة ؛ لأنّه صيانة القلب عن الغير ولا غير) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٣ / ١) عن أبي بكر الشبلي رحمه الله تعالى ، والمَدَرُ : جمع (مَدَرَة) ؛ وهو التراب المتلبّد .

(٣) في (أ ، ج ، هـ ، ز) : (الدعاوي) بدل (الدواعي) .

(٤) عزاه الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٩ - ٢٠) إلى الجنيد رحمه الله تعالى ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٦) إلى أبي عبد الله بن خفيف رحمه الله تعالى .

تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فقلت : صفيهم لي ، فأنشأت تقول^(١) : [من البسيط]

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللَّهِ قَدْ عَلِقَتْ فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدٍ^(٢)

فَمَطْلَبُ الْقَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ^(٣)

مَا إِنْ تَنَازَعُهُمْ دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ مِنْ الْمَطَاعِمِ وَاللَّذَاتِ وَالْوَلَدِ

وَلَا لِلْبُسِ ثِيَابٍ فَائِقِ أَنْقِ وَلَا لِرُوحِ سُرُورٍ حَلٍّ فِي بَلَدِ

إِلَّا مُسَارَعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ قَدْ قَارَبَ الْخَطُوفُ فِيهَا بَاعِدُ الْأَبَدِ

فَهُمْ رَهَائِنُ غُذْرَانٍ وَأَوْدِيَةٍ وَفِي الشَّوَامِخِ تُلْقَاهُمْ مَعَ الْعَدَدِ^(٤)

وقال الجنيد أيضاً رحمه الله : (الصوفي كالأرض ؛ يُطرحُ عليها كلُّ

قبيح ، ولا يخرجُ منها إلا كلُّ مَلِيح)^(٥) .

وقال : (هو كالأرض ؛ يَطْوُهَا البرُّ والفاجرُ ، وكالسحاب ؛ يُظَلُّ كلُّ

شيءٍ ، وكالقطر يسقي كلَّ شيءٍ)^(٦) .

وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول ، ويطول

(١) في (ج ، د) : (فأنشدت) بدل (فأنشأت تقول) .

(٢) في (د) : (نفوسهم) بدل (همومهم) ، وعلى هامشها نسخة كالمثبت .

(٣) في (د) : (الأحد) ، وعلى هامشها نسخة كالمثبت .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٢١) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق / ٢٢) :

(وفي جواب المرأة لذي النون نكتة لطيفة ؛ وهي إنما أجابته بأوصافهم وبآية من

القرآن ؛ حتى لا يكون الاشتغال في الجواب بغير ذكر الله تعالى) .

(٥) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٧) ، والقشيري في « الرسالة »

(ص ٥٨٧) .

(٦) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٦) ، والقشيري في « الرسالة »

(ص ٥٨٧) .

نقلها^(١) ، ونذكر ضابطاً يجمعُ جُمْلَ معانيها ؛ فإنَّ الألفاظَ وإنِ اختلفتْ
مقاربةُ المعاني ؛ فنقولُ :

الصُّوفيُّ : هو الذي يكونُ دائمَ التَّصفيةِ ، لا يزالُ يُصَفِّي الأوقاتَ عن
شَوِّبِ الأكدارِ^(٢) ؛ بتصفيةِ القلبِ عن شَوِّبِ النَّفْسِ ، ويُعِينُهُ على هذهِ
التَّصفيةِ دوامُ افتقارهِ إلى مَوْلَاهُ ؛ فبدوامِ الافتقارِ يتفطَّنُ للكَدْرِ ، وكلَّما
تحرَّكتِ النَّفْسُ وظهرتْ بصفةٍ مِنْ صفاتها . . أدركها ببصيرتهِ النافذةِ ، وفرَّ
منها إلى ربِّهِ .

فبدوامِ تصفيتهِ جمعِيَّتهُ ، وبحركةِ نفسِهِ تفرُّقهُ وكَدْرُهُ ، فهو قائمٌ بربِّهِ
على قلبِهِ ، وقائمٌ بقلبهِ على نفسِهِ ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ
شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] ، وهذهِ القَوَّامِيَّةُ لله على النفسِ هو التحقُّقُ
بحقيقةِ التَّصَوُّفِ .

قالَ بعضُهُمْ : (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ اضْطِرَابٌ ، وإذا وَقَعَ السُّكُونُ فلا
تَّصَوُّفَ)^(٣) .

والسرُّ فيه : أنَّ الرُّوحَ مجذوبةً إلى الحَضْرَةِ الإلهيَّةِ ؛ يعني : أنَّ رُوحَ

(١) وقد ألَّفَ الإمامُ المُتَفَنُّنُ أبو منصور البغدادي التيمي كتاباً في ذلك ؛ قال الإمام
ابن الصلاح في « طبقات الفقهاء الشافعية » (٥٥٤ / ٢) : (ورأيت له كتاباً في معنى
لفظتي « التَّصَوُّف » و« الصوفي » ، جمع فيه من أقوال الصوفيَّة زهاء ألفِ قولٍ مُرتَّبَةً
على حروف المعجم) ، وقد أوصلها بعضهم إلى ألفي قول .

(٢) في نسخة على هامش (و) : (عن شوائب الأكوان) .

(٣) عزاه السلمي في « الطبقات » (ص ٤٧٤) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار »
(٨٣٨ / ٢) ، وابن الجزري في « المختار في مناقب الأخيار » (٥٠٠ / ١) إلى أبي بكر
الطَّسْتَانِي رحمه الله تعالى .

الصُّوفِيّ مُتَطَلِّعَةٌ مُنْجَذِبَةٌ إِلَى مَوَاطِنِ الْقُرْبِ ، وَلِلنَّفْسِ بَوَاضِعُهَا رُسُوبٌ إِلَى
عَالَمِهَا ، وَانْقِلَابٌ عَلَى عَقِبِهَا ، وَلَا بَدَّ لِلصُّوفِيّ مِنْ دَوَامِ الْحَرَكَةِ ؛ بِدَوَامِ
الْاِفْتِقَارِ ، وَدَوَامِ الْفِرَارِ ، وَحُسْنِ التَّفَقُّدِ لِمَوَاقِعِ إِصَابَاتِ النَّفْسِ ^(١) .
وَمَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى يَجِدُ فِي مَعْنَى الصُّوفِيّ جَمِيعَ الْمُتَفَرِّقِ فِي
الْإِشَارَاتِ ^(٢) .



(١) فِي (ج) وَنَسَخَةٌ عَلَى هَامِشِ (أ) : (إِضَافَات) بِدَل (إِصَابَات) .
(٢) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلَّغَ السَّمَاعَ لِلْجَمَاعَةِ فِي السَّابِعِ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ دَاوُدَ الْمُقَدَّسِيِّ) ، وَفِيهِ أَيْضاً : (بَلَّغَ قِرَاءَةً فِي
الرَّابِعِ عَلَى شَيْخِنَا الْحَافِظِ « . . . » ، كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُقَدَّسِيِّ) .

الباب السادس في ذكر تسميتهم بهذا الاسم

(١٨) - أخبرنا الشيخ أبو زُرعة طاهر بن محمد بن طاهر ، قال :
أخبرني والدي ، قال : أخبرنا أبو علي الشافعي بمكة حرسها الله ، قال :
أخبرنا أحمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم ،
قال : أخبرنا أبو عبد الله المخزومي ، قال : حدَّثنا سُفيان ، عن مسلم : أنه
سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : (كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يُجيب دعوة العبد ، ويركب الحمار ، ويلبس الصوف)^(١) .

فمن هذا الوجه ذهب قومٌ : إلى أنهم سُموا صُوفِيَّةً ؛ نسبةً لهم إلى ظاهرِ
اللِّبْسَةِ ؛ لأنَّهم اختاروا لبسَ الصُّوفِ ؛ لكونه أَرْفَقَ ، ولكونه كان لباسَ
الأنبياء عليهم السلام ؛ رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(١) صفوة التصوف (١٨٠) ، ورواه الترمذي (١٠١٧) ، وابن ماجه (٤١٧٨) ، وليس
فيه ذكر الصوف ، ورواه الحاكم (٦١ / ١) ، والطبراني في « المعجم الكبير »
(٦٧ / ١٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤٢٠ / ٢) من حديث سيدنا أبي موسى
الأشعري رضي الله عنه بلفظ : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ،
ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأتي مُراعاة الضيف) ، وانظر « غنية العارف »
(٩٧ / ١) .

« مَرَّ بِالصَّخْرَةِ مِنَ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا حُفَاةً عَلَيْهِمُ الْعَبَاءُ ، يُؤْمُونَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ » (١) .

وقيل : إنَّ عيسى عليه السلام كان يلبسُ الصُّوفَ والشَّعَرَ ، ويأكلُ مِنَ الشَّجَرِ ، وَيَبِيتُ حَيْثُ أَمْسَى (٢) .

وقال الحسنُ البَصْرِيُّ رحمه الله : (لقد أدركتُ سبعينَ بدريةً كان لباسُهُم الصُّوفَ) (٣) .

ووصفَهُم أبو هريرةَ وفضالةُ بنُ عُبَيْدٍ ؛ فقالا : (كانوا يَخْرُونَ مِنَ الجوعِ ؛ حتَّى يَحْسَبُهُمُ الأعرابُ مجانينَ ، وكان لباسُهُم الصُّوفُ ؛ حتَّى إنَّ بعضَهُم كان يَعرَقُ في ثوبِهِ ، فيُوجدُ منه رائحةُ الضَّأْنِ إذا أصابه الغيثُ) (٤) .

(١) رواه أبو يعلى في « المسند » (٤٢٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/١ - ٢٦٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٩٨/١) .

(٢) أورده بلفظه الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤) عن الحسن البصري رحمه الله تعالى ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٥٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٧٣/٣) عن عبيد بن عمير رحمه الله تعالى .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٣٤/٢) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤) .

(٤) أورده بلفظه الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٣) ، ورواه بنحوه مختصراً الترمذي (٢٣٦٨) ، وأحمد (١٨/٦) عن سيدنا فضالة رضي الله عنه ، وليس فيهما ذكر الصوف ، وروى الحاكم (١٨٨/٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤١٩/٢) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال - واللفظ للبيهقي - : (يا بُنَيَّ ؛ لو شهدتنا ونحن مع نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أصابتنا السماء . . لحسبت ريحنا ريح الضَّأْنِ من لباسنا الصوف) ، ورواه الترمذي (٢٤٧٩) أيضاً عن سيدنا أبي موسى رضي الله عنه دون ذكر الصوف ، وقال بعده : (ومعنى هذا الحديث : أنه كان ثيابُهُم الصوف ، فإذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريحُ الضَّأْنِ) ، وانظر « غنية العارف » (٩٨/١ - ٩٩) .

وقال بعضهم : إِنَّهُ لَيُؤْذِنِي رِيحُ هَؤُلَاءِ ، أَمَا تُؤْذِيكَ رِيحُهُمْ ؟ يُخَاطَبُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ^(١) .

وكان اختيارهم للبس الصوف ؛ لتركهم زينة الدنيا ، وقناعتهم بسد
الجوع وستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة ، فلم يتفرغوا لملاذ
النفوس وراحاتها ؛ لشدة تحقيق إيمانهم ، وشغلهم بخدمة مولاهم^(٢) ،
وانصراف همهم إلى أمر الآخرة .

وهذا الاختيار يُلائم ويُناسب من حيث الاشتقاق ؛ لأنه يُقال : تصوف :
إذا لبس الصوف ، كما يُقال : تقمص : إذا لبس القميص .

ولما كان حالهم بين سير وطير ؛ لتقلبهم في الأحوال ، وارتقائهم من
عالٍ إلى أعلى منه ، لا يُقيّدُهم وصفٌ ، ولا يحبسُهم نعتٌ ، وأبواب المزيد
علماً وحالاً عليهم مفتوحةٌ ، بواطنهم معدن الحقائق ، ومجمع العلوم ؛
فلما تعذر تقيّدُهم بحالٍ ؛ لتنوع وجدانهم ، وتجنس مزيدهم . . نسبوا إلى
ظاهر اللبسة^(٣) ، فكان ذلك أبين في الإشارة إليهم ، وأدعى إلى حصر
وصفهم ؛ لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم ، وأيضاً :

(١) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٣) ، والبغوي في « تفسيره » (١٦٦ / ٥) ،
وفيهما أن القائل هو عيينة بن حصن الفزاري أحد المؤلفات قلوبهم .

(٢) قوله : (تحقيق) كذا في (أ ، ز) ، وفي نسخة على هامش (أ) : (تحقق) بدل
(تحقيق) ، والعبارة في باقي النسخ : (لشدة شغلهم بخدمة مولاهم) بدل (لشدة
تحقيق . . .) .

(٣) قال في « شرح المشكلات » (ق / ٢٢) : (قوله : « نسبوا إلى ظاهر اللبسة » جواب
« فلما تعذر تقيدهم بحال » ، وهو مع جوابه جواب لقوله : « ولما كان حالهم بين سير
وطير ») .

لأنَّ حالَهُم حالُ المُقَرَّبِينَ ، كما سَبَقَ ذِكرُهُ^(١) .

ولمَكانِ أنَّ الاعتِزاءَ إلى القُربِ^(٢) - وعِظَمُ الإِشارةِ إلى قُربِ اللهِ تعالى أمرٌ صَليْفٌ يَعِزُّ كِشفُهُ والإِشارةُ إليه^(٣) . . . وقعتِ الإِشارةُ إلى زِيهِم ؛ سَتِراً لِحالِهِم ، وَغِيَرَةً على عَزيزِ مَقامِهِم أنْ تَكثرَ الإِشارةُ إليه وتَداولُهُ الألسِنَةُ ، فَكانَ هَذا أَقربَ إلى الأدبِ ، والأدبُ في الظاهرِ والباطنِ ، والقولِ والفعلِ . . عِمادُ أمرِ الصُّوفِيَّةِ .

وفيه مَعْنى آخَرُ ؛ وَهو أنَّ نَسَبَتَهُم إلى اللَّبْسَةِ تُنبِئُ عن تَقَلُّلِهِم مِنَ الدُّنيا ، وَزُهْدِهِم فيما تَدْعُو النَفْسُ إليه بِالهَوَى مِنَ الملبوسِ الناعمِ ؛ حتَّى إِنَّ المُبتَدِئِ المَريدَ الَّذي يُؤَثِّرُ طَريقَهُم ، وَيُحِبُّ الدَّخولَ في أَمْرِهِم . . يُوطِّنُ نَفْسَهُ على التَقَشُّفِ والتَقَلُّلِ ، وَيَعْلَمُ أنَّ المَأْكولَ أَيْضاً مِنَ جِنسِ الملبوسِ ، فَيَدخُلُ في طَريقِهِم على بَصِيرَةٍ ، وَهَذا أَمْرٌ مَفهُومٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ المُبتَدِئِ ، والإِشارةُ إلى شَيْءٍ مِنَ حالِهِم وَتَسمِيَتُهُم بِذلكَ . . أَبعدُ مِنَ فَهَمِ أَربابِ البِداياتِ ، فَكانَ تَسمِيَتُهُم بِهَذا أَنفَعَ وَأوْلَى .

وَأَيْضاً : غَيْرُ هَذا المَعْنى - مِمَّا يُقالُ : إِنَّهُم سُمُّوا صُوفِيَّةً لَذلكَ - يَتَضَمَّنُ دَعْوَى ، وَإِذا قِيلَ : سُمُّوا صُوفِيَّةً لِلْبِسَةِ الصَّوفِ . . كانَ أَبعدَ مِنَ الدَّعْوَى ، وَكلُّ ما كانَ أَبعدَ مِنَ الدَّعْوَى كانَ أَلَيَقَ بِحالِهِم .

وَأَيْضاً : لأنَّ لُبْسَ الصُّوفِ حَكمٌ ظاهِرٌ على الظاهرِ مِنْ أَمْرِهِم ، وَنَسَبَتُهُم

(١) انظر (١/١٧٧) .

(٢) في (ي) : (ولمَّا كانَ به الاعتِزاءُ إلى القُربِ) ، وَنحوه في (ح) .

(٣) صَليْفٌ ؛ أي : ثَقيلٌ وصَعبٌ ، وفي نِسخة على هامش (أ ، ج ، ز) : (صَلَبٌ) بَدَل (صَلَفٌ) ، وفي (ح) : (صَعَبٌ) .

إلى أمرٍ آخَرَ مِنْ حَالٍ أَوْ مَقَامٍ أَمْرٍ بَاطِنٍ ، وَالْحَكْمُ بِالظَّاهِرِ أَوْفَقُ وَأَوْلَى ؛
فَالْقَوْلُ بِأَنَّهُمْ سُمُّوا صُوفِيَّةً لِلْبَسِيهِمِ الصُّوفَ . . أَلَيُّقُ وَأَقْرَبُ إِلَى التَّوَاضِعِ .

وَيَقْرُبُ أَنْ يُقَالَ : لَمَّا آثَرُوا الذُّبُولَ وَالْخُمُولَ ، وَالتَّوَاضِعَ وَالْانْكَسَارَ ،
وَالْتَخْفِيَّ وَالتَّوَارِيَّ . . كَانُوا كَالْخِرْقَةِ الْمُلْقَاةِ ، وَالصُّوفَةِ الْمَرْمِيَّةِ الَّتِي
لَا يُرْغَبُ فِيهَا وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهَا ؛ فَيُقَالُ (صُوفِيٌّ) نِسْبَةً إِلَى (الصُّوفَةِ) ؛ كَمَا
يُقَالُ (كُوفِيٌّ) نِسْبَةً إِلَى (الْكُوفَةِ) .

وهذا ما ذكره بعضُ أهلِ العلمِ ، والمعنى المقصودُ بِهِ قَرِيبٌ ، وَيُلَاقِئُ
الاشْتِقَاقَ ، وَلَمْ يَزَلْ لُبْسُ الصُّوفِ اخْتِيَارَ الصَّالِحِينَ ، وَالزُّهَادِ وَالْعُبَادِ
وَالْمُتَقَشِّفِينَ .

(١٩) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرٌ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ
عَبْدِ الْكَرِيمِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَرَفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ ، عَنْ حُمَيْدِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَوْمَ كَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، وَسَرَاوِيلُ
مِنْ صُوفٍ ، وَكِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ ، وَكُمَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، وَنَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ
غَيْرِ ذَكِيٍّ » (١) .

(١) صفوة التصوف (١٨١) ، ورواه الترمذي (١٧٣٤) ، والحاكم (٢٨/١) ، وقال
الترمذي : (وَحُمَيْدٌ : هُوَ ابْنُ عَلِيٍّ الْكُوفِيُّ ، مِنْكَرُ الْحَدِيثِ ، وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ الْأَعْرَجُ
الْمَكِّيُّ صَاحِبُ مَجَاهِدٍ . . ثِقَةٌ) ، وَانْظُرْ « غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (١٠٢/١ - ١٠٣) ، وَالْكُمَّةُ :
الْقَلَنْسُوءُ الصَّغِيرَةُ الْمُدَوَّرَةُ ، وَفِي (ح) : (غَيْرُ مُذَكِّيٍّ) بَدَلُ (غَيْرِ ذَكِيٍّ) .

وقيل : سُمُّوا صُوفِيَّةً ؛ لأنَّهُم في الصَّفِّ الأوَّلِ بينَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛
بارتفاعِ هِمَمِهِمْ ، وإقبالِهِم على اللَّهِ بقلوبِهِمْ ، ووقوفِهِم بسرائِرِهِم بينَ
يَدَيْهِ (١) .

وقيلَ : كأنَّ هذا الاسمَ في الأصلِ (صَفْوِيٌّ) ، فاستُثْقِلَ ذلكَ وجُعِلَ
(صُوفِيًّا) (٢) .

وقيلَ : سُمُّوا صُوفِيَّةً ؛ نسبةً إلى (الصُّفَّةِ) التي كانت لفقراءِ المُهاجرينَ
على عهدِ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذينَ قالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ :
﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي
الْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] (٣) .

وهذا وإنْ كانَ لا يستقيمُ مِنْ حيثُ الاشتقاقُ اللُّغَوِيُّ . . ولكنَّ صحيحُ
مِنْ حيثُ المعنى ؛ لأنَّ الصُّوفِيَّةَ تُشَاكِلُ حالَهُم حالَ أولئك ؛ لكونِهِم
مجتمعينَ مُتَأَلِّفينَ ، مُصَاحِبِينَ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ (٤) ؛ كأَصْحَابِ الصُّفَّةِ .

وكانُوا (٥) نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ مِئَةِ رَجُلٍ ، لم يَكُنْ لَهُم مَسَاكِنُ بِالْمَدِينَةِ
ولا عِشَائِرُ ، جَعَلُوا (٦) أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ ، كاجتماعِ الصُّوفِيَّةِ قَدِيمًا

(١) انظر « التعرف » (ص ١٠) .

(٢) انظر « اللمع » (ص ٤٦) .

(٣) انظر « اللمع » (ص ٤٧) ، و « التعرف » (ص ٢١) .

(٤) في (ب ، هـ) : (متصاحبين) بدل (مصاحبين) .

(٥) أي : أصحاب الصُّفَّة .

(٦) في (ح) : (جمعوا) .

وحديثاً في الزوايا والرُّبُط^(١) ، وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار^(٢) ، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته^(٣) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاسيهم ، ويحث الناس على مؤاساتهم ، ويجلس معهم ، ويأكل معهم^(٤) .

وفيهم نزل قوله تبارك وتعالى : ﴿ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ... ﴾ الآية [الأنعام : ٥٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ

(١) الرُّبُط : جمع (رباط) ؛ وهو المتعبد الذي يربطون فيه نفوسهم على العبادة والطاعة .

(٢) يرَضَخُون : يكسرون .

(٣) وكان من أهل الصفة خيرة الصحابة ؛ كأبي هريرة ، وأبي ذر ، ووائل بن الأسقع ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، وبلال ، وابن أم مكتوم ، وصهيب الرومي ، وحذيفة بن اليمان ، وعقبة بن عامر ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين . انظر « إمتاع الأسماع » (١٥٧-١٦٠) ، و« شرح الشفاء » للقاري (١ / ٦١٠) ، و« الكشف » للزمخشري (٣١٨ / ١) .

(٤) كما روي ذلك من أحاديث متعددة ؛ فروى البخاري (٦٤٥٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « الحق إلى أهل الصفة ، فادعهم لي » ، قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتت هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها .

وروى ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢٥٥ / ١) من حديث يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : (كان أهل الصفة ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا منازل لهم ، فكانوا ينامون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ويظلمون فيه ، ما لهم مأوى غيره ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إليه بالليل إذا تعشى ، فيفترقهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاء الله تعالى بالغنى) .

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ . . . ﴿ الآية [الكهف : ٢٨] ﴾^(١) .

ونزل في ابن أم مكتوم قوله عزّ وعلا : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ [عبس : ١-٢] ، وكان من أهل الصُّفَّةِ ، فعُوتِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجله^(٢) .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم إذا صافحهم لا يَنْزِعُ يده من أيديهم^(٣) ، وكان يُفَرِّقُهُمْ على أهل الجِدَّةِ والسَّعَةِ^(٤) ، ويبعث مع واحد ثلاثة ، ومع الآخر أربعة ، وكان سعدُ بنُ [عُبَادَةَ]^(٥) يحمل إلى بيته منهم ثمانين رجلاً يُطْعِمُهُمْ^(٦) .

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣١٨٥) ، والبخاري في « المسند » (٢١٣٠) عن سيدنا خَبَّاب بن الْأَرْتِ رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١٠٤/١) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٣١) ، وابن حبان (٥٣٥) ، والحاكم (٥١٤/٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر كلام القاضي عياض النفيس في « الشفاء » (ص ٦٩١-٦٩٢) حول هذه الآية .

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٠) ، وابن ماجه (٣٧١٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وليس فيهما تخصيص بأهل الصُّفَّةِ .

(٤) الجِدَّةُ : الغنى .

(٥) في النسخ : (معاذ) ، والتصويب من « الحلية » ، ولم يُنْبَه عليه الغماري في تخريجه .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤١/١) مرسلًا عن ابن سيرين رحمه الله تعالى ، وروى البخاري (٦٠٢) ، ومسلم (٢٠٥٧) عن سيدنا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال : إِنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كانوا أناساً فقراء ، وإنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامٌ اثْنَيْنِ فَلْيُذْهِبْ بِثَلَاثٍ ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ . . . » الحديث .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : (لقد رأيتُ سبعينَ من أهلِ الصُّفَّةِ يُصلُّونَ في ثوبٍ واحدٍ ، منهم من لا يبلغُ ركبتيه ، فإذا ركعَ أحدُهم قَبَضَ بيديهِ مخافةً أن تَبْدُو عورتهُ) (١) .

وقال بعضُ أهلِ الصُّفَّةِ : جِئنا جماعةً إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فقلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ أحرَقَ بطوننا التمرُ ، فسمعَ ذلكَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فصعدَ المنبرَ ، ثمَّ قالَ : « ما بالُ أقوامٍ يَقُولُونَ : أحرَقَ بطوننا التمرُ ؟! أما عَلِمْتُمْ أَنَّ هَذَا التَّمْرَ هُوَ طَعَامُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ وَاسَوْنَا بِهِ ، وَوَاسَيْنَاكُمْ مِمَّا وَاسَوْنَا بِهِ ؟! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ إِنَّ مُنْذُ شَهْرَيْنِ لَمْ يَرْتَفَعْ مِنْ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُخَانٌ لِلْخَبْرِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَسْوَدَانِ : الْمَاءُ ، وَالتَّمْرُ » (٢) .

(٢٠) - وأخبرنا الشيخُ أبو الفتحِ محمدُ بنُ عبدِ الباقي في « كتابهِ » ، قالَ : أخبرنا الشيخُ أبو بكرٍ ابنُ زكريَّا الطُّرَيْشِيُّ ، قالَ : أخبرنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ ، قالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْأَنْمَاطِيِّ ، قالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ ، قالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التُّرْمِذِيُّ ، قالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ حَاتِمِ الْبَلْخِيِّ ، قالَ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ أَسْلَمَ ، عن خَلَادِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عن أَبِي [حمزة] السُّكَّرِيِّ (٣) ،

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤٠-٣٤١) ، وبنحوه البخاري (٤٤٢) .

(٢) رواه بنحوه أحمد (٤٨٧/٣) ، والحاكم (١٥/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤٤٥/٢) عن سيدنا طلحة النضري رضي الله عنه .

(٣) في النسخ : (عبد الرحمن) بدل (حمزة) ، والتصويب من « الأربعين في =

عن يزيد التَّحَوِّي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أهل الصُّفَّة ، فرأى فقرهم وجُهدهم وطيب قلوبهم ، فقال : « أَبْشِرُوا يَا أَصْحَابَ الصُّفَّةِ ؛ فَمَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ رَاضِياً بِمَا هُوَ فِيهِ . . فَإِنَّهُ مِنْ رُفَقَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) .

وقيل : كان منهم طائفة في خراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ، ولا يسكنون القرى والمدن ، يُسمونهم في خراسان : (شَكْفِيَّة) ؛ لأنَّ (شَكْفَتاً) اسمُ الغار ؛ ينسبونهم إلى المأوى والمستقر ، وأهل الشام يُسمونهم : (جُوعِيَّة) (٢) .

والله تعالى ذَكَرَ في القرآن - زادهُ الله مجداً - طوائفَ الخيرِ والصلاح ؛ فسَمَّى قوماً : (أبراراً) ، وآخرين : (مُقَرَّبِينَ) ، ومنهم : (الصابرين) ، و (الصادقين) ، و (الذَّاكِرِينَ) ، و (الْمُحْبِتِينَ) (٣) ، واسمُ الصُّوفِيّ يشملُ جميعَ المُتَفَرِّقِ في هذه الأسماء المذكورة .

= التصوف ، والشُّكْرِي : هو محمد بن ميمون المروزي (ت ١٦٧ هـ) ، يروي عن يزيد النحوي وأبي إسحاق السَّبيعي وعاصم الأحوال وغيرهم . انظر « تهذيب الكمال » (٥٤٤-٥٤٥ / ٢٦) .

(١) الأربعين في التصوف (ص ١-٢) ، ورواه من طريق السلمي الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٧٦ / ١٣) ، والرافعي في « التدوين في أخبار قزوين » (١٧٣ / ١) .

(٢) والسبب في ذلك - كما قال الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١) - : أنهم كانوا ينالون من الطعام قَدْرَ ما يُقِيمُ الصُّلْبَ للضرورة ، وفي هامش (ح) : (لكثرة الجوع ، ولكثرة صيامهم ، وقلة الأكل عند الإفطار ، مع الطي في بعض الليالي) .

(٣) في النسخ ما عدا (ج ، ح ، ي) : (والمُحِبِّين) .

وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقيل : كان في زمن التابعين .

ونقل عن الحسن البصري رحمه الله عليه أنه قال : رأيت صوفياً في الطواف ، فأعطيته شيئاً ، فلم يأخذ وقال : معي أربعة دوانيق ، يكفيني ما معي ^(١) .

ويُشيد هذا ^(٢) : ما روي عن سُفيان أنه قال : (لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرِّياء) ^(٣) .

وهذا يدلُّ : على أن هذا الاسم كان يُعرف قديماً .

وقيل : لم يُعرف هذا الاسم إلى المئتين من الهجرة العربية ؛ لأنَّ في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُسمُّون الرجل صحابياً ؛ لشرفِ صُحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكون الإشارة إليها أولى من كلِّ إشارة ، وبعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سُمِّيَ تابعياً .

ثمَّ لما تقادم زمانُ الرِّسالة ، وبعدَ عهدِ النُّبوةِ ، وانقطع الوحي السماوي ، وتوارى النورُ المصطفويُّ ، واختلفت الآراء ، وتنوعت الأنحاء ^(٤) ، وتفرَّد كلُّ ذي رأيٍ برأيه ، وكدَّرَ شربُ العلومِ شوبُ

(١) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٢) .

(٢) أي : يؤيِّد هذا القول .

(٣) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٢) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالى .

(٤) أي : الطُّرُق .

الأهواء^(١) ، وتزعزعت أبنية المُتقين ، واضطربت عزائم الزاهدين ، وغلبت
الجهالات وكثف حجابها ، وكثرت العادات وتملكت أربابها^(٢) ، وتزخرفت
الدنيا وكثر خطأها . تفردت طائفة بأعمالٍ صالحة ، وأحوالٍ سنيّة ،
وصدق في العزيمة ، وقوة في الدين ، وزهد في الدنيا ومحبة لها ، واغتنموا
العزلة والوحدة ، واتخذوا لنفوسهم زوايا ؛ يجتمعون فيها تارة ، ويتفرّدون
أخرى ؛ أسوة بأهل الصفة ، تاركين للأسباب ، مُبتلين إلى ربّ الأرباب .

فأثمر لهم صالح الأعمال سنيّ الأحوال ، ونهياً لهم صفاء الفهوم لقبول
العلوم ، وصار لهم بعد اللسان لسان ، وبعد العرفان عرفان ، وبعد الإيمان
إيمان ، كما قال حارثه : (أصبحت مؤمناً حقاً)^(٣) ؛ حيث كُشف برُتبة
في الإيمان غير ما يتعاهدُها .

فصار لهم بمقتضى ذلك علومٌ يعرفونها ، وإشاراتٌ يتعاهدونها ،
فحرّزوا لنفوسهم اصطلاحاتٍ تُشيرُ إلى معانٍ يعرفونها ، وتُعرّب عن أحوالٍ
يُجدونها .

فأخذ ذلك الخلف عن السلف ، حتى صار ذلك رسماً مُستمراً وخيراً

(١) العبارة في بعض النسخ : (وتكدر شرب العلوم بشرب الأهوية) ، والأهوية : جمع
(هواء) ، وهو غير مراد هنا . انظر « تحرير ألفاظ التنبيه » (ص ٢٠٣) ، و« تصحيح
التصحيح » (ص ١٣٧) .

(٢) ويجوز أن يُضبط (أربابها) بالنصب ، كما في بعض النسخ .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣/٣٠٢) ، والسلمي في « الأربعين في
التصوف » (ص ٦٥) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (١٠١٠٧) ، ورواه أيضاً
في « الشعب » (١٠١٠٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

مُسْتَقِرّاً فِي كُلِّ عَصْرِ وَزَمَانٍ ، فَظَهَرَ هَذَا الْاسْمُ بَيْنَهُمْ ، وَتَسَمَّوْا بِهِ ، وَسُمُّوا بِهِ ^(١) .

فَالْاسْمُ سِمَتُهُمْ ، وَالْعِلْمُ بِاللَّهِ صِفَتُهُمْ ، وَالْعِبَادَةُ حَلِيَّتُهُمْ ، وَالتَّقْوَى شِعَارُهُمْ ، وَحَقَائِقُ الْحَقِيقَةِ أَسْرَارُهُمْ ، نَزَّاعُ الْقَبَائِلِ ^(٢) ، وَأَصْحَابُ الْفَضَائِلِ ، سُكَّانُ قِبَابِ الْغَيْرَةِ ، وَقُطَّانُ دِيَارِ الْحَيْرَةِ ، لَهُمْ مَعَ السَّاعَاتِ مِنْ إِمْدَادِ فَضْلِ اللَّهِ مَزِيدٌ ، وَلِهَيْبِ شَوْقِهِمْ يَتَأَجَّجُ وَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ ^(٣) .
اللَّهُمَّ ؛ احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ ، وَارْزُقْنَا حَالَاتِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٤) .



(١) ضبط في (ح) : (وَسَمَّوْا بِهِ) .

(٢) النَّزَّاعُ : جمع (نَزِيع) ؛ وهو الغريب الذي نَزَعَ عن أهله وعشيرته ، وروى أحمد (٣٩٨ / ١) ، وابن ماجه (٣٩٨٨) ، والدارمي (٢٧٩٧) من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ » ، قيل : وَمَنْ الْغُرَبَاءُ ؟ قال : « النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ » .

(٣) وقد أتى أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٤٢-٤٣) ، والإمام القشيري في « الرسالة » (ص ١٠٠) بِلُمَعٍ يسيرة من هذا البحث .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ سماعاً في الثامن للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السابع

في ذكر المتصوف والمتشبه به

(٢١) - أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام العالم أبو النجيب الشهرستاني رحمه الله عليه إجازة ، قال : أخبرنا الشيخ أبو منصور بن خيرون ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة ، قال : أخبرنا محمد بن العباس بن زكريا ، قال : أخبرنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ، قال : أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا المعتمر بن سليمان^(١) ، قال : أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ متى قيام الساعة ؟ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ، فلما قضى الصلاة قال : « أَيْنَ أَسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ » ، فقال الرجل : أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ » ، قال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام - أو قال : ما أعددت لها كثير عمل - إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،

(١) كذا في جميع النسخ ، وعبد الله بن المبارك يروي عن المعتمر بن سليمان التيمي ، وعن حميد الطويل مباشرة دون واسطة ، وقد جاء كذلك في « الزهد » (٧١٨) ، وانظر تخريج الحديث الآتي .

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ، أَوْ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » .

قَالَ أَنَسٌ : (فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِهَا)^(١) .

فَالْمُتَشَبِّهُ بِالصُّوفِيَّةِ مَا اخْتَارَ التَّشَبُّهَ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ . . . إِلَّا لِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَهُوَ مَعَ تَقْصِيرِهِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا هُمْ فِيهِ . . . يَكُونُ مَعَهُمْ ؛ لِمَوْضِعِ إِرَادَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ .

وَقَدْ وَرَدَ بِلَفْظٍ آخَرَ أَوْضَحَ مِنَ الْخَبَرِ الَّذِي رَوَيْنَاهُ فِي الْمَعْنَى : رَوَى [عَبْدُ اللَّهِ] بْنُ الصَّامِتِ^(٢) ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ ، قَالَ : « أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قَالَ : قُلْتُ : فَإِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ : « فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قَالَ : فَأَعَادَهَا أَبُو ذَرٍّ ، فَأَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) .

قَالَ الشَّيْخُ : فَمَحَبَّةُ الْمُتَشَبِّهِ إِيَّاهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا لِتَنْبُهُ رُوحِهِ لِمَا تَنْبَهُتُ لَهُ أَرْوَاحُ الصُّوفِيَّةِ ؛ لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَمَا يُقَرَّبُ إِلَيْهِ وَمَنْ يَقْرُبُ مِنْهُ . . . تَكُونُ بِجَاذِبِ

(١) الزهد (٧١٨ ، ١٠١٩) ، ورواه البخاري (٦١٧١) ، ومسلم (٢٦٣٩) ، وروي عن جماعة بلغ الحديث بهم حدَّ التواتر . انظر « غنية العارف » (١١١/١ - ١١٢) .

(٢) في النسخ : (عبادة) بدل (عبد الله) ، والتصويب من كتب الحديث الآتية .

(٣) رواه أبو داود (٥١٢٦) ، والدارمي (٢٨٢٩) ، وأحمد (١٥٦/٥) ، وفي هامش (ح) : (إِنَّمَا كَانَ بِهِذَا أَوْضَحَ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ : « يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ كَعَمَلِهِمْ » ، فَدَلَّ : أَنَّ الْمَحَبَّةَ تَنْتِجُ الْمَصَاحِبَةَ مَعَ مَنْ يُحِبُّه) .

الرُّوح ، غيرَ أَنَّ الْمُتَشَبِّهَ تَعَوَّقَ بِظُلْمَةِ النَّفْسِ ، وَالصُّوْفِيَّ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ ،
وَالْمُتَصَوِّفَ مُتَطَلِّعٌ إِلَى حَالِ الصُّوْفِيِّ ، وَهُوَ مُشَارِكٌ بَبْقَاءِ شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ
نَفْسِهِ عَلَيْهِ لِلْمُتَشَبِّهِ .

وَطَرِيقُ الصُّوْفِيَّةِ أَوَّلُهُ إِيْمَانٌ ، ثُمَّ عِلْمٌ ، ثُمَّ ذَوْقٌ ؛ فَالْمُتَشَبِّهُ صَاحِبُ
إِيْمَانٍ ، وَالْإِيْمَانُ بِطَرِيقِ الصُّوْفِيَّةِ أَصْلٌ كَبِيرٌ ؛ قَالَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ :
(الْإِيْمَانُ بِطَرِيقِنَا هَذَا وَلايَةٌ) .

وَوَجْهُ ذَلِكَ : أَنَّ الصُّوْفِيَّةَ تَمَيَّزُوا بِأَحْوَالٍ عَزِيزَةٍ ، وَإِشَارَاتٍ عَلَيْهِ ، وَأَثَارٍ
مُسْتَغْرَبَةٍ عِنْدَ أَكْثَرِ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهُمْ مُكَاشِفُونَ بِالْقَدَرِ وَغَرَائِبِ الْعُلُومِ ، وَإِشَارَاتُهُمْ
إِلَى عَظِيمِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَالْقُرْبِ مِنْهُ ، وَالْإِيْمَانُ بِذَلِكَ إِيْمَانٌ بِالْقُدْرَةِ .

وَقَدْ أَنْكَرَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ كِرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ^(١) ، وَالْإِيْمَانُ بِذَلِكَ إِيْمَانٌ
بِالْقُدْرَةِ ، وَلَهُمْ عُلُومٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ؛ فَلَا يُؤْمِنُ بِطَرِيقِهِمْ إِلَّا مَنْ خَصَّهُ اللهُ
تَعَالَى بِمَزِيدٍ عَنَايَةٍ .

فَالْمُتَشَبِّهُ صَاحِبُ إِيْمَانٍ ، وَالْمُتَصَوِّفُ صَاحِبُ عِلْمٍ ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ
اِكْتَسَبَ مَزِيدَ عِلْمٍ بِطَرِيقِهِمْ ، وَصَارَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ مُوَاجِدٌ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى
سَائِرِهَا ، وَالصُّوْفِيُّ صَاحِبُ ذَوْقٍ .

فَلِلْمُتَصَوِّفِ الصَّادِقِ نَصِيبٌ مِنْ حَالِ الصُّوْفِيِّ ، وَلِلْمُتَشَبِّهِ نَصِيبٌ مِنْ حَالِ
الْمُتَصَوِّفِ .

وَهَكَذَا سَنَةُ اللهِ تَعَالَى ؛ جَارِيَةٌ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ حَالٍ لَهُ ذَوْقٌ فِيهِ لَا بُدَّ أَنْ

(١) وَمِنْهُمْ : الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِنِي وَالْحَلِيمِيُّ وَجُمْهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ . انْظُرْ « تَحْفَةُ
الْمُرِيدِ » (ص ٢٥٣) .

يُكشَفَ لَهُ عِلْمٌ بِحَالِ أَعْلَى مِمَّا هُوَ فِيهِ^(١) .

فيكونُ في حالِهِ الأوَّلِ صاحبَ ذوقٍ ، وفي الحالِ الذي كُوشِفَ بِهِ صاحبَ عِلْمٍ ، وبحالٍ فوقَ ذلكَ صاحبَ إيمانٍ ؛ حتى لا يزالَ طريقُ الطلبِ مسلوِكاً ، فيكونُ في حالِ الذوقِ صاحبَ قَدَمٍ ، وفي حالِ العِلْمِ صاحبَ نَظَرٍ ، وفي حالٍ فوقَ ذلكَ صاحبَ إيمانٍ .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَمُهُمْ مِنْهُ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٢-٢٦] ؛ وَصَفَ الْأَبْرَارَ وَوَصَفَ شَرَابَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٧-٢٨] ؛ فَكَانَ لَشَرَابِ الْأَبْرَارِ مَزْجٌ مِنْ شَرَابِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَلِلْمُقَرَّبِينَ ذَلِكَ صِرْفٌ .

فَلِلصُّوفِيِّ شَرَابٌ صِرْفٌ ، وَلِلْمُتَصَوِّفِ مِنْ ذَلِكَ مَزْجٌ فِي شَرَابِهِ ، وَلِلْمُتَشَبِّهِ مَزْجٌ مِنْ شَرَابِ الْمُتَصَوِّفِ .

فَالصُّوفِيُّ سَبَقَ إِلَى مَقَارِّ الرُّوحِ مِنْ بَسَاطَةِ الْقُرْبِ ، وَالْمُتَصَوِّفُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الصُّوفِيِّ كَالْمُتَزَهِّدِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّاهِدِ ؛ لِأَنَّهُ تَفَعَّلُ وَتَعَمَّلُ وَتَسَبَّبُ ؛ إِشَارَةً إِلَى مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ وَصْفِهِ ، مُجْتَهِدٌ فِي طَرِيقِهِ ، سَائِرٌ إِلَى رَبِّهِ .

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سِيرُوا ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ »^(٢) ،

(١) فَمَنْ لَمْ يُكَاشَفْ بِحَالِ هُوَ أَعْلَى مِمَّا هُوَ فِيهِ . . دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَذُقْ مَا هُوَ فِيهِ ، وَمَا وَصَلَ إِلَى حَقِيقَتِهِ . من هامش (ح) .

(٢) أَي : فَرَدُّوا الْحَقَّ بِالْقَصْدِ عَمَّا سِوَاهُ ، وَتَوَلَّعُوا بِذِكْرِهِ ، وَتَرَكُوا ذِكْرَ غَيْرِهِ . من هامش (ح) .

قِيلَ : مَنْ الْمُفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ ، وَضَعُوا
الذِّكْرَ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ ، فَوَرَدُوا الْقِيَامَةَ خِفَافًا » (١) .

فَالصُّوفِيُّ فِي مَقَامِ الْمُفْرَدِينَ ، وَالْمُتَّصِفُ فِي مَقَامِ السَّائِرِينَ وَاصِلٌ فِي
سِيرِهِ إِلَى مَقَارِّ الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمُرَاقَبَتِهِ بِقَلْبِهِ ، وَتَلَدُّدِهِ بِنَظَرِهِ إِلَى نَظَرِ اللَّهِ
إِلَيْهِ .

فَالصُّوفِيُّ فِي مَقَارِّ الرُّوحِ صَاحِبُ مُشَاهَدَةٍ ، وَالْمُتَّصِفُ فِي مَقَارِّ الْقَلْبِ
صَاحِبُ مُرَاقَبَةٍ ، وَالْمُتَّشَبِّهُ فِي مُقَاوِمَةِ النَّفْسِ صَاحِبُ مُجَاهَدَةٍ وَصَاحِبُ
مُحَاسَبَةٍ .

فَتَلَوِينُ الصُّوفِيِّ بِوُجُودِ قَلْبِهِ (٢) ، وَتَلَوِينُ الْمُتَّصِفِ بِوُجُودِ نَفْسِهِ (٣) ،
وَالْمُتَّشَبِّهُ لَا تَلَوِينَ لَهُ (٤) ؛ لِأَنَّ التَّلَوِينَ لِأَرْبَابِ الْأَحْوَالِ ، وَالْمُتَّشَبِّهُ مُجْتَهِدٌ

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦) ، والترمذي واللفظ له (٣٥٩٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله
عنه ، وَالْمُسْتَهْتَرُونَ : الْمُؤَلَّعُونَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْبِيحِهِ .

(٢) لِأَنَّ سِيرَهُ بَعْدَ الرُّوحِ ، وَسَفَرُهُ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِ ؛ فَهُوَ فِي هَذَا الْحَالِ مُتَمَكِّنٌ ، وَلَكِنْ لِكُلِّ
صَاحِبِ تَمَكُّنٍ تَلَوِينٌ بِالضَّرُورَةِ ؛ لِأَدَاءِ حَقِّ النَّفْسِ وَبِقَاءِ الْوُجُودِ ، فَتَلَوِينُ مَنْ تَمَكَّنَ فِي
سِيرِ الرُّوحِ فِي عَالَمِ الْبَقَاءِ بِاللَّهِ بَعُودَهُ إِلَى سَمَاءِ الْقَلْبِ لِتَدْبِيرِ أَرْضِ الْقَالَبِ وَرِعَايَةِ
الْحَوَاسِّ وَالْقَوَى ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي
الْيَوْمِ مِثْلَ مَرَّةٍ » ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [عافر : ٥٥] ؛
لِذَلِكَ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(٣) لِأَنَّ سِيرَهُ بِالْقَلْبِ ، وَسَفَرُهُ فِي طَرِيقِهِ الَّذِي هُوَ عَالَمُ الْأَحْوَالِ ، وَتَمَكُّنُهُ فِيهِ مَا دَامَ فِي
عَالَمِ الْأَحْوَالِ ، فَتَلَوِينُهُ بِظَهْوَرِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الْأَعْمَالِ وَالسَّيْرِ الْإِسْلَامِيِّ . مِنْ هَامِشٍ
(ج) .

(٤) لِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلَى الْأَحْوَالِ ، وَلِأَنَّهُ يَسِيرُ بِالنَّفْسِ فِي طَرِيقِ الْإِسْلَامِ ، وَصُورَةِ الْعِبَادَةِ
الْمُجَرَّدَةِ عَنِ الْأَحْوَالِ ، فَلَا تَمَكُّنَ لَهُ وَلَا تَلَوِينَ ؛ لِأَنَّهُمَا لِأَصْحَابِ الْأَحْوَالِ وَهُوَ لَمْ
يَصِلْ بَعْدُ إِلَيْهَا . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

سالكٌ لم يصلِ بعدُ إلى الأحوالِ ، والكلُّ تجمُعُهُم دائرةُ الاصطفاءِ ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

قالَ بعضُهُم^(١) : (الظالمُ : الزاهدُ ، والمُقتصدُ : العارفُ ، والسَّابِقُ : المُحبُّ)^(٢) .

وقالَ بعضُهُم : (الظالمُ : الذي يَجْزَعُ مِنَ البلاءِ ، والمُقتصدُ : الذي يصبرُ عندَ البلاءِ ، والسَّابِقُ الذي يتلذَّذُ بالبلاءِ)^(٣) .

وقالَ بعضُهُم : (الظالمُ يعبدُ على الغفلةِ والعادةِ ، والمُقتصدُ يعبدُ على الرَّغبةِ والرَّهبةِ ، والسَّابِقُ يعبدُ على الهَيِّةِ والمِنَّةِ)^(٤) .

وقالَ بعضُهُم : (الظالمُ يذكرُ اللهَ بلسانِهِ ، والمُقتصدُ يذكرُ اللهَ بقلْبِهِ ، والسَّابِقُ لا ينسى ربَّهُ)^(٥) .

(١) أي : في تفسير الآية .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١٦٨ / ٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢ / ٢٠١) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (١٦٨ / ٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢ / ٢٠١) ، وفي هامش (ح) : (قيل : اجتمع ثلاثة من العارفين عند رابعة ، وتكلَّم كلُّ واحدٍ بما ذاق في حاله ؛ فقال أحدهم : ليس بصادقٍ في دعواه مَنْ لم يصبر على ضرب مَوْلَاهُ ، وقال الآخرُ : ليس بصادقٍ في دعواه مَنْ لم يشكر ضرب مَوْلَاهُ ، وقال الآخرُ : ليس بصادقٍ في دعواه مَنْ لم يتلذَّذ بضرب مَوْلَاهُ ، فقالت رابعةٌ رحمها الله : ليس بصادقٍ مَنْ لم ينسَ الضربَ في مشاهدة مَوْلَاهُ ، فانظروا كم بين المقامات !!) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١٦٩ / ٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢ / ٢٠١) .

(٥) عزاه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٢ / ٢٠٢) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٤٣٩ / ٤) إلى ذي النون المصري رحمه الله تعالى .

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله : (الظالم : صاحب الأقوال ، والمقتصد : صاحب الأفعال ، والسابق : صاحب الأحوال)^(١) .

وكل هذه الأقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه ، وكلهم من أهل الفلاح والنجاح ، تجمعهم دائرة الاصطفاء ، وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء^(٢) .

(٢٢) - أخبرنا الشيخ العالم رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني إجازة ، قال : أخبرنا أبو سعد محمد بن أبي العباس^(٣) ، قال : أخبرنا القاضي محمد بن سعيد^(٤) ، قال : أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرني الحسين بن محمد ابن فنجويه ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن محمد بن رزمة ، قال : حدثنا يوسف بن عاصم الرازي ، قال : حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود ، قال : حدثنا حصين بن نمير ، عن [ابن] أبي ليلى^(٥) ، عن أخيه ، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال في قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٠٣/٢٢) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٤٣٩/٤) .

(٢) ضبط في بعض النسخ : (بالمنح) ، وفي بعضها : (والعطايا) بدل (والعطاء) .

(٣) هو الخليلي النوقاني . انظر (٣٤٢/١) .

(٤) هو أبو سعيد الفرخزادي الطوسي . انظر (١٦٦/١) .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من « الكشف والبيان » ، وابن أبي ليلى : هو الإمام القاضي مفتي الكوفة محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الكوفي (ت ١٤٨هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣١٠/٦) .

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾ : « كُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ » (١) .

قال ابن عطاء : (الظالم : الذي يُحِبُّ اللهَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا ، والمُقْتَصِدُ : الذي يُحِبُّ اللهَ مِنْ أَجْلِ الْعُقْبَى ، والسَّابِقُ : هو الذي أَسْقَطَ مُرَادَهُ بِمُرَادِ الْحَقِّ فِيهِ) (٢) .

وهذا هو حال الصُّوفِيِّ .

فالمُتَشَبِّهُ تَعَرَّضَ لشيءٍ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ ، وَيُوجِبُ لَهُ ذَلِكَ الْقُرْبَ مِنْهُمْ ، وَالْقُرْبَ مِنْهُمْ مُقَدِّمَةٌ كُلِّ خَيْرٍ .

سمعتُ شيخنا رحمه الله عليه يقولُ (٣) : جاءَ بعضُ أبناءِ الدُّنْيَا إلى الشيخِ أحمدَ الغزاليِّ رحمه الله عليه ونحنُ بأصفهانَ يُريدُ منه الخِرْقَةَ (٤) ، فقالَ لَهُ الشيخُ : اذهبْ إلى فلانٍ - يُشِيرُ إِلَيَّ - حتَّى يُكَلِّمَكَ في معنى الخِرْقَةِ ، ثمَّ احضُرْ حتَّى أَلْبِسَكَ الخِرْقَةَ .

قالَ : فجاءَ إِلَيَّ ، فذكرتُ لَهُ حقوقَ الخِرْقَةِ ، وما يَجِبُ مِنْ رِعايَةِ

(١) الكشف والبيان (٢٢/٢٠٣-٢٠٤) ، ورواه الترمذي (٣٢٢٥) ، وأحمد (٧٨/٣) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١١٦-١١٧) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١٦٧/٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٠١/٢٢) .

(٣) هو شيخ الإسلام أبو النجيب الشهرُوردي ، وهو المراد حيثُ أطلقَ .

(٤) وأحمد الغزالي : هو الإمام العارف الواعظ أبو الفتوح بن محمد بن محمد الغزالي (ت نحو ٥٢٠ هـ) ، وهو أخو الإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي ، رحمهما الله تعالى ورضي عنهما .

حقّها ، وآداب مَنْ يلبسُها ، ومَنْ يُوهَّلُ للْبَسِها ، فاستعظمَ الرجلُ حقوقَ
الخِرْقَةِ وجَبُنَ أَنْ يلبسَها .

فأخبرَ الشيخُ بما تجددَ عندَ الطالبِ مِنْ قولي له ، فاستحضرني وعاتبني
على قولي له ذلك ، وقال : بعثتهُ إليك حتى تُكَلِّمَهُ بما يَزِيدُ رغبتهُ في
الخِرْقَةِ ، فكلَّمتهُ بما فَتَرَتَ عَزِيمَتُهُ !! ثمَّ الذي ذَكَرْتَهُ كُلُّهُ صحيحٌ ، وهو
الذي يجبُ مِنْ حقوقِ الخِرْقَةِ ، ولكنْ إذا أَلَزَمْنَا المُبتَدِئَ بذلكَ . . نفرَّ
وعَجَزَ عنِ القيامِ بهِ ، فنحنُ نلبسُهُ الخِرْقَةَ حتى يتشَبَّهَ بالقومِ ويتزيَّأَ بزيِّهم ،
فيَقْرِبُهُ ذلكَ مِنْ مَجَالِسِهِمْ وَمَحَافِلِهِمْ ، وبركةِ مُخالطَتِهِ مَعَهُمْ ، ونَظَرِهِ إِلَيْهِمْ
وإلى أحوالِهِمْ وَسِيرِهِمْ . . يُحِبُّ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَهُمْ ، ويَصِلَ بذلكَ إلى شيءٍ
مِنْ أحوالِهِمْ .

ويوافقُ هذا القولَ مِنَ الشيخِ أحمدَ الغزالي :

(٢٣) - ما أَخْبَرَنَا شيخُنَا رحمَةُ اللهِ عليه ، قالَ : أَخْبَرَنَا عصامُ الدِّينِ
عمرُ بنُ أحمدَ الصَّفَّارُ ، قالَ : أَخْبَرَنَا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليٍّ بنِ خَلْفٍ ،
قالَ : أَخْبَرَنَا الشيخُ أبو عبدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، قالَ : سمعتُ الحسينَ بنَ
يحيى يقولُ : سمعتُ جعفرًا يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ الجُنَيْدَ رحمَةَ اللهِ عليه
يقولُ : (إذا لَقِيتَ الفقيرَ فلا تَبْدَأْهُ بالعلمِ ، وابدَأْهُ بالرَّفْقِ ؛ فَإِنَّ العلمَ
يُوحِشُهُ ، والرَّفْقُ يُؤْنِسُهُ)^(١) .

(١) طبقات الصوفية (ص ١٦٠) ، وأورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٣٣) ،
ورواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٧٩) بإسناد آخر عن السلمي ، وزاد : (فقلت -
والقائل : عبد الله المرتعش الزاهد صاحب الجنيد - : يا أبا القاسم ؛ وهل يكونُ فقيرٌ
يُوحِشُهُ العلمُ ؟ فقال : نعم ، الفقيرُ إذا كان صادقاً في فقره ، فطرحَتْ عليه علمَكَ . . =

وبرفق الصُوفية بالمتشبهين بهم ينتفع المُبتدئ الطالب ، وكلُّ مَنْ كانَ منهم أَكْمَلَ حالاً وأَوْفَرَ علماً . كانَ أَكْثَرَ رِفْقاً بالمُبتدئ الطالبِ .

حُكِيَ عن بعضهم : أَنَّهُ صَحِبَهُ طَالِبٌ ، فَكَانَ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِكَثْرَةِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ ، وَلَمْ يَقْصِدْ بِذَلِكَ إِلَّا نَظَرَ المُبتدئِ إِلَيْهِ ، وَالتَّأَدُّبَ بِأَدَبِهِ ، وَالِاقْتِدَاءَ بِهِ فِي عَمَلِهِ .

وهذا هو الرِّفْقُ الَّذِي مَا دَخَلَ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ^(١) .

فَالْمُتَشَبِّهُ الْحَقِيقِيُّ لَهُ إِيْمَانٌ بِطَرِيقِ الْقَوْمِ ، وَعَمَلٌ بِمُقْتَضَاهُ ، وَسُلُوكٌ وَاجْتِهَادٌ ، عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ صَاحِبُ مُجَاهَدَةٍ وَمُحَاسَبَةٍ^(٢) ، ثُمَّ يَصِيرُ مُتَّصِوفاً صَاحِبَ مُرَاقَبَةٍ ، ثُمَّ يَصِيرُ صُوفِياً صَاحِبَ مُشَاهَدَةٍ .

فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَتَطَلَّعْ إِلَى حَالِ الْمُتَّصِوفِ وَالصُّوفِيِّ بِالتَّشَبُّهِ ، وَلَا يَقْصِدُ أَوَائِلَ مَقَاصِدِهِمْ^(٣) ، بَلْ هُوَ عَلَى مُجَرَّدِ تَشَبُّهِ ظَاهِرٍ مِنْ ظَاهِرِ اللَّبْسَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الزَّيِّ وَالصُّورَةِ ، دُونَ السَّيْرِ وَالصِّفَةِ . . فَلَيْسَ بِمُتَشَبِّهِ بِالصُّوفِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُحَاكِ لَهُمْ بِالْدُخُولِ فِي بَدَايَاتِهِمْ^(٤) ؛ فَإِذَا هُوَ مُتَشَبِّهُ بِالْمُتَشَبِّهِ ، يَعْتَرِي إِلَى

= ذاب كما يذوب الرصاصُ في النار) ، وقوله : (وابدأه بالرفق . . .) قال العروسي في « نتائج الأفكار » (٢٤٤ / ٣) : (أي : بالتسليم ؛ حتى تستكشف حكمة الحكيم ، ولا تُلْقَهُ بِالْعِلْمِ ؛ بَأَن تَعَارِضَهُ بِالْمَنْقُولِ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ) ، وَفِي هَامِشِ (ح) عِنْدَ قَوْلِهِ : (بِالرَّفْقِ) : (أَي : بِالسَّفَرَةِ وَالِإِطْعَامِ) .

(١) كما رواه مسلم (٢٥٩٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) انظر (٢٧٤ / ١) .

(٣) مِنْ تَرْكِ الْعَادَاتِ ، وَالتَّزَامِ الْمُجَاهَدَاتِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٤) غَيْرُ مُحَاكِ ؛ أَي : غَيْرُ مُشَابِهٍ .

القوم بمُجرّد لُبْسِهِ ، ومع ذلك همُ القومُ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهُمْ ، وقد وَرَدَ :
« مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »^(١) .

(٢٤) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو الْفَضْلِ حَمْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَبِي عَاصِمٍ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيُّ [ح] ^(٢) .

قَالَ : وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدِسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
ابْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ ،
عَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فَضْلًا عَنْ كُتَابِ النَّاسِ ^(٣) ،

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) ، وأحمد (٥٠/٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف »
(١٩٧٤٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفي الباب عن غيره أيضاً .
انظر « غنية العارف » (١١٩/١) .

(٢) إشارة التحويل زيادة من « الحلية » .

(٣) قوله : (فَضْلًا) كذا ضبط في (ب ، هـ) ونسخة على هامش (و) ، وضبط في (أ ،
ج ، د ، و ، ح) : (فَضْلًا) ، وفي (ي) : (فَضْلَاء) ، وقال القاري في « المرقاة »
(١٥٤٨/٤) : (فَضْلًا : صفةٌ بعد صفة للملائكة ، وهو بضمّتين وسكون الثاني
تخفيفاً ؛ جمع « فاضل » ؛ كـ « بُزِلَ وبازل » ، و« نُشِرَ وناشر » ؛ وهو مَنْ فاق أصحابه
وأقرانه علماً وشرفاً ، وفي نسخة : بفتح فسكون ، وفي نسخة : « فَضْلَاء » على وزن
« عُلَمَاء » . . . وفي « شرح مسلم » : قوله : « فَضْلًا » ضبطناه على أوجه : أحدها -
وهو أرجحها وأشهرها في بلادنا - : « فَضْلًا » بضم الفاء والضاد ، الثاني : بضم الفاء
وإسكان الضاد ، ورجّحه بعضهم وادّعى أنه أكثر وأصوب ، والثالث : بفتح الفاء
وإسكان الضاد ، قال القاضي : هكذا الرواية عند جمهور مشايخنا في « البخاري » =

يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ ، وَيَتَّبِعُونَ الذُّكْرَ^(١) ، فَإِذَا رَأَوْا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا^(٢) : هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ ، فَتَحْقُقْهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ .

فَيَقُولُ اللَّهُ - وَهُوَ أَعْلَمُ - : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالُوا : يَحْمَدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ وَلَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالُوا : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ تَسْبِيحًا وَتَحْمِيدًا وَتَمَجِيدًا .

فَيَقُولُ : مَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ وَلَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا لَهَا أَشَدَّ طَلَبًا وَعَلَيْهَا أَكْثَرَ حِرْصًا .

قَالُوا : وَيَتَعَوَّدُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَا ، فَيَقُولُ : كَيْفَ وَلَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالُوا : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّدًا ، وَأَشَدَّ فِرَارًا ، فَيَقُولُ : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ .

فَيَقُولُ الْمَلَكُ : فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ !! فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »^(٣) .

= و« مسلم » ، والرابع : بضم الفاء والضاد ورفع اللام على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والخامس : « فُضَّلَاءُ » بالمدّ جمعُ « فاضل » ، قال العلماء : معناه على جميع الروايات : أنهم زائدون على الحفظة وغيرهم ، لا وظيفة لهم إلا حِلَقُ الذكر . انتهى) .

(١) في « الحلية » : (ويبتغون) بدل (ويتبعون) ، وفي بعض النسخ : (ويبتعون مجالس الذكر) .

(٢) أي : نادى بعضهم بعضاً . من هامش (ح) .

(٣) حلية الأولياء (١١٧/٨) ، ورواه البخاري (٦٤٠٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) ، وفي =

فلا يَشْقَى جَلِيسُ الصُّوفِيَّةِ ، والمتشبهُ بهم ، والمُحِبُّ لَهُم^(١) .



= نسخة على هامش (و) : (أشهدكم أنني قد غفرت لهم ، هم السعداء) بدل (هم
الجلساء) .

(١) في هامش (ب) : (بلغ في الخامس على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه
عبد السلام المقدسي) .

الباب الثامن

في ذكر الملامتي وشرح حاله^(١)

قال بعضهم : (المَلَامَتِي : هو الذي لا يُظْهَرُ خيراً ، ولا يُضْمَرُ شراً)^(٢) .

وشرح هذا : هو أَنَّ المَلَامَتِيَّ تَشَرَّبَتْ عروْقُهُ طعمَ الإخلاصِ ، وتحقَّقَ بالصِّدْقِ ؛ فلا يُحِبُّ أَنْ يَطَّلَعَ أَحَدٌ عَلَى حالِهِ وأعمالِهِ^(٣) .

(١) وشيخ المَلَامِيَّة - ويُقال : الملامتية ، وهي لغة ضعيفة - : هو أبو صالح حمدون القَصَّار النيسابوري ، وعنه اشتهرت وانتشرت ، وقد أفرد الملامِيَّةَ بالبحث الإمام أبو سعد الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٩-٤٢) ، وانظر « الفتوحات المكية » (١٦/٢) .

(٢) في (أ ، ز) : (خيراً من نفسه ...) .

(٣) ومن المناسب إيرادَه في هذا المقام : ما سُئِلَ عنه إمامنا المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أَنَّ المرید إذا كان مع الناس يجد من نفسه نشاطاً للعمل ، وإذا كان وحدهُ يجد فتوراً عن العمل وتأبى عليه نفسه ؛ فما الأولى به ؟

فأجاب : بأنَّه لا ينبغي للمرید أن يدع العمل لأجل الخلق ، ولا يأتي به لأجلهم ، فإذا ابتلي بشيء من ذلك واسترقت النفس الغرضَ بالالتفات ، واستحلت نظرهم لمحبة الثناء وخوف المَذَمَّة . . فليرجعْ إلى الله تعالى بحسن اللجأ ، ويرغبْ إليه بالتضرُّع والدعاء ، ويستغفر الله من ذلك الاستحلاء ، ويعلم علم اليقين أَنَّهُمْ لا يستطيعون له نفعاً ولا ضرراً ، فيُلْقِي الأوهام على نفسه ، ويُقدِّر اطلاع الله تعالى عليه ، ولا يدع العمل رأساً ؛ فببركة العمل يزول الرِّياء إن شاء الله تعالى ، والله حفيظ عليم . « أجوبة السهروردي » (ق / ٢٥) .

(٢٥) - أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي إجازة ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي إجازة ، قال : أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت علي بن سعيد وسألته عن الإخلاص ما هو^(١) ؟ قال : سمعت علي بن إبراهيم وسألته عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ما هو^(٢) ؟ قال : سألت أبا يعقوب الشروطي عن الإخلاص ما هو^(٣) ؟ قال : سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت أحمد بن [عطاء] الهجيمي عن الإخلاص ما هو^(٤) ؟ قال : سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت الحسن عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت حذيفة رضي الله عنه عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم

- (١) ورواه السلمي أيضاً عن أبي العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي كما في « الكشف والبيان » (١٦٤ / ٤) ، و « الرسالة القشيرية » (ص ٤٧٧) .
- (٢) وفي « الكشف والبيان » (١٦٥ / ٤) وبعض النسخ : (يسار) بدل (بشار) ، قال الزبيدي في « الإتحاف » (٤٤ / ١٠) بعد أن ذكر رواية الحافظ أبي مسعود الأصفهاني في « مسلسلاته » : (هكذا هو في سياق الحافظ أبي مسعود ، وهي النسخة التي بخطه : « أحمد بن دينار » بدل « أحمد بن بشار ») .
- (٣) الشروطي : نسبة إلى (الشُّروط) ؛ وهي كتابة الوثائق بالديون والمبيعات وغير ذلك . انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (١٩٣ / ٢) ، ووقع في « مسلسلات الأصفهاني » : (البوطي) بدل (الشروطي) انظر « الإتحاف » (٤٤ / ١٠) .
- (٤) في النسخ : (علي) بدل (عطاء) ، والهجيمي : هو أبو عمرو البصري (ت ٢٠٠ هـ) ، وهي نسبة إلى محلة بالبصرة نزلها بنو الهجيم بن عمرو بن تميم . انظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٣٨١-٣٨٢ / ٣) ، و « سير أعلام النبلاء » (٤٠٨ / ٩) .

عن الإخلاص ما هو ؟ قال : « سَأَلْتُ جِبْرَائِيلَ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ :
سَأَلْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
هُوَ سِرٌّ ^(١) مِنْ سِرِّي أَسْتَوْدَعُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبَادِي » ^(٢) .

فَالْمَلَامَتِيَّةُ لَهُمْ مَزِيدُ اخْتِصَاصٍ بِالتَّمَسُّكِ بِالْإِخْلَاصِ ، يَرَوْنَ كَثَمَ الْأَحْوَالِ
وَالْأَعْمَالِ ^(٣) ، وَيتَلَذَّذُونَ بِكَتْمِهَا ؛ حَتَّى لَوْ ظَهَرَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ
لأَحَدٍ . . لَا سِتُوحِشُوا مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَسْتُوحِشُ الْعَاصِي مِنْ ظُهُورِ مَعْصِيَتِهِ .

فَالْمَلَامَتِيَّ عَظَمَ وَقَعَ الْإِخْلَاصِ وَمَوْضِعُهُ ، وَتَمَسَّكَ بِهِ مُعْتَدًّا بِهِ .

(١) السِّرُّ : هو الذي يُكْتَمُ ؛ أي : معنى مكتوم ؛ من السَّراري المكتومة التي لم يطلع عليها
غيري . من هامش (ح) .

(٢) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٦٤/٤ - ١٦٧) ، والقشيري في « الرسالة »
(ص ٤٧٧) عن شيخهما أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي به ، وقال
العراقي في « المغني » (٤٢٦٢) : (رَوَيْنَاهُ فِي « جُزْءٍ مِنْ مَسَلْسَلَاتِ الْقُرُونِي »
مَسَلْسَلًا ، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ رَوَاتِهِ : « سَأَلْتُ فَلَانًا عَنِ الْإِخْلَاصِ فَقَالَ » ، وَهُوَ مِنْ
رَوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ عَطَاءِ الْهَجِيمِيِّ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ حَذِيفَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ جِبْرِيلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَطَاءٍ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ كِلَاهُمَا مَتْرُوكٌ ،
وَهُمَا مِنَ الزُّهَّادِ ، وَرَوَاهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ) ، كَذَا قَالَ ، وَالَّذِي فِي مَطْبُوعِ « الرِّسَالَةِ » عَنْ سَيِّدِنَا حَذِيفَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ فِي « الْفَرْدُوسِ » (٤٥١٣) عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةَ الْعَارِفِ » (١٢١/١ - ١٢٢) ، وَ« إِتْحَافَ السَّادَةِ
الْمُتَّقِينَ » (٤٣/١٠ - ٤٥) .

وَفِي هَامِش (ح) تَعْلِيقًا عَلَى الْحَدِيثِ : (فَعَلِمَ : أَنَّ مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْإِخْلَاصَ فَهُوَ
مُحِبُّ اللَّهِ ، وَاعْلَمَ : أَنَّ الْإِخْلَاصَ صِفَةُ الْقَلْبِ لَيْسَ صِفَةُ النَّفْسِ ، فَصَاحِبُ النَّفْسِ
بِمَعْزَلٍ عَنِ الْإِخْلَاصِ ؛ لِأَنَّ وَجْهَ النَّفْسِ إِلَى الْخَلْقِ ، كَذَا قَالَ الْمَشَايخُ ؛ النَّفْسُ مُرَائِيَّةٌ
فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ، مُنَافِقَةٌ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ، مُشْرِكَةٌ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ) .

(٣) قوله : (يَرَوْنَ) ؛ أي : يعتقدون . من هامش (و) .

والصُّوفِيُّ غَابَ فِي إِخْلَاصِهِ عَنِ إِخْلَاصِهِ ؛ قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ السُّوسِيُّ :
(مَتَى شَهِدُوا فِي إِخْلَاصِهِمُ الْإِخْلَاصَ . . احْتَاجَ إِخْلَاصُهُمْ إِلَى
إِخْلَاصٍ)^(١) .

وَقَالَ ذُو النُّونِ : (ثَلَاثٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِخْلَاصِ)^(٢) : اسْتَوَاءُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ
مِنَ الْعَامَّةِ^(٣) ، وَنِسْيَانُ رُؤْيَا الْأَعْمَالِ فِي الْأَعْمَالِ ، وَعَدَمُ اقْتِضَاءِ ثَوَابِ
الْعَمَلِ فِي الْآخِرَةِ^(٤) .

(٢٦) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ
عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً^(٥) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا
عَثْمَانَ الْمَغْرِبِيَّ يَقُولُ : (الْإِخْلَاصُ : مَا لَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ بِحَالٍ)^(٦) ،
وَهَذَا إِخْلَاصُ الْعَوَامِّ ، وَإِخْلَاصُ الْخَوَاصِّ : مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ لَا بِهِمْ ،

(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (١٩٤ / ٢) ، والخركوشي في « تهذيبه » (ص ١٧٩) ،
والقشيري في « رسالته » (ص ٤٧٨) .

(٢) أي : إخلاص الخواص . من هامش (ح) .

(٣) قوله : (من العامة) إشارة : إلى أنَّ الذَّمَّ إذا كان من الخاصة وأهل الله . . فَلَعِبَ فِيهِ
ونقص ، فلا بُدَّ من الحزن على ذلك والتفتيش عن ذلك العيب ، والقيام بالرفع
والإزالة . من هامش (ح) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦١ / ٩) ، وأوردته القشيري في « الرسالة » (ص ٤٧٨) ،
وفي النسخ ما عدا (أ ، هـ ، ز) : (واقتضاء) بدل (وعدم اقتضاء) ، وهو كذلك في
« الحلية » ، وعلى المثبت شَرَحَ شيخُ الإسلام زكريا الأنصاري كما في « إحكام الدلالة »
(١٣٤ / ٣) ، وقال : (بألا يخطر لك على عملك جزاء دينوي ولا أخروي) .

(٥) سقط التصريح بالإجازة في (و ، ز) .

(٦) فإذا لاحظ النَّفْسُ خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْإِخْلَاصِ . من هامش (ح) .

فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمَعزِلٍ ، ولا يقع لهم عليها رؤيةٌ ، ولا بها اعتدادٌ ؛ فذلك إخلاصُ الخواصِّ (١) .

وهذا الذي فصله الشيخ أبو عثمان المغربي . . يُفرِّق بين الصُّوفيِّ والمَلَامِتيِّ ؛ لأنَّ المَلَامِتيَّ أخرجَ الخلقَ عن عمله وحاله ، ولكن أثبتَ نفسه ؛ فهو مُخلصٌ ، والصوفيُّ أخرجَ نفسه عن عمله وحاله كما أخرجَ غيره ؛ فهو مُخلصٌ ، وشتانَ ما بين المُخلصِ والمُخلصِ !! (٢) .

قال أبو بكر الزَّقاقُ : (نقصانُ كلِّ مُخلصٍ في إخلاصِهِ . . رؤيةٌ إخلاصِهِ ، فإذا أرادَ اللهُ أن يُخلصَ إخلاصَهُ . . أسقطَ عن إخلاصِهِ رؤيتهَ لإخلاصِهِ ، فيكونُ مُخلصاً لا مُخلصاً) (٣) .

قال أبو سعيد الخَرَّازُ : (رياءُ العارفينَ أفضلُ من إخلاصِ المُريدينَ) (٤) .

ومعنى قوله ذلك : لأنَّ الإخلاصَ معلولٌ برؤيةِ الإخلاصِ ، والعارفُ مُنزَّهٌ عن الرِّياءِ الذي يُبطلُ العملَ ، ولكنَّ لعلَّهُ يُظهرُ شيئاً من حالِهِ وعَمَلِهِ بعِلْمٍ كاملٍ عندهُ فيه (٥) ؛ لجذبِ مُريدٍ ، أو مُعانةٍ خُلِّيَ من أخلاقِ النَّفسِ في

(١) تفسير السلمي (٢٩٩ / ١) ، ورواه القشيري في « رسالته » (ص ٤٧٨) .

(٢) وشتانَ ما هما ، وشتانَ ما عمرُّو وأخوه ؛ أي : بُعدُ ما بينهما ، [وأبى] الأصمعي : (شتَّانَ ما بينهما) ، وشتَّانَ : مصروفٌ عن (شَتَّت) ، فالفتحةُ التي في النون هي الفتحةُ التي [كانت] في التاء ؛ لتدلَّ على أنَّه مصروفٌ عن الفعل الماضي . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٤٧٨) .

(٤) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٧٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٧ / ١٠) ، ومن طريقه البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٢٩ / ٨) عن رُويم رحمه الله تعالى .

(٥) أي : في الإظهار .

إظهاره الحال والعمل^(١) ، وللعارفين في ذلك علمٌ دقيقٌ لا يعرفه غيرهم ،
فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء ، وإنما هو صريح العلم لله
بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه^(٢) .

قال رُويمٌ رحمه الله عليه : (الإخلاص : ألا يرضى صاحبه عليه عوضاً
في الدارين ، ولا حظاً من المَلَكِين)^(٣) .

وقال بعضهم : (صدق الإخلاص : نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى
الحق)^(٤) ، والمَلَامَتِي يرى الخلق ، فيخفي عمله وحاله .

وكل ما ذكرناه من قبل وَصَفُ إخلاص الصُوفي ؛ ولهذا قال الزَّقاقُ :
(لا بدَّ لكلِّ مُخْلِصٍ مِنْ رُؤْيَا إِخْلَاصِهِ)^(٥) ، وهو نُقْصَانٌ عن كمالِ
الإخلاص ، والإخلاص هو الذي يتولَّى الله تعالى حِفْظَ صاحبه حتى يأتي به
على التَّمام .

(١) أي : ربّما يظهر في نفوس بعض الكاملين امتلاء قلب وكبر مقام وشرف حال من كتمانه
الأعمال وإخفائه الأحوال ، ولهذا عين الاعتلال في طريق أهل الكمال ، فيظهر العمل
على خلاف مراد النفس ؛ ليزول عنها هذه الصفة المذمومة ، والعارف مأذون فيه مأمور
به ، غير مختار منه أو مختار فيه ، ولكن اختياره باختيار إلهه . من هامش (ج) .

(٢) وذلك العلم : هو أنه ليس عندهم إلا الحق ، وإذا عُدِمَ الغيرُ عُدِمَ الرياء ، فافهم . من
هامش (ح) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٨٠) ، والقشيري في « الرسالة »
(ص ٤٨٠) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٦٤٧٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص ٤٧٩) ،
وعزواه إلى أبي عثمان المغربي رحمه الله تعالى .

(٥) انظر قوله في (٢٨٨ / ١) .

قال جعفرُ الخُلدي^(١) : سألتُ أبا القاسمِ الجُنيدَ رحمه اللهُ قلتُ له :
أَيُّنَ الإخلاصِ والصَّدقِ فَرَقٌ ؟ قالَ : نعم ، الصَّدقُ أصلٌ وهو الأولُ ،
والإخلاصُ فَرَعٌ وهو تابعٌ^(٢) ، وقالَ : بينهما فرقٌ ؛ لأنَّ الإخلاصَ لا يكونُ
إلا بعدَ الدخولِ في العملِ ، ثمَّ قالَ : إنما هو إخلاصٌ ، ومُخالَصَةٌ
الإخلاصِ ، ومُخالَصَةٌ كائنةٌ في المُخالَصَةِ^(٣) .

فعلى هذا : الإخلاصُ حالُ المَلامَةِ ، ومُخالَصَةُ الإخلاصِ حالُ
الصُّوفِي ، والمُخالَصَةُ الكائنةُ في المُخالَصَةِ ثمرةُ مُخالَصَةِ الإخلاصِ ؛ وهو
فناءُ العبدِ عن رسومِهِ ، بُرُوءُهُ قِيامِهِ بِقِيُومِهِ ، بل غَيْبَتُهُ عن رُؤْيَةِ قِيامِهِ ؛ وهو
الاستغراقُ في العَيْنِ عَنِ الآثَارِ^(٤) ، والتخلُّصُ عَنِ لَوْثِ

(١) هو الزاهد الورع العابد أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخُلدي الخوَّاص البغدادي
(ت ٣٤٨ هـ) ، إمام الصوفية في زمانه ، روى الخطيب البغدادي بإسناده عنه أنه قال :
(كنت يوماً عند الجنيد بن محمد وعنده جماعة من أصحابه يسألونه عن مسألة ، فقال
لي : يا أبا محمد ؛ أَجِبْهُمْ ، فَأَجَبْتُهُمْ ، فقال : يا خُلدي ؛ من أين لك هذه الأجوبة ؟
فجرتُ اسمُ الخُلدي عليَّ إلى يومي هذا ، والله ؛ ما سكنتُ الخُلْدَ ، ولا سكنه أحدٌ من
آبائي) ، والخُلْدُ : قصر كان للمنصور العباسي على شاطئ دجلة ، فخرِبَ وبُئِيت
حواليه منازلٌ ، والسؤال هو : أَنَّهُمْ قالوا له : أنطلب الرِّزْقَ ؟ فقال : إن علمتم أَنَّهُ
نسيكم فذكِّروهُ ، فقالوا : أندخل البيتَ ونتوكَّلُ على الله ؟ فقال : أَتَجَرَّبُونَ اللهَ
بالتوكَّلِ ؟ فهذا شَكٌّ ، قالوا : فكيف الحيلة ؟ فقال : تركُ الحيلة . انظر « تاريخ
بغداد » (٢٣٥ / ٧) .

(٢) لأنَّهُ إذا استوى ظاهرُهُ وباطنه ولسانه وقلبه في العمل . . فقد أتى بالصدق ، وهو الواجبُ
عليه أولاً ، ثمَّ إذا جَعَلَ ما يأتي به الله من غير قصدٍ حظًّا . . فقد أتى بالإخلاص ؛ فهو
يترتَّب على الصدق . من هامش (ح) .

(٣) رواه السلمى في « تفسيره » (٤١٠ / ٢ - ٤١١) .

(٤) يُشيرُ : إلى تجلِّي الذاتِ المُخلَّصِ عن مُزاحمة الاستتار ؛ لغلبة الأنوار . من هامش (ح) .

الاستتار^(١) ، وهو نقدُ حالِ الصُّوفي^(٢) .

والمَلَامَتِيّ مُقِيمٌ فِي أوطانِ إخلاصِهِ ، غيرُ مُتَطَلِّعٍ إِلَى حَقِيقَةِ خَلَاصِهِ^(٣) .

وهذا فرقٌ واضحٌ بَيْنَ المَلَامَتِيّ والصُّوفي .

ولم يَزَلْ فِي خُرَاسَانَ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ ، وَلَهُمْ مَشَايخُ يُمَهِّدُونَ أَساسَهُمْ ،
وَيُعَرِّفُونَهُمْ شُرُوطَ أَحْوالِهِمْ ، وَقَدْ رَأَيْنَا فِي الْعِرَاقِ مَنْ يَسْلُكُ هَذَا الْمَسْلَكَ ،
وَلَكِنْ لَمْ يَشْتَهَرْ بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَقَلَّمَا تَتَدَاوَلُ أَلْسِنَةُ أَهْلِ الْعِرَاقِ هَذَا الْأَسْمَ .

حُكَيٍّ : أَنَّ بَعْضَ الْمَلَامَتِيَّةِ اسْتَدْعَى إِلَى سَمَاعٍ ، فَاِمْتَنَعَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي
ذَلِكَ ، قَالَ : لِأَنِّي إِنْ حَضَرْتُ يَظْهَرُ عَلَيَّ وَجْدٌ ، وَلَا أُؤَثِّرُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ
حَالِي .

وَقِيلَ : إِنَّ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي الْحَوَارِيِّ قَالَ لِأَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِيِّ^(٤) : إِنِّي

(١) الاستتار إشارة : إلى غيبة صفات النفس بكمال قوّة صفات القلب ، وبه يرجع إلى
مصالح النفوس والعوق عن الاستغراق في جمع الجمع . من هامش (ح) .

(٢) قال في « شرح المشكلات » (ق / ٢٥) : (اعْلَمْ : أَنَّ الصِّفَاتِ آثَارُ الذَّاتِ وَالْأَفْعَالِ ؛
أَي : الْكَائِنَاتُ وَالْمَوْجُودَاتُ آثَارُ الصِّفَاتِ ، فَهَمَّ الْمُسْتَغْرِقُونَ فِي عَيْنِ الذَّاتِ عَنْ
الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ ، وَفِي الصِّفَاتِ عَنْ الْأَفْعَالِ ؛ كَمَنْ يَسْتَغْرِقُ بِظُلِّ جِسْمٍ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ
الْجِسْمَ اسْتَغْرَقَ فِي الْجِسْمِ عَنِ الظِّلِّ ، أَوْ كَمَنْ رَأَى مِثَالَ شَخْصٍ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الشَّخْصَ
اسْتَغْرَقَ فِيهِ عَنِ التَّمَثَالِ ، أَوْ كَمَنْ رَأَى الشَّمْسَ وَضَوْءَهَا وَاسْتَغْرَقَ فِيهَا فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ
اسْتَغْرَقَ فِيهَا عَنِ الْعَكْسِ وَضَوْنِهَا ، وَمَنْ رَأَى عَكْسَ جَمَالٍ فِي الْمِرْآةِ فَلَمَّا رَأَى صَاحِبَ
الْجَمَالِ اسْتَغْرَقَ فِيهِ عَنِ الْفِكْرِ) .

(٣) فِي (أ) : (إِلَى الْحَقِيقَةِ الْخَالِصَةِ) ، وَفِي (هـ ، ح ، ي) : (إِلَى حَقِيقَةِ إِخْلَاصِهِ) ،
وَفِي (ج ، ز) : (إِلَى الْحَقِيقَةِ خَالِصَةً) .

(٤) الْحَوَارِيُّ : هُوَ وَاحِدُ (الْحَوَارِيِّينَ) ، وَضَبَطَهُ بَعْضُ الْخُفَّاطِ كـ (سَكَارِي) ، وَبَعْضُهُمْ
كـ (سُمَّانِي) ، وَابْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ : هُوَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْقُدْوَةُ الزَّاهِدُ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ =

إذا كنت في الخلوة أجِدْ لمعاملتي لذّة لا أجدها بين الناس ، فقال له : إنك إذا لضعيف^(١) .

فالملاّمتي وإن كان متمسكاً بعزوة الإخلاص ، مُستفْرِشاً بِساطِ القُربِ والصّدقِ .. ولكن عليه بقيّة رُؤية الخلق ، وما أحسنها من بقيّة تُحقّقُ الإخلاص والصّدق !!

والصُوفي صُفّي من هذه البقيّة في طرْفَي العملِ والتركِ للخلق ، وعزَلَهُم بِالْكُلِّيّةِ ، ورآهم بعينِ الفناء والزوال ، ولاح له ناصية التوحيد^(٢) ، وعاین سِرَّ قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصر : ٨٨] ، كما قال بعضهم في بعض غلباته : (ليس في الدارين غيرُ الله)^(٣) .

وقد يكون إخفاء الملاّمتي الحال على وجهين^(٤) :

فأحد الوجهين : لتحقيق الإخلاص والصّدق .

والوجه الآخر - وهو الأتم - : لستر الحال عن غيره ، بنوع غيرة ؛ فإن من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه ، بل يبلغ في صدق المحبة أن يكره

= عبد الله بن ميمون الثعلبي (ت ٢٤٦ هـ) شيخ أهل الشام ، ومن كبار تلاميذ أبي سليمان الداراني رحمهما الله تعالى ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢ / ٨٥ - ٩٤) ، و « بستان العارفين » (ص ١١٤) ، و « تاج العروس » (١٠٦ / ١١) .

(١) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٧٨ / ٩) ، وفي (أ ، ز) ونسخة على هامش (ج ، د) : (لضعيف الحال) .

(٢) ذكر الناصية يُشير : إلى أن ملاحظة التوحيد بكلّه غير مُمكن . من هامش (ح) .

(٣) انظر « الإملاء على مشكل الإحياء » (ص ٢٩٧) .

(٤) في نسخة على هامش (د ، و ، ز) : (العمل) بدل (الحال) .

اطَّلَاعَ أَحَدٍ عَلَى حُبِّهِ لِمَحْبُوبِهِ ، وَهَذَا وَإِنْ عَلَا فِي طَرِيقِ الصُّوفِيِّ عِلَّةٌ
وَنَقَصٌ .

فَعَلَى هَذَا : يَتَقَدَّمُ الْمَلَامَتِيُّ عَلَى الْمُتَصَوِّفِ ، وَيَتَأَخَّرُ عَنِ الصُّوفِيِّ .

وَقِيلَ : إِنَّ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ الْمَلَامَةِ : أَنَّ الذَّكْرَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : ذِكْرٍ
بِاللِّسَانِ ، وَذِكْرٍ بِالْقَلْبِ ، وَذِكْرٍ بِالسِّرِّ ، وَذِكْرٍ بِالرُّوحِ ^(١) .

فَإِذَا صَحَّ ذِكْرُ الرُّوحِ سَكَتَ السِّرُّ وَالْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَنِ الذَّكْرِ ؛ وَذَلِكَ ذِكْرُ
الْمُشَاهَدَةِ .

وَإِذَا صَحَّ ذِكْرُ السِّرِّ سَكَتَ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ عَنِ الذَّكْرِ ؛ وَذَلِكَ ذِكْرُ
الْهَيْئَةِ .

وَإِذَا صَحَّ ذِكْرُ الْقَلْبِ فَتَرَ اللِّسَانُ عَنِ الذَّكْرِ ؛ وَذَلِكَ ذِكْرُ الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ .

وَإِذَا غَفَلَ الْقَلْبُ عَنِ الذَّكْرِ أَقْبَلَ اللِّسَانُ عَلَى الذَّكْرِ ؛ وَذَلِكَ ذِكْرُ الْعَادَةِ .

وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَذْكَارِ عِنْدَهُمْ آفَةٌ :

فَآفَةُ ذِكْرِ الرُّوحِ : اِطَّلَاعُ السِّرِّ عَلَيْهِ .

وَآفَةُ ذِكْرِ السِّرِّ : اِطَّلَاعُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ .

(١) اعْلَمْ : أَنَّ لِلْقَلْبِ سِرًّا ، وَلِلرُّوحِ سِرًّا ، فَسِرُّ الْقَلْبِ : فَيْضُ نَوْرِ الْوَلَايَةِ الْعُلَوِيَّةِ ، وَسِرُّ
الرُّوحِ : فَيْضُ نَوْرِ النُّبُوَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَإِثْبَاتُ السِّرِّ فَوْقَ الْقَلْبِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْفَيْضِ الْعُلَوِيِّ ،
وَإِثْبَاتُ السِّرِّ فَوْقَ الرُّوحِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْفَيْضِ النَّبَوِيِّ ، وَكِلَا السَّرِّينِ [يُشَاهِدُهُمَا] السَّالِكُ ؛
فَإِطْلَاقُ السِّرِّ عَلَى كِلَيْهِمَا صَحِيحٌ ، وَلَا اخْتِلَافَ فِي الْحَقِيقَةِ بَيْنَ مَنْ يُثَبِّتُ السِّرَّ فَوْقَ
الْقَلْبِ ، وَبَيْنَ مَنْ يُثَبِّتُ فَوْقَ الرُّوحِ ؛ لِأَنَّ كِلَا السَّرِّينِ وَاقِعَانِ يُشَاهِدُهُمَا السَّالِكُ وَيَعْرِفُ
مُنْشَأَهُمَا . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

وآفة ذِكْرِ القلبِ : اَطْلَاعُ النَّفْسِ عَلَيْهِ .

وآفة ذِكْرِ النَّفْسِ ^(١) : رُؤْيَةُ ذَلِكَ وَتَعْظِيمُهُ ، أَوْ طَلَبُ ثَوَابٍ بِهِ ، أَوْ ظَنُّ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ بِهِ ، وَأَقْلُ النَّاسِ قِيَمَةً عِنْدَهُمْ : مَنْ يُرِيدُ إِظْهَارَهُ وَإِقْبَالَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ .

وَسِرُّ هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي بَنَوْا عَلَيْهِ : أَنَّ ذِكْرَ الرُّوحِ ذِكْرُ الذَّاتِ ، وَذِكْرُ السِّرِّ ذِكْرُ الصِّفَاتِ بِزَعْمِهِمْ ^(٢) ، وَذِكْرُ الْقَلْبِ مِنَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ ذِكْرُ أَثَرِ الصِّفَاتِ ، وَذِكْرُ النَّفْسِ مُتَعَرِّضٌ لِلْعَلَاتِ .

فَمَعْنَى قَوْلِهِمْ : (اَطْلَاعُ السِّرِّ عَلَى الرُّوحِ) يُشِيرُونَ : إِلَى التَّحَقُّقِ بِالْفَنَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الذَّاتِ ^(٣) .

وَذِكْرُ الْهَيْئَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ذِكْرُ الصِّفَاتِ ؛ وَهُوَ وَجُودُ الْهَيْئَةِ ، وَوَجُودُ الْهَيْئَةِ يَسْتَدْعِي وَجُوداً وَبَقِيَّةً ، وَذَلِكَ يُنَاقِضُ حَالَ الْفَنَاءِ .

وَهَكَذَا ذِكْرُ السِّرِّ وَجُودُ هَيْئَةٍ وَهُوَ ذِكْرُ الصِّفَاتِ . . مُشْعِرٌ بِنَصِيبِ الْقُرْبِ .

وَذِكْرُ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ الْآلَاءِ وَالنِّعَمَاءِ . . مُشْعِرٌ بِبُعْدٍ مَا ؛ لِأَنَّهُ اشْتَغَالٌ بِذِكْرِ النِّعْمَةِ وَذُهُولٌ عَنِ الْمُنْعِمِ ، وَالِاشْتَغَالُ بِرُؤْيَةِ الْعَطَاءِ عَنِ رُؤْيَةِ الْمُعْطِي . . ضَرْبٌ مِنْ بُعْدِ الْمَنْزِلَةِ ، وَاطِّلَاعُ النَّفْسِ نَظْراً إِلَى الْأَعْوَاضِ . .

(١) فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (أ) : (اللِّسَانِ) .

(٢) لَا فِي مَذْهَبِ الصُّوفِيَّةِ ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ السِّرِّ عِنْدَهُمُ الْمَشَاهِدَةُ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) أَيِ : إِذَا كَانَ الرُّوحُ ذَاكِراً يَظْهَرُ أَنْوَارُ الذَّاتِ مِنْهُ ؛ بِحَيْثُ يَنْمُحِي عِنْدَ لَمَعَانِهَا جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ فِي نَظَرِهِ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

اعتدادٌ بوجودِ العملِ ، وذلكَ عينُ الاعتلالِ حقيقةً .

وهذهِ أقسامُ هذهِ الطائفةِ ، وبعضُها أعلى مِنْ بعضٍ ، واللهُ أعلمُ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفي هامشه أيضاً : (بلغ السماع لهم في التاسع على أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب التاسع

في ذكر من انتهى إلى الصوفية وليس منهم

فَمِنْ أَوْلَئِكَ : قَوْمٌ يُسَمُّونَ نَفُوسَهُمْ : قَلَنْدَرِيَّةً تَارَةً^(١) ، وَمَلَامَتِيَّةً أُخْرَى .

وقد ذكّرنا حالَ المَلَامَتِيّ ، وأنّه حالٌ شريفٌ ، ومَقَامٌ عزيزٌ ، وتمسُّكٌ بالسُّنَنِ والآثَارِ ، وَتَحَقُّقٌ بِالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ ، وَلَيْسَ مِمَّا يَزْعُمُ الْمُفْتَنُونَ بَشِيءً .

فَأَمَّا الْقَلَنْدَرِيَّةُ : فَهِيَ إِشَارَةٌ : إِلَى أَقْوَامٍ مَلَكَهُمْ سُكْرُ طَبِيعَةِ الْقُلُوبِ ؛ حَتَّى خَرَبُوا الْعَادَاتِ ، وَطَرَحُوا التَّقِيْدَ بِآدَابِ الْمُجَالَسَاتِ وَالْمُخَالَطَاتِ ، وَسَاحُوا فِي مِيَادِينِ طَبِيعَةِ قُلُوبِهِمْ ، فَقَلَّتْ أَعْمَالُهُمْ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ إِلَّا الْفَرَائِضَ ، وَلَمْ يُبَالُوا بِتَنَاوُلِ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا مِنْ كُلِّ مَا كَانَ مُبَاحاً بِرُخْصَةِ الشَّرْعِ ، وَرَبَّمَا اخْتَصَرُوا عَلَى رِعَايَةِ الرُّخْصَةِ ، وَلَمْ يَطْلُبُوا حَقَائِقَ الْعَزِيمَةِ .

وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ مُتَمَسِّكُونَ بِتَرْكِ الْأَذْخَارِ ، وَتَرْكِ الْجَمْعِ وَالِاسْتِكْثَارِ ، لَا يَتَرَسَّمُونَ بِمَرَامِ الْمُتَقَشِّفِينَ وَالْمُتَزَهِّدِينَ وَالْمُتَعَبِّدِينَ^(٢) ، وَقَنِعُوا بِطَبِيعَةِ

(١) قال محمد كرد علي في « خطط الشام » (١٣٨ / ٦) : (وقلندر : لفظة فارسية معناها :

الدرويش الذي نفّس يده من الدنيا ، وَزَهَّدَتْ نَفْسُهُ فِي زَخَارِفِهَا) .

(٢) الْمُتَقَشِّفُ : الَّذِي يَتَبَلَّغُ بِالْقُوَّةِ وَالْمُرْقَعِ . « صحاح » . من هامش (ح) .

قلوبهم مع الله تعالى^(١) ، واقتصروا على ذلك ، وليس عندهم تطلع إلى طلب مزيد سوى ما هم عليه من طيبة القلوب .

والفرق بين الملامني والقلندري : أن الملامني يعمل في كنم العبادات ، والقلندري يعمل في تخريب العادات .

والملامني يتمسك بكل أبواب البر والخير ويرى الفضل فيه ، ولكن يخفي الأعمال والأحوال ، ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأمره ؛ ستراً للحال لئلا يفتن له ، وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد ، باذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد .

والقلندري لا يتقيد بهيئة ، ولا يبالى بما يعرف من حاله وما لا يعرف ، ولا ينعطف إلا على طيبة القلوب^(٢) ، وهو رأس ماله .

والصوفي يضع الأشياء مواضعها ، ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ، ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستتر ما ينبغي أن يستتر ، ويظهر ما ينبغي أن يظهر ، ويأتي بالأمور في مواضعها بحضور عقل ، وصحة توحيد ، وكمال معرفة ، ورعاية صدق وإخلاص .

فقوم من المفتونين سمو أنفسهم : ملامني ، ولبسوا لبسة الصوفية ؛ لبسوا بها إلى الصوفية ، وما هم من الصوفية بشيء ، بل هم في غرور وغلط ، يستترون بلبسة الصوفية توكفاً تارة ودعوى أخرى^(٣) ، وينتهجون

(١) في (ز) ونسخة على هامش (أ) : (وتقتنعوا) بدل (وقنعوا) .

(٢) ولا ينعطف ؛ أي : لا يقوم ولا يثبت . من هامش (و) .

(٣) قوله : (توكفاً) ؛ أي : تحرّزاً عن الناس . من هامش (ح) .

مناهج أهل الإباحة ، ويزعمون أن ضمانتهم خلصت إلى الله تعالى ،
ويقولون : هذا هو الظفر بالمراد ، والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام ،
وقاصري الأفهام ، المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليداً^(١) .

وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد ؛ فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي
زندقة^(٢) .

وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية ، والحقيقة هي
حقيقة العبودية ، ومن صار من أهل الحقيقة تقيّد بحقوق العبودية وحقيقة
العبودية ، وصار مطالباً بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك ،
لا أنه يخلع عن عنقه ربة التكليف^(٣) ، ويخامر باطنه الزيغ والتحريف^(٤) .

(٢٧) - أخبرنا أبو زرعة ، عن أبيه الحافظ المقدسي ، قال : أخبرنا
أبو محمد الخطيب ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عمر ، قال : حدثنا
أبو بكر بن أبي داود ، قال : حدثنا أحمد بن صالح ، قال : حدثنا عنبسة ،
قال : حدثنا يونس بن يزيد ، قال : قال محمد - يعني : الزهري - :
أخبرني حميد بن عبد الرحمن : أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه ،

(١) ويقولون : مقامنا فوق هذا . من هامش (ج) ، ولعل هؤلاء المنتسبين إلى الملامية
هم الذين قصدهم ابن الجوزي في كتابه « تلبس إبليس » (ص ٣٢٠) .

(٢) الزنديق معروف ، وزندقته : أنه لا يؤمن بالآخرة ووحداية الخالق جلّ جلاله ، وقيل :
ملحدٌ ودهري . « مغرب » . من هامش (ح) .

(٣) الربق : جبل فيه عدة غراً ، يشدُّ به البهائم الصغار من أعناقها أو يدها لئلا ترضع ، كلُّ
عروة منها ربة ، وهنا استعارها للتكليف ؛ أي : ما يشدُّ به نفسه من عُرا التكليف .

(٤) الزيغ : الميل ؛ زاغت الشمس : مالت ؛ أي : عدلت يميناً وشمالاً . من هامش
(ح) .

قَالَ : سَمِعْتُ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (إِنَّ أَنْاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١)) ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخِذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ؛ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمْنَاهُ وَقَرَّبْنَاهُ ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ ، اللَّهُ تَعَالَى يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سِوَى ذَلِكَ لَمْ نَأْمَنَّهُ وَإِنْ قَالَ : سَرِيرَتِي حَسَنَةٌ ^(٢) .

وَعَنْهُ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ) ^(٣) .

فَإِذَا رَأَيْنَا مُتَهَاوِنًا بِحُدُودِ الشَّرْعِ ، مُهْمَلًا لِلصَّلَوَاتِ الْمُفْتَرَضَاتِ ، لَا يَعْتَدُ بِحَلَاوَةِ التَّلَاوَةِ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ، وَيَدْخُلُ فِي الْمَدَاحِلِ الْمَكْرُوهَةِ الْمُحَرَّمَةِ . . نَرُدُّهُ وَلَا نَقْبَلُهُ ، وَلَا نَقْبَلُ دَعْوَاهُ أَنْ لَهُ سَرِيرَةً صَالِحَةً .

(٢٨) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِجَازَةً ، عَنْ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ ، عَنْ ابْنِ خَلْفِ الشَّيرَازِيِّ ، عَنْ السُّلَمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا مُحَمَّدٍ الْجُرَيْرِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ لِرَجُلٍ ذَكَرَ الْمَعْرِفَةَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ يَصِلُونَ إِلَى تَرْكِ الْحَرَكَاتِ مِنْ بَابِ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ^(٤) .

(١) أي : ما ينزل من الآيات في شأنهم يعرفون بها حقيقة أحوالهم ويؤخذون بذلك . من هامش (ح) .

(٢) صفوة التصوف (٤) ، ورواه البخاري (٢٦٤١) .

(٣) رواه أبو داود في « الزهد » (٨٩) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٤٧٧) .

(٤) في نسخة على هامش (أ ، و) : (والتقرب) بدل (والتقوى) ، وهي كذلك في « الحلية » و « الرسالة » .

فَقَالَ الْجُنَيْدُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : إِنَّ هَذَا قَوْلُ قَوْمٍ تَكَلَّمُوا بِإِسْقَاطِ
الْأَعْمَالِ ، وَهَذِهِ عِنْدِي عَظِيمَةٌ ، وَالَّذِي يَسْرِقُ وَيَزْنِي أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الَّذِي
يَقُولُ هَذَا ، وَإِنَّ الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ أَخَذُوا الْأَعْمَالَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
فِيهَا ، وَلَوْ بَقِيَْتُ أَلْفَ عَامٍ لَمْ أَنْقُصْ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ ذَرَّةً ، إِلَّا أَنْ يُحَالَ بِي
دُونَهَا ، وَإِنَّهَا لَأَكْثُ فِي مَعْرِفَتِي وَأَقْوَى لِحَالِي (١) .

وَمِنْ جَمَلَةِ أَوْلَئِكَ : قَوْمٌ يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ ، خَذَلَهُمُ اللَّهُ ، وَيَزْعُمُونَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحُلُّ فِيهِمْ ، وَيَحُلُّ فِي أَجْسَامٍ يَصْطَفِيهَا ، وَيَسْبِقُ إِلَى فَهْمِهِمْ
مَعْنَى مِنْ قَوْلِ النَّصَارَى فِي اللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ (٢) .

وَمِنْهُمْ : مَنْ يَسْتَبِيحُ النَّظَرَ إِلَى الْمُسْتَحْسَنَاتِ (٣) ؛ إِشَارَةً إِلَى هَذَا
الْوَهْمِ ، وَيَتَخَايَلُ لَهُ أَنَّ مَنْ قَالَ كَلِمَاتٍ فِي بَعْضِ غَلَبَاتِهِ كَانَ مُضْمِرًا لشيءٍ
مِمَّا زَعَمُوهُ ؛ مِثْلُ قَوْلِ الْحَلَّاجِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : (أَنَا الْحَقُّ) (٤) ،
وَمَا يُحْكِي عَنْ أَبِي يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ : (سُبْحَانِي) .

(١) طبقات الصوفية (ص ١٥٨-١٥٩) ، ورواه من طريقه أبو نعيم في « الحلية »
(٢٧٨ / ١٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ١٥٤-١٥٥) .

(٢) اللاهوت : مُشتَقٌّ مِنْ (الإله) ، والناسوت : مُشتَقٌّ مِنَ الْإِنْسَانِ ؛ يَعْنِي : قَالَتِ
النصارى : اللَّهُ فِي جَسَدِ عَيْسَى . مِنْ هَامِش (ح) .

(٣) هُمْ قَوْمٌ يَقُولُونَ بِالشَّاهِدِ ، وَسَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْأَصْحَابِ : أَنَّ بَعْضًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ
كَانَ ضَيْفًا لِي ، وَكَانَ لِي مَمْلُوكٌ أَمْرُدُ ذُو صُورَةٍ حَسَنَةٍ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ وَسَجَدَ لَذَلِكَ
الْمَمْلُوكِ ، فَكَفَرْتُ فِي دَعْوَى الْمَعْرِفَةِ . مِنْ هَامِش (ح) .

(٤) هَذِهِ مَزَلَّةٌ لِلْمَغْلُوبِ حَالَةَ تَجَلِّيِ الرُّوحِ الَّذِي انْعَكَسَ عَلَيْهِ نُورُ تَجَلِّيِ الْحَقِّ وَلَمْ يُذِبْهُ ،
وَالرُّوحُ الْمَغْلُوبُ الَّذِي فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنَ الْوُجُودِ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْحَقُّ وَالْفَرْقُ بَيْنَ تَجَلِّيِ
الرُّوحِ وَتَجَلِّيِ الْحَقِّ صَعْبٌ عَسِيرٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ تَحْتَ نَظَرِ مُرْشِدٍ ذِي تَجَرِبَةٍ . مِنْ
هَامِش (ح) .

حاشا لله أن يُعتقد في أبي يزيد أنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية
عن الله عز وجل^(١) !! وهكذا ينبغي أن يُعتقد في الحلاج قوله ذلك^(٢) ، ولو
علمنا أنه ذكر ذلك القول مُضمرًا لشيء من الحُلُولِ . . ردّناه كما نردّهم^(٣) .

(١) أو أنه يُسبِّح الله تعالى ويصفه بما وصّف به نفسه ، وهذا إن صحّ عنه ذلك ، وقد قال
أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٤٧٣) في سياق ردّه على ابن سالم البصري الذي
كان يقدح في أبي يزيد : (وقد قصدتُ بسطامَ ، وسألت جماعةً من أهل بيت أبي يزيد
رحمه الله عن هذه الحكاية ، فأنكروا ذلك وقالوا : « لا نعرف شيئاً من ذلك » ، ولولا
أنه شاع في أفواه الناس ودَوَّنوه في الكتب . . ما اشتغلتُ بذكر ذلك) .

(٢) ومثل ذلك ينبغي أن يُعتقد في أكثر المشايخ المُحقِّقين من ساداتنا الصوفية ؛ كالإمام
العارف محيي الدين بن عربي ، والإمام العارف الشاعر شرف الدين بن الفارض ،
وغيرهما ، وقال ابن الفارض في « تائيته الكبرى » : (من الطويل)

وها دُخِيَّةٌ وافى الأمينُ نبيَّنَا	بصورته في بدءٍ وخي النبوة
أجبريلُ قل لي كان دُخِيَّةٌ إذ بدا	لمُهْدِي الهدى في هيئة بشرية
وفي علمه عن حاضريه مزيَّةٌ	بماهيّة المرئي من غير مزية
يرى ملكاً يُوحى إليه وغيره	يرى رجلاً يُدعى لديه بصُحبة
ولي من أتم الرؤيتين إشارة	نُزّه عن رأي الحُلُولِ عقيدتي

انظر « ديوانه » (ص ٧٣) ، وما سيأتي تعليقاً (٢ / ٥٢٠) عن الحلاج .

(٣) وتحقيقه : أن العبد إذا وصل إلى مقام « فإذا أحببته كنتُ له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً » ،
وكان في غلبات غليان المحبة ، فصار فانياً بنفسه قائماً بربه ؛ وذلك عند ظهور نور
التجلي في باطنه . . فالحق سبحانه في تلك الحال يتولّى أمره وينطق بلسانه ، كما قال
عليه الصلاة والسلام : « الحق ينطق على لسانِ عمر » ، فما جرى [على] لسان الحسين
وأبي يزيد إخبار الحق سبحانه عن حقيقته وتزييه . من هامش (ج) ، وانظر تحرير
قول الحلاج وأبي يزيد البسطامي فيما أورده الإمام الحافظ الزبيدي في « إتحافه »
(٥٣٩-٥٤٠ / ٦) نقلاً عن الغزالي في « مشكاة الأنوار » و« المقصد الأسنى » ، وخبر
من تكلم فيما ورد عن أبي يزيد الإمام أبو نصر الطوسي في « اللمع » ؛ إذ أورد في آخره
أبواباً عديدة في تحقيق وتحرير ما نُقل عنه ونُسب إليه .

وقد أتانا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشريعةٍ بيضاءَ نقيَّةٍ ، يستقيمُ بها كلُّ مُعْوجٍّ ، وقد دلَّتنا عقولنا على ما يجوزُ وصفُ الله تعالى به وما لا يجوزُ .

واللهُ تعالى مُنَزَّهٌ أَنْ يَحِلَّ بِهِ شَيْءٌ ، أَوْ يَحِلَّ بِشَيْءٍ ؛ حتى لعلَّ بعضَ المفتونين^(١) يكونُ عندهُ ذكاءٌ وفطنةٌ غريزيَّةٌ ، ويكونُ قد سَمِعَ كلماتٍ تعلَّقتْ بباطنِهِ ، فيتألَّفُ لَهُ في فِكْرِهِ كلماتٌ ينسُبُها إلى الله تعالى ، وأنها مكالمةُ الله تعالى إيَّاه^(٢) ؛ مثلُ أَنْ يقولَ : (قالَ لي ، وقلتُ لَهُ) .

وهذا إمَّا رجلٌ جاهلٌ بنفسِهِ وحديثِها ، جاهلٌ برَبِّهِ وبكيفيةِ المُكالمةِ والمُحادثةِ ، وإمَّا عالمٌ ببطْلانِ ما يقولُ ، يحملُهُ هواهُ على الدَّعْوَى بذلك ؛ ليُوهِمَ أَنَّهُ قد ظَفَرَ بِشَيْءٍ ، وكلُّ هذا ضلالٌ .

ويكونُ سببُ تجرُّئه على هذا : ما سَمِعَ مِنْ كلامِ بعضِ المُحقِّقينَ مُخاطباتٍ وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ تعالى بعدَ طُولِ مُعاملاتٍ لَهُمْ ظاهرةٍ وباطنيةٍ ، وتمسُّكِهم بأصولِ القومِ ؛ مِنْ صِدْقِ التقوى ، وكمالِ الزُّهدِ في الدُّنيا ، فلمَّا صَفَتْ أَسْرَارُهُمْ تشكَّلتْ في سرائِرِهِم مُخاطباتٌ مُوافقةٌ للكتابِ والسُّنَّةِ ، نَزَلَتْ بِهِمْ تلكَ المُخاطباتُ عندَ استغراقِ السَّرائِرِ ، ولا يكونُ ذلكَ كلاماً يسمَعُونَهُ ، بل كحديثٍ في النَّفْسِ يَجِدُونَهُ^(٣) ، يَرَوْنَهُ مُوافِقاً للكتابِ والسُّنَّةِ ، مفهوماً عندَ أَهْلِهِ ، مُوافِقاً لِلْعِلْمِ .

(١) في نسخة على هامش (د) : (المفترين) .

(٢) بالتصوُّر والتقليد ، فتوهم الوصول إلى مقام المُحدِّثين والمُكلِّمين ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ في أمتي مُحدِّثين ومُكلِّمين ، وإنَّ عمرَ منهم » . من هامش (ج) .

(٣) أي : يُشبه حديث النفس في أَنَّهُ ليس بكلامٍ لفظيٍّ يَرُدُّ على القلب حين تميَّز القلب عن الروح المُستغرق في اليقظة ، أو بين النوم واليقظة . من هامش (ح) .

ويكون ذلك مُنْجَاةً لسرائرِهِمْ ، ومُنْجَاةً سرائِرِهِمْ إِيَّاهُمْ ، فَيُثَبِّتُونَ
لنَفْسِهِمْ مَقَامَ الْعُبُودِيَّةِ وَلِمَوْلَاهُمْ الرُّبُوبِيَّةَ ، فَيُضَيِّفُونَ مَا يَجِدُونَهُ إِلَى
نَفْسِهِمْ وَإِلَى مَوْلَاهُمْ ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَالِمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَإِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ حَادِثٌ أَخَذَهُ اللَّهُ فِي بَوَاطِنِهِمْ^(١) .

فَطَرِيقُ الْأَصْحَاءِ فِي ذَلِكَ : الْفِرَارُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَا تُحَدِّثُ
نَفْسُهُمْ بِهِ ، حَتَّى إِذَا بَرِئْتَ سَاحَتَهُمْ مِنَ الْهَوَى ، وَأَلْهِمُوا فِي بَوَاطِنِهِمْ
شَيْئًا . . يَنْسُبُونَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى نِسْبَةَ الْحَادِثِ إِلَى الْمُحْدِثِ ، لَا نِسْبَةَ الْكَلَامِ
إِلَى الْمُتَكَلِّمِ ؛ لِيُصَانُوا عَنِ الزَّيْغِ وَالتَّحْرِيفِ^(٢) .

وَمِنْ أَوْلَئِكَ : قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَغْرُقُونَ فِي بَحَارِ التَّوْحِيدِ^(٣) ،
وَلَا يُثَبِّتُونَ لِنَفْسِهِمْ حَرَكَةً وَفِعْلًا ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُجْبُورُونَ عَلَى الْأَشْيَاءِ ،
وَأَنْ لَا فِعْلَ لَهُمْ مَعَ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى^(٤) ، وَيَسْتَرْسِلُونَ فِي الْمَعَاصِي وَكُلِّ

(١) كما أحدث النطقَ على ألسنتهم . من هامش (ج) .

(٢) يعني : ما يجدونه في بواطنهم إلهامُ الحقِّ لهم بعد طُولِ المجاهدات ، وصفاء قلوبهم
بِالرِّيَاضَاتِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ حَيْثِيَّتَهُ بِعَنَايَةِ الرَّبِّ وَصَفَاءِ الْقَلْبِ ، وَيَنْسُبُونَهُ إِلَيْهِ نِسْبَةً
مَا حَدَّثَ إِلَى مُحْدِثِهِ ؛ لِتُصَانَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ عَنْ قَوْلِ مَا لَا يَجُوزُ إِلَى الْحَقِّ تَعَالَى شَأْنُهُ . مِنْ
هَامِشِ (ج) .

(٣) أَي : يَهْلِكُونَ فِيهَا ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ سِوَى اللَّهِ ، وَتَصَوُّرًا أَنَّ التَّوْحِيدَ نَفْيُ كُلِّ
فِعْلٍ سِوَى فِعْلِ اللَّهِ . مِنْ هَامِشِ (ج) ، وَبَحَارِ التَّوْحِيدِ ؛ أَي : تَوْحِيدِ الْأَفْعَالِ . مِنْ
هَامِشِ (ح) .

(٤) وَالْحَقُّ : أَنَّ الْإِنْسَانَ مُخْتَارٌ فِي فِعْلِهِ ، أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ فَيْضِ اخْتِيَارِهِ اخْتِيَارًا ، كَمَا أَعْطَاهُ
مِنْ فَيْضِ عِلْمِهِ عِلْمًا ، وَمِنْ فَيْضِ سَمْعِهِ سَمْعًا ، وَمِنْ بَصَرِهِ بَصَرًا ، وَكَذَا أَعْطَاهُ مِنْ
وُجُودِهِ وَجُودًا ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْإِخْتِيَارُ صِفَةً تَقْتَضِي اسْتِعْلَاءً وَاسْتِبْدَاءً . . يَظُنُّ مَنْ يَنْظُرُ
بِالنَّظَرِ الْقَاصِرِ عَنْ مَشَاهِدَةِ نُورِ الْقُدْرَةِ فِي الْحِكْمَةِ أَنَّ الْأَفْعَالَ الْإِخْتِيَارِيَّةَ تَصْدُرُ عَنِ الْعِبَادِ =

ما تدعو النفس إليه ، ويركنون إلى البطالة ودوام الغفلة ، والاغترار بالله تعالى ، والخروج من الملة ، وترك الحدود والأحكام ، والحلال والحرام .
 وقد سئل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن رجل كان يقول : أنا كالباب لا أتحرك إلا إذا حُرِّكت^(١) ، فقال : هذا لا يقوله إلا أحد رجلين : إما صديق ، أو زنديق .

لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله سبحانه وتعالى ، مع إحكام الأصول ، ورعاية حدود العبودية ، والزنديق يقول ذلك ؛ إحالة للأشياء على الله تعالى ، وإسقاطاً للآئمة عن نفسه ، وانخلاعاً عن الدين ورسمه .

فأما من كان معتقداً للحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، مُعْتَرِفاً بالمعصية إذا صدرت منه ، مُعْتَقِداً وجوب التوبة منها . . فهو سليم صحيح ، وإن كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ، ويستروح بهوى النفس إلى الأسفار والتردد في البلاد ، مُتَوَصِّلاً إلى تناول اللذائذ والشهوات ، غير مُتَمَسِّكٍ بشيخ يُؤدِّبُهُ ويَهْدِيهِ ، وَيُبَصِّرُهُ بعيب ما هو فيه ، والله الموفق والمعين^(٢) .



فقط ؛ وهم المعتزلة ، أو القاصر عن نور الحكمة في ظهور نور القدرة . . يظن أن الفعل لا يصدر إلا من الله بلا واسطة اكتساب العباد ؛ وهم الجبرية ، والعارف البصير يعرف أن الله حكيم قادر تقتضي حكمته ترتيب الأسباب ، وتقتضي قدرته تخريبها ؛ يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد . من هامش (ح) .

(١) في نسخة على هامش (د) : (كالبان) بدل (كالباب) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ في السادس على الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب العاشر

في شرح رتبة المشيخة^(١)

وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لئن شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ^(٢) ؛ أَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ : الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَيَّ عِبَادِهِ ، وَيُحِبُّونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ »^(٣) .

وهذا الذي ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هُوَ رُتْبَةُ الْمَشِيخَةِ والدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ يُحِبُّ اللَّهُ إِلَى عِبَادِهِ حَقِيقَةً ، وَيُحِبُّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

وَرُتْبَةُ الْمَشِيخَةِ مِنْ أَعْلَى الرُّتَبِ فِي طَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَنِيَابَةِ النُّبُوَّةِ فِي الدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) الْمَشِيخَةُ : جَمْعُ (الشَّيْخِ) ، وَالْمَشَايِخُ : جَمْعُ الْجَمْعِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) قَوْلُهُ : (لئن شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ) هِيَ إِشَارَةٌ : إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُقْسِمُ بِاللَّهِ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي « التَّنْبِيهِ وَالتَّوْبِيخِ » (ص ٢٢) مَرْسَلًا عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « الْأَوْلِيَاءِ » (٣٦) عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ . . .) .

فَأَمَّا وَجْهُهُ كَوْنِ الشَّيْخِ يُحِبُّ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ يَسْلُكُ
بِالْمُرِيدِ طَرِيقَ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْ صَحَّ اِقْتِدَاؤُهُ
بِرَسُولِ اللَّهِ وَاتَّبَاعُهُ أَحَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

وَوَجْهُهُ كَوْنُهُ يُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَسْلُكُ بِالْمُرِيدِ طَرِيقَ التَّزْكِيَةِ
وَالْتَحْلِيَةِ ، وَإِذَا تَزَكَّتِ النَّفْسُ اِنْجَلَتْ مِرْآةُ الْقَلْبِ ، وَانْعَكَسَ فِيهِ أَنْوَارُ الْعَظَمَةِ
الْإِلَهِيَّةِ ، وَلَا حَافِظَ فِيهِ جَمَالُ التَّوْحِيدِ ، وَانْجَذَبَتْ أَحْدَاقُ الْبَصِيرَةِ إِلَى مُطَالَعَةِ
جَلَالِ أَنْوَارِ الْقِدَمِ ^(١) ، وَرُؤْيَا الْكَمَالِ الْأَزَلِيِّ ، فَأَحَبَّ الْعَبْدُ رَبَّهُ لَا مُحَالَءَ ،
وَذَلِكَ مِيرَاثُ التَّزْكِيَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩] ،
وَفَلَاحُهَا ^(٢) بِالظَّفَرِ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَأَيْضاً : مِرْآةُ الْقَلْبِ إِذَا اِنْجَلَتْ لَاحَتْ فِيهَا الدُّنْيَا بِقُبْحِهَا وَحَقِيقَتِهَا
وَمَاهِيَّتِهَا ، وَلَاحَتْ الْآخِرَةُ وَنَفَائِسُهَا بِكُفْهِهَا وَغَايَتِهَا ، فَتَنَكَّشِفُ لِلْبَصِيرَةِ
حَقِيقَةُ الدَّارَيْنِ ، وَحَاصِلُ الْمَنْزِلَيْنِ ، فَيُحِبُّ الْعَبْدُ الْبَاقِيَ ، وَيَزْهَدُ فِي
الْفَانِي ، فَتُظْهَرُ فَائِدَةُ التَّزْكِيَةِ ، وَجَدْوَى الْمَشِيخَةِ وَالتَّزْيِينِ .

فَالشَّيْخُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ يُرْشِدُ بِهِ الْمُرِيدِينَ ، وَيَهْدِي بِهِ الطَّالِبِينَ .

(٢٩) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ عَلِيٍّ بِهَمْذَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ

(١) اِنْجَذَبَتْ ؛ أَيِ : اِمْتَدَّتْ . مِنْ هَامِش (و) ، وَفِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ي) : (جَلَالِ
الْقَدَمِ) بَدَلَ (جَلَالِ أَنْوَارِ الْقَدَمِ) ، وَفِي (ط) : (أَنْوَارِ جَلَالِ الْقَدَمِ) .

(٢) أَيِ : فَلَاحُ النَّفْسِ . مِنْ هَامِش (و) .

علي بن أحمد الطوسي ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عُتْبَةَ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا صفوان بن
 عمرو ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْأَزْهَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرِ
 صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كَانَ يُقَالُ : إِذَا اجْتَمَعَ
 عَشْرُونَ رَجُلًا أَوْ أَكْثَرُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يُهَابُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . . فَقَدْ حَضَرَ
 الْأَمْرُ)^(٢) .

فعلى المشايخ وقار الله تعالى ، وبهم يتأدب المریدون ظاهراً وباطناً ؛
 قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةِ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

فالمشايخ لما اهتموا أهلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة المتقين ؛ قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه تعالى : « إِذَا كَانَ الْغَالِبُ عَلَى
 عَبْدِي الْأُسْتِغَالِ بِي . . جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتُهُ فِي ذِكْرِي^(٣) ، فَإِذَا جَعَلْتُ هَمَّهُ وَلَذَّتُهُ
 فِي ذِكْرِي^(٤) . . عَشِقَنِي وَعَشِقْتُهُ ، وَرَفَعْتُ الْحِجَابَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، لَا يَسْهُو
 إِذَا سَهَا النَّاسُ ، أُولَئِكَ كَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَنْبِيَاءِ ، أُولَئِكَ الْأَبْدَالُ حَقًّا^(٥) ،

(١) في بعض النسخ : (أبو عينة) ، والصواب المثبت ، وأبو عتبة : هو الإمام المعمار
 المحدث أحمد بن الفرج بن سليمان الكندي الحمصي الحجازي المؤذن (ت
 ٢٧١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢ / ٥٨٤) .

(٢) أي : أشرف على موجب الهلاك . من هامش (ج) ، والحديث أسنده عن الحافظ
 المقدسي في « صفوة التصوف » (١٢٦) ، ورواه أحمد (١٨٨ / ٤) ، والطبراني في
 « مسند الشاميين » (١٠٠٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٦٥٨) .

(٣) في (د) : (همومه) بدل (همه) ، وفي (ي) : (همته) .

(٤) في (د ، هـ) : (همته) بدل (همه) .

(٥) في (د ، ح ، ي) : (الأبطال) بدل (الأبدال) ، وكذلك هو في « الحلية » ، =

أُولَئِكَ الَّذِينَ إِذَا أَرَدْتُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عُقُوبَةً أَوْ عَذَابًا . . ذَكَرْتُهُمْ فَصَرَفْتُهُ بِهِمْ عَنْهُمْ» (١) .

والسِّرُّ في وصولِ السَّالِكِ إلى رُتْبَةِ الْمَشِيخَةِ : أَنَّ السَّالِكَ مَأْمُورٌ بِسِيَاسَةِ النَّفْسِ (٢) ، مُبْتَلَى بِصِفَاتِهَا ، لَا يَزَالُ يَسْلُكُ بِصِدْقِ الْمُعَامَلَةِ حَتَّى تَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ (٣) ، وَبَطْمَأْنِينَتِهَا يُنْتَزَعُ عَنْهَا الْبُرُودَةُ وَالْيُبُوسَةُ الَّتِي اسْتَصْحَبَتْهَا مِنْ أَصْلِ خَلْقِهَا ، وَبِهَا تَسْتَعِصِي عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْانْقِيَادِ لِلْعُبُودِيَّةِ .

فَإِذَا زَالَتِ الْيُبُوسَةُ عَنْهَا ، وَلَانَتْ بِحَرَارَةِ الرُّوحِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْهَا (٤) ، وَهَذَا اللَّيْنُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] . . تُجِيبُ إِلَى الْعِبَادَةِ ، وَتَلِينُ لِلطَّاعَةِ عِنْدَ ذَلِكَ .

وَقَلْبُ الْعَبْدِ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ، ذُو وَجْهَيْنِ ؛ أَحَدُ وَجْهَيْهِ إِلَى النَّفْسِ ، وَالْوَجْهُ الْآخَرُ إِلَى الرُّوحِ ، يَسْتَمِدُّ مِنَ الرُّوحِ بِوَجْهِهِ الَّذِي يَلِيهِ ،

والأبطال : جمع (بَطَل) ؛ وهو الشجاع ، فهؤلاء الموصوفون هم الشجعان في محاربة النفس والشیطان ، ولا يُبَالُونَ بِبَذْلِ الرُّوحِ لَنَيْلِ الْغَنِيمَةِ وَالْفَتْوحِ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمَوَاصِلَةِ ، لَيْسَ لَهُمْ جُبْنٌ وَإِحْجَامٌ ، وَلَا انْصِرَافٌ وَانْهْزَامٌ . من هامش (ح) .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٦٥ / ٦) مرسلًا عن الحسن البصري رحمه الله تعالى ، وقال أبو نعيم : (كذا رواه عبد الواحد عن الحسن مرسلًا ، وهذا الحديث خارج من جملة الأحاديث المراسيل المقبولة عن الحسن ؛ لمكان محمد بن الفضل وعبد الواحد ، وما يرجعان إليه من الضعف) ، وذكر الغماري في « غنية العارف » (١٣٦ / ١) أنه لم يجده .

(٢) السياسة : المحافظة ؛ تقول : سُئِنْتُ الْقَوْمَ أَسُوسَهُمْ سِيَاسَةً : إِذَا وُلِّيتَ تَدْبِيرَهُمْ وَأَمْرَهُمْ . من هامش (ج) .

(٣) وتذهب عنها الأخلاق الذميمة . من هامش (ج) .

(٤) في بعض النسخ : (الواصل إليها) .

وَيُمِذُّ النَّفْسَ بِوَجْهِهِ الَّذِي يَلِيهَا ؛ حَتَّى تَطْمَئِنَّ النَّفْسُ ، فَإِذَا اطمَأْنَتْ نَفْسُ السَّالِكِ ، وَفَرَّغَ مِنْ سِيَاسَتِهَا انْتَهَى سُلُوكُهُ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ سِيَاسَةِ النَّفْسِ ، وَانْقَادَتْ نَفْسُهُ ، وَفَاءَتْ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

ثُمَّ الْقَلْبُ يَشْرِبُ إِلَى السِّيَاسَةِ^(١) ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى النَّفْسِ ، فَتَقُومُ نَفُوسُ الْمُرِيدِينَ وَالطَّالِبِينَ وَالصَّادِقِينَ عِنْدَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ ؛ لَوْجُودِ الْجِنْسِيَّةِ فِي عَيْنِ النَّفْسِيَّةِ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَوْجُودِ التَّأَلُّفِ بَيْنَ الشَّيْخِ وَالْمُرِيدِ مِنْ وَجْهِهِ بِالتَّأَلِيفِ الْإِلَهِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٣] .

فَيَسُوسُ^(٢) نَفُوسَ الْمُرِيدِينَ كَمَا كَانَ يَسُوسُ نَفْسَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَيَكُونُ فِي الشَّيْخِ حِينَئِذٍ مَعْنَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ مِنْ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاكِيًا عَنْ رَبِّهِ : « أَلَا طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إِلَى لِقَائِي ، وَإِنِّي إِلَى لِقَائِهِمْ لَأَشَدُّ شَوْقًا »^(٣) ، وَبِمَا هَيَّأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حُسْنِ التَّأَلِيفِ بَيْنَ الصَّاحِبِ وَالْمَصْحُوبِ يَصِيرُ الْمُرِيدُ جِزَاءَ الشَّيْخِ ، كَمَا أَنَّ الْوَلَدَ جِزَاءُ

(١) يُقَالُ : اشْرَابْتُ لِلشَّيْءِ : مَدَّ عُنْقَهُ لِيَنْظُرَ . مِنْ هَامِش (ج ، و) .

(٢) أَي : يُصْلِحُ بِالرَّعَايَةِ . مِنْ هَامِش (ح) .

(٣) يَعْنِي : هُمْ يَحْبُونَنِي وَيُعْظُمُونَنِي وَيُثْنُونَ عَلَيَّ مَعَ عَجْزِهِمْ وَقُصُورِهِمْ ، وَإِنِّي أُحِبُّهُمْ وَأُعْظِمُهُمْ وَأُثْنِي عَلَيْهِمْ فِي مَلَائِكَتِي ، وَإِنَّ صَنِيعِي بِهِمْ أَبْلَغُ لَهُمْ وَأَكْثَرُ ؛ لِأَنِّي قَادِرٌ عَلَى مَا أَشَاءُ . مِنْ هَامِش (ح) ، وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ فِي « الْفَرْدُوسِ » (٨٠٦٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » (١٩٣ / ١٠) عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّسْتَرِيِّ يَحْكِيهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٥٠٧) ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٨٣) عَنْ سَيِّدِنَا عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلْفَظٍ : « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ » ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةَ الْعَارِفِ » (١٣٨ / ١) .

الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة أنفأ ولادة معنوية ، كما ورد
عن عيسى عليه السلام : (لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين) .

فبالولادة الأولى^(١) يصير له ارتباط بعالم الملك ، وبهذه الولادة يصير له
ارتباط بالملكوت ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] .

وصرف اليقين على الكمال يحصل في هذه الولادة ، وبهذه الولادة
يستحق ميراث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن لم يصله ميراث
الأنبياء عليهم السلام . . ما ولد^(٢) وإن كان على كمال من الفطنة
والذكاء^(٣) ؛ لأن الفطنة والذكاء نتيجة العقل^(٤) ، والعقل إذا كان يائساً من
نور الشرع لا يدخل الملكوت ، ولا يزال متردداً في الملك ؛ ولهذا
وقف^(٥) على برهان من العلوم الرياضية^(٦) ؛ لأنه تصرف في الملك ولم
يرتق إلى الملكوت .

والملك ظاهر الكون ، والملكوت باطن الكون ، والعقل لسان الروح^(٧) ،

(١) أي : ولادة المريد مع الشيخ . من هامش (ح) .

(٢) أي : ولادة معنوية . من هامش (ح) .

(٣) كحكماء الفلاسفة مثلاً .

(٤) يحتمل في (ب) : (منحة) بدل (نتيجة) .

(٥) أي : العقل .

(٦) أي : المصطلحة المسماة عند الناس : (رياضية) ؛ وهي المعقولات نتائج الأفكار ،
وثمرات الأنظار العريّة عن الأنوار . من هامش (ح) .

(٧) قال الشيخ رحمه الله : العقل قسمان : عقل حال بنور الهداية ، وعقل مكحل بنور
الهداية ومنزل العقل الأول وخلاصته ، وأولو الألباب أصحاب هذا العقل ، وهو لسان =

والبصيرة التي تنبعث منها أشعة الهداية قلب الروح^(١) ، واللسان ترجمان القلب ، فكل ما ينطق به الترجمان^(٢) معلوم عند من يترجم عنه ، وليس كل ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان .

فهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العريّة عن نور الهداية الذي هو موهبة الله تعالى عند الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم . . الصواب^(٣) ، وأسبل دونهم الحجاب ؛ لوقوفهم مع الترجمان ، وحرمانهم غاية التبيان .

وكما أنّ في الولادة الطبيعية ذرات الأولاد في صلب الأب مودعة ، ينتقل إلى أصلاب الأولاد بعدد كل ولد ذرة ، وهي الذرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بـ ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] ؛ حيث مسح ظهر آدم عليه السلام وهو ملقى بطن نعمان بين مكة والطائف ، فسالت الذرات من مسام جسده - كما يسيل العرق - بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة ، ثم لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم^(٤) ؛ فمن الآباء من تنفذ الذرات في

= الروح ، فكل إدراك يكون لهذا العقل فذلك من نور الروح المنور بنور الحق .

وكذلك البصيرة قسمان : الأول : بصيرة القلب ؛ وهو ما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] ، ووجدان التوحيد والدين بهذه البصيرة ، الثاني : بصيرة يظهر منها أشعة الهداية إلى ذات الحق وحقيقة التوحيد ومعرفة الصفات ؛ وهي قلب الروح وخلاصته ولبّه . من هامش (ج) .

(١) لما كانت البصيرة صفة القلب . . سمّاها قلباً ؛ تسمية للصفة باسم الموصوف . من هامش (ح) .

(٢) أي : العقل أو اللسان . من هامش (ح) .

(٣) قوله : (الصواب) هو مفعول ثانٍ لقوله : (حرم) ، ومفعوله الأوّل هو (الواقفون) نائب الفاعل .

(٤) انظر ما سبق (١ / ١٧٥ - ١٧٧) .

صُلْبِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ تُودَعْ فِي صُلْبِهِ ، فَيَنْقَطِعُ نَسْلُهُ .

هكذا في المشايخ ؛ مِنْهُمْ مَنْ يَكْثُرُ أَوْلَادُهُ^(١) ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُ الْعُلُومَ وَالْأَحْوَالَ ، وَيُودِعُونَهَا غَيْرَهُمْ كَمَا وَصَلْتُ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَاسِطَةِ الصُّحْبَةِ^(٢) ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَقَلَّ أَوْلَادُهُ^(٣) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْقَطِعُ نَسْلُهُ .

وهذا النَّسْلُ هُوَ الَّذِي رَدَّ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ ؛ حَيْثُ قَالُوا : مُحَمَّدٌ أَبْتَرُ لَا نَسْلَ لَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] ^(٤) ، وَإِلَّا فَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْلُهُ بَاقٍ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ .

وَبالنِّسْبَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ يَصِلُ مِيرَاثُ الْعِلْمِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ .

(٣٠) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورْدِيُّ إِمْلَاءً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَالِينِيُّ^(٥) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا

(١) أي : المعنوية ؛ وهي الولادة الثانية ، أُودِعَ فِي صُلْبٍ مَعْنَاهُ ذَرَأَتْ الْأَوْلَادَ الْمَعْنَوِيَّةَ .
من هامش (ج) .

(٢) أي : الصُّحْبَةُ الْمُتَّصِلَةُ بِالْوَسَائِطِ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . من هامش (ح) .

(٣) لِأَنَّهُ لَمْ تُودَعْ فِي صُلْبٍ مَعْنَاهُ الذَّرَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ إِلَّا قَلِيلًا . من هامش (ج) .

(٤) انظر « تفسير الطبري » (٢٤ / ٦٥٧ - ٦٥٨) ، وَفِي هَامِشِ (ج) : (شَانِئُكَ ؛ أَي : مَبْغُضُكَ هُوَ الْمُنْقَطِعُ لَا نَسْلَ لَهُ مَعْنَوِيًّا وَلَا صُورِيًّا ؛ لِانْقِطَاعِهِ بِالْإِسْلَامِ ، وَانْقِطَاعِ ذِكْرِهِ بَيْنَ الْأَنْبَاءِ ، وَأَنْ يُذَكَرَ بِاللَعْنَةِ وَالْانْقِرَامِ) .

(٥) الْمَالِينِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى (مَالِينَ) ؛ وَهِيَ قَرْيَةٌ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أَعْمَالِ هَرَّاءَ إِحْدَى أُمَمَاتِ مَدَنِ خِرَاسَانَ ، وَالْمَالِينِيُّ : هُوَ مُسْنَدُ الدُّنْيَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَوْ أَبُو الْوَقْتِ مُحَمَّدٌ أَوْ عَبْدِ الْأَوَّلِ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَيْسَى بْنُ شُعَيْبٍ السُّجَزِيُّ الْهَرَوِيُّ الْمَالِينِيُّ (ت ٥٥٣ هـ) ، وَسَبَبُهُ عَلَى الْإِخْتِلَافِ فِي كُنْيَتِهِ وَاسْمِهِ فِي (٢ / ٤٤) ، وَانْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٢٠ / ٣٠٣) ، =

أبو الحسن الدَّأودِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَمَوِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرَانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ ، عَنْ عَاصِمِ [بْنِ] رَجَاءِ بْنِ حَيَّوَةَ^(٣) ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِساً مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أبا الدَّرْدَاءِ ؛ إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةً ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : لَا .

قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْماً . سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ »

= « معجم البلدان » (٤٤ / ٥) ، و « اللباب في تهذيب الأنساب » (١٥٥ / ٣) .

(١) الْحَمَوِيُّ : هُوَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْمُسْنَدُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّوَيْهِ السَّرَخْسِيِّ (ت ٣٨١هـ) ، وَالْحَمَوِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى جَدِّهِ (حَمَّوَيْهِ) ، وَجَاءَ فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (و) : (الْحَمَوِي) ، وَضُبُّهُ فِي بَعْضِهَا بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْوَاوِ ، وَهُوَ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ الْمَثْبُوتُ ، وَانْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٤٩٢ / ١٦) ، و « اللباب في تهذيب الأنساب » (٣٩٢ / ١) .

(٢) هُوَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الْمُسْنَدُ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو صَاحِبُ أَبِي مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيِّ صَاحِبِ « الْمُسْنَدِ » ، كَانَ حَيّاً بِسَمَرْقَنْدَ سَنَةَ (٣٢٠هـ) ، وَانْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٤٨٧ / ١٤) .

(٣) هُوَ الْكَنْدِيُّ الْفَلَسْطِينِيُّ (ت بَعْدَ ١٤١هـ) ، يَرْوِي عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَمِيلٍ وَغَيْرِهِ ، وَانْظُرْ « تَهْذِيبُ الْكَمَالِ » (٤٨٣ / ١٣) ، وَفِي النِّسْخِ : (عَنْ رَجَاءِ) بَدَلَ (بَنِ رَجَاءِ) ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَصَادِرِ تَخْرِيجِهِ الْآتِيَةِ .

وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ النُّجُومِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ^(١) ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظِّهِ ، أَوْ بِحَظِّ وَافِرٍ^(٢) .

فَأَوَّلُ مَا أُودِعَتِ الْحِكْمَةُ وَالْعِلْمُ : عِنْدَ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهُ ، كَمَا انْتَقَلَ مِنْهُ النَّسِيَانُ وَالْعِصْيَانُ ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ ، كَمَا وَرَدَ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ جَبْرِيلَ حَتَّى أَخَذَ قَبْضَةً مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ^(٣) .

وَاللَّهُ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى الْأَجْزَاءِ الْأَرْضِيَّةِ الَّتِي كَوَّنَهَا مِنَ الْجَوْهَرَةِ الَّتِي خَلَقَهَا أَوَّلًا ، فَصَارَ مِنْ مَوَاقِعِ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهَا فِيهَا خَاصِّيَّةُ السَّمَاعِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْجَوَابِ ؛ حَيْثُ خَاطَبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] .

فَحَمَلْتُ أَجْزَاءَ الْأَرْضِ بِهَذَا الْخُطَابِ خَاصِّيَّةً^(٤) ، ثُمَّ انْتَزَعْتُ هَذِهِ الْخَاصِّيَّةَ مِنْهَا بِأَخْذِ أَجْزَائِهَا لِتَرْكِيبِ صُورَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَرُكِّبَ جَسَدُ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ مُحتَوِيَةٍ عَلَى هَذِهِ الْخَاصِّيَّةِ .

(١) فِي (أ ، د ، ز) : (أَوْرَثُوا) بَدَلَ (وَرَثُوا) .

(٢) مَسْنَدُ الدَّارِمِيِّ (٣٥٤) ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٤١) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٨٢) ، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٢٣) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٩٣) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٥٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ (١٧٦ / ١) ، وَ« غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (١٤١ / ١ - ١٤٢) .

(٤) أَيِ : خَاصِّيَّةِ السَّمَاعِ وَالْجَوَابِ . مِنْ هَامِشِ (ج) .

فَمِنْ حَيْثُ نِسْبَةُ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ تَرَكَّبَ فِيهِ الْهُوَى ؛ حَتَّى مَدَّ يَدَهُ إِلَى شَجَرَةِ
الْفَنَاءِ ؛ وَهِيَ شَجَرَةُ الْحِنْطَةِ فِي أَكْثَرِ الْأَقَاوِيلِ^(١) ، فَتَطَرَّقَ إِلَى قَالِبِهِ الْفَنَاءُ ،
وَيَاكِرَامَ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ بِنَفْخِ الرُّوحِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩] . نَالَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ ؛ فَبِالتَّسْوِيَةِ صَارَ ذَا نَفْسٍ
مَنْفُوسَةٍ ، وَبِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ صَارَ ذَا رُوحٍ رُوحَانِيٍّ ، وَشَرَحَ هَذَا بِطَوَّلٍ .

فَصَارَ قَلْبُهُ مَعْدِنَ الْحِكْمَةِ ، وَقَالِبُهُ مَعْدِنَ الْهُوَى ، فَانْتَقَلَ مِنْهُ الْعِلْمُ
وَالْهُوَى ، وَصَارَ مِيرَاثُهُ فِي وَلَدِهِ ؛ فَصَارَ مِنْ طَرِيقِ الْوِلَادَةِ الظَّاهِرَةِ أَبًا بِوَاسِطَةِ
الطَّبَائِعِ الَّتِي هِيَ مَحْتَدُ الْهُوَى^(٢) ، وَمِنْ طَرِيقِ الْوِلَادَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ أَبًا بِوَاسِطَةِ
الْعِلْمِ .

فَالْوِلَادَةُ الظَّاهِرَةُ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا الْفَنَاءُ ، وَالْوِلَادَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ مَحْمِيَّةٌ مِنَ الْفَنَاءِ ؛
لَأَنَّهَا وَجَدَتْ مِنْ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ، وَهِيَ شَجَرَةُ الْعِلْمِ ، لَا شَجَرَةُ الْحِنْطَةِ الَّتِي
سَمَّاها إِبْلِيسُ شَجَرَةَ الْخُلْدِ ، فِإِبْلِيسُ يُرِي الشَّيْءَ بَضْدهِ .

فَتَبَيَّنَ : أَنَّ الشَّيْخَ هُوَ الْأَبُ مَعْنَى .

وَكثِيرًا كَانَ شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) وَهُوَ قَوْلُ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرِ الْأَقْوَالَ فِي ذَلِكَ فِي « تَفْسِيرِ
الطَّبْرِيِّ » (١ / ٥١٦ - ٥٢٠) ، وَ« النِّكَتِ وَالْعَيُونِ » (١ / ١٠٥) ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ بَعْدَ
ذِكْرِ الْأَقْوَالِ : (فَالْصَّوَابُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَهَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ عَنْ أَكْلِ
شَجَرَةٍ بَعَيْنِهَا مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ دُونَ سَائِرِ أَشْجَارِهَا ، فَخَالَفَا إِلَى مَا نَهَاَهُمَا اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَكَلَا
مِنْهَا كَمَا وَصَفَهُمَا اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِهِ ، وَلَا عِلْمَ عِنْدَنَا أَيُّ شَجَرَةٍ كَانَتْ عَلَى التَّعْيِينِ ؛
لَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ لِعِبَادِهِ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ ، فَأَتَى يَأْتِي
ذَلِكَ !؟) .

(٢) الْمَحْتَدُ : الْأَصْلُ .

يقول : (ولدي : مَنْ سَلَكَ طريقي واهتدى بهدي) .

فالشيخُ الذي يُكتسبُ بطريقِهِ الأحوالُ : قد يكونُ مأخوذاً في ابتدائه في طريقِ المُحبِّينَ ، وقد يكونُ مأخوذاً في طريقِ المحبوبينَ ؛ وذلكَ أنَّ أمرَ الصالحينَ والسالكينَ ينقسمُ أربعةَ أقسامٍ : سالكٌ مُجرَّدٌ ، ومجذوبٌ مُجرَّدٌ ، وسالكٌ مُتدارِكٌ بالجذبَةِ ، ومجذوبٌ مُتدارِكٌ بالسُّلوكِ .

فالسالكُ المُجرَّدُ : لا يُؤَهِّلُ للمشيخةِ ولا يبلغُها ؛ لبقاءِ صفاتِ نفسِهِ عليه ، فيقفُ عندَ حظِّهِ مِنْ رحمةِ اللهِ في مقامِ المُعاملةِ والرياضَةِ ، ولا يرتقي إلى حالِ يُروِّحُ بها عن وَهَجِ المُكابدةِ^(١) .

والمجذوبُ المُجرَّدُ مِنْ غيرِ سلوكٍ : يُبَادِئُهُ الحقُّ بآياتِ اليقينِ ، ويرفعُ عن قلبِهِ شيئاً مِنَ الحجابِ^(٢) ، ولا يُؤَخِّذُ في طريقِ المُعاملةِ ، وللمعاملةِ أثرٌ تامٌّ سوفَ نشرُّهُ في موضعِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

وهذا أيضاً لا يُؤَهِّلُ للمشيخةِ ، ويقفُ عندَ حظِّهِ مِنَ اللهِ تعالى ، مُروِّحاً بحالِهِ ، غيرَ مأخوذٍ في طريقِ أعمالِهِ ، ما عدا الفريضةَ .

والسالكُ الذي تُدَوِّركَ بالجذبَةِ^(٣) : هو الذي كانتْ بدايتهُ المُجاهدةَ والمُكابدةَ والمُعاملةَ بالإخلاصِ والوفاءِ بالشُّروطِ ، ثمَّ أُخْرِجَ مِنْ وَهَجِ

(١) الوَهَجُ في الأصلِ : حرُّ النارِ .

(٢) وإنَّما قال : (شيئاً من الحجاب) ؛ لأنَّ ارتفاعَ الحجابِ بالكُلِّيَّةِ مُرتَّبٌ على تصحيحِ المقاماتِ التي بها يستعدُّ السالكُ لفيضِ أنوارِ الصفاتِ ، وبها يتهيأُ لتجلِّي الذاتِ الرافعِ عن سرِّ القلبِ الحجابِ من جميعِ الجهاتِ . من هامش (ح) .

(٣) في (د) : (تداركه اللهُ تعالى) بدل (تُدَوِّركَ) .

المُكابدة إلى رَوْحِ الحالِ ، فَوَجَدَ العسلَ بعدَ العَلقمِ ، وتَرَوَّحَ بِنَسَمَاتِ
الْفَضْلِ ، وَبَرَزَ مِنْ مَضِيقِ المُكابدةِ إلى مُتَّسِعِ المُساهلةِ ، وأُونِسَ بِنَفَحَاتِ
القُرْبِ ، وَفُتِحَ لَهُ بَابُ مِنَ المُشاهدةِ .

فَوَجَدَ دَوَاءَهُ ، وَفَاضَ وَعَاوُهُ ، وَصَدَرَتْ مِنْهُ كَلِمَاتُ الْحِكْمَةِ ، وَمَالَتْ
إِلَيْهِ الْقُلُوبُ ، وَتَوَالَى عَلَيْهِ فَتُوحُ الْغَيْبِ ، وَصَارَ ظَاهِرُهُ مُسَدِّدًا وَبَاطِنُهُ
مُشَاهِدًا ، وَصَلَحَ لِلجَلْوَةِ^(١) ، وَصَارَ لَهُ فِي جَلْوَتِهِ خَلْوَةٌ ، فَيَغْلِبُ
وَلَا يُغْلَبُ ، وَيَفْتَرَسُ وَلَا يُفْتَرَسُ .

وَمِثْلُ هَذَا يُؤَهِّلُ لِلْمَشِيخَةِ ؛ لِأَنَّهُ أُخِذَ فِي طَرِيقِ الْمُحْيَيْنِ ، وَمُنِحَ حَالًا
مِنْ أَحْوَالِ الْمُقَرَّبِينَ ، بَعْدَمَا دَخَلَ مِنْ طَرِيقِ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ وَالصَّالِحِينَ ،
وَيَكُونُ لَهُ أَتْبَاعٌ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَيْهِمْ عِلْمٌ ، وَيُظْهِرُ بِطَرِيقِهِ بَرَكَةً ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ
مَحْبُوسًا فِي حَالِهِ ، مُحَكَّمًا حَالُهُ فِيهِ ، لَا يُطْلَقُ مِنْ وَثَاقِ الْحَالِ ، وَلَا يِلْغُ
كَمَالَ النَّوَالِ^(٢) ، يَقِفُ عِنْدَ حَظِّهِ ؛ وَهُوَ حَظٌّ وَافِرٌ سَنِيٌّ ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٌ .

وَلَكِنَّ الْمَقَامَ الْأَكْمَلَ فِي الْمَشِيخَةِ : الْقِسْمُ الرَّابِعُ ؛ وَهُوَ الْمَجْذُوبُ
الْمُتَدَارِكُ بِالسُّلُوكِ ، يُبَادِئُهُ الْحَقُّ بِالْكَشُوفِ وَأَنْوَارِ الْيَقِينِ ، وَيَرْفَعُ عَنْ قَلْبِهِ

(١) الْجَلْوَةُ : ضِدَّ الْخَلْوَةِ ؛ وَهِيَ خُرُوجُ الْعَبْدِ مِنَ الْخَلْوَةِ بِالنُّعُوتِ الْإِلَهِيَّةِ ؛ إِذْ عَيْنُ
الْعَبْدِ وَأَعْضَاؤُهُ مَمْحُوءَةٌ عَنِ الْإِنَانِيَّةِ ، وَالْأَعْضَاءُ مُضَافَةٌ إِلَى الْحَقِّ بِلا عَبْدٍ ؛ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال : ١٧] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] . انظر « التعريفات » (ص ٦٩) .

(٢) بَأَن يَكُونُ حَاكِمًا عَلَى الْحَالِ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْجَمْعِ فِي التَّفَرُّقَةِ ، لَا يَشْغَلُ سِرُّهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ
شَيْءٌ ، يَكُونُ حَالُهُ فِي جَلْوَتِهِ كَحَالِهِ فِي خَلْوَتِهِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

الحُجُب ، ويستنيرُ بأنوارِ المُشاهدة ، وينشرحُ وينفسحُ قلبُهُ ، ويتجافى عن دارِ الغُرورِ ، ويُنيبُ إلى دارِ الخُلودِ^(١) ، ويرتوي من بحرِ الحالِ ، ويتخلَّصُ مِنَ الأَغلالِ والأَغلالِ ، ويقولُ مُعلنًا : لا أعبدُ ربًّا لم أرهُ .

ثمَّ يُفيضُ من باطنِهِ على ظاهرِهِ ، وتجري عليه صورةُ المُجاهدةِ والمُعاملةِ من غيرِ مُكابدةٍ وعناءٍ ، بل بلذَّاذةٍ وهناءٍ ، ويصيرُ قلبُهُ بصفةِ قلبِهِ ؛ لامتلاءِ قلبِهِ بحُبِّ رَبِّهِ ، ويلينُ جلدهُ كما لانَ قلبُهُ .

وعلاوةً لِنِ جلدِهِ : إجابةُ قلبِهِ للعملِ كإجابةِ قلبِهِ ؛ فيزيدهُ اللهُ تعالى إرادةً خاصَّةً ، ويرزقُهُ محبةً خاصَّةً من محبةِ المحبوبينَ المُرادينَ ؛ ينقطعُ فيواصلُ ، ويُعرضُ فيُراسِلُ^(٢) ، يذهبُ عنه جمودُ النَّفسِ ، ويصْطَلِي بحرارةِ الرُّوحِ^(٣) ، وينكمشُ عن قلبِهِ عُروقُ النَّفسِ ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿ اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَّشِعُرٍ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

(١) قال في « شرح المشكلات » (ق/٢٦) : (هذه الألفاظ مأخوذة من قول النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « إذا دخلَ النورُ الصدرَ . انشرحَ وانفسحَ » ، قيل : هل لذلك من علامة ؟ قال : « نعم » ، التجافى عن دارِ الغرورِ ، والإنابةُ إلى دارِ الخلودِ ، والاستعدادُ للموتِ قبلَ نزولِهِ » ، والحديث رواه الحاكم (٣١١ / ٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٤٣١٥) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « تخريج أحاديث الكشاف » (٢٠١ / ٣ - ٢٠٣) .

(٢) يُشير : إلى التنبهات الإلهية في مواقع ظهور الطبع ؛ صوناً له عن الانقطاع ، والإلهامات الملكية في مواضع الغفلات ؛ عوناً له على الاستدراك بالمنامات الصادقة ، والواقعات الصحيحة ، والمخاطبات الصريحة . من هامش (ح) .

(٣) بصطلي : يستدفي .

أخبر : أنَّ الجلودَ تَلِينُ ، كما أنَّ القلوبَ تَلِينُ ، ولا يكونُ هذا إلا حالَ
المحجوبِ المرادِ .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : أنَّ إبليسَ سألَ السبيلَ إلى القلبِ ، فقيلَ له : يحرمُ
عليكَ ، ولكنَّ السبيلَ لك في مجاري العُرُوقِ المُشْتَبِكَةِ بالنَّفْسِ إلى حَدِّ
القلبِ ، فإذا دخلتَ العُرُوقَ عَرِقَتْ فيها مِنْ ضيقِ مَجاريها ، وامتزجَ عَرَقُكَ
بماءِ الرحمةِ المُترشِّحِ مِنْ جانبِ القلبِ في مَجْرَى واحدٍ ، ويصلُ بذلك
سلطانُكَ إلى القلبِ .

وَمَنْ جعلتهُ نبيّاً أو وليّاً قَلَعْتُ تلكَ العُرُوقَ مِنْ باطنِ قلبِهِ ، فيصيرُ القلبُ
سليماً ، فإذا دخلتَ العروقَ لم تَصِلْ إلى المُشْتَبِكَةِ بالقلبِ ؛ فلا يَصِلُ إلى
القلبِ سلطانُكَ .

فالمحبوبُ المرادُ الذي هو أَهْلٌ لِلْمَشِيخَةِ^(١) . . سَلِمَ قلبُهُ ، وانشرحَ
صدرُهُ ، ولانَ جلدُهُ ، فصارَ قلبُهُ بطَبَعِ الرُّوحِ ، ونَفْسُهُ بطَبَعِ القلبِ ، ولانتِ
النفسُ بعدَ أن كانتَ أَمَّارَةً بالسُّوءِ مُستعصِيَةً ، ولانَ الجلدُ لِلنَّفْسِ ، ورُدَّ
إلى صُورِ الأعمالِ بعدَ وَجْدانِ الحالِ .

ولا تزالُ روحُهُ تنجذبُ إلى الحَضرةِ الإلهيةِ ؛ فيستبَعُ الرُّوحُ القلبَ ،
ويستبَعُ القلبُ النفسَ ، وتستبَعُ النفسُ القالبَ ، فامتزجتِ الأعمالُ القلبيةُّ
والقالبيةُ ، وانخرقَ الظاهرُ إلى الباطنِ ، والباطنُ إلى الظاهرِ ، والقُدرةُ إلى
الحكمةِ ، والحكمةُ إلى القُدرةِ ، والدُّنيا إلى الآخرةِ ، والآخرةُ إلى الدُّنيا ،

(١) في (ب ، د) : (الذي أَهْلٌ) بدل (الذي هو أَهْلٌ) .

وَيَصْحُ لَهُ أَنْ يَقُولَ : (لَوْ كُشِفَ الْغَطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِينًا)^(١) .

فَعِنْدَ ذَلِكَ يُطْلَقُ مِنْ وَثَاقِ الْحَالِ ، وَيَكُونُ مُسَيِّطَرًا عَلَى الْحَالِ ، لَا الْحَالُ مُسَيِّطَرًا عَلَيْهِ ، وَيَصِيرُ حُرًّا مِنْ كُلِّ وَجْهِ .

وَالشَّيْخُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَخَذَ فِي طَرِيقِ الْمُحِبِّينَ . . حُرٌّ مِنْ رِقِّ النَّفْسِ ، وَلَكِنْ رَبَّمَا كَانَ بَاقِيًا فِي رِقِّ الْقَلْبِ ، وَهَذَا الشَّيْخُ فِي طَرِيقِ الْمَحْبُوبِينَ حُرٌّ مِنْ رِقِّ الْقَلْبِ ، كَمَا هُوَ حُرٌّ مِنْ رِقِّ النَّفْسِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ حِجَابٌ ظُلْمَانِيٌّ أَرْضِيٌّ أَعْتَقَ مِنْهُ الْأَوَّلُ^(٢) ، وَالْقَلْبَ حِجَابٌ نُورَانِيٌّ سَمَاوِيٌّ أَعْتَقَ مِنْهُ الْآخَرُ ، فَصَارَ لِرَبِّهِ لَا لِقَلْبِهِ ، وَلِمُؤَقَّتِهِ لَا لَوْقَتِهِ ، فَعَبَدَ اللَّهَ حَقًّا ، وَآمَنَ بِهِ صِدْقًا .

وَيَسْجُدُ لِلَّهِ تَعَالَى سَوَادُهُ وَخِيَالُهُ ، وَيُؤْمِنُ بِهِ فَوَادُهُ ، وَيَقْرَأُ بِهِ لِسَانُهُ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ سَجُودِهِ^(٣) ، وَلَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْهُ شَعْرَةٌ ، وَتَصِيرُ عِبَادَتُهُ مُشَاكِلَةً لِعِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ ؛ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

فَالْقَوَالِبُ هِيَ الظَّلَالُ السَّاجِدَةُ ، ظَلَالُ الْأَرْوَاحِ الْمُقَرَّبَةُ ؛ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ الْأَصْلُ كَثِيفٌ وَالظِّلُّ لَطِيفٌ ، وَفِي عَالَمِ الْغَيْبِ الْأَصْلُ لَطِيفٌ وَالظِّلُّ

(١) ورد هذا القول في « اللمع » (ص ١٠٢) ، و « الرسالة القشيرية » (ص ٤٣٤) عن عامر بن عبد القيس رحمه الله تعالى .

(٢) أي : الشيخ الأول .

(٣) رواه البزار في « المسند » (٢٠٣٤) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، والطبراني في « الدعاء » (٦٠٦) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٥٥٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

كثيفٌ ، فيسجدُ لطيفُ العبدِ وكثيفُهُ^(١) .

وليسَ هذا لمن أخذَ في طريقِ المُحيينَ ؛ لأنه يستبشعُ صورَ الأعمالِ^(٢) ، ويمتلئُ بما أُنيلَ مِنْ وجدانِ الحالِ ، وذلكَ قصورٌ في العلمِ ، وقِلَّةٌ في الحِظِّ ، ولو كثرَ العلمُ رأى ارتباطَ الأعمالِ بالأحوالِ كارتباطِ الرُّوحِ بالجسدِ ، ورأى أن لا غناءَ عنِ الأعمالِ ، كما لا غناءَ في عالمِ الشهادةِ عنِ القوالبِ ؛ فما دامتِ القوالبُ باقيةً فالعملُ باقٍ .

ومنَ صحَّ في المقامِ الذي وصَفناه... هو الشيخُ المطلقُ ، والعارفُ المحققُ ، والمحجوبُ المُعتقُ ، نظرُهُ دواءٌ ، وكلامُهُ شفاءٌ^(٣) ، باللهِ ينطقُ ، وباللهِ يسكتُ ، كما وردَ : « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا ، وَيَدًا وَمُؤَيِّدًا ، بِي يَنْطِقُ ، وَبِي يُبْصِرُ... » الحديث^(٤) .

فالشيخُ يُعطي باللهِ ، ويمنعُ باللهِ ، فلا رغبةَ لَهُ في عطاءٍ ومنعٍ بعينه لعينه^(٥) ، بل هو مع مُرادِ الحقِّ ، والحقُّ يُعرِّفُهُ مُرادَهُ ، فيكونُ في الأشياءِ

(١) في هامش (أ) : (رأى أفلاطون موسى عليه السلام ، قال : ما رأيتُ أحداً غلبَ لطيفُهُ على كثيفه إلا هذا) .

(٢) قوله : (يستبشع) استبشع الشيء ؛ أي : عدّه بشعاً ، وشيءٌ بشعٌ ؛ أي : كرهه الطعم . من هامش (ح) .

(٣) في النسخ ما عدا (ج ، د ، ي) : (دواء) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الأولياء » (١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٨/٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه بسياق آخر البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١/١٤٧-١٤٨) .

(٥) الهاء راجعةٌ في (عينه لعينه) إلى العطاء . من هامش (أ) .

بمُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى لَا بِمُرَادِ نَفْسِهِ ؛ فَإِنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرِيدُ مِنْهُ الدَّخُولَ فِي
صُورَةٍ مَحْمُودَةٍ^(١) . . دَخَلَ فِيهَا بِمُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا لَكُونِ الصُّورَةِ
مَحْمُودَةٍ ، بِخِلَافِ الْخَادِمِ الْقَائِمِ بِوَاجِبِ خِدْمَةِ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ^(٢) ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣) .



(١) فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِي الصُّورَةِ الْمَحْمُودَةِ ؛ لِإِعَانَةِ عِبَادِ اللَّهِ بِاخْتِيَارِهِ وَإِرَادَتِهِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) يَعْنِي : أَنَّ الْخَادِمَ يَدْخُلُ فِي كُلِّ صُورَةٍ مَحْمُودَةٍ بِحَسَبِ رُؤْيَتِهِ إِثَّاها مَحْمُودَةٍ ، بِخِلَافِ
هَذَا الشَّيْخِ . مِنْ هَامِشٍ (و) .

(٣) فِي هَامِشٍ (ب) : (بَلِّغْ سَمَاعَهُمْ فِي الْعَاشِرِ بِقِرَاءَةِ الْكَاتِبِ) ، وَفِيهَا : (بَلِّغْ فِي السَّابِعِ
عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالَ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ دَاوُدَ الْمُقَدَّسِيِّ) .

الباب الحادي عشر

في شرح حال الخادم ومن يشبهه (١)

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام وقال : (يا داود ؛ إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً) (٢) .

فالخادم يدخل في الخدمة رغباً في الثواب ، وفيما أعد الله تعالى للعباد ، ويتصدى لإيصال الراحة ، ويُفرغ خاطر المُقبلين على الله تعالى عن مهام معاشهم ، ويفعل ما يفعله الله تعالى بنبيه صالحه .

فالشيخ واقف مع مُراد الله ، والخادم واقف مع نيته ؛ فالخادم يفعل

(١) الخادم الحقيقي : مقصوده من الخدمة : إمّا ثواب الآخرة ، وإمّا جذب قلوب أهل الصلاح إليه ليكون له فتح باب الخير والبركة ، وبركة نظرهم إليه . من هامش (ج) .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٤٨٢) عن عبد العزيز بن عمير رحمه الله تعالى ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٩٣ / ١٠) عن سهل التستري رحمه الله تعالى ، وفي هامش (ح) : (لينظر الطالب في تقديم « لي » ، وليعلم أنه إنما يستحق أن يُخدم إذا كان طلبه محصوراً على الله ؛ لا يطلب سواه ، ولا يتبع هواه) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق / ٢٧) : (في هذا الخبر فائدتان : الأولى : أن الخدمة لها محلٌّ ومنزلة ؛ حيث أمر الله تعالى نبيه بها ، الثانية : أن الخدمة ينبغي أن تكون لأجل طالبي الحق ؛ حيث قال : « إذا رأيت طالباً لي فكن له خادماً » ، وما يؤيد ذلك : قول النبي صلى الله عليه وسلم : « والله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم » ، فحرّض الأمة على معاونة المسلم المستجمع لجميع الصفات الحسنة السنية) .

الشيء لله ، والشيخ يفعل الشيء بالله ؛ فالشيخ في مقام المُقَرَّبِينَ ، والخادم في مقام الأبرار .

فيختار الخادم البذل والإيثار ، والارتفاق من الأغيار للأغيار^(١) ، ووظيفة وقته تصديه لخدمة عباد الله تعالى ، وفيه يعرف الفضل ويرجحه على نوافله وأعماله .

وقد يُقِيمُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَادِمَ مُقَامَ الشَّيْخِ ، وَرَبَّمَا جَهَلَ الْخَادِمُ أَيْضاً حَالَ نَفْسِهِ ؛ فَيَحْسَبُ نَفْسَهُ شَيْخاً^(٢) ؛ لِقِلَّةِ الْعِلْمِ ، وَانْدِرَاسِ عُلُومِ الْقَوْمِ فِي هَذَا الزَّمَانِ^(٣) ، وَقَنَاعَةِ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ مِنَ الْمَشَايِخِ بِاللُّقْمَةِ دُونَ الْعِلْمِ وَالْحَالِ ؛ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ إِطْعاماً فَهُوَ عِنْدَهُمْ أَحَقُّ بِالْمَشِيشَةِ ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَادِمٌ وَلَيْسَ بِشَيْخٍ .

والخادم في مقام حَسَنِ ، وَحَظٌّ صَالِحٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَدْ وَرَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْخَادِمِ فِيمَا :

(٣١) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو زُرْعَةَ بْنُ الْحَافِظِ أَبِي الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمَقْدِسِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ [عُبَيْدِ] اللَّهِ الْمُقَرِّيُّ^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ دَاوُدَ الْعَلَوِيُّ ،

(١) يعني : الخادم يأخذ شيئاً من الأجنبي ، ويتصرف للأجنبي ، ولا يأخذ لنفسه . من هامش (ح) .

(٢) في (د) : (فينظر أنه شيخ) بدل (فيحسب نفسه شيخاً) .

(٣) المراد بالقوم : الفقراء والصادقون . من هامش (ح) .

(٤) في النسخ : (عبد الله) بدل (عبيد الله) ، والمثبت من « صفوة التصوف » ، وأبو الفضل المقرئ : هو الشيخ العابد المسند محمد بن عبيد الله بن محمد النيسابوري الصَّرام =

قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ الْحَافِظُ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ وَأَبُو الْأَزْهَرِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ^(٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ^(٣) ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَهُوَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ^(٤) ، فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَلَّا » ، فَقَالَا : إِنَّا صَائِمَانِ ، فَقَالَ : « أَرْحَلُوا لِصَاحِبَيْكُمْ ، أَعْمَلُوا لِصَاحِبَيْكُمْ ، أَدْنُوا فَكَلَّا »^(٥) .

يعني : أَنْكُمَا ضَعُفْتُمَا بِالصَّوْمِ عَنِ الْخِدْمَةِ ، فَاحْتَجْتُمَا إِلَى مَنْ يَخْدُمُكُمَا ، فَكَلَّا وَاخْدُمَا أَنْفُسَكُمَا^(٦) .

(ت ٤٧٩ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨ / ٤٨٣) .

(١) هو الإمام الثقة حافظُ خراسان وتلميذُ مسلم صاحبِ « الصحيح » أحمدُ بن محمد بن الحسن النيسابوري ابنُ الشَّرْقِيِّ ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥ / ٣٧-٣٩) .
(٢) هو الإمام الثقة الثَّبْتُ العابد عمر بن سعد الحَفَرِيُّ الكوفي (ت ٢٠٣ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩ / ٤١٦-٤١٧) .

(٣) هو الثوري رحمه الله تعالى .

(٤) مَرِّ الظَّهْرَانِ : اسم مكان قريب من مكة . من هامش (ح) .

(٥) صفوة التصوف (١٤٣) ، ورواه أحمد (٢ / ٣٣٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٠٦٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٢٥٨٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤ / ٢٤٦) ، وفي هامش (ح) : (قيل : في الكلام إضمار تقديره : « إِنْ صَمْتُمَا يَلْتَفِتْ خَوَاطِرُ أَصْحَابِكُمَا إِلَيْكُمَا ؛ فيقول بعضهم لبعض : ارحلوا الدوابَّ لصاحبيكم ، اعملوا لصاحبيكم ما يحتاجان إليه » ، وقيل : إِنَّهُمَا أَجَابَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُمَا صَائِمَانِ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : « ارحلوا لصاحبيكم » ؛ يعني : أبا بكر وعمر ، وقال لهما : « ادنوا فَكَلَّا » ؛ ليكون مناسباً للخدمة) ، وفي هامش (ج) : (وهذا دليلٌ على فضل الخدمة وإن كانت لنفسه على النافلة) .

(٦) انظر « صفوة التصوف » تحت رقم : (١٤٣) .

فَالْخَادِمُ يَحْرِصُ عَلَى حِيَاظَةِ الْفَضْلِ ، فَيَتَوَصَّلُ بِالْكَسْبِ تَارَةً ،
وَبِالِاسْتِرْفَاقِ وَالذَّرْيُوزَةِ تَارَةً^(١) ، وَبِاسْتِجْلَابِ الْوَقْفِ إِلَى نَفْسِهِ تَارَةً ؛ لَعَلِمِهِ
أَنَّهُ قِيمٌ بِذَلِكَ ، صَالِحٌ لِإِيصَالِهِ إِلَى الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يُيَالِي أَنْ يَدْخُلَ فِي
كُلِّ مَدْخَلٍ لَا يَذُمَّهُ الشَّرْعُ ؛ لِحِيَاظَةِ الْفَضْلِ بِالْخِدْمَةِ ، وَبِرَى الشَّيْخِ بِنَفْوَذِ
الْبَصِيرَةِ وَقُوَّةِ الْعِلْمِ أَنَّ الْإِنْفَاقَ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ تَامٍّ ، وَمُعَانَاةٍ فِي تَخْلِيصِ النَّيَّةِ
عَنْ شَوَائِبِ النَّفْسِ وَالشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ ، وَلَوْ خَلَصَتْ نَيْتُهُ مَا رَغِبَ فِي ذَلِكَ
أَيْضاً ؛ لَوْجُودِ مُرَادِهِ فِيهِ ، وَحَالُهُ تَرْكُ الْمُرَادِ ، وَإِقَامَةُ مُرَادِ الْحَقِّ .

(٣٢) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنُ
عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ قَالَ :
سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ [الْحَسَنِ] ابْنَ الْخَشَّابِ يَقُولُ^(٢) : سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ
يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجَنِيْدَ يَقُولُ : سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَقُولُ : أَعْرَفُ طَرِيقاً مُخْتَصِراً
قَصِداً إِلَى الْجَنَّةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : لَا تَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئاً^(٣) ، وَلَا
تَأْخُذُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئاً ، وَلَا يَكُنْ مَعَكَ شَيْءٌ تُعْطِي مِنْهُ أَحَدًا شَيْئاً^(٤) .

وَالْخَادِمُ يَرَى أَنَّ مِنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ الْخِدْمَةَ وَالْبَذْلَ وَالْإِيثَارَ ، وَيُقَدِّمُ الْخِدْمَةَ
عَلَى النِّوَافِلِ ، وَيَرَى فَضْلَهَا ، وَلِلْخِدْمَةِ فَضْلٌ عَلَى النَّافِلَةِ الَّتِي يَأْتِي بِهَا الْعَبْدُ

(١) الْاسْتِرْفَاقُ : طَلَبُ الرِّفْقِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ لِيَتَرَفَّقَ بِهِ النَّاسُ ، وَالذَّرْيُوزَةُ : التَّسْوُلُ
وَالْكُذْبَةُ ، وَهِيَ لَفْظَةٌ فَارْسِيَّةٌ .

(٢) فِي النِّسْخِ : (الْحَسِينُ) بَدَلَ (الْحَسَنِ) ، وَالْمُثَبِّتُ مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ .

(٣) هَذَا يَدُلُّ عَلَى الْكَسْبِ قَدْرَ إِقَامَةِ الْبِنْيَةِ لِلطَّاعَةِ فَحَسَبَ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٤) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ (ص ٤٩) ، وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ السُّلَمِيِّ الْقَشِيرِيِّ فِي « رِسَالَتِهِ »
(ص ١١٣-١١٤) .

طالباً بها الثواب ، غير النافلة التي يتوَحَّى بها صِحَّةَ حالِهِ معَ اللهِ تعالى^(١) ؛
لوجودِ نَقْدٍ قَبْلَ وَعْدِ^(٢) .

ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الخِدْمَةِ عَلَى النَافِلَةِ :

(٣٣) - ما أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي وَالدي الحَافِظُ
المَقْدِسِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّمْسَارُ بِأَصْفَهَانَ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ خُرَشِيدَ قَوْلَهُ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا
الحُسَيْنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ المَحَامِلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو السَّائِبِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو مُعَاوِيَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَاصِمٌ ، عَنْ مُورِّقٍ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَمِنَّا الصَّائِمُ ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ ،
فَنَزَلْنَا مَنَزَلاً فِي يَوْمٍ حَارٍّ شَدِيدِ الْحَرِّ ، فَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ ، وَأَكْثَرُنَا
ظِلًّا صَاحِبُ الكِسَاءِ يَسْتَظِلُّ بِهِ ، فَنَامَ الصَّائِمُونَ ، وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ ، فَضَرَبُوا
الْأَبْنِيَةَ وَسَقَوْا الرِّكَّابَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَهَبَ
الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ »^(٤) .

(١) قوله : (صحة حاله) ؛ وهي تخلص النية عن شوائب النفس . من « شرح
المشكلات » (ق / ٢٧) .

(٢) من محبة الله إِيَّاهُ ، المشار إليها بقوله : « حتى أحبة » المبتني عليها الخصوصيات من
لذائذ المسامرات والمناجاة والمشاهدات ، والخادم المتفطن يعرف ما يُصحح به حاله
مع الله من النوافل ، فلا يتركها لنيل الحظ الموجود قبل نيل الموعود . من هامش
(ح) .

(٣) قال الزَّيْدِيُّ فِي « تاج العروس » (٣٠ / ٣٠٠) : (قَوْلُهُ - بِالضَّم - : لِقَبِ ابْنِ خُرَشِيدَ ،
بِضْمِ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَكَسْرِ الشَّيْنِ ، وَأَصْلُهُ : « خُورَشِيدَ » بِالتَّخْفِيفِ ،
فَارْسِيَّةٌ بِمَعْنَى الشَّمْسِ) ، وَهُوَ مِنْ شَيْوخِ الْإِمَامِ الْقَشِيرِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

(٤) صفوة التصوف (١٤١) ، ورواه البخاري (٢٨٩٠) ، ومسلم (١١١٩) .

وهذا حديثٌ يدلُّ على فضلِ الخِدْمَةِ على النافلة ، والخادمُ له مقامٌ عزيزٌ يُرغَبُ فيه .

فأما مَنْ لم يعرفِ تَخْلِصَ النِّيَّةِ مِنْ شَوَائِبِ النَّفْسِ ، ويتشَبَّهَ بالخُدَّامِ ، ويتصدَّى لخدمَةِ الفقراءِ ، ويدخلُ في مداخلِ الخُدَّامِ بحُسنِ الإرادةِ يطلبُ النَّاسِيَّ بالخُدَّامِ . . تكونُ خِدْمَتُهُ مَشُوبَةً ؛ منها ما يُصِيبُ فيها ؛ لموضعِ إيمانه ، وحُسنِ إرادتهِ في خِدْمَةِ القومِ ، ومنها ما لا يُصِيبُ فيها ؛ لما فيه مِنْ مَزَجِ الهوى ، فيضعُ الشيءَ في غيرِ موضعه .

وقد يَخْدُمُ بهواه في بعضِ تصاريفِهِ ، وَيَخْدُمُ مَنْ لا يستحقُّ الخِدْمَةَ في بعضِ أوقاته ، وَيُحِبُّ المَحْمَدَةَ والثناءَ مِنَ الخَلْقِ ، معَ ما يُحِبُّ مِنَ الثَّوَابِ ورضا الله تعالى ، وربما خَدَمَ للثناءِ ، وربما امتنعَ مِنَ الخِدْمَةِ ؛ لوجودِ هوى يُخامِرُهُ في حَقِّ مَنْ يلقاهُ بمكروهٍ ، ولا يُراعي واجبَ الخِدْمَةِ في طَرَفِي الرِّضَا والغضبِ ؛ لانحرافِ مِزَاجِ قلبِهِ بوجودِ الهوى ، والخادمُ لا يَتَّبِعُ الهوى في الخِدْمَةِ في الرِّضَا والغضبِ ، ولا تأخذُهُ في الله لومةُ لائمٍ ، ويضعُ الشيءَ مواضعَهُ .

فإِذَا : الشخصُ الذي ذَكَرْنَاهُ ووَصَفْنَاهُ آنفًا . . مُتَخَادِمٌ وليسَ بخادمٍ ، ولا يُمَيِّزُ بينَ الخادمِ والمُتَخَادِمِ إلا مَنْ لَهُ عِلْمٌ بصَحَّةِ النِّيَّاتِ وتخليصِهَا مِنْ شَوَائِبِ الهوى .

والمُتَخَادِمُ النَّجِيبُ يَبْلُغُ ثَوَابَ الخادمِ في كثيرٍ مِنْ تصاريفِهِ ، ولا يَبْلُغُ رَتَبَتَهُ ؛ لتخلُّفِهِ عن حالِهِ بوجودِ مَزَجِ هواه .

وأما مَنْ أَقِيمَ لخدمَةِ الفقراءِ بتسليمٍ وَقَفٍ إِلَيْهِ ، أو توفيرِ رِفْقٍ عَلَيْهِ ، وهو

يَخْدُمُ لِمَنَالٍ يُصِيبُهُ ، أَوْ حَظٌّ عَاجِلٍ يُدْرِكُهُ . . . فَهُوَ فِي الْخِدْمَةِ لِنَفْسِهِ لَا لِغَيْرِهِ ، فَلَوْ انْقَطَعَ رِفْقُهُ مَا خَدَمَ ، وَرَبَّمَا اسْتَخْدَمَ مَنْ يَخْدُمُ ، فَهُوَ مَعَ حَظٍّ نَفْسِهِ ؛ يَخْدُمُ مَنْ يَخْدُمُهُ ، وَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَحَافِلِ يَتَكَثَّرُ بِهِ ، وَيُقِيمُ جَاهَ نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَشْيَاعِ .

فَهُوَ خَادِمٌ هَوَاهُ ، وَطَالِبٌ دُنْيَاهُ ، يَحْرِصُ نَهَارَهُ وَلَيْلَهُ فِي تَحْصِيلِ مَا يُقِيمُ بِهِ جَاهَهُ ، وَيُرْضِي نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَوَلَدَهُ ، فَيَتَسَّعُ فِي الدُّنْيَا ، وَيَتَزَيَّا بِغَيْرِ زِيٍّ الْخُدَّامِ وَالْفُقَرَاءِ ، وَتَنْتَشِرُ نَفْسُهُ بِطَلَبِ الْحُظُوظِ ، وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ حُبُّ الرِّيَاسَةِ .

وَكَلَّمَا كَثُرَ رِفْقُهُ كَثُرَتْ مَوَادُّ هَوَاهُ ، وَاسْتَطَالَ عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَيُحَوِّجُ الْفُقَرَاءَ إِلَى التَّمَلُّقِ الْمُفْرِطِ لَهُ ؛ تَطَلُّباً لِرِضَاهُ ، وَتَوَقُّقاً لَضَيْمِهِ وَمِثْلِهِ عَلَيْهِمْ بِقَطْعِ مَا يَنْوِبُهُمْ مِنَ الْوَقْفِ^(١) .

فَهَذَا أَحْسَنُ حَالِهِ أَنْ يُسَمَّى مُسْتَخْدِماً^(٢) ، فَلَيْسَ بِخَادِمٍ وَلَا مُتَخَادِمٍ .
وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ : رَبَّمَا نَالَ بَرَكَتَهُمْ ؛ بِاخْتِيَارِهِ خِدْمَتَهُمْ عَلَى خِدْمَةِ غَيْرِهِمْ ، وَبِانْتِمَائِهِ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ أَوْرَدْنَا الْخَبَرَ الْمُسْنَدَ الَّذِي فِي سِيَاقِهِ : « هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »^(٣) ، جَعَلَنَا اللَّهُ بِكَمَالِ فَضْلِهِ مِنْهُمْ ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ وَالْمُعِينُ^(٤) .



(١) فِي (ب) : (لَضَرَرِهِ) بَدَل (لَضَيْمِهِ) ، وَالضَّيْمُ : الظُّلْمُ .
(٢) ضُبُطَتْ فِي بَعْضِ النُّسخِ بِالْفَتْحِ كَمَا هُوَ السِّيَاقُ ، وَفِي بَعْضِهَا بِالْكَسْرِ ، نَظَرًا لَكَوْنِهِ يَسْتَعْمَلُ مَنْ يَخْدُمُهُ أحيانًا ، وَفِي بَعْضِهَا بِالْوَجْهِينِ .
(٣) انْظُرْ (٢٨١ / ١ - ٢٨٢) .
(٤) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلَّغَ مُقَابَلَةً) .

الباب الثاني عشر

في شرح خرقۃ المشايخ الصوفية

لُبْسُ الْخِرْقَةِ ارتباطٌ بَيْنَ الشَّيْخِ وَالْمُرِيدِ ، وَتَحْكِيمٌ مِنَ الْمُرِيدِ الشَّيْخَ فِي نَفْسِهِ ، وَالتَّحْكِيمُ سَائِغٌ فِي الشَّرْعِ لِمَصَالِحِ دُنْيَوِيَّةٍ ، فَمَاذَا يُنْكِرُ الْمُنْكِرُ لِلْبُسِ الْخِرْقَةِ عَلَى طَالِبٍ صَادِقٍ فِي طَلَبِهِ ، يَقْصِدُ شَيْخاً بِحُسْنِ ظَنٍّ وَعَقِيدَةٍ ، يُحْكِمُهُ فِي نَفْسِهِ لِمَصَالِحِ دِينِهِ ، يُرْشِدُهُ وَيُهْدِيهِ^(١) ، وَيُعَرِّفُهُ طُرُقَ الْمَوَاجِيدِ ، وَيُبَصِّرُهُ بَأَفَاتِ النُّفُوسِ ، وَفَسَادِ الْأَعْمَالِ ، وَمَدَاخِلِ الْعَدُوِّ ؟ !
فَيَسْلُمُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَسْلِمُ لِرَأْيِهِ وَاسْتِصْوَابِهِ فِي جَمِيعِ تَصَارِيفِهِ ، فَيَلْبِسُهُ الْخِرْقَةَ ؛ إِظْهَاراً لِلتَّصَرُّفِ فِيهِ ، فَيَكُونُ لُبْسُ الْخِرْقَةِ عِلَامَةً التَّفْوِيضِ وَالتَّسْلِيمِ ، وَدُخُولُهُ فِي حَكْمِ الشَّيْخِ دُخُولُهُ فِي حَكْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَكْمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِحْيَاءُ سُنَّةِ الْمُبَايَعَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) .

(٣٤) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي وَالِدِي الْحَافِظُ الْمَقْدِسِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزَّازُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا [مُحَمَّدُ بْنُ (١) فِي النسخ ما عدا (ب ، د ، و) : (ويهديه) .

(٢) فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (و) : (المتابعة) بدل (المبايعة) ، وَقَالَ فِي « شَرْحِ الْمَشْكَلَاتِ » (ق / ٢٧) : (اَعْلَمْ : أَنَّ إِبْلَاسَ الْخِرْقَةِ الْمَشَايِخُ لِلْمُرِيدِينَ فِي الْإِبْتِدَاءِ عِلَامَةُ الْإِرَادَةِ وَالْدُخُولِ فِيهَا ، وَفِي الْإِنْتِهَاءِ عِلَامَةُ الْوِلَايَةِ وَالْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصِدِ) .

عبد الله [ابن أخي ميمي^(١)] ، قال : حَدَّثَنَا يحيى بن محمد بن صاعد ، قال : حَدَّثَنَا عمرو بن عليٍّ مِنْ حَفِظِهِ^(٢) ، قال : سمعتُ عبد الوهاب الثقفي يقول : سمعتُ يحيى بن سعيد يقول : حَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قال : أَخْبَرَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ؛ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كُنَّا ، وَلَا نَخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً)^(٣) .

ففي الخِرْقَةِ معنى المُبَايَعَةِ ، وَالْخِرْقَةُ عَتَبَةُ الدُّخُولِ فِي الصُّحْبَةِ^(٤) ، وَالْمَقْصُودُ الْكُلِّيُّ هُوَ الصُّحْبَةُ ، وَبِالصُّحْبَةِ يُرْجَى لِلْمُرِيدِ كُلِّ خَيْرٍ .

رَوَى عَنْ أَبِي يَزِيدَ أَنَّهُ قَالَ : (مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَسْتَاذٌ فَأِمَامُهُ الشَّيْطَانُ)^(٥) .

(١) في النسخ ما عدا (ب) : (أحمد بن محمد) بدل (محمد بن عبد الله) ، وفي (ب) : (محمد بن أحمد) ، وسيأتي في (١/٤٥٩) على الصواب كالمثبت ، وابن أخي ميمي : هو الإمام المسند الصدوق أبو الحسين البغدادي الدِّقَاق (ت ٣٩٠هـ) ، وانظر «سير أعلام النبلاء» (١٦/٥٦٤) .

(٢) في النسخ ما عدا (ب) : (بن حفظة) ، وهو تحريف ، وفي (ج) : (الحفظة) دون (بن) ، وعمرو بن علي : هو الإمام الحافظ الناقد المَجُود أبو حفص الباهلي الصَّيرَفِي الفَلَّاس (ت ٢٤٩هـ) ، وانظر «سير أعلام النبلاء» (١١/٤٧٠) .

(٣) صفوة التصوف (١٥٧) ، ورواه البخاري (٧١٩٩) ، ومسلم (١٧٠٩) .

(٤) أي : مقدمة الدخول ؛ وذلك لأنَّ الشَّيْخَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُدْخَلَ الْمُرِيدَ فِي زُمْرَةِ الْمُتَعَتِّينَ أَلْبَسَهُ أَوَّلًا الْخِرْقَةَ ، فَيُمَيِّزُهُ بِهَا عَمَّنْ سِوَاهُ ، كَمَا أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَرَادُوا قَبُولَ طَائِفَةٍ يَكْسُوهُمْ أَوَّلًا الْحُلْلَ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ وَتَعْظِيمًا لَهُمْ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ . من «شرح المشكلات» (ق/٢٧) .

(٥) أورده القشيري في «رسالته» (ص ٧٧٣) .

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله ، عن شيخه أبي علي
الدقاق : أنه قال : (الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس . . فإنها تُورق
ولا تُثمر)^(١) .

وهو كما قال ، ويجوز أنها تُثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ،
ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين .

والغرس إذا نُقل من موضع إلى موضع آخر . . يكون أحسن وأكثر ثمره ؛
لدخول التصرف فيه .

وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم ، وأحل ما يقتله ،
بخلاف غير المعلم .

وسمعت كثيراً من المشايخ يقولون : (مَنْ لَمْ يَرِ مُفْلِحاً لَا يُفْلِحْ) .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ؛ فأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، كما روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم : (عَلَّمَنَا
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ شيء ؛ حتى الخِراءة)^(٢) .

فالمريد الصادق إذا دخل تحت حُكم الشيخ وصحبته ، وتأدب بآدابه . .
يسري من باطن الشيخ حالاً إلى باطن المريد ؛ كسراج يقتبس من سراج ،

(١) الرسالة القشيرية (ص ٧٧٣) ، وزاد : (كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه
طريقته نفساً فنفساً ؛ فهو عابد هواه ، لا يجد منه نفاذاً) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٢) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، والخِراءة : اسم لهيئة
الحدث ، والمراد : أنه علمهم آداب قضاء الحاجة .

وكلامُ الشيخِ يُلَقَّحُ باطنَ المُريدِ ، ويكونُ مقالُ الشيخِ مُستودَعَ نفائسِ الحالِ ، وينتقلُ الحالُ مِنَ الشيخِ إلى المُريدِ بواسطةِ الصُّحبةِ وسماعِ المقالِ .

ولا يكونُ هذا إلا للمُريدِ حَصَرَ نَفْسِهِ معَ الشيخِ ، وانسلخَ مِنْ إرادةِ نَفْسِهِ ، وَيَفْنَى في الشيخِ بتركِ اختيارِ نَفْسِهِ ، فبالتأليفِ الإلهيِّ يصيرُ بينَ الصاحبِ والمصحوبِ امتزاجٌ وارتباطٌ بالنسبةِ الرُّوحِيَّةِ ، والطهارةِ الفِطْرِيَّةِ .

ثمَّ لا يزالُ المُريدُ معَ الشيخِ كذلكَ مُتَأَدِّباً بتركِ الاختيارِ ، حتى يرتقي مِنْ تركِ الاختيارِ معَ الشيخِ إلى تركِ الاختيارِ معَ اللهِ سبحانه ، ويفهمُ مِنَ اللهِ كما كانَ يفهمُ مِنَ الشيخِ .

ومبدأُ هذا الخيرِ كُلِّهِ : الصُّحبةُ والمُلازمةُ للشيوخِ ، والخِرْقَةُ مُقَدِّمَةٌ ذَلِكَ .

ووجهُ لبْسِ الخِرْقَةِ مِنَ السُّنَّةِ :

(٣٥) - ما أَخْبَرَنَا الشيخُ أَبُو زُرْعَةَ ، عن أبيهِ الحافظِ أَبِي الفضلِ المَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ الْأَدِيبِ بَنِيْسَابُورَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا [أَحْمَدُ] بْنُ إِسْحَاقَ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُسْلِمٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ

(١) في النسخ و« صفوة التصوف » : (محمد) بدل (أحمد) ، والمثبت من « المستدرک » ، وهو الإمام الفقيه المفتي المُحدِّثُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَيُوبِ النيسابوري الصُّبْغِي (ت ٣٤٢ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٨٣ / ١٥) .

عبد الله البصري^(١) ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ^(٢) ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ سَعِيدٍ ، قال : حَدَّثَنَا أَبِي ، قال : حَدَّثَنِي أُمُّ خَالِدِ بْنِ خَالِدٍ ، قالت^(٣) : أُمِّي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثِيَابٍ فِيهَا خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ صَغِيرَةٌ^(٤) ، فقال : « مَنْ تَرَوْنَ أَكْسُو هَذِهِ ؟ » ، فسكتَ القومُ ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتُؤْنِي بِأُمِّ خَالِدٍ » ، قالت : فَأُتِيَ بِي ، فَأَلْبَسَنِهَا بِيَدِهِ وَقَالَ : « أَبْلِي وَأَخْلِقِي » ، يقولها مرَّتين ، وجعلَ ينظرُ إلى عَلمٍ في الخَمِيصَةِ أَصْفَرَ

(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ) : (المصري) ، والصواب المثبت ، وأبو مسلم البصري : هو الإمام المُعَمَّرُ الحافظ الكَجِّي أو الكشي صاحب « السنن » (ت ٢٩٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٣ / ٤٢٣) .

(٢) هو الإمام الحافظ الناقد هشام بن عبد الملك الباهلي البصري الطيالسي (ت ٢٢٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠ / ٣٤١-٣٤٢) .

(٣) وإنما أسند الشيخُ قَدَسَ اللهُ سرَّهُ إلباسَ الخرقَةِ من رسولِ الله عليه الصلاة والسلام إلى أم خالد ، دون أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ، مع أنَّ المشهورَ المعتمدَ عليه عند المشايخ ذلك ؛ لأنَّ أئمةَ الحديث إذا نظروا إلى العنينة المعتبرة عندهم وفي اصطلاحهم في تحقُّق الإسناد . . يكونُ ذلكَ المستندُ عندهم أقوى ثبوتاً وأوقعَ في قلوبهم تمكُّناً ، فالإسنادُ على وجهٍ يكونُ مُلْزِماً لمن يُتَوَهَّمُ منه الإنكارُ . . أولى من الإسنادِ إلى مَنْ هو مُحَقَّقٌ مُقَرَّرٌ عند المعتقدين ، وقد صحَّ واشتهرَ بنقل الأولياء كابرأ عن كابر على ما هو مسطورٌ في إجازات المشايخ رحمهم الله تعالى . . أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْبَسَ عَلِيّاً كَرَّمَ اللهُ وجهه الخرقَةَ الشريفة ، وهو أَلْبَسَ الحسنَ البصريَّ وكُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ وَغَيْرَهُمَا رضي الله عنهم . من هامش (ح) .

وللإمام السيوطي رسالة نفيسة في ذلك سمَّاها : « إتحاف الفرقة برفو الخرقه » ، وهي ضمن « الحاوي للفتاوي » .

(٤) الخَمِيصَةُ : كساءٌ أسودٌ مُرْتَعٍ له عَلمَانِ ، فإن لم يكن مُعَلِّماً فليس بخَمِيصَةٍ . من هامش (ح) .

وأحمرَ ويقولُ : « يَا أُمَّ خَالِدٍ ؛ هَذَا سَنَّا »^(١) ، والسَّنَا : هو الحسنُ بلسانِ الحبشة .

ولا خفاءً بأنَّ لبسَ الخرقةِ على الهيئةِ التي يعتمدُها الشيوخُ في هذا الزمانِ . . لم يكنْ في زمنِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهذه الهيئةُ والاجتماعُ لها والاعتدادُ بها مِنْ استحسانِ الشيوخِ ، وأصلُهُ مِنَ الحديثِ : ما رَوَيْنَاهُ ، والشاهدُ لذلك أيضاً : التحكيمُ الذي ذَكَرْنَاهُ^(٢) ، وأيُّ اقتداءٍ برسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتمُّ وأكْدُ مِنَ الاقتداءِ بهِ في دعاءِ الخلقِ إلى الحقِّ ؟!

وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى في كلامِهِ القديمِ تحكيمَ الأُمَّةِ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتحكيمَ المُريدِ شيخَهُ إحياءُ سُنَّةِ ذلكَ التحكيمِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

وسببُ نزولِ هذهِ الآيةِ : أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ رضيَ اللهُ عَنْهُ اختصمَ هوَ وآخرُ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شِراجٍ مِنَ الحَرَّةِ - والشِّراجُ : مَسِيلُ الماءِ^(٣) - كَنا يَسْقِيانِ بهِ النخلَ ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للزُّبَيْرِ : « أَسْقِ يَا زُبَيْرُ ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ » ، فغَضِبَ الرجلُ

(١) صفوة التصوف (١٥٦) ، المستدرک (٦٣ / ٢) ، ورواه البخاري (٥٨٢٣) ، وسيأتي هذا الحديث في خاتمة النسخة (هـ) مروياً عن أحمد بن محمد البخاري النجاري مسنداً إلى السهروردي به . انظر (٦٠٩ / ٢ - ٦١٠) .

(٢) انظر (٣٢٩ / ١) .

(٣) والحَرَّةُ : موضعٌ بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام .

وقال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمته ، فأنزل الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

وشرط عليهم في الآية التسليم ؛ وهو الانقياد ظاهراً ، ونفي الحرج ؛ وهو الانقياد باطناً ، وهذا شرط المريد مع الشيخ بعد التحكيم .

فلبس الخرقة يُزيلُ اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ، ويحذر الاعتراض على الشيوخ ؛ فإنه السُّمُّ القاتل للمريدين ، وقلَّ أن يكون مُريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح .

ويذكر المريد في كلِّ ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ؛ كيف كان يصدر من الخضر تصاريف يُنكرها موسى عليه السلام ، ثم لما كشف له عن معناها بان لموسى عليه السلام وجه الصواب في ذلك .

فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كلَّ تصرفٍ أشكل عليه صحته من الشيخ . . عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة^(٢) .

ويدُ الشيخ في لبس الخرقة تنوب مناب يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسليم المريد تسليم الله ورسوله^(٣) ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) رواه البخاري (٢٣٥٩) ، ومسلم (٢٣٥٧) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وقوله : (أسق) يجوز فيه أيضاً (اسق) بهمة وصل ؛ من (سقى) الثلاثي ، وانظر « إرشاد الساري » (١٩٨ / ٤) ، و« غنية العارف » (١٦٠ / ١) .

(٢) لأنه لا يعمل شيئاً ولا يقول إلا بما يعلم بالعلم الظاهر المفهوم ، أو بالعلم الباطن المكشوف ، فإذا لم يُسلم المريد أمره إلى الشيخ ويعمل برأيه واختياره . . لا يسري إليه الأحوال ، ولا يبلغ مبلغ الرجال . من هامش (ح) .

(٣) لأن سلسلة التسليم تنتهي إلى رسول الله وإلى الله ، فقلب المريد بمنزلة حلقة به انتظمت =

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴿
[الفتح : ١٠] (١) .

ولِيَأْخُذَ الشَّيْخُ عَلَى الْمُرِيدِ عَهْدَ الْوَفَاءِ بِشَرَايِطِ الْخِرْقَةِ ، وَيُعَرِّفُهُ حَقَقَ الْخِرْقَةِ ؛ فَالشَّيْخُ لِلْمُرِيدِ صُورَةً يَسْتَشْفِئُ الْمُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُطَالَبَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَالْمَرَاضِي النَّبَوِيَّةِ (٢) .

وَلِيَعْتَقِدَ الْمُرِيدُ أَنَّ الشَّيْخَ بَابٌ فَتَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى جَنَابِ كَرَمِهِ ؛ مِنْهُ يَدْخُلُ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ ، وَيُنْزَلُ بِالشَّيْخِ سَوَانِحُهُ وَمَهَامُّهُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ الشَّيْخَ يُنْزَلُ بِاللَّهِ الْكَرِيمِ مَا يُنْزَلُ بِهِ الْمُرِيدُ ، وَيَرْجِعُ فِي ذَلِكَ

= فِي سِلْسِلَةِ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(١) اَعْلَمُ : أَنَّ بَعْضَ الْمَشَايِخِ كَانُوا يُلْبِسُونَ الْخِرْقَةَ لِلْمُرِيدِ بَعْدَ التَّرْبِيَةِ لَهُمْ فِي الْإِبْتِدَاءِ بِالْخِدْمَةِ لِعِبَادَةِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، وَفِي الْأَوْسَاطِ بِإِخْلَاصِ الْمَعَامَلَةِ مَعَ اللَّهِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْعَزَائِمِ عَلَى مَنْهَجِ الصَّدَقِ ، وَفِي الْإِنْتِهَاءِ بِجَمْعِ الْهَمِّ وَالْهِمَّةِ عَلَى اللَّهِ وَعَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى مَا سِوَاهُ ، فَهَذَا الْإِلْبَاسُ بَعْدَ التَّرْبِيَةِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ الْإِلْبَاسُ خِلْعَةُ الْوَلَايَةِ وَالتَّشْرِيفِ وَالتَّأْهِيلِ لِلْإِرْشَادِ .

وَبَعْضُهُمْ يُلْبِسُونَ الْخِرْقَةَ قَبْلَ التَّرْبِيَةِ أَوْ أَنَّ التَّسْلِيمَ وَالتَّحْكِيمَ ؛ أَيِ : تَسْلِيمِ الْمُرِيدِ لِلشَّيْخِ وَتَحْكِيمِهِ إِيَّاهُ ؛ لِيَكُونَ فِي الْإِلْبَاسِ الْخِرْقَةِ الظَّاهِرَةِ وَتَغْيِيرِ الْهَيْئَةِ الصُّورِيَّةِ وَالتَّمْيِيزِ عَنِ الْأَشْكَالِ .. عَلَامَةُ التَّصَرُّفِ فِي تَغْيِيرِ الْبَاطِنِ وَالْإِلْبَاسِ مَلَابِسِ الْأَحْوَالِ ، وَلَقَدْ عُرِفَ بِالتَّجَرِبَةِ وَالْوُجْدَانِ أَنَّ الشَّخْصَ إِذَا تَغَيَّرَ لِبَاسُهُ الْمَعْهُودُ الَّذِي كَانَ يَتَرَتَّبُ لَهُ لِنَظَرِ الْخَلْقِ بِلِبَاسٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ مِمَّا يَلْبَسُهُ الصَّالِحُونَ لَطَاعَةِ الْحَقِّ .. يَجِدُ فِي بَاطِنِهِ تَغْيِيرًا وَهِمَّةً وَنَهْضَةً إِلَى نَيْلِ مَقَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِمْ ، فَالْإِلْبَاسُ فِي الْإِبْتِدَاءِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ أَوَّلَى . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) أَيِ : الشَّيْخُ لِلْمُرِيدِ الصَّادِقِ كَمَرَّةٍ شَفَافَةٍ صَافِيَةٍ يُبْصِرُ فِيهَا وَيُظْهَرُ لَهُ مِنْهَا أَحْكَامُ اللَّهِ وَأَحْكَامُ رَسُولِهِ فِي شَأْنِهِ ؛ فَإِنَّهُ فِي مَطَالَعَةِ ضَمِيرِ الشَّيْخِ يُدْرِكُ مَا يَطْلُبُهُ اللَّهُ مِنْهُ وَمَا يَرْضَى بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه .

وللشيخ باب مفتوح من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة ، فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه ؛ فهو أمانة الله تعالى عنده ، ويستغيث إلى الله تعالى لحوائج المريد كما يستغيث لحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى : ٥١] .

فإرسال الرسول يختص بالأنبياء عليهم السلام ، والوحي كذلك ، والكلام من وراء حجاب بالإلهام والهواتف والمنام وغير ذلك . . للشيخ والراسخين في العلم .

واعلم : أن للمريدين مع الشيخ أوان ارتضاع ، وأوان فطام ، وقد سبق شرح الولادة المعنوية^(١) .

فأوان الارتضاع : أوان لزوم الصُحبة ، والشيخ يعلم وقت ذلك ، فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه ؛ قال الله تعالى تأدياً للأمة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ﴾ [النور : ٦٢] ، وأي أمر جامع أعظم من أمر الدين ؟!

فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن آن له أوان الفطام ،

(١) انظر (١/٣١٠) وما بعدها .

وَأَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ ، وَاسْتِقْلَالُهُ بِنَفْسِهِ أَنْ يَنْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْفَهْمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

فَإِذَا بَلَغَ الْمُرِيدُ رُتْبَةَ إِنْزَالِ الْحَوَائِجِ وَالْمَهَامِّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَالْفَهْمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَعْرِيفَاتِهِ وَتَنْبِيهَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . . . لِعَبْدِهِ السَّائِلِ الْمُحْتَاجِ ^(١) . . . فَقَدْ بَلَغَ أَوَانَ فِطَامِهِ ، وَمَتَى فَارَقَ قَبْلَ أَوَانِ الْفِطَامِ يَنَالُهُ مِنَ الْإِعْلَالِ فِي الطَّرِيقِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا وَمُتَابَعَةِ الْهَوَى مَا يَنَالُ الْمَفْطُومَ لِغَيْرِ أَوَانِهِ فِي الْوَلَادَةِ الطَّبِيعِيَّةِ .

وَهَذَا التَّلَزُّمُ بِصُحْبَةِ الْمَشَايخِ لِلْمُرِيدِ الْحَقِيقِيِّ ، وَالْمُرِيدِ الْحَقِيقِيِّ يَلْبَسُ خِرْقَةَ الْإِرَادَةِ .

وَاعْلَمْ : أَنَّ الْخِرْقَةَ خِرْقَتَانِ : خِرْقَةُ الْإِرَادَةِ ، وَخِرْقَةُ التَّبَرُّكِ .

وَالْأَصْلُ الَّذِي قَصَدَهُ الْمَشَايخُ لِلْمُرِيدِينَ : خِرْقَةُ الْإِرَادَةِ ، وَخِرْقَةُ التَّبَرُّكِ تَشَبَّهُ بِخِرْقَةِ الْإِرَادَةِ ^(٢) ؛ فَخِرْقَةُ الْإِرَادَةِ لِلْمُرِيدِ الْحَقِيقِيِّ ، وَخِرْقَةُ التَّبَرُّكِ لِلْمُتَشَبِّهِ ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ ^(٣) .

وَسِرُّ الْخِرْقَةِ : أَنَّ الطَّالِبَ الصَّادِقَ إِذَا دَخَلَ فِي صُحْبَةِ الشَّيْخِ ، وَسَلَّمْ نَفْسَهُ إِلَيْهِ ، وَصَارَ كَالْوَلَدِ الصَّغِيرِ مَعَ الْوَالِدِ . . . يُرَبِّيهِ الشَّيْخُ بِعِلْمِهِ الْمُسْتَمَدِّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِصِدْقِ الْإِفْتِقَارِ ، وَحُسْنِ الْاسْتِقَامَةِ .

وَيَكُونُ لِلشَّيْخِ بِنَفْوَذِ بَصِيرَتِهِ الْإِشْرَافُ عَلَى الْبَوَاطِنِ ؛ فَقَدْ يَكُونُ الْمُرِيدُ

(١) قوله : (لعبده) متعلق بـ (إنزال الحوائج) .

(٢) في نسخة على هامش (د) : (ولخرقة) بدل (وخرقة) .

(٣) إشارة إلى حديث سبق تخريجه في (٢٨١ / ١) .

يَلْبَسُ الْخَشِينَ - كَثَابِ الْمُتَقَشِّفِينَ الْمُتَزَهِّدِينَ^(١) - وَلَهُ فِي تِلْكَ الْهَيْئَةِ مِنَ الْمَلْبُوسِ هَوًى كَامِنٌ فِي نَفْسِهِ ؛ لِيُرَى بَعِينَ الزَّهَادَةِ ، فَأَشَدُّ مَا عَلَى هَذَا لُبْسُ النَّاعِمِ ، وَلِلنَّفْسِ هَوًى وَاخْتِيَارٌ فِي هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ مِنَ الْمَلْبُوسِ فِي قِصَرِ الْكُمِّ وَالذَّيْلِ وَطُولِهِ ، وَخُشُونَتِهِ وَنُعُومَتِهِ ، عَلَى قَدَرِ حِسْبَانِهَا وَهَوَاهَا ، فَيَلْبَسُ الشَّيْخُ لِمِثْلِ هَذَا الزَّاهِدِ الرَّائِكِ إِلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ ثَوْبًا يَكْسِرُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ هَوَاهَا وَغَرَضَهَا .

وَقَدْ يَكُونُ عَلَى الْمُرِيدِ مَلْبُوسٌ نَاعِمٌ ، أَوْ هَيْئَةٌ فِي الْمَلْبُوسِ ، تَشْرَبَتِ النَّفْسُ تِلْكَ الْهَيْئَةَ بِالْعَادَةِ ، فَيَلْبِسُهُ الشَّيْخُ مَا يُخْرِجُ النَّفْسَ مِنْ عَادَتِهَا وَهَوَاهَا .

فَتَصَرَّفُ الشَّيْخُ فِي الْمَلْبُوسِ كَتَصَرُّفِهِ فِي الْمَطْعُومِ ، وَكَتَصَرُّفِهِ فِي صَوْمِ الْمُرِيدِ وَإِفْطَارِهِ ، وَكَتَصَرُّفِهِ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، إِلَى مَا يَرَى لَهُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ؛ مِنْ دَوَامِ الذِّكْرِ ، أَوْ دَوَامِ التَّنْفُّلِ بِالصَّلَاةِ ، أَوْ دَوَامِ التَّلَاوَةِ ، أَوْ دَوَامِ الْخِدْمَةِ ، وَكَتَصَرُّفِهِ فِيهِ بَرْدَهُ إِلَى الْكَسْبِ أَوْ الْفَتْوحِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ .

فَلِلشَّيْخِ إِشْرَافٌ عَلَى الْبَوَاطِنِ وَتَنْوُّعٌ فِي الْأَسْتِعْدَادَاتِ ؛ فَيَأْمُرُ كُلَّ مُرِيدٍ مِنْ أَمْرِ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ ، وَلِتَنْوُّعِ الْأَسْتِعْدَادَاتِ تَنْوَّعَتْ مَرَاتِبُ الدَّعْوَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فَالْحُكْمَةُ رُتْبَةٌ فِي الدَّعْوَةِ ، وَالْمَوْعِظَةُ كَذَلِكَ ، وَالْمُجَادَلَةُ كَذَلِكَ^(٢) ؛

(١) التَّقَشُّفُ : التَّقَلُّلُ فِي الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ . مِنْ هَامِشِ (ي) .

(٢) الْحُكْمَةُ : النُّبُوَّةُ ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ : الْقَوْلُ الرَّقِيقُ ، وَالْمُجَادَلَةُ بِالْأَحْسَنِ : الْقُرْآنُ =

فَمَنْ يُدْعَى بِالْحِكْمَةِ لَا يُدْعَى بِالْمَوْعِظَةِ ، وَمَنْ يُدْعَى بِالْمَوْعِظَةِ لَا يَصْلُحُ
دَعْوَتُهُ بِالْحِكْمَةِ .

فهكذا الشيخ ؛ يعلم مَنْ هُوَ عَلَى وَضْعِ الْأَبْرَارِ ، وَمَنْ هُوَ عَلَى وَضْعِ
الْمُقَرَّبِينَ ، وَمَنْ يَصْلُحُ لِدَوَامِ الذِّكْرِ وَمَنْ لَا يَصْلُحُ ، وَمَنْ يَصْلُحُ لِدَوَامِ
الصَّلَاةِ وَمَنْ لَا يَصْلُحُ ، وَمَنْ لَهُ هَوًى فِي التَّخَشُّنِ أَوْ فِي التَّنَعُّمِ ، فَيَخْلَعُ
الْمُرِيدَ مِنْ عَادَتِهِ ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ مَضِيقِ هَوًى نَفْسِهِ ، وَيُطْعِمُهُ بِاخْتِيَارِهِ ،
وَيُلْبِسُهُ بِاخْتِيَارِهِ ثَوْباً يَصْلُحُ لَهُ ، وَهَيْئَةً تَصْلُحُ لَهُ ، يُدَاوِي بِالخِرْقَةِ
الْمَخْصُوصَةِ وَالْهَيْئَةِ الْمَخْصُوصَةِ دَاءَ هَوَاهُ ، وَيَتَوَخَّى بِذَلِكَ تَقْرِيْبَهُ إِلَى رِضَا
مَوْلَاهُ .

فَالْمُرِيدُ الصَّادِقُ الْمُتْلِهَبُ بَاطِنُهُ بِنَارِ الْإِرَادَةِ فِي بُدْوِ أَمْرِهِ وَحِدَّةِ إِرَادَتِهِ . .
كَالْمَلْسُوعِ الْحَرِيصِ عَلَى مَنْ يَرْقِيهِ وَيُدَاوِيهِ ، فَإِذَا صَادَفَ شَيْخاً انْبَعَثَ مِنْ
بَاطِنِ الشَّيْخِ صَدَقُ الْعِنَايَةِ بِهِ ؛ لَا طَّلَاعِهِ عَلَيْهِ ، وَينبَعثُ مِنْ بَاطِنِ الْمُرِيدِ
صَدَقُ الْمَحَبَّةِ بِتَأَلُّفِ الْقُلُوبِ وَتَشَامُّ الْأَرْوَاحِ ^(١) ، وَظَهْوَرِ سِرِّ السَّابِقَةِ فِيهِمَا
بِاجْتِمَاعِهِمَا فِي اللَّهِ فِي اللَّهِ بِاللَّهِ ، فَيَكُونُ الْقَمِيصُ الَّذِي يُلْبَسُ الشَّيْخُ الْمُرِيدَ خِرْقَةً
تُبَشِّرُ الْمُرِيدَ بِحُسْنِ عِنَايَةِ الشَّيْخِ بِهِ ^(٢) ، فَتَعْمَلُ عِنْدَ الْمُرِيدِ عَمَلَ قَمِيصِ
يُوسُفَ عِنْدَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

= من هامش (ج) ، وانظر « النكت والعيون » (٢٢٠ / ٣) .

(١) أي : الائتلاف السابق في عالم الأرواح ؛ لما قال عليه السلام : « الأرواح جنودٌ
مُجَنَّدَةٌ . . . » الحديث ؛ أي : باجتماع الشيخ والمريد في مقام الإخلاص ، ثم في مقام
الفناء ، ثم في مقام البقاء . من هامش (ج) .

(٢) في نسخة على هامش (د) : (الله) بدل (الشيخ)

وقد نُقِلَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ . جُرِّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَقُذِفَ فِي النَّارِ عُزَيَانًا ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَمِيصٍ مِنْ حَرِيرِ الْجَنَّةِ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا مَاتَ وَرِثَهُ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَعَلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ الْقَمِيصَ فِي تَعْوِيدٍ وَجَعَلَهُ فِي عُنُقِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَانَ لَا يُفَارِقُهُ ، فَلَمَّا أُلْقِيَ فِي الْبُئْرِ عُزَيَانًا جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ عَلَيْهِ التَّعْوِيدُ ، فَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ مِنْهُ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهُ^(١) .

(٣٦) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ رَضِيَ الدِّينُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَزْوِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ فَنَجُويَةَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلَّوِيَّةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ ، عَنْ ابْنِ السُّدِّيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : (كَانَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَعْلَمَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَلَّا يَعْلَمَ أَنَّ قَمِيصَهُ لَا يَرُدُّ عَلَى يَعْقُوبَ بَصْرَهُ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كَانَ قَمِيصَ إِبْرَاهِيمَ

(١) سيأتي تخريجه (٣٤٣ / ١) .

(٢) في (ب ، هـ ، ز) : (أبو سعيد) بدل (أبو سعد) ، وأبو سعد : هو الإمام الفقيه الأديب الشاعر محمد بن أحمد بن محمد بن الخليل الخليلي التُّوْقَانِي (ت ٥٤٨ هـ) ، وسيأتي مصححاً دون تنبيهه ، وانظر « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (١٣٧٠ / ١) .

(٣) هو أبو سعيد الفَرُّخَزَادِي الطُّوسِي (ت ٤٧٧ هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٠٦ / ٣٢) .

عليه السلام) ، وذكر ما ذكرناه ، قال : (فأمره جبريل عليه السلام أن أرسل بقميصك ؛ فإن فيه ريح الجنة ، لا يقع على مبتلى أو سقيم إلا صحَّ وعوفي)^(١) .

فتكون الخِرقة عند المرید الصادق مُحمَّلة إليه عَرَفَ الجنة ؛ لما عنده من الاعتداد بالصُّحبة لله تعالى ، ويرى لبس الخِرقة من عناية الله تعالى به وفضله عليه .

فأما خِرقة التبرُّك فيطلبها من مقصوده التبرُّك بزيِّ القوم ، ومثل هذا لا يُطالب بشرائط الصُّحبة ، بل يُوصى بلزوم حدود الشرع ، ومخالطة هذه الطائفة ؛ ليعود عليه بركتهم ، ويتأدَّب بأدابهم ، فسوف يُرقِّيه ذلك إلى الأهلية لخِرقة الإرادة .

فعلى هذا : خِرقة التبرُّك مبدولة لكلِّ طالب ، وخِرقة الإرادة ممنوعة إلا من الصادق الراغب .

ولبس الأزرَق من استحسان الشيوخ في الخِرقة ، فإن رأى شيخ أن يلبس مُريداً غير الأزرَق . . فليس لأحد أن يعترض عليه ؛ لأن المشايخ آراؤهم فيما يفعلون بحكم الوقت .

وكان شيخنا رحمه الله عليه يقول : (كان الفقير يلبس قصير الأكمام ؛ ليكون أعون على الخدمة) .

(١) الكشف والبيان (١٤٧/١٥ - ١٤٨) ، ورواه بنحوه الواحدي في « الوسيط » (٦٣١/٢) مرفوعاً عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١١٩٥٦) عن سيدنا المطلب بن عبد الله بن حنطب رضي الله عنه ، وانظر « الدر المنثور » (٥٧٩/٤ - ٥٨٠) .

ويجوز للشيخ أن يلبس المريد خرقاً في دفعاتٍ على قدر ما يتلَّحُّ من المصلحة للمريد في ذلك ، على ما أسلفناه من مداواة هواه في الملبوس .
والمُلَوَّن ؛ فيختار الأزرق ؛ لأنه أرفق للفقير ؛ لكونه يحمل الوسخ ، ولا يُحوِّج إلى زيادة الغسل ؛ لهذا المعنى فحسب ، وما عدا هذا من الوجوه التي يذكرها بعض المتصوفة في ذلك . . فهو كلامٌ إقناعيٌّ من كلام المتصنِّعين ، ليس من الدين والحقيقة بشيء .

سمعتُ الشيخَ سديدَ الدينِ أبا الفخرِ الهَمْدانيَّ رحمه الله قال^(١) : كنتُ ببغدادَ عندَ أبي بكرِ الشُّروطيِّ ، فخرجَ إلينا فقيرٌ من زاوِيتهِ وعليه ثوبٌ وسِخٌ ، فقالَ له بعضُ الفقراءِ : لِمَ لا تغسلُ ثوبَكَ ؟ فقالَ : يا أخي ؛ ما أتفرَّغُ ، فقالَ الشيخُ أبو الفخرِ : لا أزالُ أتذكَّرُ حلاوةَ قولِ الفقيرِ : (ما أتفرَّغُ) ؛ لأنَّه كانَ صادقاً في ذلك ، وأجدُ لذةً لقولِهِ ، وبركةً بتذكاري ذلك .

فاختاروا المُلَوَّن ؛ لهذا المعنى ؛ لأنَّهم من رعايةٍ وقتِهِم في شُغْلٍ شاغلٍ ، وإلاَ فأيُّ ثوبٍ ألبَسَ الشيخُ المريدَ من أبيضٍ وغيرِ ذلك . . فللشيخ ولايةٌ ذلك ؛ لحسنِ مقصِدهِ ، ووُفُورِ علمِهِ .

وقد رأينا من المشايخ مَنْ لا يلبسُ الخِرْقَةَ ، ويسلُكُ بأقوامٍ من غيرِ لبسِ الخِرْقَةِ ، ويؤخذُ منه العلومُ والآدابُ ، وقد كانَ طبقةً من السلفِ الصالحينَ لا يعرفونَ الخِرْقَةَ ، ولا يلبسونها المرِدينَ .

(١) في أكثر النسخ : (الهَمْداني) بالمهملة .

فَمَنْ يُلْبِسُهَا فَلَهُ مَقْصِدٌ صَحِيحٌ ، وَأَصْلٌ مِنَ السُّنَّةِ ، وَشَاهِدٌ مِنَ الشَّرْعِ ،
وَمَنْ لَا يُلْبِسُهَا فَلَهُ رَأْيُهُ ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مَقْصِدٌ صَحِيحٌ ، وَكُلُّ تَصَارِيفِ
الْمَشَايخِ مَحْمُولَةٌ عَلَى السَّدَادِ وَالصَّوَابِ ، وَلَا تَخْلُو عَنْ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ فِيهَا ^(١) ،
فَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِمْ وَبِأَثَارِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ إِنَّهُ قَدِيرٌ ، وَبِالْإِجَابَةِ
جَدِيرٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ ^(٢) .



(١) وَسُئِلَ الْمُؤَلَّفُ عَنْ اسْتِدْعَاءِ الْخِرْقَةِ وَطَلَبِهَا مِنَ الشُّيُوخِ ، فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ جَائِزٌ ؛ بِدَلِيلِ
الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الصَّحَابِيُّ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِي حَاشِيَتِهَا حَرِيرٌ ، فَقَالَتْ : إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدَي
أَكْسُوكَهَا ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا وَإِنَّهَا
لِإِزَارَتِهِ ، فَجَسَّهَا رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَكْسُنِيهَا ، قَالَ : نَعَمْ ، فَجَلَسَ
فِي الْمَجْلِسِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ :
مَا أَحْسَنْتَ ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا !! فَقَالَ الرَّجُلُ : وَاللَّهِ ؛ مَا سَأَلْتُهَا
إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ ، قَالَ سَهْلٌ : فَكَانَتْ كَفَنَهُ ، [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٩٣)] ؛
فَيَجُوزُ اسْتِدْعَاءُ الْخِرْقَةِ مِمَّنْ يُعْتَقَدُ فِيهِ الْخَيْرُ مِنَ السَّادَةِ الْفَضْلَاءِ تَبَرُّكًا بِهِمْ وَبِلِبَاسِهِمْ .
« أَجُوبَةُ السُّهْرُورِيِّ » (ق/ ٢٤) .

(٢) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلَغَ قِرَاءَةً فِي الثَّامِنِ عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ ، كَاتِبِهِ
عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ دَاوُدَ الْمَقْدِسِيِّ) ، وَفِيهِ أَيْضًا : (بَلَغَ سَمَاعُهُمْ فِي الْحَادِي عَشَرَ بِقِرَاءَةِ
الْكَاتِبِ) .

الباب الثالث عشر

في فضيلة سكان الرُّبُط^(١)

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَلْقَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٦-٣٧] (٢) .

(١) ومن المناسب إبرأذه ها هنا : ما سُئِلَ عنه إمامنا المؤلَّف ؛ وهو أَنَّهُ هل يجوز للمريد أن يسكن الرُّبُطَ والخوانقَ أو الزوايا المبنية من أموال السلاطين والولاة ويأكل من أوقافها ؟ فأجاب : بَأَنَّهُ يجوز له أن يسكنها ، ولكن بشرط ألا يأكل من مال الوقف ، إلا إذا كَمَلَ شُغْلُهُ بالله تعالى ولم يبقَ للبطالة عليه طريقٌ ، فيكون ما يتناولُهُ من القرية بمثابة المدارة للعليل للرفق به وإبقاء الرmq عليه عند الضرورة ، وإلا فالكسبُ به أولى ، وربَّما كان سُكْنَى الرباط أبعدَ له من الآفات والشهوة ؛ لأنَّ أربابَ الزوايا [يستهترون] أعجل من أرباب الرُّبُط ، ولكن بشرط ألا يسترسلَ في الاختلاط وكثرة المعاشرة ؛ فَإِنَّهُ الداءُ العُضَالُ المهلك ؛ فَإِنَّ باسترساله في المعاشرة تسترقه النفسُ ؛ لما لها في ذلك من اللذَّة والراحة ، فلا تزالُ به حتى تُوقِعَهُ في المُحَرَّمَات من حيثُ لا يعلم ، فينبغي له أن يُوزَّع أوقاته ، فيعمرَ كلَّ وقت بما يصلح له ؛ لتكونَ أوقاته محفوظةً عليه بأنواع العبادات ، فكفى بالعبادة شغلًا ، ويستعين بالله فهو خير معين . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٥) .

(٢) قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللهُ . . . ﴾ ؛ أي : بالبناء والتعظيم . « أنوار » ، قيل : يُرْفَع فيها الحوائج إلى الله ، وقيل : الحوائج من القلوب ، وشغلُ القلوب بالذكر . وقوله : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ ﴾ ؛ أي : يُصَلِّيُ له فيها بالغداة ؛ صلاة الفجر ، وبالأصال : صلاة الظهر والعصر والعشاءين ، وإنما وُحِدَ الغداة ؛ لأنَّ صلاته واحدة ، =

قِيلَ : إِنَّ هَذِهِ الْبُيُوتَ هِيَ الْمَسَاجِدُ^(١) ، وَقِيلَ : هِيَ بُيُوتُ الْمَدِينَةِ^(٢) ،
 وَقِيلَ : بُيُوتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) .

وَقِيلَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ :
 يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ هَذِهِ الْبُيُوتُ مِنْهَا بَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؟ قَالَ :
 « نَعَمْ ، مِنْ أَفْضَلِهَا »^(٤) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : (هِيَ بِقَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا ؛ جُعِلَتْ مَسْجِدًا لِرَسُولِ اللَّهِ

وفي الأصول صلوات ، والأصال : جمع (أصيل) ؛ وهو العشي . « مدارك » .
 وقوله : ﴿ رَجَالٌ ﴾ قال بعضهم : (رجالٌ قلوبُهم مُعَلِّقَةٌ بالسَّوَابِقِ وَالْخَوَاتِمِ ، أَشْغَلَهُمْ
 مَا جَرَى عَلَيْهِمْ فِي الْأَزَلِ ، وَحَزَنُ مَا يَرِدُّونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ . . . عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا ،
 وَالتَّقَلُّبِ فِيهَا ، وَالتَّمَتُّعِ بِهَا) ، وقال بعضهم : (رجالٌ أَسْقَطَ عَنْهُمْ الْمُكُونُ ذَكَرَ
 الْمُكُونَاتِ ، فَلَا تَشْغَلُهُمُ الْأَسْبَابُ عَنِ الْمُسَبِّبِ) .

وقوله : ﴿ نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ؛ أي : بالشَّخْصِ ، [أو] الزَّرَقَةِ ؛ أي :
 تَتَقَلَّبُ الْقُلُوبُ إِلَى الْإِيمَانِ بَعْدَ الْكُفْرَانِ ، وَالْأَبْصَارُ إِلَى الْعِيَانِ بَعْدَ إِنْكَارِهِ الطَّغْيَانِ ؛
 كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] . « مدارك » .

وقال الحسين : (إِذَا عَلِمْتَ تَقَلُّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ . . . فَلْيَكُنْ شِغْلُكَ فِي النَّظَرِ إِلَى
 أَعْمَالِهِ فَيْكَ ، وَتَوَقَّ الْخِلَافَ وَالْغَفْلَةَ) « حقائق » . من هامش (ح) .

(١) قاله ابن عباس ومجاهد والحسن . انظر « تفسير الطبري » (١٨٩/١٩ - ١٩٠) ،
 و« تفسير القرطبي » (٢٦٥/١٢) .

(٢) قاله السُّدِّيُّ ، كما في « الكشف والبيان » (٢٧٥/١٩) ، وجعله الكرمانى في « غرائب
 التفسير » (٧٩٩/٢) من الغريب .

(٣) قاله مجاهد . انظر « تفسير القرطبي » (٢٦٥/١٢) ، و« الدر المنثور » (٢٠٣/٦) .

(٤) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٧٣-٢٧٤/١٩) ، وابن مردويه كما في « الدر
 المنثور » (٢٠٣/٦) عن سيدنا أنس وبريدة رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف »
 (١٦٨/١) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

فعلى هذا : الاعتبارُ بالرجالِ الذَّاكِرِينَ لا بِصُورِ الْبِقَاعِ ، وأَيُّ بُقْعَةٍ حَوَتْ رجالاً بهذا الوصفِ هِيَ الْبُيُوتُ الَّتِي أَدِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ .

روى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (مَا مِنْ صَبَاحٍ وَلَا رَوَاحٍ إِلَّا وَبِقَاعُ الْأَرْضِ يُنَادِي بَعْضُهَا بَعْضاً : هَلْ مَرَّ بِكَ الْيَوْمَ أَحَدٌ صَلَّى عَلَيْكَ أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ عَلَيْكَ ؟ فَمِنْ قَائِلَةٍ : نَعَمْ ، وَمِنْ قَائِلَةٍ : لَا ، فَإِذَا قَالَتْ : نَعَمْ . . عَلِمَتْ أَنَّ لَهَا عَلَيْهَا بِذَلِكَ فَضْلاً .

وما مِنْ عَبْدٍ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى بُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا . . إِلَّا شَهِدَتْ لَهُ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَبَكَتْ عَلَيْهِ يَوْمَ يَمُوتُ (٢) .

وقيلَ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ . . . ﴾ [الدخان : ٢٩] : تَنبِيهٌُ عَلَى فَضِيلَةِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ (٣) ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ تَبْكِي عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَبْكِي عَلَى مَنْ رَكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَاتَّبَعَ الْهَوَى .

(١) أوردته الثعلبي في « تفسيره » (٤٤٥ / ٢٧) ، والبغوي في « تفسيره » (٢٤٢ / ٨) عند قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن : ١٨] .

(٢) رواه إلى قوله : (بذلك فضلاً) ابن المبارك في « الزهد » (٣٣٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وروى باقيه ابن المبارك في « الزهد » (٣٣٩) ، وأبو يعلى في « المسند » (٤١١٠) ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٤٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٨٦١) عن عطاء الخراساني رحمه الله تعالى .

(٣) في (أ ، ح) : (أهل ذكر الله) بدل (أهل الله) .

فَسُكَّانُ الرِّبَاطِ هُمُ الرِّجَالُ^(١) ؛ لِأَنَّهُمْ رَبَطُوا نَفْسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَانْقَطَعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الدُّنْيَا خَادِمَةً .

رَوَى عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أُنْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مُؤْنَتَهُ ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ أُنْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا »^(٢) .

وَأَصْلُ الرِّبَاطِ : مَا تُرْبَطُ فِيهِ الْخُيُولُ ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ ثَغْرِ يَدْفَعُ أَهْلَهُ عَمَّنْ وَرَاءَهُمُ : رِبَاطٌ ؛ فَالْمُجَاهِدُ الْمُرَابِطُ يَدْفَعُ عَمَّنْ وَرَاءَهُ ، وَالْمُقِيمُ فِي الرِّبَاطِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ يُدْفَعُ بِهِ وَبِدَعَائِهِ الْبَلَاءُ عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ .

(٣٧) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ رَضِيَ الدِّينُ أَبُو الْخَيْرِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَزْوِينِيُّ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَلِيلِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَرُّخَزَادِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ ابْنُ خُرْجَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو حُمَيْدٍ الْحِمَصِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ [الْعَطَّارُ]^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوْقَةَ ، عَنْ وَبَرَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،

(١) أي : المذكورون في قوله تعالى : ﴿ رِجَالٌ ﴾ [النور : ٣٧] . من هامش (و) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٣٥٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٤٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٠٥ / ٧) .

(٣) في النسخ : (القطان) ، والمثبت من المصادر الآتية ، والعطار : هو أبو زكريا الأنصاري الشامي الحمصي . انظر « تهذيب الكمال » (٣٤٤-٣٤٣ / ٣١) ، و « سير أعلام النبلاء » (٤٧٢ / ٩) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَدْفَعُ بِالْمُسْلِمِ الصَّالِحِ عَنْ مِثَّةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِهِ
الْبَلَاءَ » (١) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَوْلَا عِبَادُ اللَّهِ رُكَّعٌ ، وَصِيَّةٌ
رُضِعَ ، وَبَهَائِمُ رُتِعَ . لَصَبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا ، ثُمَّ يُرَضُّ رَضًّا » (٢) .

وروي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُصْلِحُ بِصَلَاكِ الرَّجُلِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ ، وَأَهْلَ
دَوِيرَتِهِ ، وَدَوِيرَاتِ حَوْلِهِ ، وَلَا يَزَالُونَ فِي حِفْظِ اللَّهِ مَا دَامَ فِيهِمْ » (٣) .

وروي داود بن صالح قال : قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن :
يا بن أخي ؛ هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾

(١) الكشف والبيان (٣٨-٣٩ / ٧) ، ورواه الطبري في « تفسيره » (٣٧٤ / ٥) ، والطبراني
في « المعجم الكبير » (٢١٥ / ١٣) ، و« المعجم الأوسط » (٤٠٨٠) ، وفي النسخ
ما عدا (د ، ب ، هـ) : (من أهل بيته ومن جيرانه البلاء) ، وانظر « غنية العارف »
(١٧١ / ١) .

(٢) رواه ابن أبي عاصم في « الأحاد والمثاني » (٩٦٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير »
(٣٠٩ / ٢٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٤٥ / ٣) عن سيدنا مسافع الدبلي
رضي الله عنه ، وقوله : (رُتِعَ) يُقَالُ : رَتَعَتِ الْمَاشِيَةُ رَتْعًا : رَعَتْ كَيْفَ شَاءَتْ ، وفي
« الأحاد والمثاني » : (ثُمَّ رُضُّ رَضًّا) بالصاد ، قال ابن الأثير في « النهاية »
(٢٢٩ / ٢) على رواية الضاد : (هكذا جاء في رواية ، والصحيح بالصاد المهملة) ،
وفي هامش (ح) : (الرضُّ : الدقُّ الجريش ؛ جَرَشْتُ الشَّيْءَ : إِذَا لَمْ تُنْعِمْ دَقُّهُ ، فَهُوَ
جَرِشٌ) ، وَرُضُّ رَضًّا ؛ أَي : ضُمَّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٣٧٤-٣٧٥ / ٥) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرى »
(١١٨٦٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (٣٣٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف »
(٣٦٥٦٤) من قول محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى .

وَرَابِطُوا ﴿آل عمران : ٢٠٠﴾ ؟ قُلْتُ : لا ، قَالَ : يَا بَنَ أَخِي ؛ لَمْ يَكُنْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوٌ يُرْبِطُ فِيهِ الْخَيْلُ ، وَلَكِنَّهُ انْتَظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ^(١) .

فَالرِّبَاطُ لَجِهَادِ النَّفْسِ ، وَالْمُقِيمُ فِي الرِّبَاطِ مُرَابِطٌ مُجَاهِدٌ نَفْسَهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : (هُوَ مُجَاهِدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى ، وَذَلِكَ حَقُّ الْجِهَادِ ، وَهُوَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ) ^(٢) ؛ عَلَى مَا رُوِيَ فِي الْخَبَرِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ رَجَعَ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ : « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ » ^(٣) .

وَقِيلَ : إِنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ كَتَبَ إِلَى أَخٍ لَهُ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى الْغَزْوِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : يَا أَخِي ؛ كُلُّ الثُّغُورِ مَجْتَمِعَةٌ لِي فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَالْبَابُ عَلَيَّ مُرْدُودٌ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ : لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لَزِمُوا مَا لَزِمْتَهُ . . اخْتَلَّتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَغَلَبَ الْكُفَّارُ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْغَزْوِ وَالْجِهَادِ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ : يَا أَخِي ؛ لَوْ لَزِمَ النَّاسُ مَا أَنَا عَلَيْهِ . . لَقَالُوا فِي زَوَايَاهُمْ

(١) رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي « الزَّهْدِ » (٤٠٨) ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبْرِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٥٠٤ / ٧) ، وَالْحَاكِمُ (٣٠١ / ٢) ، وَانْظُرْ « غِنِيَةَ الْعَارِفِ » (١٧٣ / ١) .

(٢) أَوْرَدَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي « الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ » (٤١٣ / ١٨) ، وَالْبَغَوِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٤٠٢ / ٥) .

(٣) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الزَّهْدِ الْكَبِيرِ » (٣٧٣) ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « تَارِيخِ بَغْدَادِ » (٤٩٨ / ١٣) عَنْ سَيِّدِنَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرْ « غِنِيَةَ الْعَارِفِ » (١٧٣ / ١) .

على سَجَادَاتِهِمْ : (الله أكبر) انهدم سُورُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ !!^(١) .

وقال بعضُ الحكماءِ : (ارتفاعُ الأصواتِ في بُيُوتِ العباداتِ ، بحُسنِ الثَّباتِ وصفاءِ الطَّوَيَّاتِ . . يَحُلُّ ما عَقَدَتْهُ الأفلاكُ الدَّائِرَاتُ)^(٢) .

فاجتماعُ أهلِ الرُّبُطِ إذا صَحَّ على الوجهِ الموضوعِ لَهُ الرُّبُطُ^(٣) ، وتحقُّقُ أهلِ الرُّبُطِ بحُسنِ المُعاملَةِ ، ورعايةِ الأوقاتِ ، وتوقِّي ما يُفسِدُ الأعمالَ ، واعتمادِ ما يُصحِّحُ الأحوالَ^(٤) . . عادتِ البركةُ على العبادِ والبلادِ^(٥) .

وقال سِرِّي السَّقَطِيُّ رحمهُ اللهُ في قولِهِ تعالى : ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ : (اصْبِرُوا عَنِ الدُّنْيَا رجاءَ السَّلامَةِ ، وصَابِرُوا عِنْدَ الْقِتَالِ بِالثَّباتِ والاستقامةِ ، ورابطُوا أهواءَ النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ، واتَّقُوا ما يُعَقِّبُ لَكُمْ مِنَ النَّدامَةِ ؛ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ غداً على بَساطِ الكرامةِ)^(٦) .

(١) في (ي) ونحوها في (ج) : (فقالوا . . . لانهدم) .

(٢) أورده أبو بكر الخوارزمي في « مفيد العلوم » (ص ٤٤٩) ، وعزاه ابن تيمية في « الرد على المنطقيين » (ص ٢٧٢) إلى بطليموس .

(٣) من الاجتماعِ لله في الله ، والاشتغالِ بطاعةِ الله على موافقةِ أصحابِ الصُّفَّةِ ، وتركِ الدنيا على أربابها وطُلَّابها . من هامش (ح) ، وستأتي بعد قليل شروط ساكني الرُّبُطِ .

(٤) في نسخة على هامش (و) : (يصلح) بدل (يصحح) .

(٥) أي : عاد نزولُ البركةِ بعدَ الانصرافِ بالثباتِ والاستقامةِ ، وعدمِ الانصرافِ والفرارِ . من هامش (ح) .

(٦) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٥٩٧/٩) ، وفي هامش (ح) : (اصبروا على الدَّينِ وتكاليفه ، قال الجنيد : « الصبر : حَبْسُ النَّفْسِ على المكروهِ بنفيِ الجزعِ » . « مدارك » ، وصابروا ؛ أي : أعداءَ الله في الجهادِ ؛ أي : غالبوهم في الصبر على شدائدِ الحربِ ، ولا تكونوا أقلَّ صبراً منهم وثباتاً . « مدارك ») ، وفي هامشه أيضاً : (الفلاح : البقاء مع المحبوب بعدَ الخلاصِ عن المكروهِ . « مدارك ») .

وقيلَ : (اصبرُوا على بلائي ، وصابِرُوا على نَعْمائي ، وربطُوا في دارِ أعدائي ، واتَّقُوا محبَّةَ مَنْ سِوائي ؛ لعلَّكُمْ تَفْلِحُونَ غداً بِلِقَائِي)^(١) .

وهذه شرائطُ ساكنِ الرِّباطِ ؛ قَطَعَ المُعاملةَ معَ الخَلْقِ ، وَفَتَحَ المُعاملةَ معَ الحقِّ ، وَتَرَكَ الاكتسابَ اكتفاءً بكفالةِ مُسَبِّبِ الأسبابِ ، وَحَبَسَ النَّفْسَ عَنِ المُخَالَطاتِ اجتنابَ التَّبعاتِ ، وَعَانَقَ ليلَهُ ونهارَهُ العبادةَ^(٢) ، مُتَعَوِّضاً بِهَا عن كُلِّ مألوفٍ وعادةٍ^(٣) ، شُغْلُهُ حِفْظُ الأوقاتِ ، ومُلازِمَةُ الأورادِ ، وانتظارُ الصَّلواتِ ، واجتنابُ الغَفَلاتِ ؛ ليكونَ بِذلكَ مُرابطاً مُجاهِداً^(٤) .

(٣٨) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ نَبْهَانَ مُحَمَّدٌ الْكَاتِبُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ شاذَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا دَعْلَجٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْبَغَوِيُّ ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا صَفْوَانٌ ، عَنِ الْحَارِثِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ ، وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَأَنْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ . . يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلًا »^(٥) .

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٥٩٧/٩) ، وعزاه الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٢) إلى أبي بكر الواسطي رحمه الله تعالى .

(٢) في (و) : (للعبادة) ، والعبارة في نسخة علي هامش (أ) : (ومعانقة العبادة ليلاً ونهاراً) .

(٣) زاد في (ب ، ه ، ح) : (فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ) .

(٤) قوله : (بذلك) ؛ أي : ما مرَّ من الشرائط .

(٥) الطهور (١٤) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ورواه المؤلف في « مشيخته » (ص ٤٨) ، =

وفي رواية : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؛ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ » (١) .



= والحاكم (١٣٢ / ١) ، وأبو يعلى في « المسند » (٤٨٨) ، والبخاري في « المسند » (٥٢٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٤٨٤) .

(١) رواه مالك (١٦١ / ١) ، والنسائي (٨٩ / ١) ، وأحمد (٣٠٣ / ٢) ، وابن حبان (١٠٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الباب الرابع عشر

في مشابحة أهل الرباط بأهل الصفة

قال الله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

وَصَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قِيلَ لَهُمْ : ماذا كنتم تصنعون حتى أثنى الله تعالى عليكم بهذا الشئ ؟ قالوا : كُنَّا نَتَّبِعُ الْمَاءَ الْحَجَرَ^(١) .

وهذا وأشباهه من الآدابِ وَظِيفَةُ صُوفِيَّةِ الرُّبُطِ^(٢) ، يُلَازِمُونَهُ وَيَتَعَاهَدُونَهُ .

وَالرُّبَاطُ بَيْتُهُمْ وَمَنْزِلُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ دَارٌ ، وَالرُّبَاطُ دَارُهُمْ ، وَقَدْ

(١) يعني : نستنجي بالحجر أولاً ثم بالماء ، وهو سِنَّةٌ . من هامش (ح) ، والحديث رواه أحمد (٤٢٢ / ٣) ، وابن خزيمة (٨٣) عن سيدنا عويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى قُبَاءَ فَقَالَ لِأَهْلِهِ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمُ الثَّنَاءَ فِي الطَّهْوِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ ، فَمَا هَذَا الطَّهْوُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ ؟ » ، قالوا : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَا نَعْلَمُ شَيْئاً ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَنَا جِيرَانٌ مِنَ الْيَهُودِ ، فَكَانُوا يَغْسِلُونَ أَدْبَارَهُمْ مِنَ الْغَائِطِ ، فَغَسَلْنَا كَمَا غَسَلُوا ، وَانْظُرْ « تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ » (٤٨٤ / ١٤ - ٤٩٠) .

(٢) في (د) : (وَظِيفَةُ الصُّوفِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الرِّبَاطِ) .

شابهوا أهل الصُّفَّةِ في ذلك ؛ على ما :

(٣٩) - أخبرنا أبو زُرْعَةَ ، عن أبيهِ الحافظِ المَقْدِسِيِّ قَالَ : أخبرنا أحمدُ بنُ محمدٍ البزارُ ، قَالَ : أخبرنا عيسى بنُ عليِّ الوزيرُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ البَغَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وهبُ بنُ بَقِيَّةٍ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا خالدُ بنُ عبدِ اللهِ ، عن داودَ بنِ أبي هَندٍ ، عن أبي حربِ بنِ أبي الأسودِ ، عن طلحةَ رضيَ اللهُ عنه قَالَ : (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَكَانَ لَهُ بِهَا عَرِيفٌ . . يَنْزِلُ عَلَى عَرِيفِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا عَرِيفٌ نَزَلَ الصُّفَّةَ ، وَكَنتُ فِيمَنْ نَزَلَ الصُّفَّةَ)^(٢) .

فالقومُ في الرِّبَاطِ مُرَابِطُونَ ، مُتَّفِقُونَ عَلَى قَصْدٍ وَاحِدٍ ، وَعَزْمٍ وَاحِدٍ ، وَأَحْوَالٍ مُتَنَاسِبَةٍ ، وَوُضِعَ الرِّبَاطُ لِهَذَا الْمَعْنَى ؛ أَنْ يَكُونَ سُكَّانُهُ بَوَصْفِ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، وَالْمُقَابِلَةُ بِاسْتِوَاءِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَمَنْ أَضْمَرَ لِأَخِيهِ غِلًّا فَلَيْسَ بِمُقَابِلِهِ وَإِنْ كَانَ وَجْهُهُ إِلَيْهِ .

فأهلُ الصُّفَّةِ هَكَذَا كَانُوا ؛ لِأَنَّ مَثَارَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَجُودُ الدُّنْيَا ، وَحُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ^(٣) .

(١) في (ب ، و ، ح) : (وهبان) بدل (وهب) ، ووهب بن بقية : هو أبو محمد بن بقية بن عثمان بن سابور الواسطي (ت ٢٣٩ هـ) ، و (وهبان) لقب له ، وانظر « تهذيب الكمال » (١١٥ / ٣١) ، و « سير أعلام النبلاء » (١١ / ٤٦٢) .

(٢) صفوة التصوف (٥٢٦) ، ورواه الحاكم (١٥ / ٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤٤٥ / ٢) .

(٣) كما رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٩) =

فأهل الصُّفَّةِ رَفَضُوا الدُّنْيَا ؛ فَكَانُوا لَا يَرْجِعُونَ إِلَى ضَرْعٍ وَلَا إِلَى زَرْعٍ ،
فَزَالَتِ الْأَحْقَادُ وَالْغُلُّ عَنْ بَوَاطِنِهِمْ ، وَهَكَذَا أَهْلُ الرُّبْطِ ؛ مُتَقَابِلُونَ بظواهرِهِمْ
وَبَوَاطِنِهِمْ ، مُجْتَمِعُونَ عَلَى الْأَلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ ، يَجْتَمِعُونَ لِلْكَلامِ ^(١) ،
وَيَجْتَمِعُونَ لِلطَّعامِ ، وَيَتَعَرَّفُونَ بِرِكةِ الْاجْتِمَاعِ .

روى وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُمْ قَالُوا ^(٢) : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛
إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ ، قَالَ : « لَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ عَلَى طَعَامِكُمْ ، أَجْتَمِعُوا
وَأَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ » ^(٣) .

وروى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خُوانٍ ، وَلَا فِي سُكَّرُجَةٍ ، وَلَا خُبْزَ لَهُ مُرَقَّقٌ ، فَقِيلَ : فَعَلَى
أَيِّ شَيْءٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ ؟ قَالَ : عَلَى السُّفْرِ ^(٤) .

فَالْعَبَادُ وَالزُّهَّادُ طَلَبُوا الْإِنْفِرَادَ ؛ لِدُخُولِ الْآفَاتِ عَلَيْهِمْ بِالْاجْتِمَاعِ ، وَكَوْنَ
نَفْسِهِمْ تُفِيقُ لِلْأَهْوِيَةِ وَالْخَوْضِ فِيهَا لَا يَعْنِي ^(٥) ، فَرَأَوْا السَّلَامَةَ فِي الْوَحْدَةِ .

= مرسلاً عن الحسن البصري رحمه الله تعالى ، وانظر « كشف الخفاء » (١/٣٤٤-٣٤٥) .

(١) أي : للتعلُّمِ والتعليم والمناقرة ، والاستصلاح والتشاور . من هامش (ح) .

(٢) أي : أصحابُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٦٤) ، وابن ماجه (٣٢٨٦) ، وأحمد (٥٠١/٣) ، وابن حبان

(٥٢٢٤) ، وروى معناه البخاري (٥٣٩٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ،

ومسلم (٢٠٥٩) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٥٣٨٦) ، والخُوان : المائدة ، أو هو ما يُؤْكَلُ عَلَيْهِ مِنْ نَحْوِ كُرْسِيٍّ

عَلَى عَادَةِ الْمُتَرَفِّهِينَ ؛ لِثَلَا يَفْتَقِرُوا إِلَى الْإِنْخِئَاءِ حَالَ أَكْلِهِمْ ، وَالشُّكْرُجَةُ : قِصَاعٌ صَغِيرٌ

يُؤْكَلُ فِيهَا ، مِنْهَا الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ ، وَالْكَبِيرُ يَحْمَلُ سِتَ أَوْاقٍ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْعَجْمَ

كَانَتْ تَسْتَعْمَلُهُ وَتَضَعُ فِيهِ بَعْضَ الْجَوَارِشِ مِنَ الْمَوَادِّ الَّتِي تُسْتَخْدَمُ لِلتَّشْهِيِّ وَالْهَضْمِ .

(٥) فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (أ) : (تَتَوَقَّ) بَدَلُ (تَفِيقُ) ، وَتَفِيقٌ : تَسْتَقِظُ ، وَقَوْلُهُ : =

وَالصُّوفِيَّةُ لِقُوَّةِ عِلْمِهِمْ ، وَصِحَّةِ حَالِهِمْ .. نُزِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ ؛ فَرَأَوْا
الاجتماعَ فِي بيوتِ الجماعةِ عَلَى السَّجَّادَةِ ، فَسَجَّادَةُ كُلِّ وَاحِدٍ زَاوِيَتُهُ ، وَهُمْ
كُلُّ وَاحِدٍ مُهْمُهُ ، وَلَعَلَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لَا يَتَخَطَّى هِمُّهُ سَجَّادَتَهُ .

وَلَهُمْ فِي اتِّخَاذِ السَّجَّادَةِ وَجَةٌ مِنَ السُّنَّةِ ؛ رَوَى أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (كُنْتُ أَجْعَلُ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصِيرًا مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي عَلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ) (١) .

وَرَوَتْ مِيمُونَةُ زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُبْسَطُ لَهُ الْخُمْرَةُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا) (٢) .

وَالرِّبَاطُ يَحْتَوِي : عَلَى شُبَّانٍ ، وَشُيُوخٍ ، وَأَصْحَابِ خِدْمَةٍ ، وَأَرْبَابِ
خَلْوَةٍ .

فَالْمَشَايخُ بِالزَّوَايَا أَلْيَقُ ؛ نَظَرًا إِلَى مَا تَدْعُو إِلَيْهِ النَّفْسُ مِنَ النَّوْمِ
وَالرَّاحَةِ ، وَالِاسْتِبْدَادِ بِالْحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ ، فَلِلنَّفْسِ شَوْقٌ إِلَى التَّفَرُّدِ
وَالِاسْتِرْسَالِ فِي وَجْهِ الرَّفْقِ .

= (لِلأَهْوِيَةِ) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ ، وَالصَّوَابُ : (لِلأَهْوَاءِ) ، وَانْظُرْ مَا سَبَقَ تَعْلِيْقًا فِي
(٢٦٩ / ١) .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٨٦١) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ بَلْفَظٍ : (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ يُصَلِّي عَلَيْهِ ، وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ . . .)
الْحَدِيثُ ، وَيَحْتَجِرُ حَصِيرًا ؛ أَيُ : يَتَّخِذُهُ كَالْحُجْرَةِ .

(٢) رَوَاهُ بَلْفَظُهُ ابْنُ رَاهَوِيَةَ فِي « مُسْنَدِهِ » (٢٠١٠) ، وَبَنَحُوهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧٩) ، وَمُسْلِمٌ
(٥١٣) ، وَالنَّسَائِيُّ (١٤٧ / ١) ، وَأَحْمَدُ (٣٣١ / ٦) ، وَالْخُمْرَةُ : سَجَّادَةٌ صَغِيرَةٌ
مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ تُزَمَّلُ بِخِيوطٍ ، وَسُمِّيَتْ خُمْرَةً ؛ لِأَنَّهَا تَسْتُرُ وَجْهَ الْمُصَلِّيِّ عَنِ الْأَرْضِ ؛
كَتْسِمِيَةِ الْخِمَارِ لِسِتْرَةِ الرَّأْسِ .

والشابُّ يُضَيِّقُ عليه مجالُ النَّفْسِ ؛ بالقعودِ في بيتِ الجماعةِ ،
والانكشافِ لنَظَرِ الأَغيَارِ ؛ لتكثُرَ العيونُ عليه ، فيتقيَّدَ ويتأدَّبَ ، ولا يكونُ
هذا إلا إذا كانَ جمعُ الرِّباطِ في بيتِ الجماعةِ مُهتَمِّينَ بحفظِ الأوقاتِ ،
وضبطِ الأنفاسِ ، وحِراسةِ الحواسِّ ، كما كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّمَ لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ ؛ كانَ عندهم مِن هَمِّ الآخرةِ
ما يشغلُهُم عن اشتغالِ البعضِ ببعضٍ .

وهكذا ينبغي لأهلِ الصَّدَقِ والصُّوفِيَّةِ ؛ أن يكونَ اجتماعُهُم غيرَ مُضِرٍّ
بوقتِهِم .

فإذا تَخَلَّلَ أوقاتُ الشُّبَّانِ اللَّغْوُ واللَّغَطُ^(١) . . فالأوَّلَى : أن يلزمَ الشابُّ
الطالبُ الوَحْدَةَ والعُزْلَةَ ، ويؤثِّرَ الشيخُ الشابَّ بزوايته ومَوَاضِعِ خَلْوَتِهِ ؛
ليَحِسَ الشابُّ نَفْسَهُ عن دَوَاعِي الهوى والخَوْضِ فيما لا يَغْنِي ، ويكونَ
الشيخُ في بيتِ الجماعةِ ؛ لِقُوَّةِ حالِهِ ، وصَبْرِهِ على مُداراةِ الناسِ ، وتخلُّصِهِ
مِن تَبَعَاتِ المُخَالَطَةِ ، وحضورِ وقَارِهِ بينَ الجَمْعِ ، فينضبطُ بِهِ الغيرُ ،
ولا يتكدَّرُ هوَ .

وأما الخِدْمَةُ : فشأنُ مَنْ دَخَلَ الرِّباطَ مُبتدئاً ، ولم يَذُقْ طَعْمَ المُعامَلَةِ ،
ولا تنبَّهَ لنفائسِ الأحوالِ ، فيؤمِّرُ بالخِدْمَةِ ؛ لتكونَ عبادتُهُ خِدْمَتَهُ ، ويجذبُ
بِحُسْنِ الخِدْمَةِ قلوبَ أهلِ اللهِ إليه ، فتشملهُ بركةُ ذلكَ ، ويُعِينَ الإخوانَ
المُشتغلِينَ بالعبادةِ .

(١) في (ي) ونسخة على هامش (أ) : (والغلط) بدل (واللغط) ، وزاد في (ز) :
(والغلط) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْخَوَائِجَ ، فَيَقْضِي بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْخَوَائِجَ ، يَقْضِي اللَّهُ لَهُمْ حَاجَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

فِيُحْفَظُ بِالْخِدْمَةِ عَنِ الْبَطَالَةِ الَّتِي تُمِيتُ الْقَلْبَ .

وَالْخِدْمَةُ عِنْدَ الْقَوْمِ مِنْ جَمَلَةِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَهِيَ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْمَوَاجِدِ ، تُكْسِبُهُمُ الْأَوْصَافَ الْجَمِيلَةَ ، وَالْأَحْوَالَ الْحَسَنَةَ ، وَلَا يَرَوْنَ اسْتِخْدَامَ مَنْ لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِمْ ، وَلَا مُتَطَلِّعًا إِلَى الْاهْتِدَاءِ بِهِذِيهِمْ .

(٤٠) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الثَّقَةُ أَبُو الْفَتْحِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ^(٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ شَرِيكِ ، عَنْ أَبِي هَلَالٍ الطَّائِي ، عَنْ وَثِيقِ الرُّومِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَمْلُوكًا لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَكَانَ يَقُولُ لِي : أَسْلِمَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ اسْتَعْنَتْ بِكَ عَلَى أَمَانَةِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ أَسْتَعِينَ عَلَى أَمَانَتِهِمْ بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَأَبَيْتُ ، فَقَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَعْتَقَنِي ؛ فَقَالَ : اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ^(٣) .

(١) هو الإمام الطبراني رحمه الله تعالى .

(٢) هو القاسم بن سلام رحمه الله تعالى .

(٣) حلية الأولياء (٣٤/٩) ، الأموال (٩٠) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، الناسخ والمنسوخ (٥١٧) له أيضاً ، ورواه سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣١) قسم (التفسير) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٥٨/٦) ، وقوله : (وثيق =

فالقوم يكرهون خِدمةَ الأغيارِ ، ويأبُونَ مُخالطَتَهُمْ أيضاً ؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يُحِبُّ طَرِيقَهُمْ رَبِّمَا اسْتَضَرَّ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْتَفِعُ ؛ فَإِنَّهُمْ بَشَرٌ ، وَتَبَدُّو مِنْهُمْ أُمُورٌ بِمُقْتَضَى طَبْعِ الْبَشَرِ ، وَيُنَكِّرُهَا الْغَيْرُ لِقَلَّةِ عِلْمِهِ بِمَقَاصِدِهِمْ ، فَيَكُونُ إِبَاؤُهُمْ لِمَوْضِعِ الشَّفَقَةِ عَلَى الْخَلْقِ ، لَا مِنْ طَرِيقِ التَّعَزُّزِ وَالتَّرَفُّعِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَالشَّابُّ الطَّالِبُ إِذَا خَدَمَ أَهْلَ اللَّهِ وَالْمَشْغُولِينَ بِطَاعَتِهِ . . يُشَارِكُهُمْ فِي الثَّوَابِ ، وَحَيْثُ لَمْ يُؤْهَلْ لِأَحْوَالِهِمُ السَّيِّئَةِ . . يَخْدُمُ مَنْ أَهْلَ لَهَا ، فَخِدْمَتُهُ لِأَهْلِ الْقُرْبِ عِلَامَةٌ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى .

(٤١) - أَخْبَرَنَا الثَّقَةُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَانَ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ حَمْدُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أَسَامَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَبُوكَ . . قَالَ حِينَ دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ ، وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيّاً . . إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ » ، قَالُوا : وَهَمَ فِي الْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ »^(٢) .

= الرومي (كذا في جميع النسخ ، وفي « الطبقات الكبرى » : (أسق) ، وفي « الناسخ والمنسوخ » : (وشق) ، وفي باقي المصادر : (وسق) .

(١) هو الإمام الجليل مسند العراق محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان البغدادي الحاجب ، ابن البطِّي (ت ٥٦٤ هـ) ، وانظر ما تقدم في (٣٢ / ١) .

(٢) حلية الأولياء (٢٦٤ / ٨) ، بغية الباحث (٦٦٣) ، وهو في « البخاري » (٢٨٣٩) ، =

فالقائمُ بِخِدْمَةِ الْقَوْمِ تَعَوَّقَ عَنْ بُلُوغِ دَرَجَتِهِمْ بِعُذْرِ الْقُصُورِ وَعَدَمِ
الْأَهْلِيَّةِ ، فَحَامَ حَوْلَ الْحِمَى بِاذِلٍّ مَجْهُودَةٍ فِي الْخِدْمَةِ ، يَتَعَلَّلُ بِالْأَثَرِ^(١) ،
حَيْثُ مُنِعَ النَّظَرُ ، فَجَزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ ، وَأَنَالَهُ مِنْ
جَزِيلِ الْعَطَاءِ .

وهكذا كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ ؛ يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى
الْمَصَالِحِ الدِّينِيَّةِ ، وَمُوَاسَاةِ الْإِخْوَانِ بِالْمَالِ وَالْبَدَنِ ، وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ وَالْمُعِينُ^(٢) .



= ورواه مسلم (١٩١١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) يتعلَّلُ : يتلهَّى ويتجزَّأ .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) ، وفيه : (بلغ قراءةً على الحافظ ، كاتبه
عبد السلام) ، وفيه : (بلغ لهم في الثاني عشر على الشيخ جلال الدين ، بقراءة كاتبه
عبد السلام) .

الباب الخامس عشر في خصائص أهل الرُّبُط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به

اعْلَمْ : أَنَّ تَأْسِيسَ هَذِهِ الرُّبُطِ مِنْ زِينَةِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْهَادِيَةِ الْمَهْدِيَّةِ^(١) ،
وَلِسُكَّانِ الرُّبُطِ أَحْوَالٌ تَمَيَّزُوا بِهَا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ ، وَهُمْ عَلَى هُدًى
مِنْ رَبِّهِمْ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتُهُمْ أَفْتَدَهُ ﴾
[الأنعام : ٩٠] .

وَمَا يُرَى مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ الْبَعْضِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا ، وَالتَّخَلُّفِ عَنْ طَرِيقِ
سَلَفِهِمْ . . لَا يَقْدَحُ فِي أَصْلِ أَمْرِهِمْ وَصِحَّةِ طَرِيقِهِمْ ، وَهَذَا الْقَدْرُ الْبَاقِي مِنْ
الْأَثَرِ ، وَاجْتِمَاعِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي الرُّبُطِ ، وَمَا هَيَّأَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ مِنَ الرَّفْقِ . .
بِرَكَّةٍ جَمْعِيَّةٍ بِوَاطِنِ الْمَشَايخِ الْمَاضِينَ ، وَأَثَرٌ مِنْ آثَارِ مَنَحِ الْحَقِّ فِي
حَقِّهِمْ^(٢) .

وصورة الاجتماع في الرُّبُط الآن على طاعة الله والترسم بظاهر الآداب . .

- (١) لَأَنَّهَا إِذَا تَأَسَّسَتْ وَاجْتَمَعَتْ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّقْوَى وَالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا . . تَأَيَّدَ
الَّذِينَ ، وَتَزَيَّنَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ بِمَزِيدِ اهْتِمَامِهِمْ بِرِعَايَتِهِمُ الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ
وَالْآدَابِ فِي جَمِيعِ الْأَبْوَابِ . من هامش (ح) .
- (٢) إِذْ كُلُّ مَنْ يَتَشَبَّهُ بِهِمْ بِنَوْعٍ مَا . . يَحْصُلُ لَهُ الْإِكْرَامُ وَالْإِنْعَامُ ، وَيَصِلُ إِلَى أَرْوَاحِهِمْ أَنْوَارُ
الْأَدْعِيَةِ لَهُمْ ، وَآثَارُ الْمِيرَاثِ لِأَجْلِهِمْ . من هامش (ح) .

عَكْسُ نُورِ الْجَمْعِيَّةِ مِنْ بَوَاطِنِ الْمَاضِينَ ، وسلوكُ الْخَلْفِ فِي نِيَاحِ السَّلَفِ^(١) ، فهم في الرُّبُطِ كجسدٍ واحدٍ بقلوبٍ مُتَّفِقَةٍ وعزائمٍ مُتَّحِدَةٍ ، ولا يوجدُ هذا في غيرِهِمْ مِنَ الطوائفِ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ كَانَهُمْ بُنْيَنٌ مَرْصُوعٌ ﴾ [الف : ٤] ، وبِعَكْسِ ذَلِكَ وَصَفَ الْأَعْدَاءَ فَقَالَ : ﴿ نَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر : ١٤] .

روى التُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ إِذَا أُشْتُكِي عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِهِ أُشْتُكِي جَسَدَهُ أَجْمَعُ ، وَإِذَا أُشْتُكِي مُؤْمِنٌ أُشْتُكِي الْمُؤْمِنُونَ »^(٢) .

فَالصُّوْفِيَّةُ مِنْ وَظِيفَتِهِمُ اللَّازِمَةِ : حِفْظُ اجْتِمَاعِ الْبَوَاطِنِ ، وَإِزَالَةُ التَّفْرِقَةِ بِإِزَالَةِ شَعَثِ الْبَوَاطِنِ^(٣) ؛ لِأَنَّهُمْ بِنَسْبَةِ الْأَرْوَاحِ اجْتَمَعُوا ، وَبِرَابِطَةِ التَّأْلِيفِ الْإِلَهِيِّ اتَّفَقُوا ، وَبِمُشَابَهَةِ الْقُلُوبِ تَوَاطَوْوا ، وَلِتَهْدِيبِ النُّفُوسِ وَتَصْفِيَةِ الْقُلُوبِ فِي الرِّبَاطِ رَابَطُوا ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ التَّأْلِيفِ وَالتَّوَدُّدِ وَالنُّصْحِ .

روى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

(١) قوله : (في نياح السلف) النِّياح : من لغة أهل بغداد ، ومن اصطلاح الملاحين ؛ وهو إتيان السفينة الصغيرة خلف الكبيرة مرتبطةً بها . من هامش (ح) ، ومثله في هامش (ج) ، وفي هامش (أ) : (النِّياح : المقابلة ، قيل : السفينة في نياح السفينة) ، وفي (ب) : (نتاج) بدل (نياح) ، وفي (د) : (منهاج) .

(٢) رواه بلفظه البيهقي في « الشعب » (١٠٦٢٩) ، وبنحوه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) ، ولفظه فيه : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ .. مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتُكِيَ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » ، وسيأتي مسنداً في (٩٤/٢ - ٩٥) .

(٣) الشَّعَثُ : الوسخ ، أو الانتشار والتفرُّق ، وفي الدعاء : (لَمْ اللهُ شَعَثُكُمْ) ؛ أي : جَمَعَ ما تفرَّقَ من أمركم .

« الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ »^(١) .

(٤٢) - وأخبرنا أبو زُرْعَةَ طاهرُ بْنُ الحَافِظِ أَبِي الفضلِ المَقْدِسِيُّ ، عن أبيهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو القَاسِمِ الفضلُ بْنُ أَبِي حَرْبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ الحِيرِيُّ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَهْلٍ ابْنُ زِيَادِ القَطَّانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بْنُ مُكْرَمٍ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ الوَاسِطِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، عن أَبِي سلمة ، عن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ »^(٤) .

فهم باجتماعهم تجتمعُ بواطنُهم ، وتتقيّدُ نفوسُهم ؛ لأنَّ بعضهم عينٌ على البعض ؛ على ما وردَ : « الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ »^(٥) .

(١) رواه أحمد (٤٠٠/٢) ، والحاكم (٢٣/١) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٣٦/١٠) ، وانظر « غنية العارف » (١٨٧/١) .

(٢) في (أ ، هـ ، ز ، ح) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والصواب المثبت من باقي النسخ ، والحِيرِيُّ : هو الإمام الثقة مسند خراسان قاضي القضاة أبو بكر الحرشي الحِيرِي النيسابوري الشافعي (ت ٤٢١ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٥٨/١٧) .

(٣) في (أ ، ج ، هـ ، و ، ز) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والصواب المثبت من باقي النسخ ، والحسن بن مُكْرَم : هو الإمام الثقة أبو علي البغدادي البرّاز (ت ٢٧٤ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٩٣-١٩٢/١٣) .

(٤) صفوة التصوف (٩١٢) ، ورواه مسلم (٢٦٣٨) ، وهو في « البخاري » (٣٣٣٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر « غنية العارف » (١٨٨-١٨٧/١) ، وجنودٌ مُجَنَّدَةٌ ؛ أي : جموعٌ مُجْمَعَةٌ وأنواعٌ مختلفة .

(٥) رواه أبو داود (٤٩١٨) ، والترمذي (١٩٢٩) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١٨٨/١) .

فَأَيَّ وَقْتٍ ظَهَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ أَثَرُ التَّفَرُّقَةِ . . نَاقِرُوهُ^(١) ؛ لِأَنَّ التَّفَرُّقَةَ تَظْهَرُ
بِظُهُورِ النُّفُوسِ ، وَظُهُورِ النُّفُوسِ مِنْ تَضْيِيعِ حَقِّ الْوَقْتِ .

فَأَيَّ وَقْتٍ ظَهَرَتْ نَفْسُ الْفَقِيرِ . . عَلِمُوا مِنْهُ خُرُوجَهُ مِنْ دَائِرَةِ الْجَمْعِيَّةِ ،
وَحَكَمُوا عَلَيْهِ بِتَضْيِيعِ حُكْمِ الْوَقْتِ ، وَإِهْمَالِ السِّيَاسَةِ وَحُسْنِ الرِّعَايَةِ ، فَيَقَادُ
بِالْمُنَاقَرَةِ إِلَى دَائِرَةِ الْجَمْعِيَّةِ .

(٤٣) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ عَبْدُ الْقَاهِرِ
السُّهْرَوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ عَصَامُ الدِّينِ
أَبُو حَفْصٍ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورٍ الصَّفَّارُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ
أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ الشِّيرَازِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ^(٢) :
سَمِعْتُ رُوَيْمًا رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : (لَا تَزَالُ الصُّوفِيَّةُ بِخَيْرٍ مَا تَنَاقَرُوا ، فَإِذَا
اصْطَلَحُوا هَلَكُوا)^(٣) .

(١) نَاقِرُوهُ : خَاصَمُوهُ وَنَازَعُوهُ ، وَفِي هَامِشٍ (ح) : (الْمُنَاقَرَةُ بَيْنَ الْإِخْوَانِ : هِيَ تَفَقُّدُ
بَعْضِهِمْ أَحْوَالَ الْبَعْضِ ؛ لِثَلَا يَقْعُوا فِي إِهْمَالِ دَقَائِقِ الْأَدَبِ) ، وَفِي هَامِشٍ (و) :
(الظَّاهِرُ : « نَافِرُوهُ » ؛ أَيِ : حَاكَمُوهُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِاصْطِلَاحِهِمْ) ، وَجَمِيعُ الْمَعَانِي
مُنَاسِبَةٌ هُنَا ، إِلَّا أَنَّ الْأَقْرَبَ مَا فِي هَامِشٍ (ح) ، كَمَا سَيَأْتِي بَعْدَ قَلِيلٍ .

(٢) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : هُوَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ شَاذَانَ الرَّازِي الصُّوفِي (ت ٣٧٦ هـ) ، وَانْظُرْ « سِيرَ
أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (١٦ / ٣٦٤) .

(٣) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ (ص ١٨١) ، وَفِيهِ : (تَنَافَرُوا) بَدَلُ (تَنَاقَرُوا) ، وَأَوْرَدَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي
« رِسَالَتِهِ » (ص ٥٨٩) ، وَفِي هَامِشٍ (ح) تَعْلِيقًا عَلَى قَوْلِ رُوَيْمٍ : (فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا
بَصَدَدِ الْمُنَاقَرَةِ ، وَتَفْتِيشِ الْأَحْوَالِ ، وَالْبَحْثِ عَنِ الْجَدِّ وَالْإِهْمَالِ . . يَنْضَبُطُ الْأَصَاغُرُ
بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَالْأَكَابِرُ بِاسْتِعْمَالِ مَا يَقُولُونَ وَيَنْهَوْنَ عَلَيْهِ ؛ حَذَرًا عَنْ وَعِيدِ ﴿ لِمَ
تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ؛ فَهَمُ فِي خَيْرٍ وَتَرَقَّى مَا دَامُوا عَلَى هَذَا الْوَصْفِ) .

وهذا إشارة من رُويمِ رحمة الله عليه : إلى حُسْنِ تفقُّدِ بعضهم أحوالِ البعضِ إشفاقاً من ظهورِ النفوسِ ؛ يقولُ : إذا اصطَلَحُوا ورفَعُوا المُنَاقِرَةَ مِنْ بَيْنِهِمْ . . يُخَافُ أَنْ تُخَايِمَ الْبَوَاطِنَ الْمُسَاهِلَةَ وَالْمُرَاءَةَ ، وَمُسَامَحَةُ الْبَعْضِ لِلْبَعْضِ فِي إِهْمَالِ دَقِيقِ آدَابِهِمْ ، وبذلكَ تَظْهَرُ الْنفُوسُ وَتَسْتُولِي ، وقد كَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي) (١) .

(٤٤) - وأخبرنا أبو زُرْعَةَ ، عن أبيهِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي شُرَيْحٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ ، عَنْ صَالِحٍ (٢) ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ : أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ النُّعْمَانِ أَخْبَرَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) رواه الإسماعيلي والذهبي في « مناقب عمر » ، كما في « إتحاف السادة المتقين » (٣٤٩ / ٧) ، ورواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢٩٣ / ٣) بلفظ : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ رَفَعَ إِلَيَّ عُيُوبِي) ، وفي هامش (ح) تعليقاً على قول سيدنا عمر رضي الله عنه : (هَذَا عَلَامَةُ الصَّدْقِ وَالصَّلَابَةِ فِي الدِّينِ ؛ فَإِنَّ الصَّادِقَ يَرِيدُ دَائِمًا أَنْ يَتَرَفَّى فِي الْمَرَاتِبِ ، وَيَعْلَمُ يَقِينًا مَعَ وَجُودِ الرِّذَائِلِ لَا تَحْصُلُ الْفَضَائِلُ ، فَلَا يَتَرَفَّى ، فَيَمْتَنُ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى عَيْبِهِ وَرَذِيلَتِهِ ، وَيَدْعُو لِمَنْ نَبَّهَهُ وَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ . وَنُقِلَ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يَزِيدَ أَرَادَ سَفَرًا ، فَاسْتَدْعَى وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُرَافِقَةَ وَلَمْ يُعَيِّنْ ، فَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَقَالَ : أَنَا أُرَافِقُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : أَيُّشِ تَعْمَلُ فِي مُرَافِقَتِي ؟ فَقَالَ : أَضْبِطُ الْإِبْرِيْقَ لَوْضَاءِ الشَّيْخِ ، قَالَ : لَا ، أَنَا أَضْبِطُ بِنَفْسِي ، وَقَامَ آخَرُ ، فَسَأَلَهُ ، فَعَيَّنَ خِدْمَةً أُخْرَى ، فَقَالَ الشَّيْخُ : لَا ، وَهَكَذَا إِلَى أَنْ قَامَ الْأَعْرَفُ مِنْهُمْ بِحَالِ الشَّيْخِ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : إِذَا خَرَجَ الشَّيْخُ عَنِ الطَّرِيقِ وَنَسِيَ . . أَذْكُرُهُ وَأُنَبِّهُهُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : أَنْتَ صَاحِبِي فِي السَّفَرِ ، وَاسْتَرْفَقَهُ) .

(٢) هو ابن كَيْسَانَ الْمَدَنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ تَرَخَّصْتُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَاذَا كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ؟ قَالَ : فَسَكَّتْنَا ، قَالَ : فَقَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؛ أَرَأَيْتُمْ لَوْ تَرَخَّصْتُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَاذَا كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ؟ قَالَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ^(١) : لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَوْمُنَاكَ تَقْوِمَ الْقَدْحَ ، فَقَالَ عَمْرُ : أَنْتُمْ إِذَا أَنْتُمْ^(٢) .

وَإِذَا ظَهَرَتْ نَفْسُ الصُّوفِيِّ بِغَضَبٍ وَخُصُومَةٍ مَعَ بَعْضِ الْإِخْوَانِ . . فَشَرَطُ أَخِيهِ : أَنْ يُقَابِلَ نَفْسَهُ بِالْقَلْبِ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا قُوبِلَتْ بِالْقَلْبِ انْحَسَمَتْ مَادَّةُ الشَّرِّ ، وَإِذَا قُوبِلَتْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ثَارَتِ الْفِتْنَةُ ، وَذَهَبَتِ الْعِصْمَةُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٤-٣٥] .

ثُمَّ الشَّيْخُ أَوْ الْخَادِمُ إِذَا شَكَا إِلَيْهِ فَقِيرٌ مِنْ أَخِيهِ . . فَلَهُ أَنْ يُعَاتِبَ أَيُّهُمَا شَاءَ ؛ فَيَقُولَ لِلْمُتَعَدِّي : لِمَ تَعَدَّيْتَ ؟ وَلِلْمُعْتَدَى عَلَيْهِ : مَا الَّذِي أَذْنَبْتَ حَتَّى تُعَدِّيَ عَلَيْكَ وَسُلْطَ عَلَيْكَ ؟ وَهَلَّا قَابَلْتَ نَفْسَهُ بِالْقَلْبِ رِفْقًا بِأَخِيكَ ، وَإِعْطَاءً لِلْفُتُوَّةِ وَالصُّحْبَةِ حَقَّهَا .

(١) هو والد النعمان بن بشير رضي الله عنهما .

(٢) صفوة التصوف (٤٦٨) ، ورواه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٨٢٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٢ / ١٠) ، عن محمد بن النعمان عن أبيه النعمان بن بشير ، والمثبت رواية ابن أبي شريح كما نصَّ عليه ابن عساكر ، والقَدْحُ : اسمُ السهم قبل أن يُرَاشَ وَيُرَكَّبَ نَصْلُهُ ، وقوله : (أَنْتُمْ إِذَا أَنْتُمْ) في هامش (ح) : (أَي : أَنْتُمْ الْأَصْحَابُ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِمُ وَالْمُوثِقُ بِهِمْ فِي الْمَحَبَّةِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالْمُؤَالَفَةِ ، إِذَا أَعْتَمَّ عَلَى التَّقْوَى وَالْأَخْذِ بِالْأَحْوَطِ وَالْأَوْلى . . فَأَنْتُمْ الْأَخْلَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقْبَى ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

فكلُّ منهما جانٍ ، وخارجٌ عن دائرةِ الجَمْعِيَّةِ ، فيُردُّ إلى الدائرةِ بالنَّقَارِ^(١) ، فيعودُ إلى الاستغفارِ^(٢) ، ولا يسلكُ طريقَ الإِضرارِ .

رَوَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها قالتُ : كَانَ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَللَّهُمَّ ؛ أَجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبَشَرُوا ، وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا »^(٣) .

فيكونُ الاستغفارُ ظاهراً معَ الإِخوانِ ، وباطناً معَ اللهِ تعالى ، وَيَرَوْنَ اللهُ في استغفارِهِمْ ؛ فلهذا المعنى يَقِفُونَ في صَفِّ النِّعالِ على أَقدامِهِمْ تواضعاً وانكساراً .

وسمعتُ شيخنا أبا النّجيبِ رحمةُ اللهِ عليه يقولُ للفقيرِ إذا جرى بينهُ وبينَ بعضِ إخوانِهِ وَحْشَةٌ : قُمْ واستغفرْ ، فيقولُ الفقيرُ : ما أرى باطني صافياً ، ولا أوثِرُ القيامَ للاستغفارِ ظاهراً مِنْ غيرِ صفاءِ الباطنِ ، فيقولُ : أَنْتَ قُمْ ؛ فبِرِكةِ سَعِيكَ وقيامِكَ تُرْزَقُ الصِّفاءَ ، فَكَانَ يَجِدُ ذَلِكَ ، وَيُرَى أَثْرُهُ عِنْدَ الْفَقِيرِ ، وَتَرِقُّ الْقُلُوبُ ، وَتَرْفَعُ الْوَحْشَةُ .

وهذا مِنْ خَاصِّيَّةِ هَذِهِ الطائِفَةِ ، لَا يَسْتَوْنَ والبواطنُ مُنْطَوِيَّةٌ على وَحْشَةٍ ، وَلَا يَجْتَمِعُونَ لِلطَّعامِ والبواطنُ تُضْمِرُ وَحْشَةً ، وَلَا يَرَوْنَ الاجتماعَ ظاهراً في شيءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الاجتماعِ بالبواطنِ ، وَذَهَابِ التَّفَرُّقَةِ وَالشَّعَثِ .

(١) أي : بالمُنْاقرة التي سبق شرحها قريباً .

(٢) أي : طلب الغفران والعفو من الإخوان .

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٢٠) ، والطبراني في « الدعاء » (١٤٠١) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٥٩٦) .

وإذا قامَ الفقيرُ للاستغفارِ لا يجوزُ ردُّ استغفارهِ بحالٍ ؛ روى عبدُ الله بنُ
[عمرٍو] رضيَ اللهُ عنهُما^(١) ، عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ :
« أَرْحَمُوا تُرَحَّمُوا ، وَأَغْفِرُوا يُغْفَرَ لَكُمْ »^(٢) .

وللصُّوفِيَّةِ في تقبيلِ يدِ الشيخِ بعدَ الاستغفارِ . . أصلٌ مِنَ السُّنَّةِ ؛ وهو
ما روى عبدُ الله بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : كنتُ في سَرِيَّةٍ مِنْ سَرَايا
رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فحاصَ الناسُ حَيْصَةً ، فكنتُ فيمَنْ
حاصٍ ، فقلنا : كيفَ نصنعُ وقد فرَرْنَا مِنَ الرَّحْفِ وبُؤْنَا بِالْغَضَبِ ، ثمَّ قلنا :
لو دَخَلْنَا المَدِينَةَ فَبِتْنَا فيها ، ثمَّ قلنا : لو عَرَضْنَا أَنْفُسَنَا على رسولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فَإِنْ كَانَ لَنَا تَوْبَةٌ ، وَإِلَّا ذَهَبْنَا .

فَأَتَيْنَاهُ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ^(٣) ، فخرجَ فقالَ : « مَنْ الْقَوْمُ ؟ » ، فقلنا :
نحنُ الْفَرَّارُونَ ، قالَ : « لَا ، بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَارُونَ ، أَنَا فَتَيْتُكُمْ ، أَنَا فَتَةُ
الْمُسْلِمِينَ » - يُقَالُ : عَكَرَ الرَّجُلُ : إِذَا تَوَلَّى ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا ، وَالْعَكَارُ :
الْعَطَافُ وَالرَّجَاجُ - قالَ : فَأَتَيْنَاهُ حَتَّى قَبَّلْنَا يَدَهُ^(٤) .

وَرَوَى أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ قَبَّلَ يَدَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ^(٥) .

(١) في النسخ : (عمر) ، والتصويب من المصادر الآتية .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٨٠) ، وأحمد (١٦٥ / ٢) ، والبيهقي في
« الشعب » (٦٨٤٤) .

(٣) أي : الفجر .

(٤) رواه أبو داود (٢٦٤٧) ، والترمذي (١٧١٦) ، وأحمد (٧٠ / ٢) ، وحاصت الناسُ
حَيْصَةً ؛ أي : جالوا جولةً يطلبون الفِرَارَ ، وفي هامش (ح) : (يُقَالُ فِي الْأَوْلِيَاءِ :
حَاصُوا ، وَفِي الْأَعْدَاءِ : انْهَزَمُوا) ، وانظر « تاج العروس » (٥٤٠ / ١٧) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٧٣٢) .

وروي عن أبي مرثد الغنوي أنه قال^(١) : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت إليه فقبلت يده^(٢) .

فهذا رخصة في جواز تقبيل اليد ، ولكن أدب الصوفي : أنه متى رأى نفسه تتعزز بذلك ، أو تظهر بوصفها . . أن يمتنع من ذلك ، فإن سلم من ذلك فلا بأس بتقبيل اليد .

ومعانقتهم للإخوان عقيب الاستغفار لرجوعهم إلى الألفة بعد الوحشة ، وقدومهم من سفر الهجرة بالتفرقة إلى أوطان الجمعية^(٣) ، فبظهور النفس تغربوا وبعُدوا ، وبغية النفس والاستغفار قدّموا ورجعوا .

ومن استغفر واعتذر إلى أخيه ولم يقبله . . فقد أخطأ ؛ فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وعيد ؛ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ مَعْدِرَةً فَلَمْ يَقْبَلْهَا . . كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ الْمُكُوسِ »^(٤) .

(١) كذا في جميع النسخ : (عن أبي مرثد الغنوي) ، ولعلّ الصواب : (عن مزينة العبد) ، كما نبّه عليه الغماري في « غنية العارف » (١ / ١٩٣) .

(٢) رواه أبو يعلى في « مسنده » (٦٨٥٠) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (١٦٩٠) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٤٥ / ٢٠) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٦٣١٩) .

(٣) في بعض النسخ : (من سفر) بدل (من سفرة) ، وفي بعضها : (من سفر الهجر) ، ويجوز ضبط الهاء في (الهجرة) بالكسر والفتح .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٦٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٨٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وابن ماجه (٣٧١٨) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٧٠٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٧٦٢٧٥ / ٢) عن سيدنا جودان العبدي رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١ / ١٩٣) ، =

وروى جابر رضي الله عنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ تَصَلَّ إِلَيْهِ فَلَمْ يَقْبَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ » (١) .

وَمِنَ السُّنَّةِ : أَنْ يُقَدَّمَ لِلإِخْوَانِ شَيْئاً بَعْدَ الاسْتِغْفَارِ ؛ رُوِيَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي كُلِّهِ ، وَأَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي الَّتِي فِيهَا أَتَيْتُ الذَّنْبَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُجْزِيكَ مِنْ ذَلِكَ الثُّلُثُ » (٢) .

فَصَارَتْ سُنَّةُ الصُّوفِيَّةِ الْمُطَالَبَةُ بِالْغَرَامَةِ بَعْدَ الاسْتِغْفَارِ وَالْمُنَاقَرَةِ ، وَكُلُّ قَصْدِهِمْ رِعَايَةَ التَّأَلُّفِ ؛ حَتَّى تَكُونَ بِوَاطْنِهِمْ عَلَى الْاجْتِمَاعِ ، كَمَا أَنَّ ظَوَاهِرَهُمْ عَلَى الْاجْتِمَاعِ ، وَهَذَا أَمْرٌ تَفَرَّدُوا بِهِ مِنْ بَيْنِ طَوَائِفِ الْإِسْلَامِ .

ثُمَّ شَرَطُ الْفَقِيرِ الصَّادِقِ إِذَا سَكَنَ الرِّبَاطَ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْكَلَ مِنْ وَقْفِهِ أَوْ مِمَّا يُطْلَبُ لِسُكَّانِهِ بِالذَّرِيوزَةِ (٣) . . أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الشُّغْلِ بِاللَّهِ مَا لَا يَسَعُهُ الْكَسْبُ .

وَالْأَمْرُ إِذَا كَانَ لِلْبَطَالَةِ وَالْخَوْضِ فِيهَا لَا يَغْنِي عَنْهُ مَجَالٌ ، وَلَا يَقُومُ بِشُرُوطِ أَهْلِ الْإِرَادَةِ مِنَ الْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ . . فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْكَلَ مِنْ مَالِ الرِّبَاطِ ، بَلْ يَكْتَسِبُ وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهِ ؛ لِأَنَّ طَعَامَ الرِّبَاطِ لِأَقْوَامٍ كَمَلَ شُغْلُهُمْ

= وصاحبُ المُكُوسِ : هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الْعَشْرَ مِنَ النَّاسِ ، وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الظُّلْمَ وَعَدَمُ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ ، أَوْ الْمَرَادُ : الَّذِي يَأْخُذُ أَمْوَالَ النَّاسِ ظُلْماً .

(١) رواه الحاكم (١٥٤/٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٠٢٩) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧٠٣١) إلى أبي الشيخ عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، والتنضُّلُ : الاعتذار .

(٢) رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) ، وأبو داود (٣٣١٩) ، ويُروى أَنَّ قَائِلَ ذَلِكَ هُوَ سَيِّدُنَا أَبُو لِبَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . انظر « غنية العارف » (١٩٤-١٩٥) .

(٣) سبق شرح هذه الكلمة في (٣٢٦/١) .

بالله ، فخدمتهم الدنيا لشغلهم بخدمة مؤلاهم .

إلا أن يكون تحت سياسة شيخ عالم بالطريق ، ينتفع بصحبته ، ويهتدي بهديه ؛ فيرى ذلك الشيخ أن يطعمه من مال الرباط ، فلا يكون تصرف الشيخ إلا بصحة بصيرة^(١) ، ومن جملة ما يكون للشيخ في ذلك من النية : أن يشغله بخدمة الفقراء ، فيكون ما يأكله في مقابلة خدمته .

روى عن أبي عمرو الزجاجي قال^(٢) : أقمت عند الجنيد رحمه الله مدة ، فما رأي قط إلا وأنا مُشغِلُ بنوع من العبادة ، فما كلمني ، حتى كان يوم من الأيام خلا الموضع من الجماعة ، فقمْتُ ونزعتُ ثيابي ، وكنستُ الموضع ونظفته ، ورششته وفرشته ، وغسلتُ موضع الطهارة ، فرجع الشيخ ورأى علي أثر الغبار ، فدعاني ورحب بي ، وقال : أحسنت ، عليك بها ، ثلاث مرّات .

ولا تزال مشايخ الصوفية يندبُون الشبان إلى الخدمة ؛ حفظاً لهم عن البطالة ، وكل واحد يكون له حظ من المعاملة ، وحظ من الخدمة .

روى أبو مخذورة قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا الأذان ، والسقاية لبني هاشم ، والحجابة لبني عبد الدار^(٣) .

وبهذا يقتدي مشايخ الصوفية في تفريق الخدم على الفقراء .

(١) في بعض النسخ : (وبصيرة) .

(٢) قوله : (الزجاجي) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٢٠٢ / ١) : (بضم الزاي وتخفيف الجيم ، ويقال : بفتح الزاي وتشديد الجيم ؛ نسبة إلى عمل الزجاج وبيعه) .

(٣) رواه أحمد (٤٠١ / ٦) ، والحاكم (٣ / ٥١٤-٥١٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠٨ / ٧) .

ولا يُعذّر في تركِ نوعٍ مِنَ الخدمةِ إِلَّا كاملُ الشُّغْلِ بوقتهِ ، ولا نعني بكمالِ الشُّغْلِ : شُغْلَ الجوارحِ ، ولكنْ نعني بهِ : دوامَ الرُّعايةِ والمُحاسبةِ ، والشُّغْلَ بالقلبِ والقلبِ وقتاً ، وبالقلبِ دونَ القلبِ وقتاً ، وتفقّدَ الزيادةِ مِنَ النُّقصانِ ؛ فإنَّ قيامَ الفقيرِ بحقوقِ الوقتِ شُغْلٌ تامٌّ ، وبذلك يُؤدّي شكرَ نعمةِ الفراغِ ونعمةِ الكفايةِ ، وفي البطالةِ كُفرانُ نعمةِ الفراغِ والكفايةِ .

(٤٥) - أخبرنا شيخنا ضياءُ الدّينِ أبو النّجيبِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ الله السُّهُرُورديُّ رحمهُ اللهُ إجازةً ، قالَ : أخبرنا عمرُ بنُ أحمدَ بنِ منصورٍ ، قالَ : أخبرنا أحمدُ بنُ خَلَفٍ ، قالَ : أخبرنا الشيخُ أبو عبدِ الرحمنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ ، قالَ : سمعتُ أبا الفضلِ بنَ حَمْدونٍ يقولُ^(١) : سمعتُ عليَّ بنَ عبدِ الحميدِ الغَضائريِّ يقولُ : سمعتُ السَّريَّ رحمهُ اللهُ يقولُ : (مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدَرَ النِّعَمِ سَلَبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ)^(٢) .

وقد يُعذّرُ الشيخُ العاجزُ عنِ الكسبِ في تناولِ طعامِ الرِّباطِ ، ولا يُعذّرُ الشابُّ ، وهذا في شرطِ طريقِ القومِ على الإطلاقِ .

فأمّا مَنْ حَيْثُ فتوى الشرعِ . . إِنْ كَانَ شرطُ الواقفِ : على المُتصوِّفةِ وعلى مَنْ تزيّاً بزيّهم وَلَبَسَ خِرَقَتَهُمْ . . فيجوزُ أَكْلُ ذَلِكَ لَهُمْ على الإطلاقِ فتوى ، وفي ذَلِكَ القناعةُ بالرُّخصةِ دونَ العزيمةِ التي هي شُغْلُ أَهْلِ الإرادةِ .

(١) ابنُ حَمْدونٍ : هو الإمامُ الحافظُ الرِّحَالُ أحمدُ بنُ محمدَ بنِ حمدونِ بنِ بندارِ الخُرَّاساني الشَّرْمَقاني (ت ٣٦٦ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٦ / ٢٨٦-٢٨٧) ، وحمدون : يجوز صرفه وعدمه .

(٢) طبقات الصوفية (ص ٥٢) ، ورواه من طريقه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ١٢٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٢٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠ / ١٩٢) .

وإن كان شرط الواقف : على من يسلك طريق الصوفية عملاً وحالاً . .
فلا يجوز أكله لأهل البطالات والراكين إلى تضييع الأوقات ، وطرائق أهل
الإرادة عند مشايخ الصوفية . . مشهورة معروفة .

(٤٦) - أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد ، قال : أخبرنا أبو الفضل
حمد ، قال : أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن
محمد بن يوسف ، قال : حدثنا جعفر الفريابي ، قال : حدثنا محمد بن
[الحسن] البلخي بسمرقند^(١) ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال :
حدثنا سعيد بن أبي أيوب الخزاعي ، قال : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن
أبي سليمان الليثي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم قال : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي آخِيَّتِهِ ، يَجُولُ
وَيَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَأَطْعَمُوا
طَعَامَكُمْ الْأَتْقِيَاءَ ، وَأَوَّلُوا مَعْرُوفَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ »^(٢) ، والله أعلم .



(١) في النسخ : (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت من « الحلية » ، وانظر « الثقات »
لابن حبان (١٥٢٩٦) .

(٢) حلية الأولياء (١٧٩/٨) ، الزهد (٧٣) لابن المبارك ، ورواه أحمد (٥٥/٣) ،
وابن حبان (٦١٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٤٦٠) ، والآخية - بالمد
والتشديد - : واحدة (الأواخي) ، قال ابن السكيت : وهو أن يُدفنَ طرفاً قطعة من
الحبل في الأرض ، وفيه عصية أو حجير ، ويظهر منه مثل عِزْقٍ تُشدُّ إليه الدابة .
« صحاح » . من هامش (ح) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ
سماعاً في الثالث عشر على أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام
المقدسي) .

الباب السادس عشر

في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام^(١)

اختلف أحوال مشايخ الصوفية ؛ فمنهم : مَنْ سافر في بدايته وأقام في نهايته^(٢) ، ومنهم : مَنْ أقام في بدايته وسافر في نهايته ، ومنهم : مَنْ أقام ولم يسافر^(٣) ، ومنهم : مَنْ استدام السفر ولم يؤثر الإقامة^(٤) .

ونشرح حال كل واحد منهم ومقصده فيما رام :

فأما الذي سافر في بدايته وأقام في نهايته . . فقصده بالسفر لمعان :

منها : تعلّم شيء من العلم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ »^(٥) .

وقال بعضهم : (لو سافر رجلٌ من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدلّه

(١) في (د) : (والحضر) بدل (والمقام) .

(٢) ومن هؤلاء : سيدي أبو عثمان الجيري وسيدي أبو بكر الشبلي رحمهما الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٦٠٢) .

(٣) إلا لفرض ؛ كحجة الإسلام ، ومن هؤلاء : السادة ؛ أبو القاسم الجنيد والتستري وأبو يزيد البسطامي وأبو حفص الحّدّاد ، رحمهم الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٦٠١) .

(٤) ومن هؤلاء : سيدي أبو عبد الله المغربي وسيدي إبراهيم بن أدهم رحمهما الله تعالى . انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٦٠٢) .

(٥) سبق مسنداً في (٢٠١ / ١) .

على هدى . . ما كان سفره ضائعاً»^(١) .

ونُقِلَ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَحَلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مِصْرَ فِي شَهْرِ لِحْدِيثٍ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَنَسٍ يُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢) .

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ . . فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ »^(٣) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ السَّيِّحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] : إِنَّهُمْ طُلَّابُ الْعِلْمِ^(٤) .

(٤٧) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِمْلَاءً^(٥) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُ الْمَلِكِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا

(١) عزاه أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٥٢٤-١٥٢٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٣٤ / ٤) إلى عامر الشعبي رحمه الله تعالى ، وزاد بعد قوله : (هدى) : (أو تردّه عن ردّي) .

(٢) رواه أحمد (٣ / ٤٩٥) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٧٠) ، والحاكم (٢ / ٤٣٧-٤٣٨) ، والخطيب البغدادي في « الرحلة في طلب الحديث » (ص ١٠٩-١١٨) ، وفيه ذكر طرقه .

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤٧) ، والبزار في « مسنده » (٦٥٢٠) ، والبيهقي في « المدخل » (١٤٨٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢٠٠ / ١) .

(٤) وهو قول عكرمة ، وأكثر الأقوال : على أَنَّهم الصائمون . انظر « تفسير الطبري » (١٤ / ٥٠٢-٥٠٦) ، و« النكت والعيون » (٢ / ٤٠٨) .

(٥) يروي الإمام الشُّهْرُورِيُّ « سنن الترمذي » في كتابنا هذا من طريق شيخه ضياء الدين عبد الوهاب ابن سَكِينَةَ ، وجاءت الرواية هنا في جميع النسخ عن شيخه ضياء الدين أبي النجيب ، فليُعلم وليُتبَّه .

أبو نصر الترياقِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْجَرَّاحِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ
الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا [سَفْيَانُ بْنُ]
وَكَيْعٍ^(٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ^(٣) ، عَنْ سَفْيَانَ^(٤) ، عَنْ أَبِي هَارُونَ
قَالَ^(٥) : كُنَّا نَأْتِي أَبَا سَعِيدٍ ، فَيَقُولُ : مَرْحَباً بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ؛ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَإِنَّ
الرَّجَالَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا
بِهِمْ خَيْراً »^(٦) .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »^(٧) .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) هو الإمام الثقة أبو محمد عبد الجبار بن عبد الله المَرْزُبَانِي الْجَرَّاحِي الْمَرْوَزِي (ت ٤١٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٥٧ / ١٧) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من « سنن الترمذي » .

(٣) هو الإمام الثبت العابد القدوة عمر بن سعد الْحَفَرِي الْكُوفِي (٢٠٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤١٥ / ٩) .

(٤) هو الثوري رحمه الله تعالى .

(٥) هو الْعَبْدِيُّ عُمَارَةُ بْنُ جُوَيْنٍ الْبَصْرِي . انظر « تهذيب الكمال » (٢٣٣-٢٣٢ / ٢١) .

(٦) سنن الترمذي (٢٦٥٠) ، ورواه ابن ماجه (٢٤٩) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (٤٠٥) ، وانظر « غنية العارف » (٢٠١-٢٠٠ / ١) ، وقوله : (فاستَوْصُوا) ؛ أي : أوصوا الناسَ بالإحسان إليهم ، وتفقدوا أحوالهم وكفاية مهامهم ، وإيصال الخير والنفع إليهم ، ودفع الضرر عنهم ، وفي ضمن الأمر بالإيصال للفقير يحصل الأمر لهم على أبلغ وجه . من هامش (ح) ، وفيه أيضاً : (أي : اطلبوا من أنفسكم وصية الخير للناس ، في هذا اللفظ مبالغة ليست في قولنا : « أوصوا ») .

(٧) رواه ابن ماجه (٢٢٤) ، وأبو يعلى في « المسند » (٢٨٣٧) ، والبخاري في « المسند » (٦٧٤٦) ، والبيهقي في « الشعب » (١٥٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

وسلم يقول : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ : أَنَّهُ مَنْ سَلَكَ مَسْلَكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ . . سَهَّلْتُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ » (١) .

وَمِنْ جَمَلَةِ مَقاصِدِهِمْ فِي الْبدايةِ : لِقَاءُ الْمَشايخِ وَالْإِخوانِ الصّادِقِينَ ؛ فَلِلْمُرِيدِ بِلِقَاءِ كُلِّ صَادِقٍ مَزِيدٌ ، وَقَدْ يَنْفَعُهُ لَحْظُ الرِّجالِ ، كَمَا يَنْفَعُهُ لَفْظُ الرِّجالِ ، وَقَدْ قِيلَ : (مَنْ لَا يَنْفَعُكَ لَحْظُهُ لَا يَنْفَعُكَ لَفْظُهُ) .

وهذا القولُ فيه وجهان :

أحدهما : أَنَّ الرَّجُلَ الصّديقَ يُكَلِّمُ الصّادِقِينَ بِلِسَانِ فِعْلِهِ أَكْثَرَ ممَّا يُكَلِّمُهُمْ بِلِسَانِ قَوْلِهِ (٢) ، فَإِذَا نَظَرَ الصّادِقُ إِلَى تَصاريفِهِ فِي مَوْرَدِهِ وَمَصْدَرِهِ ، وَخَلَوْتِهِ وَجَلَوْتِهِ ، وَكَلَامِهِ وَسُكُوتِهِ . . يَنْتَفِعُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ ، فَهُوَ نَفْعُ اللَّحْظِ ، وَمَنْ لَا تَكُونُ أَفْعَالُهُ هَكَذَا فَلَفْظُهُ أَيْضاً لَا يَنْفَعُ (٣) ؛ لِأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِهَوَاؤِهِ ، وَنُورانيَّةُ الْقَوْلِ عَلَى قَدَرِ نُورانيَّةِ الْقَلْبِ ، وَنُورانيَّةُ الْقَلْبِ بِحَسَبِ الاسْتِقامَةِ وَالقيامِ بِواجِبِ حَقِّ الْعُبُوديَّةِ وَحَقِيقَتِهَا (٤) .

والوجهُ الثَّاني : أَنَّ نَظَرَ الْعُلَماءِ الرَّاسخينَ فِي الْعِلْمِ وَالرِّجالِ الْبالِغينَ . .

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٣٦٧) ، ورواه مسلم عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وسبق مسنداً في (٣١٢/١ - ٣١٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢٠٢/١) .

(٢) في (أ ، ز) : (بلسان الحال . . . بلسان المقال) بدل (بلسان فعله . . . بلسان قوله) .

(٣) المراد : النفع التام ، وليس نفعاً ما . من هامش (ح) .

(٤) حقُّ العبودية : دوامُ الطاعة والخدمة للمعبود ، وحقِيقَةُ الْعُبُوديَّةِ : دوامُ الخضوع والتذللِ والتَّمسُّكِ ، وحسن الافتقار والتضرُّع ، ورعاية حسن الأدب في جميع المواقع . من هامش (ح) .

تَرْيَاقُ نَافِعٌ ، يَنْظُرُ أَحَدُهُمْ إِلَى الرَّجُلِ الصَّادِقِ فَيَسْتَشِفُّ بِنَفْوِذِ بَصِيرَتِهِ حُسْنَ
اِسْتِعْدَادِ الصَّادِقِ ، وَاسْتِهَالَهُ لِمَوَاهِبِ اللَّهِ الْخَاصَّةِ ، فَيَقَعُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ
الصَّادِقِ الْمُرِيدِ ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظَرَ مَحَبَّةٍ عَنْ بَصِيرَةٍ ، وَهُمْ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ
تَعَالَى ، فَيُكْسِبُونَ بِنَظَرِهِمْ أَحْوَالَ سَنِيَّةٍ ، وَيَهْبُونَ آثَاراً مَرَضِيَّةً .

وَمَاذَا يُنْكِرُ الْمُنْكَرُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا جَعَلَ فِي
بَعْضِ الْأَفَاعِي مِنَ الْخَاصِّيَّةِ أَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى إِنْسَانٍ يُهْلِكُهُ بِنَظَرِهِ^(١) . . . بَأَنَّ
يُجْعَلُ^(٢) فِي نَظَرِ بَعْضِ خَوَاصِّ عِبَادِهِ أَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى طَالِبٍ صَادِقٍ يُكْسِبُهُ حَالاً
وَحَيَاةً ؟ !

وَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَطُوفُ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ بِمَنْى^(٣) ،
وَيَتَصَفَّحُ وَجْهَ النَّاسِ^(٤) ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عِبَاداً إِذَا نَظَرُوا إِلَى شَخْصٍ أَكْسَبُوهُ سَعَادَةً ، فَأَنَا أَتَطَلَّبُ ذَلِكَ .

وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَقَاصِدِ فِي السَّفَرِ : ابْتِدَاءُ قَطْعِ الْمَأْلُوفَاتِ ، وَالْانْسِلَاخُ مِنْ
رُكُونِ النَّفْسِ إِلَى مَعْهُودٍ وَمَعْلُومٍ ، وَالتَّحَامُلُ عَلَى النَّفْسِ بِتَجَرُّعِ مَرَارَةٍ فُرْقَةٍ
الْأَلْفِ وَالْخِلَافِ ، وَالْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ ، فَمَنْ صَبَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَأْلُوفَاتِ
مُحْتَسِباً عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى أَجْراً . فَقَدْ حَازَ فَضْلاً عَظِيماً .

(١) وَمِنْ هَذِهِ الْأَفَاعِي : (الْأَصْلَةُ) ، كَمَا فِي « حَيَاةِ الْحَيَوَانَ الْكَبْرَى » (١ / ٢٤-٢٥ ،
٢٥٠) .

(٢) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ : (مِنْ قُدْرَةِ) .

(٣) الْخَيْفُ : مَا ارْتَفَعَ مِنْ مَسِيلِ الْمَاءِ ، وَانْحَدَرَ عَنْ غَلْظِ الْجَبَلِ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ : مَسْجِدُ
الْخَيْفِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٤) فِي (د) : (وَيَتَفَحَّصُ) بَدَلُ (وَيَتَصَفَّحُ) ، وَسَقَطَتْ هَذِهِ الْجَمْلَةُ فِي بَعْضِ النُّسخِ .

(٤٨) - أخبرنا أبو زُرْعَةَ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَقِيهَ الْأَصْفَهَانِيَّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ خُرَشِيدَ قَوْلَهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ زِيَادِ النَّيْسَابُورِيِّ^(٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُيَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٣) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : مَاتَ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ مَمَّنْ وُلِدَ بِهَا ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « لَيْتَهُ مَاتَ بَغَيْرِ مَوْلِدِهِ » ، قَالُوا : وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنَّ الرُّجُلَ إِذَا مَاتَ بَغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ مِنَ الْجَنَّةِ »^(٤) .

(١) في (أ) : (بن محمد) بدل (محمد) ، والصواب المثبت من باقي النسخ ، وأبو منصور الأصفهاني : هو الإمام المُعَمَّرُ ابنُ شُكْرِيه (ت ٤٨٢هـ) ، وهو آخر من حَدَّثَ عن ابن خُرَشِيدَ قَوْلَهُ ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨ / ٤٩٣ - ٤٩٤) .

(٢) في النسخ ما عدا نسخة علي هامش (و) : (أبو بكر محمد) بدل (أبو بكر عبد الله بن محمد) ، وفي (ز) : (أبو بكر عبد الله) ، والنيسابوري : هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون الأموي النيسابوري الشافعي (ت ٣٢٤هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥ / ٦٥ - ٦٦) .

(٣) هو عبد الله بن يزيد المعافري الحُبْلِيُّ المصري (ت ١٠٠هـ) ، وانظر « تهذيب الكمال » (٣١٦ / ١٦) .

(٤) صفوة التصوف (٥٢٤) ، ورواه النسائي (٧ / ٤) ، وابن ماجه (١٦١٤) ، وأحمد (١٧٧ / ٢) ، وابن حبان (٢٩٣٤) ، وقوله : (لَيْتَهُ مَاتَ بَغَيْرِ مَوْلِدِهِ) قال السُّنْدِيُّ في « حاشيته على سنن ابن ماجه » (١ / ٤٩١) : (لَعَلَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُرْذَ بِذَلِكَ : يَا لَيْتَهُ مَاتَ بَغَيْرِ الْمَدِينَةِ ، بَلْ أَرَادَ : يَا لَيْتَهُ كَانَ غَرِيباً مُهَاجِراً بِالْمَدِينَةِ وَمَاتَ بِهَا ؛ فَإِنَّ الْمَوْتَ فِي غَيْرِ مَوْلِدٍ مَنْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ كَمَا يَتَصَوَّرُ . . بِأَنْ يُوَلَدَ فِي الْمَدِينَةِ وَيَمُوتَ فِي غَيْرِهَا ، كَذَلِكَ يَتَصَوَّرُ بِأَنْ يُوَلَدَ بَغَيْرِ الْمَدِينَةِ وَيَمُوتَ بِهَا ، فَلْيَكُنْ رَاجِعاً إِلَى هَذَا الشَّقِّ =

وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَقَاصِدِ فِي السَّفَرِ : اسْتِكْشَافُ دَفَائِنِ النُّفُوسِ^(١) ،
وَاسْتِخْرَاجُ رُغُونَاتِهَا وَدَعَاوِيهَا^(٢) ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ تَتَبَيَّنُ حَقَائِقُ ذَلِكَ بغيرِ
السَّفَرِ ، وَسُمِّيَ السَّفَرُ سَفَرًا ؛ لِأَنَّهُ يُسَفِّرُ عَنِ الْأَخْلَاقِ ، فَإِذَا وَقَفَ عَلَى دَائِهِ
يَتَشَمَّرُ لِدَوَائِهِ .

وَقَدْ يَكُونُ أَثَرُ السَّفَرِ فِي نَفْسِ الْمُبْتَدِئِ . كَأَثَرِ النُّوَافِلِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ
وَالْتَهَجُّدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُتَنَفِّلَ سَائِحٌ ، سَائِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
أَوْطَانِ الْغَفَلَاتِ إِلَى مَحَالِّ الْقُرْبَاتِ ، وَالْمُسَافِرَ يَقْطَعُ الْمَسَافَاتِ ، وَالتَّقَلُّبَ
فِي الْمَفَاوِزِ وَالْفَلَوَاتِ ، بِحُسْنِ النِّيَّةِ لِلَّهِ . سَائِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمُرَاغَمَةِ
الْهَوَى ، وَمُهَاجَرَةِ مَلَاذِ الدُّنْيَا .

(٤٩) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ
خَلْفٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ
الْوَاحِدِ بْنَ بَكْرِ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحِيمِ يَقُولُ : سَمِعْتُ الثُّورِيَّ
يَقُولُ : (التَّصَوُّفُ : تَرْكُ كُلِّ حَظٍّ لِلنَّفْسِ)^(٣) .

فَإِذَا سَافَرَ الْمُبْتَدِئُ تَارِكًا حَظَّ النَّفْسِ . . تَطْمِئِنُّ النَّفْسُ ، وَتَلِينُ كَمَا تَلِينُ

= حَتَّى لَا يَخَالَفُ الْحَدِيثُ حَدِيثَ فَضْلِ الْمَوْتِ بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ .

(١) فِي نَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِش (أ) : (دَقَائِقُ) بَدَل (دَفَائِنِ) .

(٢) الرُّغُونَةُ : الْحَقُّ وَالْإِسْتِرْخَاءُ ، وَالرُّغُونَةُ أَيْضًا : إِظْهَارُ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ بِتَكْبُرٍ . مِنْ هَامِش
(ح) .

(٣) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ (ص ١٦٦) ، وَأَوْرَدَهُ الْكَلَابَازِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٩) ،
وَالْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ١٥٩) .

بدوام النافلة ، ويكون لها بالسفر دِباعٌ يُذهِبُ عنها الخُشونةَ واليُبوسةَ الجِلِيَّةَ والعُفونةَ الطَبِيعِيَّةَ^(١) ؛ كالجلدِ يعودُ مِنْ هَيْئَةِ الجلودِ إلى هَيْئَةِ الثَّيابِ ، فتعودُ النَّفْسُ مِنْ طَبِيعَةِ الطُّغْيَانِ إلى طَبِيعَةِ الْإِيمَانِ .

وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَقاصِدِ فِي السَّفَرِ : رُؤْيُ الْآثَارِ وَالْعِبَرِ ، وَتَسْرِيحُ النَّظَرِ فِي مَسَارِحِ الْفِكْرِ ، وَمُطالعةُ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، وَمَوَاطِنِ أَقْدَامِ الرِّجَالِ ، وَاسْتِمَاعُ التَّسْبِيحِ مِنْ ذَرَّاتِ الْجَماداتِ ، وَالْفَهْمُ مِنْ لِسَانِ حَالِ الْقِطْعِ الْمُتجاوِرَاتِ ؛ فَقَدْ تَجَدَّدَ لَهُ الْيَقْظَةُ بِتَجَدُّدِ مُستودَعِ الْعِبَرِ وَالْآيَاتِ ، وَتَوَفَّرَ بِمُطالعةِ الْمَشاهِدِ وَالْمواقِفِ الشَّواهِدِ وَالذَّلالاتِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

وَقَدْ كَانَ السَّرِيُّ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ لِلصُّوفِيَّةِ : (إِذَا خَرَجَ الشِّتَاءُ قَدْ خَرَجَ آذَارُ ، وَأَوْرَقَتِ الْأَشْجَارُ ، وَطَابَ الْإِنْتِشَارُ)^(٢) .

وَمِنْ جَمَلَةِ الْمَقاصِدِ بِالسَّفَرِ : إِثَارُ الْخُمُولِ ، وَطَرَحُ حَظِّ الْقَبُولِ ؛ فَصِدْقُ الصَّادِقِ يَنْمُ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ ، وَيَرْزُقُ مِنَ الْخُلُقِ حُسْنَ الْإِقْبَالِ ، وَقَلَمًا يَكُونُ صَادِقًا ، مُتَمَسِّكًا بِعُرْوَةِ الْإِخْلَاصِ ، ذُو قَلْبٍ عَامِرٍ . . إِلَّا وَيَرْزُقُ قَبُولَ الْخُلُقِ .

حَتَّى سَمِعْتُ بَعْضَ الْمَشايخِ يَحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ : (أُرِيدُ إِقْبَالَ الْخُلُقِ عَلَيَّ ، لَا أَنِّي أَبْلُغُ نَفْسِي حَظَّهَا مِنَ الْهُوَى ؛ فَإِنِّي لَا أَبَالِي أَقْبَلُوا أَمْ

(١) قوله : (يُذهِبُ) ضبطه في (ح) من الثلاثي والرباعي ، وعلى الأول يكون (الخشونة) وما عطف عليه مرفوعين .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٣ / ١٥٢٥) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٤٣ / ٤) .

أذبروا ، ولكن لكون قبول الخلق علامة تدل على صحة الحال .

فإذا ابتلي المرید بذلك لا يأمن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق .

وربما يفتح عليه باب من الرفق ، وتدخل النفس عليه من طريق البر والدخول في الأسباب المحمودة ، وتربيه فيه وجه المصلحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل الموجود ، ولا تزال النفس به والشيطان حتى تجراه إلى السكون إلى الأسباب ، واستحلاء قبول الخلق ، وربما قويا عليه فجراه إلى التصنع والتعمل ، ويتسع الخرق على الرقع^(١) .

وسمعت أن بعض الصالحين قال لمرید له : (أنت الآن وصلت إلى مقام لا يدخل عليك الشيطان من طريق الشر ، ولكن يدخل عليك من طريق الخير) .

وهذا مزية عظيمة للأقدام .

فالله تعالى يدرك الصادق إذا ابتلي بشيء من ذلك ، ويُرعجه بالعناية السابقة والمعونة اللاحقة إلى السفر ، فيفارق المعارف والموضع الذي فتح الله عليه هذا الباب فيه ، ويتجرد لله تعالى بالخروج إلى السفر ، وهذا من أحسن المقاصد في الأسفار للصادقين .

فهذه جمل المقاصد المطلوبة للمشايخ في السفر في بداياتهم ، ما عدا

(١) بحيث لا يستطيع إصلاحه وتداركه ، وهو مثل يضرب لمن خرج الأمر من يده بحيث لا يقدر على تداركه ، وانظر « جمهرة الأمثال » (١ / ١٦٠) ، و « المستقصى » في أمثال العرب (١ / ٣٥) .

الحجّ ، والغزو ، وزيارة بيت المقدس ؛ فقد نُقِلَ أَنَّ ابنَ عُمَرَ رضيَ اللهُ
عنهُما خَرَجَ مِنَ المَدِينَةِ قاصداً إلى بيت المقدس ، وصَلَّى فِيهِ الصَّلَواتِ
الخَمْسَ ، ثُمَّ أَسْرَعَ راجعاً إلى المَدِينَةِ مِنَ الغَدِ^(١) .

ثُمَّ إِذَا مَنْ اللهُ تَعَالَى عَلَى الصَّادِقِ بِأَحْكَامِ أُمُورِ بَدَايَتِهِ ، وَقَلْبُهُ فِي
الْأَسْفَارِ ، وَمَنْحَهُ الْحَظَّ مِنَ الِاعْتِبَارِ ، وَأَخَذَ نَصِيْبَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِقَدْرِ حَاجَتِهِ ،
وَاسْتِفَادَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الصَّالِحِينَ^(٢) ، وَانْتَقَشَ فِي قَلْبِهِ فَوَائِدُ النَّظَرِ إِلَى حَالِ
الْمُتَّقِينَ ، وَتَعَطَّرَ بَاطِنُهُ بِاسْتِنْشَاقِ عَرَفِ مَعَارِفِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَتَخَصَّنَ بِحِمَايَةِ
نَظَرِ أَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَسَبَرَ أَحْوََالَ النَّفْسِ ، وَأَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ دَقَائِقِ
أَخْلَاقِهَا وَشَهَوَاتِهَا الْخَفِيَّةِ ، وَسَقَطَ عَنْ بَاطِنِهِ نَظَرُ الْخَلْقِ ، وَصَارَ يَغْلِبُ
وَلَا يُغْلَبُ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَاراً عَنْ مُوسَى صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ : ﴿ فَفَرَزْتُ
مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١] . . . فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَرْدُّهُ الْحَقُّ إِلَى مَقَامِهِ^(٣) ، وَيَمُدُّهُ بِجَزِيلِ إِنْعَامِهِ ، وَيَجْعَلُهُ إِمَاماً لِلْمُتَّقِينَ بِهِ
يُقْتَدَى ، وَعَلِماً لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ يُهْتَدَى .

وَأَمَّا الَّذِي أَقَامَ فِي بَدَايَتِهِ ، وَسَافَرَ فِي نَهَايَتِهِ^(٤) . . . يَكُونُ ذَلِكَ شَخْصاً
يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ صُحْبَةً صَحِيحَةً ، وَقَيَّضَ لَهُ شَيْخاً عَالِماً
يَسْلُكُ بِهِ الطَّرِيقَ ، وَيُدْرِجُهُ إِلَى مَنَازِلِ التَّحْقِيقِ ، فَيُلَازِمُ مَوْضِعَ إِرَادَتِهِ ،

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٢٦/٣) ، والغزالي في « الإحياء »
(٣٤٠/٤) .

(٢) في (أ ، ز) : (الصادقين) .

(٣) قوله : (فعند ذلك) هو جواب الشرط لقوله : (ثم إذا من) صدرَ الفقرة .

(٤) وهذا هو القسم الثاني من أحوال مشايخ الصوفية في السفر .

ويلتزم بصُحبة مَنْ يَرُدُّهُ مِنْ عَادَتِهِ^(١) .

وقد كَانَ السُّبُلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ لِلْحَضَرِيِّ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ : (إِنْ خَطَرَ بِيَالِكَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ غَيْرُ اللهِ . . . فحرامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَحْضُرَنِي)^(٢) .

فَمَنْ رُزِقَ مِثْلَ هَذِهِ الصُّحْبَةِ يَحْرُمُ عَلَيْهِ السَّفَرُ ؛ فَالصُّحْبَةُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ كُلِّ سَفَرٍ وَفَضِيلَةٌ يَقْصِدُهَا .

(٥٠) - أَخْبَرَنَا رَضِيُّ الدِّينِ أَبُو الْخَيْرِ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَزْوِينِيُّ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْمُظَفَّرِ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ هَوَازِنَ الْقُشَيْرِيُّ ، عَنْ وَالِدِهِ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الصُّوفِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ عِيَّاشَ بْنَ أَبِي الصَّخْرِ يَقُولُ^(٣) : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الزَّقَّاقَ يَقُولُ : (لَا يَكُونُ الْمُرِيدُ مُرِيداً حَتَّى لَا يَكْتَبَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الشُّمَالِ شَيْئاً عَشْرِينَ سَنَةً)^(٤) .

فَمَنْ رُزِقَ صُحْبَةً مَنْ يَنْدُبُهُ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ ، وَالْعَزَائِمِ الْقَوِيَّةِ . . . يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْمُفَارَقَةُ وَاخْتِيَارُ السَّفَرِ .

ثُمَّ إِذَا أَحْكَمَ أَمْرَهُ فِي الْإِبْتِدَاءِ ؛ بَلُزُومِ الصُّحْبَةِ وَحُسْنِ الْإِقْتِدَاءِ ، وَارْتَوَى مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ ، وَانْبَجَسَ مِنْ قَلْبِهِ عُيُونُ مَاءِ الْحَيَاةِ ،

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (د ، ي) : (وَيَلْتَزِمُ) بَدَلَ (وَيَلْتَزِمُ) .

(٢) أَوْرَدَهُ الْقُشَيْرِيُّ فِي « رِسَالَتِهِ » (ص ٧٧٣) .

(٣) فِي « الرِّسَالَةِ » : (عَبَّاسٌ) بَدَلَ (عِيَّاشٌ) .

(٤) الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ (ص ٤٦٨) ، وَفِي هَامِشِ (ح) : (هَذَا بِأَنْ يَكُونَ الْمُرِيدُ حَاضِرَ الْقَلْبِ لِمَا يَصْدُرُ عَنْ جَوَارِحِهِ مِنَ الْمَآثِمِ ، فَيُزِيلُهَا بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ إِنْ غَفَلَ زَمَاناً وَنَسِيَ زَمَاناً آخَرَ ، وَيَسْتَدْرِكُ فَلَا يَكْتَبُ كَاتِبُ الشُّمَالِ عَلَيْهِ شَيْئاً) .

وصارتَ نَفْسُهُ مُكْسِبَةً لِلسَّعَادَاتِ . . . يَسْتَنَشِقُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ ، مِنْ صَدُورِ
الصَّادِقِينَ مِنَ الْإِخْوَانِ ، فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَشَاسِعِ الْبُلْدَانِ ، يَشْرَبُ إِلَى
التَّلَاقِ ، وَيَنْبَعُثُ إِلَى التَّطَوُّافِ فِي الْآفَاقِ ، يُسَيِّرُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْبِلَادِ ،
لِفَائِدَةِ الْعِبَادِ ، وَيَسْتَخْرِجُ بِمِغْنَاطِيْسٍ حَالِهِ خَبَاءَ أَهْلِ الصَّدَقِ ، وَالْمُتَطَلِّعِينَ
إِلَى مَنْ يُخْبِرُ عَنِ الْحَقِّ ، وَيَبْذُرُ فِي أَرْضِي الْقُلُوبِ بَذْرَ الْفَلَاحِ ، وَيَكْثُرُ
بِرَكَتِهِ وَنَفْسِهِ وَصُحْبَتِهِ أَهْلُ الصَّلَاحِ .

وهذا مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْهَادِيَةِ فِي الْإِنْجِيلِ : ﴿ كَزَّرِعَ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَتَزَرَّهُ
فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ؛ تَعَوَّذُ بَرَكَةُ الْبَعْضِ عَلَى الْبَعْضِ ،
وَتَسْرِي الْأَحْوَالُ مِنَ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ ، وَيَكُونُ طَرِيقُ الْوَرَاثَةِ مَعْمُورًا ،
وَعِلْمُ الْإِفَادَةِ مَنْشُورًا .

(٥١) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا الْإِمَامُ عَبْدُ الْجَبَّارِ الْبَيْهَقِيُّ فِي « كِتَابِهِ » ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذُبَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ دَاسَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ ،
قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ
الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ
كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ اتَّبَعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا » (١) .

(١) المدخل إلى السنن الكبرى (١٤٧٣) ، سنن أبي داود (٤٦٠٩) ، ورواه مسلم
(٢٦٧٤) .

فَأَمَّا مَنْ أَقَامَ وَلَمْ يُسَافِرْ : فَيَكُونُ ذَلِكَ شَخْصاً كَامِلاً رَبَّاهُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى وَتَوَلَّاهُ ، وَفَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ الْخَيْرِ ، وَجَذَبَهُ بِعَنَانِيَّتِهِ ، وَقَدْ وَرَدَ :
(جَذْبَةُ مَنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ) (١) .

ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ مِنْهُ الصَّدَقَ ، وَرَأَى حَاجَتَهُ إِلَى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ . . سَاقَ إِلَيْهِ بَعْضَ
الصَّدِيقِينَ حَتَّى آيَدَهُ بِلُطْفِهِ وَلَفْظِهِ ، وَتَدَارَكَهُ بِلَحْظِهِ ، وَلَقَّحَهُ بِقُوَّةِ حَالِهِ ،
وَكَفَاهُ يَسِيرُ الصُّحْبَةِ لِكَمَالِ الْأَهْلِيَّةِ فِي الصَّاحِبِ وَالْمَصْحُوبِ ، وَإِجْرَاءِ
سُنَّةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِعْطَاءِ الْأَسْبَابِ حَقَّهَا لِإِقَامَةِ رَسْمِ الْحِكْمَةِ . . يُحَوِّجُ إِلَى
يَسِيرِ الصُّحْبَةِ ، فَيَتَنَبَّهُ بِالْقَلِيلِ لِلْكَثِيرِ ، وَيُغْنِيهِ الْيَسِيرُ مِنَ الصُّحْبَةِ لِلْحَظِّ
الْكَبِيرِ ، وَيَكْتَفِي بِوَافِرِ حَظِّ الْاِسْتِبْصَارِ عَنِ الْأَسْفَارِ ، وَيَتَعَوَّضُ بِأَشِعَّةِ الْأَنْوَارِ
عَنْ مُطَالَعَةِ الْعِبَرِ وَالْآثَارِ (٢) ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : (النَّاسُ يَقُولُونَ : افْتَحُوا
أَعْيُنَكُمْ وَأَبْصُرُوا ، وَأَنَا أَقُولُ : غَمِّضُوا أَعْيُنَكُمْ وَأَبْصُرُوا) .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ الصَّالِحِينَ يَقُولُ : (اللَّهُ عِبَادُ طُورُ سِينَاهُمْ رُكْبُهُمْ ، تَكُونُ
رُؤُوسُهُمْ عَلَى رُكْبِهِمْ وَهُمْ فِي مَحَالِّ الْقُرْبِ ، فَمَنْ نَبَعَ لَهُ مَعِينُ الْحَيَاةِ فِي

(١) قَالَ الْغَمَارِيُّ فِي « الْغَنِيَّةِ » (١ / ٢١٠) : (لَيْسَ بِحَدِيثٍ ، وَقَوْلُ بَعْضِ الْحَفَازِ : « إِنَّهُ
مَوْضُوعٌ » . . تَجَوَّزَ فِي التَّعْبِيرِ ؛ لِأَنَّ الْمَوْضُوعَ إِنَّمَا يُقَالُ اصْطِلَاحاً لَمَّا وُضِعَ لِإِسْنَادِ
مُرَكَّبٍ مَقْصُودٍ ، لَا مَا يُضَافُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهْلاً وَغُلْطاً كَهَذَا) ،
وَرَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِهِ » (ص ٤٨٨) عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ النَّصْرَابَادِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى ، وَفِيهِ : (تَرْبِي) بَدَل (تَوَازِي) .

(٢) أَي : كَانَتْ فَائِدَةُ الْأَسْفَارِ مُطَالَعَةَ الْعِبَرِ لِمَنْ مَضَى وَبَقِيَ ثَمَنُهَا خَاوِيَةً خَرِبَةً حَتَّى يَزْهَدَ
فِي الدُّنْيَا ، وَمَشَاهِدَةُ آثَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ فِي شَوَاهِدِ الْجِبَالِ وَأَمْوَاجِ
الْبَحَارِ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَ قَلْبِهِ ، وَتَشَعَّشَعَ عَلَيْهِ الْأَنْوَارُ . . اسْتَغْنَى بِهَا عَنِ الْعِبَرِ
وَالْآثَارِ ، وَأَخَذَ عَوْضاً خَيْراً مِنْهَا ؛ إِذْ ثَمَرَةُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ ثَمَرَةِ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا .
مِنْ هَامِش (ح) .

ظُلْمَةٍ خَلَوْتِهِ . . ماذا يصنع بدخول الظُّلُمَاتِ ؟! وَمَنْ اندرجَتْ لَهُ أطباقُ
السماءاتِ في طَيِّ شهودِهِ . . ماذا يصنع بتقلُّبِ طَرْفِهِ في السماءاتِ ؟! وَمَنْ
جمعتْ أَخْدَاقَ بصيرتِهِ مُتَفَرِّقاتِ الكائناتِ . . ماذا يستفيدُ مِنْ طَيِّ الفَلَوَاتِ ؟!
وَمَنْ خَلَصَ بِخَاصِيَّةِ فِطْرَتِهِ إِلَى مَجْمَعِ الأرواحِ . . ماذا يُفِيدُهُ زيارَةُ الأشباحِ ؟!
قِيلَ : أَرْسَلَ ذُو النُّونِ المِصْرِيَّ إِلَى أَبِي يَزِيدَ رَحِمَهُمَا اللهُ رَجُلًا وَقَالَ :
قُلْ لَهُ : إِلَى متى النُّومُ والراحَةُ وقد سارتِ القافلةُ ؟! فَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ
لأَخِي : الرَّجُلُ مَنْ ينامُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ثُمَّ يُصْبِحُ في المَنْزِلِ قَبْلَ القافلةِ ، فَقَالَ ذُو
النُّونِ : هنيئًا لَهُ ، هَذَا كَلَامٌ لَا تَبْلُغُهُ أَحْوالُنَا^(١) .

وَكَانَ بِشَرِّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : (يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ ؛ سِيحُوا تَطْيَبُوا ؛ فَإِنَّ الْمَاءَ
إِذَا كَثُرَ مُكْنِئُهُ فِي مَوْضِعٍ تَغَيَّرَ)^(٢) .

وَقِيلَ : قَالَ بَعْضُهُمْ عِنْدَ هَذَا الْكَلَامِ : (صِرْ بَحْرًا حَتَّى لَا تَتَغَيَّرَ) .
فَإِذَا أَدَامَ الْمُريدُ سَيْرَ الْباطِنِ ؛ بَقَطَعَ مَسَافَةَ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ؛ حَتَّى
قَطَعَ مَنَازِلَ آفَاتِهَا ، وَبَدَّلَ أَخْلَاقَهَا الْمَذْمُومَةَ بِالْمَحْمُودَةِ ، وَعَانَقَ الإِقْبَالَ
عَلَى اللهِ تَعَالَى بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ . . اجْتَمَعَ لَهُ الْمُتَفَرِّقاتُ ، وَاسْتَفَادَ فِي
حَضْرِهِ أَكْثَرَ مِنْ سَفَرِهِ ؛ لَكُونِ السَّفَرِ لَا يَخْلُو مِنْ مَتَاعِبَ وَكُلْفٍ وَمُشَوَّشَاتٍ ،
وَطَوَارِقَ وَنَوَازِلَ تَتَجَدَّدُ يَضْعُفُ عَنْ سِيَاسَتِهَا بِالْعِلْمِ الضُّعْفَاءُ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى

(١) أوردته القشيري في « رسالته » (ص ٤٧١) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار »
(١/ ١٩٩-٢٠٠) ، ورواه الرافعي بنحوه في « التدوين » (٤٣/٤-٤٤) .

(٢) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (٣/ ١٥٢٤) ، ورواه بنحوه الخطيب البغدادي
في « تاريخ بغداد » (٢٠٧/١٤) ، وبِشْرٍ : هو ابن الحارث الحافي رحمه الله تعالى
وقُدِّسَ سرُّهُ ، والقُرَّاءُ ؛ أي : العلماء .

تسليط العلم على مُتجدّدات السّفَرِ وطوارقهِ إِلَّا الأقوياءُ .

قالَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنه للذي زكّى عنده رجلاً : هل صَحِبْتَهُ
في السّفَرِ الذي يُستدلُّ به على مكارمِ الأخلاقِ ؟ قالَ : لا ، قالَ : ما أراك
تعرّفهُ^(١) .

فإذا حَفِظَ اللهُ تعالى عبدهُ في بدايةِ أمرِهِ مِنْ تشويشِ السّفَرِ ، ومَتَّعَهُ بِجَمْعِ
الهمِّ وحُسْنِ الأخلاقِ والإقبالِ في الحَضَرِ ، وساقَ إليه مِنَ الرجالِ مَنْ
اكتسبَ به صلاحَ الحالِ . . فقد أَحَسَنَ إليه .

قيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيرزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا
يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق : ٢-٣] : هوَ الرجلُ المُنْقَطِعُ إلى اللهِ تعالى ، يُشْكِلُ عليه شيءٌ
مِنْ أمرِ الدّينِ ، فيبعثُ اللهُ تعالى إليه مَنْ يَحُلُّ إشكالَهُ^(٢) .

فإذا ثَبَتَ قدمُهُ على شروطِ البدايةِ . . رُزِقَ وهوَ في المقامِ مِنْ غيرِ سَفَرٍ
ثمراتِ النهايةِ ، فيستقرُّ في الحَضَرِ ابتداءً وانتهاءً ، وأُقِيمَ في هذا المقامِ
جَمْعٌ مِنَ الصالحينَ .

وأما الذي أدامَ السّفَرَ ولم يُقِمْ : فرأى صلاحَ قلبِهِ وصِحَّةَ حالِهِ في ذلك .
يقولُ بعضُهُمْ : (اجتهدْ أَنْ تكونَ كُلَّ ليلةٍ ضيفَ مسجدٍ ، ولا تموتَ إِلَّا
بينَ منزلَينِ)^(٣) .

(١) رواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٦٠٣) ، وأورده بلفظه
أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٢٩ / ٣) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣٣٦ / ١) ، وعزاه إلى بعض السلف .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٦٠٣) عن أبي بكر الكتاني رحمه الله تعالى ، ومن
طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٥ / ٥٤) .

وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص رحمه الله ؛ ما كان يُقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً ، وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوماً . . يفسد عليه توكله^(١) ، فكان علم الناس به ومعرفتهم إيّاه يراه سبباً ومعلوماً .

وحكي عنه أنه قال : مكثت في البادية أحد عشر يوماً لم آكل ، وتطلعت نفسي أن آكل من حشيش البر ، فرأيت الخضر مُقبلاً نحوي ، فهربت منه ، ثم التفت فإذا هو قد رجع عني ، فقيل له : لم هربت منه ؟ قال : تشرفت نفسي أن يُغيثني^(٢) .

فهؤلاء الفرّارون بدينهم .

(٥٢) - أخبرنا أبو زرعة طاهر بن الحافظ أبي الفضل المقدسي ، عن أبيه قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي ، قال : أخبرنا عبد الله بن يوسف ابن بامويه^(٣) ، قال : حدّثنا أبو محمد الزُّهري القاضي ، قال : حدّثنا محمد بن [عبيد] بن أسباط^(٤) ، قال : حدّثنا أبو نعيم^(٥) ، قال : حدّثنا

(١) في (ج ، د ، ز ، ح) : (يفسد) بدل (يفسد) ، ولم يُسمع (انفسد) ، والقياس لا يأباه . انظر « تاج العروس » (٤٩٦ / ٨) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٣٠ / ٣) عن بعض الشيوخ ، وفيه : (يقيتني) بدل (يغيثني) ، ولعلها ضُبِطت في (أ) بالوجهين ، وفي (ب) : (تشوّفت) بدل (تشرفت) .

(٣) في (ب ، هـ) : (تامويه) ، والصواب المثبت ، وهو الإمام المُحدّث شيخ الصوفية أبو محمد الأزدستاني الأصبهاني (ت ٤٠٩ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣٩ / ١٧) ، و« تبصير المتنبه » (٥٦ / ١) .

(٤) في النسخ : (عبد الله) بدل (عبيد) ، والمثبت من « الكنى والأسماء » لأبي أحمد الحاكم (٨٢ / ٣) ، وهو أبو جعفر القرشي الكوفي .

(٥) هو الحافظ الكبير الفضل بن دُكين رحمه الله تعالى .

محمَّد - يعني : ابن مُسلم - عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن سليمان بن هُرْمَز ، عن عبد الله^(١) ، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قال : « أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ الْغُرْبَاءُ » ، قيل : وما الغُرْبَاءُ ؟ قال : « الْفَرَارُونَ بِدِينِهِمْ ، يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢) .

وهذه كلها أحوالٌ اختلفت ، واتبَعَ أربابها الصَّحَّةَ وحُسْنَ النِّيَّةِ مع الله ، وحُسْنَ النِّيَّةِ يقتضيه الصَّدَقُ ، والصَّدَقُ لعينه محمودٌ كيف تقلَّبت الأحوال .
فمن سافر ينبغي أن يفتقدَ حاله ، ويصحَّحَ نيَّته ، ولا يقدرُ على تخلصِ النِّيَّةِ مِنْ شوائبِ النَّفْسِ إلا كثيرُ العِلْمِ ، تامُّ التقوى ، وافرُ الحظِّ مِنَ الزُّهْدِ في الدنيا .

ومن انطوى على هوى كامنٍ ، ولم يستقصِ في الزُّهْدِ . . لا يقدرُ على تصحيحِ النِّيَّةِ ؛ فقد يدعوهُ إلى السفرِ نشاطٌ جِلِّيٌّ نَفْسَانِيٌّ وهو يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ داعيةُ الحقِّ ، ولا يُميِّزُ بينَ داعي الحقِّ وداعي النَّفْسِ .

ويحتاجُ الشخصُ في عِلْمِ صِحَّةِ النِّيَّةِ إلى العلمِ بمعرفةِ الخواطرِ ، وشرحِ الخواطرِ وعِلْمِها يحتاجُ إلى بابٍ مفردٍ لنَفْسِهِ ، ونُومِيٍّ الآنَ إلى ذلكَ برمزٍ يُدْرِكُهُ مَنْ نازلهُ شيءٌ مِنْ ذَلِكَ ؛ فأكثرُ الفقراءِ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ ومعرفةِ على بُعْدِ^(٣) :

(١) هو ابن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) صفوة التصوف (٥٢٥) ، ورواه أحمد في « الزهد » (٤٠٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥ / ١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٢٠٤) .

(٣) زاد في (د) : (في زماننا) ، وانظر (٢ / ٤٣٤ - ٤٤٨) .

اعْلَمْ : أَنَّ ما ذكرناه مِنْ نشاطِ النَّفْسِ واقعٌ للفقيرِ في كثيرٍ مِنَ الأمورِ ؛
فقد يجدُ الفقيرُ الرُّوحَ بالخروجِ إلى بعضِ الصَّحاري والبساتينِ ، ويكونُ
ذلكَ الرُّوحُ مُضِرّاً بهِ في ثاني الحالِ وإنْ كانَ تراءى لَهُ طيبةُ القلبِ في
الوقتِ ، وسببُ طيبةِ قلبِهِ في الوقتِ : أَنَّ النَّفْسَ تنفسُ وتَسْعُ ببلوغِ غَرَضِها
وتيسيرِ يسيرِ هَواها^(١) بالخروجِ إلى الصحراءِ والتنزُّهِ ، وإذا اتَّسعتْ بَعُدَتْ
عَنِ القلبِ ، وتنَحَّتْ عَنْهُ مُتَشَرِّفةً إلى مُتعلِّقِ هَواها ، فيتروَّحُ القلبُ
لا بالصحراءِ ، بل يَبْعُدُ النَّفْسَ مِنْهُ ؛ كشخصٍ تباعدَ عَنْهُ قَرِينٌ يستثقلُهُ .

ثُمَّ إذا عادَ الفقيرُ إلى زاوِيَتِهِ ، واستفتحَ ديوانَ مُعاملَتِهِ ، ومَيَّزَ دُسْتُورَ
حالَتِهِ . . يجدُ النَّفْسَ مُقارِنَةً للقلبِ بِمَزِيدِ ثِقَلٍ مُوجِبٍ لِتَبَرُّمِهِ بِها ، وكلِّما
ازدادَ ثِقَلُها تَكَدَّرَ القلبُ ، وسببُ زيادةِ ثِقَلِها : استرسالُها في تناولِ هَواها ،
فيصيرُ الخروجُ إلى الصحراءِ عَيْنَ الداءِ ، وَيَظُنُّ الفقيرُ أَنَّهُ ترويحٌ ودواءٌ ، فلو
صَبَرَ على الوَحْدَةِ والخَلْوَةِ ازدادتِ النَّفْسُ ذَوْباناً ، وَخَفَّتْ وَلَطُفَتْ وصارتُ
قَرِيناً صالحاً للقلبِ لا يستثقلُها .

وعلى هذا : يُقاسُ التَّروُّحُ بالأَسفارِ ؛ فللنفسِ وَثباتٌ إلى تَوَهُّمِ
التَّروُّحاتِ ؛ فَمَنْ فَطِنَ لِهَذِهِ الدَّقِيقَةِ لا يَغْتَرُّ بِالتَّروُّحاتِ المُستعارةِ التي
لا تُحَمَّدُ عاقِبَتُها ولا تُؤَمِّنُ غائِلَتُها ، ويتَثَبَّتُ عندَ ظهورِ خاطرِ السفرِ ،
ولا يكثرُ بالخطرِ ، بل يطرَحُهُ بَعْدَ الالتفاتِ ، مُسِيئاً ظَنَّهُ بالنَّفْسِ
وتَسْويلاتِها .

وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ - واللهُ أَعْلَمُ - : قولُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) في (د) : (وتَسِيرُ بِسِيرِ) بدل (وتيسير يسير) .

« إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ »^(١) ، فتكون للنفس عند طلوع الشمس وثبات ، تستند تلك الوثبة والنهضة من النفس إلى المزاج والطباع ، ويطول شرح ذلك ويعمق .

ومن ذلك القبيل : خفة مرض المريض غدوة بخلاف العشيات ، فيشغل اهتزاز النفس بنهضات القلب ، ويدخل على الفقير من هذا القبيل آفات كثيرة^(٢) ، ويدخل في مداخل باهتزاز نفسه ظناً منه أن ذلك حكم نهوض قلبه ، وربما يترأى له أنه بالله يصول ، وبالله يقول ، وبالله يتحرك ، وقد ابتلي بنهضة النفس ووثوبها .

ولا يقع هذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال ، وغير أرباب القلوب والأحوال عن هذا بمعزل ، وهذه مزية قدم مختصة بالخواص دون العوام ، فاعلم ذلك ؛ فإنه عزيز علمه .

وأقل مراتب الفقراء في مبادئ الحركة للسفر لتصحيح وجه الحركة : أن يُقدِّموا صلاة الاستخارة ، وصلاة الاستخارة لا تُهمل وإن تبين للفقير صحة خاطره ، أو تبين له وجه المصلحة في السفر ببيان واضح من الخاطر ؛

(١) رواه البخاري (٣٢٧٣) ، ومسلم (٢٩٠ / ٨٢٨) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال النووي في « شرح مسلم » (١١٢ / ٦) : (قيل : المراد بقرني الشيطان : حزبه وأتباعه ، وقيل : قوته وغلبته وانتشار فساد ، وقيل : القرنان : ناحيتا الرأس ، وإنه على ظاهره ، وهذا هو الأقوى ، قالوا : ومعناه : أنه يُدني رأسه إلى الشمس في هذه الأوقات ؛ ليكون الساجدون لها من الكفار كالساجدين له في الصورة ، وحينئذ يكون له ولبنه تسلط ظاهر وتمكن من أن يلبسوا على المصلين صلاتهم ، فكرهت الصلاة حينئذ صيانة لها ، كما كرهت في الأماكن التي هي مأوى الشيطان) .

(٢) في (أ ، ز) : (الطريق) بدل (القبيل) .

فللقوم مراتب في التَّبيانِ مِنَ العلمِ بِصِحَّةِ الخاطرِ وبما فوقَ ذلكَ ؛ ففي ذلكَ كُلِّهِ لا تُهْمَلُ صلاةُ الاستخارةُ ؛ اتِّباعاً لِلسُّنَّةِ ؛ ففي ذلكَ البركةُ .

وهو مِنْ تعليمِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ على ما :

(٥٣) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ عَبْدُ الْقَاهِرِ الشَّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ إِمْلَاءً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي « كِتَابِهِ » ^(١) : أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْكَنْجَرُودِيَّ أَخْبَرَهُمْ ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَمْدَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الصُّوفِيُّ ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَنْصُورُ بْنُ أَبِي مُزَاحِمٍ ^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْإِسْتِخَارَةَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قَالَ : « إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ أَوْ أَرَادَ الْأَمْرَ . . فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ^(٥) ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ

(١) هو الإمام المُحَدِّثُ الْمُعَمَّرُ مسند خراسان زاهر بن طاهر النيسابوري الشَّحَامِي الشُّرُوطِي (ت ٥٣٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩ / ٢٠) .

(٢) هو الإمام الفقيه الأديب النحوي الطبيب مسند خراسان محمد بن عبد الرحمن بن محمد النيسابوري (ت ٤٥٣هـ) ، وَالْكَنْجَرُودِيُّ : نسبةٌ إلى (كَنْجَرُودَ) قرية من قرى نيسابور ، وجاءت كنيته في كثير من المصادر والمراجع : (أبو سعد) بدل (أبو سعيد) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٠١ / ١٨) .

(٣) هو الإمام الصوفي الكبير المُحَدِّثُ الثَّقةُ المُعَمَّرُ أبو عبد الله أحمد بن الحسن بن عبد الجبار البغدادي (ت ٣٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥٢ / ١٤) .

(٤) هو الإمام المُحَدِّثُ أبو نصر منصور بن بشير التركي الكاتب (ت ٢٣٥هـ) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٨١ - ٨٠ / ١٣) .

(٥) يقرأ في الأولى : (فاتحة الكتاب) و (قل يا أيها الكافرون) ، وفي الثانية : (الفاتحة) =

بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا
أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، اَللَّهُمَّ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - يُسْمِيهِ
بِعَيْنِهِ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَمَعَادِي وَعَاقِبَةُ أَمْرِي - أَوْ قَالَ : عَاجِلِ
أَمْرِي وَأَجَلِهِ - . . فَأَقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ
شَرًّا لِي - مِثْلَ ذَلِكَ ^(١) - . . فَأَصْرِفْهُ عَنِّي وَأَصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَأَقْدِرْ لِي الْخَيْرَ
حَيْثُ كَانَ « (٢) » .



= (و) قل هو الله أحد (من « الإحياء » . من هامش (و) .

(١) في نسخة على هامش (و) : (في ديني ومعاشي وعاقبة أمري) بدل (مثل ذلك) .

(٢) رواه البخاري (٦٣٨٢) ، وزاد في (د) آخِرُهُ : (برحمتك يا أرحم الراحمين) ، وفي

نسخة على هامشها : (ثم رَضَّنِي بِهِ) ، وكذلك في (و) ، إِلَّا أَنْ فِيهَا : (أَرْضَنِي)

بدل (رَضَّنِي) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ قراءة في الرابع

عشر للجماعة على الشيخ عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب السابع عشر

فيما يحتاج إليه المسافر في سفره من الفرائض والفضائل^(١)

فَأَمَّا مِنَ الْفَقْهِ وَإِنْ كَانَ هَذَا يُذَكَّرُ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ ، وَهَذَا الْكِتَابُ غَيْرُ
مَوْضُوعٍ لَذَلِكَ ، وَلَكِنْ نَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ تَيْمُّناً بِذِكْرِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ
الَّتِي هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ^(٢) :

لَا بُدَّ لِلصُّوْفِيِّ الْمُسَافِرِ مِنْ عِلْمِ التَّيْمُّمِ ، وَالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ،
وَالْقَصْرِ ، وَالْجَمْعِ فِي الصَّلَاةِ .

أَمَّا التَّيْمُّمُ : فَجَائِزٌ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ فِي الْجَنَابَةِ وَالْحَدَثِ عِنْدَ
عَدَمِ الْمَاءِ^(٣) ، أَوْ الْخَوْفِ مِنْ اسْتِعْمَالِهِ تَلَفّاً فِي النَّفْسِ^(٤) أَوْ

(١) العنوان موافق لما جاء في مقدمة الكتاب ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ج) : (الصوفي)
بدل (المسافر) .

(٢) قوله : (كل شيء) زيادة من (ي) ، وزاد في نسخة على هامش (أ) : (الإسلام) .

(٣) وإن كان الماء حاضراً ؛ كماء البئر ، لكن تتنازع عليه الوردون ، وعلم أنَّ النوبة
لا تنتهي إليه إلا بعد الوقت . . صَلَّى عَلَى حَسَبِ حاله ولا يعيد ، وكذا يُصَلِّي قَاعِداً فِي
السَّفِينَةِ فِي الْوَقْتِ إِذَا عَلِمَ أَنَّ النُّوبَةَ فِيهَا - وَهِيَ نُوبَةُ الْقِيَامِ - لَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ
الْوَقْتِ ، وَلَوْ وَهَبَ مِنْهُ أَوْ أُعِيرَ مِنْهُ الدُّلُ . لَزِمَهُ الْقَبُولُ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا وَهَبَ مِنْهُ ثَمَنُ
الْمَاءِ أَوْ الدُّلُ ؛ فَإِنَّ الْمِنَّةَ ثَقِيلَةٌ ، وَلَوْ وَجَدَ مِنَ الْمَاءِ مَا لَا يَكْفِيهِ لَوْضُوءٌ . . يَلْزِمُهُ
اسْتِعْمَالُهُ ، وَإِذَا صَبَّ الْمَاءُ فِي الْوَقْتِ ثُمَّ تَيَمَّمَ . . أَسَاءَ وَأَجْزَاهُ . « مصباح » . من
هامش (ح) .

(٤) أو فساداً في العضو . من هامش (ح) .

المال^(١) ، أو زيادةً في المرضِ على القولِ الصحيحِ مِنَ المذهبِ^(٢) ، أو عندَ حاجتهِ إلى الماءِ الموجودِ لِعَطْشِهِ ، أو عَطَشِ دَائِيهِ أو رَفِيقِهِ .

ففي هذه الأحوالِ كُلِّها يُصَلِّي بالتيمُّمِ ولا إعادةَ عليه .

والخائفُ مِنَ البردِ يُصَلِّي بالتيمُّمِ وَيُعِيدُ الصلاةَ على الأصَحِّ .

ولا يجوزُ التيمُّمُ إلا بِشَرَطِ الطَّلَبِ للماءِ في مواضعِ الطَّلَبِ ، ومواضعِ الطَّلَبِ : مواضعُ يتردَّدُ المُسافرُ إليها في منزلهِ للاحتشاشِ والاحتطابِ^(٣) ، ويكونُ الطَّلَبُ بعدَ دخولِ الوقتِ .

والسفرُ القصيرُ في ذلكَ كالطويل .

وإنْ صَلَّي بالتيمُّمِ في أوَّلِ الوقتِ معَ تَيَقُّنِ الماءِ في آخرِ الوقتِ . . جازَ على الأصَحِّ^(٤) ، ولا يُعِيدُ مهما صَلَّي بالتيمُّمِ وإنْ كَانَ الوقتُ باقياً ، ومهما

(١) بأن كان يُباع الماءُ بالغبنِ الفاحشِ ، ولو بيعَ بثمانٍ له وقعَ لم يلزمه شراؤه ، وبثمانٍ المثل يلزم ، إلا إذا كان عليه [دين] مستغرق ، أو احتاج إليه لنفقة سفره ، وثمانٍ المثل نقله من المكان الذي يُوجد فيه هذا الماءُ إلى هذا المكان ؛ إذ لو فسَّرناه بقيمته في هذا المكان كلفناه شراء الماءِ بدنائيرٍ كثيرةٍ لوضوء واحد ، وذلك لا يجوز . « مصباح » . من هامش (ح) .

(٢) أي : مذهب السادة الشافعية ، والمؤلف من علماء الشافعية رحمه الله تعالى ، ومن أبرز شيوخه في الفقه : عمُّه أبو النجيب ، وأبو القاسم بن فضلان .

(٣) بأن يتوهَّم وجوده حوالَيْه ، فيلزمه التردُّدُ يمينه ويسرة ، وقُدَّاماً ووراء ، إلى حيث يلحقه غوثُ الرفقة عند الحاجة ، إلا إذا كان قاعداً مستوياً لا حائلَ دون نظره ؛ فيكفيه النظر ، ولو كان في رفقة فلينادِ فيهم : مَنْ يَجُودُ بالماءِ أو يبيعُ الماءَ ؟ ولو وكلَّ غيره في الطلبِ جاز ، ولو طلب عنه غيره بغير إذنه لم يجز . « مصباح » . من هامش (ح) .

(٤) وانتظاره أفضل ، ولو ظنَّه فتعجيلُ التيممِ أفضل . انظر « منهاج الطالبين » (ص ٨٢) .

تَوَهَّمَ وجودَ الماءِ بَطَلَ تَيْمُمُهُ ، كما إذا طَلَعَ رَكْبٌ أو غير ذلك .

وإن رأى الماءَ في أثناء الصلاة . . لا تَبْطُلُ صلاتُهُ ، ولا يلزمُهُ الإعادةُ ،
وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الخروجُ منها واستئنافُها بالوضوءِ على الأصحِّ .

ولا يَتَيَمَّمُ للفرضِ قبلَ دخولِ الوقتِ ، ويتَيَمَّمُ لكلِّ فريضةٍ ، ويُصَلِّي
ما شاءَ مِنَ النوافِلِ بتَيَمُّمٍ واحدٍ ، ولا يجوزُ أداءُ الفرضِ بتَيَمُّمٍ النافلةِ .

وَمَنْ لم يَجِدْ ماءً ولا تراباً . . يُصَلِّي وَيُعِيدُ عندَ وجودِ أحدهما ، ولكنْ
إنْ كانَ مُحدثاً لا يَمَسُّ المصحفَ ، وإنْ كانَ جُنُباً لا يقرأ القرآنَ في الصلاةِ ،
بل يذكرُ اللهَ تعالى عِوَضَ القراءةِ .

ولا يَتَيَمَّمُ إلا بترابٍ طاهرٍ غيرِ مُخالِطٍ للرَّمْلِ والجِصِّ ، ويجوزُ بالغبارِ
على ظَهْرِ الحيوانِ والثوبِ .

وَيُسَمِّي اللهَ تعالى عندَ التَيَمُّمِ ، وينوي استباحةَ الصلاةِ قبلَ ضَرْبِ اليَدِ
على الترابِ ، وَيَضُمُّ أَصَابِعَهُ لَضَرْبَةِ الوجهِ ، ويمسحُ جميعَ الوجهِ ، فلو بقيَ
شيءٌ مِنْ مَحَلِّ الفرضِ غيرُ ممسوحٍ . . لا يصحُّ التَيَمُّمُ .

ويضربُ ضربةً لليدينِ مبسوطةَ الأصابعِ ، وَيُعَمِّمُ الترابَ مَحَلَّ الفرضِ ،
وإنْ لم يَقْدِرْ إلا بضربتينِ فصاعداً كيفَ أمكنهُ . . لا بدَّ أنْ يُعَمِّمَ الترابَ مَحَلَّ
الفرضِ ، ويمسحُ إذا فَرَّغَ إحدى الراحَتَيْنِ بالأُخْرَى حتى تصيرا
ممسوحَتَيْنِ ، وَيُمِرُّ اليَدَ على ما نَزَلَ مِنَ اللَّحْيَةِ مِنْ غيرِ إيصالِ الترابِ إلى
الْمَنَابِتِ .

فأَمَّا المَسْحُ : فيمسحُ على الخُفِّ ثلاثةَ أَيَّامٍ ولياليهِنَّ في السفرِ ،
والمقيمِ يوماً وليلةً .

وابتداء المدة : من حين الحدث بعد لبس الخف ، لا من حين لبس الخف ، ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف ، بل يحتاج إلى كمال الطهارة ؛ حتى لو لبس إحدى الخفين قبل غسل الرجل الأخرى . . لا يصح أن يمسح على الخف .

ويُشترط في الخف : إمكان متابعة المشي عليه ، وسرّ محلّ الفرض ، ويكفي مسح يسير من أعلى الخف ، والأولى : مسح أعلاه وأسفله من غير تكرار .

ومتى ارتفع حكم المسح بانقضاء المدة ، أو ظهور شيء من محلّ الفرض^(١) وإن كان عليه لفافة وهو على الطهارة . . يغسل القدمين دون استئناف الوضوء على الأصح .

والماسح في السفر إذا أقام يمسح للمقيم ، وهكذا المقيم إذا سافر ؛ يمسح للمقيم^(٢) .

واللبّد إذا ركب جورباً ونعل يجوز المسح عليه^(٣) ، ويجوز المسح على المشرج إذا ستر محلّ الفرض^(٤) ، ولا يجوز على المنسوج وجهه الذي يستر بعض القدم به والباقي باللفافة .

فأما القصر والجمع : فيجمع بين الظهر والعصر في وقت أحدهما ،

(١) زاد في (د) : (غسل القدمين في أصح القولين ، واستأنف في الآخر) .

(٢) في (ب ، هـ) : (للمسافر) ، ولعل الصواب ما أثبت ، وفي بعض النسخ هنا والموضع قبله : (كالمقيم) ، واللام على المثبت وقتية .

(٣) اللبّد : ما تلبّد ولصق ببعضه من شعر أو صوف .

(٤) الخف المشرج : المشقوق في مقدّمه .

وَيَتِمُّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ ، وَلَا يَفْصَلُ بَيْنَهُمَا بِكَلَامٍ وَغَيْرِهِ ، وَهَكَذَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ .

وَلَا قَصْرَ فِي الْمَغْرِبِ ، وَالصُّبْحُ كَهَيْثُهَا مِنْ غَيْرِ قَصْرٍ وَجَمْعٍ .

وَالسُّنَنُ الرُّوَاتِبُ يُصَلِّيْهَا بِجَمْعٍ بَيْنَ السُّنَّتَيْنِ قَبْلَ الْفَرِيضَتَيْنِ لِلظَّهْرِ وَالْعَصْرِ^(١) ، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْفَرِيضَتَيْنِ يُصَلِّي مَا يُصَلِّي بَعْدَ الْفَرِيضَةِ مِنَ الظَّهْرِ رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعًا ، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ يُؤَدِّي السُّنَنَ الرُّوَاتِبَ لَهُمَا ، وَيُوتِرُ بَعْدَهَا .

وَلَا يَجُوزُ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ عَلَى الدَّائَةِ بِحَالٍ إِلَّا عِنْدَ التَّحَامِ الْقِتَالِ لِلْغَازِي ، وَيَجُوزُ ذَلِكَ فِي السُّنَنِ الرُّوَاتِبِ وَالنَّوَافِلِ .

وَيَكْفِيهِ لِلصَّلَاةِ عَلَى ظَهْرِ الدَّائَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ الْإِيمَاءُ ، وَيَكُونُ إِيمَاءُ السُّجُودِ أَخْفَضَ مِنَ الرُّكُوعِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى التَّمَكُّنِ ؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ فِي كَجَاوَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٢) ، وَيَقُومُ تَوَجُّهُهُ إِلَى الطَّرِيقِ مَقَامَ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ ، فَيُصَلِّي كَيْفَ تَوَجَّهَ فِي الطَّرِيقِ^(٣) ، فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لَا مُسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ

(١) فَيُصَلِّي سَنَةَ الظَّهْرِ أَوَّلًا أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ ، ثُمَّ سَنَةَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ ، ثُمَّ فَرِيضَةُ الظَّهْرِ ، ثُمَّ فَرِيضَةُ الْعَصْرِ ، وَقَوْلُهُ : (بَيْنَ) مُتَعَلِّقٌ بِـ (جَمْعٍ) .

(٢) الْكَجَاوَةُ : لَفْظٌ فَارْسِيٌّ ؛ وَهُوَ الْهُودُجُ يُوضَعُ عَلَى بَغْلٍ وَيَقْعُدُ فِيهِ رَجُلَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي جَانِبٍ .

(٣) وَلَا يَضُرُّ انْحِرَافُ الدَّائَةِ عَنِ الْقِبْلَةِ حَالَةَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ ، إِلَّا إِذَا تَيَسَّرَ عَلَيْهِ تَوَجُّهُهُ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَتَخَالَفُهَا عَنْ صَوْبِ الطَّرِيقِ نَاسِيًا بِهَا فِي أَثْنَائِهَا كَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ نَاسِيًا فِي الصَّلَاةِ ؛ قَصِيرٌ ذَلِكَ لَا يَضُرُّ بِحَدِيثِ ذِي الْيَدَيْنِ ، وَطَوِيلُهُ مُبْطِلُهُ ؛ كَالْكَلَامِ الطَّوِيلِ نَاسِيًا ، وَإِنْ كَانَ لَجَمَاحِ الدَّائَةِ فَهُوَ كَالْمَصْرُوفِ عَنِ الْقِبْلَةِ قَهْرًا ؛ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ إِنْ طَالَ الزَّمَانُ ، وَلَا تَبْطُلُ صَلَاتُهُ إِنْ قَصَرَ الزَّمَانُ ، سِوَاءِ كَانَ عَالِمًا بِالْحَالِ أَوْ لَمْ يَكُنْ . =

ولا مُتَوَجِّهاً إلى الطريقِ . . فلا^(١) ؛ حتى لو حَرَفَ دَابَّتَهُ عَنِ الصَّوْبِ الْمُتَوَجَّهِ
إِلَيْهِ لَا إِلَى نَحْوِ الْقِبْلَةِ . . بطلت صلاتُهُ .

والماشي يتنفلُ في السفرِ^(٢) ، ويُقْنِعُهُ^(٣) استقبالُ الْقِبْلَةِ عِنْدَ الإِحْرَامِ^(٤) ،
ولا يُجْزِئُهُ في الإِحْرَامِ إِلَّا الاستقبالُ ، ويُقْنِعُهُ الإيماءُ لِلرُّكُوعِ والسجودِ ،
وراكِبُ الدَّابَّةِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى استقبالِ الْقِبْلَةِ لِلإِحْرَامِ أَيْضاً .

وَإِذَا أَصْبَحَ الْمُسَافِرُ مُقِيمًا ثُمَّ سَافَرَ . . فعليه إِتِمَامُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي الصَّوْمِ ،
وهكذا إِنْ أَصْبَحَ مُسَافِرًا ثُمَّ أَقَامَ .

والصَّوْمُ فِي السَّفَرِ أَفْضَلُ مِنَ الْفِطْرِ ، وفي الصَّلَاةِ الْقَصْرُ أَفْضَلُ مِنَ
الْإِتِمَامِ .

وهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ لِلصُّوْفِيِّ أَنْ يَعْلَمَهُ مِنْ حُكْمِ الشَّرْعِ فِي مَهَامِّ سَفَرِهِ .
وَأَمَّا الْمُنْدُوبُ وَالْمُسْتَحَبُّ : فَيَنْبَغِي أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ رَفِيقًا فِي الطَّرِيقِ
يُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ ؛ فَقَدْ قِيلَ : (الرَفِيقُ ثُمَّ الطَّرِيقُ)^(٥) ، ونَهَى رَسُولُ اللَّهِ

= « مصباح » . من هامش (ح) .

(١) زاد في (ط) : (ولا يوجهها إلى غير الطريق إلا للقبلة) .

(٢) سواء أكان طويلاً أو قصيراً . « مصباح » . من هامش (ح) .

(٣) أي : يكفيه .

(٤) الْمُتَنَفَّلُ الماشي يجب استقبالُهُ الْقِبْلَةَ فِي ثَلَاثِ أَحْوَالٍ : الْإِفْتِتَاحَ ، وَالرُّكُوعَ ،
وَالسَّجْدَ ، وَيَسْجُدُ مُتَّكِئًا - أي : لَا مُؤَمِّتًا - عَلَى الْأَرْضِ ، وَلَهُ أَنْ يَتَشَهَّدَ مَاشِيًا ؛ لِأَنَّ
الْقُعُودَ يَنْبَغِي عَنْ الْقِيَامِ فِي النَّفْلِ سَفَرًا وَحَضْرًا ، فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَنْوِبَ الْقِيَامُ عَنِ الْقُعُودِ فِي
النَّفْلِ سَفَرًا ، وَلَوْ مَشَى فِي نَجَاسَةٍ قَصْدًا . . بطلت صلاته ، بخلاف ما لو سَيرَ فَرَسَهُ
فِيهَا ، وَلَا يَلْزُمُهُ الْمَبَالِغَةُ فِي التَّحَرُّزِ مِنَ النِّجَاسَاتِ عِنْدَ كَثَرَتِهَا فِي الطُّرُقِ . « مصباح » .
من هامش (ح) .

(٥) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٢٣٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » =

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُسَافِرَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ^(١) ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ صُوفِيًّا عَالِمًا
بَاقِفِ نَفْسِهِ ، يَخْتَارُ الْوَحْدَةَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ؛ فَلَا بَأْسَ بِالْوَحْدَةِ .

وَإِذَا كَانُوا جَمَاعَةً يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مُتَقَدِّمٌ أَمِيرٌ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ . . فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ »^(٢) ،
وَالَّذِي يُسَمِّيهِ الصُّوفِيَّةُ (بِيْش رَوْ) هُوَ الْأَمِيرُ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ أَزْهَدَ الْجَمَاعَةِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَوْفَرَهُمْ حَظًّا مِنَ
التَّقْوَى ، وَأَتَمَّهُمْ مُرُوءَةً وَسَخَاوَةً ، وَأَكْثَرَهُمْ شَفَقَةً ؛ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
[عَمْرِو] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٣) ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ »^(٤) .

نَقَلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيِّ : أَنَّ أَبَا عَلِيٍّ الرَّبَاطِيَّ صَحَبَهُ ، فَقَالَ : عَلَى أَنْ
أَكُونَ أَنَا الْأَمِيرَ أَوْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : بَلْ أَنْتَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَحْمِلُ الزَادَ لِنَفْسِهِ وَلِأَبِي

(٢٦٨/٤ - ٢٦٩) ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِغِ » (١٧٠٨)
مَرْفُوعًا عَنْ سَيِّدِنَا رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَفْظُ الطَّبْرَانِيِّ : « التَّمَسُّوُا الْجَارَ قَبْلَ
الدَّارِ ، وَالرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ » ، وَانْظُرْ « كَشْفُ الْخَفَاءِ » (١٧٩/١) .

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٩١/٢) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » كَمَا فِي « مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ »
(١٣٢٠٨) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (٢٢٢/١) .
(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٦٠٨) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٨٠٩٣) ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي
« السَّنَنِ الْكُبْرَى » (٢٥٧/٥) عِنْدَ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ
أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا (٢٦٠٩) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ »
(٢٢٢/١) .

(٣) فِي النِّسْخِ : (عَمْر) ، وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْآتِيَةِ .

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٩٤٤) ، وَالدَّارِمِيُّ (٢٤٨١) ، وَأَحْمَدُ (١٦٨-١٦٧/٢) ، وَابْنُ
حِبَّانَ (٥١٩) .

عليّ على ظَهْرِهِ ، وَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ طُولَ اللَّيْلِ عَلَى رَأْسِ رَفِيقِهِ يُغَطِّيهِ بِكِسَائِهِ عَنِ الْمَطَرِ ، وَكَلَّمَا قَالَ : لَا تَفْعَلْ . . . يَقُولُ : أَلَسْتُ الْأَمِيرَ وَعَلَيْكَ الْانْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ؟^(١) .

فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ يَسْتَصْحَبُ الْفُقَرَاءَ لِمَحَبَّةِ الْاِسْتِبَاعِ وَطَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالتَّعَزُّزِ ؛ لِيَتَسَلَّطَ عَلَى الْخُدَّامِ فِي الرِّبَاطِ ، وَيُيْلَغَ نَفْسُهُ هَوَاهَا . . . فَهَذِهِ طَرِيقُ أَرْبَابِ الْهَوَى الْجُهَّالِ الْمُبَايِنِينَ لَطَرِيقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَهُوَ سَبِيلُ مَنْ يُرِيدُ جَمْعَ الدُّنْيَا ، فَيَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ رُفَقَاءَ مَائِلِينَ إِلَى الدُّنْيَا ، يَجْتَمِعُونَ لِتَحْصِيلِ أَغْرَاضِ النَّفْسِ ، وَالدَّخُولِ عَلَى أَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَالظُّلْمَةِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَى تَحْصِيلِ مَآرِبِ النَّفْسِ ، وَلَا يَخْلُو اجْتِمَاعُهُمْ هَذَا عَنِ الْخَوْضِ فِي الْغَيْبَةِ ، وَالدَّخُولِ فِي الْمَدَاحِلِ الْمَكْرُوهَةِ ، وَالتَّنَقُّلِ فِي الرُّبُطِ ، وَالِاسْتِمَتَاعِ وَالتُّزْهِةِ ، وَكَلَّمَا كَثُرَ الْمَعْلُومُ فِي الرِّبَاطِ . . . أَطَالُوا الْمَقَامَ وَإِنْ تَعَذَّرَتْ أَسْبَابُ الدِّينِ ، وَكَلَّمَا قَلَّ الْمَعْلُومُ فِي الرِّبَاطِ . . . رَحَلُوا وَإِنْ تَيَسَّرَتْ أَسْبَابُ الدِّينِ ، وَلَيْسَ هَذِهِ طَرِيقُ الصُّوفِيَّةِ .

وَمِنَ الْمُسْتَحَبِّ : أَنْ يُودَّعَ إِخْوَانُهُ إِذَا أَرَادَ السَّفَرَ ، وَيَدْعُو لَهُمْ بِدَعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

يَقُولُ بَعْضُهُمْ : صَحِبْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ مُفَارَقَتَهُ شَيَّعَنِي وَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أوردته بنحوه أبو نصر السراج في «اللمع» (ص ٢٣٦) ، والقشيري في «الرسالة» (ص ٦٠٤-٦٠٥) ، ورواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٨٢) .

وسلم يقول : « قَالَ لُقْمَانُ^(١) : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَسْتَوْدَعَ شَيْئًا حَفِظَهُ ، وَإِنِّي أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ »^(٢) .

وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ سَفَرًا فَلْيُودِّعْ إِخْوَانَهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَاعِلٌ لَهُ فِي دُعَائِهِمُ الْبَرَكَةَ »^(٣) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً : أنه كان إذا ودَّع رجلاً قال : « زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَوَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ »^(٤) .

وينبغي أن يعتقد إخوانه أنه إذا دعا لهم وأودعهم الله سبحانه وتعالى . .
أن الله يستجيب دعاءه ؛ فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يُعطي الناس

(١) زاد في بعض النسخ : (لابنه : يا بني) ، وعليه : يكون قوله : (وإني أستودع . . .) من كلام سيدنا لقمان عليه السلام ، والمثبت هو الرواية .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٢٧٣) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٢٨) ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٠) ، ورواه دون قوله : (وإني أستودع . . .) النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٢٧٤) ، وأحمد (٨٧/٢) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٢٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٠٧٣) ، وانظر « غنية العارف » (٢٢٤-٢٢٥) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٧٢/٥٧) ، وانظر « غنية العارف » (٢٢٥/١) .

(٤) رواه بلفظه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٠٦) ، والمحاملي في « الدعاء » (٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وبنحوه الترمذي (٣٤٤٤) ، والدارمي (٢٧١٣) ، وابن خزيمة (٢٥٣٢) ، والحاكم (٩٧/٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٢٢٥-٢٢٦) .

عطايأهم إذ جاءه رجل معه ابن له ، فقال له عمر : ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك !!

فقال الرجل : أحدثك عنه يا أمير المؤمنين : إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به ، فقالت : تخرج وتدعني على هذه الحالة ؟! فقلت : أستودع الله ما في بطنك ، فخرجت ثم قدمت وإذا هي قد ماتت ، فجلسنا نتحدث ، فإذا نار على قبرها^(١) ، فقلت للقوم : ما هذه النار ؟ فقالوا : هذه من قبر فلانة نراه كل ليلة ، فقلت : والله ؛ إنها كانت صوامة قوامة ، فأخذت المِعْوَل حتى انتهينا إلى القبر ، فحفَرْنَا فإذا سراج ، وإذا هذا الغلام يدب ، فقبل : إن هذه وديعتك ، ولو كنت استودعتنا أمه لوجدتها .

فقال عمر رضي الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغراب^(٢) .

وينبغي أن يُودَّعَ كل منزل يرحل عنه بركعتين ويقول : (اللهم ؛ زودني التقوى ، واغفر لي ذنوبي ، ووجهني للخير أينما توجهت) .

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينزل منزلاً إلا ودَّعه بركعتين)^(٣) .

فينبغي أن يُودَّعَ كل منزل ورباط يرحل عنه بركعتين .

وإذا ركب الدابة فليقل : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له

(١) في (ي) : (تلوح من قبرها) ، والمثبت هو الرواية .

(٢) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٩٩) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٢٤) .

(٣) رواه الحاكم (٣١٥-٣١٦) ، وابن خزيمة (١٢٦٠) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٤٤٧) .

مُقرِّنين ، باسمِ اللهِ واللهُ أكبرُ ، توكلْتُ على اللهِ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ
العَلِيِّ العظيمِ ، اللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ الحَامِلُ على الظهرِ ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ على
الأمورِ) .

والسُّنَّةُ : أَنْ يرحَلَ مِنَ المنازلِ بُكْرَةً ، ويبتدئَ بيومِ الخميسِ ؛ روى
كعبُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ : (قلَّما كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه
وسلَّم يخرجُ إلى سفرٍ إلا يومَ الخميسِ) (١) .

وكانَ إذا أرادَ أَنْ يبعثَ سَرِيَّةً بعثَهَا أوَّلَ النهارِ (٢) .

ويُستحبُّ كُلُّما أَشْرَفَ على مَنْزِلٍ أَنْ يقولَ : (اللَّهُمَّ ، رَبَّ السماواتِ
وما أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الأَرْضِينَ وما أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشياطينِ وما أَضَلَّلْنَ ، وَرَبَّ
الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ ، وَرَبَّ البحارِ وما جَرَيْنَ ؛ أَسأَلُكَ خَيْرَ هذا المَنْزِلِ وخَيْرَ
أهلِهِ ، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذا المَنْزِلِ وشَرِّ أهلِهِ) ، وإذا نَزَلَ فليُصلِّ
ركعتينِ .

وممَّا ينبغي للمُسافرِ : أَنْ تصحبهُ آلهُ الطهارةُ .

قيلَ : كانَ إبراهيمُ الخَوَّاصُ رحمهُ اللهِ لا تُفارقهُ أربعةُ أشياءَ في الحَضَرِ
والسَّفَرِ : الرُّكُوءُ ، والحَبْلُ ، والإبرةُ وخيوطُها ، والمِقْرَاضُ (٣) .

(١) رواه البخاري (٢٩٤٩) .

(٢) رواه أبو داود (٢٦٠٦) ، والترمذي (١٢١٢) ، والنسائي في « السنن الكبرى »
(٨٧٨٢) ، وابن ماجه (٢٢٣٦) عن سيدنا صخر الغامدي رضي الله عنه .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٤١٤-٤١٥) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في
« تاريخ بغداد » (٨/٦) ، وأورده الغزالي في « الإحياء » (٣٦٨/٤) ، وزاد في
« الرسالة » : (فقل له : يا أبا إسحاق ؛ لِمَ تحملُ هذا وأنت تمتنعُ من كل شيء ؟ =

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا سَافَرَ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسَةَ أَشْيَاءَ : الْمِرْآةَ ، وَالْمُكْحَلَةَ ، وَالْمِذْرَى ، وَالسَّوَاكَ ، وَالْمُسْتَطَ (١) ، وَفِي رِوَايَةٍ : الْمِقْرَاضَ (٢) .

وَالصُّوْفِيَّةُ لَا تُفَارِقُهُمُ الْعَصَا ، وَهُوَ أَيْضًا مِنَ السُّنَّةِ ؛ رَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ أَتَّخَذَ مِنْبَرًا فَقَدْ أَتَّخَذَهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَإِنْ أَتَّخَذَ الْعَصَا فَقَدْ أَتَّخَذَهَا إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ » (٣) .

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : (التَّوَكُّؤُ عَلَى الْعَصَا مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؛ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَصَا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَيَأْمُرُ بِالتَّوَكُّؤِ عَلَى الْعَصَا) (٤) .

= فقال : مثلُ هذا لا ينقض التَّوَكُّلَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْنَا فَرَائِضَ ، وَالْفَقِيرُ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ إِلَّا ثَوْبٌ وَاحِدٌ ، فَرُبَّمَا يَتَخَرَّقُ ثَوْبُهُ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إِبْرَةٌ وَخِيَوطٌ . تَبْدُو عَوْرَتَهُ ، فَتَفْسُدُ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ رَكْعَةٌ . يَفْسُدُ عَلَيْهِ طَهَارَتُهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَ الْفَقِيرَ بِلَا رَكْعَةٍ وَلَا إِبْرَةٍ وَخِيَوطٍ . فَاتَّهَمَهُ فِي صَلَاتِهِ ، وَقَالَ فِي « إِحْكَامِ الدَّلَالَةِ » (٥٥ / ٣) : (وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِقْرَاضٌ . . . فَيَطُولُ شَارِبُهُ فَيَفُوتُهُ قَصْدُ الْمَأْمُورِ بِهِ) ، وَالرَّكْعَةُ : دَلْوٌ صَغِيرٌ .

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٥٢٤٢) ، وَالْخِرَاطِيُّ فِي « مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » (٨٢٨) ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي « الشَّعْبِ » (٦٠٧٢) .

(٢) رَوَاهُ الْخِرَاطِيُّ فِي « مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » (٨٢٩) ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » (٤٧١ / ٨) .

(٣) رَوَاهُ الْبَزَارِيُّ فِي « مُسْنَدِهِ » (٢٦٣٢) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (١٦٧ / ٢٠) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « تَارِيخِ أَصْبَهَانَ » (١٤٥ / ٢) ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَفِي النُّسخِ مَا عَدَا (د ، ي) سَقَطَ ذِكْرُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

(٤) رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » (١٠١ / ٨) ، وَابْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ فِي « صِفَةِ التَّصَوُّفِ » (٥٢٧) .

وَأَخَذَ الرَّكُوعَ أَيْضاً مِنَ السُّنَّةِ ؛ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَضَّأُ مِنْ رَكُوعَةٍ . . إِذْ جَهَشَ النَّاسُ
 نَحْوَهُ - أَي : أَسْرَعُوا نَحْوَهُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ : الْبَكَاءُ ؛ كَالصَّبِيِّ يَتَلَزَّمُ بِالْأُمِّ
 وَيُسْرِعُ إِلَيْهَا عِنْدَ الْبَكَاءِ - قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا
 لَكُمْ ؟ ! » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ مَا نَجِدُ مَاءً نَشْرَبُ وَلَا نَتَوَضَّأُ إِلَّا مَا بَيْنَ
 يَدَيْكَ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكُوعَةِ ^(١) ، فَنَظَرْتُ وَهُوَ يَقُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ مِثْلَ
 الْعُيُونِ ، قَالَ : فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ مِنْهُ .

قُلْتُ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : لَوْ كُنَّا مِثَّةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا ؛ كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِثَّةً فِي
 غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٢) .

وَمِنْ سُنَّةِ الصُّوفِيَّةِ : شَدُّ الْوَسْطِ ، وَهُوَ مِنَ السُّنَّةِ ؛ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ
 الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ
 مُشَاءً مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ : « أَرْبِطُوا عَلَيَّ أَوْسَاطَكُمْ بِأُزُرِكُمْ » ، فَرَبَطْنَا
 وَمَشَيْنَا خِلَطَ الْهَرْوَلَةِ ^(٣) .

وَمِنْ ظَاهِرِ آدَابِ الصُّوفِيَّةِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الرُّبُطِ : أَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ فِي
 أَوَّلِ النَّهَارِ يَوْمَ السَّفَرِ بُكْرَةً كَمَا ذَكَرْنَا ^(٤) ؛ يُودِّعُ الْبُقْعَةَ بِالرَكَعَتَيْنِ ، وَيُقَدِّمُ

(١) فِي (أ ، ز) : (يَدُهُ الْكَرِيمَةُ) بَدَلَ (يَدِهِ) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٥٧٦) .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣١١٩) ، وَابْنُ خَزِيمَةَ (٢٥٣٥) ، وَالْحَاكِمُ (٤٤٢ / ١) ، وَمَشَيْنَا
 خِلَطَ الْهَرْوَلَةِ ؛ أَي : مَشْيًا مُخْتَلِطًا بِالْهَرْوَلَةِ ؛ بَأَن يَمْشُوا حِينًا وَيُهْرُولُوا أُخْرَى ، أَوْ
 مُعْتَدِلًا .

(٤) انْظُرْ (٤٠٦ / ١) .

الْخُفَّ وَيَنْفُضُهُ ، وَيُسَمِّرُ الْكُمَّ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى ، ثُمَّ يَأْخُذُ الْمِيَانُ بِنَدَ الَّذِي يَشُدُّ بِهِ وَسَطَهُ^(١) ، وَيَأْخُذُ خَرِيطَةَ الْمِدَاسِ وَيَنْفُضُهَا^(٢) .

وَيَأْتِي الْمَوْضِعَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَلْبَسَ الْخُفَّ فِيهِ ، فَيَفْرُشَ السَّجَّادَةَ طَاقِينَ ، وَيَحْكُ نَعْلَ أَحَدِ الْمِدَاسِينَ بِالْآخِرِ ، وَيَأْخُذُ الْمِدَاسَ بِالْيَسَارِ وَالْخَرِيطَةَ بِالْيَمِينِ ، وَيَضَعُ الْمِدَاسَ فِي الْخَرِيطَةِ أَعْقَابُهُمَا إِلَى أَسْفَلَ ، وَيَشُدُّ رَأْسَ الْخَرِيطَةِ ، وَيُدْخِلُ الْمِدَاسَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى مِنْ كُمِّهِ الْأَيْسَرِ ، وَيَضَعُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ .

ثُمَّ يَقْعَدُ عَلَى السَّجَّادَةِ ، وَيُقَدِّمُ الْخُفَّ بِيَسَارِهِ وَيَنْفُضُهُ ، وَيَبْتَدِئُ بِالْيُمْنَى فَيَلْبَسُ ، وَلَا يَدَعُ شَيْئاً مِنَ الرَّانَيْنِ أَوْ الْمِنْطَقَةِ يَقَعُ عَلَى الْأَرْضِ^(٣) .

ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلُ وَجْهَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ ، وَيُودِّعُ الْحَاضِرِينَ ، فَإِنْ أَخَذَ بَعْضُ الْإِخْوَانِ زَاوِيَتَهُ إِلَى خَارِجِ الرِّبَاطِ^(٤) . . لَا يَمْنَعُهُ ، وَهَكَذَا الْعَصَا وَالْإِبْرِيْقُ ، وَيُودِّعُ مَنْ يُشِيعُهُ .

ثُمَّ يَشُدُّ الزَّوَايَةَ ، وَيَرْفَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى وَيُخْرِجُ الْيُسْرَى مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ

(١) الْمِيَانُ بَنَدَ : لَفْظٌ فَارْسِيٌّ ؛ وَهُوَ الْحِزَامُ وَالنِّطَاقُ .

(٢) الْخَرِيطَةُ : وَعَاءٌ مِنْ أَدَمَ وَغَيْرِهِ يُشْرَجُ عَلَى مَا فِيهِ ، وَالْمِدَاسُ : مَا يُلْبَسُ فِي الرَّجْلِ .

(٣) الرَّانَيْنِ : خُفٌّ يُلْبَسُ لِلْسَّاقِ لَيْسَ لَهُ قَدَمٌ ، بَلْ يَكُونُ مَا بَيْنَ الرِّكْبَةِ وَالْكَعْبَيْنِ ، وَالْمِنْطَقَةُ : مَا يُشَدُّ بِهِ الْوَسْطُ .

(٤) الزَّوَايَةُ : وَعَاءٌ يُوضَعُ فِيهِ آلَاتُ سَفَرِ الْمَسَافِرِ . مِنْ هَامِشٍ (و) بِتَصْرِفٍ ، وَفِي هَامِشٍ (ح) : (هِيَ اللَّفَافَةُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا حَوَائِجُهُ) ، وَلَعَلَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنْ زَوَيْتِ الشَّيْءِ : إِذَا جُمِعَتْ ؛ لِكُونِهَا تَجْمَعُ مَا يُوضَعُ فِيهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، وَجَاءَتْ فِي (ج) بِالرَّاءِ ، وَكُتِبَ عَلَى هَامِشِهَا : (قِيلَ : الرَّاوِيَةُ : الْجَمْلُ يُسْتَسْقَى الْمَاءُ بِهِ ، وَبِهِ سُمِّيَ الْمَزَادَةُ رَاوِيَةً ، وَفِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « زَاوِيَةٌ » بِالزَّاءِ الْمَنْقُوطَةِ) .

الأيمن ، وَيَشُدُّ الزاويةَ على الجانبِ الأيسرِ ، ويكونَ كتفهُ الأيمنُ خالياً ،
وعُقْدَةُ الزاويةِ مِنْ جانبِ اليُمْنَى .

وَإِذَا وَصَلَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَوْضِعٍ شَرِيفٍ ، أَوْ اسْتَقْبَلَهُ جَمْعٌ مِنَ الْإِخْوَانِ ،
أَوْ شَيْخٌ مِنَ الطَّائِفَةِ . . يَحُلُّ الزاويةَ وَيَحْطُّهَا ، وَيَسْتَقْبِلُهُمْ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ
إِذَا جَاوَزَهُ يَشُدُّ الزاويةَ ، وَإِذَا قَرَّبَ مِنَ الْمَنْزِلِ رِبَاطاً كَانَ أَوْ غَيْرَهُ . . يَحُلُّ
الزاويةَ وَيَحْمِلُهَا تَحْتَ إِبْطِهِ الْأَيْسَرِ ، وَهَكَذَا الْعَصَا وَالْإِبْرِيْقُ يُمَسِّكُهُمَا
بِيسَارِهِ .

وهذهِ الرُّسُومُ استحسنها فقراءُ خُرَاسَانَ وَالْجَبَلِ^(١) ، وَلَا يَعْتَمِدُهَا أَكْثَرُ
فُقَرَاءِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَالْمَغْرِبِ ، وَتَجْرِي بَيْنَ الْفُقَرَاءِ مُشَاحَّةٌ فِي رِعَايَتِهَا^(٢) .
فَمَنْ لَا يَتَعَاهَدُهَا يَقُولُ : هَذِهِ رُسُومٌ لَا تَلْزَمُ ، وَالتَّلْزُمُ بِهَا وَقُوفٌ مَعَ
الصُّوَرِ وَغَفْلَةٌ عَنِ الْحَقَائِقِ .

وَمَنْ يَتَعَاهَدُهَا يَقُولُ : هَذِهِ آدَابٌ وَضَعَهَا الْمُتَقَدِّمُونَ^(٣) ، وَإِذَا رَأَوْا مَنْ
يُحِلُّ بِهَا أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْإِزْدِرَاءِ وَالْحَقَارَةِ ، وَيُقَالُ : هَذَا
لَيْسَ بِصُوفِيٍّ .

وَكَلَّا الطَّائِفَتَيْنِ فِي الْإِنْكَارِ يَتَعَدَّوْنَ الْوَاجِبَ ، وَالصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ : أَنَّ
مَنْ يَتَعَاهَدُهَا لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ ؛ فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ فِي الشَّرْعِ ، وَهُوَ أَدَبٌ حَسَنٌ ، وَمَنْ

(١) الْجَبَلُ : يُطْلَقُ عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي بَيْنَ أَصْبَهَانَ إِلَى زَنْجَانَ وَقَرْوِينَ وَهَمْدَانَ وَالْدَّيْنَوَرِ
وَقَرْمِيسِينَ وَالرَّيِّ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ . انظر « معجم البلدان » (٩٩ / ٢) .

(٢) الْمُشَاحَّةُ : الْمَنَازَعَةُ .

(٣) وَاسْتَحْسَنُوهَا ، وَمَا يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ ، مَعَ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا
فَوَائِدَ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

لم يلتزم بذلك فلا يُنكرُ عليه ؛ فليس بواجبٍ في الشرع ولا مندوبٍ إليه .

وكثيراً ما يُبالغُ فقراءُ خُراسانَ والجبلِ في رعايةِ هذه الرُّسومِ إلى حدٍّ يُخرجُ إلى الإفراطِ ، وكثيراً ما يُخلُّ بها فقراءُ العراقِ والشامِ والمغاربةِ إلى حدٍّ يُخرجُ إلى التفريطِ .

والأليقُ : أنَّ ما لا يُنكرُهُ الشرعُ لا يُنكرُ ، ويُجعلُ لتصاريفِ الإخوانِ الصادقينَ أَعذارُ ، ما لم يكن فيه مُنكرٌ أو إخلالٌ بمندوبٍ إليه ، واللهُ الموفقُ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ السماعُ للجماعة على الشيخ أمين الدين بقراءة الكاتب) ، وفيه : (بلغ قراءة كاتبه على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الثامن عشر

في القُدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه

ينبغي للفقير إذا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ آفَاتِ الْمَقَامِ ،
كما يستعيذُ بِهِ مِنْ وَغْثِ السَّفَرِ ^(١) .

وَمِنَ الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ : « اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَغْثِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ
الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ » ^(٢) .

وإذا أَشْرَفَ عَلَى بِلَدَةٍ يُرِيدُ الْمَقَامَ بِهَا . . يُشِيرُ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ بِهَا مِنَ
الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا تيسَّرَ ، وَيَجْعَلُهُ هَدِيَّةً لِلْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ، وَيُكَبِّرُ ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَفَلَ مِنْ
غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ كَانَ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ^(٣) ، وَيَقُولُ :
« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ، آيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدُهُ ،

(١) وَغْثِ السَّفَرِ : مَشَقَّتُهُ وَشِدَّتُهُ ، وَأَصْلُهُ : مِنْ (الْوَغْثِ) ؛ وَهُوَ الدَّهْسُ مِنَ الرَّمَالِ
الرَّقِيقَةِ ، وَالْمَشْيُ يَشْتَدُّ فِيهِ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَجُعِلَ مَثَلًا لِكُلِّ مَا يَشْتَقُّ عَلَى صَاحِبِهِ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٣٤٢ ، ١٣٤٣) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَمْرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (١ / ٢٣٣-٢٣٤) .

(٣) الشَّرَفُ : الْعُلُوُّ وَالْمَكَانُ الْعَالِي . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَذَهُ ^(١) .

ويقول إذا رأى البلد : « اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا وَرِزْقًا حَسَنًا » ^(٢) .

ولو اغتسلَ كَانَ حَسَنًا ؛ اقتداءً برسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حيثُ اغتسلَ لدخولِ مَكَّةَ ^(٣) ، وَرُوي أَنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ طَلَبِ الْأَحْزَابِ وَنَزَلَ الْمَدِينَةَ . نَزَعَ لَأَمَّتَهُ وَاغْتَسَلَ وَاسْتَحَمَ ^(٤) ، وَإِلَّا فَلْيُجَدِّدِ الْوُضُوءَ .

وَيَتَنَظَّفُ وَيَتَطَيَّبُ ، وَيَسْتَعِدُّ لِلْقَاءِ الْإِخْوَانِ بِذَلِكَ ، وَيُنَوِّي التَّبَرُّكَ بِمَنْ هُنَاكَ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَزُورُهُمْ .

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَرَجَ رَجُلٌ يَزُورُ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ بِمَذْرَجَتِهِ مَلَكًا وَقَالَ : أَيَنْ تَرِيدُ ؟ قَالَ : أَزُورُ فُلَانًا ، قَالَ : الْقَرَابَةُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : الْنِعْمَةُ لَهُ عِنْدَكَ تَشْكُرُهَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فِيمَ تَزُورُهُ ؟ قَالَ : إِنِّي أُحِبُّهُ فِي اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ » ^(٥) .

(١) رواه البخاري (١٧٩٧) ، ومسلم (١٣٤٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٣١١) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٥٢٥) ، والطبراني في « الدعاء » (٨٣٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١٥٧٣) ، ومسلم (٢٢٧ / ١٢٥٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه البخاري (٢٨١٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وفي هامش (ح) : (الحميم : الماء الحار ، والحميمة مثله ، وقد استحمت : إذا اغتسلت به ، هذا هو الأصل ، ثم صار كل اغتسال استحماماً بأي ماء كان حاراً أو بارداً) .

(٥) رواه مسلم (٢٥٦٧) ، وأحمد (٢ / ٢٩٢) واللفظ له ، وأزَّصَدَهُ : أَقْعَدَهُ يَرْقُبُهُ ، =

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ فِي اللَّهِ . . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنَزلًا » (١) .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا » (٢) ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ » (٣) .

فيحصل للفقير فائدة الأحياء والأموات بذلك .

فإذا دخل البلد ابتدئ بمسجد من المساجد يُصَلِّي فيه ركعتين ، وإن قصد الجامع كان أكمل وأفضل ؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم دخل المسجد أولاً وصلَّى ركعتين ، ثم دخل البيت (٤) ، والرباط للفقير بمنزلة البيت .

= والمدرجة : الطريق ، سُمِّيَتْ بذلك ؛ لأنَّ الناس يدرُّجون عليها ؛ أي : يمشون .

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٨) ، وابن ماجه (١٤٤٣) ، وأحمد (٣٤٤ / ٢) ، وابن حبان (٢٩٦١) .

(٢) الأمر بعد النهي يدل على اهتمام بشأن المأموره . من هامش (ح) .

(٣) رواه ابن ماجه (١٥٧١) ، والحاكم (٣٧٥ / ١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه الترمذي (١٠٥٤) ، وأحمد (٣٥٥ / ٥) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه ، ورواه أحمد (٢٣٧ / ٣) ، والحاكم (٣٧٥ / ١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو في « مسلم » (١٩٧٧) عن سيدنا بريدة دون قوله : « فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ » ، وانظر « غنية العارف » (٢٣٨ - ٢٣٧ / ١) .

(٤) رواه البخاري (٣٠٨٨) ، وأبو داود (٢٧٨١) ، وأحمد (٣٨٨ / ٦) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه ، وليس فيها ذكر دخوله إلى البيت ، وانظر « غنية العارف » (٢٣٩ - ٢٣٨ / ١) .

ثُمَّ يَقْصِدُ الرَّبَاطَ ؛ فَقَصْدُهُ الرَّبَاطُ مِنَ السُّنَّةِ ؛ عَلَى مَا رَوَيْنَاهُ عَنْ طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَكَانَ لَهُ بِهَا عَرِيفٌ . . يَنْزِلُ عَلَى عَرِيفِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا عَرِيفٌ . . نَزَلَ الصُّفَّةَ ، فَكَنْتُ فِيمَنْ نَزَلَ الصُّفَّةَ) (١) .

فَإِذَا دَخَلَ الرَّبَاطَ يَمْضِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُرِيدُ نَزْعَ الْخُفِّ فِيهِ ، فَيَحُلُّ وَسَطَهُ وَهُوَ قَائِمٌ ، ثُمَّ يُخْرِجُ الْخَرِيطَةَ بِيَسَارِهِ مِنْ كُمِّهِ الْيَسَارِ ، وَيَحُلُّ رَأْسَ الْخَرِيطَةِ بِالْيَمِينِ ، وَيُخْرِجُ الْمِدَاسَ بِالْيَسَارِ ، ثُمَّ يَضَعُ الْمِدَاسَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَأْخُذُ الْمِيَانُ بِنَدٍّ وَيَلْفُفُهَا فِي وَسْطِ الْخَرِيطَةِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ خُفَّهُ الْيَسَارَ ، وَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى ظَهْرِ الْمِدَاسِ ، ثُمَّ يُخْرِجُ خُفَّهُ الْيَمِينِ (٢) ، فَإِنْ كَانَ عَلَى الْوُضوءِ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ بَعْدَ نَزْعِ الْخُفِّ مِنْ تَرَابِ الطَّرِيقِ وَالْعَرَقِ .

وَإِذَا قَدِمَ عَلَى السَّجَّادَةِ يَطْوِي السَّجَّادَةَ مِنْ جَانِبِ الْيَسَارِ ، وَيَمْسَحُ قَدَمَيْهِ بِمَا انطوى منها ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ ، وَيَحْفَظُ الْقَدَمَ أَنْ يَطَأَ بِهَا مَوْضِعَ السُّجُودِ مِنَ السَّجَّادَةِ .

وهذه الرُّسُومُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ . . لَا يُنْكَرُ عَلَى مَنْ يَتَّقِدُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ اسْتِحْسَانِ الشُّيُوخِ ، وَنِيَّتُهُمْ فِي ذَلِكَ تَقْيِيدُ الْمُرِيدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ ؛ لِيَكُونَ أَبَدًا مُفْتَقِدًا لِحَرَكَاتِهِ ، غَيْرَ قَادِمٍ عَلَى حَرَكَةٍ بَغَيْرِ قَصْدٍ وَعَزِيمَةٍ وَأَدَبٍ .

وَمَنْ أَخْلَلَ مِنَ الْفُقَرَاءِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . . لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ يُخْلَلْ

(١) سبق مسنداً في (٣٥٦/١) .

(٢) في (و) : (ويحل وسطه وهو قائم) بدل (ويضع قدمه . . .) .

بواجبٍ أو مندوبٍ ؛ لأنَّ أصحابَ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما تَقَيَّدُوا
بكثيرٍ مِنْ رُسُومِ الْمُتَصَوِّفَةِ .

وكونُ الشُّبَّانِ يُطَالِبُونَ الواردَ عليهم بهذه الرُّسُومِ مِنْ غيرِ نَظَرٍ لَهُمْ إلى
النِّيَّةِ في الأشياءِ . . غَلَطَ ؛ فلعلَّ الفقيرَ يدخلُ الرِّبَاطَ غيرَ مُشَمِّرٍ أَكْمَامَهُ ، وقد
كَانَ في السفرِ لم يُشَمِّرِ الأَكْمَامَ ، فنيَّةُ أَلَّا يتعاطى ذلكَ لَنَظَرِ الخَلْقِ ؛ حيثُ
لم يُخَلَّ بمندوبٍ إليه شرعاً .

وكونُ الآخرِ يُشَمِّرُ الأَكْمَامَ يَقِيسُ ذلكَ على شَدِّ الوَسَطِ ، وشَدُّ الوَسَطِ
مِنَ السَّنَةِ كما ذَكَرْنَا مِنْ شَدِّ أصحابِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
أوساطَهُمْ في سفرِهِمْ بَيْنَ المَدِينَةِ وَمَكَّةَ^(١) ، فتشَمِيرُ الأَكْمَامِ في معناه ؛ مِنْ
الخِفَّةِ والارتفاقِ بِهِ في المشي .

فَمَنْ كَانَ مشدودَ الوَسَطِ مُشَمِّراً . . يدخلُ الرِّبَاطَ كذلكَ ، وَمَنْ لم يكنْ
في السفرِ مشدودَ الوَسَطِ ، أو كَانَ رَاكِباً لم يَشُدَّ وَسَطَهُ . . فَمِنْ الصَّدَقِ أَنْ
يدخلَ الرِّبَاطَ كذلكَ ، ولا يتعمَّدَ شَدَّ الوَسَطِ وتشَمِيرَ الأَكْمَامِ لَنَظَرِ الخَلْقِ ؛
فإنَّهُ تَكَلَّفٌ ونَظَرٌ إلى الخَلْقِ ، وَمَبْنَى التَّصَوُّفِ على الصَّدَقِ ، وسقوطِ نَظَرِ
الخَلْقِ .

ومِمَّا يُنكَرُ على الْمُتَصَوِّفَةِ : أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا الرِّبَاطَ لَا يَتَدَبَّطُونَ بِالسَّلَامِ ،
ويقولُ المُنْكَرُ : إِنَّ هَذَا خِلَافُ المندوبِ ؛ فلا ينبغي للمُنْكَرِ أَنْ يُبَادِرَ إلى
الإنكارِ دونَ أَنْ يعلمَ مقاصدَهُمْ فيما اعتمدُوهُ .

(١) انظر (٤٠٩/١) .

وتركهم السلام يحتمل وجوهاً :

أحدها : أن السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى ، وقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مرَّ رجلٌ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبُول ، فسَلَّمَ عليه ، فلم يَرُدَّ عليه^(١) ، حتى كاد الرجل أن يتوارى ، فضَرَبَ بيده على الحائطِ ومَسَحَ بها وجهه ، ثم ضَرَبَ ضربةً أُخرى فَمَسَحَ بها ذراعيه ، ثم رَدَّ على الرجل السلام ، وقال له : « إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى طَهْرٍ »^(٢) .

وروي أنه لم يَرُدَّ عليه حتى توضأ ، ثم اعتذر إليه وقال : « إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَذْكَرَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى طَهْرٍ »^(٣) .

وقد يكونُ جمعٌ من الفقراءِ مُصْطَحِينَ في السفرِ ، وقد يَتَّفِقُ لأحدهم حَدَثٌ ، فلو سَلَّمَ الْمُتَوَضُّعُ وَأَمْسَكَ الْمُحْدِثُ . ظَهَرَ حالُهُ ، فتركُ السلامِ حتى يتوضأ مَنْ يتوضأ ويغسل قدمه مَنْ يغسل ؛ سِتْرًا للحالِ على مَنْ أَحْدَثَ ، حتى يكونَ سلامُهُم على الطهارةِ ؛ اقتداءً برسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في (أ ، ز ، ح) : (فلم يرد جوابه عليه) .

(٢) رواه أبو داود (٣٣٠) ، والدارقطني (٦٧٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٧٨٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢١٥ / ١) ، وقال أبو داود : (لم يُتَابِعْ محمد بن ثابت في هذه القصة على « ضربتين » عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورووه فعل ابن عمر) ، وانظر « غنية العارف » (٢٤١ / ١) .

(٣) رواه أبو داود (١٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٣٤) ، وابن ماجه (٣٥٠) ، وأحمد (٣٤٥ / ٤) عن سيدنا المهاجر بن قنفذ رضي الله عنهما .

وقد يكون بعضُ المُقيمين أيضاً على غير طهارة ، فيستعدُّ لجوابِ السلامِ أيضاً بالطهارة ؛ لأنَّ السلامَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى .

وهذا من أحسن ما يُذكر من الوجوه في ذلك .

ومنها : أنه إذا قَدِمَ يُعَانِقُهُ الإخوانُ ، وقد يكون معه من آثار السفرِ والطريق ما يُكرهه ، فيستعدُّ بالوضوء والنظافة ، ثم يُسَلِّمُ ويُعَانِقُهُمْ .

ومنها : أن جَمَعَ الرِّبَاطِ أربابُ مُراقبةٍ وأحوالٍ ، فلو هَجَمَ عليهم بالسلامِ قد ينزعجُ منه مُراقِبٌ ويتشوشُ مُحافِظٌ ، والسلامُ يتقدَّمُهُ استئناسٌ بدخوله واشتغاله بغسلِ القَدَمِ والوضوء والصلاة ركعتين ، فيتأهبُّ الجَمْعُ له كما يتأهبُّ لهم بعدَ سابقةِ الاستئناسِ ، وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا ﴾ [النور : ٢٧] ، واستئناسُ كلِّ قومٍ على ما يليقُ بحالِهِمْ .

ومنها : أنه لم يدخلْ على غيرِ بيته ، ولا هوَ بغريبٍ منهم ، بل هم إخوانُهُ وأَلفُهُ بالنسبةِ المعنويَّةِ الجامعةِ لَهُمْ في طريقٍ واحدٍ ، والمَنْزِلُ مَنْزِلُهُ ، والمَوْضِعُ مَوْضِعُهُ ، فيرى البركةَ في استفتاحِ المَنْزِلِ بمُعَامَلَةِ اللهِ تعالى قبلَ مُعَامَلَةِ الخَلْقِ ^(١) .

وكما يُمهِّدُ عُذْرَهُمْ في تَرْكِ السلامِ . ينبغي لَهُمْ ألا يُنْكِرُوا على مَنْ يدخلُ ويتدبَّئُ بالسلامِ ، فكما أن مَنْ تَرَكَ السلامَ لَهُ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ . فالذي سَلَّمَ لَهُ أيضاً نِيَّةٌ صَالِحَةٌ .

وللقومِ آدابٌ وَرَدَ بها الشرعُ ، ومنها آدابُ استَحْسَنَها شيوخُهُمْ ، فمِمَّا

(١) كما كان يفعلُ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الافتتاح بالصلاة في المسجد قبل دخول المنزل . من هامش (ح) .

وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ : مَا ذَكَرْنَا مِنْ شِدِّ الْوَسْطِ وَالْعَصَا وَالرَّكُوعِ ، وَالْإِبْتِدَاءِ بِالْيَمِينِ فِي لُبْسِ الْخُفِّ وَفِي نَزْعِهِ بِالْيَسَارِ^(١) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَنْتَعَلْتُمْ فَأَبْدُوا بِالْيَمِينِ ، وَإِذَا خَلَعْتُمْ فَأَبْدُوا بِالْيَسَارِ ، وَأَخْلَعُهَا جَمِيعًا ، وَأَنْعَلُهَا جَمِيعًا »^(٢) .

وَرَوَى جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْلَعُ الْيُسْرَى قَبْلَ الْيُمْنَى ، وَيَلْبَسُ الْيُمْنَى قَبْلَ الْيُسْرَى^(٣) .

وَبَسَطُ السَّجَّادَةِ وَرَدَّتْ بِهِ السُّنَّةُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ^(٤) ، وَكَوْنُ أَحَدِهِمْ لَا يَجْلِسُ عَلَى سَجَّادَةِ الْآخِرِ إِلَّا بِإِذْنِهِ . . فَمَشْرُوعٌ وَمُسْنُونٌ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ : « لَا يَوْمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ وَلَا فِي أَهْلِهِ ، وَلَا يَجْلِسُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ »^(٥) .

وَإِذَا سَلَّمَ عَلَى الْإِخْوَانِ يُعَانِقُهُمْ وَيُعَانِقُونَهُ ؛ فَقَدْ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ . . عَانَقَهُ النَّبِيُّ

(١) انظر (٤٠٧/١ - ٤١١) .

(٢) رواه البخاري (٥٨٥٥) ، ومسلم (٢٠٩٧) .

(٣) انظر « عواطف اللطائف » رقم : (١٣٠) .

(٤) انظر (٣٥٨/١) .

(٥) رواه مسلم (٦٧٣) عن سيدنا أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ، والتَّكْرِمَةُ : الْفِرَاشُ وَنَحْوُهُ مِمَّا يُبْسَطُ لِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ وَيُخَصُّ بِهِ ، وَفِي (ي) : (لَا يَوْمُرُ الرَّجُلَ) بَدَلُ (لَا يَوْمُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ) ، وَفِي نَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِشٍ (و) : (لَا يَوْمُرٌ) بَدَلُ (لَا يَوْمٌ) ، وَفِي نَسْخَةِ أَشَارِ إِلَيْهَا فِي (أ) : (عَلَى سَجَّادَتِهِ) بَدَلُ (عَلَى تَكْرِمَتِهِ) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) ، وَإِنْ قَبَلَهُمْ فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ ؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ قَبَلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : « مَا أَنَا بِفَتْحِ خَيْرٍ أَسَرَّ مِنِّي بِقُدُومِ جَعْفَرٍ »^(٢) .

وَيُصَافِحُ إِخْوَانَهُ ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُبْلَةُ الْمُسْلِمِ أَخَاهُ الْمُصَافِحَةُ »^(٣) .

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ الرَّجُلُ يَلْقَى صَدِيقَهُ وَأَخَاهُ أَيُنَحْنِي لَهُ ؟ قَالَ : « لَا » ، قِيلَ : يَلْتَزِمُهُ وَيُقْبَلُهُ ؟ قَالَ : « لَا » ، قِيلَ : فَيُصَافِحُهُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ »^(٤) .

وَيُسْتَحَبُّ لِلْفُقَرَاءِ الْمُقِيمِينَ فِي الرِّبَاطِ أَنْ يَتَلَقَّوْا الْفَقِيرَ بِالتَّرحيبِ ؛ رَوَى عِكْرَمَةُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ جِثَّةٍ : « مَرْحَبًا بِالرَّاكِبِ الْمُهَاجِرِ » مَرَّتَيْنِ^(٥) .

(١) انظر التخريج الآتي .

(٢) رواه الحاكم (٢١١ / ٣) ، ورواه أبو داود (٥٢٢٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٢٤٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٠١ / ٧) مرسلًا عن الشَّعْبِيِّ رحمه الله تعالى .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٨٥٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٢٤٢ / ٦) ، والدَيْلَمِيُّ في « الفردوس » (٤٦٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي (٢٧٢٨) ، وابن ماجه (٣٧٠٢) ، وأحمد (١٩٨ / ٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٧٤-٣٧٣ / ١٧) ، ورواه الترمذي (٢٧٣٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٧٣ / ١٧) دون تكرار الترحيب ، والحاكم (٢٤٢ / ٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٤٩٧) مكرراً ثلاث مرات ، وورد الترحيب =

وإن قاموا إليه فلا بأس ، وهو مسنون ؛ روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام لجعفر يوم قدومه^(١) .

ويستحب للخادم أن يقدم له الطعام ؛ روى لقيط بن صبرة قال : وفدنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نصادفه في منزله ، وصادفنا عائشة رضي الله عنها ، فأمرت لنا بالخزيرة فصنعت لنا ، وأتينا بقناع فيه تمر - والقناع : الطبق^(٢) - فأكلنا ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أصبتم شيئاً ؟ » ، قلنا : نعم يا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم^(٣) .

ويستحب للقادم أن يقدم للفقراء شيئاً لحق القدوم ؛ روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزوراً^(٤) .

وكراهيتهم لقدوم القادم بعد العصر وجهه من السنة : منع النبي صلى الله عليه وسلم عن طروق الليل^(٥) ، والصويفية بعد العصر يستعدون لاستقبال

= مطلقاً في أكثر من حديث ؛ ومنها : ما رواه البخاري (٦١٧٦) ، ومسلم (٢٤ / ١٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٢٤٦-٢٤٧) .

(١) سبق تخريجه قريباً .

(٢) من عُسب النخل .

(٣) رواه أبو داود (١٤٢) ، والحاكم (١١٠ / ٤) ، وفيه : (بحريّة) بدل (بالخزيرة) ،

وبنحوه النسائي في « الكبرى » (٦٦٦٥) ، وأحمد (٣٣ / ٤) ، وفي (د ، هـ) :

(بالحريرة) ، والخزيرة : لحم يُقَطَّع صغراً ويصَّب عليه ماء كثير ، فإذا نضج دُرَّ عليه

الدقيق ، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة ، وقيل : هي حساء من دقيق ودَسَم ،

وقيل : إذا كان من دقيق فهي حريرة ، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة .

(٤) رواه البخاري (٣٠٨٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) كما سيأتي بعد قليل من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه .

الليل بالطهارة والانكباب على الأذكار والاستغفار .

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا قَدِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ سَفَرٍ فَلَا يَطْرُقَنَّ أَهْلُهُ لَيْلًا » (١) .

وروى كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقدّم من سفرٍ إلا نهاراً في الضُّحَى (٢) .

فَيَسْتَحِبُّونَ الْقُدُومَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَإِنْ فَاتَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَقَدْ يَتَّفِقُ تَعْوِيقٌ مِنْ ضَعْفِ بَعْضِهِمْ فِي الْمَشْيِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَيُعْذَرُ الْفَقِيرُ بَقِيَّةِ النَّهَارِ إِلَى الْعَصْرِ ؛ لِاحْتِمَالِ التَّعْوِيقِ ، فَإِذَا صَارَ الْعَصْرُ يُنْسَبُ إِلَى تَقْصِيرِهِ فِي الْإِهْتِمَامِ بِالسُّنَّةِ وَقُدُومِ أَوَّلِ النَّهَارِ ؛ فَلِذَلِكَ يَكْرَهُونَ الدَّخُولَ بَعْدَ الْعَصْرِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَإِذَا صَارَ الْعَصْرُ يُؤَخَّرُ الْقُدُومَ إِلَى الْغَدِ ؛ لِيَكُونَ عَامِلًا بِالسُّنَّةِ فِي الْقُدُومِ ضَحْوَةً .

وَأَيْضاً فِيهِ مَعْنَى آخَرٌ ؛ وَهُوَ أَنَّ الصَّلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ مَكْرُوهَةٌ ، وَمِنْ الْأَدَبِ أَنْ يُصَلِّيَ الْقَادِمُ رَكْعَتَيْنِ ؛ فَلِذَلِكَ يَكْرَهُونَ الْقُدُومَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ .

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْفُقَرَاءِ الْقَادِمِينَ مَنْ يَكُونُ قَلِيلَ الدُّرْبَةِ بِدُخُولِ الرِّبَاطِ وَيُنَالُهُ دَهْشَةٌ ؛ فَمِنْ السُّنَّةِ : التَّقَرُّبُ إِلَيْهِ ، وَالتَّوَدُّدُ وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ ؛ حَتَّى يَنْبَسِطَ وَتَذْهَبَ عَنْهُ الدَّهْشَةُ ؛ فَفِي ذَلِكَ فَضْلٌ كَثِيرٌ (٣) .

(١) رواه البخاري (٥٢٤٤) ، ومسلم (١٨٢/٧١٥) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٠٩٨) ، وأحمد (٣٩١/٣) .

(٢) رواه البخاري (٤٦٧٧) ، ومسلم (٧١٦) .

(٣) في (ب) : (كبير) .

روى أبو رفاعَةَ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ ، ثُمَّ أَتَى بِكُرْسِيِّ قَوَائِمُهُ مِنْ حَدِيدٍ ، فَقَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ وَأَتَمَّ آخِرَهَا^(١) .

فَأَحْسَنُ أَخْلَاقِ الْفُقَرَاءِ : الرَّفْقُ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَاحْتِمَالُ الْمَكْرُوهِ مِنْهُمْ مِنَ الْمَسْمُوعِ وَالْمَرْئِيِّ .

وقد يدخل فقيرٌ بعضَ الرُّبُطِ ، وَيُخِلُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَرَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ ، فَيُنْهَرُ وَيُخْرَجُ ، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ ؛ فَقَدْ يَكُونُ خَلْقٌ مِنَ الصَّالِحِينَ وَالْأَوْلِيَاءِ لَا يَعْرِفُونَ هَذَا التَّرْسُمَ الظَّاهِرَ ، وَيَقْصِدُونَ الرِّبَاطَ بَنِيَّةً صَالِحَةً ، فَإِذَا اسْتَقْبَلُوا بِالْمَكْرُوهِ يُخْشَوْنَ أَنْ يَتَشَوَّشَ بَوَاطِنُهُمْ مِنَ الْأَذَى ، ويدخل على الْمُنْكَرِ عَلَيْهِمْ ضَرَرٌ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ، فَلْيُحْذَرْ ذَلِكَ ، وَيُنْظَرْ إِلَى أَخْلَاقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ مَعَ الْخَلْقِ مِنَ الْمُدَارَةِ وَالرَّفْقِ .

وقد صَحَّ أَنَّ أَعْرَابِيًّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَبَالَ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى بِذُنُوبٍ مِنَ الْمَاءِ ، فَصَبَّ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَلَمْ يَنْهَرْ الْأَعْرَابِيَّ ، بَلْ رَفَقَ بِهِ ، وَعَرَفَهُ الْوَاجِبَ بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ^(٢) .

(١) رواه مسلم (٨٧٦) .

(٢) رواه البخاري (٢٢١) ، ومسلم (٩٩/٢٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والبخاري (٢٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وَالذُّنُوبُ : الدَّلُو المملوءة ماءً .

والفَظَاظَةُ وَالْغِلَظُ وَالتَّسَلُّطُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ . . مِنْ النُّفُوسِ
الْخَبِيثَةِ ، وَهُوَ ضِدُّ حَالِ الْمُتَصَوِّفَةِ .

وَمَنْ دَخَلَ الرِّبَاطَ مِمَّنْ لَا يَصْلُحُ لِلْمُقَامِ بِهِ رَأْسًا . يُصَرِّفُ مِنَ الْمَوْضِعِ
عَلَى الْلَطْفِ وَجْهَهُ بَعْدَ أَنْ يُقَدَّمَ لَهُ طَعَامٌ ، وَيُحَسِّنَ لَهُ كَلَامًا ، فَهَذَا الَّذِي يَلِيقُ
بَسُكَّانِ الرُّبُطِ .

وَمَا يَعْتَمِدُهُ الْفُقَرَاءُ مِنْ تَغْمِيزِ الْقَادِمِ . . فَخُلُقٌ حَسَنٌ وَمَعَامَلَةٌ صَالِحَةٌ
وَرَدَتْ بِهَا السُّنَّةُ ؛ رَوَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغُلَامٌ لَهُ حَبَشِيٌّ يَغْمِزُ ظَهْرَهُ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ : « إِنَّ النَّاقَةَ اقْتَحَمَتْ بِي » (١) .

وَقَدْ يَحْسُنُ الرِّضَا مِمَّنْ يُغْمَزُ بِذَلِكَ فِي وَقْتِ تَعَبِهِ وَقُدُومِهِ مِنَ السَّفَرِ ،
وَأَمَّا مَنْ يَتَّخِذُ ذَلِكَ عَادَةً وَيُحِبُّ التَّغْمِيزَ ، وَيَسْتَجْلِبُ بِهِ النَّوْمَ ، وَيُسَاكِنُهُ حَتَّى
لَا يَفُوتُهُ . . فَلَا يَلِيقُ بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ مُبَاحًا فِي الشَّرْعِ .

وَكَانَ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ إِذَا اسْتَرَسَلَ فِي التَّغْمِيزِ وَاسْتَلَذَّهُ وَاسْتَدْعَاهُ . . يَحْتَلِمُ ،
وَيَرَى ذَلِكَ الْإِحْتِلَامَ عَقُوبَةً اسْتِرْسَالِهِ فِي التَّغْمِيزِ ، وَلَأَرْبَابِ الْعِزَائِمِ أُمُورٌ لَا
يَسْعُهُمْ فِيهَا الرُّكُونُ إِلَى الرُّخَصِ .

وَمِنْ آدَابِ الْفَقِيرِ إِذَا اسْتَقَرَّ وَقَعَدَ بَعْدَ قُدُومِهِ : أَلَّا يَبْتَدِئَ بِالْكَلَامِ دُونَ أَنْ
يُسَالَ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَمْكُثَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَقْصِدُ زِيَارَةً وَمَشْهَدًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ

(١) رواه البزار في « المسند » (٢٨٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٠٧٧) ،
وأبو نعيم في « الطب النبوي » (٤١٩) .

مقصوده من المدينة . . حتى يذهب عنه وغناء السفر ، ويعود باطنه إلى هيئته ؛ فقد يكون بالسفر وعوارضه تَغَيَّرَ باطنه وتكَدَّرَ ، حتى يجتمع في ثلاثة أيام همُّه ، وينصلح باطنه ، ويستعد للقاء المشايخ والزيارات بتنوير الباطن ؛ فإنَّ باطنه إذا كان مُنَوَّرًا يستوفي حظه من الخير من كلِّ شيخ وأخ يزوره .

وقد كنتُ أسمعُ شيخنا رحمه الله يُوصي الأصحاب ويقولُ : (لا تُكَلِّمُوا أهلَ هذا الطريقِ إلَّا في أَصْفَى أوقَاتِكُمْ) .

وهذا فيه فائدةٌ كبيرةٌ ؛ فإنَّ نورَ الكلامِ على قَدَرِ نورِ القلبِ ، ونورِ السمعِ على قَدَرِ نورِ القلبِ .

فإذا دَخَلَ على شيخٍ أو أخٍ وزاره . . ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصراف ؛ فقد روى عبدُ الله بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « إِذَا زَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَجَلَسَ عِنْدَهُ . . فَلَا يَقُومَنَّ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ »^(١) .

وإنَّ نوى أن يُقيمَ^(٢) أيَّاماً وفي وقتهِ سَعَةً ، ولنفسِهِ إلى البَطَالَةِ وتركِ العملِ شوقاً^(٣) . . يطلبُ خدمةً يقومُ بها^(٤) وإنَّ كانَ دائمَ العملِ لربِّهِ ، فكفى

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (١٢٠٠) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٥٤٥) .

(٢) زاد في نسخة على هامش (د) : (في الرباط) .

(٣) في (أ) : (شَوْف) ؛ أي : تَشَوُّفٌ ، كما هو في (و ، ز) ، والتَشَوُّفُ : التَّطَلُّعُ ، وفي (ي) : (شرف) .

(٤) زاد في نسخة على هامش (أ) : (مقام العبادة) .

بالعبادة شُغلاً ؛ لأنَّ الخِدمةَ لأهلِ العبادةِ تقومُ مقامَ العبادةِ .
ولا يخرجُ مِنَ الرِّباطِ إلَّا بإذنِ المُتقدِّمِ فيه ، ولا يفعلُ شيئاً دونَ أنْ يأخذَ
رأيه فيه .

فهذه جُمْلُ أعمالٍ يعتمدُها الصُّوفيَّةُ وأربابُ الرُّبطِ ، واللهُ تعالى بفضله
يزيدُهم توفيقاً وتأييداً ، واللهُ أعلمُ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءة ، بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ السماع على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة عبد السلام) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب التاسع عشر في حال الصوفي المتسبب

اختلفت أحوال الصُوفيّة في الوقوف مع الأسباب ، والإعراض عن الأسباب .

فمنهم : مَنْ كَانَ عَلَى الْفُتُوحِ لَا يَرْكُنُ إِلَى مَعْلُومٍ ، وَلَا يَتَسَبَّبُ بِكَسْبٍ وَلَا سَوَالٍ .

ومنهم : مَنْ كَانَ يَكْتَسِبُ .

ومنهم : مَنْ كَانَ يَسْأَلُ فِي وَقْتِ فَاقَتِهِ .

ولهم في كُلِّ ذَلِكَ أَدَبٌ وَحَدٌّ يُرَاعُونَهُ وَلَا يَتَعَدَّوْنَهُ^(١) .

وَإِذَا كَانَ الْفَقِيرُ يَسُوسُ نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ يَأْتِيهِ الْفَهْمُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ مِنْ سَبَبٍ أَوْ تَرْكِ سَبَبٍ . . لَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ أَنْ يَسْأَلَ مَهْمَا أَمَكَنَ ؛ فَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى تَرْكِ السَّوَالِ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ .

(١) ومن المناسب إيرادُهُ هَا هُنَا : مَا سُئِلَ عَنْهُ الْمُؤَلِّفُ ؛ وَهُوَ أَنَّ مَا قَوْلُكُمْ فِي فَقِيرٍ لَا يُبَالِي مِمَّا أَكَلَ وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا ، مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ وَلَا مُجَاهِدَةٍ وَلَا رِيَاضَةٍ وَلَا ضَرُورَةٍ .

فَأَجَابَ : بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، وَالصَّادِقُ فِي فَقْرِهِ يَأْنَفُ مِنْ ذَلِكَ ؛ لَوْجُودِ غِنَائِهِ بِاللَّهِ ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يُبَالِ مَا أَكَلَ وَلَمْ يَتَوَرَّعْ فِي مَطْعَمِهِ . . لَمْ يُبَالِ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُهْلِكَهُ ، أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ نَقْمِهِ . « أَجُوبَةُ السَّهْرُورِيِّ » (ق / ٢٦) .

فَأَمَّا التَّرْغِيبُ : فَمَا رَوَى ثَوْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَضْمَنُ لِي وَاحِدَةً أَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ » ، قَالَ ثَوْبَانُ : قُلْتُ : أَنَا ، قَالَ : « لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا » ، فَكَانَ ثَوْبَانُ تَسْقُطُ عِلَاقَةُ سَوْطِهِ فَلَا يَأْمُرُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ ، وَيَنْزِلُ هُوَ وَيَأْخُذُهَا ^(١) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلًا فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ . . خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ أَلْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ أَلْيَدِ السُّفْلَى » ^(٢) .

(٥٤) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الصَّالِحُ أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي وَالِدِي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّرِيفِينِيُّ بِبَغْدَادٍ ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ^(٥) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، قَالَ :

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٤٣) ، وَابْنُ مَاجَهَ (١٨٣٧) ، وَأَحْمَدُ (٢٨١ / ٥) ، وَفِي (هـ) ، ح) وَنَسَخَهُ عَلَى هَامِشٍ (د) : (أَتَكْفُلُ) بَدَلَ (أَتَقَبَّلُ) ، وَكِلَاهُمَا مَرْوِي .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٧٠) ، وَمُسْلِمٌ (١٠٤٢) ، وَاللَّفْظُ لَهُ .

(٣) هُوَ الْإِمَامُ الثَّقَةُ الْخَطِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ هَزَارْمَرْدَ (ت ٤٦٩ هـ) ، وَالصَّرِيفِينِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى (صَرِيفِينَ) قَرْيَةٍ كَبِيرَةٍ غَنَاءَ شَجَرَاءَ فِي سَوَادِ الْعِرَاقِ قَرِبَ عُكْبَرَاءَ . انْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٣٣٠ / ١٨) ، وَ« مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » (٤٠٣ / ٣) .

(٤) فِي (ب ، د ، و) : (عَبْدُ اللَّهِ) بَدَلَ (عُبَيْدُ اللَّهِ) ، وَالصُّوَابُ الْمَثْبُتُ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ : هُوَ الْإِمَامُ الثَّقَةُ الْمُسْنَدُ ابْنُ حَبَابَةَ - نَسَبُهُ إِلَى أَحَدِ أَجْدَادِهِ - الْبَغْدَادِيُّ الْمَتَوَثِّي الْبِزَازَ (ت ٣٨٩ هـ) ، وَانْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٥٤٨ / ١٦) .

(٥) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغْوِيُّ الْإِمَامُ الْحُجَّةُ الْمُعَمَّرُ الْمُسْنَدُ (ت ٣١٧ هـ) ، وَهُوَ صَاحِبُ كِتَابِ « الْجَعْدِيَّاتِ » الَّذِي جَمَعَهُ مِنْ مُسْنَدِ شَيْخِهِ الْإِمَامِ الثَّبَتِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ =

أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَمْرَةَ^(١) ، قَالَ : سَمِعْتُ هَلَالَ بْنَ [حِصْنٍ] قَالَ^(٢) :
 أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَتَزَلْتُ دَارَ أَبِي سَعِيدٍ ، فَضَمَّنِي وَإِيَّاهُ الْمَجْلِسُ ، فَحَدَّثَ أَنَّهُ
 أَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ طَعَامٌ ، فَأَصْبَحَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنَ
 الْجَوْعِ ، فَقَالَتْ لِي امْرَأَتِي : ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَدْ أَتَاهُ
 فَلَانٌ فَأَعْطَاهُ ، وَأَتَاهُ فَلَانٌ فَأَعْطَاهُ .

قَالَ : فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ : أَلْتَمَسُ شَيْئًا ، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَخْطُبُ وَيَقُولُ : « مَنْ يَسْتَعِفَّ
 يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ سَأَلَنَا شَيْئًا فَوَجَدْنَاهُ أَعْطَيْنَاهُ
 وَوَأَسَيْنَاهُ ، وَمَنْ أَسْتَعَفَّ عَنْهُ وَأَسْتَغْنَى فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّنْ سَأَلَنَا » .

قَالَ : فَرَجَعْتُ وَمَا سَأَلْتُهُ ، فَرَزَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) ؛ حَتَّى مَا أَعْلَمُ أَهْلَ
 بَيْتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ أَكْثَرَ أَمْوَالًا مِنَّا^(٤) .

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ التَّرْهِيْبُ وَالتَّحْذِيرُ : فَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

= الجوهري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤ / ٤٤٠ - ٤٤٢) .

(١) في غالب النسخ : (أبو حمزة) ، والصواب المثبت ، وأبو حمزة : هو نصر بن عمران
 الضُّبَيْعِي البصري أحد الأئمة الثقات (ت ١٢٧ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء »
 (٢٤٣ / ٥) .

(٢) في النسخ : (حصين) ، والتصويب من المصادر الآتية ، وهو أخو بني مرّة بن عباد
 البصري . انظر « الجرح والتعديل » (٧٣ / ٩) .

(٣) في بعض النسخ : (فرزقني الله) بدل (فرزق الله) ، والمثبت موافق لمصادر تخريجه .

(٤) صفوة التصوف (٢٩٠) ، الجعديات (١٣٢١) ، ورواه أحمد (٤٤ / ٣) ، وأبو نعيم
 في « الحلية » (٢٠٣ / ٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٢٨) ، ورواه بنحوه
 مختصراً البخاري (١٤٦٩) ، ومسلم (١٠٥٣) ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٢٥٥ -
 ٢٥٦) .

عليه وسلم أنه قال : « لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٍ » (١) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ الْأَكْلَةُ وَالْأُكْلَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ النَّاسَ ، وَلَا يُفْطِنُ بِمَكَانِهِ فَيُعْطَى » (٢) .

هذا حال الفقير الصادق ، والمتصوِّف المحقِّق لا يسأل الناس شيئاً .

ومنهم : مَنْ يلزم الأدب حتى يُؤدِّيَهُ إلى حالٍ يستحي من الله تعالى أن يسأله شيئاً من أمر الدنيا ، حتى إذا هَمَّت النفس بالسؤالِ تَرُدُّهُ الهَيْبَةُ ، ويرى الإقدام على السؤالِ جُرْأَةً ، فيُعْطِيهِ اللهُ تعالى عند ذلك من غير سؤالٍ .

كما نُقِلَ عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه جاءه جبريل عليه السلام وهو في الهواء قبل أن يصل إلى النار ، فقال له : هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ فقال : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَآ ، فقال له : فَاسْأَلْ رَبَّكَ ، فقال : حَسْبِيَ مِنْ سَوَالِي عِلْمُهُ بحالي (٣) .

(١) رواه البخاري (١٤٧٤) ، ومسلم (١٠٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والمزعة : القطعة من اللحم ، وفي (د) : (مضغة) بدل (مزعة) ، وفي هامش (ح) : (وهو كناية عن ذهاب وجهه ووجاهته عند الله ، [ولم] يبق في باطنه الاعتماد على رزاقية الله تعالى ، حتى أدام السؤال عن الخلق) .

(٢) رواه البخاري (١٤٧٩) ، ومسلم (١٠٣٩) ، والأكلة : اللقمة .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥٢ / ١٨) ، والبغوي في « تفسيره » (٣٢٧ / ٥) ، وروى البخاري (٤٥٦٣) من حديث سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا =

وقد يَضَعُفُ عن مثلِ هذا ، فيسألُ اللهَ تعالى عبوديَّةً ولا يرى سؤالَ المخلوقين ، فيسوقُ اللهُ تعالى القِسْمَ إليه مِنْ غيرِ سؤالٍ مخلوقٍ .

بَلَّغْنَا عن بعضِ الصالحينَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِذَا وَجَدَ الْفَقِيرُ نَفْسَهُ مُطَالِبَةً بِشَيْءٍ . . لا تَخْلُو تِلْكَ الْمَطَالِبَةُ : إِمَّا رِزْقُ يَرِيدُ اللهُ أَنْ يَسُوْقَهُ إِلَيْهِ ، فَتَنْبَهُ النَّفْسُ لَهُ ؛ فَقَدْ تَطَلَّعُ نَفُوسُ بَعْضِ الْفُقَرَاءِ إِلَى مَا سَوْفَ يَحْدُثُ ، وَكَأَنَّهَا تُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ^(١) ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَقُوبَةً لَذَنْبٍ وَجَدَ مِنْهُ^(٢) .

فَإِذَا وَجَدَ الْفَقِيرُ ذَلِكَ ، وَأَلَحَّتِ النَّفْسُ بِالْمُطَالِبَةِ . . فَلْيَقُمْ وَلْيُسَبِّحِ الْوُضُوءَ ، وَيُصَلِّيْ رَكَعَتَيْنِ وَيَقُولَ : يَا رَبِّ ؛ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمُطَالِبَةُ عَقُوبَةً لَذَنْبٍ . . فَاسْتَغْفِرْكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَإِنْ كَانَ رِزْقٌ قَدَّرْتَهُ لِي . . فَعَجِّلْ وَصَوْلَهُ إِلَيَّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسُوْقُهُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ رِزْقُهُ ، وَإِلَّا فَيُذْهِبُ الْمُطَالِبَةَ عَنْ بَاطِنِهِ .

فَشَأْنُ الْفَقِيرِ : أَنْ يُنْزَلَ حَوَائِجُهُ بِالْحَقِّ ؛ فَإِمَّا أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّيْءُ أَوْ الصَّبْرَ ، أَوْ يُذْهِبَ ذَلِكَ عَنْ قَلْبِهِ ؛ فَلِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَبْوَابٌ مِنْ طَرِيقِ الْحِكْمَةِ ، وَأَبْوَابٌ مِنْ طَرِيقِ الْقُدْرَةِ ، فَإِنْ فَتَحَ بَاباً مِنْ طَرِيقِ الْحِكْمَةِ ، وَإِلَّا فَيَفْتَحُ بَاباً مِنْ طَرِيقِ الْقُدْرَةِ ، وَيَأْتِيهِ الشَّيْءُ بِخَرْقِ الْعَادَةِ ، كَمَا كَانَ يَأْتِي مَرْيَمَ عَلَيْهَا

= وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿ آل عمران : ١٧٣ ﴾ ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢٥٠ / ١) .

(١) فَإِنَّ الْمُقَدَّرَ إِذَا قَرُبَ زَمَانُ وَقُوعِهِ . . تَحَسُّ النَّفْسُ فِيهِ إِذَا صَارَتْ لَطِيفَةً صَافِيَةً . من هامش (ح) ، ويجوز أن يُقْرَأَ (تخبر) بفتح الباء ، كما ضبط كذلك في (د ، هـ) .

(٢) فَإِنَّ تَهْيِيجَ النَّفْسِ لِلْمَطَالِبَةِ وَتَحْرِيكَهَا مِنْ غَيْرِ سَابِقَةٍ تَقْدِيرٍ مَا تَطْلُبُ . . عَقُوبَةً . من هامش (ح) .

السلام ؛ ﴿ كَلَّمَادَخَلَ عَلَيْهَا زَكِيًّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُومُ أَنِّي لِلِّ مَدًّا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

حُكِيَّ عَنْ بَعْضِ الْفُقَرَاءِ قَالَ^(١) : جُعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَكَانَ حَالِي أَلَّا
أَسْأَلَ ، فَدَخَلْتُ بَعْضَ الْمَحَالِّ بِبَغْدَادَ مُجْتَازًا مُتَعَرِّضًا ؛ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَحُ
لِي عَلَى يَدِ بَعْضِ عِبَادِهِ شَيْئًا ، فَلَمْ يُقَدِّرْ ، فَنِمْتُ جَائِعًا ، فَأَتَانِي آتٍ فِي
مَنَامِي فَقَالَ لِي : اذْهَبْ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا - وَعَيِّنَ الْمَوْضِعَ - فَشَمَّ خِرْقَةً زَرْقَاءَ
فِيهَا قُطَيْعَاتٌ أَخْرَجَهَا فِي مَصَالِحِكَ .

فَمَنْ تَجَرَّدَ عَنِ الْمَخْلُوقِينَ وَتَفَرَّدَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . . فَقَدْ تَفَرَّدَ بِغْنِيٍّ
قَادِرٍ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، يَفْتَحُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْوَابِ حِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَيْفَ شَاءَ ،
وَأُولَى مَنْ سَأَلَ نَفْسَهُ أَنْ يَسْأَلَهَا الصَّبْرَ الْجَمِيلَ ؛ فَإِنَّ الصَّادِقَ تُجِيبُهُ نَفْسُهُ .

وَحَكَى شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : أَنَّ وَلَدَهُ جَاءَ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ
حَبَّةً^(٢) ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَحْضُرُ الْحَبَّةُ^(٣) ، وَذَكَرَ شَهْوَةً يَشْتَرِيهَا
بِالْحَبَّةِ^(٤) ، فَقَالَ : عَنْ إِذْنِكَ أَذْهَبُ وَأَسْتَقْرِضُ الْحَبَّةَ ، قَالَ : فَقُلْتُ : نَعَمْ
أَسْتَقْرِضُهَا مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَهِيَ أُولَى مَنْ أَقْرِضَ .

وَقَدْ نَظَّمَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَعْنَى وَقَالَ^(٥) :

[من الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ أَلْمَالَ مُنْفَقًا عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ

(١) فِي (أ ، ز) : (الصَّالِحِينَ) بَدَلَ (الْفُقَرَاءِ) .

(٢) الْحَبَّةُ : سُدُسُ ثُمْنِ الدَّرْهَمِ .

(٣) فِي (د ، هـ ، ح ، ي) : (تَحْضُرَنِي) بَدَلَ (تَحْضُرُ) .

(٤) فِي (ي) : (وَكَانَ ذَكَرٌ) بَدَلَ (وَذَكَرَ) .

(٥) الْآيَاتُ لِلْقَاضِي عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَجَانِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » (ص ٨٩) .

فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَثَرِ صَبْرِهَا عَلَيْكَ وَإِرْفَاقاً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبْتَ فَكُلُّ مُنَوِّعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُذْرِ

فإذا استنفدَ الفقيرُ الجُهدَ مِنْ نَفْسِهِ ، وأشرفَ على الضَّعْفِ ، وتحقَّقتِ
الضرورةُ ، وسألَ مَوْلَاهُ ولم يُقدِّرْ لَهُ بشيءٍ ، ووقتهُ يَضِيقُ عنِ الكسبِ مِنْ
شُغْلِهِ بحالِهِ . . فعندَ ذلكَ يقرعُ بابَ السببِ ويسألُ ؛ فقد كانَ الصالحونَ
يفعلونَ ذلكَ عندَ فاقاتهم .

نُقِلَ عن أبي سعيدٍ الخَرَّازِ رحمه الله عليه أَنَّهُ كَانَ يَمُدُّ يَدَهُ عِنْدَ الْفَاقَةِ
ويقولُ : ثُمَّ شَيْءٌ لِلَّهِ ؟ (١) .

ونُقِلَ عن أبي جعفرٍ الحَدَّادِ وَكَانَ أَسْتَاذاً لِلْجُنَيْدِ رحمه الله عليه أَنَّهُ كَانَ
يُخْرِجُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ وَيَسْأَلُ مِنْ بَابٍ أَوْ بَابَيْنِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَعْلُومَةً عَلَى قَدْرِ
الْحَاجَةِ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ (٢) .

ونُقِلَ عن إبراهيمَ بنِ أدهمَ رحمه الله عليه أَنَّهُ كَانَ مُعْتَكِفاً بِجَامِعِ الْبَصْرَةِ
مُدَّةً ، وَكَانَ يُفْطِرُ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَيْلَةً ، وَلَيْلَةَ إِفْطَارِهِ يَطْلُبُ مِنَ الْأَبْوَابِ .

ونُقِلَ عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ ،
وَيَسْأَلُ فِي الطَّرِيقِ ، وَقَالَ : كُنْتُ أَذْكَرُ لَهُمْ حَدِيثاً فِي الضِّيَافَةِ ، فَيُقَدِّمُ إِلَيَّ
الطَّعَامَ ، فَاتَّناوَلُ حَاجَتِي ، وَأَتْرُكُ مَا يَبْقَى (٣) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٢٨ / ٣) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٢٨ / ٣) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٢٩ / ٣) .

وقد وَرَدَ : (مَنْ جَاعَ وَلَمْ يَسْأَلْ فَمَاتَ . . دَخَلَ النَّارَ)^(١) .

وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى حَالٌ . . لَا يُبْتَلَى بِمِثْلِ هَذَا^(٢) ، بَلْ يَسْأَلُ بِالْعِلْمِ^(٣) ، وَيُمَسِّكُ عَنِ السُّؤَالِ بِالْعِلْمِ^(٤) .

وَحَكَى بَعْضُ مُشَايخِنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَنْ شَخْصٍ كَانَ مُصِرّاً عَلَى الْمَعَاصِي ، ثُمَّ انْتَبَهَ وَتَابَ وَحَسُنَتْ تَوْبَتُهُ ، وَصَارَ لَهُ حَالٌ مَعَ اللَّهِ ، قَالَ : عَزَمْتُ أَنْ أُحْجَّ مَعَ الْقَافِلَةِ ، وَنَوَيْتُ أَلَّا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئاً ، وَأُكْتَفِيَ بِعِلْمِ اللَّهِ بِحَالِي .

قَالَ : فَبَقِيتُ أَيَّاماً فِي الطَّرِيقِ يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ الْمَاءَ وَالزَّادَ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ ، ثُمَّ وَقَفَ الْأَمْرُ وَلَمْ يَفْتَحِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ شَيْئاً ، فَجُعْتُ وَعَطِشْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي طَاقَةٌ ، فَضَعُفْتُ عَنِ الْمَشْيِ ، وَبَقِيتُ أَتَأَخَّرُ عَنِ الْقَافِلَةِ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى مَرَّتِ الْقَافِلَةُ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا الْآنَ مِنِّي إِلْقَاءُ النَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَقَدْ مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةُ الْإِضْطِرَارِ أَسْأَلُ ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالسُّؤَالِ انْبَعَثَ مِنْ بَاطِنِي إِنْكَارٌ لِهَذِهِ الْحَالَةِ ، وَقُلْتُ : عَزِيمَةٌ عَقَدْتُهَا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى لَا أَنْقُضُهَا ، وَهَانَ عَلَيَّ الْمَوْتُ دُونَ نَقْضِ عَزِيمَتِي ، فَقَصَدْتُ شَجَرَةً وَقَعَدْتُ فِي ظِلِّهَا ، وَطَرَحْتُ رَأْسِي اسْتَطْرَاحاً لِلْمَوْتِ ، وَذَهَبَتِ الْقَافِلَةُ .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٩٠ / ٦) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى من قوله ، وورد مرفوعاً ما يخالفه . انظر « غنية العارف » (٢٦١ / ١) .

(٢) في (ب ، ج ، د ، هـ ، و) : (يُبْتَلَى) بدل (يُبْتَلَى) .

(٣) بأن يعلم أن الحق تعالى يسوق إليه المقدّر ولا يُحوّجُه إلى السؤال . من هامش (ح) .

(٤) بأن يعلم أن الحق تعالى يريد منه ألا يُباشِرَ قانون الحكمة بطريق السؤال ، وتصغير النفس والإذلال . من هامش (ح) .

فبينما أنا كذلك إذ جاءني شابٌ مُتقلِّدٌ بسيفٍ ، وحرَّكني ، فقمْتُ وفي يده
إداوةٌ فيها ماءٌ ، فقال لي : اشرب ، فشربتُ ، ثمَّ قدَّم لي طعاماً وقال لي :
كُلْ ، فأكلتُ ، ثمَّ قال لي : تريدُ القافلةَ ؟ فقلتُ له : ومن لي بالقافلةِ وقد
عبرتُ ؟ فقال لي : قم ، وأخذَ بيدي ومشى معي خطواتٍ ثمَّ قال لي : اجلس
فالقافلةُ إليك تجيءُ ، فجلستُ ساعةً فإذا أنا بالقافلةِ ورائي مُتوجِّهةً إليَّ .

هذا شأنُ مَنْ يُعاملُ مَوْلَاهُ بالصدقِ .

وذكرَ الشيخُ أبو طالبٍ المَكِّيُّ رحمهُ اللهِ عليه أنَّ بعضَ الصُّوفيِّةِ أوَّلَ قولِ
رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَحَلُّ مَا أَكَلَ الْمَرْءُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ »^(١) .
أنَّهُ المسألةُ عندَ الفاقةِ .

وأنكرَ الشيخُ أبو طالبٍ هذا التأويلَ مِنْ هذا الصُّوفيِّ ، وذكرَ أنَّ جعفرَ
الخلديَّ رحمهُ اللهِ عليه كانَ يحكي هذا التأويلَ عن شيخٍ مِنْ مشايخِ
الصُّوفيِّةِ^(٢) .

ووقعَ لي واللهُ أعلمُ : أنَّ الشيخَ الصُّوفيَّ لم يُردْ بكسبِ اليدِ ما أنكرَ الشيخُ
أبو طالبٍ منه ، وإنَّما أرادَ بكسبِ اليدِ رَفْعَهَا إلى اللهِ تعالى عندَ الحاجةِ ،
فهو مِنْ أَحَلِّ ما يأكلُهُ إذا أجابَ اللهُ تعالى سؤالَهُ ، وساقَ إليه رزقهُ .

وقالَ اللهُ تعالى حكايةً عن موسى عليه السلامُ : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ
خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [الفصص : ٢٤] .

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٨) ، والترمذي (١٣٥٨) ، والنسائي (٢٤٠/٧) ، وابن ماجه
(٢١٣٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وانظر « غنية العارف » (١/٢٦٢-٢٦٣) .

(٢) قوت القلوب (٣/١٥٢٧-١٥٢٨) .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (قَالَ ذَلِكَ وَإِنَّ خُضْرَةَ الْبَقْلِ
لَتَتَرَأَّى فِي بَطْنِهِ مِنَ الْهَزَالِ)^(١) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ : (قَالَهَا وَإِنَّهُ لَيَحْتَاجُ إِلَى شِقِّ تَمْرَةٍ)^(٢) .
وَرُويَ عَنْ مُطَرِّفٍ أَنَّهُ قَالَ : (أَمَّا وَاللَّهِ ؛ لَوْ كَانَ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى
شَيْءٌ . . مَا اتَّبَعَ الْمَرْأَةَ ، وَلَكِنْ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَهْدُ)^(٣) .

وَذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ عَنِ النَّصْرَابَاذِيِّ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ :
﴿ إِنِّي لِمَا أُنْزِلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ : (لَمْ يَسْأَلِ الْكَلِيمُ الْخَلْقَ ، وَإِنَّمَا كَانَ
سُؤَالُهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَلَمْ يَسْأَلْ غِذَاءَ النَّفْسِ ، إِنَّمَا أَرَادَ سَكُونَ الْقَلْبِ)^(٤) .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ : (الْخَلْقُ مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ مَا لَهُمْ وَبَيْنَ مَا إِلَيْهِمْ ؛
مَنْ نَظَرَ إِلَى مَا لَهُ تَكَلَّمَ بِلِسَانِ الْفَقْرِ ، وَمَنْ شَاهَدَ مَا إِلَيْهِ تَكَلَّمَ بِلِسَانِ الْخِيَلَاءِ
وَالْفَخْرِ ؛ أَلَا تَرَى حَالَ الْكَلِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا شَاهَدَ خَوَاصَّ مَا خَاطَبَهُ بِهِ
الْحَقُّ كَيْفَ قَالَ : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، وَلَمَّا نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ
كَيْفَ أَظْهَرَ الْفَقْرَ وَقَالَ : ﴿ إِنِّي لِمَا أُنْزِلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾)^(٥) .

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : (نَظَرَ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى الرَّبُّوبِيَّةِ فَخَشَعَ وَخَضَعَ ، وَتَكَلَّمَ

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٥٧ / ١٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره »
(١٦٨٠٩) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٣٠ / ٢٠) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٣٠ - ٤٣١ / ٢٠) ، والبغوي في « تفسيره »
(٢٠١ / ٦) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٦٠ / ١٩) ، وأورده الثعلبي في « الكشف والبيان »
(٤٣٢ / ٢٠) .

(٤) تفسير السلمي (١٠٤ / ٢) .

(٥) أورده السلمي في « تفسيره » (١٠٣ / ٢) .

بلسان الافتقار بما وَرَدَ على سِرِّهِ مِنَ الأنوارِ ، وافتقارُهُ افتقارُ العبدِ إلى مَوْلَاهُ
في جميعِ أحوالِهِ ، لا افتقارُ سؤالٍ وطلبٍ (١) .

وقال الحسينُ : (فقيرٌ - لِمَا خَصَّصْتَنِي بِهِ مِنْ عِلْمِ اليقينِ - أن تُرَقِّبَنِي إلى
عَيْنِ اليقينِ وَحَقِّهِ) (٢) .

قال الشيخُ رحمه الله عليه : وَوَقَعَ لي واللهُ أعلمُ : أنَّ قولَهُ : ﴿ لِمَا أَنْزَلْتَ
إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ أنَّ الإنزالَ مُشْعِرٌ بِبُعْدِ رُتْبَتِهِ عن حقيقة القُربِ ، فيكونُ
الإنزالُ عَيْنَ الفقرِ ، فما قَنَعَ بالمُنزَلِ ، وأرادَ قُربَ المُنزَلِ ، وَمَنْ صَحَّ فقرُهُ
ففقرُهُ في أمرٍ آخرته كفقرِهِ في أمرِ دُنْيَاهُ ، ورجوعُهُ إليه في الدارينِ ، وإيَّاهُ
يسألُ حوائجَ المُنزَلينِ ، ويُساوي عندهُ الحاجتينِ (٣) ، وما لَهُ معَ غيرِ الله
شُغْلٌ في الدارينِ (٤) .



(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (١٠٣/٢) .

(٢) أوردته السلمي في « تفسيره » (١٠٣/٢) .

(٣) في (هـ ، ح) : (وتساوى عنده الحاجتان) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه
عبد السلام المقدسي) .

الباب العشرون

في ذكر من يأكل من الفتوح

إذا كَمَلَ شُغْلُ الصُّوفِيِّ بِاللَّهِ ، وَكَمَلَ زَهْدُهُ لِكَمَالِ تَقْوَاهُ . . يحكمُ الوقتُ عليه بتركِ السَّبَبِ ، وينكشفُ له صريحُ التوحيدِ وصِحَّةُ الكفالةِ مِنَ اللَّهِ الكريمِ ، فيزولُ عن باطنِهِ الاهتمامُ بالأقسامِ ، ويكونُ مُقدِّمُهُ هذا أن يفتحَ اللَّهُ تعالى لَهُ باباً مِنَ التعريفِ بطريقِ المُقابَلَةِ على كُلِّ فعلٍ يصدُرُ منه^(١) ؛ حتى لو جرى عليه يسيرٌ مِنْ ذَنْبٍ حالِهِ ، أو الذَنْبِ مُطلقاً ممَّا هوَ منهِيٌّ عنه في الشرعِ . . يَجِدُ غَبَّ ذَلِكَ في وقتِهِ أو يومِهِ^(٢) .

كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : (إِنِّي لَأَعْرِفُ ذَنْبِي فِي سُوءِ خُلُقٍ غُلَامِي)^(٣) .

وقيلَ : إِنَّ بَعْضَ الصُّوفِيَّةِ قَرَضَ الْفَارَّ خُفَّهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَأَلَّمَ

(١) يعني : مقدِّمُهُ تمامِ شُغْلِ الصُّوفِيِّ بِاللَّهِ بالتبرُّؤِ ، وكمالُ الزهدِ في الدنيا . . أن يُعرِّفه حسنَ فعلِهِ وقبحَهُ بصريحِ فعلِ الحقِّ معه في مقابلةِ فعلِهِ في بدايةِ أمرِهِ ، فإن أظهرَ اللَّهُ عليه ما هوَ مُوجبٌ لفرحه وطيبِ قلبه ممَّا يتعلَّقُ بدينِهِ أو بآخرته . . عَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ في مقابلةِ خيرِهِ وطاعته ، وإن أظهرَ عليه ما هوَ مُوجبٌ الكراهيةِ وَخَشَةِ قلبِهِ . . عَرَفَ أَنَّ ذَلِكَ من ذَنْبٍ حالِهِ ؛ كالحرصِ على الجمعِ في حالِ الزهدِ ، والاعتمادِ على الغيرِ في حالِ التوكُّلِ وغيرِ ذلك . من هامش (ج) .

(٢) غَبُّ كلِّ شيءٍ : عاقبتهُ . من هامش (ح) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠٩ / ٨) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص ١٠٨) عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى .

وأنشد^(١) :

[من البسيط]

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَّازِنٍ لَمْ تَسْتَحْ إِلَيَّ بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

إشارة منه : إلى أَنَّ الداخلَ عليه مُقَابِلَةٌ لَهُ على شيءٍ استوجبَ به ذلك .

فلا تزالُ بهِ المقابلاتُ مُتَضَمِّنَةً لِلتَّعْرِيفَاتِ الإِلَهِيَّةِ ، حتى يتحصَّنَ بصدقِ المُحَاسَبَةِ وصفاءِ المُراقِبَةِ عن تضييعِ حقوقِ العبوديَّةِ ، ومُخالِفَةِ حُكْمِ الوقتِ ، ويتجرَّدَ لَهُ فعلُ اللهِ تعالى ، وينمحيَ عندهُ أفعالُ غيرِ اللهِ ، فيرى المُعْطِيَّ والمَانِعَ هوَ اللهُ سبحانه ذَوْقاً وحالاً لا عِلْماً وإيماناً ، ثمَّ يتداركُهُ الحقُّ سبحانه وتعالى بالمعونةِ ، ويوقفُهُ على صريحِ التوحيدِ وتجريدِ فعلِ اللهِ تعالى^(٢) .

كما حُكيَ عن بعضهم : أَنَّهُ خَطَرَ لَهُ خَاطِرُ الإِهْتِمَامِ بِالرِّزْقِ ، فَخَرَجَ إِلَى بَعْضِ الصَّحَارِي ، فَرَأَى قُبْرَةً عَمِيَاءَ عَرْجَاءَ ضَعِيفَةً^(٣) ، فَوَقَفَ مُتَعَجِّباً مِنْهَا ، مُتَفَكِّراً فِيمَا تَأْكُلُ مَعَ عَجْزِهَا عَنِ الطَّيْرَانِ وَالْمَشْيِ وَالرُّؤْيَةِ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا انشَقَّتِ الْأَرْضُ وَخَرَجَتْ سُكْرُجَتَانِ^(٤) ، فِي إِحْدَاهُمَا سَمْسِمٌ نَقِيٌّ ، وَفِي الْأُخْرَى مَاءٌ صَافٍ ، فَأَكَلَتْ مِنَ السَّمْسِمِ وَشَرِبَتْ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ انشَقَّتِ الْأَرْضُ وَغَابَتِ السُّكْرُجَتَانِ .

(١) البيت لقرِيط بن أنيف كما في « ديوان الحماسة » (٩ / ١) ، والمراد من تمثُّلِ هذا الصوفي بهذا البيت : أَنَّهُ لو كان من المستقيمي الأحوال مع الكبير المتعال . . لم يتسلَّطَ الفأرُ على قَرَضِ حُفِّهِ .

(٢) في (ب ، ج ، و ، ز) : (ويوقفه) بدل (ويوقفه) .

(٣) القُبْرَةُ : ضرب من الطيور ، والأصحُّ فيها : (القُبْرَةُ) .

(٤) سبق شرحها في (٣٥٧ / ١) .

قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ سَقَطَ عَنْ قَلْبِي الْاهْتِمَامُ بِالرُّزْقِ^(١) .

فَإِذَا أَوْقَفَ الْحَقُّ عَبْدَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ . . يُزِيلُ عَنْ بَاطِنِهِ الْاهْتِمَامَ بِالْأَقْسَامِ ، وَيَرَى الدَّخُولَ فِي التَّسَبُّبِ وَالتَّكْسُّبِ بِالسُّؤَالِ وَغَيْرِهِ رَتَبَةَ الْعَوَامِّ ، وَيَصِيرُ مَسْلُوبَ الْاِخْتِيَارِ ، غَيْرَ مُتَطَلِّعٍ إِلَى الْأَغْيَارِ ، نَازِئاً إِلَى فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى ، مُنْتَظِراً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَتُسَاقُ إِلَيْهِ الْأَقْسَامُ ، وَيُفْتَحُ عَلَيْهِ بَابُ الْإِنْعَامِ ، وَيَكُونُ بِدَوَامِ مُلَاحَظَتِهِ لِفِعْلِ اللَّهِ ، وَتَرْصُدِهِ مَا يَحْدُثُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى . . مُكَاشِفاً لَهُ تَجَلِّيَّاتٍ مِنْ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِطَرِيقِ الْأَفْعَالِ ، وَالتَّجَلِّيِّ بِطَرِيقِ الْأَفْعَالِ أَوَّلُ رَتَبَةٍ فِي الْقُرْبِ^(٢) ، وَمِنْهُ يُرْقَى إِلَى التَّجَلِّيِّ بِطَرِيقِ الصِّفَاتِ^(٣) ، وَمِنْ ذَلِكَ يُرْقَى إِلَى تَجَلِّيِّ الذَّاتِ^(٤) ، وَالْإِشَارَةُ فِي هَذِهِ التَّجَلِّيَّاتِ إِلَى رُتَبٍ فِي الْيَقِينِ ، وَمَقَامَاتٍ فِي التَّوْحِيدِ ؛ شَيْءٌ فَوْقَ شَيْءٍ ، وَشَيْءٌ أَصْفَى مِنْ شَيْءٍ .

فَالْتَجَلِّيُّ بِطَرِيقِ الْأَفْعَالِ يُحْدِثُ صَفَوَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ ، وَالتَّجَلِّيُّ بِطَرِيقِ الصِّفَاتِ يَكْسِبُ الْهَيْئَةَ وَالْأُنْسَ^(٥) ، وَالتَّجَلِّيُّ بِالذَّاتِ يَكْسِبُ الْفَنَاءَ وَالْبَقَاءَ .

(١) رَوَاهُ الْقَشِيرِيُّ فِي « رِسَالَتِهِ » (ص ١٠٥) ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٤٠٣ / ١٧) عَنْ ذِي النُّونِ الْمَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) التَّجَلِّيُّ بِطَرِيقِ الْأَفْعَالِ : هُوَ أَلَّا يَرَى فِعْلَ الْغَيْرِ ، بَلْ يَرَى الْفَاعِلَ وَاحِداً سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى . مِنْ « شَرْحِ الْمَشْكَلَاتِ » (ق / ٣١) .

(٣) التَّجَلِّيُّ بِطَرِيقِ الصِّفَاتِ : هُوَ أَلَّا يَرَى الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَغَيْرَهَا مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ ، بَلْ يَرَى مُتَصِفاً وَاحِداً لَصِفَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ؛ وَهُوَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى . مِنْ « شَرْحِ الْمَشْكَلَاتِ » (ق / ٣١) .

(٤) تَجَلِّيُّ الذَّاتِ : هُوَ أَلَّا يَرَى الذَّوَاتِ مِنْ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَغَيْرِهِمَا ، وَلَا يَرَى إِلَّا ذَاتاً وَاحِداً ؛ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى . مِنْ « شَرْحِ الْمَشْكَلَاتِ » (ق / ٣١) .

(٥) الْهَيْئَةُ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَلَالِيَّةِ ؛ كَالْقَهَّارِ وَالْمُنْتَقِمِ ، وَالْأُنْسُ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمَالِيَّةِ ؛ كَالرَّحِيمِ وَالْغَفُورِ .

وقد يُسمَّى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله تعالى . . فناء ؛ يعنون به :
فناء الإرادة والهوى ، والإرادةُ ألطفُ أقسامِ الهوى^(١) ، وهذا الفناء هو
الفناء الظاهر .

فأما الفناء الباطن - وهو محو آثار الوجود عند لَمَعَانِ نورِ الشهود - . .
يكونُ في تَجَلِّي الذاتِ ، وهو أكملُ أقسامِ اليقينِ في الدنيا .

فأما تَجَلِّي حُكْمِ الذَّاتِ : فلا يكونُ إلا في الآخرة ، وهو المقامُ الذي
حَظِيَ به رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةَ المعراج ، ومُنِعَ عنه موسى عليه
السلامُ بـ ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

فليُعلمَ : أنَّ قولنا : (في التَّجَلِّي) إشارةٌ إلى رُتَبِ الحَظِّ مِنَ اليقينِ
ورؤيةِ البصيرة ، فإذا وصلَ العبدُ إلى مبادئِ أقسامِ التَّجَلِّي - وهو مُطالعةُ
الفعلِ الإلهيِّ مُجرِّداً عن فعلِ ما سوى الله تعالى - . . يكونُ تناوله الأقسامَ
مِنَ الفُتُوحِ .

رُويَ عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ هَذَا الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ . . فَلْيَأْخُذْهُ وَلْيُوسِّعْ بِهِ فِي رِزْقِهِ ،
فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ غِنًى فَلْيَدْفَعْهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَيْهِ »^(٢) .

(١) يعني : للهوى مراتبٌ ؛ وهي : الإرادة ، والمودة ، والخُلة ، والمحبة ، والعشق ،
والطفها الإرادة التي هي مبدؤها ؛ لأنها ضعيفةٌ ما قويتْ بعدُ وما تمكَّنت ، كما رُوي أنَّ
قارناً [كان] يقرأ عند أبي بكر رضي الله عنه القرآن ، فكان شابٌّ يبكي ، فقال أبو بكر :
هكذا كنَّا في بداية أمرنا حتى قَسَّتْ قلوبُنَا ، وتمكَّنتِ المحبةُ فيها . من هامش (ج) .

(٢) رواه أحمد (٦٥ / ٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٨ / ١٩) عن سيدنا عائذ بن
عمرو رضي الله عنهما ، وانظر حديث سيدنا عمر رضي الله عنه الآتي قريباً .

وفي هذا دلالة ظاهرة : على أَنَّ العبدَ يجوزُ أن يأخذَ زيادةً على حاجتهِ
بنيةً صرفه إلى غيره ، وكيف لا يأخذه وهو يرى فعلَ الله تعالى ؟!

ثمَّ إذا أخذَ فمنهم : مَنْ يُخرِجُهُ إلى المحتاجِ ، ومنهم : مَنْ يقفُ في
الإخراجِ أيضاً حتى يردَّ عليه مِنَ الله تعالى عِلْمٌ خاصٌّ ؛ ليكونَ أخذهُ بالحقِّ
وإخراجهُ بالحقِّ .

(٥٥) - أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهرٌ ، قالَ : أخبرنا والذي الحافظُ
أبو الفضلِ المقدسيُّ ، قالَ : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ سعيدِ
الجبَّال^(١) ، قالَ : أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سعيد^(٢) ، قالَ :
أخبرنا أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ عمرو^(٣) ، قالَ : أخبرنا يونسُ بنُ عبدِ
الأعلى ، قالَ : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قالَ : أخبرنا عمرو بنُ الحارثِ ، عنِ
ابنِ شهابٍ ، عنِ السائبِ بنِ يزيدَ ، عنِ حوَيْطِبِ بنِ عبدِ العزَّى ، عنِ
عبدِ الله بنِ السَّعْدِيِّ^(٤) ، عنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنه

(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (بن إبراهيم) بدل (إبراهيم) ، والصواب المثبت ،
والجبَّال : هو الإمام الحافظ المتقن الصالح أبو إسحاق النُّعماني المصري الكتبي الفراء
(ت ٤٨٢ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨ - ٤٩٥ - ٥٠١) .

(٢) في هامش (د) : (أبو محمد) بدل (محمد) ، وفي « صفوة التصوف » :
(أبو محمد عبد الرحمن) .

(٣) هو الإمام المُحدِّث الصدوق المُعَمَّر أبو طاهر المَدِينِي المصري الخامي (ت ٣٤١ هـ) ،
وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٥ / ٤٣٠ - ٤٣١) .

(٤) في (د) : (عبيد الله) بدل (عبد الله) ، والصواب المثبت ، وابن السعدي : هو
سيدنا أبو محمد عبد الله بن عمرو بن السعدي وَقْدَان بن عبد شمس القرشي العامري
رضيَ اللهُ عنه (ت ٥٧ هـ) ، والحديث من رواية الصحابي عن الصحابي ، وانظر
« تهذيب الكمال » (١٥ / ٢٤ - ٢٥) .

قال^(١) : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ ، فَأَقُولُ :
أَعْطِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « خُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ ، وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ
مُتَشَرِّفٍ وَلَا سَائِلٍ . . فَخُذْهُ ، وَمَا لَا فَلَا تُبْعِثْهُ نَفْسَكَ » ، قَالَ سَالِمٌ : فَمِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عَمْرٍ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا ، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَ^(٢) .

دَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَصْحَابَ بِأَوْامِرِهِ إِلَى رُؤْيَا فِعْلٍ اللَّهِ
تَعَالَى ، وَالْخُرُوجِ مِنْ تَدْبِيرِ النَّفْسِ إِلَى حُسْنِ تَدْبِيرِ اللَّهِ تَعَالَى .

سُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عِلْمِ الْحَالِ ، فَقَالَ : هُوَ
تَرْكُ التَّدْبِيرِ ، وَلَوْ كَانَ هَذَا فِي وَاحِدٍ لَكَانَ مِنْ أَوْتَادِ الْأَرْضِ^(٣) .

وَرَوَى زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ
جَاءَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا إِشْرَافٍ نَفْسٍ . . فَلْيَقْبَلْهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ
رِزْقُ سَاقِهِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ »^(٤) .

وهذا العبدُ الواقفُ مع فعلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَبُولِ مَا سَاقَ الْحَقُّ إِلَيْهِ . آمِنْ

(١) كما رواه سالم عن أبيه ابن عمر عنه رضي الله عنهم . انظر « صفوة التصوف »
(٢٧٦) .

(٢) صفوة التصوف (٢٧٦) ، ورواه البخاري (١٤٧٣) دون قول سالم ، ومسلم
(١١١ / ١٠٤٥) .

(٣) انظر « تفسير التستري » (ص ٦٦) .

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٣٠٩) ، وابن حبان والطبراني
وابن عساكر كما في « كنز العمال » (١٦٥٦٠) ، ورواه أحمد (٢٢٠ / ٢٢١) ،
وابن حبان (٣٤٠٤) ، والحاكم (٦٢ / ٢) عن سيدنا خالد بن عدي الجهني رضي الله
عنه .

ما يُخشى على مَنْ يَرُدُّ ؛ لأنَّ مَنْ رَدَّ لا يَأْمَنُ مِنْ دخولِ النَّفْسِ عليه أنْ يُرى بعينِ الزَّهْدِ ؛ ففي أَخْذِهِ إسْقَاطُ نَظَرِ الْخَلْقِ تحَقُّقاً بالصدِّقِ والإخلاصِ^(١) ، وفي إخراجِهِ إلى الغيرِ إثباتُ حَقِيقَةِ الزَّهْدِ^(٢) ، فلا يزالُ في كلا الحالينِ زاهداً يراه الغيرُ بعينِ الرَّغْبَةِ ؛ لِقِلَّةِ العِلْمِ بحالِهِ ، وفي هذا المقامِ يتحقَّقُ الزَّهْدُ في الزَّهْدِ .

وَمِنْ أَهْلِ الْفُتُوحِ مَنْ يَعْلَمُ دخولَ الْفُتُوحِ عليه ، ومنهُم : مَنْ لا يَعْلَمُ دخولَ الْفُتُوحِ عليه .

فمنهُم : مَنْ لا يتناولُ مِنَ الْفُتُوحِ إلا إذا تَقَدَّمَ عِلْمٌ بتعريفِ مَنْ اللهُ تعالى إِيَّاهُ ، ومنهُم : مَنْ يأخذُ غيرَ مُتَطَلِّعٍ إلى تَقَدُّمِ الْعِلْمِ حيثُ تجرَّدَ لَهُ الفعلُ .

وَمَنْ لا ينتظرُ تَقَدُّمَ الْعِلْمِ فوقَ مَنْ ينتظرُ تَقَدُّمَ الْعِلْمِ ؛ لتمامِ صِحَّتِهِ معَ اللهِ تعالى وانسلاخِهِ مِنْ إِرَادَتِهِ^(٣) ، وَعِلْمِ حالِهِ في تركِ الاختيارِ .

ومنهُم : مَنْ يدخلُ الْفُتُوحَ عليه لا بتَقَدُّمِ الْعِلْمِ ولا برؤيةِ تجرُّدِ الفعلِ مِنْ اللهِ سبحانه وتعالى ، ولكن يُرزقُ شَرْباً مِنَ الْمَحَبَّةِ بطريقِ رؤيةِ النعمةِ ، وقد يتكدَّرُ شَرْبُ هذا بتغيُّرِ معهودِ النعمةِ ، وهذا حالٌ ضعيفٌ بالإضافةِ إلى الحالينِ الأوَّلينِ ؛ لأنَّهُ علَّةٌ في المحبَّةِ ووليجةٌ في الصدِّقِ عندَ الصَّدِّيقينِ .

وقد ينتظرُ صاحبُ الْفُتُوحِ الْعِلْمَ في الإخراجِ أيضاً كما انتظرَ في الأخذِ ؛

(١) قوله : (إسقاطُ نَظَرِ الْخَلْقِ) يعني : هو في قبول ما بَعَثَ اللهُ إليه من الفتوح حتى تَرَكَ اختيارَهُ في العطاء والمنع والقبول والردُّ . كان مع اختيار الحقِّ آمناً من فتنة الردِّ ودخولِ الآفةِ فيه ؛ لأنَّ مَنْ يَرُدُّ ربَّما تطيب نفسه بالردِّ لنظر الخلقِ إليه بعينِ الزَّهْدِ . من هامش (ج) .

(٢) لأنَّ الصَّرْفَ دليلُ عدمِ الرغبةِ . من هامش (ح) .

(٣) في (د) : (صحبته) بدل (صحته) .

لأنَّ النَّفْسَ تَظْهَرُ فِي الْإِخْرَاجِ كَمَا تَظْهَرُ فِي الْأَخْذِ .

وَأَنْتُمْ مِنْ هَذَا : مَنْ يَكُونُ فِي إِخْرَاجِهِ مُخْتَاراً ، وَفِي أَخْذِهِ مُخْتَاراً ، بَعْدَ تَحَقُّقِهِ بِصَحَّةِ التَّصَرُّفِ ؛ فَإِنَّ انْتِظَارَ الْعِلْمِ إِنَّمَا كَانَ لِمَوْضِعِ اتِّهَامِ النَّفْسِ بِبَقِيَّةِ هَوًى مُوجُودٍ ، فَإِذَا زَالَ الْإِتِّهَامُ بِوُجُودِ صَرِيحِ الْعِلْمِ . . يأخذُ غَيْرَ مُحْتَاجٍ إِلَى عِلْمٍ مُتَجَدِّدٍ ، وَيُخْرِجُ كَذَلِكَ ، وَهَذِهِ حَالٌ مَنْ تَحَقَّقَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاكِياً عَنْ رَبِّهِ : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ؛ بِي يَسْمَعُ ، وَبِي يُبْصِرُ ، وَبِي يَنْطِقُ . . . » الْحَدِيثُ (١) .

فَلَمَّا صَحَّ تَعَرُّفُهُ صَحَّ تَصَرُّفُهُ ، وَهَذَا أَعَزُّ فِي الْأَحْوَالِ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ (٢) .

وَكَانَ شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورُ دُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ يُحْكِي عَنِ الشَّيْخِ حَمَّادِ الدَّبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ (٣) : (أَنَا لَا آكُلُ إِلَّا مِنْ طَعَامِ

(١) سبق تخريجه في (٣٢١ / ١) .

(٢) أي : الذي يُضْرَبُ عَلَى النِّحَاسِ فَيَصِيرُ ذَهَباً ؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَالَ يَجْعَلُ حَرَكَاتِ الْعَبْدِ وَسُكُنَاتِهِ الَّتِي كَانَتْ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ . . مِنْ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَلِلَّهِ ، وَكَذَا يَجْعَلُ الْفَانِيَّ الْمَوْصُوفَ بِالْصِّفَاتِ الْفَانِيَةِ بَاقِياً مُتَّصِفاً بِصِّفَاتِ الْحَقِّ الْبَاقِيَةِ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(٣) حَمَّادُ الدَّبَّاسِ : هُوَ الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ الْعَارِفُ الْمُرَبِّيُّ صَاحِبُ الْكِرَامَاتِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حَمَّادُ بْنُ مُسْلِمَ بْنِ دَعْدُو الدَّبَّاسِ الرَّحْبِيُّ (ت ٥٢٥ هـ) ، وَهُوَ شَيْخُ الْإِمَامِ الْعَارِفِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقُدِّسَ سِرُّهُ ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى ثَلْبِ ابْنِ الْجَوَازِيِّ لَهُ ؛ فَقَدْ فَنَدَهُ سِبْطُهُ فِي « مَرَاةِ الزَّمَانِ » (٢٣٦ / ٢٠) ، وَرَدَّهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي « الْكَامِلِ » (٣١ / ٩) ؛ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (وَرَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْفَرَجِ بْنَ الْجَوَازِيِّ قَدْ ذَمَّهُ وَثَلْبَهُ ، وَلِهَذَا الشَّيْخُ أَسْوَأُ بَغِيرِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ ؛ فَإِنَّ ابْنَ الْجَوَازِيِّ قَدْ صَنَّفَ كِتَاباً سَمَّاهُ « تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ » لَمْ يُبْقِ فِيهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ سَادَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَصَالِحِيهِمْ) ، وَانْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٥٩٤ / ١٩) .

الفضل^(١) ، فكان يرى الشخص في المنام أن أحمل إليه شيئاً ، وقد كان يُعَيِّن للرائي في المنام أن أحمل إلى حمّاد كذا وكذا .

وقيل : إنه بقي زماناً يرى هو في واقعه أو منامه أنك أحلت على فلان بكذا وكذا^(٢) .

وحكي عنه أنه كان يقول : (كلُّ جسمٍ تربى بطعام الفضل . . لا يتسلط عليه البلى) ؛ ويعني بطعام الفضل : ما يشهد له صحّة الحال من فتوح الحق سبحانه وتعالى ، ومن كانت هذه حالته فهو غني بالله .

قال الواسطي رحمه الله عليه : (الافتقار إلى الله تعالى أعلى درجة المرّدين ، والاستغناء بالله أعلى درجة الصادقين) .

وقال أبو سعيد الخزاز : (العارف فني تديره في تدبير الحق)^(٣) .

فالواقف مع الفتوح واقف مع الله تعالى ، ناظر إلى الله تعالى .

وأحسن ما حكي في هذا^(٤) : أن بعضهم رأى النوري يمد يده ويسأل الناس ، قال : فاستعظمت ذلك واستقبحته له ، فأتيت الجنيد فأخبرته ، فقال لي : لا يعظم هذا عليك ؛ فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم ،

(١) سيأتي المراد من (طعام الفضل) قريباً في كلام المؤلف .

(٢) انظر « المنتظم » لابن الجوزي (٢٦٦ / ١٧) ، والواقعة : ما كانت بين النوم واليقظة أو في اليقظة ؛ أي : عند زوال الخيال ، والمنام معلوم . من هامش (ح) .

(٣) يعني : العارف يُدبّر ويراعي الصورة ويتصرّف بالأسباب ، ولكن تديره وتصرفه يكون بالحق لا بنفسه ، فيتلاشى أسبابه في عين الأسباب ؛ لأن ذلك من تقدير الحق واختياره له ، كما ذكر من قبل أن رياء العارفين الذي هو [من] قسم التدبير . أفضل من إخلاص المرّدين الذي هو من قسم الأحوال . من هامش (ج) .

(٤) أي : في طعام الفضل . من هامش (ح) .

سَأَلَهُمْ لَيَقِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ^(١) ، فَيُؤْجَرُونَ مِنْ حَيْثُ لَا يَضُرُّهُ^(٢) .

وَقَوْلُ الْجُنَيْدِ : (لِيُعْطِيَهُمْ) كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ : (الْيَدُ الْعُلْيَا يَدُ الْآخِذِ ؛
لَأَنَّهُ يُعْطَى الثَّوَابَ) .

قَالَ : ثُمَّ قَالَ الْجُنَيْدُ : هَاتِ الْمِيزَانَ ، فَوَزَنَ مِئَةَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً
فَأَلْقَاهَا عَلَى الْمِئَةِ ، ثُمَّ قَالَ : أَحْمِلْهَا إِلَيَّ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّمَا يُوزَنُ
الشَّيْءُ لِيُعْرَفَ مِقْدَارُهُ ، فَكَيْفَ خَلَطَ الْمَجْهُولَ بِالْمُوزُونِ وَهُوَ رَجُلٌ حَكِيمٌ ؟
وَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ .

فَذَهَبْتُ بِالصُّرَّةِ إِلَى الثُّورِيِّ ، فَقَالَ : هَاتِ الْمِيزَانَ ، فَوَزَنَ مِئَةَ دِرْهَمٍ
وَقَالَ : رُدَّهَا عَلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : أَنَا لَا أَقْبَلُ مِنْكَ شَيْئًا ، وَأَخَذَ مَا زَادَ عَلَى الْمِئَةِ .

قَالَ : فَزَادَ تَعْجُبِي ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : الْجُنَيْدُ رَجُلٌ حَكِيمٌ ،
يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَ الْحَبْلَ بِطَرَفَيْهِ ؛ وَزَنَ الْمِئَةَ لِنَفْسِهِ طَلَبًا لِلثَّوَابِ ، وَطَرَحَ عَلَيْهَا
قَبْضَةً بِلَا وَزَنِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَأَخَذْتُ مَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى وَرَدَدْتُ مَا جَعَلَهُ لِنَفْسِهِ .
قَالَ : فَرَدَدْتُهَا عَلَى الْجُنَيْدِ ، فَبَكَى وَقَالَ : أَخَذَ مَا لَهُ ، وَرَدَّ مَا لَنَا^(٣) .

وَمِنْ لَطَائِفِ مَا سَمِعْتُ مِنْ أَصْحَابِ شَيْخِنَا رَحِمَهُ اللَّهُ : أَنَّهُ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ
لِأَصْحَابِهِ : نَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَعْلُومِ ، فَارْجِعُوا إِلَى خَلَوَاتِكُمْ

(١) فِي (د) : (لِيَقِيَهُمْ) بَدَل (لِيَقِيَهُمْ) ، فِي (و) : (لِيَقِينَهُمْ) ، فِي « الْقُوت »
و « الْإِحْيَاء » : (لِيَشِيَهُمْ) .

(٢) فِي نَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِش (أ) : (فَيُؤْجَرُ) بَدَل (فَيُؤْجَرُونَ) .

(٣) أَوْرَدَ هَذِهِ الْقِصَّةَ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّي فِي « الْقُوت » (٣ / ١٥١٤) ، وَالْغَزَالِي فِي
« الْإِحْيَاء » (٨ / ٩٥-٩٦) ، وَقَوْلُهُ : (مَا لَهُ ، مَا لَنَا) يَجُوزُ أَنْ يُضْبَطَ (مَا لَهُ ، مَا لَنَا)
كَمَا فِي « الْإِحْيَاء » ، إِلَّا أَنَّ الْمُثْبِتَ أَنْسَبُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

واسألوا الله تعالى ، وما يفتحُ الله تعالى عليكم ائتوني به ، ففعلوا ، ثم جاءه من بينهم شخصٌ يُعرفُ بإسماعيلَ البطّائحي ومعه كاعْدٌ عليه ثلاثون دائرة ، وقال : هذا الذي فَتَحَ اللهُ لي في واقعتي ، فأخذَ الشيخُ الكاعْدَ ، فلم يكن إلا ساعةً فإذا بشخصٍ دَخَلَ ومعه ذهبٌ ، فَقَدَّمَهُ بينَ يَدَيِ الشيخِ ، فَفَتَحَ القِرْطاسَ فإذا هو ثلاثون صحيحاً ، فَتَرَكَ الشيخُ كلَّ صحيحٍ على دائرة ، وقال : هذا فتوحُ الشيخِ إسماعيلَ ، أو كلاماً هذا معناه .

وسمعتُ أَنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ الجيليَّ رحمهُ الله بَعَثَ إلى شخصٍ وقال : لفلانٍ عندك طعامٌ وذهبٌ ، ائْتِنِي مِنْ ذَلِكَ بكذا ذهباً وكذا طعاماً ، فقال الرجلُ : كيفَ أَتَصَرَّفُ في وديعةٍ عندي ولوِ اسْتَفْتَيْتُكَ في هذا ما أَفْتَيْتَنِي في التصرُّفِ ؟! فَالْزَمَهُ الشيخُ بذلك ، فَأَحْسَنَ الظَّنَّ بالشيخِ وجاءَ إليه بالذي طَلَبَهُ .

فلَمَّا وَقَعَ التصرُّفُ منه جاءهُ مكتوبٌ مِنْ صاحبِ الوديعةِ وهو غائبٌ في بعضِ نواحي العراقِ : أَنْ اَحْمِلْ إلى الشيخِ عبدِ القادرِ القَدَرِ ، وهو القَدَرُ الذي عَيَّنَهُ الشيخُ عبدُ القادرِ ، فعاتبَهُ الشيخُ بعدَ ذلكَ على تَوَقُّفِهِ وقال : ظننتَ بالفقراءِ أَنَّ إشاراتهم تكونُ على غيرِ صَحَّةٍ وعلمٍ ؟!

فالعبدُ إذا صَحَّ معَ اللهِ تعالى ، وَأَفْنَى هواهُ مُتَطَلِّباً رضاَ اللهِ تعالى . . يرفعُ اللهُ تعالى عن باطنِهِ همومَ الدنيا ، ويجعلُ الغنى في قلبِهِ ، ويفتَحُ عليه أبوابَ الرِّفْقِ .

وكلُّ الهمومِ المُتَسَلِّطَةِ على بعضِ الفقراءِ . . لكونِ قلوبِهِم ما استكملتِ الشُّغْلَ باللهِ والاهتمامَ برعايةِ حقائقِ العُبوديَّةِ ، فعلى قَدَرِ ما خَلَتْ مِنْ هَمِّ اللهِ

تعالى ابتليت بهم الدنيا ، ولو امتلأت من هم الله تعالى ما عذبت بهموم الدنيا ، ووفقت وأرقت^(١) .

رُوي أنَّ عونَ بنَ عبدِ اللهِ المَسْعُودِيَّ كانَ لَهُ ثلاثُ مئةٍ وستونَ صديقاً ، وكانَ يكونُ عندَ كلِّ واحدٍ يوماً^(٢) ، وآخرُ كانَ لَهُ ثلاثونَ صديقاً ، فكانَ عندَ كلِّ واحدٍ يوماً^(٣) ، وآخرُ كانَ لَهُ سبعةُ إخوانٍ ، فكانَ كلُّ يومٍ مِنَ الأسبوعِ عندَ واحدٍ ، فكانَ إخوانُهُم معلومُهُم^(٤) ، والمعلومُ إذا أقامَهُ الحقُّ للنَظرِ إلى اللهِ تعالى الكاملِ توحيدُهُ . . يكونُ نعمةً هنيئةً .

جاءَ رجلٌ إلى الشيخِ أبي السُّعودِ رحمَهُ اللهُ^(٥) - وكانَ مِنْ أربابِ الأحوالِ السَّنيَّةِ ، والواقفينَ في الأشياءِ معَ فعلِ اللهِ تعالى ، مُتمكِّناً في حالِهِ ، تاركاً لاختيارِهِ ، لعلَّهُ سَبَقَ كثيراً مِنَ المُتقدِّمينَ في تحقيقِ تَرْكِ الاختيارِ ، رأينا مِنْهُ وشاهدنا أحوالاً صحيحةً عن قُوَّةٍ وتمكينٍ - فقالَ لَهُ الرجلُ : أريدُ أنْ أُعَيِّنَ

(١) في (ب) : (وقفعت) بدل (ووفقت) .

(٢) أي : على مدار السنة .

(٣) أي : على مدار الشهر .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٤٥٧ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٤١ / ٣) ، وقال أبو طالب رحمه الله تعالى : (ولم يكن هؤلاء يتكسبون ولا يذخرون ، وكانت لإخوانهم فيهم نيَّةٌ صالحةٌ ، يسألونهم ذلكَ ويقسمون عليهم فيه ، ويرونه من أفضل أعمالهم ، وكان هؤلاء الأضيافُ يُكرِّمون إخوانهم بإجابتهم وكونهم عندهم ، ومنهم مَنْ كان منقطعاً في منزل أخيه قد أفردَه بمكانٍ يقوم بكفائته ، ولا يبرحُ في منزله على الدوام ، يحكم فيه ويتحكَّم كما يكون في منزل نفسه) .

(٥) أبو السَّعود : هو الإمام العارف أبو السَّعود بن شبل البغدادي أجلُّ أتباع الإمام العارف المُربِّي سيِّدي عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى . انظر « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » (٢٠٨ / ٢ - ٢١٠) .

شيئاً كلَّ يومٍ مِنَ الخبزِ أحملهُ إليك ، ولكِنِّي قلتُ : الصُّوفِيَّةُ يقولونَ :
المعلومُ سُؤْمٌ ، قالَ الشيخُ : نحنُ ما نقولُ : المعلومُ سُؤْمٌ ؛ فإنَّ الحقَّ
تعالى يُصَفِّي لنا ، وفِعْلُهُ نرى ، فكلُّ ما يُقِيمُ لنا نراه مُباركاً ولا نراه
سُؤْماً^(١) .

(٥٦) - أخبرنا أبو زُرْعَةَ طاهرٌ إجازةً ، قالَ : أخبرنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ
خَلَفِ الشَّيرازيِّ إجازةً ، قالَ : أخبرنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَميُّ ، قالَ :
سمعتُ أبا بكرٍ بنَ شاذانَ قالَ : سمعتُ أبا بكرٍ الكَتَّانيَّ قالَ : (كنتُ أنا
وعمرُّو المَكِّيُّ وعيَّاشُ بنُ المَهديِّ نصطحبُ ثلاثينَ سنةً ، نُصَلِّي الغَدَاةَ على
طُهرِ العصرِ ، وكُنَّا قُعوداً بِمَكَّةَ على التجريدِ ، ما لنا على الأرضِ ما يُساوي
فَلَساً ، وربَّما كانَ يُصَيِّبُنَا الجوعُ يوماً ويومينِ وثلاثةً وأربعةً وخمسةً ولا نسألُ
أحدًا ، فإنَّ ظَهَرَ لنا شيءٌ عَرَفْنَا وجهَهُ مِنْ غيرِ سؤالٍ ولا تعريضٍ . . قَلْبُنَا
وأَكَلْنَاهُ ، وإِلَّا طَوَيْنَا ، فإذا اشتدَّ بنا الأمرُ وخِفْنَا على أنفُسِنَا النُّقْصانَ في
الفرائضِ . . قَصَدْنَا أبا سعيدٍ الخَرَّازَ ، فیتَّخِذُ لنا ألواناً مِنَ الطعامِ ، ولا نَقْصِدُ
غيرَهُ ، ولا نَنبِسُطُ إِلَّا إِلَيْهِ ؛ لِمَا نَعْرِفُ مِنْ تَقْواهُ وورعِهِ) .

وقيلَ لأبي يزيدَ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نراكَ تشتغلُ بكسبٍ ، فمنَ أينَ
معاشُكَ ؟ فقالَ : مَوْلَايَ يَزِرُقُ الكلبَ والخنزيرَ ، تراه لا يَرزُقُ أبا
يزيدَ ؟ !^(٢) .

(١) في (د) : (يقسم) بدل (يقيم) .

(٢) رواه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (٤٠٢ / ٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »
(١٢ / ٦٦) عن أبي أسيد الفزاري رحمه الله تعالى .

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ مُظَفَّرًا الْقَرْمِيسِيَّ يَقُولُ : (الْفَقِيرُ : الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ)^(١) .

وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَا الْفَقْرُ ؟ قَالَ : وَقُوفُ الْحَاجَةِ عَلَى الْقَلْبِ ، وَمَخُوهَا مِنْ كُلِّ أَحَدٍ سِوَى الرَّبِّ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (أَخْذُ الْفَقِيرِ الصَّدَقَةَ مِمَّنْ يُعْطِيهِ ، لَا مِمَّنْ تَصِلُ إِلَيْهِ عَلَى يَدِهِ ، وَمَنْ قَبْلَ مِنَ الْوَسَائِطِ فَهُوَ الْمُتَرَسِّمُ بِالْفَقْرِ مَعَ دَنَاءَةِ هِمَّتِهِ)^(٢) .

(٥٧) - أَنبَأَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَصَامُ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورِ الصَّفَّارِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ خَلْفِ الشِّيرَازِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَنَّ أَبَا سَلِيمَانَ الدَّارَانِيَّ كَانَ يَقُولُ : (آخِرُ أَقْدَامِ الزَّاهِدِينَ أَوَّلُ أَقْدَامِ الْمُتَوَكِّلِينَ)^(٣) .

رُوي أَنَّ بَعْضَ الْعَارِفِينَ زَهَدٌ^(٤) ، فَبَلَغَ مِنْ زُهْدِهِ أَنْ فَارَقَ النَّاسَ وَخَرَجَ

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٧٩) ، وقال الأستاذ القشيري مُعَقَّباً : (وهذا اللفظ فيه أدنى غموضٍ لِمَنْ سَمِعَهُ عَلَى وَصْفِ الْغَفْلَةِ عَنْ مَرْمَى الْقَوْمِ ، وَإِنَّمَا أَشَارَ قَائِلُهُ : إِلَى سَقُوطِ الْمَطَالِبَاتِ ، وَانْتِفَاءِ الْإِخْتِيَارِ ، وَالرِّضَا بِمَا يُجْرِي الْحَقُّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ، وَسَبَقَ قَوْلُ الْقَرْمِيسِيِّ فِي (٢٤٧ / ١) .

(٢) أوردته السلمي في « تفسيره » (٢٧٩ / ١) .

(٣) طبقات الصوفية (ص ٨٠) ، وقال في « شرح المشكلات » (ق / ٣١) : (فيكون مقام التوكل أعلى من مقام الزهد بمراتب) .

(٤) يحتمل أن يكون المراد من العارف : أَنَّهُ رَجَعَ مِنْ مَقَامِهِ وَعَادَ إِلَى مَقَامِ الزَّهْدِ ، وَيَحْتَمَلُ =

مِنَ الْأَمْصَارِ وَقَالَ : لَا أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَنِي رِزْقِي ، فَأَخَذَ يَسِيحُ ،
فَأَقَامَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ سَبْعًا لَمْ يَأْتِهِ شَيْءٌ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَلَفَ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ؛
إِنْ أَحْيَيْتَنِي فَأَتِنِي بِرِزْقِي الَّذِي قَسَمْتَ لِي ، وَإِلَّا فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ ، فَأَلْهَمَهُ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي قَلْبِهِ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ لَا أَرْزُقُكَ حَتَّى تَدْخَلَ الْأَمْصَارَ
وَتُقِيمَ بَيْنَ النَّاسِ .

فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ وَأَقَامَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاسِ ، فَجَاءَهُ هَذَا بِطْعَامٍ ، وَهَذَا
بِشْرَابٍ ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَمِعَ هَاتِفًا : أَرَدْتَ
أَنْ تُبْطِلَ حِكْمَتَهُ بَزْهَدِكَ فِي الدُّنْيَا ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَا يَرْزُقُ الْعِبَادَ بِأَيْدِي الْعِبَادِ
أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْزُقَهُمْ بِأَيْدِي الْقُدْرَةِ^(١) .

فَالَوَاقِفُ مَعَ الْفُتُوحِ اسْتَوَى عِنْدَهُ أَيْدِي الْآدَمِيِّينَ وَأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ ،
وَاسْتَوَى عِنْدَهُ الْقُدْرَةُ وَالْحِكْمَةُ^(٢) ، وَطَلَبُ الْقِفَارِ ، وَالتَّوَصُّلُ إِلَى قَطْعِ
الْأَسْبَابِ . . لِلارْتِهَانِ بِرُؤْيَا الْأَسْبَابِ ، وَإِذَا صَحَّ التَّوْحِيدُ تَلَاشَتْ الْأَسْبَابُ
فِي عَيْنِ الْأَسْبَابِ^(٣) .

= أن يكون المراد : أنه كان في مقام الزهد الذي هو طريقٌ وواسطة لمعرفة حكمة الحق
سبحانه في سعي العبد وكسبه ، ثم جاءه الجذبة من عالم القدرة قبل تمام مقام الزهد ،
فعرّف بقدر زهده حكمة الكسب ، فاقتضت المعرفة أن يرجع بعد الجذبة إلى السلوك وإتمام
مقام الزهد لاستكمال حصول معرفة الحكمة ، كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى - كما سيأتي
في القصة - : (تريد أن تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا) . من هامش (ج) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٥٠٢-١٥٠٣) ، والغزالي في « الإحياء »
(٨ / ٢٧٠-٢٧١) .

(٢) القدرة : الرزق بلا واسطة ، والحكمة : الرزق بواسطة . من هامش (ج) .

(٣) في نسخة على هامش (د) : (في رؤية مسبب الأسباب) بدل (في عين الأسباب) ، =

(٥٨) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ عَمْرٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ خَلْفٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا [عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ] مُحَمَّدٍ بْنِ [مُحَمَّدٍ] بْنِ حَمْدَانَ الْعُكْبَرِيُّ بِهَا^(١) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْبُسْرِيِّ يَقُولُ^(٢) : سَمِعْتُ مُحَمَّدًا الْإِسْكَافِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ يَقُولُ : (مَنْ اسْتَفْتَحَ بَابَ الْمَعَاشِ بِغَيْرِ مَفَاتِيحِ الْأَقْدَارِ . . وَكَلَّ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ)^(٣) .

قَالَ بَعْضُ الْمُنْقَطِعِينَ : كُنْتُ ذَا صَنْعَةٍ جَلِيلَةٍ ، فَأُرِيدَ مِنِّي تَرْكُهَا ، فَحَاكَ فِي صَدْرِي : مِنْ أَيْنَ الْمَعَاشُ ؟ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ لَا أَرَاهُ^(٤) : تَنْقَطِعُ إِلَيَّ وَتَتَّهَمُنِي فِي رِزْقِكَ ؟ ! عَلَيَّ أَنْ أُخْدِمَكَ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِي ، أَوْ أُسَخَّرَ لَكَ عَدُوًّا مُنَافِقًا مِنْ أَعْدَائِي^(٥) .

فَلَمَّا صَحَّ حَالُ الصُّوفِيِّ ، وَانْقَطَعَتْ أَطْمَاعُهُ ، وَسَكُنَتْ عَنْ كُلِّ تَشْرِيفٍ وَتَطَلُّعٍ^(٦) . . خَدَمَتْهُ الدُّنْيَا ، وَصَلَحَتْ لَهُ الدُّنْيَا خَادِمَةً ، وَمَا رَضِيَهَا مَخْدُومَةً .

= وفي (و) : (في غير الأسباب) .

(١) في النسخ : (محمد بن أحمد بن حمدان) بدل (عبيد الله . . . حمدان) ، والتصويب من « طبقات الصوفية » ، وابن حمدان : هو الإمام الفقيه المحدث أبو عبد الله ابن بطّة الحنبلي صاحب « الإبانة الكبرى » (ت ٣٨٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٢٩/١٦) .

(٢) كذا في غالب النسخ ، وفي بعضها : (اليسري) ، وجاء اسمه في « طبقات الصوفية » : (أحمد بن محمد السري) .

(٣) طبقات الصوفية (ص ١٠٩) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٦٣/١٠) .

(٤) في (و ، ي) : (لا أراك) ، فيكون من ضمن المهتوف به .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٠٣/٣) .

(٦) في (أ) ونسخة على هامش (د) : (وسكنت نفسه) .

فصاحبُ الفتوح يرى حركة النفس بالتشرفِ جنايةً وذنباً .

رُوي أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنه خَرَجَ ذاتَ يومٍ إلى شارعِ بابِ الشامِ ، فاشترى دقيقاً ، ولم يكن في ذلك الموضع من يحمِلُهُ ، فوافى أيُّوبَ الحَمَّالَ رحمه اللهُ عليه ، فحمَلَهُ ودَفَعَ إليه أحمدُ أُجْرَتَهُ ، فلمَّا دَخَلَ الدارَ بعدَ إِذْنِهِ لَهُ . . اتَّفَقَ أَنَّ أَهْلَ الدارِ قد خَبَرُوا ما كانَ عِندَهُم مِنَ الدقيقِ ، وتركوا الخبزَ على السريرِ يَنْشَفُ ، فرآه أيُّوبُ وكانَ يصومُ الدهرَ ، فقالَ أحمدُ لابنِهِ صالحٍ : ادْفَعْ إلى أيُّوبَ مِنَ الخبزِ ، فدَفَعَ إليه رَغِيفَيْنِ ، فردَّهُمَا ، قالَ أحمدُ : ضَعُوهما ، ثُمَّ صَبَرَ قليلاً ، ثُمَّ قالَ : خُذُوهما فالحقُّ بهما ، فَلَاحِقَهُ فَأَخَذَهُمَا .

فرجعَ صالحٌ مُتَعَجِّباً ، فقالَ لَهُ أحمدُ : عَجِبْتَ مِنْ رَدِّهِ وَأَخَذِهِ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : هَذَا رَجُلٌ صالحٌ ، فرأى الخبزَ الحارَّ ، فاستشرفتْ نَفْسُهُ إليه ، فلمَّا أُعْطِيَنَاهُ مَعَ الاستشرافِ رَدَّهُ ، ثُمَّ أَيْسَ ، فردَّدَنَاهُ إليه بعدَ الإياسِ فَقَبِلَ (١) .

هَذَا حَالُ أَرْبابِ الصَّدَقِ ؛ إِنْ سَأَلُوا سَأَلُوا بِعِلْمٍ ، وَإِنْ أَمْسَكُوا عَنِ السُّؤَالِ أَمْسَكُوا بِحَالٍ ، وَإِنْ قَبِلُوا قَبِلُوا بِعِلْمٍ ، فَمَنْ لَمْ يُزِرَقْ حَالُ الْفُتُوحِ . . فلهُ حَالُ السُّؤَالِ وَالْكَسْبِ بِشَرَطِ الْعِلْمِ ، فَأَمَّا السَّائِلُ مُسْتَكْثِراً فَوْقَ الْحَاجَةِ وَلَا فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ . . فَلَيْسَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ بِشَيْءٍ .

سَمِعَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَائِلاً يَسْأَلُ ، فَقَالَ لِمَنْ عِنْدَهُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ :

(١) أورد هذه القصة بنحوها مختصرة أبو طالب المكي في « القوت » (٩٠٦/٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢٧٩/٨) .

عَشْرُ السَّائِلِ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَشَّيْتُهُ ، فَنَظَرَ عَمْرُ فَإِذَا تَحْتَ إِبْطِهِ مِخْلَافَةٌ مَمْلُوءَةٌ خُبْزًا ، فَقَالَ^(١) : لَسْتُ بِسَائِلٍ ، وَلَكِنَّكَ تَاجِرٌ !! ثُمَّ نَشَرَ مِخْلَاتَهُ بَيْنَ يَدَيْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ^(٢) ، وَضَرَبَهُ بِالذَّرَّةِ^(٣) .

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِهِ مَثُوبَاتٍ فَقِيرٍ ، وَعُقُوبَاتٍ فَقِيرٍ .

فَمِنْ عَلَامَةِ الْفَقْرِ إِذَا كَانَ مَثُوبَةً : أَنْ يَحْسُنَ خُلُقُهُ ، وَيُطِيعَ رَبَّهُ ، وَلَا يَشْكُوَ حَالَهُ ، وَيَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى فَقْرِهِ .

وَمِنْ عَلَامَةِ الْفَقْرِ إِذَا كَانَ عَقُوبَةً : أَنْ يَسُوءَ خُلُقُهُ ، وَيَعْصِيَ رَبَّهُ ، وَيُكْثِرَ الشَّكَايَةَ ، وَيَتَسَخَّطَ لِلْقَضَاءِ)^(٤) .

فَحَالُ الصُّوفِيِّ حُسْنُ الْأَدَبِ فِي السُّؤَالِ وَالْفُتُوحِ ، وَالصَّدَقُ مَعَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ كَيْفَ تَقَلَّبَ^(٥) .



(١) فِي (ي) : (فَقَالَ عُمَرُ : أَلَيْكَ عِيَالٌ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ) .

(٢) فِي (أ ، و) : (أَهْلُ الصَّدَقَةِ) ، وَفِي (هـ) : (أَهْلُ الصُّفَّةِ) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوت » (٣ / ١٤٩٥ - ١٤٩٦) ، وَالْغَزَالِي فِي « الْإِحْيَاء » (٧٩ / ٨) .

(٤) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوت » (٣ / ١٤٩٦) .

(٥) فِي هَامِش (ب) : (بَلِغْ مُقَابِلَةً) ، وَفِيهِ : (بَلِغْ لِلْجَمَاعَةِ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ) ، وَفِيهِ : (بَلِغْ عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ ، كَاتِبَهُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ دَاوُدَ الْمَقْدِسِيِّ) .

الباب الحادي والعشرون

في شرح حال المتجرد والمتاهل

من الصوفية وصحة مقاصدهم

الصُّوفِيُّ يَتَزَوَّجُ لِلَّهِ كَمَا يَتَجَرَّدُ لِلَّهِ ، فَلتَجَرُّدُهُ مَقْصِدٌ وَأَوَانٌ ، وَلتَأَهُّلِهِ مَقْصِدٌ وَأَوَانٌ .

والصَادِقُ يَعْلَمُ أَوَانَ التَّجَرُّدِ والتَّأَهُّلِ ؛ لِأَنَّ الطَّبَعَ الْجَمُوحَ لِلصُّوفِيِّ مُلْجَمٌ بِلِجَامِ الْعِلْمِ ، مَهْمَا يَصْلُحُ لَهُ التَّجَرُّدُ لَا يَسْتَعْجِلُهُ الطَّبَعُ إِلَى التَّزَوُّجِ ^(١) ، وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى التَّزَوُّجِ إِلَّا إِذَا انْصَلَحَتِ النَّفْسُ وَاسْتَحَقَّتْ إِدْخَالَ الرَّفْقِ عَلَيْهَا ؛ وَذَلِكَ إِذَا صَارَتْ مُنْقَادَةً مَطْوَاعَةً مُجِيبَةً إِلَى مَا يُرَادُ مِنْهَا ؛ بِمِثَابَةِ الطِّفْلِ الَّذِي يَتَعَاهَدُ بِمَا يَرُوقُ لَهُ ، وَيُمْنَعُ عَمَّا يَضُرُّهُ .

فَإِذَا صَارَتِ النَّفْسُ مُحْكُومَةً مَطْوَاعَةً . فَقَدْ فَاءَتْ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَتَنَصَّلَتْ عَنْ مُشَاحَنَةِ الْقَلْبِ ^(٢) ، فَيُصْلَحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ، وَيُنْظَرُ فِي أَمْرِهِمَا بِالْقِسْطِ .

وَمَنْ صَبَرَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الْعُزُوبَةِ هَذَا الصَّبْرَ إِلَى حِينِ بُلُوغِ الْكِتَابِ أَجَلُهُ . تُنْتَخَبُ لَهُ الزَّوْجَةُ انْتِخَابًا ، وَيُهَيَّئُ اللَّهُ لَهُ أَعْوَانًا وَأَسْبَابًا ، وَيُنْعَمُ بِرَفْقٍ يُدْخِلُ عَلَيْهِ ، وَرِزْقٍ يُسَاقُ إِلَيْهِ .

(١) فِي (د) : (لَا يَسْتَفْزُهُ) بَدَل (لَا يَسْتَعْجِلُهُ) .

(٢) فِي (ب ، ج) : (مُشَاحَةٌ) .

ومتى استعجل المرید ، واستفرَّه الطبع ، وخامرهُ الجهل ، بثورانِ دُخانِ الشهوةِ المُغْطِيةِ لشُعاعِ العلمِ^(١) ، وانحطَّ مِنْ أَوْجِ العزيمَةِ الذي هوَ قضيتُهُ حاله وموجبُ إرادته ، وشريطةُ صدقِ طلبه ، إلى حَضِيضِ الرُّخْصَةِ التي هيَ رحمةٌ مِنَ اللَّهِ تعالى لعامةِ خَلْقِهِ . . يُحَكِّمُ عليه بالتَّقْصَانِ ، ويُشْهَدُ لَهُ بالخُسْرَانِ ، ومثلُ هذا الاستعجالِ هوَ حيضُ الرِّجَالِ .

قال سهلُ بنُ عبدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيّ رحمهُ اللَّهِ : (إذا كانَ للمریدِ حالٌ يتوقَّعُ به زيادةٌ^(٢) ، فدَخَلَ عليه الابتلاءُ . . فرجوعُهُ للابتلاءِ إلى حالٍ دونَ ذلكَ نُقْصَانٌ وَحَدَثٌ) .

وسمعتُ بعضَ الفقراءِ وقد قِيلَ لَهُ : لِمَ لا تزوِّجُ ؟ فقالَ : المرأةُ لا تصلحُ إلا للرجالِ ، وأنا ما بلغتُ مبلغَ الرجالِ كيفَ أتزوِّجُ ؟ !
فالصادقونَ لَهُم أوانٌ بلوغِ عندهُ يتزوِّجونَ .

وقد تعارضتِ الأخبارُ ، وتماثلتِ الآثارُ في فضيلةِ التجريدِ والتزويجِ ، وتنوعَ كلامُ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلكَ لتنوعِ الأحوالِ ؛ فمنهُم مَنْ فضيلتهُ في التجرُّدِ ، ومنهُم مَنْ فضيلتهُ في التأهَّلِ .

وكلُّ هذا التعارضِ في حقِّ مَنْ نَارُ تَوَقَّانِهِ بردٌ وسلامٌ ؛ لكمالِ تقواه ، وقَهْرِهِ هواه ، وإلا ففي غيرِ هذا الرجلِ الذي يُخافُ عليه الفتنةُ . . يجبُ النكاحُ في حالِ التَّوَقَّانِ المُفْرِطِ ، ويكونُ الخلافُ بينَ الأئمَّةِ في غيرِ التائقِ .
فالصُّوفيُّ إذا صارَ مُتَأَهِّلاً يتعيَّنُ على الإخوانِ مُعاونتهُ بالإيثارِ ،

(١) في نسخة على هامش (د ، و) : (المطفئة) بدل (المغطية) .

(٢) ضُبِطَ في بعض النسخ : (يُتَوَقَّعُ به زيادةٌ) .

ومُسَامَحَتُهُ فِي الْاِسْتِكْثَارِ ، إِذَا رُئِيَ ضَعِيفَ الْحَالِ ، قَاصِرًا عَنْ رَتَبَةِ
الرِّجَالِ ، كَمَا وَصَفْنَا مِنْ قَبْلُ مِنْ صَبْرٍ مَنْ صَبَرَ حَتَّى ظَفِرَ لَمَّا بَلَغَ الْكِتَابُ
أَجَلَهُ^(١) .

(٥٩) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ وَالِدِهِ أَبِي الْفَضْلِ الْمَقْدِسِيِّ الْحَافِظِ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبُ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَخِي مِيمِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا أَبُو الْمَغِيرَةِ^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ
الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ فِيهِ قَسَمَةٌ مِنْ يَوْمِهِ^(٥) ، فَأَعْطَى الْآهْلَ
حَظَّيْنِ^(٦) ، وَالْأَعَزَبَ حَظًّا وَاحِدًا^(٧) ، فَدُعِينَا وَكُنْتُ أَدْعَى قَبْلَ عَمَّارِ بْنِ
يَاسِرٍ ، فَأَعْطَانِي حَظَّيْنِ ، وَأَعْطَاهُ حَظًّا وَاحِدًا ، فَسَخِطَ حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ

(١) فِي (أ ، د) : (مِنْ قَبْلُ) بَدَلَ (مِنْ صَبْرٍ) ، وَانْظُرْ (٤٥٧ / ١) .

(٢) هُوَ الصَّرِيفِيُّ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي (٤٢٩ / ١) .

(٣) هُوَ الْبَغْوِيُّ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي (٤٢٩ / ١ - ٤٣٠) .

(٤) هُوَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ الصَّادِقُ مَسْنَدُ حَمَصِ عَبْدِ الْقُدُوسِ بْنِ الْحِجَابِ الْخَوْلَانِيِّ الْحَمَصِيِّ
(ت ٢١٢ هـ) ، وَانْظُرْ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٢٢٣ / ١٠) .

(٥) الْفِيءُ : الْغَنِيمَةُ وَالْخَرَجُ ، وَفِي هَامِشِ (ح) : (الْفِيءُ : مَا لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ ، وَالْغَنِيمَةُ : مَا أُوجِفَ عَلَيْهِ بِالْخَيْلِ وَالرِّكَابِ) .

(٦) فِي (ي) وَنَسْخَةُ عَلَى هَامِشِ (و) : (الْمَتَأَمِّلُ) بَدَلَ (الْآهْلُ) ، وَالْآهْلُ : الَّذِي لَهُ
أَهْلٌ ؛ أَيْ : زَوْجَةٌ .

(٧) فِي (ب ، ج) : (الْعَزَبُ) بَدَلَ (الْأَعَزَبُ) ، وَكِلَاهُمَا مَرْوِي ، وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي تَعْلِيْقًا
فِي (٤٧٨ / ١) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ومن حصره ، فبقيت معه سلسلة من ذهب ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعها بطرف عصاه وتسقط وهو يقول : « كيف أنتم يوم يكثر لكم من هذا ؟ » ، فلم يجبه أحد ، فقال عمّار : ودنا يا رسول الله لو قد أكثر لنا من هذا^(١) .

فالتجرد عن الأزواج والأولاد أعون على الوقت للفقير ، وأجمع لهمه ، وألذ لعيشه .

ويصلح للفقير في ابتداء أمره قطع العلائق ، ومحو العوائق ، والتنقل في الأسفار ، وركوب الأخطار ، والتجرد عن الأسباب ، والخروج عن كل ما يكون حجاباً ، والتزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ، ورجوع من التروح إلى التنعص ، وتقيّد بالأولاد والأزواج ، ودوران حول مظان الاعوجاج ، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة ، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة .

قال أبو سليمان الداراني : (ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا : من طلب معاشاً ، أو تزوج امرأة ، أو كتب الحديث)^(٢) .

(١) صفوة التصوف (٣١٤) ، ورواه بنحوه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤٥ / ١٨ - ٤٦) ، و« مسند الشاميين » (٩٤٧) ، وأحمد (٢٥ / ٦ - ٢٦) دون قوله : (فلم يجبه أحد ...) ، وأبو داود (٢٩٥٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣٤٦ / ٦) إلى قوله : (وأعطاه حظاً واحداً) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣٧٩ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » (٢٢٧ / ١) ، وليس المراد من ذلك الدعوة إلى الرهبانية أو التنفير من طلب الحديث والتكسب ، كما فهم ذلك بعض ضيقي العطن ، بل المراد : أن يطلب هذه الأمور حتى تكون شاغلة له عن الله تعالى ، وقد أشار إلى ذلك أبو سليمان بقوله : (ما شغلك =

وقال : (ما رأيتُ أحداً مِنْ أصحابنا تزوّجَ فثبتَ على مرتبته) .

(٦٠) - أخبرنا الشيخ طاهرٌ ، قال : أخبرنا والدي أبو الفضل ، قال :

أخبرنا محمدُ بنُ إسماعيلَ المقرئ^(١) ، قال : أخبرنا أحمدُ بنُ الحسن^(٢) ،

قال : أخبرنا حاجبُ الطوسي^(٣) ، قال : حدّثنا عبدُ الرحيم^(٤) ، قال :

حدّثنا الفزاريُّ ، عن سليمانَ التيميِّ ، عن أبي عثمانَ النهديِّ ، عن

أسامةَ بنِ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ :

« مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ »^(٥) .

وروى رجاءُ بنُ حيوةَ عن مُعاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ : (ابتلينا

بالضراءِ فصبرنا ، وابتلينا بالسرائِ فلم نصبر^(٦) ، وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم

= عن الله مِنْ أهلي ومالٍ وولدٍ . . فهو عليك شؤم) ، وكثيرٌ من رجالِ التصوّف كانوا من كبار أئمّة الحديث ، وكثيرٌ منهم أيضاً اشتهروا بمهني كانوا يحترفونها ويتكسّبون منها ؛ كأيوبَ الحمّال ، وإبراهيمَ الخوّاص ، وأبي حمزة البزّاز ، وأبي سعيد الخرّاز ، وأبي حفص الحذّاد ، وحَمَدون القُصّار ، وغيرهم الكثير رحمهم الله تعالى ورضي عنهم .

(١) هو الإمام الصوفي أبو بكر الثَّقَلِيسِي النيسابوري (ت ٤٨٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١١ / ١٩) .

(٢) هو الإمام قاضي القضاة المُحدّث مسند خراسان أبو بكر بن أبي علي بن أحمد الحيري النيسابوري (ت ٤٢١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٥٦ / ١٧) .

(٣) هو الإمام المُحدّث مسند نيسابور أبو محمد بن أحمد بن يَزْحَم الطوسي النيسابوري (ت ٣٣٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٣٦-٣٣٧ / ١٥) .

(٤) هو ابن منيب المروزي .

(٥) صفوة التصوف (٧٧١) ، ورواه البخاري (٥٠٩٦) ، ومسلم (٢٧٤٠) .

(٦) في هامش (ح) : (الطُّغَيَان عند الاستغناء من طبع البشر ؛ ولذا اختار رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الفقرَ ولم يختَرِ المُلْكَ والخزائن مُدَّ خَيْرَهُ اللهُ تعالى ، فكانتِ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم مقودين بالفقر والقِلَّة ، فلمَّا وقع الابتلاءُ بالاستغناء والنِّعماء . . =

فتنة النساء إذا تسوّرن بالذهب ، ولبسن رِيَطَ الشام وعَصَبَ اليمن ، وأتعبن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يجد^(١) .

وقال بعض الحكماء : (مُعَالَجَةُ الْعُزْبَةِ خَيْرٌ مِنْ مُعَالَجَةِ النِّسَاءِ)^(٢) .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله عن النساء ، فقال : الصبرُ عنهنَّ خيرٌ من الصبرِ عليهنَّ ، والصبرُ عليهنَّ خيرٌ من الصبرِ على النارِ^(٣) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ؛ لأنه لا يصبر عن النساء^(٤) .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] : الغلْمة^(٥) ؛ وهو ثورانُ الطبع .

= لم يكن حال بعضهم كما كان في الضراء ، وهذا الكلام من معاذ رحمه الله تعالى تنبيه وعظة وتحضيض على اختيار الفقر والتجرّد .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٤٣٦) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٨٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٣٦/١) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٤٦) ، والرّيَط : جمع (رِيْطَة) ؛ وهي كلُّ ثوبٍ لَيِّنٍ رقيق ، والعَصَب : بُرودٌ يمنية يُعَصَّبُ غَزْلُهَا - أي : يُجَمَّعُ وَيُسَدَّدُ - ثُمَّ يُصْبَغُ وَيُنْسَجُ فيأتي موشياً لبقاء ما عُصِبَ منه أبيض ، أو هي برودٌ مُخَطَّطَة ، وفي النسخ ما عدا (هـ) : (وابتغين الغنى) بدل (وأتعبن الغني) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٦٠٨/٣) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٦٠٨/٣) ، وعزاه الغزالي في « الإحياء » (١٠٣-١٠٢/٣) إلى أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى ، والمعنى : أنَّ مَنْ لم يتزوَّج عند التَّوَقُّانِ حتَّى وقع في الزنى . فقد استحقَّ النار ؛ فالأوَّلَى : أنَّ يتزوَّج ويصبر على ما يَرِدُ عليه من قِيلِهَا من العوارض والمصائب . من هامش (ح) .

(٤) روي عن طاووس ومجاهد . انظر « تفسير الطبري » (٢١٦/٨) .

(٥) روي عن مكحول وسالم بن شابور . انظر « تفسير الطبري » (١٣٩/٦) ، و« تفسير ابن أبي حاتم » (٣١٠٥) .

فَإِنْ قَدَّرَ الْفَقِيرُ عَلَى مُقَاوَمَةِ النَّفْسِ ، وَرُزِقَ الْعِلْمَ الْوَافِرَ بِحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ
فِي مُعَالَجَةِ النَّفْسِ ، وَصَبَرَ عَنْهُمْ . . فَقَدْ حَازَ الْفَضْلَ ، وَاسْتَعْمَلَ الْعَقْلَ ،
وَاهْتَدَى إِلَى الرَّفْعِ السَّهْلِ ^(١) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمِثَّتَيْنِ رَجُلٌ خَفِيفُ
الْحَاذِ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَمَا خَفِيفُ الْحَاذِ ؟ قَالَ : « الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ
وَلَا وَلَدَ » ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ لَمَّا قِيلَ لَهُ : تَزَوَّجْ ؛ فَقَالَ : أَنَا إِلَى أَنْ أُطْلَقَ نَفْسِي
أُحَوِّجُ مِنِّي إِلَى التَّزَوُّجِ .

وَقِيلَ لِبِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ : إِنَّ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ فِيكَ ، فَقَالَ : مَا يَقُولُونَ ؟
قِيلَ : يَقُولُونَ : إِنَّهُ تَارِكٌ لِلسُّنَّةِ - يَعْنِي : النِّكَاحَ - فَقَالَ : قُولُوا لَهُمْ : أَنَا
مَشْغُولٌ بِالْفَرْضِ عَنِ السُّنَّةِ ^(٣) .

وَكَانَ يَقُولُ : (لَوْ كُنْتُ أَعُولُ دَجَاجَةً خِفْتُ أَنْ أَكُونَ جَلَادًا عَلَى
الْجِسْرِ) ^(٤) .

(١) الرَّفْعُ : أَصْلُهُ : مِنْ رَفَعَتِ الْإِبِلُ - بِالْفَتْحِ - تَرْفَعُهُ رِفْعًا وَرُفُوهَا : إِذَا وَرَدَتِ الْمَاءَ كُلَّ يَوْمٍ
مَتَى شَاءَتْ ، وَالْأَسْمُ : (الرَّفْعُ) بِالْكَسْرِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٢) رَوَاهُ الْخَطَّابِيُّ فِي « الْعَزَلَةِ » (ص ٣٦) ، وَالْعَقِيلِيُّ فِي « الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ » (٦٩ / ٢) ،
وَالْبَيْهَقِيُّ فِي « الشَّعْبِ » (٩٨٦٧) عَنْ سَيِّدِنَا حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
وَالْحَاذُ وَالْحَالُ وَاحِدٌ ، وَأَصْلُ الْحَاذِ : طَرِيقَةُ الْمَتْنِ ؛ وَهُوَ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ اللَّبَدُ مِنْ ظَهْرِ
الْفَرَسِ ؛ أَيْ : خَفِيفُ الظَّهْرِ مِنَ الْعِيَالِ ، وَانْظُرْ « كَشْفُ الْخَفَاءِ » (٣٨٦ / ١) ،
و« غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (٢٨٤ / ١) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّي فِي « الْقُوتِ » (١٦٠٣ / ٣) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » (١٠٠ / ٣) .

(٤) رَوَاهُ بَنَحْوُهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِي » (٦٢) ، وَأَوْرَدَهُ بِلَفْظِهِ =

والصُّوفيُّ مُبتلىٰ بالنَّفْسِ ومُطالِبَتِها ، وهو في شُغْلٍ شاغِلٍ مِنْ نَفْسِهِ ، فإذا انضافَ إلى مُطالباتِ نَفْسِهِ مُطالباتُ زوجَتِهِ . . يَضَعُفُ طَلِبُهُ ، وتَكِلُ إِرَادَتُهُ ، وتَفْتَرُ عَزِيمَتُهُ .

والنَّفْسُ إذا أُطِمِعَتْ طَمِعَتْ ، وإذا قُنِعَتْ قَنِعَتْ ، فيستعينُ الشابُّ الطالبُ على حَسْمِ موادِّ خواطرِ النِّكاحِ بإدَامَةِ الصَّوْمِ ؛ فَإِنَّ للصَّوْمِ أثراً ظاهراً في قَمْعِ النَّفْسِ وقَهْرِها .

وقد وَرَدَ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِجَماعَةٍ مِنَ الشُّبَّانِ وهم يَرْبَعُونَ حَجْراً^(١) ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الشُّبَّانِ ؛ مَنْ أُسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةُ فَلْيَتَزَوَّجْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُجَاهِدْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَصُمْ ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ »^(٢) .

وأصلُ الْوِجاءِ : رَضُّ الْخُصْمَتَيْنِ ، كانتِ الْعَرَبُ تَجَأُ الْفَحْلَ مِنَ الْغَنَمِ ؛ لِتَذْهَبَ فُحُولُهُ وَيَسْمَنَ ، ومنهُ الْحَدِيثُ : (ضَحَّى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوعَيْنِ)^(٣) .

= أبو طالب المكي في « القوت » (١٦٠٣ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٤٢ / ٣) ، وفي هامش (ح) : (قال بعضُ الإخوان : إِنَّ الجَسَرَ ببغدادَ هو موضعُ سياسةِ الجُناة) .
(١) في (ب ، ج ، ح) : (يرفعون) بدل (يربعون) ، وفي (هـ) ونسخة على هامش (و ، ح) : (الحجارة) بدل (حجراً) ، والرَّفْعُ والرَّيْعُ بمعنى .

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥) ، ومسلم (٣ / ١٤٠٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وليس فيهما ذكرُ رفعِ الحجارة والمجاهدة ، والباءَةُ والمَباءَةُ : المنزل ، ثم قيل لعقد النِّكاحِ : بَاءَةٌ ؛ لِأَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَوَّأَهَا مَنْزِلاً . من هامش (ح) .

(٣) رواه ابن ماجه (٣١٢٢) ، وأحمد (٢٢٥ / ٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤٤٨ / ٩) عن سيدتنا عائشة أو سيدنا أبي هريرة رضي الله عنهما ، ورواه البيهقي في =

وقد قيل : (هِيَ النَّفْسُ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا شَغَلَتْكَ)^(١) .

فإذا أدام الشابُّ المُريدُ العملَ ، وأذابَ نفسه في العبادة^(٢) . . يَقِلُّ عليه
خواطرُ النفسِ .

وأيضاً : شُغْلُهُ بالعبادة يُثْمِرُ لَهُ حلاوةَ المعاملةِ ، ومَحَبَّةَ الإكثارِ منها ،
ويفتحُ عليه بابَ السُّهولةِ والعيشِ في العملِ ، فيغارُ على حالِهِ ووقْتِهِ أَنْ
يتكدَّرَ بِهِمَّ الزوجةِ .

وَمِنْ حُسْنِ أدبِ المُريدِ في عُزُوبَتِهِ : أَلَّا يُمَكِّنَ خواطرَ النساءِ مِنْ باطنِهِ ،
وكلِّمَا خَطَرَ لَهُ خاطرُ النساءِ والشهوةِ . . يَفِرُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِحُسْنِ الإِنَابَةِ ،
فيتداركُهُ اللَّهُ تَعَالَى حينئذٍ بِقُوَّةِ العزيمةِ ، وَيُؤَيِّدُهُ بِمُراغمةِ النَّفْسِ^(٣) ، بل
ينعكسُ على نَفْسِهِ نورُ قلبِهِ ثواباً لِحُسْنِ إِنْابَتِهِ ، فتسكنُ النَّفْسُ عَنِ الْمُطالِبَةِ .

ثُمَّ يَعْرِضُ عَلَى نَفْسِهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ بِالنِّكَاحِ ؛ مِنْ الدَّخُولِ فِي الْمَدَاخِلِ
المذمومةِ الْمُؤدِّيَةِ إِلَى الذُّلِّ وَالْهَوَانِ ، وَأَخَذِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهِ ،
وما يُتَوَقَّعُ مِنَ الْقَوَاطِعِ بِسَبَبِ التَّفَاتِ الْخَاطِرِ إِلَى ضَبْطِ الْمَرْأَةِ وَحِرَاسَتِهَا
وَكُلْفٍ لَا تَنْحَصِرُ .

وقد سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ، فَقَالَ : كَثْرَةُ
الْعِيَالِ ، وَقِلَّةُ الْمَالِ^(٤) .

= « السنن الكبرى » (٢٦٨ / ٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٢٨ / ٨) عن الحسين بن منصور الحلاج .

(٢) في (ز) ونسخة على هامش (أ) : (وأذاب) بدل (وأذاب) .

(٣) أي : مخاصمتها .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٤٤٣ / ٢) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، =

وقد قيل : (كثرة العيال أحد الفقرين ، وقلة العيال أحد اليسارين)^(١) .
وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله عليه يقول : (مَنْ تَعَوَّدَ أَخْذَ النِّسَاءِ
لَا يُفْلِحُ)^(٢) .

ولا شك أنَّ المرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة^(٣) ، وتمنع عن كثرة
الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ، ويتسلط على الباطن خوف الفقر
ومحبة الادخار ، وكل هذا بعيد عن المتجرد .

وقد ورد : « إِذَا كَانَ بَعْدَ الْمِثَّتَيْنِ أُبِيحَتِ الْعُرُوبَةُ لِأُمْتِي »^(٤) .

فإن توالى على الفقير خواطر النكاح ، وزاحمت باطنه لا سيما في
الصلاة والأذكار والتلاوة . . فليستعن بالله تعالى أولاً ، ثم بالمشايخ والإخوان ،
ويشرح الحال لهم ، ويسألهم مسألة الله تعالى له في حُسن الاختيار ،
ويطوف على الأحياء والأموات والمساجد والمشاهد ، ويستعظم الأمر ،
ولا يدخل فيه بقلة الاكتراث ؛ فإنه باب فتنة كبيرة وخطر عظيم ، وقد

= وفي « إصلاح المال » (٤٦٦) ، والحاكم في « تاريخ نيسابور » كما في « كنز العمال »
(٤٤٤٩١) .

(١) روى الجملة الثانية ابن أبي الدنيا في « النفقة على العيال » (٢٤٩ / ١) عن سعيد بن
المُسَيَّب رحمه الله تعالى ، والقضاعي في « مسنده » (٣٢) عن سيدنا علي رضي الله
عنه ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٩٤ / ٣) عن جعفر الصادق رحمه الله تعالى ، واللفظ
بتمامه في « القوت » (١٦٠٥ / ٣) ، و « الإحياء » (١٠٢ / ٣) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « الجامع لأخلاق الراوي » (٦٣) ، وأورده أبو طالب
المكي في « القوت » (١٦٠٦ / ٣) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (١٢ / ٧) عن
سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، وانظر « كشف الخفاء » (٣٤ / ٢) .

(٣) الدعة : الراحة ، وخفض العيش .

(٤) انظر حديث سيدنا حذيفة السابق في (٤٦٣ / ١) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾
[التغابن : ١٤] ، وَيُكَثِّرُ الضَّرَاعَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْبُكَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي
الْخَلَوَاتِ ، وَيُكَرِّرُ الاسْتِخَارَةَ .

وإن رُزِقَ الْقُوَّةَ وَالصَّبْرَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ الْخَيْرَةَ فِي ذَلِكَ . .
فَهُوَ الْكَمَالُ وَالتَّمَامُ ؛ فَقَدْ يَكْشِفُ اللَّهُ لِلصَّادِقِ ذَلِكَ مَنْعًا أَوْ إِطْلَاقًا فِي مَنْامِهِ
وَيَقْظَتِهِ ، أَوْ عَلَى لِسَانِ مَنْ يَتَّقِي إِلَى دِينِهِ وَحَالِهِ أَنَّهُ إِذَا أَشَارَ لَا يُشِيرُ إِلَّا عَلَى
بَصِيرَةٍ ، وَإِذَا حَكَمَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِحَقٍّ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ تَزَوُّجُهُ مُدْبَّرًا مُعَانًا
فِيهِ .

وَسَمِعْنَا أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ لَهُ بَعْضُ الصَّالِحِينَ :
لِمَ تَزَوَّجْتَ ؟ فَقَالَ : مَا تَزَوَّجْتُ حَتَّى قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : تَزَوَّجْ ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ : الرَّسُولُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِالرُّخْصَةِ ،
وَطَرِيقُ الْقَوْمِ التَّلَزُّمُ بِالْعَزِيمَةِ .

فَلَا أَعْلَمُ مَا قَالَ الشَّيْخُ فِي جَوَابِهِ ، وَلَكِنِّي أَقُولُ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالرُّخْصَةِ ، وَأَمَرَ بِهَا عَلَى لِسَانِ الشَّرْعِ ، فَأَمَّا مِنَ التَّجَا
إِلَى اللَّهِ وَافْتَقَرَ إِلَيْهِ ، وَاسْتِخَارَهُ فَكَاشَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِتَنْبِيهِهِ إِيَّاهُ فِي مَنْامِهِ
وَأَمَرَهُ . . لَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ أَمْرَ رَخْصَةٍ ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ يَتَّبِعُهُ أَرْبَابُ الْعَزِيمَةِ ؛
لأنَّهُ مِنْ عِلْمِ الْحَالِ لَا مِنْ عِلْمِ الْحُكْمِ .

وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا وَقَعَ لِي : مَا نُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ أَرِيدُ الزَّوْجَةَ مُدَّةَ
مِنَ الزَّمَانِ وَلَا أَتَجَرَّأُ عَلَى التَّزَوُّجِ خَوْفًا مِنْ تَكْدِيرِ الْوَقْتِ ، فَلَمَّا صَبَرْتُ إِلَى

أَنْ بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ . . سَأَقُ اللَّهَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَزْوَاجٍ مَا فِيهِنَّ إِلَّا مَنْ تُنْفِقُ عَلَيَّ
إِرَادَةً وَرَغْبَةً^(١) .

فهذه ثمرة الصبر الجميل الكامل .

فَإِذَا صَبَرَ الْفَقِيرُ وَطَلَبَ الْفَرْجَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . . يَأْتِيهِ الْفَرْجُ وَالْمَخْرَجُ ؛
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢-٣] .

فَإِذَا تَزَوَّجَ الْفَقِيرُ بَعْدَ الْإِسْتِقْصَاءِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الضَّرَاعَةِ وَالِدَعَاءِ ، وَوَرَدَ
عَلَيْهِ وَارِدٌ مِنَ اللَّهِ بِإِذْنٍ . . فَهُوَ الْغَايَةُ وَالنَّهَايَةُ .

وإنْ عَجَزَ عَنِ الصَّبْرِ إِلَى وُرُودِ الْإِذْنِ ، وَاسْتَنْفَدَ جُهِدَهُ فِي الدَّعَاءِ
وَالضَّرَاعَةِ . . فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ حِظَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيُعَانُ عَلَيْهِ بِحُسْنِ
نِيَّتِهِ^(٢) ، وَصِدْقِ مَقْصِدِهِ ، وَحُسْنِ رَجَائِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى رَبِّهِ ، وَقَدْ نُقِلَ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : (لَا يَتِمُّ نُسُكُ الشَّابِّ حَتَّى
يَتَزَوَّجَ)^(٣) .

وَنُقِلَ عَنْ شَيْخٍ مِنْ مَشَايِخِ خُرَّاسَانَ أَنَّهُ كَانَ يُكْثِرُ التَّزَوُّجَ ؛ حَتَّى لَمْ يَكُنْ
يَخْلُو عَنْ زَوْجَتَيْنِ وَثَلَاثٍ ، فَعُوتِبَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : هَلْ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ
أَنَّهُ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى جَلْسَةً ، أَوْ وَقَفَ وَقْفَةً فِي مُعَامَلَتِهِ ، فَخَطَرَ عَلَى
قَلْبِهِ خَاطِرُ شَهْوَةٍ ؟

(١) فِي (ب ، د) : (تَتَفَقَّ) بَدَل (تَنْفَقُ) .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : (لِحَسَن) بَدَل (بِحَسَن) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوت » (١٦٠٩ / ٣) ، وَالْغَزَالِي فِي « الْإِحْيَاءِ »

(٩٧ / ٣) ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٦ / ٤) عَنْ طَاوُسِ بْنِ كَيْسَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ

تَعَالَى .

فقالوا : قد يُصَيِّبُنَا ذَلِكَ ، فقال : لو رَضِيتُ في عُمْرِي كُلِّهِ بِمِثْلِ حَالِكُمْ في وقتٍ واحدٍ . . ما تزوّجتُ قطُ ، ولكنِّي ما خَطَرْتُ على قلبي خاطرُ شهوةٍ قطُ يشغلُنِي عن حالي . . إلَّا نَفَذْتُه لَأَسْتَرِيحَ مِنْهُ ، وأرجعَ إلى شُغْلِي ، ثمَّ قالَ : منذُ أربعينَ سنةً ما خَطَرْتُ على قلبي خاطرُ معصيةٍ^(١) .

فالصادقونَ ما دخلُوا في النكاحِ إلَّا على بصيرةٍ ، وقصدُوا حَسَمَ موادِّ النَّفْسِ .

وقد يكونُ للأقوياء والعلماءِ الراسخينَ أحوالٌ في دخولِهِم في النكاحِ تختصُّ بِهِم ؛ وذلكَ أَنَّهُم بعدَ طولِ المُجاهداتِ والرياضاتِ والمُراقباتِ تَطْمِئِنُّ نفوسُهُم ، وتُقبِلُ قلوبُهُم ، ولِلقلوبِ إقبالٌ وإدبارٌ .

يقولُ بعضُهُم : (إنَّ لِلقلوبِ إقبالاً وإدباراً ؛ فإذا أَدْبَرَتْ رُوحَتْ بالإِرْفاقِ ، وإذا أَقْبَلَتْ رُدَّتْ إلى المِيثاقِ)^(٢) .

فتبقى قلوبُهُم دائمةَ الإقبالِ إلَّا اليسيرَ^(٣) ، ولا يدومُ إقبالُها إلَّا لطمأنينةٍ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٦٠٩ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٢٢ - ١٢١ / ٣) ، وقال الزبيدي في « الإتحاف » (٣٠٤ / ٥) مُعَقِّباً : (وهو الذي أوصى به مشايخنا السادة النقشبندية ؛ قالوا : إذا وَقَعَ للسالك في أثناء الذكر أو المراقبة تفرقةٌ من خاطرٍ خَطَرَ بقلبه بسبب وقوع بصره على فرسٍ أعجبه أو جارية ، أو تحرَّكَتْ نفسه للتزويج أو شراء ثوبٍ أو غير ذلك . . فليدفعْ هذا الخاطرَ بالذكر مهما أَمَكَّنَهُ ، وإلا فليُنْفِذْهُ سريعاً إن قَدَرَ عليه ثم يرجع إلى شُغْلِهِ ، وبهذا يَسْلَمُ القلبُ عن توارد الخواطر المذمومةِ عليه) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٢٩) ، وأورده مجد الدين الجزري في « المختار » (٣٣٧ / ١) ، وفيهما وفي (و) : (المشاق) بدل (الميثاق) .

(٣) يعني : قلوبُ أهل الله تميل إلى الدنيا في وقتٍ قليل . من هامش (ح) .

النُّفُوسِ ، وَكَفَّهَا عَنِ الْمُنَازَعَةِ ، وَتَرَكَ التَّشَبُّثَ بِالْقُلُوبِ .

فَإِذَا اطمَأَنَّتِ النَّفُوسُ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَنْ طَيْشِهَا وَنُفُورِهَا وَشِرَاسِثِهَا . . يُوفَّرُ عَلَيْهَا حُقُوقُهَا ، وَرَبَّمَا يَصِيرُ مِنْ حَقُوقِهَا حُظُوظُهَا ؛ لِأَنَّ فِي آدَاءِ الْحَقِّ إِقْنَاعًا ، وَفِي أَخْذِ الْحِظِّ اتِّسَاعًا .

وهَذَا مِنْ دَقِيقِ عِلْمِ الصُّوفِيَّةِ ؛ فَافْهَمْ ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَّسِعُونَ بِالنِّكَاحِ الْمُبَاحِ إِيْصَالًا إِلَى النَّفْسِ حُظُوظَهَا ؛ لِأَنَّهَا مَا زَالَتْ تُخَالِفُ هَوَاهَا حَتَّى صَارَ دَاوُهَا دَوَاءَهَا ، وَصَارَتِ الشَّهَوَاتُ الْمُبَاحَةُ وَاللَّذَّاتُ الْمَشْرُوعَةُ لَا تَضُرُّهَا بِحَالٍ أَبَدًا ، وَلَا تُقْتَرُ عَلَيْهَا عِزَائِمُهَا .

بَلْ كُلَّمَا وَصَلَتِ النَّفُوسُ الزَّكِيَّةُ إِلَى حُظُوظِهَا . . اَزْدَادَ الْقَلْبُ انْشِرَاحًا وَانْفِسَاحًا ، وَتَصِيرُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ مُوَافَقَةً يَعْطِفُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، وَيَزْدَادُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَا يَدْخُلُ عَلَى الْآخَرِ مِنَ الْحِظِّ ؛ كُلَّمَا أَخَذَ الْقَلْبُ حِظَّهُ مِنَ اللَّهِ . . خَلَعَ عَلَى النَّفْسِ خِلَعَ الطَّمَأْنِينَةِ ، فَيَكُونُ مَزِيدُ السَّكِينَةِ لِلْقَلْبِ مَزِيدَ الطَّمَأْنِينَةِ لِلنَّفْسِ ، وَيُنْشِدُ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا اكْتَسَتْ كَسَتِ الثَّرَى حُلَاً يُدَبِّجُهَا الْغَمَامُ الرَّاهِمُ^(١)
وَكُلَّمَا أَخَذَتِ النَّفْسُ حِظَّهَا تَرَوُّحَ الْقَلْبِ تَرَوُّحَ الْجَارِ الْمُشْفِقِ بِرَاحَةِ
الْجَارِ .

(١) وَالرَّهْمَةُ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ الصَّغِيرُ الْقَطَرُ ، وَأَزْهَمَتِ السَّمَاءُ : أَتَتْ بِهِ ، وَفِي هَامِشٍ (ح) : (فَسَمَاءُ الْقَلْبِ إِذَا لَبَسَتْ ثِيَابَ سُبُحاتِ فَيْضِ الْوَهَّابِ . . أَمْطَرَتْ أَمْطَارَ الْأَنْوَارِ عَلَى أَرْضِ النَّفْسِ ، فَنَبَتَتْ مِنْهَا أَزْهَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَرِيَّاحِينَ مِنْ مَزِيدِ الْإِهْتِمَامِ الَّتِي هِيَ حُلَلُ كَمَالِ الْإِيمَانِ ، وَخِلَعُ نَوَالِ الْقُرْبِ وَالْعِرْفَانِ) .

سمعتُ بعضَ الفقراءِ يقولُ : (النَّفْسُ تقولُ للقلبِ : كُنْ معي في الطعامِ أَكُنْ معَكَ في الصلاةِ) .

وهذا مِنَ الأحوالِ العزيزةِ لا تصلُحُ إلا لعالمِ ربَّاني^(١) ، وكم مِنْ مُدَّعٍ يَهْلِكُ بتوهُمِهِ هذا في نَفْسِهِ !! ومثلُ هذا العبدِ يزدادُ بالنكاحِ ولا يَنْقُصُ .

والعبدُ إذا كَمَلَ علمُهُ يأخذُ مِنَ الأشياءِ ولا تأخذُ الأشياءُ مِنْهُ ، وقد كانَ الجنيدُ رحمهُ اللهِ عليه يقولُ : (أنا أحتاجُ إلى الزوجةِ كما أحتاجُ إلى الطعامِ)^(٢) .

وسمِعَ بعضُ العلماءِ بعضَ الناسِ يَطْعُنُ في الصُّوفِيَّةِ ، فقالَ : يا هذا ؛ ما الذي يَنْقُصُهُمْ عندَكَ ؟ فقالَ : يأكلونَ كثيراً ، فقالَ : وأنتَ أيضاً لو جُعتَ كما يجوعُونَ أَكلتَ كما يأكلُونَ ، فقالَ : ويتزوَّجونَ كثيراً ، فقالَ : وأنتَ أيضاً لو حَفِظْتَ فَرَجَكَ كما يحفظُونَ تزَوَّجتَ كما يتزوَّجونَ ، قالَ : وأيُّ شيءٍ أيضاً ؟ قالَ : يسمعونَ القولَ ، قالَ : وأنتَ أيضاً لو نَظَرْتَ كما ينظرونَ سمعتَ كما يسمعونَ^(٣) .

(١) أذاب نَفْسَهُ بالمجاهداتِ ، وصفَّاهَا بكثرةِ المعاملاتِ والرياضاتِ ، حتَّى إذا دخلَ عليها من حظوظها لا تعودُ إلى طبعها وشراستها ، ولا ترجعُ إلى شَرِّ صنيعها وعاداتها . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٦١٠) ، والغزالي في « الإحياء » (٣ / ١٢٢) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٦٠٩) ، والغزالي في « الإحياء » (٣ / ١٢٢) ، وقولُهُ : (لو نظرتَ . . .) إلى آخره ؛ أي : لو نظرتَ بعينِ قلبك إلى الجمالِ الحقيقيِّ ، وشاهدتَ بِسِرِّكَ ما يشاهدونَ من الكمالِ الأزليِّ . فأنتَ أيضاً تسمعُ ما يُنْهَضُكَ ، وتفهمُ ما يُحَرِّكُكَ . من هامش (ح) .

وكان سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (كَثْرَةُ النِّسَاءِ لَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا ؛ لِأَنَّ عَلِيًّا رَضِوانُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَانَ أَزْهَدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ لَهُ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ وَسَبْعَ عَشْرَةَ سُرِّيَّةً) (١) .

وكان ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يقولُ : (خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً) (٢) .
وقد ذَكَرَ فِي أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَنَّ عَابِدًا تَبَتَّلَ لِلْعِبَادَةِ حَتَّى فَاقَ أَهْلَ زَمَانِهِ ، فَذَكَرَ لِنَبِيِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، فَقَالَ : نِعَمَ الرَّجُلُ لَوْلَا أَنَّهُ تَارَكَ لَشَيْءٍ مِنَ السُّنَّةِ ، فَنِمِي ذَلِكَ إِلَى الْعَابِدِ ، فَأَهَمَّهُ ، فَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي عِبَادَتِي وَأَنَا تَارَكَ السُّنَّةِ ؟ !

فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : نَعَمْ إِنَّكَ تَارَكَ التَّزْوَاجَ ، فَقَالَ : مَا تَرَكْتُهُ أَنِّي أَحَرَّمُهُ ، وَمَا مَنَعَنِي مِنْهُ إِلَّا أَنِّي فَقِيرٌ لَ شَيْءٍ لِي وَأَنَا عِيَالٌ عَلَى النَّاسِ ، يُطْعِمُونِي هَذَا مَرَّةً وَهَذَا مَرَّةً ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ أَعْضِلُهَا وَأُرْهِقُهَا جَهْدًا (٣) ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَمَا يَمْنَعُكَ إِلَّا هَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَ : أَنَا أَزْوَجُكَ ابْنَتِي ، فَزَوَّجَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَتَهُ (٤) .

وكانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٦١٠ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٠١ / ٣) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٦٩) .

(٣) قوله : (أَعْضِلُهَا) يُقَالُ : عَضَلْتُ عَلَيْهِ تَعْضِيلًا : إِذَا ضَيَّقْتَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَحُلَّتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِي . من هامش (ح) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٦١٠ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٠٠ - ٩٩ / ٣) .

إِلَّا عَشْرَةَ أَيَّامٍ . أَحَبُّهُ أَنْ أَتَزَوَّجَ وَلَا أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى عَزَبًا (١) .

وَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا الْمُتَأَهِّلِينَ .

وَقِيلَ : إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَزَوَّجَ لِأَجْلِ السُّنَّةِ وَلَمْ يَكُنْ يَقْرُبُهَا (٢) .

وَقِيلَ : إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيَنْكِحُ إِذَا نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ وَيُولَدُ لَهُ (٣) .

وَقِيلَ : إِنَّ رَكْعَةً مِنْ مُتَأَهِّلٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً مِنْ أَعَزَبٍ (٤) .

(٦١) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ طَاهِرُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْهَيْثَمِ الْمُقَوِّمِيُّ الْقَزْوِينِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو طَلْحَةَ الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي الْمُنْذِرِ الْخَطِيبُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ الْقَطَّانُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَاجَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْأَزْهَرِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ (٥) ، قَالَ : حَدَّثَنَا

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٦١١ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩٨ / ٣) ، ورواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٦١٦٠) .

(٢) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٦١٠ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩٤ / ٣) ، وقال أبو طالب مَعْلَلًا : (قيل : لَغَضُّ الْبَصَرِ ، وقيل : للْفَضْلِ فِي ذَلِكَ ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَجْمَعَ الْفَضَائِلَ كُلَّهَا ، وقيل : لِلْسُّنَّةِ) .

(٣) رواه ابن الجوزي في « المنتظم » (٣٩ / ٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٦١٤ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٠١ / ٣) ، ورواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢٦٤ / ٤) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ : « رَكَعَتَانِ مِنَ الْمُتَزَوِّجِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً مِنَ الْأَعَزَبِ » ، وانظر « غنية العارف » (٢٩٢-٢٩٣ / ١) .

(٥) هو ابن أبي إياس عبد الرحمن الخراساني العسقلاني .

عيسى بن ميمون ، عن القاسم^(١) ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النِّكَاحُ مِنْ سُنَّتِي ، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، وَتَزَوَّجُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَمَمَ ، وَمَنْ كَانَ ذَا طَوَلٍ فَلْيَنْكِحْ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَعَلَيْهِ بِالصَّيَّامِ ؛ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وَجَاءٌ »^(٢) .

ومما ينبغي للمتأهل : أن يحذر الإفراط في المخالطة والمُعاشرة مع الزوجة إلى حدٍّ ينقطع عن أوراده وسياسة أوقاته ؛ فإنَّ الإفراط في ذلك يُقَوِّي النَّفْسَ وجنودها ، ويُفْتَرِّ نَاهِضَ الهِمَّةِ .

وللمتأهل بسبب الزوجة فتنان^(٣) : فتنة لعموم حاله ، وفتنة لخصوص حاله .

فتنة عموم حاله : الإفراط في الاهتمام بأسباب المعيشة^(٤) .

كان الحسن البصري رحمه الله يقول : (والله ؛ ما أصبح اليوم رجلٌ يُطِيعُ امرأته فيما تهوى . . . إِلَّا أَكْبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ)^(٥) .

(١) هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي ، أحد فقهاء المدينة .

(٢) سنن ابن ماجه (١٨٤٦) ، والطَّوْلُ : القدرة على مؤن النكاح من الكسوة والنفقة ، والوجاء : الخضاء والوقاء ، وانظر « البدر المنير » (٤٢٥ / ٧) .

(٣) يعني : وإن كان التزوُّجُ من استرواح القلب وفسحته واتساعه ، ولكن فيه فتنان لا ينبغي للمتأهل السالك أن يغفل عنه . من هامش (ج) .

(٤) قوله : (بأسباب المعيشة) ؛ أي : معيشة الزوجة وتتبع مُراداتها ؛ لأنَّ النَّفْسَ إذا أرسلت في ذلك استرسلت فيه واستغنت بمُراد الزوجة عن الأوراد ، وتقعُ في التفرقة بالسعي في البلاد ، وإذا قَلَّتِ الأورادُ قَلَّتِ الواردات ؛ لأنَّه قيل : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرْدٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِدٌ ؛ لأنَّه ثمرته ونتيجته ، وإذا قَلَّ الوارد تكدَّر القلب . من هامش (ج) .

(٥) رواه أحمد في « الزهد » (١٦٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٩٨ / ٦) .

وفي الخبر : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدِ زَوْجَتِهِ وَأَبَوَيْهِ وَوَلَدِهِ ؛ يُعَيِّرُونَهُ بِالْفَقْرِ ، وَيُكَلِّفُونَهُ مَا لَا يُطِيقُ ، فَيَدْخُلُ الْمَدَاخِلَ الَّتِي يَذْهَبُ فِيهَا دِينُهُ فَيَهْلِكُ » (١) .

وَرُوِيَ أَنَّ قَوْمًا دَخَلُوا عَلَى يُونُسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَضَافَهُمْ ، وَكَانَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَيُؤْذِيهِ امْرَأَتُهُ وَتَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاكِتٌ ، فَعَجِبُوا مِنْ ذَلِكَ وَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ ، فَقَالَ : لَا تَعَجَبُوا مِنْ هَذَا ؛ فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ؛ مَا كُنْتُ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ . . فَعَجَّلَهُ لِي فِي الدُّنْيَا ، فَقَالَ لِي : إِنَّ عَقُوبَتَكَ بِنْتُ فُلَانٍ تَزَوَّجُ بِهَا ، فَتَزَوَّجْتُ بِهَا ، وَأَنَا صَابِرٌ عَلَى مَا تَرَوْنَ (٢) .

فَإِذَا أَفْرَطَ الْفَقِيرُ فِي الْمُدَارَاةِ رَبَّمَا يَتَعَدَّى حَدَّ الْعَدَالِ فِي وَجْهِ الْمَعِيشَةِ مُتَطَلِّبًا رِضَا الزَّوْجَةِ .

فهذه فتنةٌ عمومٍ حاله .

وفتنةٌ خصوصٍ حاله : الإفراطُ في المُجَالَسَةِ والمُخَالَطَةِ مَعَ الزَّوْجَةِ ، فتنطلقُ النَّفْسُ عَنْ قَيْدِ الْعَدَالِ ، وَتَسْتَرِقُ الْغَرَضَ بِطُولِ الْإِسْتِرْسَالِ ، فَيَسْتَوِلِي عَلَى الْقَلْبِ بِسَبَبِ ذَلِكَ السَّهْوُ وَالْغَفْلَةُ ، وَيَسْتَحْلِسُ مَقَارَّ الْمُهْلَةِ (٣) ، فَيَقِلُّ

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والخطابي في « العزلة » (١٠ / ١) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وسيأتي مسنداً في (٣٧٤ - ٣٧٥) ، وانظر « غنية العارف » (٢ / ٢٩٥) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٦٠٦ - ١٦٠٧) ، والغزالي في « الإحياء » (٣ / ١٣٧) .

(٣) في (د ، هـ) : (يستجلس) ، ويستجلسُ : يُغْطِي .

الوارد لِقَلَّةِ الأورادِ ، ويتكذَّرُ الحالُ لإهمالِ شروطِ الأعمالِ .

والطفُ مِنْ هَاتَيْنِ الفتنَيْنِ : فتنةٌ أُخرى تختصُّ بأهلِ القُرْبِ والحضورِ ؛
وذلك أنَّ للنفوسِ امتزاجاً وارتباطاً ، وبرابطةِ الامتزاجِ^(١) تعتضدُّ وتشتدُّ
وتتطرى طبيعتها الجامدة ، وتلتهبُ نارُها الخامدة^(٢) .

فدواءُ هذهِ الفتنةِ : أن يكونَ للمتأهِّلِ عندَ المُجالسةِ عَيْنَانِ باطنتانِ ينظرُ
بهما إلى مَوْلَاهُ ، وعَيْنَانِ ظاهرتانِ يستعملُهُما في طريقِ هَوَاهُ ، وقد قالتُ
رابعةُ العَدَوِيَّةُ في معنى هذا نظماً ، وتَجَذَّبُ بِهِ لِحماً وعظماً^(٣) : [من الكامل]

إِنِّي جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَيِّبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أُنِيسِي

والطفُ مِنْ هذهِ الفتنةِ : فتنةٌ أُخرى يخشاها المتأهِّلُ ؛ وهو أن يصيرَ
للروحِ استرواحٌ إلى لُطْفِ الجمالِ^(٤) ، ويكونَ ذلكَ الاسترواحُ موقوفاً على
الروحِ ، ويصيرَ ذلكَ وَلِيجَةً في حُبِّ الروحِ المخصوصِ بالتعلُّقِ بالحضرةِ

(١) أي : بين الزوجين .

(٢) في هامش (ح) : (أي : لما اختلط بالزوجة والزوجة صاحبة نفسٍ غالبية قوَّة ،
فتجذب نفسها نفسَ الزوج الراقدة ، وتتقد نارها الخامدة) .

وفي هامش (ج) : (يعني : تميلُ إلى هواها كلَّ الميل ، وتستقرُّ مع طبيعتها في اليوم
والليل ، فيتكذَّرُ القلبُ من صفائه بقدر ظهور النفس وقوَّتها ، وهذا داءُ القلبِ وفتنته ؛
لأنَّه يُسَكِّنُ حِدَّةَ طلبِ السالك ، ويجعلُ له فتوراً في السلوك والسير) .

(٣) روى البيهقي ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣) ، وأوردهما ابن عساكر في «تاريخ
دمشق» (١١٨/٦٩) ، وقوله : (وتجذب... زيادة من (ج) .

(٤) أي : جمالِ الزوجة بسبب المناسبة التي بينهما .

الإلهية ، فيتبلدُ الرُّوحُ^(١) ، وينسُدُ بابُ المَزِيدِ مِنَ الفُتُوحِ ، وهذه البلادُ
في الرُّوحِ يَعِزُّ الشعورُ بها^(٢) ، فلتُحذَرُ .

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ دَخَلَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى طَائِفَةٍ قَالُوا بِالشَّاهِدِ .

وَإِذَا كَانَ^(٣) فِي بَابِ الْحَلَالِ وَلِيجَةً فِي الْحَبِّ يَتَوَلَّدُ مِنْهَا بَلَادَةُ الرُّوحِ فِي
الْقِيَامِ بِوُظَائِفِ حُبِّ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ . . فَمَا ظَنُّكَ فِيمَنْ يَدَّعِي ذَلِكَ فِي بَابِ
غَيْرِ مَشْرُوعٍ ، ثُمَّ يَغُرُّهُ سَكُونُ النَّفْسِ !؟ فَيُظَنُّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْهَوَى
مَا سَكَنَتِ النَّفْسُ ، وَالنَّفْسُ لَا تَسْكُنُ فِي ذَلِكَ دَائِمًا ، بَلْ تَسْلُبُ مِنَ الرُّوحِ
ذَلِكَ الْوَصْفَ وَتَأْخُذُهُ أَيْضًا إِلَيْهَا .

عَلَى أَنِّي اسْتَبَحْتُ عَمَّا يُتَلَى بِهِ الْمُفْتُونُونَ بِالشَّاهِدِ ؛ فَوَجَدْتُ أَنَّ
الْمَخْمِيَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ صُورَةِ الْفَسْقِ^(٤) عِنْدَهُ رَغْوَةٌ شَرَابِ الشَّهْوَةِ ، لَوْ ذَهَبَ
الشَّرَابُ مَا بَقِيَتِ الرَّغْوَةُ ، فَلْيُحذَرُ ذَلِكَ جَدًّا ، وَلَا يُسْمَعُ مِمَّنْ يَدَّعِي فِيهِ
حَالًا وَصَحَّةً ؛ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ مُدَّعٍ .

وَلِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ الْأَطْبَاءُ : (الْجَمَاعُ يُسَكِّنُ هَيْجَانَ الْعِشْقِ وَإِنْ كَانَ مِنْ
غَيْرِ الْمَعشُوقِ) ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ مُسْتَنَدَهُ الشَّهْوَةُ^(٥) ، وَيُكَذَّبُ مَنْ يَدَّعِي فِيهِ حَالًا .

(١) بل ينقصُ بقدرِ نقصانِ محبةِ الزوجةِ محبةَ المعبود . من هامش (ج) .

(٢) أي : لا [يفطن] لها إلا أربابُ المحبةِ الخاصَّةِ الذين خَلَّتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ محبةِ غيرِ الله ،
فتعلَّقتْ أرواحهم المخلصة بالحضرة . من هامش (ح) .

(٣) أي : النظرُ إلى الجمال . من هامش (ح) .

(٤) أي : مع أَنَّهُ غَيْرُ مَخْمِيٍّ مِنْ صُورَةِ الْفَسْقِ الَّتِي هِيَ اسْتِيفَاءُ قِضَاءِ الشَّهْوَةِ . . غَيْرُ مَخْمِيٍّ
مِنْ مَعْنَى الْفَسْقِ الَّذِي هُوَ النَّظَرُ الْمُجَرَّدُ إِلَى الْأَمْرِ ؛ إِذْ لَيْسَ خَالِيًا مِنْ شَهْوَةِ النَّفْسِ ، بَلْ
عِنْدَهُ رَغْوَةُ شَرَابِ الشَّهْوَةِ . من هامش (ح) .

(٥) قوله : (مستنده) ؛ أي : مستند الناظر إلى الشاهد . من هامش (ح) .

وهذه فتْنُ الْمُتَاهِلِ .

وفتنة العزْبِ^(١) : مُرُورُ النساءِ بخاطرِه ، وتصوُّرُهُنَّ في مُتَخَيِّلِه ، وَمَنْ أُعْطِيَ الطَّهَارَةَ في بَاطِنِه لَا يُدْنِسُ بَاطِنُهُ بِخَوَاطِرِ الشَّهْوَةِ ، وَإِذَا سَنَحَ الْخَاطِرُ يَمْحُوهُ بِحُسْنِ الْإِنَابَةِ وَاللِّيَازِ بِالْهَرَبِ مِنْهُ^(٢) ، وَمَتَى سَافَرَ الْفِكْرُ كَثُفَ الْخَاطِرُ ، وَخَرَجَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى الصَّدْرِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُحَذِّرُ إِحْسَاسُ الْعَضْوِ بِالْخَاطِرِ ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ عَمَلًا خَفِيًّا .

وما أَقْبَحَ مِثْلَ هَذَا بِالْصَادِقِ الْمُتَطَلِّعِ إِلَى الْحُضُورِ وَالْيَقَظَةِ !! فَيَكُونُ ذَلِكَ فَاحِشَةً الْحَالِ ، وَقَدْ قِيلَ : (مُرُورُ الْفَاحِشَةِ بِقَلْبِ الْعَارِفِ كِفْعَلِ الْفَاعِلِينَ لَهَا)^(٣) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



(١) في (د ، هـ ، و ، ح) : (الأَعزْبُ) ، وَلَمْ يُجَوِّزْ أَبُو حَاتِمٍ مَجِيئَهُ عَلَى (أَفْعَلَ) ؛ لَكُونِهِ غَيْرَ وَارِدٍ وَلَا مَسْمُوعٍ ، وَأَجَازَهُ غَيْرُهُ ، وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا فِي الْجَنَّةِ أَعَزْبُ » ، وَانْظُرْ « تَاجُ الْعُرُوسِ » (٣ / ٣٦١) .

(٢) قَوْلُهُ : (وَإِذَا سَنَحَ الْخَاطِرُ) السَّنِيحُ : مَا أَتَاكَ عَنْ يَمِينِكَ مِنْ طَيْرٍ ، وَكُلُّ مَا عَرَضَ فَقَدْ سَنَحَ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) فِي هَامِشٍ (ب) : (بَلِغُ مَقَابَلَةٍ ، بَلِغُ قِرَاءَةٍ) ، وَفِيهِ : (بَلِغُ لِلْجَمَاعَةِ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ) ، وَفِيهِ : (بَلِغُ عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ) .

الباب الثاني والعشرون

في القول في السمع قبولاً وإثارة^(١)

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ١٧ - ١٨] ^(٢) ، قيل : ﴿ أَحْسَنَهُ ﴾ ؛ أي : أهده وأرشده ^(٣) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

هذا السَّمْعُ هو السَّمْعُ الحقُّ الذي لا يختلفُ فيه اثنانٍ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ ، محكومٌ لصاحبه بالهداية واللُّبِّ .

وهذا سماعٌ تَرُدُّ حرارته على بَرْدِ اليقين ^(٤) ، فتفيضُ العينُ بالدمع ؛ لأنه

(١) أي : في السماع الذي يُقبل ويؤثر ؛ أي : يُختار . من « شرح المشكلات » (ق/ ٣٣) .

(٢) قوله : (عبادي) كذا في جميع النسخ بإثبات الياء ، وللشُّوسِيِّ فيها ثلاثة أوجه : إثبات الياء في الحاليين مفتوحة وصلاً ساكنة وقفاً ، وحذفها في الحاليين ، وإثباتها مفتوحة وصلاً وحذفها وقفاً ، وقرأ يعقوب بإثباتها وقفاً لا وصلاً ، وقرأ الباقر بحذفها في الحاليين . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص ٤٨١) .

(٣) انظر « تفسير الطبري » (٢٧٣ / ٢١) ، و « الكشف والبيان » (٢٨ / ٢٣) .

(٤) قال في « شرح المشكلات » (ق / ٣٣) : (المراد بالبرد : سكون القلب وطمأنينته ؛ وذلك لأنَّ اليقين مُستلزم لسكون القلب وطمأنينته ، كما أنَّ البرودة مستلزمة للسكون =

تَارَةً يُثِيرُ حُزْنَاً^(١) والحزنُ حَارٌّ ، وتَارَةً يُثِيرُ شَوْقاً^(٢) والشَّوقُ حَارٌّ ، وتَارَةً يُثِيرُ نَدَمًا^(٣) والنَّدَمُ حَارٌّ ؛ فإذا أثَارَ السَّماعُ هذه الصفاتِ مِنْ صاحبِ قلبٍ مملوءٍ بِبَرْدِ اليقينِ . . أبكى وأدمعَ ؛ لأنَّ الحرارةَ والبرودةَ إذا اصطدمتا عَصَرَتَا ماءً .

فإذا أَلَمَ السَّماعُ بالقلبِ تَارَةً يَخِفُّ إِمَامُهُ^(٤) ، فيظهرُ أثرُهُ في الجسدِ ، وَيَقْشَعِرُّ مِنْهُ الْجِلْدُ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ نَفْسَعِرُّ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

وتَارَةً يَعْظُمُ وَقْعُهُ ، ويتصَوَّبُ أثرُهُ إلى فوقِ نحوَ الدِّماغِ^(٥) ، كالمُخْبِرِ للعقلِ ، بِعِظَمِ وَقَعِ الْمُتَجَدِّدِ الْحَادِثِ^(٦) ، فتندفقُ مِنْهُ العَيْنُ بالدمعِ .
وتَارَةً يتصَوَّبُ أثرُهُ إلى الرُّوحِ ، فتموجُ مِنْهُ الرُّوحُ مَوْجاً يَكَادُ يَضِيقُ عَنْهُ نِطاقُ الْقَالِبِ ، فيكونُ مِنْ ذَلِكَ الصِّيَاحُ والاضْطرابُ .

= وعدم الحركة ، والشك والظن مستلزم لاضطراب القلب وقلقه وعدم سكونه ، كما أنَّ الحرارةَ مستلزمة للحركة وعدم السكون) .

(١) على ما فات من الأوقات بغير الاشتغال بالله . من هامش (ح) .

(٢) إلى لقاء الله تعالى . من هامش (ح) .

(٣) بالتنزلات الغير اللاتقة بأرباب علو الهمة . من هامش (ح) .

(٤) في (ج) : (الماء منه) بدل (إمامه) .

(٥) التصوَّب : النزول من علو إلى سفلى ؛ كتزول المطر ، ولمَّا كان السَّماعُ أولاً بالأذن والأذنُ أعلى من الجسد . . فإطلاقُ النزول من علو إلى سفلى عليه صحيحٌ ، ولمَّا كان الدماغُ أعمقَ من الجسدِ والروحُ أعمقَ من الدماغِ . . صحَّ إطلاقُ التصوَّبِ على ما يظهرُ عليهما . من هامش (ح) .

(٦) قيل : محل العقل : تَارَةُ القلبِ ، وتَارَةُ الدماغِ ، فإذا كان في الدماغِ فهو يتهيأ لعمارة الدنيا وإصلاحها ، وإذا كان في القلبِ فله صلاحية عمارة العالم العلوي وقبول الكلام النبوي . من هامش (ج) .

وهذه كلها أحوالٌ يَجِدُها أربابُها مِنْ أصحابِ الحالِ^(١) ، وقد يَحْكِيها بدلائلِ هوى النَّفْسِ أربابُ المِحالِ^(٢) ؛ رُوِيَ أَنَّ عمرَ رضيَ اللهُ عنه كانَ ربَّما مرَّ بِالآيَةِ فِي وَرْدِهِ ، فَتَخَنَّفُ العَبْرَةُ وَيَسْقُطُ ، وَيَلْزَمُ البَيْتَ اليَوْمَ واليَوْمَيْنِ ؛ حَتَّى يُعَادُ وَيُحَسَّبُ مريضاً^(٣) .

فالسَّماعُ يَسْتَجْلِبُ الرِّحمةَ مِنَ اللهِ الكَرِيمِ ؛ رَوَى زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ قَالَ : قرأَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَقُّوا ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اُغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ ؛ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى »^(٤) .

وَرَوَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ قَالَتْ : قَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَقْشَعَرَ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ . . تَحَاتَّتْ عَنْهُ الذُّنُوبُ كَمَا يَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ وَرَقُهَا »^(٥) .

(١) أصحاب الحال : هم الذين أثرت فيهم أنوارُ الأعمالِ الصالحة ، فوهبهم اللهُ تعالى على أعمالهم بالمجازاة حالَ الوجد والذوق ، وحالَ الكشف والمشاهدة والمُعَاينة والمعرفة بشرط الاستقامة . من هامش (ح) .

(٢) في (ب) ونسخة على هامش (و) : (راكب أرباب) بدل (أرباب) ، والمِحال : المكر والكيد .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٩٨) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣٥٢) .

(٤) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٥٢) ، والقضاعي في « مسنده » (٦٩٢) ، وسنده منقطع .

(٥) رواه البزار في « مسنده » (١٣٢٢) ، وأبو بكر البغدادي في « الغيلانيات » (٢٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٨٢) عن أم كلثوم عن أبيها العباس رضي الله عنهما .

وَوَرَدَ أَيْضاً : « إِذَا أَقْشَعَرَ الْجِلْدُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ . . حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّارِ » (١) .

وهذه جملة لا تُتَكَرَّرُ ولا اِخْتِلَافَ فيها ، إِنَّمَا اِخْتِلَافٌ فِي سَمَاعِ الْأَشْعَارِ بِالْأَلْحَانِ ، وَقَدْ كَثُرَتْ الْأَقْوَالُ فِي ذَلِكَ وَتَبَايَنَتِ الْأَحْوَالُ ؛ فَمِنْ مُنْكَرٍ يُلْحِقُهُ بِالْفِسْقِ ، وَمِنْ مُوَلِّعٍ بِهِ يَشْهَدُ بِأَنَّهُ وَاضِحُ الْحَقِّ ، وَيَتَجَاذِبَانِ فِي طَرَفَيْ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ .

قِيلَ لِأَبِي الْحَسَنِ بْنِ سَالِمٍ : كَيْفَ تُنْكَرُ السَّمَاعَ وَقَدْ كَانَ الْجُنَيْدُ وَسَرِيَّ السَّقَطِيُّ وَذُو النُّونِ يَسْمَعُونَ ؟! فَقَالَ : كَيْفَ أَنْكَرُ السَّمَاعَ وَقَدْ أَجَازَهُ وَسَمِعَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَقَدْ كَانَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ يَسْمَعُ ، وَإِنَّمَا الْمُنْكَرُ لِلَّهِوُ وَاللَّعْبُ فِي السَّمَاعِ (٢) .

وهذا قولٌ صحيحٌ .

(٦٢) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ طَاهِرُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ ، عَنْ أَبِيهِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ الْخَوَافِيِّ (٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا

(١) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٣ / ٤٨ - ٤٩) ، ومن طريقه البغوي في « تفسيره » (١١٦ / ٧) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢ / ١٠٩٤) ، وأبو الحسن : هو علي بن سالم البصري صاحب سهل التستري وشيخ أبي طالب صاحب « القوت » .

(٣) الْخَوَافِيُّ : نسبة إلى (خَوَافَ) ؛ وهي ناحية من نواحي نيسابور كثيرة القرى والخضرة . انظر « الأنساب » (٥ / ٢١٩) ، واسمه في « صفوة التصوف » : (الحسن) بدل (الحسين) .

أبو بكر بن وثاب ، قال : حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيتَانِ تُغْنِيَانِ وَتَضْرِبَانِ بِدُفَيْنِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسَجًى بِثَوْبِهِ ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : « دَعُوهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ » (١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : (رأيتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أَسَاسُ) (٢) .

وقد ذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا يَدُلُّ عَلَى تَجْوِيزِهِ ، وَنَقَلَ ذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ ؛ صَحَابِيٍّ وَتَابِعِيٍّ وَغَيْرِهِمْ (٣) .

وقولُ الشَّيْخِ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ يُعْتَبَرُ ؛ لَوْفُورِ عِلْمِهِ ، وَكَمَالِ حَالِهِ ، وَعِلْمِهِ بِأَحْوَالِ السَّلَفِ ، وَمَكَانِ وَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ ، وَتَحَرِّيهِ الْأَصُوبَ وَالْأَوْلَى .

(١) صفوة التصوف (٣٢٢) ، ورواه البخاري (٣٥٢٩) ، ومسلم (١٧/٨٩٢) .

(٢) رواه البخاري (٥٢٣٦) ، ومسلم (١٨/٨٩٢) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١٠٨٩/٢) وما بعدها ، وممن سمع من الصحابة : عبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وبلال المؤذن ، وعبد الله بن الأرقم ، وحمزة بن عبد المطلب ، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، ومن التابعين : سعيد بن المسيب ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن حسان ابن ثابت ، والقاضي شريح ، وسعيد بن جبير ، والشَّعْبِي ، وعطاء بن أبي رباح ، وغيرهم رحمهم الله تعالى ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٤٥٨-٤٦٢) .

وقال : (في السَّماعِ حرامٌ وحلالٌ وشُبْهَةٌ ؛ فَمَنْ سَمِعَهُ بِنَفْسٍ مُشَاهِدَةٍ
شهوةٌ وهوىٌ . . فهو حرامٌ .

وَمَنْ سَمِعَهُ بِمَعْقُولِهِ عَلَى صِفَةٍ مَبَاحٍ مِنْ جَارِيَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ . . كَانَ شُبْهَةً ؛
لِدُخُولِ اللَّهْوِ فِيهِ .

وَمَنْ سَمِعَهُ بِقَلْبٍ بِمُشَاهَدَةٍ مَعَانٍ تَدُلُّهُ عَلَى الدَّلِيلِ ^(١) ، وَتَشْهَدُهُ طُرُقَاتِ
الْجَلِيلِ . . فهو مَبَاحٌ ^(٢) .

هَذَا قَوْلُ الشَّيْخِ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ .

فَإِذَا : لَا يُطْلَقُ الْقَوْلُ بِمَنْعِهِ وَتَحْرِيمِهِ ، وَالْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ يَسْمَعُ ؛ كِفْعَلِ
الْقُرَّاءِ الْمُتَرْهِّدِينَ الْمُبَالِغِينَ فِي الْإِنْكَارِ ، وَلَا يُفْسَخُ فِيهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ كِفْعَلِ
بَعْضِ الْمُسْتَهْتَرِينَ بِهِ الْمُتَهَمِلِينَ شَرْوْطَهُ وَآدَابَهُ ، الْمُقِيمِينَ عَلَى الْإِصْرَارِ .

وَنُقْصَلُ الْأَمْرَ فِيهِ تَفْصِيلاً ، وَنُوضِّحُ الْمَاهِيَّةَ فِيهِ تَحْرِيمًا وَتَحْلِيلًا :

فَأَمَّا الدَّفْتُ وَالشَّبَابَةُ ^(٣) وَإِنْ كَانَ فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ رِضَا اللَّهِ عَنْهُ فِيهِمَا
فُسْحَةٌ . . فَالْأَوَّلَى : تَرْكُهُمَا ، وَالْأَخْذُ بِالْأَحْوَطِ ، وَالخُرُوجُ مِنَ الْخِلَافِ .

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ : فَإِنْ كَانَ مِنَ الْقِصَائِدِ فِي ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالتَّشْوِيقِ
إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، وَوَصْفِ نِعَمِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَذِكْرِ الْعِبَادَاتِ ، وَالتَّرْغِيبِ
فِي الْخَيْرَاتِ . . فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِنْكَارِ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ : قِصَائِدُ الْغُرَاقَةِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (مُشَاهِدَةٌ مَعَانِي تَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ) .

(٢) قُوَّةُ الْقُلُوبِ (١٠٩٠ / ٢) .

(٣) الشَّبَابَةُ : هِيَ الْمُسَمَّاءُ بِـ (النَّايِ) .

والْحُجَّاجِ فِي وَصْفِ الْحَجِّ وَالْغَزْوِ ؛ مِمَّا يُشِيرُ كَامِنَ الْعَزْمِ مِنَ الْغَايِ ،
وَسَاكِنَ الشَّوْقِ مِنَ الْحَاجِّ .

وَأَمَّا مَا كَانَ فِيهِ ذِكْرُ الْقُدُودِ وَالْخُدُودِ وَوَصْفُ النِّسَاءِ . . فلا يَلِيقُ بِأَهْلِ
الدِّيَانَاتِ الْاجْتِمَاعِ لِمِثْلِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ ذِكْرِ الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ وَالْقَطِيعَةِ وَالصَّدِّ مِمَّا يَقْرُبُ حَمْلَهُ
عَلَى أُمُورِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ تَلَوُّنِ أَحْوَالِ الْمُرِيدِينَ وَدُخُولِ الْآفَاتِ
عَلَى الطَّالِبِينَ . . فَمَنْ سَمِعَ ذَلِكَ وَحَدَّثَ عَنْهُ نَدَّمَ عَلَى مَا فَاتَ ، أَوْ تَجَدَّدَ
عَنْهُ عَزْمٌ لِمَا هُوَ آتٍ . . فَكَيْفَ يُنْكِرُ سَمَاعُهُ ؟!

وقد قيل : إِنَّ بَعْضَ الْوَاجِدِينَ كَانَ يَقْتَاتُ السَّمَاعَ^(١) ، وَيَتَقَوَّى بِهِ عَلَى
الطِّيِّ وَالْوِصَالِ^(٢) ، وَيُشِيرُ عَنْهُ مِنَ الشَّوْقِ مَا يُذْهِبُ عَنْهُ لَهَبَ الْجُوعِ^(٣) .
فَإِذَا اسْتَمَعَ الْعَبْدُ إِلَى بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَقَلْبُهُ حَاضِرٌ فِيهِ ، وَيَسْمَعُ الْحَادِي
يَقُولُ مِثْلًا^(٤) :

أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ إِنِّي أَسَأْتُ وَقَدْ تَضَاعَفَتِ الذُّنُوبُ
فَأَمَّا مِنْ هَوَى لَيْلَى وَحُبِّي زِيَارَتَهَا فَإِنِّي لَا أَتُوبُ
فَطَابَ قَلْبُهُ ؛ لِمَا يَجِدُهُ مِنْ قُوَّةِ عَزْمِهِ عَلَى الثَّبَاتِ ، فِي أَمْرِ الْحَقِّ إِلَى
الْمَمَاتِ . . يَكُونُ فِي سَمَاعِهِ هَذَا ذَاكِرًا لِلَّهِ تَعَالَى .

(١) الوجد : عبارة عن وارد يردُّ من الله على القلب ، ويُغَيِّرُهُ مِنَ الْهَيْئَةِ الَّتِي [كَانَ] عَلَيْهَا قَبْلُ
بِأَحْدَاثِ وَصْفٍ مِنَ الْحُزَنِ أَوْ الْفَرَحِ أَوْ الشَّوْقِ . من هامش (ح) .

(٢) الطِّيُّ : تعمُّدُ الْجُوعِ .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩١ / ٢) .

(٤) البيتان لمجنون ليلى في « ديوانه » (ص ٣٦) ، والبيت الأول زيادة من (ي) .

قال بعض أصحابنا : (كُنَّا نعرفُ مواجيدَ أصحابنا في ثلاثةِ أشياء : عندَ المسائلِ ، وعندَ الغضبِ ، وعندَ السَّماعِ)^(١) .

وقال الجنيدُ رحمه الله عليه : (تنزلُ الرحمةُ على هذهِ الطائفةِ في ثلاثةِ مواضعَ : عندَ الأكلِ ؛ لأنَّهُم لا يأكلونَ إلَّا عن فاقةٍ ، وعندَ المذاكرةِ ؛ لأنَّهُم لا يتحاورونَ إلَّا في مقاماتِ الصّديقينَ ، وأحوالِ النّبیینَ ، وعندَ السَّماعِ ؛ لأنَّهُم يسمعونَ بوجدٍ ويشهدونَ حقًا)^(٢) .

وسئلَ رؤيمٌ رحمه الله عن وجدِ الصّوفيّةِ عندَ السَّماعِ ، فقالَ : يتنبّهونَ للمعاني التي تعزُبُ عن غيرِهِم ، فتُشيرُ إليهِم^(٣) : إليَّ إليَّ ، فيتنعمونَ بذلكَ مِنَ الفرحِ ، ويقعُ الحجابُ للوقتِ ، فيعودُ ذلكَ الفرحُ بكاءً ؛ فمنهُم مَنْ يخرقُ ثيابهُ ، ومنهُم مَنْ يبكي ، ومنهُم مَنْ يصيحُ^(٤) .

(٦٣) - أخبرنا أبو زرعةٌ إجازةً ، عن ابنِ خلفٍ إجازةً^(٥) ، عن السُّلَميّ قالَ : سمعتُ أبا سهلٍ محمّدَ بنَ سليمانَ يقولُ^(٦) : (المستمعُ بينَ استتارِ

(١) انظر « قوت القلوب » (١٠٩١ / ٢) .

(٢) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩١ / ٢) ، وأورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٣٤٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٣) ، وقوله : (ويشهدونَ حقًا) لا خلقًا ؛ لأنَّ بواطنهم خلَّتْ من التعلُّق بالخلق ، وامتلاّت من حبِّ الحقِّ ، فإذا سمعوا ممّا كان بينهم وبين الحقِّ . . شاهدوا الحقَّ وانتهضوا إليه . من هامش (ح) .

(٣) في (ج) : (فتشير) بدل (فتشير) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٦٨٥) ، وأورده الخركوشي في « تهذيبه » (ص ٣٣٥) .

(٥) سقط التصريح بالإجازة من غالب النسخ .

(٦) أبو سهل : هو الصُّعْلوكي الأستاذ الكبير وإمام المسلمين في زمانه علماً وورعاً وزهداً رحمه الله تعالى .

وَتَجَلَّى^(١) ؛ فالاستتارُ يُورِثُ التَّلَهَّبَ^(٢) ، والتجلِّيُ يُورِثُ المَزِيدَ^(٣) ؛
فالاستتارُ يتولَّدُ منه حركاتُ المُريدِينَ ، وهو مَحَلُّ الضَّعْفِ والعَجْزِ ،
والتجلِّيُ يتولَّدُ منه السُّكُونُ للواصلِينَ ، وهو مَحَلُّ الاستقامةِ والتمكينِ ،
وكذلك مَحَلُّ الحَضْرَةِ ؛ ليسَ فيه إِلَّا الذُّبُولُ تحتَ مواردِ الهَيْبَةِ^(٤) .

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ : سمعتُ جدِّي يقولُ : (المستمعُ
ينبغي أن يسمعَ بقلبٍ حيٍّ ونَفْسٍ ميتَةٍ ، وَمَنْ كانَ قلبُهُ ميتاً ونَفْسُهُ حيَّةً .
لا يَحِلُّ لَهُ السَّماعُ)^(٥) .

وقيلَ في قولِهِ تعالى : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ١] : الصوتُ
الحَسَنُ^(٦) .

(١) المراد بالاستتار : احتجابُ نورِ الحقيقةِ بظهورِ صفاتِ البشريَّةِ وتراكمِ ظُلُماتها ،
وبالتجلِّي : انكشافُ شمسِ الحقيقةِ [عن] غُيُومِ صفاتِ البشريَّةِ بغَيِّبتها وزوالها . من
هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (أي : المستمع لا يخلو إمَّا أن يكونَ في حجابِ
وستر ، وهو يُورِثُ احتراقاً وحزناً واضطراباً ، وإمَّا أن يكونَ في تجلٍّ وكشف ، وهو يزيدُ
في حاله وثباته ويقينه) .

(٢) أي : الاحتراقُ بنارِ الهجرانِ والفقدانِ . من هامش (ح) .

(٣) أي : التَّعَمُّقُ بمزيدِ الوصالِ والوجدانِ . من هامش (ح) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٦٨٦) ، والجملة الأخيرة فقط في « تفسير السلمي »
(٢ / ٢٤٤) .

(٥) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٦) ، وجدُّ السلمي : هو الإمام
القُدوة الربَّاني شيخ نيسابور أبو عمرو إسماعيل بن نُجيدِ السُّلَمي النيسابوري ، وهو جدُّه
لأمه . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٤٦ / ١٦) ، وفي هامش (ح) : (من علامة موت
القلب : نسيانُ الربِّ ، ونسيانُ الآخرة ، والانكبابُ إلى أشغال الدنيا ، واتِّباعُ الهوى) .

(٦) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥١ / ٢٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٤)
عن ابن شهاب رحمه الله تعالى ، وانظر « النكت والعيون » (٤٦٢ / ٤) .

وقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « اللَّهُ تَعَالَى أَشَدُّ أَذْنًا لِلرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ
بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ قَيْنَةٍ إِلَى قَيْنَتِهِ » (١) .

نَقَلَ عَنِ الْجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ : رَأَيْتُ إِبْلِيسَ فِي النَّوْمِ ، فَقُلْتُ لَهُ :
هَلْ تَنْظَرُ مِنْ أَصْحَابِنَا بِشَيْءٍ أَوْ تَنَالُ مِنْهُمْ شَيْئًا ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ يَعْسُرُ عَلَيَّ
شَأْنُهُمْ ، وَيَعْظُمُ عَلَيَّ أَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا ، إِلَّا فِي وَاقَتَيْنِ ، قُلْتُ : أَيَّ
وَقْتٍ ؟ قَالَ : وَقْتَ السَّمَاعِ ، وَعِنْدَ النَّظَرِ ؛ فَإِنِّي أَسْتَرِقُّ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَأَدْخُلُ
عَلَيْهِمْ بِهِ .

قَالَ : فَحَكَيْتُ رُؤْيَايَ لِبَعْضِ الْمَشَايخِ ، فَقَالَ : لَوْ رَأَيْتُهُ قُلْتُ لَهُ :
يَا أَحْمَقُ ؛ مَنْ سَمِعَ مِنْهُ إِذَا سَمِعَ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِذَا نَظَرَ . . أَتَرَبِّحُ أَنْتَ عَلَيْهِ شَيْئًا
أَوْ تَنْظَرُ مِنْهُ بِشَيْءٍ ؟ ! فَقُلْتُ : صَدَقْتَ (٢) .

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٣٤٠) ، وَأَحْمَدُ (١٩/٦) ، وَابْنُ حِبَانَ (٧٥٤) ، وَالْحَاكِمُ
(٥٧١/١) عَنْ سَيِّدِنَا فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالْأَذْنُ : الْإِسْتِمَاعُ ،
وَقَوْلُهُ : (مَنْ صَاحِبُ قَيْنَةٍ إِلَى قَيْنَتِهِ) ؛ أَيُّ : مَنْ اسْتَمَاعَ مَالِكٌ جَارِيَةً مُغْنِيَةً إِلَى غَنَائِهَا ،
وَإِطْلَاقُ الْقَيْنَةِ عَلَى الْمُغْنِيَةِ عَلَى مَا هُوَ الْمَتَعَارِفُ ، وَإِلَّا فَنَحْنُ أَصْلُ كَلَامِ الْعَرَبِ : الْقَيْنَةُ :
الْأَمَةُ مُغْنِيَةٌ كَانَتْ أَوْ غَيْرَ مُغْنِيَةٍ ، وَالْجَمْعُ : (الْقِيَانُ) . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) أورد هذه القصة الغزالي في « الإحياء » (٥٢١/٤) ، ويشبه هذه القصة ما رواه
القشيري في « رسالته » (ص ٦٩٧) عن أبي الحارث الأولاسي قال : (رأيتُ إبليسَ
- لعنه الله - في المنام على بعض سطوح أولاسٍ وأنا على سطح ، وعلى يمينه جماعةٌ
وعلى يساره جماعة ، وعليهم ثيابٌ لطافٌ ، فقال لطائفة منهم : قولوا ، فقالوا وغيثوا ،
فاستفرغني طيبه حتى هممتُ أن أطرح نفسي من السطح ، ثم قال : ارقصوا ، فرقصوا
أطيب ما يكون ، ثم قال لي : يا أبا الحارث ؛ ما أصبتُ شيئاً أدخلُ به عليكم إلا
هذا) ؛ وذلك من حيث اشتماله على الرياء والعجب ؛ فإنَّ العبدَ يستفرِّغُ السماعَ حتى
يقوم قبل وقته ، فلا يكون مغلوباً ولا معذوراً ، وربما قام مغلوباً وسُرِّي عنه فلا يهونُ
عليه أن يقعد ، ويتمادى في التواجد مُتَكَلِّفًا ، فيكون مُرَائِيًا ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ =

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَتْ عِنْدِي جَارِيَةٌ تُسَمِّعُنِي ،
فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ عَلَى حَالَتِهَا ، ثُمَّ دَخَلَ عَمْرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَفَرَّتْ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ
عَمْرُ : مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَحَدَّثَهُ حَدِيثَ الْجَارِيَةِ ، فَقَالَ : لَا أَبْرَحُ
حَتَّى أَسْمَعَ مَا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْمَعْتُهُ^(١) .

وَذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : (كَانَ لِعَطَاءٍ جَارِيَتَانِ
تُلَحِّنَانِ ، وَكَانَ إِخْوَانُهُ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِمَا)^(٢) ، وَقَالَ : (أَدْرَكْنَا أَبَا مِرْوَانَ
الْقَاضِيَّ وَلَهُ جَوَارٍ يُسَمِعُنَ التَّلْحِينَ أَعْدَهُنَّ لِلصُّوفِيَّةِ)^(٣) .

وَهَذَا الْقَوْلُ نَقَلْتُهُ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَعِنْدِي اجْتِنَابُ
ذَلِكَ هُوَ الصَّوَابُ ، وَهَذَا لَا يَسْلَمُ إِلَّا بِشَرْطِ طَهَارَةِ الْقَلْبِ ، وَغَضُّ الْبَصْرِ ،
وَالْوَفَاءِ بِشَرْطِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] ،
وَمَا هَذَا الْقَوْلُ مِنَ الشَّيْخِ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ إِلَّا مُسْتَفْرَبٌ عَجِيبٌ ،

= نسبته إلى ضعف حاله وقلة وقده . انظر « إحكام الدلالة » (١٤٦/٤) ، وفي هامش
(ح) عند قوله : (صدقت) : (وهذا يكون لأرباب النفوس المطمئنة وأصحاب
القلوب المحبة المشاهدة ، فهو لا يصيب منهم شيئاً ، ويربح على أرباب التلويح ؛
لبقايا نفوسهم ، وتطلّعهم إلى الأغيار) .

(١) رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (١٢٥٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ
بغداد » (٥٩/١٣) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٣٣٥) ، وانظر
« تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢٢٣/٢) .

(٢) قوت القلوب (١٠٩٤/٢) ، وتلحنان : تُغْنِيَانِ بِالْأَلْحَانِ .

(٣) قوت القلوب (١٠٩٤/٢) .

والتزُّهُ عن مِثْلِ ذَلِكَ هُوَ الصَّحِيحُ .

وفي الحديثِ في مَدْحِ داوُدَ عليه السلامُ : أَنَّهُ كَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ بِالنِّبَاحَةِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَبِتِلَاوَةِ الزَّبُورِ ، حَتَّى كَانَ يَجْتَمِعُ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالطَّيْرُ لِسَمَاعِ صَوْتِهِ ، وَكَانَ يُحْمَلُ مِنْ مَجْلِسِهِ آلَافٌ مِنَ الْجَنَائِزِ^(١) .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَدْحِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
« لَقَدْ أُعْطِيَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ »^(٢) .

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً »^(٣) .

وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَقَوْمٌ يُنْشِدُونَ الشَّعْرَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَرَأْنُ وَشَعْرٌ ؟ ! فَقَالَ :
« مِنْ هَذَا مَرَّةً ، وَمِنْ هَذَا مَرَّةً »^(٤) .

(١) رواه بنحوه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧ / ١٠٠) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى ، وروى عن غيره أيضاً آثاراً تُؤَيِّدُ المَثْبِتَ ، وفي هامش (ح) : (الرُّوحُ إِذَا سَمِعَ الصَّوْتِ الْحَسَنَ وَاسْتَلَذَّ بِذَلِكَ . . يَذْكُرُ مَخَاطِبَةَ الْحَقِّ إِثَّاهُ بِقَوْلِهِ : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » [الأعراف : ١٧٢] ، فَحَنَّنَ إِلَى الْعُودِ إِلَى الْحَضْرَةِ [الرَّبَّانِيَّةِ] ، وَطَارَ مِنَ الْأَوْكَارِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعِنْدِيَّةِ) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٤٨) ، ومسلم (٢٣٦ / ٧٩٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٢٣٥ / ٧٩٣) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٣٠٧ - ٣٠٨) .

(٣) رواه البخاري (٦١٤٥) عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه ، وروى عن غيره أيضاً ، وانظر « غنية العارف » (٣٠٨ / ١) .

(٤) قال الغماري في « غنية العارف » (٣٠٩ / ١) : (لَا أَصْلَ لَهُ ، وَهُوَ بَاطِلٌ) .

وَأَنْشَدَ النَّابِغَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَاتَهُ الَّتِي فِيهَا : [من الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي أَمْرٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَكِيمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرُ أَصْدَرَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحْسَنْتَ يَا أَبَا لَيْلَى ،
لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَآكَ » ، فَعَاشَ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ سَنَةٍ ، وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ
تَغْرًا (١) .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ لِحْشَانَهُ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ ،
فَيَقُومُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَائِمًا يَهْجُو الَّذِينَ كَانُوا يَهْجُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا
دَامَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » (٢) .

وَرَأَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ أَبَا الْعَبَّاسِ الْخَضِرَ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٩٤) ، وتَمَّام في « فوائده »
(١٤٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٢ / ٥٠) عن النابغة الجعدي ،
والبيتان في « ديوانه » (ص ٨٥) ، وانظر « غنية العارف » (٣٠٩ / ١) ،
والفَضُّ : الكسر .

(٢) رواه أبو داود (٥٠١٥) ، والترمذي (٢٨٤٦) ، وأحمد (٧٢ / ٦) ، والحاكم
(٤٨٧ / ٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وَرُوحُ الْقُدُسِ : جبريل عليه الصلاة
والسلام ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ بِمَا فِيهِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ ، فَهُوَ كَالْمَبْدَأِ لِحَيَاةِ
الْقُلُوبِ ، كَمَا أَنَّ الرُّوحَ مَبْدَأُ حَيَاةِ الْجَسَدِ ، وَالْقُدُسُ صِفَةُ لِلرُّوحِ ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ؛
لِأَنَّهُ مُجْبُولٌ عَلَى الطَّهَارَةِ وَالنَّزَاهَةِ عَنِ الْعُيُوبِ ، وَقِيلَ : الْقُدُسُ بِمَعْنَى الْمُقَدَّسِ ؛
وَهُوَ اللَّهُ ، وَإِضَافَةُ (الرُّوحِ) إِلَيْهِ لِلتَّشْرِيفِ ، وَيُنَافِحُ : يُدَافِعُ وَيُنَاضِلُ .

السَّماعِ الذي يَخْتَلِفُ فِيهِ أَصْحَابُنَا ؟ فَقَالَ : هُوَ الصَّفَاءُ الزُّلَالُ الذي لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ ^(١) .

وَنُقِلَ عَنْ مِمِّشَادِ الدِّينَوْرِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا السَّماعِ شَيْئاً ؟ فَقَالَ : مَا أَنْكَرُهُ ، وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ : يَفْتَتِحُونَ قَبْلَهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَيَخْتَتِمُونَ بَعْدَهُ بِالْقُرْآنِ .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ يُؤْذُونَنِي وَيَنْبَسِطُونَ ، فَقَالَ : احْتَمِلْهُمْ يَا أَبَا عَلِيٍّ ؛ هُمْ أَصْحَابُكَ ، فَكَانَ مِمِّشَادُ يَفْتَخِرُ وَيَقُولُ : كُنَّا نِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) .

وَأَمَّا وَجْهُ الْإِنْكَارِ فِيهِ : فَهُوَ أَنْ يُرَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُرِيدِينَ دَخَلُوا فِي مَبَادِي الْإِرَادَةِ وَنَفُوسُهُمْ مَا تَمَرَّنَتْ عَلَى صِدْقِ الْمُجَاهِدَةِ حَتَّى يَحْدُثَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بظُهُورِ صِفَاتِ النَّفْسِ وَأَحْوَالِ الْقَلْبِ ؛ حَتَّى تَنْضَبِطَ حَرَكَاتُهُمْ

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٢/٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٤١٧/٤) ، والخضر حيي عند جماهير أهل العلم ؛ قال ابن الصلاح في « فتاويه » (١٨٥/١) : (وَأَمَّا الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : فَهُوَ مِنَ الْأَحْيَاءِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْخَاصَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَالْعَامَّةُ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا شَدَّ بِإِنْكَارِ ذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ) ، وَهُوَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَاخْتَلَفُوا فِي كَوْنِهِ مَرْسَلًا ، وَانْظُرْ « تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ » (١٧٦-١٧٧) ، وَفِي هَامِشِ (ج) عِنْدَ قَوْلِهِ : (هُوَ الصَّفَاءُ) : (يَعْنِي : هُوَ فِي غَايَةِ اللَّطَافَةِ يَتَغَيَّرُ بِأَدْنَى شَيْءٍ ، وَإِذَا كَانَ فِي غَايَةِ الصَّفَاءِ لَمْ يَكُنْ مُحَظُوظًا بِهِ إِلَّا أَهْلُ الصَّفَاءِ) .

(٢) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٢/٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٤١٧/٤) ، وَلَيْسَ فِيهِ : (فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّهُمْ يُؤْذُونَنِي . . .) .

بقانونِ العِلْمِ ، ويعلمُوا ما لَهُمْ وعليهِمْ .

حُكِي : أَنَّ ذَا الثُّونِ رَحِمَهُ اللهُ لَمَّا دَخَلَ بَغْدَادَ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ وَمَعَهُمْ
قَوَالٌ ، فَاسْتَأْذَنُوهُ أَنْ يَقُولَ شَيْئاً ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَنشَدَ الْقَوَالَ : [من مجزوء الوافر]

صَغِيرُ هَوَاكَ عَذِيْبِي فَكَيْفَ بِهِ إِذَا احْتَنَكَا
وَأَنْتَ جَمَعْتَ مِنْ قَلْبِي هَوًى قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا
أَمَا تَرَى لِمُكْتَنَبٍ إِذَا ضَحِكَ الْخَلِيُّ بَكَى^(١)

فطاب قلبه ، وقام وتواجد ، وسقط على جبهته والدم يقطر من جبهته
ولا يقع على الأرض ، ثم قام واحداً منهم ، فنظر إليه ذو الثون فقال :
﴿ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الشعراء : ٢١٨] ، فجلس الرجل ، فكان جلوسه لموضع
صدقه وعلمه أنه غير كامل الحال الصالح للقيام متواجداً^(٢) .

فيقوم أحدُهم من غير بصيرة وعلم في قيامه ؛ وذلك إذا سمع إيقاعاً
موزوناً بسمع موزون يؤدي ما يسمعه إلى طبع موزون ، فيتحرّك بالطبع
الموزون للصوت الموزون والإيقاع الموزون^(٣) ، وينسبل حجاب نفسه
المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب ، ويستفزّه النشاط المنبعث

(١) الأبيات للوزير الزيّات في « ديوانه » (ص ١٠٧) ، واحتنك : أحكم واستولى ،
والخلي : خالي القلب عن المحبة والهوى ، وفي (أ ، د ، ز ، ي) : (في قلبي) بدل
(من قلبي) .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٩٣ / ٨) ، وأورده أبو نصر السراج في
« اللمع » (ص ٣٦٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٨-٦٨٩) ، والغزالي في
« الإحياء » (٤٩٦-٤٩٧) .

(٣) في (د) : (للضرب) بدل (للصوت) .

مِنَ الطَّبْعِ ، فيقومُ بِرَقْصٍ رَقْصاً مَوْزُوناً مَمْرُوجاً بِتَصْنِيعِ مُحَرَّمٍ عِنْدَ أَهْلِ
الْحَقِّ ، وَيَحْسَبُ ذَلِكَ طِيبَةَ الْقَلْبِ ، وَمَا رَأَى وَجَهَ الْقَلْبِ وَطِيبَتَهُ بِاللَّهِ
تَعَالَى (١) .

وَلَعَمْرِي ؛ هُوَ طِيبَةُ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ قَلْبٌ مُلَوَّنٌ بِلَوْنِ النَّفْسِ ، مَيَّالٌ إِلَى
الْهَوَى ، مُوَافِقٌ لِلرَّدَى ، لَا يَهْتَدِي إِلَى حُسْنِ النِّيَّةِ فِي الْحَرَكَاتِ ، وَلَا يَعْرِفُ
شُرُوطَ صِحَّةِ الْإِرَادَاتِ .

وَلِمِثْلِ هَذَا الرَّاقِصِ قِيلَ : (الرَّقْصُ نَقْصٌ) ؛ لِأَنَّهُ رَقْصٌ مَصْدَرُهُ
الطَّبْعُ ، غَيْرُ مُقْتَرِنٍ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ ، لَا سِيَّما إِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ شَوْبُ حَرَكَاتِهِ
بَصْرِيحِ التَّفَاقٍ بِالتَّوَدُّدِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى بَعْضِ الْحَاضِرِينَ مِنْ غَيْرِ نِيَّةٍ ، بَلْ بِدَلَالَةِ
نَشَاطِ النَّفْسِ مِنَ الْمُعَانَقَةِ وَتَقْبِيلِ الْيَدِ وَالْقَدَمِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَرَكَاتِ الَّتِي
لَا يَعْتَمِدُهَا مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ إِلَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ التَّصَوُّفِ إِلَّا مُجَرَّدُ زَيٍّ وَصُورَةٍ .

أَوْ يَكُونُ الْقَوَالُ أَمْرَدَ تَنَجَذِبِ النُّفُوسِ إِلَى النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَتَسْتَلْذُ ذَلِكَ ،
وَتُضْمِرُ خَوَاطِرَ الشُّوْءِ ، أَوْ يَكُونُ لِلنِّسَاءِ إِشْرَافٌ عَلَى الْجَمْعِ ، وَتَتَرَاوَعُ
الْبَوَاطِنُ الْمَمْلُوءَةُ مِنَ الْهَوَى بِسِفَارَةِ الْحَرَكَاتِ وَالرَّقْصِ وَإِظْهَارِ التَّوَاجِدِ ،
فَيَكُونُ ذَلِكَ عَيْنَ الْفِسْقِ الْمُجْمَعِ عَلَى تَحْرِيمِهِ ، وَأَهْلُ الْمَوَاخِيرِ حِينَئِذٍ أَرْجَى
حَالاً مِمَّنْ يَكُونُ هَذَا ضَمِيرُهُ وَحَرَكَاتِهِ (٢) ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ فَسَقَهُمْ ، وَهَذَا

(١) فَصَّلَ الْإِمَامُ الزَّيْدِيُّ فِي « إِتْحَافِهِ » (٥٦٧/٦) حُكْمَ الرَّقْصِ ، وَأَوْرَدَ أَقْوَالَ الْأَثَمَةِ
فِي ذَلِكَ ، وَجَعَلَهُ دَائِرَةً بَيْنَ التَّحْرِيمِ وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِبَاحَةِ ، وَسَيَأْتِي عَنِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّهُ قَدْ
يَصِيرُ عِبَادَةً فِي بَعْضِ صُورِهِ .

(٢) الْمَوَاخِيرُ : جَمْعُ (مَاخُور) ؛ وَهُوَ الْحَانَةُ الَّتِي يُعَاقَرُ فِيهَا الْخَمْرُ وَيُبَاعَ ، أَوْ هُوَ بَيْتُ
الرَّيْبَةِ وَمَجْمَعُ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالْفَسَادِ .

لا يراه ، ويُريهِ عِبَادَةً لِمَنْ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ .

أَفْتَرَى أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَاتِ يَرْضَى بِهَذَا وَلَا يُنْكِرُهُ ؟!

فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ تَوَجَّهَ لِلْمُنْكَرِ الْإِنْكَارُ ، وَكَانَ حَقِيقًا بِالْإِعْتِذَارِ ، فَكَمْ مِنْ حَرَكَاتٍ مُوجِبَةٍ لِلْمَقْتِ !! وَكَمْ مِنْ نَهَضَاتٍ تُذْهِبُ رَوْتَقَ الْوَقْتِ !! فَيَكُونُ إِنْكَارُ الْمُنْكَرِ عَلَى الْمُرِيدِ الطَّالِبِ يَمْنَعُهُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ ، وَيُحَذِّرُهُ مِثْلَ هَذِهِ الْمُجَالَسَاتِ ، وَهَذَا إِنْكَارٌ صَحِيحٌ .

وَقَدْ يَرْقُصُ بَعْضُ الصَّادِقِينَ بِإِيقَاعٍ وَوزنٍ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارٍ وَجَدٍ وَحَالٍ ، وَوَجْهُ نِيَّتِهِ فِي ذَلِكَ : أَنَّهُ رَبَّمَا يُوَافِقُ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ فِي الْحَرَكَةِ ، فَيَتَحَرَّكُ بِحَرَكَةٍ مَوْزُونَةٍ غَيْرِ مُدَّعٍ بِهَا حَالًا وَوَجْدًا ، يَجْعَلُ حَرَكَتَهُ فِي طَرَفِ الْبَاطِلِ ؛ لِأَنَّهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُحَرَّمَةً فِي حُكْمِ الشَّرْعِ . . وَلَكِنَّهَا غَيْرُ مُحَلَّلَةٍ بِحُكْمِ الْحَالِ ؛ لَمَا فِيهَا مِنَ اللَّهْوِ ، فَتَصِيرُ حَرَكَاتُهُ وَرَقْصُهُ مِنْ قَبِيلِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ ؛ مِنَ الضَّحِكِ وَالْمُدَاعَبَةِ ، وَمُتْلَاعِبَةِ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ .

وَيَدْخُلُ ذَلِكَ فِي بَابِ التَّرْوِيحِ لِلْقَلْبِ ، وَرَبَّمَا صَارَ ذَلِكَ عِبَادَةً بِحُسْنِ النِّيَّةِ إِذَا نَوَى بِهِ اسْتِجْمَامَ النَّفْسِ ، كَمَا نُقِلَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ : (إِنِّي لَأَسْتَجِمُّ نَفْسِي بِشَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لِي عَلَى الْحَقِّ) (١) .

(١) رَوَاهُ ابْنُ مَعِينٍ فِي «تَارِيخِهِ» (٥٤٠٥) ، وَالدُّوَلَابِيُّ فِي «الْكُنَى وَالْأَسْمَاءُ» (١٩٤١) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٥٠١/٤٦) ، وَرَوَاهُ ابْنُ حَزْمٍ فِي «طَوَقِ الْحَمَامَةِ» (ص ٨٦) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا ، وَالْبَاطِلُ هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَحْوَالِ ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ ، وَفِي هَامِشٍ (ح) عِنْدَ قَوْلِهِ : (عَوْنًا عَلَى الْحَقِّ) : (لَأَنَّ النَّفْسَ إِذَا أُلْزِمَتْ عَلَى الْحَقِّ الصَّرْفِ لَا تَصْبِرُ ، وَرَبَّمَا تَسْتَنْفِرُ ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِرْخَاءِ الْعِنَانِ مَعَهَا أحيانًا حَتَّى تَتَعَوَّدَ وَتَطْمَئِنَّ ؛ وَلِذَا يُحِبُّ اللَّهُ =

وَلِمَوْضِعِ التَّرْوِيحِ كُرِهَتْ الصَّلَاةُ فِي أَوْقَاتٍ ؛ لِيَسْتَرِيحَ عُمَّالُ اللَّهِ ،
وَتَرْتَفِقَ النَّفُوسُ بِبَعْضِ مَآرِبِهَا مِنْ تَرْكِ الْعَمَلِ ، وَتَسْتَطِيبَ أَوْطَانِ الْمَهْلِ .

وَالْأَدْمِيُّ بِتَرْكِيبِهِ الْمُخْتَلِفِ ، وَتَرْتِيبِ خَلْقِهِ الْمُتَنَوِّعِ بِتَنَوُّعِ أَصُولِ خَلْقَتِهِ -
وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ^(١) . . . لَا تَفِي قُوَاهُ بِالصَّبْرِ عَلَى الْحَقِّ
الصَّرْفِ ، فَيَكُونُ التَّفْسُخُ فِي أَمْثَالِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْمُبَاحِ الَّذِي يَنْزِعُ إِلَى لَهْوٍ
مَا . . . بَاطِلًا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْمُبَاحَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَاطِلًا فِي صِغَةِ
الْشَّرْعِ ؛ لَأَنَّ حَدَّ الْمُبَاحِ مَا اسْتَوَى طَرَفَاهُ وَاعْتَدَلَ جَانِبَاهُ ، وَلَكِنَّهُ بَاطِلٌ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَحْوَالِ .

وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ كَلَامِ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِي وَصْفِهِ :
(الصَّادِقُ يَكُونُ جَهْلُهُ مَزِيدًا لِعِلْمِهِ ، وَبَاطِلُهُ مَزِيدًا لِحَقِّهِ ، وَدُنْيَاهُ مَزِيدًا
لْآخِرَتِهِ)^(٢) .

وَلِهَذَا الْمَعْنَى حُجِّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّسَاءُ ؛ لِيَكُونَ
ذَلِكَ حِظًّا نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ ، الْمَوْهُوبِ لَهَا حُظُوظُهَا ، الْمُؤَفَّرِ عَلَيْهَا حَقُوقُهَا ،
لِمَوْضِعِ طَهَارَتِهَا وَقُدْسِهَا ، فَيَكُونُ مَا هُوَ نَصِيبُ الْبَاطِلِ الصَّرْفِ فِي حَقِّ الْغَيْرِ
مِنَ الْمُبَاحَاتِ الْمَقْبُولَةِ بِرُخْصَةِ الشَّرْعِ ، الْمَرْدُودَةِ بِعَزِيمَةِ الْحَالِ فِي حَقِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . مُتَّسِمًا بِسِمَةِ الْعِبَادَاتِ .

= أَنْ يُؤْتَى رُخْصَةٌ كَمَا يَحِبُّ أَنْ يُؤْتَى عِزَائِمُهُ .

(١) انظر (٣٠٨ / ١) وما بعدها .

(٢) كَأَن يَصْرَفَ مَا آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمَحْتَاجِينَ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، لَا لِإِظْهَارِ السَّخَاءِ وَمَحَبَّةِ
الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ
الصَّالِحِ » . من هامش (ح) .

وقد وَرَدَ في فضيلة النِّكاحِ ما يَدُلُّ على أَنَّهُ عِبَادَةٌ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ
الْقِيَاسِ : اشْتِمَالُهُ على المصالحِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ ؛ على ما أَطْنَبَ في شرحِهِ
الفُقَهَاءُ في مسألةِ التَّخَلِّي لِنَوَافِلِ العِبَادَاتِ ^(١) .

فإِذَا : يَخْرُجُ هَذَا الرَّاغِبُ بِهَذِهِ النِّيَّةِ الْمُتَبَرِّئِ مِنْ دَعْوَى الْحَالِ في
ذَلِكَ . . مِنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ ، وَيَكُونُ رَقْصُهُ لَا عَلَيْهِ وَلَا لَهُ ، وَرَبَّمَا كَانَ بِحُسْنِ
النِّيَّةِ في التَّروِيحِ يَصِيرُ عِبَادَةً ، لَا سِيَّمَا إِنْ أَضْمَرَ في نَفْسِهِ فَرَحًا بِرَبِّهِ ، وَنَظَرَ
إِلَى شُمُولِ رَحْمَتِهِ وَعَطْفِهِ ، وَلَكِنْ لَا يَلِيقُ الرَّقْصُ بِالشُّيُوخِ وَمَنْ يَقْتَدِي بِهِ ؛
لَمَّا فِيهِ مِنْ مُشَابَهَةِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِهِمْ ، وَيُبَيِّنُ حَالِ الْمُتَمَكِّنِ
مِثْلُ ذَلِكَ .

وَأَمَّا وَجْهُ مَنَعِ الْإِنْكَارِ فِي السَّمَاعِ : فَهُوَ أَنَّ الْمُنْكَرَ لِلسَّمَاعِ عَلَى الْإِطْلَاقِ
مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ . . لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ : إِمَّا جَاهِلٌ بِالسُّنَنِ وَالْآثَارِ ،
وَإِمَّا مُغْتَرٌّ بِمَا أُتِيحَ لَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْأَخْيَارِ ، وَإِمَّا جَامِدُ الطَّبْعِ لَا ذَوْقَ لَهُ فَيُصِرُّ
عَلَى الْإِنْكَارِ .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ يُقَابَلُ بِمَا سَوْفَ يَقْبَلُ .

أَمَّا الْجَاهِلُ بِالسُّنَنِ وَالْآثَارِ : فَيُعَرَّفُ بِمَا أَسْلَفْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ ^(٢) ، وَفِي حَرَكَةِ بَعْضِ

(١) أَي : التَّخَلِّي لِنَوَافِلِ الْعِبَادَةِ عِنْدَ عَدَمِ الْحَاجَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الزَّوْاجِ ، وَذَهَبِ السَّادَةِ
الشَّافِعِيَّةِ : إِلَى أَنَّ التَّخَلِّيَ لِلنَوَافِلِ أَفْضَلُ مِنَ الزَّوْاجِ ، وَذَهَبِ السَّادَةِ الْحَنْفِيَّةِ : إِلَى أَنَّ
النِّكَاحَ أَفْضَلُ مِنَ التَّخَلِّي لِنَوَافِلِ الْعِبَادَةِ . انْظُرْ « النِّجْمُ الْوَهَّاجُ » (١١ / ٧) ، وَلِلْإِمَامِ
الْغَزَالِيِّ تَفْصِيلٌ نَفِيسٌ أَوْرَدَهُ فِي « الْإِحْيَاءِ » (٣ / ١٤٥ - ١٤٩) .

(٢) انْظُرْ (١ / ٤٨٩ - ٤٩٢) ، وَ« غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (١ / ٣١٧ - ٣١٨) .

الْمُتَحَرِّكِينَ يُعَرِّفُ رَخْصَةً رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْحَبْشَةِ فِي الرَّقْصِ ، وَنَظَرَ عَائِشَةُ إِلَيْهِمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) ، هَذَا إِذَا سَلِمَتِ الْحَرَكَةُ مِنَ الْمَكَارِهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيِّ : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ » ، فَحَجَلَ ، وَقَالَ لَجَعْفَرٍ : « أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي » ، فَحَجَلَ ، وَقَالَ لَزَيْدٍ : « أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا » ، فَحَجَلَ ^(٢) .

وَكَانَ حَجَلُ جَعْفَرٍ فِي قِصَّةِ ابْنَةِ حَمْزَةَ لَمَّا اخْتَصِمَ فِيهَا عَلِيُّ وَجَعْفَرُ وَزَيْدٌ ^(٣) .

(١) سبق أول الباب (٤٨٣ / ١) .

(٢) رواه أحمد (١٠٨ / ١) ، والبزار في « المسند » (٧٤٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٢٦ / ١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وَالْحَجَلُ : أَنْ يَرْفَعَ رَجُلًا وَيَقْفِزَ عَلَى الْأُخْرَى مِنَ الْفَرْحِ .

(٣) رواه الواقدي في « مغازيه » (٧٣٨ - ٧٣٩) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٥٩ / ٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وَأَصْلُ الْقِصَّةِ فِي « صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ » (٢٦٩٩) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دُونَ ذِكْرِ الْحَجَلِ ، وَالْقِصَّةُ - كَمَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ - : أَنَّ عُمَارَةَ بِنْتَ حَمْزَةَ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَأُمُّهَا سَلْمَى بِنْتُ عُمَيْسٍ - كَانَتْ بِمَكَّةَ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَ عَلِيَّ النَّبِيَّ فَقَالَ : عَلَامَ تَتْرُكُ ابْنَةَ عَمَّتِنَا يَتِيمَةً بَيْنَ ظَهْرِي الْمَشْرِكِينَ ؟ فَلَمْ يَنْهَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ إِخْرَاجِهَا ، فَخَرَجَ بِهَا ، فَتَكَلَّمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَكَانَ وَصِيَّ حَمْزَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخِي بَيْنَهُمَا حِينَ أَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ : أَنَا أَحَقُّ بِهَا ؛ ابْنَةُ أَخِي ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : الْخَالَةُ وَالِدَةُ وَأَنَا أَحَقُّ بِهَا ؛ لِمَكَانِ خَالَتِهَا عِنْدِي أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَا أَرَأَيْكُمْ تَخْتَصِمُونَ فِي ابْنَةِ عَمِّي وَأَنَا أَخْرَجْتُهَا مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِ الْمَشْرِكِينَ ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَيْهَا نَسَبٌ دُونِي ؟ ! وَأَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا أَحْكَمُ بَيْنَكُمْ ؛ أَمَّا أَنْتَ يَا زَيْدُ فَمَوْلَى اللَّهِ وَمَوْلَى رَسُولِهِ ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا عَلِيُّ فَأَخِي وَصَاحِبِي ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا جَعْفَرُ =

وَأَمَّا الْمُنْكَرُ الْمَغْرُورُ بِمَا أُتِيحَ لَهُ مِنْ أَعْمَالِ الْأَخْيَارِ . . يُقَالُ لَهُ : تَقَرَّبَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ لَنِيَّتِكَ لَا لِشُغْلٍ جَوَارِحِكَ بِهَا ، وَلَوْلَا نِيَّةُ قَلْبِكَ مَا كَانَ لِعَمَلِ جَوَارِحِكَ قَدْرٌ ؛ فَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، وَالنِّيَّةُ لِنَظَرِكَ إِلَى رَبِّكَ خَوْفًا أَوْ رَجَاءً .

فَالسَّامِعُ مِنَ الشَّعْرِ بَيْتًا يَأْخُذُ مِنْهُ مَعْنَى يُذَكِّرُهُ رَبَّهُ ؛ إِمَّا فَرَحًا أَوْ حُزْنَ أَوْ خَوْفًا أَوْ انْكَسَارًا أَوْ افْتِقَارًا ، كَيْفَ تَقَلَّبَ قَلْبُهُ فِي أَنْوَاعِ ذَلِكَ ذَاكِرًا لِرَبِّهِ .

وَلَوْ سَمِعَ صَوْتَ طَائِرٍ طَابَ لَهُ ذَلِكَ الصَّوْتُ ، وَتَفَكَّرَ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْوِيَّتِهِ حَنْجَرَةَ الطَّائِرِ ، وَتَسْخِيرِهِ حَلْقَهُ^(١) ، وَمِنْشَأَ الصَّوْتِ ، وَتَأْدِيَتِهِ إِلَى الْأَسْمَاعِ . . كَانَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْفِكْرِ مُسَبِّحًا مُقَدَّسًا ، فَإِذَا سَمِعَ صَوْتَ آدَمِيٍّ وَحَضَرَهُ مِثْلُ ذَلِكَ الْفِكْرِ ، وَامْتَلَأَ بَاطِنُهُ ذِكْرًا وَفِكْرًا . . كَيْفَ يُنْكِرُ ذَلِكَ ؟ !

حَكَى بَعْضُ الصَّالِحِينَ قَالَ : (كُنْتُ مُعْتَكِفًا فِي جَامِعِ جُدَّةَ عَلَى الْبَحْرِ ، فَرَأَيْتُ يَوْمًا طَائِفَةً يَقُولُونَ فِي جَانِبٍ مِنْهُ شَيْئًا^(٢)) ، فَأُنْكِرْتُ ذَلِكَ بِقَلْبِي وَقُلْتُ : فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُونَ الشَّعْرَ ؟ !

فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَهُوَ جَالِسٌ

= فَشِبْهُ خَلْقِي وَخُلُقِي ، وَأَنْتَ يَا جَعْفَرُ أَوْلَى بِهَا ؛ تَحْتَكُ خَالَتُهَا ، وَلَا تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ عَلَى خَالَتِهَا وَلَا عَلَى عَمَّتِهَا » ، فَقَضَى بِهَا لَجَعْفَرٍ ، فَقَامَ جَعْفَرُ فَحَجَلَ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا هَذَا يَا جَعْفَرُ ؟ » ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَانَ النَّجَاشِيُّ إِذَا أَرْضَى أَحَدًا قَامَ فَحَجَلَ حَوْلَهُ ، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ : تَزَوَّجْهَا ، فَقَالَ : « ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ » ، فَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَمَةَ بِنَ أَبِي سَلَمَةَ ، فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « هَلْ جَزَيْتُ سَلَمَةَ ؟ » .

(١) فِي (ب) : (خَلَقَهُ) .

(٢) يَقُولُونَ ؛ أَيِ : يَنْشُدُونَ .

في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر ، وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك ، فقلت في نفسي : ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع وأبو بكر إلى جنبه يقول ، فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : هذا حقٌ بحق ، أو حقٌ من حق (١) .

بلى ؛ إذا كان ذلك الصوت من أمرد يخشى بالنظر إليه الفتنة ، أو من امرأة غير معزلة ، وإن وجد من الأذكار والأفكار ما ذكرنا . يحرم سماعه ؛ لخوف الفتنة لا لمجرد الصوت ، ولكن يجعل سماع الصوت حريم الفتنة ، ولكل حرام حريم ينسحب عليه حكم المنع لوجه المصلحة ؛ كالقبلة للشاب الصائم (٢) ؛ حيث جعلت حريم حرام الوقاع ، وكالخلوة بالأجنبية ، وغير ذلك .

فعلى هذا : قد تقتضي المصلحة المنع من السماع إذا علم حال السامع وما يؤديه إليه سماعه ، فيجعل المنع حريم الحرام هكذا .

(١) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٢ / ٢) ، وأورده الغزالي في « الإحياء » (٤١٨ - ٤١٧ / ٤) عن طاهر ابن بلال الهمداني الوراق رحمه الله تعالى ، وقوله : (هذا حقٌ بحق) ؛ أي : هذا السماع حقٌ ليس بباطل ولهو من قبل النفس ، بل هو فيضٌ يرد على القلب ، [وصيغته] الشك من الراوي أو من الراي . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (قوله : « أو » يكون الشك من الراوي ، ويحتمل : أن الرسول عليه السلام قاله هكذا ، معناه : أن السامع في وقت البقاء لله يسمعه به في مقام تجلي الذات ، وفي وقت يسمع من الله في [مقام] تجلي الأفعال والصفات) .

(٢) أي : لزوجته .

وقد يُنكرُ السَّماعَ جامدُ الطَّبْعِ ، عديمُ الذَّوقِ^(١) ، فيُقالُ لهُ : العَيْنُ لا يعلمُ لَذَّةَ الوِقاعِ ، والمكفوفُ ليسَ لهُ بالجمالِ البارعِ استمتاعٌ ، وغيرُ المُصابِ لا يتكلَّمُ بالاسترجاعِ ، فماذا تُنكرُ مِنْ مُحِبٍّ تربَّى باطنُهُ بالشَّوقِ والمَحَبَّةِ ، ويرى انحباسَ رُوحِهِ الطَّيَّارةِ ، في مَضيقِ قَفصِ النَّفْسِ الأَمَّارةِ ، يَمُرُّ برُوحِهِ نَسيمٌ أنسِ الأوطانِ ، وتلوحُ لهُ طوالعُ جنودِ العِرفانِ ، وهوَ بوجودِ النَّفْسِ في دارِ الغُربةِ يتجرَّعُ كأسَ الهِجرانِ ، يئنُّ تحتَ أعباءِ المُجاهدةِ ، ولا يُحَمَلُ عنهُ بسوانحِ المُشاهدةِ^(٢)؟! وكلِّما قَطَعَ منازلَ النَّفْسِ بكثرةِ الأعمالِ ، لا يَقْرُبُ مِنْ كعبةِ الوِصالِ ، ولا يُكشَفُ لهُ المُسبَلُ مِنْ الحِجَالِ^(٣) ، فيستروحُ بتنفُّسِ الصُّعداءِ^(٤) ، ويرتاحُ باللائحِ مِنْ شِدَّةِ البُرْحاءِ^(٥) ، ويقولُ مُخاطباً للنَّفْسِ والشَّيطانِ ، وهما المانعانِ^(٦) : [من الطويل]

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيًّا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَيَّ نَسِيمُهَا
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمْتُ عَلَى قَلْبٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا
أَجْدُ بَرْدَهَا أَوْ تَشْفِ مِنِّي حَرَارَةً عَلَى كَيْدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا
أَلَا إِنَّ أَدْوَائِي بِلَيْلَى قَدِيمَةٍ وَأَقْتُلُ دَاءِ الْعَاشِقِينَ قَدِيمُهَا

- (١) وهذا هو القسم الثالث من الذين أطلقوا المنع من السماع .
- (٢) في (ج) : (ولا تُحمل عنه) بدل (ولا يُحمل عنه) ، وفي (ي) : (ولا يُروِّح) ، والكل صحيح .
- (٣) الحِجال في الأصل : جمع (الحَجَلَة) ؛ وهو موضع يُزَيَّن بالثياب وغيرها للعروس .
- (٤) الصُّعداء : تنفُّسٌ ممدود طويل ، وقيل : هو التنفُّس بتوجُّع .
- (٥) البُرْحاء : الشِّدَّة والمشقَّة ، أو الحُمَّى الشديدة بسبب الحبِّ والهوى .
- (٦) الأبيات لمجنون ليلى في « ديوانه » (ص ٨٢) ، ونَعْمَان : وادٍ وراء عرفة بين مكَّة والطائف يَصُبُّ في وَدَّان ، وفي هامش (ب) آخر الأبيات : (بلغ للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

ولعلَّ المُنْكَرَ يَقُولُ : هلِ المحبَّةُ إلا امتثالُ الأمرِ ؟! وهل يُعرَفُ غيرُ هذا ؟! وهل هناك إلا الخوفُ مِنَ اللَّهِ تعالى ؟! ويُنْكَرُ المحبَّةَ الخاصَّةَ التي تختصُّ بالعلماءِ الراسخين والأبدالِ المُقَرَّبِينَ .

ولمَّا^(١) تَقَرَّرَ في فَهْمِهِ القاصِرِ أَنَّ المحبَّةَ تَسْتَدْعِي مِثَالاً وَخَيَالاً ، وَأَجْنَاساً وَأَشْكَالاً . . يُنْكَرُ محبَّةَ القومِ ، ولا يَعْلَمُ أَنَّ القومَ بُلُغُوا في رُتَبِ الإيمانِ إلى أتمِّ مِنَ المَحْسُوسِ^(٢) ، وَجَادُوا مِنْ فَرْطِ الكَشْفِ والعِيَانِ بالأرواحِ والنُّفُوسِ .

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكرَ غلاماً كان في بني إسرائيل على جبلٍ ، فقالَ لأمِّهِ : مَنْ خَلَقَ السماءَ ؟ قالتِ : اللهُ ، قالَ : وَمَنْ خَلَقَ الأرضَ ؟ قالتِ : اللهُ ، قالَ : وَمَنْ خَلَقَ الجبالَ ؟ قالتِ : اللهُ ، قالَ : وَمَنْ خَلَقَ الغيمَ ؟ قالتِ : اللهُ ، فقالَ : إني أسمعُ لله شأناً ، ورمى نفسه من الجبلِ فتقطعَ^(٣) .

فالجَمالُ الأَزَلِيُّ الإلهيُّ مُنْكَشِفٌ للأرواحِ ، غيرُ مُكَيِّفٍ للعقلِ ، ولا مُفَسِّرٍ للفهمِ ؛ لأنَّ العقلَ مُوَكَّلٌ بعالمِ الشَّهادةِ لا يَهْتَدِي مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتعالى إلا إلى مُجَرَّدِ الوجودِ ، ولا يَتَطَرَّقُ إلى حَرِيمِ الشُّهُودِ المُتَجَلِّي في طَيِّ

(١) ويجوز أن تُقرأ بالتخفيف ، كما ضُبِطت كذلك في (و) .

(٢) يعني : إيمانهم بالله تعالى أتمُّ من تصديقهم بالمحسوسات .

(٣) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢/ ٢٣٩) ، وابن الأعرابي في « معجمه »

(١٧٣٢) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٦٧٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر

رضي الله عنهما ، وفي بعض المصادر والنسخ : (الغنم) بدل (الغيم) .

الغيب^(١) ، المُنكشِف للأرواح بلا ريب .

وهذه الرُّتبة مِنْ مُطالعةِ الجمالِ رتبةٌ خاصّةٌ ، وأعمُّ منها مِنْ رُتَبِ المَحَبَّةِ الخاصّةِ دونَ العامّةِ^(٢) : جمالُ الكمالِ مِنَ الكِبَرِيَاءِ والجلالِ ، والاستقلالِ بالمنحِ والنّوالِ ، والصفّاتِ المُنقَسِمةِ إلى ما ظهَرَ منها في الآبادِ ولازمتِ الذاتَ في الآزالِ .

فللكمالِ جمالٌ لا يُدرِكُ بالحواسِّ ، ولا يُضبطُ بالقياسِ ، وفي مُطالعةِ ذلكَ الجمالِ^(٣) طائفةٌ مِنَ المُحبِّينَ خُصُّوا بتجلّي الصّفاتِ ، ولهُم بِحَسَبِ ذلكَ ذوقٌ وشوقٌ ووَجْدٌ وسماعٌ ، والأوّلونَ^(٤) مُنِحُوا قِسْطاً مِنْ تجلّي الذاتِ ، فكانَ وَجْدُهُم على قَدَرِ الوجودِ ، وسماعُهُم على حدِّ الشُّهودِ .

حكى بعضُ المشايخِ قالَ : (رأينا جماعةً ممَّنْ يمشي على الماءِ والهواءِ يسمعونَ السَّماعَ ، ويَجِدُون به ، ويُولَهُونَ عندهُ)^(٥) .

وقالَ بعضُهُم : (كُنَّا على الساحلِ ، فسمعَ بعضُ إخواننا ، فجعلَ يتقلَّبُ على الماءِ يَمُرُّ وَيَجِيءُ حتّى رجعَ إلى مكانِهِ)^(٦) .

ونَقَلَ أَنَّ بعضَهُم كانَ يتقلَّبُ على النارِ عندَ السماعِ ولا يُحسُّ بها^(٧) .

(١) أي : طَيِّ غيب المعقول بعد طَيِّ شهادة المحسوس . من هامش (ح) .

(٢) المُفسِّرةُ بامثال الأمر والنهي . من هامش (ح) .

(٣) أي : جمال الكمال . من هامش (ح) .

(٤) أي : الذين يحبُّون الله بجماله . من هامش (ح) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٦ / ٢) .

(٦) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٦ / ٢) .

(٧) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٧ / ٢) .

وَنَقُلَ أَنَّ بَعْضَ الصُّوفِيَّةِ ظَهَرَ مِنْهُ وَجَدٌ عِنْدَ السَّمَاعِ ، فَأَخَذَ شَمْعَةً فَجَعَلَهَا فِي عَيْنِهِ ، قَالَ النَّاقلُ : فَقَرُبْتُ مِنْ عَيْنِهِ أَنْظُرُ ، فَرَأَيْتُ نَاراً أَوْ نَوْراً يَخْرُجُ مِنْ عَيْنِهِ يَرُدُّ نَارَ الشَّمْعَةِ (١) .

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ : أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَجَدَ عِنْدَ السَّمَاعِ ارْتِفَاعَ مِنَ الْأَرْضِ فِي الْهَوَاءِ أَذْرُعاً يَمُرُّ وَيَجِيءُ فِيهِ (٢) .

وَيَقُولُ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي « كِتَابِهِ » : (إِنْ أَنْكَرْنَا السَّمَاعَ مُجْمَلاً مُطْلَقاً غَيْرَ مُقَيَّدٍ مُفَصَّلٍ . . يَكُونُ إِنْكَارُنَا عَلَى سَبْعِينَ صِدِّيقاً (٣) ، وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْكَارَ أَقْرَبُ إِلَى قُلُوبِ الْقُرَّاءِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ ، إِلَّا أَنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ ، لِأَنَّا نَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُونَ ، وَسَمِعْنَا مِنَ السَّلَفِ مِنَ الْأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ مَا لَا يَسْمَعُونَ (٤) .

وَهَذَا قَوْلُ الشَّيْخِ عَنْ عِلْمِهِ الْوَافِرِ بِالسَّنَنِ وَالْآثَارِ ، مَعَ اجْتِهَادِهِ وَتَحَرِّيهِ الصَّوَابِ ، وَلَكِنْ نَبْشُطُ لِأَهْلِ الْإِنْكَارِ لِسَانَ الْعِذَارِ ، وَنُوضِّعُ لَهُمُ الْفَرْقَ بَيْنَ سَمَاعٍ يُؤَثِّرُ وَبَيْنَ سَمَاعٍ يُنْكَرُ .

سَمِعَ الشُّبْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَائِلاً يَقُولُ :

[من الطويل]

أَسْأَلُ عَنْ سَلَمَى فَهَلْ مِنْ مُخَبِّرٍ يَكُونُ لَهُ عِلْمٌ بِهَا أَيْنَ تَنْزُلُ

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٧ / ٢) .

(٢) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٧ / ٢) .

(٣) أي : على عدد كثير ؛ على قاعدة قول العرب في ذكر (السبعين) وإرادة العدد الكثير ، لا التقييد بالسبعين . من هامش (ح) .

(٤) « قوت القلوب » (١٠٩٨ / ٢) .

فَزَعَقَ الشُّبْلِيُّ وَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ مَا فِي الدَّارَيْنِ عَنْهُ مُخْبِرٌ^(١) .

وقيلَ : الْوَجْدُ سِرٌّ صِفَاتِ الْبَاطِنِ ، كَمَا أَنَّ الطَّاعَةَ سِرٌّ صِفَاتِ الظَّاهِرِ ،
وصِفَاتُ الظَّاهِرِ الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ ، وَصِفَاتُ الْبَاطِنِ الْأَحْوَالُ وَالْأَخْلَاقُ .

وَقَالَ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ : (أَهْلُ السَّمَاعِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ : فَقَوْمٌ
يَرْجِعُونَ فِي سَمَاعِهِمْ إِلَى مُخَاطَبَاتِ الْحَقِّ لَهُمْ فِيمَا يَسْمَعُونَ .

وَقَوْمٌ يَرْجِعُونَ فِيمَا يَسْمَعُونَ إِلَى مُخَاطَبَةِ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَامِهِمْ
وَأَوْقَاتِهِمْ^(٢) ، فَهُمْ مُرْتَبِطُونَ بِالْعِلْمِ وَمُطَالِبُونَ بِالصِّدْقِ فِيمَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ
ذَلِكَ .

وَقَوْمٌ هُمُ الْفُقَرَاءُ الْمُجَرَّدُونَ الَّذِينَ قَطَعُوا الْعَلَائِقَ ، وَلَمْ تَتَلَوَّثْ قُلُوبُهُمْ
بِمَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَالْجَمْعِ وَالْمَنْعِ ، فَهُمْ يَسْمَعُونَ بِطَبِيعَةِ قُلُوبِهِمْ ، وَيَلِيقُ بِهِمْ
السَّمَاعُ ، فَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى السَّلَامَةِ ، وَأَسْلَمُهُمْ مِنَ الْفِتْنَةِ^(٣) .

وَكُلُّ قَلْبٍ مُلَوِّثٌ بِحُبِّ الدُّنْيَا . . فَسَمَاعُهُ سَمَاعٌ طَبِيعٌ وَتَكْلُفٌ^(٤) .

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنِ التَّكْلِيفِ فِي السَّمَاعِ ، فَقَالَ : هُوَ عَلَى ضَرَبَيْنِ : تَكْلُفٌ

(١) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٦٦ / ٦٢) .

(٢) كَمَا إِذَا سَمِعَ مِنَ الْقَوَالِ : (مِنْ الْكَامِلِ)

إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تَفُوزَ بِوَصْلِنَا فَاهْجُرْ تَطَلُّبَ غَيْرِنَا تَحْظِي بِنَا
فِي رَجْعٍ فِي هَذَا السَّمَاعِ إِلَى الْحَقِّ يَخَاطِبُهُ بِتَرْكِ مَا سِوَاهُ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ بِالْكُلِّيَّةِ . مِنْ هَامِشٍ
(ح) .

(٣) اللَّعْمُ (ص ٣٥١) نَقْلًا عَنْ بَعْضِهِمْ .

(٤) لَا سَمَاعُ قَلْبٍ وَوَجْدٌ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

في المُستمع^(١) لطلبِ جاهٍ^(٢) أو منفعةٍ دنيويّةٍ ، وذلك تلبّيسٌ وخيانةٌ ،
وتكلّفٌ فيه لطلبِ الحقيقةِ ؛ كمن يطلبُ الوجدَ بالتواجدِ^(٣) ، وهو بمنزلةِ
التباكي المندوبِ إليه^(٤) .

وقولُ القائلِ : إنّ هذهِ الهيئةَ مِنَ الاجتماعِ بدعةٌ . . يُقالُ لهُ : إنّما البدعةُ
المَحذُورةُ الممنوعُ منها بدعةٌ تُزاحِمُ سنّةً مأموراً بها ، وما لم يكنْ هكذا فلا
بأسَ به .

وهذا كالقيامٍ للداخلِ^(٥) ؛ إذ لم يكنْ ، وكانَ مِنْ عادةِ العربِ تركُ
ذلكَ ؛ حتّى نُقِلَ أنّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يدخلُ ولا يُقامُ
لهُ^(٦) ، وفي البلادِ التي فيها هذا القيامُ عادتهمُ إذا اعتَمِدَ ذلكَ لتطيبِ
القلوبِ والمُداراةِ^(٧) . . لا بأسَ بهِ ؛ لأنَّ تركَهُ يُوحِشُ القلوبَ ويُوغِرُ

(١) أي : بإظهار الوجد بالزّعة . من هامش (ح) .

(٢) أي : اعتقادٍ فيه من الناظرين إليه ؛ ليرتدّدوا ويحيثوا له بالهدايا . من هامش (ح) .

(٣) أي : بالموافقة مع الواجدين في الحركات ؛ اقتباساً من أنوار وجدهم ، واستثناساً
بأحوالهم وذوقهم ؛ طلباً لحقيقة الوجد . من هامش (ح) .

(٤) أي : كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه (٤١٩٦) وغيره مرفوعاً عن سيدنا سعد بن
أبي وقاص رضي الله عنه قال : « ابكُوا ، فإنْ لم تبكُوا فتباكوا » .

(٥) على قوم ، وهذا بخلاف الاستقبال ؛ فإنَّهُ مأمور به ؛ قال عليه الصلاة والسلام لجماعة
من تابع سعد بن معاذ رضي الله عنه كانوا بحضرته وأخبر بمجيء سعد بن معاذ :
« قُومُوا لسيّدكم » ؛ أي : مستقبلين ؛ فالقيامُ للدخول غيرُ القيامِ إلى الاستقبال . من
هامش (ح) .

(٦) رواه الترمذي (٢٧٥٤) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٩٤٦) ، وأحمد
(١٣٢/٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٠٩٦) عن سيدنا أنس بن مالك
رضي الله عنه .

(٧) المرادُ من المُداراة : المُداراة الدينيّة . من هامش (ح) .

الصدور ، فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصُحبة ، ويكون بدعة لا بأس بها ؛ لأنها لا تُزاحم سنة مأمورة^(١) ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثالث والعشرون

في القول في السماع ردًا وإنكاراً^(١)

قد ذكرنا وجهَ صحّةِ السَّماعِ وما يليقُ منه بأهلِ الصدقِ ، وحيثُ كَثُرَتِ
الفتنةُ بطريقه ، وزالتِ العِصمةُ فيه ، وتصدّئ للحرصِ عليه أقوامٌ قلَّتْ
أعمالُهُمْ ، وانفسدتْ أحوالُهُمْ ، وأكثرُوا الاجتماعَ للسَّماعِ ، وربّما يُتَّخَذُ
للاجتماعِ طعامٌ تطلبُ النفوسُ الاجتماعَ لذلك ، لا رغبةً للقلوبِ في السَّماعِ
كما كانَ مِنْ سِيرِ الصادقينَ . فيصيرُ السَّماعُ معلولاً تركزُ إليه النفوسُ ؛ طلباً
للشهواتِ ، واستحلاءً لمواطنِ اللّهو والغفلاتِ ، وينقطعُ بذلك على المُريدِ

(١) قيل : كان الشيخ جمال الدين الخُوَزي مُغرئ - أي : مُولعاً - بالسماع ، فلمّا وَقَفَ على
هذا الباب . . كَتَبَ إلى الشيخ - أي : المؤلفِ الشُّهُرُورديّ - هذه الأبيات : (من الكامل)

يا مَنْ حباهُ اللهُ صَفَوَ وِدادهُ	وأنا له مِنْ قُرْبِهِ مأمولُهُ
ماذا التَّكْيَرُ على السَّماعِ لعاشقٍ	جَعَلَ السَّماعَ إلى الحبيبِ رسولُهُ
ولقد علمتُ بأنَّ هذا موقفٌ	يشكو المُحِبُّ إلى الحبيبِ عَليهِ

فأجابه الشيخ قدّسَ اللهُ سرَّهُ :

إنِّي لأعلمُ ما تقولُ وأرتجي	لكَ قُرْبَ مَنْ تختارُهُ ووصولُهُ
وأرى السَّماعَ مُحللاً لكَ دائماً	لكنْ لغيرِكَ لا أرى تحليلُهُ
يا حَبذا قُرْبُ الحبيبِ ووَضْلُهُ	لُمَيِّمٌ أضحى لديه قَيلُهُ

« حاشية زين الدين خوافي » قدّسَ اللهُ سرَّهُ العزيز . من هامش (ح) ، وانظر ما سيأتي
تعليقاً عن الغزالي (٥١٨/١) .

الطالبِ طَلَبُ المَزِيدِ ، ويكونُ بطريقِهِ تضييعُ الأوقاتِ^(١) ، وقِلَّةُ الحَظِّ مِنَ العباداتِ ، وتكونُ الرغبةُ في الاجتماعِ طَلَباً لتناولِ الشَّهْوَةِ ، واسترواحاً إلى الطَّرَبِ واللَّهْوِ والعِشْرَةِ ، ولا يخفى أنَّ هذا الاجتماعَ مردودٌ عندَ أهلِ الصَّدَقِ .
وكانَ يُقالُ : (لا يَصِحُّ السَّماعُ إلا لعارِفٍ مَكِينٍ^(٢) ، ولا يصلحُ لمُريدٍ مُبتدئٍ)^(٣) .

وقالَ الجُنيدُ رحمَةُ اللهِ عليه : (إذا رأيتَ المُريدَ يطلبُ السَّماعَ . فاعلمَ أنَّ فيه بَقِيَّةً مِنَ البَطالَةِ)^(٤) .

وقيلَ : إنَّ الجُنيدَ رحمَةُ اللهِ عليه تَرَكَ السَّماعَ ، ف قيلَ لَهُ : كَنتَ تَسمعُ !! فقالَ : مَعَ مَنْ ؟ قيلَ لَهُ : تَسمعُ أَنْتَ لِنَفسِكَ ، فقالَ : مِمَّنْ ؟^(٥) .
لأنَّهُم كانوا لا يَسمعونَ إلا مِنْ أَهلٍ مَعَ أَهلٍ ، فلَمَّا فُقِدَ الإِخوانُ تَرَكَوا ،

(١) قوله : (بطريقه) ؛ أي : بطريق السَّماعِ .

(٢) أي : مُتمكِّنٌ من إصلاحِ حاله ورفعِ خَطراتِ نفسِه في سماعِه . من هامش (ح) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٥ / ٢) ، وفي هامش (ح) عند قوله : (مبتدئ) : (لا يعرف حال النفس ، ولا يدري ما البسطُ من القلب والنشاط من الطبع ، ولا يُفَرِّقُ بينهما) .

(٤) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٨٨) ، وأورده أيضاً في (ص ١٤٣) عن أبي حفص الحداد رحمه الله تعالى ، وقوله : (فاعلم أنَّ فيه بقيةً من البطالة) في هامش (ح) : (وليس دائم الاشتغال بالله ، فيطلب استراحة النفس بالنغمات والألحان ، وربما يدخل في أثناء ذلك الشيطان ، ويلبِّس عليه الوجدان) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩٥ / ٢) ، وقوله : (مِمَّنْ) ؛ أي : مِمَّنْ أسمع السماع . من هامش (ح) ، وفي هامش (ي) نقلاً عن « الرسالة القشيرية » : (حُكي عن الجنيد رحمه الله أنَّه قال : السماعُ يحتاجُ إلى ثلاثة أشياء : الزمان ، والمكان ، والإخوان) .

فما اختاروا السَّماعَ حيثُ اختاروه إلا بشروطٍ وقيودٍ وآدابٍ ؛ يذكرونَ بهِ
الآخرةَ ، ويرغبونَ بهِ في الجنةِ ، ويحذرونَ مِنَ النارِ ، ويزدادُ بهِ طلبُهُم ،
وتَحسُنُ بهِ أحوالُهُم ، ويتَّفِقُ لَهُم ذلكَ اتِّفاقاً في بعضِ الأحيانِ ، لا أنْ
يجعلوه دأباً وديندناً حتى يتركوا لأجلِهِ الأورادَ .

وقد نُقِلَ عن الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنه أنَّه قالَ في (كتابِ القضاءِ) :
(الغناءُ لهوٌ مكروهٌ يُشبهُ الباطلَ)^(١) ، وقالَ : (مَنْ استكثرَ منه فهوَ سفيهٌ تُرِدُّ
شهادتهُ)^(٢) .

واتَّفَقَ أصحابُ الشافعيِّ : على أنَّ المرأةَ غيرَ المَحْرَمِ لا يجوزُ الاستماعُ
إليها ، سواءً كانتَ حُرَّةً ، أو مملوكَةً ، أو مكشوفةَ الوجهِ ، أو مِنْ وراءِ
حِجابٍ^(٣) .

ونُقِلَ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنه أنَّه كانَ يكرهُ الطَّقْطَقَةَ بالقُضيبِ^(٤) ،
ويقولُ : (وضعهُ الزنادقةُ ؛ لِيُشغِلُوا بِهِ عَنِ الْقُرْآنِ)^(٥) ، وقالَ : (لا بأسَ
بالقراءةِ بالألحانِ وتحسينِ الصوتِ بها بأيِّ وجهٍ كانَ)^(٦) .

(١) الأم (٥١٨ / ٧) .

(٢) الأم (٥١٨ / ٧) .

(٣) قال التاج السبكي في « الطبقات » (٣٤١ / ٨) : (قلت : والمشهورُ في المذهبِ
المُصَحَّحِ عندَ المتأخِّرينَ : أنَّ الاستماعَ إلى الأجنبيةِ مكروهٌ غيرُ مُحَرَّمٍ) ، وانظر « الرد
على من يحب السماع » للقاضي أبي الطيب الطبري (ص ٢٧) .

(٤) هو ضربُ القصبِ بعضه ببعض ، ويكونُ مُرَكَّباً من أربعِ قَصَباتٍ يجيءُ منه صوت
وطقطقة ، والواضعون الأولون هم الزنادقة ، وما في بعضِ الحواشي مِنْ أنَّ المراد
ضربُ القصبِ على الجلود .. لا يناسبُ حالَ السماعِ . من هامش (ح) بتصرف .

(٥) انظر « الرد على من يحب السماع » (ص ٢٨) .

(٦) الأم (٥٢١ / ٧) .

وعند مالك رضي الله عنه : إذا اشترى جارية فوجدها مُغْنِيَةً . . فله أن يرُدَّها بهذا العيب ، وهو مذهب سائر أهل المدينة^(١) .

وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه : سماعُ الغناء مِن الذنوب^(٢) .

وما أباحه إلا نفرٌ قليلٌ مِنَ الفقهاء ، وَمَنْ أباحه مِنَ الفقهاء أيضاً لم يرَ إعلانه في المساجدِ والبِقاعِ الشريفة .

وقيلَ في تفسيرِ قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهَوَ الْحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : (هُوَ الْغِنَاءُ وَالِاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ)^(٣) .

وقيلَ : قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴾ [النجم : ٦١] ؛ أَي : مُغْنُونَ ، روى عكرمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : هُوَ الْغِنَاءُ بِلُغَةِ حِمِيرٍ ؛ يَقُولُ أَهْلُ الْيَمَنِ : سَمَدَ فُلَانٌ : إِذَا غَنَّى^(٤) .

(١) ما عدا إبراهيم بن سعد الزهري ؛ فإنه ما كان يُحدِّث حتى يسمع الطلبة الغناء ، وكان ممن يُفتي بتحليله . انظر « الرد على من يحب السماع » (ص ٣٠) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٤٥٦/٦) .

(٢) انظر « الرد على من يحب السماع » (ص ٣١) ، ونقل الزبيدي في « الإتحاف » (٤٦٣/٦) عن أبي حنيفة ما يدلُّ على إباحته ، وقال : (وما ورد عنه بخلافه يُحمل على الغناء المقترن بشيء من الفحش ونحوه ؛ جمعاً بين القول والفعل) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢١٥٣٧) ، والحاكم (٤١١/٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٢٣/١٠) ، وروي عن غيره أيضاً . انظر « الدر المنثور » (٥٠٨-٥٠٥/٦) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٥٩/٢٢) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » =

وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مِنْ أَسْطَظَّتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء : ٦٤] في قول مجاهد : هو الغناء والمزامير^(١) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَانَ إِبْلِيسُ أَوَّلَ مَنْ نَاحَ ، وَأَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى »^(٢) .

وروي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ فَاجِرَيْنِ : صَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ »^(٣) .

= (٢٢٣ / ١٠) ، والبخاري في « مسنده » (٤٧٢٤) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٥٩٤) عن عكرمة رحمه الله تعالى من قوله .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٤٩٠ / ١٧) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٧١) .

(٢) قال في « الإتحاف » (٥١٨ / ٦) : (قال العراقي : لم أجد له أصلاً من حديث جابر ، وذكره صاحب « الفردوس » من حديث علي بن أبي طالب ، ولم يخرج له ولده في « مسنده » . انتهى ، قلت : وكذا ذكر تلميذه الحافظ ابن حجر في « تخریج أحاديث الأذكار » عند قوله : وذكر أبو شجاع الديلمي في كتاب « الفردوس » عن علي رفعه : أن أول من تغنى وزمر وحدا إبليس . ما لفظه : ولم أقف له على أصل ، ولا ذكر له ولده أبو منصور في « مسنده » سنداً . انتهى) .

(٣) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٣٨ / ١) ، والحاكم (٤٠ / ٤) ، ورواه الترمذي (١٠٠٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢٢٥١) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٦٩ / ٤) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه ، ورواه البخاري في « مسنده » (٧٥١٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وقوله : (عند نعمة) ؛ أي : عند حادث فرح وسرور ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ج) : (عند نعمة) بالمعجمة ، وبالإعجام ضبطها ابن الأثير في « النهاية » (٦٦٧٩ / ١٠) ، والمراد بالنغمة : الصوت ، وقال الصنعاني في « التنوير شرح الجامع الصغير » (٩ / ٧) : (« عند نعمة » : بالكسر والمهملة ، وهو اللائق بقرينه ، ومن قال : إنه بالمعجمة . . فقد أبعد رواية ودراية ، والمراد : الأصوات عند الأفراح) .

وَرُوِيَ عَنْ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (مَا تَغْنَيْتُ ، وَلَا تَمْنَيْتُ ، وَلَا مَسِسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مِنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (١) .

وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النَّفَاقَ فِي الْقَلْبِ) (٢) .

وَرُوِيَ أَنَّ ابْنَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّ عَلَيْهِ قَوْمٌ مُحْرِمُونَ وَفِيهِمْ رَجُلٌ يَتَغَنَّى ، فَقَالَ : أَلَا لَا سَمِعَ اللَّهُ لَكُمْ ، أَلَا لَا سَمِعَ اللَّهُ لَكُمْ (٣) .

وَرُوِيَ أَيْضاً أَنَّ إِنْسَانًا سَأَلَ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْغِنَاءِ ، فَقَالَ : أَنَهَاكَ عَنْهُ وَأَكْرَهُهُ لَكَ ، قَالَ : أَحَرَامٌ هُوَ ؟ قَالَ : انْظُرْ يَا بْنَ أَخِي إِذَا مَيَّرَ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ . . . فِي أَيُّهُمَا يَجْعَلُ الْغِنَاءَ ؟ (٤) .

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ : (الْغِنَاءُ رُقِيَّةُ الزَّنى) (٥) .

-
- (١) رواه ابن ماجه (٣١١) ، ورواه ضمن حديث طويل أبو يعلى في « المسند » (٣٩٥٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤٦٨ / ٤) .
- (٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٢٣ / ١٠) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٣١) ، ورواه عنه مرفوعاً أبو داود (٤٩٢٧) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٤٦) مرفوعاً من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وانظر « البدر المنير » (٦٣٣-٦٣٤ / ٩) ، و« إحياء علوم الدين » (٤٦٩-٤٧٠ / ٤) .
- (٣) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٦٨ / ٥) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٤٢) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤٧٠ / ٤) .
- (٤) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٤٤) ، وفي (ب ، هـ ، و) : (تجعل) بدل (يجعل) ، ويجوز أن يضبط أيضاً : (يُجْعَلُ الْغِنَاءُ) .
- (٥) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٥٥) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٧٥٥) ، وانظر « إحياء علوم الدين » (٤٧١-٤٧٢ / ٤) .

وعن الضحَّاك : (الغِنَاءُ مَفْسَدَةٌ لِلْقَلْبِ ، مَسْخَطَةٌ لِلرَّبِّ) (١) .

وقال بعضهم : (إِيَّاكُمْ وَالْغِنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ الشَّهْوَةَ ، وَيَهْدِمُ الْمُرُوءَةَ ،
وإنَّه لَيَنُوبُ عَنِ الْخَمْرِ ، وَيَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ السُّكْرُ) (٢) .

وهذا الذي ذَكَرَهُ هَذَا الْقَائِلُ صَحِيحٌ ؛ لِأَنَّ الطَّبَعَ الْموزُونُ يُفِيقُ بِالْغِنَاءِ
وَالْأوزَانِ ، وَيَسْتَحْسِنُ صَاحِبُ الطَّبَعِ عِنْدَ السَّمَاعِ مَا لَمْ يَكُنْ يَسْتَحْسِنُهُ مِنْ
الْفَرْقَةِ بِالأَصَابِعِ وَالتَّصْفِيقِ وَالرَّقْصِ ، وَيَصْدُرُ مِنْهُ أَفْعَالٌ تَدُلُّ عَلَى سَخَافَةِ
العقل .

ورُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : (لَيْسَ الدُّفُّ مِنْ سُنَّةِ الْمُسْلِمِينَ) (٣) .

والذي نَقَلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِعَ الشَّعْرَ . لا يَدُلُّ
عَلَى إِيَاحَةِ الْغِنَاءِ ؛ فَإِنَّ الشَّعْرَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ وَغَيْرُهُ كَلَامٌ مَنْثُورٌ ، فَحَسَنُهُ حَسَنٌ
وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ غِنَاءً بِالأَلْحَانِ .

وإنْ أَنْصَفَ الْمُنْصِفُ وَتَفَكَّرَ فِي اجْتِمَاعِ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ ، وَقُعودِ الْمُغْنِي
بَدْفِهِ وَالْمُشَبِّبِ بِشَبَابَتِهِ ، وَتَصَوَّرَ فِي نَفْسِهِ هَلْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا الْجُلُوسِ وَالهَيْئَةِ

(١) أورده ابن الجوزي في « تلبس إبليس » (ص ٢١٠) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاهي » (٥٠) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب »
(٤٧٥٤) عن يزيد بن الوليد الناقص مخاطباً بني أمية ، وفي هامش (ح) : (يُفْهَمُ مِنْ
هَذِهِ الْأَقْوَالِ : أَنَّ الْغِنَاءَ الْمَنْهِيَّ عَنْهُ : مَا يَكُونُ مُشْتَمِلاً عَلَى ذِكْرِ النِّسَاءِ وَأَوْصَافِ
أَعْضَائِهَا وَحُسْنِهَا ؛ فَإِنَّهَا تُهَيِّجُ النَّفْسَ ، وَبِمَا يَكُونُ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ اللِّهْوِ بِمَا يَعْتَادُهُ أَهْلُ
الْمَوْسِيقَا ، وَأَمَّا تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالأَشْعَارِ ، بِمَا يُهَيِّجُ قُلُوبَ الْأَبْرَارِ بِالنِّعَمَاتِ الطَّيِّبَةِ
وَالْتَرَجِيعَاتِ اللَّطِيفَةِ . فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ) انتهى بتصرف يسير .

(٣) أورده ابن الجوزي في « تلبس إبليس » (ص ٢١٣) .

بَحْضَرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَلِ اسْتَحْضَرُوا قَوْلًا وَقَعَدُوا
مُجْتَمِعِينَ لَاسْتِمَاعِهِ . . لَا شَكَّ بَأَن يُنْكِرَ ذَلِكَ مِنْ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَضِيلَةٌ تُطْلَبُ . . مَا أَهْمَلُوهَا .

فَمَنْ يُشِيرُ بِأَنَّهُ فَضِيلَةٌ تُطْلَبُ وَيُجْتَمَعُ لَهَا . . لَمْ يَحْظَ بِذَوْقِ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَيَسْتَرُوحُ إِلَى
اسْتِحْسَانِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ ذَلِكَ ^(١) ، وَكَثِيرًا مَا يَغْلَطُ النَّاسُ فِي هَذَا ؛ كَلَّمَا
اِحْتَجَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ الْمَاضِينَ يَحْتَجُّونَ بِالْمُتَأَخِّرِينَ ، وَكَانَ
السَّلَفُ أَقْرَبَ إِلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَدْيُهُمْ أَشْبَهَ بِهِدْيِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَتَسَمَّحُونَ عِنْدَ قِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ بِأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ غَلَبَةٍ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : قُلْتُ لَجَدَّتِي أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : كَيْفَ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُونَ
إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ ؟ قَالَتْ : كَانُوا كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ تَدْمَعُ
أَعْيُنُهُمْ ، وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ ، قَالَ : قُلْتُ : إِنَّ أَنَاسًا الْيَوْمَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
الْقُرْآنُ خَرَّ أَحَدُهُمْ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، قَالَتْ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ^(٢) .

وَرُوي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ
يَتَسَاقَطُ ، قَالَ : مَا لِهَذَا ؟ قَالُوا : إِنَّهُ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَسَمِعَ ذِكْرَ اللَّهِ

(١) كالإمام الغزالي . من هامش (ح) ، وسيأتي تعليقاً تفصيل الغزالي في ذلك آخر
الباب .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠١٦) ، وسعيد بن منصور في « سننه » (٩٥) ،
والبيهقي في « الشعب » (١٩٠٠) .

تعالى.. سقط ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : إِنَّا لَنَخْشَى اللَّهَ
وَمَا نَسْقُطُ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِي جُوفِ أَحَدِهِمْ ، مَا هَكَذَا كَانَ يَصْنَعُ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

وَذَكَرَ عِنْدَ ابْنِ سِيرِينَ الَّذِينَ يُصْرَعُونَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ، فَقَالَ : بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ
أَنْ يُقَعَّدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ بِاسْطِأَ رَجْلَيْهِ ، ثُمَّ يُقْرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ
أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَإِنْ رَمَى بِنَفْسِهِ فَهُوَ صَادِقٌ^(٢) .

وَلَيْسَ هَذَا الْقَوْلُ إنْكَاراً مِنْهُمْ عَلَى الإِطْلَاقِ ؛ إِذْ يَتَّفَقُ ذَلِكَ لِبَعْضِ
الصَّادِقِينَ ، وَلَكِنْ لِلتَّصْنُعِ الْمُتَوَهَّمِ فِي حَقِّ الْأَكْثَرِينَ ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ
الْبَعْضِ تَصْنُعاً وَرِيَاءً ، وَيَكُونُ مِنَ الْبَعْضِ لِقُصُورِ عِلْمٍ وَمُخَامَرَةِ جَهْلِ مَمْزُوجٍ
بِهَوًى ، يُلِمُّ بِأَحَدِهِمْ سِيرٌ مِنَ الْوَجْدِ ، فَيَتَّبِعُهُ بَزِيَادَاتٍ يَجْهَلُ أَنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ
بِدِينِهِ ، وَقَدْ لَا يُجْهَلُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ النَّفْسِ ، وَلَكِنَّ النَّفْسَ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ
اسْتِرَاقاً خَفِيّاً يُخْرِجُ الْوَجْدَ عَنِ الْحَدِّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ ، وَهَذَا يُبَايِنُ
الصَّدْقَ^(٣) .

نَقَلَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَظَ قَوْمَهُ ، فَشَقَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَمِيصَهُ ، فَقِيلَ
لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : قُلْ لِمَاذَا قَمِيصُكَ : لَا يَشُقُّ قَمِيصَهُ وَيُشْرَحُ
قَلْبُهُ^(٤) .

(١) رواه بتمامه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٤-٤٣/٢٣) ، ودون قوله : (إن

الشيطان...) أحمد في « الزهد » (١٠٧٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٢/١) .

(٢) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٥-٤٤/٢٣) .

(٣) لأنَّ الصَّدْقَ يَقْتَضِي أَنْ يُرَى كَمَا هُوَ فِي الْوَاقِعِ . من هامش (ح) .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٤٤٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٩٠/٦) ، والثعلبي في-

وأما إذا انضاف إلى السَّماعِ أن يُسمَعَ مِنَ الأَمْرِ . فقد توجَّهتِ الفتنة ،
وتعيَّنَ على أهلِ الدِّيانَةِ إنكارُ ذلك .

قالَ بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ : (كانوا يكرهونَ النظرَ إلى الغلامِ الأَمْرِ
الجميلِ)^(١) .

وقالَ عطاءُ : (كلُّ نظرةٍ يَهْواها القلبُ فلا خيرَ فيها)^(٢) .

وقالَ بعضُ التابعينَ : (ما أنا أخوفُ على الشابِّ النَّائبِ مِنَ السَّبْعِ
الضَّاري . . خَوْفي عليه مِنَ الغلامِ الأَمْرِ يقعدُ إليه)^(٣) .

وقالَ بعضُ التابعينَ أيضاً : (اللُّوطِيَّةُ على ثلاثةِ أَصنافٍ : صِنْفٌ
ينظُرُونَ ، وصِنْفٌ يُصافِحُونَ ، وصِنْفٌ يعملُونَ ذلكَ العَمَلَ)^(٤) .

فقد تعيَّنَ على طائفةِ الصُّوفِيَّةِ الاجتنابُ مِنْ مثلِ هذهِ الاجتماعاتِ ،
واتِّقاءُ مواضعِ التُّهَمِ ؛ فَإِنَّ أَمْرَ الصُّوفِيَّةِ صِدْقُ كُلِّهِ ، وَجِدُّ كُلِّهِ ؛ يقولُ

= « الكشف والبيان » (٢٣ / ٤٥ - ٤٦) ، واللفظ فيها : (لا يشقُّ قميصه ليشرحَ لي عن
قلبه) ، وفي بعض النسخ : (صدره) بدل (قلبه) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاحى » (١٣٢) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب »
(٥٠١٢) ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » (٣٤٨) عن بقية عن الوضين بن عطاء عن
بعض التابعين .

(٢) رواه وكيع في « الزهد » (٤٨٢) ، وهنَّاد في « الزهد » (٦٥٠ / ٢) ، ومن طريقه ابن
الجوزي في « ذم الهوى » (٢٩٣) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الملاحى » (١٣٣) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب »
(٥٠١٣) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٠١٩) ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » (٣٨١) عن
أبي سهل رحمه الله تعالى ، ورواه الديلمي في « الفردوس » (٣٤٢٥) مرفوعاً عن
سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

بعضهم : (التصوّف كلّهُ جِدٌّ ، فلا تَخْلِطُوهُ بشيءٍ مِنَ الهَزْلِ) (١) .

فهذه الآثارُ دلّت على اجتنابِ السَّماعِ ، وأخذِ الحَذَرِ منه ، والبابُ الأوّلُ (٢) بما فيه دَلٌّ على جوازِهِ بشروطِهِ ، وتنزيهِهِ عَنِ المَكَارِهِ التي ذَكَرناها ، وقد فَصَّلْنَا القولَ ، وفَرَّقْنَا بَيْنَ القِصَائِدِ والغِنَاءِ وغيرِ ذلك (٣) .

وكانَ جماعةٌ مِنَ الصّالِحِينَ لا يسمعونَ ، ومعَ ذلك لا يُنْكِرُونَ على مَنْ يسمعُ بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ ويُراعي الأدبَ فيه (٤) .



(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٣٥٧) ، والقشيري في « رسالته » (ص ١٩٨) عن أبي علي الرُّوذُبَارِيِّ رحمه الله تعالى .

(٢) أي : البابُ الأوّلُ المعقود للسَّماعِ ؛ وهو الذي قبل هذا ، لا البابُ الأوّلُ من الكتاب .

(٣) انظر (٤٧٩ / ١) وما بعدها .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ السَّماعُ للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

قال الإمام الغزالي في « الإحياء » (٤ / ٥٣٢-٥٣٣) في تحرير مسألة السَّماعِ : (فقد خَرَجَ من جملة التفصيل السابق : أنَّ السَّماعَ قد يكون حراماً محضاً ، وقد يكون مُباحاً ، وقد يكون مُستحبّاً ، وقد يكونُ مكروهاً .

أمَّا الحرامُ : فهو لأكثر الناس ؛ من الشُّبَّانِ ، ومَنْ غلبَتْ عليهم شهوةُ الدنيا ، فلا يُحرِّكُ السَّماعُ منهم إلا ما هو الغالبُ على قلوبهم من الصفات المذمومة .

وأمَّا المكروهُ : فهو لِمَنْ لا يُنَزِّلُهُ على صورة المخلوقين ، ولكِنَّهُ يَتَّخِذُهُ عادةً له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو .

وأمَّا المباحُ : فهو لِمَنْ لا حَظَّ له منه إلا التلذُّذُ بالصوت الحسن .

وأمَّا المستحبُّ : فهو لِمَنْ غلبَ عليه حبُّ الله تعالى ، ولم يُحرِّكْ السَّماعُ منه إلا الصفاتِ المحمودة) .

الباب الرابع والعشرون

في القول في السمع ترفعاً واستغناء

اعْلَمْ : أَنَّ الْوَجْدَ يُشْعِرُ بِسَابِقَةِ فَقْدٍ ؛ فَمَنْ لَمْ يَفْقِدْ لَمْ يَجِدْ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْفَقْدُ لِمُزَاحِمَةِ وَجُودِ الْعَبْدِ بِوَجُودِ صِفَاتِهِ وَبَقَايَاهُ ، فَلَوْ تَمَحَّضَ عَبْدٌ تَمَحَّضَ حُرّاً ، وَمَنْ تَمَحَّضَ حُرّاً أَفَلَتَ مِنْ شَرِكِ الْوَجْدِ^(١) ، فَشَرِكُ الْوَجْدِ يَصْطَادُ الْبَقَايَا ، وَوَجُودُ الْبَقَايَا لِتَخَلُّفِ شَيْءٍ مِنَ الْعَطَايَا .

قَالَ الْحُضْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مَا أَدُونَ حَالٍ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى مُزْعَجٍ يُزْعِجُهُ !!)^(٢) .

فَالْوَجْدُ بِالسَّمَاعِ فِي حَقِّ الْمُحَقِّ . كَالْوَجْدِ بِالسَّمَاعِ فِي حَقِّ الْمُبْطِلِ ؛ مِنْ حَيْثُ النَّظَرُ إِلَى انْزِعَاجِهِ ، وَتَأَثُّرِ الْبَاطِنِ بِهِ ، وَظَهْوَرُ أَثَرِهِ عَلَى الظَّاهِرِ ، وَتَغْيِيرُهُ لِلْعَبْدِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ .

وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ الْحَالُ بَيْنَ الْمُحَقِّ وَالْمُبْطِلِ : أَنَّ الْمُبْطِلَ يَجِدُ لَوْجُودِ هَوَى

(١) بالوجود ؛ وهو عبارة عن غيبة وجود الواجد وفنائه عند غلبة نور الشهود . من هامش (ح) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٤٣٢) عن أبي عمرو الزجاجي رحمه الله تعالى ، وزاد : (السَّمَاعُ مِنْ ضَعْفِ الْحَالِ ، وَلَوْ قَوِيَ لَاسْتَفْنَى عَنِ السَّمَاعِ وَالْأَوْتَارِ) ، وقوله : (مَا أَدُونَ حَالٍ . . .) ؛ لِأَنَّ احْتِيَاجَهُ إِلَى الْمَزْعَجِ لَوْجُودِ الْمُزَاحِمِ لِدَوَامِ شُهُودِهِ . من هامش (ح) .

النَّفْسِ ، والمُحَقِّ يَجِدُ لوجودِ إرادةِ القلبِ^(١) ؛ ولهذا قيلَ : (السَّماعُ لا يُحدِثُ في القلبِ شيئاً ، وإنما يُحرِّكُ ما في القلبِ) .

فَمَنْ مُتَعَلِّقٌ بباطنِهِ غيرُ اللهِ يُحرِّكُهُ السَّماعُ ، فيَجِدُ بالهوى ، وَمَنْ مُتَعَلِّقٌ بباطنِهِ مَحَبَّةُ اللهِ يَجِدُ بالإرادةِ إرادةَ القلبِ .

فالمُبْطِلُ محجوبٌ بحجابِ النَّفْسِ ، والمُحَقِّ محجوبٌ بحجابِ القلبِ ، وحجابُ النَّفْسِ حجابٌ أَرْضِي ظُلْمانيٌّ ، وحجابُ القلبِ حجابٌ سَمَويٌّ نُورانيٌّ .

وَمَنْ لَمْ يَقِفْ بدوامِ التحقُّقِ بالشُّهُودِ ، ولا يتعَثَّرُ بأذيالِ الوجودِ . . لا يَجِدُ ولا يَسْمَعُ ؛ وَمِنْ هَذِهِ الْمُطالَعَةِ قالَ بعضُهُمْ : (أنا رَدَمٌ كُلُّهُ ؛ لا ينفذُ في قولٍ)^(٢) .

وَمَرَّ مِمَشَاذِ الدِّينَوَرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْمٍ فِيهِمْ قَوَالٌ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمْسَكُوا ،

(١) فَوَجَدَ المُبْطِلُ يَجْذِبُهُ إلى الخلقِ ، وَوَجَدَ المُحَقِّ يَجْذِبُهُ إلى جَنابِ الحقِّ ، وكلا الوجدَيْنِ ممزوجان ؛ ذاك بباطلٍ وهذا بحقٍّ . من هامش (ح) .

(٢) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٧٨) ، ومختصراً القشيري في « الرسالة » (ص ٢٤٠) ، وقوله : (أنا رَدَمٌ كُلُّهُ . . .) كذا رُسمت في جميع النسخ ، وضُبِطت كذلك في غالبها ، وردمٌ ؛ أي : سَدٌّ بمعنى مسدود ، والمعنى : أنا مسدودٌ بجُمْلتي وكُلِّيَّتي عن أن أتأثر بسماعِ قَوَالٍ ؛ لأنني غارقٌ في حضرةِ الحقِّ ، وأفادنا أستاذنا المُربِّي الدكتور ياسر القضماني عن بعض الأفغان أنَّ الجملة فارسية ، ولفظها هكذا : (نا آز دَمِ كُلِّ) ، والمعنى : لم آتِ بأيِّ طينة أو تراب أو غبرة ، ثمَّ جاء بعد هذا ما يُبيِّنُه بالعربية فقال : لا ينفذُ في قولٍ ؛ أي : لا يسمع ولا يجد كما قال المؤلف قبلُ ، وإذا ضُمَّتِ الكاف من (كُلِّ) صار المعنى : لم آتِ بأيِّ زهرة ، ولعل ما أُثبتَ أقربُ إلى الصواب والسياق ، خصوصاً أنَّ بعض النسخ التي علَّقَ على هامشها بالفارسي ضبطتها كذلك ، ولم تشر إلى الاحتمال الفارسي ، والله تعالى أعلم .

فَقَالَ : ارجِعُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ فِيهِ ، فَوَاللَّهِ ؛ لَوْ جُمِعَتْ مَلَاهِي الدُّنْيَا فِي أُذُنِي .
مَا شَغَلَ هَمِّي ، وَلَا شَفَى بَعْضَ مَا بِي (١) .

فَالْوَجْدُ صُرَاخُ الرُّوحِ الْمُبْتَلَى بِالنَّفْسِ تَارَةً فِي حَقِّ الْمُبْطِلِ ، وَبِالْقَلْبِ تَارَةً
فِي حَقِّ الْمُحِقِّ ، فَمَثَارُ الْوَجْدِ الرُّوحُ الرُّوحَانِيُّ فِي حَقِّ الْمُحِقِّ وَالْمُبْطِلِ .
وَيَكُونُ الْوَجْدُ تَارَةً مِنْ فَهْمِ الْمَعَانِي يَظْهَرُ ، وَتَارَةً مِنْ مُجَرَّدِ النَّعْمَاتِ
وَالْأَلْحَانِ .

فَمَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ الْمَعَانِي يُشَارِكُ النَّفْسُ الرُّوحَ فِي السَّمَاعِ فِي حَقِّ
الْمُبْطِلِ ، وَيُشَارِكُ الْقَلْبُ الرُّوحَ فِي حَقِّ الْمُحِقِّ .

وَمَا كَانَ مِنْ قَبِيلِ مُجَرَّدِ النَّعْمَاتِ تَتَجَرَّدُ الرُّوحُ لِلْسَّمَاعِ ، وَلَكِنْ فِي حَقِّ
الْمُبْطِلِ تَسْتَرْقُ النَّفْسُ السَّمْعَ ، وَفِي حَقِّ الْمُحِقِّ يَسْتَرْقُ الْقَلْبُ السَّمْعَ .

وَوَجْهُ اسْتِلْذَاذِ الرُّوحِ النَّعْمَاتِ : أَنَّ الْعَالَمَ الرُّوحَانِيَّ مَجْمَعُ الْحُسْنِ
وَالْجَمَالِ ، وَوُجُودُ التَّنَاسُبِ فِي الْأَكْوَانِ مُسْتَحْسَنٌ قَوْلًا وَفِعْلًا ، وَوُجُودُ
التَّنَاسُبِ فِي الْهِيَائِ وَالصُّوَرِ مِيرَاثُ الرُّوحَانِيَّةِ ، فَمَتَى سَمِعَ الرُّوحُ النَّعْمَاتِ
الْلَّذِيذَةَ ، وَالْأَلْحَانَ الْمُتَنَاسِبَةَ . تَأَثَّرَ بِهِ ؛ لَوْجُودِ الْجَنَسِيَّةِ ، ثُمَّ يَتَقَيَّدُ ذَلِكَ
بِالْشَّرْعِ لِمَصَالِحِ عَالَمِ الْحِكْمَةِ ، وَرِعَايَةِ الْحُدُودِ لِلْعَبْدِ عَيْنِ الْمَصْلَحَةِ عَاجِلًا
وَأَجَلًا (٢) .

(١) أوردَه أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاجُ فِي «الْلَّمْعِ» (ص ٣٦٦) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي «الرَّسَالَةِ»
(ص ٦٩٤) ، وَفِي (ح) : (وَلَا سَفَى) بَدَلَ (وَلَا شَفَى) ، وَكُتِبَ عَلَى هَامِشِهَا :
(سَفَتِ الرِّيحُ التَّرَابَ تَسْفِيهِ سَفِيًّا : إِذَا أَذْرَتْهُ تَذْرِيةً . «صَحَاحُ») ، وَهُوَ بَعِيدٌ ،
وَالْأَقْرَبُ مَا أَثْبَتَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٢) أَمَّا عَاجِلًا : فَلِلْخُلَاصِ مِنَ الْمَزَاجِرِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْإِثْمِ اللَّائِمَةِ ، وَأَمَّا أَجَلًا : فَلِتَهَيُّؤِ الْجَوَابِ =

وَوَجْهٌ آخَرُ : أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَلْذُ الرُّوحُ النَّعْمَاتِ ؛ لِأَنَّ النَّعْمَاتِ بِهَا نَطَقَ
النَّفْسُ مَعَ الرُّوحِ بِالْإِيمَاءِ الْخَفِيِّ إِشَارَةً وَرَمْزاً بَيْنَ الْمُتَعَاشِقِينَ ، وَبَيْنَ النَّفُوسِ
وَالْأَرْوَاحِ تَعَاشُقٌ أَصْلِيٌّ ، يَنْزِعُ ذَلِكَ إِلَى أُنُوثَةِ النَّفْسِ وَذُكُورَةِ الرُّوحِ ، وَالْمِيلُ
وَالْتَعَاشُقُ بَيْنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى بِالطَّبِيعَةِ وَاقِعٌ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا
زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، وَفِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مِنْهَا ﴾
إِشْعَارٌ بِتَلَازِمٍ وَتَلَاصِقٍ مُؤْجِبٍ لِلاتِّتِلَافِ وَالتَّعَاشُقِ .

فَالنَّعْمَاتُ يَسْتَلْذُهَا الرُّوحُ^(١) ؛ لِأَنَّهَا مُنَاغَاةٌ بَيْنَ الْمُتَعَاشِقِينَ^(٢) .

وَكَمَا أَنَّ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ كُؤُنْتُ حَوَاءً مِنْ آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ . فِي عَالَمِ
الْقُدْرَةِ كُؤُنْتُ النَّفْسُ مِنَ الرُّوحِ ، فَهَذَا التَّالْفُ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
النَّفْسَ رُوحٌ حَيَوَانِيٌّ تَجَنَّسَتْ بِالْقُرْبِ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحَانِيِّ ، وَتَجَنَّسُهَا بِأَنْ اِمْتَاَزَتْ
مِنْ أَرْوَاحِ جِنْسِ الْحَيَوَانِ بِشَرَفِ الْقُرْبِ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحَانِيِّ ، فَصَارَتْ نَفْسًا .

فَإِذَا : تَكُونُ النَّفْسُ مِنَ الرُّوحِ الرُّوحَانِيِّ فِي عَالَمِ الْقُدْرَةِ . كَتَكُونُ حَوَاءً
مِنْ آدَمَ فِي عَالَمِ الْحِكْمَةِ .

فَهَذَا التَّالْفُ وَالتَّعَاشُقُ ، وَنِسْبَةُ الْأُنُوثَةِ وَالذُّكُورَةِ . مِنْ هَا هُنَا ظَهَرَ ،
وَبِهَذَا الطَّرِيقِ اسْتَطَابَ الرُّوحُ النَّعْمَاتِ ؛ لِأَنَّهَا مُرَاسِلَاتٌ بَيْنَ الْمُتَعَاشِقِينَ ،

= وَقَتَ السُّؤَالِ يَوْمَ الْعَرَضِ ؛ فَإِنَّ السُّؤَالَ هُنَاكَ عَلَى قَانُونِ الْحِكْمَةِ ؛ يُقَالُ : لِمَ فَعَلْتَ ؟
وَكَيْفَ فَعَلْتَ ؟ وَلِمَنْ فَعَلْتَ ؟ [وَمَنْ] لَمْ يَتَّقِدْ بِالشَّرْعِ لَا يَتَخَلَّصُ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(١) لَفْظُ (الرُّوحِ) مُذَكَّرٌ ، وَبَعْضُهُمْ أَجَازَ فِيهِ التَّأْنِيثَ وَالتَّذْكِيرَ .

(٢) وَالْمَعشُوقَةُ إِذَا تَكَلَّمَتْ بِمَا يَزِدَادُ بِهِ عِشْقُ الْعَاشِقِ رَمْزاً أَوْ إِيمَاءً . لَا شَكَّ أَنَّهُ يَسْتَلْذُ
كَلَامَهَا ، وَالْمُنَاغَاةُ : الْمُغَازَلَةُ ، وَالْمَرَأَةُ تُنَاغِي الصَّبِيَّ ؛ أَيُ : تُكَلِّمُهُ بِمَا يُعْجِبُهُ وَيَسُرُّهُ .
« صَحَاح » . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

ومُكَالَمَةٌ بَيْنَهُمَا ، وقد قَالَ القَائِلُ^(١) :

[من الطويل]

تَكَلَّمُ مِنَّا فِي الْوُجُوهِ عُيُونُنَا فَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ
فَإِذَا اسْتَلَذَّ الرُّوحُ النِّعْمَةَ وَجَدَتِ النَّفْسُ المَعْلُولَةُ بِالْهَوَى ، وَتَحَرَّكَتْ بِمَا
فِيهَا لِحَدُوثِ الْعَارِضِ ، وَوَجَدَ الْقَلْبُ المَعْلُولُ بِالْإِرَادَةِ ، وَتَحَرَّكَ مَا فِيهِ
لِوُجُودِ الْعَارِضِ فِي الرُّوحِ .

شَرِبْنَا وَأَهْرَقْنَا عَلَى الْأَرْضِ فَضَلْنَا وَلِلْأَرْضِ مِنْ كَأْسِ الْكِرَامِ نَصِيبُ^(٢)
فَنَفْسُ الْمُبْطِلِ أَرْضٌ لِسَمَاءٍ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الْمُحِقِّ أَرْضٌ لِسَمَاءِ رُوحِهِ .
فَالْبَالِغُ مَبْلَغِ الرِّجَالِ ، وَالْمُتَجَوِّهُرُ الْمُتَجَرِّدُ مِنْ أَعْرَاضِ الْأَحْوَالِ^(٣) .
خَلَعَ نَعْلَيْ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ^(٤) ، وَفِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ
مُقْتَدِرٍ اسْتَقَرَّ وَعَرَّسَ ، وَأَخْرَقَ بَنُورَ الْعِيَانِ أَجْرَامَ الْأَلْحَانِ ، وَلَمْ يُصْنَعْ رُوحُهُ
إِلَى مُنَاغَاةٍ عَاشِقِهِ ؛ لَشُغْلِهِ بِمُطَالَعَةِ آثَارِ مَحْبُوبِهِ ، وَالْهَائِمُ الْمُشْتَاقُ ،
لَا يَسْعُهُ كَشْفُ ظَلَامَةِ الْعُشَّاقِ .
وَمَنْ هَذَا حَالُهُ لَا يُحَرِّكُهُ السَّمَاعُ رَأْسًا .

وَإِذَا كَانَتْ الْأَلْحَانُ لَا تَلْحَقُ هَذَا الرُّوحَ مَعَ لَطَافَةِ مُنَاجَاتِهَا ، وَخَفِيِّ
لُطْفِ مُنَاجَاتِهَا . . كَيْفَ يَلْحَقُهُ السَّمَاعُ بِطَرِيقِ فَهْمِ الْمَعَانِي وَهُوَ أَكْثَفُ ؟ ! وَمَنْ

(١) البيت للعباس بن الأحنف في « ديوانه » (ص ٢٤٣) .

(٢) أورده أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (١ / ١٢١) ، وهو من الطويل .

(٣) قوله : (والمتجوهر) ؛ أي : الذي صار جوهرًا مُجَرَّدًا عن موارد المُمَكِّنَات ، مُنَوَّرًا
بأنوار تجليات الواجب ، مُنَزَّهًا عن أعراض العوارض وتقلبات الأحوال . من هامش
(ح) .

(٤) كناية عن الوصول إلى حضرة القدس . من هامش (ح) .

يَضْعَفُ عَنْ حَمَلٍ لَطِيفِ الْإِشَارَاتِ . . كَيْفَ يَتَحَمَّلُ ثِقَلَ أَعْبَاءِ الْعِبَارَاتِ ؟!

وَأَقْرَبُ مِنْ هَذَا عِبَارَةٌ تَقْرُبُ إِلَى الْأَفْهَامِ : الْوَجْدُ وَارِدٌ يَرِدُ مِنَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَنْ يُرِيدُ اللَّهَ لَا يَقْنَعُ بِمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَمَنْ صَارَ فِي مَحَلِّ الْقُرْبِ مُتَحَقِّقًا بِهِ . . لَا يُلْهِيه وَلَا يُحَرِّكُهُ مَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

فَالْوَارِدُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُشْعِرٌ بُبُعِدٍ ، وَالْقَرِيبُ وَاجِدٌ فَمَا يَصْنَعُ بِالْوَارِدِ ؟! وَالْوَجْدُ نَارٌ ، وَلِلْقَلْبِ الْوَاجِدِ بَرَبُّهُ نُورٌ ، وَالنُّورُ أَلْطَفُ مِنَ النَّارِ ، وَالْكَثِيفُ غَيْرُ مُسَيِّطِرٍ عَلَى اللَّطِيفِ .

فَمَا دَامَ الرَّجُلُ الْبَالِغُ مُسْتَمِرًّا عَلَى جَادَّةِ اسْتِقَامَتِهِ ، غَيْرَ مُنْحَرِفٍ عَنْ وَجْهِهِ مَعْهُودِهِ بِنَوَازِعِ وَجُودِهِ . . لَا يُدْرِكُهُ الْوَجْدُ بِالسَّمَاعِ ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَتَوَرَّ أَوْ عَاقَهُ قَصُورٌ بِدُخُولِ الْإِبْتِلَاءِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُبْلِيِّ الْمُحْسَنِ . . يَتَأَلَّفُ^(١) مِنْ تَفَارِيقِ صُورِ الْإِبْتِلَاءِ وَجُودٌ يُدْرِكُهُ الْوَجْدُ لِعُودِ الْعَبْدِ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ إِلَى حِجَابِ الْقَلْبِ ، فَمَنْ هُوَ مَعَ الْحَقِّ إِذَا زَلَّ وَقَعَ عَلَى الْقَلْبِ ، وَمَنْ هُوَ مَعَ الْقَلْبِ إِذَا زَلَّ وَقَعَ عَلَى النَّفْسِ .

سَمِعْتُ بَعْضَ الْمَشَايخِ يَحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ وَجَدَ مِنَ السَّمَاعِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَيْنَ حَالُكَ مِنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : دَخَلَ عَلَيَّ دَاخِلٌ أَوْرَدَنِي هَذَا الْمَوْرِدَ .

وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ سَهْلِ : صَحِبْتُ سَهْلًا سَنِينَ مَا رَأَيْتُهُ تَغَيَّرَ عِنْدَ شَيْءٍ كَانَ يَسْمَعُهُ مِنَ الذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ قُرِئَ عِنْدَهُ : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ﴾ [الحديد : ١٥] ، فَارْتَعَدَ وَكَادَ يَسْقُطُ ، فَسَأَلَتْهُ عَنْ

(١) فِي (هـ) : (يَتَوَلَّد) بَدَل (يَتَأَلَّف) .

ذَلِكَ ، قَالَ : نَعَمْ ، لِحَقْنِي ضَعْفٌ ^(١) .

وَسَمِعَ مَرَّةً قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾ [الفرقان : ٢٦] ،
فَاضْطَرَبَ ، فَسَأَلَهُ ابْنُ سَالِمٍ وَكَانَ صَاحِبَهُ ، قَالَ : قَدْ ضَعُفْتُ ، فَقِيلَ لَهُ :
إِنْ كَانَ هَذَا مِنَ الضَّعْفِ فَمَا الْقُوَّةُ ؟ قَالَ : الْقُوَّةُ أَلَّا يَرَدَّ عَلَيْهِ وَارِدٌ إِلَّا يَتْلَعُهُ
بِقُوَّةِ حَالِهِ ، فَلَا يُغَيِّرُهُ الْوَارِدُ ^(٢) .

وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ : قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (هَذَا كُنَّا حَتَّى قَسَتْ
الْقُلُوبُ) ؛ لَمَّا رَأَى الْبَاكِي يَبْكِي عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ^(٣) .

وَقَوْلُهُ : (قَسَتْ) ؛ أَي : تَصَلَّبَتْ وَأَذْمَنْتُ سَمَاعَ الْقُرْآنِ ، وَأَلِفْتُ
أَنْوَارَهُ ، فَمَا اسْتَغْرِبَتْهُ حَتَّى تَتَغَيَّرَ ^(٤) ، وَالْوَاجِدُ كَالْمُسْتَغْرِبِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ
بَعْضُهُمْ : (حَالِي قَبْلَ الصَّلَاةِ كَحَالِي فِي الصَّلَاةِ) إِشَارَةً مِنْهُ : إِلَى اسْتِمْرَارِ
حَالِ الشُّهُودِ ؛ فَهَكَذَا فِي السَّمَاعِ كَقَبْلِ السَّمَاعِ .

(١) رواه أبو نصر السراج في «اللمع» (ص ٣٦٥) ، والقشيري في «الرسالة»
(ص ٦٩٣) ، وأورده الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٥٢٤) عن محمد بن أحمد بن سالم
البصري عن أبيه أحمد ، وكان من أجل تلاميذ التستري رحمهما الله تعالى ، وفي
«اللمع» و«الرسالة» : (خدمت) بدل (صحبت) ، وفي «اللمع» و«الإحياء» :
(ستين سنة) بدل (سنتين) ، وفي «الرسالة» : (سنتين كثيرة) .

(٢) أورده بتمامه الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٥٢٥) ، ورواه أبو نصر السراج في «اللمع»
(ص ٣٦٥) ، وأورده القشيري في «الرسالة» (ص ٦٩٣) دون قوله : (ف قيل
له . . .) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٧٣) ، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤-٣٣) ،
والثعلبي في «الكشف والبيان» (١١/ ٤٦٤-٤٦٥) .

(٤) وفي هامش (ح) : (عبر عن تمكّن القلب بالاعتبار بقوله : «قَسَتْ» ، ولم يقل :
«تمكّنت» ؛ سترأوا احترازاً عن التزكية) .

وقد قال الجنيد : (لا يضرُّ نقصانُ الوجدِ مع فضلِ العلمِ ، وفضلُ العلمِ أتمُّ من فضلِ الوجدِ)^(١) .

وبلَّغنا عن الشيخ حمَّادٍ رحمه الله أنَّه كان يقولُ^(٢) : (البكاءُ من بقيَّةِ الوجودِ)^(٣) .

وكلُّ هذا يُقرِّبُ البعضَ مِنَ البعضِ في المعنى لَمَنْ عَرَفَ الإشارةَ فيه وفهمَ ، وهو عزيزُ الفهمِ ، عزيزُ الوجودِ .

واعلمَ : أنَّ للباكينَ عندَ السماعِ مواجيدَ مُختلفةً ؛ فمنهم مَنْ يبكي خوفاً ، ومنهم مَنْ يبكي شوقاً ، ومنهم مَنْ يبكي فرحاً ؛ كما قال القائلُ^(٤) : [من الكامل]

طَفَحَ السُّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنَّنِي مِنْ عُظْمِ مَا قَدْ سَرَّنِي أَبْكَانِي

قال أبو بكرٍ الكَتَّانِيُّ رحمه الله : (سماعُ العوامِّ على مُتَابَعَةِ الطَّبْعِ ،

(١) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٣٨١) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٢٥ / ٤) ، وقوله : (أتمُّ من فضل الوجد) في هامش (ح) : (مع أنَّ فضل العلم يوزن بوجود ما ، لكنَّ ذلك الوجود ليس وجوداً ظلمانياً يزاحم مجرد الشهود ، بل يزاحم صفو الشهود) .

(٢) هو الشيخ العارف حمَّاد الدَّبَّاس شيخ الإمام المُربِّي أبي النجيب السهرودري . انظر (٤٤٦ / ١) تعليقا .

(٣) لأنَّه من فقد الشهود . من هامش (ح) .

(٤) أورده السهيلي في « الروض الأنف » (١٣٢ / ٤) عن بعض المحدثين ، وقبله : وردَ الكتابُ مِنَ الحبيبِ بأنَّه سيزورني فاستعبرتُ أجفاني وبعده :

يا عينُ صارَ الدمعُ عندك عادةً تبكينَ في فرحٍ وفي أحزانٍ وطَفَحَ : امتلأ حتى فاض .

وسماعُ المرِيدِينَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً ، وسماعُ الأولياءِ رؤيةَ الآلاءِ والنَّعمِ ^(١) ،
وسماعُ العارفينَ على المُشاهدةِ ، وسماعُ أهلِ الحقيقةِ على الكشفِ
والعيانِ ، ولكلِّ واحدٍ مِنْ هؤُلاءِ مصدرٌ ومقامٌ ^(٢) .

وقال أيضاً : (الواردُ يَرُدُّ فيُصادِفُ شكلاً أو مُوافقةً ؛ فأَيُّ واردٍ صادفَ
شكلاً مازجَهُ ، وأَيُّ واردٍ صادفَ مُوافقاً ساكنَهُ) ^(٣) .

وهذه كلها ^(٤) مواجيدُ أهلِ السَّماعِ ، وما ذَكَرناهُ حالٌ مِنْ ارتفعَ مِنْ
السَّماعِ .

وهذا الاختلافُ يُنَزَّلُ على اختلافِ أقسامِ البكاءِ الذي ذَكَرناهُ ؛ مِنْ
الخوفِ والشوقِ والفرحِ ^(٥) ، وأَعلاها بكاءُ الفَرَحِ ؛ بمثابةِ قادمٍ يَقْدَمُ على
أهلِهِ بعدَ طُولِ غُرْبَتِهِ ؛ فعندَ رؤيةِ الأهلِ يبكي مِنْ قُوَّةِ الفَرَحِ وكثرتِهِ .
وفي البكاءِ رُبَّةٌ أُخرى أَعَزُّ مِنْ هذهِ ، يَعِزُّ ذِكْرُها ، وَيَكْبُرُ نَشْرُها ؛

(١) في (ب ، ج ، و ، ح) : (والنعماء) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٣٧٥) ، وقوله : (مصدر ومقام) فمصدرُ سماعِ
العوامِّ : الطبعُ والنَّفْسُ ، ومصدرُ سماعِ المرِيدِينَ : القلبُ الممزوجُ بالنفسِ ، ومصدرُ
سماعِ الأولياءِ : القلبُ المُخلَّصُ عن النفسِ المقتِرِنِ بالعقلِ ، ومصدرُ سماعِ أهلِ
الحقيقةِ : السِّرُّ المُصَفَّى عن الأكوانِ ، المُنَوَّرُ بنورِ العِيانِ . من هامش (ح) .

(٣) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٣٧٥) ، وقولُهُ : (ساكنه) : فيُعْلَمُ مِنْ هَذَا : سِرُّ
سكونِ الأكابرِ في حالةِ السماعِ ، ولم يكنْ مُزْعِجاً لَهُ ومُحَرِّكاً لَهُ ، وقولُهُ : (مازجه) ؛
أَيُّ : مازجِ الواردِ ذلكَ الشكلِ الحادثِ ، فلم يبقِ الواردُ على حَرَافَتِهِ ؛ بسببِ الممازجةِ ،
وذلكَ الشكلِ لا يَناسبُهُ ولا يوافقه فيكونُ مُزْعِجاً لَهُ ومُحَرِّكاً . من هامش (ح) .

(٤) أَيُّ : المذكوراتُ مِنْ قولِ الكَتَّانِي وما قبله . من هامش (ح) .

(٥) الفرقُ بينِ الشوقِ والفرحِ : [أَنَّ] الشوقَ يُستعملُ فيما يُرْجى وقوعُهُ ، والفرحَ يُستعملُ
فيما تَحَقَّقَ وقوعُهُ . « كشف » . من هامش (ح) .

لِقُصُورِ الأفهامِ عن إدراكِها ؛ فربَّما يُقَابَلُ ذكرُها بالإنكارِ ، ويُجْفَى بالاستكبارِ^(١) ، ولكن يعرفُها مَنْ وَجَدَهَا قَدَمًا ووُضُوعًا ، أو فَهِمَهَا نَظَرًا ومُثُولًا ؛ وهوَ بكاءُ الوجدانِ ، غيرُ بكاءِ الفرحِ ، وحدثُ ذلكِ في بعضِ مواطنِ حَقِّ اليقينِ .

ومن حَقِّ اليقينِ في الدُّنيا إماماتُ يسيرةٌ ، فيوجدُ البكاءُ في بعضِ مواطنِهِ ؛ لوجودِ تغايرٍ وتباينٍ بينَ المُحدثِ والقديمِ ، فيكونُ البكاءُ رَشْحًا هوَ وصفُ الحَدَثانِ ؛ لوَهَجِ سَطْوَةِ عَظْمَةِ الرَّحْمَنِ^(٢) ، ويَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ مثلاً في الشاهدِ : قَطْرُ الغَمَامِ ، بتَلَاقِي مُخْتَلِفِ الأجرامِ^(٣) ، وهذا وإنْ عَزَّ مُشْعِرٌ ببقيةٍ تقدحُ في صِرْفِ الفناءِ .

نعم ؛ قد يتحققُ العبدُ في الفناءِ مُتَجَرِّدًا عَنِ الآثارِ^(٤) ، مُنْغَمِسًا في الأنوارِ^(٥) ، ثُمَّ يَرْقَى مِنْهُ إِلَى مَقَامِ البَقَاءِ^(٦) ، وَيُرَدُّ إِلَيْهِ الوجودُ مُطَهَّرًا^(٧) ،

(١) يُجْفَى : يُعْرَضُ عَنْهُ وَيُطْرَحُ ، وفي (هـ) ونسخة على هامش (د) : (ويخفى) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماعاً وقراءةً ونفعاً على الشيخ جلال الدين ، نفعنا الله به آمين ، كتبه الفقير عبد السلام) .

(٢) الوَهَجُ فِي الْأَصْلِ : حَرُّ النَّارِ .

(٣) إِذَا تَلَاقَتِ الْأَجْرَامُ الْحَارَّةُ مَعَ الْأَجْرَامِ الْبَارِدَةِ وَتَصَادَمَتَا . . يَقَعُ الْقَطْرُ وَالْمَطَرُ ؛ فَهَذَا مِثَالٌ لِمَا يَرِدُ مِنَ الْوَارِدَاتِ الْحَارَّةِ مِنْ وَهَجِ سَطْوَةِ الْعَظْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، عَلَى بَقَايَا وَجُودِ الرُّوحَانِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ بَارِدَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا ، فَيَقَعُ الدَّمْعُ وَالْبَكَاءُ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٤) أَي : آثَارِ الصِّفَاتِ ؛ وَهِيَ الْأَفْعَالُ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٥) أَي : أَنْوَارِ الصِّفَاتِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٦) بِاسْتِكْمَالِ الْفَنَاءِ فِي التَّجَلِّيَّاتِ الصِّفَاتِيَّةِ وَالذَّاتِيَّةِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٧) أَي : عَنْ دَنَسِ الْبَشَرِيَّةِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

فتعودُ إليه أقسامُ البكاء ؛ خوفاً وشوقاً ، وفرحاً ووجداناً ، بمُشاكَلَةِ صُورِها ، ومُبايَنَةِ حَقِيقَتِها ؛ بفرقٍ لطيفٍ يُدِرِكُهُ أربابُهُ^(١) ، وعندَ ذلكَ يعودُ عليه مِنَ السَّماعِ أيضاً قِسْمٌ ، وذلكَ القِسْمُ مقدورٌ لَهُ ، مقهورٌ معه ، يأخذُهُ إذا أرادَ ، ويرُدُّهُ إذا أرادَ .

ويكونُ هذا السَّماعُ مِنَ المُتَمَكِّنِ بِنَفْسٍ اطمأنت واستنارت ، وبابنتِ طَبِيعَتِها ، واكتسبت طُمأنينَتَها^(٢) ، وأكسَبَها الرُّوحُ معنَى منه ، فيكونُ سماعُهُ نوعَ تَمَتُّعٍ لِلنَّفْسِ ؛ كَتَمَتُّعِها بِمُباحاتِ اللَّذاتِ والشَّهواتِ ، لا أنْ يأخذَ السَّماعُ مِنْهُ أو يزيِدَ بِهِ ، أو يظهرَ عليه مِنْهُ أثرٌ ، وتكونُ النَّفْسُ في ذلكَ بِمِثابَةِ الطِّفْلِ في حِجْرِ الوالِدِ ؛ يُفَرِّحُهُ في بعضِ أوقَاتِهِ ببعضِ مآربِهِ .

وَمِنْ هَذَا القَبِيلِ : نُقِلَ أَنَّ أبا مُحَمَّدٍ الرَّاشِنِيَّ كانَ يَشْغَلُ أَصْحابَهُ بِالسَّماعِ^(٣) ، وينعزلُ عَنْهُمْ ناحِيَةً يُصَلِّي فيها ؛ فَقَدْ تَطَرَّقُ النَّعَمَاتُ مِثْلَ هَذَا

(١) وهو أَنَّ قَبْلَ التَّحَقُّقِ بِالفناء وحصولِ البقاء . . كان أقسامُ البكاء لمزاحمة الوجود ووقوع الحجاب ، وبعده لا يكونُ كذلك ، بل يكونُ في حال زوال الحجاب ، ولكنَّ الوجودَ الموهوبَ لَهُ يقتضي مُعايِنَةً آخَرَ فوق ما حصل أولاً ، فيعودُ إِلَيْهِ مِنَ النِّهايةِ حالاتُ البداية ، كما قال سيِّد الطائفة قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ وقد سُئِلَ ما نِهايةُ هَذَا الأمرِ ؟ قال : النِّهايةُ الرَّجوعُ إِلَى البداية ، وَمِنْ هُنَا يُعَلِّمُ : أَنَّ التَّرَقِّيَّاتِ الَّتِي حَصَلَتْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مَقامِ الرِّسالةِ والنُّبُوَّةِ فوق التَّرَقِّيَّاتِ الَّتِي حَصَلَتْ قَبْلَها ، وَيُفْهَمُ أَيْضاً : أَنَّ النُّبُوَّةَ أَعْلَى مِنَ الْوَلَايَةِ . « حاشية زَيْن الدِّين الْخَوافي » قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ الْعَزِيزَ . مِنْ هَامِش (ح) .

(٢) فِي (أ ، ج ، ز) : (واكتست) بدل (واكتسبت) .

(٣) الرَّاشِنِيَّ : هُوَ الْإِمَامُ الْقُدْوَةُ عَبْدُ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ (ت ٣٦٧ هـ) ، مِنْ تَلَامِذَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْجُرَيْرِيِّ ، وَمِنْ شُيُوخِ السَّلَمِيِّ ، وَضُبِّطَ فِي « طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٥١٣) : (الرَّاسِبِيُّ) بِالْمِهْمَلَةِ ثُمَّ الْمُوَحَّدَةِ ، وَالصُّوَابُ الْمُثَبَّتُ ، كَمَا فِي « تَبْصِيرِ الْمُنتَبِه » (٦١٩ / ٢) .

المُصَلِّي ، وتدلَّى إليها النَّفْسُ مُتَنَعِّمَةً بِذلك ، فيزدادُ مَوَارِدُ الرُّوحِ مِنَ الأنْسِ صَفَاءً عِنْدَ ذلك ؛ لِبُعْدِ النَّفْسِ عَنِ الرُّوحِ فِي تَمَتُّعِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَعَ طُمَأْنِينَتِهَا بِوَضْفٍ مِنَ الْأَجْنِبِيَّةِ بِوَضْعِهَا وَجِبِلَّتِهَا^(١) ، وَفِي بُعْدِهَا تَوَقُّرُ أَقْسَامِ الرُّوحِ مِنَ الْفُتُوحِ ، وَيَكُونُ طُرُوقُ الْأَلْحَانِ سَمْعَهُ فِي الصَّلَاةِ غَيْرَ حَائِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَقِيقَةِ الْمُنَاجَاةِ^(٢) ، وَفَهُمْ تَنْزِيلُ الْكَلِمَاتِ ، وَتَصِلُ الْأَقْسَامُ إِلَى مَحَالِّهَا غَيْرَ مُزَاحِمَةٍ وَلَا مُزَاحِمَةٍ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ لِسَعَةِ شَرْحِ الصَّدْرِ بِالْإِيمَانِ ، وَاللَّهُ الْمُحْسِنُ الْمَنَانُ .

ولهذا قيل : (السَّمَاعُ لِقَوْمٍ كَالدَّوَاءِ ، وَلِقَوْمٍ كَالْغِذَاءِ ، وَلِقَوْمٍ كَالْمِرْوَحَةِ) .

وَمِنْ عَوْدِ أَقْسَامِ الْبُكَاءِ : مَا رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِيٍّ : « أَقْرَأْ » ، فَقَالَ : أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ ! فَقَالَ : « أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » ، فَافْتَحَ سُورَةَ (النِّسَاءِ) حَتَّى بَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَهْمِلَانِ^(٣) .

(١) لِأَنَّ ظِلْمَانِيَّتَهَا أَصْلِيَّةً ، وَنُورَانِيَّتَهَا عَارِضَةٌ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٢) فِي بَعْضِ النِّسَخِ : (مُحِيلَةٌ) بَدَلِ (حَائِلَةٌ) .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٥٨٣) ، وَمُسْلِمٌ (٨٠٠) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَوْلُهُ : (قَالَ لِأَبِيٍّ) كَذَا فِي جَمِيعِ النِّسَخِ ، وَالْمَعْرُوفُ بِهَذَا السِّيَاقِ : أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالْمَعْرُوفُ مِنْ قِصَّةِ أَبِيٍّ : مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٠٩) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِيٍّ : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) » ، قَالَ : وَسَمَّانِي ؟ قَالَ : « نَعَمْ » ، فَكُنَى .

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَقْبَلَ الْحَجَرَ وَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ شَفْتَيْهِ عَلَيْهِ طَوِيلًا يَبْكِي وَقَالَ : « يَا عُمَرُ ؛ هَا هُنَا تُسْكَبُ الْعَبْرَاتُ » (١) .

وَالْمُتِمِّكُنُ يَعُودُ إِلَيْهِ أَقْسَامُ الْبَكَاءِ ، وَفِي ذَلِكَ فَضِيلَةٌ سَأَلَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : « اَللَّهُمَّ ؛ أَرْزُقْنِي عَيْنَيْنِ هَطَّالَتَيْنِ » (٢) .

وَيَكُونُ الْبَكَاءُ فِي اللَّهِ (٣) ، وَيَكُونُ لِلَّهِ (٤) ، وَيَكُونُ بِاللَّهِ (٥) ، وَهُوَ الْآتَمُّ ؛ لِعَوْدِهِ إِلَيْهِ بِوَجُودٍ مُسْتَأْنَفٍ مُوَهَّوبٍ لَهُ مِنَ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ فِي مَقَامِ الْبَقَاءِ ، وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ (٦) .



(١) رواه ابن ماجه (٢٩٤٥) ، وابن خزيمة (٢٧١٢) ، والحاكم (٤٥٤ / ١) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبراني في « الدعاء » (١٤٥٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٩٦ / ٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٤) ، و« صفة النار » (٢٢٠) مرسلًا عن سالم بن عبد الله رحمه الله تعالى ، وقال العراقي في « المغني » (٣٨٦٥) : (وذكر الدارقطني في « العلل » أنَّ من قال فيه : « عن أبيه » وَهَمَ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَرْسَلًا ، قَالَ : وَسَالِمٌ هَذَا : يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ ، وَلَيْسَ بِابْنِ عُمَرَ) .

(٣) في مقام المحبة . من هامش (ح) .

(٤) في مقام الإخلاص . من هامش (ح) .

(٥) في مقام البقاء بعد الفناء . من هامش (ح) .

(٦) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً ، بلغ قراءةً) ، وفيه : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) ، وفيه : (بلغ على الشيخ الحافظ جلال الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود المقدسي) .

الباب الخامس والعشرون

في القول في السماع تأديباً واعتناءً

ويتضمن هذا الباب : آداب السَّماع ، وحُكْم التَّخْرِيق ، وإشارات المشايخ في ذلك ، وما في ذلك من المأثور والمحذور .

مبنى التصوُّف : على الصِّدْق في سائر الأحوال^(١) ، وهو جدُّ كلِّه ، لا ينبغي للصادق أن يتعمَّد الحضور في مَجْمَع يكون فيه سماعٌ إلا بعد : أن يُخْلِصَ النِّيَّةَ لله تعالى ، ويتوقَّع به مَزِيداً في إرادته وطلبه ، ويحذر من ميل النفسِ لشيءٍ من هواها ، ثمَّ يُقدِّم الاستخارة للحضور ، ويسأل الله إذا عَزَمَ البركة فيه ، وإذا حضر يلزم الصِّدْق^(٢) ، والوقار بسكون الأطراف^(٣) .

قال أبو بكر الكَتَّانِي رحمه الله تعالى : (المُسْتَمِعُ يجبُ أن يكون في سماعه غير مُستروح إليه ؛ بحيث يُهَيِّجُ منه السَّماعُ وجداً أو شوقاً أو غلبةً أو حركةً ، والواردُ إذا وردَ عليه يُفْنِيهِ عن كلِّ حركةٍ وسكونٍ)^(٤) .

(١) في (ح) : (على الصدق في السماع وسائر الأحوال) ، وكذلك في (ي) ، إلا أنه زاد بعد كلمة (السماع) : (الصِّرف) ، وأشار إلى هذه النسخة في هامش (د) .

(٢) مع الله بقطع النظر عن الخلق . من هامش (ح) .

(٣) وغَضُّ البصر وإطراق الرأس . من هامش (ح) .

(٤) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٣٧٥) ، وأورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٣٣) ، وزاد بعده : وأنشد على أثره : (من مخلص البسيط) =

وَيَتَّقِي الصَّادِقُ اسْتِدْعَاءَ الْوَجْدِ ، وَيَجْتَنِبُ الْحَرَكَةَ فِيهِ مَهْمَا أَمَكَّنَ ،
لَا سِوَمَا بِحَضْرَةِ الشُّيُوخِ .

حُكِي : أَنَّ شَابًا كَانَ يَصْحَبُ الْجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَلَّمَا سَمِعَ شَيْئًا زَعَقَ
وَتَغَيَّرَ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : إِنْ ظَهَرَ مِنْكَ شَيْءٌ بَعْدَ هَذَا . . . فَلَا تَصْحَبْنِي ، فَكَانَ
بَعْدَ ذَلِكَ يَضْبِطُ نَفْسَهُ ، وَرَبَّمَا كَانَ مِنْ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْهُ تَقْطُرُ قَطْرَةٌ عَرَقٍ ، فَلَمَّا
كَانَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ . . . زَعَقَ زَعَقَةً وَخَرَجَ رَوْحُهُ^(١) .

فَلَيْسَ مِنَ الصَّدَقِ إِظْهَارُ الْوَجْدِ مِنْ غَيْرِ وَجْدٍ نَازِلٍ ، أَوْ ادِّعَاءُ الْحَالِ مِنْ
غَيْرِ حَالٍ حَاصِلٍ ، وَذَلِكَ عَيْنُ النِّفَاقِ .

قِيلَ : كَانَ النَّصْرَابَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرَ الْوَلَعِ بِالسَّمَاعِ ، فَعُوتِبَ فِي
ذَلِكَ ، فَقَالَ : نَعَمْ ، هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَقْعَدَ وَنَغْتَابَ النَّاسَ ، فَقَالَ لَهُ
أَبُو عَمْرٍو بْنُ نُجَيْدٍ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَانِهِ : هِيَهَاتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ !! زَلَّةٌ فِي
السَّمَاعِ شَرٌّ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَنَةَ نَغْتَابِ النَّاسِ^(٢) .

وَذَلِكَ أَنَّ زَلَّةَ السَّمَاعِ إِشَارَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَرْوِيجٌ لِلْحَالِ بِصَرِيحِ
الْمُحَالِ^(٣) ، وَفِي ذَلِكَ ذُنُوبٌ مُتَعَدِّدَةٌ .

= فالوجد والشوق في مكاني قد منعاني من القرار
هما معي لا يفارقاني فذا شعاري وذا دثاري

(١) رواه أبو نصر السراج في «اللمع» (ص ٣٥٨) ، ومن طريقه القشيري في «الرسالة»
(ص ٦٩٠) .

(٢) أورده بنحوه الخرکوشي في «تهذيب الأسرار» (ص ٣٣٥) ، والقشيري في «الرسالة»
(ص ٦٩٦) .

(٣) في النسخ ما عدا (د ، و) : (وترويح) بدل (وترويح) .

منها : أَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ وَهَبَ لَهُ شَيْئاً وَمَا وَهَبَ لَهُ ، وَالْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَقْبَحِ الزَّلَّاتِ .

ومنها : أَنْ يَغُرَّ بَعْضَ الْحَاضِرِينَ ، فَيُحْسِنَ بِهِ الظَّنَّ ، وَالْغُرُورُ خِيَانَةٌ^(١) ؛ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا »^(٢) .

ومنها : أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُبْطِلاً وَيُرَى بَعِينَ الصَّلَاحِ . . سَوْفَ يَظْهَرُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُفْسِدُ عَقِيدَةَ الْمُعْتَقِدِ فِيهِ ، فَتَفْسُدُ عَقِيدَتُهُ فِي غَيْرِهِ مِمَّنْ يَظُنُّ بِهِ الْخَيْرَ مِنْ أَمْثَالِهِ^(٣) ، فَيَكُونُ مُتَسَبِّباً إِلَى فسادِ الْعَقِيدَةِ فِي أَهْلِ الصَّلَاحِ ، وَيَدْخُلُ بِذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الظَّنِّ مِنْ فسادِ عَقِيدَتِهِ ، فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ مَدَدُ الصَّالِحِينَ ، وَيَتَشَعَّبُ مِنْ هَذَا آفَاتٌ كَثِيرَةٌ يَقِفُ عَلَيْهَا مَنْ يَبْحَثُ عَنْهَا .

ومنها : أَنَّهُ يُحَوِّجُ الْحَاضِرِينَ إِلَى مُوَافَقَتِهِ فِي قِيَامِهِ وَقُعُودِهِ ، فَيَكُونُ مُتَكَلِّفًا مُكَلِّفًا لِلنَّاسِ بِبَاطِلِهِ ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْجَمْعِ مَنْ يَرَى بَنُورَ الْفِرَاسَةِ أَنَّهُ مُبْطِلٌ ، وَيَحْمِلُ عَلَى نَفْسِهِ الْمُوَافَقَةَ لِلْجَمْعِ مُدَارِيًا .

وَيَكْثُرُ شَرْحُ الذُّنُوبِ فِي ذَلِكَ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ، وَلَا يَتَحَرَّكْ ، إِلَّا إِذَا صَارَتْ حَرَكَتُهُ كَحَرَكَةِ الْمُرتَعِشِ الَّذِي لَا يَجِدُ سَبِيلًا إِلَى الْإِمْسَاكِ ، وَكَالْعَاطِسِ الَّذِي لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرُدَّ الْعَطْسَةَ ، وَتَكُونُ حَرَكَتُهُ بِمَثَابَةِ النَّفْسِ الَّذِي يَتَنَفَّسُ يَدْعُوهُ إِلَى التَّنَفُّسِ دَاعِيَةُ الطَّبْعِ قَهْرًا .

(١) فِي (أ ، ب ، ج ، د ، ز) : (وَالْإِغْرَارِ) بَدَلَ (وَالْغُرُورِ) ، وَالْقِيَاسُ مَا أَثْبَتَهُ مِنْ بَاقِي النِّسْخِ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٠١) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) أَيُ : فَتَفْسِدُ عَقِيدَةُ الْمُعْتَقِدِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْمُبْطِلِ مِمَّنْ يُرَى بَعِينَ الصَّلَاحِ مِنْ أَمْثَالِهِ وَأَشْبَاهِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقْرَأَ : (مِمَّنْ يُظُنُّ بِهِ الْخَيْرُ) ، وَقَدْ ضَبَطَ بِالْوُجْهِينِ فِي (و) .

قَالَ السَّرِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : (شَرَطُ الْوَاجِدِ فِي زَعَقَتِهِ : أَنْ يَبْلُغَ إِلَى حَدِّ
لَوْ ضُرِبَ وَجْهُهُ بِالسَّيْفِ لَا يَشْعُرُ فِيهِ بَوَجَعٍ) (١) .

وقد يقع هذا في حَقِّ بعضِ الواصلين نادرًا ، وقد لا يبلغ الواصل هذه
الرُّتبة مِنَ الغيبة ، ولكن زَعَقَتُهُ تخرجُ كالتنفسِ بنوعِ إرادةٍ ممزوجةٍ
بالاضطرار .

وهذا الضبطُ مِنْ رعايةِ الحركاتِ وردِّ الزَّعَقَاتِ . . في تمزيقِ الثيابِ
أكْدُ (٢) ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُونُ إِتْلَافَ الْمَالِ ، وَإِنْفَاقَ الْمَحَالِ .

وهكذا رَمَى الخِرْقَةُ إِلَى الْحَادِي ؛ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا إِذَا حَضَرَتْهُ نِيَّةٌ
يَجْتَنِبُ فِيهَا التَّكَلُّفَ وَالْمُرَاءَاةَ ، وَإِذَا حَسُنَتِ النِّيَّةُ فَلَا بَأْسَ بِالْقَاءِ الْخِرْقَةَ إِلَى
الْحَادِي ؛ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ ، وَأَنْشَدَ آيَاتَهُ الَّتِي أَوَّلُهَا : [من البسيط]

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَبْثُولُ

حتى انتهى إلى قوله فيها :

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنْدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ (٣)

(١) أورده بنحوه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٣٨١) ، والقشيري في « الرسالة »
(ص ٢٤٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٢٨ / ٤) .

(٢) يعني : يجبُ على المريد رعايةَ الحركاتِ وردِّ الزَّعَقَاتِ ، وضبطُهما ما أمكن ، وهذا
الضبط والرعاية يصير مُؤَكِّدًا في حَقِّ مَنْ ظَهَرَ لَهُ تمزيقُ الثيابِ . من هامش (ج) .

(٣) في نسخة على هامش (د) : (لَنُور) بدل (لَسَيْف) ، ويكون قوله : (مهند) خبراً
ثانياً ، وعلى المثلث يجوز أن يكون صفة أو خبراً ثانياً .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَنْتَ ؟ » ، فَقَالَ : أَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ ، فَرَمَى
إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ مُعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَى كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ : بِعْنَا بُرْدَةَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرَةِ آلَافٍ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ : مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ ثَوْبٍ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ كَعْبٌ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى
أَوْلَادِهِ بِعَشْرِينَ أَلْفًا وَأَخَذَ الْبُرْدَةَ^(١) ، وَهِيَ الْبُرْدَةُ الْبَاقِيَةُ عِنْدَ الْإِمَامِ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ الْيَوْمَ^(٢) ، أَعَادَ اللَّهُ بَرَكَتَهَا عَلَى أَيَّامِهِ الزَّاهِرَةِ^(٣) .

وَلِلْمُتَصَوِّفَةِ آدَابٌ يَتَعَاهَدُونَهَا ، وَرِعَايَتُهَا حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الصُّحْبَةِ
وَالْمُعَاشَرَةِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ لَمْ يَكُونُوا يَعْتَمِدُونَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ
اسْتَحْسَنُوهُ وَتَوَاطَوْا عَلَيْهِ وَلَا يُنْكِرُهُ الشَّرْعُ . لَا وَجْهَ لِلْإِنْكَارِ فِيهِ .

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَحَرَّكَ فِي السَّمَاعِ وَوَقَعَتْ مِنْهُ خِرْقَةٌ ، أَوْ نَازَلَتْ

(١) رَوَاهُ السَّلْفِيُّ فِي « الطَّيُورِيَّاتِ » كَمَا فِي « تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ » لِلْسَّيُوطِيِّ (ص ٨٥) عَنْ
أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَابْنِ أَبِي عَاصِمٍ فِي « الْأَحَادِ وَالْمِثَانِي »
(٢٧٠٦) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْبُرْدَةِ
وَمَا بَعْدَهَا ، وَابْنُ قَانَعٍ فِي « مَعْجَمِ الصَّحَابَةِ » (٣٨١/٢) عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) هُوَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ الْمُسْتَضِيِّ بِأَمْرِ اللَّهِ الْحَسَنُ بْنُ الْمُسْتَنْجِدِ بِاللَّهِ
(ت ٦٢٢ هـ) ، وَانْظُرْ « الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ » (٣٩٨/١٠) .

(٣) وَقَالَ السَّيُوطِيُّ فِي « تَارِيخِ الْخُلَفَاءِ » (ص ٨٦) : (وَكَانَتْ هَذِهِ الْبُرْدَةُ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ
يَتَوَارَثُونَهَا وَيَطْرَحُونَهَا عَلَى أَكْتَافِهِمْ فِي الْمَوَاقِبِ جُلُوسًا وَرُكُوبًا ، وَكَانَتْ عَلَى الْمُقْتَدِرِ
حِينَ قُتِلَ وَتَلَوْتُ بِالْدَمِ ، وَأُظِّلُ أَنَّهَا فَقِدَتْ فِي فِتْنَةِ التَّتَارِ ؛ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) .

وَجَدُ ورمى عِمامتهُ إلى الحادي . . فالمُستحسنُ عندهُم مُوافقةُ الحاضرينَ له في كَشْفِ الرأسِ إذا كانَ ذلكَ مِنْ مُتَقَدِّمٍ وشيخٍ ، وإن كانَ ذلكَ مِنَ الشُّبَّانِ في حَضْرَةِ الشُّيُوخِ . . فليسَ على الشُّيُوخِ مُوافقةُ الشُّبَّانِ في ذلكَ ، وينسحبُ حُكْمُ الشُّيُوخِ على بقيَّةِ الحاضرينَ في تَرْكِ المُوافقةِ للشُّبَّانِ ، فإذا سَكَنُوا عن السَّماعِ يُرَدُّ إلى الواجدِ خِرْقَتُهُ^(١) ، ويُوافِقُهُ الحاضرونَ بَرَفِعِ العمامِ ، ثُمَّ رَدَّها على الرؤوسِ في الحالِ للمُوافقةِ .

والخِرْقَةُ إذا رُمِيَتْ إلى الحادي هي للحادي إذا قَصَدَ إعطاءَهُ إِيَّاهَا^(٢) .
وإن لم يَقْصِدْ إعطاءَ الحادي . . فقالَ بعضُهُم : هي للحادي ؛ لأنَّ المُحرَّكَ هوَ ، ومنهُ صَدَرَ المُوجبُ لرمي الخِرْقَةِ .

وقالَ بعضُهُم : هي للجَمْعِ ، والحادي واحدٌ مِنْهُم ؛ لأنَّ المُحرَّكَ قولُ الحادي معَ بَرَكََةِ الجَمْعِ ؛ فإنَّ بَرَكََةَ الجَمْعِ في إحداثِ الوجدِ لا تتقاصرُ عن قولِ القائلِ ، فيكونُ الحادي واحداً مِنْهُم في ذلكَ .

رُويَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ يومَ بدرٍ : « مَنْ وَقَفَ بِمَكَانٍ كَذَا فَلَهُ كَذَا ، وَمَنْ قَتَلَ فَلَهُ كَذَا ، وَمَنْ أَسَرَ فَلَهُ كَذَا » ، فتسارعَ الشُّبَّانُ ، وأقامَ الشُّيُوخُ والوجوهُ عندَ الرِّايَاتِ ، فلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ على المسلمينَ طَلَبَ الشُّبَّانُ أَنْ يجعلَ ذلكَ لَهُم ، فقالَ الشُّيُوخُ : كُنَّا ظَهْرًا لَكُمْ وِرْدُءًا ، فلا

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ز ، ي) : (سكتوا) بدل (سكنوا) ، وفيها أيضاً ما عدا (ج ، ح ، ي) : (يُرَدُّ الواجدُ إلى خِرْقَتِهِ) ، والمراد : أَنَّهُ ترد خِرقة الواجد بغير اختياره ، وكذا خِرقة من وافق الواجد . من هامش (ج) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ب ، هـ ، ز) : (إعطاءها إيَّاهُ) ، والمثبت أنسب مع السياق .

تذهبوا بالغنائم دُونَنا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ
وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١] ، فَقَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ^(١) .

وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الْقَوَالُ مِنَ الْقَوْمِ يُجْعَلُ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ
الْقَوْمِ فَمَا كَانَ لَهُ قِيمَةٌ يُؤَثَّرُ بِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ خِرْقِ الْفُقَرَاءِ يُقَسَّمُ بَيْنَهُمْ .

وَقِيلَ : إِنْ كَانَ الْقَوَالُ أَجِيرًا فَلَيْسَ لَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَإِنْ كَانَ مُتَبَرِّعًا يُؤَثَّرُ
بِذَلِكَ .

وَكُلُّ هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَيْخٌ يَحْكُمُ ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ شَيْخٌ يُهَابُ
وَيُمْتَثَلُ أَمْرُهُ . فَالشَّيْخُ يَحْكُمُ فِي ذَلِكَ بِمَا يَرَى ؛ فَقَدْ تَخْتَلَفُ الْأَحْوَالُ فِي
ذَلِكَ ، وَلِلشَّيْخِ اجْتِهَادٌ يَفْعَلُ مَا يَرَى ، فَلَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ .

وَإِنْ فُداها بَعْضُ الْمُحِبِّينَ أَوْ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ ، وَرَضِيَ الْقَوَالُ وَالْقَوْمُ بِمَا
رَضُوا بِهِ ، وَعَادَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى خِرْقَتِهِ . . فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ ، وَإِذَا أَصَرَ وَاحِدٌ
عَلَى الْإِثَارِ لِمَا خَرَجَ مِنْهُ لِنِيَّةٍ لَهُ فِي ذَلِكَ . . يُؤَثَّرُ بِخِرْقَتِهِ الْحَادِي .

وَأَمَّا تَمْزِيقُ الْخِرْقَةِ الْمَجْرُوحَةِ^(٢) الَّتِي مَزَقَهَا وَاحِدٌ صَادِقٌ عَنْ غَلَبَةِ سَلْبِ
اخْتِيَارِهِ ، كَغَلَبَةِ النَّفْسِ فِيمَنْ يَتَعَمَّدُ إِمْسَاكَهُ . . فَنِيَّتُهُمْ فِي تَفْرِيقِهَا وَتَمْزِيقِهَا
التَّبَرُّكُ بِالْخِرْقَةِ ؛ لِأَنَّ الْوَجْدَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ فَضْلِ الْحَقِّ ، وَتَمْزِيقُ الْخِرْقَةِ أَثَرٌ مِنْ
آثَارِ الْوَجْدِ ، فَصَارَتِ الْخِرْقَةُ مُتَأَثِّرَةً بِأَثَرِ رَبَّانِيٍّ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُقْدَى بِالنُّفُوسِ ،

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٧٣٧) ، وَالنَّسَائِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكُبْرَى » (١١١٣٣) ، وَابْنُ حَبَانَ
(٥٠٩٣) ، وَالْحَاكِمُ (٣٢٧ / ٢) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) أَيِ : الْمَخْرُوقَةِ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

وَتَتَرَكُ عَلَى الرُّؤُوسِ إِكْرَامًا وَإِعْزَازًا^(١) ؛ قَالَ الشَّاعِرُ^(٢) :

[من البسيط]

تَضُوعُ أَرْوَاحٍ نَجِدُ مِنْ ثِيَابِهِمْ يَوْمَ الْقُدُومِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالْذَّارِ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقْبِلُ الْغَيْثَ وَيَتَبَرَّكُ بِهِ ،
وَيَقُولُ : « حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ »^(٣) .

فَالْخِرْقَةُ الْمُمَزَّقَةُ حَدِيثُ الْعَهْدِ ، فَحُكْمُ الْمَجْرُوحَةِ : أَنْ تُفَرَّقَ عَلَى
الْحَاضِرِينَ ، وَحُكْمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْخِرْقِ الصَّحَاحِ : أَنْ يَحْكَمَ فِيهَا الشَّيْخُ ؛
إِنْ خَصَّصَ بِشَيْءٍ مِنْهَا بَعْضَ الْفُقَرَاءِ فَلَهُ ذَلِكَ ، وَإِنْ خَرَقَهَا خِرْقًا فَلَهُ ذَلِكَ ،
وَلَا يُقَالُ : إِنَّ هَذَا تَفْرِيطٌ وَإِسْرَافٌ ؛ فَإِنَّ الْخِرْقَةَ الصَّغِيرَةَ يُنْتَفَعُ بِهَا فِي
مَوْضِعِهَا عِنْدَ الْحَاجَاتِ كَالْكَبِيرَةِ .

وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :

(١) فِي نَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِش (د) : (وَتَنْزِلُ) بَدَلَ (وَتَتَرَكُ) ، وَقَالَ الْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ »
(٥٢٨ / ٤) : (وَأَمَّا تَمْزِيقُ الثَّوبِ : فَلَا رُخْصَةَ فِيهِ إِلَّا عِنْدَ خُرُوجِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِخْتِيَارِ ،
وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَغْلِبَ الْوَجْدُ بِحَيْثُ يُمَزَّقُ ثَوْبُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي ؛ لِغَلْبَةِ سَكْرِ الْوَجْدِ عَلَيْهِ ، أَوْ
يَدْرِي وَلَكِنْ يَكُونُ كَالْمُضْطَرِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى ضَبْطِ نَفْسِهِ ، وَتَكُونُ صُورَتُهُ صُورَةَ
الْمَكْرَهَةِ ؛ إِذْ يَكُونُ لَهُ فِي الْحَرَكَةِ وَالتَّمْزِيقِ مُتَنَفِّسٌ ، فَيَضْطَرُّ إِلَيْهِ اضْطِرَارَ الْمَرِيضِ إِلَى
الْأَنِينِ ، وَلَوْ كَلَّفَ الصَّبْرَ عَنْهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، مَعَ أَنَّهُ فَعَلَ اخْتِيَارِيٌّ ، فَلَيْسَ كُلُّ فَعَلٍ
حَصُولُهُ بِالْإِرَادَةِ يَقْدَرُ الْإِنْسَانُ عَلَى تَرْكِهِ ، فَالْتَّنَفُّسُ فَعْلٌ يَحْصُلُ بِالْإِرَادَةِ ، وَلَوْ كَلَّفَ
الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ أَنْ يُمْسِكَ النَّفْسَ سَاعَةً . . لَا ضِطْرَّ مِنْ بَاطِنِهِ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ التَّنَفُّسَ ، فَكَذَلِكَ
الرَّعْقَةُ وَتَمْزِيقُ الثِّيَابِ قَدْ يَكُونُ كَذَلِكَ ، فَهَذَا لَا يُوصَفُ بِالتَّحْرِيمِ) .

(٢) الْبَيْتُ لِلشَّرِيفِ الرُّضِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » (٥٤١ / ١) ، وَيُقَالُ : ضَاعَ الْمَسْكُ يَضُوعًا
ضَوْعًا : إِذَا تَحَرَّكَ فَانْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ وَنَفَحَتْ ، وَفِي (أ ، ز) وَنَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِش (د) :
(تَفُوح) ، وَفِي نَسْخَةِ عَلِيِّ هَامِشهَا أَيْضًا : (عِنْدَ) بَدَلَ (يَوْمَ) .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٨٩٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

أَهْدِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةً حَرِيرَ ، فَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيَّ ،
فَخَرَجْتُ فِيهَا ، فَقَالَ لِي : « مَا كُنْتُ لِأَكْرَهَ لِنَفْسِي شَيْئاً أَرْضَاهُ لَكَ ، فَشَقَّقْتُهَا
بَيْنَ النِّسَاءِ خُمُراً » (١) .

وفي رواية : أْتَيْتُهُ فَقُلْتُ : مَا أَصْنَعُ بِهَا ؟ أَلْبَسُهَا ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنْ
أَجْعَلُهَا خُمُراً بَيْنَ الْفَوَاطِمِ » ، أَرَادَ : فَاطِمَةَ بِنْتِ أُسْدٍ (٢) ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَاطِمَةَ بِنْتَ حَمْزَةَ ، وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ :
أَنَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ حُلَّةً مَكْفُوفَةً بِحَرِيرٍ (٣) .

وهذا وجهٌ في السُّنَّةِ لِمُزِيْقِ الثَّوبِ وَجَعْلِهِ خِرْقاً .

وَحِكْيَ : أَنَّ الْفُقَهَاءَ وَالصُّوفِيَّةَ بَنِيْسَابُورَ اجْتَمَعُوا فِي دَعْوَةٍ ، فَوَقَعَتْ
الْخِرْقَةُ ، وَكَانَ شَيْخُ الْفُقَهَاءِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوِينِيُّ (٤) ، وَشَيْخُ الصُّوفِيَّةِ
أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ ، فَقُسِمَتِ الْخِرْقَةُ عَلَى عَادَتِهِمْ .

فَالْتَفَتَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ إِلَى بَعْضِ الْفُقَهَاءِ وَقَالَ سِرّاً : هَذَا سَرَفٌ
وَإِضَاعَةٌ الْمَالِ !! فَسَمِعَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً حَتَّى فَرَغَتْ
الْقِسْمَةُ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْخَادِمَ وَقَالَ : انْظُرْ فِي الْجَمْعِ ؛ مَنْ مَعَهُ سَجَّادَةٌ خِرْقٍ

(١) رواه مسلم (٢٠٧١) .

(٢) وهي أم سيدنا علي رضي الله عنهما .

(٣) رواها ابن ماجه (٣٥٩٦) ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (٥١ / ١٤) :
(وذكر الحافظان عبد الغني بن سعيد وابن عبد البر بإسنادهما أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنه
قسمه بين الفواطم الأربع ، فذكر هؤلاء الثلاث ، قال القاضي عياض : يُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ
الرابعة فاطمة بنت شيبه بن ربيعة امرأة عقيل بن أبي طالب ؛ لاختصاصها بعلي رضي الله
عنه بالمصاهرة وقربها إليه بالمناسبة . . .) .

(٤) وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي الجويني رحمهما الله تعالى .

اثني بها ، فجاءه بسجادة ، ثم أحضر رجلاً من أهل الخبرة ، فقال : هذه السجادة بكم تشتري في المزاد ؟ قال : بدينار ، قال : ولو كانت قطعة واحدة كم تساوي ؟ قال : نصف دينار ، ثم التفت إلى الشيخ أبي محمد الجويني رحمه الله وقال : هذا لا يُسمّى إضاعة المال^(١) .

والخرقة الممزقة تُقسم على جميع الحاضرين ؛ مَنْ كان من الجنس ، أو غير الجنس إذا كان حسن الظنّ بالقوم مُعتقداً للتبرك بالخرقة .

روى طارق بن شهاب أنّ أهل البصرة غزوا نهاوند ، وأمدّهم أهل الكوفة ، وعلى أهل الكوفة عمّار بن ياسر ، فظهروا ، فأراد أهل البصرة ألاّ يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئاً ، فقال رجل من بني تميم لعمّار : أيها الأجدع ؛ تريد أن تشاركنا في غنائمنا ؟ فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب عمر رضي الله عنه : أنّ الغنيمة لمن شهد الواقعة^(٢) .

(١) قال الغزالي في « الإحياء » (٥٢٩/٤) : (فإن قلت : فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع ؛ فإنهم يُمزقونها قطعاً صغاراً ويُفترقونها على القوم ، ويُسمونها الخرقة ؟

فاعلم : أنّ ذلك مباح إذا مُزق قطعاً مُربّعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات ؛ فإنّ الكرباس - وهو ثوب من القطن الأبيض - يُمزق حتى يُخاط منه القميص ، ولا يكون ذلك تضييعاً ؛ لأنّه تمزيق لغرض ، وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلاّ بالقطع الصغار ، وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليُعَمَّ ذلك الخير مقصود ، فهو مباح ، ولكل مالِك أن يقطع كرباسه مئة قطعة ويُعطيهامئة مسكين ، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن يُنتفع بها في الرّقاع ، وإنّما منعنا في السماع التمزيق المُفسد للثوب الذي يهلك بعضه ؛ بحيث لا يبقى مُنتفعاً به ، فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في « سننه » (٢٧٩١) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢٥٤/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٥٠/٩) ، ووصّفه بالأجدع ؛ لأنّ =

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ : إِلَى أَنَّ الْمَجْرُوحَ مِنَ الْخِرْقِ يُقَسَّمُ عَلَى الْجَمْعِ ، وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحاً يُعْطَى لِلْقَوَالِ ، وَاسْتَدَلَّ بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا يَوْمَ حُنَيْنٍ ^(١) ، وَفَرَّغْنَا مِنَ الْقَوْمِ . . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ » ^(٢) .

وهذا له وجهٌ في الخِرْقَةِ الصَّحِيحَةِ ، فَأَمَّا الْمَجْرُوحَةُ : فَحُكْمُهَا إِسْهَامُ الْحَاضِرِينَ وَالْقِسْمَةُ لَهُمْ .

وَلَوْ دَخَلَ عَلَى الْجَمْعِ وَقْتَ الْقِسْمَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَاضِراً . . قُسِمَ لَهُ ؛ رَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ خَيْرِ بَثَلٍ ، فَأَسْهَمَ لَنَا ، وَلَمْ يُسْهِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَنَا ^(٣) .

وَيُكْرَهُ لِلْقَوْمِ حُضُورُ غَيْرِ الْجِنْسِ عِنْدَهُمْ فِي السَّمَاعِ ؛ كَمُتَزَهِّدٍ لَا ذَوْقَ لَهُ

= إحدَى أذنيه قد جُدِعَتْ - أي : قُطِعَتْ - فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَنصُورٍ أَنَّ سَيِّدَنَا عِمَاراً قَالَ لَهُ : (خَيْرَ أَذُنَيَّ سَبَيْتَ) .

(١) الْأَوْزَارُ : السِّلَاحُ ، وَالْوِزْرُ : مَا يَحْمِلُهُ الْإِنْسَانُ ، فَسُمِّيَ السِّلَاحُ أَوْزَاراً لِذَلِكَ ، وَلِأَنَّهَا تَنْقَلُ عَلَى لَابِسِهَا . « غَرِيبِينَ » . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٤٢) ، وَمُسْلِمٌ (١٧٥١) ، وَالسَّلْبُ : هُوَ الشَّيْءُ الْمَسْلُوبُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ يُسَلَبُ عَنِ الْمَقْتُولِ ، وَالْمَرَادُ بِهِ : ثِيَابُ الْقَتِيلِ وَالْخَفِيُّ ، وَأَلَاتُ الْحَرْبِ ، وَالسَّرَجُ وَاللِّجَامُ ، وَالسَّوَارُ وَالْمَنْطِقَةُ وَالْخَاتَمُ وَالْقِصْعَةُ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

(٣) رَوَاهُ بَنُحُوهُ الْبُخَارِيُّ (٣١٣٦) ، وَمُسْلِمٌ (٢٥٠٢) ، وَبَلَفَظَهُ أَبُو عَوَانَةَ فِي « الْمُسْتَخْرَجِ » (٦٨٧٨) .

مِنْ ذَلِكَ ، فَيُنْكِرُ مَا لَا يُنْكِرُ ، أَوْ صَاحِبِ دُنْيَا يُحَوِّجُ إِلَى الْمُدَارَاةِ وَالتَّكْلُفِ ،
أَوْ مُتَكَلِّفٍ لِلْوَجْدِ يُشَوِّشُ الْوَقْتَ عَلَى الْحَاضِرِينَ بِتَوَاجِدِهِ .

(٦٤) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرٌ ، عَنْ وَالِدِهِ أَبِي الْفَضْلِ الْحَافِظِ
الْمَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُظَفَّرِيُّ
بَسْرَخْسَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مَنْصُورُ بْنُ نَصْرِ الْكَاعْغِذِيِّ السَّمَرْقَنْدِيُّ
إِجَازَةً^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ عَمَّارُ بْنُ
إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
صُهَيْبٍ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ فَقَرَاءَ
أُمَّتِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ ، فَفَرِحَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : « أَفِيكُمْ مَنْ يُنْشِدُنَا ؟ » ، فَقَالَ
بَدَوِيُّ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « هَاتِ » ، فَأَنشَدَ الْبَدَوِيُّ : [مَنْ الْمَسْرُوحَ]

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوَى كَيْدِي فَلَا طَيْبَ لَهَا وَلَا رَاقِي
إِلَّا الْحَيِّبُ الَّذِي شَغَفْتُ بِهِ فَعِنْدَهُ رُقِيَّتِي وَتَرِيَا قِي

فتواجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتواجد الأصحاب معه ؛ حتى

(١) في النسخ : (أبو علي الفضل بن منصور) بدل (أبو الفضل منصور) ، والمثبت من
المصادر والمراجع ، وأبو الفضل : هو الإمام مسند سمرقند منصور بن نصر بن
عبد الرحيم بن مَتَّ السمرقندي الكاعغذي (ت ٤٢٣ هـ) ، وفي النسخ ما عدا
(و ، ز ، ح) : (الكاعغذي) بدل (الكاعغذي) ، وكلاهما جائز ، وانظر « سير أعلام
النبلاء » (٣٦٨ / ١٧) ، و « تاج العروس » (٤٦٢ / ٩) .

سَقَطَ رداؤه عن مَنْكِبَيْهِ ، فلمَّا فرغُوا أَوَّلَى كُلِّ واحدٍ مِنْهُمْ إلى مكانِهِ .

قال مُعاويةُ بنُ أبي سفيانَ : ما أحسنَ لِعَبِكُمْ يا رسولَ اللهِ !! فقالَ :
« مَهْ يَا مُعاويَةَ ؛ لَيْسَ بِكَرِيمٍ مَنْ لَمْ يَهْتَزَّ عِنْدَ سَمَاعِ ذِكْرِ الْحَبِيبِ » ، ثمَّ
قَسَمَ رداً رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على مَنْ حَضَرَهُمْ بأربعِ مئةِ
قطعةٍ^(١) .

فهذا الحديثُ أوردناه مُسنَداً كما سَمِعناهُ وَوَجَدناهُ ، وقد تكلَّم في صحَّته
أصحابُ الحديثِ^(٢) ، وما وَجَدنا شيئاً نُقِلَ عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه
وسَلَّمَ يُشاكِلُ وَجَدَ أَهْلِ الزمانِ وسَماعَهُم واجتماعَهُم وهيئَتُهُم . . . إلا هذا ،
وما أحسنُهُ مِنْ حُجَّةٍ لِلصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الزمانِ في سَماعِهِم وتمزيقِهِم الخِرَقَ
وقِسْمَتِها أَنْ لو صَحَّ !! واللهُ أعلمُ .

ويُخالِجُ سِرِّي أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ ، ولم أَجِدْ فِيهِ ذوقَ اجتماعِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ

(١) صفوة التصوف (٤١٣) ، وسينصُّ المؤلفُ على عدم صحته ، وفي النسخ ما عدا
(ح) : (من حاضرهم) بدل (من حضرهم) ، وفي « صفوة التصوف » : (بين
حاضرهم) ، وأمَّا دخولُ الفقراء قبل الأغنياء بخمس مئة عام . . فهو مشهورٌ صحيحٌ ،
كما رواه الترمذي (٢٣٥٣) ، وأحمد (٤٥١ / ٢) ، وابن حبان (٦٧٦) عن سيدنا
أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) والعِلَّةُ فيه : أنَّ في سندهَ عمارَ بنَ إسحاقٍ ، وقد اتَّهمه الذهبي وغيره بوضع الحديث ،
وأما باقي رجاله فهم ثقاتٌ ، ودخولُ الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مئة عام . .
صحيحٌ رواه الترمذي (٢٣٥٣) ، وابن ماجه (٤١٢٢) ، وأحمد (٤٥١ / ٢) عن
سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « لسان الميزان » (٥٥٣٣) ، و« كشف الخفاء »
(١٤١ / ٢) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (٢٣٣ / ٢) .

عليه وسلّم مع أصحابه وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث ،
ويأبى القلب قبوله^(١) ، والله أعلم وأحكم بذلك^(٢) .



(١) زاد في (ج ، و ، ح) : (قال ابن عيَّاش : هذا حديث باطل لا يُحتجُّ به ، وهو من الأحاديث التي تُذكر ليُعلم أنَّها موضوعة ولا يُعتبرُ بها ، وفي إسناده جماعة مجهولون لا يُوثق بهم) ، وهو على هامش (أ ، ب ، هـ) دون إشارة تصحيح ، وكتب على هامش (و) : (هذا الكلام من قوله : « قال ابن عيَّاش . . . » إلى آخر الباب . . ليس في نسخة قُرئت على الشيخ المصنف رضي الله عنه) .

(٢) في (ج) : (حفظ الله عباده المؤمنين عمَّا فيه غضبه) بدل (والله أعلم . . .) ، وفي (و) : (والله المستعان ، وعليه التكلان) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماعاً للجماعة على الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه : (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي على الشيخ الحافظ جلال الدين الشيرازي) .

الباب السادس والعشرون

في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية^(١)

ليس مطلوبُ القومِ مِنَ الأربعينَ شيئاً مخصوصاً لا يطلبونه في غيرها^(٢) ، ولكن لما طَرَقَتْهُمْ مخالفاتُ حكمِ الأوقاتِ . . أَحَبُّوا تقييدَ الوقتِ

(١) والأربعينية : هي المشهورة في زماننا بـ (الخُلوَة) ، وسئل المؤلف رضي الله عنه : لِمَ لم يتقدَّم أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بهذا الفعل من اتَّخَذَ الخلوة المخصوصة وإيثارها على كثير من أعمال البر .

فأجاب : بأنَّ أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم استغنَوْا بملازمة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عن الخلوة ، وكان ملازمتُهُم لحضرته والجهاد بين يديه أولى من كلِّ خلوة ، والخلوة مُعِينَةٌ على دفع آفات النفس ومعرفة الزيادة من النقص ، وقد يترجى المريد بنَفْسِ الشيخ وصحبته من غير أن يدخل الخلوة أو ينجس في بيتٍ مظلم ، بل يسري إليه من باطن الشيخ ما يستغني به عن الخلوة ، لكنَّ الخلوة تصلحُ لبعض المريدين ، غيرَ أنِّي لا أحبُّ المريد أن يترك الصلاة في جماعة ، بل يحضر الفرض ويرجعُ إلى خلوته ؛ حتى لا تكون خلوته رهبانيَّةً ، وأمَّا مَنْ ترك الجماعة وزعم أنَّه في الخلوة وأنَّه إن خرج يتشوش عليه خاطره وتفرق جمعيته . . فهذا ضالٌّ مُخطئٌ ، نعوذ بالله منه ، ومَنْ يُحسِّن له ذلك فهو عينُ الضلال وأتباع المحال ، بل ببركة المتابعة وابتغاء فضل الجماعة . . يعود عليه من النور والفتح أجلُّ ممَّا فاتته في خلوته . من « أجوبة السهروردي » (ق / ٢٣) ، وسيأتي في كلام المؤلف بعض ذلك .

(٢) أي : في غير الأربعينية ، بل مقصودُهُم الرجوعُ إلى الطهارة الأصلية ، والوصولُ إلى الحضرة الإلهية ، وذلك يوجد بدوام العبودية في جميع الأزمنة . من هامش (ج) .

بالأربعين^(١) ؛ رجاء أن ينسحب حكم الأربعين على جميع زمانهم ، فيكونوا في جميع أوقاتهم كهيئتهم في الأربعين ؛ على أن الأربعين خُصَّت بالذكر في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا . . . ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ »^(٢) .

وقد خَصَّ اللهُ تعالى الأربعين بالذكر في قصّة موسى عليه السلام ، وأمره بتخصيص الأربعين بمزيد تبثّل ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿ وَاعْذَرْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف : ١٤٢] .

وذلك أن موسى عليه السلام وَعَدَ بني إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أَهْلَكَ عدوَّهم واستنقذهم مِنْ أَيْدِيهِمْ يَأْتِيهِمْ بكتابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، فيه تَبْيَانُ الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، فلمَّا فَعَلَ اللهُ ذلك ، وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ . . . سأل موسى عليه السلام رَبَّهُ الكتاب ، فَأَمَرَهُ اللهُ تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً ؛ وهو ذُو الْقَعْدَةِ ، فلمَّا تَمَّتْ ثلاثون ليلةً أَنْكَرَ خُلُوفَ فَمِهِ^(٣) ،

(١) ومن خواصّ عدد الأربعين : انقلاب النطفة علقةً ، والعلقة مضغةً ، والمضغة عظاماً ، وكما يَتِمُّ بدايةً فطرة الإنسان وتقلّبات أطواره بهذا العدد . . . كذلك يتمُّ تقلّبات أحواله بهذا العدد حتى يصير إلى حَدِّ الكمال ، وهو الوجود الثاني في مقام البقاء بالله . من هامش (ج ، ح) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠١٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٨٥) مرسلًا عن مكحول رحمه الله تعالى ، ووصله أبو نعيم في « الحلية » (١٨٩/٥) من حديث سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، ورواه القضاعي في « المسند » (٤٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وسيأتي مسنداً في (٥٨٩/١) ، وانظر « غنية العارف » (٣٥٦/١) .

(٣) الخُلُوف : تغيُّر رائحة الفم ، وفتح الخاء إمّا غلط ، أو لغة رديئة . انظر « تاج العروس » (٢٦٦/٢٣) .

فَتَسَوَّكَ بَعُودِ خُرْنُوبٍ ، فَقَالَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كُنَّا نَشْمُ مِنْ فِيكَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ
فَأَفْسَدْتَهُ بِالسَّوَاكِ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَصُومَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ،
وَقَالَ لَهُ : أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ^(١) .

وَلَمْ يَكُنْ صَوْمُ مُوسَى تَرَكَ الطَّعَامَ بِالنَّهَارِ وَأَكَلَهُ بِاللَّيْلِ ، بَلْ طَوَى
الْأَرْبَعِينَ مِنْ غَيْرِ أَكْلٍ ، فَدَلَّ : عَلَى أَنَّ خُلُوفَ الْمَعِدَةِ مِنَ الطَّعَامِ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي
الْبَابِ ؛ حَتَّى احْتَاجَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ذَلِكَ مُسْتَعِدًّا بِهِ لِمُكَالَمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى .

وَالْعُلُومُ اللَّدُنِّيَّةُ فِي قُلُوبِ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى . . ضَرْبٌ مِنَ
الْمُكَالَمَةِ ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا مُخْلِصًا مُتَعَاهِدًا نَفْسَهُ بِخِفَةِ
الْمَعِدَةِ . . يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعُلُومَ اللَّدُنِّيَّةَ ، كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ بِذَلِكَ ^(٢) .

غَيْرَ أَنَّ تَعْيِينَ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الْمُدَّةِ فِي قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَفِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مُوسَى بِذَلِكَ ؛ فَالتَّحْدِيدُ وَالتَّقْيِيدُ بِالْأَرْبَعِينَ
وَالْحِكْمَةُ فِيهِ . . لَا يَطْلُعُ ^(٣) أَحَدٌ عَلَى حَقِيقَةِ ذَلِكَ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ إِذَا عَرَفَهُمُ الْحَقُّ
ذَلِكَ ، أَوْ مَنْ يَخُصُّهُ اللَّهُ بِتَعْرِيفِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ .

(١) أوردته السمرقندي في « بحر العلوم » (٥٤٧/١) ، والثعلبي في « الكشف والبيان »
(٤٩٧/١٢) ، والبغوي في « تفسيره » (٢٧٥/٣) .

(٢) وقد سبق قريباً في (٥٤٧/١) .

(٣) قوله : (فالتحديد) مبتدأ ، وقوله : (لا يطلع) خبره ، والجملة خبر قوله : (أن)
تعيين الأربعين . من هامش (ح) .

ويلوح في سرِّ ذلك معنى والله أعلم^(١) ؛ وذلك أن الله تعالى بتكوين آدم عليه السلام من ترابٍ . . . قَدَّرَ التخميرَ بهذا القَدْرِ مِنَ العددِ ، كما وَرَدَ :
(خَمَرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً)^(٢) ، فكأنَّ آدمَ عليه السلامُ لَمَّا كَانَ مُسْتَصْلِحاً لِعِمَارَةِ الدَّارَيْنِ ، وأَرَادَ اللهُ تعالى مِنْهُ عِمَارَةَ الدُّنْيَا كما أَرَادَ مِنْهُ عِمَارَةَ الْجَنَّةِ . . . كَوْنَهُ مِنَ التُّرَابِ تَرْكِيباً^(٣) يُنَاسِبُ عَالَمَ الْحِكْمَةِ وَالشَّهَادَةِ وَهَذِهِ الدَّارَ الدُّنْيَا ، وما كَانَتْ عِمَارَةُ الدُّنْيَا تَتَأْتِي مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْ أَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ سُفْلِيَّةٍ بِحَسَبِ قَانُونِ الْحِكْمَةِ .

فَمِنَ التُّرَابِ كَوْنُهُ ، وَأَرْبَعِينَ صَبَاحاً خَمَرَ طِينَتُهُ ؛ لِيَبْعُدَ بِالتَّخْمِيرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً بِأَرْبَعِينَ حِجَاباً مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، كُلُّ حِجَابٍ هُوَ مَعْنَى مُودَعٌ فِيهِ يَصْلُحُ بِهِ لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا ، وَيَتَعَوَّقُ بِهِ عَنِ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَمَوَاطِنِ الْقُرْبِ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَتَعَوَّقْ بِهَذَا الْحِجَابِ مَا عُمِرَتِ الدُّنْيَا ، فَتَأَصَّلَ الْبُعْدُ عَنْ مَقَامِ الْقُرْبِ فِيهِ ؛ لِعِمَارَةِ عَالَمِ الْحِكْمَةِ وَخِلَافَةِ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ .

فَبِالتَّبَتُّلِ لَطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ ، وَالانْتِزَاعِ عَنِ التَّوَجُّهِ إِلَى أَمْرِ الْمَعَاشِ بِكُلِّ يَوْمٍ . . . يَخْرُجُ عَنْ حِجَابٍ هُوَ مَعْنَى مُودَعٌ فِيهِ ، وَعَلَى قَدْرِ زَوَالِ كُلِّ حِجَابٍ يَنْجَذِبُ وَيَتَّخِذُ مَنْزَلاً فِي الْقُرْبِ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَجْمَعُ الْعُلُومِ وَمَصْدَرُهَا ، فَإِذَا تَمَّتِ الْأَرْبَعُونَ زَالَتِ الْحُجُبُ ، وَانْصَبَّتْ إِلَيْهِ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ انْصِبَاباً .

(١) في (د ، ي) : (في سرِّي لذلك) بدل (في سرِّ ذلك) .

(٢) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (١٠٠٦) ، وابن بطَّنة في « الإبانة » (١٦٥٠) ،

وأبو نعيم في « الحلية » (٢٦٣ / ٨) موقوفاً على سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٣) في (ب ، د) : (تكويناً) .

ثمَّ العلومُ والمعارفُ هي أعيانٌ انقلبتْ أنواراً باتِّصالِ إكسيرِ نورِ العَظَمَةِ الإلهيَّةِ بها^(١) ، فانقلبتْ أعيانُ حديثِ النَّفسِ علوماً إلهاميَّةً^(٢) ، وتصدَّتْ أجرامُ حديثِ النَّفسِ لقبولِ أنوارِ العَظَمَةِ ، فلولا وجودُ النَّفسِ وحديثُها ما ظهرتِ العلومُ الإلهاميَّةُ^(٣) ؛ لأنَّ حديثَ النَّفسِ وعاءٌ وجوديٌّ مُستعدٌّ لقبولِ الأنوارِ^(٤) ، وما للقلبِ في ذاتِهِ لقبولِ العِلْمِ شيءٌ .

وقولُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ » . . إشارةٌ إلى القلبِ باعتبارِ أَنَّ للقلبِ وَجْهَيْنِ ؛ وَجْهًا إلى النَّفسِ باعتبارِ توجُّهِهِ إلى عالمِ الشهادةِ ، وله وجهٌ إلى الرُّوحِ باعتبارِ توجُّهِهِ إلى عالمِ الغيبِ ، فيستمدُّ القلبُ العلومَ المُكوَّنةَ في النَّفسِ^(٥) ، ويُخرجُها إلى اللِّسانِ الذي هو ترْجُمَانُهُ .

فظهورُ العلومِ مِنَ القلبِ ؛ لأنَّها مُتَأَصِّلَةٌ فيه .

وللقلبِ والروحِ مراتبٌ مِنْ قُرْبِ المُلْهِمِ سبحانه وتعالى فوقَ رُتْبَةٍ

(١) الإكسير في الأصل : الكيمياء ، أو مادَّةٌ تُحوَّلُ المعدن الرخيص إلى ذهب وشراب يطيل الحياة في زعم الأقدمين .

(٢) أي : كانت أعياناً ناقصة نفسانيَّة كُفَيْتْ ، وجوديَّة في الأصل ، فصارت علوماً إلهاميَّة باتِّصالِ النور اللطيف الإلهيِّ بها ؛ كالتحاس الذي صار ذهباً بوصول الإكسير إليه . من هامش (ح) .

(٣) التي في غاية اللطافة ؛ كالماء الصافي المُجَرَّد عن الألوان ؛ فَإِنَّهُ لا يظهر منه نقشٌ وشكل . من هامش (ح) .

(٤) ولولا هذا الوعاء الكثيف لم تثبتِ العلومُ الإلهاميَّة ، ولم تُفْهَم ولم تُعَلَم . من هامش (ح) .

(٥) في (د) : (المكنونة) بدل (المكونة) .

الإلهام ، فالعبد بانقطاعه إلى الله تعالى واعتزال الناس . . . يقطع مسافات وجوده ، ويستنبط من معدن نفسه جواهر العلوم .

وقد ورد في الخبر : « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا » (١) .

ففي كل يوم بإخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الأطباق الثرابية الجليلية المبعدة عن الله ، إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة ؛ في كل يوم طبقة من أطباق حجابيه .

وآية صحة هذا العبد ، وتأثيره بالأربعين ، ووفائه بشروط الإخلاص : أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا ، ويتجافى عن دار الغرور ، ويُنِيب إلى دار الخلود ؛ لأنَّ الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ، ومن لم يزهد في الدنيا ما ظفر بالحكمة (٢) ، ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين . . . تبين أنه أخلَّ بالشروط ولم يُخلص لله تعالى ، ومن لم يُخلص ما عبد (٣) ؛ لأنَّ الله تعالى أمرنا بالإخلاص كما أمرنا بالعمل ؛ فقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

(٦٥) - أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل إجازة (٤) ، قال : أخبرنا

(١) رواه البخاري (٣٣٨٣) دون قوله : (كمعادن الذهب والفضة) ، ومسلم (١٦٠ / ٢٦٣٨)

عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفقَّهوا بالضم : صاروا فقهاء ، وبالكسر : فهموا .

(٢) لأنَّ ميله إلى الدنيا من الجهل ؛ فإنَّ العاقل مَنْ يختار ما هو خيرٌ ، والآخرة خيرٌ من الدنيا . من هامش (ح) .

(٣) في (ي) : (ومن لم يخلص لله ما عبد الله) .

(٤) قوله : (إجازة) زيادة من (ب ، هـ ، ح) .

أبو بكرٍ أحمدُ بنُ خَلَفٍ إجازةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ،
 قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الضُّبَعِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَشْرَسَ ، قَالَ :
 حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ ، عَنْ عَاصِمٍ ،
 عَنْ زُرٍّ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَجِيءُ الْإِخْلَاصُ وَالشَّرُّكَ يَجْتَوَانِ بَيْنَ يَدَيِ
 الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ ^(١) ، فَيَقُولُ الرَّبُّ لِلْإِخْلَاصِ : أَنْطَلِقْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ إِلَى
 الْجَنَّةِ ، وَيَقُولُ لِلشَّرِّكَ : أَنْطَلِقْ أَنْتَ وَأَهْلُكَ إِلَى النَّارِ » ^(٢) .

(٦٦) - وبهذا الإسنادِ قَالَ السُّلَمِيُّ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ سَعِيدٍ وَسَأَلْتُهُ عَنِ
 الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ [عَلِيَّ بْنَ] إِبْرَاهِيمَ الشَّقِيقِيِّ وَسَأَلْتُهُ عَنِ
 الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرِ الْخَصَّافِ وَسَأَلْتُهُ عَنِ
 الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ بَشَّارٍ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ^(٣) ؟
 قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا يَعْقُوبَ الشُّرُوطِيَّ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ
 أَحْمَدَ بْنَ غَسَّانَ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ أَحْمَدَ بْنَ [عَطَاءٍ]
 الْهَجِيمِيَّ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيْدٍ عَنِ
 الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ
 حُذَيْفَةَ عَنِ الْإِخْلَاصِ مَا هُوَ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ

(١) زاد في نسخة علي هامش (ب) : (على الركب) .

(٢) رواه ابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٣٨٦ / ٦) عن سيدنا أبي هريرة وأنس
 رضي الله عنهما ، والديلمى في « الفردوس » (٨٨٧٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله
 عنه .

(٣) انظر ما علّقته سابقاً في (٢٨٥ / ١) على قوله : (بشار) .

الإخلاص ما هو؟ قال: «سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو؟ قال: هو سرٌّ من سري أودعته قلب من أحييت من عبادي» (١).

فمن الناس من يدخل الخلوة على مُراغمة النفس؛ إذ النفس بطبيعتها كارهة للخلوة، ميّالة إلى مخالطة الخلق، فإذا أزعجها عن مقار عاداتها، وحبسها على طاعة الله تعالى.. يعقّب كل مرارة تدخل عليها حلاوة في القلب.

قال ذو النون رحمه الله: (لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة، ومن أحب الخلوة فقد استمسك بعمود الإخلاص، وظفر بركن من أركان الصديق) (٢).

وقال الشبلي رحمه الله لرجل استوصاه: (الزم الوحدة، وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت) (٣).

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: (الوحدة مئة الصديقين) (٤).

ومن الناس من ينبعث من باطنه داعية الخلوة، وتنجذب النفس إلى

(١) سبق تخريجه في (٢٨٥-٢٨٦) والتعليق على بعض رجاله.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٦/٩)، والسلمي في «الطبقات» (ص ٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦٥٠٥).

(٣) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (١٨٠)، والقشيري في «الرسالة» (ص ٣١٧)، والموصي: هو أبو العباس الدامغاني رحمه الله تعالى.

(٤) رواه السلمي في «الطبقات» (ص ١١٢)، ومن طريقه البيهقي في «الزهد الكبير» (١٨٤)، وزادا: (والأنس بالناس وحشتهم)، وأورده القشيري في «الرسالة» (ص ٣١٦)، وفيه: (جلس) بدل (منية).

ذلك ، وهذا أتم وأكمل وأدُلُّ على كمال الاستعداد .

وقد رُوِيَ مِنْ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . ما يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
فِيمَا :

(٦٧) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِمْلَاءً ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُقَرِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
جَعْفَرُ بْنُ الْحَكَّاكِ الْمَكِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّنْعَانِيُّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّقُوءِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ الدَّبْرِيُّ^(٢) ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنَ الْوَحْيِ . . الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ
فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءً ، فَيَتَحَنَّتُ فِيهِ اللَّيَالِي
ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَزَوَّدُ لَذَلِكَ^(٣) ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى
فَاجَأَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرَأْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) هو الإمام المَعْمَرُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّنْعَانِيُّ النَّقُوءِيُّ (ت ٣٦٧هـ) صاحب إِسْحَاقِ
الدَّبْرِيِّ ، ووقع في بعض النسخ : (البغوي) بدل (النقوي) ، وهو تصحيف ،
والنَّقُوءِيُّ : نسبة إلى (نَقُو) قرية بصنعاء ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٤١ / ١٦) ،
و« معجم البلدان » (٣٠٠ / ٥) .

(٢) هو الإمام المسند الصدوق أَبُو يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّادِ الدَّبْرِيِّ الصَّنْعَانِيُّ (ت
٢٨٥هـ) ، راوية الإمام عبد الرزاق الصنعاني ، وانظر « سير أعلام النبلاء »
(٤١٦ / ١٣) .

(٣) التحنُّت : التعبُّد .

« فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِيٍّ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ^(١) ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : أَقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِيٍّ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : أَقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِيٍّ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ^(٢) : ﴿ أَقْرَأْ بِأَسِيرَتِكَ الَّتِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . . . ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [الملق : ٥-١] . »

فرجع بها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم تَرَجُّفُ بَوَادِرُهُ^(٣) ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ : « زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي » ، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ^(٤) ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ : « مَا لِي ؟ » ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، فَقَالَ : « قَدْ خَشِيتُ عَلَى عَقْلِي » ، فَقَالَتْ : كَلَّا ، أَبْشِرْ ؛ فَوَاللهِ ؛ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ^(٥) ،

(١) أي : بَلَغَ الْغَطُّ مِنِّي الْجَهْدَ ، وَيَجُوزُ أَنْ يُضْبَطَ أَيْضًا : (الْجُهْدُ) بضم الجيم والرفع ؛ أي : بَلَغَ الْجُهْدُ مَبْلَغُهُ . انظر « إرشاد الساري » (٤٢٦ / ٧) .

(٢) أَرْسَلَنِي ؛ أي : أَطْلَقَنِي ، فَهَذِهِ الْغَطَّاتُ الثَّلَاثُ تَصَرُّفَاتٌ مِنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَمْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فِي بَشَرِيَّتِهِ وَرُوحَانِيَّتِهِ وَسِرِّهِ ؛ لِيَتَهَيَّأَ بِهَا لِكَلَامِ اللهِ الَّذِي يَتَرَقَّى بِهِ بَشَرُهُ وَرُوحَانِيَّتُهُ وَسِرُّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ فَإِنَّ كَلَامَ اللهِ يَتَضَمَّنُ تَجَلِّيَّاتِ الْأَفْعَالِ وَتَجَلِّيَّاتِ الصِّفَاتِ وَتَجَلِّيَّاتِ الذَّاتِ ؛ فَبِكُلِّ تَصَرُّفٍ تَهَيَّأَ لِلْفِيضِ الْإِلَهِيِّ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَصَرَّفَ فِي أَصْحَابِهِ ، وَهُمْ فِي التَّابِعِينَ ، وَهُمْ فِي أَتْبَاعِهِمْ ، وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَرِيدَ اللهُ ، فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُتَصَرَّفْ فِيهِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي غَيْرِهِ ، فَالْمُتَصَرِّفُونَ فِي النُّفُوسِ وَالْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ . . . هُمُ الْوَرَثَةُ حَقِيقَةً ، يَهْتَدِي بِهِمْ مَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ ، وَيَتَخَلَّصُ مِنْ وَجُودِهِ مَنْ يُسَلِّمُ إِلَيْهِمْ ، وَأَمَّا الْجَامِدُ الْمُحْجُوبُ الَّذِي لَمْ يُتَصَرَّفْ فِيهِ وَمَا سَلَّمَ لِأَحَدٍ . . . فَلَا يَصْلُحُ لِلْإِقْتِدَاءِ . من هامش (ح) .

(٣) الْبَوَادِرُ : جَمْعُ (بَادِرَةٌ) ؛ وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ الْكَتِفِ وَالْعُنُقِ تَضْطَرِبُ عِنْدَ الْفَزَعِ .

(٤) الرَّوْعُ : الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ .

(٥) صَلَوةُ الرَّحِمِ : هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقْرَابِ عَلَى حَسَبِ حَالِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ ؛ فَتَارَةً تَكُونُ بِالْمَالِ ، وَتَارَةً تَكُونُ بِالْخِدْمَةِ ، وَتَارَةً تَكُونُ بِالزِّيَارَةِ وَالْكَلَامِ وَكِفَايَةِ الْمَهْمَاتِ .

من هامش (ح) .

وتصدق الحديث^(١) ، وتحمل الكل^(٢) ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، وكتب بالعريّة من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : أي عمي^(٣) ؛ اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : يا بن أخي ؛ ماذا ترى ؟ فأخبره الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) : هذا هو الناموس^(٥) الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً حين يخرجك قومك^(٦) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوْ مُخْرِجِيْ هُمْ ؟ ! » ، قال ورقة : نعم ؛ لم يأت أحد قط بما جئت به إلا عودي وأودي ؛ فإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً^(٧) .

(١) في النسخ ما عدا (ج ، ي) : (وتصدق الحديث) بدل (وتصدق الحديث) .

(٢) الكل : الضعيف المنقطع واليتيم .

(٣) في (ب) : (أي بن عم) ، وفي (ي) : (يا بن عم) ، وهي رواية أبي ذر الهروي . انظر « إرشاد الساري » (٤٢٧/٧) .

(٤) زاد في (د) : (يا بن أخي) ، وسقطت من المصادر الآتية .

(٥) زاد في (د) : (الأعظم) ، وفي (ي) : (الأكبر) ، وسقطت من باقي النسخ كما هو الرواية في المصادر الآتية ، والناموس : صاحب السر ؛ وهو سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام .

(٦) الجذع : الشاب .

(٧) مصنف عبد الرزاق (٩٧١٩) ، ورواه البخاري (٦٩٨٢) ، ومسلم (١٦٠) .

وَحَدَّثَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ ؛ فَقَالَ فِي حَدِيثٍ : « فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ رُغْبًا^(١) ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، فَدَثَرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ بَنَاتِهَا الْمَدِيرُ ﴾ * قُرْآنًا ذَرًّا . . . ﴿ إِلَى ﴾ وَالرَّحْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدر : ٥-١] »^(٢) .

وَنَقَلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ مِرَارًا كِي يُرِدِّي نَفْسَهُ مِنْ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ ، وَكَلَّمَا وَافِيَ لِدُرُوزَةِ جَبَلٍ لَكِي يُلْقِي نَفْسَهُ مِنْهُ . . تَبَدَّى لَهُ جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، فَيَسْكُنُ لَذَلِكَ جَأْشُهُ^(٣) ، وَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فِتْرَةُ الْوَحْيِ عَادَ لِمِثْلِ ذَلِكَ ، فَيَتَبَدَّى لَهُ جَبْرَائِيلُ فيقولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ^(٤) .

فهذه الأخبارُ المُنْبِئَةُ عن بَدْءِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . هِيَ الْأَصْلُ فِي إِثَارِ الْمَشَائِخِ الْخَلْوَةِ لِلْمُرِيدِينَ وَالطَّالِبِينَ ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا أَخْلَصُوا لِلَّهِ فِي خَلَوَاتِهِمْ يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مَا يُؤْنِسُهُمْ فِي خَلَوَاتِهِمْ ؛ تَعْوِضًا مِنَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ عَمَّا تَرَكُوا لِأَجَلِهِ .

(١) جُئْتُ : خِفْتُ ، وَفِي (ب) : (فَجِئْتُ) بَدَل (فَجِئْتُ) ، وَفِي (ح ، ي) : (فَخَشِيتُ) ، وَفِي رِوَايَةِ الْحَمَوِيِّ وَالْمُسْتَمْلِيِّ : (فَجِئْتُ) ؛ أَي : سَقَطْتُ وَهَوَيْتُ . انْظُرْ « إِرْشَادُ السَّارِي » (٢٧٨ / ٥) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٣٨) ، وَمُسْلِمٌ (١٦١) .

(٣) الْجَأْشُ : اضْطِرَابُ الْقَلْبِ .

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٩٨٢) ، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ حَدِيثِ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السَّابِقِ ، وَلَمْ يَرِدْ فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » .

ثُمَّ خَلَوْهُ الْقَوْمَ مُسْتَمِرَّةً ، وَإِنَّمَا الْأَرْبَعُونَ وَاسْتِكْمَالُهَا لَهُ أَثَرٌ ظَاهِرٌ فِي
ظُهُورِ مَبَادِيِّ بَشَائِرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَسُنُوحِ مَوَاهِبِ السَّنِيَّةِ^(١) ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ^(٢) .



(١) السُّنُوحُ : مصدر (سَنَحَ) ؛ إِذَا ظَهَرَ أَوْ جَادَ .

(٢) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلَّغَ سَمَاعاً لِلْجَمَاعَةِ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ
عَبْدِ السَّلَامِ) ، وَفِيهِ : (بَلَّغَ عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ
عَبْدِ السَّلَامِ) .

الباب السابع والعشرون

في ذكر فتوح الأربعين

وقد غَلِطَ في طريقِ الخلوةِ والأربعينِ قومٌ ، وحرَّفُوا الكَلِمَ عن مواضعِهِ ، ودَخَلَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، وفتحَ عَلَيْهِم بَابَ الغُرُورِ ، ودخلُوا الخلوةَ على غيرِ أصلٍ مستقيمٍ ؛ مِنْ تَأْدِيَةِ حَقِّ الخلوةِ بالإخلاصِ ، وسمِعُوا أَنَّ المشايخَ والصُّوفِيَّةَ كانتَ لَهُمُ خَلَوَاتٌ ، وظَهَرَتْ لَهُمُ كراماتٌ ووقائعٌ ، وكُوشِفُوا بغرائبٍ وعجائبٍ ، فدخلُوا الخلوةَ لطلبِ ذلكَ ، وهذا عينُ الاعتلالِ ، ومَحْضُ الضلالِ .

وإنَّما القومُ اختارُوا الخلوةَ والوَحْدَةَ ؛ لسلامَةِ الدِّينِ ، وتَفَقُّدِ أحوالِ النَّفْسِ ، وإخلاصِ العَمَلِ لله تعالى .

نُقِلَ عن أبي عمرو الأنماطيُّ أَنَّهُ قالَ^(١) : (لن يصفوا للعاقلِ فهمُ الأخيرِ إلا بإحكامٍ ما يجبُ عليه مِنْ إصلاحِ الحالِ الأوَّلِ والمواطنِ التي ينبغي أن يعرفَ منها أمُزداً هوَ أمٌ مُنتَقِصٌ ، فعليه أن يطلبَ مواضعَ الخلوةِ ؛ لكي لا يُعارِضَهُ شُغْلٌ فيُفسِدَ عليه ما يُريدُ)^(٢) .

(١) قوله : (أبي عمرو) كذا في جميع النسخ ، وفي « تاريخ بغداد » (٧٣ / ١٢) : (أبي عمر) .

(٢) في (ب) : (شاغل مشغل) بدل (شغل) ، وفي (د) : (شاغل) .

(٦٨) - أَخْبَرَنَا طَاهِرُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ إِجَازَةً^(١) ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا [عَثْمَانَ] الْمَغْرِبِيَّ يَقُولُ^(٢) : (مَنْ اخْتَارَ الْخُلُوةَ عَلَى الصُّحْبَةِ . . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ خَالِيًا مِنْ جَمِيعِ الْأَذْكَارِ إِلَّا ذَكَرَ رَبَّهُ ، وَخَالِيًا مِنْ جَمِيعِ الْمُرَادَاتِ إِلَّا مُرَادَ رَبِّهِ ، وَخَالِيًا مِنْ مُطَالَبَةِ النَّفْسِ مِنْ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَإِنَّ خُلُوتَهُ تُوقِعُهُ فِي فِتْنَةٍ أَوْ بَلِيَّةٍ)^(٣) .

(٦٩) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلْفٍ إِجَازَةً^(٥) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَنْصُورًا يَقُولُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدٍ يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى زِيَارَةِ أَبِي بَكْرِ الْوَرَّاقِ ، فَقَالَ لَهُ : أَوْصِنِي ، فَقَالَ : وَجَدْتُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي الْخُلُوةِ وَالْقِلَّةِ ، وَوَجَدْتُ شَرَّهُمَا فِي الْكَثْرَةِ وَالْإِخْتِلَاطِ^(٦) .

فَمَنْ دَخَلَ الْخُلُوةَ مُعْتَلًّا فِي دُخُولِهِ^(٧) . . دَخَلَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، وَسَوَّلَ لَهُ أَنْوَاعَ الطُّغْيَانِ ، وَامْتَلَأَ مِنَ الْغُرُورِ وَالْمُحَالِ ، وَظَنَّ أَنَّهُ عَلَى حُسْنِ الْحَالِ .
وَقَدْ دَخَلَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى قَوْمٍ دَخَلُوا الْخُلُوةَ بِغَيْرِ شُرُوطِهَا ، وَأَقْبَلُوا عَلَى

(١) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (ب ، و ، ي) .

(٢) في النسخ : (أبا تميم) بدل (أبا عثمان) ، والمثبت من المصدرين الآتين .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٨٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣١٤-٣١٥) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د ، و ، ز) .

(٥) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د ، و ، ز) .

(٦) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٧٩) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣١٥) .

(٧) أي : غير مخلص ، بل طالباً لتلك المُرَادَاتِ النفسانية . من هامش (ح) .

ذِكْرٍ مِنَ الْأَذْكَارِ ، وَاسْتَجْمُوا نَفُوسَهُمْ بِالْعُزْلَةِ عَنِ الْخَلْقِ^(١) ، وَمَنْعُوا
الشَّوَاعِلَ مِنَ الْحَوَاسِّ ؛ كَفَعَلَ الرَّهَابِيِّينَ وَالْبَرَاهِمَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ .

وَاللَّوْحْدَةَ وَجَمْعَ الْهَمِّ تَأْثِيرٌ فِي صَفَاءِ الْبَاطِنِ مُطْلَقاً^(٢) ؛ فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ
بِحُسْنِ سِيَاسَةِ الشَّرْعِ وَصِدْقِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَنْتَجَ
تَنْوِيرَ الْقَلْبِ ، وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا ، وَحَلَاوَةَ الذِّكْرِ ، وَالْمُعَامَلَةَ لِلَّهِ بِالْإِخْلَاصِ
مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ سِيَاسَةِ الشَّرْعِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . يُنْتِجُ صَفَاءً فِي النَّفْسِ يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى اكْتِسَابِ عُلُومِ رِيَاضِيَّةٍ مِمَّا
تَعْتَنِي بِهِ الْفَلَاسِفَةُ وَالذَّهْرِيُّونَ خَذَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكَلَّمَا كَثُرَ مِنْ ذَلِكَ كَثُرَ الْبُعْدُ مِنَ اللَّهِ ، وَلَا يَزَالُ الْمُقْبِلُ عَلَى ذَلِكَ
يَسْتَغْوِيهِ الشَّيْطَانُ بِمَا يَكْتَسِبُ مِنَ الْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ^(٣) ، أَوْ بِمَا قَدْ يَتَرَاءَى لَهُ مِنْ

(١) اسْتَجْمُوا : أَرَا حُوا .

(٢) فَإِنَّ جَنَابَ الْكَرِيمِ أَعْلَى مِنْ أَنْ يُخَيَّبَ سَائِلًا حَصَرَ هَمُّهُ عَلَى جَنَابِهِ ، وَانْقَطَعَ إِلَى بَابِهِ ،
فَالْمَطَالِبُ النَّفْسِيَّةَ وَالْمَوَاهِبَ الْمَجَازِيَّةَ مَبْذُولَةٌ لِكُلِّ طَالِبٍ سَائِلٍ مُنْقَطِعٍ مَجْمُوعِ الْهَمِّ ،
وَهِيَ جِزَاءُ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، سَوَاءٌ كَانَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ مَشْرُوعَةً أَوْ
لَا ، وَأَمَّا الْقَلْبِيَّةُ وَالْمَوَاهِبُ الْحَقِيقِيَّةُ . فَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، جَهْرًا وَسِرًّا ، فَالْمِيزَانُ الَّذِي يُعْرَفُ بِهِ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ مِنَ
الْأَحْوَالِ ، وَالْمِحْكَةُ الَّتِي يُمَيِّزُ بِهَا النَّبْهَرَجَ الْمَغْشُوشَ مِنَ الْجَيِّدِ الْمَسْكُوكِ مِنْ دِيْوَانِ
الْمَلِكِ الْمُتَعَالِ ، الْمُسَرَّرُ بِهِ تَحْصِيلُ الْمَرَادَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ . . . إِنَّمَا هُوَ اتِّبَاعُ
شَرِيعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرِزْنٌ بِهِ أَحْوَالُ الرِّجَالِ تَكُنْ آمَنًا مِنَ الْخُسْرَانِ
وَالضَّلَالِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ عَلَى حَسَنِ الْحَالِ ؛ بِمَا أُتِيحَ لَهُ مِنَ الْوُصُولِ بِهِ إِلَى هَذِهِ الْأَمَالِ ،
فَيُقَالُ لَهُ :
(من الرجز) =

صِدْقِ الْخَاطِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . . . حَتَّى يَرْكَنَ إِلَيْهِ كُلُّ الرُّكُونِ ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ
بِالْمَقْصُودِ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْفَنَّ مِنَ الْفَائِدَةِ غَيْرُ مَمْنُوعٍ مِنَ النَّصَارَى
وَالْبَرَاهِمَةِ ، وَلَيْسَتْ هِيَ الْمَقْصُودَ مِنَ الْخُلُوعِ ؛ يَقُولُ بَعْضُهُمْ : (الْحَقُّ يُرِيدُ
مِنْكَ الْإِسْتِقَامَةَ وَأَنْتَ تَطْلُبُ الْكِرَامَةَ !!) (١) .

وَقَدْ يُفْتَحُ عَلَى الصَّادِقِينَ شَيْءٌ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، وَصِدْقِ الْفِرَاسَةِ ،
وَيَتَبَيَّنُ مَا سَيَحْدُثُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَقَدْ لَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، وَلَا يَقْدَحُ فِي
حَالِهِمْ عَدَمُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَقْدَحُ فِي حَالِهِمُ الْإِنْحِرَافُ عَنْ حَدِّ الْإِسْتِقَامَةِ .

فَمَا يُفْتَحُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الصَّادِقِينَ . . . يَصِيرُ مَزِيدَ إِيقَانِهِمْ (٢) ، وَالِدَاعِي
لَهُمْ إِلَى صِدْقِ الْمُجَاهِدَةِ وَالْمُعَامَلَةِ ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَالتَّخَلُّقِ بِالْأَخْلَاقِ
الْحَمِيدَةِ (٣) .

وَمَا يُفْتَحُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَنْ لَيْسَ تَحْتَ سِيَاسَةِ الشَّرْعِ . . . يَصِيرُ سَبَبًا لِمَزِيدِ
بُعْدِهِ وَغُرُورِهِ وَحِمَاقَتِهِ ، وَاسْتِطَالَتِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَإِزْرَائِهِ بِالْخَلْقِ ، وَلَا يَزَالُ
بِهِ حَتَّى يَخْلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ عَنْ عُنُقِهِ ، وَيُنْكَرَ الْحُدُودَ وَالْأَحْكَامَ ، وَالْحَلَالَ

= سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار
من هامش (ح) .

(١) سبق بنحوه في (٢٠٨ / ١) عن أبي علي الجوزجاني رحمه الله تعالى .

(٢) في نسخة على هامش (د) : (سبباً لمزيد) بدل (مزيد) .

(٣) لعلمهم أنَّ هذه المواهب بواسطة هذه المكاسب بتقدير العزيز العليم ، فيزيدون
المكاسب لازدياد المواهب التي تُقَرَّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَتُعَرِّفُهُمْ بِاللَّهِ ، مُتَيَقِّنِينَ بِإِنْجَازِ
[وَعْدِ] اللَّهِ الْكَرِيمِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ . . . الْآيَةُ
[العنكبوت : ٦٩] . من هامش (ح) .

والحرام ، ويظنُّ أنَّ المقصودَ مِنَ العباداتِ ذِكْرُ اللَّهِ تعالى ، ويتركُ مُتَابَعَةَ
الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ يَتَدَرَّجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى تَلَحُّدٍ وَتَزَنُّدٍ ، نَعُودُ
بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ .

وقد يَلُوحُ لِأَقْوَامٍ خِيَالَاتٌ يَظُنُّونَهَا وَقَائِعَ ، وَيُشَبِّهُونَهَا بِوَقَائِعِ الْمَشَايخِ ،
مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ ، فَمَنْ أَرَادَ تَحْقِيقَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ : أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا
أَخْلَصَ لِلَّهِ تَعَالَى وَأَحْسَنَ النِّيَّةَ ، وَقَعَدَ فِي الْخُلُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَكْثَرَ .
فَمِنْهُمْ مَنْ يُبَاشِرُ بَاطِنَهُ صَفْوُ الْيَقِينِ ، وَيُرْفَعُ الْحِجَابُ عَنْ قَلْبِهِ ، وَيَصِيرُ كَمَا
قَالَ قَائِلُهُمْ : (رَأَى قَلْبِي رَبِّي) (١) .

وقد يَصِلُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ : تَارَةً بِأَحْيَاءِ الْأَوْقَاتِ بِالصَّالِحَاتِ ، وَكَفَّ
الْجَوَارِحَ وَتَوَزَّعَ الْأُورَادِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ عَلَى الْأَوْقَاتِ .
وَتَارَةً يُبَادِيهِ الْحَقُّ - لِمَوْضِعِ صِدْقِهِ ، وَقُوَّةِ اسْتِعْدَادِهِ - مُبَادَاةً مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ
وُجِدَ مِنْهُ (٢) .

وَتَارَةً يَجِدُ ذَلِكَ بِمُلَازِمَةِ ذِكْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْأَذْكَارِ ؛ لَا يَزَالُ يُرَدِّدُ ذَلِكَ الذِّكْرَ
وَيَقُولُهُ ، وَتَكُونُ عِبَادَتُهُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِسُنَنِهَا الرَّوَاطِبِ فَحَسْبُ ، وَسَائِرُ
أَوْقَاتِهِ مَشْغُولَةٌ بِالذِّكْرِ الْوَاحِدِ ، لَا يَتَخَلَّلُهَا فُتُورٌ ، وَلَا يُوجَدُ مِنْهُ قُصُورٌ ،
لَا يَزَالُ يُرَدِّدُ ذَلِكَ الذِّكْرَ مُلْتَزِمًا بِهِ - حَتَّى فِي طَرِيقِ الْوُضُوءِ وَسَاعَةِ الْأَكْلِ -
لَا يَقْتَرُ عَنْهُ .

(١) أوردته الغزالي في « الإحياء » (٥ / ٥٤) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في (أ ، ز) : (وخدمة منه) بدل (وجد منه) ، وفي (ب) : (من غير عمله
وخدمته) .

واختار جمع من المشايخ من الذكر كلمة : (لا إله إلا الله) .

وهذه الكلمة لها خاصية في تنوير الباطن وجمع الهم إذا داوم عليها صادق مخلص^(١) ، وهي من مواهب الحق لهذه الأمة ، وفيها خاصية لهذه الأمة فيما :

(٧٠) - حدثنا شيخنا ضياء الدين رحمة الله عليه إملاء ، قال : أخبرنا أبو القاسم الدمشقي السمرقندي الحافظ^(٢) ، قال : أخبرنا عبد الدائم بن الحسن^(٣) ، قال : أخبرنا عبد الوهاب الدمشقي^(٤) ، قال : أخبرنا محمد بن [خريم]^(٥) ، قال : حدثنا هشام بن عمار ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه : أن عيسى بن مريم

(١) لأنها لاشتمالها على نفي الكثرة وإثبات الوحدة . . . تُزيل آثار الأغيار والمحدثات عن القلب ، وتفيض أنوار وحدانية الحضرة عليه ، فإذا لازم على هذه الكلمة نزول الآثار شيئاً فشيئاً ، وتزيد الأنوار يوماً فيوماً إلى أن ينقلع سحب الحادث عن وجه شمس القديم ، فصارت آفاق الأنفس حينئذ ، وينجمع الهم بل يزول ، ووافى سير الشهود والوصول . من هامش (ح) .

(٢) هو الإمام المحدث المفيد المسند إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي الدمشقي البغدادي (ت ٥٣٦ هـ) ، كان مسند خراسان والعراق ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٨ / ٢٠) .

(٣) هو الإمام المحدث أبو الحسين وأبو القاسم الهلالي الدمشقي القطان (ت ٤٦٠ هـ) ، وانظر « تاريخ دمشق » (١٠٤ / ٣٤) .

(٤) هو الإمام المحدث الصادق المعمر أبو الحسين بن الحسن بن الوليد الكلابي الدمشقي (ت ٣٩٦ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٥٧ / ١٦) .

(٥) هو الإمام المحدث الصدوق مسند دمشق أبو بكر العقيلي الدمشقي (ت ٣١٦ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٢٨ / ١٤) ، وفي النسخ : (خريم) ، والصواب المثبت ، كما في المصادر والمراجع .

عليه السلام قال : رَبِّ ؛ أَتُبْنِي عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ^(١) ، قَالَ : أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عُلَمَاءُ أَخْفِيَاءِ حُكَمَاءُ^(٢) ، كَانَتْهُمْ أَنْبِيَاءُ ، يَرْضَوْنَ مِنِّي بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَرْضَى مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ، يَا عَيْسَى ؛ هُمْ أَكْثَرُ سُكَّانِ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَذَلَّ أَلْسُنُ قَوْمٍ^(٣) قَطُّ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) كَمَا ذَلَّتْ أَلْسِنُهُمْ ، وَلَمْ تَذَلَّ رِقَابُ قَوْمٍ قَطُّ بِالسُّجُودِ كَمَا ذَلَّتْ رِقَابُهُمْ^(٤) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَكْتُوبَةٌ فِي التَّوْرَةِ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ؛ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَحِزْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَثْرًا لِلْأُمِّيِّينَ^(٥)) ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ ، لَيْسَ بَفِظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ^(٦) ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفو وَيَصْفَحُ ، وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى تُقَامَ بِهِ الْمِلَّةُ الْمُعْوَجَّةُ ؛ بَأَنْ يَقُولُوا : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » ، وَيَفْتَحُوا أَعْيُنًا عُمِيًّا^(٧) ، وَأَذَانًا صُمًّا^(٨) ، وَقُلُوبًا غُلْفًا^(٩) .

(١) المذكورة في الإنجيل . من هامش (ح) .

(٢) في (ب ، ج) : (حلماء) بدل (حكماء) ، وجاء في بعض النسخ : (أخفياء) بدل (أخفياء) ، وفي (ي) ويحتمله في (د) : (علماء أخفياء أتقياء حكماء حلماء) ، والمثبت أقرب للمصدرين الآتين .

(٣) أي : من الأمم السوالف . من هامش (ح) .

(٤) رواه من طريق أبي القاسم الدمشقي ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٢ / ٤٧) .

(٥) في (د) : (للآمينين) .

(٦) السَّخَّاب : كثير الصَّياح والصوت ، ويجوز أن يقرأ بالصاد كما جاء في (ج) .

(٧) عن مشاهدة وحدانية الحق تعالى . من هامش (ح) .

(٨) عن سماع كلام الحق تعالى . من هامش (ح) .

(٩) رواه البخاري (٤٨٣٨) ، وغُلْفًا : جمع (أغلف) ؛ وهو المغطى والمستور .

فلا يزال العبد في خلوته يُردّد هذه الكلمة على لسانه مع مُواطأة القلب^(١) . حتى تصير الكلمة مُتأصلة في القلب ، مُزيلة لحديث النَّفس ، ينبو معناها في القلب عن كل حديث النَّفس^(٢) .

فإذا استولت الكلمة ، وسهلت على اللسان . . يتشربها القلب ، فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ، ثم تتجوهر في القلب^(٣) ، وتجوهرها في القلب يستكن نور اليقين في القلب ، حتى إذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب . . لا يزول نورها^(٤) ؛ لتجوهرها ، ويتحد الذكر مع رؤية عظمة

(١) أي : موافقة القلب .

(٢) معنى الكلمة بالنسبة إلى المبتدئ صاحب النَّفس : (لا معبود غير الله) ؛ لا يزال يقصد هذا المعنى إلى أن تنتفي المعبودات الباطلة التي هي أهوية النفس بالميل إلى مُشتهيات هذه الدار ، وبالنسبة إلى المُتوسّط صاحب القلب : (لا مطلوب - أو لا مُراد ، أو لا مقصود ، أو لا محبوب - غير الله) ؛ لا يزال يقصد واحداً من هذه المعاني بحسب مقتضيات الأحوال إلى ألا يبقى في قلبه مطلوب ومراد ومقصود ومحبوب غير الله ، وينقطع من تشبّثات النفس المائلة إلى ما سوى الله ، فيستولي نور المذكور على القلب ، وينفتح إلى مشاهدة وحدانيته تعالى في صفحات الكائنات ، فيرى قِيوميته وقيام كل شيء به ، فيصير أهلاً للمعنى الأخير المخصوص بأرباب النهاية ؛ (لا موجود إلا الله) ؛ فلا يزال يقول : (لا إله إلا الله) وينوي بأسره في نظر شهوده ، ثم يضمحل شهوده ، ويتحقّق معنى قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، ومعنى قوله عليه السلام : « كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ » ، وفهم ما قال بعض الأولياء : (وهو الآن على ما كان عليه) ، ثم ما يُرتّب على هذا المعنى لا يدخل تحت (. . .) البيان . من هامش (ح) .

(٣) ويصير نورها كجوهرة صافية اللمعة ، أضوء من كل الأنوار ، تُضيء القلب في جميع الأطوار بالليل والنهار . من هامش (ح) .

(٤) أي : لا يزول عن القلب ، ويُسمّى تعاهد النور : ذكر السرّ ، وفوق ذلك : ذكر سرّ السرّ المُسمّى عند ملوك الطريقة : الخفي ، وعلامة هذا الذكر : الحيرة وغلبة السكر ؛ =

المذكورِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى^(١) ، وَيَصِيرُ الذِّكْرُ حَيْثُ ذَكَرَ الذَّاتِ ، وَهَذَا الذِّكْرُ هُوَ الْمُشَاهَدَةُ وَالْمُكَاشَفَةُ وَالْمُعَايَنَةُ ؛ أَعْنِي : ذَكَرَ الذَّاتِ بِتَجَوُّهِرِ نُورِ الذِّكْرِ^(٢) ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ الْأَقْصَى مِنَ الْخَلْوَةِ^(٣) .

وَقَدْ يَحْصُلُ هَذَا مِنَ الْخَلْوَةِ لَا بِذِكْرِ الْكَلِمَةِ ، بَلْ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ؛ إِذَا أَكْثَرَ مِنَ التَّلَاوَةِ ، وَاجْتَهَدَ فِي مُوَاطَاةِ الْقَلْبِ مَعَ اللِّسَانِ^(٤) ، حَتَّى تَجْرِيَ التَّلَاوَةُ عَلَى اللِّسَانِ ، وَيَقُومَ مَعْنَى الْكَلَامِ قَائِمًا مَقَامَ حَدِيثِ النَّفْسِ ، فَيَدْخُلُ عَلَى الْعَبْدِ سَهُولَةٌ فِي التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ ، وَيَتَنَوَّرُ الْبَاطِنُ بِتِلْكَ السَّهُولَةِ فِي التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ ، وَيَتَجَوَّهُرُ نُورُ الْكَلَامِ فِي الْقَلْبِ ، وَيَكُونُ مِنْهُ أَيْضًا ذِكْرُ الذَّاتِ^(٥) ،

= بَحِيثٌ يَصِيرُ مَغْلُوبًا كَالسَّكَرَانِ الطَّافِحِ ، وَهَذَا النُّوعَانِ مِنَ الذِّكْرِ فَوْقَ ذِكْرِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ؛ وَلِهَذَا أَشَارَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (ذَكَرَ اللِّسَانُ لِقَلْقَةٍ ، وَذَكَرَ الْقَلْبُ وَسُوسَةٍ) . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(١) فِي (ب ، هـ ، ي) : (وَيَتَّخِذُ) بَدَلُ (وَيَتَّحِدُ) .

(٢) قَوْلُهُ : (ذِكْرُ الذَّاتِ) ؛ أَيُّ : ذَاتِ الْمَذْكُورِ ، وَيُسَمَّى : ذِكْرَ الْخَفِيِّ ، وَهُوَ الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ أَقْسَامِ الذِّكْرِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذِكْرَ الذَّاتِ ؛ لِأَنَّ نُورَ ذِكْرِ ذَاتِ الْمَذْكُورِ أَثَّرَ فِي الْقَلْبِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ عَنْهُ بَحِيثٌ اسْتَغْرَقَ فِيهِ ، وَهَذَا الذِّكْرُ عَيْنُ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمُكَاشَفَةِ وَالْمُعَايَنَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ تَجَلِّيَّاتِ الذَّاتِ ، وَهُوَ أَعْلَى الْمَقَاصِدِ وَأَسْنَى الْمَطَالِبِ مِنَ الْخَلْوَةِ ، هَنِئًا لِأَرْبَابِ الْمَقَاصِدِ وَالْعُلَا ، هَنِئًا لِأَصْحَابِ الْمَطَالِبِ وَالْمُنَى . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(٣) ثُمَّ يَصِيرُ [أَهْلًا] لِلْجُلُوعِ ، وَتَصِيرُ جُلُوعُهُ خَلْوَةً ، وَلَا يَحْجُبُهُ الْخَلْقُ عَنِ الْحَقِّ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ ضَابِطٌ لِقَلْبِهِ ، حَارِسٌ لِنَفْسِهِ ، عَارِفٌ بِفَتْرَاتِهِ ، مُتَدَارِكٌ لَغَفَلَاتِهِ ، غَيْرٌ مُغْتَرٍّ بِحَالِهِ ، طَالِبٌ لِلْمَزِيدِ مِنْ فَيْضِ لَطْفِ اللَّهِ وَإِفْضَالِهِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٤) مَعَ مَطَالَعَةِ عَظَمَةِ الْمُتَكَلِّمِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٥) أَيُّ : وَيَكُونُ مِنَ الْمَذْكُورِ - وَهُوَ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ - ذِكْرُ الذَّاتِ ، كَمَا كَانَ فِي الذِّكْرِ بِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) .

ويجتمع نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وتعالى .
 ودون هذه المؤهبة^(١) ما يفتح على العبد من العلوم الإلهامية اللدنية^(٢) ،
 وإلى حين بلوغ العبد هذا المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة إذا صفا باطنه . .
 قد يغيب في الذكر من كمال أنسه وحلاوة ذكره ؛ حتى يلتحق في غيبته في
 الذكر بالنائم^(٣) .

وقد تتجلى له الحقائق في لبسة الخيال أولاً^(٤) ، كما تنكشف الحقائق

- (١) أي : تجوهر الكلمة والكلام في القلب . من هامش (ح) .
 (٢) فيعلم : أن من تقيد بالعلوم اللدنية ، سيما المناسبات الكونية ، ولم يتحصن عين البصيرة عنها بتوجه السر إلى الحضرة الأحديّة . لا يتجوهر نور الكلمة والكلام في القلب ، فلم يرق إلى الفناء الذاتي واضمحلال الوجود بالكلية . من هامش (ح) .
 (٣) قال في « شرح المشكلات » (ق / ٤٣ - ٤٤) : (واعلم : أن الأذكار أربعة : ذكر باللسان ، وفيه [المناجاة] ، وذكر بالقلب ، وفيه المحادثة ، وذكر بالسر ، وفيه المراقبة ، وذكر بالروح ، وفيه المشاهدة .
 واعلم : أن الأنوار التي تحصل من الأذكار أيضاً أربعة : نور الإسلام ، ونور الإيمان ، ونور الإحسان ، ونور الإيقان ؛ فنور الإسلام يحصل من ذكر اللسان ، ونور الإيمان يحصل من ذكر القلب ، ونور الإحسان يحصل من ذكر السر ، ونور الإيقان يحصل من ذكر الروح ، فنور الإسلام كنور الكواكب ، ونور الإيمان كنور القمر ، ونور الإحسان كنور الصباح ، ونور الإيقان كنور الشمس المشرقة المظهرة للأشياء كلها بأجناسها وأنوعها وسماتها وصفاتها ، فمن فاز بنور الإسلام ولم يفز بغيره . . كمن أدرك ركعة مثلاً من صلاة الظهر أو العصر أو العشاء ؛ وهي الركعة الأخيرة ، فما فاتت منه تلك الصلاة وإن كانت الفضيلة ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان . . كمن أدرك منها ركعتين ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان والإحسان . . كمن أدرك منها ثلاث ركعات ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان والإحسان . . كمن أدرك منها ثلاث ركعات ، ومن فاز بنور الإسلام والإيمان والإحسان والإيقان . . كمن أدرك الركعات الأربع ، وتمت وكملت صلاته في نفسها ، والله أعلم) .
 (٤) أي : في غيبته في الذكر قبل غيبته عن الوجود . من هامش (ح) .

للنائم في لبسة الخيال ؛ كَمَنْ رأى في المنام أنه قَتَلَ حَيَّةً ، فيقول له
المُعَبَّرُ : تَظْفَرُ بِالْعَدُوِّ ، فَظَفَرُهُ بِالْعَدُوِّ كَشَفُ كَاشِفِهِ الْحَقُّ بِهِ ، وهذا الظَّفَرُ
رُوحٌ مُجَرَّدٌ^(١) صَوَّغَ مَلِكُ الرُّؤْيَا لَهُ جَسَداً لهذا الرُّوحِ مِنْ خِيَالِ الْحَيَّةِ^(٢) .

فالرُّوحُ الذي هُوَ كَشَفُ الظَّفَرِ . إخبارُ الحقِّ ، وَلِبْسَةُ الْخِيَالِ الذي هُوَ
بِمَثَابَةِ الْجَسَدِ . مثالُ انبِعْثَ مِنْ نَفْسِ الرَّائِي فِي الْمَنَامِ مِنْ اسْتِصْحَابِ الْقُوَّةِ
الْوَهْمِيَّةِ وَالْخِيَالِيَّةِ مِنَ الْيَقْظَةِ ، فَتَوَلَّفَ رُوحُ كَشَفِ الظَّفَرِ مَعَ جَسَدِ مِثَالِ
الْحَيَّةِ ، فَافْتَقَرَ إِلَى التَّعْبِيرِ ؛ إِذْ لَوْ كُوشِفَ بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ رُوحُ الظَّفَرِ مِنْ
غَيْرِ هَذَا الْمِثَالِ الذي هُوَ بِمَثَابَةِ الْجَسَدِ . ما احتَاجَ إِلَى التَّعْبِيرِ ، وَكَانَ يَرَى
الظَّفَرَ وَيَصْحُ الظَّفَرُ .

وقد يتَجَرَّدُ الْخِيَالُ بِاسْتِصْحَابِ الْخِيَالِ وَالْوَهْمِ مِنَ الْيَقْظَةِ فِي الْمَنَامِ مِنْ
غَيْرِ حَقِيقَةٍ^(٣) ، فَيَكُونُ الْمَنَامُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ لَا يُعْبَرُ .

وقد يتَجَرَّدُ لِصَاحِبِ الْخُلُوةِ الْخِيَالُ الْمُنْبِعِثُ مِنْ ذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ
وِعَاءً لِحَقِيقَةٍ^(٤) ، فَلَا يُبْنَى عَلَى ذَلِكَ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ ؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ وَاقِعَةً ،
وَإِنَّمَا هُوَ خِيَالٌ .

فَأَمَّا إِذَا غَابَ الصَّادِقُ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَغِيبَ عَنِ الْمَحْسُوسِ ؛

(١) عن الصورة الجسمية . من هامش (ح) .

(٢) في (ب ، ج ، د) : (صَوَّرَ) بدل (صَوَّغَ) ، وفي (هـ ، ح) : (صَاغَ) .

(٣) أي : من غير أن يكون لذلك الْمُتَخَيَّلُ ثبوتٌ في نفس الأمر حتى يقع بعد الرؤيا له ؛ كَمَنْ
كَانَ فِي خِيَالِهِ دَاعِيَةٌ وَقُوعُ شَيْءٍ أَوْ [عَدَمٌ] وَقُوعُهُ ؛ فَيَرَى ذَلِكَ الْمُتَخَيَّلَ وَلَيْسَ لَهُ حَقِيقَةٌ .
من هامش (ح) .

(٤) أي : لا مستصحباً من اليقظة لبسةً مثالِ واقعٍ في الخيال ممَّا هو في عالم الصُّور
الآفاقية . من هامش (ح) .

بحيث لو دَخَلَ عَلَيْهِ دَاخِلٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُ بِهِ لَغَيْبَتِهِ فِي الذِّكْرِ . . فعند ذلك قد ينبعث في الابتداء مِنْ نَفْسِهِ مِثَالٌ وَخِيَالٌ ينفخُ فِيهِ رُوحُ الْكَشْفِ ، فإذا عادَ مِنْ غَيْبَتِهِ : فإِذَا يَأْتِيهِ تَفْسِيرُهُ مِنْ بَاطِنِهِ مُوَهِّبَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِذَا يُفَسِّرُ لَهُ شَيْخُهُ كَمَا يُعَبِّرُ الْمُعَبِّرُ الْمَنَامَ^(١) ، وَيَكُونُ ذَلِكَ وَاقِعَةً ؛ لِأَنَّهُ كَشَفُ حَقِيقَةٍ فِي لِبْسَةِ مِثَالٍ .

وَشَرَطُ صِحَّةِ الْوَاقِعَةِ : الْإِخْلَاصُ فِي الذِّكْرِ أَوَّلًا^(٢) ، ثُمَّ الْاسْتِغْرَاقُ فِي الذِّكْرِ ثَانِيًا^(٣) ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا ، وَمُلَازِمَةُ التَّقْوَى ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ بِمَا يُكَاشِفُ بِهِ فِي وَاقِعَةِ مَوْرَدِ الْحِكْمَةِ ، وَالْحِكْمَةُ تَحْكُمُ بِالزُّهْدِ وَالتَّقْوَى .

وَقَدْ يَتَجَرَّدُ لِلذَّاكِرِ الْحَقَائِقُ مِنْ غَيْرِ لِبْسَةِ الْمِثَالِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ كَشْفًا وَإِخْبَارًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ تَارَةً بِالرُّؤْيَا ، وَتَارَةً بِالسَّمَاعِ ، وَقَدْ يَسْمَعُ مِنْ بَاطِنِهِ ، وَقَدْ يَطْرُقُ ذَلِكَ مِنَ الْهَوَاءِ لَا مِنْ بَاطِنِهِ ؛ كَالْهَوَاتِفِ ؛ يَعْلَمُ

(١) وَبِنَبْغِي أَنْ يَعْلَمَ : أَنَّ تَعْبِيرَاتِ الْمَشَائِخِ وَاقِعَاتِ الْمُرِيدِينَ . . لَيْسَتْ عَلَى طَرِيقَةِ تَعْبِيرَاتِ الْمُعَبِّرِينَ مَنَامَاتِ الْعَوَامِّ عَلَى الدَّوَامِ ؛ فَإِنَّ الْعَوَامَّ شَأْنُهُمْ رُؤْيَا مَا فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ وَمَا سِيقَعِ فِيهِ ، وَشَأْنُ الْخَوَاصِّ رُؤْيَا مَا فِي عَالَمِ الْغَيْبِ وَعَالَمِ النَّفْسِ ، وَقَدْ يَتطَابَقُ الْآفَاقِي وَالْأَنْفُسِيُّ وَقَدْ لَا يَتطَابَقُ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْآفَاقِي وَالْأَنْفُسِيِّ الصَّرْفُ مَتَعَسِّرٌ ، إِلَّا عَلَى مَنْ جَرَّبَ زَمَانًا طَوِيلًا وَاقِعَاتِهِ ، وَمَيَّزَ بَيْنَ مَكَاشِفَاتِهِ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَغْلَطُونَ فِي تَعْبِيرَاتِ الْوَاقِعَاتِ ؛ فَيَحْمِلُونَ الْأَنْفُسِيَّ عَلَى الْآفَاقِي ، فَيَصِيرُونَ بَعْدَ ظُهُورِ الْآثَارِ ضُحْكَةَ أَهْلِ الْإِنْكَارِ ، وَهُمْ أَحِقَّاءُ بِالْإِعْذَارِ ، فَيَحْتَرِزُ السَّالِكُ مِنْ دَاعِيَةِ الْاِسْتِهَارِ ، وَلِيُخَفِّ مَا يَرَى مِنَ الْأَشْيَاءِ عَنِ الْأَغْيَارِ ، بَلْ عَنِ الْأَخْيَارِ ، قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ : (سِرُّكَ لَا يَتَجَاوَزُ زَرْكَ) . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٢) حَتَّى تَسْلَمَ مِنْ تَسْوِيلَاتِ الشَّيْطَانِ ؛ فَإِنَّ الْمَخْلَصَ مُحْفُوظٌ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٣) حَتَّى تَسْلَمَ مِنْ تَلْيِيسَاتِ النَّفْسِ ؛ فَإِنَّ الْاسْتِغْرَاقَ يَتَضَمَّنُ [حُضُورَ] الْمَذْكُورِ ، وَعِنْدَ ظُهُورِ نَوْرِ الْمَذْكُورِ تَزُولُ كَلِمَةُ [النَّفْسِ] ، فَتَزُولُ تَلْيِيسَاتُهَا . مِنْ هَامِشِ (ح) .

بذلك أمراً يُريدُ اللهُ إحداثهَ لهُ ولغيره ، فيكونُ إخبارُ اللهِ إيَّاهُ بذلكَ مَزِيداً ليقينه ، أو يرى في المنام حقيقةَ الشيء .

نُقلَ عن بعضهم أَنَّهُ أُتِيَ بِشَرَابٍ فِي قَدَحٍ ، فَوَضَعَهُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ : قَدْ حَدَثَ فِي الْعَالَمِ حَدَثٌ ، وَلَا أَشْرَبُ هَذَا دُونَ أَنْ أَعْلَمَ مَا هُوَ ، فَاكْشَفَ لَهُ أَنْ قَوْمًا دَخَلُوا مَكَّةَ وَفَتَكُوا فِيهَا .

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي سَلِيمَانَ الْخَوَّاصِ قَالَ : كُنْتُ رَاكِباً حِمَاراً لِي يَوْمًا ، وَكَانَ يُؤْذِيهِ الذُّبَابُ فَيُطَاطِئُ رَأْسَهُ ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ رَأْسَهُ بِخَشَبَةٍ كَانَتْ فِي يَدِي ، فَرَفَعَ الْحِمَارُ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : اضْرِبْ ؛ فَإِنَّكَ عَلَى رَأْسِكَ تَضْرِبُ^(١) ، قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا سَلِيمَانَ ؛ وَقَعَ لَكَ ذَلِكَ أَوْ سَمِعْتَهُ ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَمَا سَمِعْتَنِي^(٢) .

وَحُكِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَطَاءٍ الرُّوْذِبَارِيِّ قَالَ : كَانَ لِي مَذْهَبٌ فِي أَمْرِ الطَّهَارَةِ ، فَكُنْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي أَسْتَنْجِي إِلَى أَنْ مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ وَلَمْ يَطْبُ قَلْبِي ، فَضَجَرْتُ وَبَكَيْتُ وَقُلْتُ : يَا رَبِّ ؛ الْعَفْوُ ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا وَلَمْ أَرِ أَحَدًا يَقُولُ^(٣) : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؛ الْعَفْوُ فِي الْعِلْمِ^(٤) .

(١) أي : يصلُ أثرُ هذا الضربِ إليك وتجدُ غبتهُ ؛ لأنِّي ما أقصّرُ في حقِّك بحملي إيَّاك مع دفعِ المؤذي عني الذي يمنعني عن المشي وأنت تضرب على رأسي ولا ترحمني ، مع أنَّ الضربَ على الرأسِ منهى عنه في الشرع ، وهذا من قسمِ السماعِ من الغير . من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٣٩١) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص ٧١٥ - ٧١٦) ، وعلى هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

(٣) الجملة صفة لقوله : (صوتاً) .

(٤) رواه أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٣٩١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٧١٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨ / ٥) ، وزادا : (فزال عني ذلك) .

وقد يُكاشِفُ اللهُ تعالى عبده بآياتٍ وكراماتٍ ؛ تربيةً للعبدِ ، وتقويةً ليقينه وإيمانه .

قيلَ : كانَ عندَ جَعْفَرِ الخُلْدِيِّ رحمهُ اللهُ فَصٌّ لَهُ قِيَمَةٌ^(١) ، وكانَ يوماً مِنَ الأَيَّامِ رَاكِباً فِي السُّمَيْرِيَّةِ فِي دِجْلَةٍ^(٢) ، فَهَمَّ أَنْ يُعْطِيَ المَّلَاحَ قِطْعَةً ، وَحَلَّ الخِرْقَةَ ، فَوَقَعَ الفِصُّ فِي دِجْلَةٍ ، وكانَ عندهُ دَعَاءٌ لِلضَّالَّةِ مُجَرَّبٌ ، فكانَ يدعُو بهُ ، فَوَجَدَ الفِصَّ فِي وَسْطِ أَوْرَاقٍ كانَ يَتَصَفَّحُهَا .

والدُّعَاءُ : هُوَ أَنْ يَقُولَ : (يا جامعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ ؛ اجمَعْ عَلَيَّ ضالَّتِي)^(٣) .

وسمعتُ شيخاً بهمذانَ حكيَ لي أَنَّهُ كُوشِفَ فِي بَعْضِ خَلَوَاتِهِ بولِدٍ لَهُ فِي جَنُحُونٍ كَأَدَ يَسْقُطُ فِي المَاءِ مِنَ السَّفِينَةِ ، قالَ : فزَجَرْتُهُ فلمَ يَسْقُطُ ، وكانَ

(١) الفِصُّ : - بفتح الفاء وكسرهما ، والأجود الفتح - ما يُرْكَبُ فِي الخاتمِ مِنَ الحِجارَةِ الكريمةِ .

(٢) فِي النسخِ ما عدا (د) : (السُّمَيْرِيَّةُ) ، والسُّمَيْرِيَّةُ : ضَرْبٌ صَغِيرٌ مِنَ السَّفَنِ ، وَقَالَ الصَّلاحُ الصَّفديُّ فِي « تَصْحيحِ التَّصْحيحِ » (ص ٣١٩) : (والعامةُ تقولُ : « سُمَيْرِيَّةٌ » لِضَرْبٍ مِنَ السَّفَنِ بِالْألفِ ، والصَّوابُ : « سُمَيْرِيَّةٌ » مَنْسُوبَةٌ إِلَى مَنْ عَمِلَهَا أَوَّلَ النَّاسِ) .

(٣) أوردَه أبو نصر السَّراجُ فِي « اللَّمعِ » (ص ٣٩١) ، والقشيريُّ فِي « الرِّسالةِ » (ص ٧١٤) ، وَقَالَ أبو نصر السَّراجُ بَعْدَهُ : (ثُمَّ أُراني - وَفِي « الرِّسالةِ » : « أُراني » - أبو الطَّيِّبُ العَكِّيُّ جِزْءاً قَدْ جُمِعَ فِيهِ ذَكَرُ كُلِّ ضالَّةٍ رَدَّها اللهُ إِلَى مَنْ دَعَا بِهِذا الدُّعَاءِ فِي مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ ، فَنظَرْتُ فِيهِ ، وَكانَ أَوْرَاقاً كَثيرةً) .

وقال النُّوويُّ فِي « بَسْتانِ العارفينِ » (ص ١٤٤) : (قُلْتُ : وَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا الدُّعَاءَ ، فوجدتُهُ نافِعاً سَبباً لوجودِ الضَّالَّةِ عَلَى قُرْبٍ غالِباً ، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْخَرَمْ ، وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا أبا البقاءِ يَقُولُ نَحْوَ ذَلِكَ ، وَهُوَ عَلَّمَنِيهِ أَوَّلاً) .

هذا الشخص بنواحي هَمَذَانَ وولده في جَنُحُونَ ، فلَمَّا قَدِمَ الولدُ أَخْبَرَ أَنَّهُ
كَأَدَ يَسْقُطُ فِي المَاءِ ، فَسَمِعَ صوتَ والدِهِ فلم يسقط .

وقولُ عمرَ رضيَ اللهُ عَنْهُ : (يا ساريةُ ؛ الجَبَلُ) على المِنْبَرِ بالمدينةِ
وساريةُ بنهاوند ، وقد أَخَذَ ساريةُ نحوَ الجبلِ وظَفِرَ بالعدوِّ ، فقيلَ لساريةُ :
كَيْفَ عَلِمْتَ ذَلِكَ ؟ فقالَ : سمعتُ صوتَ عُمَرَ وهو يقولُ^(١) : (يا ساريةُ ؛
الجَبَلُ)^(٢) .

سُئِلَ ابنُ سالمٍ - وكانَ قد قالَ : الإيمانُ أربعةُ أركانٍ : رُكْنٌ مِنْهُ الإيمانُ
بالْقُدْرَةِ ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الإيمانُ بِالْحِكْمَةِ^(٣) ، وَرُكْنٌ مِنْهُ التَّبَرُّؤُ مِنْ الحَوْلِ
وَالْقُوَّةِ ، وَرُكْنٌ مِنْهُ الاستعانةُ باللهِ عزَّ وجلَّ في جميعِ الأشياءِ - قيلَ لَهُ : ما
معنى قولِكَ : الإيمانُ بالقُدرةِ ؟

فقالَ : هوَ أنْ تُؤْمِنَ ولا تُنْكِرَ أنْ يكونَ للهِ عبدٌ بالْمَشْرِقِ نائماً على
يَمِينِهِ^(٤) ، ويكونَ مِنْ كرامةِ اللهِ لَهُ أنْ يُعْطِيَهُ مِنَ الْقُوَّةِ ما ينقلبُ مِنْ يَمِينِهِ على
يسارِهِ فيكونَ بِالْمَغْرِبِ ؛ تُؤْمِنَ بِجَوَازِ ذَلِكَ وَكونِهِ^(٥) .

وحكى لي فقيرٌ أَنَّهُ كانَ بِمَكَّةَ ، فَأَرْجَفَ على شَخْصٍ بِبَغْدَادَ أَنَّهُ قد

(١) طَوَّلَ اللهُ تعالى بساطَ الامتدادِ المَكَانِيِّ بالقُدرةِ ، فأسمعه صوتَ عمرَ كَأَنَّهُ في حُضُورِهِ .
من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو بكر الآجُري في « الشريعة » (١٣٦٠) ، واللالكائي في « شرح أصول اعتقاد
أهل السنة » (٢٥٣٧) ، والبيهقي في « الاعتقاد » (٢٩٧) .

(٣) في (ب ، ج ، و) : (بِالْقَدَرِ . . . بالقُدرة) بدل (بالقُدرة . . . بالحكمة) .

(٤) في نسخة على هامش (د) : (قائماً على يمينه) ، وسقطت هذه العبارة في « اللمع »
وجميع النسخ ما عدا (هـ ، ح) .

(٥) رواه أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٣٩٠) .

مات^(١) ، فكاشفه الله تعالى بالرجل وهو راكبٌ يمشي في سوقِ بغداد ،
فأخبرَ إخوانه أنَّ الشخصَ لم يَمُتْ ، وكانَ كذلك ، حتى ذَكَرَ لي هذا
الشخصُ أنَّه في تلكِ الحالةِ التي كُوشِفَ بالشخصِ راكباً ؛ قالَ : رأيتُهُ في
السُّوقِ وأنا أسمعُ بأذني صوتَ المِطْرِقةِ مِنَ الحَدَّادِ في سوقِ بغداد .

وكلُّ هذهِ مواهبُ الله سبحانه ، وقد يُكاشِفُ بها قومٌ ويُعطى ، وقد
يكونُ فوقَ هؤلاءِ مَنْ لا يكونُ لَهُ شيءٌ مِنْ هذا ؛ لأنَّ هذهِ كُلُّها تقويةٌ
لليقين ، وَمَنْ مُنِحَ صِرْفَ اليقينِ لا حاجةَ لَهُ إلى شيءٍ مِنْ هذا .

فكلُّ هذهِ الكراماتِ دونَ ما ذَكَرْنَاهُ ؛ مِنْ تَجَوُّهِ الذِّكْرِ في القلبِ ،
ووجودِ ذِكْرِ الذَّاتِ ؛ فَإِنَّ تلكَ الحِكْمَةَ فيها تقويةٌ للمُريدِينَ ، وتربيةٌ
للسَّالِكِينَ ؛ ليزدادوا بها يقيناً يُجذبُونَ بِهِ^(٢) إلى مُراغمةِ النُّفُوسِ ، والسُّلُوكِ
عن مَلَاذِ الدُّنْيَا ، وَيُسْتَنهَضَ مِنْهُمْ بِذلكِ ساكنُ عَزَمِهِم لِعِمارةِ الأوقاتِ
بالقُرْبَاتِ ، فَيَرَوِّحُونَ بِذلكِ ، وَيُرَبِّتُونَ بِطريقِهِ ، وَمَنْ كُوشِفَ بِصِرْفِ اليقينِ
أُغْنِيَ بِهِ مِنْ ذلكِ^(٣) ؛ لِمَكَانِ أَنَّ نَفْسَهُ أَسْرَعُ إجابةً ، وَأَسْهَلُ انقياداً ، وَأَتَمُّ
استعداداً ، والأَوَّلُونَ اسْتَلِينَ بِذلكِ مِنْهُمْ ما اسْتَوَعَرَ ، واسْتُكشِفَ مِنْهُمْ
ما اسْتَرَّ .

وقد لا يُمنَعُ صُورَ ذلكِ الرِّهَابِينَ والبراهمةُ ؛ مِمَّنْ هُوَ غَيْرُ مُنتَهَجِ سُبُلِ
الهُدَى ، وراكبِ طريقِ الرَّدَى ؛ لِيَكُونَ ذلكَ في حَقِّهِمْ مَكْرَاً واستدراجاً ؛

(١) الإرجاف في الأصل : الخوض في أخبار الفتن ونحوها من الأخبار السيئة .

(٢) أي : اليقين ، وفي بعض النسخ (بها) ؛ أي : الحكمة .

(٣) أي : الكرامات ، وقوله : (أُغْنِيَ بِهِ) زيادةٌ من (هـ ، ح) .

ليستحسنوا حالهم ، ويستقروا في مَقَارِ الطَّرْدِ والبُعْدِ ؛ إبقاءً لَهُم فيما أَرَادَ اللهُ مِنْهُمْ مِنَ العَمَى والضَّلَالِ ، والرَّدَى والوَبَالِ ؛ حتى لا يَغْتَرَّ السَّالِكُ بِسِيرِ شَيْءٍ يُفْتَحُ لَهُ ، ويعلمَ أَنَّهُ لو مشى على الماء والهواء لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ حتى يُؤَدِّي حَقَّ التَّقْوَى والزُّهْدِ في الدنيا .

فَأَمَّا مَنْ تَعَوَّقَ بِخِيَالٍ ، أَوْ قَنَعَ بِمُحَالٍ ، وَلَمْ يُحَكِّمْ أُسَاسَ خَلْقِهِ بِالْإِخْلَاصِ . . فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الْخَلْوَةَ بِالزُّورِ ، وَيَخْرُجُ بِالْغُرُورِ ، فَيَرْفُضُ الْعِبَادَاتِ وَيَسْتَحْقِرُهَا ، وَيَسْلُبُهُ اللهُ لَذَّةَ الْمُعَامَلَةِ ، وَيُذْهِبُ عَنْ قَلْبِهِ هَيْبَةَ الشَّرِيعَةِ ، وَيُفْتَضِّحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَلْيَعْلَمْ الصَّادِقُ : أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْخَلْوَةِ : التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِعِمَارَةِ الْأَوْقَاتِ ، وَكَفُّ الْجَوَارِحِ عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ .

فَيَصْلُحُ لِقَوْمٍ مِنْ أَرْبَابِ الْخَلْوَةِ إِدَامَةُ الْأُورَادِ وَتَوْزِيعُهَا عَلَى الْأَوْقَاتِ ، وَيَصْلُحُ لِقَوْمٍ مُلَازِمَةُ ذِكْرِ وَاحِدٍ ، وَيَصْلُحُ لِقَوْمٍ دَوَامُ الْمُرَاقَبَةِ ، وَيَصْلُحُ لِقَوْمٍ الْإِنْتِقَالَ مِنَ الذِّكْرِ إِلَى الْأُورَادِ ، وَلِقَوْمٍ الْإِنْتِقَالَ مِنَ الْأُورَادِ إِلَى الذِّكْرِ .

وَمَعْرِفَةُ مَقَادِيرِ ذَلِكَ يَعْلَمُهَا الشَّيْخُ الْمُصْحُوبُ الْمُطَّلَعُ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَوْضَاعِ وَتَنَوُّعِهَا ، مَعَ نُصْحِهِ لِلأُمَّةِ وَشَفَقَتِهِ عَلَى الْكَافَّةِ ، يَرِيدُ الْمُرِيدَ اللهُ لَا لِنَفْسِهِ ، غَيْرَ مُبْتَلَى بِهَوَى نَفْسِهِ ، وَلَا مُجِبِّ لِلِاسْتِتْبَاعِ ، فَمَا يُفْسِدُهُ مِثْلُ هَذَا أَكْثَرُ مِمَّا يُصْلِحُهُ ، اللَّهُمَّ ؛ احْفَظْنَا^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفيه : (بلغ السماع للجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الثامن والعشرون

في كيفية الدخول في الأربعين

رَوِيَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا ابْتَلِيَ بِالْخَطِيئَةِ خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً حَتَّى أَتَاهُ الْغُفْرَانُ مِنْ رَبِّهِ ^(١) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ تَقَرَّرَ : أَنَّ الْوَحْدَةَ وَالْعُزْلَةَ مِلَاكُ الْأَمْرِ ، وَمُتَمَسِّكُ أَرْبَابِ الصَّدَقِ ، فَمَنْ اسْتَمَرَّتْ أَوْقَاتُهُ عَلَى ذَلِكَ . . فجميعُ عُمْرِهِ خُلُوءٌ ، وَهُوَ الْأَسْلَمُ لَدِينِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ ، وَكَانَ مُبْتَلًى بِنَفْسِهِ أَوَّلًا ، ثُمَّ بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ ثَانِيًا . . فليجعل لنفسه مِنْ ذَلِكَ نَصيبًا .

نُقِلَ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا رَوَى أَحْمَدُ بْنُ حَرْبٍ عَنْ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (كَانَ يُقَالُ : مَا أَخْلَصَ عَبْدٌ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا . . إِلَّا أَنْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ ، وَزَهَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا ، وَرَغَّبَهُ فِي الْآخِرَةِ ،

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٧٢ ، ٤٧٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٥٤٩) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٣٨٥) ، والصحيح : أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعْصُومُونَ مِنَ الصَّغَائِرِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا ، قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ فِي « الشِّفَاءِ » (ص ٦٩٤) : (وَأَمَّا قِصَّةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . فَلَا يَجِبُ أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَى مَا سَطَّرَهُ فِيهَا الْإِخْبَارِيُّونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا ، وَنَقَلَهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ ، وَلَمْ يَنْصُرْ اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ صَحِيحٍ) .

وبَصَرُهُ بعيوبِ نَفْسِهِ^(١) ، وبَصَرُهُ بداءِ الدنيا ودوائِها^(٢) .

فليَتَعَاهَدْ هذا العَبْدُ نَفْسَهُ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً^(٣) .

وَأَمَّا المُرِيدُ الطَّالِبُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخَلَ الخُلُوةَ^(٤) . . فَأَكْمِلُ الأَمْرَ في ذلكَ^(٥) : أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَيُخْرِجَ كُلَّ مَا يَمْلِكُهُ ، وَيَغْتَسِلَ غُسْلًا كَامِلًا بَعْدَ الإِحتِيَاظِ لِلثَّوْبِ والمُصَلَّى بالنِّظَافَةِ والطَّهَارَةِ ، وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، وَيَتَوَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذُنُوبِهِ بِبُكَاءٍ وَتَضَرُّعٍ ، وَاسْتِكَانَةٍ وَتَخَشُّعٍ ، وَيُسَوِّيَ بَيْنَ السَّرِيرَةِ والعَلَانِيَةِ ، وَلَا يَنْطَوِي عَلَى غِلٍّ وَغِشٍّ وَحِقْدٍ وَحَسَدٍ وَخِيَانَةٍ .

ثُمَّ يَقْعَدَ فِي مَوْضِعِ خَلُوتِهِ ، وَلَا يَخْرُجَ إِلَّا لصلَاةِ الجمعةِ وصلَاةِ

(١) هذه الجملة زيادة من (د) .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢٨٧ / ٧) عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى .

(٣) فينقطعُ إلى الله ، ويشغلُ بملازمة طاعته ، ويُجَرَّبُ أحواله ، ويُفْتَشُّ عَمَّا عَلَيْهِ وما له ، فيعرفُ الزيادةَ من النقصانِ ، فيتداركُ ما أصابه من الخسرانِ ، قبلَ وقوعِ الحِرْمانِ والخِذلانِ ، أعاذنا الله منهما . من هامش (ح) .

(٤) المريد الحقيقي : هو الذي يطلبُ اللهَ وحدهُ ، فيتركُ ما سواه ، ويشغلُ بالله على الإخلاص التامِّ والصدقِ الشاملِ ، غيرَ مُلتفتٍ إلى عَوَضٍ وَغَرَضٍ ، مع التسليمِ الدائمِ وعلوِّ الهِمَّةِ . من هامش (ح) .

(٥) إِنَّمَا قَالَ : (أَكْمِلُ الأَمْرَ) ؛ لِأَنَّ الطَّالِبَ كَمَا وَصَفْنَا يَرِيدُ الوصولَ إِلَى اللَّهِ ، فَلَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ مَا يَحْجِبُهُ عَنْ اللَّهِ وَيُعَوِّقُهُ عَنْ مِلَازِمَةِ اللَّهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الدُّنْيَا هِيَ الشَّبَكَةُ الَّتِي يَصْطَادُ بِهَا الشَّيْطَانُ الْإِنْسَانَ ، وَيُوقِعُهُ مَوَاقِعَ الْحِجَابِ وَالْحَرَمَانِ ، وَيُزَيِّنُ [لِلنَّفْسِ] مَا فِيهَا مِنَ الْمَشَاهِي وَالْمَلَاذِّ ، فَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَتَجَرَّدَ عَنْهَا وَدَخَلَ فِي الْخُلُوةِ . . لَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ ، وَلَا يَتَخَلَّصَ سِرُّهُ ، وَرَبَّمَا يَقُومُ الشَّيْطَانُ بِدَاعِيَةِ الرِّئَاسَةِ وَطَلَبِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ النَّاسِ ، [فِيحِيلُهُ] إِلَى خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، وَيُزِيهِ بِوَاطِلِ الْخَيَالَاتِ ، وَيَجْعَلُهُ مَنْشَأَ الضَّلَالَاتِ ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَصَائِبِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِهَا مَالِهَا وَجَاهِهَا . من هامش (ح) .

الجماعة^(١) ، وترك المحافظة على صلاة الجماعة غلطٌ وخطأٌ ، فإنَّ وجدَ تفرقةً في خروجه يكونُ له شخصٌ يُصلي معه جماعةً في خلوته^(٢) ، ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة مُنفرداً البتَّة ؛ فإنَّ بترك الجماعة يُخشى عليه آفات^(٣) ، وقد رأينا مَنْ يتشوّشُ عقله في خلوته ، ولعلَّ ذلك بشؤمِ إصراره على ترك صلاة الجماعة .

غير أنَّه ينبغي أن يخرجَ مِنْ خلوته لصلاة الجماعة وهو ذاكِرٌ لا يفتُر عن الذكر^(٤) ، ولا يُكثِر إرسال الطَّرفِ إلى ما يرى ، ولا يُصغي إلى ما يسمع ؛ لأنَّ القوَّة الحافظة والمُتخيِّلة كلوحٍ ينتقشُ بكلِّ مرئيٍّ ومسموعٍ ، فيكثُرُ له لذلك الوسواسُ وحديث النفس والخيال^(٥) .

ويجتهدُ أن يحضر الجماعة^(٦) بحيث يُدركُ مع الإمام تكبيرة الإحرام ،

(١) فإنَّهُ إذا خرج لغير الصلاة فلا بدَّ مِنْ أن يشتغل بشيء يُفَرِّقُ ضميره ويُفترِّ عزمه . من هامش (ح) .

(٢) والأوَّلَى : أن يكون شخصان يُصليان معه . من هامش (ح) .

(٣) فإنَّ متابعة الشَّيْءِ حِصْنٌ حَصِينٌ للقلب والعقل والدماغ ، يستمدُّ حفظها من طوارق الشيطان ، ودواخل الآفات والخذلان . من هامش (ح) .

(٤) الذكرُ برفع الصوتِ جائزٌ بل مُستحبٌّ إذا لم يكن عن الرياء ؛ لتعليم الناس لإظهار الدين ، ووصولِ بركة الذكر إلى السامعين ؛ في الدُّور والبيوت والحيوانات ؛ وليوافق القائل من يسمع صوته ، ويشهد له يوم القيامة كلُّ رطبٍ ويابس سَمِعَ صوته ، وبعضُ المشايخ يختارُ إخفاءَ الذكر ؛ لأنَّهُ أبعدُ من الرياء ، وهذا يتعلَّقُ بالنِّيَّةِ ؛ فَمَنْ كان له نِيَّةٌ صادقة فرَفَعُ صوته بقراءة القرآن والذكر أوَّلَى ؛ لما ذكرنا ، وَمَنْ خاف من نفسه الرياء فالأوَّلَى إخفاءُ الذكر ؛ كيلا يقعَ في الرياء . من هامش (ح) .

(٥) أي : بعد العود إلى الخلوة والاشتغال بالذكر . من هامش (ح) .

(٦) لينال تلك الفضيلة التي هي خير من الدنيا وما فيها . من هامش (ح) .

فإذا سَلَّمَ الإمامَ وانصرفَ ينصرفُ إلى خَلوتهِ .

ويَبْقَى في خروجهِ استحلاءَ نَظَرِ الخَلْقِ إليه ، وعَلَمَهُم بِجلوسِهِ
وخلوتهِ ؛ فقد قيلَ : (لا تَطْمَعُ في المنزلةِ عندَ اللهِ وأنتَ تُريدُ المنزلةَ عندَ
الناسِ) (١) .

وهذا (٢) أصلُ يَنفَسِدُ بِهِ كثيرٌ مِنَ الأعمالِ إذا أَهْمِلَ (٣) ، وينصَلُحُ بِهِ كثيرٌ
مِنَ الأحوالِ إذا اعتَبِرَ (٤) .

ويكونُ في خَلوتهِ جاعلاً وقتَهُ شيئاً واحداً موهوباً لله تعالى بإدَامَةِ فِعْلِ
الرِّضَا ؛ إمَّا تلاوةً ، أو ذِكْراً ، أو صلاةً ، أو مُراقَبةً (٥) ، وأَيَّ وقتٍ فَتَرَ عن
هذهِ الأقسامِ ينامُ (٦) ، فَإِنْ أرادَ أَنْ يُعَيِّنَ أَعْدَاداً مِنَ الرِّكَعَاتِ وَمِنَ التَّلَاوَةِ
وَالذِّكْرِ شيئاً فشيئاً . . فَعَلَّ ، وَإِنْ أرادَ أَنْ يكونَ بِحُكْمِ الوقتِ يَعْتَمِدُ أَخَفَّ

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٠٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية »
(٣٦٣ / ١٠) عن أبي بكر ابن يزْدَانِيَار رحمه الله تعالى .

(٢) أي : اتقاء استحلاء نظر الخلق . من هامش (ح) .

(٣) قوله : (الأعمالِ) ؛ أي : الأعمالِ الظاهرة التي يَطَّلِعُ عليها الخلقُ ، لا الأعمالِ
المستورة عمّا سوى الحق . من هامش (ح) ، وانظر ما سبق تعليقا في (٣٩١ / ١)
حول الفعل (ينفسد) .

(٤) لأنَّهُ إذا تَرَكَ ملاحظةَ الخلقِ واستحلاءَ نظرهم إليه . . انصلح حالُ صدقه وإخلاصِهِ
ومحبَّتِهِ . من هامش (ح) .

(٥) يعني : صاحبُ الخلوةِ ينبغي أَنْ يجعلَ جميعَ أوقَاتِهِ في خلوتهِ لله تعالى ؛ بأنْ يَصْرِفَهُ
فيما يَرْضَى به الله تعالى من أنواعِ الطاعاتِ والعاداتِ ؛ بحيثُ تصيرُ عادَتُهُ مِنَ الأكلِ
والشربِ والنومِ عبادةً ؛ طلباً لرضا الله تعالى ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « نومُ
العالمِ عبادةٌ ، ونَفْسُهُ تسبيحٌ » . من هامش (ج) .

(٦) فَإِنَّ النومَ عونٌ له يُجَدِّدُ النشاطَ ، والعملُ إذا كانَ مع النشاطِ أكثرَ قبولاً ، [وهو] معنى
ما قال عيسى عليه السلام : (حَبْدًا نومُ الأكياسِ وفِطْرُهُم) . من هامش (ح) .

ما على قلبه مِنْ هذه الأقسام . . فَعَلَ ، فإذا فترَ عن ذلك ينامُ ، وإن أرادَ أن يبقى في سجودٍ واحدٍ أو ركوعٍ واحدٍ أو ركعةٍ واحدةٍ أو ركعتينِ ساعةً أو ساعتينِ . . فَعَلَ .

ويُلازمُ في خلوتهِ إدامةَ الوضوءِ^(١) ، ولا ينامُ إلا عن غلبةٍ بعد أن يدفع النومَ عن نفسه مرَّاتٍ ، فيكونُ هذا شُغْلُهُ ليلَهُ ونهارَهُ^(٢) .

وإذا كانَ ذاكرًا لكلمةِ (لا إِلَهَ إلا اللهُ) ، وسَمَّيتِ النفسُ الذُّكْرَ باللسانِ . . يقولُها بقلبه مِنْ غيرِ حركةِ اللِّسانِ ، وقد قال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (إذا قلتَ : « لا إِلَهَ إلا اللهُ » مُدَّ الكلمةَ ، وانظرْ إلى قَدَمِ الحَقِّ فَأَثْبِتْهُ وَأَبْطِلْ ما سِوَاهُ)^(٣) .

ولْيَعْلَمْ : أنَّ الأمرَ كالسَّلْسِلَةِ تتداعى حَلَقَةٌ حَلَقَةً ، فليكنْ دائمَ التَّلَزُّمِ بفعلِ الرِّضَا^(٤) .

(١) فإنَّ للوضوءِ نوراً عظيماً يذبُّ الشيطانَ منه ، وهو سلاحه . من هامش (ح) .

(٢) والذي وقع [بالتجربة] : أنَّ المبتدئَ إذا اختلَّى لا بدَّ له من رعاية الشرائط الجُنَيْدِيَّةِ ؛ لأنَّه مُحتاجٌ إلى تسخير الطبع الحيواني ، وذا بترك المنام مطلقاً ، وأمَّا المُتَوَسِّطُ صاحبُ القلبِ المسخر للطبع له أن ينام عن غلبةٍ لدفعِ ثِقَلِ النفسِ عن القلبِ ، وتخليصِ القلبِ عن تقاضي النفسِ حقَّها . من هامش (ح) .

(٣) يعني : بكلمةِ (لا إِلَهَ) : ينفي عن القلبِ ما سِوَاهُ ، ويطرحه على قفاه ، وبكلمةِ (إلا اللهُ) : يُثَبِّتُ قدمَ اللهِ بنعتِ (كان اللهُ ولم يكن معه شيءٌ ، والآنَ كما كان) . من هامش (ج) .

(٤) من غيرِ استعجالٍ واستبطاءٍ ، ومن [غيرِ] تَضَجُّرٍ وتَسَخُّطٍ بالسَّدِّ والصَّدِّ وزوالِ الحالِ ، بل يكونُ دائمَ الرضا بما يفعلُهُ المحبوبُ المولى ، وقد قيل : (الهجرُ باختيارِ المحبوبِ خيرٌ من الوصلِ باختيارِ المُحِبِّ) ، وهذا لأنَّ اختيارَ المُحِبِّ بوجوده ، ووجوده حجابٌ على مشهوده . من هامش (ح) .

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ فِي الْأَرْبَعِينَ وَالْخُلُوةَ : فَالْأُولَى : أَنْ يَقْنَعَ بِالْخُبْزِ
وَالْمِلْحِ^(١) ، وَيَتَنَاوَلَ كُلَّ لَيْلَةٍ رَطْلًا وَاحِدًا ، يَتَنَاوَلُهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَإِنْ
قَسَمَهُ نِصْفَيْنِ يَأْكُلُ أَوَّلَ اللَّيْلِ نِصْفَ رَطْلٍ ، وَآخِرَ اللَّيْلِ نِصْفَ رَطْلٍ ، فَيَكُونُ
ذَلِكَ أَخْفَافًا لِلْمَعِدَةِ ، وَأَعُونَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَإِحْيَائِهِ بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ ، وَإِنْ
أَرَادَ آخَرَ فُطُورَهُ إِلَى السَّحْرِ .

وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى تَرْكِ الْإِدَامِ . . يَتَنَاوَلُ الْإِدَامَ ، وَإِنْ كَانَ الْإِدَامُ شَيْئًا يَقُومُ
مَقَامَ الْخُبْزِ . . يَنْقُصُ مِنَ الْخُبْزِ بِقَدَرِ ذَلِكَ ، وَإِنْ أَرَادَ التَّقْلِيلَ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ
أَيْضًا . . يَنْقُصُ كُلَّ لَيْلَةٍ دُونَ اللَّقْمَةِ ؛ بِحَيْثُ يَنْتَهِي تَقْلِيلُهُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنَ
الْأَرْبَعِينَ إِلَى نِصْفِ رَطْلٍ .

وَإِنْ قَوِيَ قَنَعُ النَّفْسِ بِنِصْفِ رَطْلٍ مِنْ أَوَّلِ الْأَرْبَعِينَ ، وَنَقَصَ سِيرًا كُلَّ
لَيْلَةٍ بِالتَّدْرِيجِ ، حَتَّى يُعِيدَ فُطُورَهُ إِلَى رُبْعِ رَطْلٍ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ .

وَقَدْ اتَّفَقَ مَشَايِخُ الصُّوفِيَّةِ : عَلَى أَنَّ بِنَاءَ أَمْرِهِمْ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : قِلَّةُ
الطَّعَامِ ، وَقِلَّةُ الْمَنَامِ ، وَقِلَّةُ الْكَلَامِ ، وَالْإِعْتَزَالُ عَنِ النَّاسِ .

وَقَدْ جُعِلَ لِلْجُوعِ وَقْتَانِ :

أَحَدُهُمَا : آخِرُ الْأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ سَاعَةً ، فَيَكُونُ الرَّطْلُ لِكُلِّ سَاعَةٍ نِصْفَ
أَوْقِيَّةٍ بِأَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ^(٢) ، يَجْعَلُهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، أَوْ يَقْسِمُهَا أَكْلَتَيْنِ كَمَا
ذَكَرْنَا .

(١) لِأَنَّ الْاِقْتِسَارَ عَلَى حَدِّ الضَّرُورَةِ مِنْ ضَرُورَةِ حَالِ الطَّالِبِ الْمُحِبِّ ، وَمَا عَدَا الْخُبْزَ
وَالْمِلْحَ لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ ، وَالْمِلْحُ لِرِعَايَةِ السُّتَةِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

(٢) فِي (أ ، ز) : (سِدْسُ أَوْقِيَّةٍ) بَدَلِ (نِصْفِ أَوْقِيَّةٍ) ، وَفِي (ج ، هـ ، و ، ي) : =

والوقت الآخر : على رأس اثنتين وسبعين ساعة ، فيكون الطي ليلتين والإفطار في الليلة الثالثة^(١) ، ويكون لكل يوم و ليلة ثلاث رطل .

وبين هذين الوقتين وقت ؛ وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة ، ويكون لكل يوم و ليلة نصف رطل .

وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج ذلك عليه سامة وضجراً ، وقلة انشراح في الذكر والمعاملة ، فإذا وجد شيئاً من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين أو وقت واحد .

والنفس إذا أخذت بالإفطار من كل ليلتين ليلة ، ثم ردت إلى إفطار كل ليلة . . تقنع ، وإن سومت بإفطار كل ليلة . . لا تقنع بالرطل وتطلب الإدام والشهوات ، وقس على هذا ؛ فهي إن أطمعت طمعت ، وإن قنعت قنعت^(٢) .

وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرُدَّ النفس إلى أقل قوتها .
ومن الصالحين من كان يُعيرُّ القوت بنوى التمر ؛ ينقص كل ليلة نواة .
ومنهم من كان يُعيرُّ بعود رطب ، وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود .

= (أوقية) ، وكذلك في (د) إلا أن فيها : (ساعتين) بدل (ساعة) ، والأوقية : ربع رطل ، والرطل : مئة وثلاثون - وقيل : مئة وثمانية وعشرون - درهماً ، والدرهم : ثلاثة غرامات تقريباً .

(١) في غالب النسخ : (فيكون طي) بدل (فيكون الطي) .

(٢) في هامش (و) : وفيه قيل وأنشد : [من الطويل]

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى فإن أطمعت تافئت وإلا تسَلَّتْ

ومنهم مَنْ كَانَ يَنْقُصُ كُلَّ لَيْلَةٍ رُبْعَ سُبْعِ الرَّغِيفِ ، حَتَّى يَفْنَى الرَّغِيفُ فِي شَهْرٍ .

ومنهم مَنْ كَانَ يُؤَخِّرُ الْأَكْلَ ، وَلَا يَعْمَلُ فِي تَقْلِيلِ الْقَوَاتِ ، وَلَكِنْ يَعْمَلُ فِي تَأْخِيرِهِ بِالتَّدْرِيجِ ، حَتَّى تَنْدَرِجَ لَيْلَةٌ فِي لَيْلَةٍ ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ حَتَّى انْتَهَى طَيْبُهُمْ إِلَى سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَعَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَخَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا ، إِلَى أَرْبَعِينَ .

وَقَدْ قِيلَ لِسَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : هَذَا الَّذِي يَأْكُلُ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ وَأَكْثَرَ أَكَلَةً أَيْنَ يَذْهَبُ لَهُبُ الْجُوعِ عِنْدَهُ ؟ قَالَ : يُطْفِئُهُ النُّورُ .

وَقَدْ سَأَلْتُ بَعْضَ الصَّالِحِينَ عَنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ لِي كَلَامًا بِعِبَارَةٍ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ يَجِدُ فَرَحًا بِرَبِّهِ يَنْطَفِئُ مَعَهُ لَهُبُ الْجُوعِ ، وَهَذَا فِي الْخَلْقِ وَاقِعٌ ؛ أَنَّ الشَّخْصَ يَطْرُقُهُ فَرَحٌ وَقَدْ كَانَ جَائِعًا ، فَيَذْهَبُ عَنْهُ الْجُوعُ ، وَهَكَذَا فِي طَرَفِ الْخَوْفِ يَقَعُ ذَلِكَ .

وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَدَرَجَ نَفْسُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْسَامِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا . لَا يُؤَثِّرُ ذَلِكَ فِي نَقْصَانِ عَقْلِهِ وَاضْطِرَابِ جَسَمِهِ ، إِذَا كَانَ فِي حِمَايَةِ الصَّدَقِ وَالْإِحْلَاصِ ، وَإِنَّمَا يُخْشَى فِي ذَلِكَ وَفِي دَوَامِ الذِّكْرِ عَلَى مَنْ لَا يُخْلِصُ لِلَّهِ تَعَالَى .

وَقَدْ قِيلَ : (حُدُّ الْجُوعِ : أَلَّا يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَبْزِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يُؤْكَلُ ، وَمَتَى عَيَّنَتِ النَّفْسُ الْخَبْزَ فَلَيْسَ بِجَائِعٍ)^(١) .

وهذا المعنى قد يوجد في آخرِ الحَدِيثِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَهَذَا جُوعٌ

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٧٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٢٢ / ٥) .

الصَّادِقِينَ ، وطلبُ الغذاءِ عندَ ذلكَ يكونُ ضرورةً لِقِوَامِ الجسدِ والقيامِ بفرائضِ العُبوديَّةِ ، ويكونُ هذا حدَّ الضرورةِ لِمَنْ لا يجتهدُ في التقليلِ بالتدرِجِ ، فأَمَّا مَنْ دَرَجَ نَفْسَهُ في ذلكَ فقد يصبرُ على أكثرَ مِنْ هذا إلى الأربعينَ كما ذَكَرْنَا .

وقد قالَ بعضهمُ : (حدُّ الجوعِ : أنْ يَبْزُقَ ؛ فإذا لم يقعِ الذُّبابُ على بُزاقِهِ^(١) . . يَدُلُّ على خُلُوءِ المَعِدَةِ مِنَ الدُّسُومَةِ ، وشفاءُ البُزاقِ كالماءِ الذي لا يَقْصِدُهُ الذُّبابُ)^(٢) .

رُويَ أَنَّ سفيانَ الثَّورِيَّ وإبراهيمَ بنَ أدهمَ رحمَهُما اللهُ كانا يَطْوِيانِ ثلاثاً ثلاثاً^(٣) .

وكانَ أبو بكرٍ الصَّديقُ رضيَ اللهُ عَنْهُ يَطْوِي سِتّاً^(٤) .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ رضيَ اللهُ عَنْهُ يَطْوِي سبعةَ أيامٍ^(٥) .

واشتهَرَ حالُ جَدِّنا مُحَمَّدِ ابنِ عبدِ اللهِ المعروفِ بـ (عَمُويَه) ، وكانَ

(١) زاد في نسخة على هامش (د) : (فهو جائع فإنه) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٧٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٢٣ / ٥) ، وقال بعده : (ومعرفة ذلك غامض ؛ فالصواب للمريد : أن يُقَدَّرَ مع نفسه القَدَرُ الذي لا يُضَعِّفُهُ عن العبادة التي هو بصددِها ، فإذا انتهى إليه وقفَ وإن بقيت شهوته) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٢٥ / ٥) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٢٥ / ٥) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٢٥ / ٥) .

صاحب أحمد الأسود الدينوري . . أنه كان يطوي أربعين يوماً .

وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطّي : رجل أدرّكنا زمانه وما رأيناه ،
كان في أنهر ، يقال له : الزاهد خليفة ؛ كان يأكل في كل شهر لوزة ، ولم
نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطّي والتدرّج إلى هذا الحد ، وكان في
أول أمره على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ، ثم طوى حتى انتهى إلى
اللوزة في الأربعين^(١) .

فقد سلك هذا الطريق^(٢) جمع من الصادقين ، وقد يسلك غير الصادق
هذا ؛ لوجود هوى مستكن في باطنه ، يهوّن عليه ترك الأكل إذا كان له
استحلاء نظر الخلق ، وهذا عين النفاق^(٣) ، نعوذ بالله من ذلك .

والصادق ربّما يقدر على الطّي إذا لم يعلم بحاله أحد ، وربّما يضعف إذا
علم بأنه يطوي ؛ فإن صدقه في الطّي ونظره إلى من يطوي لأجله . . يهوّن
عليه الطّي ، فإذا علم به أحد تضعف عزمته في ذلك ، وهذا علامة
الصادق ، فمهما أحس في نفسه أنه يحب أن يرى بعين التقليل . . فليتهّم
نفسه ؛ فإن فيه شائبة نفاق .

ومن يطوي لله خالصاً يعوّضه الله تعالى فرحاً في باطنه ينسيه الطعام ،
وقد لا ينسى الطعام ، ولكن لامتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح

(١) ذكر الغزالي في « الإحياء » (٣٢٦ / ٥) أن بعض رجال هذه الطائفة طوى إلى ستين
يوماً ، وأورد في ذلك قصة عجيبة .

(٢) أي : التقليل والطّي . من هامش (ح) .

(٣) لأنه جمع بين نظر الخلق ونظر الحق ؛ كالمناق الذي يجمع بين مصلح الكفر
والإيمان . من هامش (ح) .

الرُّوحَانِيَّ ، فَيَجْذِبُهُ إِلَى مَرْكَزِهِ وَمُسْتَقَرِّهِ مِنَ الْعَالَمِ الرُّوحَانِيِّ ، وَيَقْفُو بِذَلِكَ
عَنْ أَرْضِ الشَّهْوَةِ النَّفْسَانِيَّةِ^(١) .

وَمَا أَثَرُ جَاذِبِ الرُّوحِ إِذَا تَخَلَّفَ عَنْهُ جَاذِبُ النَّفْسِ عِنْدَ كَمَالِ طُمَأْنِينَتِهَا ،
وَانْعِكَاسِ أَنْوَارِ الرُّوحِ عَلَيْهَا بِوَاسِطَةِ الْقَلْبِ الْمُسْتَنِيرِ . . بِأَقْلٍ مِنْ جَاذِبِ
الْمِغْنَاطِيسِ لِلْحَدِيدِ ؛ إِذِ الْمِغْنَاطِيسُ يَجْذِبُ الْحَدِيدَ لِرُوحٍ فِي الْحَدِيدِ مُشَاكِلاً
لِلْمِغْنَاطِيسِ ، يَجْذِبُهُ بِنَسَبَةِ الْجِنْسِيَّةِ الْخَاصَّةِ .

فَإِذَا تَجَنَّسَتِ النَّفْسُ بِانْعِكَاسِ نُورِ الرُّوحِ الْوَاصِلِ إِلَيْهِ بِوَاسِطَةِ الْقَلْبِ . .
يَصِيرُ فِي النَّفْسِ رُوحٌ اسْتَمَدَّهَا الْقَلْبُ مِنَ الرُّوحِ ، وَأَدَّاهَا إِلَى النَّفْسِ ،
فَيَجْذِبُ الرُّوحُ النَّفْسَ بِجِنْسِيَّةِ الرُّوحِ الْحَادِثِ فِيهَا ، فَتَزْدَرِي الْأَطْعَمَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ
وَالشَّهَوَاتِ الْحَيَوَانِيَّةَ ، وَيَتَحَقَّقُ عِنْدَهُ مَعْنَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « أَيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي »^(٢) .

وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ^(٣) إِلَّا عَبْدٌ تَصِيرُ أَعْمَالُهُ وَأَقْوَالُهُ وَسَائِرُ أَحْوَالِهِ
ضَرُورَةً ، فَيَتَنَاوَلُ مِنَ الطَّعَامِ أَيْضاً ضَرُورَةً ، وَلَوْ تَكَلَّمَ مِثْلًا بِكَلِمَةٍ مِنْ غَيْرِ
ضَرُورَةٍ . . التَّهَبَ فِيهِ نَارُ الْجُوعِ التَّهَابَ الْحَلْفَاءَ بِالنَّارِ^(٤) ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ الرَّاقِدَةَ

(١) يقفو : يتباعد .

(٢) رواه البخاري (١٩٦٥) ، ومسلم (١١٠٣) ، والبخاري في « مسنده » (٩٠٠٨) واللفظ
له عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) من الطي والتدريج ونسيان الطعام ، وامتلاء القلب بالأنوار . من هامش (ح) .

(٤) الحلفاء : نوع من النبات المرّ ، وقلماً تنبت إلا قريباً من ماء أو بطن واد ، وهي غليظة
المسّ ، لا يكاد أحدٌ يقبض عليها مخافة أن تقطع يده ، وقد يأكل منها الإبل والغنم أكلاً
قليلاً ، وهي أحبُّ نبتٍ إلى البقر .

تستيقظ بكل ما يُوقظها^(١) ، وإذا استيقظت انتزعت إلى هواها .

فالعبد المُرَادُ بهذا^(٢) إذا فطنَ لسياسةِ النَّفسِ^(٣) ، ورزقَ العِلْمَ . . سهلَ عليه الطَّيُّ ، وتداركه المعونة من الله تعالى ، لا سيَّما إن كُوشِفَ بشيءٍ من المِنَحِ الإلهية^(٤) .

وقد حكى لي فقيرٌ أَنَّهُ اشتدَّ به الجوعُ ، وكان لا يطلب ولا يتسبَّبُ ، قال : فلمَّا انتهى جوعي إلى الغاية بعدَ أَيَّامٍ . . فُتِحَ عليَّ بُتْفَاحَةٌ ، قال : تناولتُ التُّفَّاحَةَ وقصدتُ أكلها ، فلمَّا كسرتها كُوشِفَتْ بحوراءَ نظرتُ إليها عَقِيبَ كَسْرِ التُّفَّاحَةِ ، فحدَّثَ عندي مِنَ الفَرَحِ بذلك ما استغنيتُ به عن الطعامِ أَيَّاماً ، وذكرَ لي أَنَّ الحوراءَ خرجتُ مِنْ وَسَطِ التُّفَّاحَةِ .

والإيمانُ بالقُدرةِ ركنٌ مِنْ أركانِ الإيمانِ ، فسَلِّمْ ولا تُنكِزْ .

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله التُّستَرِيّ رحمهُ الله : (مَنْ طَوَى أَرْبَعِينَ يَوْماً ظَهَرَتْ لَهُ الْقُدْرَةُ مِنَ الْمَلَكُوتِ)^(٥) .

وكانَ يقولُ : (لا يزهْدُ العبدُ حَقِيقَةَ الزُّهْدِ الَّذِي لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهِ)^(٦) .

(١) من مَشَاهِيقِها ، وشهوةُ الكلامِ لها قوةٌ عظيمةٌ كشهوةِ الطعامِ ، بل في بعضِ أقوى . من هامش (ح) .

(٢) أي : الطَّيُّ والتقليلُ بالتدرِجِ . من هامش (ح) .

(٣) وضبطها وإيقافها على حدِّ الضرورة . من هامش (ح) .

(٤) بورود الأنوار ، ومعرفة الأسرار والتجليات ، وسائر الكرامات . من هامش (ح) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٧٦) ، والغزالي في « الإحياء »

(٣٢٥ / ٥) دون نسبة ، وقال في تفسير قوله : (ظهرت له قدرةٌ من الملكوت) :

(أي : كُوشِفَ ببعض الأسرار الإلهية) .

(٦) في (ج) و « القوت » : (مشوبة) بدل (مثنوية) .

إلا بمُشاهدةِ قُدْرَةٍ مِنَ الْمَلَكُوتِ (١) .

قال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله عليه : (عَرَفْنَا مَنْ طَوَى أَرْبَعِينَ يوماً برياضةِ النَّفْسِ في تأخيرِ القوتِ ؛ كَانَ يُؤَخِّرُ فِطْرَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى نِصْفِ سَبْعِ اللَّيْلِ ، حَتَّى يَطْوِيَ لَيْلَةً فِي نِصْفِ شَهْرٍ ، فَيَطْوِي الْأَرْبَعِينَ فِي سَنَةٍ وَأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَتَنْدَرِجُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى تَكُونَ الْأَرْبَعُونَ بِمَنْزِلَةِ يَوْمٍ وَاحِدٍ) (٢) .

وَذَكَرَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ ظَهَرَتْ لَهُ آيَاتٌ مِنَ الْمَلَكُوتِ ، وَكُوْشِفَ بِمَعَانِي قُدْرَةٍ مِنَ الْجَبَرُوتِ ، تَجَلَّى اللَّهُ لَهُ بِهَا كَيْفَ شَاءَ (٣) .

وَعَلِمَ : أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الطَّيِّ وَالتَّقَلُّلِ لَوْ أَنَّهُ عَيْنُ الْفَضِيلَةِ مَا فَاتَ أَحَدًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْلُغُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَقْصَى غَايَاتِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ لَذَلِكَ فَضِيلَةً لَا تُنْكَرُ ، وَلَكِنْ لَا تَنْحَصِرُ مَوَاهِبُ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَدْ يَكُونُ مَنْ يَأْكُلُ كُلَّ يَوْمٍ أَفْضَلَ مِمَّنْ يَطْوِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَقَدْ يَكُونُ مَنْ لَا يُكَاشِفُ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْقُدْرَةِ أَفْضَلَ مِمَّنْ يُكَاشِفُ بِهَا إِذَا كَاشَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصِرْفِ الْمَعْرِفَةِ ؛ فَالْقُدْرَةُ أَثَرٌ مِنَ الْقَادِرِ .

وَمَنْ أَهْلَ لِقُرْبِ الْقَادِرِ لَا يَسْتَغْرِبُ وَلَا يَسْتَكْثِرُ شَيْئًا مِنَ الْقُدْرَةِ ، وَيَرَى الْقُدْرَةَ تَتَجَلَّى لَهُ مِنْ سُجُفِ أَجْزَاءِ عَالَمِ الْحِكْمَةِ (٤) ، فَإِذَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ لِلَّهِ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٣٧٦ / ٣) .

(٢) قوت القلوب (١٣٧٦ / ٣) .

(٣) قوت القلوب (١٣٧٦ / ٣) .

(٤) الشُّجْفُ : جمع (سِجَاف) ؛ وَهُوَ السُّتْرُ .

تعالى أربعين صباحاً ، واجتهدَ في ضبطِ أحواله بشيءٍ من الأنواع التي ذكرناها من العملِ والذكرِ والقوتِ وغير ذلك^(١) . . تعودُ بركةُ تلكَ الأربعينَ على جميعِ أوقاته وساعاته ، وهو طريقٌ حسنٌ اعتمده طائفةٌ من الصالحين .

وكان جماعةً من الصالحين يختارون الأربعين أن تكونَ ذا القعدةِ وعشرَ ذي الحجة ، وهو أربعونَ موسى عليه السلام .

(٧١) - أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة ، قال : أخبرنا أبو منصورٍ محمدُ بنُ عبد الملك بن خَيْرُونِ إجازة ، قال : أخبرنا أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عليٍّ الجَوْهَرِيُّ إجازة ، قال : أخبرنا أبو عَمَرَ محمدُ بنُ العباسِ^(٢) ، قال : حدَّثنا أبو محمدٍ يحيى بنُ محمدٍ بنِ صاعدٍ ، قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ الحسنِ المَرْوَزِيُّ ، قال : أخبرنا عبدُ الله بنُ المبارك ، قال : حدَّثنا أبو مُعاوية الضَّرِيرُ ، قال : حدَّثنا الحَجَّاجُ ، عن مكحولٍ قال : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ تَعَالَى الْعِبَادَةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً . . ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ »^(٣) .



(١) في (ي) ونسخة على هامش (د) : (وتقليل القوت) بدل (والقوت) .

(٢) هو الإمام المُحدِّث الثقة ابن حَيَّوِيَه البغدادي الخزاز . انظر (٢٢١ / ١) .

(٣) سبق تخريجه في (٤٧ / ١) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ قراءة على الشيخ الحافظ جلال الدين ، كاتبه عبد السلام المقدسي) .

محتوى الجزء الأول

٧	بين يدي الكتاب
١٣	تقريظ الكتاب بقلم الدكتور محمد ياسر القضماني
١٧	ترجمة الإمام السهروردي
٤٨	كلمة موجزة عن التصوف ، وكتاب « عوارف المعارف »
٦٦	منهج العمل في الكتاب
٧٣	وصف النسخ الخطية
٨٩	صور من المخطوطات المستعان بها
١٠٣	عقيدة السهروردي
١٠٩	وصية السهروردي
١١٧	« القصيدة الشريشية »
١١٩	كلمة موجزة عن « القصيدة الرائية » ومؤلفها تاج الدين الشريشي
١٢٥	القصيدة الشريشية
١٤٩	« عوارف المعارف »
١٥١	خطبة الكتاب
١٥٥	الداعي إلى تأليف الكتاب
١٥٦	محتوى الكتاب

الباب الأول :	في ذكر منشأ علوم الصوفية	١٦٣
الباب الثاني :	في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع	١٧٩
الباب الثالث :	في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها	١٩٩
الباب الرابع :	في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم	٢٣٢
الباب الخامس :	في ماهية التصوف	٢٤٥
الباب السادس :	في ذكر تسميتهم بهذا الاسم	٢٥٨
الباب السابع :	في ذكر المتصوف والمتشبه به	٢٧١
الباب الثامن :	في ذكر الملامتي وشرح حاله	٢٨٤
الباب التاسع :	في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم	٢٩٦
الباب العاشر :	في شرح رتبة المشيخة	٣٠٥
الباب الحادي عشر :	في شرح حال الخادم ومن يتشبه به	٣٢٣
الباب الثاني عشر :	في شرح خرقة المشايخ الصوفية	٣٣٠
الباب الثالث عشر :	في فضيلة سكان الربط	٣٤٦
الباب الرابع عشر :	في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة	٣٥٥
الباب الخامس عشر :	في خصائص أهل الربط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به	٣٦٣
الباب السادس عشر :	في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام	٣٧٦
الباب السابع عشر :	فيما يحتاج إليه المسافر في سفره من الفرائض والفضائل	٣٩٧

الباب الثامن عشر :	في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه	٤١٣
الباب التاسع عشر :	في حال الصوفي المتسبب	٤٢٨
الباب العشرون :	في ذكر من يأكل من الفتوح	٤٣٩
الباب الحادي والعشرون :	في شرح حال المتجرد والمتأهل من	
الصوفية وصحة مقاصدهم		٤٥٧
الباب الثاني والعشرون :	في القول في السماع قبلاً وإثارة	٤٧٩
الباب الثالث والعشرون :	في القول في السماع رداً وإنكاراً	٥٠٨
الباب الرابع والعشرون :	في القول في السماع ترفعاً واستغناء	٥١٩
الباب الخامس والعشرون :	في القول في السماع تأديباً واعتناء	٥٣٢
الباب السادس والعشرون :	في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها	
الصوفية		٥٤٦
الباب السابع والعشرون :	في ذكر فتوح الأربعينية	٥٥٩
الباب الثامن والعشرون :	في كيفية الدخول في الأربعينية	٥٧٦
محتوى الجزء الأول		٥٩٠



سُحُوفُ الْمَجَارِدِ

مُتَالِفٌ

شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْإِمَامُ الْقَبِيضَةُ الْعَارِفُ الْعُدَوِيُّ
شَهَابُ الدِّينِ أَبِي خَفْصٍ عُمَرَ الْبَكْرِيُّ الشَّهْرُورِيُّ
(٥٣٩ - ٦٣٢ هـ)

نُطِّحَ بِالْأَوْصَالِ إِلَى الْخَوَالِجِ
بَعْضُهَا مَقْرُوءٌ عَلَى الصَّيْفِ أَوْ قَرِيبَ الْعَهْدِ بِهِ

وَمَعَكُمْ

وَمِيقَتُهُ، وَنَبْذُهُ مِنْ مَقْبَدَيْهِ، وَرَأْيُهُ الشَّرِيفُ الْبَرُّ الْإِسْمَاءُ:

النُّوَارِ الشَّرَافِ وَشَرِّ النَّوَارِ

مُتَقَنٌّ وَعَلَى عَلَيْهِ
بِلَالُ مُحَمَّدٍ حَاتِمُ السَّقَا



مَقْدَمُهُ
الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ يَا سِرَ الْقَضَائِي

الْحِزْبُ الثَّانِي

كَلَامُ التَّحْقِيقِ
بِشَرْحِهِ





معارف المعارف

تأليف

شيخ الإسلام الإمام الفقيه العارف المربي
شهاب الدين أبي حفص عمر البكري الشهرزوري
(٥٣٩-٦٣٢هـ)

يُطبع بالاعتماد على أصول عديدة نفيسة، بعضها مقروء على الصنف أو قريب العهد به.

محققه وعلّق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الثاني

دار التقوى
دمشق الشام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب : عوارف المعارف

المؤلف : عمر البكري السهرودي

الطبعة الأولى : ١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

الرقم الدولي : 978-9933-610-35-7



لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب
أو أي جزء منه ، وبأي شكل من
الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه
في أي نظام إلكتروني أو
ميكانيكي يمكن من استرجاع
الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك
ترجمته إلى أي لغة أخرى دون
الحصول على إذن خطي مسبق
من الناشر.

دار التَّقْوَى
دمشق الشام

هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ / ١١ ٩٦٣ + / ص . ب : ٣٠٧٢١

جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ / ٩٦٣ + / ٩٤١٩٤٤٣٨٧

daraltaqwa.pu@gmail.com

الباب التاسع والعشرون

في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق

الصُّوفِيَّةُ أَوْفَرُ النَّاسِ حِظًّا مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَأَحَقُّهُمْ بِإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
مِنْ حُسْنِ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ ؛ عَلَى مَا :

(٧٢) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الصَّدْرُ الْأَوْحَدُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ
أَبُو أَحْمَدَ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُ الْمَلِكِ
ابْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْهَرَوِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ
التَّرْيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى
مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ سَوْرَةَ التَّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ حَاتِمٍ الْأَنْصَارِيُّ
الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ : قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ
تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ . . فَأَفْعَلْ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا بُنَيَّ ؛

(١) هو الكروخي .

وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي ، وَمَنْ أَحْيَانِي كَانَ مَعِي فِي
الْجَنَّةِ « (١) .

فَالصُّوْفِيَّةُ أَحْيَوْا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّهُمْ وَفَّقُوا فِي
بَدَايَاتِهِمْ لِرِعَايَةِ أَقْوَالِهِ ، وَفِي وَسْطِ حَالِهِمْ اقْتَدَوْا بِأَعْمَالِهِ ، فَأَثْمَرَ لَهُمْ ذَلِكَ أَنْ
تَحَقَّقُوا فِي نَهَايَاتِهِمْ بِأَخْلَاقِهِ (٢) .

وَتَحْسِينُ الْأَخْلَاقِ لَا يَتَأْتِي إِلَّا بَعْدَ تَرْكِيزِ النَّفْسِ ، وَطَرِيقُ التَّرْكِيزِ بِالِإِذْعَانِ
لِسِيَاسَةِ الشَّرْعِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى
خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [الفلم : ٤] ، لَمَّا كَانَ أَشْرَفَ النَّاسِ وَأَزْكَاهُمْ نَفْسًا . . . كَانَ أَحْسَنَهُمْ
خُلُقًا .

قَالَ مُجَاهِدٌ : (عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) ؛ أَيِ : عَلَى دِينٍ عَظِيمٍ (٣) ، وَالَّذِينَ
مَجْمُوعُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ .

سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
قَالَتْ : كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ (٤) ، قَالَ قَتَادَةُ : (هُوَ مَا كَانَ يَأْتِمُرُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
تَعَالَى وَيَنْتَهِي عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) (٥) .

وَفِي قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) . . . سِرٌّ كَبِيرٌ (٦) ،

(١) سبق تخريجه ، والتعليق عليه ، والتعريف ببعض رجاله . انظر (٢٣٢ / ١) .

(٢) في (ب) : (تَخَلَّقُوا) بدل (تَحَقَّقُوا) ، وعلى هامشه : (تَحَقَّقُوا) من دون إشارة .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٢٩ / ٢٣) ، ورواه أيضاً (٥٢٩ / ٢٣) من تفسير سيدنا
ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) رواه مسلم (٤٧٦) ، وانظر « غنية العارف » (٣٨٧ / ١) .

(٥) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥٤ / ٢٧) ، والبغوي في « تفسيره » (١٨٨ / ٨) .

(٦) في بعض النسخ : (عَظِيمٍ) بدل (كَبِيرٍ) .

وَعِلْمٌ غَامُضٌ ، مَا نَطَقْتُ بِذَلِكَ إِلَّا بِمَا خَصَّهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ؛ مِنْ بَرَكَةِ الْوَحْيِ السَّمَاوِيِّ ، وَصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَخْصِيصِهِ إِيَّاهَا بِكَلِمَةٍ : « خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاءِ » (١) .

وَذَلِكَ (٢) أَنَّ النَّفُوسَ مَجْبُولَةً عَلَى غَرَائِزَ وَطِبَائِعَ هِيَ مِنْ لَوَازِمِهَا وَضُرُورَاتِهَا ؛ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ تَرَابٍ (٣) ، وَلَهَا بِحَسَبِ ذَلِكَ طَبْعٌ ، وَخُلِقَتْ مِنْ صَلْصَالٍ ، وَلَهَا بِحَسَبِ ذَلِكَ طَبْعٌ ، وَهَكَذَا مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ ، وَمِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (٤) ، وَبِحَسَبِ تِلْكَ الْأَصُولِ الَّتِي هِيَ مَبَادِئُ تَكْوُنِهَا اسْتَفَادَتْ صِفَاتٍ مِنَ الْبَهِيمِيَّةِ وَالسَّبْعِيَّةِ وَالشَّيْطَانِيَّةِ ، وَإِلَى صِفَةِ الشَّيْطَانَةِ فِي الْإِنْسَانِ إِشَارَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] ؛ لِدُخُولِ النَّارِ فِي الْفَخَّارِ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴾ [الرحمن : ١٥] (٥) .

(١) أوردته ابن الأثير في « النهاية » (٤٣٨ / ١) ، وهو حديث لا أصل له ، وليس كل حديث وَرَدَ فِيهِ لَفْظُ (الْحُمَيْرَاءِ) يَكُونُ كَذِبًا كَمَا بَالِغٌ فِي ذَلِكَ بَعْضُهُمْ ، وَانْظُرْ « كَشْفُ الْخَفَاءِ » (٣٧٥ / ١) ، وَ« غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (٣٨٨ / ١) ، وَالْحُمَيْرَاءُ : تَصْغِيرُ (حَمْرَاءِ) ؛ وَهِيَ الْبَيْضَاءُ ، وَالْعَرَبُ تُسَمَّى الْبَيْضَ أَحْمَرَ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُعِثُّ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ » .

(٢) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ : (وَتَحْسِينِ الْأَخْلَاقِ لَا يَتَأْتَى إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الْنَفْسِ) . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) قَوْلُهُ : (لِأَنَّهَا) سَقَطَتْ مِنَ النِّسْخِ مَا عَدَا (د) .

(٤) الْحَمَأُ الْمَسْنُونُ : الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُتَغَيَّرُ ، وَالصَّلْصَالُ : الطِّينُ الْيَاسِ الَّذِي لَهُ صَلْصَلَةٌ ، وَالْفَخَّارُ : الطِّينُ بَعْدَ طَبْخِهِ بِالنَّارِ ، وَهُوَ الْخَزْفُ ، وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ ، جَعَلَهُ طِينًا ، ثُمَّ حَمَأً مَسْنُونًا ، ثُمَّ طِينًا ، فَلَا يَخَالِفُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [آل عمران : ٥٩] وَنَحْوُهُ . انْظُرْ « تَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ » (١٧١ / ٥) .

(٥) قَوْلُهُ : (وَخَلَقَ الْجَانَّ) ؛ أَيُ : الْجِنُّ ، أَوْ أَبَا الْجِنِّ ، (مِنْ مَّارِجٍ) مِنْ صَافٍ مِنْ =

والله تعالى بخفيٍ لطفه وعظيم عنايته نزع نصيب الشيطان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ على ما ورد في حديث حليمة بنت الحارث أنها قالت في حديث طويل : فبينما نحن خلف بيوتنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا^(١) . . . جاءنا أخوه يشتد ، فقال : ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض^(٢) ، فأضجعه فشقا بطنه !!

فخرجت أنا وأبوه نشد نحوه ، فنجده قائماً منتقعاً لونه^(٣) ، فاعتنقه أبوه وقال : أي بُني ؛ ما شأنك ؟ قال : « جَاءَنِي رَجُلَانِ عَلِيَهُمَا ثِيَابٌ بَيَاضٌ ، فَأَضْجَعَانِي فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئاً ، فَطَرَحَاهُ ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ » .

فرجعنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمة ؛ لقد خشيت أن يكون ابني هذا قد أصيب ، انطلقني بنا ، فلنرذه إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف .

قالت : فاحتملناه ، فلم تُرغ أمه إلا به قد قدّمنا به عليها ، قالت : ما ردكُما ، قد كنتما عليه حريصين ؟! قلنا : لا والله لا ضير ، إلا أن الله عز وجل قد أدّى عنا وقضينا الذي كان علينا ، وقلنا : نخشى الإتلاف والأحداث^(٤) ، نرذه إلى أهله .

= الدخان ، (من نار) بيان لـ (مارج) ؛ فإنه في الأصل المضطرب ؛ من مرج : إذا اضطرب . « تفسير قاضي » . من هاشم (ح) .

(١) البهم : جمع (بهمة) ؛ وهي الصغيرة من أولاد الغنم والمعز والبقر .

(٢) في (ب ، ج ، ي) : (بيض) بدل (بياض) ، وكذلك في الموضع الآتي ، ويجوز أن يُقرأ (ثياب بياض) بالإضافة .

(٣) يقال : انتقع وامتقع لونه : إذا تغير من هم أو فرح .

(٤) الأحداث : نوب الدهر بما يسوء ويهلك ، واحداً : (حدث) .

فَقَالَتْ : مَا ذَاكَ بِكُمْ ؟ فَاصْدُقَانِي شَأْنُكُمْ ، فَلَمْ تَدْعُنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاها
خَبْرَهُ .

فَقَالَتْ : خَشِيتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ ، كَلَّا وَاللَّهِ مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ ، وَإِنَّهُ
لَكَائِنٌ لَابْنِي هَذَا شَأْنٌ ، أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَبْرِهِ ؟ قُلْنَا : بَلَى .

قَالَتْ : حَمَلْتُ بِهِ ، فَمَا حَمَلْتُ حَمَلًا قَطُّ أَخَفَّ مِنْهُ ، فَأُرِيتُ فِي النَّوْمِ
حِينَ حَمَلْتُ بِهِ كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنِّي نَوْرٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ ، ثُمَّ وَقَعَ حِينَ
وُلِدَتْهُ وَقُوعًا مَا يَقَعُهُ الْمَوْلُودُ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى يَدَيْهِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ،
فَدَعَاهُ عَنْكُمْ^(١) .

فَبَعْدَ تَطْهِيرِ اللَّهِ رَسُولَهُ عَنْ نَصِيبِ الشَّيْطَانِ . . بَقِيَتْ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ
عَلَى حَدِّ نَفُوسِ الْبَشَرِ ؛ لَهَا ظُهُورٌ بِصِفَاتٍ وَأَخْلَاقٍ مُبْقَاةٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ ؛ لَوْجُودِ أُمَمَاتٍ تِلْكَ الصِّفَاتِ فِي نَفُوسِ
الْأُمَّةِ بِمَزِيدٍ مِنَ الظُّلْمَةِ ؛ لَتَفَاوَتْ حَالِ النَّبِيِّ وَحَالِ الْأُمَّةِ ، فَاسْتَمَدَّتْ تِلْكَ
الصِّفَاتُ الْمُبْقَاةُ بِظُهُورِهَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْزِيلَ الْآيَاتِ
الْمُحْكَمَاتِ بِإِزَائِهَا لِقَمْعِهَا ؛ تَأْدِيبًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ، رَحْمَةً خَاصَّةً لَهُ ،
وَعَامَّةً لِلْأُمَّةِ ، مُوزَّعًا نَزُولُ الْآيَاتِ عَلَى الْآنَاءِ وَالْأَوْقَاتِ عِنْدَ ظُهُورِ
الصِّفَاتِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

(١) رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ (٦٣٣٥) ، وَأَبُو يَعْلَى فِي « مَسْنَدِهِ » (٧١٦٣) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي
« الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (٢١٢/٢٤ - ٢١٥) ، وَالْأَجْرِيُّ فِي « الشَّرِيعَةِ » (٩٦٤) عَنْ سَيِّدِنَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرْ « سَبِيلَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ » (٤٧٠/١) وَمَا بَعْدَهَا .

وتثبتُ الفؤادُ بعدَ اضطرابِهِ لحركةِ النَّفْسِ بظهورِ الصِّفَاتِ ؛ لارتباطِ بَيْنِ القلبِ والنَّفْسِ ، وعندَ كُلِّ اضطرابٍ آيَةٌ مُتَضَمِّنَةٌ لخلقِ صالحٍ سَنِيٍّ ؛ إمَّا تصريحاً أو تعريضاً .

كما تحرَّكَتِ النَّفْسُ الشريفةُ النبويَّةُ لَمَّا كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ وصارَ الدَّمُ يسيلُ على الوجهِ المُبارَكِ^(١) ، ورسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يمسحُه ويقولُ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ ؟ ! » ، فأنزلَ اللهُ سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨]^(٢) ، فاكتمى القلبُ النبويُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لباسَ الاضطرابِ ، وفاءً بعدَ الاضطرابِ إلى القرارِ .

فلَمَّا توزَّعتِ الآياتُ على ظهورِ الصِّفَاتِ في مختلفِ الأوقاتِ . . صَفَتِ الأخلاقُ النبويَّةُ بالقرآنِ ؛ ليكونَ خُلُقُهُ القرآنَ ، ويكونَ في إبقاءِ تلكِ الصِّفَاتِ في نفسِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ معنىً مِنْ قولِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « إِنَّمَا أُنْسِيَ لِأُسْنٍ »^(٣) .

(١) الرَّبَاعِيَّةُ : السَّنُّ التي بين الثَّنيَّةِ والنابِ .

(٢) رواه مسلم (١٧٩١) ، وعلَّقَه البخاري قبل رقم : (٤٠٦٩) ، وانظر « غنية العارف » (٣٩١ / ١) .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » (١٠٠ / ١) بلاغاً ، وقال ابن عبد البر في « التمهيد » (٣٧٥ / ٢٤) : (لا أعلمُه يُروى عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بوجه من الوجوه مُسنَداً ولا مقطوعاً من غير هذا الوجه ، والله أعلم ، وهو أحدُ الأحاديثِ الأربعة في « الموطأ » التي لا توجد في غيره مسندةً ولا مرسله ، والله أعلم ، ومعناه صحيحٌ في الأصول) .

وقال الإمام الكبير المُحدِّث ابن مرزوق الخطيب في « جنى الجنتين » مُعَقِّباً على كلام ابن عبد البر - كما نقله الكتَّاني في « فهرسه » (٥٢٣ / ١) - : (توهم بعضُ العلماء أنَّ قولَ الحافظ أبي عمر ابن عبد البر يَدُلُّ على عدم صَحَّتِها ، وليس كذلك ؛ إذ الانفرادُ لا يقتضي عدم الصَّحَّةِ ، لا سيَّما في مثل مالك ، وقد أفردتُ قديماً جزءاً في إسناد هذه =

فبظهور صفاتِ نَفْسِهِ الشريفةِ اسْتَنْزَلَتِ الآيَاتُ لتأديبِ نُفُوسِ الأُمَّةِ وتهذيبِها رحمةً في حقِّهم ؛ حتى تتزَكَّى نُفُوسُهُمْ وتَشْرُفَ أخلاقُهُمْ ؛ قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأَخْلَاقُ مَخْزُونَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى ، فَإِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ خَيْرًا مَنَحَهُ مِنْهَا خُلُقًا » (١) .

وقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » (٢) .

ورُويَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِئَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ خُلُقًا ، مَنْ آتَاهُ وَاحِدًا مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٣) .

= الأربعة الأحاديث ، وقد أسند منها اثنين ، أحدهما في ذكرى وغالبِ ظَنِّي الحافظُ ابنُ أبي الدنيا في « إقليد التقليد » له ، وقد بَيَّنْتُ أسانيدَها في غير هذا المقتضب) .

وقال الكتَّاني بعد أن نقل كلام ابن مرزوق : (وهي فائدة عظيمة يُسَافِرُ لسماعِها ؛ إذ من زمن ابن عبد البر والحُفَاطُ ينقلون كلامَهُ في هذه الأربعة وَيَمُرُّون ، ولا مَنْ تَعَرَّضَ لِإِسْنَادِها ، حتى جاد بما رأيت الحافظُ ابن مرزوق ، وقد تكلَّمت في كتابي « الإفادات والإنشاءات » على وَصْلِ ابن الصلاح لها أيضاً ، والله أعلم) ، وانظر « غنية العارف » (٣٩٢-٣٩١ / ١) .

(١) رواه ابن وهب في « الجامع » (٤٩١) مرسلًا أو معضلاً عن العلاء بن كثير رحمه الله تعالى ، وبنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٦٢١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه أحمد (٣٨١ / ٢) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، والحاكم (٦١٢ / ٢) ، واللفظ فيها : (صالح الأخلاق) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٩١ / ١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٧) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (١٢١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٩١) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فتقديرها وتحديدُها لا يكونُ إلا بوحىِ سماويٍّ لمُرسلِ ونبيٍّ ، واللهُ تعالى أبرزَ إلى الخلقِ أسماءَهُ مُنبِئَةً عن صفاتِهِ سبحانه وتعالى ، وما أظهرَها لهم إلا ليدعوهم إليها ، ولولا أنَّ اللهَ تعالى أودَعَ في القوى البشريةِ التخلُّقَ بهذه الأخلاقِ .. ما أبرزَها لهم دعوةٌ لهم إليها ؛ ﴿يَخْلُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران : ٧٤] .

ولا يبعدُ واللهُ أعلمُ أنَّ قولَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) فيه رمزٌ غامضٌ وإيماءٌ خفيٌّ إلى الأخلاقِ الربَّانيَّةِ ، فاحتشمتُ مِنَ الحضرةِ الإلهيَّةِ أنَّ تقولَ : كانَ مُتَخَلِّقاً بأخلاقِ اللهِ تعالى ، فعبرتُ عنِ المعنى بقولِها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) ؛ استحياءً مِنْ سُبُحاتِ الجلالِ ، وسُتراً للحالِ بُلُطفِ المَقالِ ، وهذا مِنْ وُفُورِ علمِها وكمالِ أدبِها .

وبينَ قولِهِ تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر : ٨٧] ، وبينَ قولِهِ تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] . . مناسبةٌ مُشعِرةٌ بقولِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها : (كانَ خُلُقُهُ القرآنَ) (١) .

قالَ الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيماً ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ سوىِ اللهِ تعالى) (٢) .

وقالَ الواسطيُّ رحمَهُ اللهُ : (لِأَنَّهُ جَادَ بِالْكَوْنَيْنِ عِوَضاً عَنِ الْحَقِّ) (٣) .

(١) يعني : مِنْ حيثُ وصفُهما بالعظمة . من « شرح المكشلات » (ق / ٤٥) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥٤ / ٢٧) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (٣٤٦ / ٥) ، وأورده بنحوه القشيري في « رسالته » (ص ٥٢٩) عن أبي سعيد الخراز رحمه الله تعالى .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٣ / ٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » =

وقيل : لأنه عليه الصلاة والسلام عاشَرَ الخَلْقَ بِخُلُقِهِ وبأَيْنَهُمْ بقلبه^(١) ،
وهذا ما قال بعضهم في معنى التصوُّف : (الخُلُقُ مع الخَلْقِ ، والصَّدُقُ مع
الحق)^(٢) .

وقيل : عَظَمَ خُلُقُهُ حيثُ صَغُرَتِ الأكوانُ في عينِهِ ؛ لمُشاهدةِ
مُكوْنِها^(٣) .

وقيل : سُمِّيَ خُلُقُهُ عَظِيماً ؛ لاجتماعِ مكارِمِ الأخلاقِ فيه^(٤) .
وقد نَدَبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أُمَّتَهُ إلى حُسْنِ الخُلُقِ في
حديثٍ :

(٧٣) - أَخْبَرَنَا بِهِ الشَّيْخُ الصَّدْرُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ
عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُ الْمَلِكِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو نَصْرِ التَّرْيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْحَافِظُ
التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ خِرَاشٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا

= (١٥٤ / ٢٧) ، والقشيري في « رسالته » (ص ٥٢٨) .

(١) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥٤ / ٢٧) ، وزاد : (فكان ظاهرُهُ مع الخَلْقِ ،
وباطنُهُ مع الحق) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥٤ / ٢٧) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز »
(٣٤٦ / ٥) عن بعض الحكماء .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٥٤ / ٢٧) ، وعزاه السلمي في
« تفسيره » (٣٤٤ / ٢) إلى الحسين بن منصور الحلاج .

(٤) أورده الثعلبي في « تفسيره » (١٥٥ / ٢٧) ، والقرطبي في « تفسيره » (٢٢٧ / ١٨) .

حَبَّانُ بْنُ هَلَالٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ [رَبِّهِ] بْنُ سَعِيدٍ^(١) ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ . . الثَّرَثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ » ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ عَلِمْنَا (الثَّرَثَارُونَ) و (الْمُتَشَدِّقُونَ) ، فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ ؟ قَالَ : « الْمُتَكَبِّرُونَ »^(٢) .

وَالثَّرَثَارُ : هُوَ الْمِكْثَارُ يُكْثِرُ مِنَ الْحَدِيثِ ، وَالْمُتَشَدِّقُ : الْمُتَطَاوُلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ^(٣) .

وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْخُلُقُ الْعَظِيمُ : أَلَّا يُخَاصِمَ وَلَا يُخَاصَمَ)^(٤) .

وَقَالَ أَيْضًا : (﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ؛ لَوْ جَدَانِكَ حَلَاوَةَ الْمُطَالَعَةِ عَلَى سِرِّكَ)^(٥) .

(١) فِي النِّسْخِ : (عَبْدُ اللَّهِ) بَدَلَ (عَبْدِ رَبِّهِ) ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ « سَنَّ التِّرْمِذِي » .

(٢) سَنَّ التِّرْمِذِي (٢٠١٨) ، وَرَوَاهُ أَيْضًا الْخِرَائِطِيُّ فِي « مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » (٦٣) ، وَالتَّطَبَّرَانِي فِي « مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » (٦) ، وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْمَدُ (١٩٣/٤) ، وَابْنُ حَبَانَ (٤٨٢) ، وَقَوْلُهُ : (عَلِمْنَا « الثَّرَثَارُونَ » وَ « الْمُتَشَدِّقُونَ ») قَالَ ابْنُ عَلَانَ فِي « دَلِيلِ الْفَالِحِينَ » (٨٥/٥) : (كَذَا هُوَ بِالْوَاوِ فِي الْأَصُولِ عَلَى الْحِكَايَةِ لِمَا وَقَعَ مِنْهُ فِي لَفْظِ الْخَبَرِ ؛ أَيِ : عَرَفْنَا الْمُرَادَ مِنْهُمَا) .

(٣) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلَغَ فِي الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ لِلْجَمَاعَةِ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُقَدِّسِيِّ) .

(٤) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٣٤٣/٢) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي « رِسَالَتِهِ » (ص ٥٢٨) .

(٥) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٣٤٤/٢) .

وقال أيضاً : (لَأَنَّكَ قَبِلْتَ فُتُونَ مَا أَسَدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ نِعَمِي أَحْسَنَ مِمَّا قَبِلَهُ غَيْرُكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ) (١) .

وقال الحسين : (لَأَنَّهُ لَمْ يُؤْثَرْ فِيكَ جَفَاءُ الْخَلْقِ مَعَ مُطَالَعَةِ الْحَقِّ) (٢) .
وقيل : الْخُلُقُ الْعَظِيمُ : لباسُ النُّعُوتِ ، والتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ (٣) ؛ إذ لم يبقَ للأعواضِ عنده خطرٌ (٤) .

وقال بعضهم : (قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٤-٤٥] . . أتمُّ ؛ لَأَنَّهُ حَيْثُ قَالَ : ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ أَحْضَرَهُ ، وَإِذَا أَحْضَرَهُ أَغْفَلَهُ وَحَجَبَهُ ، وقوله : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ ﴾ أتمُّ ؛ لَأَنَّ فِيهِ فَنَاءً) .

وفي قولِ هذا القائلِ نظرٌ ؛ فهلاً قال : إِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَنَاءٌ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ إِبْقَاءٌ وَبِقَاءٌ بَعْدَ فَنَاءٍ ، والبقاءُ أتمُّ مِنَ الْفَنَاءِ ، وهذا أليقُ بِمَنْصِبِ الرِّسَالَةِ ؛ لَأَنَّ الْفَنَاءَ إِنَّمَا عَزَّ لِمُزَاحِمَةِ وَجُودِ مَذْمُومٍ ، فَإِذَا نَزَعَ الْمَذْمُومُ مِنْ

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٤ / ٢) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٤ / ٢) ، والقشيري في « رسالته » (ص ٥٢٩) .

(٣) يعني : صفات الحق ملازماً لذاته ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٢٦] ؛ يعني : إذا صار التقوى ملازماً لذات المُتَّقِي . . فذلك التقوى خير ، ورؤي عن بعضهم أَنَّهُ قَالَ : تَفَكَّرْتُ يَوْماً فِي كَيْفِيَّةِ صَيُورَةِ صِفَاتِ الْحَقِّ وَأَخْلَاقِهِ لِبَاسِ الْعَبْدِ الْمَلَاذِمِ عَلَى بَابِهِ ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ الشَّيْخَ أَبَا يُوسُفَ الْهَمْدَانِي عَلَيْهِ ثَوْبٌ نُسُجٌ فِيهِ مِئَةٌ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكُتِبَ عَلَى مَنْكِبِ آيَةِ الْكَرْسِيِّ ، وَعَلَى مَنْكِبِ (آمَنَ الرَّسُولُ) ، فَقَالَ : هَكَذَا تَصِيرُ صِفَاتُ الْحَقِّ الْخَالِقِ ، لِبَاسَ السَّالِكِ الصَّادِقِ . من هامش (ج) .

(٤) في (ب) : (للأغراض) بدل (للأعواض) ، وفي نسخة على هامش (و) : (للأعراض) .

الوجود وتبدلت التُّعُوثُ . . أي عِزَّةٌ تبقى في الفناء ؟! فيكون حضوره بالله لا بنفسه ، فأئى حُجبة تبقى هنالك ؟!

وقيل : مَنْ أُوتِيَ الخُلُقَ فقد أُوتِيَ أعظمَ المقاماتِ ؛ لأنَّ المقاماتِ ارتباطُ عامٍّ ، والخُلُقُ ارتباطُ بالتُّعُوثِ والصفاتِ^(١) .

وقال الجنيدُ رحمه الله عليه : (اجتمع فيه أربعةُ أشياء : السَّخَاءُ ، والأُلْفَةُ ، والنصيحةُ ، والشفقةُ)^(٢) .

وقال ابنُ عطاءٍ : (الخُلُقُ العظيمُ : ألا يكونَ له اختيارٌ ، ويكونَ تحتَ الحُكْمِ معَ فناءِ النَّفسِ وفناءِ المألوفاتِ)^(٣) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٤ / ٢) ، وقوله : (أعظمَ المقاماتِ . . .) إلى آخره ؛ أي : أكثرَ الأحوالِ والمقاماتِ ، وإنَّما لم يذكرَ الأحوالَ ؛ لدخولها في المقاماتِ ؛ لأنها بدايتها وأولها ، والمعنى : أنَّ الأعمالَ والأحوالَ لها ارتباطُ بعالمِ المُلْكِ والشهادة ، ولها أيضاً اتِّصالٌ وارتباطُ بعالمِ الملكوت ، فما دام الواردات في التحوُّلِ والتغيُّرِ فهو الأحوالُ ، وإذا صارت مُتمكَّنةً صارت مقاماتٍ ، وأمَّا الأخلاقُ فتَجَوَّهَرُ الأحوالِ والمقاماتِ كما ذكر ، ومثال ذلك : التواجد والوَجْدُ والوجود ؛ فإنَّ التواجدَ بدايةُ ظهورِ المطلوب ، والوجدَ حصوله ، والوجودَ تَجَوَّهَرُ ذلك وتمكُّنه في القلب ، وذلك في مقام البقاء عند الفناء ، وكذلك الشكر والصبر ؛ فإنَّ العبدَ يكونُ في البداية شاكراً صابراً في وقتٍ بالإيمان نظراً إلى خواصِّهما وفوائدهما ، ويكونُ في وقتٍ في الكفران والعجلة ، حتى يستقرَّ الشكرُ والصبرُ في القلب ويصيرا مقاماً له ويدوما له ، وفي المقام يثبت الكسب والسعي ، وإذا ارتفع الكسبُ والسعي وتَجَوَّهَرَ الصبرُ والشكرُ في القلب وظهر مناسبتهما بشكوريَّةِ الحقِّ وصُبوريَّةِ المُتَزَهِّينِ عن التبدُّلِ والتحوُّلِ والكسبِ والسعي ، وصارا موصوفين في الثبات والبقاء . . ظهر الارتباطُ الخاصُّ الذي هو التخلُّقُ بأخلاقِ الله تعالى . من هامش (ج) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٤٤ / ٢) .

(٣) رواه السلمي في « تفسيره » (٣٤٥ / ٢) .

وقال أبو سعيد القرشي^(١) : (العَظِيمُ هو اللهُ ، وَمِنْ أخلاقِهِ الجودُ والكرمُ والصَّفْحُ والعفوُ والإحسانُ ؛ ألا ترى إلى قولِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « إِنَّ لِلَّهِ مِثَّةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ خُلُقًا ، مَنْ أَتَى بِوَاحِدٍ مِنْهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » ، فتخلَّقَ بأخلاقِ اللهِ ، فوجدَ الثَّناءَ عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

وقيلَ : عَظَمَ خُلُقُكَ ؛ لأنَّكَ لم تَرَضَ بالأخلاقِ ، وسِرْتَ ولم تسكنَ إلى التَّعَوُّتِ حتَّى وصلتَ إلى الذاتِ (٣) .

وقيلَ : لَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى الحجازِ . . حَجَزَهُ بها عنِ اللَّذَّاتِ والشَّهَوَاتِ ، وألقاهُ في الغُربةِ والجَفْوَةِ ، فلمَّا صُنِّيَ بذلكَ عن دَنَسِ الأخلاقِ . . قالَ لَهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٤) .

(٧٤) - وأخبرنا الشيخُ الصالحُ أبو زُرْعَةَ بنُ الحافظِ أبي الفضلِ مُحَمَّدُ بنِ طاهرٍ المَقْدِسِيُّ ، عن أبيه ، قالَ : أخبرنا أبو عُمَرَ المَلِيحِيُّ (٥) ، قالَ : أخبرنا أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ (٦) ، قالَ : أخبرنا أبو سعيدِ بنُ

(١) هو الإمام الزاهد المُعَمَّرُ شيخُ الصوفية أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصير القرشي الرازي (ت ٣٨٢ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٢٧ / ١٦) .

(٢) أورده السلمى في « تفسيره » (٣٤٥ / ٢) ، والحديث في ضمنه سبق تخريجه في (١١ / ٢) .

(٣) أورده السلمى في « تفسيره » (٣٤٥ / ٢) عن الحسين بن منصور الحلاج .

(٤) أورده السلمى في « تفسيره » (٣٤٥ / ٢) عن أبي بكر الواسطي رحمه الله تعالى .

(٥) في بعض النسخ : (أبو عمرو) بدل (أبو عمر) ، والصواب المثبت ، وهو الإمام الصدوق مسند هَرَاةَ عبدُ الواحد بن أحمد بن أبي القاسم المَلِيحِي الهروي (ت ٤٦٣ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٥٥ / ١٨) .

(٦) هو الإمام المُحدِّثُ الصالح شيخُ الصوفية عبد الله ابن بامويه الأصبهاني (ت ٤٠٩ هـ) ، =

الأعرابي ، قال : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ الْحَجَّاجِ الرَّقِّيُّ^(١) ، قال : حَدَّثَنَا أَيُّوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَزَّانُ ، قال : حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ^(٢) ، قال : حَدَّثَنِي ثَابِتُ [بْنُ] يَزِيدَ^(٣) ، عنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عنِ الزُّهْرِيِّ ، عنِ عُرْوَةَ ، عنِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرَةٌ ، تَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَلَا تَكُونُ فِي ابْنِهِ ، وَتَكُونُ فِي الْإِبْنِ وَلَا تَكُونُ فِي أَبِيهِ ، وَتَكُونُ فِي الْعَبْدِ وَلَا تَكُونُ فِي سَيِّدِهِ ، يَقْسِمُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ السَّعَادَةَ : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَصِدْقُ الْيَأْسِ^(٤) ، وَأَلَّا يَشْبَعَ وَجَارُهُ وَصَاحِبُهُ جَائِعَانِ ، وَإِعْطَاءُ السَّائِلِ ، وَالْمُكَافَأَةُ بِالصَّنَائِعِ ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ ، وَالتَّذَمُّمُ لِلصَّاحِبِ ، وَإِقْرَاءُ الضَّيْفِ ، وَرَأْسُهُنَّ الْحَيَاءُ »^(٥) .

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ،

= من شيوخ الإمام أبي بكر البيهقي والأستاذ أبي القاسم القشيري ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣٩ / ١٧) .

(١) هو أبو الحسن جعفر بن محمد بن الحجاج القطان الرقي . انظر « الجرح والتعديل » (٤٨٨ / ٢) .

(٢) هو أبو العباس الوليد بن الوليد بن زيد القلانسي الدمشقي (ت ٢٢١ هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٣٩ / ١٥ - ٤٤٠) .

(٣) في النسخ : (ثابت عن يزيد) ، والمثبت من « المجروحين » لابن حبان (٨١ / ٣) ، و« لسان الميزان » (٣٩٢ - ٣٩٣ / ٢) .

(٤) أي : صدق اليأس من الناس ، وفي (ب ، هـ ، ز ، ي) و« شعب الإيمان » : (الناس) بدل (اليأس) ، وفي « نواذر الأصول » : (البأس) .

(٥) رواه من طريق أبي محمد بن يوسف البيهقي في « الشعب » (٧٣٢٣) ، ورواه الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (٩٩٧) ، وتَمَّام في « فوائده » (١٧٧٠) ، والتذمُّ للصاحب : حفظ الحرمة والعهد والأمان ، والطرح عن نفسه ذمَّ الناس له إن لم يحفظه ، وانظر « غنية العارف » (٣٩٨ / ٢) .

قَالَ : « تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ » ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ،
فَقَالَ : « الْغَمُّ وَالْفَرَحُ » ^(١) .

وَيَكُونُ هَذَا الْغَمُّ غَمَّ فَوَاتِ الْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَتَضَمَّنُ التَّسَحُّطَ
وَالْتَضَجُّرَ ، وَفِيهِ الْإِعْتِرَاضُ عَلَى اللَّهِ وَعَدَمُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ .

وَيَكُونُ الْفَرَحُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ الْفَرَحَ بِالْحُظُوظِ الْعَاجِلَةِ الْمَمْنُوعِ مِنْهُ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ،
وَهُوَ الْفَرَحُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص : ٧٦] ؛ لَمَّا رَأَى مِفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ .

فَأَمَّا الْفَرَحُ بِالْأَقْسَامِ الْآخِرِيَّةِ فَمَحْمُودٌ يُنَافِسُ فِيهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ
يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس : ٥٨] .

وَقَدْ قِيلَ : هُوَ الْفَمُّ وَالْفَرَجُ ^(٢) .

وَفَسَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ : هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ ، وَبَذْلُ
الْمَعْرُوفِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ^(٣) .

فَالصُّوْفِيَّةُ رَاضُوا نَفُوسَهُمْ بِالْمُكَابَدَاتِ وَالْمُجَاهَدَاتِ حَتَّى أَجَابَتْ إِلَى

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) ، وابن حبان (٤٧٦) ، والحاكم (٣٢٤ / ٤) ، والبيهقي في
« الشعب » (٥٣٧٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي بعض النسخ :
(الأجوفان : الفم والفرج) ، وهو الموافق لمصادر تخريجه ، ثم سقط الكلام فيه إلى
قوله الآتي : (فبذلك فليفرحوا) ، وفي بعضها إلى قوله : (والفرج) ، والمثبت
متلائم مع الموجود في النسخ الأخرى .

(٢) قوله : (هو) ؛ أي : الثابت في الحديث السابق .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٧٠٨) عن السفينانين وفضيل بن عياض وابن المبارك
رحمهم الله تعالى .

تحسين الأخلاق ، وكم من نفس تُجيبُ إلى الأعمال ولا تُجيبُ إلى الأخلاق !! فنُفوسُ العُبادِ أجابتُ إلى الأعمالِ وجمحتُ عن الأخلاقِ ، ونُفوسُ الرُّهَّادِ أجابتُ إلى بعضِ الأخلاقِ دونَ البعضِ ، ونُفوسُ الصُّوفيَّةِ أجابتُ إلى الأخلاقِ الكريمةِ كُلِّها .

(٧٥) - كما أخبرنا أبو زُرْعَةَ إجازةً ، عن أبي بكرِ بنِ خَلْفٍ إجازةً ، عنِ السُّلَمِيِّ قالَ : سمعتُ حسينَ بنَ أحمدَ بنِ جعفرٍ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الكَتَّانِيَّ يقولُ : (التصوُّفُ خُلُقٌ ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي التصوُّفِ)^(١) .

فالْعُبادُ أجابتُ نُفُوسُهُمْ إلى الأعمالِ ؛ لأنَّهُمْ يَسْلُكُونَ بنورِ الإسلامِ ، والرُّهَّادُ أجابتُ نُفُوسُهُمْ إلى بعضِ الأخلاقِ ؛ لكونِهِمْ سَلَكُوا بنورِ الإيمانِ ، والصُّوفيَّةُ أهلُ القُرْبِ سَلَكُوا بنورِ الإحسانِ ، فلمَّا باشرَ بواطنَ أهلِ القُرْبِ والصُّوفيَّةِ نورُ اليقينِ ، وتأصَّلَ في بواطنِهِمْ ذلكَ . . انصلَحَ القلبُ بكلِّ أرجائه وجوانبه ؛ لأنَّ القلبَ يبيضُ بعضُهُ بنورِ الإسلامِ ، وبعضُهُ بنورِ الإيمانِ ، وكلُّهُ بنورِ الإحسانِ والإيقانِ ، فإذا ابيضَّ القلبُ وتنوَّرَ انعكسَ نورُهُ على النَّفْسِ .

وللقلبِ وجهٌ إلى النَّفْسِ ووجهٌ إلى الرُّوحِ ، وللنَّفْسِ وجهٌ إلى القلبِ ووجهٌ إلى الطَّبَعِ والغريزةِ .

والقلبُ إذا لم يبيضَّ كلُّهُ لم يتوجَّهْ إلى الرُّوحِ بكُلِّهِ ، ويكونُ ذا وجهَيْنِ :

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٢٩) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٨٨ / ٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٦ / ٥٤) .

وجه إلى الروح ، ووجه إلى النفس ، فإذا ابيضَّ كله توجه إلى الروح بكله ،
فيتداركه مدد الروح ، ويزداد إشراقاً وتنوراً ، وكلما انجذب القلب إلى
الروح انجذبت النفس إلى القلب ، وكلما انجذبت توجهت إلى القلب
بوجهها الذي يليه ، وتنور النفس ؛ لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي
القلب ، وعلامة تنورها طمأنينتها ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *
أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر : ٢٧-٢٨] .

وتنور وجهها الذي يلي القلب بمثابة نورانية أحد وجهي الصدف
لاكتساب النورانية من اللؤلؤ ، وبقاء شيء من الظلمة على النفس لنسبة
وجهها الذي يلي الغريزة والطبع . . كبقاء ظاهر الصدف على ضرب من
الكدر والنقصان مخالفاً لنورانية باطنه .

وإذا تنور أحد وجهي النفس تجيب إلى تحسين الأخلاق وتبديل
النعوت ؛ ولذلك سمو الأبدال أبدالاً .

والسرُّ الأكبر في ذلك : أن قلب الصوفي بدوام الإقبال على الله تعالى ،
ودوام الذكر بالقلب واللسان . . يرتقي إلى ذكر الذات ، ويصير حيثنذ بمثابة
العرش ، فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة ، والقلب عرش
في عالم الأمر والقدرة .

قال سهل بن عبد الله التستري : (القلب كالعرش ، والصدر كالكرسي) .
وقد ورد عن الله تعالى : « لَا يَسْئُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَيَسْئُنِي قَلْبُ
عَبْدِي الْمُؤْمِنِ »^(١) .

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٤٢٣) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى ، وهو من =

فإذا اكتحل القلب بنورِ ذِكْرِ الذاتِ ، وصارَ بحراً مَوْجاً مِنْ نَسَمَاتِ القُرْبِ . . جرى في جداولِ أخلاقِ النَّفْسِ صفاءُ النُّعُوتِ والصفَاتِ ، وتحقَّقَ التخلُّقُ بأخلاقِ الله .

حُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارْمَزِيِّ^(١) : أَنَّهُ حَكَى عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكُرْكَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ^(٢) : (إِنَّ الْأَسْمَاءَ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ تَصِيرُ أَوْصَافاً لِلْعَبْدِ السَّالِكِ ، وَهِيَ بَعْدُ فِي السَّلُوكِ غَيْرُ وَاصِلٍ)^(٣) .

الإسرائيليات ، ولم يرو مرفوعاً بهذا اللفظ ، ويشهد له ما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٩٧/٦) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « إِنَّ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ آنِيَةٌ ، وَأَحَبُّ آنِيَةِ اللَّهِ إِلَيْهِ مَا رَقَّ مِنْهَا وَصَفَا ، وَآنِيَةُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ » ، وانظر « غنية العارف » (٤٠١/١ - ٤٠٢) .

(١) الفارمزي : نسبة إلى (فارمذ) بسكون الراء - كما في « معجم البلدان » (٢٢٨/٤) - وفتحها ، كما في « الأنساب » (١٢٤/١٠) ، وهي إحدى قرى طوس في خراسان ، وأبو علي الفارمزي : هو شيخ الصوفية في خراسان وزاهدها الكبير الفضل بن محمد بن علي بن الفضل الطوسي الخراساني (ت ٤٧٧هـ) ، وهو من تلاميذ سيدي المُرَبِّي الأستاذ أبي القاسم القُشيري ، ومن شيوخ الإمام الحُجَّة أعجوبة الدهر أبي حامد الغزالي في طريق التصوُّف والتألُّه ، وقال عنه أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (١٢٤/١٠ - ١٢٥) : (لسان خراسان وشيخها ، وصاحب الطريقة الحسنة من تربية المريدين والأصحاب ، وكان مجلسٌ وعظه على ما سمعتُ كروضةٍ فيها أنواعُ الأزهار والثمار) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٥٦٥ ، ١٩/٣٢٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٣٠٤/٥ - ٣٠٦) .

(٢) هو الإمام القدوة الزاهد أبو القاسم عبد الله بن علي بن عبد الله الطوسي الطابري الكُرْكَانِي (ت ٤٦٩هـ) ، وهو من شيوخ أبي علي الفارمزي وأبو زوجته ، وكُرْكَان : مدينة بين طبرستان وخراسان ، وإذا عُرِّبَت قيل : جُرْجَان ، وضُبط (الكُرْكَانِي) في بعض النسخ بفتح الراء المشددة ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/٤٠٥) ، و« معجم البلدان » (٤/٤٥٢) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٩/٢٤١) .

(٣) رواه الغزالي في « المقصد الأسنى » (ص ٣٠٣) .

ويكونُ الشيخُ عني بهذا : أنَّ العبدَ يأخذُ مِنْ كُلِّ اسمٍ وصفاً يُلائمُ ضعفَ
حالِ البشرِ وقُصُورَهُ ؛ مثلُ أنْ يأخذَ مِنْ اسمِ اللهِ تعالى (الرحيم) معنى مِنْ
الرحمةِ على قَدْرِ قُصُورِ البشرِ ^(١) .

وكلُّ إشاراتِ المشايخِ في الأسماءِ والصفاتِ التي هي أعزُّ علومِهِمْ .
على هذا المعنى والتفسيرِ ، وكلُّ مَنْ توهَّمَ بذلكَ شيئاً مِنَ الحُلُولِ . . تزندقُ
وألحدَ .

وقد أوصى رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذاً بوصيةً جامعةً لمحاسنِ
الأخلاقِ ، فقالَ لَهُ : « يَا مُعَاذُ ؛ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ ،
وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ ، وَتَرْكِ الْخِيَانَةِ ، وَحِفْظِ الْجَوَارِ ، وَرَحْمَةِ
الْيَتِيمِ ، وَلَيْنِ الْكَلَامِ ، وَبَذْلِ السَّلَامِ ، وَحُسْنِ الْعَمَلِ ، وَقَصْرِ الْأَمَلِ ،
وَلُزُومِ الْإِيمَانِ ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الْقُرْآنِ ، وَحُبِّ الْآخِرَةِ ، وَالْجَزَعِ مِنَ
الْحِسَابِ ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ تَسُبَّ حَلِيمًا ^(٢) ، أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقًا ، أَوْ تُطِيعَ آثِمًا ، أَوْ تَعْصِيَ
إِمَامًا عَادِلًا ، أَوْ تُفْسِدَ أَرْضًا .

أَوْصِيكَ بِاتِّقَاءِ اللهِ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ وَمَدْرٍ ^(٣) ، وَأَنْ تُحَدِّثَ لِكُلِّ ذَنْبٍ
تَوْبَةً ، السِّرُّ بِالسِّرِّ ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ ^(٤) .

(١) انظر « المقصد الأسنى » (ص ٣٠٤) .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، هـ ، و ، ح) : (حكيماً) .

(٣) في نسخة على هامش (د) : (بذكر الله) بدل (باتقاء الله) ، وهي كذلك في المصادر
الآتية .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١ / ٢٤٠-٢٤١) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » =

فبذلك أدب الله عباده ، ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .
وروى معاذ أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حُفَّ
الإسلام بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب » (١) .

(٧٦) - أخبرنا الشيخ الصدر العالم الأوحى ضياء الدين عبد الوهاب بن
علي بإسناده المتقدم إلى الترمذي قال : حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا
قيصة بن الليث ، عن مطرف ، عن عطاء ، عن أم الدرداء ، عن
أبي الدرداء قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَا مِنْ شَيْءٍ
يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ
دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ » (٢) .

وقد كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَنَّهُ كَانَ أَسْخَى
الناس (٣) ؛ لَا يَبِيتُ عِنْدَهُ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، وَإِنْ فَضَلَ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُعْطِيهِ
وَيَأْتِيهِ اللَّيْلُ . . لَا يَأْوِي إِلَى مَنْزِلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ مِنْهُ (٤) ، وَلَا يَنَالُ مِنَ الدُّنْيَا أَكْثَرَ

(٩٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠٨ / ٥٨) ، ورواه مختصراً الخرائطي
في « مكارم الأخلاق » (١٥٤) ، وانظر « غنية العارف » (٤٠٣ / ١) .

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (٧١٤ / ٤) صدر حديث طويل ، وقال العراقي في
« المغني » (٢٢٩٧) : (لم أقف له على أصل ، ويُغني عنه حديث معاذ الآتي بعده
بحديث) ، وهو الحديث الذي سبق قبل هذا .

(٢) سنن الترمذي (٢٠٠٣) ، ورواه أبو داود (٤٧٩٩) ، وأحمد (٤٤٢ / ٦) دون الشطر
الآخر .

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٣) ، ومسلم (٢٣٠٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ،
وانظر « غنية العارف » (٤٠٤ / ١) .

(٤) رواه البخاري (٨٥١) عن سيدنا عقبة بن الحارث التوفلي رضي الله عنه ، وانظر « غنية
العارف » (٤٠٥ / ١) .

ما يكون قوت عامه ؛ من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله^(١) ، لا يسأل شيئاً إلا يُعطي^(٢) ، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه ، حتى ربّما احتاج قبل انقضاء العام^(٣) .

وكان يَخْصِفُ النعل ، ويرقع الثوب ، ويخدم في مهنة أهله^(٤) ، ويقطع اللحم معهن^(٥) .

وكان أشدّ الناس حياء^(٦) ، وأكثرهم تواضعاً^(٧) ، فصلوات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه^(٨) .



(١) رواه البخاري (٢٩٠٤) ، ومسلم (١٧٥٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٤٠٥ / ١) .

(٢) رواه الدارمي (٧٢) عن سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، وأصله في « البخاري » (٦٠٣٦) عن سيدنا سهل رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٤٠٦ / ١) .

(٣) انظر « غنية العارف » (٤٠٦-٤٠٧) .

(٤) رواه أحمد (٢٤٢ / ٦) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٥٣٨ ، ٥٤٠) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٦٦ / ١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٥) رواه أحمد (٩٤ / ٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٦) رواه البخاري (٦١١٩) ، ومسلم (٢٣٢٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٧) وهذا معلوم من سيرته صلى الله عليه وسلم ، وقد مرّ بعض ذلك ؛ ومنه : ما رواه الترمذي (١٠١٧) وغيره عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويركب الحمار ، ويُجيب دعوة العبد ، وكان يوم بني قريظة على حمارٍ مخطومٍ بحبل من ليفٍ ، عليه إكافٌ ليفٍ) ، وانظر « غنية العارف » (٤٠٨ / ١) .

(٨) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام ، على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الثلاثون

في ذكر تفاصيل أخلاق الصوفية

مِنْ أَحْسَنِ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : التَّوَاضُعُ ، وَلَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ لِبْسَةً أَجْمَلَ مِنَ التَّوَاضُعِ .

وَمَنْ ظَفَرَ بِكَنْزِ التَّوَاضُعِ وَالْحِكْمَةِ . يُقِيمُ نَفْسَهُ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ مَقْدَارًا يَعْلَمُ أَنَّهُ يُقِيمُهُ ، وَيُقِيمُ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَنْ رُزِقَ هَذَا فَقَدْ اسْتَرَاخَ وَأَرَاخَ ؛ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

(٧٧) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَثْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَمْدَانَ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا النَّضْرُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ

(١) هو الإمام المسند العدل أبو عمرو عثمان بن محمد بن عبيد الله المَحْمِيّ النيسابوري المَرْكَبِي (ت ٤٨١هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥٧٩ / ١٨) .

(٢) هو الإمام الثقة أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري المَرْكَبِي (ت ٣٩٧هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٩٧ / ١٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٣ / ٣٢٣) .

(٣) هو الإمام الْمُحَدِّثُ أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان بن المَرْزُبَانِ الهَمْدَانِي الْجَلَّابِ الْجَزَارِ (ت ٣٤٢هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٧٧ / ١٥) .

أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ، وَلَا يَنْغِي بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ »^(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ؛ قَالَ : « عَلَى الْبِرِّ ، وَالتَّقْوَى ، وَالرَّهْبَةِ ، وَذِلَّةِ النَّفْسِ »^(٢) .

وكان من تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يُجيب دعوة الحرِّ والعبد ، ويقبل الهدية ولو أنها جُرعة لبنٍ أو فخذُ أرنبٍ ، ويُكافئ عليها ، ويأكلها ، ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمساكين^(٣) .

(٧٨) - أخبرنا أبو زُرعة إجازة ، عن ابن خلف إجازة ، عن السلمي ، قال : أخبرنا أحمد بن علي المقرئ ، قال : أخبرنا محمد بن المنهال ، قال : حدَّثني أبي ، عن محمد بن جابر [اليَمَامِي]^(٤) ، عن سليمان ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدِّه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) صفوة التصوف (٧٤٧) ، ورواه مسلم (٢٨٦٥) عن سيدنا عياض بن حمار رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٤٠٩ / ١) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (٨٨٠) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (٣٤٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٩ / ٦٧) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٧٤٨) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) لهذا مجموع من عدة أحاديث سبق بعضها في آخر الباب السابق ، وأورد بعضها الغماري في « غنية العارف » (٤١٠-٤١١) .

(٤) في النسخ : (اليماني) ، والمثبت من « سير أعلام النبلاء » (٢٣٨ / ٨) ، وهو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سيَّار بن طلق الشَّحيمي اليمامي (ت بعد ١٧٠ هـ) .

وسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ رَأْسِ التَّوَاضِعِ أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ عَلَى مَنْ لَقِيتَ ، وَتَرُدَّ عَلَى مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ ، وَأَنْ تَرْضَى بِالذُّونِ مِنَ الْمَجْلِسِ ، وَأَلَّا تُحِبَّ الْمِدْحَةَ وَالتَّزْكِيَةَ وَالْبِرَّ » (١) .

وَوَرَدَ أَيْضاً عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ مِنْ غَيْرِ مَنَقَصَةٍ ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْكَنَةٍ » (٢) .

سُئِلَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ التَّوَاضِعِ ، فَقَالَ : خَفَضُ الْجَنَاحِ ، وَلِإِنْ الْجَانِبِ (٣) .

وَسُئِلَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ عَنِ التَّوَاضِعِ ، فَقَالَ : تَخَضُّعٌ لِلْحَقِّ ، وَتَنْقَادُ لَهُ ، وَتَقَبُّلُهُ مِمَّنْ قَالَهُ ، وَتَسْمَعُ مِنْهُ (٤) .

(١) أسنده من طريق أبي عبد الرحمن السلمي ، ورواه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٨) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٦٤٥) من كلام يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى ، ورواه ابن السري في « الزهد » (٨٠٧) ، وابن أبي شبة في « المصنف » (٣٥٦٩١) موقوفاً على سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (١١٤٨) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٧٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٨٢ / ٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧١ / ٥) عن سيدنا ركب المصري رضي الله عنه ، واختلف في صحبته ، وانظر « غنية العارف » (٤١٢ / ١) ، و« الإصابة » (٤١٤ / ٢) ، وفي هامش (ج) : (لَأَنَّ الذَّلَّةَ لِلَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ لِلْعِزَّةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨]) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٣٨٣) .

(٤) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ١١-١٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٤ / ٤٨) ، ورواه بنحوه ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (٨٨) .

وقال أيضاً : (مَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قِيَمَةً فَلَيْسَ لَهُ فِي التَّوَاضُعِ نَصِيبٌ)^(١) .

وقال وهبُ بنُ مُنبِّهٍ : (مَكْتُوبٌ فِي كُتُبِ اللَّهِ^(٢) : إِنِّي أَخْرَجْتُ الذَّرَّ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمْ أَجِدْ قَلْبًا أَشَدَّ تَوَاضُعًا لِي مِنْ قَلْبِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَلِذَلِكَ اصْطَفَيْتُهُ وَكَلَّمْتُهُ)^(٣) .

وقيل : مَنْ عَرَفَ كَوَافِرَ نَفْسِهِ لَمْ يَطْمَعْ فِي الْعُلُوِّ وَالشَّرَفِ ، وَيَسْلُكُ سَبِيلَ التَّوَاضُعِ ؛ فَلَا يُخَاصِمُ مَنْ يَذُمُّهُ ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ لِمَنْ يَحْمَدُهُ .

وقال أبو حفصٍ : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَوَاضَعَ قَلْبُهُ فَلْيَصْحَبِ الصَّالِحِينَ ، وَلْيَلْتَزِمْ بِحُرْمَتِهِمْ^(٤) ، فَمِنْ شِدَّةِ تَوَاضُعِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ يَقْتَدِي بِهِمْ وَلَا يَتَكَبَّرُ) .

وقال لقمانُ : (لِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ ، وَمَطِيَّةُ الْعَمَلِ التَّوَاضُعُ)^(٥) .

وقال الثَّوْرِيُّ : (خَمْسَةُ أَنْفُسٍ أَعَزُّ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا : عَالِمٌ زَاهِدٌ ، وَفَقِيهٌ صُوفِيٌّ ، وَغَنِيٌّ مُتَوَاضِعٌ ، وَفَقِيرٌ شَاكِرٌ ، وَشَرِيفٌ سُنِّيٌّ)^(٦) .

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٣٨٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٩ / ٤٨) .

(٢) في (ب ، ج) : (كتاب) بدل (كتب) ، وعبارة « الرسالة » : (مکتوبٌ في بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٣٨٣) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣ / ٦١) ، والذُّرُّ : النَّسْلُ .

(٤) في (ج) ونسخة على هامش (أ) : (بخدمتهم) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦ / ٦) ضمن خبر طويل ، وفيه : (العقل) بدل (العمل) .

(٦) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٣٨٣-٣٨٤) .

وقال ابنُ الجَلَّا^(١) : (لولا شَرَفُ التواضعِ كُنَّا إذا مشِينَا نَخْطِرُ)^(٢) .

وقال يوسفُ بنُ أسباطٍ وقد سُئِلَ : ما غايةُ التواضعِ ؟ قالَ : أنْ تخرجَ مِنْ بَيْتِكَ فلا تلقى أحداً إلا رأيتُهُ خيراً منك^(٣) .

ورأيتُ شيخنا ضياءَ الدينِ أبا النّجيبِ وكنتُ معهُ في سفرهِ إلى الشامِ وقد بعثَ بعضُ أبناءِ الدنيا لَهُ طعاماً على رُؤوسِ الأسارى مِنَ الإفرنجِ وهم في قُيُودِهِمْ ، فلمّا مُدَّتِ السُّفْرَةُ والأسارى ينتظرونَ الأوانيَ حتى تفرُغَ . . قالَ الشيخُ للخادمِ : أحضِرِ الأسارىَ حتى يقعدوا على السُّفْرَةِ معَ الفقراءِ ، فجاءَ بهم وأقعدَهُمْ على السُّفْرَةِ صفّاً واحداً ، وقامَ الشيخُ مِنْ سَجَّادَتِهِ ومشى إليهم وقعدَ بينهم كالواحدِ منهم ، فأكلَ وأكلُوا ، فظهرَ لنا على وجهِهِ ما نازلَ باطنُهُ مِنْ التواضعِ لله ، والانكسارِ في نفسِهِ ، وانسلاخِهِ مِنَ التكبرِ عليهم بإيمانه وعِلْمِهِ وعَمَلِهِ^(٤) .

(١) بالتشديد والقصر كما نصَّ عليه في « القاموس » (٣٠٧/٤) ، وابنُ الجَلَّا : هو الإمام المُربِّي العارف شيخ الصوفية أبو عبد الله أحمد بن يحيى البغدادي (ت ٣٠٦هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٥٢-٢٥١/١٤) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٩٠/٦) ، ونَخْطِرُ : نتبختر ، وفي (د) : (نتبختر) ، وفي هامش (ج) : وَخَطَرَانُ الرجلِ في مشيته : اهتزازه وتبختره ؛ أي : اعتزازهم بالله تعالى ، كما قيل : [من البسيط]

قَوْمٌ يُخَالِجُهُمْ زَهْوٌ بِسَيِّدِهِمْ والعبدُ يزهو على مقدارِ مولاهُ

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٣٨/٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٦٧) .

(٤) رُوي أنَّ الأسارى كُلَّهُمْ أسلموا ببركة تواضع الشيخ ، وأعتقهم ذلك الحاكمُ وأطلقهم من القيود . من هامش (أ ، ج) .

(٧٩) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرٌ إِجَازَةً ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً ،
عَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ الْفَارِسِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجُرَيْرِيَّ
يَقُولُ : (صَحَّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ لِلدِّينِ رَأْسَ مَالٍ ^(١)) : خَمْسَةٌ فِي الظَّاهِرِ ،
وخمسةٌ فِي الْبَاطِنِ .

فَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الظَّاهِرِ : فَصِدْقٌ فِي اللِّسَانِ ، وَسَخَاوَةٌ فِي الْمِلْكِ ^(٢) ،
وَتَوَاضُعٌ فِي الْأَبْدَانِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَاحْتِمَالُهَا بِلَا إِبَاءٍ ^(٣) .

وَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الْبَاطِنِ : فَحُبٌّ وَجُودٍ سَيِّدِهِ ، وَخَوْفُ الْفِرَاقِ مِنْ سَيِّدِهِ ،
وَرَجَاءُ الْوُصُولِ إِلَى سَيِّدِهِ ، وَالنَّدَمُ عَلَى فَعْلِهِ ، وَالْحَيَاءُ مِنْ رَبِّهِ ^(٤) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : (التَّوَاضُّعُ فِي الْخَلْقِ حَسَنٌ ، وَلَكِنْ فِي الْأَغْنِيَاءِ
أَحْسَنُ ، وَالتَّكَبُّرُ سَمِجٌ فِي الْخَلْقِ ، وَلَكِنْ فِي الْفُقَرَاءِ أَسْمَجٌ) ^(٥) .

وَقَالَ ذُو النُّونِ : (ثَلَاثَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ التَّوَاضُّعِ : تَصْغِيرُ النَّفْسِ مَعْرِفَةً
بِالْعَيْبِ ، وَتَعْظِيمُ النَّاسِ حُرْمَةً لِلتَّوْحِيدِ ، وَقَبُولُ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ مِنْ كُلِّ
أَحَدٍ) ^(٦) .

(١) زاد في (د) : (عشر خصال) .

(٢) في (د) : (في المال) .

(٣) في (ب) : (واحتماله بلا إباء) ، وفي (هـ) : (واحتمال البلاء) ، والضمير على
المثبت يعود على المذكورات الأربعة .

(٤) الفتوة (ص ٨٧) للسُّلَمِيِّ .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٨٨٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٨٤) ،
ودون عزو الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٦٣) .

(٦) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦١/٩ - ٣٦٢) ضمن خبر طويل ، والبيهقي في =

وقيل لأبي يزيد : متى يكون الرجل متواضعاً ؟ قال : إذا لم يرَ لنفسه مقاماً ولا حالاً^(١) ؛ من علمه بشرها وازدراؤها ، ولا يرى أن في الخلق شراً منه^(٢) .

قال بعض الحكماء : (وَجَدْنَا التَّوَاضَعَ مَعَ الْجَهْلِ وَالْبُخْلِ أَحْمَدَ مِنَ الْكِبَرِ مَعَ الْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ)^(٣) .

وقيل لبعض الحكماء : هل تعرفُ نعمةً لا يُحسدُ عليها ، وبلاءً لا يُرحمُ صاحبُهُ عليه ؟ قال : نعم ؛ أمَّا النعمةُ : فالتواضعُ ، وأمَّا البلاءُ : فالكِبَرُ^(٤) .

والكشفُ عن حقيقة التواضع : أن التواضعَ رعايةُ الاعتدالِ بينَ الكِبَرِ والضَّعةِ ؛ فالكِبَرُ رفعُ الإنسانِ نفسه فوقَ قدره ، والضَّعةُ وضعُ الإنسانِ نفسه مكاناً يُزري به ويُفضي إلى تضييعِ حقِّه .

= « الشعب » (٧٨٨٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٣/١٧) - (٤٢٤) .

(١) في النسخ ما عدا (ج) ونسخة على هامش (أ) : (حقاً ما) بدل (مقاماً) .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٦٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٨٣) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (٩٧/١) ، و« جامع بيان العلم وفضله » (٩٥٤) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٣٢٠/١) ، وعزواه إلى بُزْجُمَهْر ، وزادا بعده واللفظ لابن عبد البر : (فَأَعْظَمَ بِحَسَنَةِ عَضَّتْ عَلَى سَيِّئَتَيْنِ !! وَأَفْظَغَ بَعِيْبٍ أَفْسَدَ مِنْ صَاحِبِهِ حَسَنَتَيْنِ !!) .

(٤) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (ص ٢١٣-٢١٤) ، وعزاه إلى بُزْجُمَهْر .

وقد فهم من كثير من إشارات المشايخ في شرح التواضع^(١) . . أشياء إلى حد أقاموا التواضع مقام الضعة ، ويلوح فيه الهوي من أوج الإفراط إلى خضيض التفريط ، ويوهم انحرافاً عن حد الاعتدال ، ويكون قصدهم في ذلك المبالغة في قمع نفوس المريدين ؛ خوفاً عليهم من العجب والكبر ، فقل أن ينفك مُريد في مبادئ ظهور سلطان الحال من العجب ؛ حتى لقد نُقل عن جمع من الكبار كلمات مؤذنة بالإعجاب .

فكل ما نُقل من ذلك القبيل عن المشايخ . . لبقايا السكر عندهم ، وانحصارهم في مضيق سكر الحال ، وعدم الخروج إلى فضاء الصحو في ابتداء أمرهم ، وذلك إذا حدّق صاحب البصيرة نظره يعلم أنه من استراق النفس السمع عند نزول الوارد على القلب ، والنفس إذا استرقت السمع عند ظهور الوارد على القلب . . ظهرت بصفتها على وجه لا يجفو على الوقت وصلافة الحال ، فيكون من ذلك كلمات مؤذنة بالعجب ؛ كقول بعضهم : (من تحت خضراء السماء مثلي ؟ !) .

وقول بعضهم^(٢) : (قَدَمي على رقبته جميع الأولياء)^(٣) .

وكقول بعضهم : (أَسْرَجْتُ وَأَلْجَمْتُ وَطُفْتُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَقُلْتُ :

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ز ، ي) : (انفهم) بدل (فهم) ، وفي (ج) : (يُفهم) .

(٢) في هامش (أ ، ح) : (هو عبد القادر الجيلاني) .

(٣) انظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٢ / ٩٤٢-٩٤٣) ، وقد سئل عن قول سيدي عبد القادر الجيلاني ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص ٥٨١-٥٨٢) .

هل مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فلم يخرجْ إِلَيَّ أَحَدٌ) ؛ إشارة مِنْهُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَفَرُّدِهِ فِي وَقْتِهِ .

وَمَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ اسْتِرَاقِ النَّفْسِ السَّمْعَ . . فَلْيَزِنْ ذَلِكَ بِمِيزَانِ أَحْوَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوَاضُعِهِمْ ، وَاجْتِنَابِهِمْ أَمْثَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَاسْتِعْبَادِهِمْ أَنْ يَجُوزَ لِلْعَبْدِ التَّظَاهُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ نَجْعَلُ لِكَلَامِ الصَّادِقِينَ وَجْهًا فِي الصَّحَّةِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ ذَلِكَ طَفَحَ عَلَيْهِمْ فِي سُكْرِ الْحَالِ ، وَكَلَامُ السُّكَارَى يُحْمَلُ^(١) .

فَالْمَشَايخُ أَرْبَابُ التَّمَكِينِ ، لَمَّا عَلِمُوا أَنَّ فِي النُّفُوسِ هَذَا الدَّاءَ الدَّفِينَ . . بِالْعُودِ فِي شَرْحِ التَّوَاضُعِ إِلَى حَدِّ الْحَقُّوهِ بِالضَّعَةِ تَدَاوِيًا لِلْمُرِيدِينَ . وَالْإِعْتِدَالُ فِي التَّوَاضُعِ : أَنْ يَرْضَى الْإِنْسَانُ بِمَنْزِلَةِ دُوَيْنَ مَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَلَوْ أَمِنَ الشَّخْصُ جُمُوحَ النَّفْسِ لِأَوْقَفَهَا عَلَى حَدِّ تَسْتَحِقُّهُ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْجُمُوحُ فِي جِبِلَّةِ النَّفْسِ ؛ لَكُونِهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، فِيهَا نِسْبَةُ النَّارِ وَطَلَبُ الاسْتِعْلَاءِ بِطَبْعِهَا إِلَى مَرْكَزِ النَّارِ . . احْتَاجَتْ إِلَى التَّدَاوِيِ بِالتَّوَاضُعِ وَإِيقَافِهَا دُوَيْنَ مَا تَسْتَحِقُّهُ ؛ لِئَلَّا يَتَطَرَّقَ إِلَيْهَا الْكِبْرُ .

فَالْكِبْرُ ظَنُّ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَالتَّكَبُّرُ إِظْهَارُهُ ذَلِكَ ، وَهَذِهِ صِفَةُ لَا يَسْتَحِقُّهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمَنْ ادَّعَاهَا مِنَ الْمَخْلُوقِينَ يَكُونُ كَاذِبًا .

(١) فِي (ج) وَنَسَخَةٌ عَلَى هَامِشٍ (أ، ح) : (يُتَحَمَّلُ) ، وَفِي (هـ، ح) : (يُحْتَمَلُ) .

وَالْكِبْرُ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْإِعْجَابِ ، وَالْإِعْجَابُ مِنَ الْجَهْلِ بِحَقِيقَةِ الْمَحَاسَنِ ،
وَالْجَهْلُ الْإِنْسِلَاخُ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ حَقِيقَةً .

وَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَ الْكِبْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل : ٢٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وَقَدْ وَرَدَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعُظَمَةُ إِزَارِي ،
فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ »^(١) ، وَفِي رَوَايَةٍ : « قَذَفْتُهُ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ »^(٢) .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا لِلْإِنْسَانِ فِي طُغْيَانِهِ إِلَى حَدِّهِ : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا
إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] ، وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق : ٥-٦] ، وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا :
قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾
[عبس : ١٧-١٩] .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ الْمُتَكَبِّرِينَ : (أَوْلَكَ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وَآخِرُكَ جِيفَةٌ
قَذِرَةٌ ، وَأَنْتَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ تَحْمِلُ الْعَذْرَةَ)^(٣) .

(١) رَوَاهُ بَنُحُوهُ مُسْلِمٌ (٢٦٢٠) ، وَبَلَفُظَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ » (ص ١٣٨)
عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٩٠) ، وَأَحْمَدُ (٤١٤ / ٢) ، وَابْنُ حِبَانَ (٥٦٧١) ، وَانْظُرْ « غَنِية
الْعَارِفِ » (٤١٧ / ١) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٨٤ / ٢) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ »
(٣٠٣ / ٦١) مِنْ كَلَامِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ لِلْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَالْمَذِرَةُ : الْفَاسِدَةُ ،
وَالْعَذْرَةُ : الْغَائِطُ .

وقد نظّم الشاعرُ هذا المعنى^(١) :

[من مجزوء الرمل]

كَيْفَ يَزْهُو مَنْ رَجِيْعُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ ضَجِيْعُهُ

وإذا ارتحلَ التواضعُ مِنَ القلبِ وسكنَ الكِبَرُ . . ينتشرُ أثرُهُ في بعضِ
الجوارحِ ، ويرشَحُ الإناءُ بما فيه ؛ فتارةً يظهرُ أثرُهُ في العُنُقِ بالتمايلِ ، وتارةً
في الخَدِّ بالتصغيرِ ؛ قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان : ١٨] ،
وتارةً يظهرُ في الرأسِ عندَ استعصاءِ النَّفْسِ ؛ قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ لَوْ أَرَأَوْهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٥] .

وكما أَنَّ للكِبَرِ انقساماً على الجوارحِ والأعضاءِ . . يتشعَّبُ منه شُعَبٌ
بعضُها أَكثَفُ مِنَ البعضِ ؛ كالتَّيِّهِ والزَّهْوِ والعِزَّةِ وغيرِ ذلك^(٢) .

إلا أَنَّ العِزَّةَ تشبهُ بالكِبَرِ مِنْ حَيْثُ الصَّوْرَةُ ، وتختلفُ مِنْ حَيْثُ
الحَقِيقَةُ ؛ كاشتباهِ التواضعِ بالضَّعَةِ ، والتواضعُ محمودٌ ، والضَّعَةُ مذمومةٌ ،
والكِبَرُ مذمومٌ ، والعِزَّةُ محمودَةٌ ؛ قَالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] ، والعِزَّةُ غيرُ الكِبَرِ ، وَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَذَلَّ
نَفْسَهُ .

(١) البيت لابن الرومي في « ديوانه » (١٥٥٢/٤) ، ويزهو : يتكَبَّرُ ، والرَّجِيعُ : بمعنى
العذرة ، وأخذه أيضاً ابن عون ، فنظَّمَهُ فقال :

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصَوْرَتِهِ	وكانَ بِالْأَمْسِ نُظْفَةً مَذِرَةً
وفي غِدِّ بَعْدَ حُسْنِ صَوْرَتِهِ	يَصِيرُ فِي اللَّخْدِ جِيفَةً قَذِرَةً
وهُوَ عَلَى تَيْهِهِ وَنَخْوَتِهِ	ما بَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ

انظر « أدب الدين والدنيا » (ص ٣٧٧) .

(٢) التَّيِّهِ : الكِبَرُ ، ومثله الزَّهْوُ .

فالعِزَّةُ : معرفةُ الإنسانِ بحقيقةِ نَفْسِهِ ، وإِكْرَامُهَا أَلَّا يَضَعَهَا لِأَقْسَامٍ عاجِلَةٍ
دنيويةٍ ، كما أَنَّ الكِبَرَ : جهْلُ الإنسانِ بنفسِهِ ، وإنزالُهَا فوقَ منزلَتِهَا .
قالَ بعضُهُم للحسنِ : ما أعظَمَكَ في نَفْسِكَ !! قالَ : لستُ بعظيمٍ ،
ولكنني عزيزٌ^(١) .

ولمَّا كانتِ العِزَّةُ غيرَ مذمومةٍ ، وفيها مشاكلةٌ بالكِبَرِ . . قالَ اللهُ تعالى :
﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] ؛ فيه إشارةٌ خفيةٌ لإثباتِ
العِزَّةِ بالحقِّ .

والوقوفُ على حدِّ التواضعِ مِنْ غيرِ انحرافٍ إلى الضَّعَةِ . . وقوفٌ على صراطِ
العِزَّةِ المنصوبِ على متنِ نارِ الكِبَرِ ، ولا يُؤَيِّدُ في ذلكَ ولا يثبتُ عليه إلا أقْدَامُ
العلماءِ الراسخينِ ، والسادةِ المُقَرَّبِينَ ، ورؤساءِ الأبدالِ والصَّديقينِ .
قالَ بعضُهُم : (مَنْ تَكَبَّرَ فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ نَذَالَةِ نَفْسِهِ^(٢)) ، وَمَنْ تَوَاضَعَ فَقَدْ
أَظْهَرَ كَرَمَ طَبْعِهِ^(٣) .

وقالَ التِّرْمِذِيُّ : التواضعُ على ضربينِ :

الأوَّلُ : وهو أن يتواضعَ العبدُ لأمرِ اللهِ ونهيهِ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لطلبِ الراحةِ
تتعلَّى في أمرِهِ ، وللشهوةِ التي فيها تهوي في نهيهِ^(٤) ، فإذا وَضَعَ نَفْسَهُ لأمرِهِ
ونهيهِ . . فهو تواضعٌ .

-
- (١) أوردته الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٢ / ٣٢٥) ، و« الذريعة إلى مكارم
الشرعية » (ص ٢١٥) ، وفي بعض النسخ : (للحسن بن علي) بدل (للحسن) .
(٢) في نسخة على هامش (د) : (رذالة) بدل (نذالة) ، والنذالة : السَّفَالَةُ والخِسَّةُ .
(٣) أوردته السلمي في « تفسيره » (١ / ٣٨٨) .
(٤) في النسخ ما عدا (أ) : (والشهوة) بدل (وللشهوة) .

والثاني : أن يضع نفسه لعظمة الله تعالى ، فإن اشتتت نفسه شيئاً ممّا أطلق له من كلّ نوع من الأنواع . . منعها ذلك ، وجملة ذلك : أن يترك مشيئته لمشيئة الله تعالى .

واعلم : أنّ العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس ، وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، فتلين وتنطبع للحق والخلق لمحو آثارها ، وسكون وهجها وغبارها^(١) .

وكان الحظّ الأوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم في أوطان القرب ؛ فيما روت عائشة رضي الله عنها في الحديث الطويل قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة ؛ ظناً مني أنه عند بعض أزواجه ، فطلبتُه في حجر نسائه فلم أجده^(٢) ، فوجدته في المسجد ساجداً كالثوب الخلق وهو يقول في سجوده^(٣) : « سجد لك سواي وخيالي ، وآمن بك فؤادي ، وأقرّ بك لساني ، وهأنذا بين يديك يا عظيم ، يا غافر الذنب العظيم »^(٤) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « سجد لك سواي وخيالي » . . استقصاء

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

(٢) الحُجَر : جمع (حُجرة) ؛ وهي البيت والغرفة .

(٣) الخلق : البالي .

(٤) رواه بنحوه أبو يعلى في « المسند » (٤٦٦١) ، والطبراني في « الدعاء » (٦٠٦) ،

والبيهقي في « الشعب » (٣٥٥٧) ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٢٠-٤٢١) ،

وما سبق في (١ / ٣٢٠) .

في التواضع بِمَحْوِ آثارِ الوجودِ حيثُ لم تتخلَّف ذرَّةٌ عَنِ السجودِ ظاهراً وباطناً .

ومتى لم يكنْ للصُّوفيِّ حظٌّ مِنَ التواضعِ الخاصِّ على بِساطِ القُرْبِ . .
لا يتوفَّرَ حظُّهُ مِنَ التواضعِ للخلقِ ، وهذه سعادةٌ إذا أقبلتْ جاءتْ بكُلِّيتها .
والتواضعُ مِنَ أشرفِ أخلاقِ الصُّوفيةِ^(١) .

وَمِنْ أخلاقِ الصُّوفيةِ : المُداراةُ ، واحتمالُ الأذى مِنَ الخلقِ .

وَبَلَغَ مِنْ مُداراةِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ : أَنَّهُ وَجَدَ قَتِيلًا مِنْ أصحابِهِ بَيْنَ اليهودِ ، فلم يَحِفْ عليهم ، ولم يَزِدْ على مُرِّ الحقِّ ، بل ودَّاهُ بمئةِ ناقةٍ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنَّ بأصحابِهِ لِحاجةً إلى بغيرِ واحدٍ يتقَوَّونَ بِهِ^(٢) .

وكانَ مِنْ حُسْنِ مُداراتِهِ : أَلَّا يَذُمَّ طعاماً^(٣) ، ولا يَنْهَرَ خادماً^(٤) .

(٨٠) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الإمامُ الصَّالِحُ العالِمُ ضياءُ الدِّينِ عَبْدُ الوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الفَتْحِ الكَرُوحِيُّ الهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التَّرْيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو العَبَّاسِ المَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عيسى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ : (خَدَمْتُ رَسولَ اللَّهِ

(١) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

(٢) رواه البخاري (٦١٤٢) ، ومسلم (٢ / ١٦٦٩) عن سيدنا رافع بن خديج وسهل بن أبي حنيفة رضي الله عنهم .

(٣) رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) سيأتي تخريجه في الحديث بعد .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي : أَفَّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لشيءٍ صَنَعْتُهُ : لِمَ صَنَعْتُهُ ؟ وَلَا لشيءٍ تَرَكْتُهُ : لِمَ تَرَكْتُهُ ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا ، وَمَا مَسِسْتُ خَزَأً قَطُّ وَلَا حَرِيرًا وَلَا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَاً قَطُّ وَلَا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) .

فَالْمُدَارَاةُ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ ؛ مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ ، وَالْجِيرَانِ وَالْأَصْحَابِ وَالْخَلْقِ كَافَّةً . . مِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ ، وَبِاحْتِمَالِ الْأَذَى يَظْهَرُ جَوْهَرُ النَّفْسِ .
وقد قيل : (لكلِّ شيءٍ جَوْهَرٌ ، وجَوْهَرُ الْإِنْسَانِ الْعَقْلُ ، وجَوْهَرُ الْعَقْلِ الصَّبْرُ) (٢) .

(٨١) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرٌ ، عَنْ أَبِيهِ الْحَافِظِ الْمَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الصَّرِيفِينِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَبَابَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ ، عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ : مَنْ

(١) سنن الترمذي (٢٠١٥) ، الشَّامِلُ الْمَحْمُودِيَّةُ (٣٤٦) ، وَبَعْضُهُ فِي « الْبَخَارِيِّ » (١٩٧٣ ، ٣٥٦١) ، وَ« مُسْلِمٌ » (٢٣٣٠) ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (٤٢٢ / ١) ، وَفِي هَامِشِ (ج) : (ذِكْرُ لَيْنِ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . . إِشَارَةٌ إِلَى كَمَالِ حَسَنِ خُلُقِهِ وَلَيْنِ سَجِيَّتِهِ ؛ بِحَيْثُ أَثَّرَ فِي كَفِّهِ الَّذِي هُوَ مُحَلُّ الْعَمَلِ الْمَوْجِبُ لِلْخَشَوْنَةِ) .

(٢) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (١٠٩ / ١٠) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي « الشَّعْبِ » (٤٣٥٨) ، وَالسَّلْمِيُّ فِي « الطَّبَقَاتِ » (ص ٥٩) عَنْ الْحَارِثِ الْمُحَاسِنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

هو؟ قال: ابن عمر رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُعَاشِرُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ . خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ »^(١) .

وفي الخبر: « أَيْعِزُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْصَمِ ؟ » قيل: ماذا كان يصنع أبو ضَمْصَمِ؟ قال: « كَانَ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: اَللّٰهُمَّ؛ إِنِّي تَصَدَّقْتُ الْيَوْمَ بِعَرَضِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي، فَمَنْ ضَرَبَنِي لَا أَضْرِبُهُ، وَمَنْ شَتَمَنِي لَا أَشْتِمُهُ، وَمَنْ ظَلَمَنِي لَا أَظْلِمُهُ »^(٢) .

(٨٢) - وأخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو الفتح الهروي، قال: أخبرنا الترياقى، قال: أخبرنا الجرّاحي، قال: أخبرنا المحبوبي، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذي، قال: حدثنا ابن أبي عمير، قال: حدثنا سفيان^(٣)، عن محمد بن المنكدر، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده^(٤)، فقال: « بِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ » أو « أَخُو الْعَشِيرَةِ »، ثم أذن له،

(١) صفوة التصوف (٧٣٨)، مسند ابن الجعد (٧٦٧)، ورواه الترمذي (٢٥٠٧)،

وابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٤٣/٢)، وسبق ترجمة بعض رجال إسناده (٤٢٩/١).

(٢) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٥)، والطبراني في « مكارم الأخلاق »

(٥٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وأبو داود (٤٨٨٧) مرسلًا عن

عبد الرحمن بن عجلان رحمه الله تعالى، وانظر « نتائج الأفكار في تخريج أحاديث

الأذكار » (٤١٦/٢)، و« غنية العارف » (٤٢٤/١).

(٣) هو ابن عيينة رحمه الله تعالى.

(٤) قال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٣٠٣٣/٧): (قيل: هو عيينة الفزاري، وقيل:

مخرمة بن نوفل، ويمكن الجمع بتعداد الواقعة)، وانظر « المرقاة » أيضاً (٣٠٣٤/٧)

وما سيأتي في التعليق الآتي.

فَالآنَ لَهُ الْقَوْلَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ ثُمَّ
أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ !! قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ يَتْرُكُهُ النَّاسُ - أَوْ
يَدْعُهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ » (١) .

وروى أبو ذرٍّ عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَتَى اللهُ
حَيْثُمَا كُنْتُ ، وَأَتَّبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ
حَسَنِ » (٢) .

فما شيءٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قُوَّةِ عَقْلِ الشَّخْصِ وَوُفُورِ عِلْمِهِ وَحِلْمِهِ ..
كَحُسْنِ الْمُدَارَاةِ .

وَالنَّفْسُ لَا تَزَالُ تَشْمَتُ مَنْ يَعْكِسُ مُرَادَهَا ، وَيَسْتَفْرِزُّهَا الْغَيْظُ وَالْغَضَبُ ،

(١) سنن الترمذي (١٩٩٦) ، الشماثل المحمدية (٣٥١) ، ورواه البخاري (٦١٣١) ،
ومسلم (٢٥٩١) ، وقال النووي في « شرح مسلم » نقلاً عن القاضي عياض
(١٤٤ / ١٦) : (هذا الرجل هو عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، ولم يكن أسلمَ حينئذٍ ، وإن كان قد
أظهر الإسلامَ ، فأراد النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَيِّنَ حاله ليعرفهُ الناسُ ، ولا يغترَّ به
مَنْ لم يعرف حاله) ، قال : (وكان منه في حياة النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعده ..
ما دلَّ على ضعف إيمانه ، وارتدَّ مع المرتدِّين ، وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله
عنه ، ووصفُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بأنَّهُ بَشَرٌ أَخُو الْعَشِيرَةِ .. من أعلام النبوة ؛
لأنَّهُ ظَهَرَ كَمَا وَصَفَ ، وَإِنَّمَا أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ تَأْلُفًا لَهُ) .

وقال القاري في « مرقاة المفاتيح » (٣٠٣٤ / ٧) : (وليس قوله عليه السلام في أمته
بالأمور التي يَسِمُهُمْ بها وَيُضَيِّفُهَا إِلَيْهِمْ من المكروه .. غيبةً ، وإنما يكون ذلك من
بعضهم في بعض ، بل الواجبُ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَيِّنَ ذلك وَيُفْصِحَ به ،
ويعرِّفَ الناسَ أمورهم ؛ فَإِنَّ ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة ، ولكِنَّهُ لِمَا
جُبِلَ عَلَيْهِ من الكرم وأُعْطِيَهُ من حُسْنِ الْخُلُقِ أظهر له البشاشة ، ولم يُجِبْهُ بالمكروه ،
وليقتدي به أمته في اتِّقَاءِ شَرِّ مَنْ هَذَا سَبِيلُهُ ، وفي مداراته ليسلموا من شرِّه وغائلته) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) ، والدارمي (٢٨٣٣) ، وأحمد (١٥٣ / ٥) .

وبالمُدَارَةِ قَطْعُ حُمَةِ النَّفْسِ ^(١) ، وَرَدُّ طَيْشِهَا وَنُفُورِهَا .

وقد وَرَدَ : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ . دَعَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ » ^(٢) .

وروى جابرٌ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَلَى مَنْ تَحْرُمُ النَّارُ ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ ، سَهْلٍ قَرِيبٍ » ^(٣) .

وروى أبو مسعودٍ الأنصاريُّ قال : أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ ، فَكَلَّمَهُ فَأَرْعَدَ ، فَقَالَ : « هَوْنٌ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ أَمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ » ^(٤) .

(١) الحُمَةُ فِي الْأَصْلِ : سُمُّ الْعَقْرَبِ وَضَرْبُهَا .

(٢) رواه أبو داود (٤٧٧٧) ، والترمذي (٢٠٢١) ، وابن ماجه (٤١٨٦) ، وأحمد (٤٤٠ / ٣) عن سيدنا معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه ، وقوله : (فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) قَالَ الْقَارِي فِي « الْمَرْقَاة » (٣١٨١ / ٨) : (أَي : فِي أَخْذِ أَيِّهِنَّ شَاءَ ، وَهُوَ كُنْيَةُ عَنْ إِدْخَالِهِ الْجَنَّةَ الْمَنْعِيَّةَ ، وَإِيصَالِهِ الدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ ، قَالَ الطَّبْيِيُّ : « وَإِنَّمَا حُمِدَ الْكَظْمُ ؛ لِأَنَّهُ قَهْرٌ لِلنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ ؛ وَلِذَلِكَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالْكَظِيمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] ، وَمَنْ نَهَى النَّفْسَ عَنْ هَوَاهُ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ ، وَالْحُورَ الْعِينُ جَزَاهُ » ، قُلْتُ : وَهَذَا الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ وَالْجَزَاءُ الْجَزِيلُ إِذَا تَرْتَّبَ عَلَى مُجَرَّدِ كَظْمِ الْغَيْظِ ، فَكَيْفَ إِذَا انْضَمَّ الْعَفْوُ إِلَيْهِ ، أَوْ زَادَ بِالْإِحْسَانِ عَلَيْهِ ؟ !) .

(٣) رواه أبو يعلى فِي « مَسْنَدِهِ » (١٨٥٣) ، والطبراني فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٨٣٧) ، ورواه الترمذي (٢٤٨٨) ، وابن حبان (٤٧٠) ، وأحمد (٤١٥ / ١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٣١٢) ، واختلف فِي وَصْلِ الْحَدِيثِ وَإِرْسَالِهِ ، كَمَا فِي « حَاشِيَةِ السَّنَدِيِّ عَلَى ابْنِ مَاجَه » (٣١٣ / ٢) ، ورواه الحاكم (٤٦٦ / ٢) ، والطبراني فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (١٢٦٠) عن سيدنا جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، =

وعن بعضهم في معنى لين جانب الصُوفية^(١) : [من البسيط]

هَيْثُونَ لَيْثُونَ أَيَسَارُ بَنُو يَسَرٍ سُوَّاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيَسَارٍ
لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْثَارٍ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي

وروى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظُّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظُّهُ مِنَ الْخَيْرِ »^(٢) .

(٨٣) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمْلَاءً ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِينِيُّ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ الدَّوْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْحَمُورِيُّ السَّرْحَسِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عِمْرَانَ عَيْسَى بْنُ عَمَرَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، قَالَ :

= والقديد : اللحم المملح المجفف على الشمس .

(١) الأبيات للعرندس الكلابي ، كما في « حماسة أبي تمام » (١٤٦/٤ - ١٤٨) ، و« الكامل » للمبرد (١٠٦/١) ، والبيت الأول والثالث في « البرصان والعرجان » للجاحظ (ص ٣٦٥) دون نسبة ، وفي « الحماسة » و« البرصان والعرجان » : (ذوو) بدل (بنو) ، واليسر : السهولة واللين ، والأيسار : جمع (يسر) ؛ وهو المقامر ، وهو ممدوح مُبَجَّل في الجاهلية .

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٣) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٦٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨١٤) .

(٣) وسمَّاه شيخه أبو إسماعيل الأنصاري بـ (عبد الأول) ، وكناه بـ (أبي الوقت) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٠٦/٢٠) ، وما سبق تعليقا في (٣١٢/١) .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَلْفٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ : زَحَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنينٍ وَفِي رِجْلِي نَعْلٌ كَثِيفَةٌ ، فَوَطِئْتُ بِهَا عَلَى رِجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَفَخَنِي نَفْحَةً بِسَوْطٍ فِي يَدِهِ وَقَالَ : « بِأَسْمِ اللَّهِ ، أَوْجَعْتَنِي » .

قَالَ : فَبِتُّ لِنَفْسِي لَائِمًا ؛ أَقُولُ : أَوْجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَبِتُّ بَلِيلَةً كَمَا يَعْلَمُ اللَّهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا رَجُلٌ يَقُولُ : أَيْنَ فُلَانٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي كَانَ مِنِّي بِالْأَمْسِ ، قَالَ : فَاَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مُتَخَوِّفٌ ، فَقَالَ لِي : « إِنَّكَ وَطِئْتَ بِنَعْلِكَ عَلَى رِجْلِي بِالْأَمْسِ فَأَوْجَعْتَنِي ، فَفَخَنُوكَ نَفْحَةً بِالسَّوْطِ ، فَهَلْذِهِ ثَمَانُونَ نَعْجَةً ، فَخُذْهَا بِهَا » (١) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : الْإِثَارُ وَالْمُوَاسَاةُ ، وَيَحْمِلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَرْطُ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ طَبْعًا ، وَقُوَّةُ الْيَقِينِ شَرعًا ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤَثِّرُونَ بِالْمَوْجُودِ ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْمَفْقُودِ .

قَالَ أَبُو يَزِيدَ الْبِسْطَامِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَا غَلَبَنِي أَحَدٌ مَا غَلَبَنِي شَابٌّ مِنْ أَهْلِ بَلَخَ ؛ قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا يَزِيدَ ؛ مَا حَدُّ الزُّهْدِ عِنْدَكُمْ ؟ قُلْتُ : إِذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا ، وَإِذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا ، فَقَالَ : هَكَذَا عِنْدَنَا كَلَابُ

(١) مسند الدارمي (٧٣) ، ونعلٌ كثيفٌ : غليظة ثخينة ، وفخني : ضربني ، وسبق التعريف ببعض رجال السند في (١/٣١٢-٣١٣) .

بَلَخَ ، فَقُلْتُ : فَمَا حَدُّ الزُّهْدِ عِنْدَكُمْ ؟ قَالَ : إِذَا فَقَدْنَا صَبْرَنَا ، وَإِذَا وَجَدْنَا
آثَرَنَا^(١) .

وَقَالَ ذُو الثَّنُونِ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مِنْ عَلَامَةِ الزَّاهِدِ الْمَشْرُوحِ صَدْرُهُ ثَلَاثٌ :
تَفْرِيقُ الْمَجْمُوعِ ، وَتَرْكُ طَلَبِ الْمَفْقُودِ ، وَالْإِيثَارُ عِنْدَ الْقُوْتِ)^(٢) .

رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّضِيرِ لِلْأَنْصَارِ : « إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ
وَدِيَارِكُمْ وَتُشَارِكُونَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَنِيمَةِ ، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارُكُمْ
وَأَمْوَالُكُمْ ، وَلَمْ يُقَسَمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْغَنِيمَةِ » ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ : بَلْ نَقْسِمُ
لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا وَدِيَارِنَا ، وَنُؤَثِّرُهُمْ بِالْغَنِيمَةِ وَلَا نُشَارِكُهُمْ فِيهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩]^(٣) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَصَابَهُ جُهدٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي ،
فَبَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَزْوَاجِهِ : « هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ ؟ » ،
فَكُلَّهِنَّ قُلْنَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا ؛ مَا عِنْدَنَا إِلَّا الْمَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ » ، ثُمَّ قَالَ : « مَنْ

(١) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي « الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ » (٢٢٩/٢٦) ، وَفِيهِ وَفِي (هـ ، ح) : (شَكَرْنَا)
بَدَلَ (صَبْرْنَا) فِي الْمَوْضِعِ الثَّانِي ، وَرُويَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِنَحْوِهَا بَيْنَ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ
وَأِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَمَ ، كَمَا فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٧/٨) ، وَ« تَارِيخُ دِمَشْقَ » (٢٩٩/٦) .

(٢) رَوَاهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي « الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ » (٢٢٩/٢٦) .

(٣) أَوْرَدَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي « الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ » (٢٢٩/٢٦-٢٣٠) ، وَالْبَغَوِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ »
(٧٧/٨) .

يُضِيفُ هَذَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟ » ، فقامَ رجلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : أنا يا رسولَ الله .

فأتى به منزله ، فقالَ لأهله : هذا ضيفُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فَأَكْرَمِيهِ وَلَا تَدْخِرِي عَنْهُ شَيْئاً ، فقالت : ما عندنا إلا قوتُ الصَّيِّةِ ، فقالَ : فقومِي عَليهِم عن قُوتِهِم حتى ينامُوا ولا يَطْعَمُوا شَيْئاً ثُمَّ أَسْرِجِي^(١) ، فإذا أَخَذَ الضَّيْفُ لِيَأْكُلَ قُومِي كأنَّكَ تُصْلِحِينَ السَّرَاجَ ، فَأُطْفِئِيهِ وتعالِي نمضِ ألسنتنا لضيفِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حتى يشبعَ ضيفُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .

فقامتُ إلى الصَّيِّةِ فَعَلَّلْتُهُمْ حتى نامُوا عن قُوتِهِم ولم يَطْعَمُوا شَيْئاً ، ثُمَّ قامتُ فَاتَّردَّتْ وَأَسْرِجَتْ ، فلمَّا أَخَذَ الضَّيْفُ لِيَأْكُلَ قامتُ كأنَّها تُصْلِحُ السَّرَاجَ فَأُطْفِئَتْ ، فجعلتا يَمْضِغانِ ألسنتَهُما لضيفِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وظنَّ الضَّيْفُ أَنَّهُما يَأْكُلانِ مَعَهُ ، حتى شَبِعَ الضَّيْفُ ، وباتا طاوِيينَ .

فلمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فلمَّا نَظَرَ إِلَيْهِما تَبَسَّمَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ثُمَّ قالَ : « لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ » ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

(١) عَليهِم : أَشْغَلِيهِمْ وَلَهِّيهِمْ ، قال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٤ / ١٢) : (هذا محمولٌ على أَنَّ الصَّيَّيَّانَ لم يكونوا محتاجين إلى الأكل ، وإنما تَطَلَّبُهُ أَنْفُسُهُم على عادة الصبيان من غير جوع يَضُرُّهُم ؛ فَإِنَّهُم لو كانوا على حاجةٍ بحيثُ يَضُرُّهُم تركُ الأكل . . لكان إطعامُهُم واجباً ، ويجبُ تقديمه على الضيافة ، وقد أثنى الله ورسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على هذا الرجل وامرأته ، فدلَّ على أَنَّهُما لم يتركا واجباً ، بل أَحسنا وأَجْمَلَا رضي الله عنهما) .

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . . . ﴿الآيَةُ [الحشر : ٩] (١)﴾ .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : (أهدي لبعض أصحابه رأس شاة مشوي وكان مجهوداً ، فوجه به إلى جاري له ، فتداوله سبعة أنفس ثم عاد إلى الأول ، فأُنزلت الآية لذلك) (٢) .

وروي أن أبا الحسن الأنطاكي اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية بقرب الرّي ، وله أرغفة معدودة لا تشبع خمسة منهم ، فكسروا الرغفان وأطفؤوا السراج وجلسوا للطعام ، فلما رفع الطعام إذا هو بحال لم يأكل أحد ؛ إشاراً منه على نفسه (٣) .

وحكي عن حذيفة العدوي رحمه الله قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعني شيء من ماء وأنا أقول : إن كان به رمق سقيته ومسحت وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار إليّ : نعم ، فإذا رجل يقول : آه ، فقال ابن عمي : انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو هشام بن

(١) رواه البخاري (٤٨٨٩) ، ومسلم (٢٠٥٤) ، وجاء في بعض طرق مسلم تسمية المضيف ؛ وهو سيدنا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ، وقوله : (لقد عجب الله) قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٨ / ٦٣٢) : (قال الخطابي : إطلاق العجب على الله محال ، ومعناه الرضا ، فكأنه قال : إن ذلك الصنيع حلّ من الرضا عند الله حلول العجب عندكم ، قال : وقد يكون المراد بالعجب هنا : أن الله يُعجب ملائكته من صنيعهما ؛ لندور ما وقع منهما في العادة) ، وانظر « مشكل الحديث وبيانه » لابن فورك (ص ١٩٢-١٩٣) .

(٢) رواه الحاكم (٤٨٤ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٣١) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨٦) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦ / ٢٢٧) ، وفيهما : (لم تسع جميعهم) بدل (لا تشبع خمسة) .

العاصِ ، فقلتُ : أَسْقِيكَ ؟ فسمعَ هشامٌ آخرَ يقولُ : آه ، فقالَ : انطلقْ بهِ إليه ، فجئتهُ فإذا هوَ قد ماتَ ، ثمَّ رجعتُ إلى هشامٍ فإذا هوَ أيضاً قد ماتَ ، ثمَّ رجعتُ إلى ابنِ عمِّي فإذا هوَ أيضاً قد ماتَ^(١) .

وسئِلَ أبو الحسنِ البُوشَنجِيُّ عنِ الفتوةِ ، فقالَ : الفتوةُ عندي ما وَصَفَ اللهُ تعالى بهِ الأنصارَ في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ . . . ﴾ الآية [الحشر : ٩] ^(٢) .

قالَ ابنُ عطاءٍ رحمهُ اللهُ : (﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ جُوداً وكرماً ، ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ؛ يعني : جوعاً وفقراً) ^(٣) .

وقالَ أبو حفصٍ رحمهُ اللهُ : (الإيثارُ : هوَ أنْ يُقَدِّمَ حُظوظَ الإخوانِ على حُظوظِهِ في أمرِ الدنيا والآخرة) ^(٤) .

وقالَ بعضهم : (الإيثارُ لا يكونُ عنِ اختيارٍ ، وإنما الإيثارُ : أنْ تُقَدِّمَ حُقوقَ الخَلْقِ أجمعَ على حَقِّكَ ، ولا تُمَيِّزَ في ذلكَ بينَ أخٍ وصاحبٍ وذِي معرفةٍ) ^(٥) .

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٥٢٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢٠٨) ، وابن

عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٠ / ٣٨) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٢٠٣ / ٨) .

(٢) رواه السلمى في « تفسيره » (٣١٨ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٢١٠) .

(٣) أورده السلمى في « تفسيره » (٣١٨ / ٢) .

(٤) رواه السلمى في « طبقاته » (ص ١٢٢) ، وأورده في « تفسيره » (٣١٨ / ٢) ،

وأبو حفص : هو عمرو بن سَلَم - وقيل : (عمر) بدل (عمرو) ، و (سلمة) بدل

(سلم) - النيسابوري الحدَّاد (ت ٢٧٠ هـ) ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص ١١٥ -

١١٦) ، و « سير أعلام النبلاء » (٥١٠ / ١٢) .

(٥) أورده السلمى في « تفسيره » (٣١٨ / ٢) .

وقال يوسف بن الحسين : (مَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ مِلْكَاً لَا يَصْحُ مِنْهُ الْإِثَارُ ؛
لأنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ أَحَقَّ بِالشَّيْءِ بِرُؤْيَةِ مِلْكِهِ ، إِنَّمَا الْإِثَارُ مِمَّنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا
لِلْحَقِّ ، فَمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ ، فَإِذَا وَصَلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَيْهِ . . يَرَى
نَفْسَهُ وَيَدُهُ فِيهِ يَدَ أَمَانَةٍ يُوصِلُهَا إِلَى صَاحِبِهَا أَوْ يُؤَدِّيْهَا إِلَيْهِ)^(١) .

وقال بعضهم : (حَقِيقَةُ الْإِثَارِ : أَنْ تُؤَثِّرَ بِحَظٍّ آخَرَتِكَ عَلَى إِخْوَانِكَ ؛
فَإِنَّ الدُّنْيَا أَقَلُّ خَطَرًا مِنْ أَنْ يَكُونَ لِإِثَارِهَا مَحَلٌّ أَوْ ذِكْرٌ)^(٢) .

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى : مَا نَقَلَ أَنَّ بَعْضَهُمْ رَأَى أَخاً لَهُ ، فَلَمْ يُظْهِرِ الْبَشَرَ
الكثيرَ في وجهِهِ ، فَأَنْكَرَ أَخُوهُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَالَ : يَا أَخِي ؛ سَمِعْتُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَلْتَقَى الْمُسْلِمَانِ تَنَزَّلَ عَلَيْهِمَا مِئَةٌ
رَحْمَةٍ ؛ تَسْعُونَ لِأَكْثَرِهِمَا بَشْراً ، وَعَشْرَةٌ لِأَقْلَاهُمَا بَشْراً »^(٣) ، فَأَرَدْتُ أَنْ
تَكُونَ أَكْثَرَ بَشْراً مِنِّي ؛ لِيَكُونَ لَكَ الْأَكْثَرُ^(٤) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٣١٩/٢) ، ويوسف بن الحسين : هو الرازي ، من
أصحاب ذي النون المصري وأبي تراب النخشي رحمهم الله تعالى (ت ٣٠٤ هـ) ،
وانظر « الرسالة القشيرية » (ص ١٧٣) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٣١٩/٢) .

(٣) رواه بنحوه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٧٢) ، والخطيب البغدادي في
« تاريخ بغداد » (٥٨/٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والبزار في « المسند »
(٣٠٨) ، والدولابي في « الكنى والأسماء » (٨٥٠) ، والبيهقي في « الشعب »
(٧٦٩٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف »
(٤٣٣-٤٣٤) .

(٤) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٢٣-١٢٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة »
(ص ٥٤٣-٥٤٤) ، والبعض : هو السري بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى .

(٨٤) - أخبرنا شيخنا الشيخ ضياء الدين أبو النجيب رحمه الله عليه إجازة ، قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد الصفار النيسابوري ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي ، قال : أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت أبا القاسم الرازي يقول : سمعت أبا بكر بن أبي سعدان يقول : (مَنْ صَحِبَ الصُّوفِيَّةَ فَلْيَصْحَبْهُمْ بِلَا نَفْسٍ وَلَا قَلْبٍ وَلَا مِلْكٍ ، فَمَتَى نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهِ . . . قَطَعَهُ ذَلِكَ عَنْ بُلُوغِ مَقْصِدِهِ) (١) .

وقال سهل بن عبد الله : (الصُّوفِيُّ مَنْ يَرَى دَمَهُ هَذَرًا ، وَمِلْكُهُ مُبَاحًا) (٢) .

وقال رُويم : (التصوف مبني على ثلاث خصال : التمسك بالفقر

(١) طبقات الصوفية (ص ٤٢٠-٤٢١) ، وفي هامش (ج) : (لَأَنَّ مُحِبَّتَهُمْ تَفِيدُ وَتُثْمِرُ عِنْدَ دُخُولِ الصِّفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ صِفَاتِ النَّفْسِ ، كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَفِيفِ الشِّيرَازِيُّ : « الْبَشَرِيَّةُ مِنَ الْعَارِفِينَ تَفْنَى ، وَمِنَ الْمُرِيدِينَ تَخْمَدُ » ، فَمَنْ صَحِبَهُمْ مَعَ وَجُودِ النَّفْسِ رُبَّمَا يَخَالِفُهُمْ وَلَا يُوَافِقُهُمْ فِي أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ ، وَحَقِيقَةُ الصَّحْبَةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْمَوَافَقَةِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَعِنْدَ طَرَحِ الصِّفَاتِ الْقَلْبِيَّةِ أَيْضًا ؛ لِثَلَا يَقَابِلُهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ حَالِهِ وَكَمَالِهِ ، بَلْ يَصَاحِبُهُمْ بِالتَّوَاضُعِ وَالتَّسْلِيمِ وَالْإِنْقِيَادِ لِأَمْرِهِمْ ، وَرِعَايَةِ الْأَدَبِ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ وَمَجَالَسَتِهِمْ ، وَلَا يَضِيفُ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا ؛ فَلَا يَقُولُ : « نَعْلِي » وَ« ثُوبِي » وَ« بَيْتِي » ، بَلْ يَعْرِفُ أَنَّ مَالَهُ عَارِيَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَهُ ، وَالْكَلِّ فِي التَّصَرُّفِ سَوَاءٌ) .

(٢) أوردته الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨٨) ، وزاد الخرکوشي : (وَلَمْ يَرَ الْأَشْيَاءَ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَسْبِيحُهُ الرَّحْمَةَ لِجَمِيعِ خَلْقِ اللَّهِ) .

والافتقار ، والتحقيق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار ^(١) .

وقيل : لما سعي بالصوفيّة ، وتميّز الجُنيد رحمة الله عليه بالفقه ،
وقبض على الشّحام والرّقام والثوري ^(٢) ، وبسط النّطع لضرب رقابهم .
تقدّم الثوري ، فقيل له : إلى ماذا تُبادِر ؟! فقال : أوثرُ إخواني بفضل حياة
ساعة ^(٣) .

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٨٦-٥٨٧) ، وفي هامش (ج) : (قيل : نهاية
الفقر بداية التصوّف ، والفرق بين الفقر والافتقار : أن الفقر : فناء الأشياء في نظر
الفقير ؛ لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن : ٢٦] ، و﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾
[القصر : ٨٨] ؛ بمعنى : أن وجود الأشياء وبقاءهم ليس بأنفسهم ، بل بالله تعالى وجود
كل شيء ، وبقاؤه بذلك الشيء ، والافتقار : الاحتياج إلى إيجاد الموجد ، والقيام
بالقيوم الأزلي الأبدي) .

(٢) الرّقام : نسبة إلى رَقَم الثياب ؛ وهو توشيتها وتزيينها وتعليمها .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٠ / ١٠) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ
بغداد » (٣٤١ / ٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص ٥٣٧) ، وباقي القصّة كما
في المصادر السابقة - واللفظ لـ « الرسالة » - : فتحير السيّاف ، وأنهى الخبر إلى
الخليفة ، فردّهم إلى القاضي ليتعرّف حالهم ، فألقى القاضي على أبي الحسين الثوريّ
مسائل فقهية ، فأجاب عن الكل ، ثم أخذ يقول : وبعد ؛ فإن لله عبادة إذا قاموا قاموا
بالله ، وإذا نطقوا نطقوا بالله ، وسرّد ألفاظاً أبكى القاضي ، فأرسل القاضي إلى الخليفة
وقال : إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم .

والتهمة التي وُجّهت إليهم : هي تهمة الحلول والإباحة ، وكان القاضي حينها الإمام
الحافظ أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري قاضي بغداد ، والساعي بهم هو
أحمد بن محمد بن غالب الباهلي المعروف بـ (غلام خليل) ، وكانت والدّة الموقّ
ورجال الدولة والعوام يميلون إلى غلام خليل لزهده وتقشفه ، فأمرت المحتسب أن
يطيعه في سعايته ، فطلب القوم وبثّ الأعوان في طلبهم ، وكانوا نيّفاً وسبعين نفساً ،
ومنهم من ذكره المؤلف بالإضافة إلى الإمام الجليل الصوفي أبو محمد رُويم ، وهذه
الواقعة هي المشهورة بفتنة الصوفية ، وكانت في حدود سنة (٢٦٤ هـ) ، وانظر « تاريخ =

وقيل : دَخَلَ الرُّوْذْبَارِيُّ دَارَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فوجدَهُ غَائِباً وَبَابَ بَيْتِهِ مُغْلَقٌ ، فقالَ : صُوفِيٌّ وَلَهُ بَابٌ مُغْلَقٌ ؟! اكسِرُوا البابَ ، فكسَرُوا وأَمَرَ بِجَمِيعِ مَا وَجَدُوا فِي الْبَيْتِ أَنْ يَنْفِذُوهُ إِلَى الشُّوقِ ، وَاتَّخِذُوا وَقْتاً مِنَ الثَّمَنِ^(١) ، وقعدوا في الدارِ ، فدخلَ صاحبُ المنزلِ ولم يَقُلْ شيئاً ، ودخلتِ امرأتهُ الدارَ وعليها كِسَاءٌ ، فدخلتْ بيتاً وَرَمَتْ بِالْكِسَاءِ وقالتْ : هذا أيضاً مِنْ بَقِيَّةِ الْمَتَاعِ فَيُعْوَهُ ، فقالَ الزوجُ لها : لِمَ تَكَلِّفْتِ هَذَا بِاخْتِيَارِكِ ؟ قالتِ : اسْكُتْ ، مثلُ الشَّيْخِ يُبَاسِطُنَا وَيَحْكُمُ عَلَيْنَا وَيَبْقَى لَنَا شَيْءٌ نَدْخِرُهُ عَنْهُ ؟! (٢) .

وقيلَ : مَرَضَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، فاستَبْطَأَ إِخْوَانَهُ فِي عِيَادَتِهِ ، فسألَ عَنْهُمْ ، فقالوا : إِنَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ بِمَا لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الدِّينِ ، فقالَ : أَخْزَى اللَّهُ مَا لَا يَمْنَعُ الْإِخْوَانَ مِنَ الزِّيَارَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ مُنَادِياً يُنَادِي : مَنْ كَانَ لَقَيْسٍ عَلَيْهِ مَالٌ فَهُوَ مِنْهُ فِي حِلٍّ ، فَكُسِرَتْ عَتَبَتُهُ بِالْعَشِيِّ لكَثْرَةِ عَوَادِهِ^(٣) .

وقيلَ : أَتَى رَجُلٌ صَدِيقاً لَهُ ، وَدَقَّ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ : لِمَاذَا جِئْتَنِي ؟ قَالَ : لِأَرْبَعِ مِائَةِ دِرْهَمٍ دَيْنٍ عَلَيَّ ، فدخلَ الدارَ وَوَزَنَ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ

= الإِسْلَامُ » (١٤ / ٢٠ ، ١٢١ / ٢٣) ، و« سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (١٣ / ٢٨٢-٢٨٥) ، و« مَرَاةُ الزَّمَانِ » (٣٣١ / ١٦) .

(١) أَي : قِيَمَةٌ مِنَ الثَّمَنِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) ، وَفِي (د) : (قَوْتاً) .

(٢) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « ذِكْرِ النِّسَاءِ الْمُتَعَبِّدَاتِ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٩٨) ، وَرَوَاهُ الْقَشِيرِيُّ عَنْهُ مُنْقَطِعاً فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٥٣٩-٥٤٠) ، وَالزَّوْجَةُ : هِيَ قُسَيْمَةُ الْعَابِدَةِ امْرَأَةُ أَبِي يَعْقُوبَ التَّيْسِيِّ ، صَحِبَتِ الرُّوْذْبَارِيَّ وَمَنْ فَوْقَهُ مِنَ الْمَشَائِخِ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهَا .

(٣) أَوْرَدَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي « رِسَالَتِهِ » (ص ٥٤٠) .

وأخرجها إليه ، ودخل الدار باكياً ، فقالت امرأته : هلاً تعلّلت حين شقّ عليك الإجابة ؟ فقال : إنما أبكي ؛ لأنّي لم أتفقّد حاله حتى احتاج إلى أن يفتّحنّي به^(١) .

(٨٥) - وأخبرنا الشيخ أبو زرعة ، عن أبيه الحافظ المقدسي ، قال : أخبرنا محمد بن محمد بن محمد إمام جامع أصفهان ، قال : حدّثنا أبو عبد الله الجرجاني^(٢) ، قال : حدّثنا أبو طاهر محمد بن الحسن المحمّدابادي^(٣) ، قال : حدّثنا أبو البخري^(٤) ، قال : حدّثنا أبو أسامة^(٥) ، قال : حدّثنا بُريد بن عبد الله بن أبي بُردة ، عن جدّه أبي بُردة ، عن أبي موسى الأشعريّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ . . جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ أَقْتَسَمُوا فِي إِنْاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ »^(٦) .

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٥٤١) ، وأبو بكر الخوارزمي في « مفيد العلوم » (ص ٣٥٦) .

(٢) هو مسند أصفهان الإمام الثقة محمد بن إبراهيم بن جعفر اليزدي (ت ٤٠٨ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٨٦ / ١٧) .

(٣) المحمّدابادي : نسبة إلى (مَحْمَدَاذ) ؛ قرية على باب نيسابور ، بينهما حوالي (٧ كم) .

(٤) هو الإمام المُحدّث الثقة عبد الله بن محمد بن شاكر العنبري البغدادي المقرئ (ت ٢٧٠ هـ) .

(٥) هو الإمام الحافظ الثبت حماد بن أسامة القرشي الكوفي (ت ٢٠١ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٧٧ / ٩) .

(٦) صفوة التصوف (٩٢٩) ، ورواه البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) ، وأرملوا : =

وَحَدَّثَ جَابِرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَغْزُو فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلَا عُدَّةٌ ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ ، فَمَا لِأَحَدِكُمْ مِنْ ظَهْرِ جَمَلِهِ إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ » ، قَالَ : فَضُمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ، مَا لِي إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِهِ ^(١) .

وَرَوَى أَنَسٌ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ . . أَخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ ، فَقَالَ لَهُ : أَقَاسِمُكَ مَالِي نَصْفَيْنِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَأُطْلِقُ إِحْدَاهُمَا ، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ ^(٢) .

فَمَا حَمَلَ الصُّوفِيُّ عَلَى الْإِثَارِ إِلَّا طَهَارَةَ نَفْسِهِ ، وَشَرَفُ غَرِيزَتِهِ ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى صُوفِيًّا إِلَّا بَعْدَ أَنْ سَوَّى غَرِيزَتَهُ لَذَلِكَ .

وَكُلُّ مَنْ كَانَتْ غَرِيزَتُهُ السَّخَاءَ يُوشِكُ أَنْ يَصِيرَ صُوفِيًّا ؛ لِأَنَّ السَّخَاءَ صِفَةُ الْغَرِيزَةِ ، وَفِي مَقَابِلَتِهِ الشُّحُّ ، وَالشُّحُّ مِنْ لَوَازِمِ صِفَةِ النَّفْسِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

حَكَمَ بِالْفَلَاحِ لِمَنْ يُوقِي الشُّحَّ ، وَحَكَمَ بِالْفَلَاحِ لِمَنْ أَنْفَقَ وَبَذَلَ ؛

= فَنِي زَادَهُمْ ، وَأَصْلُهُ : مِنَ الرَّمْلِ ؛ كَأَنَّهُمْ لَصَقُوا بِالرَّمْلِ مِنَ الْقِلَّةِ ، كَمَا قِيلَ : تَرَبَّ الرَّجُلُ : إِذَا افْتَقَرَ ؛ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتَّرَابِ .

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٥٣٤) ، وَالحَاكِمُ (٩٠ / ٢) ، وَالْعُقْبَةُ : النَّوْبَةُ مِنَ الرُّكُوبِ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَعْقُبُ صَاحِبَهُ فِي الرُّكُوبِ .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٠٤٩) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٣٣) ، وَأَحْمَدُ (١٩٠ / ٣) ، وَاللَّفْظُ لَهُمَا .

فَقَالَ : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ، ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٣ ، ٥] ، والفلاحُ أجمعُ اسمُ لسعادة الدارين .

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبَّهَ بِقَوْلِهِ : « ثَلَاثٌ مُّهِلِكَاتٌ ، وَثَلَاثٌ مُّنْجِيَّاتٌ »^(١) ، فجعلَ أَحَدَ الْمُهِلِكَاتِ شُحًّا مُّطَاعًا ، وَلَمْ يَقُلْ : مُجْرَدُ الشُّحِّ يَكُونُ مُهِلِكًَا ، بَلْ يَكُونُ مُهِلِكًَا إِذَا كَانَ مُّطَاعًا ، فَأَمَّا كَوْنُهُ مُوجُودًا فِي النَّفْسِ غَيْرَ مُّطَاعٍ . فَإِنَّهُ لَا يُنْكَرُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ النَّفْسِ مُسْتَمِدًّا مِنْ أَصْلِ جَبَلَتِهَا التُّرَابِيَّ ، وَفِي التُّرَابِ قَبْضٌ وَإِمْسَاكٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْعَجَبِ مِنَ الْآدَمِيِّ وَهُوَ جَبَلِيٌّ فِيهِ ، وَإِنَّمَا الْعَجَبُ وَجُودُ السَّخَاءِ فِي الْغَرِيزَةِ ، وَهُوَ لِنُفُوسِ الصُّوْفِيَّةِ الدَّاعِي لَهُمْ إِلَى الْبَذْلِ وَالْإِثَارِ .

وَالسَّخَاءُ أَتَمُّ وَأَكْمَلُ مِنَ الْجُودِ ؛ فَفِي مُقَابَلَةِ الْجُودِ الْبُخْلُ ، وَفِي مُقَابَلَةِ السَّخَاءِ الشُّحُّ ، وَالْجُودُ وَالْبُخْلُ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمَا الْاِكْتِسَابُ بِطَرِيقِ الْعَادَةِ ، بِخِلَافِ الشُّحِّ وَالسَّخَاءِ ؛ إِذْ كَانَا مِنْ ضَرُورَةِ الْغَرِيزَةِ ؛ فَكُلُّ سَخِيٍّ جَوَادٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ جَوَادٍ سَخِيًّا .

وَالْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالسَّخَاءِ ؛ لِأَنَّ السَّخَاءَ مِنْ نَتِيجَةِ الْغَرَائِزِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنِ الْغَرِيزَةِ .

(١) رَوَاهُ الدُّوَلَابِيُّ فِي « الْكُنَى وَالْأَسْمَاءِ » (٨٤٧) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٥٤٥٢) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٤٣ / ٢) ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي « الشَّعْبِ » (٧٣١) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالحديثُ بتمامه : « ثَلَاثٌ مُّهِلِكَاتٌ : شُحٌّ مُّطَاعٌ ، وَهُوَ مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخِيَلَاءِ ، وَثَلَاثٌ مُّنْجِيَّاتٌ : الْعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَاقَةِ ، وَمَخَافَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ » ، وَسَيَأْتِي فِي (٨٧ / ٢) مُسْنَدًا مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والجودُ يتطَرَّقُ إليه الرِّياءُ ، ويأتي به الإنسانُ مُتَطَلِّعاً إلى عِوَضٍ مِنَ الخَلْقِ أوِ الحقِّ بِمُقَابَلَةٍ ما ؛ مِنَ الشَّاءِ وَغَيْرِهِ مِنَ الخَلْقِ ، والثَّوَابِ مِنَ اللَّهِ تعالى .

والسَّخَاءُ لَا يتطَرَّقُ إليه الرِّياءُ ؛ لِأَنَّهُ يَنْبُعُ مِنَ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْمُرْتَفِعَةِ عَنِ الأَعْوَاضِ دُنْيَا وَآخِرَةً^(١) ؛ لِأَنَّ طَلَبَ العِوَضِ مُشْعِرٌ بِالْبُخْلِ ؛ لكونِهِ معلولاً بطلبِ العِوَضِ ، فما تَمَحَّضَ سَخَاءً ، فالسَّخَاءُ لِأَهْلِ الصَّفَاءِ ، والإِيثَارُ لِأَهْلِ الأنوارِ .

ويجوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩] أَنَّهُ نَفَى فِي الآيَةِ الإِطْعَامَ لطلبِ الأَعْوَاضِ ؛ حَيْثُ قَالَ : ﴿ لَا نُزِيدُ ﴾ ، بَعْدَ قَوْلِهِ تعالى : ﴿ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ، فما كَانَ لِلَّهِ لَا يُشْعِرُ بطلبِ العِوَضِ ، بَلِ الْغَرِيزَةُ لَطَهَارَتِهَا تَنْجَذِبُ إِلَى مُرَادِ الحقِّ لَا لِعِوَضٍ ، وَذَلِكَ أَكْمَلُ السَّخَاءِ مِنْ أَطْهَرِ الْغَرَائِزِ^(٢) .

رَوَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَيْسَ لِي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مَا أَذْخَلَ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ ، أَفَأُعْطِي ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، لَا تُؤْكِبِي فَيُؤْكِبِي اللَّهُ عَلَيْكَ »^(٣) .

(١) في نسخة على هامش (هـ) : (وأخرى) .

(٢) السَّخَاءُ ذَاتِي غَرِيزِي ؛ أَي : خَاصَّةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ تعالى فِي النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ الرِّياءُ ، وَالْجُودُ لَيْسَ غَرِيزِيًّا ذَاتِيًّا ، بَلْ صِفَةُ مُلْكِيَّةٍ ، وَلِلرِّياءِ وَالتَّصَرُّفِ وَالْعُجْبِ فِيهِ مَدْخَلٌ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(٣) رواه البخاري (١٤٣٤) ، ومسلم (١٠٢٩) ، وفيهما : (لَا تُؤْعِي فَيُؤْعِي اللَّهُ عَلَيْكَ) ؛ أَي : لَا تَجْمَعِي فِي الوَعَاءِ وَتَبْخُلِي بِالنَّفَقَةِ فَتُجَازِي بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَالْمُثَبِّتُ =

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : التَّجَاوُزُ وَالْعَفْوُ ، وَمُقَابَلَةُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ .

قَالَ سُفْيَانُ : (الْإِحْسَانُ : أَنْ تُحْسِنَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ ؛ فَإِنَّ الْإِحْسَانَ إِلَى الْمُحْسِنِ مَتَاجِرَةٌ ؛ كَنَقْدِ السُّوقِ ؛ خُذْ شَيْئاً وَهَاتِ شَيْئاً)^(١) .

وَقَالَ الْحَسَنُ : (الْإِحْسَانُ : أَنْ تَعُمَّ وَلَا تَخْصَّ ؛ كَالشَّمْسِ وَالرَّيْحِ وَالْغَيْثِ)^(٢) .

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ رِزْقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَأَيْتُ قُصُوراً مُشْرِفَةً عَلَى الْجَنَّةِ ، فَقُلْتُ : يَا جِبْرَائِيلُ ؛ لِمَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : لِلْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ »^(٣) .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَوَقَعَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ سَاكِتٌ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ ، ثُمَّ رَدَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

= رواية أبي داود (١٦٩٩) ، والترمذي (١٩٦٠) ، وغيرهما ، والإيذاء : شدُّ رأسِ الوعاء بالوكاء ؛ وهو الرِّبَاطُ الَّذِي يُرَبِّطُ بِهِ ؛ أَيُ : لَا تُمَسِّكِي الْمَالَ وَتُوكِي عَلَيْهِ فِي الْوَعَاءِ بِأَنْ تُشَدِّي رَأْسَهُ فَيُمَسِّكَ اللَّهُ عَنْكَ فَضْلَهُ كَمَا أُمَسَّكَتِ فَضْلَ مَا أَعْطَاكَ ، وَفِي هَامِش (ب) : (بَلَغَ السَّمَاعَ لَهُمْ فِي الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمَقْدِسِيِّ) ، وَفِي هَامِشِهِ أَيْضاً : (بَلَغَ بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ) .

(١) أوردته الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦٨/٩) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالى .

(٢) أوردته الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦٨/٩) ، والحسن : هو البصري رحمه الله تعالى .

(٣) رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦٩-٢٧٠) ، والدليمي في « الفردوس » (٣١٨٧) .

عليه بعض ما قال ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام .

فلحقه أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ؛ شتمني وأنت تبسم ، ثم رددت عليه بعض ما قال فغضبت وقمت !! فقال : « إِنَّكَ حَيْثُ كُنْتَ سَاكِتًا كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا تَكَلَّمْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَقْعُدَ فِي مَقْعَدٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ ، يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ : أَذْكَرُ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يُظْلَمُ بِمَظْلَمَةٍ فَيَعْفُو عَنْهَا إِلَّا أَعَزَّ اللَّهُ تَعَالَى نَصْرَهُ ، وَلَيْسَ عَبْدٌ يَفْتَحُ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةَ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ قِلَّةً ، وَلَيْسَ عَبْدٌ يَفْتَحُ بَابًا يُرِيدُ بِهِ عَطِيَّةً أَوْ صِلَةً يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً » (١) .

(٨٦) - أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي ، قال : أخبرنا الكروخي ، قال : أخبرنا الترياقبي ، قال : أخبرنا الجراحي ، قال : أخبرنا المحبوبي ، قال : أخبرنا أبو عيسى الترمذي ، قال : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَكُونُوا إِمْعَةً ؛ تَقُولُونَ : إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا ، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ ؛ إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاؤُوا فَلَا تَظْلِمُوا » (٢) .

(١) رواه أحمد (٤٣٦ / ٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٢٣٩) ، ورواه إلى قوله : (في مقعد فيه الشيطان) أبو داود (٤٨٩٧) ، والبزار في « مسنده » (٨٤٩٥) ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٤٠-٤٤١) .

(٢) سنن الترمذي (٢٠٠٧) ، ورواه البزار في « مسنده » (٢٨٠٢) ، والسند إلى الترمذي سبق مراراً ، والإمعة : الرجل الذي لا رأي له ولا عزم ؛ فهو يتابع كل أحد على رأيه ، =

وقال بعضُ الصحابةِ : يا رسولَ الله ! الرجلُ أمرُ به فلا يُقرِّني ولا يُضيفُني ، فيمُرُّ بي أفأجزيه ؟ قال : « لا ، أقرِّه »^(١) .

وقال الفضيلُ : (الفتوةُ : الصفحُ عن عثراتِ الإخوان)^(٢) .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ليسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِي ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا »^(٣) .

وروي عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ : أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ »^(٤) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : الْبِشْرُ ، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ .

الصُّوفِيُّ بِكَأْوُهُ فِي خَلْوَتِهِ ، وَبِشْرُهُ وَطَلَاقَةُ وَجْهِهِ مَعَ النَّاسِ ، فَالْبِشْرُ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ آثَارِ أَنْوَارِ قَلْبِهِ .

وَقَدْ يُنَازِلُ بَاطِنَ الصُّوفِيِّ مُنَازِلَاتُ إِلَهِيَّةٍ ، وَمَوَاهِبُ قُدْسِيَّةٍ ، يَرْتَوِي مِنْهَا

= ولا يثبت على شيء ، والتناء للمبالغة .

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٦) ، وأحمد (١٣٧/٤) عن سيدنا مالك بن نضلة الجُشَمي رضي الله عنه .

(٢) رواه السلمي في « آداب الصحبة » (١٥) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٠٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٨ / ٤٣٠) .

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وفي النسخ ما عدا (ج) : (المكافئ) بدل (بالمكافئ) .

(٤) رواه أحمد (١٤٨/٤) ، والحاكم (١٦١/٤ - ١٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٦٩/١٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٥٨٧) عن سيدنا عقبة بن عامر الجُهَني رضي الله عنه .

القلب ، وَيَمْتَلِئُ فَرَحًا وَسُرُورًا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ [يونس : ٥٨] .

وَالسُّرُورُ إِذَا تَمَكَّنَ مِنَ الْقَلْبِ فَاضَ عَلَى الْوَجْهِ آثَارُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ ؛ أَي : مُضِيئَةٌ مُّشْرِقَةٌ ، وَ﴿ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس : ٣٨-٣٩] ؛ أَي : فَرِحَةٌ ، قِيلَ : أَشْرَقَتْ مِنْ طُولِ مَا اغْبَرَّتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وَمِثَالُ فَيْضِ النُّورِ عَلَى الْوَجْهِ مِنَ الْقَلْبِ : كَفَيْضَانِ نُورِ السُّرَاجِ عَلَى الزُّجَاجِ وَالْمِشْكَاءِ ؛ فَالْوَجْهُ مُشْكَاءٌ ، وَالْقَلْبُ زُجَاجٌ ، وَالرُّوحُ مُصْبَاحٌ ، فَإِذَا تَنَعَّمَ الْقَلْبُ بِلَذِيذِ الْمُسَامَرَةِ . . ظَهَرَ الْبَشَرُ عَلَى الْوَجْهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [المطففين : ٢٤] ؛ أَي : غَضَارَتُهُ وَبَرِيقُهُ ؛ يُقَالُ : أَنْضَرَ النَّبَاتُ : إِذَا أَزْهَرَ وَنَوَّرَ ؛ ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] ، فَلَمَّا نَظَرَتْ نَضَرَتْ .

فَأَرْبَابُ الْمُشَاهَدَةِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ تَنَوَّرَتْ بِصَائِرِهِمْ بِنُورِ الْمُشَاهَدَةِ ، وَانْصَقَلَتْ مَرَاتِي قُلُوبِهِمْ ، وَانْعَكَسَ فِيهَا نُورُ الْجَمَالِ الْأَزَلِيِّ ، فَإِذَا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الْمِرْآةِ الْمَصْقُولَةِ . . اسْتَنَارَتِ الْجُذُرَانُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِِهِمْ مَنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وَإِذَا تَأَثَّرَ الْوَجْهُ بِسُجُودِ الظَّلَالِ - وَهِيَ الْقَوَالِبُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَظَلَّلْهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] . . . كَيْفَ لَا يَتَأَثَّرُ بِشُهُودِ الْجَمَالِ ؟ !

(٨٧) - أَخْبَرَنَا ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْكَرُّوخيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا التَّرِّيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، قَالَ :

حَدَّثَنَا الْمُكَدِّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُكَدِّرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَإِنْ مِنْ أَلْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ » (١) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّبَيْدِيُّ : (يُعْجِبُنِي مِنَ الْقُرَاءِ كُلِّ سَهْلٍ طَلِقٍ مِضْحَاكِ ، فَأَمَّا مَنْ تَلَقَّاهُ بِالْبِشْرِ وَيَلْقَاكَ بِالْعُبُوسِ كَأَنَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكَ . . فلا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي الْقُرَاءِ مِثْلَهُ) (٢) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : السُّهُولَةُ ، وَلِينُ الْجَانِبِ ، وَالتَّزَوُّلُ مَعَ النَّاسِ إِلَى أَخْلَاقِهِمْ وَطِبَاعِهِمْ ، وَتَرْكُ التَّعَسُّفِ وَالتَّكْلُفِ ؛ فَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَادِيثُ ، وَأَخْلَاقُ الصُّوفِيَّةِ تُحَاكِي أَخْلَاقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَمَّا إِنِّي لَا أُمْنَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » (٣) .

(١) سنن الترمذي (١٩٧٠) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٠٤) ، وأحمد (٣٦٠ / ٣) ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٤٤-٤٤٥) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٦٧) ، و« اصطناع المعروف » (٣٢) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٧١٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥٨ / ٣٢) عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ، والزُّبَيْدِيُّ : هو أبو شيبَةَ الكوفي قاضي الري (ت ١٥٦ هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٠١ / ٩) ، والمراد بالقراء : العلماء .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣٢٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤٩ / ٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله =

رُوي أَنَّ رجلاً يُقالُ لَهُ : زَاهِرُ بْنُ حِزَامٍ - ويُرَوَّى بالراءِ غيرَ معجمةٍ ،
وهو الأصحُّ - وكانَ بدويّاً ، وكانَ لا يَأْتِي إلى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَّا جاءَ بطُرْفَةٍ يُهْدِيها إلى رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) .

فجاءَ يوماً مِنَ الأَيَّامِ فوجدَهُ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُوقِ
المدينةِ يبيعُ سِلْعَةً لَهُ ، ولم يكنْ أَتاهُ ذَلِكَ اليومَ ، فاحتضَنَهُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ
عليه وَسَلَّمَ مِنْ ورائِهِ بكَفِّهِ ، فالتفتَ فَأَبْصَرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فقبَّلَ كَفِّهِ .

فقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ » ، فقالَ : إِذَا
تَجِدَنِي كاسِداً يا رسولَ اللَّهِ ، فقالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ
رَبِيحٌ » ، ثُمَّ قالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِكُلِّ أَهْلِ حَضَرٍ بَادِيَةٌ ،
وَبَادِيَةٌ آلِ مُحَمَّدٍ زَاهِرُ بْنُ حِزَامٍ »^(٢) .

(٨٨) - وأخبرنا أبو زُرْعَةَ طاهرُ بْنُ الحافظِ المَقْدِسيُّ ، عن أبيهِ ،

قالَ : أَخْبَرَنَا الْمُطَهَّرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الفقيه^(٣) ، قالَ : أَخْبَرَنَا أبو الحسن^(٤) ،

= عنه ، وفي (أ ، ز) : (جَدّاً) بدل (حَقّاً) .

(١) الطُّرْفَةُ : الشيء الذي يُعطاه الرجلُ هَدِيَّةً ممَّا لا يُباع مثله في بلده .

(٢) رواه الترمذي في « الشمائل » (٢٤٠) ، وأحمد (١٦١ / ٣) ، وأبو يعلى في

« مسنده » (٣٤٥٦) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٣٢) واللفظ

له ، عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) كذا في النسخ ، وفي « صفوة التصوف » : (المفيد) بدل (الفقيه) ، واسمه فيها في

عدة مواضع : (أبو الفتح المطهر بن محمد بن جعفر المفيد الأصبهاني) .

(٤) هو الإمام الصوفي الزاهد القدوة شيخ الإسلام علي بن ماشاذة محمد بن أحمد بن ميله

الأصفهاني الفرضي (ت ٤١٤ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٩٧ / ١٧) .

قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ حَكِيمٍ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو أُمَيَّةَ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَطَّارُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سِنَانُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ احْمِلْنِي عَلَى جَمَلٍ ، فَقَالَ : « أَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ » ، قَالَ : أَقُولُ لَكَ : احْمِلْنِي عَلَى جَمَلٍ ، وَتَقُولُ : أَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَالْجَمَلُ ابْنُ النَّاقَةِ »^(٣) .

وَرَوَى صُهَيْبٌ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ تَمْرٌ يَأْكُلُ ، فَقَالَ : « أَصِيبْ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ » ، فَجَعَلْتُ أَكُلُ مِنَ التَّمْرِ ، فَقَالَ : « تَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ وَأَنْتَ رَمِدٌ ؟! » ، فَقُلْتُ : إِذَا أَمْضَغَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤) .

وَرَوَى أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : « يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ »^(٥) .

(١) هو الإمام المحدث الأديب الرَّحَّال أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حَكِيم المَدِينِي الأَصْفَهَانِي (ت ٣٣٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٠٦ / ١٥) .

(٢) هو الإمام الحافظ المَجُود الرَّحَّال محمد بن إبراهيم بن مسلم البَغْدَادِي الطَّرْسُوسِي (ت ٢٧٣هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٩١ / ١٣) .

(٣) صفوة التصوف (٤٣٣) ، ورواه أبو داود (٤٩٩٨) ، والترمذي (١٩٩١) ، وأحمد (٢٦٧ / ٣) ، وانظر « غنية العارف » (٤٤٧ / ١) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٤٤٣) ، والحاكم (٤١١ / ٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٤١ / ٨) ، وقوله : (من الجانب الآخر) ؛ أي : من الشق الآخر للعين السليمة ، قاله ممازحاً أيضاً رضي الله عنه .

(٥) رواه أبو داود (٥٠٠٢) ، والترمذي (١٩٩٢) ، وأحمد (١١٧ / ٣) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٤٢٠) .

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَلَا فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَتْ : كَانَ أَلَيْنَ النَّاسِ ، بِسَامًا ضَحَّاكَ^(١) .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابَقَهَا فِسْبَقَتُهُ ، ثُمَّ سَابَقَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِسْبَقَهَا ، فَقَالَ : « هَذِهِ بَيْتُكَ »^(٢) .

(٨٩) - وَأَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التَّرْيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى الْحَافِظُ التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَضَّاحِ الْكُوفِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ ، عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخَالِطَنَا ؛ حَتَّى إِنْ كَانَ يَقُولُ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ : « يَا أَبَا عُمَيْرٍ ؛ مَا فَعَلَ الْغُفَيْرُ ؟ »^(٣) ،

(١) رواه إسحاق بن راهويه في « مسنده » (١٠٠١) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٦٥ / ١) ، وأبو الشيخ في « أخلاق النبي وآدابه » (٢٣) .

(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٨٩٦) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٧ / ١٠) .

(٣) سنن الترمذي (١٩٨٩) ، ورواه البخاري (٦١٢٩) ، ومسلم (٢١٥٠) ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١٢٩ / ١٤) : (وفي هذا الحديث فوائد كثيرة جداً ؛ منها : جوازُ تَكْنِيَةِ مَنْ لَمْ يُؤْلَدْ لَهُ ، وَتَكْنِيَةِ الْوَلَدِ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَذِبًا ، وَجَوَازُ الْمَزَاحِ فِيمَا لَيْسَ إِثْمًا ، وَجَوَازُ تَصْغِيرِ بَعْضِ الْمُسَمَّيَاتِ ، وَجَوَازُ لَعَبِ الصَّبِيِّ بِالْعَصْفُورِ ، وَتَمْكِينِ الْوَلِيِّ إِيَّاهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَجَوَازُ السَّجْعِ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ بِلَا كُفْلَةٍ ، وَمَلَاطِفَةِ الصَّبِيَّانِ وَتَأْنِيْسِهِمْ ، وَبَيَانُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ حَسَنِ الْخُلُقِ وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ ، وَالتَّوَاضُّعِ وَزِيَارَةِ الْأَهْلِ ؛ لِأَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ وَالِدَةَ أَبِي عُمَيْرٍ هِيَ مِنْ مُحَارِمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

والنَّغِيرُ : عُصْفُورٌ صَغِيرٌ .

وَرُوِيَ أَنَّ عَمَرَ سَابِقَ زُبَيْراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَسَبَقَهُ الزُّبَيْرُ ، فَقَالَ :
سَبَقْتُكَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ سَابَقَهُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَسَبَقَهُ عَمْرٌ ، فَقَالَ عَمْرٌ :
سَبَقْتُكَ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ^(١) .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ لِي عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : تَعَالَ أَنْفِسْكَ فِي الْمَاءِ أَيُّنَا أَطْوَلُ نَفْسًا ، وَنَحْنُ مُحَرِّمُونَ^(٢) .

وَرَوَى بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيخِ ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالُ)^(٣) ، يُقَالُ :
بَدَحَ يَبْدَحُ : إِذَا رَمَى ؛ أَيُ : يَتَرَامُونَ بِالْبَطِيخِ .

(٩٠) - وَأَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا [أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ
الْكَرْجِيُّ]^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(٥) ،

(١) عزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٠٦٨١) إلى المحاملي ، ورواه ابن طاهر
المقدسي في « صفوة التصوف » (٤٣٩) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٣٠٠٣) ، والشافعي في « الأم » (٣٦٢ / ٣) .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٦) ، ويكر بن عبد الله : هو الإمام القدوة
الحُجَّةُ الواعظ التابعي الجليل أبو عبد الله المزني البصري (ت ١٠٨ هـ) ، وانظر « سير
أعلام النبلاء » (٥٣٢ / ٤) .

(٤) هو الإمام المُحدِّث أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد الكَرْجِيُّ الباقلائي البغدادي (ت
٤٨٩ هـ) ، وفي النسخ : (الحسن بن أحمد الكرخي) ، والمثبت من « صفوة
التصوف » (٤٤٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤٤ / ١٩) .

(٥) هو الإمام المعمرُ المُسند أبو طالب ابن غيلان ، ممَّن سمع على أبي بكر الشافعي
البرزاز ، فروى عنه أجزاء كثيرة لُقِّبَتْ بـ « الغيلانيات » .

قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْحَرْبِيُّ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ^(٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ خَالِدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
 مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ مِخْصَنِ اللَّيْثِيُّ^(٣) ، عَنْ يَحْيَى بْنِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ قَالَ : إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 قَالَتْ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَزِيرَةٍ طَبَخْتُهَا لَهُ^(٤) ، فَقُلْتُ لَسَوْدَةَ
 وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا : كُلِّي ، فَأَبَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : كُلِّي ، فَأَبَتْ ،
 فَقُلْتُ : لَتَأْكُلَنَّ أَوْ لَأَلْطَخَنَّ بِهَا وَجْهَكَ ، فَأَبَتْ ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ
 فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهَهَا ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَضَعَ فِخْذَهُ لَهَا
 وَقَالَ لَسَوْدَةَ : « أَلْطَخِي وَجْهَهَا » ، فَلَطَخْتُ بِهَا وَجْهِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا .

فَمَرَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْبَابِ فَنَادَى : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، يَا عَبْدَ اللَّهِ ،
 فَظَنَّ النَّبِيُّ أَنَّهُ سِيدْخُلُ ، فَقَالَ : « قُومًا فَأَغْسِلَا وَجْهَيْكُمَا » ، قَالَتْ عَائِشَةُ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : فَمَا زِلْتُ أَهَابُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهَيْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاهُ^(٥) .

(١) هو الإمام المحدث المتقن مسند العراق أبو بكر الشافعي البغدادي البزاز صاحب
 « الغيلانيات » .

(٢) هو الإمام الحافظ أبو سلمة موسى بن إسماعيل التَّبُودَكِيُّ البصري (ت ٢٢٣ هـ) ،
 وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٦٠ / ١٠) .

(٣) زاد في النسخ بعد (علقمة) : (قال : حدثنا) ، والمثبت من « صفوة التصوف » .

(٤) سبق شرح (الخزيرة) في (٤٢٢ / ١) .

(٥) صفوة التصوف (٤٤٧) ، الغيلانيات (١٢١) ، ورواه من طريق أبي طالب ابن عساكر
 في « تاريخ دمشق » (٩٠ / ٤٤) .

وَوَصَفَ بَعْضُهُمْ ابْنَ طَاوُسٍ فَقَالَ : (كَانَ مَعَ الصَّبِيِّ صَبِيًّا ، وَمَعَ الْكَهْلِ كَهْلًا ، وَكَانَ فِيهِ مُزَاحَةٌ إِذَا خَلَا) (١) .

وَرَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَالَ : (كُنَّا نَتَذَكَّرُ الشُّعْرَ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، وَكَانَ يَقُولُ وَنَمْزُحُ عِنْدَهُ وَيُمَازِحُنَا ، وَكُنَّا نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ وَنَحْنُ نَضْحَكُ ، وَكُنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى الْحَسَنِ نَخْرُجُ مِنْ عِنْدِهِ وَنَحْنُ نَكَادُ نَبْكِي) (٢) .

فَهَذِهِ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ دَالَّةٌ عَلَى حُسْنِ لَيْنِ الْجَانِبِ ، وَصِحَّةِ حَالِ الصُّوفِيَّةِ ، وَحُسْنِ أَخْلَاقِهِمْ فِيمَا يَعْتَمِدُونَهُ مِنَ الْمُدَاعِبَةِ فِي الرُّبُطِ ، وَيَنْزِلُونَ مَعَ النَّاسِ عَلَى حَسَبِ طِبَاعِهِمْ ؛ لِنَظَرِهِمْ إِلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا خَلَوْا وَقَفُوا مَوْقِفَ الرِّجَالِ ، وَاکْتَسَوْا مَلَاسَ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ .

وَلَا يَقِفُ فِي هَذَا الْمَعْنَى عَلَى حَدِّ الْإِعْتِدَالِ إِلَّا صُوفِيٌّ قَاهِرٌ لِلنَّفْسِ ، عَالِمٌ بِأَخْلَاقِهَا وَطِبَاعِهَا ، سَائِسٌ لَهَا بِوُفُورِ الْعِلْمِ ، حَتَّى يَقِفَ فِي ذَلِكَ عَلَى صِرَاطِ الْإِعْتِدَالِ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ .

وَلَا يَصْلُحُ الْإِكْتِثَارُ مِنْ ذَلِكَ لِلْمُرِيدِينَ الْمُبْتَدِئِينَ ؛ لِقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِالنَّفْسِ ، وَتَعَدِّيهِمْ حَدَّ الْإِعْتِدَالِ ؛ فَلِلنَّفْسِ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ نَهَضَاتٌ وَوَثَبَاتٌ تَجَرُّ إِلَى الْإِفْسَادِ ، وَتَجَنِّحُ إِلَى الْعِنَادِ .

فَالنُّزُولُ إِلَى طِبَاعِ النَّاسِ يَحْسُنُ بِمَنْ صَعِدَ عَنْهُمْ ، وَتَرْقَى لِعُلُوِّ حَالِهِ وَمَقَامِهِ ، فَيَنْزِلُ إِلَيْهِمْ وَإِلَى طِبَاعِهِمْ حِينَ يَنْزِلُ بِالْعِلْمِ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ فِي « صِفَةِ التَّصَوُّفِ » (٤٤٨) .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ طَاهِرٍ الْمُقَدِّسِيُّ فِي « صِفَةِ التَّصَوُّفِ » (٤٥٠) .

فَأَمَّا مَنْ لَمْ يَصْعَدْ بِصَفَاءِ حَالِهِ عَنْهُمْ ، وَفِيهِ بَقِيَّةُ مَرْجٍ مِنْ طِبَاعِهِمْ
وَنَفُوسِهِمْ الْجَامِحَةِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ . . . إِذَا دَخَلَ فِي هَذِهِ الْمَدَاحِلِ أَخَذَتْ
النَّفْسُ حَظَّهَا ، وَاغْتَنَمَتْ مَآرِبَهَا ، وَاسْتَرَوَحَتْ إِلَى الرُّخْصَةِ ، وَالنُّزُولِ إِلَى
الرُّخْصَةِ يَحْسُنُ لِمَنْ رَكِبَ الْعَزِيمَةَ غَالِبَ أَوْقَاتِهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ شَأْنَ الْمُبْتَدِي .

فَلِلصُّوفِيَّةِ الْعُلَمَاءِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَرْوِيحٌ يَعْلَمُونَ حَاجَةَ الْقَلْبِ إِلَى ذَلِكَ ،
وَالشَّيْءُ إِذَا وُضِعَ لِلْحَاجَةِ يَتَقَدَّرُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ ، وَمَعْيَارُ مَقْدَارِ الْحَاجَةِ فِي ذَلِكَ
عِلْمٌ غَامِضٌ لَا يَسْلَمُ لِكُلِّ أَحَدٍ .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لَابْنِهِ : (اقْتَصِدْ فِي مُزَاحِكَ ؛ فَالْإِفْرَاطُ فِيهِ يُذْهِبُ
الْبَهَاءَ ، وَيُجَرِّئُ عَلَيْكَ السُّفَهَاءَ ، وَتَرْكُهُ يَغِيظُ الْمُؤَانِسِينَ ، وَيُوحِشُ
الْمُخَالِطِينَ) (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الْمُزَاحُ مَسْلَبَةٌ لِلْبَهَاءِ ، مَقْطَعَةٌ لِلْإِخَاءِ) (٢) .

(١) أوردته الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٥٠٣) ، والراغب الأصفهاني في
« محاضرات الأدباء » (٣٤٦/١) ، وفي « أدب الدين والدنيا » : (يقصي عنك) بدل
(يغيب) ، وفي « المحاضرات » : (يقبض) ، وفي ذلك يقول السابوري في
« منظومته » :

شَرُّ مُزَاحِ الْمَرْءِ لَا يُقَالُ	وْخَيْرُهُ يَا صَاحِبَ لَا يُنَالُ
وَقَدْ يُقَالُ كَثْرَةُ الْمُزَاحِ	مِنْ الْفَتَى تَدْعُو إِلَى التَّلَاحِي
إِنَّ الْمُزَاحَ بَدْوُهُ حَلَاوَةٌ	لَكُنَّمَا آخِرُهُ عَدَاوَةٌ
يَحْقِدُ مِنْهُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ	وَيَجْتَرِي بِسُخْفِهِ السَّخِيفُ

انظر « أدب الدين والدنيا » (ص ٥٠٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠١) عن الحسين بن عبد الرحمن ، وأورده =

وكما يَصْعُبُ معرفة الاعتدالِ في ذلك . . يَصْعُبُ معرفة الاعتدالِ في الضحك ، والضحكُ مِنْ خصائصِ الإنسانِ ، ويُمَيِّزُهُ عن جنسِ الحيوانِ ، ولا يكونُ الضحكُ إلا عن سابقةٍ تَعَجُّبٍ ، والتعجُّبُ يستدعي الفِكرَ ، والفِكرُ شرفُ الإنسانِ وخاصيَّتهُ .

ومعرفة الاعتدالِ فيه أيضاً شأنٌ مَنْ ترسَّخَ قدمُهُ في العلمِ ؛ ولهذا قيلَ : (إِيَّاكَ وكثرة الضحكِ ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ القلبَ) (١) .

وقيلَ : كثرة الضحكِ مِنَ الرُّعُونَةِ (٢) .

ورُوِيَ عن عيسى عليه السلامُ أَنَّهُ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُغَضُّ الضَّحَاكَ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَالْمَشَاءَ فِي غَيْرِ أَرْبٍ) (٣) .

وذكرَ فرقٌ بينَ المُدَاعَبَةِ والمُزَاحِ ؛ فَقِيلَ : المُدَاعَبَةُ : ما لا يُغَضِبُ جِدَّهُ ، والمُزَاحُ : ما يُغَضِبُ جِدَّهُ .

وقد جَعَلَ أبو حنيفةَ رَحِمَهُ اللهُ القَهْقَهَةَ في الصلاةِ مِنَ الذَّنْبِ ، وَحَكَمَ بِبُطْلَانِ الوُضوءِ بِهِ ، وَقَالَ : نَقِيمُ الإِثْمِ مُقَامَ خُرُوجِ الخَارِجِ (٤) .

= ابن حبان في « روضة العقلاء » (ص ٧٨) من كلام أبي حاتم رحمه الله تعالى

(١) رواه مرفوعاً ابن حبان (٣٦١) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٥٩٢) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وابن ماجه (٤١٩٣) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١٠٥٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص ٢٠٢) ، وعزاه في « محاضرات الأدباء » (٣٤٧ / ١) إلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص ٢٠٢) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٧ / ٥) عن كعب الأحبار رحمه الله تعالى .

(٤) والقَهْقَهَةُ : ما يكون مسموعاً للمُصَلِّي وجارِهِ ، وهو يفسد الوضوء والصلاة جميعاً =

فلا اعتدال في المزاح والضحك لا يتأتى إلا إذا خلص وخرج من مضيق
الخوف والقبض والهيبة ؛ فإنه يتقوّم بكلّ مضيق من هذه المضايق بعض
التقويم ، فيعتدل الحال فيه ويستقيم ؛ فالبسط والرجاء يُنشئانه ، والخوف
والقبض يحكمان بالعدل فيه .

ومن أخلاق الصوفيّة : ترك التكلّف .

وذلك أنّ التكلّف تصنع وتعمل وتمايل على النفس لأجل الناس ، وذلك
يُبين حال الصوفيّة ، وفي بعضه خفيّ منازعة للأقدار ، وعدم الرضا بما قسم
الجبار .

ويقال : التصوّف : ترك التكلّف^(١) .

ويقال : التكلّف تخلّف^(٢) ، وهو تخلّف عن شأو الصادقين^(٣) .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (شهدت وليمة لرسول الله
صلّى الله عليه وسلّم ما فيها خبز ولا لحم)^(٤) .

وروي عن جابر رضي الله عنه أنّه أتاه ناس من أصحابه ، فأتاهاهم بخبزٍ

= عنده ، والضحك : ما يكون مسموعاً للمصلّي ، وهو يفسد الصلاة فقط ، والمراد
بالصلاة : ذات الركوع والسجود ، حتى تخرج صلاة الجنّاة وسجدة التلاوة . انظر
« حاشية ابن عابدين » (٢٧٥-٢٧٦) .

(١) أوردته أبو منصور الثعالبي في « خاص الخاص » (ص ٧٤) ، وعزاه إلى ابن السماك ،
وأوردته الحصري القيرواني في « زهر الآداب » (٨٦٦/٣) ، وسبق بنحوه (٢٥٤/١) .

(٢) أوردته ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » تحت رقم : (٦٧٠) .

(٣) الشأو : الغاية والسبق .

(٤) رواه البخاري (٤٢١٣) ، وكانت الوليمة بسبب بنائه بالسيدة صفية رضي الله عنها بين
خير والمدينة .

وخلّ وقال : كُلُوا ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
« نِعَمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ » (١) .

وروى شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ (٢) : دخلتُ على سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، فأخرجَ
إِلَيَّ خُبْزاً وَمِلْحاً ، وقالَ : كُلْ ، لولا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهانا
عَنِ التَّكَلُّفِ ؛ أَنْ يَتَكَلَّفَ أَحَدٌ لِأَحَدٍ . . . لتَكَلَّفْتُ لَكُمْ (٣) .

والتَّكَلُّفُ مذمومٌ في جميعِ الأشياءِ ؛ كالتَّكَلُّفِ في الملبوسِ للناسِ مِنْ
غَيْرِ نِيَّةٍ فِيهِ ، والتَّكَلُّفِ في الكلامِ ، وزيادةِ التَّمَلُّقِ الذي صارَ دَأْبَ أَهْلِ
الزَّمانِ ، فما يَكادُ يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا آحَادٌ وَأَفْرَادٌ .

وكم مِنْ تَمَلَّقٍ لَا يُعْرَفُ أَنَّهُ تَمَلَّقٌ وَلَا يُفْطَنُ لَهُ !! فقد يَتَمَلَّقُ الشَّخْصُ إِلَى
حَدٍّ يُخْرِجُهُ إِلَى صَرِيحِ النِّفَاقِ ، وهو مُبَايِنٌ لِحَالِ الصُّوفِيِّ .

(٩١) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التُّرَيْيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو عَيْسَى التُّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ
هَارُونَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ ، عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ

(١) رواه أحمد (٣٧١ / ٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٠٦٦) ، ورواه من
سياق آخر مسلم (٢٠٥٢ / ١٦٧) ، والدارمي (٢٢١٢) ، وروى قولَ النبي صلى الله
عليه وسلم فقط مسلم (٢٠٥١) ، والدارمي (٢٢١٣) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) هو أبو وائل كما سيأتي التصريح به في (٧٣ / ١) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٠٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير »
(٢٣٥ / ٦) ، و« المعجم الأوسط » (٥٩٣٥) .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ ،
وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ الْتَفَاقِ » (١) .

البذاء : الفحش ، وأراد بالبيان ها هنا : كثرة الكلام والتكلف للناس
بزيادة تملق وثناء عليهم ، وإظهار التفصح ، وذلك ليس من شأن أهل
الصدق والتصوف .

وحكي عن أبي وائل قال : مَضَيْتُ مَعَ صَاحِبٍ لِي نَزورُ سَلْمَانَ ، فَقَدَّمْ
إِلَيْنَا خُبْزَ شَعِيرٍ وَمِلْحًا جَرِيشًا (٢) ، فَقَالَ صَاحِبِي : لَوْ كَانَ فِي هَذَا الْمِلْحِ
سَعْتَرٌ كَانَ أَطْيَبَ ، فَخَرَجَ سَلْمَانُ وَرَهْنٌ مِطْهَرَتُهُ وَأَخَذَ سَعْتَرًا ، فَلَمَّا أَكَلْنَا قَالَ
صَاحِبِي : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَنَعَنَا بِمَا رَزَقَنَا ، فَقَالَ سَلْمَانُ : لَوْ قَنَعْتَ بِمَا
رَزَقَكَ لَمْ تَكُنْ مِطْهَرَتِي مَرْهُونَةً (٣) .

وفي هذا من سلمان ترك التكلف قولاً وفعلاً .

وفي حديث يونس النبي عليه السلام : أَنَّهُ زَارَهُ إِخْوَانُهُ ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ
كِسْرًا مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ ، وَجَزَلَهُمْ بَقْلًا كَانَ يَزْرَعُهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
لَعَنَ الْمُتَكَلِّفِينَ لَتَكَلَّفْتُ لَكُمْ (٤) .

(١) سنن الترمذي (٢٠٢٧) ، ورواه أحمد (٢٦٩ / ٥) ، والخرائطي في « مكارم
الأخلاق » (٣٠٠) ، والحاكم (٩ / ١) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣٠٧) ، وأراد
بالعي : قلة الكلام تحرُّزاً عن الوقوع في الكذب والبهتان .

(٢) الجَرِيش : الغليظ الخشن .

(٣) رواه الحاكم (١٢٣ / ٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٣٥ / ٦) ، والبيهقي في
« الشعب » (٩١٥٣) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١٤٣٦ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء »
(٤٦ / ٣) .

وقال بعضهم : (إذا قُصِدَت للزيارة فقدم ما حَضَرَ ، وإذا استزرت فلا تَبَقِ ولا تَذَرُ) (١) .

وروى زبير بن العوام قال : نادى مُنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : « اَللّهُمَّ ؛ اَغْفِرْ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ لِمَوَاتِ اُمَّتِي وَلَا يَتَكَلَّفُونَ ، اَلَا اِنِّي بَرِيءٌ مِنْ التَّكَلُّفِ وَصَالِحُو اُمَّتِي » (٢) .

وروي أن عمر رضي الله عنه قرأ قوله تعالى : ﴿ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًا ﴾ * وَعَبَا وَقَضَا * وَزَيَّنَّا وَنَخَلَا * وَحَدَّيْقَ غُلْبًا * وَفِكْهَةً وَأَبَا ﴾ [عبس : ٢٧-٣١] ، ثم قال : هذا كله قد عَرَفْنَاهُ ، فما الأَبُّ ؟ قال : ويبد عُمرَ عَصَا ، فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ ثُمَّ قَالَ : هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ هُوَ التَّكَلُّفُ ، فَخُذُوا أَيُّهَا النَّاسُ مَا بَيَّنَّ لَكُمْ مِنْهُ ؛ فَمَا عَرَفْتُمْ اَعْمَلُوا بِهِ ، وما لم تَعْرِفُوا فَكَلُوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (٣) .

(١) أورده أبو طالب المكي (١٤٣٦/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٤٥/٣) ، واستزرت : طلبت من الناس أن يزوروك ، وفي « القوت » : (دعوت) بدل (استزرت) .

(٢) رواه الديلمي في « الفردوس » (٢٢٨) ، وعزاه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣١٣٦) للدارقطني في « الأفراد » والخطيب البغدادي وابن عساكر والرافعي ، وصالحو : مبتدأ وخبره محذوف ؛ أي : وصالحو أُمَّتِي بريئون ، ويجوز فيه غير ذلك .

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٦٥/١١) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٧٧٣) ، ورواه إلى قوله : (هو التكلف) سعيد بن منصور في « سننه » (٤٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٧٢٩) ، وإلى قوله : (ما بين لكم) الحاكم (٥١٤/٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٠٨٤) ، وليس المراد من كلام سيدنا عمر وغيره ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه ؛ وإلا لتعارض مع قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه : « اَللّهُمَّ ؛ فَفْهُهُ فِي الدِّينِ وَعِلْمُهُ التَّأْوِيلَ » ، وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِمَةُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] ، وللإمام الغزالي بحث نفيس في ذلك . انظره في « الإحياء » (٣٢٥-٣٢٩) ، وفي هامش =

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : الْإِنْفَاقُ مِنْ غَيْرِ إِقْتَارٍ ، وَتَرْكُ الْأَدْحَارِ .

وَذَلِكَ أَنَّ الصُّوفِيَّ يَرَى خَزَائِنَ فَضْلِ الْحَقِّ ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ هُوَ مُقِيمٌ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ ، وَالْمُقِيمُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ لَا يَدَّخِرُ الْمَاءَ فِي قُرْبَتِهِ وَرَاوِيَّتِهِ .

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُمَسِّكًا تَلْفًا »^(١) .

وَرَوَى أَنَسٌ قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِنَفْسِهِ)^(٢) .

وَرَوَى أَنَّهُ أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثُ طَوَائِرَ ، فَأَطْعَمَ

= (ب) : (بَلَغَ سَمَاعُ الْجَمَاعَةِ فِي التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ) ، وَفِي هَامِشِهِ أَيْضاً : (بَلَغَ عَلَى الشَّيْخِ الْحَافِظِ جَلَالِ الدِّينِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُقَدَّسِيِّ) .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٤٤٢) ، وَمُسْلِمٌ (١٠١٠) ، قَالَ الْقُسْطَلَانِيُّ فِي « إِرْشَادِ السَّارِي » (٣٧ / ٣) : (وَقَوْلُهُ : « اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُمَسِّكًا تَلْفًا » هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْمَشَاكِلَةِ ؛ لِأَنَّ التَّلْفَ لَيْسَ بِعَطِيَّةٍ ، وَظَاهِرُهُ - كَمَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ - يَعُمُّ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ ، لَكِنَّ الْمَمْسَكَ عَنْ الْمَنْدُوبَاتِ لَا يَسْتَحِقُّ الدَّعَاءَ بِالتَّلْفِ ، نَعَمْ ؛ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْبَخْلُ الْمَذْمُومُ ؛ بِحَيْثُ لَا تَطْيِبُ نَفْسُهُ بِإِخْرَاجِ مَا أَمْرُهُ إِذَا أَخْرَجَهُ) .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي « شَرْحِ مُسْلِمٍ » (٩٥ / ٧) : (قَالَ الْعُلَمَاءُ : هَذَا فِي الْإِنْفَاقِ فِي الطَّاعَاتِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَعَلَى الْعِيَالِ وَالضُّيَّفَانِ وَالصَّدَقَاتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يُذَمُّ وَلَا يُسَمَّى سَرَفًا ، وَالْإِمْسَاكُ الْمَذْمُومُ هُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ هَذَا) .

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٦٢) ، وَابْنُ حِبَانَ (٦٣٥٦) ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ (١٣٩١) .

خادمه طيراً ، فلمّا كان الغد أتاه به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أَلَمْ أَنهَكَ أَنْ تُخَبِّئَ شَيْئاً لَغِدٍ ؟ ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْتِي بِرِزْقِ كُلِّ غَدٍ » (١) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
على بلالٍ وعنده صبرة من تمرٍ ، فقال : « مَا هَذَا يَا بِلَالُ ؟ » ، فقال :
أَذْخِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قال : « أَمَا تَخْشَى ؟ ! أَنْفَقَ يَا بِلَالُ ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي
الْعَرْشِ إِقْلَالاً » (٢) .

وروي أنه كان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم يأكل الشجر ، ويلبس
الشعر ، ويبيت حيث أمسى ، ولم يكن له ولدٌ يموت ، ولا بيتٌ يخرب ،
ولا يُخَبِّئُ شَيْئاً لَغِدٍ (٣) .

(١) رواه أحمد (١٩٨/٣) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٤٢٢٣) ، والبيهقي في
« الشعب » (١٣٩٢) ، وابن بشران في « أماليه » (١١٨٠) عن سيدنا أنس بن مالك
رضي الله عنه ، وطوائر : جمع (طائر) ، والطائر يُطلق على المذكر والمؤنث ،
وقوله : (طيراً) استعمل مفرداً على قول قطرب وأبي عبيدة ، وإلا فالأصل أن يُقال :
(طائراً) ، وقد جاء كذلك على الأصل في « مسند أبي يعلى » ، وانظر « تاج العروس »
(٤٥٠/١٢) .

(٢) رواه أبو يعلى في « مسنده » (٦٠٤٠) ، والبزار في « مسنده » (٩٨٩٣) ، والطبراني
في « المعجم الكبير » (٣٤٢-٣٤١/١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٨٠/٢) ،
والبيهقي في « الشعب » (١٢٨٣) ، وروي أيضاً عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ،
وفي (ج ، د) : (أنفق بلالاً) بالنصب ، ويُخرَج على أنه أتى به كذلك ؛ لمناسبة
(إقلالاً) ، وقيل غير ذلك ، وفي (هـ) : (بلال) دون (يا) ، وهو ظاهر .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٦٧) ، وأبو نعيم في « الحلية »
(٢٧٣/٣) ، والثعلبي في « الكشف والبيان » (٥٤٦/١١) عن مجاهد عن عبيد بن
عمير رحمهما الله تعالى ، وروي عن مجاهد دون ذكر عمير ، كما في « تاريخ دمشق »
(٤١٤/٤٧) ، و« الزهد » لوكيع بن الجراح (١٢٥) .

فَالصُّوفِيُّ كُلُّ خَبَايَاهُ فِي خَزَائِنِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِصِدْقِ تَوَكُّلِهِ ، وَثِقَتِهِ بِرَبِّهِ .

فَالدُّنْيَا لِلصُّوفِيِّ كَدَارِ الْعُرْبَةِ ؛ لَيْسَ لَهُ فِيهَا ادِّخَارٌ ، وَلَا لَهُ مِنْهَا اسْتِكْثَارٌ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ . . لَرَزَقْتُمْ كَمَا تُرَزَقُ الطَّيْرُ ؛ تَغْدُو خِمَاصًا ، وَتَرُوحُ بَطَانًا » ^(١) .

(٩٢) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَالِينِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّوْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ السَّرْحَسِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عِمْرَانَ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ ، عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا) ، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ : (إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَعَدَ) ^(٢) .

(٩٣) - وَبِالْإِسْنَادِ إِلَى الدَّارِمِيِّ قَالَ : أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ ابْنِ أَخِي الزُّهْرِيِّ قَالَ : (إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٨٠٥) ، وابن ماجه

(٤١٦٤) ، وأحمد (٣٠ / ١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي (ب ،

ج ، و ، ز) : (لرزقكم كما يرزق الطير) ، وهي رواية ابن ماجه وأحمد ، وتغذو :

تذهب أول النهار ، وخماصاً : جِيعاً ، وتروحُ : ترجع آخر النهار ، وبطاناً : شِباعاً .

(٢) سنن الدارمي (٧١) ، ورواه البخاري (٦٠٣٤) ، ومسلم (٢٣١١) دون قول ابن عيينة ،

وسبق السند إلى الإمام الدارمي والتعريف ببعض رجاله . انظر (٣١٢ / ١ - ٣١٣) .

السلامُ قَالَ : ما في الأرضِ أهلُ عَشْرَةِ آيَاتٍ إِلَّا قَلْبُهُمْ ، فما وجدتُ أحداً
أشدَّ إنفاقاً لهذا المالِ مِنْ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ (١) .

وَمِنْ أخلاقِ الصُّوفِيَّةِ : القناعةُ باليسيرِ مِنَ الدنيا .

قَالَ ذو النُّونِ المِصْرِيُّ رحمه اللهُ : (مَنْ قَنَعَ استراحَ مِنْ أَهْلِ زمانِهِ ،
واستطالَ على أَقرانِهِ) (٢) .

وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الحارثِ : (لو لم يَكُنْ في القناعةِ إِلَّا التَّمَتُّعُ بالعِزِّ . . لكفى
صاحِبُهُ) (٣) .

وَقَالَ بُنَانُ الحِمَالِ : (الحُرُّ عَبْدٌ ما طَمَعَ ، والعبدُ حُرٌّ ما قَنَعَ) (٤) .

وَقَالَ بعضُهُمْ : (انتقمْ مِنْ حِرْصِكَ بالقناعةِ ، كما تنتقمُ مِنْ عدوِّكَ
بالقِصاصِ) (٥) .

وَقَالَ أبو بكرٍ المَرَاغِيُّ : (العاقلُ : مَنْ دَبَّرَ أَمْرَ الدنيا بالقناعةِ
والتسويةِ ، ودَبَّرَ أَمْرَ الآخرةِ بالحِرْصِ والتعجيلِ) (٦) .

(١) سنن الدارمي (٧٤) ، وهو مرسل ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٦٠) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٤٠٥) ، وقوله : (واستطال على أقرانه) ؛ أي :
عزَّ في نفسه ، وارتفعت مرتبته عليهم في الدنيا والآخرة ، واستغنى عنهم بفضل الله
عليه . من « إحكام الدلالة » (٣ / ٤٤) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠ / ٢١٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٣٢٤) ، والثعلبي في « الكشف والبيان »
(٨ / ٢١١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٧ / ١٠٤) .

(٥) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٤٠٥) عن إبراهيم المارستاني رحمه الله تعالى .

(٦) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٤٠٤) ، وفي « تنبيه الغافلين » (ص ٢٤) :
(ينبغي للعاقل أن ينتبه من رَقْدَةِ الغفلة ، وعلامة مَنْ انتبه مِنْ رَقْدَةِ الغفلة أربعة أشياء : =

وقال يحيى بن معاذ : (مَنْ قَنَعَ بِالرِّزْقِ فَقَدْ ذَهَبَ بِالْآخِرَةِ وَطَابَ عَيْشُهُ) .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : (القناعة سيف لا ينو)^(١) .

(٩٤) - أخبرنا أبو زُرْعَة ، عن أبيه أبي الفضل ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن الخلال ببغداد ، قال : أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهيم^(٢) ، قال : حدَّثنا أبو القاسم البغوي ، قال : حدَّثنا محمد بن عباد ، قال : حدَّثنا أبو سعيد ، عن صدقة بن الربيع ، عن عمارة بن غزيرة ، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد ، عن أبيه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على الأعواد يقول^(٣) : « مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَاللَّهِ »^(٤) .

= أُولُهَا : أن يُدبَّر أمر الدنيا بالقناعة والتسوية ، والثاني : أن يُدبَّر أمر الآخرة بالحرص والتعجيل ، والثالث : أن يُدبَّر أمر الدين بالعلم والاجتهاد ، والرابع : أن يُدبَّر أمر الخلق بالنصيحة والمُدارة) .

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (١٤٩ / ٢) ، والماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٤٦١) ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٥٢٤ / ٢) .

(٢) هو الكتّاني البغدادي الإمام المقرئ المُحدِّث المُعَمَّر (ت ٣٩٠ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٨٢ / ١٦) .

(٣) قال في « شرح المشكلات » (ق / ٤٦) : (الأعواد : اسم موضع بالمدينة ، ويمكن أن يكون مرادة المنبر) .

(٤) صفوة التصوف (٧١٥) ، ورواه أبو يعلى في « مسنده » (١٠٥٣) من طريق محمد بن عباد به ، ورواه ابن حبان (٣٣٢٩) ، والحاكم (٤٤٥ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » =

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ
وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا ، ثُمَّ صَبَرَ عَلَيْهِ » (١) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
وقال : « أَللَّهُمَّ ؛ أَجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا » (٢) .

وروى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ » (٣) .

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : (كُونُوا أَوْعِيَةَ الْكِتَابِ ، وَبِنَايِعِ
الْحِكْمَةِ ، وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ فِي الْمَوْتِ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى رِزْقَ يَوْمٍ بِيَوْمٍ ،
وَلَا يَضُرُّكُمْ إِلَّا يُكْثِرَ لَكُمْ) (٤) .

(٩٥) - وأخبرنا أبو زُرْعَةَ طاهرٌ ، عن والدِهِ أَبِي الْفَضْلِ قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّائِطِيّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَافِظُ (٥) ،

= (٣١٣٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٦٢) .

(١) رواه مسلم (١٠٥٤) بلفظ : (وَقَنَعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) بدل (ثُمَّ صَبَرَ عَلَيْهِ) ، وابن حبان
(٦٧٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) ، ومسلم (١٠٥٥) .

(٣) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٨٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط »
(٦٩٢٢) ، وابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٣٠٦) ، ورواه
القضاعي في « المسند » (٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « كشف
الخفاء » (١٠٢ / ٢) ، و« غنية العارف » (١ / ٤٦٣) .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٦٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٢) ،
وأبو نعيم في « الحلية » (٥١ / ١) .

(٥) هو الإمام الحافظ المَجُود أبو بكر ابن منجويه الأصبهاني (ت ٤٢٨ هـ) ، وانظر « سير
أعلام النبلاء » (١٧ / ٤٤٠) .

قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ حَمْدَانَ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ^(٢) ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكِ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مروانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ،
 قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي شُمَيْلَةَ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي
 سلمةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِخْصَنِ^(٣) ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ
 يَوْمِهِ . . فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا »^(٤) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل : ٩٧] : هي
 القناعة^(٥) .

- (١) هو الإمام المُحدِّث النحوي الثقة محمد بن أحمد بن حمدان الحيري (ت ٣٧٦هـ) ،
 وانظر « سير أعلام النبلاء » (٣٥٦ / ١٦) .
- (٢) هو الإمام الحافظ الثَّبت أبو العباس الشيباني الخراساني النسوي (ت ٣٠٣هـ) ، وانظر
 « سير أعلام النبلاء » (١٥٧ / ١٤) .
- (٣) ويقال أيضاً : (عبيد الله) بدل (عبد الله) ، كما نصَّ عليه المزي في « تهذيب الكمال »
 (٢٩٥ / ١١) .
- (٤) صفوة التصوف (٧٢٢) ، ورواه الترمذي (٢٣٤٦) ، وابن ماجه (٤١٤١) ،
 والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٠٠) ، وانظر « غنية العارف » (١ / ٤٦٣ - ٤٦٤) ،
 والسَّوَّب : النَّفْس ، وقيل : الجماعة ؛ أي : في أهله وعياله ، وكسر السين هو
 المشهور ، وقيل : بفتح السين ؛ أي : في مسلكه وطريقه ، وقيل : بفتحتين ؛ أي :
 في بيته ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٣٢٥٠ / ٨) ، وزيد في غالب النسخ آخر
 الحديث : (بحذافيرها) ، وهي رواية ابن أبي عاصم في « الأحاد والمثاني »
 (٢١٢٦) .
- (٥) قاله سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه الحاكم (٣٥٦ / ٢) ، والبيهقي في
 « الشعب » (٩٨٦٤) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٢٦٥١) ، وروي أيضاً عن
 سيدنا علي رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله تعالى . انظر « تفسير الطبري »
 (٢٩٠ / ١٧) .

فَالصُّوفِيُّ قَوَّامٌ عَلَى نَفْسِهِ بِالْقِسْطِ ، عَالِمٌ بِطَبَائِعِ النَّفْسِ ، وَجَدَّوِي
الْقَنَاعَةِ وَالتَّوَصُّلِ إِلَى اسْتِخْرَاجِ ذَلِكَ مِنَ النَّفْسِ ؛ لَعَلِمِهِ بَدَائِهَا وَدَوَائِهَا .

قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ : (الْقَنَاعَةُ مِنَ الرِّضَا ، كَمَا أَنَّ الْوَرَعَ مِنَ
الزُّهْدِ)^(١) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْمُجَادَلَةِ وَالْغَضَبِ إِلَّا بِحَقٍّ ،
وَاعْتِمَادُ الرَّفْقِ وَالْحِلْمِ .

وَذَلِكَ أَنَّ النُّفُوسَ تَثْبُتُ وَتُظْهَرُ فِي الْمُمَارَيْنِ ، وَالصُّوفِيُّ كُلَّمَا رَأَى نَفْسَ
صَاحِبِهِ ظَاهِرَةً قَابِلَهَا بِالْقَلْبِ ، وَإِذَا قُوْبِلَتِ النَّفْسُ بِالْقَلْبِ ذَهَبَتِ الْوَحْشَةُ ،
وَانْطَفَأَتِ الْفِتْنَةُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَعْلِيمًا لِعِبَادِهِ : ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا
الَّذِي يَبْنُوكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وَلَا يُنْزَعُ الْمِرَاءُ إِلَّا مِنْ نَفُوسٍ زَكِيَّةٍ انْتَزَعَتْ مِنْهَا الْغِلُّ ، وَوُجُودُ الْغِلِّ فِي
النُّفُوسِ مِرَاءٌ الْبَاطِنِ ، وَإِذَا انْتَزَعُ الْمِرَاءُ مِنَ الْبَاطِنِ ذَهَبَ مِنَ الظَّاهِرِ أَيْضًا ،
وَقَدْ يَكُونُ الْغِلُّ فِي النَّفْسِ مَعَ مَنْ يُشَاكِلُهُ وَيُمَاثِلُهُ ؛ لَوْجُودِ الْمُنَافَسَةِ .

وَمَنْ اسْتَقْصَى فِي تَذْوِيبِ النَّفْسِ بِنَارِ الزَّهَادَةِ فِي الدُّنْيَا . . يَنْمُحِي الْغِلُّ مِنْ
بَاطِنِهِ ، وَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ مُنَافَسَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ فِي حُطُوطٍ عَاجِلَةٍ مِنْ جَاهٍ وَمَالٍ ؛
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُتَّقِينَ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ
إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] .

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « الرِّضَا عَنْ اللَّهِ بِقَضَائِهِ » (١٠٣) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ »
(٢٧٤ / ٩) ، وَابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي « الزُّهْدِ وَصِفَةِ الزَّاهِدِينَ » (٢٤) .

قال أبو حفص : (كيف يبقى الغلُّ في قلوبِ ائتلفت بالله ، واتّفت على محبّته ، واجتمعت على مودّته ، وأنست بذكره ؟ ! فإنّ تلك قلوبٌ صافيةٌ من هواجسِ النفوسِ ، وظلماتِ الطباعِ ، بل كُحِلَتْ بنورِ التوفيقِ ، فصارت كما قال الله تعالى : ﴿ إِخْوَانًا ﴾ ^(١) .

فهكذا قلوبُ أهلِ التَّصَوُّفِ والمُجْتَمِعِينَ على الكلمةِ الواحدةِ ؛ مِنَ التَّلَزُّمِ بشروطِ الطريقِ ، والانكبابِ على الظَّفَرِ بالتحقيقِ .
والناسُ رجُلانِ :

رجلٌ طالبٌ ما عندَ الله تعالى ، ويدعو إلى ما عندَ الله نفسهُ وغيره ، فما للمُحِقِّ الصُّوفِيِّ معَ هذا مُنافسةً ومِراءً وغلًّا ؛ فإنّ هذا معه في طريقِ واحدةٍ ووجهةٍ واحدةٍ ، وأخوه ومُعينه ، والمؤمنونَ كالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بعضهم بعضاً .

ورجلٌ مُفْتَتِنٌ بشيءٍ مِنْ محبةِ الجاهِ والمالِ والرِّياسَةِ ونَظَرِ الخَلْقِ ، فما للصُّوفِيِّ معَ هذا مُنافسةً ؛ لأنّه زهدَ فيما فيه رَغَبَ .

فمِنْ شأنِ الصُّوفِيِّ أَنْ ينظرَ إلى مِثْلِ هذا نَظَرَ رَحْمَةٍ وَشَفَقَةٍ حيثُ يراهُ محجوباً مُفْتَتِناً ؛ فلا ينطوي له على غلٍّ ، ولا يُماريه في الظاهرِ على شيءٍ ؛ لعلمه بظهورِ نفسه الأَمَّارةِ بالسُّوءِ في المِراءِ والمُجادلةِ .

(٩٦) - أخبرنا الشيخُ العالمُ ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قال :

أخبرنا أبو الفتحِ الهَرَوِيُّ ، قال : أخبرنا أبو نصرٍ التُّرَيْيَاقِيُّ ، قال : أخبرنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحِيُّ ، قال : أخبرنا أبو العباسِ المَحْبُوبِيُّ ، قال : أخبرنا

(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (٣٥٥ / ١) ، وسبق في (٢٣٤ / ١) .

أبو عيسى الترمذي ، قال : حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ ،
 عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ،
 عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تُمَارِ أَخَاكَ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا
 فَتُخْلِفَهُ » (١) .

وفي الخبر : « مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ . . بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ
 الْجَنَّةِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ . . بُنِيَ لَهُ فِي وَسْطِهَا ، وَمَنْ حَسَنَ
 خُلُقَهُ . . بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلَاهَا » (٢) .

(٩٧) - وأخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب الشهرستاني
 رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن أبي عبد الله الماليني ،
 قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن الدَّأودي ، قال : أخبرنا أبو محمد
 عبد الله بن أحمد الحموي ، قال : أخبرنا أبو عمران عيسى السمرقندي ،
 قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدَّارمي ، قال : حَدَّثَنَا
 يحيى بن بسْطام ، عن يحيى بن حمزة ، قال : حَدَّثَنِي الثُّعْمَانُ ، عن
 مكحول ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ الشُّفَهَاءَ ، أَوْ يُرِيدَ

(١) سنن الترمذي (١٩٩٥) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٩٤) ، وأبو نعيم
 في « الحلية » (٣/٣٤٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٠٧٣) ، وزادوا جميعاً بعد
 (لا تمار أخاك) : (ولا تمارِخه) ، وانظر « غنية العارف » (٤٦٦/١) .

(٢) رواه بنحوه الترمذي (١٩٩٣) ، وابن ماجه (٥١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله
 عنه ، وأبو داود (٤٨٠٠) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، ورَبَضُ الجنة : نواحيها
 وجوانبها من داخلها لا من خارجها .

أَنْ يُقْبَلَ بِوُجُوهِ النَّاسِ إِلَيْهِ . أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى جَهَنَّمَ » (١) .

أُنْظُرْ كَيْفَ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُمَارَاةَ مَعَ الشُّفَهَاءِ سَبَبًا
لِدُخُولِ النَّارِ ؛ وَذَلِكَ لظهورِ نَفُوسِهِمْ فِي طَلَبِ الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ ، وَالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةُ
مِنْ صِفَاتِ الشَّيْطَانَةِ فِي الْآدَمِيِّ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (الْمُجَادِلُ الْمُمَارِي يَضَعُ فِي نَفْسِهِ عِنْدَ الْخَوْضِ فِي
الْجِدَالِ أَلَّا يَقْنَعَ بِشَيْءٍ ، وَمَنْ لَا يَقْنَعُ إِلَّا بِأَلَّا يَقْنَعَ . . فَمَا إِلَى قِنَاعَتِهِ
سَبِيلٌ) (٢) .

فَنَفْسُ الصُّوفِيِّ تَبَدَّلَتْ صِفَاتُهَا ، وَذَهَبَ عَنْهُ صِفَةُ الشَّيْطَانَةِ وَالسَّبْعِيَّةِ ،
وَتَبَدَّلَ بِاللِّينِ وَالرَّفَقِ ، وَالسُّهُولةِ وَالطَّمَانِينَةِ .

وَرُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ ؛ لَا يُسَلِّمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، وَلَا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ
بَوَائِقَهُ » (٣) .

(١) سنن الدارمي (٣٨٦) مرسلًا عن مكحول رحمه الله تعالى ، ورواه الترمذي
(٢٦٥٤) ، والحاكم (٨٦/١) عن سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه
(٢٥٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص ١٨٧) ، وفي بعض النسخ : (بأن
يقنع) بدل (بألا يقنع) .

(٣) رواه أحمد (٣٨٧/١) ، والحاكم (١٦٥/٤) ، وأبو نعيم في « الحلية »
(١٦٦/٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٥١٣٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ، وقوله : (حَتَّى يَسْلَمَ) كَذَا ضَبَطَتْ فِي بَعْضِ النُّسخِ ، وَالْمَعْنَى : حَتَّى
يُنْقَادَ ، وَهُوَ الْمُنَاسِبُ مَعَ سِيَاقِ الْمُؤَلِّفِ ، وَضَبَطَتْ فِي بَعْضِهَا : (حَتَّى يُسَلِّمَ) ، كَمَا
هِيَ الرِّوَايَةُ الْمَشْهُورَةُ ، وَالْبَوَائِقُ : جَمْعُ (بَائِقَةٌ) ؛ وَهِيَ الظُّلْمُ وَالشَّرُّ ، وَأُنْظُرْ « مِرْقَاةُ
الْمِفَاتِيحِ » (٣١٢٨/٨) .

انظر كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم من شرط الإسلام سلامة القلب
واللسان .

وروي أن رسول الله عليه الصلاة والسلام مرَّ بقوم وهم يجُرُّون حَجَرًا ،
فقال : « مَا هَذَا ؟ » ، قالوا : هَذَا حَجَرُ الْأَشِدَّاءِ ، قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ
بِأَشَدِّ مِنْ هَذَا ؟ رَجُلٌ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ غَضَبٌ ، فَأَتَاهُ فَغَلَبَ شَيْطَانُهُ
وَشَيْطَانُ أَخِيهِ فَكَلَّمَهُ » (١) .

وروي أنه جاء غلامٌ لأبي ذرٍّ وقد كسر رجل شاةٍ له ، فقال أبو ذرٍّ : مَنْ
كَسَرَ رِجْلَ هَذِهِ الشَّاةِ ؟ فقال : أنا ، قال : وَلِمَ فعلتَ ذلك ؟ قال : عَمْدًا
فعلتُ ، قال : وَلِمَ ؟ قال : أَغِظُكَ فَتَضْرِبُنِي فَتَأْتُمُ ، فقال أبو ذرٍّ : لَا غِظَنَ
مَنْ حَضَّكَ عَلَى غِظِي ، فَأَعْتَقَهُ (٢) .

وروي الأَصْمَعِيُّ عن أعرابيٍّ قال : (إِذَا أَشْكََلَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ لَا تَدْرِي

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٨٤) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة
التصوف » (٨٨٦) مرسلًا عن مجاهد رحمه الله تعالى ، والبيهقي في « الشعب »
(٧٩٢٢) عن سيدنا عبد الرحمن بن عجلان رضي الله عنه ، والطبراني في « مكارم
الأخلاق » (٣٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، واللفظ في « الشعب »
- ونحوه في « المكارم » - : (مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) بدل (رَجُلٌ كَانَ ...) ،
وقوله : (يَجُرُّونَ) جاءت في « الشعب » : (يَرْفَعُونَ) ، وفي « المكارم » :
(يَرْفَعُونَ) ، وتفاوتت في النسخ ما بين (يَجُرُّونَ ، وَيَجُدُّونَ ، وَيَجُدُّونَ ،
وَيَحُدُّونَ) ، والثلاثة الأخيرة بمعنى القطع ، وَيَرْفَعُونَ : يرفعون ، والمثبت موافق
لـ « المصنف » و « صفوة التصوف » .

(٢) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ
دمشق » (٢١١ / ٦٦) .

أَيُّهُمَا أَرَشَدُ . فَخَالَفَ أَقْرَبَهُمَا إِلَى هَوَاكَ ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ الْخَطَأُ مَعَ مُتَابَعَةِ الْهَوَى (١) .

(٩٨) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي الْفَضْلِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ (٢) ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ خُرَّشِيدَ قَوْلَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمٍ (٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا [سَعْدُ] بْنُ [سَعِيدٍ] (٤) ، عَنْ أَخِيهِ (٥) ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ ، وَثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ .

فَأَمَّا الْمُنْجِيَاتُ : فَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْحُكْمُ بِالْحَقِّ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْإِقْتِصَادُ عِنْدَ الْفَقْرِ وَالْغِنَى .
وَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ : فَشَحُّ مَطَاعٍ ، وَهَوَى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » (٦) .

(١) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٨٩٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » (ص ٤٨) ، والسبكي في « معجم الشيوخ » (ص ٥٥٣) ، وبنحو ما روى الأصمعي قال ابن عطاء الله السكندري في « حكمه » : (إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس ؛ فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً) .

(٢) هو المسند الثقة المَعْمَرُ السُّمَّسَارُ الأصبهاني ، وقد سبق في (٣٢٧ / ١) .

(٣) في (أ ، ج ، ز) : (سليمان) بدل (سليم) .

(٤) في النسخ : (سعيد بن سعد) ، والمثبت من « تهذيب الكمال » (٢٦١ / ١٠) ، وهو سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري المدني .

(٥) في « صفوة التصوف » : (عن أبيه) .

(٦) صفوة التصوف (٨٩٢) ، ورواه قوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٣٥٣) ، وشُهِدَ في مشيختها المسماة بـ « العمدة من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب » =

فَالْحُكْمُ بِالْحَقِّ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالرِّضَا لَا يَصْحُحُ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ ، أَمِيرٍ
عَلَى النَّفْسِ ، يُصَرِّفُهَا بِعَقْلِ حَاضِرٍ ، وَقَلْبٍ يَقْظَانٍ ، وَنَظَرٍ إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ
الْإِحْسَابِ .

نُقِلَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَضَّؤُونَ عَنْ أَذَى الْمُسْلِمِ ؛ يَقُولُ بَعْضُهُمْ : (لَأَنْ أَتَوَضَّأَ
عَنْ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَوَضَّأَ مِنْ طَعَامٍ طَيِّبٍ)^(١) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (الْحَدَّثُ حَدَّثَانِ : حَدَّثٌ مِنْ
فَرْجِكَ ، وَحَدَّثٌ مِنْ فَيْكِ)^(٢) .

فَلَا يَحُلُّ حُبُّوهُ الْوَقَارِ وَالْحِلْمُ إِلَّا الْغَضَبُ^(٣) ، وَيَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْعَدْلِ إِلَى
الْعُدْوَانِ بِتَجَاوُزِ الْحَدِّ .

فَبِالْغَضَبِ يَتَحَرَّكُ دَمُ الْقَلْبِ ، فَإِنْ كَانَ الْغَضَبُ عَلَى مَنْ فَوْقَهُ مِمَّنْ يَعِجْزُ
عَنْ إِنْفَازِ الْغَضَبِ فِيهِ . . . ذَهَبَ الدَّمُ مِنْ ظَاهِرِ الْجِلْدِ ، وَاجْتَمَعَ فِي الْقَلْبِ ،
وَيَصِيرُ مِنْهُ الْحُزْنُ وَالْهَمُّ وَالْإِنْكَمَادُ .

= (٨٦) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٧٦ / ١٩) ، وسبق دون إسناد في
(٥٦ / ٢) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٤٣٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير »
(٢٨٥ / ٩) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » (١١٤) موقوفاً على سيدنا عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « التاريخ الكبير » (٢٨٤) ، والدينوري المالكي في « المجالسة
وجواهر العلم » (٨٨٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٦٢٩٨) ، وزاد عائشة مع ابن
عباس رضي الله عنهم .

(٣) الحُبَّةُ فِي الْأَصْلِ : اسْمٌ مِنَ الْإِحْتِبَاءِ ؛ وَهُوَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الظَّهْرِ وَالسَّاقِ بِعِمَامَةٍ
وَنَحْوِهَا .

ولا يَنْطَوِي الصُّوفِيُّ عَلَى مِثْلِ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ يَرَى الْحَوَادِثَ وَالْأَعْرَاضَ
مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، فَلَا يَنْكَمِدُ وَلَا يَغْتَمُّ ، وَالصُّوفِيُّ صَاحِبُ الرِّضَا ، وَصَاحِبُ
الرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ أَنَّ الْهَمَّ وَالْحَزْنَ فِي الشُّكِّ
وَالسُّخْطِ^(١) .

سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْغَمِّ وَالْغَضَبِ^(٢) ، قَالَ :
مَخْرَجُهُمَا وَاحِدٌ وَاللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ ؛ فَمَنْ نَازَعَ مَنْ يَقْوَى عَلَيْهِ . . أَضْمَرَهُ
غَضَبًا ، وَمَنْ نَازَعَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ . . كَتَمَهُ حُزْنًا^(٣) .

وَالْحَرْدُ غَضَبٌ أَيْضًا^(٤) ، وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ إِذَا قُصِدَ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَ الْغَضَبُ عَلَى مَنْ يُشَاكِلُهُ وَيُمَاثِلُهُ مِمَّنْ يَتَرَدَّدُ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ . .
يَتَرَدَّدُ دُمُ الْقَلْبِ بَيْنَ الْإِنْقِبَاضِ وَالْإِنْبِسَاطِ ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْغِلُّ وَالْحِقْدُ ، وَلَا
يَأْوِي مِثْلُ هَذَا إِلَى قَلْبِ الصُّوفِيِّ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
غِلٍّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وَصَلَاةُ قَلْبِ الصُّوفِيِّ وَحَالُهُ^(٥) يَقْدِفُ زَبَدَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ كَمَا يَقْدِفُ الْبَحْرُ

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠ / ٢٦٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤ / ١٢١) ،
والبيهقي في « الشعب » (٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروي عنه
موقوفاً كما في « اليقين » لابن أبي الدنيا (٣٢) ، و« شعب الإيمان » (٢٠٥) .

(٢) في (ب) : (عن الهم) بدل (عن الغم) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١ / ٢٧٨) ، و« الذريعة »
(ص ٢٣١) .

(٤) الْحَرْدُ : الْغَيْظُ وَالْغَضَبُ .

(٥) في هامش (و) : (وصلافته : إباؤه عن الصفات الذميمة) ، وفي هامش (ج) :
(الصلابة : هي اللطافة) .

الزَّبَدُ ؛ لما فيه مِنْ تلاطمِ أمواجِ الأنسِ والهَيْبَةِ .

وإنْ كَانَ الغَضَبُ على مَنْ دُونَهُ مَمَّنْ يَقْدُرُ على الانتقامِ مِنْهُ . . ثَارَ دَمُ القلبِ ، والقلبُ إذا ثَارَ دَمُهُ يَحْمَرُّ وَيَقْسُو وَيَتَصَلَّبُ ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ الرِّقَّةُ والبياضُ ، وَمِنْهُ تَحْمَرُّ الْوَجْتَانِ ؛ لِأَنَّ الدَّمَ فِي القلبِ ثَارَ وَطَلَبَ الاستِعلاءَ ، وَانْتَفَخَ مِنْهُ العُرُوقُ ، فَظَهَرَ عَكْسُهُ وَأَثَرُهُ على الخَدِّ ، فَيَتَعَدَّى الحدودَ حِينَئِذٍ بالضربِ والشتَمِ ، وَلَا يَكُونُ هَذَا فِي الصُّوفِيِّ إِلَّا عِنْدَ هَتِكِ الحُرُمَاتِ والغضبِ لِلَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَيَنْظُرُ الصُّوفِيُّ عِنْدَ الغضبِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ تَقْوَاهُ تَحْمَلُهُ عَلَى أَنْ يَزِنَ حَرَكَتَهُ وَقَوْلَهُ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ وَالْعَدْلِ ، وَيَتَّهَمُ النَّفْسَ بِعَدَمِ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ .

قِيلَ لِبَعْضِهِمْ : مَنْ أَقْهَرُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ ؟ قَالَ : أَرْضَاهُمْ بِالْمَقْدُورِ^(١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (أَصْبَحْتُ وَمَا لِي سُرُورٌ إِلَّا مَوَاقِعُ الْقَضَاءِ)^(٢) .

فَإِذَا اتَّهَمَ الصُّوفِيُّ النَّفْسَ عِنْدَ الغضبِ . . تَدَارَكَهُ الْعِلْمُ ، وَإِذَا لَاحَ عِلْمُ الْعِلْمِ . . قَوِيَ القلبُ وَسَكَنَتِ النَّفْسُ ، وَعَادَ دَمُ القلبِ إِلَى مَوَاضِعِهِ وَمَقَارِهِ ، وَاعْتَدَلَ الْحَالُ ، وَغَاضَ حُمْرَةُ الْخَدِّ^(٣) ، وَبَانَ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ .

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَلَسَّمْتُ الْحَسَنُ وَالْتَّوْدَةُ وَالْإِقْتِصَادُ . . جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنْ النَّبُوَّةِ »^(٤) .

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٦٠) عن الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٥٤٩ / ٢) عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

(٣) يُقَالُ : غَاضَ الْمَاءُ : إِذَا قَلَّ وَنَضَبَ .

(٤) رواه الترمذي (٢٠١٠) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٠١٧) عن سيدنا =

وروى جارية بن قدامة قال : قلت : يا رسول الله ؛ أوصني وأقلل لعلِّي أعيه ، قال : « لَا تَغْضَبْ » ، فأعاد عليه ، كلُّ ذلك يقول : « لَا تَغْضَبْ » (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ مِنَ النَّارِ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى حُمْرَةٍ عَيْنَيْهِ وَأَنْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ ؟ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ : فَإِنْ كَانَ قَائِمًا فَلْيَجْلِسْ ، وَإِنْ كَانَ جَالِسًا فَلْيَضْطَجِعْ » (٢) .

(٩٩) - أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي ، قال : أخبرنا أبو الفتح الهروي ، قال : أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال : أخبرنا الجراحى ، قال : أخبرنا المحبوبي ، قال : أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، عن قرة بن خالد ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ النبي صلى الله

عبد الله بن سرجس رضي الله عنه ، وأبو داود (٤٧٧٦) ، وأحمد (٢٩٦ / ١) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٧٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١) رواه أحمد (٤٨٤ / ٣) ، وابن حبان (٥٦٩٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٦) عن سيدنا جارية أن رجلاً قال : يا رسول الله ، فذكره ، ورواه أحمد (٣٦٢ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٩٢٤) عن سيدنا أبي هريرة كذلك ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٨٩) عن سيدنا جارية دون واسطة .

(٢) رواه ضمن حديث طويل الترمذى (٢١٩١) ، وأحمد (١٩ / ٣) ، والحاكم (٥٠٥ - ٥٠٤ / ٤) ، وابن طاهر في « صفوة التصوف » (٩٧٠) واللفظ له ، جميعهم عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروى أبو داود (٤٧٨٢) ، وابن حبان (٥٦٨٨) عن سيدنا أبي ذر مرفوعاً : « إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ ، وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ » ، والأوداج : جمع (ودج) ؛ وهو عِرْق في الرقبة .

عليه وسلم قال لأشجَّ عبدِ القيسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ تَعَالَى :
الْحِلْمُ ، وَالْأَنَاءَةُ » (١) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : التَّوَدُّدُ وَالتَّالُّفُ ، وَالمُوَافَقَةُ مَعَ الإِخْوَانِ وَتَرْكُ
المُخَالَفَةِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لَوْ
أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾
[الأنفال : ٦٣] .

والتَّوَدُّدُ وَالتَّالُّفُ مِنْ ائْتِلَافِ الْأَرْوَاحِ ؛ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الَّذِي
أُورَدْنَاهُ : « فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا أَتْتَلَفَ » (٢) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وَقَالَ :
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْمُؤْمِنُ أَلِفٌ مَأْلُوفٌ ، وَلَا خَيْرَ
فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ » (٣) .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا التَّقَى مَثَلُ أَلْيَدَيْنِ تَغَسَّلُ
إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، وَمَا أَلْتَقَى الْمُؤْمِنَانِ إِلَّا أَسْتَفَادَ أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا » (٤) .

(١) سنن الترمذي (٢٠١١) ، ورواه مسلم (٢٥ / ١٧) ، وفي هامش (ب) : (بلغ سماع
الجماعة في الثامن والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام بن داود
المقدسي) .

(٢) انظر (٣٦٥ / ١) .

(٣) سبق تخريجه (٣٦٤ / ١ - ٣٦٥) .

(٤) رواه دون الشطر الثاني ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (٤٣٣) ، =

وقال أبو إدريس الخولاني لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ ، فَقَالَ :
 أَبَشِّرْ ثُمَّ أَبَشِّرْ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
 « تُنْصَبُ لِبَطَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ كَرَاسِيٌّ حَوْلَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجُوهُهُمْ
 كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَهُمْ لَا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَهُمْ
 لَا يَخَافُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » ،
 فَقِيلَ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ »^(١) .

وقيل : لو تحابَّ الناسُ وتعاطوا المَحَبَّةَ . . لاستغنوا بها عن العدالة .

وقيل : العدالة خليفة المَحَبَّةِ ؛ تُسْتَعْمَلُ حَيْثُ لَا تُوجَدُ المَحَبَّةُ^(٢) .

وقيل : طاعة المَحَبَّةِ أَفْضَلُ مِنْ طاعةِ الرَّهْبَةِ ؛ فَإِنَّ طاعةَ المَحَبَّةِ مِنْ
 دَاخِلٍ ، وَطاعةَ الرَّهْبَةِ مِنْ خَارِجٍ^(٣) .

ولهذا المعنى كانتُ صُحْبَةُ الصُّوفِيَّةِ مُؤَثِّرَةً مِنْ الْبَعْضِ فِي الْبَعْضِ ؛ لِأَنَّهُمْ

والسلمي في « آداب الصحبة » (١٢٨) ، والديلمي في « الفردوس » (٦٤١١) عن
 سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٤٧٥ / ١ - ٤٧٦) .

(١) روى قول النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه أبو داود (٣٥٢٧) ، وأبو نعيم في
 « الحلية » (٥ / ١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والنسائي في « السنن
 الكبرى » (١١١٧٢) ، وأبو يعلى في « المسند » (٦١١٠) عن سيدنا أبي هريرة
 رضي الله عنه ، وأما حديث أبي إدريس عن سيدنا معاذ : فرواه أحمد (٢٣٦ / ٥ - ٢٣٧)
 وجماعة بلفظ : « المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش يوم لا ظل إلا
 ظله » ، وهو من إدخال حديث في حديث ، وانظر « غنية العارف » (٤٧٦ / ١ - ٤٧٧) .

(٢) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص ٢٥٧) .

(٣) أورده الراغب الأصفهاني في « الذريعة » (ص ٢٥٧) ، والطُّرُوشِي في « سراج
 الملوك » (ص ٢٢٢) ، وليس فيه : (فإن طاعة . . .) .

لَمَّا تَحَابُّوا فِي اللَّهِ تَوَاصَوْا بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ ، وَوَقَعَ الْقَبُولُ لَوْجُودِ الْمَحَبَّةِ ،
فَانْتَفَعَ لِذَلِكَ الْمُرِيدُ بِالشَّيْخِ ، وَالْأَخُ بِالْأَخِ .

ولهذا المعنى أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي
الْمَسَاجِدِ ؛ أَهْلُ كُلِّ دَرْبٍ وَكُلِّ مَحَلَّةٍ ، وَفِي الْجَامِعِ فِي الْأُسْبُوعِ مَرَّةً ؛ أَهْلُ
كُلِّ بَلَدٍ ، وَانْضِمَامِ أَهْلِ السَّوَادِ إِلَى الْبُلْدَانِ فِي الْأَعْيَادِ فِي جَمِيعِ السَّنَةِ
مَرَّتَيْنِ ، وَأَهْلُ الْأَقْطَارِ مِنَ الْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً لِلْحَجِّ ؛ كُلُّ ذَلِكَ
لِحُكْمِ بِالْغَةِ ؛ مِنْهَا : تَأْكِيدُ الْأَلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ
بَعْضًا » (١) .

(١٠٠) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا وَالِدِي أَبُو الْفَضْلِ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَدْلُ (٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ
مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَخْمَشٍ الزِّيَادِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَعْقُوبَ الْكِرْمَانِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى الْكِرْمَانِيُّ (٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ
زَيْدٍ ، عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ :

(١) رواه البخاري (٦٠٢٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله
عنه .

(٢) في النسخ ما عدا (د) : (أبو نصر محمد بن سلمان - أو سليمان - العدل) ، والصواب
المثبت من (د) ، وهو الإمام المُعَمَّرُ مسند نيسابور أبو نصر محمد بن سهل بن
محمد بن أحمد الشاذلي أخِي السَّرَّاجِ العدل (ت ٤٨٣ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء »
(٥٢٩ / ١٨) .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن بحر الكرماني .

سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ : « أَلَا إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَحَابِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ . . كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا أَشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » (١) .

والتألفُ والتودُّدُ يُؤكِّدُ أسبابَ الصُّحْبَةِ ، والصُّحْبَةُ مَعَ الْأَخْيَارِ مُؤَثِّرَةٌ جَدًّا ، وقد قيلَ : لقاءُ الإخوانِ لقاءٌ (٢) .

ولا شكَّ أنَّ البواطنَ تتلقَّحُ ويقوى البعضُ ببعضٍ ، بل مُجرَّدُ النَّظَرِ إلى أهلِ الصَّلاحِ يُؤثِّرُ صلاحاً ، والنَّظَرُ في الصُّورِ يُؤثِّرُ أخلاقاً مُناسبةً لخلقِ المنظورِ إليه ؛ كدوامِ النَّظَرِ إلى المحزونِ يُحزِنُ ، ودوامِ النَّظَرِ إلى المسرورِ يَسُرُّ ، وقد قيلَ : (مَنْ لَا يَنْفَعُكَ لَحْظُهُ لَا يَنْفَعُكَ لَفْظُهُ) .

والجملُ الشَّروءُ يصيرُ ذلُّولاً بِمُقَارَنَةِ الجَمَلِ الذَّلُولِ ، فالمُقَارَنَةُ لها تأثيرٌ في الحيوانِ والنباتِ والجمادِ ، والماءُ والهواءُ يفسدانِ بِمُقَارَنَةِ الجِيفِ ، والزُّرُوعُ تُتَقَّى عن أنواعِ العُرُوقِ في الأرضِ والنباتِ ؛ لموضعِ الإفسادِ بِالمُقَارَنَةِ .

فإذا كانتِ المُقَارَنَةُ مُؤَثِّرَةً في هذهِ الأشياءِ . . ففي النَّفُوسِ الشَّريفةِ البشريَّةِ أكثرُ تأثيراً .

وقيلَ : سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَاناً ؛ لِأَنَّهُ يَأْنِسُ بِمَا يَرَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ (٣) .

(١) صفوة التصوف (٩١٧) ، ورواه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) ، وفي غالب

النسخ : (بعضه) بدل (عضو منه) ، وكلاهما مروي ، وفيه روايات غيرهما .

(٢) أوردته السمرقندي في « بستان العارفين » (ص ٤٠٩) .

(٣) أوردته الراغب الأصفهاني في « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (ص ٢٥٩) .

والتألف والتودُّد مُستجلبٌ للمَزِيدِ ، وإنَّما العُزْلَةُ والوَخْدَةُ تُحْمَدُ بالنسبةِ
إلى أراذلِ الناسِ وأهلِ الشرِّ ، فأما أهلُ العلمِ والصفاءِ والوفاءِ والأخلاقِ
الحميدةِ . . يُغْتَنَمُ مُقَارَنَتُهُمْ ، والاستئناسُ بِهِمْ استئناسٌ باللهِ تعالى ، كما أنَّ
مَحَبَّتَهُمْ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ تعالى ، والجامعُ مَعَهُمْ رابطةُ الحقِّ ، ومعَ غيرِهِمْ رابطةُ
الطبعِ .

فالصُّوفيُّ معَ غيرِ الجنسِ كائنٌ بائنٌ ، ومعَ الجنسِ كائنٌ مُعَايِنٌ .
والمؤمنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ؛ إذا نظرَ إلى أخيه يَسْتَشِفُّ مِنْ وراءِ أقوالِهِ وأعمالِهِ
وأحوالِهِ تجلِّياتِ إلهيَّةٍ ، وتعريفاتٍ وتلويحاتٍ مِنْ اللهِ الكريمِ خَفِيَّةٍ ، غابتِ
عنِ الأغيارِ ، وأدركَهَا أَهْلُ الأنوارِ .

وَمِنْ أخلاقِ الصُّوفيَّةِ : شُكْرُ الْمُحْسِنِ على الإحسانِ ، والدعاءُ لَهُ .
وذلكَ مِنْهُمْ معَ كمالِ توكلِهِمْ على رَبِّهِمْ ، وصفاءِ توحيدِهِمْ ، وقَطْعِهِمْ
النظرَ إلى الأغيارِ ، ورؤيتِهِمْ النِّعَمَ مِنَ الْمُنْعِمِ الجَبَّارِ ، ولكنْ يفعلونَ ذلكَ
اقتداءً برسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ على ما وَرَدَ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ
عليه وَسَلَّمَ خَطَبَ فَقَالَ : « مَا مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ
مِنْ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا » (١) .
وقالَ أيضاً عليه السلامُ : « مَا نَفَعَنِي مَالٌ كَمَالِ أَبِي بَكْرٍ » (٢) .

(١) رواه البخاري (٤٦٦) ، ومسلم (٢٣٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦١) ، وابن ماجه (٩٤) ، وأحمد (٢٥٣/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فَالْخَلْقُ حُجِبُوا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ فِي الْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ .

فَالصُّوْفِيُّ فِي الْإِبْتِدَاءِ يُفْنِي الْخَلْقَ ، وَيَرَى الْأَشْيَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ حَيْثُ طَالَعَ نَاصِيَةَ التَّوْحِيدِ ، وَخَرَقَ الْحِجَابَ الَّذِي مَنَعَ الْخَلْقَ عَنْ صِرَافِ التَّوْحِيدِ ، فَلَا يُثَبِّتُ لِلْخَلْقِ مَنَعًا وَلَا عَطَاءً ، وَيَحْجُبُهُ الْحَقُّ عَنِ الْخَلْقِ .

فَإِذَا ارْتَقَى إِلَى ذُرْوَةِ التَّوْحِيدِ . . . يَشْكُرُ الْخَلْقَ بَعْدَ شُكْرِ الْحَقِّ ، وَيُثَبِّتُ لَهُمْ وَجُودًا فِي الْمَنْعِ وَالْعَطَاءِ ، بَعْدَ أَنْ يَرَى الْمُسَبَّبَ أَوَّلًا ؛ وَذَلِكَ لِسَعَةِ عِلْمِهِ وَقُوَّةِ مَعْرِفَتِهِ ، يُثَبِّتُ الْوَسَائِطَ ، فَلَا يَحْجُبُهُ الْخَلْقُ عَنِ الْحَقِّ كَعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يَحْجُبُهُ الْحَقُّ عَنِ الْخَلْقِ كَأَرْبَابِ الْإِرَادَةِ وَالْمُبْتَدِئِينَ ، فَيَكُونُ شُكْرُهُ لِلْحَقِّ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمُنْعِمُ وَالْمُعْطِي وَالْمُسَبِّبُ ، وَيَشْكُرُ الْخَلْقَ ؛ لِأَنَّهُمْ وَاسِطَةٌ وَسَبَبٌ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ مَا يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ : الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ » ^(١) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ عَطَسَ أَوْ تَجَشَّأَ فَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ) . . . دَفَعَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ سَبْعِينَ دَاءً أَهْوَنُهَا الْجُدَامُ » ^(٢) .

وَرَوَى جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٥٠٢/١) ، وَالتَّطَبُّعِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (١٩/١٢) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٦٩/٥) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٥٠٢٨) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) رَوَاهُ أَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلَّصُ فِي « الْمَخْلَصِيَّاتِ » (١١٣٨) ، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » (٥٠٢/٧) ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « تَارِيخِ بَغْدَادٍ » (٢٨/٨) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةَ الْعَارِفِ » (٤٨١-٤٨٢) .

« مَا مِنْ عَبْدٍ يُنْعَمُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى . . إِلَّا كَانَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا » (١) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « كَانَ الْحَمْدُ أَفْضَلَ مِنْهَا » يحتمل : أنه يرضى بها شُكْرًا ، ويحتمل : أنَّ الحمدَ أفضلُ منها نعمةً ، فتكونُ نعمةُ الحمدِ أفضلُ مِنَ النعمةِ التي حَمِدَ عليها ، فإذا شكروا المُنْعِمَ الأوَّلَ يشكرون الواسطةَ المُنْعِمَ مِنَ الناسِ ويدْعُونَ لَهُ .

وروى أنسٌ رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ قَالَ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ » (٢) .

(١٠١) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْبَزَّازِ (٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ زُرَّارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُيَيْنَةُ بْنُ يُونُسَ ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ ثَابِتٍ ، عَنْ

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٠٩٢) ، ورواه ابن ماجه (٣٨٠٥) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه بلفظ : « مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ) . . إِلَّا كَانَ الَّذِي أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ » ، وروي أيضاً عن الحسن مرسلاً ومن قوله رحمه الله تعالى . انظر « شعب الإيمان » (٤٠٩٣ ، ٤٠٩٤) ، و« غنية العارف » (٤٨٢ / ١) .

(٢) رواه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص ١١٧) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٣٩٠) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٩٤٢) ، وفي (ب ، ج ، و ، ح) : (السكينة والوقار) ، وفي (أ) : (الملائكة) بدل (السكينة) ، وهي رواية ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٨٣٨) ، وأحمد في « المسند » (١١٨ / ٣) .

(٣) هو ابن الثَّقُور مسند العراق ، وقد سبق في (٣٥٦ / ١) .

أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : (جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا) . . فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّيْءِ » (١) .

وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ : بَذْلُ الْجَاهِ لِلْإِخْوَانِ وَالْمُسْلِمِينَ كَافَّةً .

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ وَافِرَ الْعِلْمِ ، بَصِيرًا بَعِيوبِ نَفْسِهِ وَأَفَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا .
يَتَوَصَّلُ إِلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ بِبَذْلِ الْجَاهِ وَالْمُعَاوَنَةِ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ .

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ عِلْمٍ ؛ لِأَنَّهَا أُمُورٌ تَتَعَلَّقُ بِالْخَلْقِ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ ، وَلَا يَصْلُحُ ذَلِكَ إِلَّا لَصُوفِيٍّ تَامَّ الْحَالِ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ .

رُويَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّهُ قَالَ : (كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَأْخُذُ بِرِكَابِ الْمَلِكِ يَتَأَلَّفُهُ بِذَلِكَ لِقَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ) .

وَقَالَ عَطَاءٌ : (لِأَنَّ يُرَائِيَ الرَّجُلُ سَنِينَ فَيَكْتَسِبُ جَاهًا يَعْشُرُ فِيهِ مُؤْمِنٌ . . أَتَمُّ لَهُ مِنْ أَنْ يُخْلِصَ الْعَمَلَ لِنَجَاةِ نَفْسِهِ) .

وَهَذَا بَابٌ غَامِضٌ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يُفْتَنَّ بِهِ خَلْقٌ مِنَ الْجُهَّالِ الْمُدَّعِينَ ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا إِلَّا لِعَبْدٍ أَطَّلَعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَاطِنِهِ ، فَعَلِمَ مِنْهُ أَلَّا رَغْبَةً لَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْجَاهِ وَالْمَالِ ، وَلَوْ أَنَّ مَلُوكَ الْأَرْضِ وَقَفُوا فِي خِدْمَتِهِ . . مَا طَغَى

(١) صفوة التصوف (٩٤٣) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٠٤٩) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١١٨٤) ، ورواه الترمذي (٢٠٣٥) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٩٣٧) ، وابن حبان (٣٤١٣) عن سيدنا أسامة بن زيد رضي الله عنهما بلفظ : « مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : (جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا) . . » .

ولا استطال ، ولو دخل إلى أثون يؤقّد^(١) . . ما ظهرت نفسه بصريح الإنكار لهذا الحال .

وهذا لا يصلح إلا لأحد من الخلق ، وأفراد من الصالحين الصادقين^(٢) ؛ ينسلخون من إراداتهم واختياراتهم ، ويكشفهم الله تعالى بمُراده منهم ، فيدخلون في الأشياء بمُراد الله تعالى ، فإذا علموا أن الحق يريد منهم المخالطة وبذل الجاه . . يدخلون في ذلك بغية صفات النفس .

وهذا لأقوام ماثوا ثم حُشروا ، وأحكموا مقام الفناء ، ثم رُقُوا إلى مقام البقاء ، فيكون لهم في كل مدخل ومخرج برهان وبيان وإذن من الله تعالى ، فهم على بصيرة من ربهم ، وهذا ليس فيه ارتياب لصاحب قلب مكاشف بصريح المُراد في خفي الخطاب ، فيأخذ وقته أبدأ من الأشياء ، ولا تأخذ الأشياء من وقته ، ولا يكون هذا إلا في قطر من الأقطار واحد متحقق بهذا الحال .

قال أبو عثمان الحيري : (لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء : المنع ، والعطاء ، والعز ، والذل)^(٣) ، فلمثل هذا الرجل يصلح بذل الجاه والدخول فيما ذكرناه .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله عليه : (لا يستحق الإنسان الرياسة حتى

(١) الأثون : الموقد .

(٢) في (د) : (الصديقين) .

(٣) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ١٧٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٢٤٤) ، ومن طريق السلمي القشيري في « رسالته » (ص ١٥٧) .

يجتمع فيه ثلاث خصال : يصرف جهله عن الناس ، ويحتمل جهل الناس ،
ويترك ما في أيديهم ويبدل ما في يده لهم^(١) .

وهذه الرياسة أنفأ غير الرياسة التي زهد فيها وتعين الزهد فيها لضرورة
صديقه وسلوكه ، وإنما هذه رياسة أقامها الحق لصالح خلقه ، فهو فيها بالله
يقوم بواجب حقها ويشكر نعمتها لله تعالى^(٢) ، والله الموفق للصواب
والهداية^(٣) .



(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٢٠٩) .

(٢) في بعض النسخ : (وشكر) بدل (ويشكر) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ بقراءة كاتبه عبد السلام على الحافظ جلال الدين) ، وفي
هامشه أيضاً : (بلغ مقابلة) .

الباب الحادي والثلاثون

في ذكر الأدب ومكانه من التصوف^(١)

رُوي عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « أَدَبِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي »^(٢) .

فالأدب تهذيبُ الظاهرِ والباطن^(٣) ، فإذا تهذَّبَ ظاهرُ العبدِ وباطنُهُ^(٤) . . صارَ صُوفِيًّا أدبِيًّا^(٥) .

وإنَّما سُمِّيَتِ المَأْدُبَةُ مَأْدُبَةً ؛ لِاجتماعِها على أشياء^(٦) .

(١) قال أهل الحقيقة : الأدب على ثلاثة أوجه : أدب اللسان ، وأدب النفس ، وأدب القلب ، أمَّا أدب اللسان : فتركُ الكلام بما لا يعني وإن كان صدقاً ، فكيف الكذب ؟! وأمَّا أدب النفس : فهو أن يُعرفَها الشرَّ ، فيزجرَها عنه ، وأمَّا أدب القلب : عرفانُ قدرِ النفس . من هامش (ح) .

(٢) رواه العسكري في « أمثال الحديث » عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وهو حديث لا يصح ، ومعناه صحيح ، وبعضُ العلماء صحَّحه ، وبعضُهُم حسَّنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٧٠-٧١) ، و« غنية العارف » (٤٨٦-٤٨٧) .

(٣) التهذيب كالتنقية ، ورجلٌ مُهذَّبٌ ؛ أي : مُطهَّرُ الأخلاق . من هامش (ح) .

(٤) قوله : (ظاهر العبد) ؛ بألا يصدرَ عنه شيءٌ يخالف الشريعة ، وقوله : (وباطنه) ؛ بألا يصدرَ عنه شيءٌ يخالف الطريقة . من هامش (ح) .

(٥) يمكن له أن يؤدَّبَ غيره وينتفع بالاعتداء به ، ومن لم فلم . من هامش (ح) .

(٦) في الحديث : « القرآنُ مأدبةُ الله في الأرض » ؛ وهي صنيعٌ يصنعه الرجل يدعو الناس إليه ، وسُمِّيَ الأدب أدباً ؛ لأنَّه يدعو الناس إلى المحامد . من هامش (ح) .

ولا يتكامل الأدب في العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق ، ومكارم الأخلاق مجموعها من تحسين الخلق والخلق ؛ فالخلق صورة الإنسان ، والخلق معناه .

فقال بعضهم : (الخلق لا سبيل إلى تغييره كالخلق) ، وقد ورد : « فرغ ربكم من الخلق والخلق ، والرزق والأجل »^(١) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لَا بُدَّ لِي لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠] .

والأصح : أن تبديل الأخلاق ممكن مقدور عليه ، بخلاف الخلق ؛ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ »^(٢) .

وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان وهيئاً لقبول الصلاح والفساد ، وجعله أهلاً للأدب ومكارم الأخلاق ، ووجود الأهلية فيه كوجود النار في الزناد^(٣) ،

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (١٥٦٠) ، والقضاعي في « مسنده » (٦٠١) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ورواه موقوفاً عليه الدارقطني (٤٣٩٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٦٢ / ٦) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢١٧ / ٩) .

(٢) قال الغماري في « الغنية » (٤٨٧ / ١ - ٤٨٨) : (لم أره بهذا اللفظ ، والمعروف الأمر بذلك بالافراد ؛ كحديث : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » ، وقد سبق ، وحديث جرير بن عبد الله : « إِنَّكَ أَمْرٌ قَدْ حَسَّنَ اللَّهُ خُلُقَكَ ، فَحَسِّنْ خُلُقَكَ » رواه الخرائطي [في « مكارم الأخلاق » (٧)] ، وحديث معاذ : « يَا مَعَاذُ ؛ حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ » رواه ابن لال بسند صحيح إلا أنه منقطع ، وحديث عبد الله بن عمرو : « اسْتَقِمْ ، وَلْتَحَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ » رواه الطبراني [في « المعجم الكبير » (٣٩ / ٢٠ - ٤٠)] ، والحاكم [في « المستدرک » (٥٤ / ١)] ، وغير ذلك) ، وانظر (٤٢ / ٢) .

(٣) الزند : العود الذي يُقَدَح به النار ، وهو الأعلى ، والزندة السفلى فيها ثقب ، وهي =

وجود النَّخْلِ في النَّوَى ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِقُدْرَتِهِ أَلْهَمَ الْإِنْسَانَ وَمَكَّنَهُ مِنْ
إِصْلَاحِهِ بِالتَّوْبَةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ النَّوَى نَخْلًا ، وَالزَّنَادِ بِالْعِلَاجِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْهُ
نَارٌ .

وَكَمَا جَعَلَ فِي نَفْسِ الْآدَمِيِّ صِلَاحِيَّةَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . . أَحَالَ الْإِصْلَاحَ
وَالْإِفْسَادَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا
وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ٧-٨] ، فَتَسْوِيَّتُهَا بِصِلَاحِيَّتِهَا لِلشَّيْئَيْنِ جَمِيعًا .

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩-١٠] ،
فَإِذَا تَزَكَّتِ النَّفْسُ تَدَبَّرَتْ بِالْعَقْلِ ، وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهَا الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ ،
وَتَهَذَّبَتِ الْأَخْلَاقُ ، وَتَكَوَّنَتِ الْآدَابُ .

فَالْآدَبُ : اسْتِخْرَاجُ مَا فِي الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ ^(١) ، وَهَذَا يَكُونُ لِمَنْ رُكِبَتِ
السَّجِيَّةُ الصَّالِحَةُ فِيهِ ، وَالسَّجِيَّةُ : فِعْلُ الْحَقِّ لَا قُدْرَةَ لِلْبَشَرِ عَلَى تَكْوِينِهَا ،
كَتَكْوُنِ النَّارِ فِي الزَّنَادِ ؛ إِذْ هُوَ فِعْلُ اللَّهِ الْمُحَضَّرُ ، وَاسْتِخْرَاجُهُ بِكَسْبِ
الْآدَمِيِّ ؛ فَهَكَذَا الْآدَابُ ؛ مِنْبُعُهَا السَّجَايَا الصَّالِحَةُ ، وَالْمِنْحُ الْإِلَهِيَّةُ .

وَلَمَّا هَيَّأَ اللَّهُ تَعَالَى بِوَاطِنِ الصُّوفِيَّةِ بِتَكْمِيلِ السَّجَايَا الصَّالِحَةِ فِيهَا . .
تَوَصَّلُوا بِحُسْنِ الْمُتَمَارَسَةِ وَالرِّيَاضَةِ إِلَى اسْتِخْرَاجِ مَا فِي النُّفُوسِ مَرْكَوزٌ
بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْفِعْلِ ، فَصَارُوا مُؤَدِّبِينَ مُهَذَّبِينَ .

وَالْآدَابُ تَقَعُ فِي حَقِّ بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةِ مُتَمَارَسَةِ رِيَاضَةٍ ؛
لِقُوَّةِ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي غَرَائِزِهِمْ ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

= الْأَنْثَى ، فَإِذَا اجْتَمَعَا قِيلَ : (زَنْدَان) ، وَالْجَمْعُ : (زِنَاد) . مِنْ هَامِش (ح) .

(١) فِي (هـ ، ز) : (اسْتِخْرَاجُ مَا فِي الْهَيْئَةِ وَالْخَلْقِ إِلَى الْفِعْلِ) .

وسلم : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي » (١) .

وفي بعض الناس من يحتاج إلى طول الممارسة ؛ لنقصان قوة أصولها في الغريزة ؛ ولهذا احتاج المريدون إلى صُحبة المشايخ ؛ لتكون الصُحبة والتعلم عوناً على استخراج ما في الطبيعة إلى الفعل .

قال الله تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحریم : ٦] ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما : (فقهوهم وأدبوهم) (٢) .

وفي لفظ آخر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي ، ثُمَّ أَمَرَنِي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ؛ فَقَالَ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] » (٣) .

قال يوسف بن الحسين : (بالأدب يفهم العلم) (٤) ، وبالعلم يصح

(١) سبق تخريجه في (١٠٢ / ٢) .

(٢) رواه بنحوه الطبري في « تفسيره » (٤٩١ / ٢٣) ، ورواه أيضاً عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « الدر المنثور » (٢٢٥ / ٨) .

(٣) رواه أبو سعد السمعاني في « أدب الإماء والاستملاء » (ص ١) ، وانظر « غنية العارف » (٤٨٩ / ١) ، وقوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ ؛ أي : خُذْ ما عفا لك - أي : سهّل - من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وسهّل من غير كلفة ، ولا تُدأّقهم - أي : لا تُناقشهم - ولا تطلب منهم الجد وما تشقّ عليهم ؛ حتى لا ينفروا ؛ كقوله عليه الصلاة والسلام : « يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » ، قال الشاعر : [من الطويل]

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيبِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ

وقوله : ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ المعروف والجميل من الأفعال ، ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ، ولا تُمارِهِم ، واحلّم عنهم ، وأغض على ما يسوءك منهم . « كشاف » . من هامش (ح) .

(٤) إذ نور الأدب يُنَوِّرُ العقل ، فيفهم العلم . من هامش (ح) .

العمل ، وبالعَمَلِ تُنالُ الحكمةُ^(١) ، وبالحكمة يُقامُ الزهدُ ، وبالزهدِ تُتركُ الدنيا ، وبتركِ الدنيا يُرغَبُ في الآخرة ، وبالرغبة في الآخرة تُنالُ الرتبةُ عندَ اللهِ تعالى^(٢) .

قيلَ : لَمَّا وَرَدَ أَبُو حَفْصِ الْحَدَّادُ الْعِرَاقَ . . جَاءَ إِلَيْهِ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، فَرَأَى أَصْحَابَ أَبِي حَفْصٍ وَقَوْفًا عَلَى رَأْسِهِ يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ ، لَا يُخْطِئُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَبَا حَفْصٍ ؛ أَذَبْتَ أَصْحَابَكَ أَدَبَ الْمُلُوكِ !! فَقَالَ : لَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، وَلَكِنْ حُسْنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عُنوانُ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ^(٣) .

قالَ أَبُو الْحَسَنِ الثُّورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (لَيْسَ لِلَّهِ فِي عَبْدِهِ مَقَامٌ وَلَا حَالٌ وَلَا مَعْرِفَةٌ يَسْقُطُ مَعَهَا آدَابُ الشَّرِيعَةِ ، وَآدَابُ الشَّرِيعَةِ حِلْيَةُ الظَّاهِرِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُسَيِّحُ تَعْطِيلَ الْجَوَارِحِ مِنَ التَّحَلِّيِ بِمَحَاسِنِ الْآدَابِ)^(٤) .

قالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^(٥) : (أَدَبُ الْخِدْمَةِ أَعَزُّ مِنَ الْخِدْمَةِ)^(٦) .

(١) أي : العقلُ الكامل ؛ يُقالُ : فلانٌ حكيمٌ : إذا كانَ كاملاً العقلُ . من هامش (ح) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٣٩ / ١٠) .

(٣) أي : ما قصدي في تأديب ظواهرهم إلا أن تتأدَّب بواطنُهم . من هامش (ح) ، وهذه القصة أوردها السلمي في « آداب الصحبة » (٢٠٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٦) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٦٨) دون نسبة ودون قوله : (ليس لله . . . معها آداب الشريعة) ، وفي هامش (ح) : (وكلُّ أدبٍ يستعملُهُ السالك في الظاهر . . يُثمرُ له نوراً في الباطن) .

(٥) في (أ ، و) : (منازل) بدل (المبارك) ، وصوِّبه في هامش (أ) ، والمثبت من باقي النسخ موافق لـ « تفسير السلمي » ، والله أعلم بالصواب .

(٦) لأنَّ الخدمة إذا لم تكن بالأدب لم تكن مقبولة مرضية . من هامش (ح) ، والأثر أورده =

حُكِيَ عن أبي عُبيد القاسم بن سلام قال : دخلتُ مَكَّةَ ، فكنْتُ ربَّما أقعدُ بِحِذاءِ الكعبةِ ، وربَّما كنْتُ أَسْتَلْقِي وَأُمُدُّ رِجْلِي ، فجاءَتْنِي عائِشَةُ المَكِّيَّةُ فقالت لي : يا أبا عُبيد ؛ يُقال : إِنَّكَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ ، اقبَلْ مِنِّي كلمةً : لا تُجالِسُهُ إِلَّا بِأَدَبٍ ، وإِلَّا فيُمحى اسمُكَ مِنْ دِوانِ القُرْبِ ، قال أبو عُبيد : وكانت مِنْ العارفاتِ^(١) .

وقال ابنُ عطاءٍ : (النَّفْسُ مجبولةٌ على سوءِ الأدبِ^(٢)) ، والعبْدُ مأمورٌ بمُلازمةِ الأدبِ ، والنَّفْسُ تجري بِطِباعِها في ميدانِ المُخالَفةِ^(٣) ، والعبْدُ يَرُدُّها بِجُهدِهِ إلى حُسْنِ المطالِبَةِ^(٤) ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الجُهدِ فقد أَطْلَقَ عِنانَ النَّفْسِ ، وَغَفَلَ عَنِ الرِّعايةِ ، ومهما أَعانَها فهوَ شريكُها^(٥) .

وقال الجُنيدُ رحمَهُ اللهُ : (مَنْ أَعانَ نَفْسَهُ على هواها . فقد أَشْرَكَ في قَتْلِ نَفْسِهِ)^(٦) ؛ لأنَّ العُبُودِيَّةَ مُلازمةٌ للأدبِ ، والطُّغْيانُ سوءُ الأدبِ^(٧) .

(١٠٢) - أَخبرنا الشيخُ العالمُ ضِياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ،

= السلمي في « تفسيره » (١٢١ / ٢) .

(١) أورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٢٧٥ / ٢) .

(٢) لجهلها في أصل الفطرة ؛ إذ هي ترابية . من هامش (ح) .

(٣) إذ هي لا تحبُّ الانقياد ؛ لما فيها من النارِية . من هامش (ح) .

(٤) أي : إلى ما أمر الله به . من هامش (ح) .

(٥) أورده القشيري في « الرسالة القشيرية » (ص ٣٨٩) ، وعزاه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » (١٥١) إلى أبي علي الرُّوذباري رحمه الله تعالى .

(٦) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٥) موقوفاً على سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٧) أي : الخروجُ عن دائرة العبوديَّةِ ، والتجاوزُ عن الحدِّ . من هامش (ح) .

قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التُّرَيْقِيُّ ، قَالَ :
 أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُخْبُوبِيُّ ، قَالَ :
 أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ
 يَعْلَى ، عَنْ نَاصِحٍ ، عَنْ سِمَاكِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَأَنْ يُؤَدَّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ
 بِصَاعٍ » (١) .

وَرَوَى أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا
 مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ » (٢) .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « حَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ أَسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ مَرْضَعَهُ ، وَيُحَسِّنَ
 أَدَبَهُ » (٣) .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : (الْعَبْدُ يَصِلُ بِطَاعَتِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ،
 وَبِأَدَبِهِ فِي طَاعَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى) (٤) .

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : (كَانَ الْأُسْتَاذُ أَبُو عَلِيٍّ لَا

(١) سنن الترمذي (١٩٥١) ، وانظر « غنية العارف » (٤٩١ / ١) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٥٢) ، وأحمد (٧٧ / ٤) ، والحاكم (٢٦٣ / ٤) عن سيدنا
 عمرو بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ، والنُّحْلُ : العطية .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٣٠٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٣) ،
 وضبط (يُحَسِّنُ) في (ج) : (يُحَسِّنُ) ، وقوله : (وَيُحَسِّنَ مَرْضَعَهُ) ؛ أي :
 لا يعطيه لمرضعة سيئة الأخلاق ، دينئة الطباع . من هامش (ح) ، وذلك حتى يطيب
 مغذاه ويحسن خلقه . انظر « نتائج الأفكار » (١٥ / ٤) .

(٤) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٩٤) .

يستند إلى شيء ، وكان يوماً في مَجْمَع ، فأردتُ أن أضَعَ لَهُ وِسَادَةً خَلْفَ ظَهْرِهِ ؛ لأنِّي رأيتهُ غيرَ مُسْتَنِدٍ ، فتنَحَّيْتُ عَنِ الْوِسَادَةِ قَلِيلاً ، فتَوَهَّمْتُ أَنَّهُ تَوَقَّى الْوِسَادَةَ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا خِرْقَةً أَوْ سَجَّادَةً ، فقالَ : لا أُرِيدُ الْإِسْتِنَادَ ، فتَأَمَّلْتُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَسْتَنِدُ إِلَى شَيْءٍ أَبَداً ^(١) .

وقالَ الْجَلَّالِيُّ الْبَصْرِيُّ ^(٢) : (التَّوْحِيدُ يُوجِبُ الْإِيمَانَ ؛ فَمَنْ لا إِيْمَانَ لَهُ لا تَوْحِيدَ لَهُ ، وَالْإِيْمَانُ يُوجِبُ الشَّرِيعَةَ ^(٣) ؛ فَمَنْ لا شَرِيعَةَ لَهُ لا إِيْمَانَ لَهُ ولا تَوْحِيدَ لَهُ ، وَالشَّرِيعَةُ تُوجِبُ الْأَدَبَ ؛ فَمَنْ لا أَدَبَ لَهُ لا شَرِيعَةَ لَهُ ولا إِيْمَانَ لَهُ ولا تَوْحِيدَ لَهُ) ^(٤) .

(١) الرسالة القشيرية (ص ٥٩٤) .

(٢) هو الإمام المُحدِّثُ المُقرئُ أبو السري موسى بن الحسن بن عبادِ النسائي البغدادي ، والجَلَّالِيُّ : نسبة إلى (الجَلَّال) ، وهي جمع (جَلُّل) ؛ وهو شيء يُصَوِّتُ بِهِ ، وَلَقَّبَ بِذَلِكَ ؛ لِطَيِّبِ صَوْتِهِ وَحُسْنِهِ ، وانظر « اللباب في تهذيب الأنساب » (٣١٩ / ١) ، و « سير أعلام النبلاء » (٣٧٨ / ١٣) .

(٣) أي : امْتِثَالَ الْأَوَامِرِ واجْتِنَابِ النَّوَاهِي . من هامش (ح) .

(٤) رواه أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ١٩٦) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٤) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٥) ، والمراد من هذه المعاني : كمالها ، ولا شكَّ أَنَّ الكمالَ على هذا الترتيب . من هامش (ح) ، وفي هامش (ج) : (التوحيد : هو المكتوب في القلوب ، وهو المُوجِبُ للتصديق للجنان ، بما جاء به الرسول والقرآن ؛ فمن لم يكن له التصديق بالجنان . . عُلِمَ [أَنَّ] الله سبحانه لم يكتب في قلبه أصلَ التوحيد في سابقة الزمان ، وذلك التصديق يُوجِبُ الإذعان للأحكام الشرعية التي [هي] مبنى الإسلام ؛ فمن لم يُذعنْ لأحكام الإسلام . . عُلِمَ أَنَّ ليس له تصديق ولا توحيد ، [وكذلك] الشريعة توجب الآداب ؛ فمن لا أدب له عُلِمَ أَنَّهُ خالٍ من الشريعة والتصديق والتوحيد ؛ ومثل الأدب بالنسبة إلى الشريعة والتصديق والتوحيد . . مثلُ الثمر بالنسبة إلى أغصان الشجر وأصلِهِ وعِرْقِهِ ؛ لقوله تعالى : ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] ، فإذا وَجَدَ الثمر دَلَّ على =

وقال بعضهم : (الزم الأدب ظاهراً وباطناً ، فما أساء أحد الأدب في ظاهرٍ إلا عُوقِبَ ظاهراً ، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عُوقِبَ باطناً)^(١) .

وقال بعضهم - وهو غلامُ الزقاقِ - : نظرتُ إلى غلامٍ أمرَدَ ، فنظرَ إليَّ الزقاقُ رحمةً اللهِ عليه وأنا أنظرُ إليه ، فقال : لَتَجِدَنَّ غِبَّهَا ولو بعدَ سنينَ^(٢) ، قال : فوجدتُ غِبَّهَا بعدَ عشرينَ سنةً ؛ أن أنسيْتُ القرآنَ^(٣) .

وقال السريُّ رحمةً اللهِ عليه : صَلَّيْتُ وردي ليلةً من الليالي ومددتُ رجلي في المِخْرَابِ ، فنوديتُ : يا سريُّ ؛ كذا تُجَالِسُ الملوكَ ؟! فضَمَمْتُ رجلي ، ثم قلتُ : وعِزَّتِكَ ؛ لا مددتُ رجلي أبداً ، قال الجنيدُ رحمةً اللهِ عليه : فبقيَ ستينَ سنةً ما مدَّ رجلُهُ ليلاً ولا نهاراً^(٤) .

قال عبدُ الله بنُ المبارك رحمةً اللهِ عليه : (مَنْ تهاونَ بالأدبِ عُوقِبَ

= حياة وقوة غصن وأصل وعِزُّ الشجر ، وعدمُ الثمر دليلٌ على نقصانِ الشجر وأصله وعِزُّه) .

(١) فإنَّ الجزاءَ على وفقِ العمل . من هامش (ح) ، والقول رواه السلمي في « ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات » (ص ٨٥) عن عائشة بنت أبي عثمان الحيري رحمهما الله تعالى ، وأورده ابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤ / ١٢٥) .

(٢) غِبُّ كلِّ شيءٍ : عاقبته . من هامش (ح) .

(٣) حكاه أبو سعد السمعاني في « الأنساب » (٣١١ / ٦) عن أبي الأديان ، وشيخه هو أبو بكر الزقاق الكبير الإمام الصوفي المشهور ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص ١٦٢) عن أبي عبد الله بن الجلاء مع أستاذ له ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦ / ٨٤) من طريقين أحدهما عن القشيري ، وصرَّح في الطريق الثاني باسم أستاذ ابن الجلاء ؛ وهو أبو عبد الله البلخي رحمه الله تعالى .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ١٢٠) دون قول الجنيد ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦ / ٤٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠ / ١٨٠) .

بِحِرْمَانِ السُّنَنِ ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْفَرَائِضِ ، وَمَنْ تَهَاوَنَ
بِالْفَرَائِضِ عُوقِبَ بِحِرْمَانِ الْمَعْرِفَةِ (١) .

وَسُئِلَ السَّرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَنْ مَسْأَلَةٍ (٢) ، فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ فِيهَا ، فَذَبَّ
عَلَى رِجْلِهِ عَقْرَبٌ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِإِبْرَتِهِ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِكَ ؟
قَالَ : أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أَتَكَلَّمَ فِي حَالٍ ثُمَّ أَخَالَفَ مَا أَعْلَمُ فِيهِ (٣) .

وَقِيلَ فِي أَدَبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « زُوِيَ لِي
الْأَرْضُ ، فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا » (٤) ، وَلَمْ يَقُلْ : فَرَأَيْتُ .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (الْأَدَبُ فِي الْعَمَلِ عِلْمٌ قَبُولِ الْعَمَلِ) .

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٣٠١٧) ، ورواه ابن السبكي في « طبقات الشافعية
الكبرى » (٣٣٠ / ٤) عن الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى ، ولفظ الجملة
الآخيرة فيه : (وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْفَرَائِضِ قَبِضَ اللَّهُ لَهُ مُبْتَدِعاً يَذْكُرُ عَنْدهُ بَاطِلاً ، فَيُوقِعُ فِي
قَلْبِهِ شُبْهَةً) .

(٢) أي : مَسْأَلَةٌ فِي الصَّبْرِ . مِنْ هَامِش (ح) ، وَصُرِّحَ بِذَلِكَ فِي (ط) ، وَسَيَأْتِي أَيْضاً فِي
(٤٩٣ / ٢) .

(٣) أوردته الخرkowski في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٤) ، والقشيري في « رسالته »
(ص ٤٤٥) ، وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في « إحكام الدلالة » (٩٠ / ٣) :
(فِيهِ : أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الصَّالِحَاتِ حَتَّى يَكُونَ
مُتَخَلِّقاً بِهِ ؛ لَيْسَلَمَ مِنَ الدُّخُولِ فِي ذِمِّ اللَّهِ لَمَنْ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ ، فَيَسْلَمُ مِنْ مَقْتِهِ ، كَمَا
قَالَ : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] ، لَكِنَّ هَذَا الْمَقْتُ إِنَّمَا
يَكُونُ لِلْمُرَائِي فِي كَلَامِهِ الَّذِي يُؤْهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ مُتَخَلِّقٌ بِمَا يَقُولُ ؛ لِيَعْظُمَ قَدْرُهُ عَنْدهُمْ ،
وَلِلْكَذَّابِ الْمُتَشَبِّعِ بِمَا لَمْ يَنْتَلِ ؛ وَهُوَ الْمُدَّعِي [لِلْمَقَامِ] لَمْ يَبْلُغْهِ) .

(٤) رواه مسلم (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذي (٢١٧٦) ، وابن ماجه
(٣٩٥٢) عن سيدنا ثوبان رضي الله عنه ، وفي جميعها : (فَرَأَيْتُ) بِالْمَبْنِيِّ لِلْمَعْلُومِ ،
وَنَصَّ الْغَمَارِيُّ فِي « الْغَنِيَّةِ » (٤٩٣ / ١) عَلَى أَنَّ الْمَبْنِيَّ لِلْمَجْهُولِ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ .

وقال ابن عطاءٍ رحمه الله عليه : الأدب : الوقوف مع المُستحسّنات ،
قيل : ما معناه ؟ قال : أن تُعاملَ اللهَ سِرّاً وَعَلَناً بالأدب ، فإذا كنتَ كذلكَ
كنتَ أديباً وإن كنتَ أعجمياً ، ثمّ أنشد :
[من الطربل]

إِذَا نَطَقْتَ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحَةٍ وَإِنْ سَكَتْتَ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحٍ^(١)

وقال الجُريريُّ رحمه الله عليه : (منذُ عشرينَ سنةً ما مددتُ رجلي في
الخلوة ؛ فإنَّ حُسنَ الأدبِ معَ اللهِ أحسنُ وأولى)^(٢) .

وقال أبو عليٍّ رحمه الله عليه : (تركُ الأدبِ مُوجبٌ للطَّردِ ، فمنَ أساءَ
الأدبَ على البساطِ . . رُدَّ إلى البابِ^(٣) ، ومنَ أساءَ الأدبَ على البابِ . . رُدَّ
إلى سياسةِ الدوابِّ)^(٤) ، واللهُ أعلمُ^(٥) .



(١) أورده أبو نصر السَّراج في « اللع » (ص ١٩٦) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
(ص ٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٤-٥٩٥) .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٥) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ
بغداد » (١٩٨/٥) ، وأورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٣) .

(٣) قوله : (البساط) ؛ أي : بساط المشاهدة والمؤانسة ، وقوله : (الباب) ؛ أي : باب
المجاهدة والسعي في الخدمة . من هامش (ح) .

(٤) قوله : (رُدَّ إلى سياسة الدواب) ؛ أي : يُغلب عليه البهيمة ؛ فالأدب للمشاهد : ألا
يلتفت إلى ما سواه ، والأدب للمجاهد : أن يخالف هواه ، ويترك مشتياه ، ويسعى
دائماً في خدمة مولاه . من هامش (ح) ، وقولُ أبي علي رواه القشيري في « رسالته »
(ص ٥٩٥) عن شيخه الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ سماع الجماعة في التاسع والعشرين على الشيخ أمين الدين ،
بقراءة كاتبه عبد السلام) ، وفيه أيضاً : (بلغ قراءة كاتبه عبد السلام على الإمام الحافظ
جلال الدين) .

الباب الثاني والثلاثون

في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب

كُلُّ الْآدَابِ تُتَلَقَّى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ مَجْمَعُ الْآدَابِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا .

وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حُسْنِ أَدَبِهِ فِي الْحَضْرَةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم : ١٧] ^(١) ، وَهَذِهِ غَامِضَةٌ مِنْ غَوَامِضِ الْآدَابِ اخْتَصَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) .

(١) قوله : ﴿ مَا زَاغَ . . . ﴾ ؛ أَي : مَا مَالَ بَصْرُهُ عَنْ رُؤْيَا الْحَقِّ إِلَى رُؤْيَا غَيْرِهِ ؛ بِحَيْثُ يَقَعُ فِي عَيْنِ التَّفَرُّقَةِ وَيَغِيبُ عَنِ الْحَقِّ ، فَيُنْحَجِبُ بِالْخَلْقِ عَنِ الْحَقِّ ، وَمَا يَجَاوِزُ نَظْرَهُ عَنْ حَدِّهِ عِنْدَ رُؤْيَا الْحَقِّ ؛ بِحَيْثُ يَقَعُ فِي عَيْنِ الْجَمْعِ وَيَغِيبُ فِي الْحَقِّ وَلَا يَرَى الْغَيْرَ ، فَيُنْحَجِبُ بِالْحَقِّ عَنِ الْخَلْقِ ، بَلْ كَانَ فِي حَدِّ الْوَسْطِ وَعَيْنِ جَمْعِ الْجَمْعِ ؛ وَهُوَ إِثْبَاتُ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ ، وَهُوَ الْكَمَالُ ؛ فَإِنَّهُ قِيلَ : كُلُّ تَفَرُّقَةٍ بِلَا جَمْعٍ تَعْطِيلٌ ، وَكُلُّ جَمْعٍ بِلَا تَفَرُّقَةٍ زَنْدَقَةٌ . مِنْ هَامِشِ (ج) .

(٢) قوله : (مِنْ غَوَامِضِ الْآدَابِ) ؛ أَي : وَأَدَبٌ هَذِهِ الْآيَةُ - وَهُوَ تَرْكُ التَّأْسُفِ عَلَى الْفَائِتِ - عَامٌّ لِأَهْلِ الْقَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَأَسَّفُوا وَلَمْ يَتَحَسَّرُوا عَلَى مَا طَرَحُوا وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ، وَأَسْقَطُوا عَنْ نَظَرِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ مَا سِوَى اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَلِيلًا أَوْ فَانِيًا فِي نَظَرِهِمْ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] ، وَ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [الفصص : ٨٨] ، وَخَطَابُ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ مُخَصَّصٌ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يَعْنِي : كَانَ آدَابُ الْمُقَرَّبِينَ فِي تَقَرُّبِهِمْ إِلَى الْحَضْرَةِ أَنْ يَتْرَكُوا مَا سِوَاهُ وَيَعْبُرُوا عَنْهُ ، بَعْدَ مَا نَظَرُوا إِلَيْهِ وَتَمَكَّنَ فِي خَاطِرِهِمْ وَعَدَّوْهُ شَيْئًا ، وَمَا عَبَرُوا عَنْهُ وَتَرَكَوْهُ لَمْ يَتَأَسَّفُوا =

أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ اعْتِدَالِ قَلْبِهِ الْمُقَدَّسِ فِي الإِعْرَاضِ وَالْإِقْبَالِ ؛ أَعْرَضَ عَمَّا سِوَى اللَّهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى اللَّهِ ، وَتَرَكَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ الْأَرْضِينَ وَالْدَارَ الْعَاجِلَةَ بِحُظُوظِهَا ، وَالسَّمَاوَاتِ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ بِحُظُوظِهَا ، فَمَا التَفَتَ إِلَى مَا أَعْرَضَ عَنْهُ ، وَلَا لِحِقَّةِ الْأَسْفُ عَلَى الْفَائِتِ فِي إِعْرَاضِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] ، فِهَذَا الْخَطَابُ لِلْعُمُومِ .

و﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ إِبْخَارٌ عَنْ حَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوصْفِ خَاصٍّ مِنْ مَعْنَى مَا خَاطَبَ بِهِ الْعُمُومَ ؛ فَكَانَ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ حَالَهُ فِي طَرَفِ الإِعْرَاضِ ، وَفِي طَرَفِ الإِقْبَالِ تَلَقَّى مَا وَرَدَ عَلَيْهِ فِي مَقَامِ ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ [النجم : ٩] بِالرُّوحِ وَالْقَلْبِ ، ثُمَّ فَرَّ مِنَ اللَّهِ حَيَاءً مِنْهُ وَهَيْبَةً وَإِجْلَالًا ، وَطَوَى نَفْسَهُ بِفِرَارِهِ فِي مَطَاوِي انْكِسَارِهِ وَافْتِقَارِهِ ؛ لِكَيْلَا تَنْبَسِطَ النَّفْسُ فَتَطْغَى ؛ لِأَنَّ الطُّغْيَانَ عِنْدَ الْاسْتِغْنَاءِ وَصَفُ النَّفْسِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٌ * أَن رَّأَاهُ اسْتَغْنَى ﴾ [العلق : ٦-٧] .

وَالنَّفْسُ عِنْدَ الْمَوَاهِبِ الْوَارِدَةِ عَلَى الرُّوحِ وَالْقَلْبِ . . تَسْتَرْقُ السَّمْعَ ، وَتَمْتَنِي نَالَتْ قِسْطًا مِنَ الْمِنْحِ اسْتَغْنَتْ وَطَغَتْ ، وَالطُّغْيَانُ يَظْهَرُ مِنْهُ فَرْطُ الْبَسْطِ ، وَالْإِفْرَاطُ فِي الْبَسْطِ يَسُدُّ بَابَ الْمَزِيدِ ، وَطُّغْيَانُ النَّفْسِ لَضِيقِ وَعَائِهَا عَنِ الْمَوَاهِبِ .

فَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَحَّ لَهُ فِي الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَحَدُ طَرَفَيْ ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ، وَمَا التَفَتَ إِلَى مَا فَاتَهُ مُتَأَسِّفًا عَلَيْهِ ؛ لِحُسْنِ أَدْبِهِ ، وَلَكِنْ امْتَلَأَ مِنْ

= عليه ، وَكَانَ أَدَبُ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَا نَظَرَ إِلَيْهِ [وَمَا أَحَبَّ] شَيْئًا بَغِيرَ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى لَا يَحْتَاجَ أَنْ يُسْقِطَهُ عَنْ نَظَرِهِ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

الْمِنْحَ ، وَاسْتَرَقَّتِ النَّفْسُ السَّمْعَ ، وَتَطَلَّعَتْ إِلَى الْقِسْطِ وَالْحَظِّ^(١) ، فَلَمَّا حَظِيَّتِ النَّفْسُ اسْتَغْنَتْ ، وَطَفَحَ عَلَيْهَا مَا وَصَلَ إِلَيْهَا ، وَضَاقَ نِطَاقُهَا ، فَتَجَاوَزَ الْحَدَّ مِنْ فَرَطِ الْبَسْطِ ، وَقَالَ : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، فَمُنِعَ وَلَمْ يُطْلَقْ فِي فِضَاءِ الْمَزِيدِ ، وَظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَبِيبِ وَالْكَلِيمِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا .

وهذه دقيقة لأرباب القرب والأحوال السنيّة ، فكل قبض يوجب عقوبة ؛ لأن كل قبض سد في وجه باب الفتوح .

والعقوبة بالقبض وجبت للإفراط في البسط ، ولو حصل الاعتدال في البسط ما وجبت العقوبة بالقبض ، والاعتدال في البسط بإيقاف النازل من المنح على الروح والقلب ، والإيقاف على الروح والقلب بما ذكرناه من حال النبي صلى الله عليه وسلم من تغييب النفس في مطاوي الانكسار ، فذلك الفرار من الله إلى الله ، وهو غاية الأدب ، حظي به رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، فما قوبل بالقبض ، فدام مزيدُهُ ، وكان قاب قوسين أو أدنى .

ويشاكل الشرح الذي شرحناه قول أبي العباس ابن عطاء رحمه الله عليه في قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ؛ قَالَ : (لَمْ يَرَهُ بِطُغْيَانٍ يَمِيلُ^(٣) ،

(١) أي : حظ الروح من الرؤية والمعينة . من هامش (ح) ، وفي (أ ، ز) : (إلى البسط) بدل (إلى القسط) .

(٢) رجل حظي : إذا كان ذا حظوة ومنزلة ، وقد حظي عند الأمير واحتظي به بمعنى . من هامش (ح) .

(٣) أي : إلى ما يلزم فيه سوء أدب . من هامش (ح) .

بل رآه على شرط اعتدال القوي (١) .

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله عليه : (لم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاهد نفسه ، ولا إلى مشاهدتها ، وإنما كان مُشاهداً بكلّيته لربه ، يُشاهد ما يظهر عليه من الصفات التي أوجب له الثبوت في ذلك المحل) (٢) .

وهذا الكلام لمن اعتبره مُوافق لما شرحناه برمز في ذلك من سهل بن عبد الله رحمه الله عليه .

ويؤيد ذلك أيضاً :

(١٠٣) - ما أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب الشهرستاني رحمه الله إجازة ، قال : أخبرنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد بن منصور الصفار النيسابوري ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد ابن خلف الشيرازي ، قال : أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ، قال : سمعت أبا نصر عبد الله بن علي السراج قال : أخبرني أبو الطيب العكفي ، عن أبي محمد الجري قال : (التبرُّع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة (٣) ، والوقوف على حد الانحسار نجاة ، واللياذ بالهرب من علم الدنو وُصلة ،

(١) رواه السلمي في « تفسيره » (٢٨٦ / ٢) .

(٢) أو صرف كل إلى ما هيئ وقدّر له ؛ فالعين للمشاهدة ، والسمع لاستماع ما يخاطب ، والنفس للخدمة ، والقلب للمحبة والمعرفة ، والروح للمعاينة ، والسر للاستغراق . من هامش (ح) ، وقول التستري أورده السلمي في « تفسيره » (٢٨٦ / ٢) .

(٣) أي : وسيلة إلى الخشية . من هامش (ح) ، وفي « طبقات الصوفية » : (التسرع) بدل (التبرع) ، وفي (د) : (التبرك) ، وفي نسخة على هامشها كالمثبت .

واستفتاحُ فقد تركَ الجوابَ ذخيرةً ، والاعتصامُ مِنْ قبولِ دواعي استماعِ
الخطابِ تَكَلُّفٌ^(١) ، وخوفُ فَوْتِ علمٍ ما انطوى مِنْ فصاحةِ الفهمِ في حينِ
الإقبالِ مَسَاءَةٌ ، والإصغاءُ إلى تَلَقِّي ما ينفصلُ عن مَعْدِنِهِ بُعْدٌ ، والاستسلامُ
عندَ التلاقي جَرَاءَةٌ ، والانبساطُ في مَحَلِّ الأُنْسِ غِرَّةٌ^(٢) .

وهذه الكلماتُ كُلُّها مِنْ آدابِ الحضرةِ لأربابِها .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ وجهٌ آخَرُ الْطَفُّ مِمَّا سَبَقَ : ﴿ مَا
زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ حيثُ لم يتخلَّفَ عن البصيرةِ ولم يتقاصرْ ، ﴿ وَمَا طَغَى ﴾ لم يسبقِ
البصيرةَ البصرُ فيتجاوزَ حدَّهُ ويتعدَّى مَقَامَهُ^(٣) ، بل استقامَ البصرُ معَ
البصيرةِ ، والظاهرُ معَ الباطنِ ، والقلبُ معَ القالبِ ، والنظرُ معَ القَدَمِ ؛ ففي
تَقَدُّمِ النظرِ على القَدَمِ طُغْيَانٌ ، والمعنيُّ بالنظرِ عِلْمٌ ، وبالقَدَمِ حَالٌ ، فلم
يتقدَّمِ النظرُ على القَدَمِ فيكونَ طُغْيَانًا ، ولم يتخلَّفِ القَدَمُ عنِ النظرِ فيكونَ
تَقْصِيرًا .

فلَمَّا اعتدلتِ الأحوالُ صارَ قلبُهُ كَقَالِبِهِ ، وقالبُهُ كَقَلْبِهِ ، وظاهرُهُ كباطنِهِ ،
وباطنُهُ كظاهرِهِ ، وبصرُهُ كبصيرتِهِ ، وبصيرتُهُ كبصرِهِ ، فحيثُ انتهى نظْرُهُ
وعلمُهُ قارَنَهُ قَدَمُهُ وحالُهُ .

ولهذا المعنى انعكسَ حكمُ معناه ، ونورُهُ على ظاهرِهِ ، وأُنِيَ بِبُرَاقٍ
ينتهي خَطْوُهُ حيثُ ينتهي نظْرُهُ ، لا يتخلَّفُ قَدَمُ البُرَاقِ عن موضعِ نظْرِهِ ، كما

(١) في « طبقات الصوفية » : (تَلَطَّف) .

(٢) طبقات الصوفية (ص ٢٦٠-٢٦١) .

(٣) ضُبُط (البصيرة) و (البصر) في (أ) بالرفع والنصب معاً .

جاءَ في حديثِ المعراج^(١) ، فكانَ البُراقُ لِقالبِهِ مُشاكِلاً لمعناه ، ومُتَّصِفاً بصفَتِهِ ؛ لقوَّةِ حالِهِ ومعناه .

وأشارَ في حديثِ المعراجِ إلى مقاماتِ الأنبياءِ ، ورأى في كلِّ سماءٍ بعضَ الأنبياءِ ؛ إشارةً إلى تعويقِهِم وتخلُّفِهِم عن شأوهِ ودرجَتِهِ^(٢) ، ورأى موسى عليهما السلامُ في بعضِ السماواتِ .

فَمَنْ هُوَ في بعضِ السماواتِ يكونُ قولهُ : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ تجاوزَ النظرَ عن حدِّ القَدَمِ ، وتخلَّفَ القَدَمُ عنِ النظرِ ، وهذا هو الإخلالُ بأحدِ الوصفينِ مِنْ قولهِ تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ .

فرسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حُمِلَ مُقْتَرِناً قَدَمُهُ ونظرُهُ في حِجَالِ الحياءِ والتواضعِ^(٣) ، ناظراً إلى قَدَمِهِ ، قادماً على نظَرِهِ ، ولو خَرَجَ عن حِجَالِ الحياءِ والتواضعِ ، وتَطَاوَلَ بالنظرِ مُتَعَدِّياً حدَّ القَدَمِ . . تَعَوَّقَ في بعضِ السماواتِ كتعَوَّقِ غَيْرِهِ مِنَ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

فلم يَزَلْ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُسْتَحْلِسَ حِجَالِهِ ، في خَفَّارَةِ أدبِ حالِهِ^(٤) . . حتى خَرَقَ حُجُبَ السماواتِ ، فانصَبَّتْ إِلَيْهِ أَقْسَامُ القُرْبِ

(١) حديث الإسراء والمعراج رواه البخاري (٣٨٨٧) ، ومسلم (١٦٤) عن سيدنا مالك بن صعصعة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٤٩٨ / ٢) .

(٢) الشَّأْوُ : الغاية والسبق . من هَامَشَ (ح) .

(٣) الحِجَالُ في الأصل : جمع (حَجَلَة) العروس ؛ وهو بيتٌ يُزَيْنُ بالثياب والأسرَّةِ والشُّور .

(٤) يقال : استَحْلَسَ النباتُ : إذا غَطَّى الأرضَ بكثرتِه وطولِه ، والخَفَّارَةُ : الحياءُ والوقارُ ، وقال في « شرح المشكلات » (ق / ٥٠) : (قوله : « مستحلس حجاله » ؛ أي : مستقر مقيم ، مأخوذ من الحِلْس ؛ وهو عبارة عن الاستقرار والإقامة ؛ يُقال : هو =

انصباباً ، وانقشعت عنه سحائب الحُجُبِ حجاباً حجاباً ، حتى استقام على صراطٍ : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، فمرَّ كالبرقِ الخاطفِ ، إلى مُخْدَعِ الوصلِ واللطائفِ ^(١) ، وهذا غاية في الأدبِ ، ونهاية في الأَرَبِ ^(٢) .

قال أبو محمَّدٍ رُويمٌ رحمه الله عليه حين سئل عن أدبِ المسافرين ، فقال : لا يُجَاوِزُ هَمُّهُ قَدَمَهُ ، وحيث وقف قلبه يكون مَقَرُّهُ ^(٣) .

(١٠٤) - أخبرنا شيخنا ضياءُ الدين أبو النجيب الشَّهْرُورُديُّ رحمه الله إجازةً ، قال : أخبرنا عمرُ بنُ أحمدَ ، قال : أخبرنا أبو بكرِ بنُ خلفٍ ، قال : أخبرنا أبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ ، قال : حدَّثنا القاضي أبو محمَّدٍ يحيى بنُ منصورٍ ، قال : حدَّثنا أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ عليٍّ التُّرْمِذِيُّ ، قال : حدَّثنا محمَّدُ بنُ رِزَامِ الأُبُلِّيُّ ، قال : حدَّثنا [أحمدُ] بنُ عطاءِ الهُجَيْمِيِّ ^(٤) ، قال : حدَّثنا محمَّدُ بنُ نَصِيرٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ

= حِلْسَ بيته ؛ أي : مقيم بيته ؛ لأنَّ الحِلْسَ قلما يرتفع .

(١) المُخْدَعُ في الأصل : بيت صغير يُحرز فيه الشيء .

(٢) قال الشيخ نجم الدين الكُبْرِيُّ : ولا يُظَنُّ من هذا قِصْرُ حال الصوفي ؛ فإنَّه قَدَمَانِ ؛ قدم في النهاية ، وقدم في اللانهاية . « حاشية زين الدين » . من هامش (ح) ، والكُبْرِيُّ : على وزن (فُعْلَى) كما ضبطه السبكي في « الطبقات » (٢٥ / ٨) ، وضبطه الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٧٢ / ٧) : (الكُبْرِيُّ) بضم الكاف وسكون الباء الموحدة وكسر الراء .

(٣) وهذا يتناول السفر الظاهر والباطن . من هامش (ح) ، وقولُ رُويمٍ رواه أبو نصر السَّرَّاجُ في « لمعه » (ص ٢٥٠) ، والسلمي في « طبقاته » (ص ١٨١) ، والقشيري في « رسالته » (ص ٦٠٤) .

(٤) في النسخ : (محمد) بدل (أحمد) ، والمثبت من « نواذر الأصول » (٦٣٤) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٠٨ / ٩) .

رضي الله عنهما قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ، قال : « قَالَ : يَا مُوسَى ؛ إِنَّهُ لَا يَرَانِي حَيًّا إِلَّا مَاتَ ، وَلَا يَابِسُ إِلَّا تَدَهَدَهَ ، وَلَا رَطْبٌ إِلَّا تَفَرَّقَ ، إِنَّمَا يَرَانِي أَهْلُ الْجَنَّةِ الَّذِينَ لَا تَمُوتُ أَعْيُنُهُمْ ، وَلَا تَبْلَى أَجْسَادُهُمْ » ^(١) .

ومن آداب الحضرة : ما قال الشُّبلي رحمه الله : (الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب) ^(٢) .

وهذا يختص ببعض الأحوال والأشياء دون البعض ، ليس هو على الإطلاق ؛ لأن الله تعالى أمر بالدعاء ، وإنما الإمساك عن القول كما أمسك موسى عليه السلام عن الانبساط في طلب المآرب والحاجات الدنيوية ، حتى رفعه الحق مقاماً في القرب ، وأذن له في الانبساط وقال : اطلب مني ولو ملحاً لعجبتك ، فلما بسط انبسط وقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] ؛ لأنه كان يسأل حوائج الآخرة ، ويستعظم الحضرة أن يسأل حوائج الدنيا لحقارتها ، وهو في حجاب الحشمة عن سؤال المحقرات .

(١) طبقات الصوفية (ص ٢١٧-٢١٨) ، نوادر الأصول (٦٣٤) ، ورواه من طريق السلمي أبو نعيم في « الحلية » (١٠/٢٣٥) ، وفي نسخة على هامش (أ) : (أجسامهم) بدل (أجسادهم) ، وهي رواية « النوادر » ، وابن رزّام متهّم بالوضع ، ويقال : دَهْدَهَ الحجر : إذا دحرجه ، والشيء : إذا قلب بعضه على بعض .

(٢) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٧) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/٦١) ، وزاد : (وترك الأدب يُوجب الطرد ، ومن لم يُراعِ أسرارهُ مع الحقّ . . لا يُكاشف عن عين الحقيقة بذرة) .

ولهذا مثالٌ في الشاهد : فَإِنَّ الْمَلِكَ الْمُعْظَمَ يُسَأَلُ الْمُعْظَمَاتِ ،
وَيُحْتَشَمُ فِي طَلَبِ الْمُحَقَّرَاتِ .

فَلَمَّا رُفِعَ بَسَاطُ الْحِشْمَةِ صَارَ فِي مَقَامٍ خَاصٍّ مِنَ الْقُرْبِ ؛ يَسَأَلُ الْحَقِيرَ
كَمَا يَسَأَلُ الْخَطِيرَ .

قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (أَدَبُ الْعَارِفِ فَوْقَ كُلِّ أَدَبٍ ؛ لِأَنَّ
مَعْرُوفَهُ مُؤَدَّبٌ قَلْبِهِ) (١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (يَقُولُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « مَنْ أَلْزَمْتُهُ الْقِيَامَ مَعَ
أَسْمَائِي وَصِفَاتِي . . أَلْزَمْتُهُ الْأَدَبَ ، وَمَنْ كَشَفْتُ لَهُ عَنْ حَقِيقَةِ ذَاتِي . . أَلْزَمْتُهُ
الْعَطَبَ » ، فَاخْتَرَا أَيُّهُمَا شِئْتَ : الْأَدَبُ أَوْ الْعَطَبُ) (٢) .

وَقَوْلُ الْقَائِلِ هَذَا يُشِيرُ : إِلَى أَنَّ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ تَسْتَقِلُّ بِوُجُودِ مُحْتَاجٍ
إِلَى الْأَدَبِ (٣) ؛ لِبَقَاءِ رُسُومِ الْبَشَرِيَّةِ وَحِظْوِظِ النَّفْسِ ، وَمَعَ لَمَعَانِ نَوْرِ عَظَمَةِ

(١) أوردته الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٨) .

(٢) أوردته الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٨) ، والعَطَبُ : الهلاك .

(٣) يحتمل أن يُراد بقوله : (تستقل) ؛ أي : تتحمل ؛ من قولهم : استقلَّ بالحمل : إذا تحمَّل ورفع ، والباءُ للتعدية ، فيكونُ حملُ الأسماء والصفات الوجودَ المحتاجَ إلى الأدب ، حُمِلَ من أرض الطبيعة البشرية ، ورُفِعَ بالتربية وتعليم الآداب إلى أن يصير أهلاً للتجليات الذاتية ؛ فَإِنَّ الوجودَ إذا لم يتنَوَّرَ بالأنوار ولم يتأدَّب بالآداب . . لم يستحقَّ بالقرب ؛ إذ كلُّ من رسوم البشرية وصفات الطبيعة وحظوظ النفس تُبعِّده ؛ فحملُ الأسماء والصفات إيَّاه يكونُ بهذا المعنى .

ويحتمل أن يُرادَ باستقلال الأسماء والصفات : استقلالها واستبدادها بتربية الوجود ؛ أي : من غير تجلِّي الذات ؛ فَإِنَّ تجلِّي الذات يُذيب الوجود ويُفنيه ، وتجلِّي الصفات =

الذات تتلاشى الآثارُ بالأنوارِ ، ويكونُ معنى العَطَبِ التحقُّقُ بالفناءِ ، وفي ذلك العَطَبِ نهايةُ الأَرَبِ^(١) .

وقال أبو عليِّ الدَّقَاقُ في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الصُّرُورِ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ؛ قال : لم يَقُلْ : (ارحمني) ؛ لأنه حَفِظَ أدبَ الخطابِ ، وقال عيسى عليه السلامُ : ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ولم يَقُلْ : (لم أَقُلْ) ؛ رعايةً لأدبِ الحَضْرَةِ^(٢) .

وقال أبو نصرِ السَّرَّاجُ : (أدبُ أهلِ الخُصُوصِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ : في طهارةِ القلوبِ^(٣) ، ومُراعاةِ الأسرارِ ، والوفاءِ بالعُهودِ ، وحِفْظِ الوقتِ ، وقِلَّةِ الالتفاتِ إلى الخواطرِ والعوارضِ والبوادي والعوائقِ ، واستواءِ السِّرِّ والعلانيةِ^(٤) ، وحُسْنِ الأدبِ في مواقفِ الطَّلَبِ ومقاماتِ القُربِ وأوقاتِ الحُضورِ)^(٥) .

= يُرَبِّيه وَيُبْقِيه ، إلى أن يصير أهلاً للفناء ، مُستَعِدّاً للوصل واللقاء . « حاشية زين الدين » . من هامش (ح) .

(١) في بعض النسخ : (الأدب) بالدال .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٥٩٩) .

(٣) عن الأوصاف المذمومة ؛ كالغِلِّ والغشِّ ، والحقد والحسد ، والكِبَرِ والعُجْبِ ، وغيرها . من هامش (ح) .

(٤) وهذا أمرٌ صعب على المختلط بأرباب العادات والرُسُوم ، المُراعي خواطرهم ، لكن إذا غلب على الباطن ذوقُ المشاهدة . . يَفِرُّ بقلبه إلى الحضرة سائلاً مُتضرِّعاً أن يحفظ عليه وقته في أوان الاختلاط كما كان في العزلة ، ولا بدَّ من تحمُّل التشنيع والإنكار لطالب الاستمرار ، واستواء الإعلان والإسرار . من هامش (ح) .

(٥) اللمع (ص ١٩٦) ، وينبغي أن يعلم المُتَفَتِّنُ أوقاتَ الطلبِ ، فليس كلُّ وقتٍ يصلحُ للطلب ؛ فإنه إذا لَمَعَ بارقٌ من نور الجمال ، وسَرَتْ نَسْمَةٌ من مَهَبِّ الوصال . . يستديمُ

والأدب أدبان : أدب قول ، وأدب فعل ؛ فمن تقرب إلى الله بأدب فعله . . منحه محبة القلوب .

قال ابن المبارك : (نحن إلى قليل من الأدب أخرج منا إلى كثير من العلم)^(١) .

وقال أيضاً : (الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف)^(٢) .

وقال الثوري رحمه الله : (من لم يتأدب للوقت فوقته مقت)^(٣) .

وقال ذو الثون رحمه الله : (إذا خرج المرید عن حد استعمال الأدب . .

(. . .) بترك الدعاء والسؤال ، ويسعى بسرّه في التلاشي والاضمحلال ، وإذا حان أوان ظهور الوجود ، وتزاعمت الدواعي والقصود . . فلا يطلب إلا ما ثبت على قوانين أهل المحبة ؛ من استقامة قلبه وسرّه ، وعدم تسليط نفسه ، ودوام حمايته وحفظه . من هامش (ح) .

(١) فإن القليل من الأدب نافع ، والكثير من العلم الغير المشفوع بالعمل غير نافع . من هامش (ح) ، وقول ابن المبارك أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ١٩٥) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٦) ، ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤٥ / ٣٢) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ١٩٥) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٦) ، ورواه السلمي في « الطبقات » (ص ٢٢٥) ، وعزاه إلى أبي بكر الورّاق رحمه الله تعالى ، والمستأنف ؛ أي : المبتدئ ، فكما أن المبتدئ لا يترقى إلى المقامات إلا بمراعاة التوبة . . لا يترقى العارف في مراتب المعارف إلا بمراعاة الأدب ، وكما أن المبتدئ إذا وقعت له فترة لا يستدركها بالدفع إلا بتجديد التوبة . . ينبغي للعارف إذا وقعت له حجة [أن] يبالغ في مراعاة الأدب ، ويستغفر من التقصير في مراعاته للوقت بمراعاة حقّ الوقت . من هامش (ح) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٩٩) .

فإنه يرجع من حيث جاء (١) .

وقال ابن المبارك أيضاً : (قد أكثر الناس في الأدب ، ونحن نقول :
معرفة النفس) (٢) .

وهذه إشارة منه : إلى أن النفس هي منبع الجهالات ، وترك الأدب من
مخامرة الجهل ، فإذا عرف النفس صادف نور العرفان ؛ على ما ورد : (من
عرف نفسه فقد عرف ربه) (٣) ، ولهذا النور لا تظهر النفس بجهالة إلا
ويقمعها بصريح العلم ، وحينئذ يتأدب ، ومن قام بأداب الحضرة فهو غيرها
أقوم ، وعليها أقدر ، والله أعلم (٤) .



(١) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٦) ، والقشيري في « الرسالة »
(ص ٥٩٩) ، وقوله : (يرجع...) ؛ أي : يرجع إلى الطبيعة البشرية ، وتستولي
عليه النفس الأتارة ، بل يزداد تسليطها ، وربما انجر الأمر إلى الارتداد والعياذ بالله ،
وشؤم الخروج عن حد استعمال الأدب أكثر من أن يُحرر في حاشية الكتاب ، رب
سلم . من هامش (ح) .

(٢) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢١٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص
٥٩٧) .

(٣) سبق تخريجه في (٢٣٧/١) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في الموفي ثلاثين على
الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام المقدسي) .

الباب الثالث والثلاثون

في آداب الطهارة ومقدماتها

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي وَصْفِ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

قِيلَ فِي التفسيرِ : يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا مِنَ الْأَحْدَاثِ وَالْجَنَابَاتِ وَالنَّجَاسَاتِ بِالْمَاءِ^(١) .

قَالَ الْكَلْبِيُّ : (هُوَ غَسْلُ الْأَدْبَارِ بِالْمَاءِ)^(٢) .

وَقَالَ عطاءٌ : (كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالْمَاءِ ، وَلَا يَنَامُونَ بِاللَّيْلِ عَلَى الْجَنَابَةِ)^(٣) .

رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَهْلِ قُبَاءٍ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَتَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ ، فَمَا هُوَ ؟ » ، قَالُوا : إِنَّا نَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ^(٤) .

(١) انظر « الكشف والبيان » (٦٠ / ١٤) ، و « تفسير البغوي » (٩٦ / ٤) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٦٠ / ١٤) .

(٣) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٦٠ / ١٤) ، والبغوي في « تفسيره » (٩٦ / ٤) .

(٤) رواه ابن ماجه (٣٥٥) ، والحاكم (٣٣٤ / ٢) عن السادة أبي أيوب وجابر وأنس رضي الله عنهم ، وانظر « غنية العارف » (٥٠٤ - ٥٠٥) .

وكانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَسْتَنْجِ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ »^(١) ، وهكذا كَانَ الاسْتَنْجَاءُ فِي الْإِبْتِدَاءِ حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءٍ .

قِيلَ لِسَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ عَلِمْتُمْ نَبِيَّتُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ ؟ !
فَقَالَ سَلْمَانُ : أَجَلٌ ، نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ ، أَوْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، أَوْ يَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ^(٢) .

(١٠٥) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِمْلَاءً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الْحَرِيمِيُّ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ الْخَطِيبُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو الْهَاشِمِيُّ^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ اللَّوْلُؤِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ ، عَنِ الْقَعْقَاعِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا

(١) ليس هذا الخطاب خاصاً بأهل قباء ، بل كان عاماً كما سيأتي من حديث سلمان وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٥٠٥ / ٢) .

(٢) سبق تخريجه في (٣٣٢ / ١) ، والرَّجِيعُ : الروث .

(٣) الْحَرِيمِيُّ : نسبة إلى (الْحَرِيم) الطاهري ؛ وهي محلة غربي بغداد ، وأبو منصور الْحَرِيمِيُّ : هو الإمام الثقة عبد الرحمن بن أبي غالب محمد بن عبد الواحد البغدادي الْقَزَّازِ الْمَقْرئِ راوي « تاريخ بغداد » (ت ٥٣٥ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٦٩ / ٢٠) .

(٤) هو الإمام الْمُعَمَّرُ الْقَاضِي الْفَقِيه مسند العراق الْقَاسِمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَاشِمِيِّ الْعَبَّاسِيِّ الْبَصْرِيِّ (ت ٤١٤ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٢٥ / ١٧) .

أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ^(١) ؛ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَذِيرُهَا ، وَلَا يَسْتَتِبُ بِيَمِينِهِ « ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ^(٢) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الْفَرَضُ فِي الْاسْتِنْجَاءِ شَيْئَانِ : إِزَالَةُ الْخَبَثِ ، وَطَهَارَةُ الْمُزِيلِ ؛ وَهُوَ أَلَّا يَكُونَ رَجِيعاً ؛ وَهُوَ الرَّوْثُ ، وَلَا مُسْتَعْمَلاً مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَا رِمَّةً ؛ وَهِيَ عَظْمُ الْمَيِّتَةِ .

وَوَثَرُ الْاسْتِنْجَاءِ سُنَّةٌ ؛ إِمَّا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ ، أَوْ خَمْسَةٌ ، أَوْ سَبْعَةٌ ، وَاسْتِعْمَالُ الْمَاءِ بَعْدَ اسْتِعْمَالِ الْحَجَرِ سُنَّةٌ .

وَقَدْ قِيلَ فِي الْآيَةِ : ﴿ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا ﴾ [التوبة : ١٠٨] ، قَالُوا : لَمَّا سُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ قَالُوا : كُنَّا نَتَّبِعُ الْمَاءَ الْحَجَرَ^(٣) .

وَالْاسْتِنْجَاءُ بِالشَّمَالِ سُنَّةٌ ، وَمَسْحُ الْيَدِ بِالثَّرَابِ بَعْدَ الْاسْتِنْجَاءِ سُنَّةٌ ، وَهَذَا يَكُونُ فِي الصَّحْرَاءِ إِذَا كَانَتْ أَرْضاً طَاهِراً وَتُرَاباً طَاهِراً .

وَكَيْفِيَةُ الْاسْتِنْجَاءِ : أَنْ يَأْخُذَ الْحَجَرَ بِيَسَارِهِ وَيَضَعُهُ عَلَى مُقَدِّمِ الْمَخْرَجِ قَبْلَ مُلَاقَاةِ النِّجَاسَةِ ، وَيَمْدُّهُ بِالْمَسْحِ^(٤) ، وَيُدِيرُ الْحَجَرَ فِي مَدِّهِ حَتَّى لَا يَنْقَلِ النِّجَاسَةُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ^(٥) ، يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى مُؤَخَّرِ

(١) أَي : كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) سَنَّ أَبُو دَاوُدَ (٨) ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٣٨ / ١) ، وَأَحْمَدُ (٢٥٠ / ٢) ، وَابْنُ حِبَانَ (١٤٣١) ، وَالرِّمَّةُ : وَاحِدَةُ (الرَّمَمِ) وَ (الرَّمَامِ) ؛ وَهِيَ الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ ، وَسَيَّاتِي شَرَحَهَا أَيْضاً بَعْدَ قَلِيلٍ .

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي (٣٥٥ / ١) ، وَانْظُرْ (١٢٥ / ٢) .

(٤) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (وَيُمرُّه) بَدَلِ (وَيَمْدُّه) .

(٥) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (فِي مَرَّةٍ) بَدَلِ (فِي مَدَّةٍ) .

المخرج ، ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ، ويمسح إلى المقدّم ،
ويأخذ الثالث ويديره حول المَسْرُبة^(١) .

وإن استجمَرَ بحجرٍ ذي ثلاثِ شُعَبٍ . . جاز .

وأما الاستبراء إذا انقطع البول . . يُمَدُّ ذكره مِنْ أصلِهِ ثلاثاً إلى الحَشَفَةِ
بالرَّفْقِ ؛ لئلا تندفق بقيّة البول ، ثُمَّ يَنْتَرُهُ ثلاثاً^(٢) .

ويحتاطُ في الاستبراء بالاستنقاء ؛ وهو أن يَتَنَحَّجَ ثلاثاً ؛ لأنَّ العُرُوقَ
مُمتدَّةٌ مِنَ الحَلْقِ إلى الذَّكَرِ ، وبالتَّنَحُّجِ تتحرَّكُ وتقذفُ ما في مَجْرَى
البولِ ، فإنْ مشى خَطَوَاتٍ وزادَ في التَّنَحُّجِ . . فلا بأسَ ، ولكن يُراعى حدُّ
العلمِ ، ولا يجعلُ للشيطانِ عليه سبيلاً بالوسوسةِ وتضييعِ الوقتِ .

ثمَّ يمسحُ الذَّكَرَ ثلاثَ مَسَحَاتٍ أو أكثرَ إلى ألا يرى الرُّطوبةَ ، وشَبَّةَ
بعضُهمُ الذَّكَرَ بالضَّرْعِ ، وقالَ : (لا يزالُ تظهرُ منه الرُّطوبةُ ما دامَ يُمَدُّ) ،
فيراعى الحدَّ في ذلكَ ، ويراعى الوَثْرَ في ذلكَ أيضاً .

والمَسَحَاتُ تكونُ على الأرضِ الطاهرةِ أو حَجَرٍ طاهرٍ ، وإن احتاجَ إلى
أخذِ الحجرِ لصِغَرِهِ . . فليأخذِ الحَجَرَ باليمينِ والذَّكَرَ باليسارِ ، ويمسحُ على
الحَجَرِ ، وتكونُ الحركةُ باليسارِ لا باليمينِ ؛ لئلا يكونَ مُستنَجِياً باليمينِ .

وإذا أرادَ استعمالَ الماءِ انتقلَ إلى موضعٍ آخرَ ، ويُقْنَعُ الحجرَ ما لم ينتشرِ
البولُ على الحَشَفَةِ^(٣) .

(١) المَسْرُبة : مجرى الغائط .

(٢) التَّنَرُ : جذبُ الذَّكَرِ بعنفٍ دونِ مبالغةٍ .

(٣) في نسخة مضبوطة على هامش (أ) : (ويُقْنَعُ بالحجر) .

وفي ترك الاستنقاء في الاستبراء وعيدٌ ورَدَ فيما رواه عبدُ الله بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : مرَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ على قبرينِ ، فقالَ : « إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَبِرُّ - أَوْ لَا يَسْتَنْزَهُ^(١) - مِنَ الْبَوْلِ ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » ، ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطَبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ، وَقَالَ : « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْبَسَا »^(٢) ، وَالْعَسِيبُ : الْجَرِيدُ^(٣) .

وإذا كانَ في الصحراءِ يَبْعُدُ عَنِ الْعُيُونِ ؛ رَوَى جَابِرٌ رضيَ اللهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبَرَّازَ انْطَلَقَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ^(٤) .

وروى المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حَاجَتُهُ ، فَأَبْعَدَ فِي الْمَذْهَبِ^(٥) .

(١) وفي مطبوع « الصحيحين » : (لا يستتر) قال النووي في « شرح مسلم » (٢٠١ / ٣) : (رُوي ثلاث روايات : « يستتر » ، و « يستنزه » ، و « يستبرئ » ، وهذه الثالثة في البخاري وغيره ، وكلها صحيحة ، ومعناها : لا يتجنبه ويتحرز منه ، والله أعلم) ، ونصَّ القسطلاني في « الإرشاد » (٢٨٧ / ١) : أَنَّ (يستبرئ) روايةُ الحافظ ابن عساكر .

(٢) رواه البخاري (٢١٦) ، ومسلم (٢٩٢) .

(٣) الجريد : عَسِيب النخل إذا جُرِّد من ورقه .

(٤) رواه أبو داود (٢) ، وابن ماجه (٣٣٥) ، والبراز : اسم للفضاء الواسع ، كنوابه عن حاجة الإنسان ، ويروى أيضاً بكسر الباء ، وهو رواية كثير من المُحدثين . انظر « مرقاة المفاتيح » (٣٧٩ / ١) .

(٥) رواه الترمذي (٢٠) ، ومختصراً أبو داود (١) ، والنسائي (١٨ / ١) ، وابن ماجه (٣٣١) .

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَبَوَّأُ لِحَاجَتِهِ كَمَا يَتَبَوَّأُ
الرَّجُلُ الْمَنْزَلَ^(١) ، وَكَانَ يَسْتَرُّ بِحَائِطٍ أَوْ نَشِزٍ مِنَ الْأَرْضِ ، أَوْ كُومٍ مِنَ
الْحِجَارَةِ^(٢) .

وَيَجُوزُ أَنْ يَسْتَرَّ الرَّجُلُ بِرَاحِلَتِهِ فِي الصَّحَرَاءِ ، أَوْ بِذِيلِهِ إِذَا حَفِظَ الثَّوبَ
مِنَ الرَّشَاشِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْبَوْلُ فِي أَرْضٍ دَمِثَةٍ^(٣) ، أَوْ عَلَى تَرَابٍ مَهِيلٍ^(٤) .

قَالَ أَبُو مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَبُولَ ، فَأَتَى دَمِثًا فِي أَصْلِ جِدَارٍ ، فَبَالَ ثُمَّ قَالَ : « إِذَا أَرَادَ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ . فَلْيَرْتَدْ لِبَوْلِهِ »^(٥) .

وَيَنْبَغِي أَلَّا يَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرَهَا ، وَلَا يَسْتَقْبَلَ الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ ،
وَلَا يُكْرَهُ اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ فِي الْبُيُوتِ ، وَالْأُولَى اجْتِنَابُهَا ؛ لِذَهَابِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٣٠٦٤) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَإِبْنِ حَبَّانٍ فِي « الْمَجْرُوحِينَ » (٩١ / ٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيَتَبَوَّأُ
لِحَاجَتِهِ ؛ أَيِ : يَطْلُبُ مَوْضِعًا يَصْلَحُ لَهَا .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٣٤٢) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٥٤٩) وَغَيْرُهُمَا عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، بَلْفَظٍ : (كَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَرَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِحَاجَتِهِ . . هَدَفٌ أَوْ حَائِشٌ نَخْلٌ) ، وَالْهَدَفُ : كُلُّ مَرْتَفَعٍ مِنْ بِنَاءٍ أَوْ كَثِيبٍ رَمْلٍ أَوْ نَشْزٍ
مِنَ الْأَرْضِ ، وَالنَّشْزُ : الْمَرْتَفَعُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَفِي هَامِشٍ (ح) : (الْكُومُ : جَمْعُ
« كُومَةٍ » ؛ وَهُوَ مَا اشْتَدَّ وَغُلِظَ مِنَ الْحِجَارَةِ) .

(٣) الدَّمِثَةُ : السَّهْلَةُ اللَّيِّنَةُ .

(٤) الْمَهِيلُ : السَّائِلُ .

(٥) أَيِ : فَلْيَطْلُبْ مَكَانًا لَيِّنًا أَوْ مُنْحَدِرًا . مِنْ هَامِشٍ (ح) ، وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣) ،
وَأَحْمَدُ (٣٩٦ / ٤) ، وَالْحَاكِمُ (٤٦٦ / ٣) .

إلى كراهية ذلك في البُنيان أيضاً^(١) ، ولا يرفعُ ثوبه حتى يدنو من الأرض ،
ويجنبُ مَهَابَ الرِّيحِ ؛ احترازاً من الرِّشَاشِ .

قال رجلٌ لبعضِ الصحابةِ من الأعرابِ وقد خاصمه ؛ قال : لا أَحْسَبُكَ
تُحَسِّنُ الخِرَاءَةَ ، فقال : بلى وأبيكَ إِنِّي بها لَحَازِقٌ ، قال : فصِفْها لي ،
فقال : أَبْعُدُ عن البَشَرِ ، وَأَعِدُّ المَدَرَ ، وَأَسْتَقْبِلُ الشَّيْخَ ، وَأَسْتَدْبِرُ الرِّيحَ ،
وَأُقْعِي إِقْعَاءَ الطُّيِّ ، وَأُجْفِلُ إِجْفَالَ النَّعَامِ^(٢) .

يعني : أَسْتَقْبِلُ أصولَ النباتِ مِنَ الشَّيْخِ وغيرِهِ ، وَأَسْتَدْبِرُ الرِّيحَ ؛
احترازاً من الرِّشَاشِ ، والإقْعَاءُ ها هنا : أَنْ يَسْتَوْفَرَ على صُدُورِ قَدَمَيْهِ ،
وَالْإِجْفَالُ : أَنْ يَرْفَعَ عَجْزَهُ .

ويقولُ عندَ الفراغِ مِنَ الاستنجاءِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ
مُحَمَّدٍ ، وَطَهِّرْ قَلْبِي مِنَ الرِّيَاءِ ، وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الفَوَاحِشِ)^(٣) .

ويُكْرَهُ أَنْ يَبُولَ الرجلُ فِي المَغْتَسَلِ ؛ روى عبدُ اللَّهِ بنُ مُغْفَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَبُولَ الرجلُ فِي مُسْتَحَمِّهِ وقالَ : « إِنَّ عَامَّةَ
الْوَسْوَاسِ مِنْهُ »^(٤) .

(١) وهو مذهب السادة الحنفية . انظر « حاشية ابن عابدين » (١ / ٥٥٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١١٩٠) ، وابن حمدون في « التذكرة
الحمدونية » (٧ / ٢٥٤) ، وسيأتي شرح ألفاظه بعده مباشرة .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١١٩٣) ، والغزالي في « الإحياء »
(١ / ٤٨٨) .

(٤) رواه أبو داود (٢٧) ، والترمذي (٢١) ، والنسائي (١ / ٣٤) ، وابن ماجه
(٣٠٤) .

وقال ابن المبارك : (يُوسَّعُ في البولِ في المُسْتَحَمِّ إذا جرى فيه الماء) (١) .

وإذا كان في البُنيانِ يُقدِّمُ رجلَه اليسرى لدخولِ الخلاءِ ، ويقولُ قبلَ الدخولِ : (باسمِ اللهِ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ) (٢) .

(١٠٦) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ الْمُقْرِيُّ (٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ الْخَطِيبُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمَرَ الْهَاشِمِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ اللَّوْلُؤِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو - هُوَ ابْنُ مَرْزُوقٍ الْبَصْرِيُّ - ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ : (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ) » (٤) .

وَأَرَادَ بِالْحُشُوشِ : الْكُفْ ، وَأَصْلُ الْحَشِّ : جَمَاعَةُ النَّخْلِ الْكَثِيفِ ، كَانُوا يَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَتَّخِذَ الْكُفْ فِي الْبُيُوتِ ، وَقَوْلُهُ : (مُحْتَضَرَةٌ) ؛ أَيِ : يَحْضُرُهَا الشَّيَاطِينُ .

(١) رواه الترمذي (٢١) .

(٢) الخبث : جمع (الخبيث) ؛ وهو المؤذي من الجنِّ والشياطين ، والخبائث : جمع (الخبيثة) ، والمراد : أعوذ بك من ذُرَائِهِمْ وَإِنَائِهِمْ ، وقيل في معناهما غير ذلك . انظر « مرقاة المفاتيح » (١ / ٣٧٥) .

(٣) هو الحرَّيمي ، وقد سبق في (٢ / ١٢٦) .

(٤) سنن أبي داود (٦) ، ورواه ابن ماجه (٢٩٦) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٨٢٠) ، وأحمد (٤ / ٣٧٣) .

وفي الجلوس للحاجة يعتمد على الرجل اليسرى ، ولا يتولع بيده ^(١) ،
ولا يخط في الأرض والحائط وقت قعوده ، ولا يكثر النظر إلى عورته ، إلا
للحاجة إلى ذلك ، ولا يتكلم ؛ فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « لَا يَخْرُجُ الرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَوْرَتَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ ؛
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمُقْتُ عَلَى ذَلِكَ » ^(٢) .

ويقول عند خروجه : (غفرانك ، الحمد لله الذي أذهب عني
ما يؤذيني ، وأبقى علي ما ينفعني) ^(٣) .

ولا يستصحب معه شيئاً عليه اسم الله تعالى ؛ من ذهب وخاتم وغيره .
ولا يدخل الخلاء حاسر الرأس ؛ روت عائشة رضي الله عنها عن أبيها
أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنِّي
لَأَدْخُلُ الْكَنِيفَ ، فَأَلْزِقُ ظَهْرِي وَأُعْطِي رَأْسِي ؛ اسْتَحْيَاءً مِنْ رَبِّي عَزَّ
وَجَلَّ) ^(٤) ، والله أعلم وأحكم .



- (١) أي : لا يشتغل ولا يلعب بيده . من هامش (ح) .
(٢) رواه أبو داود (١٥) ، وابن ماجه (٣٤٢) ، وأحمد (٣٦/٣) عن سيدنا أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه ، ويضربان الغائط ؛ أي : يمشيان لأجل قضاء الحاجة ، أو
يأتيان الخلاء .
(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢) مرسلأ عن طاوس رحمه الله تعالى .
(٤) رواه ابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٤١) ، ورواه ابن المبارك في
« الزهد » (٣١٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١١٣٣) ، وأحمد في « الزهد »
(١١٦٨) عن الزبير عن أبي بكر رضي الله عنهما ، وفي هامش (ب) : (بلغ قراءة
كاتبه عبد السلام على الشيخ الحافظ جلال الدين) .

الباب الرابع والثلاثون

في آداب الوضوء وأسراره

إذا أراد الوضوء يبتدئ بالسَّوَاكِ .

(١٠٧) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشَّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ الْفَرَّاءُ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ زَنْجُوِيَه ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَعْلَى بْنُ عُيَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَخْرَجْتُ الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ مَكْتُوبَةٍ »^(٢) .

(١) هو الإمام الحافظ الفقيه المفسر محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفرَّاء البغوي (ت ٥١٦ هـ) صاحب « التهذيب » في فقه السادة الشافعية ، و« معالم التنزيل » ، و« المصابيح » ، وغيرها ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٤٣٩ / ١٩) .

(٢) شرح السنة (١٩٨) للبغوي ، ورواه أبو داود (٤٧) دون ذكر تأخير العشاء ، والترمذي (٢٣) ، وأحمد (١١٤ / ٤) ، ورواه من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أحمد (٢٥٠ / ٢) ، وابن حبان (١٥٣١) ، وهو في « البخاري » (٨٨٧) ، =

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » (١) .

وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسَّوَاكِ) (٢) ، وَالشَّوْصُ : الدَّلْكُ .

وَيُسْتَحَبُّ السَّوَاكُ : عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ، وَعِنْدَ كُلِّ وُضوءٍ ، وَكُلَّمَا تَغَيَّرَ الْفَمُ مِنْ أَزْمٍ وَغَيْرِهِ ، وَأَصْلُ الْأَزْمِ : إِمْسَاكُ الْأَسْنَانِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَقِيلَ لِلشُّكُوتِ : أَزَمْتُ ؛ لِأَنَّ الْأَسْنَانَ تَنْطَبِقُ ، وَبِذَلِكَ يَتَغَيَّرُ الْفَمُ .

وَيُكْرَهُ لِلصَّائِمِ بَعْدَ الزَّوَالِ ، وَيُسْتَحَبُّ لَهُ قَبْلَ الزَّوَالِ ، وَأَكْثَرُ اسْتِحْبَابِهِ : مَعَ غُسْلِ الْجُمُعَةِ ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ اللَّيْلِ .

وَيُنَدَّى السَّوَاكُ الْيَابِسَ بِالْمَاءِ ، وَيَسْتَاكُ عَرَضًا وَطَوْلًا ، وَإِنْ اقْتَصَرَ فَعَرَضًا ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ السَّوَاكِ يَغْسِلُهُ .

وَيَجْلِسُ لِلْوُضوءِ ، وَالْأَوَّلَى : أَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، يَتَدَيَّ بِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ، وَيَقُولُ (٣) : (رَبِّ ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

= « مسلم » (٢٥٢) من حديثه أيضاً ولكن دون ذكر تأخير العشاء .

(١) رواه النسائي (١٠ / ١) ، وأحمد (٤٧ / ٦) ، والدارمي (٧١١) ، وابن حبان (١٠٦٧) ، وانظر « غنية العارف » (٥١٤ / ٢) .

(٢) رواه البخاري (٢٤٥) ، ومسلم (٤٧ / ٢٥٥) .

(٣) سيذكر المؤلف رحمه الله تعالى دعاء الأعضاء ، وقد أورده الغزالي في « الإحياء » (١ / ٤٩١-٤٩٥) وغيره ، قال النووي في « الأذكار » (ص ٧٤) : (وأما الدعاء على أعضاء الوضوء فلم يجئ فيه شيء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد قال الفقهاء : =

الشياطين ، وأعوذُ بك ربَّ أن يحضروني) .

ويقولُ عندَ غَسْلِ اليَدِ : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْيُمْنَ وَالْبَرَكَهَ ، وأعوذُ بك مِنْ الشُّؤْمِ وَالْهَلَكَةِ) .

ويقولُ عندَ الْمَضْمَضَةِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَعِنِّي عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِكَ ، وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ) .

ويقولُ عندَ الاستنشاقِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَوْجِدْني رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ) (١) .

ويقولُ عندَ الاستنثارِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وأعوذُ بك مِنْ رَوَائِحِ النَّارِ ، وَسُوءِ الدَّارِ) .

ويقولُ عندَ غَسْلِ الْوَجْهِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَبَيِّضْ وَجْهِي يَوْمَ تَبْيِضُ وُجُوهُ أَوْلِيَائِكَ ، وَلَا تُسَوِّدْ وَجْهِي يَوْمَ تَسْوَدُ فِيهِ وُجُوهُ أَعْدَائِكَ) .

= يُسْتَحَبُّ فِيهِ دَعَاؤُ جَاءَتْ عَنْ السَّلَفِ ، وَزَادُوا وَنَقَصُوا فِيهَا) ، وَقَالَ الْخَطِيبُ الشَّرِبِينِي فِي « مَغْنِي الْمَحْتَاجِ » (١٠٨ / ١) بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ كَلَامَ النَّوَوِيِّ : (وَفَاتِ الرَّافِعِيُّ وَالنَّوَوِيُّ أَنَّهُ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَرَقٍ فِي « تَارِيخِ ابْنِ حَبَانَ » وَإِنْ كَانَتْ ضَعِيفَةً ؛ لِلْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الضَّعِيفِ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ ، وَمَشَى شَيْخِي - أَيِ : الشَّهَابِ الرَّمْلِيِّ - عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحَبٌّ ، وَأَفْتَى بِهِ ؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ) ، وَقَدْ أَفَاضَ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي « نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ الْأَذْكَارِ » (٢٥٦ / ١ - ٢٦٣) .

(١) قَوْلُهُ : (أَوْجِدْني) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَفِي هَامِشِ (ح) : (أَيِ : اجْعَلْني وَاجِدًا رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : أَوْجَدَهُ اللَّهُ مَطْلُوبَهُ ؛ أَيِ : [أَظْفَرَهُ] بِهِ) ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ : (أَرِخْنِي) .

وعند غُسلِ اليمينِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَآتِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي ، وَحَاسِبْنِي حَسَاباً يَسِيراً) .

وعند غُسلِ الشُّمالِ : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُؤْتِيَنِي كِتَابِي بِشِمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي) بَعْدَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ .

وعند مسحِ الرأسِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَغَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ ، وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ، وَأَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّ عَرْشِكَ) .

ويقولُ عند مسحِ الأذنينِ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ ، اللَّهُمَّ ؛ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ) .

ويقولُ عند مسحِ العُنُقِ : (اللَّهُمَّ ؛ فَكَّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ) .

ويقولُ عند غُسلِ قدميه اليُمْنَى : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَثَبِّتْ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ مَعَ أَقْدَامِ الْمُؤْمِنِينَ) .

ويقولُ عند اليُسْرَى : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ أَقْدَامُ الْمُنَافِقِينَ) .

وإذا فرغَ مِنَ الوضوءِ يرفعُ رأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ويقولُ : (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي ، أَسْتَغْفِرُكَ

وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، فَاعْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، وَاجْعَلْنِي صَبُورًا شَكُورًا ، وَاجْعَلْنِي أَذْكَرَكَ كَثِيرًا ، وَأَسْبَحُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) .

وفرائضُ الوضوء :

[الواجبُ الأوَّلُ] : النيةُ عندَ غَسْلِ الوجهِ .

[الواجبُ الثاني] : غَسْلُ الوجهِ ، وَحْدُ الوجهِ : مِنْ مُبْتَدَأِ تَسْطِيحِ الوجهِ إِلَى مُنْتَهَى الدَّقَنِ ، وَمَا ظَهَرَ مِنَ اللَّحْيَةِ وَمَا اسْتَرْسَلَ مِنْهَا ، وَمِنْ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرَضًا .

وَيَدْخُلُ فِي الْغَسْلِ : الْبَيَاضُ الَّذِي بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ وَاللَّحْيَةِ ، وَمَوْضِعُ الصَّلَعِ ، وَمَا انْحَسَرَ عَنْهُ الشَّعْرُ - وَهُمَا النَّزْعَتَانِ - مِنَ الرَّأْسِ ^(١) ، وَيُسْتَحَبُّ غَسْلُهُمَا مَعَ الْوَجْهِ .

وَيُوصَلُ الْمَاءُ إِلَى شَعْرِ التَّحْذِيفِ ؛ وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي تُزِيلُهُ النِّسَاءُ مِنَ الْوَجْهِ ، وَيُوصَلُ الْمَاءُ إِلَى الْعَنْقَقَةِ وَالشَّارِبِ وَالْحَاجِبِ وَالْعِدَارِ ^(٢) ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ لَا يَجِبُ .

ثُمَّ اللَّحْيَةُ إِنْ كَانَتْ خَفِيفَةً يَجِبُ إِصْصَالُ الْمَاءِ إِلَى الْبَشْرَةِ ، وَحَدُّ الْخَفِيفِ : أَنْ تُرَى الْبَشْرَةُ مِنْ تَحْتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ كَثِيفَةً فَلَا يَجِبُ .

(١) لَا مِنَ الْوَجْهِ ، وَقَالَ بَعْضُ فَقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ : لَا يَحْصُلُ تَحْقِيقُ كِمَالِ غَسْلِ الْوَجْهِ إِلَّا بِغَسْلِ أَجْزَاءِ مَعَهُ ؛ وَهِيَ النَّزْعَتَانِ ، وَالصُّدْغَانِ ، وَمَحَلُّ التَّحْذِيفِ ، وَجُزْءٌ مِنْ صَفْحَةِ الْعُنُقِ ، وَمَا تَحْتَ الدَّقَنِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) الْعَنْقَقَةُ : الشَّعْرُ النَّابِتُ تَحْتَ الشِّفَةِ السُّفْلَى ، وَالْعِدَارُ : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَى الْعِظَمِ النَّاتِي قُرْبَ الْأُذُنِ .

ويجتهدُ في تنقية مُجتمَعِ الكُحْلِ مِنْ مُقَدَّمِ العَيْنِ .

الواجبُ الثالثُ : غَسْلُ اليدينِ إلى المِرْفَقَيْنِ ، ويجبُ إدخالُ المِرْفَقَيْنِ في الغَسْلِ ، وَيُسْتَحَبُّ غَسْلُهُمَا إلى أنصافِ العَضْدَيْنِ ، وإن طالتِ الأظافرُ حتى خرجتْ مِنْ رُؤُوسِ الأصابعِ . . يجبُ غَسْلُ ما تحتها على الأصَحِّ .

الواجبُ الرابعُ : مسحُ الرأسِ ، ويكفي ما يُطْلَقُ عليه اسمُ المسحِ .

واستيعابُ الرأسِ بالمسحِ سنةٌ ؛ وهو أن يُلصِقَ رأسَ أصابعِ اليُمْنَى باليُسْرَى ويضعَهُمَا على مُقَدَّمِ الرأسِ ، وَيُمَدَّهُمَا إلى القَفَا^(١) ، ثُمَّ يَرُدُّهُمَا إلى الموضعِ الذي بدأ منه ، وَيَنْصُفُ بِلَلِّ الكَفَيْنِ مُسْتَقْبِلًا وَمُسْتَدْبِرًا .

الواجبُ الخامسُ : غَسْلُ القَدَمَيْنِ ، ويجبُ إدخالُ الكَعْبَيْنِ في الغَسْلِ ، وَيُسْتَحَبُّ غَسْلُهُمَا إلى أنصافِ الساقَيْنِ ، وَيُقْنَعُ غَسْلُ القَدَمَيْنِ مَعَ الكَعْبَيْنِ .

ويجبُ تخليلُ الأصابعِ المُلتَفَّةِ ؛ فَيُخَلَّلُ بِخَنَصِرِ يَدِهِ اليُسْرَى مِنْ باطنِ القدمِ ، يَبْدَأُ بِخَنَصِرِ رِجْلِهِ اليُمْنَى ، وَيَخْتِمُ بِخَنَصِرِهِ اليُسْرَى .

وإن كَانَ في الرَّجْلِ شُقُوقٌ يجبُ إيصالُ الماءِ إلى باطنِها ، وإن تركَ فيها عَجِينًا أو شَحْمًا تجبُ إزالةُ عَيْنِ ذلكَ الشيءِ .

والواجبُ السادسُ : الترتيبُ على النَّسَقِ المذكورِ في كلامِ الله تعالى .

والواجبُ السابعُ : السابعُ^(٢) في القولِ القديمِ عندَ الشافعي رضي الله

(١) في بعض النسخ : (القفاء) بالمد ، وهي لغةٌ قليلةٌ حكاها ابنُ بَرِّي عن ابنِ جُنِّي . انظر « تاج العروس » (٣٩ / ٣٢٦) .

(٢) أي : الموالة ، وهو سنةٌ في القولِ الجديدِ ، ومحلُّ الخلافِ : في التفريقِ بغيرِ عذرٍ ، =

عنه ، وحَدُّ التفريقِ الذي يقطعُ التابعَ : نَشَأُ العُضْوِ مع اعتدالِ الهواءِ .

وُسُنُّ الوضوءِ ثلاثَ عَشْرَةَ : التسميةُ في أوَّلِ الطهارةِ ، وغسلُ اليدينِ إلى الكوعَيْنِ قبلَ إدخالِهما الإناءَ ، والمضمضةُ ، والاستنشاقُ ، والمبالغةُ فيهما ؛ فيُغرِغُرُ في المضمضةِ حتى يَرُدَّ الماءَ إلى الغُلْصَمَةِ^(١) ، ويستمدُّ في الاستنشاقِ الماءَ بالنَّفْسِ إلى الخياشيمِ ، ويرْفُقُ في ذلكَ إذا كانَ صائماً .

وتخليلُ اللِّحْيَةِ الكَثَّةِ^(٢) ، وتخليلُ الأصابعِ المُنفَرِجَةِ^(٣) ، والبدايةُ بالمِياَمِ^(٤) ، وإطالةُ الغُرَّةِ^(٥) ، واستيعابُ الرأسِ بالمسحِ ، والتثليثُ ،

= وفي طول التفريق ، أمّا بالعدر : فلا يضرُّ قطعاً ، وقيل : يضر على القديم ، وأمّا اليسير : فلا يضر إجماعاً ، وانظر « نهاية المطلب » (٩١ / ١ - ٩٣) ، و« المجموع » (٤٧٨ - ٤٨٠) ، و« مغني المحتاج » (١٠٥ / ١ - ١٠٦) .

(١) الغُلْصَمَةُ : رأس الحلقوم .

(٢) في (ب) : (الكثيفة) ، والكثيف عند الفقهاء : ما لم تُرَّ البشرة من خلاله في مجلس التخاطب عرفاً ، وعند غيرهم : الثخين والغليظ ، وهنا فائدة أوردتها صاحب « إعانة الطالبين » (٣٩ / ١) ؛ وهي أَنَّهُ لا يُقال للحية النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كثيفة ؛ لما فيه من البشاعة ، بل يُقال : عظيمة .

(٣) احتراز من أصابع المستورة - وهي التي لا يصل الماء إليها إلا بالتخليل - فَإِنَّ تخليله واجبٌ عند الشافعي . من هامش (ح) .

(٤) قوله : (والبداية) كذا في جميع النسخ ، والأكثر والمشهور : (والبُدْءُ) ، والمثبت لغةً أنصاريّة ذكرها ابن القطّاع ، وعدّها ابن برّي من الأغلاط ، وانظر « تاج العروس » (١٣٨ / ١) .

(٥) معنى إطالة الغُرَّة : غسلُ شيء من الحدود التي تعيّنُ بالنص ؛ كالمرفقين والكعبين ، فيغسلُ اليدين إلى أنصاف العضدين ، والكعبين إلى أنصاف الساقين ؛ فَإِنَّ أعضاء الوضوء تتنوّر يوم القيامة وتبيضُ ، فكلّما يطولُ موضع الغسل يطول بياضه ونوره ، وأمّا الغُرَّة - بالضم - : بياضٌ في جبهة الفرس قدر الدرهم ؛ يُقال : فرسٌ أَعْرٌ ، والأَعْرُ : الأبيض . من هامش (ح) .

ومسحُ الأُذُنَيْنِ ، وفي القولِ الجديدِ : التتابعُ .

ويجتنبُ أنْ يزيدَ على الثلاثِ ، ولا ينفِضُ اليدَ ، ولا يتكلَّمُ في أثناءِ
الوضوءِ ، ولا يَلطِمُ وجهَهُ بالماءِ لَطْماً .

وتجديدُ الوضوءِ مُستَحَبٌّ ؛ بشرطِ : أنْ يُصَلِّيَ بالوضوءِ ما تيسَّرَ ، وإلا
فمكروهٌ ، واللهُ أعلمُ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الخامس والثلاثون

في آداب أهل النخوص والصوفية في الوضوء

أدب الصوفية بعد القيام بمعرفة الأحكام ؛ أدبهم في الوضوء^(١) :
حضور القلب في غسل الأعضاء .

سمعتُ بعض الصالحين يقولُ : (إذا حضر القلبُ في الوضوءِ يحضرُ في الصلاةِ ، وإذا دخل السهوُ فيه دخل الوسوسةُ في الصلاةِ) .

ومن أدبهم : استدامة الوضوء ؛ فالوضوء سلاح المؤمن ، والجوارح إذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعيٍّ . . يقلُّ طُروقُ الشيطانِ عليها .
قالَ عديُّ بنُ حاتمٍ رضيَ اللهُ عنه : (ما أقيمت صلاةٌ منذُ أسلمتُ إلا وأنا على وضوءٍ)^(٢) .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه : قدِمَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المدينةَ وأنا يومئذٍ ابنُ ثمانِ سنينَ ، فقالَ لي : « يَا بُنَيَّ ؛ إِنْ أُسْتَطِعْتَ أَلَّا تَزَالَ عَلَى الطَّهَارَةِ . . فَافْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى الْوُضُوءِ أُعْطِيَ

(١) قال في « شرح المشكلات » (ق / ٥١) : (قوله : « أدبهم في الوضوء » أعاد المبتدأ ؛ للفصل الطويل بينه وبين الخبر) .

(٢) رواه الدولابي في « الكنى والأسماء » (٨٩٦) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٨٤ / ١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٦ / ٤٠) .

الشَّهَادَةُ»^(١) ، فشانُ العاقلِ أَنْ يكونَ أبدأً مُستَعِدّاً للموتِ ، وَمِنْ الاستعدادِ لزومُ الطهارةِ .

وَحُكِيَ عَنِ الحُصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : (مهما أَنتَبُهُ مِنَ الليلِ لَا يَحْمِلُنِي النومُ إِلَّا بعدما أَقُومُ وَأُجَدِّدُ الوضوءَ ؛ لئَلَّا يعودَ إِلَيَّ النومُ وأنا على غيرِ طهارةٍ)^(٢) .
وسمعتُ مَنْ صَحِبَ الشيخَ عليَّ بنَ الهيثمي أَنَّهُ كَانَ يَقَعْدُ الليلَ جميعَهُ ، فَإِنْ غلبَهُ النومُ يكونُ قاعداً كذلكَ ، وكلَّمَا انتَبَهَ يقولُ : لَا أَكونُ أسأتُ الأدبَ ، فيقومُ وَيُجَدِّدُ الوضوءَ ، وَيُصَلِّي ركعتينِ^(٣) .

روى أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ قَالَ لبلالٍ عِنْدَ صلاةِ الفجرِ : « يَا بِلَالُ ؛ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَ فِي الْإِسْلَامِ مَنَفَعَةً ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَةَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ » ، فَقَالَ : مَا عَمِلْتُ عَمَلاً فِي الْإِسْلَامِ أَرْجَى عِنْدِي مَنَفَعَةً مِنْ أَنِّي لَا أَتَطَهَّرُ طَهَرًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ^(٤) .

(١) رواه ضمن حديث طويل أبو يعلى في « المسند » (٣٦٢٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٩١) ، وفي « المعجم الصغير » (٨٥٦) ، ورواه الترمذي مختصراً كما سبق مسنداً في (٢٣٢ / ١) .

(٢) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ١٩٨) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣١) .

(٣) وقال ابن المستوفي في « تاريخ إربل » (٥٤ / ٢) : (ولم يُرَ قطُّ مضطجعاً ، إِنَّمَا كَانَ إِذَا أَرَادَ النومَ جَعَلَ رَأْسَهُ بَيْنَ رِكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ يَرْفَعُهُ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ ، وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ تَصْفِيقَةً أَوْ تَصْفِيقَتَيْنِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَضَعُهُ بَيْنَ رِكْبَتَيْهِ) ، توفي ابن الهيثمي سنة (٥٦٤ هـ) ، وانظر ترجمته في « تاريخ إربل » (٥٣ / ١ - ٥٥) ، و« ذيل تاريخ بغداد » لابن النجار (١٥٩ / ١٩ - ١٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٠٤ / ٣٩) .

(٤) رواه البخاري (١١٤٩) ، ومسلم (٢٤٥٨) ، وفي (أ ، ج ، ز) : (خشخشة =

وَمِنْ أَدْبِهِمْ فِي الطَّهَارَةِ : تَرْكُ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ ، وَالْوُقُوفُ عَلَى حَدِّ الْعِلْمِ .

(١٠٨) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ،

قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التُّرَيْيَاقِيُّ ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ :

أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا

أَبُو دَاوُدَ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا خَارِجَةُ بْنُ مُصْعَبٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ

الْحَسَنِ ، عَنْ عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ السَّعْدِيِّ ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِلْوُضُوءِ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ :

الْوَلَهَانُ ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ »^(٢) .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّوْذُبَارِيُّ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْتَهِدُ أَنْ يَأْخُذَ نَصِيْبَهُ مِنْ

جَمِيعِ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ ، فَلَا يُيَالِي أَنْ يَأْخُذَ نَصِيْبَهُ ؛ بَأَنْ يَزْدَادُوا فِيْمَا أَمَرُوا بِهِ أَوْ

يَنْقُصُوا مِنْهُ)^(٣) .

= (نعليك) بدل (خشفة نعليك) ، وَالْخَشْفَةُ : الصَّوْتُ وَالْحَرَكَةُ ، وَالْخَشْخَشَةُ : حَرَكَةُ

لَهَا صَوْتُ كَصَوْتِ السَّلَاحِ ، وَفِي رِوَايَةِ « الْبَخَارِيِّ » : (دَفَّ نَعْلِكَ) ؛ أَيِ : صَوْتُ

مَشْيِكَ فِيهِمَا .

(١) هُوَ الطَّيَالِسِيُّ .

(٢) سَنَّ التِّرْمِذِيُّ (٥٧) ، مَسْنَدُ الطَّيَالِسِيِّ (٥٤٩) ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٤٢١) ، وَالْحَاكِمُ

(١٦٢ / ١) ، وَالْوَلَهَانُ : مُصْدَرٌ : (وَلَةٍ يَوْلُهُ وَلَهَانًا) ؛ وَهُوَ ذَهَابُ الْعَقْلِ وَالتَّحِيرُ مِنْ

شِدَّةِ الْوَجْدِ وَغَايَةِ الشَّوْقِ ، فَسُمِّيَ بِهِ شَيْطَانُ الْوُضُوءِ ؛ إِمَّا لِشِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى طَلَبِ

الْوَسْوَسةِ فِي الْوُضُوءِ ، وَإِمَّا لِإِلْقَائِهِ النَّاسَ بِالْوَسْوَسةِ فِي مَهْوَاةِ الْحَيْرَةِ ؛ حَتَّى يُرَى

صَاحِبَهُ حَيْرَانَ ذَاهِبَ الْعَقْلَ ، لَا يَدْرِي كَيْفَ يَلْعَبُ بِهِ الشَّيْطَانُ ، وَلَمْ يَعْلَمْ هَلْ وَصَلَ

الْمَاءُ إِلَى الْعِضْوِ أَمْ لَا ، وَكَمْ مَرَّةً غَسَلَهُ . انْظُرْ « مِرْقَاةُ الْمِفَاتِيحِ » (٤١٧ / ٢) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّعَمِ » (ص ١٩٨) .

وَحُكِيَ عَنِ ابْنِ الْكَرْنَبِيِّ : أَنَّهُ أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي ، وَكَانَتْ عَلَيْهِ مُرَقَّعَةٌ ثَخِينَةٌ غَلِيظَةٌ^(١) ، فَجَاءَ إِلَى دِجْلَةٍ وَكَانَ بَرْدٌ شَدِيدٌ ، فَحَرَنْتَ نَفْسُهُ عَنِ الدَّخُولِ فِي الْمَاءِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ^(٢) ، فَطَرَحَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ مَعَ الْمُرَقَّعَةِ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَاءِ وَقَالَ : اعْتَقَدْتُ أَلَّا أَنْزِعَهَا مِنْ بَدَنِي حَتَّى تَجِفَّ عَلَيَّ^(٣) ، قِيلَ : فَلَمْ تَجِفَّ عَلَيْهِ شَهْرًا كَامِلًا ؛ لِثَخَانَتِهَا وَغِلَظِهَا ، أَذَبَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ لَمَّا حَرَنْتَ عِنْدَ الْإِثْمَارِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى^(٤) .

وَقِيلَ : إِنَّ سَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ عَلَى كَثَرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ وَقِلَّةِ صَبِّهِ عَلَى الْأَرْضِ^(٥) ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ فِي الْإِكْثَارِ مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ ضَعْفَ النَّفْسِ ، وَإِمَاتَةَ الشَّهَوَاتِ ، وَكَسَرَ الْقُوَّةِ^(٦) .

وَمِنْ أَفْعَالِ الصُّوفِيَّةِ : الْإِحْتِيَاطُ فِي اسْتِيقَاءِ الْمَاءِ لِلْوُضُوءِ .

قِيلَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَّاصُ إِذَا دَخَلَ الْبَادِيَةَ لَا يَحْمِلُ مَعَهُ إِلَّا رَكْوَةً مِنْ

(١) الْمُرَقَّعَةُ : مِنْ لِبَاسِ سَادَتِنَا الصُّوفِيَّةِ ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ ؛ لِمَا بِهَا مِنَ الرُّقْعِ .

(٢) قَوْلُهُ : (حَرَنْتَ) يُقَالُ : فَرَسُ حَرُونٍ : لَا يَنْقَادُ ، وَإِذَا اشْتَدَّ بِهِ الْجَرِي وَقَفَ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) اعْتَقَدْتُ : عَاهَدْتُ ، وَفِي (ب) : (عَهَدْتُ) ، وَ (د) : (عَقَدْتُ) .

(٤) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ١٩٨) ، وَالْخَرَكُوشِي فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ » (ص ٢٣٠) .

(٥) أَيِ : فِي الْوُضُوءِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) ، وَزَادَ فِي « اللَّمَعِ » : (وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ الْمَاءَ لَهُ حَيَاةٌ ، وَمَوْتُهُ صَبُّهُ عَلَى الْأَرْضِ) ، وَهَذَا التَّأثيرُ النَّاتِجُ عَنْ كَثَرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ . . إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ خُلُوِّ الْمَعْدَةِ وَالْجُوعِ ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ وَتَزَاحِمِ الشَّهَوَاتِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٦) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ١٩٩) .

الماء^(١) ، وربّما كان لا يشرب منها إلا القليل ؛ يحفظه للوضوء^(٢) .

وقيل : إنّه كان يخرج من مَكَّة إلى الكوفة ولا يحتاج إلى التيمّم ؛ يحفظ الماء للوضوء ، ويقنع بالقليل للشرب^(٣) .

وقيل : إذا رأيت الصوفي ليس معه رَكُوةٌ أو كُوزٌ . فاعلم أنّه قد عَزَمَ على ترك الصلاة شاء أم أبى^(٤) .

وحكي عن بعضهم : أنّه أدب نفسه في الطهارة إلى حدّ أنّه أقام بين ظَهْراني جماعة من السّاك وهم مجتمعون في دار^(٥) ، فما رآه أحد منهم أنّه دخل الخلاء ؛ لأنّه كان يقضي حاجته إذا خلا الموضع في وقت ؛ يريد : لتأديبه نفسه^(٦) .

وقيل : مات الخَوَاصُّ في جامع الرّي في وسط الماء ، وذاك أنّه كان به عِلَّةُ البطن ، وكلّما قام دخل الماء وغسل نفسه ، فدخل الماء مرّةً فمات فيه ؛ كلُّ ذلك لحفظه على الوضوء والطهارة^(٧) .

(١) الرّكُوة : الدلو الصغيرة .

(٢) أورده أبو نصر السّراج في « اللمع » (ص ١٩٩) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣١) ، وقد سبق في (٤٠٧/١) فيما له علاقة بهذا الأثر .

(٣) أورده أبو نصر السّراج في « اللمع » (ص ٢٠٠) .

(٤) أورده أبو نصر السّراج في « اللمع » (ص ١٩٩) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣١) .

(٥) قوله : (بين ظَهْراني جماعة) يُقال : هو نازلٌ بين ظَهْرانيهم : بفتح النون ، وقولهم : لَقِيتُهُ بين الظَهْرَانيّين : في اليومين ، أو في الأيام . من هامش (ح) .

(٦) ولا يتيسّر هذا التأديب إلا بتقليل الأكل والحكم على الطبع بترك مقتضياته . من هامش (ح) ، وما حكاه المؤلف رواه أبو نصر السّراج في « اللمع » (ص ١٩٩) .

(٧) أورده أبو نصر السّراج في « اللمع » (ص ٢٠٢) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣١-٢٣٢) .

وقيل : كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ بِهِ قِيَامٌ^(١) ، فَقَامَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ نَيْقًا وَسَبْعِينَ مَرَّةً ، وَكُلَّ مَرَّةً يُجَدِّدُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ^(٢) .

وقيل : إِنَّ بَعْضَهُمْ أَدَبَ نَفْسَهُ حَتَّى لَا يَخْرُجَ مِنْهُ الرِّيحُ إِلَّا فِي وَقْتِ الْبَرَازِ ؛ يُرَاعِي الْأَدَبَ فِي الْخَلَوَاتِ^(٣) .

وَاتَّخَذَ الْمُنْدِيلَ بَعْدَ الْوُضُوءِ كَرِهَهُ قَوْمٌ وَقَالُوا : إِنَّ مَاءَ الْوُضُوءِ يُوزَنُ ، وَأَجَازُهُ بَعْضُهُمْ ، وَدَلِيلُهُمْ :

(١٠٩) - مَا أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَابٍ ، عَنْ أَبِي مُعَاذٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِرْقَةٌ يُشَفُّ بِهَا أَعْضَاءُهُ بَعْدَ الْوُضُوءِ)^(٤) .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأَ مَسَحَ وَجْهَهُ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ)^(٥) .

(١) أي : قيام إلى قضاء الحاجة ، وهو كناية عن الإسهال الشديد .

(٢) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٠٢) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٠) .

(٣) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٠٠) .

(٤) سنن الترمذي (٥٣) ، ورواه الحاكم (١ / ١٥٤) ، وليس فيهما وفي (أ ، ب) : (أعضاءه) .

(٥) رواه الترمذي (٥٤) ، وبنحوه ابن ماجه (٤٦٨) من حديث سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وروى البخاري أيضاً (٣٤٤) ، ومسلم (٦٨٢) من حديث سيدنا =

واستقصاء الصُّوفِيَّةِ في تطهير البواطنِ مِنَ الصفاتِ الرديئةِ والأخلاقِ
المذمومةِ ، لا الاستقصاء في طهارةِ الظاهرِ إلى حدٍّ يُخْرِجُ عن حدِّ العلمِ .

وتوضاً عمرُ رضي اللهُ عنه مِنْ جَرَّةِ نصرانيَّةٍ ، معَ كونِ النصارى
لا يَحْتَرِزُونَ عَنِ الخمرِ^(١) ، وأجْرَى الأمرَ على الظاهرِ وأصلِ الطهارةِ .

وقد كانَ أصحابُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلُّونَ على الأرضِ مِنْ
غَيْرِ سَجَّادَةٍ^(٢) ، وَيَمْشُونَ حُفَاةً فِي الطُّرُقِ^(٣) ، وقد كانوا لا يجعلونَ وقتَ
النومِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الترابِ حائلاً^(٤) ، وقد كانوا يقتصرونَ على الحَجَرِ في
الاستنجاءِ في بعضِ الأوقاتِ^(٥) ، وكانَ أمرُهُمْ في الطهاراتِ الظاهرةِ على
التساهلِ ، واستقصاؤُهُمْ في طهارةِ الباطنِ^(٦) ، وهكذا شَغُلُ الصُّوفِيَّةِ^(٧) .

وقد يكونُ في بعضِ الأشخاصِ تشدُّدٌ في الطهارةِ ، ويكونُ مُسْتَنَدٌ ذَلِكَ
رُغْوَةَ النَّفْسِ ؛ فَلَوْ اتَّسَخَ ثَوْبُهُ تَحَرَّجَ ، وَلَا يُبَالِي بِمَا فِي بَاطِنِهِ مِنَ الْغِلِّ
وَالْحَقْدِ ، وَالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ ، وَالرِّيَاءِ وَالنِّفَاقِ ، وَلَعَلَّهُ يُنْكِرُ عَلَى الشَّخْصِ إِذَا
دَاسَ الْأَرْضَ حَافِئاً مَعَ وجودِ رُخْصَةِ الشَّرْعِ ، وَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ

= عمران بن حصين رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ مِنْ مَرَادَةٍ مُشْرَكَةٍ .

(١) رواه الشافعي في « الأم » (٢٨ / ٢) ، ومن طريقه البيهقي في « السنن الكبرى » (٣٢ / ١) .

(٢) ولا يتوسسون بأنَّ الأرضَ ربَّما تكونُ نجسةً . من هامش (ح) .

(٣) ثُمَّ يُصَلُّونَ مِنْ غَيْرِ غَسْلِ الْأَقْدَامِ عَنْ غِبَارِ الطَّرِيقِ . من هامش (ح) .

(٤) أي : لَا يُنْزَهُونَ ثِيَابَهُمْ عَنِ التُّرَابِ بِوَهْمِ إِمْكَانِ التُّرَابِ غَيْرَ طَاهِرٍ . من هامش (ح) .

(٥) أي : مِنْ غَيْرِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْمَاءِ مَعَ أَنَّهُ أَفْضَلُ . من هامش (ح) .

(٦) إِذِ الْبَاطِنُ هُوَ الَّذِي يَنْظَرُ إِلَيْهِ الْحَقُّ ، وَالظَّاهِرُ يَنْظَرُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ ؛ « إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى
صُورِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ » . من هامش (ح) .

(٧) انظر « إحياء علوم الدين » (١ / ٤٦٥-٤٧٢) ، ففيه تفصيل نفيس في ذلك .

غِيبةٌ يُخْرِبُ بِهَا دِينَهُ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ قِلَّةِ الْعِلْمِ ، وَتَرْكِ التَّأْدِبِ بِصُحْبَةِ
الصَّادِقِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ .

وَكَانُوا يَكْرَهُونَ كَثْرَةَ الدَّلَالِ فِي الْإِسْتِبْرَاءِ^(١) ؛ لِأَنَّهُ رَبَّمَا يَسْتَرْخِي الْعِرْقُ
وَلَا يُمَسِّكُ الْبَوْلَ ، وَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ الْقَطَرُ الْمُفْرِطُ .

وَمِنْ حِكَايَاتِ الصُّوفِيَّةِ فِي الْوُضُوءِ وَالطَّهَارَةِ : أَنَّ أَبَا عَمْرٍو الرَّجَاجِيَّ
جَاوَرَ بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَكَانَ لَا يَتَغَوَّطُ فِي الْحَرَمِ ، وَيَخْرُجُ إِلَى الْحِلِّ ،
وَأَقْلُ ذَلِكَ فَرَسَخٌ^(٢) .

وَقِيلَ : كَانَ بَعْضُهُمْ عَلَى وَجْهِهِ قُرْحٌ لَمْ يَنْدَمِلِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ؛ لِأَنَّ
الْمَاءَ كَانَ يَضُرُّهُ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَدْعُ تَجْدِيدَ الْوُضُوءِ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ^(٣) .

وَبَعْضُهُمْ نَزَلَ فِي عَيْنِهِ الْمَاءُ ، فَحَمَلُوا إِلَيْهِ الْمُدَاوِيَّ^(٤) ، وَبَذَلُوا لَهُ مَا لَا
كَثِيرًا لِدَاوِيَّتِهِ ، فَقَالَ الْمُدَاوِي : يَحْتَاجُ أَلَّا يَمَسَّ الْمَاءَ أَيَّامًا ، وَيَكُونَ مُسْتَلْقِيًا
عَلَى قَفَاهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، وَاخْتَارَ ذَهَابَ بَصَرِهِ عَلَى تَرْكِ الْوُضُوءِ^(٥) .



(١) أي : كثرة الدلال للذكر أثناء الاستبراء .

(٢) أي : حوالي (١٠ كم) ، وهذه الحكاية أوردها أبو نصر السراج في « اللمع »
(ص ١٩٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣١) ، ورواها منقطعة
السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٣١) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب »
(٣٧٢٩) ، وفيهما : (أربعين) بدل (ثلاثين) .

(٣) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٠١) .

(٤) في (ب ، هـ ، ح ، ي) : (فَحْمِلَ) بدل (فحملوا) .

(٥) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٠١) عن أبي عبد الله الرازي المقرئ ، وفي
هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب السادس والثلاثون

في فضيلة الصلاة وكبر شأنها

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى جَنَّةَ عَدْنٍ ^(١) ، وَخَلَقَ فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي ، قَالَتْ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون : ١] ؛ ثَلَاثًا ^(٢) .

قال الشيخ رضي الله عنه : شهد القرآن المجيد بالفلاح للمُصلِّين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَانِي جِبْرِيلُ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ ، وَصَلَّى بِي الظُّهْرَ » ^(٣) .

واشتقاق الصلاة : قيل : مِنَ الصَّلَى ^(٤) ؛ وهو النار ، والخشبة المُعَوَّجَةُ إذا أرادوا تقويمها تُعَرَّضُ عَلَى النَّارِ ثُمَّ تُقَوَّمُ ، وفي العبدِ اعوجاجٌ ؛ لوجود

(١) جنة عدن ؛ أي : جنة إقامة ؛ يُقال : عَدْنٌ بِالْمَكَانِ : إذا أقام به . من هامش (ح) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٨٤ / ١١) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (١٦) ، وانظر « غنية العارف » (٥٢٨ / ٢) .

(٣) رواه أبو داود (٣٩٣) ، والترمذي (١٤٩) ، وأحمد (٣٣٣ / ١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ودُلُوكُ الشَّمْسِ : ميلها .

(٤) الصَّلَاءُ - بالكسر والمد - : الشواء ؛ لأنه يُصَلَّى بالنار ، والصَّلَاءُ أيضاً : صِلَاءُ النَّارِ ، وإن فتحت الصاد قَصَرَتْ وقلت : (صَلَّى النَّارِ) . من هامش (ح) .

نَفْسِهِ الْأَمَّارَةَ بِالشُّوءِ ، وَسُبُّحاتُ وَجهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ الَّتِي لَوْ كَشَفَ حجابُهَا
أَحْرَقَتْ مَنْ أَدْرَكَتْهُ . . يُصِيبُ بِهَا الْمُصَلِّي مِنْ وَهَجِ السَّطْوَةِ الإِلَهِيَّةِ وَالْعَظَمَةِ
الرَّبَّانِيَّةِ مَا يَزُولُ بِهِ اعْوَجاغُهُ^(١) ، بَلْ يَتَحَقَّقُ بِهِ مِعْراجُهُ ، فَالْمُصَلِّي
كَالْمُصْطَلِي بِالنَّارِ ، وَمَنْ اصْطَلَى بِنَارِ الصَّلَاةِ وَزَالَ بِهَا اعْوَجاغُهُ . . لَا يُعْرَضُ
عَلَى نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ^(٢) .

(١١٠) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ رَضِيَ الدِّينُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْقَزْوِينِيُّ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعْدٍ مُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَلِيلِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْفَرُّخَزَادِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحاقَ أَحْمَدُ بْنُ
مُحَمَّدٍ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ^(٤) ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَنْبَرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ
أَحْمَدَ الْحَافِظُ^(٥) ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ^(٦) ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ

(١) (ما) في (ما يزول) : فاعل (يصيب) ، و (المصلي) : مفعول له ، و (من وهج) :
بيان (ما) . من هامش (ح) ، وقوله : (مفعول له) ؛ أي : مفعول به للفعل (يصيب) .
(٢) قولهم : [لم] أفعل إلا تحلة القسم ؛ أي : لم أفعل إلا بقدر ما حللت به [يميني]
ولم [أبلغ] ، وفي الحديث : « لا يموت للرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة
القسم » ؛ أي : قدر ما يبر الله فيه بقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾
[مريم : ٧١] . من هامش (ح) .

(٣) هو الثعلبي صاحب « الكشف والبيان » ، وقد سبق السند إليه والتعريف ببعض رجاله في
(١٦٦ / ١) .

(٤) هو الحبيبي النيسابوري المفسر الواعظ (ت ٤٠٦ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء »
(٢٣٧ / ١٧) .

(٥) هو الإمام الحجة القدوة أبو محمد جعفر ابن نصر الحصري النيسابوري
(ت ٣٠٣ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢١٧ / ١٤) .

(٦) ابن زياد القرشي النيسابوري الإمام القدوة شيخ نيسابور ومقرئها ومفتيها وزاهدنا =

أبي إياس ، عن ابن سَمْعَانَ ، عن العلاء^(١) ، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .. قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَجَّدَنِي عَبْدِي^(٢) ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .. قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَمَدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ .. قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .. قَالَ : فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .. قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ » [الفاتحة : ١-٧] .. قَالَ اللهُ تَعَالَى : هَذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(٣) .

فَالصَّلَاةُ صِلَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ^(٤) ، وما كَانَ صِلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ فَحَقُّ الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ خَاشِعاً لَصَوْلَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ عَلَى الْعُبُودِيَّةِ . وقد وَرَدَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى إِذَا تَجَلَّى لشيءٍ خَضَعَ لَهُ^(٥) ، وَمَنْ تَحَقَّقَ بِالصَّلَاةِ

= (ت ٢٤٥ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣٩ / ١٢) .

(١) أي : عن العلاء بن عبد الرحمن . من هامش (ح) ، وهو أبو شبل الحُرقي المدني (ت ١٣٨ هـ) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨٦ / ٦) .

(٢) أي : ذكرني بالمجد ، المجد في كلام العرب : الشرف الواسع ، ورجلٌ ماجد : مفضل كثير الخير ، والمجيد من صفاته تعالى ؛ أي : الكريم الفعَّال لما يريد . « غريبين » . من هامش (ح) .

(٣) الكشف والبيان (٣٣٣-٣٣٥) ، ورواه مسلم (٣٩٥) وغيره دون ذكر البسملة ، وانظر « غنية العارف » (٥٢٩-٥٣٠) .

(٤) قوله : (صلة) ؛ أي : وصلة ؛ يقال : بينهما وصلة . من هامش (ح) .

(٥) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٤٩٤٣) من قول أبي قلابة رحمه الله تعالى .

في الصلاة تلمع له طوالع التجلي فيخشع^(١) .

والفلاح للذين هم في صلاتهم خاشعون^(٢) ، وبانتفاء الخشوع ينتفي الفلاح .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] ؛ وإذا كانت الصلاة للذكر كيف يسع فيها النسيان ؟!

وقال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] ؛ فمن قال ولا يعلم ما يقول كيف يصلي وقد نهاه الله تعالى عن ذلك ؟! فالسكران يقول الشيء لا بحضور عقل ، والغافل يصلي لا بحضور عقل^(٣) ، فهو كالسكران .

وقيل في غرائب التفسير في قوله تعالى : ﴿ فَخَلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] : قيل : ﴿ نَعْلَيْكَ ﴾ : هَمَّكَ بامرأتِكَ وغنمِكَ^(٤) .
فالاهتمام بغير الله سُكْرٌ في الصلاة .

وقيل : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، وينظرون يمينا وشمالا ، فلما نزلت ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي

(١) قوله : (طوالع التجلي) ؛ أي : أوائل ظهور أنوار التجلي . من هامش (ح) .

(٢) أي : خاضعون ، وقيل : خائفون ، والخشوع : السكون والتذلل ، وقيل : الخشوع قريب المعنى من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن والبصر والصوت . « غريبين » . من هامش (ح) .

(٣) في (أ ، ز) : (إيمان) بدل (عقل) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (١٧ / ٥١٠) ، والكرماني في « غرائب التفسير » (٧١١ / ٢) .

صَلَاتِهِمْ خَشَعُونَ» . . جعلوا وجوههم حيث يسجدون ، وما رُئيَ بعد ذلك أحدٌ منهم ينظرُ إلا إلى الأرضِ^(١) .

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ ، فَإِذَا أُلْتَفَتَ^(٢) قَالَ لَهُ
الرَّبُّ : إِلَى مَنْ تَلْتَفِتُ ؟ ! إِلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي ؟ ! ابْنُ آدَمَ ؛ أَقْبِلْ
إِلَيَّ^(٣) ؛ فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ^(٤) .

وأبصرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعبثُ بلحيته في الصلاة ،
فقال : « لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ^(٥) .

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةً فَصَلِّ صَلَاةَ
مُودَعٍ^(٦) ؛ فَاَلْمُصَلِّي سَائِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ ، يُودَّعُ هَوَاهُ وَدُنْيَاهُ ، وَكُلَّ
شَيْءٍ سِوَاهُ .

(١) انظر « تفسير الطبري » (٨ / ١٩) .

(٢) أي : بقلبه ، وهذا عند أهل القُرْب والصُّوفِيَّة ، وأمَّا عند الفقهاء : فالالتفات
المكروه : أن يلوي عنقه حتى يخرج من أن يكون إلى جهة القبلة ، فأما لو نظر بمؤخَّر
عينه يمنة أو يسرة من غير أن يلوي عنقه . . فلا يُكْرَهُ ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان
يلاحظ أصحابه في صلاته بموق عينه ، كذا ذكر صاحب « الكافي » . من هامش (ح) .

(٣) أي : بقلبك ؛ على لسان الإشارة ، ولسان العبارة معلوم . من هامش (ح) .

(٤) رواه البزار في « المسند » (٩٣٣٢) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل »
(٥٠٨) .

(٥) سبق تخريجه في (٢٤٨ / ١) .

(٦) رواه ابن ماجه (٤١٧١) ، وأحمد (٤١٢ / ٥) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ،
والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٤٢٧) ، والقضاعي في « المسند » (٩٥٢) عن
سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٥٣٢ / ٢) (٥٣٤) .

والصلاة في اللغة : هي الدعاء ؛ فكأنَّ المُصَلِّي يدعو الله تعالى بجميع جوارحه ، فصارت أعضاؤه كلها ألسنة يدعو بها ظاهراً وباطناً ، ويُشارك الظاهر والباطن بالتضرع^(١) ، والتقلُّب في الهيئات تَمَلُّقات مُتَضَرِّع سائل محتاج ، فإذا دعا بكُلِّيته أجابه مولاه ؛ لأنَّه وعد وقال : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وكان خالدُ الرَّبْعِيُّ يقولُ : (عَجِبْتُ لهذه الآية : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ؛ أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة ، ليس بينهما شرط !!)^(٢) .

والاستجابة والإجابة : هو نفوذُ دعاء العبد^(٣) ؛ فإنَّ الداعي الصادق العالم بمن يدعوهُ بنور يقينه تخرقُ دعوته الحُجُب ، وتقفُ الدعوة بين يدي الله عزَّ وجلَّ مُتَقاضيةً للحاجة .

وخصَّ الله تعالى هذه الأمة بإنزال (فاتحة الكتاب)^(٤) ، وفيها تقديمُ الشاء على الدعاء ؛ ليكون أسرع إلى الإجابة ، وهي تعليمُ الله عباده كيفية الدعاء .

و (فاتحة الكتاب) : هي السبعُ المثاني والقرآن العظيم ، قيل : سُمِّيَتْ (مثاني) ؛ لأنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين ؛ مرةً

(١) في (و ، ز) ونسخة على هامش (ح) : (ويشارك الظاهر الباطن بالتضرع) .

(٢) أورده القرطبي في « تفسيره » (٣٢٧ / ١٥) .

(٣) زاد في نسخة على هامش (د) : (بين يدي الرب) .

(٤) والتخصيص إمَّا حقيقي ؛ بأن تكون (الفاتحة) لم تنزل على غيره عليه الصلاة والسلام ، وما نُقِلَ أنَّ في « التوراة » سورة (فاتحة) . . غيرُ معتبر ، أو يكون في الاسم لا في المعنى . من هامش (ح) .

بمكة ، ومرة بالمدينة ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة نزلت منها فهم آخر ، بل كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل مرة يقرؤها على الترداد مع طول الزمان فهم آخر ، وهكذا المصلون المحققون من أمتيه ؛ تنكشف لهم عجائب أسرارها ، وتُقذف لهم كل مرة دُرر بحارها .

وقيل : سُميت مثنائي ؛ لأنها استُثِنَتْ مِنَ الرُّسُلِ ^(١) ، وهي سبع آيات .

وروت أم رومان قالت : رأي أبي بكر رضي الله عنه وأنا أتميل في الصلاة ، فزجرني زجراً كدْتُ أن أنصرف عن صلاتي ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ . فَلْيُسَكِّنْ أَطْرَافَهُ ، وَلَا يَتَمَيَّلْ تَمَيُّلَ الْيَهُودِ ؛ فَإِنَّ سُكُونَ الْأَطْرَافِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ » ^(٢) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ خُشُوعِ النَّفَاقِ » ، قيل : وما خشوع النفاق ؟ قال : « خُشُوعُ الْبَدَنِ ، وَنِفَاقُ الْقَلْبِ » ^(٣) .

(١) وَخُصَّتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . مِنْ هَامِش (ح) ؛ أَي : اسْتِثْنَاهَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَمْ يُعْطِهَا رَسُولًا مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . مِنْ هَامِش (ج) .

(٢) رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي « نَوَادِرِ الْأَصُولِ » (٨٢٢) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٠٤ / ٩) ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي « ذِكْرِ الْأَقْرَانِ » (١٦٦) .

(٣) رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي « نَوَادِرِ الْأَصُولِ » (٨٢٣) ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي « الشَّعْبِ » (٦٥٦٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ بَنُحُوهُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٣٦٨٦١) ، وَأَحْمَدُ فِي « الزَّهْدِ » (٧٦٢) ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي « الشَّعْبِ » (٦٥٦٧) مَوْقُوفًا عَلَى سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَأَمَّا تَمَثُّلُ الْيَهُودِ : قِيلَ : كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَامِلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى ظَاهِرِ الْأُمُورِ ؛ لِقِلَّةِ مَا فِي بَاطِنِهِمْ ^(١) ، فَكَانَ يُهَيِّبُ الْأُمُورَ وَيُعْظِمُهَا ؛ وَلِهَذَا الْمَعْنَى أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يُحَلِّيَ التَّوْرَةَ بِالذَّهَبِ ^(٢) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَوَقَعَ لِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِ الْوَارِدُ فِي صَلَاتِهِ وَمَحَالِّ مُنَاجَاتِهِ ، فَيَمُوجُ بِهِ بِأَطْنَةِ كَبْحَرٍ سَاكِنٍ تَهْبُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ ، فَتَتَلَاطَمُ الْأَمْوَاجُ ، فَكَانَ تَمَائِلُ مُوسَى تَلَاطَمَ أَمْوَاجِ بَحْرِ الْقَلْبِ إِذَا هَبَّتْ عَلَيْهِ نَسَمَاتُ الْفَضْلِ ، وَرَبَّمَا كَانَتِ الرُّوحُ تَنْطَلِعُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَهُمُّ بِالْإِسْتِعْلَاءِ وَلِلْقَالِبِ بِهَا تَشْبُكٌ وَامْتِزَاجٌ ، فَيُضْطَرُّ الْقَالِبُ وَيَتَمَائِلُ .

فَرَأَتِ الْيَهُودُ ظَاهِرَهُ مُتَمَائِلًا ، فَتَمَائِلُوا مِنْ غَيْرِ حَظٍّ لِبَوَاطِنِهِمْ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَلِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْكَارًا عَلَى أَهْلِ الْوَسْوَاسَةِ : « هَكَذَا خَرَجَتْ عَظْمَةُ اللَّهِ مِنْ قُلُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ حَتَّى شَهِدَتْ أَبْدَانُهُمْ ، وَغَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَمْرِي لَا يَشْهَدُ فِيهَا قَلْبُهُ كَمَا يَشْهَدُ بَدَنُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ عَلَى صَلَاتِهِ دَائِمٌ ، وَلَا يُكْتَبُ لَهُ عُشْرُهَا إِذَا كَانَ قَلْبُهُ سَاهِيًا لَا هِيَا » ^(٣) .

(١) أي : مَا كَانَ فِي بَاطِنِهِمْ بِصِيرَةٍ وَصَفَاءٍ بَحِيثٍ يَدْرِكُونَ بِهَا الْمَعَانِي وَحَقَائِقَ الْأَشْيَاء ، فَيُهَيِّبُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الصَّلَاةَ بِالتَّمَثُّلِ فِي قُلُوبِهِمْ . مِنْ هَامِش (ح) .

(٢) انْظُرْ « نَوَادِرُ الْأَصُولِ » (٩ / ٤) .

(٣) رَوَاهُ الْمَرْوُزِيُّ فِي « تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ » (١٥٧) مَرْسَلًا عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي دَهْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى قَوْلِهِ : (كَمَا يَشْهَدُ بَدَنُهُ) ، وَرَوَى بَاقِيَهُ كَذَلِكَ الْمَرْوُزِيُّ فِي الْكِتَابِ السَّابِقِ (١٥٢-١٥٣) مَرْفُوعًا عَنْ سَيِّدِنَا عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرْ « غِنِي الْعَارِفِ » (٥٣٦ / ٢) .

واعلم : أنَّ الله سبحانه أوجب الصَّلَواتِ الخَمْسَ ؛ وقد قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ ^(١) ؛ فَمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ فَقَدْ كَفَرَ » ^(٢) .

فبالصلاة تحقيقُ العُبوديَّةِ ، وأداءُ حقِّ الرُّبوبيَّةِ ، وسائرُ العباداتِ وسائلُ إلى تحقيقِ سِرِّ الصلاةِ .

قال سهلُ بنُ عبدِ الله التُّستريِّ رحمهُ الله : (يحتاجُ العبدُ إلى السُّنَنِ الرواتبِ ؛ لتكميلِ الفرائضِ ، ويحتاجُ إلى النوافلِ ؛ لتكميلِ السُّنَنِ ، ويحتاجُ إلى الآدابِ ؛ لتكميلِ النوافلِ ، وَمِنَ الأدبِ : تركُ الدنيا) .

والذي ذَكَرَهُ سهلٌ هو معنى ما قالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنه على المنبرِ : إِنَّ الرجلَ لَيَشِيبُ عارضاهُ في الإسلامِ وما أكَمَلَ اللهُ صلاةً ^(٣) ، قيلَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : لا يُتِمُّ خشوعَها وتواضعَها ، وإقبالَهُ على اللهِ فيها ^(٤) .

وقد وَرَدَ في الأخبارِ : إِنَّ العبدَ إذا قامَ إلى الصلاةِ رَفَعَ اللهُ تعالى الحجابَ

(١) أي : بها يقوم الدين . من هامش (ح) .

(٢) روى شطره الأول : الديلمي في « الفردوس » (٣٧٩٥) ، وقوام السنة في « الترغيب والترهيب » (٢٠١٦) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، والبيهقي في « الشعب » (٢٥٥٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وروى شطره الثاني : الترمذي (٢٦٢١) ، وابن ماجه (١٠٧٩) ، والنسائي (٢٣١ / ١) عن سيدنا بُرَيْدة الأسلمي رضي الله عنه .

(٣) عارضاهُ الإنسان : صَفَحَتَا خَدَيْهِ ، وقولُهُم : فلانٌ خفيفُ العارضين ؛ يُراد به : خِفَّةُ شَعَرِ عارضِيهِ . من هامش (ح) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٨٣) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢١٩ / ٣) .

بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَوَجْهَهُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَقَامَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ لَدُنْ مَنْكِبَيْهِ إِلَى الْهَوَاءِ يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ ، وَيُؤْمِنُونَ عَلَى دُعَائِهِ ، وَإِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيُنْشَرُ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ مِنْ عَنَانٍ السَّمَاءِ إِلَى مَفْرَقِ رَأْسِهِ^(١) ، وَيُنَادِيهِ مُنَادٍ : (لَوْ عَلِمَ الْمُصَلِّي مَنْ يُنَاجِي . . مَا التَفَتَ) ، أَوْ (مَا انْفَتَلَ)^(٢) .

وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُصَلِّينَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ . . مَا فَرَّقَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ ؛ فَلِلَّهِ مَلَائِكَةٌ فِي الرُّكُوعِ مِنْذُ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ لَا يَرْفَعُونَ مِنَ الرُّكُوعِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهَكَذَا فِي السُّجُودِ وَالْقِيَامِ وَالْقُعُودِ .

وَالْعَبْدُ الْمُتَّقِظُ يَتَّصِفُ فِي رُكُوعِهِ بِصِفَةِ الرَّاكِعِينَ مِنْهُمْ ، وَفِي السُّجُودِ بِصِفَةِ السَّاجِدِينَ ، وَفِي كُلِّ هَيْئَةٍ هَكَذَا ، وَيَصِيرُ كَالوَاحِدِ مِنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ .

وَفِي غَيْرِ الْفَرِيضَةِ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَمْكُثَ فِي رُكُوعِهِ مُتَلَذِّذًا بِالرُّكُوعِ ، غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِالرَّفْعِ مِنْهُ ، فَإِنْ طَرَقَتْهُ سَآمَةٌ بِحُكْمِ الْجِبِلَّةِ . . اسْتَغْفَرَ مِنْهَا ، وَيَسْتَدِيمُ تِلْكَ الْهَيْئَةَ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَى أَنْ يَذُوقَ الْخُشُوعَ اللَّائِقَ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ ؛ لِيَصِيرَ قَلْبُهُ بِلَوْنِ الْهَيْئَةِ^(٣) ، وَرَبَّمَا يَتَرَاءَى لِلرَّاكِعِ الْمُحِقُّ أَنَّهُ إِنْ سَبَقَ هُمُّهُ فِي حَالِ الرُّكُوعِ أَوْ السُّجُودِ إِلَى الرَّفْعِ مِنْهَا . . مَا وَفَى الْهَيْئَةَ حَقَّهَا ، فَيَكُونُ هُمُّهُ لِحَظَّتِهِ مُسْتَغْرِقًا فِيهَا ، مُشْغُولًا بِهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْهَيْئَاتِ ، فَبِذَلِكَ يَتَوَفَّرُ حَظُّهُ مِنْ بَرَكَةِ كُلِّ هَيْئَةٍ ؛ فَإِنَّ السَّرْعَةَ الَّتِي يَتَقَاضَى بِهَا الطَّبْعُ تَسُدُّ بَابَ الْفُتُوحِ ،

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (لَيُنْشَرُ) بَدَلَ (لَيُنْشَرُ) ، وَفِي بَعْضِهَا : (لَيُنْشَرُ) .

(٢) فَتَلْتُهُ عَنْ وَجْهِهِ فَانْفَتَلَ ؛ أَيُ : صَرَفْتُهُ فَانْصَرَفَ . مِنْ هَامِشِ (ح) ، وَالْخَبَرُ رَوَاهُ مُخْتَصَرًا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « التَّهْجِدِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ » (٤٢١) مِنْ كَلَامِ عَبَادِ بْنِ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَوْرَدَهُ بَلْفُظَةً الْغَزَالِي فِي « الْإِحْيَاءِ » (١ / ٦٣٢) .

(٣) فِي التَّوَاضُعِ ؛ أَيُ : يَصِيرُ قَلْبُهُ بِهَيْئَةِ قَالِبِهِ فِي الرُّكُوعِ بِالتَّوَاضُعِ . مِنْ هَامِشِ (ح) .

ويقفُ في مَهَابِّ النَّفَحَاتِ الإِلَهِيَّةِ ، حتى يتكاملَ حظُّ العبدِ ، فتتمحي آثارُهُ
بِحُسْنِ الاسترسال^(١) ، ويستقرُّ في مقعدِ الوصالِ .

وقيل : في الصلاة : أربعُ هَيَّاتٍ ، وستةُ أذكارٍ .

فالهَيَّاتُ الأربعةُ : القيامُ ، والقعودُ ، والركوعُ ، والسجودُ .

والأذكارُ الستةُ : التَّلاوةُ ، والتَّسْبِيحُ ، والحمدُ ، والاستغفارُ ،
والدعاءُ ، والصلاةُ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فصارتُ عشرةً كاملةً ، تُفَرَّقُ هذهِ العشرةُ على عشرةِ صفوفٍ مِنَ
الملائكةِ ؛ كُلُّ صفٍّ عشرةُ آلاف^(٢) ، فيجتمعُ في الركعتينِ ما يتفرَّقُ على
مئةِ ألفٍ مِنَ الملائكةِ ، واللهُ أعلمُ^(٣) .



(١) أي : الانكسار والخضوع ، والسكون والطمأنينة وعدم الاستعجال . من هامش (ح) ،

وفي هامش (ج) : (آثاره ؛ أي : صفاته واختياره ، وقوله : « بحسن الاسترسال » ؛

أي : بحسن الشروع في كل هيئة ، وعدم قصْدِ الرفع منها) .

(٢) في (ب) : (صنوف ... صنف) بدل (صفوف ... صف) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب السابع والثلاثون

في وصف صلاة أهل القرب

قال الشيخ رضي الله عنه : ونذكر في هذا الباب : كيفية الصلاة بهيئاتها وشروطها وآدابها الظاهرة والباطنة على الكمال ، بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلمنا على الوجه^(١) ، مع الإعراض عن نقل الأقوال في كل شيء من ذلك ؛ إذ في ذلك كثرة ، ويخرج عن حد الاختصار والإيجاز المقصود^(٢) ؛ فنقول وبالله التوفيق :

ينبغي للعبد أن يستعد للصلاة قبل دخول وقتها بالوضوء^(٣) ، ولا يُوقع الوضوء في وقت الصلاة ؛ فذلك من المحافظة عليها .

ويحتاج لمعرفة الوقت إلى معرفة الزوال وتفاوت الأقدام لطول النهار وقصره ، ويُعتبر الزوال : بأن الظل ما دام في الانتقاص فهو النصف الأول من النهار ، فإذا أخذ الظل في الازدياد . فهو النصف الأخير ، وقد زالت الشمس ، فإذا عرّف الزوال وأنّ الشمس على كمّ قدم تزول .

(١) أي : على الوجه المعتبر المحقق . من هامش (ح) ، ونحوه في (ج) .

(٢) وأيضاً : نقل الأقوال للتحقيق والتثبيت ، وما أذكره من المحققات والمقررات لا يحتاج فيها إلى بيان وبرهان . من هامش (ح) .

(٣) ويترك المساهلة الطبيعية المؤذنة بعدم الاهتمام بالقيام بأمر الله . من هامش (ح) .

يعرف أول الوقت وآخره ووقت العصر .

ويحتاج إلى معرفة المنازل ؛ ليعلم طلوع الفجر ، ويعلم أوقات الليل ،
وشرح ذلك يطول ، ويحتاج أن يفرد له باب .

فإذا دخل وقت الصلاة يُقدَّم السنَّة الراتبَة ؛ ففي ذلك سرٌّ وحكمة ؛
وذلك والله أعلم : أنَّ العبد تشعث باطنه ، وتفرق همُّه بما بلي به من
المخالطة مع الناس ، وقيامه بمهام المعاش ، أو سهو جرى بوضع الجيلة ،
أو صرف همٍّ إلى أكلٍ أو نومٍ بمقتضى العادة ، فإذا قدَّم السنَّة ينجذب باطنه
إلى الصلاة ، ويتهيأ للمناجاة ، ويذهب بالسنَّة الراتبَة أثر الغفلة والكُدورة
من الباطن ، فيصلح الباطن ، ويصير مُستعدًّا للفريضة .

فالسُنَّة مُقدَّمةٌ صالحةٌ تستنزل البركات ، وتطرُق للنفحات ^(١) .

ثمَّ يُجددُ التوبة مع الله تعالى عند الفريضة عن كلِّ ذنبٍ عمِله .
ومن الذُّنوبِ عامَّةٌ وخاصَّةٌ ^(٢) :

فالعامَّةُ : الكبائرُ والصغائرُ ممَّا أومأ إليه الشرعُ ، ونطق به الكتابُ
والسُنَّةُ .

والخاصَّةُ : ذنوبُ حالِ الشخصِ ؛ فكلُّ عبدٍ على قدرِ صفاءِ حاله له
ذنوبٌ تلائمُ حاله ، ويعرفها صاحبُها ^(٣) .

(١) كذا في (ج) ، وفي (أ ، د ، ز) : (وتطرُق النفحات) ، وفي (ب ، هـ ، و ،
ح) : (وتطرُق للنفحات) .

(٢) (من) : بمعنى (بعض) ؛ أي : بعض الذنوب . من هامش (ح) .

(٣) أي : الذي يعزم على إلزام النَّفس معنى من المعاني التي ندبهُ الله إليها في المقامات أو
الأخلاق أو غيرها ممَّا بينه وبين الله تعالى . من هامش (ح) .

وقيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين^(١) .

ثم لا يُصَلِّي إلا جماعة ؛ قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « تَفْضُلُ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً »^(٢) .

ثمَّ يستقبلُ القِبْلَةَ بظاهِرِهِ ، والحَضْرَةَ الإلهِيَّةَ بباطنِهِ ، ويقرأ : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ، ويقرأُ في نَفْسِهِ آيَةَ التَّوَجُّهِ ، وهذا التَّوَجُّهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ ، والاستفتاحُ قَبْلَ الصَّلَاةِ لوجهِ الظاهرِ بانصرافِهِ إلى القِبْلَةِ ، وتخصيصِ جهةٍ مِنْ الجهاتِ بالتَّوَجُّهِ دونَ جهةِ الصَّلَاةِ^(٣) .

ثمَّ يرفعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ ؛ بحيثُ يكونُ كَفَاهُ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ ، وإبهاماهُ عندَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ ، ورؤوسُ أصابعِهِ معَ الأذُنَيْنِ ، وَيَضُمُّ الأصابعَ ، وإنْ نَشَرَهَا جازَ ، والضمُّ أَوْلَى ؛ فَإِنَّهُ قِيلَ : النَّشْرُ نَشْرُ الْكَفِّ ، لا نَشْرُ الأصابعِ .

ويُكَبِّرُ ، ولا يُدْخِلُ بَيْنَ بَاءِ (أَكْبَرُ) ورائِهِ أَلْفًا ، ويجزُمُ (الأَكْبَرُ) ، ويجعلُ المَدَّ في (اللهُ) ، ولا يُبَالِغُ في ضمِّ الهاءِ مِنْ (اللهُ) ، ولا يبتدئُ بالتكبيرِ إِلَّا إذا استقرَّتِ اليَدانِ حَذْوَ المَنْكِبَيْنِ ، ويُرسِلُهُما معَ التكبيرِ مِنْ غيرِ نَفْضٍ ؛ فالوقارُ إذا سَكَنَ القلبُ تشكَّلَتْ بِهِ الجوارِحُ ، وتأَيَّدَتْ بالأُولَى والأَصُوبُ .

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٧ / ٥) من كلام أبي سعيد الخِرَازي رحمه الله تعالى ، ويُحكى عن ذي النون المصري وأبي القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى . انظر « كشف الخفاء » (٣٥٧ / ١) .

(٢) والتقديرُ الشرعي لا يصعد العقل على مراقبي معرفتها . من هامش (ح) ، والحديث رواه البخاري (٦٤٥) ، ومسلم (٦٥٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) والتَّوَجُّهُ بعد الدخول في الصَّلَاةِ بانصرافِ باطنِهِ مِمَّا سَوَى الله إلى الله ، فإذا صدق في الانصرافِ استحقَّ ورودُ أنوارِ الألفاظِ ، وفهمُ لطائفِ الخطابِ . من هامش (ح) .

ويجمعُ بينَ نيَّةِ الصلاةِ والتكبيرِ ؛ بحيثُ لا يغيُبُ عن قلبِهِ حالةَ التكبيرِ أَنَّهُ يُصَلِّي الصلاةَ بعينِها .

حُكِيَ عنِ الجُنَيْدِ رحمهُ الله أَنَّهُ قَالَ : (لكلِّ شيءٍ صفوةٌ ، وصفوةُ الصلاةِ التكبيرةُ الأولى)^(١) ، وإنَّما كانتِ التكبيرةُ صفوةً ؛ لأنَّها موضعُ النيَّةِ وأوَّلُ الصلاةِ .

قالَ أبو نصرٍ السَّرَّاجُ : سمعتُ ابنَ سالمٍ يقولُ : النيَّةُ باللهِ واللهِ ومنَ الله^(٢) ، والآفاتُ التي تدخلُ في صلاةِ العبدِ بعدَ النيَّةِ . . منَ العدوِّ^(٣) ، ونصيبِ العدوِّ وإنْ كَثُرَ لا يُوازنُ بالنيَّةِ التي هي لله وبالله ومنَ الله وإنْ قَلَّ^(٤) .

وسُئِلَ أبو سعيدٍ الخَرَّازُ : كيفَ الدخولُ في الصلاةِ ؟ فقالَ : هو أنْ تُقبِلَ على اللهِ تعالى كإقبالِكَ عليه يومَ القيامةِ ، ووقوفِكَ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى ليسَ

(١) أورده أبو نصر السَّرَّاج في « اللمع » (ص ٢٠٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٣) ، ورواه مرفوعاً أبو نعيم في « الحلية » (٦٧ / ٥) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢٤٤ / ١) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٦٤٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) النيَّةُ بالله تكون لمن تجلَّى اللهُ عليه بطريق الأفعال ؛ فيرى حركاتِهِ بتحريك الله إِيَّاه ، ولا يرى نَفْسَهُ في البين ، ويلزمُ من هذا المقام أن تكون النيَّةُ لله ، وأما كونُها من الله إلى الله يكون بدوام حضور القلب مع الله قبل الدخول في الصلاة ، فإذا دخل فيها بنية من قلبه . . كان حاضراً مع الله ، وكانت نيَّتُهُ من الله إلى الله . من هامش (ح) ، وفي النسخ ما عدا (و) : (لله) بدل (والله) .

(٣) أي : الشيطان والنفس . من هامش (ح) ، وزاد في « اللمع » : (وهو نصيب العدو) .

(٤) اللمع (ص ٢٠٥) ، وقولُهُ : (وإن قَلَّ) كذا في النسخ ، والقياس : (قَلَّتْ) ؛ أي : النية ، وقد جاء على القياس في « اللمع » .

بينَكَ وبينَهُ تَرْجُمانُ ، وهو مُقبِلٌ عَلَيْكَ وَأَنْتَ تُناجِيهِ ، وتعلمَ بينَ يَدَيَّ مَنْ أَنْتَ واقِفٌ ؛ فَإِنَّهُ المَلِكُ العَظيمُ^(١) .

وقيلَ لبعضِ العارفينَ : كيفَ نُكَبِّرُ التَّكْبِيرَةَ الأولى ؟ فقالَ : ينبغي إذا قلتَ : (اللهُ أَكْبَرُ) أَنْ يكونَ مصحوبُكَ في (اللهُ) التَّعْظيمَ معَ الألفِ ، والهيبةَ معَ اللامِ ، والمراقبةَ والفرقَ معَ الهاءِ^(٢) .

واعلمَ : أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ إذا قالَ : (اللهُ أَكْبَرُ) .. غابَ في مُطالعةِ العَظَمَةِ والكِبَرِيَاءِ ، وامتلاً باطنُهُ نوراً ، وصارَ الكونُ بأسْرِهِ^(٣) في فضاءٍ شَرَحَ صدرِهِ كخَرْدَلَةٍ بأَرْضٍ فلاةٍ ، ثُمَّ تَلَقَّى الخَرْدَلَةُ ، فما يَخْشَى مِنَ الوَسْوسَةِ وحديثِ النَّفْسِ ، وما يتخايلُ في الباطنِ .. هوَ مِنَ الكَوْنِ الذي صارَ بمثابةِ الخَرْدَلَةِ وأُلْقِيَتْ^(٤) ، فكيفَ تُزاحِمُ الوسوسةُ وحديثَ النفسِ مثلَ هذا العبدِ !؟

(١) وفي استشعار مثل هذا لا بدَّ أَنْ يُحضِرَ القلبَ ، ويتركَ الالتفاتَ إلى ما سوى الله ، ويُغَلِّبَ عليه هيبةَ عظمةِ الله تعالى . من هامش (ح) ، والخبر أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٠٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٣) .

(٢) وسمع أبو يزيد رحمه الله رجلاً يقولُ : (اللهُ أَكْبَرُ) ، فقالَ : ما معنى قولك : (اللهُ أَكْبَرُ) ؟ فقال الرجلُ : أَكْبَرُ من كل شيءٍ سواه ، فقالَ : ويحك حَدِّثْهُ !! أَوَكأن معه شيءٌ فيكونُ أَكْبَرَ منه ؟! فقال الرجلُ : ما معنى (اللهُ أَكْبَرُ) ؟ فقال أبو يزيد رحمه الله : أَكْبَرُ من أَنْ يُقاسَ بالناسِ ، أو يدخلَ تحتَ القياسِ ، أو أن يدركه الحواسُ . من هامش (ح) ، وما ذكره المؤلف أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٠٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٣) ، والفرقُ : الخوفُ ، وفي (ب) : (والقرب) بدل (والفرق) ، وهي كذلك في « اللمع » و« التهذيب » .

(٣) يُقالُ : هذا الشيءُ لك بأسْرِهِ ؛ أي : بقُدُّهِ ؛ يعني : بجميعه ، كما يُقالُ : برُمَّتِهِ . من هامش (ح) .

(٤) ولا يتيسَّرُ هذا المعنى إلا بترك ما هو حادثٌ ، والإقبالِ بكونه الهِمَّةُ على جنابِ القديمِ العظيمِ ؛ ليتنَوَّرَ قلبُهُ بنورِ العَظَمَةِ ، وتصيرَ الكائناتُ في جنبه كخردلةٍ في أرضٍ فلاةٍ ، =

وقد تَزَاحِمُ مُطَالَعَةُ الْعَظْمَةِ وَالْغَيْبُوبَةِ فِي ذَلِكَ كَوْنُ النَّيَّةِ^(١) ، غَيْرَ أَنَّهُ لَغَايَةِ لُطْفِ الْحَالِ يَخْتَصُّ الرُّوحُ بِمُطَالَعَةِ الْعَظْمَةِ ، وَالْقَلْبُ يَتَمَيَّزُ بِالنِّيَّةِ ، فَتَكُونُ النَّيَّةُ مَوْجُودَةً بِاللُّطْفِ صِفَاتِهَا ، مُنْدرِجَةً فِي نُورِ الْعَظْمَةِ اندِرَاجَ الْكَوْكَبِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .

ثُمَّ يَقْبِضُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى يَدَهُ الْيُسْرَى ، وَيَجْعَلُهُمَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالصَّدْرِ ، وَالْيُمْنَى لِكِرَامَتِهَا تُجْعَلُ فَوْقَ الْيُسْرَى ، وَيَمُدُّ الْمُسَبِّحَةَ وَالْوُسْطَى عَلَى السَّاعِدِ ، وَيَقْبِضُ بِالثَّلَاثَةِ الْبَوَاقِي الْيُسْرَى مِنَ الطَّرَفَيْنِ^(٢) .

وقد فَسَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] ؛ قَالَ : إِنَّهُ وَضَعَ الْيُمْنَى عَلَى الشِّمَالِ تَحْتَ الصَّدْرِ^(٣) ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تَحْتَ الصَّدْرِ عِرْقًا يُقَالُ لَهُ : النَّاحِرُ ؛ أَيِ : وَضَعَ يَدَكَ عَلَى النَّاحِرِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَأَنْحَرْ ﴾ ؛ أَيِ : اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ بِنَحْرِكَ^(٤) .

= وبازدياد أنوار العظمة الإلهية تلقى الخردلة أيضاً . من هامش (ح) .

(١) أي : وجود النية . من هامش (ح) .

(٢) أي : طرفي الساعد . من هامش (ح) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٦٥٢ / ٢٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٣١ / ٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى أيضاً عن سيدنا علي دون تحديد بموضع .

(٤) أي : في وضع اليمين على الشمال ، وجعلها من السُّرَّةِ والصدر ، والنحر : موضع القلادة من الصدر . من هامش (ح) ، ولهذا القول للفرَّاء إمام أهل الكوفة في العربية ، كما رواه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٨٤ / ٣٠) ، وانظر « معاني القرآن » للفرَّاء (٢٩٦ / ٣) .

وفي ذلك سرٌّ عظيمٌ خفيٌّ يُكاشَفُ بهِ مِنْ وراءِ أَسْتارِ الغيبِ :

وذلك أَنَّ اللهَ تعالى بلُطْفِ حِكْمَتِهِ خَلَقَ الْآدَمِيَّ وَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ ، وجعلَهُ مَحَلَّ نَظَرِهِ وَمَوْرَدَ وَحْيِهِ ، وَنُخْبَةً ما في أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ^(١) ؛ رُوحَانِيًّا جِسْمَانِيًّا ، أَرْضِيًّا سَمَاوِيًّا ، مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ ، مُرْتَفِعَ الْهَيْئَةِ ، فَنِصْفُهُ الْفَوْقَانِيُّ مِنْ حَدِّ الْفُؤَادِ^(٢) مُسْتَوْدَعُ أَسْرَارِ السَّمَاوَاتِ ، وَنِصْفُهُ التَّحْتَانِيُّ مُسْتَوْدَعُ أَسْرَارِ الْأَرْضِ^(٣) .

فَمَحَلُّ نَفْسِهِ وَمَرْكَزُهَا النِّصْفُ الْأَسْفَلُ ، وَمَحَلُّ رُوحِهِ الرُّوحَانِيُّ وَالْقَلْبُ النِّصْفُ الْأَعْلَى ، فَجَوَاذِبُ الرُّوحِ مَعَ جَوَاذِبِ النَّفْسِ تَتَطَارَدَانِ وَتَتَجَاذِبَانِ^(٤) ، وَباعتبارِ تَطَارُدِهِمَا وَتَجَاذِبِهِمَا لَمَّةُ الْمَلِكِ وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ .

ووقتُ الصَّلَاةِ يَكْثُرُ التَّطَارُدُ^(٥) ؛ لوجودِ التَّجَاذُبِ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالطَّبْعِ^(٦) ، فَيُكاشَفُ الْمُصَلِّي الَّذِي صَارَ قَلْبُهُ سَمَاوِيًّا مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ . . بجَوَاذِبِ النَّفْسِ مُتَصَاعِدَةً مِنْ مَرْكَزِهَا^(٧) .

(١) قوله : (نُخْبَةً) ؛ مثل (رُطْبَةٌ) ، والجمع : (نُخْبٌ) ؛ مثل (رُطْبٌ) ؛ يُقال : جاء في نُخْبِ أَصْحَابِهِ ؛ أي : في خيارهم . من هامش (ح) .

(٢) الْفُؤَادُ مستجمعُ أَسْرَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . من هامش (ح) ، وفي بعض النسخ : (الْأَعْلَى) بدل (الْفَوْقَانِي) .

(٣) في بعض النسخ : (الْأَسْفَلُ) بدل (التَّحْتَانِي) .

(٤) في (أ ، و ، ز) : (وَيَتَحَارِبَانِ) .

(٥) كَذَا ضَبَطَ (وقت) بِالْوَجْهِينِ فِي (و) ، وَهُوَ وَاضِحٌ ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَى الرَّفْعِ : (يَكْثُرُ التَّطَارُدُ فِيهِ) .

(٦) الْإِيمَانُ يَقْتَضِي التَّوَجُّهَ التَّامَّ إِلَى اللَّهِ ، وَالطَّبْعُ يَقْتَضِي اسْتِصْحَابَ التَّخِيلَاتِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ الصَّلَاةِ لَا يَرِيدُ تَرْكَهَا ، حَتَّى يَحْصَلَ لَهُ التَّوَجُّهُ التَّامُّ . من هامش (ح) .

(٧) مُتَصَاعِدَةٌ : حَالٌ مِنْ (الْجَوَاذِبِ) . من هامش (ح) .

وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معاني الباطن . . ارتباطاً وموازنة^(١) ؛
فبوضع اليمين على الشمال حصر النفس ، ومنع من صعود جواذبها ، وأثر
ذلك^(٢) يظهر بدفع الوسوسة ، وزوال حديث النفس في الصلاة .

ثم إذا استولت جواذب الروح ، وتملكت من الفرق إلى القدم عند كمال
الأنس ، وتحقق قرّة العين واستيلاء سلطان المشاهدة . . تصير النفس
مقهورة ذليلة ، ويستتير مركزها بنور الروح ، فتقطع حينئذ جواذب النفس ،
وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة^(٣) ، ويستغني حينئذ عن
مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال ، فيُسبَل حينئذ^(٤) ،
ولعلّ لذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى
مُسبلاً^(٥) ، وهو مذهب مالك رحمه الله^(٦) .

ثم يقرأ : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ . . . ﴾ الآية [الأنعام : ٧٩] ، وهذا التوجه أنفاً

(١) تؤثر حركات الجوارح في معاني الباطن ، فإن كانت الحركات بالطاعات بشرائطها . .

تؤثر في تنوير الباطن ، وإن كانت بالمعاصي تؤثر في تكدير الباطن . من هامش (ح) .

(٢) أي : الوضع . من هامش (ح) .

(٣) أي : ثقلها .

(٤) أي : اليدين من غير وضع اليمين على الشمال ؛ أسبل إزاره ؛ أي : أرخاه . من هامش
(ح) .

(٥) رواه البخاري (٨٢٨) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، وفيه : أنه وصف
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام ثلثة من أصحابه عليه الصلاة والسلام ، ولم
يذكر فيه السبل ، ورواه صريحاً في ذلك الطبراني في « المعجم الكبير » (٧٤ / ٢٠) من
حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٦) وهو مندوب عندهم في الفرض والنفل . انظر « شرح الزرقاني على مختصر خليل »
(٣٧٨ / ١) .

لوجه قلبه ، والذي قبل الصلاة لوجه قلبه .

ثم يقول^(١) : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي ؛ فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً ؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) .

وَيُطْرَقُ رَأْسُهُ فِي قِيَامِهِ ، وَيَكُونُ نَظَرُهُ إِلَى مَوْضِعِ سَجُودِهِ ، وَيُكْمِلُ الْقِيَامَ بَانْتِصَابِ الْقَامَةِ وَنَزْعِ سِيرِ الْأَنْطَوَاءِ عَنِ الرُّكْبَتَيْنِ وَالْخَوَاصِرِ وَمَعَاطِفِ الْبَدَنِ ، وَيَقِفُ كَأَنَّهُ نَازِلٌ بِجَمِيعِ جَسَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَهَذَا مِنْ خَشُوعِ سَائِرِ الْأَجْزَاءِ ، وَيَكُونُ الْجَسَدُ بِلَوْنِ الْقَلْبِ مِنَ الْخَشُوعِ .

وَيُرَاحُ بَيْنَ الْقَدَمَيْنِ بِمَقْدَارِ أَرْبَعِ أَصَابِعَ ؛ فَإِنَّ ضَمَّ الْكَعْبَيْنِ هُوَ الصَّفْدُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ ، وَلَا يَرْفَعُ إِحْدَى الرَّجْلَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ الصَّفْنُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ ؛ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّفْنِ وَالصَّفْدِ^(٢) .

(١) وهذا الجمع بين التوجه والثناء هو مختار القاضي أبي حامد وأبي إسحاق المروزي . انظر « المجموع » (٢٧٨/٣) ، وفي هامش (ح) : (وأبو يوسف أيضاً على الجمع بين التوجه والثناء ، إلا أنه قدّم الثناء على التوجه) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٢/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٦٧/١) ، وقال العراقي في « المغني » (٤١١) : (عزاه رزين إلى الترمذي ، ولم أجده عنده ولا عند غيره ، وإنما ذكره أصحاب الغريب ؛ كابن الأثير في « النهاية » ، =

وإذا كَانَ الصَّفْنُ مَنِيَّاً عَنْهُ . ففي زيادةِ الاعتمادِ على إحدى الرَّجْلَيْنِ
دونَ الأُخرى معنى مِنَ الصَّفْنِ ، فالأوَّلَى : رعايَةُ الاعتدالِ في الاعتمادِ على
الرَّجْلَيْنِ جميعاً .

ويُكرَهُ اشْتِمَالُ الصَّمَاءِ ؛ وهو أَنْ يُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ قَبْلِ صَدْرِهِ ^(١) .

ويجتنبُ السَّدْلَ ؛ وهو أَنْ يُرْخِيَ أَطْرَافَ الثَّوبِ إِلَى الْأَرْضِ ؛ ففيه معنى
الْخِيَلَاءِ ، وَقِيلَ : هوَ الَّذِي يَلْتَفُثُ بِالثَّوبِ وَيَجْعَلُ يَدَيْهِ مِنْ دَاخِلٍ ، فَيَرْكَعُ
وَيَسْجُدُ كَذَلِكَ ، وفي معناه : ما إِذَا جَعَلَ يَدَيْهِ دَاخِلَ الْقَمِيصِ .

ويجتنبُ الكَفَّ ؛ وهو أَنْ يَرْفَعَ ثِيَابَهُ بِيَدَيْهِ عِنْدَ السَّجُودِ .

ويُكرَهُ الْاِخْتِصَارُ ^(٢) ؛ وهو أَنْ يَجْعَلَ يَدَهُ عَلَى الْخَاصِرَةِ .

= وروى سعيد بن منصور أَنَّ ابن مسعود رأى رجلاً صافاً - أو صافناً - قدميه ، فقال : أخطأ
هذا الشُّنَّةَ) .

(١) نهى رسول الله عليه الصلاة والسلام من اشتمال الصَّمَاءِ ، ومعنى اشتمل : أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ
عَلَى الْاِحْتِرَاسِ مِنْ شَيْءٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصَابَهُ . « فائق » ، قال أهل اللغة : اشتمالُ الصَّمَاءِ :
أَنْ تُجَلَّلَ جَسَدُكَ بِثَوْبِكَ نَحْوَ شِمْلَةِ الْأَعْرَابِ بِأَكْسِيَّتِهِمْ ؛ وهو أَنْ يَرُدَّ الْكِسَاءَ مِنْ قَبْلِ يَمِينِهِ
عَلَى يَدِهِ الْيَسْرَى وَعَاتِقِهِ الْأَيْسَرِ ، ثُمَّ يَرُدُّهُ ثَانِيَةً مِنْ خَلْفِهِ عَلَى يَدِهِ الْيُمْنَى وَعَاتِقِهِ الْيُمْنَى
[فَيُغَطِّيهِمَا جَمِيعاً] ، وَأَمَّا الْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ : هو أَنْ يَشْتَمَلَ بِثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ،
ثُمَّ يَرْفَعُهُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ فَيَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، فَيَبْدُو مِنْهُ فَرْجُهُ ، قَالَ صَاحِبُ
« النَّهَايَةِ » ، وَالْعُلَمَاءُ أَعْلَمُ بِالتَّأْوِيلِ فِي هَذَا لَوْ ذَلِكَ [صَحَّ] ، [وَكَلَّا] الْقَوْلَيْنِ مَذْكُورٍ فِي
« الصَّحَاحِ » ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهَا : صَمَاءٌ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا اشْتَمَلَ سَدَّ عَلَى يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ الْمَنَافِذَ
كُلَّهَا ؛ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ الَّتِي [لَيْسَ فِيهَا] خَرَقٌ وَلَا صَدْعٌ . « غريبين » ، وَتَأْنِيثُ
الصَّمَاءِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا صِفَةٌ لِلْبُسَةِ الصَّمَاءِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) نُهِيَ عَنْهُ ، وَمَعْنَى النَّهْيِ : أَنَّهُ فِعْلٌ [الْمُصَابِ] ، وَحَالَةُ الصَّلَاةِ حَالٌ يُنَاجِي فِيهِ الْعَبْدُ
رَبَّهُ ، فَهُوَ حَالُ الْارْتِجَاءِ ، لَا حَالُ [إِظْهَارِ الْمَصِيبَةِ] . « مَبْسُوطٌ » ، وَلِأَنَّ فِيهِ تَرْكَ سَنَةِ
أَخَذَ الْيَدِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

وَيُكَرُّهُ الصَّلْبُ ؛ وَهُوَ وَضَعُ الْيَدَيْنِ جَمِيعاً عَلَى الْخَصْرَيْنِ ، وَيُجَافِي
الْعَضْدَيْنِ .

فَإِذَا وَقَفَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مُجْتَنِباً لِلْمَكَارِهِ . . فَقَدْ تَمَّمَ
الْقِيَامَ وَكَمَّلَهُ ، فَيَقْرَأُ التَّوَجُّهَ وَالِدُّعَاءَ كَمَا ذَكَرْنَا ، ثُمَّ يَقُولُ : (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ
الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ، وَيَقُولُهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ أَمَامَ الْقِرَاءَةِ ، وَيَقْرَأُ (الْفَاتِحَةَ)
وَمَا يُقْرَأُ بَعْدَهَا بِحُضُورِ قَلْبٍ وَجَمْعِ هَمٍّ ، وَمُوَاطَأةٍ بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ،
بِحِظٍّ وَافِرٍ مِنَ الْوُضْئَةِ وَالذُّنُوبِ^(١) ، وَالْهَيْئَةِ وَالْخُشُوعِ ، وَالْخَشْيَةِ وَالتَّعْظِيمِ
وَالْوَقَارِ ، وَالْمُشَاهَدَةِ وَالْمُنَاجَاةِ .

وَإِنْ قَرَأَ بَيْنَ (الْفَاتِحَةِ) وَمَا يُقْرَأُ بَعْدَهَا إِذَا كَانَ إِمَاماً فِي السَّكْتَةِ الثَّانِيَةِ :
(اللَّهُمَّ ؛ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ،
وَنَقِّنِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ ؛ اغْسِلْ
خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ)^(٢) . . فَحَسَنٌ^(٣) ، وَإِنْ قَالَهَا فِي السَّكْتَةِ
الْأُولَى . . فَحَسَنٌ ؛ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ^(٤) .

(١) أَي : مِنْهُ ؛ بِاسْتِشْعَارِ عَظَمَتِهِ . مِنْ هَامِش (ح) .

(٢) يَشَاهِدُ السَّالِكُ الْمَرَاتِبَ الثَّلَاثَ ؛ الْغَسْلَ بِالْمَاءِ ؛ أَي : بِنُورٍ هُوَ كَالْمَاءِ تُنْحَى بِهِ كُدُورَاتُ
الطَّبِيعَةِ ، وَالْغَسْلَ بِالثَّلْجِ ؛ أَي : بِنُورٍ أَضْفَى وَأَزْهَرَ هُوَ كَالثَّلْجِ ؛ يَزُولُ بِهِ ظُلُمَاتُ صِفَاتِ
النَّفْسِ ، وَالْغَسْلَ بِالْبَرَدِ ؛ أَي : بِنُورٍ أَضْفَى مِنَ الْأَضْفَى ؛ يَنْغَسِلُ بِهِ الْقَلْبُ مِنْ أَغْيَارِ
الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْغَيْرِ . مِنْ هَامِش (ح) .

(٣) قَالَ التَّاجُ السَّبْكِ فِي « الطَّبَقَاتِ » (٣٤١ / ٨) : (تَبَعَ فِي هَذَا الْغَزَالِيِّ ؛ فَإِنَّهُ كَذَلِكَ
ذَكَرَ فِي « الْإِحْيَاءِ » ، وَهُوَ غَرِيبٌ ، وَالْحَدِيثُ يَشْهَدُ لَأَنَّ مَوْضِعَ ذَلِكَ قَبْلَ
« الْفَاتِحَةِ ») .

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٤) ، وَمُسْلِمٌ (٥٩٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وإن كان مُنفرداً يقولها قبل القراءة .

ويعلم العبد : أنَّ تلاوته نُطقُ اللِّسانِ ، ومعناها نُطقُ القلبِ ، وكلُّ مخاطِبٍ لشخصٍ يتكلَّمُ بلسانهِ ، ولسانهُ يُعبِّرُ عمَّا في قلبه ، ولو أمكن المُتكلِّمَ إفهامُ مَنْ يُكلِّمُهُ مِنْ غيرِ لسانٍ . . فَعَلَّ ، ولكنَّ حيثُ تعذَّرَ الإفهامُ إلَّا بالكلامِ . . جُعِلَ اللِّسانُ تَرْجُماناً ، فإذا قالَ باللسانِ مِنْ غيرِ مُوَاطَأةِ القلبِ . . فما اللِّسانُ تَرْجُمانٌ ، ولا القارئُ مُتكلِّمٌ قاصدٌ إسماعَ اللهِ حاجتهُ ، ولا مُستمعٌ إلى اللهِ فاهمٌ عنه سبحانهُ ما يُخاطِبُهُ ، وما عندهُ غيرُ حركةِ اللِّسانِ بقلبٍ غائبٍ عن قَصْدٍ ما يقولُ ؛ فلا يكونُ مُتكلِّماً مُناجياً ، ولا مُستمعاً واعياً .

فأقلُّ مراتبِ أهلِ الخُصوصِ في الصلاةِ : الجمعُ بينَ القلبِ واللِّسانِ في التلاوةِ ، ووراءَ ذلكَ أحوالٌ للخواصِّ يطولُ شرحُها^(١) .

قالَ بعضهم : (ما دخلتُ في صلاةٍ قطُّ فأهَمَّنِي فيها غيرُ ما أقولُ)^(٢) .

وقيلَ لعامرِ بنِ عبدِ اللهِ^(٣) : هل تجدُ في الصلاةِ شيئاً مِنْ أمورِ الدنيا ؟ فقالَ : لَأَنْ تَخْتَلِفَ عَلَيَّ الْأَسِنَّةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجِدَ فِي الصَّلَاةِ ما تجدونَ^(٤) .

(١) كفَّهم لطائفِ المخاطباتِ ، ولذَّاذةِ المُسامرةِ والمُناجاةِ ، والاستغراقِ في المشاهداتِ وتَجَلِّيَّاتِ الصفاتِ والذاتِ ، وغيرها من المراتبِ والمقاماتِ . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢١٨/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٦٣٦/١) عن الربيع بن خُثيم رحمه الله تعالى .

(٣) ويُعرَفُ بـ (عامر بن عبد قيس) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣/٢٦) .

(٤) كذا أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢١٨/٣) ، والغزالي في « الإحياء » =

وقيل لبعضهم : هل تحدث نفسك في الصلاة بشيء من أمور الدنيا ؟
فقال : لا في الصلاة ولا في غيرها^(١) .

ومن الناس من إذا أقبل في صلاته على الله يتحقق بمعنى الإنابة ؛ لأن الله تعالى قَدَّمَ الإنابة وقال : ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الروم : ٣١] ،
فِيُنِيبُ إلى الله تعالى وَيَتَّقِي الله بالتبرؤ عما سواه ، وَيُقِيمُ الصلاة بصدر مُنْشَرِحٍ
بالإسلام ، وقلب مُنْفَسِحٍ بنور الإنعام ، فتخرج الكلمة من القرآن من
لسانه ، ويسمعها بقلبه ، فتقع الكلمة في فضاء قلب ليس فيه غيرها ،
فيتملكها القلب بحسن الفهم ، ولذاذة الإصغاء ، ويتشربها بحلاوة الاستماع
وكمال الوعي ، ويدرك لطيف معناها وشريف فحواها ؛ معاني تلطف عن
تفصيل الفكر ، وتشكل بخفي الذكر ، ويصير الظاهر من معاني القرآن قوتا
للنفس .

والنفس المُطْمَئِنَّة مُتَعَوِّضَةٌ بمعاني القرآن عن حديثها ؛ لكونها معاني
ظاهرة مُتَوَجِّهَةٌ إلى عالم الحكمة والشهادة ، تَقْرُبُ مُنَاسِبَتُهَا مِنَ النَّفْسِ
المُكُونَةِ لإقامة رَسْمِ الحكمة ، ومعاني القرآن الباطنة التي يُكاشِفُ بها مِنَ
المَلَكُوتِ^(٢) . . قوت القلب ، ويتخلَّصُ الرُّوحُ المُقَدَّسُ إلى أوائل سُرَادِقَاتِ
الجَبَرُوتِ . . بِمُطَالَعَةِ عَظَمَةِ المُتَكَلِّمِ ، وبمثل هذه المُطَالَعَةِ يكونُ كمالُ
الاستغراق ، في لُجَجِ الأشواق ، كما نُقِلَ عن مُسْلِمِ بنِ يسارٍ أَنَّهُ صَلَّى ذاتَ

= (١ / ٦٣٧) ، ورواه بنحوه أحمد في « الزهد » (١٢٤٠) ، وأبو نعيم في « الحلية »
(٢ / ٩٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٨٩٦) .

(١) أورده الغزالي في « الإحياء » (١ / ٦٣٧) .

(٢) أي : من عالم الغيب . من هامش (ح) .

يوم في مسجد البصرة ، فوقعت أسطوانة تسامع بسقوطها أهل السوق ، وهو واقف في الصلاة ولم يعلم بذلك !!^(١) .

ثم إذا أراد الركوع يفصل بين القراءة والركوع ، ثم يركع منطوي القامة^(٢) ، والنصف الأسفل بحاله في القيام من غير انطواء الركبتين ، ويجافي مرفقيه عن جنبه ، ويمد عنقه مع ظهره ، ويضع راحتيه على ركبتيه منشورة الأصابع .

روى مصعب بن سعد قال : صليت إلى جنب سعد بن مالك^(٣) ، فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما ، فضرب يدي وقال : اضرب بكفك على ركبتيك ، وقال : يا بُني ، إنا كنا نفعل ذلك ، فأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب^(٤) .

ويقول : (سبحان ربّي العظيم) ثلاثاً ، وهو أدنى الكمال ، والكمال : أن يقول عشراً^(٥) ، وما يأتي به من العدد يكون بعد التمكن من الركوع ،

(١) لكمال استغرافه ، وزوال إحساسه . من هامش (ح) ، والخبر رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٥ / ٥٨) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢١٨ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٦٣٧ / ١) .

(٢) أي : من غير سقوط . من هامش (ح) .

(٣) هو سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وأبو وقاص : كنية والده مالك ، ومصعب : هو ابن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٧٩٠) ، ومسلم (٥٣٥) .

(٥) قوله : (عشراً) كذا في النسخ ما عدا (ط) ، وهو ما ذهب إليه الإمام الغزالي في « الإحياء » (٥٧٢ / ١) ، وفي (ط) : (إحدى عشرة) ، والمشهور والمعروف : أن أكمله : خمس ، فسبع ، فتسع ، فأحدى عشرة ، وذهب بعضهم : إلى أن أدنى الكمال : ثلاث ، وأعلاه : تسع أو إحدى عشرة ، وأوسطه : خمس . انظر =

وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْزِجَ آخَرَ ذَلِكَ بِالرَّفْعِ^(١) ، ويرفع يديه للركوع وللرفع مِنَ
الركوع ، ويكونُ في ركوعه ناظراً نحوَ قَدَمَيْهِ ؛ فهو أقربُ إلى الخشوعِ مِنَ
النظرِ إلى موضعِ السجودِ ، وإنما ينظرُ إلى موضعِ سجوده في قيامه^(٢) .

ويقولُ بعدَ التسبيحِ : (اللَّهُمَّ ؛ لَكَ رَكَعْتُ ، وَلَكَ خَشَعْتُ ، وَبِكَ
أَمَنْتُ ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَعَظْمِي وَمُخِّي
وَعَصَبِي) ، ويكونُ قلبُهُ في الركوعِ بمعنى الركوعِ ؛ مِنَ التواضعِ
والإخباتِ .

ثمَّ يرفعُ رأسَهُ قائلاً^(٣) : (سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) ، عالماً بقلبه
ما يقولُ .

فإذا استوى قائماً يحمداً ويقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ رَبَّنَا ؛ لَكَ الْحَمْدُ ، مِلْءُ
السَّمَاوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ) ، ثمَّ يقولُ :
(أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ ، حَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ : كُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ ، لَا مَانِعَ لِمَا

= « المجموع » (٣ / ٣٨٣-٣٨٤) .

(١) أي : يكونُ تمامُ التسبيحات في حال الاطمئنان في الركوع . من هامش (ح) .

(٢) المعتمد عند السادة الشافعية : أَنَّهُ في حال القيام والقعود يكون نظره إلى موضع
سجوده ، والذي ذهب إليه المؤلف هو ما جزم به البغوي والمتولي ، وهو أيضاً مذهب
السادة الحنفية ، وتفصيل قولهم : أَنَّهُ في القيام يكون نظره إلى موضع سجوده ، وفي
الركوع إلى ظهر قدميه ، وفي السجود إلى أنفه ، وفي القعود إلى حِجْرِهِ ؛ لِأَنَّ امتداد
البصر يُلهي ، فإذا قصره كان أولى ، ودليل الأول : أَنَّ ترديد البصر من مكان إلى مكان
يُشغل القلب ويمنع الخشوع . انظر « المجموع » (٣ / ٢٧٠) .

(٣) أي : يتدبَّر بقول : (سمع الله) حين ابتداء رفع الرأس ، ويُتِمُّ إذا استوى قائماً . من
هامش (ح) .

أَعْطَيْتَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ (١) .

وإنَّ أَطَالَ فِي النَّافِلَةِ الْقِيَامَ بَعْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ . . . فَلْيَقُلْ : (لِرَبِّي الْحَمْدُ) ، مُكَرَّرًا ذَلِكَ مَهْمَا شَاءَ (٢) ، فَأَمَّا فِي الْفَرْضِ فَلَا يُطَوَّلُ تَطْوِيلًا يَزِيدُ عَلَى الْحَدِّ زِيَادَةً بَيِّنَةً .

وَيَقْنَعُ فِي الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ تَمَامَ الْإِعْتِدَالِ بِإِقَامَةِ الصُّلْبِ ؛ وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ » (٣) .

ثُمَّ يَهْوِي سَاجِدًا ، وَيَكُونُ فِي هُوِيَّةٍ مُكَبَّرًا مُتَقِظًا (٤) ، حَاضِرًا خَاشِعًا ، عَالِمًا بِمَا يَهْوِي فِيهِ وَإِلَيْهِ وَلَهُ .

(١) قوله : (حَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ : كُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ) كَذَا فِي النِّسْخِ ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي « الْمَجْمُوعِ » (٣٨٨ / ٣ - ٣٨٩) : (. . . رَوَاهُ مُسْلِمٌ بَلْفِظِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : « أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ » بِإِثْبَاتِ الْأَلْفِ فِي « أَحَقُّ » ، وَوَاوٍ فِي « وَكُلُّنَا » ، هَكَذَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَسَائِرُ الْمُحَدِّثِينَ ، وَوَقَعَ فِي « الْمَهْذَبِ » وَكُتِبَ الْفَقْهُ : « حَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ : كُلُّنَا » بِحَذْفِ الْأَلْفِ وَالْوَاوِ ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُنْتَظَمَ الْمَعْنَى لَكِنَّ الصَّوَابَ مَا ثَبَتَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ ، قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَعْنَاهُ : أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ قَوْلُهُ : « لَا مَانَعَ لِمَا أَعْطَيْتَ . . . » إِلَى آخِرِهِ ، وَقَوْلُهُ : « وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ : أَوْ يَكُونُ قَوْلُهُ : « أَحَقُّ مَا قَالَ » خَبَرًا لِمَا قَبْلَهُ ؛ أَيْ : قَوْلُهُ : « رَبَّنَا ؛ لَكَ الْحَمْدُ . . . » إِلَى آخِرِهِ . . . أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ ، وَالْأَوَّلُ أَوَّلِي .

(٢) فِي (د) : (مَا شَاءَ) بَدَلَ (مَهْمَا شَاءَ) .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٢ / ٤) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (٤٠٥ / ٨ - ٤٠٦) عَنْ سَيِّدِنَا طَلْقَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) فِي بَعْضِ النِّسْخِ : (مُسْتَقِظًا) ، وَالْهُوْيُ - بَضْمُ الْهَاءِ وَفَتْحُهَا كَمَا فِي « الْمَصْبَاحِ » (٨٨٥ / ٢) - : السَّقُوطُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ ، وَفِي هَامِشِ (ح) : (الْهُوْيُ بِفَتْحِ الْهَاءِ : ذَهَابٌ فِي انْخِفَاضٍ ، وَبَضْمُهَا : ذَهَابٌ فِي ارْتِفَاعٍ) .

فَمِنَ السَّاجِدِينَ مَنْ يُكَاشِفُ أَنَّهُ يَهْوِي إِلَى تُخُومِ الْأَرْضِينَ^(١) ، مُتَغَيِّباً فِي
أَجْزَاءِ الْمُلْكِ ؛ لَامْتِلَاءٍ قَلْبِهِ مِنَ الْحَيَاءِ ، وَاسْتِشْعَارِ رُوحِهِ عَظِيمَ الْكِبْرِيَاءِ ،
كَمَا وَرَدَ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَسَتَّرَ بِخَافِقَةٍ مِنْ جَنَاحِهِ حَيَاءً مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى^(٢) .

وَمِنَ السَّاجِدِينَ مَنْ يُكَاشِفُ أَنَّهُ يَطْوِي بِسُجُودِهِ بِسَاطَ الْكَوْنِ وَالْمَكَانِ ،
وَيَسْرَحُ قَلْبُهُ فِي فُضَاءِ الْكَشْفِ وَالْعِيَانِ ، فَتَهْوِي دُونَ هُوِيَّةِ أَطْبَاقِ
السَّمَاوَاتِ ، وَتَنْمُحِي لِقُوَّةِ شُهُودِهِ تَمَاثِيلُ الْكَائِنَاتِ ، وَيَسْجُدُ عَلَى طَرَفِ
رَدَاءِ الْعَظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ^(٣) ، وَذَلِكَ أَقْصَى مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ طَائِرُ الْهِمَّةِ الْبَشَرِيَّةِ ،
وَتَفِي بِالْوُصُولِ إِلَيْهِ الْقُوَى الْإِنْسَانِيَّةُ .

وَيَتَفَاوَتْ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ فِي مَرَاتِبِ الْعَظْمَةِ وَاسْتِشْعَارِ كُنْهَيْهَا ؛ لِكُلِّ
مِنْهُمْ عَلَى قَدَرِهِ حَظٌّ مِنْ ذَلِكَ ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

وَمِنَ السَّاجِدِينَ مَنْ يَتَّسِعُ وَعَاؤُهُ ، وَيَتَشَرُّ ضِيَاؤُهُ ، وَيَحْظِي بِالصِّفَتَيْنِ^(٤) ،
وَيَبْسُطُ الْجَنَاحَيْنِ ، فَيَتَوَاضَعُ بِقَلْبِهِ إِجْلَالاً ، وَيُرْفَعُ بِرُوحِهِ إِكْرَاماً وَإِفْضَالاً ،

(١) التَّخْمُ : مُتَنَهَى كُلِّ قَرْيَةٍ أَوْ أَرْضٍ ، وَالْجَمْعُ : (تُخُومٌ) ؛ كـ (فَلَسٌ وَفُلُوسٌ) .

(٢) الْخَافِقَةُ : الْجَانِبُ وَالطَّرَفُ ، وَفِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (و) : (بِخَافِقَةٍ) بَدَلِ
(بِخَافِقَةٍ) ، وَالْخَافِقَةُ : وَاحِدَةُ (الْخَوَافِي) ؛ وَهِيَ رِيشَاتُ إِذَا ضَمَّ الطَّائِرُ جَنَاحَيْهِ
خَفِيتْ .

(٣) أَيُ : إِذَا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ أَثَرُ الْكَائِنَاتِ ، فَلَا يَرَى إِلَّا عَظْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَحَيْثُذُ يَسْجُدُ عَلَى
طَرَفِ رَدَاءِ الْعَظْمَةِ . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(٤) أَيُ : بِصِفَةِ الْعِبُودِيَّةِ فِي أَجْزَاءِ الْمُلْكِ ؛ بَحِيثٌ [يُكَاشِفُ] أَنَّهُ يَهْوِي إِلَى تُخُومِ الْأَرْضِينَ
لَأَجْلِ الْحَيَاءِ ، وَصِفَةِ الْبَقَاءِ وَالظُّهُورِ ؛ بَحِيثٌ يَزُولُ بِشُهُودِهِ أَثَرُ الْكَائِنَاتِ . مِنْ هَامِشٍ
(ج) .

فيجتمع له الأنس والهبة ، والحضور والغيبة ، والفرار والقرار ، والإسرار والجهاز ، فيكون في سجوده سابحاً في بحر شهوده ، لم يتخلف منه عن السجود شعرة ، كما قال سيّد البشر عليه الصلاة والسلام في سجوده : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي »^(١) ؛ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد : ١٥] ؛ فالطَّوْعُ للروح والقلب ؛ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْأَهْلِيَّةِ ، وَالكَرْهُ مِنَ النَّفْسِ ؛ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَجْنَبِيَّةِ .

ويقول في سجوده : (سبحان ربّي الأعلى) ثلاثاً إلى العشر الذي هو الكمال^(٢) ، ويكون في السجود مفتوح العينين ؛ لأنّهما تسجدان .

وفي الهويّ يضع رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَدَيْهِ ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ ، ويكون ناظراً نحو أَرْنَبَةِ أَنْفِهِ في السجود ؛ فهو أبلغ في الخشوع للساجد ، ويُباشِرُ بِكَفَيْهِ الْمُصَلِّي ، ولا يلقُهما في الثوب ، ويكون رأسه بين كَفَيْهِ ، ويداه حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ ، غير مُتَيَمِّنٍ ولا مُتَيَاسِرٍ بهما .

ويقول بعد التسبيح : (اللَّهُمَّ ؛ لَكَ سَجَدْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) ؛ روى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سَجْدِهِ ذَلِكَ^(٣) .

(١) سبق تخريجه في (٣٨ / ٢) .

(٢) قوله : (إلى العشر) كذا في النسخ ، والمشهور : أَنَّ الْكَمَالَ درجَات ؛ أَعْلَاهَا : إِحْدَى عَشْرَةَ أَوْ تِسْعَ ، وَأَوْسَطُهَا : خَمْسَ . انظر « النجم الوهاج » (١٣٥ / ٢) .

(٣) رواه مسلم (٧٧١) .

وإن قال : (سُبُوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ) . . فَحَسَنٌ ؛ رَوَتْ
عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي سَجُودِهِ
ذَلِكَ (١) .

وَيُجَانِي مِرْفَقَيْهِ عَنْ جَنْبَيْهِ ، وَيُوجِّهُ أَصَابِعَهُ فِي السَّجُودِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ ،
وَيَضُمُّ أَصَابِعَ كَفَيْهِ مَعَ الْإِبْهَامِ ، وَلَا يَقْرَأُ ذِرَاعِيَهُ عَلَى الْأَرْضِ .

ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مُكَبَّرًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى ، وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى
مُوجَّهًا بِالْأَصَابِعِ إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَيَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْفَخْذَيْنِ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ
ضَمًّا وَتَفْرِيجًا ، وَيَقُولُ : (رَبِّ ؛ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي وَاجْبُرْنِي ،
وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي) .

وَلَا يُطِيلُ هَذِهِ الْجَلْسَةَ فِي الْفَرِيضَةِ ، وَأَمَّا فِي النَّافِلَةِ فَلَا بَأْسَ مَهْمَا أَطَالَ
قَائِلًا : (رَبِّ ؛ اغْفِرْ وَارْحَمْ) مُكَرَّرًا ذَلِكَ ، ثُمَّ يَسْجُدُ السَّجْدَةَ الثَّانِيَةَ
مُكَبَّرًا .

وَيُكْرَهُ الْإِقْعَاءُ فِي الْقُعُودِ ؛ وَهُوَ هَاهُنَا : أَنْ يَضَعَ أَلْيَتَهُ عَلَى عَقْبَيْهِ .

ثُمَّ إِذَا أَرَادَ النَّهْوضَ إِلَى الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ . . يَجْلِسُ جَلْسَةً خَفِيفَةً
لِلِاسْتِرَاحَةِ ، وَيَفْعَلُ فِي بَقِيَّةِ الرُّكْعَاتِ هَكَذَا ، ثُمَّ يَتَشَهَّدُ .

وَفِي الصَّلَاةِ سِرُّ الْمِعْرَاجِ ، وَهُوَ مِعْرَاجُ الْقُلُوبِ ، وَالتَّشَهُدُ مَقَرُّ الْوُصُولِ
بَعْدَ قَطْعِ مَسَافَاتِ الْهَيْئَاتِ عَلَى تَدْرِيجِ طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ ، وَالتَّحِيَّاتُ سَلَامٌ

(١) رواه مسلم (٤٨٧) .

على ربِّ البريّات ، فليذهن لما يقول^(١) ، ويتأدّب مع مَنْ يقول ، ويذر كيف يقول .

ويُسَلِّمُ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ويُمثِّلُهُ بينَ عَيْنَيْ قَلْبِهِ ،
ويُسَلِّمُ على عبادِ الله الصالحينَ ؛ فلا يبقى في الأرضِ والسماءِ عبدٌ من
عبادِ الله إلا ويُسَلِّمُ عليه بالنسبةِ الرُّوحِيَّةِ والخاصَّةِ الفِطْرِيَّةِ .

ويضعُ يدهُ اليُمْنَى على فِخْذِهِ اليُمْنَى مقبوضةً الأصابعِ إلا المُسَبِّحَةَ ،
ويرفعُ المُسَبِّحَةَ في الشهادةِ في (إلا اللهُ) ، لا في كلمةِ التَّفْيِ ، ولا يرفعُها
مُنْتَصِبَةً بل مائلةً برأسِها إلى الفِخْذِ مُنْطَوِيَّةً ، فهذه هيئةُ خشوعِ المُسَبِّحَةِ ،
ودليلُ سِرَايَةِ خشوعِ القلبِ إليها .

ويدعو في آخرِ صلاتِهِ لِنَفْسِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ ، وإنْ كانَ إماماً ينبغي ألاَّ ينفردَ
بالدُّعاء ، بل يدعو لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ وِراءَهُ ؛ فَإِنَّ الإِمَامَ الْمُتَقَيِّظَ في الصَّلَاةِ
كحاجِبٍ دَخَلَ على سُلْطَانٍ وِراءَهُ أَصْحَابُ الحَوَائِجِ يسألُ لَهُمْ وَيَعْرِضُ
حاجَتِهِمْ ، والمُؤْمِنُونَ كالبُيُوتِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، وبهذا وَصَفَهُمُ اللهُ
تعالى في كلامِهِ ؛ فقالَ : ﴿ كَانَهُمْ بُيُوتٌ مُرْتَصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] .

وفي وصفِ هذهِ الأُمَّةِ في الكُتُبِ السالفةِ : صَفُّهُمْ في صلاتِهِمْ كصَفِّهِمْ
في قتالِهِمْ .

(١١١) - أخبرنا بذلك شيخنا ضياءُ الدين أبو النجيب السُّهْرُورِيُّ
رحمَهُ اللهُ إِمْلَاءً ، قالَ : أخبرنا أبو عبدِ الرحمنِ مُحَمَّدُ بنُ عيسى بنِ شُعَيْبٍ

(١) يَذْهَنُ : يَتَفَتَّنُ وَيَعْقِلُ وَيَفْهَمُ .

الْمَالِينِيُّ^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُظْفَرِ
الْوَاعِظُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ السَّرْحَسِيِّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو عِمْرَانَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَبَّاسِ السَّمَرْقَنْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُجَاهِدُ بْنُ
مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعْنٌ - هُوَ ابْنُ عَيْسَى - أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ : كَيْفَ
تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَ : نَجِدُ :
(مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، يُوَلَّدُ بِمَكَّةَ ، وَيُهَاجِرُ بِطَيِّةَ ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ ،
وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ^(٢) ، وَلَا يُكَافِيُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ،
وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ^(٣)) ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ سَرَاءَ ،
وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ^(٤) ، يُوضُّوْنَ أَطْرَافَهُمْ ، وَيَأْتِرُونَ فِي
أَوْسَاطِهِمْ ، يَصُفُّونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَمَا يَصُفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ ، دَوِيَّهُمْ فِي
مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيَّ النَّحْلِ ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ^(٥) .

فَالْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ مُقَدِّمُهُ الصَّفِّ فِي مُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ ؛ فَهُوَ أَوَّلِي

(١) هو نفسه أبو الوقت عبد الأول كما سبق التنبيه عليه في (٣١٢ / ١ ، ٤٤ / ٢) .

(٢) السَّخَّابُ وَالصَّخَّابُ : الصَّيَّاحُ ؛ مِنَ السَّخْبِ وَالصَّخْبِ ؛ وَهُمَا اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ ،
وَالْأَصْلُ السَّيْنُ . « مغرب » . من هامش (ح) .

(٣) فِي (ج ، د ، و) : (وَيَصْفَح) .

(٤) النَّجْدُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .

(٥) سنن الدارمي (٨) ، وفيه : (حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عَيْسَى ، حَدَّثَنَا معاوية بن صالح ، عن
أبي فروة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل كعب الأحبار) ، ومن المعلوم
والواضح أنَّ مَعْنًا لَمْ يَلْقَ كَعْبَ الْأَحْبَارِ ، وَرَوَاهُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي « تَارِيخِ
دِمَشْقٍ » (١٨٥ / ١) .

المُصَلِّينَ بالخشوع والإتيانِ بوظائفِ الأدبِ ظاهراً وباطناً .

والمُصَلُّونَ الْمُتَيَقِّظُونَ كُلَّمَا اجْتَمَعَتْ ظَوَاهِرُهُمْ تَجْتَمِعُ بَوَاطِنُهُمْ ،
وتتناصَرُ وتتعاضدُ ، وَيَسْرِي مِنَ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ أَنْوَارٌ وَبَرَكَاتٌ ، بل
جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَلِّينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ بَيْنَهُمْ تَعَاُضُدٌ وَتَنَاصَرٌ بِحَسَبِ
الْقُلُوبِ وَنَسَبِ الْإِسْلَامِ وَرَابِطَةِ الْإِيمَانِ ، بل يَمُدُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَلَائِكَةِ
الْكِرَامِ ، كَمَا أَمَدَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَلَائِكَةِ الْمُسَوِّمِينَ ،
فَحَاجَّتُهُمْ إِلَى مُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ أَمْسٌ مِنْ حَاجَّتِهِمْ إِلَى مُحَارَبَةِ الْكُفَّارِ ؛ وَلِهَذَا
كَانَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى
الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ »^(١) ، فَتَدَارَكُهُمُ الْأَمْلاَكُ ، بل بِأَنْفَاسِهِمُ الصَّادِقَةِ تَتَمَاسَكُ
الْأَفْلَاقُ^(٢) .

فَإِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنَ الصَّلَاةِ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ ، وَيُنَوِي مَعَ التَّسْلِيمِ الْخُرُوجَ
مِنَ الصَّلَاةِ ، وَالسَّلَامَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْحَاضِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمُؤْمِنِي
الْجَنِّ ، وَيَجْعَلُ خَدَّهُ مُبَيَّنًا لِمَنْ عَلَى يَمِينِهِ بِإِلْوَاءٍ عَنْقِهِ^(٣) ، وَيَقْصِلُ بَيْنَ هَذَا
السَّلَامِ وَالسَّلَامِ عَنْ يَسَارِهِ ؛ فَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنِ الْمُوَاصَلَةِ^(٤) .

(١) سبق تخريجه في (٣٥١ / ١) .

(٢) ضبط : (يتداركهم) و (يتماسك) في (د) بالتاء والياء معاً .

(٣) في (ج) ونسخة على هامش (د) : (بَلِيٍّ) بدل (بإلواء) ، وفي (هـ ، ح) :
(بالتواء) .

(٤) قال العراقي في « المغني » (٤٣٠) : (عزاه رزين إلى الترمذي ، ولم أجده عنده ،
وقد فسره الغزالي بوضِّل القراءة بالتكبير ، ووضِّل القراءة بالركوع ، وغير ذلك ، وقد
روى أبو داود [٧٨٠] ، والترمذي [٢٥١] وحسنه ، وابن ماجه [٨٤٤] من حديث
سمرة : « سَكَّتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا دَخَلَ فِي صَلَاتِهِ ، =

والمُؤَاصِلَةُ خَمْسٌ : اثْنَانِ تَخْتَصَّانِ بِالْإِمَامِ ؛ وَهُوَ أَلَّا يُوَاصِلَ الْقِرَاءَةَ
بِالتَّكْبِيرِ ، وَالرُّكُوعَ بِالْقِرَاءَةِ .

وَاثْنَانِ عَلَى الْمَأْمُومِ : وَهُوَ أَلَّا يُوَاصِلَ تَكْبِيرَةَ الْإِحْرَامِ بِتَكْبِيرَةِ الْإِمَامِ ،
وَلَا تَسْلِيمَتَهُ بِتَسْلِيمِهِ .

وَوَاحِدَةٌ عَلَى الْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ : وَهُوَ أَلَّا يُوَاصِلَ تَسْلِيمَ الْفَرْضِ بِتَسْلِيمِ
النَّفْلِ .

وَيَجْزِمُ التَّسْلِيمَ وَلَا يَمُدُّهُ مَدًّا ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ التَّسْلِيمِ بِمَا شَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ
وَدُنْيَاهُ ، وَيَدْعُو قَبْلَ التَّسْلِيمِ أَيْضًا فِي صُلْبِ الصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ .

وَمَنْ أَقَامَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي جَمَاعَةٍ . . فَقَدْ مَلَأَ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ عِبَادَةً ،
وَكُلَّ الْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ زُبْدُهَا الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي جَمَاعَةٍ ، وَهِيَ سِرُّ
الدِّينِ ، وَكَفَّارَةُ الْمُؤْمِنِ ، وَتَمْحِصٌ لِلْخَطَايَا عَلَى مَا :

(١١٢) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ
الشَّهْرُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ ابْنُ خَيْرُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ زَكَرِيَّا ، قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ صَاعِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ
الْمَرْوَزِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ

= وَإِذَا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَفِي « الصَّحِيحِينَ » [« صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ » (٧٤٤) ،
« صَحِيحُ مُسْلِمٍ » (٥٩٨)] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ : « كَانَ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ
إِسْكَاتَةً . . . » (الْحَدِيثُ) .

عبد الله قال : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقولُ :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الصَّلَوَاتُ كَفَّارَاتٌ لِلْخَطَايَا ^(١) ،
فَأَقْرُؤُوا إِن شِئْتُمْ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴾
[هود : ١١٤] » ^(٢) .



(١) في (ز ، ي) : (الصلوات الخمس) بزيادة (الخمس) ، وليس هذا القيد في باقي النسخ ومصادر تخريج الحديث .

(٢) الزهد (٩٠٧) ، ورواه من طريقه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٨١) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٢٩ / ٣) من حديث سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، وسبق رجال سنده إلى ابن المبارك والتعريف ببعضهم ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) ، وفيه أيضاً : (بلغ سماع الجماعة في الحادي والعشرين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الثامن والثلاثون

في ذكر آداب الصلاة وأسرارها

أَحْسَنُ آدَابِ الْمُصَلِّي : أَلَّا يَكُونَ مَشْغُولَ الْقَلْبِ بِشَيْءٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ ؛ لِأَنَّ الْأَكْبَاسَ لَمْ يَرْفُضُوا الدُّنْيَا إِلَّا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ كَمَا أُمِرُوا ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا وَأَشْغَالَهَا لَمَّا كَانَتْ شَاغِلَةً لِلْقَلْبِ . . رَفَضُوهَا ؛ غَيْرَةً عَلَى مَحَلِّ الْمُنَاجَاةِ ، وَرَغْبَةً فِي أَوْطَانِ الْقُرْبَاتِ ، وَإِذْعَانًا بِالْبَاطِنِ لِرَبِّ الْبَرِّيَّاتِ ؛ لِأَنَّ حُضُورَ الصَّلَاةِ بِالظَّاهِرِ إِذْعَانُ الظَّاهِرِ ، وَفِرَاقُ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى . . إِذْعَانُ الْبَاطِنِ ، فَلَمْ يَرَوْا حُضُورَ الظَّاهِرِ وَتَخَلُّفَ الْبَاطِنِ ؛ حَتَّى لَا يَخْتَلَّ إِذْعَانُهُمْ فَتَنْخَرِمَ عُبودِيَّتُهُمْ ، فَيَجْتَنِبُ أَنْ يَكُونَ بَاطِنُهُ مُرْتَهَنًا بِشَيْءٍ وَيَدْخُلَ الصَّلَاةَ .

وَقِيلَ : (مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ : أَنْ يَبْدَأَ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ)^(١) ؛ وَلِهَذَا وَرَدَ : « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَالْعِشَاءُ فَقَدِّمُوا الْعِشَاءَ عَلَى الْعِشَاءِ »^(٢) .

وَلَا يُصَلِّي وَهُوَ حَاقِنٌ يُطَالِبُهُ الْبَوْلُ ، وَلَا حَازِقٌ يُطَالِبُهُ الْغَائِطُ ، وَالْحَزَقُ

(١) رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي « الزَّهْدِ » (١١٤٢) ، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْمَرْوُزِيِّ فِي « تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ » (١٣٤) مَوْقُوفًا عَلَى سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) الْعِشَاءُ - بِالْمَدِّ وَالْكَسْرِ - : مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ إِلَى صَلَاةِ الْعَتَمَةِ ، وَالْعِشَاءُ - بِالْمَدِّ وَالْفَتْحِ - : الطَّعَامُ بَعِينُهُ ، وَهُوَ خِلَافُ الْغَدَاءِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) ، وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ بَنُوهِ الْبُخَارِيُّ (٥٤٦٣) ، وَمُسْلِمٌ (٥٥٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غِنِيَّ الْعَارِفِ » (٥٥٨/٢ - ٥٥٩) .

أَيْضاً : ضَيْقُ الْخُفِّ^(١) ، وَلَا يُصَلِّي أَيْضاً وَخُفُّهُ ضَيِّقٌ يَشْغُلُ قَلْبَهُ ؛ فَقَدْ قِيلَ :
(لَا رَأْيَ لِحَازِقٍ) ، قِيلَ : الَّذِي يَكُونُ خُفُّهُ ضَيِّقاً .

وَفِي الْجُمْلَةِ : لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ يُصَلِّيَ وَعِنْدَهُ مَا يُغَيِّرُ مَزَاجَ بَاطِنِهِ عَنِ
الْإِعْتِدَالِ ؛ كَهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ، وَالْإِهْتِمَامِ الْمُفْرِطِ ، وَالْغَضَبِ ؛
وَفِي الْخَبَرِ : « لَا يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ مُقَطَّبٌ ، وَلَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ
وَهُوَ غَضْبَانٌ »^(٢) .

فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَلَبَّسَ بِالصَّلَاةِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى أَتَمِّ الْهَيْئَاتِ .

وَأَحْسَنُ لِبَسَةِ الْمُصَلِّي : سُكُونُ الْأَطْرَافِ ، وَعَدَمُ الِالْتِفَاتِ ، وَالْإِطْرَاقُ^(٣) ،
وَوَضْعُ الْيَمِينِ عَلَى الشَّامَالِ ، فَمَا أَحْسَنَهَا مِنْ هَيْئَةٍ عَبْدٍ ذَلِيلٍ ، وَاقِفٍ بَيْنَ يَدَيِ
مَلِكٍ عَزِيزٍ !!

وَفِي رُخْصَةِ الشَّرْعِ دُونَ ثَلَاثِ حَرَكَاتٍ مُتَوَالِيَاتٍ . . جَائِزٌ ، وَأَرْبَابُ
الْعَزِيمَةِ يَتْرَكُونَ الْحَرَكَةَ فِي الصَّلَاةِ جُمْلَةً ، وَقَدْ حَرَّكَتُ يَدَيَّ فِي الصَّلَاةِ مَرَّةً
وَعِنْدِي شَخْصٌ مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ مِنَ الصَّلَاةِ أَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ :

(١) المشهور في كتب السَّادَةِ الشَّافِعِيَّةِ : أَنَّ الْحَاقِقَ : الَّذِي يُدَافِعُهُ الْبُولُ ، وَالْحَازِقُ : الَّذِي
يُدَافِعُهُ الْغَائِطُ أَوْ الَّذِي ضَاقَ خُفُّهُ حَتَّى ضَغَطَ رِجْلَهُ وَعَصَرَهَا ، وَالْحَاقِبُ : الَّذِي يُدَافِعُهُ
الْغَائِطُ ، وَزَادَ الْخَطِيبُ فِي « الْإِقْنَاعِ » (١٥٢ / ١) : الْحَاقِمُ ؛ وَهُوَ الَّذِي يُدَافِعُهُ الْبُولُ
وَالْغَائِطُ مَعًا ، وَانْظُرْ « مَغْنِي الْمَحْتَاجِ » (٣٠٨ / ١) ، وَ« حَاشِيَةُ الشَّرْقَاوِيِّ عَلَى تَحْفَةِ
الطَّلَابِ » (١٦٨ / ١) .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّي فِي « الْقَوْتُ » (١٢٠٥ / ٣ - ١٢٠٦) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ »
(٥٨٠ / ١) .

(٣) يُقَالُ : أَطْرَقَ الرَّجُلُ : إِذَا أَرَخَى عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ .

عندنا أنَّ العبدَ إذا وَقَفَ في الصلاةِ ينبغي أن يبقى جَمَاداً مُجَمِّداً لا يتحرَّكُ منه شيءٌ .

وقد جاءَ في الخبرِ : « سَبْعَةُ أَشْيَاءَ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ : الرُّعَافُ ، وَالنُّعَاسُ ، وَالْوَسْوَسةُ ، وَالتَّثَاوُبُ ، وَالْحُكَاكُ ، وَالْإِلْتِفَاتُ ، وَالْعَبَثُ بِالشَّيْءِ » ، وقيلَ : « أَلْسَهُوٌ وَالشَّكُّ »^(١) .

وقد رُوِيَ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهُما أَنَّهُ قالَ : (إِنَّ الخشوعَ في الصلاةِ : أَلَّا يَعْرِفَ الْمُصَلِّي مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ)^(٢) .

وَنَقَلَ عن سُفْيَانَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قالَ : (مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَسَدَتْ صَلَاتُهُ)^(٣) .

وَرُوِيَ عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي اللهُ عنهُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ^(٤) ؛ قالَ : (مَنْ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٥ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٨٠ - ٥٨١ / ١) ، وقال العراقي في « المغني » (٤٣٨) : (رواه الترمذي [٢٧٤٨] من رواية عدي بن ثابت عن أبيه عن جدِّه ، فذكر منها : « الرعاف » و « النعاس » و « التثاؤب » ، وزاد ثلاثة أخرى ، وقال : حديث غريب ، ولمسلم [٢٢٠٣] من حديث عثمان بن أبي العاص : « يا رسول الله ؛ إِنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي . . . » الحديث ، وللبخاري [٧٥١] من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة : « هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةٍ أَحَدِكُمْ » ، وللشيخين [صحيح البخاري] (٣٢٨٩) ، « صحيح مسلم » (٢٩٩٤) من حديث أبي هريرة : « التثاؤب مِنْ الشَّيْطَانِ » ، ولهما [صحيح البخاري] (١٢٣٢) ، « صحيح مسلم » (٣٨٩) من حديث أبي هريرة : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ حَتَّى لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى » .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٦ / ٣) .

(٣) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٦ / ٣) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله تعالى .

(٤) أي : من قول سفيان .

عرف مَنْ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فِي الصَّلَاةِ مُتَعَمِّدًا . . فلا صَلَاةَ لَهُ (١) .

وقال بعضُ العلماءِ : (مَنْ قرأ كلمةً مكتوبةً في حائطٍ أو بساطٍ في صَلَاتِهِ . . فَصَلَاتُهُ باطلة) (٢) ؛ قال بعضهم : (لَأَنَّ ذَلِكَ عَدُوهُ عَمَلًا) (٣) .

وقيلَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [المعارج : ٢٣] ؛ قيلَ : هُوَ سَكُونُ الْأَطْرَافِ ، وَالطَّمَأْنِينَةُ (٤) .

قال بعضهم : (إِذَا كَبَّرْتَ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى . . فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَاطِرٌ إِلَى شَخْصِكَ ، عَالِمٌ بِمَا فِي ضَمِيرِكَ ، مَثَلٌ فِي صَلَاتِكَ الْجَنَّةَ عَنْ يَمِينِكَ ، وَالنَّارَ عَنْ شِمَالِكَ) (٥) .

وإنَّما ذَكَرَ أَنَّ يُمَثَّلَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا اشْتَغَلَ بِذِكْرِ الْآخِرَةِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْوَسْوَاسُ ، فَيَكُونُ هَذَا التَّمَثِيلُ تَدَاوِيًّا لِلْقَلْبِ لِدَفْعِ الْوَسْوَاسَةِ .

(١١٣) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيُّ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّفَّارُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلْفٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الْفَارِسِيَّ يَقُولُ :

(١) رواه أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٦ / ٣) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٦ / ٣ - ١٢٠٧) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٧ / ٣) عن بشر بن الحارث رحمه الله تعالى .

(٤) لأنَّ من الدوام في الصلاة السكون فيها ، وهذا القول أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠٧ / ٣) .

(٥) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٠٥) .

سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ يَقُولُ^(١) : قَالَ سَهْلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مَنْ خَلَا قَلْبُهُ مِنْ ذِكْرِ الْآخِرَةِ . . تَعَرَّضَ لَوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ)^(٢) .

فَأَمَّا مَنْ بَاشَرَ بَاطِنَهُ صَفَوْهُ الْيَقِينُ وَنَوَّرُ الْمَعْرِفَةِ . . يَسْتَغْنِي بِشَاهِدِهِ عَنْ تَمْثِيلِ مَشَاهِدِهِ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ : (إِذَا رَكَعَ فَلَا دُبَّ فِي رُكُوعِهِ : أَنْ يَنْتَصِبَ وَيَدْنُو وَيَتَدَلَّى فِي رُكُوعِهِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ مَفْصِلٌ إِلَّا وَهُوَ مُنْتَصِبٌ نَحْوَ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ^(٣) ، ثُمَّ يُعَظِّمُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَصْغُرُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ أَقَلٌّ مِنَ الْهَبَاءِ ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَمَدَ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَسْمَعُ ذَلِكَ)^(٤) .

وَقَالَ أَيْضاً : (وَيَكُونُ مَعَهُ مِنَ الْخَشْيَةِ مَا يَكَادُ يَذُوبُ بِهِ)^(٥) .

وَقَالَ السَّرَّاجُ : (إِذَا أَخَذَ الْعَبْدُ فِي التَّلَاوَةِ فَلَا دُبَّ فِي ذَلِكَ : أَنْ يُشَاهِدَ

(١) فِي (هـ ، ح) : (الْحَسَنُ) بَدَلَ (الْحُسَيْنِ) .

(٢) طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ (ص ٢١١) ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (١٠ / ١٩٨) .

(٣) التَّدَلَّى : بِمَعْنَى الدُّنُو ، لَكِنَّ الدُّنُو يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْقُرْبِ ، وَالتَّدَلَّى بِمَعْنَى الْأَقْرَبِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ [النجم : ٨] ، [وَالْمُرَادُ] بِالْإِنْتِصَابِ هُنَا : بِمَعْنَى الْقِيَامِ الَّذِي بِمَعْنَى الْوُقُوفِ ، وَهَذَا الْحَالُ فِي الرُّكُوعِ كَالصَّفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ فِي السُّجُودِ فِي الْبَابِ الْمُتَقَدِّمِ ، لَكِنَّ صِفَةَ الشُّهُودِ وَالْحُضُورِ أَفْضَلُ وَأَبْلَغُ فِي السُّجُودِ ، وَفِي السُّجُودِ تَمَاثِيلُ الْكَائِنَاتِ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى ؛ وَلِهَذَا يَسْجُدُ عَلَى رِءَاءِ الْعَظَمَةِ ؛ إِذْ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرُ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا صِفَةُ التَّدَلَّى وَالشُّهُودِ فِي الرُّكُوعِ بِمِثَابَةِ شُهُودِ الْعَرْشِ . . فَبَقِيَ تَمَاثُلُ الْعَرْشِ حِجَاباً لَهُ عَنْ رُؤْيَا الْعَظَمَةِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق : ١٩] . مِنْ هَامِشٍ (ج) .

(٤) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّعَمِ » (ص ٢٠٦) .

(٥) هُوَ ضَمْنُ التَّخْرِيجِ السَّابِقِ .

بَسْمَعِ قَلْبِهِ كَأَنَّهُ يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ كَأَنَّهُ يَقْرَأُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى (١) .

وَقَالَ السَّرَاجُ : (مِنْ أَدَبِهِمْ قَبْلَ الصَّلَاةِ : المُرَاقَبَةُ ، وَمُرَاعَاةُ الْقَلْبِ مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْعَوَارِضِ ، وَذِكْرُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى .

فَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ بِحُضُورِ الْقَلْبِ . . فَكَأَنَّهُمْ قَامُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَيَبْقَوْنَ مَعَ النَّفْسِ وَالْعَقْلِ اللَّذَيْنِ دَخَلُوا فِي الصَّلَاةِ بِهِمَا (٢) ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنَ الصَّلَاةِ رَجَعُوا إِلَى حَالِهِمْ مِنْ حُضُورِ الْقَلْبِ ، فَكَأَنَّهُمْ أَبَدًا فِي الصَّلَاةِ ، فَهَذَا هُوَ أَدَبُ الصَّلَاةِ (٣) .

وَقِيلَ : (كَانَ بَعْضُهُمْ لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ حِفْظُ الْعَدَدِ مِنْ كَمَالِ اسْتِغْرَاقِهِ ، وَكَانَ يُجْلِسُ وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُعَدُّ عَلَيْهِ كَمْ رَكْعَةٍ صَلَّى) (٤) .

وَقِيلَ : (لِلصَّلَاةِ أَرْبَعُ شُعَبٍ : حُضُورُ الْقَلْبِ فِي الْمَحْرَابِ (٥) ، وَشُهُودُ الْعَقْلِ عِنْدَ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ ، وَخُشُوعُ الْقَلْبِ بِلَا ارْتِيَابٍ ، وَخُضُوعُ الْأَرْكَانِ بِلَا ارْتِقَابٍ ؛ لِأَنَّ عِنْدَ حُضُورِ الْقَلْبِ رَفَعَ الْحِجَابَ (٦) ، وَعِنْدَ شُهُودِ الْعَقْلِ رَفَعَ الْعِتَابَ ، وَعِنْدَ خُشُوعِ الْقَلْبِ فَتَحَ الْأَبْوَابَ (٧) ، وَعِنْدَ خُضُوعِ الْأَرْكَانِ وَجُودَ الثَّوَابِ .

(١) اللمع (ص ٢٠٦) .

(٢) في « اللمع » : (مع النية والعقد) بدل (مع النفس والعقل) .

(٣) اللمع (ص ٢٠٧) .

(٤) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٠٧) ، وقال بعده : (لِأَنَّهُ كَانَ يُرَاعِي قَلْبَهُ عَلَى ثَبَاتِ الْعَقْدِ الَّذِي دَخَلَ بِهِ فِي الصَّلَاةِ ، فَكَانَ يَخَافُ الْغَلْطَ عَلَى نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَدْرِي كَمْ رَكْعَةً صَلَّىهَا ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ يَسْتَعِينُ بِمَنْ يُعَدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَيَقَّنَ كَمْ رَكْعَةً صَلَّىهَا) .

(٥) في بعض النسخ : (القالب) بدل (القلب) .

(٦) في بعض النسخ : (القالب) بدل (القلب) .

(٧) في النسخ ما عدا (هـ) : (النفس) بدل (القلب) .

فَمَنْ أَتَى الصَّلَاةَ بِلا حُضُورِ الْقَلْبِ . . فَهُوَ مُصَلٍّ لَاهٍ ، وَمَنْ أَتَاهَا بِلا شُهُودِ الْعَقْلِ . . فَهُوَ مُصَلٍّ سَاهٍ ، وَمَنْ أَتَاهَا بِلا خُضُوعِ النَّفْسِ . . فَهُوَ مُصَلٍّ خَاطِئٌ ، وَمَنْ أَتَاهَا بِلا خُشُوعِ الْأَرْكَانِ . . فَهُوَ مُصَلٍّ جَافٍ ، وَمَنْ أَتَاهَا كَمَا وُصِفَ . . فَهُوَ مُصَلٍّ وَافٍ ^(١) .

وقد وَرَدَ عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا قَامَ الْعَبْدُ إِلَى الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ ، مُقْبِلًا عَلَى اللَّهِ بِقَلْبِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ . . أَنْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَغْفِرُ بِغَسْلِ الْوَجْهِ خَطِيئَةً أَصَابَهَا ، وَبِغَسْلِ رِجْلَيْهِ خَطِيئَةً أَصَابَتْهُمَا ، وَبِغَسْلِ يَدَيْهِ خَطِيئَةً أَصَابَتْهُمَا ^(٢) ، حَتَّى يَدْخُلَ فِي صَلَاتِهِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ وَزْرٌ » ^(٣) .

وَذِكِرَتِ السَّرِقَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « أَيُّ السَّرِقَةِ أَقْبَحُ ؟ » ، فَقَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَقَالَ : « إِنَّ أَقْبَحَ السَّرِقَةِ أَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ صَلَاتَهُ » ، قَالُوا : كَيْفَ يَسْرِقُ الرَّجُلُ صَلَاتَهُ ؟ قَالَ : « لَا يُنِيمُ رُكُوعَهَا ، وَلَا سُجُودَهَا ، وَلَا خُشُوعَهَا ، وَلَا الْقِرَاءَةَ فِيهَا » ^(٤) .

(١) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٠٩) .

(٢) في (أ ، ج ، ز) تقديم غسل اليدين على غسل الرجلين ، وكتب على هامش (ج) : (في نسخة مقروءة على المصنف رحمه الله قُدِّمَ الرجل على اليد) .

(٣) الحديث غريب بهذا اللفظ ، ورواه الحاكم (١٣١ / ١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٣٠) عن سيدنا عمرو بن عبسة رضي الله عنه بلفظ : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَمُضْمَضٌ وَاسْتَنْثَرٌ . . خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَطْرَافِ فَمِهِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ تَنَاطَرَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَطْفَارِهِ ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ تَنَاطَرَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَطْرَافِ رَأْسِهِ ، فَإِنْ قَامَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ يُقْبِلُ فِيهِمَا بِقَلْبِهِ وَطَرَفِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . . خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ، وانظر « غنية العارف » (٥٦٣-٥٦٤) .

(٤) رواه مالك (١٦٧ / ١) مرسلًا عن النعمان بن مرة رضي الله عنه ، ورواه البيهقي في =

ورُوِيَ عن أَبِي عمرو بن العلاء أَنَّهُ قُدِّمَ لِلإِمَامَةِ ، فَقَالَ : لَا أَصْلَحُ ،
فَلَمَّا أَلْحُوا عَلَيْهِ كَبَّرَ ، فَعُشِيَ عَلَيْهِ ، فَقَدَّمُوا إِمَامًا آخَرَ ، فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ ،
فَقَالَ : لَمَّا قُلْتُ : (اسْتَوْا) هَتَفَ بِي هَاتِفٌ فَقَالَ : هَلِ اسْتَوَيْتَ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ
قَطُّ ؟! (١) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَحْسَنَ الْوُضُوءَ ،
وَصَلَّى الصَّلَاةَ لَوْقَتِهَا ، وَحَافَظَ عَلَى رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَمَوَاقِيتِهَا . . . قَالَتْ
الصَّلَاةُ : حَفِظَكَ اللَّهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، ثُمَّ صَعِدَتْ وَلَهَا نُورٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى
السَّمَاءِ ، وَحَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ فَتَشْفَعَ لِصَاحِبِهَا ، وَإِذَا أَضَاعَهَا قَالَتْ :
ضَيَعَكَ اللَّهُ كَمَا ضَيَعْتَنِي ، ثُمَّ صَعِدَتْ وَلَهَا ظُلُمَةٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أَبْوَابِ
السَّمَاءِ فَتُغْلَقَ دُونَهَا ، ثُمَّ تُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثَّوْبُ الْخَلْقُ ، فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ
صَاحِبِهَا » (٢) .

وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ الدَّارَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : (إِذَا وَقَفَ الْعَبْدُ فِي الصَّلَاةِ
يَقُولُ اللَّهُ : ارْفَعُوا الْحُجُبَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، فَإِذَا التَفَتَ يَقُولُ اللَّهُ :
أَرْخُوهَا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَخَلُّوا عَبْدِي وَمَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : (رَبِّمَا أَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، فَأَنْصَرِفُ

= « الشعب » (٢٨٤٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم
الكبير » (٢٧٣ / ٣) عن سيدنا أبي قتادة رضي الله عنه .

(١) أوردته بنحوه الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٧٠) ، والخرکوشي في « تهذيب
الأسرار » (ص ٥٢٧) .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٥٨٦) ، والبزار في « المسند » (٢٦٩١) ،
والطبراني في « مسند الشاميين » (٤٢٧) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ،
والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٠٩٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

منهُمَا وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَيَاءً رَجُلٍ أَنْصَرَفَ مِنَ الزُّنَى (١) .

قَوْلُهُ هَذَا لِعَظِيمِ الْأَدَبِ عِنْدَهُ ، وَمَعْرِفَةِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِأَدَبِ الصَّلَاةِ عَلَى قَدْرِ حَظِّهِ مِنَ الْقُرْبِ .

وَقِيلَ لِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَفْسَدُوا عَلَيْكَ الصَّلَاةَ بِمَمَرِّهِمْ بَيْنَ يَدَيْكَ ، قَالَ : إِنَّ الَّذِي أُصَلِّي لَهُ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ .

وَقِيلَ : كَانَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ لَا يُعْرِفُ مَنْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، فَيُقَالُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : أُنْذِرُونَنِي بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ أُرِيدُ أَنْ أَقِفَ !؟ (٢) .

وَرَوَى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا يَعْقِلُ » (٣) .

وَقَدْ وَرَدَ فِي لَفْظٍ آخَرَ : « مِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي الصَّلَاةَ كَامِلَةً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُصَلِّي النِّصْفَ ، وَالثُّلُثَ ، وَالرُّبْعَ ، وَالْخُمْسَ » ، حَتَّى يَبْلُغَ الْعُشْرَ (٤) .

(١) أوردته الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٣٧) ، وعزاه إلى أبي عبد الله المغربي رحمه الله تعالى .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (٢١٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (١٤٨) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢١٦ / ٣) .

(٣) رواه موقوفاً ابن المبارك في « الزهد » (١٣٠٠) بلفظ : (لَا يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا سَهَا عَنْهُ) ، وروي بنحوه مراسلاً عن عثمان بن أبي دهرش ، كما سبق في (١٥٧ / ٢) .

(٤) رواه أحمد (٣٢١ / ٤) ، والطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (١١٠٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٨١ / ٢) عن سيدنا عمار بن ياسر رضي الله عنهما .

قَالَ الْخَوَاصُّ : (يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَنْوِيَ نَوَافِلَهُ لِفَرَائِضِهِ ^(١)) ، فَإِنْ لَمْ يَنْوِهَا لَمْ يُحْتَسَبْ لَهُ مِنْهَا شَيْءٌ ؛ بَلَّغْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى فَرِيضَتُهُ ؛ يَقُولُ اللَّهُ : مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الْعَبْدِ السَّوِّءِ ؛ بَدَأَ بِالْهَدِيَّةِ قَبْلَ قَضَاءِ الدِّينِ ^(٢) .

وَقَالَ أَيْضاً : (انْقَطَعَ الْخَلْقُ عَنِ اللَّهِ بِخَصْلَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا : أَنَّهُمْ طَلَبُوا النَوَافِلَ وَضَيَّعُوا الْفَرَائِضَ ، وَالثَّانِيَةُ : أَنَّهُمْ عَمِلُوا أَعْمَالاً بِالظَّوَاهِرِ وَلَمْ يَأْخُذُوا أَنْفُسَهُمْ بِالصَّدَقِ فِيهَا وَالتَّصَحُّحِ لَهَا ، وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ مِنْ عَامِلٍ عَمَلًا إِلَّا بِالصَّدَقِ وَإِصَابَةِ الْحَقِّ) .

وَفَتَحَ الْعَيْنَ فِي الصَّلَاةِ أَوَّلَى مَنْ تَغْمِضُ الْعَيْنَ ، إِلَّا أَنْ يَتَشَتَّتَ هُمُهُ بِتَفْرِيقِ النَّظَرِ ؛ فَيُغْمِضُ الْعَيْنَ لِلِاسْتِعَانَةِ عَلَى الْخُشُوعِ ، وَإِنْ تَثَاءَبَ فِي الصَّلَاةِ يَضُمُّ شَفْتَيْهِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ ، وَلَا يُلْزِقُ ذَقْنَهُ بِصَدْرِهِ ، وَلَا يُزَاحِمُ فِي الصَّلَاةِ غَيْرَهُ ؛ قِيلَ : ذَهَبَ الْمَرْحُومُ بِصَلَاةِ الزَّاحِمِ .

وَقِيلَ : مَنْ تَرَكَ الصَّفَّ الْأَوَّلَ مَخَافَةَ أَنْ يُضَيَّقَ عَلَى أَهْلِهِ فَقَامَ فِي الثَّانِي . . .
أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ ثَوَابِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ^(٣) .

(١) فِي (ط) : (لِنَقْصَانِ فَرَائِضِهِ) بَدَلَ (لِفَرَائِضِهِ) .

(٢) رَوَاهُ بَنُحُوهُ دُونَ قَوْلِهِ : (يَنْبَغِي . . . مِنْهَا شَيْءٌ) الْبِيهَقِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكُبْرَى » (٣٨٧ / ٢) ، وَقَوَامُ السَّنَةِ فِي « التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ » (١٩١٣) مَرْفُوعاً عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٥٣٧) ، وَالرَّافِعِيُّ فِي « التَّدْوِينِ » (٢٠ / ٢) مَرْفُوعاً عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

وقيلَ : إنَّ إبراهيمَ الخليلَ صلواتُ الله عليه كانَ إذا قامَ إلى الصلاةِ يُسمَعُ خَفَقَانُ قلبِهِ مِنْ مِيلٍ^(١) .

ورَوَتْ عائِشةُ رضيَ اللهُ عنها : أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يُسمَعُ مِنْ صَدْرِهِ أَزِيْزٌ كأزِيْزِ المِرْجَلِ ؛ حتَّى كانَ يُسمَعُ في بعضِ سِكَكِ المَدِيْنَةِ^(٢) .

وسُئِلَ الجُنَيْدُ رحمَهُ اللهُ : ما فريضةُ الصلاةِ ؟ فقالَ : قطعُ العلائقِ ، وجمعُ الهَمِّ ، والحضورُ بينَ يَدَيْهِ^(٣) .

وقالَ الحسنُ رحمَهُ اللهُ : (ماذا يَعِزُّ عليكِ مِنْ أمرِ دينِكَ إذا هانتُ عليكِ صلاتُكَ ؟)^(٤) .

وقيلَ : أوحى اللهُ تعالى إلى بعضِ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ وقالَ : إذا

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٨ / ٦) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى ، وليس فيه تحديد صلاة ومسافة .

(٢) رواه دون قوله : (حتَّى كان يسمع . . .) أبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (١٣ / ٣) ، وأحمد (٢٥ / ٤) ، وابن حبان (٧٥٣) عن سيدنا عبد الله بن الشخير رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٥٦٨ - ٥٦٩ / ٢) ، والأزيز : صوت غليان القدر ، والمِرْجَل : قِدر من نحاس .

(٣) أورده أبو شامة في « مختصر المؤمل » (ص ٧٥) ، وزاد بعده : (قيل له : كيف تدخل في الصلاة ؟ قال : بإلقاء سمع ، وشهود قلب ، وحضور عقل ، وجمع هم ، وصحة تيقظ ، وحسن إقبال ، وتدبر في ترتيل) .

(٤) أي : أعزُّ أمور الدِّين على الشخص وأصعبُها . الصلاة ، فإذا سهلت الصلاةُ عليه لم يصعب غيرها . من هامش (ج) ، وقول الحسن رواه أحمد في « الزهد » (١٦٣٠) ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٤٦٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٩٠٧) ، والحسن : هو البصري رحمه الله تعالى .

دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينك الدموع ؛ فإنني قريب^(١) .

وقال أبو الخير الأقطع : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله ؛ أوصني ، فقال : يا أبا الخير ؛ عليك بالصلاة ؛ فإنني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة ، وقال لي : إن أقرب ما أكون منك وأنت تُصلي .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة)^(٢) .

وقيل : إن محمد بن يوسف الفرغاني رأى حاتماً الأصم واقفاً يعظ الناس ، فقال له : يا حاتم ؛ أراك تعظ الناس ، أفتحسب أن تُصلي ؟ قال : نعم .

قال : كيف تُصلي ؟ قال : أقوم بالأمر ، وأمشي بالخشية ، وأدخل بالهيئة ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للشهد بالتمام ، وأسلم على السنة ، وأسلمها إلى ربي ، وأحفظها أيام حياتي ، وأرجع باللوم على نفسي ، وأخاف ألا تقبل

(١) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧١) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى ، وأورده ابن قتيبة الدينوري في « عيون الأخبار » (٢٩٨/٢) ، ونص الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ١٨٣) على أن النبي هو سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، وفي (د) : (فإنني منك قريب) ، وفي المصادر السابقة : (وادعني ؛ فإنني قريب) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٨٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٤) .

مَنِّي ، وأرجو أن تُقْبَلَ مِنِّي ، وأنا بينَ الخوفِ والرجاءِ ، وأشكرُ مَنْ عَلَّمَنِي ، وأَعْلَمُهَا مَنْ سَأَلَنِي ، وأحمدُ رَبِّي إِذْ هَدَانِي .

فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ : مِثْلَكَ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ وَاعِظًا^(١) .

وَقِيلَ : ﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ [النساء : ٤٣] ؛ قِيلَ : مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا ، وَقِيلَ : مِنْ الْإِهْتِمَامِ بِهَا^(٢) .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مَنْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا . . غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ »^(٣) .

وَقَالَ أَيْضًا : « إِنَّ الصَّلَاةَ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ ، وَتَضَرُّعٌ وَتَنَادُّمٌ ، وَتَرْفَعُ يَدَيْكَ وَتَقُولُ : (اَللّٰهُمَّ اَللّٰهُمَّ) ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ »^(٤) ؛ أَي : نَاقِصَةٌ .

وَقَدْ وَرَدَ : أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ . . تَبَاعَدَتْ عَنْهُ الشَّيَاطِينُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ خَوْفًا مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَتَأَهَّبُ لِلدَّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ ، فَإِذَا كَبَّرَ حُجِبَ عَنْهُ إِبْلِيسُ ، وَيُضْرَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سُرَادِقٌ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَوَاجِهُهُ أَلَمَلِكُ الْجَبَّارُ

(١) رَوَاهُ بَنُحُوهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٧٥-٧٤ / ٨) ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « التَّبَصُّرَةِ » (ص ٣٨٦) ، وَفِيهِمَا : (عَصَامُ بْنُ يُوسُفَ) بَدَلَ (مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَّغَانِي) .

(٢) انْظُرْ « قُوَّةُ الْقُلُوبِ » (١٢٠٦ / ٣) .

(٣) رَوَاهُ بَنُحُوهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٧٧١٣) مَرْسَلًا عَنْ صَلَةَ بْنِ أَشِيمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَابْنُ خَرَّازٍ (١٥٩) ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٦) عَنْ سَيِّدِنَا عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٨٥) ، وَأَحْمَدُ (١٦٧ / ٤) عَنْ سَيِّدِنَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَأَبُو دَاوُدَ (١٢٩٦) ، وَابْنُ مَاجَهَ (١٣٢٥) ، وَأَحْمَدُ (١٦٧ / ٤) عَنْ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

بوجهه ، وإذا قال : (الله أكبر) . . اطلع الملك في قلبه ، فإذا رآه ليس في قلبه أكبر من الله تعالى . . فيقول : صدقت ؛ الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول ، ويتشعشع من قلبه نورٌ يلحق بملكوت العرش ، ويكشف له بذلك النور ملكوت السماوات والأرض ، ويكتب له حشود ذلك النور حسنات .

وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الصلاة . . احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل^(١) ، فإذا كبر اطلع الملك على قلبه ، فإذا كان في قلبه شيء أكبر من الله تعالى عنده . . فيقول له : كذبت ؛ ليس الله تعالى أكبر في قلبك كما تقول ، فيثور من قلبه دخانٌ يلتحق بعنان السماء ، فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت ، فيزداد ذلك الحجاب صلابةً ، ويلتقم الشيطان قلبه ، فلا يزال ينفخ فيه وينفث ، ويوسوس إليه ويزين . . حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه^(٢) .

وفي الخبر : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم . . لنظروا إلى ملكوت السماوات »^(٣) .

فالقلوب الصافية التي كمل أدبها لكمال أدب قوايلها . . تصير سماويةً ؛ تدخل بالتكبير في السماء كما تدخل في الصلاة ، والله تعالى حرس السماء من تصرف الشياطين ؛ فالقلب السماوي لا سبيل للشيطان إليه ، فتبقى

(١) يُقال : احتوش القوم بالصيد : إذا أحاطوا به ، وقد يتعدى بنفسه ؛ فيقال : احتوشه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٢١٠) ، وانظر « غنية العارف » (٢ / ٥٧١) .

(٣) سبق تخريجه في (١ / ١٨٤) .

هواجسُ نفسانيَّةٍ عندَ ذلكَ لا تنقطعُ بالتحصُّنِ بالسَّماءِ كانقطاعِ تصرُّفِ
الشياطينِ .

والقلوبُ المُرادَةُ بالقُربِ تُدرِّجُ بالتقريبِ ، وتُعرِّجُ في طبقاتِ
السَّماواتِ ، وفي كلِّ طبقةٍ مِنْ أَطباقِ السَّماءِ يتخلَّفُ شيءٌ مِنْ ظُلْمَةِ النَّفْسِ ،
وبقَدْرِ ذلكَ يَقِلُّ الهاجسُ ، إلى أنْ يتجاوزَ السَّماواتِ ، ويقفَ أمامَ العَرْشِ ،
فعندَ ذلكَ يذهبُ بالكُلِّيَّةِ هاجسُ النَّفْسِ بساطعِ نورِ العرشِ ، وتندرجُ ظُلُماتُ
النَّفْسِ في نورِ القلبِ اندراجَ الليلِ في النهارِ ، وتتأدَّى حيثُ حقوقُ الآدابِ
على وجهِ الصوابِ .

وما ذكْرناه مِنْ أدبِ الصَّلاةِ يسيراً مِنْ كثيرٍ ، وشأنُ الصَّلاةِ أكبرُ مِنْ
وصفنا ، وأكملُ مِنْ ذكْرنا .

وقد غَلِطَ أقوامٌ وظنُّوا أنَّ المقصودَ مِنَ الصَّلاةِ ذِكْرُ اللهِ تعالى ، وإذا حَصَلَ
الذِّكْرُ فأبْغَى حاجةً إلى الصَّلاةِ ؟! وسلَكوا طُرُقاً مِنَ الضَّلالِ ، ورَكَّنوا إلى
أباطيلِ الخيالِ ، ومَحَوْا الرُّسُومَ والأحكامَ ، ورفضوا الحلالَ والحرامَ .

وقومٌ آخرونَ سَلَكَوا في ذلكَ طريقاً أَدْنَهُمْ إلى نُقْصانِ الحالِ ؛ حيثُ
سَلِمُوا مِنَ الضَّلالِ ؛ لأنَّهُمْ اعترفُوا بالفرائضِ ، وأنكروا فَضْلَ النوافِلِ ،
واغترُّوا بيسيرِ رَوْحِ الحالِ ، وأهْمَلُوا فَضْلَ الأَعْمَالِ^(١) ، ولم يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ
في كلِّ هَيْئَةٍ مِنَ الهَيْئاتِ ، وكلِّ حَرَكَةٍ مِنَ الحَرَكَاتِ . . أسراراً وحِكْماً
لا تُوجَدُ في شيءٍ مِنَ الأَذْكارِ .

(١) في (أ ، ب ، و ، ز ، ي) : (أفضل) بدل (فضل) .

فالأحوالُ والأعمالُ رُوحٌ وجُثمانٌ ، وما دامَ العبدُ في دارِ الدُّنيا إعراضُهُ
عَنِ الأَعْمَالِ عَيْنُ الطُّغْيَانِ ، فالأعمالُ تزكو بالأحوالِ ، والأحوالُ تنمو
بالأعمالِ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب التاسع والثلاثون

في فضل الصوم وحسن أثره

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ ، وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ » (١) .

وقيل : ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد المظالم ، إلا الصوم ؛ فإنه لا يدخله قصاص (٢) .

ويقول الله عز وجل يوم القيامة : (هذا لي) ، فلا يقتصر أحد منه شيئاً .

وفي الخبر : « الصَّوْمُ لِي ، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » (٣) ، وقيل : أضافه إلى نفسه ؛ لأن فيه خُلُقاً من أخلاق الصمديّة (٤) ، وأيضاً : لأنه من أعمال السرّ

(١) روى قوله : « الصبر نصف الإيمان » : أبو نعيم في « الحلية » (٣٤ / ٥) ، والقضاعي في « المسند » (١٥٨) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (٥٩٢) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، ورواه الحاكم (٤٤٦ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٢٦٦) موقوفاً عليه ، وقوله : « والصوم نصف الصبر » : الترمذي (٣٥١٩) ، وأحمد (٢٦٠ / ٤) ، والدارمي (٦٨٠) عن رجل من بني سليم رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٥٧٤-٥٧٥ / ٢) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٢١٩ / ١) .

(٣) رواه البخاري (٧٤٩٢) ، ومسلم (١١٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) لأن (الصمد) هو الذي لا جوف له ، ولا يحتاج إلى الطعام والشراب ؛ ولهذا فضله =

مِنْ قَبِيلِ التُّرُوكِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ .

وقيلَ في تفسِيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ السَّيِّحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] : هُمُ الصَّائِمُونَ^(١) ؛ لَأَنَّهُمْ سَاحُوا إِلَى اللَّهِ بِجُوعِهِمْ وَعَطَشِهِمْ .

وقيلَ : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] : هُمُ الصَّائِمُونَ^(٢) ؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّوْمِ ، وَيُفْرَغُ لِلصَّائِمِ إِفْرَاغًا ، وَيُجَازَفُ لَهُ مُجَازَفَةً .

وقيلَ : أَحَدُ الوجوهِ فِي قولِهِ تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] : كَانَ عَمَلُهُمُ الصَّوْمَ^(٣) .

وقالَ يحيى بنُ معاذٍ رحمهُ اللهُ : (إِذَا ابْتَلِيَ الْمُرِيدُ بِكَثْرَةِ الْأَكْلِ . . بَكَتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ رَحْمَةً لَهُ ، وَمَنْ ابْتَلِيَ بِحِرْصِ الْأَكْلِ . . فَقَدْ أُحْرِقَ بِنَارِ الشَّهْوَةِ) .

= بعضهم على الصلاة ؛ لأنها تذللُّ ، وهو من صفات العبودية . انظر « اللمع » (ص ٢١٦) ، و« مرقاة المفاتيح » (١/٣٤٣) .

(١) لقوله عليه السلام : « سياحة أمتي الصوم » ، شبه بها ؛ من حيث إنه يعوق عن الشهوات ، أو لأنه رياضة نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والمملوكات ، أو السائحون للجهاد ، أو لطلب العلم . « بيضاوي » . من هامش (ح) ، وهذا التفسيرُ رواه الطبري في « تفسيره » (١٤/٥٠٣) ، وابن المقرئ في « معجمه » (٥٧٤) مرفوعاً وموقوفاً على سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٩/٢٥٦) ، والطبري في « تفسيره » (١٤/٥٠٣) ، والدولابي في « الكنى والأسماء » (٤٣٤) موقوفاً على سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وروي عن غيرهما أيضاً .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (١٥/٢٤١) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٢/٢١٩) .

وفي نفس ابن آدم ألف عضوٍ من الشرِّ كُلِّها في كفِّ الشيطانِ مُتعلِّقٌ بها ،
فإذا جَوَّعَ بطنه ، وأخذَ حلقه ، ورَوَّضَ نفسه . ييسَ كلُّ عضوٍ واحترقَ بنارِ
الجوعِ ، وفرَّ الشيطانُ من ظله ، وإذا أَشْبَعَ بطنه وتركَ حلقه في لذائذِ
الشَّهَوَاتِ . . فقد رَطَّبَ أعضاءه ، وأمكنَ الشيطانُ منه .

والشَّبَعُ نَهْرٌ في النَّفْسِ تَرِدُهُ الشَّيَاطِينُ ، والجوعُ نَهْرٌ في الرُّوحِ تَرِدُهُ
الملائكةُ ، وينهزمُ الشيطانُ من جائعٍ نائمٍ ، فكيفَ إذا كانَ قائماً ؟! ويُعَانِقُ
الشيطانُ شَبَعَاناً قائماً ، فكيفَ إذا كانَ نائماً ؟!

فقلبُ المُريدِ الصادقِ يَصْرُخُ إلى اللهِ تعالى من طلبِ النَّفْسِ الطعامَ
والشرابَ .

دخلَ رجلٌ على الطَّيَالِسِيِّ وهو يأكلُ خُبْزاً يابساً قد بَلَّه بالماءِ مع مِلْحِ
جَرِيشٍ ، فقالَ له : كيفَ تشتهي هذا ؟! قالَ : أدعُهُ حتى أَشْتَهِيَهُ^(١) .

وقيلَ : مَنْ أَشْرَفَ في مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ . . تَعَجَّلَ الصَّغَارُ والذَّلُّ إليه في
دُنْيَاهُ قبلَ آخِرَتِهِ .

وقالَ بعضهمُ : (البابُ العظيمُ الذي يُدْخِلُ منه إلى اللهِ تعالى . . قطعُ
الغِذاءِ) .

وقالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رحمه اللهُ : (إِنَّ الجوعَ يُصَفِّي الفؤَادَ ، ويُمَيِّتُ

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٥٧٨) ، وأورده ابن قتيبة في « عيون
الأخبار » (٣٦٤ / ٢) ، والآبي في « نثر الدر » (١٢٥ / ٢) ، وفي جميعها : (داود
الطائي) بدل (الطيالسي) ، ولعل المثبت تحرف من (الطائي) إلى (الطيالسي) ،
والله تعالى أعلم .

الهوى ، ويُورث العلمَ الدقيقَ (١) .

وقالَ ذو النُّونِ رَحِمَهُ اللهُ : (ما أَكَلْتُ حتَّى شَبِعْتُ ، ولا شَرِبْتُ حتَّى رَوَيْتُ . . . إلَّا عَصَيْتُ اللهَ ، أوْ هَمَمْتُ بِمَعْصِيَةِ) (٢) .

وروى القاسمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عن عائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَتْ :
كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ وَنَصْفُ شَهْرٍ ما يَدْخُلُ بَيْتَنَا نَارٌ ؛ لا لِمَصْبَاحٍ
ولا لغيرِهِ ، قالَ : قلتُ : سُبْحَانَ اللهِ !! فَبأيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟! قالَتْ :
الْتِمْرُ والماءُ ، وكانَ لَنَا جِيرانٌ مِنَ الْأَنْصارِ جِزَاهُمُ اللهُ خَيْراً ، كانتْ لَهُمْ
مَنائِحُ ، فَرَبَّما أَرْسَلُوا لَنَا بِشَيْءٍ (٣) .

وَرَوَيْ أَنَا حَفْصَةُ بِنْتُ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَتْ لأبيها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :
إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْسَعَ الرِّزْقَ ، فلو أَكَلْتُ طَعاماً أَكْثَرَ مِنْ طَعامِكَ ، وَلِيسَتْ ثياباً
أَلْبِنَ مِنْ ثيابِكَ ؟ فقالَ : أَنَا أَخْصِمُكَ إلى نَفْسِكَ ، أَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ
رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِذا ؟! يَقولُ مَراراً ، فَبَكَتْ ، فقالَ : قد
أَخْبَرْتُكَ ، واللهِ ؛ لأُشَارِكَنَّكَ في عَيْشِهِ الشَّدِيدِ ؛ لَعَلِّي أُصِيبُ عَيْشَهُ الرَّخِيَّ (٤) .

(١) رواه ابن بشاران في « أماليه » (١٥٤١) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد »
(٤٦٧ / ٤) .

(٢) رواه أبو موسى المدني في « نزهة الحفاظ » (ص ٨٨) ، وأورده الخركوشي في
« تهذيب الأسرار » (ص ١٦٨) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٠٧ / ٥) .

(٣) رواه بنحوه البخاري (٢٥٦٧) ، ومسلم (٢٩٧٢) من رواية عروة بن الزبير
لا القاسم بن محمد ، والمنايح : جمع (منيحة) ؛ وهي الغنم فيها اللبن ، وانظر
« غنية العارف » (٥٧٧ / ٢) .

(٤) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١١٨٠٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف »
(٣٥٤٧٥) ، والحاكم (١٢٣ / ١) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠١٢١) .

وقال بعضهم : (ما نخلتُ لعمرٍ دقيقاً إلا وأنا له عاصٍ)^(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : (ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيامٍ من خُبزٍ بُرٍّ حتى مضى لسبيله)^(٢) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : أديموا قرعَ بابِ المَلَكُوتِ . . يُفتح لكم ، قالوا : كيف نديم ؟ قالت : بالجوعِ والعطشِ والظَّمَا^(٣) .

وقيل : ظَهَرَ إبليسُ ليحيى بن زكريَّا عليهما السلامُ وعليه معاليقُ ، فقال : ما هذه ؟ قال : الشهواتُ التي أُصيبُ بها ابنُ آدمَ ، قال : هل تجدُ لي فيها شهوةً ؟ قال : لا ، غيرَ أنَّكَ شَبِعْتَ ليلةً فثَقُلْنَاكَ عن الصلاةِ والذِّكْرِ ، فقال : لا جَرَمَ أَنِّي لا أشبعُ أبداً ، قال إبليسُ : لا جَرَمَ أَنِّي لا أنصحُ أحداً أبداً^(٤) .

وقال شقيقُ رحمة الله : (العبادَةُ حِرْفَةٌ ، وحنوتُها الخَلْوَةُ ، وآلاتُها الجوعُ)^(٥) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٩٤) ، وابن المبارك في « الزهد » (٥٨٣) ، وابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٧٧) ، والبعض : هو سيدنا يسار بن نُمير خازن سيدنا عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (٦٦٨٧) ، ومسلم (٢٩٧٠ / ٢١) ، واللفظ له .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٣٨٨ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٢٩١-٢٩٢ / ٥) مرفوعاً عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وهي السائلة ، وقال عنه العراقي في « المغني » (٢٧٥٧) : (لم أجده) ، وقال الزبيدي في « الإتحاف » (١٩٤ / ٤) : (هو في كتاب « العوارف » من قول عائشة . . . وهذا أشبه) ، وأورده الخركوشي في « التهذيب » (ص ١٧٢) عن ابن عائشة .

(٤) رواه أحمد في « الزهد » (٣٩٣) ، وابن أبي الدنيا في « الرقة والبكاء » (٤٠٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٢٨ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣٠٨) .

(٥) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٣٥) ، والغزالي في =

وقال لقمان لابنه : (إذا مُلِثَتِ المَعِدَةُ نامَتِ الفِكرَةُ ، وخرِسَتِ
الحكمة ، وقعدتِ الأعضاء عن العبادَةِ) (١) .

وقال الحسنُ رحمه الله : (لا تَجْمَعُوا بينَ الأذْمينِ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ طعامِ
المنافقينِ) (٢) .

وقال بعضهم : (أَعُوذُ باللهِ مِنْ زَاهِدٍ قد أَفْسَدَتْ مَعِدَتُهُ ألوانَ أطعمَةِ
الأغنياءِ) (٣) .

فِكرُهُ لِلْمُرِيدِ أَنْ يُوالِيَ فِي الإفطارِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ عِنْدَ

= « الإحياء » (٢٩٤ / ٥) .

(١) أورده أبو حيان التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٣٥) ، والغزالي في
« الإحياء » (٢٩٤ / ٥) .

(٢) الأذم : ما يُؤْكَلُ مع الخبز ، والمراد : النهي عن الجمع في الطعام بين إدامين فأكثر .

(٣) أورده الطرطوشي في « تحريم الغناء والسماع » (ص ١٨٠) ، وابن الحاج في
« المدخل » (١١٣ / ٣) ، وعزواه إلى يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ، ومن
المناسب إيرادها هنا : ما سئل عنه إمامنا المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أَنَّهُ هل يجوز
للمريد معاشرَةَ الأغنياء ومجالستَهُم والتواضعُ لَهُم وأكلُ أموالِهِم من غير بحثٍ عنها ،
وإدعاء قُوَّةِ الحال في ذلك والاستسلامُ للأحكام في مجاري التوحيد ؟

فأجاب : بأنَّهُ لا ينبغي للمريد أن يتواضع للأغنياء لموضع غناهم ، ولا يرفع حاجتَهُ
إليهم إلا إذا دعتِ الضرورةُ لذلك من غير اعتمادٍ عليهم بقلبه في المنع والعطاء ، بل
لارتباط العادة بالوجوه وتتمام الحكمة في هذه الدار ، وإذا علم أنَّ المال حرام . . لم
يجز له التلبُّسُ به البتَّة ، ولا يحملُهُ الغرور والاعتماد على الحال أن يأكل المالَ الحرام ؛
فإنَّ المريد الصحيح يأنف من المباح أن يتناولَ منه شيئاً بالغفلة فضلاً عن أن يكون
شبهة ، إلا أن تدعوه لذلك ضرورةٌ مُسوَّغة له بالشرع مخافة التلف والإهلاك ، وأمَّا
الحرام فلا يجوز له البتَّة ؛ فإنَّ مِنْ صَحَّةِ أمره وصِدْقِ حاله ألا يطفئ نورَ حالِهِ نورَ
ورعه ، سواء كان مُتَجَرِّداً أو مُتَأَهِّلاً ؛ فالله سبحانه وتعالى يعصمنا بكرمه . « أجوبة
السهروردي » (ق / ٢٥) .

ذلك تركنُ إلى العادة ، وتتسعُ بالشهوة .

وقيلَ : الدُّنيا بَطْنُكَ ، على قَدَرِ زُهْدِكَ في بَطْنِكَ زَهْدُكَ في الدنيا^(١) .

وقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقْمَنَ صُلْبُهُ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لِلطَّعَامِ ، وَتُلْتُ لِلشَّرَابِ ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ »^(٢) .

وقالَ فَتَحُ المَوْصِلِيُّ رحمهُ اللهِ : (صَحِبْتُ ثَلَاثِينَ شَيْخًا ؛ كُلُّ يُوَصِّينِي عِنْدَ مُفَارَقَتِي إِيَّاهُ بِتَرْكِ عِشْرَةِ الْأَحْدَاثِ ، وَقِلَّةِ الْأَكْلِ)^(٣) .



(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٣٢ / ١٠) ، والسلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢١٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٥٣٢٤) عن محمد بن الفضل البلخي رحمه الله تعالى .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٦٧٣٧) ، وابن ماجه (٣٣٤٩) ، وأحمد (١٣٢ / ٤) عن سيدنا المقدام بن معدى كرب رضي الله عنه ، وفي بعض النسخ : (طعام ، شراب) بدل (للطعام ، للشراب) ، وهي رواية النسائي وأحمد .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٧٨٢) ، وابن الجوزي في « ذم الهوى » (٣٦٩) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب الأربعون

في اختلاف أحوال الصوفية في الصوم والإفطار

جمعٌ من مشايخ الصوفية كانوا يُدِيمُونَ الصَّوْمَ في السَّفَرِ والحَضَرِ على الدوامِ حتى لِحَقُّوا بالله تعالى .

وكان أبو عبد الله بن جابار صامَ نيفاً وخمسين سنةً لا يُفْطِرُ في السفرِ والحَضَرِ ، فجهَدَ به أصحابُه يوماً فأفطَرَ ، فاعتلَّ من ذلك أيَّاماً^(١) .

فإذا رأى المريدُ صلاحَ قلبه في دوامِ الصومِ . . فليصُمَ دائماً ويدعِ الإفطارَ جانباً ؛ فهو عونٌ حسنٌ له على ما يريدُ .

روى أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّمَ : « مَنْ صَامَ الدَّهْرَ ضَيَّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ هَكَذَا » ، وعَقَدَ تسعينَ^(٢) ؛ أي : لم يكنْ له فيها موضعٌ .

وَكَرِهَ قَوْمٌ صَوْمَ الدَّهْرِ ، وقد وَرَدَ في ذلك ما رواه أبو قتادة رضي الله عنه

(١) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢١٨) ، وابن جابار : هو محمد الصوفي الهمداني صاحب أبي بكر الشبلي ، وانظر « الإكمال » لابن ماكولا (١١/٢) .

(٢) رواه أحمد (٤١٤/٤) ، وابن حبان (٣٥٨٤) ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٥١٦) ، ورواه موقوفاً ابن أبي شيبة في « المصنف » (٩٦٤٦) ، وأحمد في « الزهد » (١٠٩٥) ، وأبو داود الطيالسي في « المسند » (٥١٥) .

قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ بَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ ؟ قَالَ : « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ »^(١) .

وَأَوَّلَ قَوْمٍ : أَنَّ صَوْمَ الدَّهْرِ هُوَ أَلَّا يُفْطَرَ الْعِيدَيْنِ وَأَيَّامَ التَّشْرِيقِ ، فَهَذَا الَّذِي يُكْرَهُ ، وَإِذَا أَفْطَرَ هَذِهِ الْأَيَّامَ فَلَيْسَ هُوَ الصَّوْمَ الَّذِي كَرِهَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ؛ وَقَدْ وَرَدَ : « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ ؛ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا »^(٢) ، وَاسْتَحْسَنَ ذَلِكَ قَوْمٌ مِنَ الصَّالِحِينَ ؛ لِيَكُونَ بَيْنَ حَالِ الصَّبْرِ وَحَالِ الشُّكْرِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، أَوْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ .

وَقِيلَ : كَانَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَأْكُلُ فِي كُلِّ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مَرَّةً ، وَفِي رَمَضَانَ يَأْكُلُ أَكْلَةً وَاحِدَةً ، وَكَانَ يُفْطِرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ لِلْسُّنَّةِ^(٣) .

وَحُكِيَ عَنِ الْجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَنَّهُ كَانَ يَصُومُ عَلَى الدَّوَامِ ، فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ إِخْوَانُهُ أَفْطَرَ مَعَهُمْ وَيَقُولُ : لَيْسَ فَضْلُ الْمُسَاعَدَةِ مَعَ الْإِخْوَانِ بِأَقْلٍ مِنْ فَضْلِ الصَّوْمِ^(٤) .

(١) رواه مسلم (١١٦٢ / ١٩٧) وغيره .

(٢) رواه الترمذي (٧٧٠) ، وأحمد (٣١٤ / ١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وأصله في « البخاري » (١٩٧٩) ، و« مسلم » (١٨٧ / ١١٥٩) ضمن سياق آخر .

(٣) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢١٧) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤٠) ، والقَرَّاح : الصافي الذي لا يشوبه شيء .

(٤) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٢٠) .

غير أنَّ هذا الإفطار يحتاجُ إلى عِلْمٍ ؛ فقد يكونُ الداعي إلى ذلك شِرَّةَ
النَّفْسِ لا نِيَّةَ المُوَافَقَةِ^(١) ، وتخليصُ النِّيَّةِ لِمَحْضِ المُوَافَقَةِ مع وجودِ شِرَّةِ
النَّفْسِ .. صعبٌ .

وسمعتُ شيخنا رحمه الله يقولُ : لي سنينَ ما أكلتُ شيئاً بشهوةِ نفسٍ
ابتداءً واستدعاءً ، بل يُقدِّمُ لي الشيءُ فَأَرَى فضلَ الله ونعمتهُ وفِعْلَهُ ، فأُوافِقُ
الحقَّ في فعلِهِ .

وذكرَ أَنَّهُ ذاتَ يومٍ اشتهى الطعامَ ولم يحضرْ مَنْ عادتهُ تقديمُ الطعامِ
إليه ، قالَ : ففتحتُ بابَ البيتِ الذي فيه الطعامُ وأخذتُ رُمَّانَةً لآكلها ،
فدخلتِ السَّنورُ وأخذتُ دجاجةً كانتُ هناكَ ، فقلتُ : هذا عقوبةٌ لي على
تَصَرُّفي في أَخْذِ الرُّمَّانِ .

ورأيتُ الشيخَ أبا السُّعودِ رحمه الله عليه يتناولُ الطعامَ في اليومِ
مرَّاتٍ^(٢) ، أيَّ وقتٍ أُحضِرَ الطعامُ أكلَ منه ، ويرى أنَّ تناوله الطعامَ موافقةٌ
للحقِّ ؛ لأنَّ حالَهُ معَ الله كانَ تركَ الاختيارِ في مأكولِهِ وملبوسِهِ وجميعِ
تصاريفِهِ ، وكانَ حالُهُ الوقوفَ معَ فِعْلِ الحقِّ .

وقد كانَ لَهُ في ذلكَ بدايةٌ يَعِزُّ مثلها ؛ حتى لعلَّ كانَ يبقى أَيْاماً لا يأكلُ

(١) الشَّرَّةُ : الحرصُ والرغبة والنشاط ، ويحتملُ أن تكونَ (شَرَه) كما في بعض النسخ ،
وكذلك في الموضع الآتي .

(٢) أبو السعود : هو الإمام العابد الزاهد أبو السعود بن الشبل العطار الحريمي (ت
٥٨٢هـ) ، من أصحاب القطب العارف سيدي عبد القادر الجيلاني ، وكان ذا أحوال
وكرامات ، وقد سبق ما يُؤيِّد ما ذكره هنا . انظر « تاريخ الإسلام » (٤١ / ١٥٠-١٥١) ،
وما سبق في (٤٥٠ / ١) .

ولا يعلمُ أحدٌ بحالِهِ ، ولا يتصرَّفُ هوَ لنَفْسِهِ ، ولا يتسبَّبُ إلى تناولِ شيءٍ ،
وينتظرُ فِعْلَ الحقِّ بسياقِهِ الرزقَ إليه ، ولم يشعرْ بحالِهِ أحدٌ مُدَّةً مِنَ الزمانِ .
ثمَّ إِنَّ اللهَ تعالى أظهرَ حالَهُ ، وأقامَ لَهُ الأصحابَ والتلامذةَ ، وكانوا
يتكلَّفونَ الأطعمَةَ ويأتونَ بها إليه ، وهو يرى في ذلك فِعْلَ الحقِّ
والمُوافقةَ^(١) .

سمعتُهُ يقولُ : (أَصْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ وَأَحَبُّ مَا إِلَيَّ الصَّوْمُ ، فينقضُ الحقُّ
عليَّ مَحَبَّتِي للصَّوْمِ بفعلِهِ ، فأُوافقُ الحقَّ في فعلِهِ) .
وحكيَ عن بعضِ الصادقينَ مِنْ أَهْلِ واسطَ أَنَّهُ صَامَ سَنِينَ كَثِيرَةً ، وكانَ
يُفْطِرُ كُلَّ يَوْمٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، إلا في رَمَضانَ^(٢) .

وقالَ أبو نَصْرِ السَّرَّاجُ : (أَتَكَرَّ قَوْمٌ هَذَا ؛ لِمُخَالَفَةِ الْعِلْمِ وَإِنْ كَانَ
الصَّوْمُ تَطَوُّعًا ، واستحسنَهُ آخَرُونَ ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ كَانَ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَأْدِيبَ
النَّفْسِ بِالْجُوعِ ، وَأَلَّا يَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ الصَّوْمِ)^(٣) .

وَوَقَعَ لِي : أَنَّ هَذَا إِنْ قَصَدَ أَلَّا يَتَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ الصَّوْمِ . . فقد تَمَتَّعَ بِرُؤْيَةِ
عَدَمِ التَمَتُّعِ بِرُؤْيَةِ الصَّوْمِ ، وهذا يتسلسلُ ، والألئِقُ مُوَافَقَةُ الْعِلْمِ وَإِمضاءُ
الصَّوْمِ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] .

ولكنَّ أَهْلَ الصَّدَقِ لَهُمْ نِيَّاتٌ فِيمَا يَفْعَلُونَ ، فلا يُعَارِضُونَ ، والصَّدَقُ
محمودٌ لِعَيْنِهِ كَيْفَ كَانَ ، والصادقُ في خُفَّارَةِ صِدْقِهِ كَيْفَ تَقَلَّبَ .

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ي) : (فضل الحق) بدل (فعل الحق) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٢٠) .

(٣) اللمع (ص ٢٢١) .

وقال بعضهم : (إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع . . فاتهمه ؛ فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا)^(١) .

وقيل : إذا كانوا جماعة متوافقين أشكالا وفيهم مُريد . . يحثونه على الصيام ، فإن لم يُساعدوه يهتموا لإفطاره ويتكلفوا له رفقا به ، ولا يحملون حاله على حالهم ، وإن كانوا جماعة مع شيخ يصومون لصومه ويفطرون لإفطاره ، إلا من يأمره الشيخ بغير ذلك^(٢) .

وقيل : إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه ؛ حتى ينظر الشاب إليه ، فيتأدب به ويصوم بصيامه^(٣) .

وحكي عن أبي الحسن المكي أنه كان يصوم الدهر ، وكان مُقيماً بالبصرة ، وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة ، وكان قوته في كل شهر أربعة دنانير^(٤) ، يعمل بيده جبال الليف ويبيعها ، وكان الشيخ أبو الحسن ابن سالم يقول : لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل^(٥) .

فكان ابن سالم اتهمه بشهوة خفية له في ذلك ؛ لأنه كان مشهوراً بين الناس^(٦) .

(١) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٢٠) ، وعلله في هامش (ح) بقوله : (لأن الصائم يهتم بالرزق قبل الصوم ، وبعده غالباً) .

(٢) انظر « اللمع » (ص ٢٢٠) .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٢٠) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٤٠) .

(٤) الدنانير : جمع (دانيق) ؛ وهو سُدُس الدرهم .

(٥) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٢٠) .

(٦) أي : كان مشهوراً بين الناس بصوم الدهر .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (مَا أَخْلَصَ عَبْدُ اللَّهِ قَطُّ إِلَّا أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ فِي جُبٍّ لَا يُعْرَفُ ، وَمَنْ أَكَلَ فَضْلًا مِنَ الطَّعَامِ أَخْرَجَ فَضْلًا مِنَ الْكَلَامِ) (١) .

وَقِيلَ : أَقَامَ أَبُو الْحَسَنِ التَّنِيسِيُّ بِالْحَرَمِ مَعَ أَصْحَابِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلُوا ، فَخَرَجَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ لِيَتَطَهَّرَ ، فَرَأَى قِشْرَ بَطِيخٍ ، فَأَخَذَهُ وَأَكَلَهُ ، فَرَأَاهُ إِنْسَانٌ ، فَاتَّبَعَ أَثَرَهُ وَجَاءَ بِرَفِقٍ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : مَنْ جَنَى مِنْكُمْ هَذِهِ الْجِنَايَةَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ : أَنَا ؛ وَجَدْتُ قِشْرَ بَطِيخٍ فَأَكَلْتُهُ ، فَقَالَ : كُنْ أَنْتَ مَعَ جِنَايَتِكَ وَرِفْقِكَ ، فَقَالَ : أَنَا تَائِبٌ مِنْ جِنَايَتِي ، فَقَالَ : لَا كَلَامَ بَعْدَ التَّوْبَةِ .

وكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ صِيَامَ أَيَّامِ الْبَيْضِ (٢) ؛ وَهُوَ الثَّلَاثَ عَشَرَ ، وَالرَّابِعَ عَشَرَ ، وَالْخَامِسَ عَشَرَ .

رُوي أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ اسْوَدَّ جَسَدُهُ مِنْ أَثَرِ الْمَعْصِيَةِ (٣) ، فَلَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمَرَهُ أَنْ يَصُومَ أَيَّامَ الْبَيْضِ ، فَايْضَ ثُلُثُ جَسَدِهِ بِكُلِّ يَوْمٍ صَامَ ، حَتَّى ايْضَ جَمِيعُ جَسَدِهِ بِصِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ (٤) .

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥ / ٦٧) عن أبي عبد الله الرازي رحمه الله تعالى .

(٢) وجمع الأبيض : (بِيض) ، وَأَصْلُهُ : (بَيْض) ، وَإِنَّمَا أَبْدَلُوا مِنَ الضَّمَّةِ كسرة لتصح الياء . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) الْأَصْحُ الْمُخْتَارُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ : أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ مَعْصُومُونَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَصَغَائِرِهَا عَمْدًا وَسَهْوًا . انظر « الشفاء » للقاضي عياض (ص ٦٠٦) وما بعدها ، و« مرقاة المفاتيح » (١٧٢٠ / ٥) .

(٤) رواه الخطيب في « أماليه » كما في « كنز العمال » (٢٤١٩٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٩ / ٧ - ٤٢٠) مرفوعاً وموقوفاً على سيدنا عبد الله بن مسعود =

ويستحبُّونَ صَوْمَ النِّصْفِ الأوَّلِ مِنْ شَعْبَانَ ، وإِفْطَارَ نِصْفِهِ الْآخِرِ ، وإنْ
وَاصَلَ بَيْنَ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ فَلَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِمًا فَلَا يَسْتَقْبِلُ
رَمَضَانَ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ .

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَكْرَهُ أَنْ يُصَامَ رَجَبٌ جَمِيعُهُ ؛ كِرَاهَةً الْمُضَاهَاةِ بِرَمَضَانَ .
وَيُسْتَحَبُّ صَوْمُ الْعَشْرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَالْعَشْرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ .
وَيُسْتَحَبُّ الْخَمِيسُ وَالْجُمُعَةُ وَالسَّبْتُ أَنْ يُصَامَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ^(١) ؛
وَرَدَ فِي الْخَبَرِ : « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ حَرَامٍ ؛ الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ
وَالسَّبْتَ . . بَعْدَ مِنَ النَّارِ سَبْعَ مِائَةٍ عَامٍ » ^(٢) .



= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالدَّيْلَمِيُّ فِي « الْفَرْدُوسِ » (١٣٨٣) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (٥٨٥ / ٢) .

(١) الْمُرَادُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ : رَجَبٌ ، وَذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ . مِنْ هَامِشٍ
(ح) .

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (١٧٨٩) ، وَفِيهِ : (كَتَبْتُ لَهُ عِبَادَةَ سَنَتَيْنِ) بَدَلِ
(بَعْدَ مِنَ النَّارِ . .) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي « فَضَائِلِ الْأَوْقَاتِ » (٣٠٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (٥٨٦ / ٢) .

الباب الحادي والأربعون

في آداب الصوم ومحامه

أدب الصُوفيّة في الصوم : ضبط الظاهر والباطن ، وكفّ الجوارح عن الآثام ؛ كمنع النفس عن الطعام ، ثمّ كفّ النفس عن الاهتمام بالأقسام . سمعتُ أنّ بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه أنّهم كانوا يصومون ، فكلّ ما فُتح عليهم قبل وقت الإفطار يُخرِجونه ، ولا يُفطرون إلا على ما فُتح لهم وقت الإفطار .

وليس من الأدب أن يُمسك المرید عن مُباح الطعام ، ويُفطر بحرام الآثام .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : (يا حبّذا نوم الأكياس وفطرهم !! كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم ؟! ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل من أمثال الجبال من أعمال المغترّين)^(١) .

ومن فضيلة صومه وأدبه : أن يُقلّل الطعام عن الحدّ الذي كان يأكله وهو مُفطر ، وإلا إذا جمع الأكلات بأكلة واحدة . فقد أدرك ما فوّت .

ومقصود القوم من الصوم : قهر النفس ومنعها من الاتّساع ، وأخذهم

(١) رواه أحمد في « الزهد » (٧٣٨) ، وابن أبي الدنيا في « اليقين » (٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢١١ / ١) ، وفيهما : (يعيون) بدل (يغبنون) .

مِنَ الطَّعَامِ قَدَرَ الضَّرُورَةِ ؛ لَعَلِّهِمْ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى الضَّرُورَةِ يَجْذِبُ النَّفْسَ
فِي سَائِرِ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ إِلَى الضَّرُورَةِ .

وَالنَّفْسُ مِنْ طَبْعِهَا أَنَّهَا إِذَا قَهَرَتْ لِلَّهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ عَلَى
الضَّرُورَةِ . . تَأْذِي ذَلِكَ إِلَى سَائِرِ أَحْوَالِهَا ، فَيَصِيرُ الْأَكْلُ ضَرُورَةً ، وَالنَّوْمُ
ضَرُورَةً ، وَالْقَوْلُ وَالْفِعْلُ ضَرُورَةً ، وَهَذَا بَابٌ كَبِيرٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ
لَأَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَجِبُ رِعَايَتُهُ وَافْتِقَادُهُ^(١) .

وَلَا يُخَصُّ بِعِلْمِ الضَّرُورَةِ وَفَائِدَتِهَا وَطَلِبِهَا إِلَّا عَبْدٌ يُرِيدُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَنْ
يُقَرَّبَهُ وَيُذِنِّيَهُ ، وَيَصْطَفِيَهُ وَيُرِيِيَهُ .

وَيَمْتَنِعُ فِي صَوْمِهِ مِنْ مُلَاعَبَةِ الْأَهْلِ بِالْمُلَامَسَةِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَنْزَعُ لِلصَّوْمِ .
وَيَتَسَحَّرُ ؛ اسْتِعْمَالاً لِلسُّنَّةِ ، وَهُوَ أَدْعَى إِلَى إِمْضَاءِ الصَّوْمِ ؛ لِمَعْنَيْنِ ؛
أَحَدُهُمَا : عَوْدُ بَرَكَةِ السُّنَّةِ عَلَيْهِ ، وَالثَّانِي : التَّقْوِيَةُ بِالطَّعَامِ عَلَى الصَّيَامِ .

رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ : « تَسَحَّرُوا ؛ فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكََةً »^(٢) .

(١) فِي (ج) وَنَسَخَةً عَلَى هَامِشٍ (و) : (وَتَفَقَّدَهُ) ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٢٣) ، وَمُسْلِمٌ (١٠٩٥) ، وَقَوْلُهُ : (السَّحُورُ) قَالَ الْقَارِي فِي
« مِرْقَاةَ الْمِفَاتِيحِ » (١٣٨٠ / ٤) : (الرِّوَايَةُ الْمَحْفُوظَةُ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ : فَتَحَ السِّينَ ؛
وَهُوَ مَا يُتَسَحَّرُ بِهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ) ، وَقَالَ أَيْضاً نَقْلاً عَنْ « النَّهْيَةِ » : (أَكْثَرُ
مَا يُرْوَى : بِالْفَتْحِ ، وَقِيلَ : الصَّوَابُ بِالضَّمِّ ؛ لِأَنَّهُ الْمَصْدَرُ ، وَالْأَجْرُ فِي الْفِعْلِ لَا فِي
الطَّعَامِ) ، ثُمَّ قَالَ : (وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : الصَّوَابُ : بِالْفَتْحِ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ إِنَّمَا يُنَابُ عَلَيْهِ
لِكَوْنِهِ مُوَافِقاً لاسْتِعْمَالِ السُّنَّةِ ، فَإِذَا أُثْبِتَ عَلَى أَثَرِهِ فَبِالْأَوَّلَى عَلَى نَفْسِهِ ؛ فَيُفِيدُ مِنَ
الْمُبَالَغَةِ مَا لَا يَخْفَى) .

وَيُعَجِّلُ الْفِطْرَ ؛ عَمَلًا بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ لَمْ يُرَدْ تَنَاوَلَ الطَّعَامَ إِلَّا بَعْدَ الْعِشَاءِ ،
وَيُرِيدُ إِحْيَاءَ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ . . يُفِطِرُ بِالمَاءِ ، أَوْ عَلَى أَغْدَادٍ مِنَ الزَّبِيبِ أَوْ
الْتَمْرِ ، أَوْ يَأْكُلُ لُقْمًا إِنْ كَانَتِ النَّفْسُ تُنَازِعُ^(١) ؛ لِيَصْفَوْا لَهُ الْوَقْتُ بَيْنَ
الْعِشَاءَيْنِ ؛ فِي إِحْيَاءِ ذَلِكَ فَضْلٌ كَثِيرٌ^(٢) ، وَإِلَّا فَيَقْتَصِرُ عَلَى الْمَاءِ لِأَجْلِ
السُّنَّةِ .

(١١٤) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْعَالِمُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التَّرْيَاقِيُّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، عَنْ قُرَّةَ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ
أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ : أَعَجَلُهُمْ فِطْرًا »^(٣) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا
الْفِطْرَ »^(٤) .

(١) فِي (ب) : (لُقْمَةً) بَدَلَ (لُقْمًا) ، وَفِي (هـ) : (لُقَيْمَات) .

(٢) قَالَ أَحْمَدُ [بْنِ أَبِي] الْحَوَارِيِّ : قُلْتُ لِأَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِيِّ : أَصُومُ النَّهَارَ وَأَتَعَشَّى بَيْنَ
الْمَغْرَبِ وَالْعِشَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ، أَوْ أَفِطِرُ بِالنَّهَارِ وَأُحْيِي مَا بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : إِنْ جَمَعْتَ ذَلِكَ
فَعَظِيمٌ ، وَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ بَيْنَ صَوْمِ النَّهَارِ وَالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ . . فَأَفِطِرْ وَصَلِّ بَيْنَ
الْعِشَاءَيْنِ . مِنْ « الْإِحْيَاءِ » . مِنْ هَامِش (ح) .

(٣) سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ (٧٠٠) ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٣٧/٢ - ٢٣٨) ، وَابْنُ حِبَانَ (٣٥٠٧) .

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٥٧) ، وَمُسْلِمٌ (١٠٩٨) عَنْ سَيِّدِنَا سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

والإفطار قبل الصلاة سنة ؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جُرْعَةٍ مِنْ مَاءٍ ، أو مَذْقَةٍ مِنْ لَبَنٍ ، أو تَمَرَاتٍ ^(١) .

وفي الخبر : « كَمْ مِنْ صَائِمٍ حَظَّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ !! » ^(٢) .

قيل : هو الذي يجوع بالنهار ويفطر على الحرام ^(٣) .

وقيل : هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام ويفطر على لحوم الناس بالغيبة ^(٤) .

وقال سفيان رحمه الله : (مَنْ اغْتَابَ فَسَدَ صَوْمُهُ) ^(٥) .

وعن مجاهد رحمه الله : (خَصَلَتَانِ تُفْسِدَانِ الصَّوْمَ : الْغِيْبَةُ ، وَالْكَذِبُ) ^(٦) .

وقال الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله : (قَرَنَ اللَّهُ الْإِسْتِمَاعَ إِلَى الْبَاطِلِ وَالْقَوْلَ بِالْإِثْمِ إِلَى أَكْلِ الْحَرَامِ ؛ فَقَالَ : ﴿ سَمَّعُوا لِلْكَذِبِ أَكَلُوا لِلشُّحِّ ﴾ [المائدة : ٤٢]) ^(٧) .

(١) رواه بنحوه أبو داود (٢٣٥٦) ، والترمذي (٦٩٦) ، وأحمد (١٦٤ / ٣) ، والحاكم

(٤٣٢ / ١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والمذقة : اللبن المخلوط بالماء .

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٩٠) ، وأحمد (٣٧٣ / ٢) ، والدارمي (٢٧٦٢) ، والبيهقي في

« السنن الكبرى » (٢٧٠ / ٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١٢٤٧ / ٣) .

(٤) زاد في (أ ، ي) : (أو الكذب) ، وانظر « قوت القلوب » (١٢٤٧ / ٣) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٤٧ / ٣) ، وسفيان : هو الثوري رحمه الله

تعالى ، وفسد صومه : ذهب ثوابه ، وقال الزبيدي في « الإتحاف » (٢٤٥ / ٤) :

(وقيل : إنَّ مذهب سفيان إفساد الصوم بالغيبة حقيقة ، هكذا حكاه المنذري عنه وعن

عائشة ، وذهب الأوزاعي إلى هذا ؛ فأوجب عليه القضاء ، وسائر العلماء على خلافه) .

(٦) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٨٩٨٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣٧٨) .

(٧) قوت القلوب (٢٢٢ / ١) .

وَوَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَجْهَدَهُمَا الْجَوْعُ وَالْعَطَشُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ ، حَتَّى كَادَتَا أَنْ تَتَلَفَا ، فَبَعَثْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَأْذِنَانِهِ فِي الْإِفْطَارِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا قَدْحًا وَقَالَ : « قُولُوا لَهُمَا : قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا » ، فَقَاءَتْ إِحْدَاهُمَا نَصْفَهُ دَمًا عَيْطًا وَلَحْمًا غَرِيضًا^(١) ، وَقَاءَتْ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى مَلَأَتْهُ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمَا ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا »^(٢) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ . . فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ ، فَإِنْ أَمْرُو شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ »^(٣) .

وَفِي الْخَبَرِ : (إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ ، فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ)^(٤) .

(١) الْعَيْطُ : الطَّرِي الْخَالِصُ الَّذِي لَا خَلْطَ فِيهِ ، وَالْغَرِيضُ : الطَّرِي .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤٣١ / ٥) ، وَأَبُو يَعْلَى فِي « الْمُسْنَدِ » (١٥٧٦) ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « ذِمِّ الْغَنِيَّةِ » (٣٣) عَنْ سَيِّدِنَا عُبَيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي « الْمُسْنَدِ » (٢٢٢١) ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « الصِّمْتِ » (١٧٠) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي « الشَّعْبِ » (٦٢٩٦) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٩٠٤) ، وَمُسْلِمٌ (١٦٣ / ١١٥١) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوتِ » (٢٢٤ / ١) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » (١١٩ / ٢) ، وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي « الْمَغْنِيِّ » (٧٤٣) : (رَوَاهُ الْخُرَائِطِيُّ فِي « مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي حَدِيثِ الْأَمَانَةِ وَالصَّوْمِ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ) ، وَقَالَ الْغَمَارِيُّ فِي « الْغَنِيِّ » (٥٩٢ / ٢) مُعَقِّبًا عَلَى كَلَامِ الْعِرَاقِيِّ : (كَذَا قَالَ ، وَالْوَأَقُ بِخِلَافِهِ ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ الْمَذْكُورَ لَيْسَ فِيهِ حَدِيثُ الْبَابِ ، وَإِنَّمَا فِيهِ أَنَّ الْأَمَانَةَ تَكُونُ فِي الصَّلَاةِ وَفِي الصَّوْمِ وَفِي الْوُضُوءِ وَفِي الْحَدِيثِ ؛ فَهُوَ حَدِيثٌ آخَرُ بَعِيدٌ لَفْظُهُ عَنْ حَدِيثِ الْبَابِ) .

وَالصُّوفِيُّ الَّذِي لَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْلُومٍ ، وَلَا يَدْرِي مَتَى يُسَاقُ إِلَيْهِ الرِّزْقُ ،
فَإِذَا سَاقَ اللَّهُ إِلَيْهِ الرِّزْقَ تَنَاوَلَهُ بِالْأَدَبِ ، وَهُوَ دَائِمُ الْمُرَاقَبَةِ لَوَقْتِهِ ، فَهُوَ فِي
إِفْطَارِهِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لَهُ مَعْلُومٌ مُعَدٌّ ، فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ يَصُومُ فَقَدْ أَكْمَلَ
الْفَضْلَ .

حُكِّيَ عَنْ رُوَيْمِ بْنِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : اجْتَزْتُ فِي الْهَاجِرَةِ بَعْضَ
سِكِّكِ بَغْدَادَ^(١) ، فَعَطِشْتُ ، فَتَقَدَّمْتُ إِلَى بَابِ دَارٍ ، فَاسْتَسْقَيْتُ ، فَإِذَا جَارِيَةٌ قَدْ
خَرَجَتْ وَمَعَهَا كُوزٌ جَدِيدٌ مَلَأَنُ مِنَ الْمَاءِ الْمُبَرَّدِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ يَدِهَا
قَالَتْ : صُوفِيٌّ وَيَشْرَبُ بِالنَّهَارِ ؟ ! وَضَرَبْتُ بِالْكُوزِ عَلَى الْأَرْضِ وَانْصَرَفْتُ ، قَالَ
رُوَيْمٌ : فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَذَرْتُ أَلَّا أَفْطِرَ أَبَدًا^(٢) .

وَالْجَمَاعَةُ الَّذِينَ كَرِهُوا دَوَامَ الصَّوْمِ كَرِهُوهُ لِمَكَانِ أَنْ النَّفْسَ إِذَا أَلْفَتْ
الصَّوْمَ وَتَعَوَّدَتْ عَلَيْهِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الْإِفْطَارُ ، وَهَكَذَا بَتَعَوُّدِهَا الْإِفْطَارَ تَكْرَهُ
الصَّوْمَ ، فَيَرَوْنَ الْفَضْلَ فِي أَلَّا تَرَكْنَ النَّفْسَ إِلَى عَادَةٍ ، وَرَأَوْا أَنَّ إِفْطَارَ يَوْمٍ
وَصَوْمَ يَوْمٍ أَشَدُّ عَلَى النَّفْسِ .

وَمِنْ أَدَبِ الْفُقَرَاءِ : أَنَّ الْوَاحِدَ إِذَا كَانَ بَيْنَ جَمْعٍ أَوْ فِي صُحْبَةِ جَمَاعَةٍ . .
لَا يَصُومُ إِلَّا بِإِذْنِهِمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَ الْجَمْعِ تَتَعَلَّقُ بِفَطُورِهِ وَهُمْ
عَلَى غَيْرِ مَعْلُومٍ^(٣) .

فَإِنْ صَامَ بِإِذْنِ الْجَمْعِ وَفُتِحَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ . . لَا يَلْزِمُهُمْ ادِّخَارُهُ لِلصَّائِمِ ،

(١) الْهَاجِرَةُ : نِصْفُ النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ .

(٢) رَوَاهُ أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاجُ فِي «الَلْمَعِ» (ص ٢١٧) ، وَأَوْرَدَهُ الْخُرَكُوشِيُّ فِي «تَهْذِيبِ
الْأَسْرَارِ» (ص ٢٤٠) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي «الرِّسَالَةِ» (ص ١٦٤) .

(٣) الْفَطُورُ : مَا يُفْطَرُ عَلَيْهِ .

مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ الْجَمْعَ الْمُفْطِرِينَ يَحْتَاجُونَ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْتِي
لِلصَّائِمِ بِرِزْقِهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الصَّائِمُ يَحْتَاجُ إِلَى الرَّفْقِ لضعفِ حالِهِ ، أَوْ
ضعفِ بِنْيَتِهِ لشيخوخةٍ أَوْ غيرِ ذَلِكَ .

وهكذا الصَّائِمُ لَا يَلِيقُ أَنْ يَأْخُذَ نَصِيبَهُ فَيَدَّخِرُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ
الْحَالِ ، فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا يَعْتَرِفُ بِحَالِهِ وَضعفه ، فَيَدَّخِرُهُ .

وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ لِأَقْوَامٍ هُمْ عَلَى غَيْرِ مَعْلُومٍ ، فَأَمَّا الصُّوفِيَّةُ الْمُقِيمُونَ فِي
رِبَاطٍ عَلَى مَعْلُومٍ . فَالْأَلِيقُ بِحَالِهِمُ الصِّيَامُ ، وَلَا يَلِزُهُمْ مُوَافَقَةُ الْجَمْعِ فِي
الْإِفْطَارِ إِذَا كَانَ الْإِفْطَارُ يَسْتَمِرُّ فِي جَمْعٍ مِنْهُمْ ، وَلَهُمْ مَعْلُومٌ يُقَدَّمُ لَهُمْ
بِالنَّهَارِ ، فَأَمَّا إِذَا كَانُوا عَلَى غَيْرِ مَعْلُومٍ . . فَقَدْ قِيلَ : مُسَاعَدَةُ الصَّوَّامِ
لِلْمُفْطِرِينَ أَحْسَنُ مِنْ اسْتِدْعَاءِ الْمُوَافَقَةِ مِنَ الْمُفْطِرِينَ لِلصَّوَّامِ .

وَأَمْرُ الْقَوْمِ مَبْنَاهُ عَلَى الصَّدَقِ ، وَمِنْ الصَّدَقِ افْتِقَادُ النِّيَّةِ وَأَحْوَالِ النَّفْسِ ؛
فَكُلُّ مَا صَحَّتِ النِّيَّةُ فِيهِ ؛ مِنْ الصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ ، وَالْمُوَافَقَةِ وَتَرْكِ الْمُوَافَقَةِ . .
فَهُوَ الْأَفْضَلُ^(١) .

فَأَمَّا مَنْ حَيْثُ السَّنَةُ : فَمَنْ يُوَافِقُ : لَهُ وَجْهٌ إِذَا كَانَ صَائِمًا وَأَفْطَرَ
لِلْمُوَافَقَةِ ، وَإِنْ صَامَ وَلَمْ يُوَافِقْ فَلَهُ وَجْهٌ .

فَأَمَّا وَجْهٌ مَنْ يُفْطِرُ وَيُوَافِقُ فَمَا :

(١١٥) - أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرٌ ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي الْفَضْلِ الْحَافِظِ

الْمَقْدِسِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ [عُبَيْدٍ] اللَّهِ^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا

(١) فِي (ب) : (الْأَصْل) .

(٢) فِي النِّسْخِ : (عَبْدُ اللَّهِ) ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ « صِفَةِ التَّصَوُّفِ » ، وَأَبُو الْفَضْلِ : هُوَ الْإِمَامُ =

السَّيِّدُ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ابْنُ حَمْدُويَّة^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَطَّافُ بْنُ خَالِدٍ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ [أَبِي] حُمَيْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اصْطَنَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ طَعَامًا ، فَلَمَّا قُدِّمَ إِلَيْهِمْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : إِنِّي صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعَاكُمْ أَخُوكُمْ وَتَكَلَّفَ لَكُمْ ، ثُمَّ تَقُولُ : إِنِّي صَائِمٌ !! أَفِطِرُ وَأَقْضِرُ يَوْمًا مَكَانَهُ »^(٢) .

وَأَمَّا وَجْهُ مَنْ لَا يُوَافِقُ : فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ أَكَلُوا وَبَلَالٌ صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَأْكُلُ رِزْقَنَا ، وَرِزْقُ بِلَالٍ فِي الْجَنَّةِ »^(٣) .

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ هُنَاكَ قَلْبًا يَتَأَذَّى ، أَوْ فَضْلًا يُرْجَى مِنْ مُوَافَقَةٍ مَنْ تُغْتَنَمُ مُوَافَقَتُهُ . . يُفْطِرُ بِحُسْنِ النِّيَّةِ ، لَا بِحُكْمِ الطَّبْعِ وَتَقَاضِيهِ .

= العابد المسند محمد بن عبيد الله بن محمد النيسابوري الصَّرام المقرئ (ت ٤٧٩هـ) ، وانظر ما سبق تعليقا في (٣٢٤/١ - ٣٢٥) .

(١) هو الإمام الصوفي الزاهد أبو بكر محمد بن حَيَّان بن حَمْدُويَّة النيسابوري (ت ٣٣٥هـ) من كبار أصحاب أبي عثمان الحيري ، ومن كبار رجال الصوفية رحمه الله تعالى .

(٢) صفوة التصوف (١٠٨) ، ورواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (٢٣١٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٢٤٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٧٩/٤) .

(٣) رواه ابن ماجه (١٧٤٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣١٤) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه .

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ هَذَا الْمَعْنَى لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَلَبَّسَ عَلَيْهِ الشَّرُّ وَدَاعِيَةُ النَّفْسِ
بِالنِّيَّةِ ، فَلْيُتِمِّمْ صَوْمَهُ ، وَقَدْ تَكُونُ الْإِجَابَةُ لِدَاعِيَةِ النَّفْسِ لَا لِقَضَاءِ حَقِّ أَخِيهِ .

وَمِنْ أَحْسَنِ أَدَبِ الْفَقِيرِ الطَّالِبِ : أَنَّهُ إِذَا أَفْطَرَ وَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ رَبَّمَا يَجِدُ
بَاطِنُهُ مُتَغَيِّرًا عَنْ هَيْئَتِهِ ، وَنَفْسُهُ مُتَشَبِّطَةٌ عَنْ أَدَاءِ وَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ ، فَيُعَالِجُ
مَزَاجَ الْقَلْبِ الْمُتَغَيِّرِ بِإِذْهَابِ التَّغْيِيرِ عَنْهُ ، وَيُذِيبُ الطَّعَامَ بِرَكَعَاتٍ يُصَلِّيُهَا ، أَوْ
بِآيَاتٍ يَتْلُوهَا وَيَتَفَكَّرُ فِيهَا ، أَوْ بِأَذْكَارٍ وَاسْتِغْفَارٍ يَأْتِي بِهِ ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي
الْخَبَرِ : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِالذِّكْرِ » (١) .

وَمِنْ مَهَامِّ آدَابِ الصَّوْمِ : كِتْمَانُهُ مَهْمَا أَمَكَنَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُتِمِّكِنًا مِنَ
الْإِخْلَاصِ ؛ فَلَا يُيَالِي ظَهَرَ أَمْ بَطْنٌ (٢) .



(١) رَوَاهُ الْعَقِيلِيُّ فِي « الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ » (١٥٦ / ١) ، وَابْنُ السَّنِيِّ فِي « عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ »
(٤٨٨) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ » (٤٩٥٢) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي « الشَّعْبِ »
(٥٦٤٤) عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلَّغْ مُقَابَلَةً) .

الباب الثاني والأربعون

في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة ولمفدة

الصُّوفِيُّ بِحُسْنِ نِيَّتِهِ ، وَصِحَّةِ مَقْصِدِهِ ، وَوُفُورِ عِلْمِهِ ، وَإِتْيَانِهِ بِأَدَبِهِ ..
تَصِيرُ عَادَاتُهُ عِبَادَةً .

وَالصُّوفِيُّ مُوَهَّبٌ وَقْتُهُ لِلَّهِ ، وَيُرِيدُ حَيَاتَهُ لِلَّهِ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرًا لَهُ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

فِيَدْخُلُ عَلَى الصُّوفِيِّ أُمُورُ الْعَادَةِ ؛ لِمَوْضِعِ حَاجَتِهِ ، وَضَرُورَةِ بَشَرِيَّتِهِ ،
وَيُخَفُّ بِعَادَاتِهِ نَوْرُ يَقْظَتِهِ ، وَحُسْنِ نِيَّتِهِ ، فَتَتَوَرَّرُ الْعَادَاتُ ، وَتَشْكَلُ
بِالْعِبَادَاتِ ؛ وَلِهَذَا وَرَدَ : « نَوْمُ الْعَالِمِ عِبَادَةٌ ، وَنَفْسُهُ تَسْبِيحٌ » ^(١) ، هَذَا مَعَ
كَوْنِ النَّوْمِ عَيْنَ الْغَفْلَةِ ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى الْعِبَادَةِ يَكُونُ عِبَادَةً .

فَتَنَاوُلُ الطَّعَامِ أَصْلٌ كَبِيرٌ يَحْتَاجُ إِلَى عِلُومٍ كَثِيرَةٍ ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْمَصَالِحِ

(١) رواه ابن شاهين في « الترغيب في فضائل الأعمال » (١٤٢) ، والبيهقي في « الشعب »
(٣٦٥٢) عن سيدنا عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، وأبو نعيم في « الحلية »
(٨٣ / ٥) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيها : (نوم الصائم) بدل (نوم
العالم) قال الغماري في « الغنية » (٥٩٨ / ٢) : (وعندي : أن لفظ : « العالم »
تحريف من الشَّاخ ، وإنما هو « الصائم » ، والله أعلم) .

الدُّنْيَا والدُّنْيَا ، وتعلّق أثره بالقلب والقلب ، وبه قوام البدن بإجراء
سنة الله تعالى بذلك ، والقلب مركب القلب ، وبهما عمارة الدنيا والآخرة .
وقد ورد : « أَرْضُ الْجَنَّةِ قِيَعَانُ ، نَبَاتُهَا التَّنْبِيحُ وَالتَّقْدِيرُ
وَالْتَهْلِيلُ » (١) .

والقلب بمفرده على طبيعة الحيوانات يُستعان به على عمارة الدنيا ،
والروح والقلب على طبيعة الملائكة يُستعان بهما على عمارة الآخرة ،
وباجتماعهما صلحا لعمارة الدارين .

والله سبحانه ركب الأدمي بلطف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات
والروحانيات ، وجعله مُستودع خلاصة الأرضين والسموات ، وجعل عالم
الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الأدمي ؛ قال الله تعالى :
﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] .

فكوّن الطبائع ؛ وهي الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة ،
وكوّن بواسطتها النبات ، وجعل النبات قواماً للحيوانات ، وجعل الحيوانات
مُسَخَّرَةً للأدمي ، يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه .

فالطعام يصل إلى المعدة ، وفي المعدة طبائع أربع ، وفي الطعام طبائع
أربع .

فإذا أراد الله تعالى اعتدال مزاج البدن . . أخذ كل طبع من طبائع المعدة

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣٤٦٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢١٤/١٠) عن
سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والقيعان : جمع (قاع) ؛ وهو المستوي من
الأرض .

ضدّه من الطعام ؛ فتأخذ الحرارة البرودة ، والرطوبة اليبوسة ، فيعتدل المزاج ، ويأمن الاعوجاج .

وإذا أراد الله تعالى إفناء قلب وتخریب بنية . . أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول ، فتميل الطبائع ، ويضطرب المزاج ، ويسقم البدن ؛ ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

رَوِيَ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ قَالَ : (وجدتُ في التوراة صفةَ آدمَ عليه السلام : إِنِّي خَلَقْتُ آدَمَ ، وَرَكَّبْتُ جَسَدَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : مِنْ رَطْبٍ ، وَيَابِسٍ ، وَبَارِدٍ ، وَسُخْنٍ ؛ وَذَلِكَ لِأَنِّي خَلَقْتُهُ مِنَ التُّرَابِ وَهُوَ يَابِسٌ ، وَرَطوبتهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَحرارتهُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ ، وَبرودتهُ مِنْ قِبَلِ الرُّوحِ .

وخلقتُ في الجسدِ بعدَ هذا الخلقِ الأوّلِ أربعةَ أنواعٍ مِنَ الخلقِ هُنَّ مِلاكُ الجسمِ بِأَذْنِي ، وَبِهِنَّ قِوَامُهُ ، فَلَا يَقُومُ الْجِسْمُ إِلَّا بِهِنَّ ، وَلَا تَقُومُ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ إِلَّا بِأُخْرَى مِنْهُنَّ : الْمِرَّةُ السَّوْدَاءُ ، وَالْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ ، وَالْدَّمُ ، وَالبَلْغَمُ .

ثُمَّ أَسَكَنْتُ بَعْضَ هَذَا الْخَلْقِ فِي بَعْضٍ ؛ فَجَعَلْتُ مَسْكَنَ الْيُبُوسَةِ فِي الْمِرَّةِ السَّوْدَاءِ ، وَمَسْكَنَ الرُّطوبَةِ فِي الْمِرَّةِ الصَّفْرَاءِ ، وَمَسْكَنَ الْحَرَارَةِ فِي الدِّمِّ ، وَمَسْكَنَ الْبُرُودَةِ فِي الْبَلْغَمِ .

فَإِذَا جَسَدٌ اعْتَدَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْفِطْرُ الْأَرْبَعُ الَّتِي جَعَلْتُهَا مِلاكَهُ وَقِوَامَهُ ، فَكَانَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رُبْعاً لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ^(١) . . كَمَلَتْ صِحَّتُهُ ، وَاعْتَدَلَتْ بِنِيتِهِ .

(١) الرُّنْعُ : المعتدل ، ويجوز أن تقرأ : (رُبْعاً) ، كما ضبطت كذلك في بعض النسخ .

فَإِنْ زَادَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً عَلَيْهِنَّ . . . هَزَمَتْهُنَّ وَمَالَتْ بِهِنَّ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ السَّقْمُ مِنْ نَاحِيَّتِهَا بِقَدَرِ غَلَبَتِهَا ، حَتَّى تَضْعُفَ عَنْ طَاقَتِهِنَّ ، وَتَعْجِزَ عَنْ مَقْدَارِهِنَّ (١) .

فَأَهَمُّ الْأُمُورِ فِي الطَّعَامِ : أَنْ يَكُونَ حَلَالًا ، وَكُلُّ مَا لَا يَذُمُّهُ الشَّرْعُ حَلَالٌ ؛ رُخْصَةً وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ ، وَلَوْلَا رُخْصَةُ الشَّرْعِ لَكَبُرَ الْأَمْرُ وَأَتَعَبَ طَلَبُ الْحَلَالِ .

وَمِنْ أَدَبِ الصُّوفِيَّةِ : رُؤْيَةُ الْمُنْعِمِ عَلَى النِّعْمَةِ .

وَيَبْتَدِئُ بِغَسْلِ الْيَدِ قَبْلَ الطَّعَامِ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الْفَقْرَ » (٢) .

وَأَمَّا كَانَ مُوجِبًا لِنَفْيِ الْفَقْرِ ؛ لِأَنَّ غَسْلَ الْيَدِ قَبْلَ الطَّعَامِ اسْتِقْبَالُ النِّعْمَةِ بِالْأَدَبِ ، وَذَلِكَ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ ، وَالشُّكْرُ يَسْتَوْجِبُ الْمَزِيدَ (٣) ، فَصَارَ غَسْلُ الْيَدِ مُسْتَجْلِبًا لِلنِّعْمَةِ ، مُذْهِبًا لِلْفَقْرِ .

(١) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٦٢ / ٢) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤٣٦) ، والعبارة فيه بدل (هزمتهنَّ ومالت بهنَّ . . . عن طاقتهن) : (وقهرتهنَّ ومالت بهنَّ دخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت ، وإذا كانت ناقصة ملن بها ، وأدخلن السقم من نواحيهنَّ لقلتها عنهنَّ ، حتى تضعف عن طاقتهنَّ) .

(٢) رواه القضاعي في « المسند » (٣١٠) عن موسى بن جعفر عن آبائه متصلًا رضي الله عنهم ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧١٦٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، والدولابي في « الكنى والأسماء » (١٧٨٨) موقوفًا على سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ورواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٤٠) عن الحسن البصري رحمه الله تعالى من كلامه .

(٣) كما قال الله تعالى : ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم : ٧] . من هامش (ح) .

وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْثَرَ خَيْرُ بَيْتِهِ . . فَلْيَتَوَضَّأْ إِذَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ » (١) .

ثم يُسمِّي الله تعالى ؛ فقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ . . تفسيره : تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان ، واختلف الشافعي وأبو حنيفة رضوان الله عليهما في وجوب ذلك (٢) .

وفهم الصوفي من ذلك بعد القيام بظاهر التفسير . . ألا يأكل الطعام إلا مُقْتَرِنًا بذكر الله تعالى ، وذلك فريضة وقته وأدبه ، ويرى أن تناول الطعام داء ؛ لما ينتج من إفاقة النفس ومُتَابَعَةِ هواها (٣) ، ويرى ذكر الله تعالى دواءً وتريقاً .

وروت عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام في سِتَّةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فجاء أعرابي فأكله بِلُقْمَتَيْنِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إِنَّهُ لَوْ كَانَ يُسَمِّي اللهَ تَعَالَى . . لَكَفَّاكُم ، فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا . . فَلْيَقُلْ : (بِاسْمِ اللهِ) ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٠) ، وأحمد كما في « شعب الإيمان » تحت رقم : (٥٤٢٣) ،

ورواه ابن المقرئ في « المعجم » (٧٩٤) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذهب الشافعي إلى أنها غير واجبة ؛ فلو تركها عمداً أو سهواً حلَّ الحيوان مع الكراهة ، وأبو حنيفة إلى أنها واجبة ، ولا يحل إلا إذا تركها ناسياً . انظر « الاختيار » (٢٢٨-٢٢٩) ، و« تحفة المحتاج » (٣٢٥/٩) .

(٣) في (أ ، ز) : (إقامة) بدل (إفاقة) ، وفي نسخة على هامشهما كالمثبت ، وفي (و ، ي) : (آفة) .

يَقُولَ : (بِاسْمِ اللَّهِ) . . فليَقُلْ : (بِاسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ) « (١) .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ فِي أَوَّلِ لُقْمَةٍ : (بِاسْمِ اللَّهِ) ، وفي الثانية :

(بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ) ، وفي الثالثة : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (٢) .

ويشرب الماءَ بثلاثة أنفاسٍ ؛ يقولُ في أَوَّلِ نَفَسٍ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ) إذا

شَرِبَ ، وفي الثاني : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، وفي الثالث :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) .

وكما أَنَّ لِلْمَعِدَةِ طَبَاعاً تُدَبِّرُ - كما ذَكَرْنَا - بِمُوَافَقَةِ طَبَاعِ الطَّعَامِ . فللقلبِ

أيضاً مِزَاجٌ وَطَبَاعٌ لِأَرْبَابِ التَّفَقُّدِ وَالرَّعَايَةِ وَالْيَقَظَةِ ؛ يُعَرَفُ انْحِرَافُ مِزَاجِ
القلبِ مِنَ اللَّقْمَةِ الْمُتَنَاوَلَةِ .

تَارَةً يَحْدُثُ مِنَ اللَّقْمَةِ حَرَارَةُ الطَّيْشِ بِالنُّهُوضِ إِلَى الْفُضُولِ ، وتَارَةً

يَحْدُثُ فِي القلبِ بُرُودَةُ الْكَسَلِ بِالتَّقَاعِدِ عَنْ وَظِيفَةِ الْوَقْتِ ، وتَارَةً تَحْدُثُ

رُطُوبَةُ السَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ ، وتَارَةً يُبْوسَةُ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ بِسَبَبِ الْحِظْوِظِ الْعَاجِلَةِ .

فهذه كُُلُّها عَوَارِضٌ يَتَفَطَّنُ لَهَا الْمُتَيَقِّظُ ، وَيَرَى تَغْيِيرَ القلبِ بِهذهِ

العَوَارِضِ تَغْيِيرَ مِزَاجِ القلبِ عَنِ الْإِعْتِدَالِ (٣) ، وَالْإِعْتِدَالُ كما هُوَ مُهِمٌّ طَلَبُهُ

لِلْقَالِبِ . فللقلبِ أَهْمٌ وَأَوَّلَى ، وَتَطَرَّقُ الْإِنْحِرَافُ إِلَى القلبِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى

(١) رواه الترمذي (١٨٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٦٤) ، وأحمد (١٤٣/٦) ، والدارمي

(٢٠٦٣) ، وهو في « سنن أبي داود » (٣٧٦٧) دون ذكر السبب .

(٢) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، و ، ز) : (ويتمم) بدل (بسم الله الرحمن الرحيم) .

(٣) في (أ ، ز) : (ويرى بعين القلب هذه العوارض . . .) ، وفي (ي) ونسخة على

هامش (أ) : (ويرى بعين البصيرة تغير القلب بهذه العوارض ، وإنها لتغير مزاج

القلب عن الاعتدال) .

الْقَالِبِ ، وَمِنَ الانْحِرَافِ مَا يَسْقُمُ بِهِ الْقَلْبُ فَيَمُوتُ كَمُوتِ الْقَالِبِ .

وَأَسْمُ اللَّهِ تَعَالَى دَوَاءٌ نَافِعٌ مُجَرَّبٌ ؛ يَبْقِي الْأَسْوَءَ ، وَيُذْهِبُ الدَّاءَ ، وَيَجْلِبُ الشِّفَاءَ .

حُكَيٌّ : أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا الْغَزَالِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَّا رَجَعَ إِلَى طُوسَ .
وُصِفَ لَهُ فِي بَعْضِ الْقُرَى عَبْدٌ صَالِحٌ ، فَقَصَدَهُ زَائِرًا ، فَصَادَفَهُ وَهُوَ فِي
صَحْرَاءَ لَهُ يَبْذُرُ الْحِنْطَةَ فِي الْأَرْضِ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخَ مُحَمَّدًا جَاءَ إِلَيْهِ وَأَقْبَلَ
عَلَيْهِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَطَلَبَ مِنْهُ الْبَذْرَ ؛ لِيُنَوِّبَ عَنِ الشَّيْخِ فِي ذَلِكَ
وَقْتَ اشْتِغَالِهِ بِالْغَزَالِيِّ ، فَامْتَنَعَ وَلَمْ يُعْطِهِ الْبَذْرَ ، فَسَأَلَهُ الْغَزَالِيُّ عَنْ سَبَبِ
امْتِنَاعِهِ ، فَقَالَ : لِأَنِّي أَبْذُرُ هَذَا الْبَذْرَ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ وَلِسَانٍ ذَاكِرٍ ، أَرْجُو
الْبَرَكَةَ فِيهِ لِكُلِّ مَنْ يَتَنَاوَلُ مِنْهُ شَيْئًا ، فَلَا أُحِبُّ أَنْ أُسَلِّمَهُ إِلَى هَذَا ، فَيَبْذُرَهُ
بِلِسَانٍ غَيْرِ ذَاكِرٍ ، وَقَلْبٍ غَيْرِ حَاضِرٍ .

وَكَانَ بَعْضُ الْفُقَرَاءِ عِنْدَ الْأَكْلِ يَشْرَعُ فِي تِلَاوَةِ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ يُحْضِرُ
الْقَلْبَ بِذَلِكَ^(١) ؛ حَتَّى يَنْغَمَرَ أَجْزَاءُ الطَّعَامِ بِأَنْوَارِ الذِّكْرِ ، وَلَا يُعَقِّبُ الطَّعَامُ
مَكْرُوهاً ، وَلَا يُغَيِّرُ مِزَاجَ الْقَلْبِ .

وَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا أَبُو النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : (أَنَا آكِلٌ وَأَنَا
أَصْلِي) ؛ يُشِيرُ إِلَى حُضُورِ الْقَلْبِ فِي الطَّعَامِ ، وَرَبَّمَا كَانَ يُوقِفُ مَنْ يَمْنَعُ
عَنْهُ الشَّوَاغِلَ وَقْتَ أَكْلِهِ ؛ لِئَلَّا يَتَفَرَّقَ هُمُّهُ وَقْتَ الْأَكْلِ ، وَيَرَى لِلذِّكْرِ

(١) فِي (ج ، د) : (يَحْضِرُ بِذَلِكَ الْوَقْتَ) ، وَفِي (أ) وَنَسَخَةٌ عَلَى هَامِشٍ (و) :
(فَيُحْضِلُ الْوَقْتَ بِذَلِكَ) ، وَحَصَلَ فِي بَعْضِ النُّسخِ تَقْدِيمُ وَتَأْخِيرُ لـ (بِذَلِكَ) عَنْ
(الْوَقْتَ) أَوْ (الْقَلْبِ) .

وحضور القلب في الأكل أثراً كثيراً لا يسعُه الإهمال له .

وَمِنَ الذِّكْرِ عِنْدَ الْأَكْلِ : الْفِكْرُ فِيمَا هَيَّا اللَّهُ تَعَالَى ؛ مِنْ الْأَسْنَانِ الْمُعِينَةِ عَلَى الْأَكْلِ ؛ فَمِنْهَا الْكَاسِرَةُ ، وَمِنْهَا الْقَاطِعَةُ ، وَمِنْهَا الطَّاحِنَةُ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَاءِ الْحُلُوِّ فِي الْفَمِ ؛ حَتَّى لَا يَتَغَيَّرَ الذَّوْقُ ، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ مَاءَ الْعَيْنِ مَالِحاً لِمَا كَانَ شَحْماً ؛ حَتَّى لَا يَفْسُدَ ^(١) .

وكيف جعل النِّدَاوَةَ تَنْبُعُ مِنْ أَرْجَاءِ اللِّسَانِ وَالْفَمِ ؛ لِيُعِينَ ذَلِكَ عَلَى الْمَضْغِ وَالسَّوْغِ ، وكيف جعل الْقُوَّةَ الهَاضِمَةَ مُتَسَلِّطَةً عَلَى الطَّعَامِ ؛ تُفَصِّلُهُ وَتُجَزِّئُهُ مُتَعَلِّقاً مَدِّدُهَا بِالْكَبِدِ ، وَالْكَبِدُ بِمِثَابَةِ النَّارِ ، وَالْمَعِدَةُ بِمِثَابَةِ الْقَدْرِ ، وَعَلَى قَدْرِ فَسَادِ الْكَبِدِ تَقِلُّ الهَاضِمَةُ ، وَيَفْسُدُ الطَّعَامُ وَلَا يَنْفَصِلُ ، وَلَا يَصِلُ إِلَى كُلِّ غُضْوٍ نَصِيبُهُ .

وهكذا تأثير الأعضاء كلها ؛ مِنَ الْكَبِدِ وَالطَّحَالِ وَالْكُلَيْتَيْنِ ، وَيَطُولُ شَرْحُ ذَلِكَ .

فَمَنْ أَرَادَ الْإِعْتِبَارَ فَلْيُطَالِعْ تَشْرِيحَ الْأَعْضَاءِ ؛ لِيرَى الْعَجَبَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ مِنْ تَعَاوُدِ الْأَعْضَاءِ وَتَعَاوُنِهَا ، وَتَعَلُّقِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ فِي إِصْلَاحِ الْغِذَاءِ ، وَاسْتِجْلَابِ الْقُوَّةِ مِنْهُ لِلأَعْضَاءِ ، وَانْقِسَامِهِ إِلَى الدِّمِّ وَالثَّفْلِ وَاللَّبَنِ ؛ لِتَغْذِيَةِ الْمَوْلُودِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .

فَالْفِكْرُ فِي ذَلِكَ وَقْتُ الطَّعَامِ ، وَتَعَرُّفُ لَطِيفِ الْحِكْمِ وَالْقُدْرِ فِيهِ . . . مِنَ الذِّكْرِ .

(١) في بعض النسخ : (لا يفسد) ، وانظر ما سبق تعليقا في (٣٩١ / ١) .

ومِمَّا يَذْهَبُ دَاءُ الطَّعَامِ الْمُغَيَّرِ لِمِزَاجِ الْقَلْبِ : أَنْ يَدْعَوْ فِي أَوَّلِ الطَّعَامِ ،
وَيَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَوْنًا عَلَى الطَّاعَةِ ، وَيَكُونَ مِنْ دَعَائِهِ : (اللَّهُمَّ ؛
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَمَا رَزَقْتَنَا مِمَّا نُحِبُّ اجْعَلْهُ عَوْنًا لَنَا عَلَى
مَا نُحِبُّ ، وَمَا زَوَيْتَ عَنَّا مِمَّا نُحِبُّ اجْعَلْهُ فَرَاغًا لَنَا فِي مَا نُحِبُّ) ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفي هامش (و) : (بلغ بلغ) .

الباب الثالث والأربعون

في آداب الأكل

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنْ يَبْتَدِئَ بِالْمِلْحِ وَيَخْتِمَ بِهِ ؛ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : « يَا عَلِيُّ ؛ أَبْدَأْ طَعَامَكَ بِالْمِلْحِ ، وَأَخْتِمِ بِالْمِلْحِ ؛ فَإِنَّ الْمِلْحَ شِفَاءٌ مِنْ سَبْعِينَ دَاءً ؛ مِنْهَا الْجُنُونُ وَالْجُذَامُ وَالْبَرَصُ ، وَوَجَعُ الْبَطْنِ وَوَجَعُ الْأَضْرَاسِ » (١) .

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لُدِغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِبْهَامِهِ مِنْ رَجْلِهِ الْيُسْرَى لَدَغَةً ، فَقَالَ : « عَلَيَّ بِذَلِكَ الْأَبْيَضِ الَّذِي يَكُونُ فِي الْعَجِينِ » ، فَجِئْنَا بِمِلْحٍ ، فَوَضَعَهُ فِي كَفِّهِ ، ثُمَّ لَعَقَ مِنْهُ ثَلَاثَ لَعَقَاتٍ ، ثُمَّ وَضَعَ بَقِيَّتَهُ عَلَى اللَّدَغَةِ ، فَسَكَنْتُ عَنْهُ (٢) .

وَيُسْتَحَبُّ الْاجْتِمَاعُ عَلَى الطَّعَامِ (٣) ، وَهُوَ سُنَّةُ الصُّوفِيَّةِ فِي الرُّبُطِ

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٤٦٩) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣١٢) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٤٠١٩) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٨٩٠) ، وأبو نعيم في « الطب النبوي » (٥٧٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٣٤٠) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٦٠٧-٦٠٦/٢) .

(٣) واجتماع الناس على القصعة الواحدة أحب إلى الله تعالى ، وأكثر ثواباً ، وأجلب للألفة بين القلوب ، ولا بركة في القصاص الصغار . من « شرعة الإسلام » . من هامش (ح) .

وغيرها ؛ روى جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مِنْ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي » (١) .

وروي أنه قيل : يا رسول الله ؛ إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ ، قَالَ : « لَعَلَّكُمْ تَقْتَرِقُونَ عَلَى طَعَامِكُمْ ، اجْتَمِعُوا وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ .. يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ » (٢) .

ومن عادة الصُّوفِيَّةِ : الأكل على السُّفرة ، وهو سُنَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١١٦) - أخبرنا الشيخ أبو زُرْعَةَ ، عن المُقَوِّمِيِّ بإسناده إلى ابن ماجه الحافظ القزويني (٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عن يونس بن [أبي] الفرات (٤) ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ : مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِوَانٍ وَلَا فِي سُكَّرُجَةٍ ، قَالَ : فَعَلَامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ ؟ قَالَ : عَلَى السُّفَرِ (٥) .

(١) رواه أبو يعلى في « المسند » (٢٠٤٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣١٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٩١٧٤) ، ورواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٤١ / ٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه في (٣٥٧ / ١) .

(٣) سبق إسناده المُقَوِّمِيِّ إلى ابن ماجه في (٤٧٣ / ١) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من « سنن ابن ماجه » ، وانظر « إرشاد الساري » (٢٢٧ / ٨) .

(٥) سنن ابن ماجه (٣٢٩٢) ، ورواه البخاري (٥٤١٥) وغيره ، والخِوَانُ : المائدة التي يُوضَعُ عليها الطعام ، وهي ما يُسَمَّى الآن بِـ (الطاولة) ، والسُّكَّرُجَةُ - بضم الراء المشددة وفتحها ، وبعضهم صوّب الفتح - : قصعة صغيرة يؤكل فيها ، وكانت العجم =

وَيُصَغِّرُ اللَّقْمَةَ ، وَيُجَوِّدُ الْأَكْلَ بِالْمَضْغِ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا يُطَالِعُ
وَجْهَ الْآكِلِينَ .

وَيَقْعُدُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ التَّوَاضُعِ ؛
غَيْرَ مُتَكَبِّرٍ وَلَا مُتَعَزِّزٍ ؛ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ
مُتَكَبِّرًا^(١) .

وَرُوي أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةً ، فَجَثَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ ؟ !
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي عَبْدًا ، وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا عَنِيدًا »^(٢) .

وَلَا يَبْتَدِئُ بِالطَّعَامِ حَتَّى يَبْتَدِئَ الْمُقَدَّمُ أَوْ الشَّيْخُ^(٣) ؛ رَوَى حُذَيْفَةُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
طَعَامًا . لَمْ يَضَعْ أَحَدُنَا يَدَهُ حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(٤) .

= تستخدمها حول المائدة للهضم والتشهي ، وهي من علامات الكبر والبخل ، والشُّفْرُ :
جمع (سُفْرَة) ؛ وهو الطعام الذي يُوضَعُ عَلَى الْأَرْضِ ، وهو فِي الْأَصْلِ : الطعام الذي
يُتَّخَذُ لِلْمَسَافِرِ يُوضَعُ ضَمَنَ وَعَاءٍ جَلْدِي .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٤ / ١٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ، و« المعجم الأوسط » (٣٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه ،
والبزار كما في « كشف الأستار » (٢٨٧٠) عن سيدنا أبي إهاب رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو داود مطوَّلًا (٣٧٧٣) ، وابن ماجه (٣٢٦٣) عن سيدنا عبد الله بن بسر
رضي الله عنه .

(٣) فِي النسخ ما عدا (ب ، هـ ، ح) : (المتقدم) بدل (المقدم) .

(٤) رواه مسلم (٢٠١٧) ، وأبو داود (٣٧٦٦) ، واللفظ له .

ويأكل باليمين ؛ روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ ، وَلِيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، وَلِيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ ، وَلِيُعْطِ بِيَمِينِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ » (١) .

وإن كان المأكول تمرأ أو ما له عَجَمٌ (٢) . . لا يجمعُ من ذلك ما يُرمى وما يُؤكل على الطَّبَقِ ولا في كَفِّهِ ، بل يَضَعُ ذلك على ظَهْرِ كَفِّهِ مِنْ فِيهِ وَيَرْمِيهِ .

ولا يأكلُ مِنْ دُرْوَةِ الثَّرِيدِ ؛ روى عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ فَخُذُوا مِنْ حَاشِيَتِهِ وَذَرُّوا وَسَطَهُ ؛ فَإِنَّ الْبَرَكََةَ تَنْزِلُ فِي وَسْطِهِ » (٣) .

ولا يَعِيبُ الطَّعَامَ ؛ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : (ما عَابَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قطُّ ؛ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ ، وَإِلَّا تَرَكَهُ) (٤) .

وإذا سَقَطَتِ اللَّقْمَةُ يَأْكُلُهَا ؛ فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ . . فَلْيُمِطْ

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٦) ، وبنحوه مسلم (٢٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) الْعَجَمُ - بالتحريك - : النَّوَى وكلُّ ما كان في جوفِ مأكول ؛ كالزبيب وما أشبهه ، والعامَّةُ تقول : (عَجَم) بالتسكين . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٧٢) ، والترمذي (١٨٠٥) ، وابن ماجه (٣٢٧٧) .

(٤) رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤) ، وسبق في (٣٩/١) .

عَنْهَا الْأَذَى وَلِيَأْكُلَهَا ، وَلَا يَدْعَهَا لِلشَّيْطَانِ « (١) .

وَيَلْعَقُ أَصَابِعَهُ ؛ فَقَدْ رَوَى جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ الطَّعَامَ فَلْيَمُصَّ أَصَابِعَهُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَذْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ » (٢) .

وهكذا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَاتِ الْقِصْعَةِ ؛ وَهُوَ مَسْحُهَا مِنَ الطَّعَامِ ؛ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَاتِ الْقِصْعَةِ) (٣) .

وَلَا يَنْفُخُ فِي الطَّعَامِ ؛ فَقَدْ رَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَلْتَفُخُ فِي الطَّعَامِ يُذْهِبُ الْبَرَكَةَ » (٤) .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفُخُ فِي طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ) (٥) .

وَلَا يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ؛ فَلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ ذَلِكَ .

وَالْخَلُّ وَالْبَقْلُ عَلَى الشُّفْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ (٦) ؛ قِيلَ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ

(١) رواه مسلم (٢٠٣٤) .

(٢) رواه مسلم (١٣٥ / ٢٠٣٣) وغيره ، واللفظ لأبي عوانة في « المستخرج » (٨٢٧٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٠٣٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٤١٥ / ١) ، والديلمى في « الفردوس » (٦٩٠٦) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٤١٥) ، وله شواهد ، ومنها الحديث الآتي .

(٥) رواه ابن ماجه (٣٢٨٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥١٣٨) ، وروى أحمد (٣٠٩ / ١) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الطعام والشراب) .

(٦) البقل : ما يُنبت الربيع من العشب ، وعن الليث : هو من النبات : ما ليس بشجر دِقٌّ =

تَحْضُرُ الْمَائِدَةَ إِذَا كَانَ عَلَيْهَا بَقْلٌ^(١) .

رَوَتْ أُمُّ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَنَا عِنْدَهَا ، فَقَالَ : « هَلْ مِنْ غَدَاءٍ ؟ » ، فَقَالَتْ : عِنْدَنَا خَبِزٌ وَتَمْرٌ وَخَلٌّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ ، أَلَلَّهُمْ ؛ بَارِكْ فِي الْخَلِّ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ إِدَامَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَلَمْ يَفْتَقِرْ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ »^(٢) .

وَلَا يَصُمْتُ عَلَى الطَّعَامِ ؛ فَهُوَ مِنْ سِيرَةِ الْأَعَاجِمِ .

وَلَا يَقْطَعُ اللَّحْمَ وَالْخَبِزَ بِالسَّكِّينِ ؛ فَفِيهِ نَهْيٌ^(٣) .

وَلَا يَكْفُ يَدُهُ عَنِ الطَّعَامِ حَتَّى يَفْرُغَ الْجَمْعُ ؛ فَقَدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا وُضِعَتْ الْمَائِدَةُ فَلَا يَقُومُ رَجُلٌ حَتَّى تُرْفَعَ الْمَائِدَةُ ، وَلَا يَرْفَعُ يَدَهُ وَإِنْ شَبِعَ حَتَّى يَفْرُغَ

= وَلَا جِلٌّ ، وَفُرَّقَ مَا بَيْنَ الْبَقْلِ وَدَقِّ الشَّجَرِ : أَنَّ الْبَقْلَ إِذَا رُعِيَ لَمْ يَبْقَ لَهُ سَاقٌ ، وَالشَّجَرُ يَبْقَى لَهُ سُوقٌ وَإِنْ دَقَّتْ ، وَعَنِ الدِّينُورِيِّ : الْبَقْلُ : كُلُّ عَشْبَةٍ تَنْبَتُ مِنْ بَذَرٍ ، وَيُقَالُ : كُلُّ نَبَاتٍ اخْضَرَّتْ لَهُ الْأَرْضُ فَهُوَ بَقْلٌ . « مَغْرِبٌ » . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(١) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوتِ » (١٤٢٢ / ٣) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » (٧٠ / ٣) .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٣١٨) ، وَقَوْلُهُ : (نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ) فِي « مُسْلِمٍ » (٥٤٠٠) كَمَا سَبَقَ فِي (٧٢ - ٧١ / ٢) .

(٣) النَّهْيُ عَنْ قَطْعِ اللَّحْمِ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٧٧٨) ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي « السِّنَنِ الْكَبِيرِ » (٢٨٠ / ٧) عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَالنَّهْيُ عَنْ قَطْعِ الْخَبِزِ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (٢٨٥ / ٢٣) ، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي « الشَّعْبِ » (٥٦٠٦) ، وَابْنُ عَدِي فِي « الْكَامِلِ » (٢٩٨ / ٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « غَنِيَةَ الْعَارِفِ » (٦١٤ / ٢) .

الْقَوْمُ ، وَلَيْتَعَلَّلَ ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يُخْجَلُ جَلِيسَهُ فَيَقْبِضُ يَدَهُ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الطَّعَامِ حَاجَةٌ « (١) .

وَإِذَا وُضِعَ الْخُبْزُ لَا يَنْتَظِرُ غَيْرَهُ ؛ فَقَدْ رَوَى أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْرِمُوا الْخُبْزَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَخَّرَ لَكُمْ [بِهِ] بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْحَدِيدَ وَالْبَقَرَ وَأَبْنَ آدَمَ » (٢) .

وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَدَبِ وَأَهَمِّهِ : أَلَّا يَأْكَلَ إِلَّا بَعْدَ الْجُوعِ ، وَيُمْسِكَ عَنِ الطَّعَامِ قَبْلَ الشَّبَعِ ؛ فَقَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَِعَاءً شَرًّا مِنْ الْبَطْنِ » (٣) .

وَمِنْ عَادَةِ الصُّوفِيَّةِ : أَنْ يُلْقِمَ الْخَادِمَ إِذَا لَمْ يَجْلِسْ مَعَ الْقَوْمِ ، وَهُوَ سُنَّةٌ ؛ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ : فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ فَلْيَأْكُلْهُ أَوْ أَكْلَتَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ حَرَّةٍ وَدُخَانَةٍ » (٤) .

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٩٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٧٤ / ٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٤٧٨) ، وانظر « غنية العارف » (٦١٥ / ٢) .

(٢) رواه أبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (٩٩٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٤ / ٦٣) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (١٣١٤) ، ورواه الطبراني في « مسند الشاميين » (١٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٤٦ / ٥) عن سيدنا عبد الله ابن أم حرام الأنصاري رضي الله عنهما دون قوله : (والحديد . . .) ، وقوله : (أكرموا الخبز) فقط روي من طرق متعددة بعضها صححه الحاكم (١٢٢ / ٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) سبق تخريجه في (٢٠٧ / ٢) .

(٤) رواه البخاري (٥٤٦٠) ، ومسلم (١٦٦٣) ، والأُكْلَةُ : اللَّقْمَةُ ، وفي « البخاري » =

وَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الطَّعَامِ يَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى ؛ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ » (١) .

وَرُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَكَلَ طَعَامًا
فَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ) ..
غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » (٢) .

وَيَتَخَلَّلُ ؛ فَقَدْ رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« تَخَلَّلُوا ؛ فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ ، وَالنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ
فِي الْجَنَّةِ » (٣) .

وَيَغْسِلُ يَدَهُ ؛ فَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(وعلاجه) بدل (ودخانه) ؛ أي : علاج الطعام عند تحصيل آلاته وتحلل مشاقه
ودُخانِه عند الطبخ ، وشُقَّتْ به نَفْسُهُ وَشَمَّ رَاتِحَتَهُ ، وقال الإمام النووي في « شرح
مسلم » (١٣٥ / ١١) : (وفي هذا الحديث : الحثُّ على مكارم الأخلاق ، والموساةُ
في الطعام ، سيِّما في حقِّ مَنْ صَنَعَهُ أَوْ حَمَلَهُ ؛ لِأَنَّهُ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ ، وَتَعَلَّقَتْ بِهِ نَفْسُهُ
وَشَمَّ رَاتِحَتَهُ ، وَهَذَا كُلُّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ) .

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٠) ، والترمذي (٣٤٥٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى »
(١٠٠٤٧) ، وابن ماجه (٣٢٨٣) .

(٢) رواه أبو داود (٤٠٢٣) ، والترمذي (٣٤٥٨) ، وابن ماجه (٣٢٨٥) عن سيدنا
معاذ بن أنس الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٣١١) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان »
(٢٢٤ / ١) ، والديلمي في « الفردوس » (٢٣٠٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وانظر « غنية العارف » (٦١٧ / ٢) .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ لَمْ يُغْسَلْ ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ . .
فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ » (١) .

وَمِنَ السُّنَّةِ : غَسَلُ الْأَيْدِي فِي طُسْتٍ وَاحِدٍ ؛ رَوَى ابْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَرِعُوا الطُّسُوسَ ،
وَخَالَفُوا الْمَجُوسَ » (٢) .

وَيُسْتَحَبُّ مَسْحُ الْعَيْنِ بِلِلِّ الْيَدِ ؛ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَأَشْرِبُوا أَعْيُنَكُمْ الْمَاءَ ،
وَلَا تَنْفُضُوا أَيْدِيَكُمْ ؛ فَإِنَّهَا مَرَاوِحُ الشَّيْطَانِ » ، قِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : فِي
الْوَضُوءِ وَغَيْرِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فِي الْوَضُوءِ وَغَيْرِهِ (٣) .

وَفِي غَسَلِ الْيَدِ يَأْخُذُ الْأَشْنَانَ بِالْيَمِينِ (٤) ، وَفِي الْخِلَالِ لَا يَزْدَرِدُ مَا يَخْرُجُ
بِالْخِلَالِ مِنَ الْأَسْنَانِ (٥) ، وَمَا يَلُوكُهُ بِاللِّسَانِ فَلَا بَأْسَ بِهِ .

وَيَجْتَنَبُ التَّصَنُّعَ فِي أَكْلِ الطَّعَامِ ، وَيَكُونُ أَكْلُهُ بَيْنَ الْجَمْعِ كَأَكْلِهِ مُنْفَرِدًا ؛

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٢) ، والترمذي (١٨٥٩ ، ١٨٦٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٦٨٧٨) ، وابن ماجه (٣٢٩٧) ، والغمر : الدسم والوسخ .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٥٤٣٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢١٣-٢١٢ / ٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٥٢-٣٥١ / ٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأترعوا : املؤوا ، والطُّسُوس : جمع (طُس) على الأصل ، وأهل طيئ يقولون : (طست) ، كما يقولون في (لِص) : (لِصْت) .

(٣) رواه ابن حبان في « المجروحين » (٢٠٣ / ١) ، وابن أبي حاتم في « علل الحديث » (٧٣) ، وابن طاهر المقدسي في « صفوة التصوف » (٢٥٠) ، واللفظ له ، والدلمي في « الفردوس » (١٠٢٩) ، وانظر « غنية العارف » (٦١٩ / ٢) .

(٤) الأشنان : مادة تُغْسَلُ بها الثياب والأيدي ، وتؤخذ من شجر يُقال له : (الحُرَض) .

(٥) يَزْدَرِدُ : يبتلع .

فَإِنَّ الرِّيَاءَ يَدْخُلُ عَلَى الْعَبْدِ فِي كُلِّ شَيْءٍ^(١) .

وُصِفَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ بَعْضُ الْعُبَادِ ، فَلَمْ يُثْنِ عَلَيْهِ ، قِيلَ لَهُ : تَعْلَمُ بِهِ
بِأَسَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ رَأَيْتُهُ يَتَصَنَّعُ فِي الْأَكْلِ ، وَمَنْ تَصَنَّعَ فِي الْأَكْلِ لَا يُؤْمَنُ
عَلَيْهِ التَّصَنُّعُ فِي الْعَمَلِ^(٢) .

وَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ حَلَالًا فَلْيَقُلْ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ،
وَتَنْزِلُ الْبَرَكَاتُ ، اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛
أَطْعِمْنَا طَيِّبًا ، وَاسْتَعْمِلْنَا صَالِحًا) .

وَإِنْ كَانَ شُبْهَةً يَقُولُ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَلَا تَجْعَلْهُ عَوْنًا عَلَى مَعْصِيَتِكَ) .

وَيُكْثِرُ الْاسْتِغْفَارَ وَالْحَزْنَ ، وَيَبْكِي عَلَى أَكْلِ الشُّبْهَةِ وَلَا يَضْحَكُ ؛ فَلَيْسَ
مَنْ يَأْكُلُ وَهُوَ يَبْكِي كَمَنْ يَأْكُلُ وَهُوَ يَضْحَكُ .

وَيَقْرَأُ بَعْدَ الطَّعَامِ : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، وَ (لَا إِلَهَ إِلَّا قَرِيشٌ) .

وَيَجْتَنِبُ الدَّخُولَ عَلَى قَوْمٍ فِي وَقْتِ أَكْلِهِمْ ؛ فَقَدْ وَرَدَ : « مَنْ مَشَى إِلَى
طَعَامٍ لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ . . مَشَى فَاسِقًا وَأَكَلَ حَرَامًا »^(٣) ، وَسَمِعْنَا لَفْظًا آخَرَ :

(١) فِي هَامِش (ب) : (بَلَّغْ مُقَابَلَةً) .

(٢) انْظُرْ « قُوتُ الْقُلُوبِ » (١٤١٠ / ٣) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي « الْمُسْنَدِ » (٢٤٥٢) مُوقُوفًا عَلَى سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « التَّطْفِيلِ وَحِكَايَاتِ الطِّفْلِ » (ص ٦٣) مُرْفُوعًا عَنْ
سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

« دَخَلَ سَارِقًا وَخَرَجَ مُغِيرًا »^(١) ، إِلَّا أَنْ يَتَّفِقَ دُخُولُهُ عَلَى قَوْمٍ يَعْلَمُ مِنْهُمْ فَرَحَهُمْ بِمُوَافَقَتِهِ .

وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّارِ ، وَلَا يَخْرُجُ الضَّيْفُ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِ الدَّارِ ، وَيَجْتَنِبُ الْمُضِيفُ التَّكْلُفَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ نِيَّةٌ فِيهِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَيَاءً وَتَكْلُفًا .

وَإِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ طَعَامًا فَلْيَقُلْ عِنْدَ فَرَاغِهِ : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ » ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ »^(٢) .

وَرُويَ أَيْضًا : (عَلَيْكُمْ صَلَاةُ قَوْمِ أَبْرَارٍ ، لَيْسُوا بِآثِمِينَ وَلَا فُجَّارٍ ، يُصَلُّونَ بِاللَّيْلِ وَيَصُومُونَ بِالنَّهَارِ) كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَقُولُ ذَلِكَ^(٣) .

وَمِنَ الْأَدَبِ : أَلَّا يَسْتَحَقِرَ مَا يُقَدَّمُ لَهُ مِنَ الطَّعَامِ ؛ وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ : (مَا نَدْرِي أَيُّهُمْ أَعْظَمُ وَزْرًا ؛ الَّذِي يَحْتَقِرُ مَا يُقَدَّمُ إِلَيْهِ ، أَوِ الَّذِي يَحْتَقِرُ مَا عِنْدَهُ أَنْ يُقَدَّمَهُ)^(٤) .

وَيُكْرَهُ أَكْلُ طَعَامِ الْمُبَاهَاةِ ، وَمَا تُكَلِّفُ لِلْأَعْرَاسِ وَالتَّعَازِي ؛ فَمَا عَمِلَ

(١) رواه أبو داود (٣٧٤١) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٦٨ / ٧) ، والخطيب

البغدادي في « التطفيل وحكايات الطفيليين » (ص ٦٠-٦٢) ، وأورد له طرقاً عديدة .

(٢) رواه أبو داود (٣٨٥٤) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٦٨٧٤) ، وأحمد

(١١٨ / ٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن ماجه (١٧٤٧) ، وابن حبان

(٥٢٩٦) عن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما .

(٣) قاله سيدنا أنس رضي الله عنه ، كما رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٣١) ، وابن

السني في « عمل اليوم والليلة » (٢٠٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤ / ٢) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٤٣٦ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء »

(٤٦ / ٣) .

للنوائح لا يُؤْكَلُ ، وما عَمِلَ لأهلِ العَزَاءِ لا بأسَ به وما يَجْرِي مَجْرَاهُ .

وَإِذَا عَلِمَ الرَّجُلُ مِنْ حَالِ أَخِيهِ أَنَّهُ يَفْرَحُ بِالْإِنْبِسَاطِ إِلَيْهِ فِي التَّصَرُّفِ فِي شَيْءٍ مِنْ طَعَامِهِ . . فلا حَرَجَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ طَعَامِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ [النور : ٦١] .

قِيلَ : دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فلم يجدوه ، ففتَحُوا البابَ ، وَأَنْزَلُوا السُّفْرَةَ وَأَكَلُوا ، فَدَخَلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَفَرِحَ ، وَقَالَ : ذَكَّرْتُمُونِي أَخْلَاقَ السَّلَفِ ؛ هَكَذَا كَانُوا ^(١) .

وَمَنْ دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ فَالْإِجَابَةُ مِنَ السُّنَّةِ ، وَأُوكِّدَ ذَلِكَ : الْوَلِيْمَةُ ^(٢) .
وَقَدْ يَتَخَلَّفُ بَعْضُ النَّاسِ عَنِ الدَّعْوَةِ تَكَبُّراً ، وَذَلِكَ خَطَأٌ ، وَإِنْ عَمِلَ ذَلِكَ تَصَنُّعاً وَرِيَاءً . . فَهُوَ شَرٌّ مِنَ التَّكَبُّرِ .

رَوَى أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَقَدْ نَثَرُوا كِسْراً عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقَالُوا : هَلُمَّ الْغَدَاءَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَقَالَ : نَعَمْ ؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، ثُمَّ ثَنَّى وَرَكَعَهُ ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وَقَعَدَ مَعَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ وَأَقْبَلَ يَأْكُلُ ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَرَكَبَ ^(٣) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٤٥٢/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٤٢/٣) .

(٢) الوليمة : طعامُ العُرْسِ ، أو كُلُّ طَعَامٍ صُنِعَ لدعوة وغيرها .

(٣) رواه مختصراً ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٨٧) ط . مكتبة الصديق ، وابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١١٠) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » =

وكان يُقالُ : (الأكلُ مع الإخوانِ أفضلُ مِنَ الأكلِ مع العِيالِ) .

رُوي أنَّ هارونَ الرشيدَ دعا أبا مُعاويةَ الضَّريرَ وأمرَ أنْ يُقدَّمَ لَهُ طعامٌ ،
فلَمَّا أَكَلَ صَبَّ الرشيدُ الماءَ على يَدِهِ في الطَّسْتِ ، فلَمَّا فرَغَ قالَ : يا أبا
مُعاويةَ ؛ تدري مَنْ صَبَّ على يَدِكَ الماءَ ؟ قالَ : لا ، قالَ : أميرُ المؤمنينَ ،
قالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ إنَّما أكرمتَ العلمَ وأجلَّلتَهُ ، فأجَلَّكَ اللهُ تعالى
وأكرَمَكَ كما أكرمتَ العلمَ^(١) ، واللهُ أعلمُ



= (١٧٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨١ / ١٤) ، وفي جميع النسخ ما عدا
(و) : (الحسن) بدل (الحسين) ، والمثبت موافق للمصادر السابقة ، وفيها : أنَّه
دعاهم إلى منزله بعد دعوتهم له .

(١) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١٤ / ٨ - ٩) ، وأورده أبو طالب المكي في
« القوت » (١٤٣٨ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٣٣ / ٣) ، وفي هامش (ب) :
(بلغ سماعهم في الثاني والثلاثين على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الرابع والأربعون

في ذكر آداب جسم في اللباس ونياتهم ومقاصدهم فيه

اللباسُ مِنْ حاجاتِ النَّفْسِ وضروراتِها لدَفْعِ الحَرِّ والبردِ ، كما أَنَّ الطعامَ مِنْ حاجاتِ النَّفْسِ لدَفْعِ الجوعِ .

وكما أَنَّ النَّفْسَ غيرُ قانعةٍ بقدرِ الحاجةِ في الطعامِ ، بل تطلبُ الزياداتِ والشهواتِ . . فهكذا في اللباسِ تتفنَّنُ فيه ، ولها فيه أهويةٌ مُتنوعةٌ ومآربٌ مختلفةٌ^(١) .

فالصُّوفيُّ يَرُدُّ النَّفْسَ في اللباسِ إلى مُتَابَعَةِ صريحِ العلمِ .

قيلَ لبعضِ الصُّوفيَّةِ : ثوبُكَ مُمزَّقٌ !! قالَ : ولكنَّهُ مِنْ وجهٍ حلالٍ ، قيلَ لَهُ : وهو وَسِخٌ !! قالَ : ولكنَّهُ طاهرٌ .

فَنَظَرُ الصَّادِقِ في ثوبِهِ : أَنْ يَكُونَ مِنْ وجهٍ حلالٍ ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمَ وَفِي ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ مِنْ حَرَامٍ . . لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا »^(٢) ؛

(١) قوله : (أهوية) كذا في النسخ ، والصواب : (أهواء) ، وانظر ما سبق تعليقا في (٢٦٩ / ١) .

(٢) رواه أحمد (٩٨ / ٢) ، وابن أبي الدنيا في « الورع » (١٧٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٧٠٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وفيها : =

أي : لا فريضة ولا نافلة^(١) .

ثمَّ بعدَ ذلكَ نظرُهُ فيه : أن يكونَ طاهراً ؛ لأنَّ طهارةَ الثوبِ شرطٌ في صحَّةِ الصلاةِ .

وما عدا هذينِ النَّظَرَيْنِ : فنظرُهُ في كونهِ يدفعُ الحرَّ والبردَ ؛ لأنَّ ذلكَ مصلحةُ النَّفْسِ ، وبعدَ ذلكَ ما تدعو النَّفْسُ إليه . . فكلُّهُ فُضُولٌ وزيادةٌ ونظرٌ إلى الخلقِ .

والصادقُ لا ينبغي أن يلبَسَ الثوبَ إلا لله ؛ وهو سترُ العورةِ ، أو لنفسيهِ لدفعِ الحرِّ والبردِ .

حُكيَ أنَّ سُفيانَ الثَّوريَّ رحمهُ اللهُ خرجَ ذاتَ يومٍ وعليهِ ثوبٌ قد لبَّسهُ مقلوباً ، فقيلَ له^(٢) ، ولم يعلمْ بذلكَ ، فهمَّ أن يخلعهُ ويغيِّرهُ ، ثمَّ تركَ وقالَ : حيثُ لبَّستهُ نويتُ أنَّي ألبَّسهُ لله ، والآنَ فما أُغيِّرهُ إلَّا لنظرِ الخلقِ ، فلا أنقضُ النِّيَّةَ الأولى بهذه^(٣) .

والصُّوفيَّةُ خُصُّوا بطهارةِ الأخلاقِ ، وما رُزِقُوا طهارةَ الأخلاقِ إلَّا بالصَّلاحيةِ والأهليَّةِ والاستعدادِ الذي هيأَ اللهُ لنفوسِهِم .

= (لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه) .

(١) وقيل : لا يقبل توبة ولا فدية ، كما ذكره الأنباري مرفوعاً ، وبه قال مكحول والأصمعي وأبو عبيد ، وقيل : اكتساباً ولا فدية ، قاله يونس ، والذي أورده المؤلف هو ما ذهب إليه الجمهور . انظر « كشف المشكل من حديث الصحيحين » (١ / ١٩٥) ، و« شرح النووي على مسلم » (٩ / ١٤١) .

(٢) زاد في نسخة على هامش (د) : (في ذلك) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٣ / ١٣٥٢-١٣٥٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩ / ٤٤) .

وفي طهارة الأخلاق وتعاضدها تناسب واقع ؛ لوجود تناسب هيئة النفس ، وتناسب هيئة النفس هو المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩] ؛ فالتناسب : هو التسوية .

فمن التناسب : أن يكون لباسهم مُشاكلاً لطعامهم ، وطعامهم مُشاكلاً لكلامهم ، وكلامهم مُشاكلاً لمنامهم ؛ لأنَّ التناسب الواقع في النفس مُقيّد بالعلم ، والتشابه والتماثل في الأحوال يحكم به العلم .

ومتصوِّفة هذا الزمان مُتلزِمون بشيء من التناسب مع مزج الهوى ، وما عندهم من التطلع إلى التناسب رشح حال سلفهم في وجود التناسب .

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : (يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ، وشهوته في بطنه بخمسة دراهم ^(١)) ؛ أنكر ذلك لعدم التناسب .

فمن خشن ثوبه ينبغي أن يكون مأكوله من جنسه ، وإذا اختلف الثوب والمأكول يدلُّ على وجود انحراف ؛ لوجود هوى كامن في أحد الطرفين ؛ إمَّا في طرف الثوب ؛ لموضع نظر الخلق ، وإمَّا في طرف المأكول ؛ لفرط الشر ^(٢) ، وكلا الوصفين مرض يحتاج إلى المداواة ؛ ليعود إلى حد الاعتدال .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٠ / ٩) ، وأورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٤٨) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٦١) ، وزادوا - واللفظ لـ « اللمع » - : (فما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه !؟) .

(٢) ضُبِطت في بعض النسخ : (الشرَّة) ، وتقدم معناها في (٢ / ٢١٠) ، وفي (د) : (الشهوة) ، والكل صحيح مناسب .

لَبَسَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَارَانِي ثوباً غَسِيلاً ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ : لَوْ لَبَسْتَ ثوباً
أَجُودَ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ : لَيْتَ قَلْبِي فِي الْقُلُوبِ مِثْلُ قَمِيصِي فِي الثِّيَابِ ^(١) .

فَكَانَ الْفُقَرَاءُ يَلْبَسُونَ الْمُرَقَّعَ ، وَرَبَّماً كَانُوا يَأْخُذُونَ الْخِرْقَ مِنَ الْمَزَابِلِ
وَيُرْقِّعُونَ بِهَا ثَوْبَهُمْ ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ .

وَهَلْوَءٍ مَا كَانَ لَهُمْ مَعْلُومٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، فَكَمَا كَانَتْ رِقَاعُهُمْ مِنَ
الْمَزَابِلِ كَانَ لَقَمُهُمْ مِنَ الْأَبْوَابِ .

كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الرَّفَاعِيُّ سَافِرَ عَلَى الْفَقْرِ وَالتَّوَكُّلِ ثَلَاثِينَ سَنَةً ^(٢) ، وَكَانَ
إِذَا حَضَرَ لِلْفُقَرَاءِ طَعَامٌ لَا يَأْكُلُ مَعَهُمْ ، فَيُقَالُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَيَقُولُ لَهُمْ : أَنْتُمْ
تَأْكُلُونَ بِحَقِّ التَّوَكُّلِ وَأَنَا آكُلُ بِحَقِّ الْمَسْكِنَةِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ بَيْنَ الْعِشَاءِ يَنْتَصِدِّقُ
الْكِسْرَ مِنَ الْأَبْوَابِ ^(٣) .

وَهَذَا شَأْنٌ مَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَى مَعْلُومٍ ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ مِثَّةٍ .

حُكِيَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ الْمُرَقَّعَاتِ دَخَلُوا عَلَى بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ ،
فَقَالَ لَهُمْ : يَا قَوْمَ ؛ اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُظْهِرُوا هَذَا الزِّيَّ ؛ فَإِنَّكُمْ تُعَرِّفُونَ بِهِ

(١) رَوَى قَوْلَ الدَارَانِي فَقَطِ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٧٧) ، وَأُورِدَهُ كَامِلاً
أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ٢٤٨) ، وَبَنَحُوهُ الْخُرُكُوشِي فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ »
(ص ٢٦٠) ، وَأَحْمَدُ : هُوَ ابْنُ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ صَاحِبُ الدَارَانِي وَتَلْمِيزُهُ ، وَفِي نَسْخَةٍ
عَلَى هَامِشٍ (د) : (ثَوْبِي) بَدَلُ (قَمِيصِي) .

(٢) فِي (د) : (الرَّقَاعِي) بَدَلُ (الرَّفَاعِي) .

(٣) قَوْلُهُ : (يَنْتَصِدِّقُ) كَذَا فِي غَالِبِ النُّسخِ ؛ أَيُّ : يَسْأَلُ الصَّدَقَةَ ، كَمَا نَقَلَهُ ابْنُ السَّيِّدِ
الْبَطْلَيْوْسِيُّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَابْنِ جَنِي ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَحُذِّاقُ النُّحَوِيِّينَ يُنْكِرُونَ أَنْ يُقَالَ
لِلنَّاسِ : مُتَصَدِّقٌ ، وَفِي (هـ ، و) : (يَتَطَلَّبُ) ، وَفِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (ح) :
(يَطْلُبُ) ، وَانْظُرْ « تَاجُ الْعُرُوسِ » (١٥/٢٦) .

وَتُكْرَمُونَ لَهُ ، فَسَكْتُوا كُلُّهُمْ ، فَقَامَ شَابٌّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
جَعَلَنَا مِمَّنْ يُعْرَفُ بِهِ وَيُكْرَمُ لَهُ^(١) ، وَاللَّهِ ؛ لَنُظْهِرَنَّ هَذَا الرَّيَّ حَتَّى يَكُونَ
الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ، فَقَالَ لَهُ بِشْرٌ : أَحْسَنْتَ يَا غَلَامُ ، مِثْلَكَ مَنْ يَلْبَسُ
الْمُرْقَعَةَ^(٢) .

فَكَانَ أَحَدُهُمْ يَبْقَى زَمَانَهُ لَا يُطَوُّى لَهُ ثَوْبٌ ، وَلَا يَمْلِكُ غَيْرَ ثَوْبِهِ الَّذِي
عَلَيْهِ .

وَرُوي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَبَسَ قَمِيصًا شَرَاهُ بِثَلَاثَةِ
دِرَاهِمٍ ، ثُمَّ قَطَعَ كُمَّهُ مِنْ رُؤُوسِ أَصَابِعِهِ^(٣) .

وَرُوي عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَى
صَاحِبِيكَ فَرَقِّعْ قَمِيصَكَ ، وَاخْصِفْ نَعْلَكَ ، وَقَصِّرْ أَمْلَكَ ، وَكُلْ دُونَ
الشَّبْعِ)^(٤) .

وَحُكِيَ عَنِ الْجُرَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ فِي جَامِعِ بَغْدَادَ رَجُلٌ
لَا نَكَادَ نَجْدُهُ إِلَّا فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ ،
فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ وَلِغْتُ بِكَثْرَةِ لُبْسِ الثِّيَابِ ، فَرَأَيْتُ لَيْلَةً فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي

(١) فِي (ب) : (نَعْرِفُ بِهِ وَنُكْرَمُ لَهُ) .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ٢٤٨) ، وَالْخُرَكُوشِي فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ »
(ص ٢٦١) .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « التَّوَاضُّعِ وَالْخُمُولِ » (١٣٩) ، وَابْنُ عَسَاكَرٍ فِي « تَارِيخِ
دِمَشْقَ » (٤٨٣ / ٤٢) .

(٤) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « التَّوَاضُّعِ وَالْخُمُولِ » (١٤٢) ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « تَارِيخِ
بَغْدَادَ » (٤٢٥ / ٥) ، وَابْنُ عَسَاكَرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٢٨٨ / ٤٤) ، وَقَوْلُهُ :
(صَاحِبِيكَ) ؛ أَيُ : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

دخلت الجنة ، فرأيت جماعة من أصحابنا من الفقراء على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم ، فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني ، وقالوا لي : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت لك قميصان ، فلا تجلس معهم ، فانتبهت ونذرت ألا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله عز وجل^(١) .

وقيل : مات أبو يزيد رحمه الله ولم يترك إلا قميصه الذي كان عليه ، وكان عارية ، فردوه إلى صاحبه^(٢) .

وحكي لنا عن الشيخ حماد الدباس شيخ شيخنا رحمهما الله : أنه بقي زماناً لا يلبس الثوب إلا مُستأجراً^(٣) ، حتى لا يلبس على ملك نفسه شيئاً . وقال أبو حفص الحداد رحمه الله : (إذا رأيت ضوء الفقير في ثوبه . . فلا ترج خيره)^(٤) .

(١) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٤٨) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٦١) ، وروى أبو طالب المكي في « القوت » (٩٤٣/٢) نحو هذه القصة عن بعض العارفين قال : (رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت ، وكأن الناس يساقون زمرة زمرة إلى الجنة على طبقات ، فنظرت إلى طبقة أحسن الناس هيئة ، وأعلامهم مرتقى ، وأسرعهم سبقاً ، فقلت : هذه أفضلهم أكون فيهم) ، قال : (فذهبت لأخطو إليهم وأدخل معهم في طريقهم ، فإذا بملائكة حولهم قد منعوني ، وقالوا : قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم ، فقلت : تمنعوني أن أكون مع هؤلاء السابقين ؟ ! فقالوا : هذا طريق لا يسلكه إلا من لم يكن له إلا قميص واحد ، ومن كل شيء واحد ، وأنت لك قميصان ، ومن الأشياء زوجان) ، قال : (فانتبهت باكياً حزيناً ، فجعلت على نفسي ألا أملك من كل شيء إلا واحداً) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٤٩) .

(٣) حماد الدباس : شيخ الإمام المُرَبِّي أبي النجيب السهروردي ، وقد سبقت ترجمته في (٤٤٦/١) .

(٤) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٤٨) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » =

وقيل : مات ابنُ الكَرْنَبِيِّ - وكانَ أستاذُ الجُنَيْدِ - وعليه مُرَقَّعُهُ ، قيل :
كانَ وزنُ فردٍ كُمْ لَهُ ودخاريصِهِ ثلاثةَ عَشَرَ رَطْلًا^(١) .

فقد يكونُ جمعٌ مِنَ الصالحينَ على هذا الزِّيِّ والتخشُّنِ .

وقد يكونُ جمعٌ مِنَ الصالحينَ يتكَلَّفونَ لُبْسَ غيرِ المُرَقَّعِ وزِيَّ الفقراءِ ،
ويكونُ نِيَّتُهُمْ في ذلكَ سَتْرَ الحالِ ، أو خَوْفَ عَدَمِ النهوضِ بواجبِ حقِّ
المُرَقَّعةِ .

وقيلَ : كانَ أبو حفصِ الحدَّادُ رحمهُ اللهُ يلبَسُ الناعمَ ، ولهُ بيتُ فرَشَ
فيه الرَّمْلُ ، لعلَّهُ كانَ ينامُ عليه بلا وِطاءٍ^(٢) .

وقد كانَ قومٌ مِنَ أصحابِ الصُّفَّةِ يكرهونَ أنْ يجعلوا بينَهُم وبينَ الترابِ
حائلاً ، ويكونُ لُبْسُ أبي حفصِ الناعمَ بعِلْمِ ونيَّةِ يلقى اللهَ تعالى بصحَّتِها ،
وهكذا الصادقونَ إنْ لبسُوا غيرَ الخَشِنِ مِنَ الثوبِ ؛ لنيَّةِ تكونَ لَهُم في
ذلكَ ، فلا يُعْتَرَضُ عَلَيْهِم .

غيرَ أنَّ لُبْسَ الخَشِنِ والمُرَقَّعِ يصلُحُ لسائرِ الفقراءِ بنيَّةِ التقلُّلِ مِنَ الدنيا
وزَهْرَتِها وبَهْجَتِها ، وقد وَرَدَ : « مَنْ تَرَكَ ثَوْبَ جَمالٍ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى لُبْسِهِ .
أَلْبَسَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ »^(٣) .

= (٣٤٠ / ١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٦ / ٦٦) عن أبي جعفر الحدَّادِ
رحمه الله تعالى .

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٤١٥ / ١٤) ، والدِّخارِيسُ : جمع (دِخْرِيس) ؛ وهو ما يُوصَلُ
به القميص والدُّرْعُ لِيُوسَّعَهُ ، وفي أغلب النسخ : (وتَخارِيسُهُ) بالتاء ، وهي لغة فيه .

(٢) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٤٩) .

(٣) رواه الترمذِي (٢٤٨١) ، والحاكِم (٦١ / ١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » =

وَأَمَّا لُبْسُ النَّاعِمِ فَلَا يَصْلُحُ إِلَّا لِعَالِمٍ بِحَالِهِ ، بِصِيرٍ بِصِفَاتِ نَفْسِهِ ، مُتَفَقِّدٍ خَفِيِّ شَهَوَاتِ النَّفْسِ ، يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى بِحُسْنِ النِّيَّةِ فِي ذَلِكَ ، وَلِحُسْنِ النِّيَّةِ فِي ذَلِكَ وَجُوهٌ مُتَعَدِّدَةٌ يَطُولُ شَرْحُهَا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَقْصِدُ لُبْسَ ثَوْبٍ بَعِيْنِهِ ؛ لَا لَخُشُونَتِهِ وَلَا لِنُعُومَتِهِ ، بَلْ يَلْبَسُ مَا يُدْخِلُ الْحَقُّ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُ بِحَكْمِ الْوَقْتِ ، وَهَذَا حَسَنٌ .

وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ : أَنْ يَتَفَقَّدَ نَفْسَهُ فِيهِ ، فَإِنْ رَأَى لِنَفْسِهِ شَرِبًا^(١) ، أَوْ شَهْوَةً خَفِيَّةً أَوْ جَلِيَّةً فِي الثَّوْبِ الَّذِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ . . يُخْرِجُهُ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَالُهُ مَعَ اللَّهِ تَرَكَ الْاِخْتِيَارَ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَسْعُهُ إِلَّا أَنْ يَتَلَبَّسَ بِالثَّوْبِ الَّذِي سَأَقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ .

وَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا أَبُو النَّجِيبِ الشَّهْرُورْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لَا يَتَقَيَّدُ بِهَيْئَةٍ مِنَ الْمَلْبُوسِ ، بَلْ كَانَ يَلْبَسُ مَا يَتَّفَقُ مِنْ غَيْرِ تَعَمُّلٍ وَتَكَلُّفٍ وَاخْتِيَارٍ ، وَقَدْ كَانَ يَلْبَسُ الْعِمَامَةَ بَعَشْرَةَ دَنَانِيرَ ، وَيَلْبَسُ الْعِمَامَةَ بَدَانِقٍ .

وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَلْبَسُ هَيْئَةً مَخْصُوصَةً وَيَتَطَلَّسُ^(٢) .

وَكَانَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ الْهَيْتِيِّ يَلْبَسُ لُبْسَ فَقَرَاءِ السَّوَادِ^(٣) .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْفَرَّاءُ بَزَنْجَانٍ يَلْبَسُ فَرَوًّا خَشِينًا كَأَحَادِ الْعَوَامِّ .

= (٢٠ / ١٨٨ - ١٨٩) عَنْ سَيِّدِنَا مَعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(١) الشَّرْبُ : الْحِظُّ وَالنَّصِيبُ .

(٢) فِي (ج ، هـ ، ح) : (وَيَتَطِيلِسُ) بَدَلُ (وَيَتَطَلَّسُ) ، وَكِلَاهُمَا جَائِزٌ .

(٣) رَوَى الْإِرْبَلِيُّ فِي « تَارِيخِهِ » (١ / ٥٤) أَنَّ ابْنَ الْهَيْتِيِّ كَانَ يَلْبَسُ الْخَشْنَ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ يَلْفُ عَلَى رَأْسِهِ قِطْعَةً مِنْ خَامٍ .

ولكل في لبسه وهيئته نيّةٌ صالحةٌ ، وشرحُ تفاوتِ الأقدامِ في ذلك يطول .

وكان الشيخُ أبو السُّعودِ رحمه الله حاله مع الله ترك الاختيار ، وقد يُساقُ إليه الثوبُ الناعمُ فيلبسه ، وكان يُقالُ له : ربّما يسبقُ إلى بواطنِ بعضِ الناسِ الإنكارُ عليك في لبسِكَ هذا الثوبِ ، فيقولُ : لا نلقَى إلا أحدَ الرجلينِ : رجلٌ يُطالبُنا بظاهرِ حكمِ الشرعِ ، فنقولُ له : هل ترى أنَّ ثوبنا يكرههُ الشرعُ أو يُحرّمهُ ؟ فيقولُ : لا ، ورجلٌ يُطالبُنا بحقائقِ القومِ مِنْ أربابِ العزيمةِ ، فنقولُ له : هل ترى لنا فيما لبسنا اختياراً ، أو ترى عندنا فيه شهوةٌ ؟ فيقولُ : لا^(١) .

وقد يكونُ مِنَ الناسِ مَنْ يقدرُ على لبسِ الناعمِ ولبسِ الخشنِ ، ولكن يُحبُّ أن يختارَ الله تعالى له هيئةً مخصوصةً ، فيكثرُ اللجوءَ إلى الله تعالى والافتقارَ إليه ، ويسألهُ أن يُريه أحبَّ الزيِّ إلى الله له ، وأصلحَهُ لدينه ودُنياه ؛ لكونه غيرَ صاحبِ غرضٍ وهوى في زيِّ بعينه .

فالله تعالى يفتحُ عليه ويُعرِّفه زياً مخصوصاً ، فيلتزمُ بذلك الزيِّ ، فيكونُ لبسهُ بالله ، ويكونُ هذا أتمَّ وأكملَ ممَّن يكونُ لبسهُ لله .

وَمِنَ الناسِ مَنْ يتوفَّرُ حظُّهُ مِنَ العلمِ ، وينبسطُ بما يبسطُهُ اللهُ ؛ فيلبسُ الثوبَ عن علمٍ وإيقانٍ ، ولا يُبالي بما لبسه ؛ ناعماً كان أو خشناً .

وربّما لبسَ ناعماً ولنفسِهِ فيه اختيارٌ وحظٌّ ، وذلك الحظُّ فيه يكونُ مكفراً

(١) وقد سبق له قصة في ذلك أيضاً في (١/٤٥٠-٤٥١) .

له ، مَرْدوداً عليه ، مَوْهُوباً له ، يُوافِقُهُ اللهُ تعالى في إرادةِ نَفْسِهِ ، ويكونُ
هذا الشخصُ تامَّ التزكية ، تامَّ الطهارة ، مَحْبوباً مُراداً ، يُسارعُ اللهُ تعالى
إلى مُرادِهِ ومَحَابِّهِ ، غيرَ أنَّها هنا مَزَلَّةُ القَدَمِ لكثيرٍ مِنَ المُدَّعينَ .

حُكِيَ عن يحيى بنِ مُعَاذِ الرازي رحمهُ اللهُ : أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الصُّوفَ
وَالخُلُقَانَ في ابتداءِ أمرِهِ^(١) ، ثُمَّ صارَ في آخِرِ عُمرِهِ يَلْبَسُ الناعمَ ، فَقِيلَ لأبي
يزيدَ ذلكَ ، فَقَالَ : مسكينُ يحيى ؛ لم يصبرْ على الدُّونِ فكيفَ يصبرُ على
النُّخبِ ؟! (٢) .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ عِلْمٌ مَا سَوْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنَ الملبوسِ ، فَيَلْبَسُهُ
فَيَكُونُ مَحْمُولاً فِيهِ .

وَكُلُّ أَحْوالِ الصَّادِقِينَ على اخْتِلَافٍ تَنَوُّعِهَا مُسْتَحْسَنَةٌ ؛ ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ
عَلَى شَاكِلَتِهِ ۚ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٤] .

وَلَبَسُ الخَشَنِ مِنَ الشَّيْبِ هُوَ الْأَحَبُّ وَالْأَوَّلَى وَالْأَنْسَبُ وَالْأَسْلَمُ لِلْعَبْدِ ،
وَالْأَبْعَدُ مِنَ الْآفَاتِ .

قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : دَخَلْتُ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ
أَعُوذُهُ فِي مَرَضِهِ ، فَرَأَيْتُ قَمِيصَهُ وَسِخَاً ، فَقُلْتُ لَامْرَأَتِهِ فَاطِمَةَ : اغْسِلُوا
ثِيَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَتْ : نَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللهُ .

قَالَ : ثُمَّ عُدَّتْهُ فَإِذَا الْقَمِيصُ عَلَى حَالِهِ ، فَقُلْتُ : يَا فَاطِمَةُ ؛ أَلَمْ أَمُرْكُمْ

(١) الخُلُقَان : جمع (خَلَقَ) ؛ وهو البالي .

(٢) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٤٩) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
(ص ٢٦٠-٢٦١) ، وفي « اللمع » : (البخت) بدل (النُّخب) ، وفي « التهذيب » :

(التخت) !!

أَنْ تَغْسِلُوا قَمِيصَهُ ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ ؛ مَا لَهُ قَمِيصٌ غَيْرُهُ ^(١) .

وَقَالَ سَالِمٌ : (كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَلْيَنِ النَّاسِ لِبَاساً مِنْ قَبْلِ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا سُلِّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ضَرَبَ رَأْسَهُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ وَبَكَى ، ثُمَّ دَعَا بِأَطْمَارٍ لَهُ فَلَبَسَهَا) ^(٢) .

وَقِيلَ : لَمَّا مَاتَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَدَ فِي ثَوْبِهِ أَرْبَعُونَ رُقْعَةً ، وَكَانَ عَطَاؤُهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ .

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ : لَيْسَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَمِيصاً رَازِئاً ، فَكَانَ إِذَا مَدَّ كُمَّهُ بَلَغَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ ، فَعَابَهُ الْخَوَارِجُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَتَعْيِبُونِي عَلَى لِبَاسٍ هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الْكِبَرِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِي الْمُسْلِمُ ؟ ^(٣) .

وَقِيلَ : كَانَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا رَأَى عَلَى رَجُلٍ ثَوْبَيْنِ رَقِيقَيْنِ . . . علاه بِالذَّرَّةِ ، وَقَالَ : دَعُوا هَذِهِ الْبَرَاقَاتِ لِلنِّسَاءِ ^(٤) .

وَرُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « نَوِّزُوا قُلُوبَكُمْ

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥٨/٥) ، وابن سمعون في « الأملاني » (١٩١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١١/٤٥) .

(٢) الأَطْمَارُ : جمع (طَمَر) ؛ وهو الثوب البالي .

(٣) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٨٢/١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٠/٤٢) ، ومختصراً ابن أبي الدنيا في « التواضع والخمول » (١٤١) .

(٤) رواه معمر بن راشد في « الجامع » (١٩٩٧٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٢٢٨) ، وفيهما أنه قاله لَمَنْ لَبَسَ مَعْصِراً ، وروى مسلم (١٥/٢٠٦٩) وغيره أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ خُطِبَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ : (نَهَى نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ ، إِلَّا مَوْضِعَ إِصْبَعَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ) .

بِلِبَاسِ الصُّوفِ ؛ فَإِنَّهُ مَذَلَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَنُورٌ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُفْسِدُوا
دِينَكُمْ بِحَمْدِ النَّاسِ وَثَنَائِهِمْ »^(١) .

وَرُويَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَذَى نَعْلَيْنِ^(٢) ، فَلَمَّا نَظَرَ
إِلَيْهِمَا أَعْجَبَهُ حُسْنُهُمَا ، فَسَجَدَ لِلَّهِ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : « خَشِيتُ أَنْ
يُغْرِضَ عَنِّي رَبِّي فَتَوَاضَعْتُ لَهُ ، لَا جَرَمَ لَا يَبِيتَانِ فِي مَنْزِلِي ؛ لِمَا تَخَوَّفْتُ
أَلَمَقْتَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَجْلِهِمَا » ، فَأَخْرَجَهُمَا فَدَفَعَهُمَا إِلَى أَوَّلِ مَسْكِينٍ
لَقِيَهُ ، ثُمَّ أَمَرَ فَاشْتَرَى لَهُ نَعْلَانِ مَخْصُوفَتَانِ^(٣) .

وَرُويَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَسَ الصُّوفَ ، وَاخْتَذَى
الْمَخْصُوفَ^(٤) ، وَأَكَلَ مَعَ الْعَبِيدِ^(٥) .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مَحَلًّا لَآفَاتٍ ، وَالْوَقُوفُ عَلَى دَسَائِسِهَا وَخَفِيِّ شَهَوَاتِهَا
وَكَامِنٍ هَوَاهَا عَسِرٌ جَدًّا . . فَالْأَلِيقُ وَالْأَجْدَرُ وَالْأَوَّلَى الْأَخْذُ بِالْأَخْوَطِ ، وَتَرْكُ
مَا يَرِيبُ إِلَى مَا لَا يَرِيبُ .

وَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ الدَّخُولُ فِي السَّعَةِ إِلَّا بَعْدَ إِتْقَانِ عِلْمِ السَّعَةِ وَكَمَالِ تَرْكِ
النَّفْسِ ؛ وَذَاكَ إِذَا غَابَتِ النَّفْسُ بِغِيَةِ هَوَاهَا الْمُتَّبِعِ ، وَتَخَلَّصَتِ النِّيَّةُ ، وَتَسَدَّدَ
التَّصَرُّفُ بِعِلْمٍ صَرِيحٍ وَاضِحٍ^(٦) .

(١) حكم بوضعه الغماري في « الغنية » (٦٣١ / ٢) .

(٢) اخْتَذَى : انتعل ولبس .

(٣) حكم بوضعه أيضاً الغماري في « الغنية » (٦٣٢ / ٢) .

(٤) المَخْصُوفُ : الذي خُرِزَ بعضه على بعض .

(٥) سبق تخريجه في (٢٥٨ / ١) .

(٦) في بعض النسخ : (وتسَدَّدَتِ للتصرف) بدل (وتسَدَّدَ التصرف) .

وللعزيمة أقوامٌ يركبونها ويُرَاعونها ، لا يَرَوْنَ النزولَ إلى الرُّخصِ ؛
خوفاً مِنْ فُوتِ فضيلةِ الزُّهدِ في الدنيا ، واللِّباسِ الناعمِ مِنَ الدنيا .
وقد قيلَ : مَنْ رَقَّ ثوبُهُ رَقَّ دِينُهُ^(١) .

وقد يُرَخَّصُ في ذلكَ لِمَنْ لا يلتزمُ بالزُّهدِ ويقفُ على رُخصةِ الشرعِ .
روى عَلَقَمَةُ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه
وسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ » ، فقالَ
رجلٌ : إِنَّ الرجلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثوبُهُ حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنًا ، فقالَ النبيُّ
صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ »^(٢) .

وتكونُ هذهِ الرُّخصةُ في حقِّ مَنْ يَلْبَسُهُ بهوىِ نَفْسِهِ في ذلكَ^(٣) ، غيرَ
مُفتخِرٍ بهِ ومُختالٍ ، فَأَمَّا مَنْ لَبَسَ الثوبَ للتفاخُرِ بالدنيا والتكاثرِ بها . . فقد
وَرَدَ فِيهِ وعيدٌ .

روى أبو هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ قَالَ :
« إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ
الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَبَيْنَمَا
رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَبَخَّرُ فِي رِدَائِهِ . . إِذْ أَعْجَبَهُ رِدَاؤُهُ ، فَخَسَفَ اللهُ بِهِ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٧٤٧ / ٢) ، وابن كثير في « البداية والنهاية »
(٢٧١ / ٩) ، وعزاه إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٢) رواه مسلم (٩١) وغيره .

(٣) في بعض النسخ : (لا بهوى) بدل (بهوى) ، ولعل الأنسب ما أثبت ، والله تعالى
أعلم .

الْأَرْضَ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » (١) .

والأحوال تختلف ، ومن صحَّ حاله بصحة علمه . . صحَّت نيته في
مأكوله وملبوسه وسائر تصاريفه ، وكلُّ الأحوال تستقيم وتتسدَّد باستقامة
الباطن مع الله ، وبقدَر ذلك تستقيم تصاريف العبد كلها بحسن توفيق الله
تعالى (٢) .



-
- (١) رواه إلى قوله : (فهو في النار) : النسائي في « السنن الكبرى » (٩٦٢٦) ، وأحمد
(٢٨٧ / ٢) ، وإلى قوله : (لم ينظر الله إليه يوم القيامة) : مالك في « الموطأ »
(٩١٤ / ٢) ، وأبو داود (٤٠٩٣) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٩٦٣١) ، وابن
ماجه (٣٥٧٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وروى قوله : (فينما
رجل . . . إلى يوم القيامة) : البخاري (٥٧٨٩) ، ومسلم (٢٠٨٨) عن سيدنا
أبي هريرة رضي الله عنه ، ويتجلجل : يسيخ وينزل مضطرباً .
(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب الخامس والأربعون

في ذكر فضل قيام الليل

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الأنفال : ١١] .

نزلت هذه الآية في المسلمين يوم بدر ؛ حيث نزلوا على كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ تَسُوخُ فِيهِ الْأَقْدَامُ وحوافر الدَّوَابِّ ، وَسَبَقَهُمُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى مَاءِ بَدْرِ الْعُظْمَى وَغَلَبَوْهُمْ عَلَيْهَا ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ بَيْنَ مُحْدِثٍ وَجُنُبٍ ، وَأَصَابَهُمُ الظَّمَاءُ .
وَوَسَّوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَفِيكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ، وَقَدْ غَلَبَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْمَاءِ وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُحْدِثِينَ وَمُجَنِّبِينَ ، فَكَيْفَ تَرْجُونَ الظَّفَرَ عَلَيْهِمْ ؟!

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَطَرًا مِنَ السَّمَاءِ سَالَ مِنْهُ الْوَادِي ، فَشَرِبَ الْمُسْلِمُونَ وَاغْتَسَلُوا ، وَتَوَضَّؤُوا وَسَقَوْا دَوَابَّهُمْ ، وَمَلَأُوا الْأَسْقِيَةَ ، وَلَبَّدَ الْأَرْضَ حَتَّى ثَبَّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ^(١) .

(١) في (أ ، ج ، ز) : (الوادي) بدل (الأرض) ، وانظر «تفسير الطبري» (١٣/٤٢٣-٤٢٧) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ * إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴿
[الأنفال : ١١-١٢] ؛ أَمَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَلَائِكَةِ حَتَّىٰ غَلَبُوا الْمُشْرِكِينَ .

وَلِكُلِّ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ، وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى كَمَا جَعَلَ
النُّعَاسَ أَمَنَةً وَرَحْمَةً لِلصَّحَابَةِ خَاصَّةً فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ وَالْحَادِثَةِ . فَهُوَ رَحْمَةٌ
تَعُمُّ الْمُؤْمِنِينَ .

وَالنُّعَاسُ قِسْمٌ صَالِحٌ مِنَ الْأَقْسَامِ الْعَاجِلَةِ لِلْمُرِيدِينَ ، وَهُوَ أَمَنَةٌ لِقُلُوبِهِمْ
عَنْ مُنَازَعَاتِ النَّفْسِ ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ بِالنَّوْمِ تَسْتَرِيحُ وَلَا تَشْكُو الْكَلَالَ وَالتَّعَبَ ؛
إِذْ فِي شِكَايَتِهَا وَتَعَبِهَا تَكْدِيرُ الْقَلْبِ ، وَبِاسْتِرَاحَتِهَا بِالنَّوْمِ بِشَرْطِ الْعِلْمِ
وَالِاعْتِدَالِ . . رَاحَةُ الْقَلْبِ ؛ لِمَا بَيْنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ مِنَ الْمُوَاطَآتِ عِنْدَ
طُمَأْنِينَتِهَا لِلْمُرِيدِينَ السَّالِكِينَ .

فَقَدْ قِيلَ : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ثُلُثُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ نَوْمًا حَتَّى لَا يَضْطَرِبَ
الْجَسَدُ ؛ فَيَكُونَ ثَمَانِ سَاعَاتٍ لِلنَّوْمِ ؛ سَاعَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ يَجْعَلُهُمَا الْمُرِيدُ
بِالنَّهَارِ ، وَسَتَّ سَاعَاتٍ بِاللَّيْلِ ، وَيَزِيدُ فِي أَحَدِهِمَا وَيَنْقُصُ مِنَ الْآخَرِ عَلَى
قَدْرِ طُولِ اللَّيْلِ وَقِصَرِهِ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

وَقَدْ يَكُونُ بِحُسْنِ الْإِرَادَةِ وَصِدْقِ الطَّلَبِ يَنْقُصُ النَّوْمُ عَنْ قَدْرِ الثُّلْثِ ، وَلَا
يَضُرُّ ذَلِكَ إِذَا صَارَ بِالتَّدْرِيجِ عَادَةً .

وَقَدْ يَحْمِلُ ثِقَلَ السَّهَرِ وَقِلَّةَ النَّوْمِ وَجُودَ الرُّوحِ وَالْأَنْسِ ؛ فَإِنَّ النَّوْمَ طَبْعُهُ
بَارِدٌ رَطْبٌ يَنْفَعُ الْجَسَدَ وَالْدِّمَاغَ ، وَيُسْكِنُ مِنَ الْحَرَارَةِ وَالْيُبْسِ الْحَادِثِ فِي
الْمِزَاجِ ، فَإِنْ نَقَصَ مِنَ الثُّلْثِ يَضُرُّ الدِّمَاغَ ، وَيُخْشَىٰ مِنْهُ اضْطِرَابُ الْجِسْمِ ،

فإذا ناب عن النوم رَوْحُ القلبِ وأُسنُهُ . لا يَضُرُّ نقصانُهُ ؛ لأنَّ طبيعةَ الرِّوحِ
والأنسِ باردٌ رَطْبٌ كطبيعةِ النومِ .

وقد يُقَصِّرُ مُدَّةَ طولِ الليلِ وجودُ الرِّوحِ ، فتصيرُ بالرَّوْحِ أوقاتُ الليلِ
الطويلة كالقصيرة ، كما يُقالُ : (سَنَةُ الوَصْلِ سِنَةٌ ، وَسِنَةُ الهَجْرِ سِنَةٌ)^(١) ،
فيَقْصُرُ الليلُ لأهلِ الرِّوحِ .

نُقِلَ عن عليِّ بنِ بَكَّارٍ رحمه الله أَنَّهُ قالَ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أَحْزَنَنِي إِلَّا
طُلُوعُ الفَجْرِ)^(٢) .

وقيلَ لبعضِهِم : كيفَ كنتَ والليلُ ؟ قالَ : ما راعَيْتُهُ قطُّ ؛ يُرِينِي
وجهَهُ ، ثُمَّ ينصرفُ وما تأمَّلْتُهُ^(٣) .

وقالَ أبو سُلَيْمَانَ الدارانِيُّ رحمه اللهُ : (أَهلُ الليلِ في ليلِهِم أَشَدُّ لَذَّةً مِنْ
أهلِ اللَّهْوِ في لَهْوِهِم)^(٤) .

وقالَ بعضُهُم : (ليسَ في الدنيا شيءٌ يُشْبِهُ نعيمَ أهلِ الجَنَّةِ . . إِلَّا ما يَجِدُهُ

(١) هو مأخوذ من قول الشاعر العباسي أبي محمَّد المطراني : (من البسيط)

ليلُ الهوى سَنَةٌ في الهَجْرِ مُدَّةٌ لَكِنَّهُ سِنَةٌ في الوَصْلِ مِنْ قِصَرِ

انظر « يتيمة الدهر » (١٣٤ / ٤) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٩ / ١) ، والغزالي في « الإحياء »
(٥٦٣ / ٢) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٨ / ١) ، والغزالي في « الإحياء »
(٥٦٣ / ٢) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥) ، وأبو نعيم في « الحلية »
(٢٧٥ / ٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٤٦ / ٣٢) ، وزادوا : (ولولا الليلُ
ما أحببت البقاء في الدنيا) .

أهل التملُّق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة (١) .

فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل .

وقال بعض العارفين : (إنَّ الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين في الأسحار فيملؤها نوراً ، فتردُّ الفوائد على قلوبهم فتستير ، ثمَّ تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين) (٢) .

وقد ورد أنَّ الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه : إنَّ لي عبداً يحبُّونني وأحبُّهم ، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم ، ويذكرونني وأذكُرهم ، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم ، فإنَّ حدوت طريقهم أحببتك ، وإنَّ عدلت عن ذلك مَقَّتكَ .

قال : يا ربِّ ؛ ما علامتهم ؟

قال : يُراعون الظلالَ بالنهار كما يُراعي الراعي غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنُّ الطير إلى أوكارها ، فإذا جنَّهم الليل ، واختلط الظلام ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه . . نصَّبوا لي أقدامهم ، وافتَرشوا لي وجوههم ، ناجوني بكلامي ، وتملَّقوا لي بإنعامي ؛ فبين صارخ وباك ، وبين مُتأوِّه وشاك ، بعيني ما يتحمَّلون من أجلي ، وبسمعي ما يشكون من حبي .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١١٠ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٦٤ / ٢) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١١١ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٦٤ - ٥٦٦ / ٢) ، والعوافي : الواردات والزوائد .

أَوَّلُ مَا أُعْطِيَهُمْ : أَنْ أَقْدِفَ مِنْ نُورِي فِي قُلُوبِهِمْ ، فَيُخْبِرُونَ عَنِّي كَمَا أَخْبَرُ عَنْهُمْ .

والثاني : لو كانت السماوات السبع والأرضون السبع وما فيها في موازينهم . . استقللتها لهم .

والثالث : أَقْبِلْ بَوَجْهِي عَلَيْهِمْ ، أَفَتَرَى مَنْ أَقْبَلْتُ بَوَجْهِي عَلَيْهِ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَهُ ؟! ^(١) .

فالصادقُ المريدُ إذا خلا في ليله بمُناجاةِ ربِّه انتشرت أنوارُ ليله على جميع أجزاءِ نهاره ، ويصيرُ نهارُهُ في حِمَايةِ ليله ؛ وذلكَ لامتلاءِ قلبه بالأنوارِ ، فتكونُ حركاتُهُ وتصاريفُهُ بالنهارِ تصدرُ من منبعِ الأنوارِ المُجمِعةِ من الليلِ ، ويصيرُ قلبُهُ في قُبَّةٍ من قبابِ الحقِّ ، مُسَدَّدةً حركاتُهُ ، مُوقَّرةً سَكَنَاتُهُ .

وقد وَرَدَ : « مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ » ^(٢) ، ويجوزُ أَنْ يكونَ بِمَعْنَيْنِ :

أحدهما : أَنَّ المِشْكَاةَ تستنيرُ بالمِصْبَاحِ ، فإذا صارَ سراجُ اليقينِ في القلبِ يَزْهَرُ بكثرةِ زيتِ العملِ بالليلِ . . يزدادُ المِصْبَاحُ إشراقاً ، وتكتسبُ مِشْكَاةُ القلبِ نوراً وضياءً .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١١١/١ - ١١٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٦٥/٢) .

(٢) رواه ابن ماجه (١٣٣٣) ، والمروزي في « قيام الليل » (ص ٥٨) ، والقضاعي في « المسند » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٢٨٣٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

كَانَ يَقُولُ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : (الْيَقِينُ نَارٌ ، وَالْإِقْرَارُ فَتِيلَةٌ ، وَالْعَمَلُ زَيْتٌ) (١) .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] ،
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور : ٣٥] .

فَنُورُ الْيَقِينِ مِنْ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى فِي زُجَاجَةِ الْقَلْبِ ، تَزْدَادُ ضِيَاءً بِزَيْتِ
الْعَمَلِ ، فَتَبْقَى زُجَاجَةُ الْقَلْبِ كَالْكُوكِبِ الدَّرِّيِّ ، وَتَنْعَكِسُ أَنْوَارُ الزُّجَاجَةِ
عَلَى مِشْكَاةِ الْقَالِبِ .

وَأَيْضاً : يَلِينُ الْقَلْبُ بِنَارِ النُّورِ ، وَيَسْرِي لِيْنُهُ إِلَى الْقَالِبِ ، فَيَلِينُ الْقَالِبُ
لِلْيَنِ الْقَلْبِ ، فَيَتَشَابِهَانِ لَوْجُودِ اللَّيْنِ الَّذِي عَمَّهُمَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ
تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] ؛ وَصَفَ الْجُلُودَ بِاللَّيْنِ كَمَا
وَصَفَ الْقُلُوبَ بِاللَّيْنِ .

فَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِالنُّورِ ، وَلَانَ الْقَالِبُ بِمَا سَرَى فِيهِ مِنَ الْأَنْسِ
وَالشُّرُورِ . . يَنْدَرِجُ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ فِي نُورِ الْقَلْبِ ، فَتَنْدَرِجُ فِيهِ الْكَلِمُ
وَالْآيَاتُ وَالسُّورُ ، وَتُشْرِقُ الْأَرْضُ - أَرْضُ الْقَالِبِ - بِنُورِ رَبِّهَا ؛ إِذْ يَصِيرُ
الْقَلْبُ سَمَاءً ، وَالْقَالِبُ أَرْضاً .

وَلَذَلِكَ تَلَاوَةُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَحَلِّ الْمُنَاجَاةِ . . تَسْتُرُ كَوْنَ الْكَائِنَاتِ ،
وَالْكَلَامُ الْمَجِيدُ بِكَوْنِهِ يَنْوُبُ عَنْ سَائِرِ الْوُجُودِ فِي مُزَاحِمَةِ صَفْوِ الشُّهُودِ ، فَلَا
يَبْقَى حَيْثُذِ النَّفْسِ حَدِيثٌ ، وَلَا يُسْمَعُ لِلْهَاجِسِ حَسِيسٌ ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٢٠٢ / ١٠) ، وَأَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ »
(٤١٧ / ٢) .

الحالة يُتصوّرُ تلاوةُ القرآنِ مِنْ فاتحتهِ إلى خاتمتهِ مِنْ غيرِ وسوسةٍ وحديثِ نفسٍ ، وذلك هو الفضلُ العظيمُ .

والوجهُ الثاني لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهَهُ بِالنَّهَارِ » معناه : أَنَّ وجوهَ أمورِهِ التي يتوجَّهُ إليها تَحَسُّنُ ، وتنداركهُ المَعُونَةُ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ في تصاريفِهِ ، ويكونُ مُعَانًا في مصدرِهِ وموردِهِ ، فيَحَسِّنُ وجهَهُ مقاصدِهِ وأفعَالِهِ ، وينتظمُ في سِلْكِ السَّدادِ مُسَدِّدُ أَقْوَالِهِ^(١) ؛ لَأَنَّ الْأَقْوَالَ تستقيمُ باستقامةِ القلبِ ، واللهُ أعلمُ وأحكمُ .



(١) في النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (مسدداً أقواله) .

الباب السادس والأربعون

في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل وأدب النوم

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِتَجْدِيدِ الْوُضُوءِ ، وَيَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ مُتَنْظِرًا مَجِيءَ اللَّيْلِ وَصَلَاةَ الْمَغْرِبِ ، مُقِيمًا فِي ذَلِكَ عَلَى أَنْوَاعِ الْأَذْكَارِ ، وَمِنْ أَوْلَاهَا : التَّسْبِيحُ وَالِاسْتِغْفَارُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥] .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنْ يُوَاصِلَ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ بِالصَّلَاةِ أَوْ بِالتَّلَاوَةِ أَوْ بِالذِّكْرِ ، وَأَفْضَلُ ذَلِكَ : الصَّلَاةُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا وَاصَلَ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ تَنَغَسَّلَ عَنْ بَاطِنِهِ آثَارُ الْكُدُورَةِ الْحَادِثَةِ فِي أَوْقَاتِ النَّهَارِ ؛ مِنْ رُؤْيَةِ الْخَلْقِ وَمُخَالَطَتِهِمْ ، وَسَمَاعِ كَلَامِهِمْ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُ أَثَرٌ وَخَدَشٌ فِي الْقُلُوبِ ؛ حَتَّى النَّظَرُ إِلَيْهِمْ يُعَقِّبُ كَدْرًا فِي الْقَلْبِ ، يُدْرِكُهُ مَنْ رُزِقَ صَفَاءَ الْقَلْبِ .

فَيَكُونُ أَثَرُ النَّظَرِ إِلَى الْخَلْقِ لِلْبَصِيرَةِ كَالْقَذَى فِي الْعَيْنِ لِلْبَصَرِ ، وَبِالْمُوَاصَلَةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ يُرْجَى ذَهَابُ ذَلِكَ الْأَثَرِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : تَرْكُ الْحَدِيثِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ؛ فَإِنَّ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَذْهَبُ طَرَاوَةُ النُّورِ الْحَادِثِ فِي الْقَلْبِ مِنْ مُوَاصَلَةِ الْعِشَاءَيْنِ ، وَيُقَيِّدُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، سَيِّمًا إِذَا كَانَ عَرِيًّا عَنْ يَقْظَةِ الْقَلْبِ .

ثُمَّ تَجْدِيدُ الْوُضُوءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ أَيْضًا . مُعِينٌ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ ؛

حكى لي بعضُ الفقهاء عن شيخٍ له بخُرَاسانَ : أَنَّهُ كَانَ يَغْتَسِلُ فِي اللَّيْلِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ مَرَّةً بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، وَمَرَّةً فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ بَعْدَ الْإِنْتِبَاهِ مِنَ النَّوْمِ ، وَمَرَّةً قَبْلَ الصَّبْحِ .

فَلِلْوُضوءِ وَالْغُسْلِ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ . . أَثَرٌ ظَاهِرٌ فِي تَيْسِيرِ قِيَامِ اللَّيْلِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : الْقَعُودُ عَلَى الذِّكْرِ أَوْ الْقِيَامِ بِالصَّلَاةِ حَتَّى يَغْلِبَ النَّوْمُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعِينُ عَلَى سُرْعَةِ الْإِنْتِبَاهِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ وَاثِقاً مِنْ نَفْسِهِ وَعَادَتِهِ ؛ فَيَتَعَمَّلُ لِلنَّوْمِ وَيَسْتَجْلِبُهُ لِيَقُومَ فِي وَقْتِهِ الْمَعْهُودِ ، وَإِلَّا فَالنَّوْمُ عَنِ الْغَلَبَةِ هُوَ الَّذِي يَصْلُحُ لِلْمُرِيدِينَ وَالطَّالِبِينَ الصَّادِقِينَ ؛ وَبِهَذَا وُصِفَ الْمُحِبُّونَ ؛ قِيلَ : (نَوْمُهُمُ النَّوْمُ الْغَرَقِيُّ ، وَأَكْلُهُمُ أَكْلُ الْمَرْضَى ، وَكَلَامُهُمْ ضَرُورَةٌ) ^(١) .

فَمَنْ نَامَ عَنِ غَلَبَةِ بِهِمْ مُجْتَمِعٍ مُتَعَلِّقٍ بِقِيَامِ اللَّيْلِ . . يُوفِّقُ لِقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا النَّفْسُ إِذَا أُطِمِعَتْ وَوُطِّنَتْ عَلَى النَّوْمِ اسْتَرَسَلَتْ فِيهِ ، وَإِذَا أُزْعِجَتْ بِصِدْقِ الْعَزِيمَةِ . . لَا تَسْتَرَسِلُ فِي الْإِسْتِقْرَارِ ، وَهَذَا الْإِنْزِعَاجُ فِي النَّفْسِ بِصِدْقِ الْعَزِيمَةِ . . هُوَ التَّجَافِي الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ١٦] ؛ لِأَنَّ اللَّهَ بِقِيَامِ اللَّيْلِ وَصِدْقِ الْعَزِيمَةِ يَجْعَلُ بَيْنَ الْجَنْبِ وَالْمَضْجَعِ قَفْوَاً وَتَجَافِياً ^(٢) .

وَقَدْ قِيلَ : (لِلنَّفْسِ نَظْرَانِ : نَظَرٌ إِلَى تَحْتٍ ؛ لِاسْتِيفَاءِ الْأَقْسَامِ الْبَدَنِيَّةِ ،

(١) رَوَاهُ دُونَ الْجُمْلَةِ الْآخِرَةِ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (١٢٥ / ١٠) ، وَابِيهَقِي فِي

« الشَّعْبِ » (٥٢٩٨) ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (١٩٣ / ٢٠ - ١٩٤)

عَنْ سَرِيِّ السَّقَطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) قَوْلُهُ : (قَفْوَاً) ؛ أَيُ : بَعْدَ وَمُخَالَفَةً . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

وَنَظَرُ إِلَى فَوْقَ ؛ لاسْتِيفَاءِ الْأَقْسَامِ الْعُلُويَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ (١) .

فَأَرْبَابُ الْعَزِيمَةِ تَجَافَتْ جَنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ؛ لِنَظَرِهِمْ إِلَى فَوْقَ إِلَى الْأَقْسَامِ الْعُلُويَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ ، فَأَعْطَوْا النَّفُوسَ حَقَّهَا مِنَ النَّوْمِ ، وَمَنَعُوهَا حَظَّهَا ، فَالْنَّفْسُ بِمَا فِيهَا مَرْكُوزٌ مِنَ التُّرَابِيَّةِ وَالْجَمَادِيَّةِ . . تَرَسُّبُ وَتَسْتَحْلِسُ وَتَسْتَلْذُ النَّوْمِ (٢) ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ [غافر : ٦٧] .

وَلِلْأَدَمِيِّ بِكُلِّ أَصْلٍ مِنْ أَصُولِ خَلْقِهِ . . طَبِيعَةٌ لَازِمَةٌ لَهُ ، وَالرُّسُوبُ صِفَةُ التُّرَابِ ، وَالْكَسَلُ وَالتَّقَاعُدُ وَالتَّنَاوُؤُ بِسَبَبِ ذَلِكَ . . طَبِيعَةٌ فِي الْإِنْسَانِ .

فَأَرْبَابُ الْهِمَّةِ أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ حَكَّمَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ بِالْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَمَنْ هُوَ فَنِتْ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ . . . ﴾ ، حَتَّى قَالَ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

حَكَّمَ لَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ قَامُوا بِاللَّيْلِ بِالْعِلْمِ ، فَهُمْ لِمَوْضِعِ عِلْمِهِمْ أَزْعَجُوا النَّفُوسَ عَنْ مَقَارِّ طَبِيعَتِهَا ، وَرَقَّوْهَا بِالنَّظَرِ إِلَى الذَّاتِ الرُّوحَانِيَّةِ إِلَى ذُرَا حَقِيقَتِهَا ، فَتَجَافَتْ جَنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، وَخَرَجُوا مِنْ صِفَةِ الْغَافِلِ الْهَاجِعِ .

وَمِنْ ذَلِكَ : أَنْ يُغَيِّرَ الْعَادَةَ ؛ فَإِنْ كَانَ ذَا وِسَادَةٍ يَتْرُكُ الْوِسَادَةَ ، وَإِنْ كَانَ ذَا وِطَاءٍ يَتْرُكُ الْوِطَاءَ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : (لَأَنْ أَرَى فِي بَيْتِي شَيْطَانًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى وِسَادَةً ؛ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى النَّوْمِ) (٣) .

(١) انظر « تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتین » (ص ٣٢) .

(٢) يُقَالُ : اسْتَحْلَسَ النَّبَاتُ : إِذَا غَطَّى الْأَرْضَ بِكَثْرَتِهِ ، وَفِي (ج ، هـ) : (وَتَسْتَحْلِسُ) بِالْجِيمِ .

(٣) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١١٣ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » =

ولتغيّر العادة في الوسادة والغطاء والوطاء . . تأثير في ذلك ، ومن ترك شيئاً من ذلك لله تعالى - والله أعلم بنبيّه وعزيمته - يُشبهه على ذلك بتيسير ما رام .

ومن ذلك : خِفَّةُ المَعِدَةِ مِنَ الطعام ، ثمَّ تناول ما يأكله مِنَ الطعام إذا اقترنَ بِذِكْرِ الله تعالى وَيَقْظَةُ الباطن . . أعانَ على قيام الليل ؛ لأنَّ بالذِّكْرِ يذهبُ دَاوُهُ .

فإنَّ وَجَدَ للطعام ثِقَلًا على المَعِدَةِ . . ينبغي أن يعلم أنَّ ثِقْلَهُ على القلبِ أكثرُ ، فلا ينامُ حتَّى يُذِيبَ الطعامَ بالذِّكْرِ والتلاوة والاستغفار .
يقول بعضهم : (لَأَنَّهُ أَنْقَصَ لُقْمَةً مِنْ عَشَائِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُومَ لَيْلَةً) (١) .

والأخو ط : أن يُوترَ قبلَ النوم ؛ فإنَّهُ لا يدري ماذا يحدثُ ، ويُعدُّ طهُورَهُ وسِوَاكَهُ عنده ، ولا يدخلُ النومَ إلَّا وهو على الوضوء والطهارة .

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « إِذَا نَامَ الْعَبْدُ وَهُوَ عَلَى الطَّهَارَةِ . . عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ ، فَكَانَتْ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَإِنْ لَمْ يَنَمْ عَلَى الطَّهَارَةِ . . قَصَرَتْ رُوحُهُ عَنِ الْبُلُوغِ ، فَتَكُونُ الْمَنَامَاتُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ لَا تَصْدُقُ » (٢) .

= (٥٥٤ / ٢) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (١٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٧٤ / ٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٥٣١١) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى .

(٢) أورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٣ / ١ - ١٠٤) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٠٦ / ٢) ، وقال العراقي في « المغني » (١٢٢٠) : (رواه ابن المبارك =

والمُرِيدُ الْمُتَأَهِّلُ إِذَا نَامَ فِي الْفِرَاشِ مَعَ زَوْجَتِهِ . . . يَنْتَقِضُ وَضُوْءُهُ
بِالْلَّمْسِ ، وَلَا يَفُوْتُهُ بِذَلِكَ فَائِدَةُ النَّوْمِ عَلَى الطَّهَارَةِ مَا لَمْ يَسْتَرْسَلَ فِي التَّذَاذِ
النَّفْسِ بِاللَّمْسِ ، وَلَا يَغْدُمُ يَقْظَةُ الْقَلْبِ ، فَأَمَّا إِذَا اسْتَرْسَلَ فِي اللَّتْذَاذِ
وَعَفَلَ . . . يَنْحَجِبُ الرُّوْحُ أَيْضاً ؛ لِمَكَانِ صِلَافَتِهِ ^(١) .

وَمِنَ الطَّهَارَةِ الَّتِي تُثْمِرُ صِدْقَ الرُّؤْيَا : طَهَارَةُ الْبَاطِنِ عَنْ خُدُوشِ الْهَوَى ،
وَكُدُورَةِ مَحَبَّةِ الدُّنْيَا ، وَالنَّقَاوَةِ عَنْ أَنْجَاسِ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ ، وَقَدْ
وَرَدَ : « مَنْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ لَا يَنْوِي ظُلْمَ أَحَدٍ ، وَلَا يَخْجِدُ عَلَى أَحَدٍ . . . غُفِرَ
لَهُ مَا أَجْتَرَمَ » ^(٢) .

وَإِذَا طَهَّرَتِ النَّفْسُ عَنِ الرِّذَائِلِ . . . انْجَلَتْ مِرْآةُ الْقَلْبِ ، وَقَابَلَ اللَّوْحَ
الْمَحْفُوظَ فِي النَّوْمِ ، وَانْتَقَشَ فِيهِ عَجَائِبُ الْغَيْبِ وَغَرَائِبُ الْأَنْبَاءِ .

فَفِي الصَّدِّيقِينَ مَنْ يَكُونُ لَهُ فِي مَنَامِهِ مُكَالِمَةٌ وَمُحَادَثَةٌ ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَيَنْهَاهُ ، وَيُفَهِّمُهُ فِي الْمَنَامِ وَيُعَرِّفُهُ ، وَيَكُونُ مَوْضِعُ مَا يَفْتَحُ لَهُ فِي نَوْمِهِ مِنَ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ كَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ الظَّاهِرِ ، يَعِصِي اللَّهُ تَعَالَى إِنْ أَحَلَّ بِهَا ، بَلْ تَكُونُ

= فِي « الزَّهْدِ » [١٢٤٥] مَوْقُوفاً عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَابْنِ بَيْهَقٍ فِي « الشَّعْبِ » [٢٥٢٧]
مَوْقُوفاً عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي « الْأَوْسَطِ » [٥٢٢٠] مِنْ
حَدِيثِ عَلِيٍّ : « مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ تَنَامُ فَتُثْقِلُ نَوْمًا . . . إِلَّا عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى الْعَرْشِ ،
فَالَّذِي لَا يَسْتَيْقِظُ إِلَّا عِنْدَ الْعَرْشِ فَتِلْكَ الرُّؤْيَا الَّتِي تَصْدُقُ ، وَالَّذِي يَسْتَيْقِظُ دُونَ الْعَرْشِ
فَهِيَ الرُّؤْيَا الَّتِي تَكْذِبُ » ، وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ) ، وَرَوَاهُ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ الْحَاكِمِ
(٣٩٧-٣٩٦/٤) .

(١) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَالْقِيَاسُ : (صَلَفُهُ) .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ فِي « التَّرْغِيبِ فِي فِضَائِلِ الْأَعْمَالِ » (٥٢٢) ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي
« تَارِيخِ بَغْدَادٍ » (٩٤/٤) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقٍ » (٢٧٣/٥٣) .

هذه الأوامر أكد وأعظم وقعا ؛ لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة ،
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وهذه أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما
بينه وبين الله تعالى ، فإذا أخل بها يخشى أن ينقطع عليه طريق الإرادة ،
ويكون في ذلك الرجوع عن الله واستيجاب مقام المقت .

فإن ابتلي العبد في بعض الأحيان بكسل أو فتور عزيمة يمنع من تجديد
الطهارة عند النوم بعد الحدث . . فليمسح أعضائه بالماء مسحاً حتى يخرج
بهذا القدر عن زمرة الغافلين ؛ حيث تقاعد عن فعل المتيقظين .

وهكذا إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه ؛ يجتهد أن يستاك ويمسح
أعضائه بالماء مسحاً حتى يخرج في تقلباته وانتباهاته من زمرة الغافلين ؛
ففي ذلك فضل كثير لمن كثرت نومته وقل قيامه .

رؤي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك في كل ليلة مراراً ؛
عند كل نومة ، وعند الانتباه منها^(١) .

ويستقبل القبلة في نومه ، وهو على نوعين ؛ فإما على جنبه الأيمن
كالملحد ، وإما على ظهره مستقبلاً للقبلة كالميت المسجى .

ويقول : (باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه .

اللهم ؛ إن أمسكت نفسي فأغفر لها وارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين .

اللهم ؛ إني [أسلمت نفسي إليك]^(٢) ، ووجهت وجهي إليك ،

(١) رواه مسلم (٧٦٣ / ١٩١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من المصادر والمراجع .

وفوّضتُ أمري إليك ، وألجأتُ ظهري إليك ؛ رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت .

اللَّهُمَّ ؛ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ .

الحمدُ لله الذي علا فقَهَر ، الحمدُ لله الذي بَطَنَ فَخَبَرَ ، الحمدُ لله الذي مَلَكَ فَقَدَرَ ، الحمدُ لله الذي هَوَّيْ حَيَّي المَوْتَى وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَضَبِكَ ، وَسُوءِ عِقَابِكَ ، وَشَرِّ عِبَادِكَ ، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَهٖ ^(١) .

ويقرأ : خمسَ آياتٍ مِنَ (البقرة) ؛ الأربعة مِنَ الأوَّلِ ، والآيةَ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ، وآيةَ الكُرْسِيِّ ، و(آمَنَ الرُّسُولُ) ، و(إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ) ^(٢) ، و(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ) ^(٣) ، وأوَّلَ سورةِ (الحديد) ^(٤) ، وآخرَ سورةِ (الحشر) ^(٥) ، و(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، والمُعَوِّذَتَيْنِ ، وَيَنْفُثُ بَهْنً فِي يَدَيْهِ ، وَيَمْسُحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَجَسَدَهُ .

وإنَّ أضافَ إلى ما قرأَ عَشْرًا مِنْ أوَّلِ (الكهفِ) ، وعَشْرًا مِنْ آخِرِهَا .
فحسنٌ .

(١) ويُروى أيضاً : (وَشَرِّكَهٖ) ؛ أي : مصايده وحبائله التي يفتن بها الناس . انظر « مرقاة المفاتيح » (١٦٥٩/٤) .

(٢) أي : التي في سورة (الأعراف) .

(٣) أي : آخر آيتين من سورة (الإسراء) .

(٤) أي : أول خمس آيات منها .

(٥) أي : آخر ثلاث آيات منها .

ويقول : (اللَّهُمَّ ؛ أَيْقِظْنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ ؛ الَّتِي تُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ زُلْفَى ، وَتُبْعِدُنِي عَنْ سَخَطِكَ بُعْدًا ؛ حَتَّى أَسْأَلَكَ فَتُعْطِيَنِي ^(١)) ، وَأَسْتَغْفِرَكَ فَتَغْفِرَ لِي ، وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي .

اللَّهُمَّ ؛ لَا تُؤْمِنِّي مَكْرَكَ ، وَلَا تُؤَلِّني غَيْرَكَ ، وَلَا تَرْفَعْ عَنِّي سِتْرَكَ ، وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ) .

وقد وَرَدَ : أَنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ مَلَائِكَةٍ يُوقِظُونَهُ لِلصَّلَاةِ ، فَإِنْ صَلَّى وَدَعَا أَمَّنُوا عَلَى دَعَائِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ تَعَبَّدَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي الْهَوَاءِ ، وَكُتِبَ لَهُ ثَوَابُ عِبَادَتِهِمْ ^(٢) .

وَيُسَبِّحُ وَيُحَمِّدُ وَيُكَبِّرُ ؛ كُلٌّ وَاحِدٌ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً ، وَيُتِمُّ الْمِئَةَ بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ) .



(١) فِي (ب) : (اللَّهُمَّ ؛ أَسْأَلَكَ) بَدَلَ (حَتَّى أَسْأَلَكَ) ، وَفِي بَاقِي النُّسخِ مَا عَدَا (ج) : (أَسْأَلَكَ) فَقَطْ .

(٢) أَوْرَدَهُ بَلْفَظُهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقَوَات » (١ / ٩٧-٩٨) ، وَرَوَاهُ بَنُحُوهُ الدِّيلَمِي فِي « الْفَرْدُوسِ » (٢٠١٧) ، وَابْنُ النُّجَارِ فِي « ذِيلِ تَارِيخِ بَغْدَادِ » (١٦ / ٢٢٨) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَرَوَاهُ أَيْضًا ابْنُ النُّجَارِ فِي « الذَّيْلِ » (١٩ / ٢٠١-٢٠٢) مِنْ كَلَامِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَانْظُرْ « الْمَغْنِي عَنْ حَمْلِ الْأَسْفَارِ » (١١٤٧) .

الباب السابع والأربعون

في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل

إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب . . يُصلي ركعتين خفيفتين بين الأذان والإقامة ، وكان العلماء يُصلون هاتين الركعتين في البيت ، يُعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة ؛ كيلا يظن الناس أنهما سنة مُرتبة ، فيقتدوا بهم ظناً منهم بأنهما سنة .

وإذا صلى المغرب يُصلي ركعتي السنة بعد المغرب ، يُعجل بها ؛ فإنها تُرفع مع الفريضة ، يقرأ فيهما بـ (قل يا أيها الكافرون) ، و (قل هو الله أحد) .

ثم يُسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين ، فيقول : (مرحباً بملائكة الليل ، مرحباً بالملكين الكريمين الكاتبين ، اكتبوا في صحيفتي أنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن الجنة حق ، والنار حق ، والحوض حق ، والشفاعة حق ، والصراط حق ، والميزان حق ، والقبر حق ، والسؤال حق ، والحساب حق ، والقصاص حق ، والكتاب حق ، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

اللهم ؛ إنني أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي إليها ، اللهم ؛ احطط بها وزري ، واغفر بها ذنبي ، وثقل بها ميزاني ، وأوجب لي بها أمني ،

وتجاوز عني برحمتك يا أرحم الراحمين) .

فإن واصل بين العشاءين في مسجد جماعته . . يكون جامعاً بين الاعتكاف ومواصلة العشاءين ، وإن رأى انصرافه إلى منزله ومواصلة بين العشاءين في بيته أسلم لدينه ، وأقرب إلى الإخلاص ، وأجمع لله . . فليفعل .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ٢٣] ، فقال : « هِيَ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ؛ فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمُلَاغَاتِ النَّهَارِ ، وَتَهْذُبُ آخِرَهُ » (٢) .

ويجعل من الصلاة بين العشاءين ركعتين بسورة (البروج) و (الطارق) ، ثم ركعتين ؛ يقرأ في الأولى : عشر آيات من أول سورة (البقرة) ، والآيتين ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ . . . ﴾ إلى آخر الآيتين [البقرة : ١٦٣-١٦٤] ، وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) ، وفي الثانية : آية الكرسي ، و (آمن الرسول) ، وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) .

(١) رواه أبو داود (١٣٢١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٥٩٨١) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٩/٣) موقوفاً على سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه الديلمي في « الفردوس » (٤٠٢٩) عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وفيه : (ومَهْدَنَةُ آخِرِهِ مَهْدَنَةُ مُضَعْفَةٍ) بدل (وتهذب آخره) ، وانظر « المغني عن حمل الأسفار » (١٢٠٣) ، و « غنية العارف » (٦٥٢-٦٥١/٢) ، وقوله : (بمُلاغات . . .) قال أبو طالب المكي في « القوت » (٥٦/١) : (جمع « ملغاة » ؛ من اللغو ؛ أي : تسقط اللغو ؛ أي : تطرح المطروح عن العبد من الباطل واللهو ، وتهذب له آخره ؛ أي : تُصَفِّيهِ وتُجَوِّدُهُ) .

ويقرأ في ركعتين أخريتين : سورة (الزمر) و (الواقعة) .

ويُصلي بعد ذلك ما شاء ، فإن أرادَ يقرأ شيئاً من حِزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها^(١) ، وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة (الإخلاص) و (الفاتحة) .

ولو واصل بين العشاءين بركعتين يطيلهما . . فحسن ، وفي هاتين الركعتين يطيل القيام تالياً للقرآن حِزبه ، أو مُكرراً فيهما آية فيها الدعاء والتلاوة ؛ مثل أن يقرأ مُكرراً : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [المتحنة : ٤] ، أو يقرأ آية أخرى في معناها ، فيكون جامعاً بين التلاوة والصلاة والدعاء ؛ ففي ذلك جمعُ الهمم ، وظفرٌ بالفضل .

ثم يُصلي قبل العشاء أربعاً ، وبعدها ركعتين ، ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلي أربعاً آخر ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصلي في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس أربعاً^(٢) .

ويقرأ في هذه الأربع : سورة (لقمان) ، و (يس) ، و (حم الدخان) ، و (تبارك المُلْك) ، وإن أراد أن يُخففَ فيقرأ فيها آية الكرسي ، و (آمن الرسول) ، وأول سورة (الحديد) ، وآخر سورة (الحشر) .

ويُصلي بعد الأربع إحدى عشرة ركعة ؛ يقرأ فيها بثلاث مئة آية من القرآن ؛ ومن ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ [الطارق : ١] إلى آخر القرآن ثلاث مئة

(١) في بعض النسخ : (أو غيره) .

(٢) رواه أبو داود (١٣٠٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤٧٧ / ٢) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

آية ، هكذا ذكر الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله عليه^(١) ، وإن أراد قرأ هذا القدر في أقل من هذا العدد من الركعات^(٢) ، وإن قرأ من سورة (الملوك) إلى آخر القرآن - وهو ألف آية - فهو خير عظيم كثير .

وإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات : (قل هو الله أحد) ، إلى عشر مرات ، إلى أكثر .

ولا يؤخر الوتر إلى آخر التهجد ، إلا أن يكون واثقاً من نفسه في عاداتها الانتباه للتهجد ؛ فيكون تأخير الوتر إلى آخر التهجد حينئذ أفضل .

وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد . . يصلي ركعة يشفع بها وتره ، ثم يتنفل بما شاء ، ويوتر في آخر ذلك^(٣) .

وإذا كان الوتر من أول الليل . . يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً يقرأ فيهما بـ (إذا زلزلت) ، و (ألهاكم) .

وقيل : إن فعل الركعتين قاعداً بمنزلة الركعة قائماً يشفع له الوتر ؛ حتى إذا أراد التهجد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ، ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك ؛ فكثيراً ما رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيتهما .

وإن قرأ في كل ليلة المسبحات ، وأضاف إليها سورة (الأعلى) فتصير

(١) قوت القلوب (٥٧ / ١) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٥٧ / ١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٥٩ / ١) ، وقال : (وقد روي في هذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما) .

سبعاً^(١) . . فقد كان العلماء يقرؤون هذه السُورَ ويتعرّفون بركتها^(٢) .

فإذا استيقظَ مِنَ النومِ فَمِنْ أَحْسَنِ الأدبِ عِنْدَ الانتباهِ : أن يذهبَ بباطنِهِ إلى اللهِ تعالى ، ويصرفَ فِكْرَهُ إلى أمرِ اللهِ تعالى قبلَ أن يجولَ الفكرُ في شيءٍ سوى اللهِ تعالى^(٣) ، ويُشغِلَ اللسانَ بالذِّكْرِ ؛ فالصادقُ كالطفلِ الكَلِفِ بالشيءِ^(٤) ؛ إذا نامَ ينامُ على محبّةِ الشيءِ ، وإذا انتبهَ يطلبُ ذلكَ الشيءَ الذي كانَ كَلِفاً بهِ .

وعلى حَسَبِ هذا الكَلِفِ والشُّغْلِ يكونُ الموتُ والقيامُ إلى الحشرِ .
فليَنظُرْ وليَعْتَبِرْ عِنْدَ انتباهِهِ مِنَ النومِ ما همُّهُ^(٥) ؛ فَإِنَّهُ هَكَذَا يكونُ عِنْدَ القيامِ مِنَ القبرِ ؛ إِنْ كانَ همُّهُ اللهُ فَهمُّهُ هوَ ، وإلا فَهمُّهُ غيرُ اللهِ^(٦) .

والعبدُ إذا انتبهَ مِنَ النومِ فباطنُهُ عائدٌ إلى طهارةِ الفِطْرةِ ؛ فلا يدْعُ الباطنَ يتغيّرُ بغيرِ ذِكْرِ اللهِ تعالى ؛ حتّى لا يذهبَ عنه نورُ الفِطْرةِ الذي انتبهَ عليه ، ويكونَ فارّاً إلى ربِّهِ بباطنِهِ خوفاً مِنْ ذِكْرِ الأغيارِ .

ومهما وَفَى الباطنُ بهذا العيارِ . . فقد نَقَى طريقَ الأنوارِ ، وطُرُقَ

(١) والمُسَبِّحاتُ السِتُّ هي : سورة (الإسراء) ، و (الحديد) ، و (الحشر) ، و (الصف) ، و (الجمعة) ، و (التغابن) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١ / ٥٨) .

(٣) في النسخ ما عدا (أ ، هـ ، و ، ز) : (يحول) بدل (يجول) .

(٤) يُقال : كَلِفَ بالشيءِ كَلِفاً فهو كَلِفٌ : إذا أَحَبَّهُ وأُولِعَ بهِ .

(٥) زاد في (د) : (من أمر دينه) .

(٦) أي : إِنْ كانَ همُّهُ اللهُ كانَ عِنْدَ القيامِ مِنَ القبرِ معَ اللهِ ، وإِنْ كانَ همُّهُ معَ غيرِ اللهِ كانَ عِنْدَ القيامِ معَ غيرِ اللهِ ، فافهمْ تَرشُدُ . من هامش (ح) .

التَّفَحَاتِ الإِلَهِيَّةِ^(١) ، فجدِيرٌ أَنْ تَنْصَبَ إِلَيْهِ أَقْسَامُ اللَّيْلِ انْصِبَاباً ، وَيَصِيرَ
جَنَابُ الْقُرْبِ لَهُ مَوْثِلاً وَمَاباً !!

ويقولُ بِاللِّسَانِ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ التُّشُورُ) ،
ويقرأُ العَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ (آلِ عِمْرَانَ) .

ثُمَّ يَقْصِدُ الْمَاءَ الطَّهُورَ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً
لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ [الأنفال : ١١] ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ
بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد : ١٧] .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (الْمَاءُ : الْقِرَاءُ ، وَالْأُودِيَةُ :
الْقُلُوبُ ، فَسَالَتْ بِقَدَرِهَا وَاحْتَمَلَتْ مَا وَسِعَتْ)^(٢) .

وَالْمَاءُ مُطَهَّرٌ ، وَالْقِرَاءُ مُطَهَّرٌ ، وَالْقِرَاءُ بِالتَّطْهِيرِ أَجْدَرُ ؛ فَالْمَاءُ يَقُومُ
غَيْرُهُ مَقَامَهُ ، وَالْقِرَاءُ وَالْعِلْمُ لَا يَقُومُ غَيْرُهُ مَقَامَهُ وَلَا يَسُدُّ مَسَدَّهُ .

فَالْمَاءُ الطَّهُورُ يُطَهِّرُ الظَّاهِرَ ، وَالْقِرَاءُ وَالْعِلْمُ يُطَهِّرَانِ الْبَاطِنَ ، وَيُذْهِبَانِ
رِجْزَ الشَّيْطَانِ^(٣) .

فَالنَّوْمُ غَفْلَةٌ ، وَهُوَ مِنْ آثَارِ الطَّبَعِ ، وَجَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ مِنْ رِجْزِ الشَّيْطَانِ ؛
لَمَّا فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى !!

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (وَطَرَّقَ لِلتَّفَحَاتِ الإِلَهِيَّةِ) ، وَيَجُوزُ أَنْ يُضْبَطَ الْمَثْبُتُ : (وَطَرَّقَ
التَّفَحَاتِ الإِلَهِيَّةِ) .

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي (١٦٩ / ١) .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ هُنَا وَفِيمَا سِيَّاتِي فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ : (رَجَسَ) بَدَلَ (رَجَزَ) ،
وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى ؛ وَهُوَ الْوَسْخُ وَالْقَذَرُ .

وذلك أن الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض ،
وكانت القبضة جلدة الأرض ، والجلدة ظاهرها بشرة وباطنها أدمة^(١) ؛
قال الله تعالى : ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] .

فالبشرة والبشر عبارة عن ظاهره وصورته ، والأدمة عبارة عن باطنه
وآدميته ، والأدمية مجمع الأخلاق الحميدة ، وكان التراب موطن أقدم
إبليس ، ومن ذلك اكتسب ظلمة ، وصارت تلك الظلمة معجونة في طينة
الآدمي ، ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة ، ومنها الغفلة
والسهو .

فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن . . فقد أتى بالمُطَهِّرِينَ جميعاً ، ويذهب
عنه رجز الشيطان وأثر وطأته ، ويُحَكِّمُ لَهُ بالعلم ، والخروج من حيز
الجهل .

فاستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب بإزاء النوم ؛ الذي
هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدير القلب ، فيذهب نور هذا بظلمة
ذلك .

ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء ممّا مسّت النار^(٢) ، وحكم أبو حنيفة

(١) الأدمة : باطن الجلد الذي يلي اللحم ، وفلان مؤدّم مبشّر ؛ أي : جَمَعَ لَيْنَ الأدمَةِ
وخشونة البشرة ، ويُستخدم مجازاً لمن جمع ليناً وشدة مع المعرفة بالأمور .

(٢) اختلف العلماء في مسألة الوضوء من أكل المأكولات على ثلاثة مذاهب :

الأول : أنه لا يجب الوضوء بأكل شيء ، سواء ما مسّه النار ولحم الإبل وغير ذلك ،
وبه قال جمهور العلماء ، وهو مخيّر عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي
 وغيرهم ، وبه قال جمهور التابعين ومالك وأبو حنيفة ، وهو مذهب الإمام الشافعي . =

رضي الله عنه بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآه حُكماً طَبِيعاً جالباً للإثم ، والإثم رِجْزٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ، والماء يُذْهِبُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ^(١) ؛ حتى كَانَ بَعْضُهُمْ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ الْغِيَةِ وَالْكَذِبِ وَعِنْدَ الْغَضَبِ ؛ لظهور النَّفْسِ ، وتصرفِ الشَّيْطَانِ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ^(٢) .

ولو أَنَّ الْمُتَحَفِّظَ الْمُرَاعِيَّ الْمُرَاقِبَ الْمُحَاسِبَ كُلَّمَا انْطَلَقَتِ النَّفْسُ فِي مُبَاحٍ - مِنْ كَلَامٍ ، أَوْ مُسَاكِنَةٍ إِلَى مُخَالَطَةِ النَّاسِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ بَعَرَضِيَّةٌ تَحْلِيلِ عَقْدِ الْعَزِيمَةِ ؛ كَالخَوْضِ فِيهَا لَا يَعْنِي قَوْلًا وَفِعْلًا - عَقَّبَ ذَلِكَ بِتَجْدِيدِ الْوُضُوءِ .. ثَبَّتَ الْقَلْبُ عَلَى طَهَارَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ^(٣) ، وَلَكَانَ الْوُضُوءُ لصفاءِ الْبَصِيرَةِ بِمَثَابَةِ الْجَفْنِ الَّذِي لَا يَزَالُ بِخِفَّةِ حَرَكَتِهِ يَجْلُو الْبَصَرَ ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ .

فتفكر فيما نبهتكَ عليه تجذب بركته وأثره .

ولو اغتسلَ عِنْدَ هَذِهِ الْمُتَجَدِّدَاتِ وَالْعَوَارِضِ وَالْإِتْبَاهِ مِنَ النَّوْمِ .. كَانَ

= الثاني : أَنَّهُ يَجِبُ مِمَّا مَسَّتْهُ النَّارُ ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالزَّهْرِيِّ ، وَحَكَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْهُمْ : ابْنُ عُمَرَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

الثالث : يَجِبُ الْوُضُوءُ مِنْ أَكْلِ لَحْمِ الْجَزُورِ خَاصَّةً ، وَهُوَ قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ، وَحَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ؛ مِنْهُمْ : زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَغَيْرُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَهُوَ الْقَوْلُ الْقَدِيمُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ، وَرَجَّحَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ . انظر « المجموع » (٦٦/٢) .

(١) سبق تفصيل قول الحنفية في (٧١-٧٠/٢) .

(٢) انظر « المجموع » (٤٩٧/١) ، و« حاشية ابن عابدين » (١٩٧-١٩٨) .

(٣) قوله : (عَقَّبَ) جوابُ (كُلَّمَا) ، وقوله : (ثَبَّتَ) جوابُ (لَوْ) ، ويجوز أن يُقْرَأَ : (ثَبَّتَ) ، ويكون (القلب) مفعولاً .

أَزِيدَ فِي تَنْوِيرِ قَلْبِهِ ، وَلَكَانَ الْأَجْدَرُ أَنَّ الْعَبْدَ يَغْتَسِلُ لِكُلِّ فَرِيضَةٍ ، بِإِذْلَا
مَجْهُودَةٍ فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَيُجَدِّدُ غَسْلَ الْبَاطِنِ بِصِدْقِ الْإِنَابَةِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مُبِينٌ
إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الروم : ٣١] ؛ قَدَّمَ الْإِنَابَةَ لِلدُّخُولِ فِي الصَّلَاةِ .

وَلَكِنْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَحُكْمِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ . . أَنْ رَفَعَ
الْحَرْجَ ^(١) ، وَعَوَّضَ بِالْوُضوءِ عَنِ الْغُسْلِ ، وَجَوَّزَ أَدَاءَ مُفْتَرَضَاتِ بَوْضوءِ
وَاحِدٍ ؛ رَفْعاً لِلْحَرْجِ عَنْ عَامَّةِ الْأُمَّةِ ، وَلِلْخَوَاصِّ وَأَهْلِ الْعَزِيمَةِ مُطَالَبَاتٍ مِنْ
بُورَاطِنِهِمْ تَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِالْأَوَّلَى ، وَتُلْجِئُهُمْ إِلَى سُلُوكِ طَرِيقِ الْأَعْلَى .

فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَرَادَ اسْتِفْتَاحَ التَّهَجُّدِ . . يَقُولُ : (اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) ، وَيَقُولُ : (سُبْحَانَ اللَّهِ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ . . .) الْكَلِمَاتِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ^(٢) .

وَيَقُولُ : (اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ ، وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ ،
وَالْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ ، وَالْقُدْرَةِ) ^(٣) .

اللَّهُمَّ ؛ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ بَهَاءُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكَ

(١) وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَارَةُ أَيْضاً : (وَلَكِنْ رَحْمَةً . . . وَحُكْمٌ . . . رَفْعُ الْحَرْجِ) ، وَقَدْ
وُجِدَتْ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ النُّسخِ .

(٢) قَوْلُهُ : (الْكَلِمَاتِ) يَعْنِي : (وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ) . مِنْ هَامِشِ (ح) ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي « قُوتِ الْقُلُوبِ » (١ / ١٠٤) دُونَ ذِكْرِ
الْحَوَقْلَةِ .

(٣) زَادَ فِي (د) : (وَالْكَمَالِ) .

الحمدُ أنتَ ربُّ السماواتِ والأرضِ ومَنَ فيهنَّ ومَنَ عليهنَّ ، أنتَ الحقُّ ،
ومنكَ الحقُّ ، ووعدُكَ الحقُّ ، ولقاؤُكَ حقٌّ ، والجنَّةُ حقٌّ ، والنارُ حقٌّ ،
والنبيُّونَ حقٌّ ، ومحمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حقٌّ .

اللَّهُمَّ ، لكَ أسَلَمْتُ ، وبكَ آمَنْتُ ، وعليكَ توكلْتُ ، وبكَ خاصمتُ ،
وإليكَ حاكمتُ ؛ فاغْفِرْ لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ
وما أعلنتُ ، وما أنتَ أعلمُ به مِنِّي ؛ أنتَ المُقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلهَ إلا
أنتَ .

اللَّهُمَّ ؛ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وزَكَّهَا أنتَ خيرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أنتَ وَلِيُّهَا
ومَوْلَاهَا .

اللَّهُمَّ ؛ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ ؛ لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ
عَنِّي سَيِّئَهَا ؛ لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ .

أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْبَائِسِ الْمَسْكِينِ ، وَأَدْعُوكَ دَعَاءَ الْفَقِيرِ الذَّلِيلِ ، فلا
تَجْعَلْنِي بِدَعَائِكَ رَبِّ شَقِيئًا ، وَكُنْ بِي رَوْفًا رَحِيمًا ، يَا خَيْرَ الْمَسْئُولِينَ ،
وَيَا أَكْرَمَ الْمُعْطِينَ) .

ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الطَّهَارَةِ ؛ يقرأُ فِي الْأُولَى بَعْدَ (الْفَاتِحَةِ) : ﴿ وَلَوْ
أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ . . . ﴾ [الْأَيَةُ [النِّسَاءُ : ٦٤] ، وَفِي الثَّانِيَةِ : ﴿ وَمَنْ
يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النِّسَاءُ : ١١٠] ،
وَيَسْتَغْفِرُ بَعْدَ الرُّكَعَتَيْنِ مَرَّاتٍ .

ثُمَّ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِرَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ؛ إِنْ أَرَادَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ
(وَأَمَّنَ الرَّسُولُ) ، وَإِنْ أَرَادَ قِرَاءَ غَيْرِ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ .

رُوي عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ يَتَهَجَّدُ هَكَذَا ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ أَقْصَرَ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ ، وَهَكَذَا يُدْرَجُ إِلَى أَنْ يُصَلِّيَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً^(١) ، أَوْ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ^(٢) ، أَوْ يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ ؛ فَفِي كُلِّ ذَلِكَ فَضْلٌ كَبِيرٌ^(٣) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



(١) إِلَى هَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٧٦٥) عَنْ سَيِّدِنَا زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجَهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٩١ / ٧٦٣) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) فِي (أ ، و ، ز) : (كَثِير) ، وَفِي (د) : (عَظِيم) .

الباب الثامن والأربعون

في تقسيم قيام الليل

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴾ [الفرقان : ٦٤] .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] : كَانَ عَمَلُهُمْ قِيَامَ اللَّيْلِ (١) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة : ١٥٣] : استعينوا بصلاة الليل على مُجَاهِدَةِ النَّفْسِ وَمُصَابَرَةِ الْعَدُوِّ (٢) .

وفي الخبر : « عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ؛ فَإِنَّهُ مَرْضَاةٌ لِرَبِّكُمْ ، وَهُوَ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلُكُمْ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ ، وَمَلْغَاةٌ لِلْوِزْرِ ، وَمُذْهِبٌ كَيْدَ الشَّيْطَانِ ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ » (٣) .

وقد كَانَ جَمْعٌ مِنَ الصَّالِحِينَ يَقُومُونَ اللَّيْلَ كُلَّهُ ؛ حَتَّى نُقِلَ ذَلِكَ عَنْ

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٨٠/٢٠ - ١٨٢) ، و« النكت والعيون » (٣٦٣/٤) ، و« قوت القلوب » (١٠٦/١) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١٠٧/١) .

(٣) رواه الترمذي (٣٥٤٩) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٥٠٢/٢) عن سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه ، وابن خزيمة (١١٣٥) ، والحاكم (٣٠٨/١) عن سيدنا أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

أربعينَ مِنَ التَّابِعِينَ كانوا يُصَلُّونَ الغَدَاةَ بوضوءِ العِشاءِ ؛ منهم : سعيدُ بنُ المُسيَّبِ ، وفُضَيْلُ بنُ عِيَّاضٍ ، ووُهَيْبُ بنُ الوَرْدِ ، وأبو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ ، وعليُّ بنُ بَكَّارٍ ، وَحَبِيبُ العَجَمِيِّ ، وَكَهْمَسُ بنُ المِنْهَالِ ، وأبو حازِمٍ ، ومحمَّدُ بنُ المُنْكَدِرِ ، وغيرُهُمْ ؛ عدَّهُمْ وَسَمَّاهُمْ بِأَنسابِهِمُ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ المَكِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابِهِ « قوت القلوب » (١) .

فَمَنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ يُسْتَحَبُّ لَهُ قِيَامُ ثُلُثِيهِ أَوْ ثُلْثِهِ ، وَأَقْلُ الاستِحْبَابِ سُدُسُ اللَّيْلِ .

فَإِذَا أَنْ يَنَامَ ثُلُثَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ وَيَقُومَ نِصْفَهُ وَيَنَامَ سُدُسَهُ الْآخِرَ ، أَوْ يَنَامَ النِّصْفَ الْأَوَّلَ وَيَقُومَ ثُلْثَهُ وَيَنَامَ السُّدُسَ .

رَوَى أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَا رَبِّ ؛ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَعْبَدَكَ لَكَ ، فَأَيَّ وَقْتٍ أَقُومُ ؟ فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : يَا دَاوُدُ ؛ لَا تَقُمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَلَا آخِرَهُ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ قَامَ أَوَّلَهُ نَامَ آخِرَهُ ، وَمَنْ قَامَ آخِرَهُ نَامَ أَوَّلَهُ ، وَلَكِنْ قُمْ وَسَطَ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَخْلُوَ بِي وَأَخْلُوَ بِكَ ، وَارْفَعْ إِلَيَّ حَوَائِجَكَ (٢) .

فَيَكُونُ الْقِيَامُ بَيْنَ النُّومَتَيْنِ ، وَإِلَّا فَيُغَالِبُ النَّفْسَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَيَتَنَفَّلُ ، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ يَنَامُ ، فَإِذَا انْتَبَهَ يَتَوَضَّأُ ، فَيَكُونُ لَهُ قَوْمَتَانِ وَنَوْمَتَانِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ مَا يَفْعَلُهُ .

(١) قوت القلوب (١١٣/١ - ١١٤) ، وزاد في (ي) بعد محمد بن المنكدر : أبا حنيفة ، وهو ليس في « القوت » المنقول الكلام منه وإن كان المشهور عنه ذلك رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه ، كما رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٣٥٤ / ١٣) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٦١ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » (٥١٥ / ٢) .

ولا يُصَلِّي وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول ،
وقد وَرَدَ : « لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ » (١) .

وقيل لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا
غَلَبَهَا النَّوْمُ تَعَلَّقَتْ بِحَبْلِ ، فَهَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ
وَقَالَ : « لِيَصِلْ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيْسَّرَ ، فَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَنَمْ » (٢) .

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا تُشَادُّوا هَذَا الدِّينَ ؛ فَإِنَّهُ مَتِينٌ ، فَمَنْ
يُشَادَّهُ يَغْلِبْهُ ، وَلَا تُبْغِضَنَّ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ » (٣) .

ولا يليق بالطالب ولا ينبغي له أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ وهو نائمٌ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ
سَبَقَ لَهُ فِي اللَّيْلِ قِيَامٌ طَوِيلٌ ، فَيُعْذَرُ فِي ذَلِكَ ؛ عَلَى أَنَّهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ قَبْلَ
الْفَجْرِ بِسَاعَةٍ مَعَ قِيَامٍ قَلِيلٍ سَبَقَ فِي اللَّيْلِ . . يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ قِيَامٍ طَوِيلٍ ، ثُمَّ
النَّوْمُ إِلَى بَعْدِ طُلُوعِ الْفَجْرِ .

فَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . . يُكْثِرُ الْاسْتِغْفَارَ وَالتَّسْبِيحَ ، وَيَغْتَنِمُ تِلْكَ

(١) رواه الديلمي في « الفردوس » (٧٤٦٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعزاه
العراقي في « المغني » (١٢٢٧) إلى « جامع سفيان الثوري » موقوفاً على سيدنا ابن
مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه بنحوه البخاري (١١٥٠) ، ومسلم (٧٨٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله
عنه ، وفلانة : هي سيدتنا أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها .

(٣) هو مُرْكَبٌ من حديثين : الأول : رواه البخاري (٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله
عنه بلفظ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ . . . » ، والثاني : رواه
البراز كما في « كشف الأستار » (٧٤) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (١٨ / ٣) ،
وأبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٢٢٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
بلفظ : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرَفْقٍ ، وَلَا تُبْغِضَنَّ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ . . . » .

الساعة ، وكلما يُصلي بالليل يجلس قليلاً بعد كل ركعتين ، ويُسبح ويستغفر
ويُصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه يجد بذلك ترويحاً وقوة
على القيام .

وقد كان بعض الصالحين يقول : (هي أول نومة ، فإن انتبهت ثم عُدت
إلى نومة أخرى .. فلا أنام الله عيني) (١) .

وحكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له : أنه كان يأمر الأصحاب بنومة
واحدة بالليل ، وأكلة واحدة لليوم والليلة .

وقد جاء في الخبر : « قُمْ مِنَ اللَّيْلِ وَلَوْ قَدَرَ حَلْبِ شَاةٍ » (٢) ، وقيل :
يكون ذلك قَدَرُ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ ، وقيل : قَدَرُ رَكَعَتَيْنِ (٣) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ تُؤْتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾
[آل عمران : ٢٦] : هو قيام الليل (٤) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١١٨ / ١) ، ورواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية »
(٦٠ / ٧) عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤١١٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما ، وأبو يعلى في « المسند » (٢٦٧٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قال :
فذكرت صلاة الليل ، فقال بعضهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نصفه ،
ثلثه ، رُبُعُهُ ، فُوقَ حَلْبِ نَاقَةٍ ، فُوقَ حَلْبِ شَاةٍ » ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام
الليل » (٢٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٧١ / ١) مرسلًا عن إياس بن
معاوية المزني رحمه الله تعالى ، وأحمد في « الزهد » (١٧٦٦) من كلام محمد بن
سيرين رحمه الله تعالى ، وابن أبي الدنيا في « التهجد وقيام الليل » (٣٩٨) ، والبيهقي
في « الشعب » (٢٩٤٦) من كلام الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١٢٠ / ١) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٠٩ / ٨) عن بعض زهاد اليمن .

وَمَنْ حُرِمَ قِيَامَ اللَّيْلِ كَسَلًا وَفُتُورًا فِي الْعَزِيمَةِ ، أَوْ تَهَاوُنًا بِهِ لِقِلَّةِ الْعَتَادِ
بِذَلِكَ ، أَوْ اغْتِرَارًا بِحَالِهِ . . فَلَئِنْكَ عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ قُطِعَ عَلَيْهِ طَرِيقُ كَبِيرٍ مِنَ
الْخَيْرِ^(١) .

وَقَدْ يَكُونُ مِنْ أَرْبَابِ الْأَحْوَالِ مَنْ يَكُونُ لَهُ إِيوَاءٌ إِلَى الْقُرْبِ ، وَيَجِدُ مِنْ
دَعَةِ الْقُرْبِ مَا يُفْتَرُّ عَلَيْهِ دَاعِيَةُ الشَّوْقِ^(٢) ، وَيَرَى أَنَّ الْقِيَامَ وَقُوفٌ فِي مَقَامِ
الشَّوْقِ ، وَهَذَا يَغْلُطُ فِيهِ وَيَهْلِكُ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُدَّعِينَ ، وَالَّذِي لَهُ ذَلِكَ
يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اسْتِمْرَارَ هَذِهِ الْحَالَةِ مُتَعَذِّرٌ ، وَالْإِنْسَانُ مُتَعَرِّضٌ لِلْقُصُورِ
وَالْتَخَلُّفِ وَالشُّبْهَةِ ، وَلَا حَالَةَ أَجَلٍ مِنْ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛
وَمَا اسْتَغْنَى عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، وَقَامَ حَتَّى تَوَرَّثَتْ قَدَمَاهُ^(٣) .

وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُ مَنْ يُحَاجُّ فِي ذَلِكَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَعَلَ ذَلِكَ تَشْرِيعًا .

فَنَقُولُ : مَا بَالُنَا لَا نَتَّبِعُ تَشْرِيعَهُ ، وَهَذِهِ دَقِيقَةٌ .

فَلْيَعْلَمْ : أَنَّ رُؤْيَا الْفَضِيلَةِ فِي تَرْكِ الْقِيَامِ ، وَادِّعَاءِ الْإِيوَاءِ إِلَى جَنَابِ
الْقُرْبِ ، وَاسْتَوَاءِ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ . . امْتِلَاءٌ وَابْتِلَاءٌ حَالِيٌّ^(٤) ، وَتَقَيُّدٌ بِالْحَالِ ،
وَتَحْكِيمٌ لِلْحَالِ ، وَتَحَكُّمٌ مِنَ الْحَالِ فِي الْعَبْدِ .

وَالْأَقْوِيَاءُ لَا يَتَحَكَّمُ فِيهِمُ الْحَالُ ، وَيَصْرِفُونَ الْحَالَ فِي صُورِ الْأَعْمَالِ ،

(١) فِي (ب ، ح ، ز) : (كَثِير) بَدَل (كَبِير) .

(٢) الدَّعَةُ : الرَّاحَةُ وَخَفْضُ الْعِيشِ .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨٣٦) ، وَمُسْلِمٌ (٢٨١٩) عَنْ سَيِّدِنَا الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ .

(٤) فِي (أ) : (حَال) .

فَهُمْ مُتَصَرِّفُونَ فِي الْحَالِ ، لَا الْحَالُ مُتَصَرِّفٌ فِيهِمْ ، فَلْيُعْلَمْ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّا رَأَيْنَا مِنْ الْأَصِحَّاءِ مَنْ كَانَ فِي ذَلِكَ ، ثُمَّ انْكَشَفَ لَنَا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ وَقُوفٌ وَقُصُورٌ .

قَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ؛ إِنِّي أَبَيْتُ مُعَافَى ، وَأَحْبَبْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ ، وَأَعِدْتُ طَهُورِي ، فَمَا بَالِي لَا أَقُومُ ؟ قَالَ : ذُنُوبُكَ قَيَّدَتْكَ ^(١) .
فَلِيَحْذَرْ الْعَبْدُ فِي نَهَارِهِ ذُنُوباً تُقَيِّدُهُ فِي لَيْلِهِ .

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : حُرِّمْتُ قِيَامَ اللَّيْلِ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ بِذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا كَانَ الذَّنْبُ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا يَبْكِي ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا مُرَاءٍ ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : دَخَلْتُ عَلَى كُرْزِ بْنِ وَبَرَةَ وَهُوَ يَبْكِي ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا بِأَنَّكَ ؛ أَتَاكَ نَعْيٌ بَعْضِ أَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : أَشَدُّ ، فَقُلْتُ : وَجَعٌ يُؤْلِمُكَ ؟ قَالَ : أَشَدُّ ، قُلْتُ : فَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : بَابِي مُغْلَقٌ ، وَسِتْرِي مُسْبَلٌ ، وَلَمْ أَقْرَأْ حِزْبِي الْبَارِحَةَ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِذَنْبٍ أَحْدَثْتُهُ ^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الْإِحْتِلَامُ عَقُوبَةُ) ^(٤) .

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٢٠ / ١) ، والغزالي في « الإحياء » (٥٥٧ / ٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٧ / ٧) ، وفيه : (خمسة أشهر) بدل (سبعة أشهر) ، وليس فيه ذكر السؤال والجواب ، وأوردته تامة أبو طالب المكي في « القوت » (١٢١ / ١) ، وفي بعض النسخ : (بكاء) بدل (يبكي) ، وفي بعضها : (بكى) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧٩ / ٥) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٦ / ٩) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى .

وهذا صحيح ؛ لأنَّ المُرَاعِيَّ الْمُتَحَفِّظَ بِحُسْنِ تَحْقِظِهِ وَعِلْمِهِ بِحَالِهِ يَقْدُرُ
وَيَتِمَكَّنُ مِنْ سَدِّ بَابِ الْإِحْتِلَامِ ، وَلَا يَتَطَرَّقُ الْإِحْتِلَامُ إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بِحَالِهِ ،
أَوْ مُهْمِلٍ حُكْمَ وَقْتِهِ وَأَدَبَ حَالِهِ .

وَمَنْ كَمَلَ تَحْقِظُهُ وَرِعَايَتُهُ ، وَقِيَامُهُ بِأَدَبِ حَالِهِ . . . قَدْ يَكُونُ مِنْ ذَنْبِهِ
الْمُوجِبِ لِلْإِحْتِلَامِ وَضَعُ الرَّأْسِ عَلَى الْوِسَادَةِ إِذَا كَانَ ذَا عَزِيمَةٍ فِي تَرْكِ
الْوِسَادَةِ ؛ فَقَدْ يَتِمَهَّدُ لِلنَّوْمِ وَوَضَعَ الرَّأْسَ عَلَى الْوِسَادَةِ بِحُسْنِ النِّيَّةِ . . مَنْ
لَا يَكُونُ ذَلِكَ ذَنْبُهُ ، وَلَهُ فِيهِ نِيَّةٌ لِلْعَوْنِ عَلَى الْقِيَامِ ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ ذَنْبًا
بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ النَّاسِ .

فَإِذَا كَانَ هَذَا الْقَدْرُ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ ذَنْبًا جَالِبًا لِلْإِحْتِلَامِ . . . فَقَسَّ عَلَى هَذَا
ذُنُوبَ الْأَحْوَالِ ؛ فَإِنَّهَا تَخْتَصُّ بِأَرْبَابِهَا ، وَيَعْرِفُهَا أَصْحَابُهَا .

وَقَدْ يَتَرَفَّقُ بِأَنْوَاعِ الرَّفْقِ مِنَ الْفِرَاشِ الْوَطِيِّ وَالْوِسَادَةِ وَلَا يُعَاقَبُ
بِالْإِحْتِلَامِ وَغَيْرِهِ عَلَى فَعْلِهِ ؛ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ نِيَّةً يَعْرِفُ مَدَاخِلَ الْأُمُورِ
وَمَخَارِجَهَا ، وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ سَبَقَ الْقَائِمُ !! لَوْ فُورَ عِلْمِهِ وَحُسْنِ نِيَّتِهِ .

وَفِي الْخَبَرِ : « إِذَا نَامَ الْعَبْدُ عَقَدَ الشَّيْطَانُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، فَإِنْ
قَعَدَ ^(١) وَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى أُنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ أُنْحَلَّتْ عُقْدَةٌ أُخْرَى ، وَإِنْ
صَلَّى رَكْعَتَيْنِ أُنْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ كُلُّهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ
خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ » ^(٢) .

(١) فِي (د) : (فَإِنْ انْتَبَه وَقَعَد) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١١٤٢) ، وَمُسْلِمٌ (٧٧٦) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وفي خبرٍ آخرَ : « إِنْ نَامَ حَتَّى يُصْبِحَ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ » (١) .

والذي يُخَلُّ بقيامِ الليلِ : كثرةُ الاهتمامِ بأمورِ الدنيا ، وكثرةُ أشغالِ الدنيا ، وإتعاَبُ الجوارحِ ، والامتلاءُ مِنَ الطعامِ ، وكثرةُ الحديثِ ، واللَّغْوُ (٢) ، واللَّغْطُ ، وإهمالُ القِيلُولَةِ ، والمُوفَّقُ مَنْ يَغْتَنِمُ وَقْتَهُ ، ويعرفُ داءَهُ ودواءَهُ ، ولا يُهْمِلُ فِيْهِمْ لُ ، واللهُ المُوفَّقُ (٣) .



(١) رواه البخاري (١١٤٤) ، ومسلم (٧٧٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ذَكَرَ عندَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ ؛ فَقِيلَ : مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ ، مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : « بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ » .

(٢) في (ج ، د) : (واللَّهُ) .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ قراءة) ، وفيه : (بلغ مقابلة) .

الباب التاسع والأربعون

في استقبال النهار والأدب فيه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ [هود : ١١٤] ؛ أَجْمَعِ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ أَرَادَ بِهِ الْفَجْرَ ، وَأَمَرَ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ ^(١) .

وَاخْتَلَفُوا فِي الطَّرَفِ الْآخِرِ ؛ قَالَ قَوْمٌ : أَرَادَ الْمَغْرَبَ ، وَقَالَ آخَرُونَ : صَلَاةَ الْعِشَاءِ ، وَقَالَ قَوْمٌ : صَلَاةُ الْفَجْرِ وَالظُّهْرِ طَرَفٌ ، وَصَلَاةُ الْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ طَرَفٌ ، وَ﴿ وَزُلْفَاءُ مِنَ اللَّيْلِ ﴾ صَلَاةُ الْعِشَاءِ ^(٢) .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ عَظِيمِ بَرَكَةِ الصَّلَاةِ وَشَرَفِ فَائِدَتِهَا وَثَمَرَتِهَا ؛ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : ١١٤] ؛ أَيِ : الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ يُذْهِبْنَ الْخَطِيئَاتِ .

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا الْيَسْرِ كَعْبَ بْنَ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ كَانَ يَبِيعُ التَّمْرَ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ تَمْرًا ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا التَّمْرَ لَيْسَ بِجَيِّدٍ وَفِي الْبَيْتِ أَجْوَدُ مِنْهُ ، فَهَلْ لِكَ فِيهِ رَغْبَةٌ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى بَيْتِهِ ، فَضَمَّهَا إِلَى نَفْسِهِ

(١) انظر « تفسير الطبري » (٥٠٢ / ١٥) ، و« النكت والعيون » (٥٠٨ / ٢) .

(٢) وقيل في القول الثاني والثالث غير ذلك . انظر « تفسير الطبري » (٥٠٢ - ٥٠٥ / ١٥) ،

و« النكت والعيون » (٥٠٨ / ٢) ، و« تفسير القرطبي » (١٠٩ / ٩) .

وقبلها ، فقالت له : اتق الله ، فتركها وندم .

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ؛ ما تقول في رجل راود امرأة عن نفسها ، ولم يثق شيء مما يفعل الرجال بالنساء إلا ركبته ، غير أنه لم يجامعها ؟

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لقد ستر الله عليك ، لو سترت على نفسك ، ولم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه شيئاً ، وقال : « أنتظر أمر ربي » .

وحضرت صلاة العصر ، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر ، فلما فرغ أتاه جبريل بهذه الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين أبو اليسر ؟ » ، فقال : هأنذا يا رسول الله ، فقال : « شهدت معنا هذه الصلاة ؟ » ، قال : نعم ، قال : « أذهب ؛ فإنها كفارة لما عملت » ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ؛ هذا له خاصة أو لنا عامة ؟ فقال : « بل للناس عامة »^(١) .

فيستعد العبد لصلاة الفجر باستكمال الطهارة قبل طلوع الفجر ، ويستقبل الفجر بتجديد الشهادة كما ذكرنا في أول الليل ، ثم يؤذن إن لم يكن أجاب المؤذن ، ثم يصلي ركعتي الفجر ؛ يقرأ في الأولى بعد (الفاتحة) :

(١) رواه بنحوه الترمذي (٣١١٥) ، والبخاري (٤٦٨٧) ، ومسلم (٢٧٦٣) عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه دون تعيين اسم الرجل ، وأورده بلفظه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٦٧/١٤ - ٤٦٨) .

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، وفي الثانية : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) .

وإن أرادَ قرأ في الأولى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ . . . ﴾ الآية في سورة (البقرة) [الآية : ١٣٦] ، وفي الأخرى : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ . . . ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

ثمَّ يستغفرُ اللهَ ، وَيُسَبِّحُ اللهَ تعالى بما يتيسَّرُ له مِنَ العددِ ، وإنِ اختصرَ على كلمةٍ (أستغفرُ اللهَ لذنبي ، سُبْحَانَ اللهِ بِحَمْدِ رَبِّي) . . أتى بالمقصودِ مِنَ الاستغفارِ والتسبيحِ .

ثمَّ يقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بَهَا قَلْبِي ، وتَجْمَعُ بَهَا سَمَلِي ، وتَلُمُّ بَهَا شَعْيِي ^(١) ، وترُدُّ بَهَا أُلْفَتِي ، وتُصْلِحُ بَهَا دِينِي ، وتحْفَظُ بَهَا غَائِبِي ، وترْفَعُ بَهَا شَاهِدِي ^(٢) ، وتُرَكِّي بَهَا عَمَلِي ، وتُبَيِّضُ بَهَا وَجْهِي ، وتُلْهِمُنِي بَهَا رُشْدِي ^(٣) ، وتَعْصِمُنِي بَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِنِي إِيْمَانًا صَادِقًا ^(٤) ، وِيقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بَهَا شَرَفَ كِرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ ، وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ ، وَالنَّصَرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

(١) تَلُمُّ : تَجْمَعُ ، وَشَعْيِي : مَا تَفَرَّقَ مِنْ أَمْرِي .

(٢) أَي : ظَاهِرِي ؛ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْخِلَالِ الْحَمِيدَةِ .

(٣) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (وَتَلْقِنِي) بَدَلِ (وَتُلْهِمُنِي) .

(٤) زَادَ فِي (د) : (يَبَاشِرُ قَلْبِي) .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي ، وَإِنْ قَصَرَ رَأْيِي ^(١) ، وَضَعُفَ عَمَلِي ،
وافتقرتُ إلى رَحْمَتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ ، كَمَا
تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ ^(٢) ؛ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ، وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ ^(٣) ،
وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ .

اللَّهُمَّ ؛ مَا قَصَرَ عَنْهُ رَأْيِي ^(٤) ، وَضَعُفَ فِيهِ عَمَلِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي
وَأُمْنِيَّتِي ؛ مِنْ خَيْرٍ وَعِدَّتُهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ
خَلْقِكَ . . فَأَنَا أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ^(٥) .

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْنَا هَادِينَ مَهْدِيِّينَ ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ^(٦) ، حَرْبًا
لأَعْدَائِكَ ، وَسِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ النَّاسَ ، وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ
خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ هَذَا الدُّعَاءُ وَمِنْكَ الْإِجَابَةُ ، وَهَذَا الْجُحْدُ وَعَلَيْكَ التَّكْلَانُ ^(٧) ،
وإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ^(٨) ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، ذِي
الْحَبْلِ الشَّدِيدِ ^(٩) ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ

(١) ويجوز أن يُقْرَأَ أَيْضاً : (قَصَرَ) ، وانظر « إتحاف السادة المتقين » (٦٣ / ٥) .

(٢) كتب على هامش (د) دون إشارة : (تحجز) بدل (تجير) .

(٣) دعوة الثُّبُور : النداء بالهلاك والخسران .

(٤) ويضبط أَيْضاً : (قَصَرَ) بالتشديد .

(٥) زاد في بعض النسخ : (ويا أرحم الراحمين) .

(٦) في (ح) : (غير مغضوب عليهم ولا ضالين ومضلين) بدل (غير ضالين ولا مضلين) .

(٧) الجُحْدُ : الوُسْعُ والطاقة ، والتَّكْلَانُ : الاعتماد .

(٨) قوله : (وإنا لله . . .) زيادة من (أ ، ج) ونسخة على هامش (د) ، ولم أجدها فيما

وقفت عليه من المصادر الحديثية ، وهي في « الفتوى » (١٣ / ١) .

(٩) قال الزَّيْنُدي في « الإتحاف » (٦٤ / ٥) : (هكذا في نسخ الكتاب ؛ على أنه بدل من =

الخلود^(١) ، مع المُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ ، والرُّكَّعِ السُّجُودِ ، والمُؤَفِّينَ بِالْعُهودِ ؛
إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ .

سُبْحَانَ مَنْ تَعَطَّفَ بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ ، سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ الْمَجْدَ وَتَكْرَّمَ بِهِ ،
سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنَّعَمِ ، سُبْحَانَ
ذِي الْجُودِ وَالكَرَمِ ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ لِي نُوراً فِي قَلْبِي ، وَنُوراً فِي قَبْرِي ، وَنُوراً فِي سَمْعِي ،
وَنُوراً فِي بَصَرِي ، وَنُوراً فِي شَعْرِي ، وَنُوراً فِي بَشْرِي ، وَنُوراً فِي لَحْمِي ،
وَنُوراً فِي دَمِي ، وَنُوراً فِي مُخِّي ، وَنُوراً فِي عِظَامِي ، وَنُوراً مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ،
وَنُوراً مِنْ خَلْفِي ، وَنُوراً عَنْ يَمِينِي ، وَنُوراً عَنْ شِمَالِي ، وَنُوراً مِنْ فَوْقِي ،
وَنُوراً مِنْ تَحْتِي ؛ اللَّهُمَّ ؛ زِدْنِي نُوراً ، وَأَعْطِنِي نُوراً^(٢) ، وَاجْعَلْ لِي
نُوراً) .

ولهذا الدعاء أثرٌ كثيرٌ^(٣) ، وما رأيتُ أحداً حافظاً عليه إلا وعندهُ خيرٌ

= اسم الله عزَّ وجلَّ ، وفي « القوت » : « ذا الحبل » ؛ على تقدير « يا ذا الحبل » ،
والرواية المشهورة بعد قوله : « رب العالمين » : « اللَّهُمَّ يا ذا الحبل الشديد » ،
واختلفوا في ضبط هذا اللفظ ؛ فقال ابن الأثير : يرويه المُحدِّثون بموحدة ، والمراد :
القرآن أو الدين أو السبب ؛ ومنه : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ؛ وصفه
بالشدَّة ؛ لأنها من صفات الحبال ، والشدَّة في الدين الثبات والاستقامة ، وصَوَّبَ
الأزهريُّ كونهً بالياء التحتية ؛ وهي القوَّة ، واقتصر عليه الزمخشريُّ جازماً ؛ حيثُ
قال : الحبل : هو الحول ؛ أبدل الواو ياء...) ، وفي (ج ، و) : (الحَيْل) .

(١) في (أ ، هـ ، ح) : (دار) بدل (يوم) ، وفي (ي) : (ودار الخلود) بدل (والجنة
يوم الخلود) .

(٢) في « الدعاء » للطبراني وغيره : (وأَعْظِمْ لي) بدل (وأَعْطِنِي) .

(٣) في (هـ) : (كبير) .

ظاهرٌ وبركةٌ ، وهو مِنْ وصيةِ الصادقينَ بعضهم بعضاً بحِفْظِهِ والمُحَافَظَةِ عليه ، منقولٌ عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقْرُؤُهُ بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالسُّنَّةِ مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، ثُمَّ يَقْصِدُ الْمَسْجِدَ لِلصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ^(١) .

ويقولُ عندَ خروجهِ مِنْ منزلهِ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

ويقولُ في الطريقِ : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ ، لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا^(٢) ، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ؛ خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سَخَطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ؛ أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي ؛ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ) .

روى أبو سعيدٍ الخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَالَ ذَلِكَ إِذَا خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ . وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ، وَأَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَقْضِيَ صَلَاتَهُ »^(٣) .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٤٣/١٠ - ٣٤٤) ، و« الدعاء » (٤٨٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٠٩-٢١٠ / ٣) ، والبيهقي في « الدعاء الكبير » (٦٩) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو في « سنن الترمذي » (٣٤١٩) أنه قاله حين الفراغ من صلاته دون تقييد بكونه بعد سنة الفجر ، والظاهر من قول المؤلف : (ولهذا الدعاء) : أَنَّ الإشارةَ لجميع الدعاء السابق ، والذي يبدأ من عند قوله : (اللهم ؛ صلِّ على محمد) ، وجعل الغماري في « الغنية » (٦٧٠ / ٢) الإشارةَ للمقطع الأخير فقط ؛ وهو قوله : (اللهم ؛ اجعل لي نوراً) ، فعزاه إلى البخاري (٦٣١٦) ، ومسلم (٧٦٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) الأشر : كفر النعمة ، والبَطَر : كالأشْر وزناً ومعنى .

(٣) رواه ابن ماجه (٧٧٨) ، وأحمد (٢١/٣) ، والطبراني في « الدعاء » (٤٢١) ، =

وإذا دَخَلَ المسجدَ ، أو دَخَلَ سَجَّادَتَهُ للصلاةِ . . يقولُ : (بسمِ اللهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١) ، والحمدُ لله ، والصَّلَاةُ والسلامُ على رسولِ الله ،
اللَّهُمَّ ؛ اغْفِرْ لي ذُنُوبِي ، وافتَحْ لي أبوابَ رَحْمَتِكَ) .

ويُقَدِّمُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى في الدخولِ ، واليُسْرَى في الخروجِ مِنَ المسجدِ
وَالسَّجَّادَةِ ؛ فَسَجَّادَةُ الصُّوفِيِّ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ .

ثُمَّ يُصَلِّي صَلَاةَ الصُّبْحِ في جماعةٍ ، فإذا سَلَّمَ يقولُ : (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ
لا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ^(٢) ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ
وَحْدَهُ^(٣) .

لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، أَهْلُ النُّعْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالثَنَاءِ الْحَسَنِ ، لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ
ولا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولو كَرِهَ الْكَافِرُونَ) .

ويقرأُ : (هوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . . .) التسعة
والتسعينَ اسماً إلى آخِرِهَا .

فإذا فَرَغَ مِنْهَا يقولُ : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ على مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ ، صَلَاةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً ، وَلِحَقِّهِ أَدَاءً ، وَأَعْطِهِ

= وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٨٤) ، ورواه ابن أبي شيبة في « المصنف »
(٢٩٨١٢) موقوفاً .

(١) قوله : (الرحمن الرحيم) زيادة من (د) .

(٢) زاد في (ط) : (وأعزَّ جنده) .

(٣) زاد في (ي) : (وأعزَّ جنده ، فلا شيء بعده) .

الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته ، واجزه عنا ما هو أهله ،
واجزه عنا أفضل ما جزيت نبياً عن أمته ، وصل على جميع إخوانه من النبين
والصديقين ، والشهداء والصالحين .

اللَّهُمَّ ؛ صل على محمد في الأولين ، وصل على محمد في الآخرين ،
وصل على محمد إلى يوم الدين .

اللَّهُمَّ ؛ صل على روح محمد في الأرواح ، وصل على جسد محمد في
الأجساد ، واجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ، ورأفتك ورحمتك
وتحياتك ورضوانك . . على محمد عبدك ونبئك ورسولك .

اللَّهُمَّ ، أنت السلام ، ومنك السلام ، وإليك يعود السلام ؛ فحيّا ربنا
بالسلام ، وأدخلنا دار السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

اللَّهُمَّ ؛ إنني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ، ولا أملك نفع ما أرجو ،
وأصبح الأمر بيد غيري ، وأصبحت مرتهاناً بعملتي ؛ فلا فقير أفقر مني .

اللَّهُمَّ ؛ لا تُشمت بي عدوّي ، ولا تسؤ بي صديقي ، ولا تجعل
مُصيبي في ديني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همّي ، ولا مبلغ علمي ،
ولا تسلط عليّ من لا يرحمني .

اللَّهُمَّ ؛ هذا خلقٌ جديد^(١) ؛ فافتحه عليّ بطاعتك ، واختمه لي
بمغفرتك ورضوانك ، وارزقني فيه حسنة تقبلها مني ، وزكّها وضعفها لي ،
وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي ؛ إنك غفورٌ رحيمٌ ودودٌ كريمٌ .

(١) أي : هذا الوقت ؛ وهو الصباح . من هامش (ح) .

رَضِيتُ بِاللّهِ رَبًّا ، وبالإسلام دِينًا ، وبمحمّدٍ صَلَّي اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا .

اللّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ
وَشَرِّ مَا فِيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ بَغَاتِ الْأُمُورِ
وَفَجَاءَةِ الْأَقْدَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ مِنْكَ بِخَيْرٍ
يَا رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ ، أَوْ أَذِلَّ أَوْ
أُذِلَّ ، أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَضِلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أَظْلِمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ، عَزَّ
جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ ، وَعَظُمَتْ نِعْمَاؤُكَ .

أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حِدَّةِ الْحَرِصِ ، وَشِدَّةِ الطَّمَعِ ، وَسُورَةِ
الْغَضَبِ^(١) ، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ ، وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ .

اللّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُبَاهَاةِ الْمُكْثَرِينَ ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَى الْمُقْلِينَ ،
وَأَنْ أَنْصُرَ ظَالِمًا ، أَوْ أَخْذُلَ مَظْلُومًا ، وَأَنْ أَقُولَ فِي الْعِلْمِ بَغِيرَ عِلْمٍ ، أَوْ
أَعْمَلَ فِي الدِّينِ بَغِيرَ يَقِينٍ .

أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ ، أَعُوذُ بِعَفْوِكَ
مِنْ عِقَابِكَ ، وَأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً
عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ .

اللّهُمَّ ؛ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ^(٢) ،
وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ

(١) السُّورَةُ : الْحِدَّةُ وَالْوُثُوبُ .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : (وَابْنُ عَبْدِكَ) .

بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً ؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ .

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هَذَا صَلَاحاً ، وَأَوْسَطَهُ فَلَاحاً ، وَآخِرَهُ نَجَاحاً .

اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً ، وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً ، وَآخِرَهُ تَكْرُماً .

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ ، وَالْعِزَّةُ وَالْكَبْرِيَاءُ لِلَّهِ ، وَالْجَبَرُوتُ وَالسُّلْطَانُ لِلَّهِ ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا سَكَنَ فِيهِمَا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .

أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى مِلَّةِ آبَائِنَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، يَا حَيُّ حِينَ لَا حَيَّ فِي دَيْمُومَةٍ مُلْكِهِ وَبِقَائِهِ ، يَا حَيُّ مُخَيِّ الْمَوْتَى ، يَا حَيُّ مُمِيتَ الْأَحْيَاءِ ، وَارِثَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ^(١) .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوْمُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ^(٢) .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : (أَهْلُ الْأَرْضِ) بَدَلَ (الْأَرْضِ) .

(٢) فِي (ب) : (اللَّهُ الَّذِي) بَدَلَ (الَّذِي) .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِّ الْأَعَزِّ الْأَكْرَمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ .

يا نورَ النُّورِ ، يا مُدَبِّرَ الْأُمُورِ ، يا عَالِمَ ما في الصُّدُورِ ، يا سَمِيعُ
يا قَرِيبُ ، يا مُجِيبَ الدُّعَاءِ ، يا لَطِيفاً لما يَشَاءُ ، يا رَوْوْفُ يا رَحِيمُ ،
يا كَبِيرُ يا عَظِيمُ ، يا اللَّهُ يا رَحْمَنُ ، يا ذا الجلالِ والإِكْرَامِ ، ﴿ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﴾ [آل عمران : ٢٠-٢١] ، ﴿ وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه : ١١١] ،
يا إِلَهِي وإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ يا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ،
أَنْتَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا .

كَهَيْعَصَ ، حَمَ ، عَسَقَ ، أَلَر ، حَمَ ، نَ ، يا وَاحِدُ يا قَهَّارُ ، يا عَزِيزُ
يا جَبَّارُ ، يا أَحَدُ يا صَمَدُ ، يا وَدُودُ يا غَفُورُ .

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِاسْمِكَ الْمَكْنُونِ الْمَخْزُونِ ، الْمُتَنَزِّلِ السَّلَامِ ، الطُّهْرِ
الطَّاهِرِ ، الْقُدُّوسِ الْمُقَدَّسِ ، يا دَهْرُ يا دَيْهُورُ يا دَيْهَارُ ، يا أَبَدُ يا أَزَلُ ،
يا مَنْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ ، يا هُوَ ، يا مَنْ هُوَ هُوَ ، يا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، يا مَنْ
لَا هُوَ إِلَّا هُوَ ، يا مَنْ لَا يَعْلَمُ ما هُوَ إِلَّا هُوَ ، يا كائِنُ يا كَيْنَانُ ،
يا رُوحُ يا كائِنُ قَبْلَ كُلِّ كَوْنٍ ، يا كائِنُ بَعْدَ كُلِّ كَوْنٍ .

يا مُكوِّنًا لكلِّ كونٍ ، أَهْيَا شَرَاهِيَا^(١) ، آذوني أَسْبَاوُث^(٢) ، يا مُجَلِّي
عِظَائِمِ الْأُمُورِ^(٣) ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ : حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ .

اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ
إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ
إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَدَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ .
اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا
وَالْمَمَاتِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ وَشَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ^(٤) ، وَأَعُوذُ بِكَ

(١) كذا في النسخ ، وقال في « التاج » مع « القاموس » (٣٦ / ٤١٤-٤١٥) : (« و » قولهم
في الدعاء : « إهْيَا - بكسر الهمزة - وَأَشْرَاهِيَا ، بفتح الهمزة والشين » وسكون الراء :
كلمة « يونانية » أو سريانية أو عبرانية ، وهذا أصحُّ ؛ « أي : الأزلي الذي لم يَزَل » ،
قال الصاغاني : هلكذا أقرأنيهِ حَبْرٌ من أخبار اليهود بعدن أبين ، وقيل : هَيَا شَرَاهِيَا ،
وكانَّهُ اختصار منه ؛ أي : يا حيُّ يا قيُّوم ، نقله الليث ، وقال الصاغاني : « وليس هذا
موضعه » ؛ لأنَّهُ ليس على شرط الكتاب ، « لكن لأنَّ الناس يغلطون ويقولون : أَهْيَا »
بفتح الهمزة ، وبخط الصاغاني : بمد الهمزة و« شَرَاهِيَا » بإسقاط الهمزة ، « وهو خطأ
على ما يزعمه أخبار اليهود » ، وهذا الذي خطَّاه هو المشهورُ في كتب القوم ،
ولا يكادون ينطقون بغير ذلك) .

(٢) في (ط) : (أدوناي) بدل (آذوني) .

(٣) زاد في (ج) : (سبحانك على حلمك بعد علمك ، سبحانك على عفوك بعد قدرتك) .

(٤) زاد في (ب) : (وأعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل) ، وفي « صحيح
مسلم » (٢٧١٦) وغيره من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها : (عملت ... أعمل) .

مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَلِسَانِي وَقَلْبِي .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ ، وَالذُّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْكُفْرِ ، وَالْفُسُوقِ وَالشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ ، وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَضَيْقِ الْأَرْزَاقِ ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ ، وَالْجُنُونِ وَالْجَذَامِ ، وَالْبَرَصِ وَسَائِرِ الْأَسْقَامِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَمِنْ تَحْوِيلِ عَافِيَتِكَ ، وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِمَّا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيدُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ؛ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ .

يَا جَمَالَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١) ، يَا عِمَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا صَرِيخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ ، يَا غَوْثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ، يَا مُنْتَهَى رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ ، وَالْمُفَرِّجَ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ ،

(١) فِي (ح) : (يَا كَمَالَ) بَدَلَ (يَا جَمَالَ) .

والمُرَوِّحَ عَنِ الْمَغْمُومِينَ ، وَمُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ ، وَكَاشِفَ الشُّوْءِ ،
وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ^(١) ، وَإِلَهَ الْعَالَمِينَ ، مَنْزُولُ بَكَ كُلِّ حَاجَةٍ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي^(٢) ، وَأَقْلِنِي عَثْرَاتِي .

اللَّهُمَّ ؛ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي ، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ
فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي ، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَّتِي ،
وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُتْتَهِي رِضَائِي .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّني ، اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي ، اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي
فَقِيرٌ فَأَغْنِنِي ؛ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعِلَانِيَّتِي ، فَاقْبَلْ مَعْدِرَتِي ، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي
فَاعْطِنِي سُؤْلِي ، وَتَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي ، وَيَقِينًا صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ
يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كُتِبَ لِي ، وَارْزُقْنِي الرِّضَا بِمَا قَسَمْتَ لِي ، يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ .

اللَّهُمَّ ، يَا هَادِيَ الْمَضِلِّينَ ، وَيَا رَاحِمَ الْمُذْنِبِينَ ، وَمُقِيلَ عَثْرَاتِ
الْعَاثِرِينَ ؛ اَرْحَمْ عَبْدَكَ ذَا الْخَطَرِ الْعَظِيمِ ، وَالْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ أَجْمَعِينَ ،
وَاجْعَلْنَا مَعَ الْأَحْيَاءِ الْمَرْزُوقِينَ ، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) زاد في (ج) : (وإله الأولين والآخرين) .

(٢) رَوْعَاتِي : جمع (رَوْعَة) ؛ وهي المرة من الفرع .

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ ، عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ ، رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ، ذَا الْعَرْشِ ، تُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِكَ عَلَى مَنْ تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ ، غَافِرَ الذَّنْبِ ، وَقَابِلَ التَّوْبِ ، شَدِيدَ الْعِقَابِ ، ذَا الطَّوْلِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، إِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَلَا تَشْتَبُهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ ، وَيَا مَنْ لَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ ، وَيَا مَنْ لَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ ، وَلَا تُضْجِرُهُ مَسْأَلَةُ السَّائِلِينَ ؛ أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ أَبَدٍ ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ ، وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّكَ ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ .

اللَّهُمَّ ، بَعْلَمِكَ الْغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى خَلْقِكَ ؛ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي ، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ .

اللَّهُمَّ ؛ اقْسِمْ لِي مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، وَمِنْ

طَاعَتِكَ مَا تُدْخِلُنِي جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا^(١) .
اللَّهُمَّ ؛ ارْزُقْنَا حُزْنَ خَوْفِ الْوَعِيدِ ، وَسُرُورَ رَجَاءِ الْمَوْعُودِ ؛ حَتَّى نَجِدَ
لَذَّةَ مَا نَطْلُبُ ، وَخَوْفَ مَا مِنْهُ نَهْرُبُ .

اللَّهُمَّ ؛ أَلْبِسْ وُجُوهَنَا مِنْكَ الْحَيَاءَ ، وَامْلَأْ قُلُوبَنَا بِكَ فَرَحًا ، وَأَسْكِنْ فِي
نَفْسِنَا مِنْ عَظَمَتِكَ^(٢) ، وَذَلِّلْ جَوَارِحَنَا لِخِدْمَتِكَ ، وَاجْعَلْكَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا
سِوَاكَ ، وَاجْعَلْنَا أَخْشَى لَكَ مِمَّنْ سِوَاكَ ، نَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ بِتَمَامِ التَّوْبَةِ ،
وَدَوَامَ الْعَافِيَةِ بِدَوَامِ الْعِصْمَةِ ، وَأَدَاءَ الشُّكْرِ بِحُسْنِ الْعِبَادَةِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بَرَكَةَ الْحَيَاةِ وَخَيْرِ الْحَيَاةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْحَيَاةِ
وَشَرِّ الْوَفَاةِ ، وَأَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا بَيْنَهُمَا ، أَحْيِنِي حَيَاةَ السُّعْدَاءِ ؛ حَيَاةَ مَنْ تُحِبُّ
بَقَاءَهُ ، وَتَوَفِّي وَفَاةَ الشُّهَدَاءِ ؛ وَفَاةَ مَنْ تُحِبُّ لِقَاءَهُ ، يَا خَيْرَ الرَّازِقِينَ ،
وَأَحْسَنَ التَّوَابِينَ ، وَأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ، وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَرَبِّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَارْحَمْ مَا خَلَقْتَ ، وَاغْفِرْ
مَا قَدَّرْتَ ، وَطَيِّبْ مَا رَزَقْتَ ، وَتَمِّمْ مَا أَنْعَمْتَ ، وَتَقَبَّلْ مَا اسْتَعْمَلْتَ ،
وَاحْفَظْ مَا اسْتَحْفَظْتَ ، وَلَا تَهْتِكْ مَا سَتَرْتَ ؛ فَإِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ،
أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بَغَيْرِ ذِكْرِكَ ، وَمِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بَغَيْرِ خِدْمَتِكَ ، وَمِنْ كُلِّ
سُرُورٍ بَغَيْرِ قُرْبِكَ ، وَمِنْ كُلِّ فَرَحٍ بَغَيْرِ مُجَالَسَتِكَ ، وَمِنْ كُلِّ شُغْلٍ بَغَيْرِ
مُعَامَلَتِكَ .

(١) قوله : (تحول ، تدخلي ، تهوّن) يجوز أن يُقرأ بالياء التحتية كما وجد في بعض

النسخ ، والضمير يعود على (ما) .

(٢) زاد في (ط) : (مهابة) .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَقْدٍ عَقَدْتُهُ ثُمَّ لَمْ أَفِ بِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَقَوَيْتُ بِهَا عَلَى مَعْصِيَتِكَ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ لَكَ فَخَالَطَهُ مَا لَيْسَ لَكَ ^(١) .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الْخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ .

اللَّهُمَّ ؛ احْفَظْنَا فِيمَا أَمَرْتَنَا ، وَاحْفَظْنَا عَمَّا نَهَيْتَنَا ، وَاحْفَظْ لَنَا مَا أَعْطَيْتَنَا ، يَا حَافِظَ الْحَافِظِينَ ، وَيَا ذَاكَرَ الذَّاكِرِينَ ، وَيَا شَاكِرَ الشَّاكِرِينَ ، بِذِكْرِكَ ذَكَّرُوا ، وَبِفَضْلِكَ شَكَرُوا .

يَا غِيَاثُ يَا مُغِيثُ يَا مُسْتَغَاثُ ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ ؛ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِكَ ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَأُضِيعَ ، أَكِلَانِي كَلَاءَةَ الْوَلِيدِ ، وَلَا تَخَلَّ عَنِّي ، وَتَوَلَّنِي بِمَا تَتَوَلَّى بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

أَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، جَارٍ فِي حُكْمِكَ ، عَدْلٌ فِي قِضَاؤِكَ ، نَافِذٌ فِي مَشِيئَتِكَ ، إِنْ تُعَذِّبْ فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنَا ، وَإِنْ تَرْحَمْ فَأَهْلُ ذَلِكَ أَنْتَ ، فَافْعَلِ اللَّهُمَّ يَا مَوْلَايَ يَا اللَّهَ يَا رَبَّ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ ، وَلَا تَفْعَلِ اللَّهُمَّ يَا رَبَّ يَا اللَّهَ مَا أَنَا لَهُ أَهْلٌ ؛ إِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفَرَةِ .

(١) فِي (ب ، ج ، و) : (فَخَالَطْتُهُ) بَدَلَ (فَخَالَطَهُ) .

يا مَنْ لا تضرُّهُ الذُّنُوبُ ، ولا تنقصُهُ المغفرةُ ؛ هَبْ لي ما لا يضرُّكَ ،
وأعطني ما لا ينقصُكَ .

ربَّنَا ؛ أفرِّغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ، تَوَقَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ، أَنْتَ وَلَيْتُنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ^(١) .

ربَّنَا ؛ عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، رَبَّنَا ؛ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

ربَّنَا ؛ آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، رَبَّنَا ؛ آتِنَا فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَارْزُقْنَا الْعَوْنَ عَلَى الطَّاعَةِ ،
وَالْعِصْمَةَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِفْرَاقَ الصَّبْرِ فِي الْخِدْمَةِ ، وَإِيزَاعَ الشُّكْرِ فِي
النِّعْمَةِ ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ ، وَأَسْأَلُكَ الْيَقِينَ ، وَحُسْنَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ ،
وَأَسْأَلُكَ الْمَحَبَّةَ وَحُسْنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا وَحُسْنَ الثِّقَةِ بِكَ ،
وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ الْمُتَقَلِّبِ إِلَيْكَ .

اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَصْلِحْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ،
اللَّهُمَّ ؛ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، اللَّهُمَّ ؛ فَرِّجْ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ فَرَجًا عَاجِلًا .

ربَّنَا ؛ اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

اللَّهُمَّ ؛ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ تَوَالَدَا ، وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ،

(١) في (د ، ح) : (الغافرين) .

وَاعْفِرْ لِأَعْمَامِنَا وَعَمَّاتِنَا ، وَأُخْوَالِنَا وَخَالَاتِنَا ، وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا ، وَلِجَمِيعِ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ ،
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَيَا خَيْرَ الْغَافِرِينَ) .

وَلَمَّا كَانَ الدَّعَاءُ مُنَحَّ الْعِبَادَةِ . أَحْبَبْنَا أَنْ نَسْتَوْفِيَ مِنْ ذَلِكَ قِسْماً صَالِحاً
نَرْجُو بَرَكَتَهُ .

وَهَذِهِ الْأَدْعِيَةُ اسْتَخْرَجَهَا الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
« قُوَّةُ الْقُلُوبِ » ^(١) ، وَعَلَى نَقْلِهِ كُلِّ اعْتِمَادٍ ، وَفِيهِ الْبَرَكََةُ .

فَلْيَدْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ مُنْفَرِداً أَوْ فِي جَمَاعَةٍ ؛ إِمَاماً كَانَ أَوْ مَأْمُوماً ،
وَيَخْتَصِرُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ ^(٢) .



(١) انظر « قوت القلوب » (١ / ٢٠ - ٣٧) .

(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماعهم في الثالث والثلاثين على
الشيخ أمين الدين عبد الملك ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الخمسون

في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات

فَمِنْ ذَلِكَ : أَنْ يُلَازِمَ مَوْضِعَهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، إِلَّا أَنْ يَرَى
انتقاله إلى زاويته أَسْلَمَ لِدِينِهِ ؛ لِكَيْلَا يَحْتَاجَ إِلَى حَدِيثٍ أَوْ تَفَاتٍ إِلَى
شَيْءٍ ؛ فَإِنَّ السَّكُوتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَتَرْكُ الْكَلَامِ . لَهُ أَثَرٌ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَجِدُهُ
أَهْلُ الْمُعَامَلَةِ وَأَرْبَابُ الْقُلُوبِ ، وَقَدْ نَذَّبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
ذَلِكَ (١) .

ثُمَّ يَقْرَأُ (الْفَاتِحَةَ) وَأَوَّلَ سُورَةِ (الْبَقَرَةِ) إِلَى ﴿ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١-٥] ،
وَالْآيَتَيْنِ ؛ ﴿ وَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ﴾ [البقرة : ١٦٣-١٦٤] ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ ،
وَالْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا ، ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾ . . . إِلَى آخِرِهِ [البقرة : ٢٨٥-٢٨٦] ، وَالْآيَةَ
قَبْلَهَا ، وَ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾ . . . [آل عمران : ١٨] ، وَ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ
الْمَلِكِ ﴾ . . . [آل عمران : ٢٦] (٢) ، وَ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ ﴾ . . . إِلَى ﴿ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤-٥٦] ، وَ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ . . . ﴾ إِلَى الْآخِرِ [التوبة : ١٢٨-١٢٩] .

(١) رواه أبو داود (١٢٨٧) ، وأحمد (٤٣٨/٣-٤٣٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير »
(١٩٦/٢٠-١٩٧) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٤٩/٣) عن سيدنا معاذ بن
أنس الجهني رضي الله عنه .

(٢) ويقرأ بعدها آية أيضاً ، كما في « القوت » (١٦/١) .

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ . . . ﴾ الآيتين [الإسراء : ١١٠-١١١] ، وآخر (الكهف) ؛ مِنْ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا . . . ﴾ إِلَى آخِرِهِ [الكهف : ١٠٧-١١٠] ، ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ
مُغْضِبًا . . . ﴾ إِلَى ﴿ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧-٨٩] ، و ﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ
تُسْأَلُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . . ﴾ [الروم : ١٧] ، و ﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ
السُّورَةِ [الصفات : ١٨٠-١٨٢] ، و ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ . . . ﴾ إِلَى آخِرِهِ [الفتح : ٢٧-٢٩] ،
وَأَوَّلِ سُورَةِ (الحديد) إِلَى ﴿ يَذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الحديد : ١-٦] ، وَآخِرِ سُورَةِ
(الحشر) ؛ مِنْ ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا ﴾ [الحشر : ٢١-٢٤] .

ثُمَّ يُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَهَكَذَا يَحْمَدُ مِثْلَهُ ، وَيُكَبِّرُ مِثْلَهُ ، وَيُتِمُّهَا مِثَّةً
مَرَّةً بـ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ) .

فَإِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ حِفْظًا أَوْ مِنْ الْمُصْحَفِ ، أَوْ
يَشْتَغِلُ بِأَنْوَاعِ الْأَذْكَارِ ، وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ وَقُصُورٍ وَنُعَاسٍ ؛ فَإِنَّ
النَّوْمَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَكْرُوهٌ جَدًّا ، فَإِنْ غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَقُمْ فِي مُصَلَّاهُ قَائِمًا
مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ .

فَإِنْ لَمْ يَذْهَبِ النَّوْمُ بِالْقِيَامِ يَخْطُ خَطَوَاتِ نَحْوِ الْقِبْلَةِ ، وَيَتَأَخَّرُ بِالْخَطَوَاتِ
كَذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَدْبِرُ الْقِبْلَةَ ؛ فِي إِدَامَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ ، وَتَرْكِ الْكَلَامِ
وَالنَّوْمِ ، وَدَوَامِ الذِّكْرِ فِي هَذَا الْوَقْتِ . . أَثَرٌ كَثِيرٌ وَبَرَكَةٌ غَيْرُ قَلِيلَةٍ^(١) ،
وَجَدْنَا ذَلِكَ بِحَمْدِ اللَّهِ ، وَنُوصِي بِهِ الطَّالِبِينَ^(٢) ، وَأَثَرُ ذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ يَجْمَعُ

(١) فِي (هـ) : (كَبِير) بَدَلَ (كَثِير) .

(٢) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مَنْ رُزِقَ حُلَاوَةَ الْمَنَاجَاةِ طَارَ عَنْهُ النَّوْمُ) . مِنْ هَامِشٍ

(ح) .

في الأذكار بين القلب واللسان . . أكثر وأظهر .

وهذا الوقت أول النهار ، والنهار مَظَنَّةُ الآفات ، فإذا أَحْكَمَ أَوَّلُهُ بهذه الرعاية . . فقد أَحْكَمَ بُنْيَانَهُ ، وثُبَّتَنِي أوقاتُ النهارِ جميعُها على هذا البناءِ .

فإذا قاربَ طلوعُ الشمسِ يَبْدِئُ بقراءةِ المُسَبِّحاتِ العشرِ ، وهي من تعليمِ الخَضِرِ عليه السلامُ ؛ عَلَّمَهَا إبراهيمَ التَّيْمِيَّ ، وذكرَ أَنَّهُ تَعَلَّمَهَا مِنْ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١) ، وينالُ بالمُدَاوِمَةِ عليها جميعَ المُتَفَرِّقِ في الأذكارِ والدَّعَوَاتِ ؛ وهي :

عَشْرَةُ أَشْيَاءَ سَبْعَةٌ سَبْعَةٌ : (الفاتحةُ) ، و (المَعُوذَتَانِ) ، و (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) ، و (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، وآيَةُ الْكُرْسِيِّ ، و (سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ) ، والصلاةُ على النَّبِيِّ وآلِهِ ، ويستغفرُ لِنَفْسِهِ ولِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ، ويقولُ سَبْعاً : (اللَّهُمَّ ؛ افْعَلْ بِي وَبِهِمْ عَاجِلاً وَآجِلاً فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَا أَنْتَ لَهُ أَهْلٌ ، ولا تَفْعَلْ بِنَا يَا مَوْلَايَ مَا نَحْنُ لَهُ أَهْلٌ ؛ إِنَّكَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ، جَوَادٌ كَرِيمٌ ، رُؤُوفٌ رَحِيمٌ) .

(١) والخضر حيٌّ عند أكثر أهل العلم ؛ قال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١٧٦/١ - ١٧٧) : (واختلفوا في حياة الخضر ؛ فقال الأكثرون من العلماء : هو حيٌّ موجودٌ بين أظهرنا ، وذلك مُتَّفَقٌ عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة . . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في « فتاويه » : هو حيٌّ عند جماهير العلماء والصالحين ، والعامة معهم في ذلك ، قال : وإنما شدَّ بإنكاره بعض المُحدِّثين) ، وانظر « فتاوى ابن الصلاح » (١٨٥/١ - ١٨٦) ، و« تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة » للسيوطي (٣١٧/٢) ضمن « الحاوي للفتاوى » ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص ٣٢٨) ، و« فتاوى الرملي » (٢٢٢/٤ - ٢٢٣) ، وسبق التنبيه عليه مختصراً في (٤٩٢/١) .

وَرُوِيَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيَّ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَهَا مِنَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ . . رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ ، وَأَكَلَ
مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ^(١) .

وَقِيلَ : إِنَّهُ مَكَثَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لَمْ يَطْعَمْ ؛ قِيلَ : لَعَلَّهُ كَانَ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ أَكَلَ
مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ^(٢) .

فَإِذَا فَرَّغَ مِنَ الْمُسَبَّعَاتِ يُقْبَلُ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّلَاوَةِ إِلَى أَنْ
تَطْلُعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ .

رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَأَنْ أَقْعُدَ فِي مَجْلِسٍ
أَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . . أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ
أَرْبَعَ رِقَابٍ »^(٣) .

ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ مِنْ مَجْلِسِهِ ؛ فَقَدْ نُقِلَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي الرَكَعَتَيْنِ^(٤) ، وَبِهَاتَيْنِ الرَكَعَتَيْنِ
تَبَيَّنُ فَائِدَةُ رِعَايَةِ هَذَا الْوَقْتِ .

(١) رَوَى حَدِيثُ الْمُسَبَّعَاتِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقٍ » (١٦ / ٤٢٩ - ٤٣٠) ، وَأُورِدَهُ
أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوتِ » (١ / ١٧ - ١٨) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » (٢ / ٤٧٦ -
٤٧٨) ، وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ فِي « الْمَغْنِيِّ » (١١٩٥) : (لَيْسَ لَهُ أَصْل) ، وَقَالَ الزَّيْبِيدِيُّ فِي
« الْإِتْحَافِ » (٥ / ١٣٥) : (وَلَكِنْ مِثْلُ هَذَا يُغْتَفَرُ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ ، لَا سِيَّمَا وَقَدْ
تَلَقَّنَهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ) .

(٢) انْظُرْ « قُوتُ الْقُلُوبِ » (١ / ١٨) ، وَ« إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ » (٢ / ٤٧٩) .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٦٦٧) ، وَابْنُ بَزَازٍ فِي « الْمُسْنَدِ » (٧٢٤٤) ، وَابْنُ الْبَطْرَانِيِّ فِي « الدَّعَاءِ »
(١٨٧٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٥٩٨) ، وَابْنُ مَاجَهَ (١١٦١) ، وَابْنُ الْبَطْرَانِيِّ (١١٩ / ٢) عَنْ سَيِّدِنَا
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وإذا صَلَّى الرُّكْعَتَيْنِ جَمَعَ هَمٌّ وحضورٌ فَهَمٌ وحُسْنٌ تَدْبِيرٌ لِمَا يَقْرَأُ . يجدُ في باطنِهِ أَثْرًا ونُورًا ورُوحًا وأنْسًا إذا كَانَ صادقًا ، والذي يَجِدُهُ مِنَ البركةِ ثوابٌ مُعَجَّلٌ لَهُ على عَمَلِهِ هذا .

وأحبُّ أَنْ يَقْرَأَ في هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ في الأولى : آيةَ الكُرْسِيِّ ، وفي الأُخْرَى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ . . . ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، و﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . ﴾ إلى آخرِ الآيةِ [النور : ٣٥] ، وتكونُ نِيَّتُهُ فِيهِمَا الشُّكْرَ لله تعالى على نِعَمِهِ في يومِهِ وَلَيْلَتِهِ .

ثمَّ يُصَلِّي رُكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ يَقْرَأُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِيهِمَا ؛ في كُلِّ رُكْعَةٍ سورةٌ ، وتكونُ صَلَاتُهُ هَذِهِ لِيَسْتَعِيدَ باللهِ مِنْ شَرِّ يومِهِ وَلَيْلَتِهِ .

ويذكرُ بعدَ هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ كَلِمَاتِ الاستعاذةِ ؛ فيقولُ : (أَعُوذُ بِاسْمِكَ وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ ، مِنْ شَرِّ السَّامَةِ وَالْهَامَةِ ^(١)) ، وأعوذُ بِاسْمِكَ وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ عَذَابِكَ وَشَرِّ عِبَادِكَ ، وأعوذُ بِاسْمِكَ وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ مِنْ خَيْرٍ مَا تُعْطِي أَحَدًا وَمَا تُسْأَلُ ، وَمِنْ خَيْرٍ مَا تُبْذِي وَمَا تُخْفِي ، وأعوذُ بِاسْمِكَ وَكَلِمَتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا يَجْرِي بِهِ النَّهَارُ ^(٢) ، إِنَّ رَبِّي اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) .

(١) الهَامَةُ : واحدة (الهَوَامُّ) ، ولا يقع هذا الاسم إلا على المَخُوف من [الأحناش] . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٢) في (أ ، د ، ح) : (الليل والنهار) ، والمثبت موافق لـ « الفتوح » (٢٣ / ١) ، وقال : (وإن كان مساء قال : « ومن شرِّ ما جاء به الليل ») .

ويقول بعد الركعتين الأوليين : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي ، وَأَصْبَحَ أَمْرِي بِيَدِ غَيْرِي ؛ فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي .

اللَّهُمَّ ؛ لَا تُشِمْتُ بِي عَدُوِّي ، وَلَا تَسُوْ بِي صَدِيقِي ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي ، وَلَا غَايَةَ رَغْبَتِي^(١) ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي .

اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الدُّنُوبِ الَّتِي تُزِيلُ النِّعَمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الدُّنُوبِ الَّتِي تُوجِبُ النِّقَمَ) .

ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ بِنِيَّةِ الاسْتِخَارَةِ لِكُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ فِي يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ ، وَهَذِهِ الاسْتِخَارَةُ تَكُونُ بِمَعْنَى الدَّعَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَإِلَّا فَالاسْتِخَارَةُ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا الْأَخْبَارُ هِيَ الَّتِي يُصَلِّيَهَا أَمَامَ كُلِّ أَمْرٍ يُرِيدُهُ^(٢) .

(١) هذه الجملة زيادة من نسخة على هامش (د) ، وهي في « القوت » (٢٤ / ١) بلفظ : (ولا غاية أملِي) .

(٢) كذا قال رحمه الله تعالى ، وَعَقَّبَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْمُحَقِّقُ الشَّهَابُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي « تحفة المحتاج » (٢٣٨ / ٢) ؛ فَقَالَ : (وَهَذَا عَجِيبٌ مِنْهُ مَعَ إِمَامَتِهِ فِي الْفَقْهِ أَيْضًا ، وَكَيْفَ رَاجَ عَلَيْهِ صِحَّةُ وَحَلِّ صَلَاةٍ بِنِيَّةٍ مُخْتَرَعَةٍ لَمْ يَرِدْ لَهَا أَصْلٌ فِي السَّنَةِ ؟ ! وَمَنْ اسْتَحْضَرَ كَلَامَهُمْ فِي رَدِّ صَلَوَاتٍ ذِكْرَتْ فِي أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ . . عَلِمَ أَنَّهُ لَا تَجُوزُ وَلَا تَصَحُّ هَذِهِ الصَّلَوَاتُ بِتِلْكَ النِّيَّاتِ الَّتِي اسْتَحْسَنَهَا الصُّوفِيَّةُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرِدَ لَهَا أَصْلٌ فِي السَّنَةِ . نَعَمْ ؛ إِنْ نَوَى مُطْلَقَ الصَّلَاةِ ثُمَّ دَعَا بَعْدَهَا بِمَا يَتَضَمَّنُ نَحْوَ اسْتِعَاذَةٍ أَوْ اسْتِخَارَةٍ مُطْلَقَةٍ . . لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بِأَسْرَ) .

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الشَّرَوَانِيُّ نَقْلًا عَنِ السَّيِّدِ الْبَصْرِيِّ : (الظَّاهِرُ : أَنَّهُ مُرَادُ الشَّيْخِ الْمَذْكُورِ - أَيِ : صَاحِبِ « الْعَوَارِفِ » - فَمَرَادُهُ بِقَوْلِهِ : « بِنِيَّةٍ كَذَا » : بَيَانُ أَنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ بَاعَثَ عَلَى فِعْلِ الصَّلَاةِ الْمَذْكُورَةِ ، لَا النِّيَّةَ الْمُرَادَةَ لِلْفُقَهَاءِ الْمُقْتَرِنَةَ بِالتَّكْبِيرِ ، وَحَمْلُ كَلَامِهِ =

ويقرأ في هاتين الركعتين : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ، و (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره في غير هذا الباب^(١) ، ويقول فيه : (كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ أُرِيدُهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ اجْعَلْ فِيهِ الْخَيْرَةَ) .

ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ؛ يقرأ في الأولى : سورة (الواقعة) ، وفي الأخرى : سورة (الأعلى) ، ويقول بعدها : (اللَّهُمَّ ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ ، وَخَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوقِ إلى لقاءك ، وإذا أَقْرَزْتَ أَغْنِنِ أَهْلَ الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمْ . فَأَقْرِزْ عَيْنِي بِعِبَادَتِكَ ، وَاجْعَلْ طَاعَتَكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

ثُمَّ يُصَلِّي بَعْدَ ذَلِكَ رَكْعَتَيْنِ ؛ يقرأ فِيهِمَا شَيْئاً مِنْ حِزْبِهِ مِنَ الْقُرْآنِ .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ كَانَ مُتَفَرِّغاً لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ فِي الدُّنْيَا . . يَتَنَقَّلُ بِأَنْوَاعِ الْعَمَلِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ وَالذِّكْرِ إِلَى وَقْتِ الضُّحَى ، وَإِنْ كَانَ مَمَّنْ لَهُ شُغْلٌ فِي الدُّنْيَا إِمَّا لِنَفْسِهِ أَوْ لِعِيَالِهِ . . فَلْيَمْضِ لِحَاجَتِهِ وَمَهَامِّهِ بَعْدَ أَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ لخروجه من المنزل .

وهكذا ينبغي أن يفعل أبداً ؛ لا يخرج من البيت إلى جهةٍ إلا بعد أن يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ؛ لِيَقِيَهُ اللَّهُ الْمَخْرَجَ السَّوَّءَ ، وَلَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ إِلَّا وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ ؛ لِيَقِيَهُ اللَّهُ الْمَدْخَلَ السَّوَّءَ ، بَعْدَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى مَنْ فِي الْمَنْزِلِ مِنْ

= عليه أولى من التشنيع ، ويعضد هذا الاستحسان منهم : ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من تقديم الصلاة عند عُروضِ أمرٍ يستدعي الدعاء) .

(١) انظر (٣٩٥/١ - ٣٩٦) .

الزوجة وغيرها ، وإن لم يكن في البيت أحدٌ يُسَلِّمُ أيضاً ويقولُ : (السلامُ على عبادِ الله الصالحينَ المؤمنين) .

وإن كان مُتفرِّغاً أَحْسَنُ أَشْغَالِهِ في هذا الوقتِ إلى صلاةِ الضُّحَى ..
الصلاةُ .

فإن كان عليه قضاءٌ يُصَلِّي صلاةَ يومٍ أو يومينِ أو أكثرَ ، وإلا يُصَلِّي رَكَعَاتٍ يُطَوِّلُهَا ويقرأُ فيها القرآنَ ؛ فقد كان مِنَ الصالحينَ مَنْ يَخْتِمُ القرآنَ في الصلاةِ بينَ اليومِ والليْلِ ، وإلا فيُصَلِّي أعداداً مِنَ الرَكَعَاتِ الخفيفةِ بـ (فاتحةِ الكتابِ) و (قلْ هوَ اللهُ أحدٌ) ، وبالأياتِ التي في القرآنِ وفيها الدعاءُ ؛ مثلُ قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [المتحنة : ٤] ، وأمثالُ هذه الآيةِ ؛ يقرأُ في كلِّ ركعةِ آيةً منها ؛ إمَّا مرَّةً ، أو يُكرِّرُها مهما شاءَ .

ويقدِّرُ الطالبُ أن يُصَلِّي بينَ الصلاةِ التي ذَكَرناها بعدَ طلوعِ الشمسِ وبينَ صلاةِ الضُّحَى مئةَ ركعةٍ خفيفةٍ ؛ فقد كان مِنَ الصالحينَ مَنْ وَرَدَهُ في اليومِ والليْلِ مئةُ ركعةٍ ، إلى مئتينِ ، إلى خمسِ مئةِ ركعةٍ ، إلى ألفِ ركعةٍ^(١) .

وَمَنْ لَيْسَ لَهُ في الدنيا شُغْلٌ وقد تركَ الدنيا على أهلِها .. فما باله يَبْطُلُ ولا يَتَنَعَّمُ بِخِدْمَةِ اللهِ تعالى ؟! قالَ سهلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : (لا يَكْمُلُ شُغْلُ قَلْبِ الْعَبْدِ بِاللَّهِ الْكَرِيمِ وَلَهُ في الدنيا حاجةٌ) .

فإذا ارتفعتِ الشمسُ ، وَتَنَصَّفَ الوقتُ مِنْ صلاةِ الصبحِ إلى الظهرِ كما يَتَنَصَّفُ العصرُ بينَ الظهرِ والمغربِ .. يُصَلِّي الضُّحَى ؛ فهذا الوقتُ أَفْضَلُ الأوقاتِ لصلاةِ الضُّحَى ؛ قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَلَاةُ

(١) انظر « قوت القلوب » (١ / ١٢٥) .

الضُّحَى إِذَا رَمَضَتِ الْفِصَالُ»^(١) ؛ وَهُوَ أَنْ يَنَامَ الْفَصِيلُ فِي ظِلِّ أُمِّهِ عِنْدَ حَرِّ الشَّمْسِ^(٢) .

وقيل : الضُّحَى إِذَا ضَحِيَّتِ الْأَقْدَامُ بِحَرِّ الشَّمْسِ .

وأقلُّ صلاةِ الضُّحَى : ركعتان ، وأكثرُها : اثنتا عشرة ركعة .

ويجعلُ لنفسِهِ دعاءَ بعدَ كلِّ ركعتين ، ويُسَبِّحُ ويستغفرُ .

ثمَّ بعدَ ذلكَ إِنْ كَانَ هُنَاكَ حَقٌّ يُقْضَى مِمَّا نُدِبَ إِلَيْهِ مِنْ زِيَارَةٍ وَعِيَادَةٍ .

يمضي فِيهِ ، وَإِلَّا فَيُؤَدِّمُ الْعَمَلَ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ ؛ إِمَّا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَقَلْبًا وَقَالِبًا ، وَإِلَّا فَبَاطِنًا .

وترتيبُ ذلكَ : أَنَّهُ يُصَلِّي مَا دَامَ مُشْرِحًا وَنَفْسُهُ مُجِيبَةً .

فَإِنْ سَئِمَ يَنْزِلُ مِنَ الصَّلَاةِ إِلَى التَّلَاوَةِ ؛ فَإِنَّ مُجَرَّدَ التَّلَاوَةِ أَخَفُّ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الصَّلَاةِ .

فَإِنْ سَئِمَ التَّلَاوَةَ أَيْضًا يَذْكُرُ اللَّهَ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ؛ فَهُوَ أَخَفُّ مِنَ الْقِرَاءَةِ .

فَإِنْ سَئِمَ الذِّكْرَ أَيْضًا يَدْعُ ذَكَرَ اللِّسَانِ وَيُلَازِمُ بَقْلِيهِ الْمُرَاقَبَةَ ، وَالْمُرَاقَبَةُ

عِلْمُ الْقَلْبِ بِنَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ^(٣) ، فَمَا دَامَ هَذَا الْعِلْمُ مُلَازِمًا لِلْقَلْبِ . . فَهُوَ مُرَاقِبٌ ، وَالْمُرَاقَبَةُ عَيْنُ الذِّكْرِ وَأَفْضَلُهُ .

(١) رواه مسلم (١٤٤/٧٤٨) ، وغيرُهُ عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وفيه :

(صلاة الأوابين) بدل (صلاة الضحى) ، وهي نفسها صلاة الضحى ، وسُمِّيَتْ

بذلك ؛ للخبر الصحيح : « لَا يُحَافِظُ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى إِلَّا أَوَّابٌ ، وَهِيَ صَلَاةُ

الأَوَّابِينَ » ، وانظر « مرقاة المفاتيح » (٩٧٩ / ٣) .

(٢) الفَصِيلُ : واحدُ (الفِصَال) و (الْفُضْلَان) ؛ وَهُوَ وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فُصِّلَ عَنْ أُمِّهِ .

(٣) أي : علم القلب المتصل بنظر الله تعالى . من هامش (ح) .

فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ أَيْضاً ، وَتَمَلَّكَتُهُ الْوَسَاوِسُ ، وَتَزَاحَمَ فِي بَاطِنِهِ حَدِيثُ النَّفْسِ . . فَلْيَنْتَمِمْ ؛ فِي النُّوْمِ السَّلَامَةِ ، وَإِلَّا فَكَثْرَةُ حَدِيثِ النَّفْسِ تُقْسِي الْقَلْبَ ككَثْرَةِ الْكَلَامِ ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ مِنْ غَيْرِ لِسَانٍ ، فَيَحْتَرِزُ مِنْ ذَلِكَ ؛ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ : (أَسْوَأُ الْمَعَاصِي حَدِيثُ النَّفْسِ) .

وَالطَّالِبُ يُرِيدُ أَنْ يَتَبَرَّ بِبَاطِنِهِ كَمَا يَتَبَرَّ بِظَاهِرِهِ^(١) ؛ فَإِنَّهُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ وَمَا يَتَخِيلُ لَهُ مِنْ ذِكْرِ مَا مَضَى وَمَا رَأَى وَسَمِعَ . . كَشَخْصٍ آخَرَ فِي بَاطِنِهِ^(٢) ؛ فَيَقْيِدُ الْبَاطِنَ بِالْمُرَاقَبَةِ وَالرَّعَايَةِ ، كَمَا يَقْيِدُ الظَّاهِرَ بِالْعَمَلِ وَأَنْوَاعِ الذِّكْرِ .

وَيُمْكِنُ لِلطَّالِبِ الْمُحِدِّ أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ صَلَاةِ الضُّحَى إِلَى وَقْتِ الْاِسْتِوَاءِ مِثْلَ رَكْعَةٍ أُخْرَى ، وَأَقَلُّ ذَلِكَ عَشْرُونَ رَكْعَةً يُصَلِّيُهَا خَفِيفَةً ، أَوْ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ جُزْءاً مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ .

وَالنُّوْمُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ صَلَاةِ الضُّحَى ، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَعْدَادٍ أُخَرَ مِنَ الرِّكَعَاتِ . . حَسَنٌ ؛ قَالَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ : (كَانَ يُعْجِبُهُمْ إِذَا فَرَّغُوا أَنْ يَنَامُوا ؛ طَلَباً لِلسَّلَامَةِ)^(٣) .

وهذا النوم فيه فوائد :

منها : أَنَّهُ يُعِينُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ .

(١) فِي (أ) : (يَنْبَغِي) بَدَل (يَرِيد) .

(٢) فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشِ (أ) : (شَخْصٌ أَثَرٌ فِي بَاطِنِهِ) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقُوت » (٤٧ / ١) ، وَالغَزَالِي فِي « الْإِحْيَاءِ »

(٤٨٩ / ٢) ، وَسُفْيَانُ : هُوَ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ومنها : أَنَّ النَّفْسَ تَسْتَرِيحُ ، وَيَصْفُو الْقَلْبُ لَبَقِيَّةِ النَّهَارِ وَالْعَمَلِ فِيهِ ، وَالنَّفْسُ إِذَا اسْتَرَاخَتْ عَادَتْ جَدِيدَةً ، فَبَعْدَ الْإِنْتِبَاهِ مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ يَسْتَجِدُّ الْبَاطِنُ نَشَاطًا آخَرَ وَشَغَفًا آخَرَ كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ ، فَيَكُونُ لِلصَّادِقِ فِي النَّهَارِ نَهَارَانِ يَغْتَنِمُهُمَا بِخِدْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالذُّؤُوبِ فِي الْعَمَلِ^(١) .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ انْتِبَاهُهُ مِنْ نَوْمِ النَّهَارِ قَبْلَ الزَّوَالِ بِسَاعَةٍ ؛ حَتَّى يَتِمَكَّنَ مِنَ الْوُضُوءِ وَالطَّهَارَةِ قَبْلَ الْإِسْتِوَاءِ ؛ بَحِثُ يَكُونُ وَقْتُ الْإِسْتِوَاءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ذَاكِرًا وَمُسَبِّحًا وَتَالِيًا .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ [هود : ١١٤] ، وَقَالَ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ١٣٠] .

قِيلَ : قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ : صَلَاةُ الصُّبْحِ ، وَقَبْلَ الْغُرُوبِ : صَلَاةُ الْعَصْرِ ، ﴿ وَمِنْ عَنَائِي أَلَيْلٍ فَسَبِّحْ ﴾ أَرَادَ : الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، ﴿ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ ﴾ [طه : ١٣٠] أَرَادَ : الظُّهْرَ وَالْمَغْرِبَ ؛ لِأَنَّ الظُّهْرَ صَلَاةٌ فِي آخِرِ الطَّرَفِ الْأَوَّلِ مِنَ النَّهَارِ ، وَآخِرُ الطَّرَفِ الْآخِرِ غُرُوبُ الشَّمْسِ ، وَفِيهَا صَلَاةُ الْمَغْرِبِ ، فَصَارَ الظُّهْرُ أَوَّلَ الطَّرَفِ الْآخِرِ^(٢) ، فَيَسْتَقْبِلُ الطَّرَفَ الْآخِرَ بِالْيَقَظَةِ وَالذِّكْرِ كَمَا اسْتَقْبَلَ الطَّرَفَ الْأَوَّلَ ، وَقَدْ عَادَ بنومِ النَّهَارِ جَدِيدًا كَمَا كَانَ بنومِ اللَّيْلِ .

وَيُصَلِّي فِي أَوَّلِ الزَّوَالِ قَبْلَ السُّنَّةِ وَالْفَرْضِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ ،

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (د ، هـ ، ح) : (لَخْدْمَةِ) بَدَل (بِخْدْمَةِ) .

(٢) الْعِبَارَةُ فِي (ط) وَفِيهَا زِيَادَةٌ : (فَصَارَ الظُّهْرُ أَوَّلَ الطَّرَفِ الْأَوَّلِ ، وَالْمَغْرِبُ آخِرَ الطَّرَفِ الْآخِرِ) .

كما كان يُصليها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم^(١) ، وهذه صلاة الزوال قبل الظهر في أول أوقاته .

ويحتاج أن يُراعى لهذه الصلاة أول الوقت ؛ بحيث يُفطن للوقت قبل المؤذنين ، [وحين] يذهب وقت الكراهية بالاستواء يشرع في صلاة الزوال ، ويسمع الأذان وقد توسَّط هذه الصلاة .

ثم يستعدُّ لصلاة الظهر ، فإن وجد في باطنه كدراً من مخالطة أو مُجالسة اتَّفقت . . يستغفر الله تعالى ويتضرع إليه ، ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائداً إلى حاله من الصفاء ؛ فالذائقون حلاوة المناجاة ، وصفوا الأنس في الصلاة^(٢) . . يتكذرون بيسير من الاسترسال في المباح ، ويصيرون على بواطنهم من ذلك عقد وكدر .

وقد يكون ذلك بمجرّد المخالطة والمُجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة ، ولكنَّ حسنات الأبرار سيئات المُقرَّبين ، فلا يدخل الصلاة إلا بعد حلِّ العقد وإذهاب الكدورة ، وحلِّ العقد بصدق الإنابة والاستغفار والتضرع إلى الله تعالى .

ودواء ما يحدث من الكدر بمُجالسة الأهل والأولاد . . أن يكون في مُجالسته غير راكن إليهم كلُّ الرُّكون ، بل يسترُق القلب في ذلك نظرات

(١) رواه أبو داود (١٢٧٠) ، وابن ماجه (١١٥٧) ، وأحمد (٤١٦/٥ - ٤١٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٦٩/٤) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، والترمذي (٤٧٨) عن سيدنا عبد الله بن السائب رضي الله عنهما .

(٢) العبارة في (ط) : (فالذائقون حلاوة الإيمان لا بد أن يجدوا صفو . .) ، والفعل بعد فيه : (ويتكذرون) بواو العطف والرفع .

إلى الله تعالى ، فتكون تلك النظرات كفارة تلك المُجالسة .

إلا أن يكون قَوِيَّ الحال لا يَحْجُبُهُ الخَلْقُ عن الحق ، فلا ينعقد على باطنه عُقْدَةٌ ، فهو حين يدخل في الصلاة يجدُّ باطنه وقلبه ؛ لأنَّه حيث استروحت نفسُ هذا إلى المُجالسة . كان استرواحُ نفسه مُنغمراً بروح قلبه ؛ لأنَّه يُجالِسُ ويُخالِطُ بعينِ ظاهره ، فعينُ ظاهره ناظرةٌ إلى الخَلْقِ ، وعينُ قلبه مُطالعةٌ للحضرةِ الإلهية^(١) ، فلا ينعقد على باطنه عُقْدَةٌ .

وصلاةُ الزوال التي ذكَّرنّاها تحلُّ العُقْدَ ، وتُهيئُ الباطنَ لصلاةِ الظهر ، فيقرأ في صلاةِ الزوال بمقدارِ سورة (البقرة) في النهار الطويل ، وفي القصير ما يتيسَّر من ذلك ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَعِشْيَا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم : ١٨] ، وهذا هو الإظهار .

فإن انتظرَ بعدَ السُنَّةِ حضورَ الجماعةِ للفرض ، وقرأَ الدعاءَ الذي بين الفريضة والسُنَّةِ من صلاةِ الفجر . . فحَسَنٌ ، وما وَرَدَ أَنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم دعا به إلا لصلاةِ الفجر^(٢) .

ثمَّ إذا فرَغَ من صلاةِ الظهر . . يقرأُ (الفاتحة) وآيةَ الكرسيِّ ، ويُسَبِّحُ وَيَحْمَدُ وَيُكَبِّرُ ثلاثاً وثلاثينَ كما وَصَفْنَا ، ولو قَدَرَ على الآياتِ كلّها التي ذكَّرنّاها بعدَ صلاةِ الصبح وعلى الأدعيةِ أيضاً . كان في ذلك خيرٌ كثيرٌ ، وفضلٌ عظيمٌ ، ومَنْ لَهُ هِمَّةٌ ناهضةٌ ، وعزيمةٌ صادقةٌ . لا يستكثرُ شيئاً لله تعالى .

(١) في (أ ، ز ، ي) : (باطنه) .

(٢) وقد سبق هذا الدعاء (٢ / ٢٩٦ - ٢٩٨) .

ثُمَّ يُحْيِي بَيْنَ الظَّهْرِ وَالْعَصْرِ كَمَا يُحْيِي بَيْنَ الْعِشَاءِ عَلَى التَّرْتِيبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ؛ مِنْ الصَّلَاةِ وَالتَّلَاوَةِ ، وَالذِّكْرِ وَالْمُرَاقَبَةِ .

وَمَنْ دَامَ سَهْرُهُ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً فِي النَّهَارِ الطَّوِيلِ بَيْنَ الظَّهْرِ وَالْعَصْرِ ، وَلَوْ أَحْيَا بَيْنَ الظَّهْرِ وَالْعَصْرِ بَرَكَتَيْنِ يَقْرَأُ فِيهِمَا رُبْعَ الْقُرْآنِ ، أَوْ يَقْرَأُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ . . فَهُوَ خَيْرٌ كَثِيرٌ^(١) .

وَأِنْ أَرَادَ أَنْ يُحْيِيَ هَذَا الْوَقْتَ بِمِئَةِ رَكَعَةٍ فِي النَّهَارِ الطَّوِيلِ . . يُمَكِّنُ ذَلِكَ ، أَوْ بَعَثَرِينَ رَكَعَةً يَقْرَأُ فِيهَا : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) أَلْفَ مَرَّةٍ ؛ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ خَمْسِينَ .

وَيَسْتَأْذِنُ قَبْلَ الزَّوَالِ إِذَا كَانَ صَائِماً ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِماً فَأَيَّ وَقْتٍ تَغَيَّرَ فِيهِ الْفَمُ .

وَفِي الْحَدِيثِ : « أَلَسَّوَاكَ مَطْهَرَةً لِلْفَمِ ، مَرْضَاةً لِلرَّبِّ »^(٢) ، وَعِنْدَ الْقِيَامِ إِلَى الْفَرَائِضِ يُسْتَحَبُّ .

قِيلَ : إِنَّ الصَّلَاةَ بِالسَّوَاكِ تَفْضُلٌ عَلَى الصَّلَاةِ بِغَيْرِ سَوَاكِ سَبْعِينَ ضِعْفاً ، وَقِيلَ : هُوَ خَيْرٌ^(٣) .

وَأِنْ أَرَادَ يَقْرَأُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي صَلَاتِهِ فِي عَشْرِينَ رَكَعَةً ، فِي كُلِّ رَكَعَةٍ آيَةً

(١) فِي هَامِش (ب) : (بَلَّغْ مُقَابَلَةً) .

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي (١٣٥ / ٢) .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢٧٢ / ٦) ، وَالْحَاكِمُ (١٤٥ / ١ - ١٤٦) ، وَأَبُو يَعْلَى فِي « الْمَسْنَدِ »

(٤٧٣٨) ، وَالْبَزَارُ فِي « الْمَسْنَدِ » (١٤٥ / ١٨) بِرَقْمِ : (١٠٨) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي

« السُّنَنِ الْكُبْرَى » (٣٨ / ١) مَرْفُوعاً عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

أو بعض آية ؛ يقرأ في الركعة الأولى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ٢٠١] ، ثم في الثانية : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

ثم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . . . ﴾ إلى آخر السورة
[البقرة : ٢٨٦] ، ثم : ﴿ رَبَّنَا لَا تُغْ فُ قُلُوبَنَا . . . ﴾ الآية [آل عمران : ٨] .

ثم : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ . . . ﴾ الآية [آل عمران : ١٩٣] ،
ثم : ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ . . . ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

ثم : ﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا . . . ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ، ثم : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّ . . . ﴾ [يوسف : ١٠١] .

ثم : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ . . . ﴾ الآية [إبراهيم : ٣٨] ، ثم :
﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] .

ثم : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ . . . ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، ثم : ﴿ رَبِّ لَا
تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . . . ﴾ [الأنبياء : ٨٩] .

ثم : ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [المؤمنون : ١١٨] ، ثم : ﴿ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا . . . ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

ثم : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] ، ثم :
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] .

ثم : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ . . . ﴾ الآية مِنْ سُوْرَةِ

(الأحقاف) [الأحقاف : ١٥] ، ثم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ . . . ﴾ الآية [الحشر : ١٠] .

ثم : ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا . . . ﴾ [المنحة : ٤] ^(١) ، ثم : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] .

ومهما يُصَلُّ بهذه الآيات وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة ، مواطنًا للقلب واللسان ^(٢) . . . يُوشِكُ أَنْ يَرْقَى إِلَى مَقَامِ الْإِحْسَانِ ^(٣) .

ولو رَدَّدَ فَرَدَّ آيَةٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ الظَّهْرِ وَالْعَصْرِ . . . كَانَ فِي جَمِيعِ الْوَقْتِ مُنَاجِيًا لِمَوْلَاهُ ، وَدَاعِيًا وَتَالِيًا وَمُصَلِّيًا .

وَالدُّوْبُ فِي الْعَمَلِ ، وَاسْتِعَابُ أَجْزَاءِ النَّهَارِ بِهِ بِلَذَاذَةٍ وَحَلَاوَةٍ مِنْ غَيْرِ سَامَةٍ . . . لَا يَصِحُّ إِلَّا لِعَبْدٍ تَزَكَّتْ نَفْسُهُ بِكَمَالِ التَّقْوَى ، وَاسْتَقْصَى فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَانْتَزَعَ مِنْهُ مُتَابَعَةُ الْهَوَى .

وَمَتَى بَقِيَ عَلَى الشَّخْصِ مِنَ التَّقْوَى وَالزُّهْدِ وَالْهَوَى بَقِيَّةٌ . . . لَا يَدُومُ رَوْحُهُ فِي الْعَمَلِ ، بَلْ يَنْشَطُ وَقْتًا وَيَسْأَمُ وَقْتًا ، وَتَنَاطُبُ النِّشَاطِ وَالْكَسَلِ فِيهِ لِبَقَاءِ بَقِيَّةٍ مُتَابَعَةٍ شَيْءٍ مِنَ الْهَوَى بِنُقْصَانِ تَقْوَى أَوْ مَحَبَّةٍ دُنْيَا .

وَإِذَا صَحَّ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى ؛ إِنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْجَوَارِحِ . . . لَا يَفْتَرُّ عَنْ

(١) زاد في (ح) : (ثم : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا ثَوْرَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾) ، وهي غير متناسبة مع العدد الذي ذكره المؤلف .

(٢) في نسخة على هامش (د ، ح) : (محافظاً عليها في الصلاة) بدل (وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة) .

(٣) ويجوز أن يُقْرَأَ أَيْضاً : (يُرْقَى) ، كما ضُبِّطَ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ النُّسخ .

العمل بالقلب ، فمن رام دوام الروح واستحلاء الدؤوب في العمل . فعليه بحسن مادة الهوى .

والهوى روح النفس لا يزول ، ولكن يزول متابعتها ، والنبى صلى الله عليه وسلم ما استعاذ من وجود الهوى ، ولكن استعاذ من متابعتها ؛ فقال : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَوَى مُتَّبِعٍ » ، ولم يستعذ من وجود الشح ؛ فإنه طبيعة النفس ، ولكن استعاذ من طاعته ؛ فقال : « وَشَحٌّ مُطَاعٍ »^(١) .

ودقائق متابعة الهوى تبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال ؛ فقد يكون متبعا للهوى باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم أو النظر إليهم ، وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والأكل ، إلى غير ذلك من أقسام الهوى المتبع ، وهذا شغل من ليس له شغل في الدنيا .

ثم يصلي العبد قبل العصر أربع ركعات .

فإن أمكنه تجديد الوضوء لكل فريضة . . كان أكمل وأتم ، ولو اغتسل كان أفضل^(٢) ؛ فكل ذلك له أثر ظاهر في تنوير الباطن وتكميل الصلاة .

ويقرأ في الأربع قبل العصر : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ) ، و (العاديات) ، و (القارعة) ، و (ألهاكم) .

ويصلي العصر ؛ ويجعل من قراءته في بعض الأيام : (والسماء ذات

(١) رواه أبو داود (٤٣٤١) ، والترمذي (٣٠٥٨) ، وابن ماجه (٤٠١٤) عن سيدنا أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه ، بلفظ : « . . . بل اثمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ؛ حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه . . . فعليك بنفسك ، ودع عنك العوام . . . » .

(٢) في (ب ، هـ ، ح) : (أكمل) ، وفي (ح ، ي) : (أكمل وأفضل) .

الْبُرُوجِ) ؛ سمعتُ أَنَّ قِرَاءَةَ سُورَةِ (الْبُرُوجِ) فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ أَمَانٌ مِّنَ الدَّمَامِيلِ ، وَيَقْرَأُ بَعْدَ الْعَصْرِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالِدُعَاءِ ، وَمَا يَتيسَّرُ لَهُ مِّنَ ذَلِكَ .

فَإِذَا صَلَّى الْعَصْرَ ذَهَبَ وَقْتُ التَّنْقِيلِ بِالصَّلَاةِ ، وَبَقِيَ وَقْتُ الْأَذْكَارِ وَالتَّلَاوَةِ ، وَأَفْضَلُ مِمَّنْ ذَلِكَ : مُجَالَسَةُ مَنْ يُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا وَيَشْدُدُّ كَلَامَهُ عُرَا التَّقْوَى ؛ مِّنَ الْعُلَمَاءِ الزَّاهِدِينَ الْمُتَكَلِّمِينَ بِمَا يُقَوِّي عِزَائِمَ الْمُرِيدِينَ .

فَإِذَا صَحَّتْ نِيَّةُ الْقَائِلِ وَالْمُسْتَمِعِ . . فَهَذِهِ الْمُجَالَسَةُ أَفْضَلُ مِمَّنْ الْإِنْفِرَادِ وَالْمُدَاوِمَةِ عَلَى الْأَذْكَارِ .

وَإِنْ عَدِمَ هَذِهِ الْمُجَالَسَةَ وَتَعَدَّرَتْ . . فَلْيَتَرَوَّحْ بِالتَّنْقِيلِ فِي أَنْوَاعِ الْأَذْكَارِ^(١) ، وَإِنْ كَانَ خُرُوجُهُ لِحَوَائِجِهِ وَأَمْرٌ مَّعَاشِي فِي هَذَا الْوَقْتِ . . يَكُونُ أَفْضَلَ وَأَوْلَى مِنْ خُرُوجِهِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ .

وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَنْزِلِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْوُضُوءِ .

وَكُرَّةَ جَمْعٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ تَحِيَّةَ الطَّهَارَةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، وَأَجَازَهَا الْمَشَايِخُ وَالصَّالِحُونَ .

وَيَقُولُ كُلَّمَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ : (بِاسْمِ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَسْبِيَ اللَّهُ ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اللَّهُمَّ ؛ إِلَيْكَ خَرَجْتُ وَأَنْتَ أَخْرَجْتَنِي) ، وَلْيَقْرَأْ : (الْفَاتِحَةَ) وَ (الْمُعَوِّذَتَيْنِ) .

وَلَا يَدْعُ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِمَا يَتيسَّرُ لَهُ وَلَوْ تَمْرَةً وَاحِدَةً أَوْ لُقْمَةً ؛ فَإِنَّ

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ب ، د ، ز) : (بِالتَّنْقِيلِ) بَدَلَ (بِالتَّنْقِيلِ) ، وَفِي (ب) : (بِالشَّغْلِ) .

القليل بحُسنِ النيةِ عندَ اللهِ كثيرٌ ؛ رُوِيَ أَنَّ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أعطتِ السائلَ عنبَةً واحدةً وقالتُ : إِنَّ فيها لمثاقيلَ ذرٍّ كثيرٍ^(١) .

وجاءَ في الخبرِ : « كُلُّ أَمْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ صَدَقَتِهِ »^(٢) .

ويكونُ مِنْ ذِكْرِهِ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ مِئَةَ مَرَّةٍ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ، وقد وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّ مَنْ قَالَ ذَلِكَ فِي يَوْمِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ^(٣) . . لم يعملْ أَحَدٌ فِي يَوْمِهِ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ^(٤) .

(١) رواه مالك (٩٩٧/٢) بلاغاً ، وابن زنجويه في « الأموال » (١٣٢٥ ، ١٣٢٦) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٤٩٠/٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٣١٩٠) ، وروى أيضاً (٨٧١١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : أَنَّ سائلاً أتى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فأعطاه تمرّة ، فقال الرجل : سبحان الله !! نبيُّ من الأنبياء يتصدَّقُ بتمرّة ؟! فقال له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَوْما علمتَ أَنَّ فيها مثاقيلَ ذرٍّ كثيرة ؟ » ، فأثاه آخرُ فسأله ، فأعطاه تمرّة ، فقال : تمرّة من نبيِّ من الأنبياء ، لا تُفارقُنِي هذه التمرّة ما بقيتُ ، ولا أزالُ أرجو بركتها أبداً ، قال : فأمر النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ له بمعروف ، وما لَبِثَ الرجلُ أن استغنى .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٤٥) ، وأحمد (١٤٧/٤ - ١٤٨) ، وابن حبان (٣٣١٠) ، والحاكم (٤١٦/١) عن سيدنا عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣) في بعض النسخ : (مئتي مرة) .

(٤) رواه البخاري (٦٤٣) ، ومسلم (٢٦٩١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وجاءت العبارة في (ط) مع زيادة موجودة في « الصحيحين » ، واللفظ فيها : (. . . مئة مرّة . . .) كانَ له عِذْلٌ عشر رقاب ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيتُ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ ، وكانتَ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمَسِيَ ، ولم يأتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ ممَّا جاءَ به ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) ، ثُمَّ قَالَ : (وَمِثْنًا مَرَّةً : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ » ؛ فقد ورد : أَنَّ مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِئَتِي مَرَّةً : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ » . . لم يعملْ أَحَدٌ فِي يَوْمِهِ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ) ، ولعلَّ الأولى ما أُثبت من جميع النسخ الخطيّة ، والله تعالى أعلم .

ويقول مئة مرة : (سُبْحَانَ اللَّهِ ، والحمدُ لله...) الكلمات^(١) .

ومئة مرة : (سُبْحَانَ اللَّهِ وبحمده ، سُبْحَانَ اللَّهِ العظيم وبحمده ،
أستغفرُ الله) .

ومئة مرة : (لا إلهَ إلا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ) .

ومئة مرة : (اللَّهُمَّ ؛ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ) .

ومئة مرة : (أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إلهَ إلا هوَ الحيُّ القيومُ ،
وأسألهُ التوبةَ) .

ومئة مرة : (ما شاء اللهُ لا قوَّةَ إلا باللهِ) .

ورأيتُ بعضَ الفقراءِ مِنَ المغربِ بمكةَ حَرَسَهَا اللهُ ولهُ سُبْحَةٌ فيها ألفُ
حَبَّةٍ في كيسٍ لهُ ، ذَكَرَ أَنَّ وَرْدَهُ أَنَّ يُدِيرَهَا كُلَّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بأنواعِ
الذِّكْرِ .

ونُقِلَ عن بعضِ الصحابةِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَرْدَهُ بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ^(٢) .

ونُقِلَ عن بعضِ التابعينَ أَنَّهُ كَانَ وَرْدَهُ مِنَ التَّسْبِيحِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا بَيْنَ الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ^(٣) .

وليُقَلَّ مئةَ مَرَّةٍ بَيْنَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ هَذَا التَّسْبِيحُ : (سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَلِيِّ
الدَّيَّانِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ شَدِيدِ الْأَرْكَانِ ، سُبْحَانَ مَنْ يَذْهَبُ بِاللَّيْلِ وَيَأْتِي

(١) يعني : (ولا إلهَ إلا اللهُ ، واللهُ أكبر) . من هامش (ح) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١ / ١٢٤-١٢٥) ، ورواه ابن أبي شيبة في
« المصنف » (٢٧٢٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (١ / ١٢٥) .

بالنهار ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَشْغُلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْحَنَّانِ الْمَنَّانِ ،
سُبْحَانَ اللَّهِ الْمُسَبِّحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ (١) .

رُوي أَنَّ بعضَ الأبدالِ باتَ على شاطئِ البحرِ ، فَسَمِعَ في هُدُوءِ الليلِ
هذا التسييحَ ، فقالَ : مَنْ ذا الذي أسمعُ صوتهُ ولا أرى شَخْصَهُ ؟

فقالَ : أنا مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ مُوَكَّلٌ بهذا البحرِ ، أُسَبِّحُ اللهَ بهذا التسييحِ
منذُ خُلِقْتُ .

فقلتُ : ما اسمُكَ ؟ فقالَ : مَهْلِيهائيلُ (٢) .

قلتُ : ما ثوابُ هذا التسييحِ ؟ قالَ : مَنْ قالَهُ مئةَ مرَّةٍ لم يَمُتْ حتى يرى
مقعدَهُ مِنَ الجنةِ أو يَرى لَهُ (٣) .

ورُوي أَنَّ عثمانَ رضيَ اللهُ عَنْهُ سألَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن
تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الزمر : ٦٣] ، فقالَ :
« سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ عَظِيمٍ مَا سَأَلَنِي غَيْرُكَ ؛ هُوَ : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ،
وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ ،
وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْأَوَّلَ الْآخِرَ الظَّاهِرَ الْبَاطِنَ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ؛ مَنْ قالَهَا عَشْرًا حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي . .
أُعْطِيَ سِتًّا خِصَالٍ .

(١) قوله : (الْمُسَبِّحِ) زيدَ من بعض النسخ ، وجاء في بعضها بدلَ لفظ الجلالة .

(٢) تفاوت ضبطه في النسخ ، والمثبت من أكثرها ، وهو من الأسماء السريانية .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١ / ١٢٥) ، والغزالي في « إحياء علوم الدين »

(٥٢٥ / ٢) .

فَأَوَّلُ خَصْلَةٍ : أَنْ يُحْرَسَ مِنْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ .

الثَّانِيَةُ : يُعْطَى قِنْطَاراً مِنْ الْأَجْرِ .

الثَّالِثَةُ : تُرْفَعُ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ .

الرَّابِعَةُ : يُزَوِّجُهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ .

الخَامِسَةُ : أَتْنَا عَشَرَ مَلَكاً يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ .

السَّادِسَةُ : يَكُونُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَمَنْ حَجَّ وَأَعْتَمَرَ ^(١) .

ويقول أيضاً في هذا الوقت وفي أوّل النهار : (اللَّهُمَّ ؛ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنْتَ هَدَيْتَنِي ، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي وَأَنْتَ تَسْقِينِي ، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي وَأَنْتَ تُحْيِينِي ، أَنْتَ رَبِّي لَا رَبَّ لِي سِوَاكَ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ) .

ويقول : (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا يَصْرِفُ الشُّؤْءَ إِلَّا اللَّهُ) .

ويقول : (حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) .

ثمَّ يستعدُّ لاستقبالِ الليلِ بالوضوءِ والطهارةِ ، ويقرأُ المُسَبَّحَاتِ قُبيلَ الغروبِ ، ويُديمُ التسبيحَ والاستغفارَ ؛ بحيثُ تَغِيْبُ الشَّمْسُ وَهُوَ فِي التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ .

(١) رواه أبو يعلى كما في « المقصد العلي » (١٦٤٧) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره »

(١٨٤٠٥) ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (٢٣١ / ٤) ، وابن السني في « عمل

اليوم واللييلة » (٧٣) ، والطبراني في « الدعاء » (١٧٠٠) .

ويقرأ عند الغروب أيضاً : (والشمس) (والليل) و (المَعُوذَتَيْنِ) ،
ويستقبل الليل كما استقبل النهار ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان : ٦٢] .

فكما أَنَّ اللَّيْلَ يَعْقُبُ النَّهَارَ وَالنَّهَارَ يَعْقُبُ اللَّيْلَ . . ينبغي أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ
بَيْنَ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ؛ يَعْقُبُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، لَا يَتَخَلَّلُهُمَا شَيْءٌ ، كَمَا
لَا يَتَخَلَّلُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ شَيْءٌ .

وَالذِّكْرُ جَمِيعُهُ أَعْمَالُ الْقَلْبِ ، وَالشُّكْرُ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ ؛ قَالَ اللهُ
تَعَالَى : ﴿ أَعْمَلُواْ أَل دَاوُدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ : ١٣] ، وَاللهُ الْمُوفِّقُ وَالْمُعِينُ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة على الشيخ
أمين الدين في الرابع والثلاثين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الحادي والخمسون في أدب المريـد مع الشيخ

أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية . . من مهام الآداب ، وللقوم في ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات : ١] .

رُوي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه قال : قَدِمَ وفدٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم^(١) ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أَمْرُ القَعْقَاعِ بنِ مَعْبِدٍ ، وقال عمر رضي الله عنه : بل أَمْرُ الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، وقال عمر : ما أردتُ خلافاً^(٢) ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ . . . ﴾ الآية^(٣) .

(١) الوفد في هذا الوقت قيل : سبعون أو ثمانون . من هامش (ح) .

(٢) في النسخ ما عدا (ب) : (إلا خلافي) بدل (خلافاً) ، وعليها يكون (أردت) بفتح التاء ، والمثبت من (ب) موافق لرواية « البخاري » .

(٣) رواه البخاري (٤٣٦٧ ، ٤٨٤٥) ، وسيأتي أيضاً في (٣٤٢ / ٢ - ٣٤٣) مسنداً من طريق الترمذي .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (لَا تُقَدِّمُوا) : لَا تَتَكَلَّمُوا بَيْنَ يَدَيِ
كَلَامِهِ (١) .

وَقَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كَانَ نَاسٌ يُضْحُونَ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنُهِوا عَنْ تَقْدِيمِهِمُ الْأُضْحِيَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ) (٢) .

وَقِيلَ : كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ : (لَوْ أُنْزِلَ فِي كَذَا وَكَذَا) ، فَكَرِهَ اللَّهُ
ذَلِكَ (٣) .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (أَيْ : لَا تَصُومُوا قَبْلَ أَنْ يَصُومَ
نَبِيُّكُمْ) (٤) .

وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : (لَا تَسْبِقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ
حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُكُمْ بِهِ) (٥) .

وهذا أدب المريد مع الشيخ ؛ أن يكون مسلوب الاختيار ، لا يتصرف

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٧٢ / ٢٢) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره »
(١٨٦٠٦) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٧٦ / ٢٢) ، والثعلبي في « الكشف والبيان »
(٣٣٦ / ٢٤) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٧٦ / ٢٢) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره »
(١٨٦٠٤) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٧١٣) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور »
(٥٤٧ / ٧) إلى ابن مردويه ، ورواه ابن مردويه أيضاً كما في « الدر المنثور »

(٥٤٧ / ٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٥) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٤١ / ٢٤) .

في نَفْسِهِ وَمَالِهِ إِلَّا بِمُرَاجَعَةِ الشَّيْخِ وَأَمْرِهِ ، وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي
(بَابِ الْمَشِيخَةِ) (١) .

وَقِيلَ : (﴿ لَا تُقَدِّمُوا ﴾) : لَا تَمْشُوا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ (٢) .

وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَمْشِي أَمَامَ مَنْ
هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؟ ! » (٣) .

وَقِيلَ : نَزَلْتُ فِي أَقْوَامٍ كَانُوا يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، فَإِذَا سُئِلَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ . . خَاضُوا فِيهِ ،
وَتَقَدَّمُوا بِالْقَوْلِ وَالْفَتْوَى ، فَهُوَ عَنْ ذَلِكَ (٤) .

وَهَكَذَا أَدَّبَ الْمُرِيدُ فِي مَجْلِسِ الشَّيْخِ ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُلْزَمَ السَّكُوتَ ،
وَلَا يَقُولَ شَيْئاً بِحَضْرَتِهِ مِنْ كَلَامٍ حَسَنِ إِلَّا إِذَا اسْتَأْمَرَ الشَّيْخَ (٥) ، وَوَجَدَ مِنَ
الشَّيْخِ فَسْحَةً لَهُ فِي ذَلِكَ .

وَشَأْنُ الْمُرِيدِ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ كَمَنْ هُوَ قَاعِدٌ عَلَى سَاحِلٍ بَحْرٍ يَنْتَظِرُ رِزْقاً

(١) راجع (الباب العاشر) ، وانظر (٣٦٥-٣٦٧) .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٤٢/٢٤) .

(٣) رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٢٤) ، وأحمد في « فضائل الصحابة »
(١٣٥) ، وأبو طاهر المخلص في « المخلصيات » (١٩١٥) ، وأبو نعيم في
« الحلية » (٣٢٥/٢) .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٤٣/٢٤) .

(٥) في (أ ، ز) : (استأذن) بدل (استأمر) .

يُسَاقُ إِلَيْهِ ، فَتَطْلُعُهُ إِلَى الاسْتِمَاعِ وَمَا يُرْزَقُ مِنْ طَرِيقِ كَلَامِ الشَّيْخِ . . يُحَقِّقُ
مَقَامَ إِرَادَتِهِ وَطَلَبِهِ وَاسْتِرَادَتِهِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَتَطْلُعُهُ إِلَى الْقَوْلِ يَرُدُّهُ عَنْ مَقَامِ
الطَّلَبِ وَالْإِسْتِرَادَةِ إِلَى مَقَامِ إِبْثَاتِ شَيْءٍ لِنَفْسِهِ ، وَذَلِكَ جِنَايَةُ الْمُرِيدِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَطْلُعُهُ إِلَى مُبْهَمٍ مِنْ حَالِهِ يَسْتَكْشِفُ عَنْهُ بِالسُّؤَالِ مِنَ
الشَّيْخِ .

عَلَى أَنَّ الصَّادِقَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى السُّؤَالِ بِاللِّسَانِ فِي حَضْرَةِ الشَّيْخِ ، بَلْ
يُبَادِئُهُ بِمَا يُرِيدُهُ ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ يَكُونُ مُسْتَنْطَقًا نَطْقُهُ بِالْحَقِّ ، وَهُوَ عِنْدَ حُضُورِ
الصَّادِقِينَ يَرْفَعُ قَلْبَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَيَسْتَمْطِرُ وَيَسْتَسْقِي لَهُمْ ، فَيَكُونُ لِسَانُهُ وَقَلْبُهُ
فِي الْقَوْلِ وَالنُّطْقِ مَأْخُوذَيْنِ إِلَى مُهِمِّ الْوَقْتِ مِنْ أَحْوَالِ الطَّالِبِينَ الْمُحْتَاجِينَ
إِلَى مَا يُفْتَحُ بِهِ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ يَعْلَمُ تَطْلُعَ الطَّالِبِ إِلَى قَوْلِهِ وَاعْتِدَادَهُ
بِقَوْلِهِ .

فَالْقَوْلُ كَالْبَذْرِ يَقَعُ فِي الْأَرْضِ ، فَإِذَا كَانَ الْبَذْرُ فَاسِدًا لَا يَرِيعُ^(١) ، وَفَسَادُ
الْكَلِمَةِ بِدُخُولِ الْهَوَى فِيهَا .

فَالشَّيْخُ يُنْقِي بَذَرَ الْكَلَامِ عَنْ شَوْبِ الْهَوَى ، وَيُسَلِّمُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ
تَعَالَى الْمَعُونَةَ وَالسَّدَادَ ، ثُمَّ يَقُولُ فَيَكُونُ كَلَامُهُ بِالْحَقِّ مِنَ الْحَقِّ لِلْحَقِّ .

فَالشَّيْخُ لِلْمُرِيدِينَ أَمِينُ الْإِلَهَامِ ، كَمَا أَنَّ جَبْرِيلَ أَمِينُ الْوَحْيِ ؛ فَكَمَا
لَا يَخُونُ جَبْرِيلُ فِي الْوَحْيِ لَا يَخُونُ الشَّيْخُ فِي الْإِلَهَامِ ، وَكَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ج ، د) : (مَفْسُودًا) بَدَل (فَاسِدًا) ، وَهُوَ لَا يَصْخُ إِلَّا إِذَا جَاءَ فَعْلُهُ
مُتَعَدِّيًا ، وَعَدَّهُ الْحَرِيرِيُّ فِي « دُرَّةِ الْغَوَاصِ » (ص ١٨٣) مِنْ مَفَاضِحِ اللَّحْنِ الشَّنِيعِ ،
وَيَرِيعُ : يَزْكُو وَيَنْمُو .

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. . كَذَلِكَ الشَّيْخُ مُقْتَدٍ بِرَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ؛ لَا يَتَكَلَّمُ بِهَوَى النَّفْسِ .

وهوَى النَّفْسِ فِي الْقَوْلِ بِشَيْئَيْنِ :

أحدهما : طَلَبُ اسْتِجْلَابِ الْقُلُوبِ وَصَرْفِ الْوُجُوهِ إِلَيْهِ ، وَمَا هَذَا مِنْ
شَأْنِ الشُّيُوخِ .

والثاني : ظُهُورُ النَّفْسِ بِاسْتِحْلَاءِ الْكَلَامِ وَالْعُجْبِ ، وَذَلِكَ خِيَانَةٌ عِنْدَ
الْمُحَقِّقِينَ^(١) .

وَالشَّيْخُ فِيمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ . . رَاقِدُ النَّفْسِ ، تَشْغَلُهُ مُطَالَعَةُ نِعَمِ الْحَقِّ
فِي ذَلِكَ ، وَأَخْذُ الْحِظِّ مِنْ فَوَائِدِهِ . . عَنْ ظُهُورِ النَّفْسِ بِالْإِسْتِحْلَاءِ
وَالْعُجْبِ .

وَيَكُونُ الشَّيْخُ فِيمَا يُجْرِيهِ الْحَقُّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ مُسْتَمِعًا كَأَحَدِ
الْمُسْتَمِعِينَ .

وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو السُّعُودِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْأَصْحَابِ بِمَا يُلْقَى
إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَنَا فِي هَذَا الْكَلَامِ مُسْتَمِعٌ كَأَحَدِكُمْ .

فَأَشْكَلَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْحَاضِرِينَ ، وَقَالَ : إِذَا كَانَ الْقَائِلُ هُوَ يَعْلَمُ
مَا يَقُولُ . . كَيْفَ يَكُونُ كَمُسْتَمِعٍ مَا يَعْلَمُ حَتَّى يَسْمَعَ مِنْهُ ؟!

فَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَرَأَى لَيْلَتَهُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : أَلَيْسَ
الْغَوَاصُّ يَغْوِصُ فِي الْبَحْرِ لَطَلَبِ الدُّرِّ ، وَيَجْمَعُ الصَّدْفَ فِي مِخْلَاتِهِ ، وَالدُّرُّ

(١) فِي (ب ، د) : (جَنَایَة) بَدَل (خِيَانَة) .

قد حَصَلَ مَعَهُ ، وَلَكِنْ لَا يَرَاهُ إِلَّا إِذَا خَرَجَ مِنَ الْبَحْرِ ، وَيُشَارِكُهُ فِي رُؤْيَةِ
الدَّرِّ مَنْ هُوَ عَلَى السَّاحِلِ ؟! فَفَهِمَ بِالْمَنَامِ إِشَارَةَ الشَّيْخِ فِي ذَلِكَ .

فَأَحْسَنُ آدَابِ الْمُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ : السُّكُونُ^(١) وَالْخُمُودُ وَالْجُمُودُ حَتَّى
يُبَادِئَهُ الشَّيْخُ بِمَا لَهُ فِيهِ الصَّلَاحُ قَوْلًا وَفِعْلًا .

وَقِيلَ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ : (لَا تَطْلُبُوا
مَنْزِلَةً وَرَاءَ مَنْزِلَتِهِ)^(٢) .

وَهَذَا مِنْ مُحَاسِنِ الْآدَابِ وَأَعَزِّهَا ؛ يَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَلَّا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِطَلَبِ
مَنْزِلَةٍ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الشَّيْخِ ، بَلْ يُحِبُّ لِلشَّيْخِ كُلِّ مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ ، وَيَتَمَنَّى لِلشَّيْخِ
عَزِيزَ الْمِنْحِ وَغَرَائِبَ الْمَوَاهِبِ .

وَبِهَذَا يَظْهَرُ جَوْهَرُ الْمُرِيدِ فِي حُسْنِ الْإِرَادَةِ ، وَهَذَا يَعِزُّ فِي الْمُرِيدِينَ ،
فَإِرَادَتُهُ لِلشَّيْخِ تُعْطِيهِ فَوْقَ مَا يَتَمَنَّى لِنَفْسِهِ ، وَيَكُونُ قَائِمًا بِأَدَبِ الْإِرَادَةِ .

قَالَ السَّرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (حُسْنُ الْأَدَبِ تَرْجُمَانُ الْعَقْلِ)^(٣) .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفِيفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ لِي رُوَيْمٌ : يَا بُنَيَّ ؛ اجْعَلْ
عَمَلَكَ مِلْحًا ، وَأَدَبَكَ دَقِيقًا^(٤) .

وَقِيلَ : (التَّصَوُّفُ كُلُّهُ أَدَبٌ ، لِكُلِّ وَقْتٍ أَدَبٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ أَدَبٌ ،

(١) فِي (ح) وَنَسَخَةُ أَشَارِ إِلَيْهَا فِي (د) : (السُّكُوت) .

(٢) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٢ / ٢٦٠) ، وَالثَّعْلَبِيُّ فِي « الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ »
(٢٤ / ٣٤٣) .

(٣) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٥٢) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (١٠ / ١٢٤) .

(٤) أَوْرَدَهُ الْقُرَافِيُّ فِي « الْفُرُوقِ » (٣ / ٩٦) مِنْ قَوْلِ رُوَيْمٍ لِابْنِهِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى .

ولكلِّ مقامٍ أدبٌ ؛ فمَنْ لَزِمَ الأدبَ يبلُغْ مبلغَ الرجالِ ، وَمَنْ حُرِمَ الأدبَ فهو بعيدٌ مِنْ حيثُ يَظُنُّ القُرْبَ ، ومردودٌ مِنْ حيثُ يَرجو القَبولَ (١) .

وَمِنْ تَأْدِيبِ اللَّهِ تَعَالَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قوله تعالى : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] .

كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ ، وَكَانَ جَهَوْرِيَّ الصَّوْتِ ، وَكَانَ إِذَا كَلَّمَ إِنْسَانًا جَهَرَ بِصَوْتِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَأَذَّى بِصَوْتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ تَأْدِيبًا لَهُ وَلِغَيْرِهِ (٢) .

(١١٧) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْهَرَوِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو نَصْرِ التُّرْيَاقِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَرَّاحِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَحْبُوبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُؤَمَّلُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَمِيلٍ الْجُمَحِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : اسْتَعْمِلْهُ عَلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ عُمَرُ : لَا تَسْتَعْمِلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَتَكَلَّمَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عَلَتْ أَصَوَاتُهُمَا .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ : مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي ، وَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ

(١) سبق تخريجه في (٢٤٨ / ١) عن أبي حفص الحداد من قوله رحمه الله تعالى .

(٢) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٣٤٤ / ٢٤) ، والواحدي في « أسباب النزول » (ص ٤٠٢) ، وانظر « غنية العارف » (٧٠٩ / ٢) ، وما سيأتي في (٣٤٥ - ٣٤٧) .

خِلَافَكَ^(١) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ ، فَكَانَ عَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُسْمَعُ كَلَامُهُ حَتَّى يُسْتَفْهَمَ^(٢) .

وقيلَ : لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ إِلَى أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يَتَكَلَّمَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا كَأَخِي السَّرَّارِ^(٣) .

فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ ؛ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام ، إلا إذا بسطه الشيخ .

فرفع الصوت تنحية جِلبابِ الحياءِ والوقارِ ، والوقارُ إذا سَكَنَ القلبَ عَقَلَ اللِّسَانَ .

وقد يُنازلُ باطنَ بعضِ المُريدينَ مِنَ الحُرْمَةِ والوقارِ مِنَ الشيخِ . . . ما لا يستطيعُ المريدُ أن يُشيعَ النظرَ إلى الشيخِ .

وقد كنتُ أحمُّ ، فیدخلُ عَلَيَّ عَمِّي وشيخي أبو النَجِيبِ السُّهْرُورَدِي رحمةُ اللهُ ، فیرشعُ جَسَدِي عَرَقًا ، وكنتُ أتمنى العرقَ لتخفَّ عني الحمى ، فكنتُ أجِدُ ذلكَ عندَ دخولِ الشيخِ عَلَيَّ ، ويكونُ في قُدُومِهِ بركةٌ وشفاءٌ^(٤) .

(١) في النسخ : (ما أردتُ إلا خلافي) ، وانظر ما تقدّم تعليقاً في (٣٣٦ / ٢) .

(٢) سنن الترمذي (٣٢٦٦) ، وانظر ما تقدّم في (٣٣٦ / ٢) .

(٣) رواه الحاكم (٧٤ / ٣) ، والحاثر بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٩٥) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهو في « صحيح البخاري » (٧٣٠٢) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، ولم يذكره الراوي - وهو سيدنا ابن الزبير - عن جدّه أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وآلى : حلف ، والسّرار : المُساررة ، والمراد : أنّه حلف ألا يكلمه إلا كصاحب السّرار ، أو كمثّل المُساررة ؛ لخفض صوته .

(٤) في غالب النسخ : (وكان في قدمه) بدل (ويكون في قدومه) .

وكنْتُ ذاتَ يومٍ في البيتِ خالياً ، وهناكِ مِنديلٌ وهَبَهُ لي الشيخُ ، وكانَ يتعمَّمُ به ، فوقَ قَدَمي على المِنديلِ اتِّفاقاً ، فتألَّم باطني مِن ذلك ، وهالني وَطْئي بالقَدَمِ مِنديلَ الشيخِ ، وانبعثَ مِن باطني مِن الاحترامِ ما أرجو بركتهُ .
وقالَ ابنُ عطاءٍ في قولِهِ تعالى : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ : (زَجَرَ عَنِ الْأَذْنَى ؛ لئَلَّا يَتَخَطَّى أَحَدٌ إِلَى ما فوقَهُ مِن تَرْكِ الحُرْمَةِ)^(١) .

وقالَ سهلٌ في ذلكَ : (لا تُخاطِبُوهُ إِلَّا مُستفهِمينَ)^(٢) .

وقالَ أبو بكرِ بنُ طاهرٍ : (لا تَبْدُوهُ بِالخِطَابِ ، ولا تُجِيبُوهُ إِلَّا على حُدُودِ الحُرْمَةِ ، ﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [الحجرات : ٢] ؛ أي : لا تُغْلِظُوا لَهُ في الخِطَابِ ، ولا تُنادُوهُ باسمِهِ : يا مُحَمَّدُ ، يا أَحْمَدُ ، كما يُنادي بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ، وَلَكِنْ فَخْمُوهُ واحترِمُوهُ ، وقُولُوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، ويا رسولَ اللَّهِ)^(٣) .

ومِن هَذَا القَبيلِ يَكُونُ خِطَابُ المُريدِ مَعَ الشيخِ ، وإذا سَكَنَ الوَقَارُ القلبَ . . عَلِمَ اللِّسانُ كَيْفِيَّةَ الخِطَابِ .

ولَمَّا كَلِفَتِ النُّفُوسُ بِمَحَبَّةِ الأولادِ والأزواجِ ، وَتَمَكَّنَتِ أَهْوِيَةُ النُّفُوسِ والطَّباعِ . . اسْتُخْرِجَتْ مِنَ اللِّسانِ عِبَارَاتٌ غَرِيبَةٌ هِيَ نَحْتُ وَقَتِهَا ، صَاغَهَا كَلَفُ النَّفْسِ وَهَوَاها ، وإذا اِمْتَلَأَ القلبُ حُرْمَةً وَوَقَاراً . . يُعَلِّمُ اللِّسانُ العِبارَةَ^(٤) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٦٠) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٦٠) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٦٠) إلى قوله : (الحرمة) ، وانظر « الكشف والبيان » (٢٤ / ٣٤٤) .

(٤) في (ب ، ج ، د ، ز) : (تعلَّم اللسانُ العِبارَةَ) .

فلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ . . قَعَدَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي الطَّرِيقِ يَبْكِي ، فَمَرَّ بِهِ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ ؟ فَقَالَ : هَذِهِ الْآيَةُ ؛ أَخَافُ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِيَّ ؛ ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢] ، وَأَنَا رَفِيعُ الصَّوْتِ أَخَافُ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلِي وَأَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ .

فَمَضَى عَاصِمٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَغَلَبَ ثَابِتًا الْبُكَاءُ . فَاتَى ثَابِتٌ امْرَأَتَهُ جَمِيلَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بِنِ سَلُولَ ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا دَخَلْتُ بَيْتَ فَرَسِي فَشُدِّي عَلَى الضَّبَّةِ بِمِسْمَارٍ^(١) ، فَضَرَبَتْهُ بِمِسْمَارٍ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ عَطَفَتْهُ ، وَقَالَ : لَا أَخْرُجُ حَتَّى يَتَوَفَّانِي اللَّهُ أَوْ يَرْضَى عَنِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَاتَى عَاصِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِخَبْرِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبْ فَادْعُهُ ، فَجَاءَ عَاصِمٌ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي رَأَاهُ ، فَلَمْ يَجِدْهُ ، فَجَاءَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَهُ فِي بَيْتِ الْفَرَسِ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوكَ ، فَقَالَ : اكْسِرِ الضَّبَّةَ .

فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ ؟ » ، فَقَالَ : أَنَا صَيِّتٌ وَأَخَافُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ .

(١) فِي بَعْضِ النُّسخ : (فَرَسِي) بَدَل (فَرَسِي) ، وَ (فُسْدِي) بَدَل (فُسْدِي) ، وَضُبْتُ قَوْلَهُ : (عَلَى الضَّبَّةِ) فِي بَعْضِهَا : (عَلَى الضَّبَّةِ) ، وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى وَالْأَوْضَحُ مَا أَثْبَتَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخ : (الْفَرَشِ) .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ سَعِيداً ،
وَتُقْتَلَ شَهِيداً ، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ ؟ » ، فَقَالَ : قَدْ رَضِيتُ بِبُشْرَى اللَّهِ تَعَالَى
وَرَسُولِهِ ، وَلَا أَرْفَعُ صَوْتِي أَبداً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات : ٣] .

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ
يَمْشِي بَيْنَ أَيْدِينَا .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْيَمَامَةِ فِي حَرْبِ مُسَيْلِمَةَ . رَأَى ثَابِتٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَ
الْانْكَسَارِ ، وَانْهَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : أَفَّ لِهَؤُلَاءِ وَمَا يَصْنَعُونَ !!

ثُمَّ قَالَ ثَابِتٌ لِسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ : مَا كُنَّا نَقَاتِلُ أَعْدَاءَ اللَّهِ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ هَذَا ، ثُمَّ ثَبَّتْنَا وَلَمْ يَزَالَا يُقَاتِلَانِ حَتَّى
قُتِلَا ، وَاسْتَشْهَدَا ثَابِتٌ كَمَا وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ .

فَرَأَاهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : ااعْلَمْ أَنَّ فُلَانًا -
رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - نَزَعَ دِرْعِي فَذَهَبَ بِهَا ، وَهُوَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ،
وَعِنْدَهُ فَرَسٌ يَسْتَنُّ فِي طَوْلِهِ ^(١) ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَى دِرْعِي بُرْمَةً ^(٢) ، فَأَتَى
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَأَخْبَرَهُ حَتَّى يَسْتَرِدَّ دِرْعِي ، وَأَتَى أَبَا بَكْرٍ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلَّ لَهُ : إِنَّ عَلِيَّ دِينَأَ حَتَّى يَقْضِيَهُ عَنِّي ، وَفُلَانٌ مِنْ
عَبِيدِي عَتِيقٌ .

(١) اسْتَنُّ الْفَرَسُ : إِذَا عَدَا لِمَرْحِهِ وَنَشَاطَهُ شَوْطاً أَوْ شَوَاطِينَ ، وَلَا رَاكِبَ عَلَيْهِ ، وَالطَّوْلُ :
الْحَبْلُ الطَّوِيلُ يُشَدُّ أَحَدَ طَرَفَيْهِ فِي وَتَدِ وَالطَّرْفُ الْآخَرُ فِي الْفَرَسِ لِيَدُورَ فِيهِ وَيَرْعَى .

(٢) الْبُرْمَةُ : الْقِدْرُ مِنَ الْحَجَرِ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ نَزَعَ دِرْعَ ثَابِتٍ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ
وَحَبَّأَهُ فِي قَدَرٍ حَتَّى يَأْخُذَهُ بَعْدَ انْتِهَاءِ الْمَعْرَكَةِ .

فأخبر الرجلُ خالدًا ، فوجدَ دِرْعَهُ والفرسَ على ما وصفهُ ، واستردَّ
الدَّرْعَ ، وأخبرَ خالدُ أبا بكرٍ بتلك الرؤيا ، فأجازَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنه
وصيَّتهُ^(١) .

قالَ مالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه : (لا أعلمُ وصيَّةً أُجيزَتْ بعدَ موتِ
صاحبِها إلا هذه)^(٢) .

فهذه كراماتٌ ظهرتْ لثابتٍ بحُسنِ تقواه وأدبه معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّم .

فليُعتبرِ المُريدُ الصادقُ ويعلمُ أنَّ الشيخَ عندهُ تذكِرةٌ منَ اللهِ ورسوله ، وأنَّ
الذي يعتمدُهُ معَ الشيخِ عوضٌ ما لو كانَ في زمنِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه
وسلَّم واعتمدهُ معَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

فلَمَّا قامَ القومُ بواجبِ الأدبِ . . أخبرَ الحقُّ عن حالِهِم وأثنى عليهم ؛
فقالَ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمَّحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى ﴾ [الحجرات : ٣] ؛ أي : اختبرَ
قلوبَهُم وأخلصَها ، كما يُمتَحَنُ الذهبُ بالنارِ فيخرجُ خالصُهُ .

فكما أنَّ اللِّسانَ تَرَجُّمانَ القلبِ ، وتَهْدُبُ اللفظَ لتأدِّبِ القلبِ . . فهكذا
ينبغي أن يكونَ المُريدُ معَ الشيخِ .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٧٨/٢٢ - ٢٧٩) عن محمد بن ثابت بن قيس بن
شمَّاس ، وليس فيه : (قال أنس بن مالك . . .) ، ورواه الطبراني في « المعجم
الكبير » (٧١-٧٠ / ٢) عن ابنة سيدنا ثابت بن قيس ، وأصله في « البخاري »
(٣٦١٣) ، و« مسلم » (١١٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وأورده بلفظ
المؤلف الثعالبي في « الكشف والبيان » (٣٤٥/٢٤ - ٣٤٧) .

(٢) انظر « الكشف والبيان » (٣٤٧/٢٤) ، و« تفسير البغوي » (٣٣٦/٧) .

قَالَ أَبُو عَثْمَانَ : (الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَكَابِرِ ، وَفِي مَجَالِسِ السَّادَاتِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ . . يَبْلُغُ بِصَاحِبِهِ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَا ، وَالْخَيْرِ فِي الْأُولَى وَالْعُقْبَى ؛ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [الحجرات : ٥] ؟ !) (١) .

وَمِمَّا عَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى : قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات : ٤] .

وَكَانَ هَذَا الْحَالُ مِنْ وَفْدِ بَنِي تَمِيمٍ ؛ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَادَوْا : يَا مُحَمَّدُ ؛ اخْرُجْ إِلَيْنَا ؛ فَإِنَّ مَدْحَنَا زَيْنٌ ، وَذَمُّنَا شَيْنٌ ، قَالَ : فَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ : « إِنَّمَا ذَلِكُمُ اللَّهُ الَّذِي ذَمُّهُ شَيْنٌ وَمَدْحُهُ زَيْنٌ . . . » فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ .

وكَانُوا أَتَوْا بِشَاعِرِهِمْ وَخَطِيبِهِمْ ، فَغَلَبَهُمْ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ (٢) ، وَشُبَّانُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِالْخُطْبَةِ (٣) .

وَفِي هَذَا تَأْدِيبٌ لِلْمُرِيدِ فِي الدَّخُولِ عَلَى الشَّيْخِ وَالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتَرْكُهُ لِلِاسْتِعْجَالِ ، وَصَبْرِهِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الشَّيْخُ مِنْ مَوْضِعِ خَلْوَتِهِ .

(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢٦٠-٢٦١) ، وفي (أ ، ي) : (وفي مجالسة)

بدل (وفي مجالس) ، وكذلك في (ج ، ز) إلا أنها دون واو العطف .

(٢) أي : غلبهم بالشعر ، وهذا القيد مفهوم من السياق .

(٣) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١٠٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »

(٩ / ١٨٧-١٩٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه مختصراً الترمذي

(٣٢٦٧) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٤٥١) عن سيدنا البراء بن عازب

رضي الله عنهما ، وأحمد (٤٨٨ / ٣) ، وابن أبي عاصم في « الأحاد والمثاني »

(١١٧٨) عن سيدنا الأقرع بن حابس رضي الله عنه .

سمعتُ أَنَّ الشيخَ عبدَ القادرِ رحمَةُ اللهِ عليه كانَ إذا جاءَ إليه فقيرٌ زائرٌ يُخبرُ بالفقيرِ ، فيخرجُ ويفتحُ جانبَ البابِ ، ويُصافحُ الفقيرَ ويُسلمُ عليه ، ولا يجلسُ معه ، ويرجعُ إلى خلوتِهِ ، وإذا جاءَ أحدٌ ممَّن ليسَ مِنْ زُمرَةِ الفقراءِ . . يخرجُ ويجلسُ معه .

فخطرَ لبعضِ الفقراءِ نوعُ إنكارٍ ؛ لتركيهِ الخروجَ إلى الفقيرِ وخروجهِ لغيرِ الفقيرِ ، فانتهى ما خطرَ للفقيرِ إلى الشيخِ ، فقالَ : الفقيرُ رابطتُنا معه رابطَةٌ قلبيةٌ ، وهوَ أهلٌ ، وليسَ عندهُ أجنيبةٌ ، فيكتفى معه بمُوافقةِ القلوبِ ، ويقنعُ بها مِنْ مُلاقاةِ الظاهرِ بهذا القدرِ ، وأما مَنْ هوَ مِنْ غيرِ جنسِ الفقراءِ . . فهوَ واقفٌ معَ العاداتِ والظاهرِ ، فمتى لم تُوفِّ حقَّهُ مِنَ الظاهرِ . . استَوْحَشَ .

فحقُّ المُريدِ : عِمارةُ الظاهرِ والباطنِ بالأدبِ معَ الشيخِ .

قيلَ لأبي منصورٍ المَغْرِبِيِّ : كمَ صَحِبْتَ أبا عثمانَ ؟ قالَ : خدمتُهُ ، ما صَحِبْتُهُ^(١) .

فالصُّحْبَةُ معَ الإخوانِ والأقْرانِ ، ومعَ المشايخِ خِدْمَةٌ^(٢) .

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٦١١) ، وفيها : (منصور بن خلف المغربي) بدل (أبي منصور المغربي) ، واسمُهُ تاماً - كما في « المنتخب من كتاب السباق » (ص ٤٧٩) - : (أبو القاسم منصور بن خلف بن حمّود المغربي المالكي) .

(٢) ذكر القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٠ - ٦١١) أَنَّ الصُّحْبَةَ على ثلاثة أقسامٍ : صحبةٌ مع مَنْ فوقَكَ ، وهي في الحقيقة خدمةٌ ، وصحبةٌ مع مَنْ هوَ دونَكَ ، وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة ، وعلى التابع بالوفاق والحُرمة ، وصحبةُ الأكفاء والنُّظراء ، وهي مبنيةٌ على الإيثار والفتوة .

وينبغي للمريد أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ . . يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ؛ كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى ، فإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره .

فما ينكره المريد لقلّة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ ؛ فللشيخ في كل شيء عذرٌ بلسان العلم والحكمة .

سأل بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد رحمه الله ، فأجابه الجنيد رحمه الله ، فعارضه في ذلك ، فقال الجنيد : فإن لم تؤمنوا لي فاعزلون^(١) .

وقال بعض المشايخ : (من لم يُعظم حُرمة من تأدّب به . . حُرِمَ بركة ذلك الأدب) .

وقيل : (من قال لأستاذه : « لا » . . لا يُفلح أبداً)^(٢) .

(١١٨) - أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي ، قال : أخبرنا أبو الفتح الهروي ، قال : أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال : أخبرنا أبو محمد الجراحي ، قال : أخبرنا أبو العباس المخبوبي ، قال : أخبرنا أبو عيسى الترمذي ، قال : حدّثنا هناد ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

(١) رواه السلمي في « تفسيره » (٢٣٧/٢) ، وفيه اقتباس ظاهر من سورة (الدخان) الآية : (٢١) ، وفي النسخ ما عدا (هـ ، ح) : (فاعزلوني) ، وحذف الياء بعد نون الوقاية جائز . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص ٤٩٩) .

(٢) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٦٧٢) عن أبي سهل الصعلوكي رحمه الله تعالى .

عليه وسلم : « أَتُرْكُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فَخُذُوا عَنِّي ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ » (١) .

قال الجنيد رحمه الله عليه : رأيتُ مع أبي حفص النيسابوري إنساناً كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : مَنْ هذا ؟

فقال لي : هذا إنسانٌ يصحبُ أبا حفص ويخذهُنا ، وقد أنفقَ عليه مئة ألفِ درهمٍ كانتَ له ، واستدانَ مئة ألفٍ أخرى أنفقها عليه ، ما يسوِّغه أبو حفص أن يتكلمَ بكلمةٍ واحدةٍ (٢) .

وقال أبو يزيد السطامي رحمه الله : (صحبتُ أبا علي السندي ، فكنْتُ ألقنه وأعلمه ما يُقيمُ به فرضه ، وكان يُعلمني التوحيدَ والحقائقَ صرفاً) (٣) .

وقال أبو عثمان : صحبتُ أبا حفص وأنا غلامٌ حدثٌ ، فطرَدني وقال : لا تجلسْ عندي ، فلم أجعلْ مكافأتي له على كلامه أن أولي ظهري إليه ، فانصرفْتُ أمشي إلى خلفٍ ووجهي مُقابلٌ له ، حتى غبتُ عنه .

واعتقدتُ أن أحفرَ لنفسي بئراً على بابهِ ، وأنزلَ وأقعدَ فيه ولا أخرجَ منه إلا بإذنه ، فلمَّا رأى ذلكَ مني قرَّبني وقبَّلني ، وصيَّرني من خواصِّ أصحابه إلى أن ماتَ رحمه الله (٤) .

ومن آدابهم الظاهرة : أن المريدَ لا ييسطُ سجَّادتهُ مع وجودِ الشيخ

(١) سنن الترمذي (٢٦٧٩) ، ورواه مسلم (١٣٣٧) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٣٥) .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٣٥) .

(٤) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٣٥) .

إلا لوقت الصلاة ؛ فإنَّ المُريدَ مِنْ شأنِهِ التَّبَتُّلُ لِلخِدْمَةِ ، وفي السَّجَّادَةِ إِيْماءٌ
إلى الاستراحةِ والتعزُّزِ .

ولا يتحرَّكُ في السَّماعِ مع وجودِ الشَّيخِ ، إلا أن يخرَجَ عن حدِّ التَّمييزِ .
وهيئَةُ الشَّيخِ تمنعُ المُريدَ عن الاسترسالِ في السَّماعِ وثَقِيْدُهُ ، واستغراقُهُ
في الشَّيخِ بالنظرِ إِلَيْهِ ومُطالَعَةِ مواردِ فَضْلِ الحَقِّ عَلَيْهِ . . أَنَجَعُ لَهُ مِنَ الإِصْغَاءِ
إلى السَّماعِ .

وَمِنَ الأدبِ : أَلَّا يَكْتُمَ الشَّيخُ شَيْئاً مِنْ حالِهِ ومَواهِبِ الحَقِّ عِنْدَهُ ،
وما يَظْهَرُ لَهُ مِنْ كِرامَةٍ وإِجابَةٍ ، وَيَكْشِفُ لِلشَّيخِ مِنْ حالِهِ ما يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى
مِنهُ ، وما يَسْتَحْيِي مِنْ كَشْفِهِ يَذْكُرُهُ إِيْماءً وتَعْرِيضاً ؛ فَإِنَّ المُريدَ متى انطَوَى
ضَمِيرُهُ عَلى شَيْءٍ لا يَكْشِفُهُ لِلشَّيخِ تَصْرِيحاً أو تَعْرِيضاً . . يَصِيرُ عَلى باطنِهِ مِنْهُ
عُقْدَةٌ في الطَّرِيقِ ، وبالقَولِ معَ الشَّيخِ تَنحَلُّ العُقْدَةُ وتزولُ .

وَمِنَ الأدبِ : أَلَّا يَدْخَلَ في صُحْبَةِ الشَّيخِ إلا بَعْدَ عَلمِهِ بأنَّ الشَّيخَ قِيمٌ
بِتأديبِهِ وتَهْذِيبِهِ ، وَأَنَّهُ أَقوْمٌ بالتأديبِ مِنْ غَيرِهِ .

ومتى كانَ عِنْدَ المُريدِ تَطَلُّعٌ إلى شَيْخٍ آخَرَ . . لا تَصِفُو صُحْبَتَهُ ، ولا يَنْفُذُ
القَولُ فِيهِ ، ولا يَسْتَعِدُّ باطنُهُ لِسِرايَةِ حالِ الشَّيخِ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ المُريدَ كُلَّمَا أَتَقَنَ
تَفَرَّدَ الشَّيخِ بِالمُشِخَّةِ . . عَرَفَ فَضْلَهُ وَقَوِيَّتَ مَحَبَّتِهِ ، والمَحَبَّةُ والتَّالُّفُ هُوَ
الوَاسِطَةُ بَينَ المُريدِ والشَّيخِ .

وعَلى قَدْرِ قُوَّةِ المَحَبَّةِ تَكُونُ سِرايَةُ الحالِ ؛ لأنَّ المَحَبَّةَ عَلامَةُ التَّعارُفِ ،
والتَّعارُفَ عَلامَةُ الجَنسِيَّةِ ، والجَنسِيَّةُ جالِبَةٌ لِلْمُريدِ حالَ الشَّيخِ أو بَعْضَ
حالِهِ .

(١١٩) - أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سلمان ، قال :
 أخبرنا أبو الفضل حمد ، قال : أخبرنا الحافظ أبو نعيم ، قال : حدثنا
 سليمان بن أحمد^(١) ، قال : حدثنا أنس بن سلم ، قال : حدثنا [عبيد] بن
 رزين^(٢) ، قال : سمعت إسماعيل بن عياش يقول : حدثنا محمد بن زياد
 الألهماني ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : « مَنْ عَلَّمَ عَبْدًا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . فَهُوَ مَوْلَاهُ ، لَا
 يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَخْذُلَهُ وَلَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ فَصَمَ عُرْوَةَ مِنْ عُرَا
 الْإِسْلَامِ »^(٣) .

وَمِنْ الْأَدَبِ : أَنْ يُرَاعِيَ خَطَرَاتِ الشَّيْخِ فِي جُزْئِيَّاتِ الْأُمُورِ وَكُلِّيَّاتِهَا ،
 وَلَا يَسْتَحَقِرَ كِرَاهَةَ الشَّيْخِ لِيَسِيرَ حَرَكَاتِهِ ، مُعْتَمِدًا عَلَى حُسْنِ خُلُقِ الشَّيْخِ
 وَكَمَالِ حِلْمِهِ وَمُدَارَاتِهِ .

قال إبراهيم بن شيبان : كُنَّا نَصْحَبُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيَّ وَنَحْنُ شُبَّانٌ ،
 وَنُسَافِرُ بِنَا فِي الْبَرَارِي وَالْفَلَوَاتِ ، وَكَانَ مَعَهُ شَيْخٌ اسْمُهُ حَسَنٌ ، وَقَدْ صَحِبَهُ
 سَبْعِينَ سَنَةً ، فَكَانَ إِذَا جَرَى مِنْ أَحَدِنَا خَطَأً ، وَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ حَالُ الشَّيْخِ . .
 نَتَشَفَّعُ إِلَيْهِ بِهَذَا الشَّيْخِ حَتَّى يَرْجِعَ لَنَا إِلَى مَا كَانَ^(٤) .

(١) هو الطبراني الحافظ الشهير .

(٢) جاء (عبيد) في النسخ ما بين : (عتية) و (عتبة) ، والمثبت من المصادر الآتية .

(٣) المعجم الكبير (١٣١/٨ - ١٣٢) ، مسند الشاميين (٨١٨) ، وليس فيهما : (فمن
 فعل ذلك . . .) ، ورواه تامة تمام في « فوائده » (٣٥٤) ، والبيهقي في « الشعب »
 (٢٠٢٣) ، وفي (هـ ، ح) ونسخة على هامش (د) : (قصم) بدل (فصم) ،
 والفصم : الكسر دون إبانة ، والقضم : الكسر مع إبانة ، والقاف رواية « الشعب » .

(٤) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٣٥ - ٢٣٦) .

وَمِنْ أَدَبِ الْمُرِيدِ مَعَ الشَّيْخِ : أَلَّا يَسْتَقِلَّ بِوَاقِعَتِهِ وَكَشْفِهِ دُونَ مُرَاجَعَةِ الشَّيْخِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْخَ عِلْمُهُ أَوْسَعُ ، وَبَابُهُ الْمَفْتُوحُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَكْبَرُ ، فَإِنْ كَانَ وَقَعَ الْمُرِيدُ مِنَ اللَّهِ . . يُوَافِقُهُ الشَّيْخُ وَيُمْضِيهِ لَهُ ، وَمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَا يَخْتَلِفُ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ شُبْهَةٌ تَزُولُ شُبْهَةُ الْوَاقِعَةِ بِطَرِيقِ الشَّيْخِ ، وَيَكْتَسِبُ الْمُرِيدُ عِلْمًا بِصَحَّةِ الْوَاقِعِ وَالْكَشُوفِ .

فَالْمُرِيدُ لَعَلَّهُ فِي وَاقِعَتِهِ يُخَامِرُهُ كُفُونُ إِرَادَةِ فِي النَّفْسِ ، فَيَتَشَبَّكُ كُفُونُ الْإِرَادَةِ بِالْوَاقِعَةِ ؛ مَنْأَمًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ يَقْظَةً ، وَلِهَذَا سِرٌّ عَجِيبٌ ، وَلَا يَقُومُ الْمُرِيدُ بِاسْتِثْصَالِ شَافَةِ الْكَامِنِ فِي النَّفْسِ ^(١) ، وَإِذَا ذَكَرَهُ لِلشَّيْخِ فَمَا فِي الْمُرِيدِ مِنْ كُفُونِ إِرَادَةِ النَّفْسِ مَفْقُودٌ فِي حَقِّ الشَّيْخِ ؛ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْحَقِّ يَتَبَرَّهَنْ بِطَرِيقِ الشَّيْخِ ، وَإِنْ كَانَ تَنَزَّعُ وَاقِعَتُهُ إِلَى كُفُونِ هَوَى النَّفْسِ . . تَزُولُ وَتَبْرَأُ سَاحَةُ الْمُرِيدِ ، وَيَتَحَمَّلُ الشَّيْخُ ثِقَلَ ذَلِكَ ؛ لِقُوَّةِ حَالِهِ ، وَصَحَّةِ إِيوَائِهِ إِلَى جَنَابِ الْحَقِّ ، وَكَمَالِ مَعْرِفَتِهِ .

وَمِنْ الْأَدَبِ مَعَ الشَّيْخِ : أَنَّ الْمُرِيدَ إِذَا كَانَ لَهُ كَلَامٌ مَعَ الشَّيْخِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ أَوْ أَمْرِ دُنْيَاهُ . . لَا يَسْتَعْجَلُ بِالْإِقْدَامِ عَلَى مُكَالَمَةِ الشَّيْخِ وَالْهَجُومِ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ مِنْ حَالِ الشَّيْخِ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لَهُ ، وَلِسْمَاعِ كَلَامِهِ وَقَوْلِهِ مُتَفَرِّغٌ ؛ فَكَمَا أَنَّ لِلدَّعَاءِ أَوْقَاتًا وَأَدَابًا وَشُرُوطًا ؛ لِأَنَّهُ مُخَاطَبَةُ اللَّهِ تَعَالَى . . فَلِلْقَوْلِ مَعَ الشَّيْخِ أَيْضًا آدَابٌ وَشُرُوطٌ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مُعَامَلَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَيَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى قَبْلَ الْكَلَامِ مَعَ الشَّيْخِ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ مِنَ الْأَدَبِ .

(١) الشَّافَةُ فِي الْأَصْلِ : قَرَحَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْقَدَمِ ، فَتَكُونُ فَتَذْهَبُ ، يُقَالُ فِي الْمَثَلِ : اسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَافَتَهُ ؛ أَيِ : أَذْهَبَهُ اللَّهُ كَمَا أَذْهَبَ تِلْكَ الْقَرَحَةُ بِالْكَفِّ .

وقد نبّه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته ؛ فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ [المجادلة : ١٢] ؛ يعني : أمام مناجاتكم .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثرُوا حتى شَقُّوا عليه وأخفوه بالمسألة ، فأدبَهُم الله تعالى وفطمَهُم عن ذلك ، وأمرَهُم ألا يُنَاجُوهُ حتى يُقدِّمُوا صدقة)^(١) .

وقيل : كان الأغنياء يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ويغلبون الفقراء على المجلس ، حتى كره النبي صلى الله عليه وسلم طول حديثهم ومناجاتهم ، فأمر الله بالصدقة عند المناجاة ، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته .

فأما أهل العُسرة فلأنهم لم يجدوا شيئاً ، وأما أهل اليسرة فبخلوا ومنعوا ، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزلت الرخصة ، وقال الله تعالى : ﴿ ءَأَسْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَنكُمْ صَدَقَتِ ﴾ [المجادلة : ١٣]^(٢) .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٣ / ٢٤٩) ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٨٨٤٨) ، والبيهقي في « المدخل » (١٤٣٠) ، وزادوا : (فلما قال ذلك ضنَّ كثيرٌ من الناس وكفُّوا عن المسألة ، فأنزل الله تعالى بعد هذا : ﴿ فَإِذَا لَرَ تَفَعَّلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [المجادلة : ١٣] ، فوسَّع الله ذلك ولم يُضَيِّقْ) ، وأخفوه : ألحوا واستقصوا في سؤاله ، وفي (د ، ح) : (ألحفوه) ، وهو بمعنى : ألحوا .

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في « الدر المنثور » (٨ / ٨٤) مرسلًا عن مقاتل بن حيان رحمه الله تعالى ، وأورده عنه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦ / ١٥٤-١٥٥) .

وقيل : لَمَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِالْصَّدَقَةِ لَمْ يُنَاجِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، فَقَدَّمَ دِينَاراً فَتَصَدَّقَ بِهِ^(١) ، وَقَالَ عَلِيٌّ : (فِي كِتَابِ اللهِ آيَةٌ مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي)^(٢) .

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ دَعَا عَلِيّاً وَقَالَ : « مَا تَرَى فِي الصَّدَقَةِ كَمْ تَكُونُ ؟ دِينَاراً ؟ » ، قَالَ عَلِيٌّ : لَا يُطِيقُونَهُ ، قَالَ : « كَمْ ؟ » ، قَالَ عَلِيٌّ : لَتَكُنْ حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ لَزَهِيدٌ » ، ثُمَّ نَزَلَتِ الرُّخْصَةُ وَنُسِخَتِ الْآيَةُ^(٣) .

وَمَا نَبَّهَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ بِالْصَّدَقَةِ فِيهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ نُسِخَ . . فَمَا فِيهِ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ ، وَتَقْيِيدِ اللَّفْظِ وَالِاحْتِرَامِ . . مَا نُسِخَ ، وَالْفَائِدَةُ بَاقِيَةٌ .

(١٢٠) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الثَّقَةُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدٌ ابْنُ سَلْمَانَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ حَمْدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ ، عَنْ أَبِي قَبِيلٍ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٤٨ / ٢٣) ، وعبد الرزاق في « تفسيره » (٣١٧٦) ، وعزاه في « الدر المنثور » (٨٤ / ٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، جميعهم عن مجاهد رحمه الله تعالى رسلاً .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٧٨٨) ، والطبري في « تفسيره » (٢٤٨ / ٢٣) ، والحاكم (٤٨٣ / ٢) .

(٣) رواه الترمذي (٣٣٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (٨٤٨٤) ، وابن حبان (٦٩٤١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٢٧٨٩) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الصامتِ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ :
« ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ » (١) .

فاحترامُ العلماءِ توفيقٌ وهدايةٌ ، وإهمالُ ذلكِ خِذْلَانٌ وَعُقُوقٌ ، نعوذُ باللهِ
مِنْ ذَلِكَ (٢) .



(١) مكارم الأخلاق (١٤٧) للطبراني ، ورواه أحمد (٣٢٣ / ٥) ، والحاكم (١٢٢ / ١) ،
ورواه دون الجملة الأخيرة أبو داود (٤٩٤٣) ، والترمذي (١٩٢٠) وغيرهما عن
سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وروي أيضاً عن غيره .
(٢) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب الثاني والخمسون

في أدب الشيخ وما يعتمد مع الأصحاب والتلامذة^(١)

أهمُّ الآدابِ : ألاَّ يتعرَّضَ الصادقُ للتقدُّمِ على قومٍ ، ولا يتعرَّضَ لاستجلابِ بواطنِهِم بلُطفِ الرِّفقِ وحُسنِ الكلامِ ؛ محبةً للاستتباعِ .

فإذا رأى أنَّ اللهَ تعالى يبعثُ إليه المُريدِينَ والمُسترشدينَ بحُسنِ الظنِّ وصِدْقِ الإرادةِ . . يحذِرُ أن يكونَ ذلكَ ابتلاءً واختباراً وامتحاناً مِنَ اللهِ تعالى ، والنفوسُ مجبولةٌ على محبةِ قَبولِ الخلقِ والشُّهرةِ ، وفي الخُمُولِ السلامةُ .

(١) ومن المناسب إيرادُه ها هنا : ما سئل عنه المؤلف رضي الله عنه ؛ وهو أنَّه هل يجوز لمن يدَّعي المشيخة ويُرَبِّي المريدين بالدعوة إلى الحقِّ وسلوك طريق الآخرة أن يحرصَ على الدنيا وأشباهها وجمعها لإقامة الجاه وإمالة القلوب إليه ، أم يكون بريئاً من ذلك كله ؟

فأجاب : بأنَّ الحريصَ على الدنيا وجمعها وإقامة الجاه فيها إنما يحمله على طول أمله وغفلته ، ومن يَكُونُ بهذه المثابة لا يكون شيخاً ، وقد ذكرنا أنَّه لا يكون من أهل المشيخة ، إلا أن يكون له هوى مُتَّبِع ، فبإمالة الأذى يمحو آثار الحرص والأمل وتندفع الغفلة عنه ، فإذا رأى المريدُ من شيخه ذلك . . فليتواضع لله تعالى ويكثر اللجأ إليه سبحانه أن يكشف له حال الشيخ هل هو شيخ حقيقة أم ادعاء [للمشيخة] من غير حقيقة ، ولا يعمل المريد بمُجرَّد ظنِّه ، فإن كان صادقاً سوف يكشف الحقُّ سبحانه وتعالى عن شأن الشيخ وحقيقة أمره ، فيتبيَّن له حاله إن شاء الله تعالى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . « أجوبة السهروردي » (ق/ ٢٧) .

فإذا بلغ الكتاب أجله ، وتمكّن العبدُ من حاله ، وعَلِمَ بتعريفِ الله تعالى
إيَّاهُ أَنَّهُ مُرَادٌ بِالْإِرْشَادِ والتعلِيمِ للمُرِيدِينَ . . فيُكَلِّمُهُمْ حينئذٍ كلامَ الناصحِ
المُسْفِقِ الوالدِ لولده بما ينفعُهُ في دينهِ ودُنْيَاهُ .

وكلُّ مُرِيدٍ ومُسْتَرشِدٍ ساقَهُ اللهُ تعالى إليه . . يُراجِعُ اللهُ تعالى في معناه^(١) ،
ويُكثِرُ اللَّجَأَ إليه أَنْ يتولَّاهُ فيه وفي القولِ معه ، ولا يتكلَّمُ مع المُرِيدِ بالكلمةِ إلا
وقلبُهُ ناظرٌ إلى الله ، مُسْتَعِينٌ به في الهدايةِ إلى الصوابِ مِنَ القولِ .

سمعتُ شيخنا أبا النّجيبِ الشُّهُرُورْدِيَّ يُوصِي بعضَ أصحابِهِ ويقولُ :
(لا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنَ الْفُقَرَاءِ إِلَّا فِي أَصْفَى أَوْقَاتِكَ) .

وهذه وصيّةٌ نافعةٌ ؛ لأنَّ الكلمةَ تقعُ في سَمْعِ المُرِيدِ الصادقِ كالحبّةِ تقعُ
في الأرضِ ، وقد ذكّرنا أَنَّ الحبّةَ الفاسدةَ تهلكُ وتضيعُ ، وفسادُ حبّةِ الكلامِ
بالهوى ، وقطرةٌ مِنَ الهوى تُكدرُ بحرًا مِنَ العلمِ .

فعندَ الكلامِ مع أهلِ الصدقِ والإرادةِ ينبغي أَنْ يستمدَّ القلبُ مِنَ الله كما
يستمدُّ اللسانُ مِنَ القلبِ ، وكما أَنَّ اللسانَ تَرْجُمانُ القلبِ يكونُ قلبُهُ تَرْجُمانَ
الحقِّ عندَ العبدِ ، فيكونُ ناظرًا إلى الله ، مُصْغِيًا إليه ، مُتَلَقِّيًا ما يَرِدُ عليه ،
مُؤَدِّيًا للأمانةِ فيه .

ثمَّ ينبغي للشيخِ أَنْ يعتبرَ حالَ المُرِيدِ ، ويتفرَّسَ فيه بنورِ الإيمانِ وقوّةِ
العلمِ والمعرفةِ ما يتأتَّى منه وَمِنْ صلاحِيَّتِهِ واستعدادِهِ .

فَمِنَ المُرِيدِينَ مَنْ يَصْلُحُ للتعبُّدِ المَحْضِ وأعمالِ القوالِبِ وطريقِ

(١) أي : في معنى الإرشاد . من هامش (ح) .

الأبرار ، ومن المرّيدين مَنْ يكونُ مُستَعِدّاً صالحاً للقُربِ وسلوكِ طريقِ المُقَرَّبِينَ المُرادِينَ بمُعَامَلَاتِ القلوبِ والمُعَامَلَاتِ السَّنيَّةِ ، ولكلِّ مِنَ الأبرارِ والمُقَرَّبِينَ مَبَادٍ ونهاياتٌ ، فيكونُ الشَّيْخُ صاحبَ الإشرافِ على البواطنِ ، يعرفُ كلَّ شخصٍ وما يصلُحُ لَهُ .

والعَجَبُ أَنَّ الصَّخْرَاوِيَّ يَعْلَمُ الْأَرْضِيَّ وَالْغُرُوسَ ، وَيَعْلَمُ كُلَّ غَرْسٍ وَأَرْضَهُ ، وَكُلَّ صَاحِبِ صِنْعَةٍ يَعْلَمُ مَنَافِعَ صِنْعَتِهِ وَمَضَارَّهَا ؛ حَتَّى الْمَرْأَةُ تَعْلَمُ قُطْنَهَا وَمَا يَتَأْتَى مِنْهُ مِنَ الْغَزْلِ وَدِقَّتِهِ وَغِلَظِهِ ، وَلَا يَعْلَمُ الشَّيْخُ حَالَ الْمُرِيدِ وَمَا يَصْلُحُ لَهُ !!

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ ^(١) ، وَيَأْمُرُ كُلَّ شَخْصٍ بِمَا يَصْلُحُ لَهُ ^(٢) ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَأْمُرُهُ بِالْإِنْفَاقِ ^(٣) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَهُ بِالْإِمْسَاكِ ^(٤) ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَمَرَهُ بِالْكَسْبِ ^(٥) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَّرَهُ

(١) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/٤٢٥) مرسلًا عن سعيد بن المسيّب رحمه الله تعالى ، والدلمي في «الفردوس» (١٦١١) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتكليمُ الناس على قدر عقولهم معروفٌ ومشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم ، وانظر «كشف الخفاء» (١/١٩٦-١٩٧) .

(٢) وهو معروفٌ ومشهور أيضاً من سيرته صلى الله عليه وسلم .

(٣) ومنه : ما رواه البخاري (٢٥٩١) ، ومسلم (١٠٢٩) عن سيدتنا أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، وما سبق في (٧٦/٢) من أمره لسيدنا بلال رضي الله عنه بذلك .

(٤) ومنه : ما رواه البخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) عن سيدنا كعب بن مالك في قصة توبته رضي الله عنه ، وفيها : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» .

(٥) ومنه : ما رواه أبو داود (١٦٤١) ، وابن ماجه (٢١٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

على تركِ الكَسْبِ ؛ كأصحابِ الصُّفَّةِ .

فكانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يعرفُ أوضاعَ الناسِ وما يصلحُ لكلِّ أحدٍ ، فأما في رُتَبَةِ الدعوةِ فكانَ يُعمِّمُ الدعوةَ ؛ لأنَّه مبعوثٌ لإثباتِ الحُجَّةِ وإيضاحِ المَحَجَّةِ ، يدعو على الإطلاقِ ، ولا يُخصِّصُ بالدعوةِ مَنْ يتفرَّسُ فيه الهدايةَ دونَ غيره .

ومن أدبِ الشيخِ : أن يكونَ له خلوةٌ خاصَّةٌ ، ووقتٌ خاصٌّ ، لا يسعُه فيه مُعانةُ الخلقِ ؛ حتى تفيضَ على جُلُوتِه فائدةُ خلُوتِه ، ولا تدَّعي نفسُه قوَّةً ؛ ظناً منها أنَّ استدامةَ المُخالطةِ مع الخلقِ والكلامِ معهم لا تضرُّه ولا تأخذُ منه ، وأنَّه غيرُ مُحْتَاجٍ إلى الخلوةِ ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مع كمالِ حالِه . . كانَ له قيامُ الليلِ ، وصلواتٌ يُصلِّيها ويُداوِمُ عليها ، وأوقاتٌ يخلو فيها .

فطَبَعُ البشرِ لا يستغني عن السياسةِ ، قلَّ ذلكَ أو كَثُرَ ، لَطَفَ ذلكَ أو كَثُفَ .

وكم من مغرورٍ قانعٍ باليسيرِ من طيبةِ القلبِ اتَّخَذَ ذلكَ رأسَ مالِه ، واغترَّ بطيبةِ قلبِه ، واسترسلَ في المُمَارَجةِ والمُخالطةِ ، وجعلَ نفسُه مُناخاً للبطالينَ بلقمةٍ تُؤكَلُ عندهُ ، ورفقٍ يُوجدُ منهُ ، فيَقصِدُه مَنْ ليسَ قصدُه الدِّينَ ، ولا بُغيتُه سُلُوكُ طريقِ المُتَّقِينَ ، فافتنَّ وأفتنَّ ، وبقيَ في خِطَّةِ القُصُورِ ، ووقَعَ في دائرةِ الفتورِ !!

فما يستغني الشيخُ عن الاستمدادِ مِنَ اللهِ ، والتضرُّعِ بينَ يَدَيِ اللهِ بقلبه إن لم يكنْ بقلبه وقلبه ، فيكونُ له في كلِّ كلمةٍ إلى اللهِ رجوعٌ ، وفي كلِّ حركةٍ بينَ يَدَيْهِ خضوعٌ .

وإنما دخلتِ الفتنةُ على المَغْرورِينَ المُدَّعِينَ للقُوَّةِ والاسترسالِ في الكلامِ والمُخَالَطَةِ ؛ لِقَلَّةِ معرفَتِهِم بصفاتِ النَّفْسِ ، واغترارِهِم بيسيرِ مِنَ المَوْهَبَةِ ، وَقِلَّةِ تَأْدِيبِهِم بالشيوخِ .

وكانَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ لأَصْحَابِهِ : (لو علمتُ أَنَّ صَلَاةَ رَكَعَتَيْنِ لِي أَفْضَلُ مِنْ جُلُوسِي مَعَكُمْ . . ما جَلَسْتُ عِنْدَكُمْ) (١) .

فإذا رَأَى الْفَضْلُ فِي الْخُلُوةِ . . يَخْلُو ، وإذا رَأَى الْفَضْلَ فِي الْجَلُوةِ . . يجلسُ معَ الْأَصْحَابِ ، فتكونُ جَلُوتُهُ فِي حِمَايَةِ خَلُوتِهِ ، وخالُوتُهُ مَزِيداً لَجَلُوتِهِ (٢) .

وفي هَذَا سِرٌّ ؛ وذلكَ أَنَّ الْآدَمِيَّ ذُو تَرْكِيبٍ مُخْتَلِفٍ ، فِيهِ تَضَادٌّ وَتَغَايِرٌ عَلَى مَا أَسْلَفْنَا مِنْ كَوْنِهِ مُتَرَدِّداً بَيْنَ السُّفْلِيِّ وَالْعُلَوِيِّ (٣) ؛ ولما فِيهِ مِنَ التَّغَايِرِ لَهُ حِظٌّ مِنَ الْفُتُورِ عَنِ الصَّبْرِ عَلَى صِرْفِ الْحَقِّ ؛ ولِهَذَا كَانَ لِكُلِّ عَامِلٍ فِتْرَةٌ (٤) .

والفِتْرَةُ قَدْ تَكُونُ تَارَةً فِي صُورَةِ الْعَمَلِ ، وَتَارَةً فِي عَدَمِ الرُّوحِ فِي الْعَمَلِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي صُورَةِ الْعَمَلِ .

(١) أوردَه أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ٢٧٣) .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (وَجَلُوتُهُ مَزِيداً لَخُلُوتِهِ) .

(٣) رَاجِعِ (الْبَابُ الْعَاشِرُ) .

(٤) وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِتْرَةِ وَالْوَقْفَةِ : أَنَّ الْفِتْرَةَ فِي الْأَعْمَالِ ، وَالْوَقْفَةُ فِي الْأَحْوَالِ ، وَسَبَبُ الْوَقْفَةِ : إِهْمَالُ حُكْمِ الْحَالِ ، وَالْإِخْلَالُ بِشَيْءٍ مِنْ شُرُوطِ الْحَالِ ، وَمَوْجِبُ الْإِخْلَالِ وَالْإِهْمَالِ لِنَقْصَانِ عِلْمِ الْحَالِ ، وَنَقْصَانُ عِلْمِ الْحَالِ لِنَقْصَانِ عِلْمِ الْقِيَامِ ، وَعِلْمُ الْقِيَامِ سِرٌّ ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] ، وَهَذَا النَقْصَانُ هُوَ الْفُتُورُ عَنِ الْمُرَاقَبَةِ . « أَجُوبَةُ السَّهْرُورِيِّ » (ق / ٢٢) .

ففي وقتِ الفترةِ للمُريدِينَ والسالكِينَ . . تَضْيِيعُ واسترواحُ للنَّفْسِ ،
وركونُ إلى البَطَالَةِ .

فمَنْ بَلَغَ رُتْبَةَ المَشِيخَةِ انصرفَ قِسْمُ فِئَتِهِ إلى الخَلْقِ ، فأَفْلَحَ الخَلْقُ
بِقِسْمِ فِئَتِهِ ، وما ضَاعَ قِسْمُ فِئَتِهِ كَضَيَاعِهِ في حقِّ المُريدِينَ .

فالمُريدُ يعودُ مِنَ الفترةِ بِقُوَّةِ الشَّرِّهِ وَحِدَّةِ الطَّلَبِ إلى الإِقْبَالِ على اللهِ ،
والشيخُ يكتسِبُ الفضيلةَ مِنْ نفعِ الخَلْقِ بِقِسْمِ فِئَتِهِ ، ويعودُ إلى أوطانِ خَلْوَتِهِ
وخاصَّ حالِهِ بِنَفْسٍ مُشْرِئَةٍ أَكْثَرَ مِنْ عَوْدِ الفَقِيرِ بِحِدَّةِ إِرَادَتِهِ مِنْ فِئَتِهِ ، فيعودُ
مِنَ الخَلْقِ إلى الخَلْوَةِ مُتَنَزِعَ الفُتُورِ ، بقلبٍ مُتَعَطِّشٍ وافرِ الثُّورِ ، وَرُوحٍ
مُتَخَلِّصَةٍ عن مَضِيقِ مُطَالَعَةِ الأَغْيَارِ ، قادمةٍ بِحِدَّةٍ شَعَفِهَا إلى ديارِ القَرَارِ (١) .

وَمِنْ وَظِيفَةِ الشيخِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ مَعَ أَهْلِ الإِرَادَةِ وَالطَّلَبِ : التَّزُولُ مِنْ حَقِّهِ
فيما يَجِبُ مِنَ التَّجِيلِ والتَّعْظِيمِ للمُشايخِ ، واستعمالُهُ التَّوَاضَعِ .

حكى الدَّقِّيُّ قَالَ : كُنْتُ بِمِصْرَ ، وَكُنَّا فِي المَسْجِدِ جَمَاعَةً مِنَ الفُقَرَاءِ
جُلُوساً ، فَدَخَلَ الزَّقَّاقُ ، فَقَامَ عِنْدَ أَسْطُوَانَةِ يَرْكُعُ ، فَقُلْنَا : يَقْرُءُ الشَّيْخُ مِنْ
صَلَاتِهِ وَنَقُومُ وَنُسَلِّمُ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا فَرَغَ جَاءَ إِلَيْنَا وَسَلَّمْ عَلَيْنَا ، فَقُلْنَا : نَحْنُ كُنَّا أَوْلَى بِهَذَا مِنَ الشَّيْخِ ،
فَقَالَ : مَا عَذَّبَ اللهُ قَلْبِي بِهَذَا قَطُّ (٢) ؛ يَعْنِي : مَا تَقَيَّدْتُ بِأَنْ أُحْتَرَمَ وَأُقَصَّدَ .

وَمِنْ أَدَبِ الشُّيُوخِ : النُّزُولُ إِلَى حَالِ المُريدِينَ مِنَ الرِّفْقِ بِهِمْ وَبَسْطِهِمْ .

(١) فِي (ب ، هـ ، ح) : (شَغَفَهَا) بَدَلَ (شَعَفَهَا) ، وَالشَّغَفُ : الْحُبُّ الَّذِي يَدْخُلُ
حِجَابَ الْقَلْبِ وَغُلَافَهُ ، وَالشَّغَفُ : الْحُبُّ الَّذِي يَذْهَبُ بِصَاحِبِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ٢٧٣) .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (إِذَا رَأَيْتَ الْفَقِيرَ فَالْقَهُ بِالرَّفْقِ ، وَلَا تَلْقَهُ بِالْعِلْمِ ؛ فَإِنَّ
الرَّفْقَ يُؤْنِسُهُ ، وَالْعِلْمَ يُوحِشُهُ) (١) .

فَإِذَا فَعَلَ الشَّيْخُ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الرَّفْقِ . . تَدْرَجَ الْمُرِيدُ بِبِرْكَةِ ذَلِكَ إِلَى
الِاتِّفَاعِ بِالْعِلْمِ ، فَيُعَامَلُ حِينَئِذٍ بِصَرِيحِ الْعِلْمِ .

وَمِنْ أَدَبِ الشُّيُوخِ : التَّعَطُّفُ عَلَى الْأَصْحَابِ ، وَقَضَاءُ حَقُوقِهِمْ فِي
الصَّحَّةِ وَالْمَرَضِ ، وَلَا يَتْرَكَ حَقُوقَهُمْ اعْتِمَاداً عَلَى إِرَادَتِهِمْ وَصَدَقِهِمْ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (لَا تُضَيِّعْ حَقَّ أَخِيكَ بِمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ) (٢) .

وَحُكِيَ عَنِ الْجُرَيْرِيِّ قَالَ : وَافَيْتُ مِنَ الْحَجِّ ، فَابْتَدَأْتُ بِالْجُنَيْدِ وَسَلَّمْتُ
عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ : حَتَّى لَا يَتَعَنَّى ، ثُمَّ أَتَيْتُ مَنْزِلِي ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ الْغَدَاةَ
التَفْتُ ؛ فَإِذَا بِالْجُنَيْدِ خَلْفِي ، فَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي ؛ إِنَّمَا ابْتَدَأْتُ بِالسَّلَامِ
عَلَيْكَ ؛ لِكَيْلَا تَتَعَنَّى إِلَى هَاهُنَا ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ؛ هَذَا حَقُّكَ ،
وَذَاكَ فَضْلُكَ (٣) .

وَمِنْ أَدَبِ الشُّيُوخِ : أَنَّهُمْ إِذَا عَلِمُوا فِي بَعْضِ الْمُسْتَرَشِدِينَ ضَعْفاً فِي
مُرَاعَةِ الثُّقُوسِ وَقَهْرِهَا وَاعْتِمَادِ صَدَقِ الْعَزِيمَةِ . . أَنْ يَرْفُقُوا بِهِ وَيُوقِفُوهُ عَلَى
حَدِّ الرُّخْصَةِ ؛ ففِي ذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ .

(١) سبق تخريجه في (٢٧٩ / ١) مسنداً عن الجنيد رحمه الله تعالى .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ١٧٧) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ
بغداد » (٤٢٤ / ٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩٠ / ٦) ، وعزَّوهُ إِلَى
أبي عبد الله الجَلَّا رحمه الله تعالى ، وسيأتي مسنداً في (٣٨٨ / ٢) مع زيادة .

(٣) رواه أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٧٣) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة »
(ص ٥٣٢) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٥٢ / ٧) .

وما دام العبد لا يتخطى حريم الرخصة . . فهو بخير ، ثم إذا ثبت وخالط
 الفقراء وتدرّب في لزوم الرخصة . . يدرّج بالرفق إلى أوطان العزيمة .
 قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان شاب يُعرف بإبراهيم الصائغ ، وكان
 لأبيه نعمة ، فانقطع إلى الصوفية ، وصحب أبا أحمد القلانسي ، فربما كان
 يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم ، فكان يشتري له الرقاق والشواء
 والحلواء ويؤثره عليه ، ويقول : هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة ،
 فيجب أن يرفق به ويؤثر عليه^(١) .

ومن أدب الشيوخ : التنزه عن مال المرید وخدمته ، والارتفاق من جانبه
 بكل وجه من الوجوه ؛ لأنه جاء الله تعالى ، فيجعل نفعه وإرشاده خالصاً
 لوجهه ، فما يُسدي الشيخ إلى المریدين من أفضل الصدقات^(٢) .

وقد ورد : « مَا تَصَدَّقَ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عِلْمٍ يَبْتَغِي فِي
 النَّاسِ »^(٣) ، وقد قال الله تعالى تنبيهاً على خلوص ما لله وحراسته من
 الشوائب : ﴿ إِنَّمَا نَطْعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ [الإنسان : ٩] .

فلا ينبغي للشيخ أن يطلب على صدقته جزاءً ، إلا أن يظهر له في شيء

(١) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٢٧٣) إلى قوله : (ويؤثره عليه) ،
 والرقاق : الخبز الرقيق .

(٢) في (أ) ونسخة على هامش (و) : (فما يُسدي من الشيخ) بدل (فما يسدي
 الشيخ) .

(٣) ولا ريب أن أشرف العلوم وأجلّها هو معرفة الله سبحانه وتعالى ، والحديث رواه
 الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٨٠ / ٧) ، وابن عدي في « الكامل » (٣٤١ / ٤) ،
 وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٧ / ١٠١-١٠٢) عن سيدنا سمرة بن جندب
 رضي الله عنه .

مِنْ ذَلِكَ عِلْمٌ يَرِدُ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ فِي قَبُولِ الرَّفْقِ مِنْهُ ، أَوْ صِلَاحٌ يَتَرَاءَى لِلشَّيْخِ فِي حَقِّ الْمُتَرِيدِ بِذَلِكَ ، فَيَكُونُ التَّلَبُّسُ بِمَالِهِ وَالْإِرْتِفَاقُ بِخِدْمَتِهِ لِمَصْلَحَةٍ تَعُودُ عَلَى الْمُتَرِيدِ ، مَأْمُونَةٍ الْغَائِلَةِ مِنْ جَانِبِ الشَّيْخِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَخُذُوا مِنْهَا ضَعْفَ النَّفْسِ ﴾ [محمد : ٣٦-٣٧] مَعْنَى (يُحْفِكُمْ) ؛ أَي : يُجْهِدْكُمْ وَيُلْخِ عَلَيْكُمْ .

قَالَ قَتَادَةُ : (عِلْمَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ فِي مَسْأَلَةِ الْمَالِ خُرُوجَ الْأَضْغَانِ)^(١) .
وَهَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، وَالْأَدَبُ أَدَبُ اللَّهِ .

قَالَ جَعْفَرُ الْخُلْدِيُّ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْجُنَيْدِ وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَالِهِ كُلَّهُ وَيَجْلِسَ مَعَهُمْ عَلَى الْفَقْرِ ، فَقَالَ لَهُ الْجُنَيْدُ : لَا تُخْرِجْ كُلَّ مَا مَعَكَ ، احْبِسْ مِنْهُ بِمِقْدَارٍ مَا يَكْفِيكَ وَأَخْرِجِ الْفَضْلَ ، وَتَقَوَّتْ بِمَا حَبَسْتَ ، وَاجْتَهِدْ فِي طَلَبِ الْحَلَالِ ، وَلَا تُخْرِجْ كُلَّ مَا عِنْدَكَ ؛ فَلَسْتُ أَمْنُ عَلَيْكَ أَنْ تُطَالِبَكَ نَفْسُكَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا تَثَبَّتَ^(٢) .

وَقَدْ يَكُونُ الشَّيْخُ يَعْلَمُ مِنْ حَالِ الْمُتَرِيدِ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الشَّيْءِ يُكْسِبُهُ مِنْ

(١) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٢٨٩١) ، وَأَوْرَدَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي « الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ » (٢١٣/٢٤) ، وَالْوَاهِدِيُّ فِي « الْوَسِيطِ » (١٣٠/٤) ، وَالْبَغَوِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٢٩١/٧) ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ : (خُرُوجِ الْمَالِ) بَدَلِ (مَسْأَلَةِ الْمَالِ) ، وَفِي بَعْضِهَا : (إِخْرَاجِ) بَدَلِ (خُرُوجِ) فِي كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّعَمِ » (ص ٢٧٤) ، وَقَوْلُهُ : (تَثَبَّتَ) كَذَا فِي النُّسخِ ، وَالْمَشْهُورُ فِي الرِّوَايَةِ - كَمَا فِي « مُسْلِمٍ » (١٤١/٧٤٦) وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : (أَثَبَّتَهُ) بِمَعْنَى : ثَبَّتَهُ وَدَاوَمَ عَلَيْهِ .

الحال ما لا يتطَلَّعُ إلى المال ؛ فحيثُ : يجوزُ له أن يفسَحَ للمُريدِ في الخروجِ مِنَ المالِ كما فسَحَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأبي بكرٍ رضي اللهُ عنه وقَبِلَ منه جميعَ مالِهِ^(١) .

وَمِنْ أدبِ الشيخِ : إذا رأى مِنْ بعضِ المُريدِينَ مكروهاً ، أو عَلِمَ مِنْ حالِهِ اغْوِجَاجاً ، أو أَحَسَّ مِنْهُ بدعوى ، أو رأى أَنَّهُ داخِلُهُ عُجْبٌ . . أَلَّا يُصَرِّحَ لَهُ بالمكروهِ ، بل يتكلَّمُ على الأصحابِ ، ويُشيرُ إلى المكروهِ الذي يعلمُ ، ويكشفُ عن وجهِ المَذْمَةِ مُجَمَّلاً ، فيحصلُ بذلكَ الفائدةُ للكلِّ ، فهذا أَقْرَبُ إلى المُدَاراةِ ، وأكثرُ أثراً لتألفِ القلوبِ .

وإذا رأى مِنَ المُريدِ تقصيراً في خِدْمَةٍ ندَبَهُ إليها . . يحملُ تقصيره^(٢) ، ويعفو عنه ، ويحرِّضُهُ على الخِدْمَةِ بالرَّفْقِ واللِّينِ ، وإلى ذلكَ ندَبَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيما :

(١٢١) - أخبرنا ضياءُ الدِّينِ عبدُ الوهَّابِ بنُ عليٍّ ، قالَ : أخبرنا أبو الفتحِ الكَرُوخيُّ قراءةً عليه ، قالَ : أخبرنا أبو نصرٍ التُّرَيْياقيُّ ، قالَ : أخبرنا أبو محمَّدٍ الجَرَّاحيُّ ، قالَ : أخبرنا أبو العباسِ المَحْبُوبِيُّ ، قالَ : أخبرنا أبو عيسى التِّرْمِذِيُّ ، قالَ : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، قالَ : حَدَّثَنَا رِشْدِينُ بنُ سعدٍ ، عن أبي هانئٍ الخَوْلانيِّ ، عن عَبَّاسِ بنِ جُلَيْدٍ الحَجَرِيِّ ، عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ رضي اللهُ عنهُما قالَ : جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه

(١) كما رواه أبو داود (١٦٧٨) ، والترمذي (٣٦٧٥) ، والدارمي (١٧٠١) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) في (ج) : (يحتمل) بدل (يحمل) ، وفي نسخة على هامش (أ) : (يتحمل) .

وسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَمْ أَغْفُو عَنْ الْخَادِمِ ؟ قَالَ : « كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ
مَرَّةً » (١) .

وأَخْلَاقُ الْمَشَايِخِ مُهَذَّبَةٌ بِحُسْنِ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِأَحْيَاءِ سُنَّتِهِ فِي كُلِّ مَا أَمَرَ وَنَدَبَ ، وَأَنْكَرَ وَأَوْجَبَ .

وَمِنْ جُمْلَةِ مَهَامِّ الْأَدَابِ : حِفْظُ أَسْرَارِ الْمُرِيدِينَ فِيمَا يُكَاشِفُونَ بِهِ
وَيُمْنَحُونَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمِنَحِ ؛ فَسِرُّ الْمُرِيدِ لَا يَتَعَدَّى رَبَّهُ وَشَيْخَهُ .

ثُمَّ يُحَقِّقُ الشَّيْخُ فِي نَفْسِ الْمُرِيدِ مَا يَجِدُهُ فِي خَلْوَتِهِ مِنْ كَشْفٍ أَوْ سَمَاعٍ
خَطَابٍ ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ ، وَيُعَرِّفُهُ أَنَّ الْوُقُوفَ مَعَ شَيْءٍ مِنْ هَذَا
يُشْغِلُ عَنِ اللَّهِ وَيَسُدُّ بَابَ الْمَزِيدِ ، بَلْ يُعَرِّفُهُ أَنَّ هَذِهِ نِعْمَةٌ تُشْكِرُ ، وَمِنْ
وَرَائِهَا نِعَمٌ لَا تُحْصَى ، وَيُعَرِّفُهُ أَنَّ شَأْنَ الْمُرِيدِ طَلَبُ الْمُنْعِمِ لَا النِّعْمَةِ ؛ حَتَّى
يَبْقَى سِرُّهُ مُحْفُوظًا عِنْدَ نَفْسِهِ وَعِنْدَ شَيْخِهِ ، وَلَا يُذِيعُ سِرَّهُ .

فَإِذَا عَظُمَ الْأَسْرَارُ مِنْ ضَيْقِ الصَّدْرِ ، وَضِيقِ الصَّدْرِ الْمَوْجِبُ لِإِذَاعَةِ السِّرِّ
يُوصَفُ بِهِ النَّسْوَانُ وَضُعْفَاءُ الْعُقُولِ مِنَ الرِّجَالِ .

وَسَبَبُ إِذَاعَةِ السِّرِّ : أَنَّ لِلْإِنْسَانِ قَوْتَيْنِ : آخِذَةً ، وَمُعْطِيَةً ، وَكِلَاهُمَا
تَشَوَّفَانِ إِلَى الْفِعْلِ الْمُخْتَصَرِّ بِهِمَا ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَّلَ الْمُعْطِيَةَ بِإِظْهَارِ
مَا عِنْدَهَا . . مَا ظَهَرَتْ الْأَسْرَارُ .

فَكَامِلُ الْعَقْلِ كُلَّمَا طَلَبَتْ الْقُوَّةُ الْفِعْلَ . . قَيَّدَهَا وَوَزَنَهَا بِالْعَقْلِ حَتَّى

(١) سنن الترمذي (١٩٤٩) ، ورواه أبو داود (٥١٦٤) ، واختلف في الراوي هل هو ابن
عمر أو ابن عمرو ، وانظر « التاريخ الكبير » (٣/٧ - ٤) ، و« غنية العارف »
(٧٣٤ / ٢) .

يضعها في مواضعها ، فيَجَلُّ حَالُ الشيوخِ عن إِذَاعَةِ الأسرارِ ؛ لِرزانَةِ
عقولِهِمْ .

وينبغي للمُريدِ أَنْ يحفظَ سِرَّهُ مِنْ زِرِّهِ ؛ ففي ذلكَ صِحَّتُهُ وسلامتُهُ ،
وتأييدُ اللَّهِ تعالى يتداركُ المُريدِينَ الصادقينَ في مَوَرِدِهِمْ وَمَصْدَرِهِمْ ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثالث والخمسون

في حقيقة الصُّحبة وما فيها من الخير والشر

المُتَقَاضِي لِلصُّحْبَةِ : وجودُ الجِنْسِيَّةِ ، وقد يدعو إليها أعمُّ الأوصافِ ،
وقد يدعو إليها أخصُّ الأوصافِ .

فالدُّعَاءُ بِأعمِّ الأوصافِ : كَمَيْلِ جنسِ البشرِ بعضهم إلى بعضٍ ، والدُّعَاءُ
بأخصِّ الأوصافِ : كَمَيْلِ أهلِ كلِّ مِلَّةٍ بعضهم إلى بعضٍ ، ثمَّ أخصُّ منْ
ذلكَ : كَمَيْلِ أهلِ الطاعةِ بعضهم إلى بعضٍ ، وكَمَيْلِ أهلِ المعصيةِ بعضهم
إلى بعضٍ .

فإذا عَلِمَ هذا الأصلُ ، وأنَّ الجاذبَ إلى الصُّحْبَةِ وجودُ الجِنْسِيَّةِ بالأعمِّ
تارةً وبالأخصِّ أخرى.. فليَتَفَقَّدِ^(١) الإنسانُ نفسه عندَ المَيْلِ إلى صُحْبَةِ
شخصٍ ، وينظرَ ما الذي يميلُ به إلى صُحْبَتِهِ ، ويَزِنَ أحوالَ مَنْ يميلُ إليه
بمِيزانِ الشرعِ .

فإنْ رأى أحواله مُسَدَّدَةً فليُبَشِّرْ نفسه بِحُسْنِ الحالِ^(٢) ؛ فقد جعله اللهُ
تعالى مِرآةً ، يلوحُ له في مِرْآةِ أخيه جمالُ حُسْنِ الحالِ .

وإنْ رأى أفعاله غيرَ مُسَدَّدَةٍ فليَرْجِعْ إلى نفسه باللائمةِ والاثِّهَامِ ؛ فقد لاحَ

(١) في (د ، هـ ، ح) : (فليفتقد) ، وهو صحيح أيضاً .

(٢) ويجوز أن تضبط العبارة أيضاً : (فلتبشِّرْ نفسه بحسن الحال) .

لَهُ فِي مِرَاةِ أَخِيهِ سُوءُ حَالِهِ ، فَبِالْجَدِيرِ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُ كِفَارِهِ مِنَ الْأُسْدِ ؛ فَإِنَّهُمَا إِذَا اصْطَحَبَا ازْدَادَا ظُلْمَةً وَاعْوَجَا جَا .

ثُمَّ إِذَا عَلِمَ مِنْ صَاحِبِهِ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ حُسْنَ الْحَالِ ، وَحَكَمَ لِنَفْسِهِ بِحُسْنِ الْحَالِ ، وَطَالَعَ ذَلِكَ فِي مِرَاةِ أَخِيهِ . . فليَعْلَمْ : أَنَّ الْمَيْلَ بِالْوَصْفِ الْأَعْمِ مَرْكُوزٌ فِي جِبِلَّتِهِ ، وَالْمَيْلَ بِطَرِيقِهِ وَاقِعٌ ، وَلَهُ بِحُسْبِهِ أَحْكَامٌ ، وَلِلنَّفْسِ بِسَبَبِهِ سُكُونٌ وَرُكُونٌ ، فَيَسْلُبُ الْمَيْلُ بِالْوَصْفِ الْأَعْمِ جَدْوَى الْمَيْلِ بِالْوَصْفِ الْأَخْصِ ، وَيَحْصُلُ بَيْنَ الْمُتَصَاحِبِينَ اسْتِرَوَاحَاتٌ طَبِيعِيَّةٌ ، وَتَلَذُّذَاتٌ جِبِلِّيَّةٌ ، لَا يُفَرِّقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ خُلُوصِ الصُّخْبَةِ لِلَّهِ إِلَّا الْعُلَمَاءُ الزَّاهِدُونَ .

وَقَدْ يَفْسُدُ الْمُرِيدُ الصَّادِقُ بِأَهْلِ الصَّلَاحِ أَكْثَرَ مِمَّا يَفْسُدُ بِأَهْلِ الْفَسَادِ^(١) .

وَوَجْهُ ذَلِكَ : أَنَّ أَهْلَ الْفَسَادِ عَلِمَ فَسَادَ طَرِيقِهِمْ فَأَخَذَ حَذَرَهُ مِنْهُمْ ، وَأَهْلَ الصَّلَاحِ غَرَّهُ صَلَاحُهُمْ فَمَالَ إِلَيْهِمْ بِجِنْسِيَّةِ الصَّلَاحِيَّةِ ، ثُمَّ حَصَلَ بَيْنَهُمْ اسْتِرَوَاحَاتٌ طَبِيعِيَّةٌ جِبِلِّيَّةٌ ، حَالَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَقِيقَةِ الصُّخْبَةِ لِلَّهِ ، فَكَتَسَبَ مِنْ طَرِيقِهِمُ الْفُتُورَ فِي الطَّلَبِ ، وَالتَّخَلُّفَ عَنْ بَلُوغِ الْأَرْبِ .

فَلْيَتَنَبَّهْ الصَّادِقُ لِهَذِهِ الدَّقِيقَةِ ، وَيَأْخُذْ مِنَ الصُّخْبَةِ أَصْفَى الْأَقْسَامِ ، وَيَذَرُ مِنْهَا مَا يَسُدُّ فِي وَجْهِ الْمَرَامِ ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ : (هَلْ رَأَيْتَ شَرًّا قَطُّ إِلَّا مَمَّنْ تَعَرَّفُ ؟ !)^(٢) .

وَلِهَذَا الْمَعْنَى أَنْكَرَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ الصُّخْبَةَ ، وَرَأَوْا فَضِيلَةَ الْعُزْلَةِ

(١) فِي غَالِبِ النُّسخِ : (يَنْفَسِدُ) بَدَلَ (يَفْسُدُ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَانْظُرْ مَا سَبَقَ تَعْلِيقًا فِي (٣٩١ / ١) .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّي فِي « الْقُوَّةِ » (٣ / ١٥٤٧) .

والوَحدة ؛ كإبراهيم بن أدهم ، وداود الطائي ، وفُضيل بن عياض ،
وسليمان الخواص^(١) .

وحكي عنه أنه قيل له : جاء إبراهيم بن أدهم ، أما تلقاه ؟

قال : لأن ألقى سبعا ضاريا أحب إلي من أن ألقى إبراهيم بن أدهم ؛

قال : لأنني إذا رأيته أحسن له كلامي ، وتظهر نفسي بإظهار أحسن أحوالها ،
وفي ذلك الفتنه .

وهذا كلام عالم بالنفس وأخلاقها ، وهذا واقع بين المتصاحبين ، إلا
من يعصمه الله .

(١٢٢) - أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي إجازة ،

قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد ، قال : أخبرنا أبو القاسم

إسماعيل بن مسعدة^(٢) ، قال : أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله بن

أحمد^(٣) ، قال : أخبرنا أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، قال :

أخبرنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق ، قال : حدثنا سليمان بن الأشعث ،

قال : حدثنا عبد الله بن مسلمة ، عن مالك ، عن عبد الرحمن بن

(١) انظر « قوت القلوب » (٣ / ١٥٤٧ - ١٥٤٨) .

(٢) هو الإمام المفتي الملقب بناقلة الإسماعيلي (ت ٤٧٧ هـ) من أحفاد الإمام الكبير
أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني رحمه الله تعالى ، وانظر « التقييد لمعرفة الأسانيد »
(ص ٢٠٤ - ٢٠٥) .

(٣) هو الإمام الفقيه المحدث الأديب أبو عمرو الرزجاني البسطامي (ت ٤٢٧ هـ) ،
والرزجاني : نسبة إلى (رزجاه) قرية من قرى بسطام ، وانظر « سير أعلام النبلاء »
(١٧ / ٥٠٤) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » (٤ / ١٥١) .

أَبِي صَعْصَعَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شِعَابَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ؛ يَفَرُّ بِدِينِهِ عَنِ الْفِتَنِ » (١) .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنْخِبَاراً عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَاعْتَزَلْكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي ﴾ [مريم : ٤٨] ؛ اسْتَظْهَرَ بِالْعُزْلَةِ عَلَى قَوْمِهِ .

قِيلَ : الْعُزْلَةُ نَوْعَانِ : فَرِيضَةٌ ، وَفَضِيلَةٌ ؛ فَالْفَرِيضَةُ : الْعُزْلَةُ عَنِ الشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَالْفَضِيلَةُ : عُزْلَةٌ عَنِ الْفُضُولِ وَأَهْلِهِ .

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : الْخَلْوَةُ غَيْرُ الْعُزْلَةِ ؛ فَالْخَلْوَةُ عَنِ الْأَغْيَارِ ، وَالْعُزْلَةُ عَنِ النَّفْسِ وَما تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَما يَشْغُلُ عَنِ اللَّهِ ؛ فَالْخَلْوَةُ كَثِيرَةُ الْوُجُودِ ، وَالْعُزْلَةُ قَلِيلَةُ الْوُجُودِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ : (ما ظَهَرَتِ الْفِتْنَةُ إِلَّا بِالْخُلْطَةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَما سَلِمَ إِلَّا مَنْ جَانَبَ الْخُلْطَةَ) .

وَقِيلَ : السَّلَامَةُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ ؛ تِسْعَةٌ فِي الصَّمْتِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْعُزْلَةِ (٢) .

وَقِيلَ : الْخَلْوَةُ أَصْلٌ ، وَالْخُلْطَةُ عَارِضٌ .

فَلْيَلْزَمْ الْأَصْلَ ، وَلَا يُخَالِطْ إِلَّا بِقَدَرِ الْحَاجَةِ ، وَإِذَا خَالَطَ لَا يُخَالِطْ إِلَّا

(١) الْعُزْلَةُ (ص ١٠) ، سَنَّ أَبُو دَاوُدَ (٤٢٦٧) ، وَرواه البخاري (١٩) وغيره ، وشعاب الجبال : أطرافها ، أو الصدوع التي فيها التي تأوي إليها الأمطار ، والمشهور في الرواية : كون (الشعاب) بالفاء ؛ أي : رؤوس الجبال .

(٢) أوردته بنحوه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣١٢) ، وعزاه إلى شقيق البلخي رحمه الله تعالى ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٨ / ١٤٢) عن حكيم من الحكماء .

بُحْجَةٍ ، وإذا خالطَ يُلَازِمُ الصمتَ ؛ فإنه أصلُ والكلامِ عارضٌ ، ولا يتكلَّمُ
إلا بِبُحْجَةٍ ؛ فخطرُ الصُّحبةِ كثيرٌ يحتاجُ العبدُ فيها إلى مَزِيدِ علمٍ .

والأخبارُ والآثارُ في التحذيرِ عن الخُلطةِ والصُّحبةِ .. كثيرةٌ ، والكتبُ
بها مشحونةٌ ، وأجمعُ الأخبارِ في ذلك ما :

(١٢٣) - أخبرنا الشيخُ الثقةُ أبو الفتحِ بإسنادهِ السابقِ إلى
أبي سليمانَ ، قالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ ، قالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
يُونُسَ الكُدَيْمِيُّ ، قالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورِ الجُشَمِيُّ ، قالَ : حَدَّثَنَا
سَلَمُ بْنُ سَالِمٍ ، قالَ : حَدَّثَنَا السَّرِيُّ بْنُ يَحْيَى ، عنِ الحسنِ ، عن
أبي الأَحْوَصِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ
وسَلَّمَ : « لَبَأْتَيْنِ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِدِينِ دِينُهُ ، إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ ، كَالثَّغْلَبِ
الَّذِي يَرُوعُ » .

قالوا : ومتى ذلك يا رسولَ اللهِ ؟

قالَ : « إِذَا لَمْ تُنَلِ الْمَعِيشَةَ إِلَّا بِمَعَاصِي اللهِ تَعَالَى ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُرُوبَةُ » .

قالوا : وكيفَ ذلك يا رسولَ اللهِ وقد أَمَرْتَنَا بالتزويجِ ؟

قالَ : « إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلَاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيْ أَبَوَيْهِ ، فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا وَلَدٌ . .
فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ .

قالوا : وكيفَ ذلك يا رسولَ اللهِ ؟

قال : « يُعَيِّرُونَهُ بِضَيْقِ الْمَعِيشَةِ ، فَيَتَكَلَّفُ مَا لَا يُطِيقُ ، حَتَّى يُورِدَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ » (١) .

وقد رَغِبَ جمعٌ من السلفِ في الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ في الله (٢) ، ورَأَوْا أَنَّ اللهَ تعالى مَنْ عَلَى أَهْلِ الْإِيمَانِ حَيْثُ جَعَلَهُمْ إِخْوَانًا ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٢-٦٣] .

وقد اخْتَارَ الصُّحْبَةَ والأُخُوَّةَ فِي اللهِ تعالى سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، وَغَيْرُهُمَا (٣) .

وفائدةُ الصُّحْبَةِ : أَنَّهَا تَفْتَحُ مَسَامَّ الْبَاطِنِ ، وَيَكْتَسِبُ الْإِنْسَانُ بِهَا عِلْمَ الْحَوَادِثِ وَالْعَوَارِضِ ؛ قِيلَ : أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْآفَاتِ أَكْثَرُهُمْ آفَاتٍ (٤) .
وَيَتَصَلَّبُ الْبَاطِنُ بِرَزِينِ الْعِلْمِ ، وَيَتِمَكَّنُ الصَّدَقُ بِطُرُوقِ هُبُوبِ الْآفَاتِ ، ثُمَّ التَّخَلُّصِ مِنْهَا بِالْإِيمَانِ .

وَيَقْعُ بِطَرِيقِ الصُّحْبَةِ والأُخُوَّةِ التَّعَاوُذُ وَالتَّعَاوُنُ ، وَتَتَقَوَّى جُنُودُ الْقَلْبِ ، وَتَسْتَرُوحُ الْأَرْوَاحُ بِالتَّشَامُّ ، وَتَتَّفَقُ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى الرِّفِيقِ الْأَعْلَى ، وَيَصِيرُ

(١) العزلة (ص ١٠) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥ / ١) من وجه آخر عن سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه إلى قوله : (ومن جُحِرَ إِلَى جُحْرٍ) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٤٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قوله : (رَغِبَ) يجوز أن يُقْرَأَ (رَغَبَ) ، وعليه : فيحتاج إلى تقدير مفعول .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١٥٤٨ / ٣) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٧ / ١٠) عن الجنيد رحمه الله تعالى .

مثالها في الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خَرَقَتِ الأجرام ، وإذا انفردت
قَصَرَتْ عن بلوغ المَرَامِ .

وَرَدَ في الخبر عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُ كَثِيرٌ
بِأَخِيهِ »^(١) .

وقال الله تعالى مُخْبِرًا عَمَّنْ لَا صَدِيقَ لَهُ ؛ فقال : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ وَلَا
صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿ [الشعراء : ١٠٠-١٠١] .

والأصلُ في الحَمِيمِ : (الهميمُ) ، أُبدِلَتِ الحاءُ بالهاء ؛ لقربِ
مَخْرَجِهِمَا ؛ إذ هما مِنْ حُرُوفِ الحَلْقِ ، والهميمُ : مأخوذٌ مِنَ الاهتمامِ ؛
أي : يهتمُّ بأمرِ أخيه ، فالاهتمامُ بِمُهمِّ الصديقِ حقيقةُ الصداقةِ^(٢) .

وقال عمرُ رضي الله عنه : (إذا رأى أحدُكم وُدًّا مِنْ أخيه . . فليتمسكْ
به ؛ فقلَّما يُصِيبُ ذلك)^(٣) .

وقد قال القائلُ^(٤) :

[من الكامل]

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ فَهُوَ الْمُرَادُ وَأَيْنَ ذَاكَ الْوَاحِدُ

(١) رواه أبو الشيخ في « أمثال الحديث » (٤٦) ، وابن عدي في « الكامل » (٢٢٥ / ٤) ،
والقضاعي في « المسند » (١٨٦) ، والديلمى في « الفردوس » (٦٦٢٥) عن سيدنا
أنس بن مالك رضي الله عنه ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٤) عن سهل بن سعد
الساعدي رضي الله عنهما ، واللفظ فيها : (المرء) بدل (المؤمن) ، وانظر « غنية
العارف » (٧٤١-٧٤٢) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١٥٤٩ / ٣) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٤٩ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٢٣ / ٤) .

(٤) أورده أبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص ١٣٥) ، والشَّريشي في
« شرح مقامات الحريري » (٢١٣ / ٢) ، وعزاه إلى وزير للمعتمد بن عباد .

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قال : يا داود ؛ ما لي أراك مُتَبَدِّلاً
وُحْدَاناً ؟ قال : إلهي ؛ قَلَيْتُ الْخَلْقَ مِنْ أَجْلِكَ .

فأوحى الله تعالى إليه : يا داود ؛ كُنْ يَقْظَاناً^(١) ، مُرْتَاداً لِنَفْسِكَ إِخْوَاناً ،
وَكُلَّ خِدْنٍ لَا يُوَافِقُكَ عَلَى مَسَرَّتِي فَلَا تَصْحَبْهُ ؛ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ يُقْسِي قَلْبَكَ ،
وَيُبَاعِدُكَ مِنِّي^(٢) .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ ؛
فَالْمُؤْمِنُ أَلْفٌ مَأْلُوفٌ »^(٣) .

وفي هذا دقِيقَةٌ ؛ وذلك أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ اخْتَارِ الْعُزْلَةَ وَالْوَحْدَةَ اللَّهُ يَذْهَبُ عَنْهُ
هَذَا الْوَصْفُ فَلَا يَكُونُ أَلْفاً مَأْلُوفاً ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْإِشَارَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْوَصْفِ . . إِشَارَةٌ إِلَى الْخُلُقِ الْجِبِلِّيِّ ، وَهَذَا الْخُلُقُ
يَكْمُلُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ أَتَمَّ مَعْرِفَةً وَيَقِيناً ، وَأَرْزَنَ عَقْلاً ، وَأَتَمَّ أَهْلِيَّةً
وَاسْتِعْدَاداً ، وَكَانَ أَوْفَرَ النَّاسِ حِظًّا مِنْ هَذَا الْوَصْفِ . . الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَوْلِيَاءُ ،
وَأَتَمُّ الْجَمِيعِ فِي هَذَا نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ .

(١) كذا في النسخ ، والقياس والفصيح : أن يكون ممنوعاً من الصرف ؛ لأنَّ مؤنثه على
(فَعْلَى) ، إلا على لغة أسد الذين جَوَّزُوا : (امرأة غضبانة) و (ملانة) و (عطشانة)
ونحوه . انظر « شرح المفصل » لابن يعيش (١٨٦ / ١) .

(٢) أورده في « القوت » (١٥٤٩ / ٣) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٤) ،
والقشيري في « الرسالة » (ص ٦١٦) من إحياء الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام .

(٣) رواه دون الجملة الأخيرة : الطبراني في « مكارم الأخلاق » (٦) ، وأصله عند
« الترمذي » (٢٠١٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً
الطبراني في « المعجم الأوسط » (٧٦٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ،
والجملة الأخيرة سبق تخريجها في (٣٦٥ / ١) .

وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَتَمَّ أَلْفَةً . . كَانَ أَكْثَرَ تَبَعًا ، وَنَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَكْثَرَهُمْ أَلْفَةً وَأَكْثَرَهُمْ تَبَعًا ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « تَنَاقَحُوا تَكْثُرُوا ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (١) .

وقد نبّه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وإنما طلبوا العزلة مع وجود هذا الوصف ، ومن كان هذا الوصف فيه أقوى وأتم . . كَانَ طَلَبُ الْعُزْلَةِ مِنْهُ أَكْثَرَ فِي الْإِبْتِدَاءِ ؛ وَلِهَذَا الْمَعْنَى حُبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَلْوَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ ، وَكَانَ يَخْلُو فِي غَارِ حِرَاءِ ، وَيَتَحَنَّنُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ (٢) .

وطلب العزلة لا يسلُب وصف كونه ألفاً مألوفاً ، وقد غلِطَ في هذا قومٌ ظنُّوا أَنَّ الْعُزْلَةَ تَسْلُبُ هَذَا الْوَصْفَ ، فَتَرَكُوا الْعُزْلَةَ طَلَباً لِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ ، وَهَذَا خَطَأٌ .

وَسِرُّ طَلَبِ الْعُزْلَةِ لِمَنْ هَذَا الْوَصْفُ فِيهِ أَتَمُّ ؛ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، ثُمَّ الْأَمْثَلِ فَالْأَمْثَلِ . . أَنَا أَسْلَفْنَا فِي أَوَّلِ الْبَابِ أَنَّ فِي الْإِنْسَانِ مِثْلًا إِلَى الْجَنَسِ بِالْوَصْفِ الْأَعْمِ (٣) ، فَلَمَّا عَلِمَ الْحُذَّاقُ ذَلِكَ أَلْهَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَحَبَّةَ الْخَلْوَةِ وَالْعُزْلَةِ ؛

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠) ، والنسائي (٦٥/٦) ، وابن حبان (٤٠٥٦) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ، وأحمد (٢٤٥/٣) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٨١/٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٧٤٣/٢) .

(٧٤٤) ، وفي بعض النسخ : (أباهي) بدل (مكاثر) ، وكلاهما مروى .

(٢) رواه البخاري (٣) ، ومسلم (١٦٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٣) انظر (٣٧٠/٢) .

لتصفية النفس عن الميل بالوصف الأعم ؛ لترتقي الهمم العالية عن ميل
الطباع إلى تألف الأرواح .

فإذا وفوا التصفية حقها اشرأبت الأرواح إلى جنسها بالتألف الأصلي
الأولي ، وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخالطتهم موصفاة ، واستنارت
النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح ، وظهرت صفة الجيلة من الألفة المكملة
آلفة مألوفة ، فصارت العزلة من أهم الأمور عند من يآلف ويؤلف ، ومن أدل
الدليل على أن الذي اعتزل آلف مألوف ؛ حتى يذهب الغلط عن الذي غلط
في ذلك وذم العزلة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصُحبة وحقيقة
العزلة ، فصارت العزلة مرغوبة في وقتها ، والصُحبة مرغوبة في وقتها (١) .

قال محمد بن الحنفية رحمه الله : (ليس بحكيم من لم يُعاشِرْ بالمعروفِ
من لا يجد من معاشرته بُدأ ، حتى يجعل الله له منه فرجاً) (٢) .

وكان بشر بن الحارث يقول : (إذا قَصَرَ العبدُ في طاعة الله . . سَلَبَهُ الله
تعالى من يؤنسُهُ) (٣) .

فالأنيس يُهَيِّئُهُ اللهُ تعالى للصادقين (٤) ؛ رفقا من الله تعالى ، وثوابا للعبد
مُعجلاً .

(١) في بعض النسخ : (مرغوباً فيها) بدل (مرغوبة) في كلا الموضعين .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الحلم » (١٠٨) ، و « مداراة الناس » (٢٠) ، والخطابي في « العزلة »
(ص ١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٧٥ / ٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٧٥١) .

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٣٨ / ١٤) ، وفيه أنه قاله عند وفاة أخته
مضغة أو مخة ، وبشر : هو الحافي الصوفي الشهير رحمه الله تعالى .

(٤) في (ب ، هـ) : (يهبه) بدل (يهيئه) .

والأنيسُ قد يكونُ مُفيداً ؛ كالمشايع ، وقد يكونُ مُستفيداً ؛ كالمُريدين .

فصحيحُ الخلوة والعزلة لا يُتركُ من غيرِ أنيسٍ ، فإن كان قاصراً يُؤنسُهُ اللهُ تعالى بمن يُتمُّ حاله به^(١) ، وإن كان غيرَ قاصرٍ يُقيضُ اللهُ تعالى له من يؤنسُهُ من المُريدين .

وهذا الأنسُ ليس فيه ميلٌ بالوصفِ الأعم ، بل هو باللهِ ومن الله وفي الله .

روى عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال : « الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، فِي رَأْسِ الْعُمُودِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ ، مُشْرِفُونَ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يُضِيءُ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : أَنْطَلِقُوا بِنَا نَنْظُرَ إِلَى الْمُتَحَابِّينَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا أَشْرَفُوا عَلَيْهِمْ أَضَاءَ حُسْنُهُمْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُندُسٍ خَضِرٌ ، مَكْتُوبٌ عَلَى جِبَاهِهِمْ : هَؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(٢) .

وقال أبو إدريسَ الخولانيُّ لمُعَاذٍ رضي اللهُ عنه : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ تعالى ، فقالَ له : أَبَشِرْ ثُمَّ أَبَشِرْ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقُولُ : « تُنْصَبُ لِبَاطِنَةِ مَنْ النَّاسُ كِرَاسِي حَوْلَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلَا يَفْزَعُونَ ، وَيَخَافُ النَّاسُ وَلَا

(١) في نسخة على هامش (ح) : (صادقاً) بدل (قاصراً) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٢٣٦) ، وأبو يعلى كما في « المقصد العلي »

(١٠٤٢) ، وابن عدي في « الكامل » (٧٥ / ٣) ، وابن شاهين في « الترغيب في

فضائل الأعمال » (٤٩٩) .

يَخَافُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

فقيل : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قال : « هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »^(١) .

وروى عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ »^(٢) .

(١٢٤) - أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي إجازة ، قال :

أخبرنا أحمد بن الحسن بن خيرون^(٣) ، قال : أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله المحاملي ، قال : أخبرنا أبو القاسم عمر بن جعفر بن محمد بن سلم ، قال : أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي ، قال : حدثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ » ، قالوا : وما هو ؟ قال : « إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبُغْضَةَ ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ »^(٤) .

(١) سبق تخريجه في (٩٣ / ٢) .

(٢) رواه أحمد (٣٢٨ / ٥) ، والحاكم (١٧٠ / ٤) ، ورواه مالك (٩٥٣ / ٢) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٤٧٧ / ١) .

(٣) في النسخ ما عدا (ح) : (الحسين) بدل (الحسن) ، والمثبت موافق لـ « سير أعلام النبلاء » (١٠٥ / ١٩) .

(٤) أسنده من طريق إبراهيم الحربي في « غريب الحديث » ، كما في « غنية العارف » (٧٤٨ / ٢) ، ورواه مالك (٩٠٤ / ٢) ، وابن المبارك في « الزهد » (٧٣٨) .

(١٢٥) - وبإسناد إبراهيم الحزبي ، عن عبيد الله بن عمر ، عن أبي أسامة ، عن عبد الله بن الوليد ، عن عمران بن رباح قال : سمعت أبا مسلم يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول . . . الخبر^(١) .

وفي الخبر تحذير عن البغضة ؛ وهو أن يجفوَ المتخلى الناس مقتاً لهم وسوء ظن بهم ، وهذا خطأ .

وإنما يريد أن يخلو ؛ مقتاً لنفسه ، وعِلماً بما في نفسه من الآفات ، وحذراً على نفسه من نفسه ، وعلى الخلق أن يعود عليهم من شره .
فمن كانت خلوته بهذا الوصف . . لا يدخل تحت هذا الوعيد .

والإشارة بالحالقة ؛ يعني : أن البغضة حالقة للدين ؛ لأنه ينظر إلى المؤمنين والمسلمين بعين المقت .

(١٢٦) - وأخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح بإسناده إلى إبراهيم الحزبي ، قال : حدّثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدّثنا أبو عاصم ، عن ثور ، عن خالد بن معدان قال : (إن الله تعالى ملكاً نصفه من نار ، ونصفه من ثلج ، وإن من دعائه : اللهم ؛ فكما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار ؛ فلا الثلج يطفى النار ، ولا النار تذيب الثلج . . ألفت بين قلوب عبادك الصالحين)^(٢) .

(١) أسنده من طريق إبراهيم الحزبي في « غريب الحديث » ، كما في « غنية العارف » (٧٤٨/٢) ، ورواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٠) ، والترمذي (٢٥٠٨) ، والمعروف في الباب حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه الذي رواه أبو داود (٤٩١٩) ، والترمذي (٢٥٠٩) ، وأحمد (٤٤٤/٦ - ٤٤٥) ، وابن حبان (٥٠٩٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢١٤/٥) ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٣٣) =

وكيف لا تتألف قلوب الصالحين وقد وجدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقته العزيز بقاب قوسين ، في وقت لا يسعه فيه شيء للطف حال الصالحين ، وجدهم في ذلك المقام العزيز ، وقال : « السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ » ؟ (١) .

فهم مجتمعون وإن كانوا متفرقين ، وصُحبتهم لازمة ، وعزيمتهم في التواصل في الدنيا والآخرة جازمة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل وتصدق وجاهد ولم يُحب في الله ولم يُغض في الله . ما نفعه ذلك) (٢) .

(١٢٧) - أخبرنا رضي الدين أحمد بن إسماعيل بن يوسف إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا أبو المظفر ، عن والده أبي القاسم القشيري ، قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت عبد الله ابن المعلم يقول : سمعت أبا بكر الطمستاني يقول : (اصحبوا مع الله ، فإن لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ؛ لتوصلكم بركة صحبتهم إلى صحبة الله عز وجل) (٣) .

= مرفوعاً عن سيدنا معاذ والعرباض بن سارية رضي الله عنهما ، وعزاه في « كنز العمال » (١٥١٧٤) إلى الديلمي من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١) رواه البخاري (٨٣١) ، ومسلم (٤٠٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨ / ٣) عن سيدنا عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، والغزالي في « الإحياء » (٢٠ / ٤) عن ابنه فقط .

(٣) الرسالة القشيرية (ص ٦١٦) .

(١٢٨) - وأخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب الشهرزدي رحمه الله

عليه^(١) ، قال : أخبرنا عمر بن أحمد بن الصفار النيسابوري^(٢) ، قال :
أخبرنا أبو بكر أحمد بن خلف ، قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي ،
قال : سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول : سمعت أبا جعفر الحداد يقول :
سمعت علي بن سهل يقول : (الأنس بالله : أن تستوحش من الخلق ، إلا
من أهل ولاية الله ؛ فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله)^(٣) .

وقد نبه القائل نظماً على حقيقة جامعة لمعاني الصُحبة والخلوة
وفائدتهما وما يُحذرُ فيهما . . بقوله^(٤) :

وَخَدَةُ الْإِنْسَانِ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ عِنْدَهُ
وَجَلِيسُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْ قُودِ الْمَرْءِ وَخَدَهُ^(٥)



(١) زاد في (ب ، هـ) : (إجازة) .

(٢) زاد في (ط) : (إجازة) .

(٣) طبقات الصوفية (ص ٢٣٥) ، ورواه من طريقه البيهقي في « الشعب » (٤٤٥) .

(٤) أورد البيتين الثعالبى في « اللطائف والظرائف » (ص ١٢٧) ، ونسبهما إلى
أبي العتاهية ، وأبو حيان التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص ٣٠٩) ، ونسبهما
إلى عبيد الله ابن طاهر .

(٥) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) ، وفيه : (بلغ سماع الجماعة في الخامس والثلاثين
على الشيخ أمين الدين ، بقراءة كاتبه عبد السلام) .

الباب الرابع والخمسون

في أداء حقوق الصَّحبة والأخوة في الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر : ٣] ^(١) .

وقال تعالى في وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

كلُّ هذه الآيات تنبيهٌ من الله تعالى الكريم للعباد على أداء حقوق الصَّحبة .

فمن اختار صُحبةً وأخوةً . . فادِّبُهُ في أوَّلِ ذلك : أن يُسَلِّمَ نَفْسَهُ وصاحبه إلى الله تعالى بالمسألة والدُّعاء والتضرُّع ، ويسأل البركة في الصَّحبة ؛ فإنه يفتح على نفسه بذلك إمَّا باباً من أبواب الجنَّة ، وإمَّا باباً من أبواب النار .

فإن كان الله تعالى يفتح بينهما خيراً . . فهو بابٌ من أبواب الجنَّة ؛ قال الله تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

وقيل : إنَّ أحدَ الأخوين في الله تعالى يُقالُ له : ادْخُلِ الجنَّةَ ، فيسأل

(١) في (ب ، د ، هـ ، ي) : (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) .

عن منزل أخيه ، فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يُعطى أخوه مثل منزله^(١) ، فإن قيل له : لم يكن يعمل مثل عمك . . فيقول : إني كنت أعمل لي وله ، فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ، ويرفع أخوه إلى درجته^(٢) .

وإن فتح الله تعالى عليهما بالصُّحبة شراً . . فهو بابٌ من أبواب النار ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ * يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿ [الفرقان : ٢٧ - ٢٨] ، وإن كانت الآية وردت في قصّة مشهورة ، ولكن الله تعالى تنبيهٌ في ذلك لعباده على الحذر من كل خليلٍ يقطع عن الله .

واختيار الصُّحبة والأخوة اتفاقاً من غير نيّة في ذلك وتثبت في أوّله . . شأن أرباب الغفلة الجاهلين بالنيّات والمقاصد ، والمنافع والمضار ، وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له : (وهل يُفسدُ الناسَ إلا الناسُ !؟)^(٣) .

فالفساد بالصُّحبة مُتَوَقَّعٌ ، والصّلاح مُتَوَقَّعٌ ، وما هذا سبيله كيف لا يُحذر في أوّله ، ويُحكّم الأمر فيه بكثرة اللّجأ إلى الله تعالى ، وصدق الافتقار ، وسؤال البركة والخيرة في ذلك ، وتقديم صلاة الاستخارة !؟ ثم إن اختيار الصُّحبة والأخوة عملٌ ، وكلُّ عملٍ يحتاج إلى النيّة وإلى حُسن الخاتمة .

(١) في بعض النسخ : (منزلته) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (٣ / ١٥٥٠ - ١٥٥١) ، و« الدر المنثور » (٧ / ٣٨٨ - ٣٨٩) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « العزلة والانفراد » (٨) ، و« مداراة الناس » (١٢٦) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الخبر الطويل : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى . . . » ؛ فَمِنْهُمْ اثنانِ تحابَّا في الله ، فعاشا على ذلك وماتا عليه^(١) ، إشارة إلى أنَّ الأُخُوَّةَ والصُّحْبَةَ مِنْ شَرِطِهَا حُسْنُ الخاتمةِ حتى يُكْتَبَ لهما ثوابُ المؤاخاةِ ، ومتى أَفْسَدَ المؤاخاةَ بتضييعِ الحقوقِ فيه . . فسَدَ العملُ مِنَ الأوَّلِ .

قيل : ما حَسَدَ الشَّيْطَانُ مُتَعَاوِنِينَ على بَرٍّ . . حَسَدَهُ مُتَاخِيَيْنِ في الله مُتَحَابِّينِ فيه ؛ فَإِنَّهُ يَجْهَدُ نَفْسَهُ وَيَحُثُّ قَبِيلَهُ على إِفْسَادِ ما بَيْنَهُمَا^(٢) .

وكان يقولُ الْفُضَيْلُ رحمه الله : (إِذَا وَقَعَتِ الْغِيَّةُ ارْتَفَعَتِ الْأُخُوَّةُ)^(٣) .

والأُخُوَّةُ في الله تَعَالَى مُوَاجَهَةٌ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَلِّبِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧] ، ومتى أَضْمَرَ أَحَدُهُمَا لِلآخِرِ سُوءًا ، أو كَرِهَ مِنْهُ شَيْئًا ولم يُنَبِّهْ عليه حتى يُزِيلَهُ أو يتسبَّبَ إلى إِزَالَتِهِ مِنْهُ . . فما واجهَهُ ، بل استدبرَهُ .

قالَ الْجُنَيْدُ رحمه الله عليه : (ما تواخى اثنانِ في الله واستوحشَ أَحَدُهُمَا مِنْ صاحِبِهِ . . إلا لَعَلَّةٍ في أَحَدِهِمَا)^(٤) .

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ، ومسلم (١٠٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥١ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٢٥ / ٤) ، ولفظ « القوت » : (العدو) بدل (الشيطان) .

(٣) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في « التوبيخ والتنبية » (١٨٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٩٦ / ٨) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٦ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٣٢ - ١٣١ / ٤) .

فالمُواخَاةُ فِي اللَّهِ أَضْفَى مِنَ الْمَاءِ الزُّلَالِ ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَالَهُ مُطَالِبٌ
بِالْصَّفَاءِ فِيهِ ، وَكُلُّ مَا صَفَا دَامَ ، وَالْأَصْلُ فِي دَوَامِ صِفَائِهِ عَدَمُ الْمُخَالَفَةِ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُمَارِ أَخَاكَ ، وَلَا تُمَارِضْهُ ،
وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفْهُ » (١) .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ : صَحِبْتُ الصُّوفِيَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً ، مَا وَقَعَ بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ خِلَافٌ ، فَقِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي كُنْتُ مَعَهُمْ عَلَى
نَفْسِي (٢) .

(١٢٩) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّفَّارُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ أَحْمَدُ
ابْنُ خَلْفٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ
مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الدَّمَشْقِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ
أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَلَّا يَقُولُ وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ : عَلَى أَيِّ شَرِطٍ أَصْحَبُ الْخَلْقَ ؟
فَقَالَ : إِنْ لَمْ تَبَرِّهُمْ فَلَا تُؤْذِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ تَسَرِّهُمْ فَلَا تَسُوَّهُمْ (٣) .

(١٣٠) - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : (لَا تُضَيِّعْ حَقَّ أَخِيكَ بِمَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَالصَّدَاقَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ حُقُوقًا ،
لَمْ يُضَيِّعْهَا إِلَّا مَنْ لَمْ يُرَاعِ حُقُوقَ اللَّهِ عَلَيْهِ) (٤) .

(١) سبق مسنداً في (٨٣/٢ - ٨٤) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص ١٧٦) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
(ص ٢٦٦) .

(٣) طبقات الصوفية (ص ١٧٧) .

(٤) سبق تخريجه في (٣٦٤/٢) .

وَمِنْ حَقَقِ الصُّحْبَةِ : أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ فُرْقَةٌ وَمُبَايَنَةٌ لَا يَذْكُرُ
أَخَاهُ إِلَّا بِخَيْرٍ .

قِيلَ : كَانَ لِبَعْضِهِمْ زَوْجَةٌ ، وَكَانَ يَعْلَمُ مِنْهَا مَا يَكْرَهُهُ ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ
اسْتِخْبَارًا عَنْ حَالِهَا ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ فِي أَهْلِهِ إِلَّا
خَيْرًا .

فَفَارَقَهَا وَطَلَّقَهَا ، فَاسْتُخْبِرَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : امْرَأَةٌ بَعُدَتْ عَنِّي وَلَيْسَتْ
مَنِّي بِشَيْءٍ ، كَيْفَ أَذْكُرُهَا ؟!

وَهَذَا مِنَ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يُظْهِرُ الْجَمِيلَ ، وَيَسْتُرُ
الْقَبِيحَ .

وَإِذَا وُجِدَ مِنْ أَحَدِهِمَا مَا يُوجِبُ التَّقَاطُعَ . . . فَهَلْ يُبْغِضُهُ أَوْ لَا ؟ اخْتَلَفَ
الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ :

كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَقُولُ : (إِذَا انْقَلَبَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَبْغَضُهُ مِنْ حَيْثُ
أَحَبَّهُ)^(١) .

وَقَالَ غَيْرُهُ : لَا يُبْغِضُ الْأَخُ بَعْدَ الصُّحْبَةِ ، وَلَكِنْ يُبْغِضُ عَمَلُهُ ؛ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ فَإِنْ عَصَاكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
[الشعراء : ٢١٦] ، وَلَمْ يَقُلْ : (إِنِّي بَرِيٌّ مِنْكُمْ)^(٢) .

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء »
(١١٠ / ٤) ، وقوله : (أَبْغِضُهُ . . .) كذا ضبطت العبارة في غالب النسخ ، وضبطت
في (و) : (أَبْغِضُهُ مِنْ حَيْثُ أَحَبَّهُ) .

(٢) انظر « قوت القلوب » (١٥٥٨ / ٣) ، و« إحياء علوم الدين » (١١٤ / ٤) ، ورجح =

وقيل : كَانَ شَابٌ يُلَازِمُ مَجْلِسَ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يُمَيِّزُهُ عَلَى غَيْرِهِ ، فَابْتَلَى الشَّابَّ بِكَبِيرَةٍ مِنَ الْكِبَائِرِ ، وَانْتَهَى إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَا كَانَ مِنْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ أَبْعَدْتَهُ وَهَجَرْتَهُ ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! لَا يُتْرَكُ الصَّاحِبُ لشيءٍ كَانَ مِنْهُ^(١) .

قِيلَ : الصَّدَاقَةُ لُحْمَةٌ كُلُّحِمَةِ النَّسَبِ^(٢) .

وقيلَ لحكيم مرّةً : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ أَخُوكَ أَوْ صَدِيقُكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي إِذَا كَانَ صَدِيقِي^(٣) .

وهذا الخلافُ في المُفَارَقَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا .

وَأَمَّا فِي الْمُلَازِمَةِ بَاطِنًا إِذَا وَقَعَتِ الْمُبَايَنَةُ ظَاهِرًا .. فَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ ، وَلَا يُطْلَقُ الْقَوْلُ فِيهِ إِطْلَاقًا مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ .

فَمِنْ النَّاسِ مَنْ كَانَ تَغْيِيرُهُ رَجُوعًا عَنِ اللَّهِ ، وَظَهَرَ حَكْمُ سُوءِ السَّابِقَةِ ، فَيَجِبُ بَغْضُهُ وَمُوَافَقَةُ الْحَقِّ فِيهِ .

= الإمام الغزالي هذا القول ؛ فقال : (وهذا التحقيق ؛ وهو أَنَّ الصداقة لُحْمَةٌ كُلُّحِمَةِ النَّسَبِ ، وَالْقَرِيبُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُهَجَرَ بِالْمَعْصِيَةِ) .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨/٣) ، ومختصراً الغزالي في « الإحياء » (١١٥/٤) ، وفي بعض النسخ : (لا نترك) بدل (لا يُترك) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨/٣) ، وانظر « الإحياء » (١١٤/٤) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٥٨/٣) ، وفيه : (وقيل لحكيم بن مرة)

بدل (وقيل لحكيم مرة) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٦٤) ، وعزاه إلى

خالد بن صفوان ، وأورده الماوردي في « أدب الدين والدنيا » (ص ٢٤٧) ، وعزاه إلى

بعض قريش ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١٤٨/١) ، وعزاه إلى

عبد الحميد الكاتب .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ كَانَ تَغْيِيرُهُ عَثْرَةً حَدَثَتْ وَفْتَرَةً وَقَعَتْ يُرْجَى عَوْدُهُ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُبْغَضَ ، وَلَكِنْ يُبْغَضُ عَمَلُهُ فِي الْحَالَةِ الْحَاضِرَةِ ، وَيُلْحَظُ بَعِيْنُ الْوُدِّ مُنْتَظِرًا لَهُ الْفَرْجُ وَالْعَوْدُ إِلَى أَوْطَانِ الصُّلْحِ .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا شَتَمَ الْقَوْمَ الرَّجُلَ الَّذِي أَتَى بِفَاحِشَةٍ . . قَالَ : « مَهْ » ، وَزَبَرَهُمْ ، وَقَالَ : « لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ » (١) .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ : (لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ ، وَلَا تَهْجُرْهُ عِنْدَ الذَّنْبِ يُذْنِبُهُ ؛ فَإِنَّهُ يَرْكَبُهُ الْيَوْمَ وَيَتْرَكُهُ غَدًا) (٢) .

وَفِي الْخَبَرِ : « اتَّقُوا زَلَّةَ الْعَالِمِ وَلَا تَقْطَعُوهُ ، وَأَنْتَظِرُوا فَيْتَتَهُ » (٣) .

وَرُوِيَ أَنَّ عَمْرَ بْنَ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ عَنْ أَخٍ لَهُ كَانَ أَخَاهُ فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ بَعْضَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ أَخِي ؟ فَقَالَ لَهُ : ذَاكَ أَخُوكَ الشَّيْطَانُ (٤) .

قَالَ لَهُ : مَهْ ، قَالَ : إِنَّهُ قَارَفَ الْكِبَائِرَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْخَمْرِ (٥) .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٧٨١) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَزَبَرَهُمْ : زَجَرَهُمْ وَنَهَرَهُمْ .

(٢) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ فِي « الْقُوتِ » (٣ / ١٥٥٩) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ » (١١٠ / ٤) .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي « الْكَامِلِ » (٧ / ١٩٢) ، وَابِيهَقِيٍّ فِي « السِّنَنِ الْكَبِيرِ » (١٠ / ٢١١) ، وَالدَّيْلَمِيُّ فِي « الْفَرْدُوسِ » (٣٠٨) عَنْ سَيِّدِنَا عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمَزْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٤) فِي نَسْخَةٍ عَلَى هَامِشٍ (أ) : (أَخ) بَدَلَ (أَخُوكَ) ، وَهِيَ رَوَايَةُ « الْقُوتِ » .

(٥) فِي (ب ، د) : (قَارَبَ) بَدَلَ (قَارَفَ) ، وَفِي (هـ) : (قَارَنَ) .

فَقَالَ : إِذَا أُرِدْتَ الْخُرُوجَ فَأَذِّنِي ، قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ : ﴿ حَم * تَنْزِيلُ
الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [غافر : ١-٣] ،
ثُمَّ عَاتَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَذَلَهُ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ بَكَى ، وَقَالَ : صَدَقَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ وَنَصَحَ عَمْرُ^(١) ، فَتَابَ وَرَجَعَ^(٢) .

وَرُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى ابْنَ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
يَلْتَفُتُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَحْبَبْتُ رَجُلًا فَأَنَا أَطْلُبُهُ
وَلَا أَرَاهُ .

فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ؛ إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا فَاسْأَلْهُ عَنِ اسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ وَعَنْ
مَنْزِلِهِ ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عُدَّتْهُ ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا أَعَنَّتْهُ »^(٣) .

وَكَانَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (مَا اخْتَلَفَ رَجُلٌ إِلَى مَجْلِسِي
ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ تَكُونُ لَهُ ، فَعَلِمْتُ مَا مَكَافَأَتُهُ فِي الدُّنْيَا)^(٤) .

وَكَانَ يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ : (لِمَجْلِسِي عَلِيٍّ ثَلَاثٌ : إِذَا دَنَا رَحَّبْتُ
بِهِ ، وَإِذَا حَدَّثَ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ ، وَإِذَا جَلَسَ أَوْسَعْتُ لَهُ)^(٥) .

(١) ضبط في (هـ ، ح) : (ونصح عمر) ، فهو معطوف على لفظ الجلالة .

(٢) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٩٧/٤) ، ولفظه في « القوت » (١٥٥٩/٣) ،
و« الإحياء » (١١١/٤) .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٧٧٢) ، وتمام في « فوائده » (١٤١٤) ،
وأبو نعيم في « الحلية » (١٩٧/٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٦٠٧) .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٦٠/٣) .

(٥) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٧/٢١) ، وأورده ابن عبد ربه في « العقد
الفريد » (٢٦٦/٢) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (١٥٦١/٣) .

وَيُعَلِّمُ خُلُوصَ الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى : بَأَلَّا يَكُونَ فِيهَا شَائِبَةٌ حَظًّا عَاجِلٍ مِنْ رَفَقٍ أَوْ إِحْسَانٍ ؛ فَإِنَّ مَا كَانَ مَعْلُولًا يَزُولُ بِزَوَالِ عِلَّتِهِ ، وَمَنْ لَا يَسْتَنْدُ فِي خُلَّتِهِ إِلَى عِلَّةٍ يُحْكَمُ بِدَوَامِ خُلَّتِهِ .

وَمِنْ شَرْطِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ : إِيْثَارُهُ الْأَخَ بِكُلِّ مَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ ؛ أَي : لَا يَحْسُدُونَ إِخْوَانَهُمْ عَلَى مَالِهِمْ .

وَهَذَانِ الْوَصْفَانِ بِهِمَا يَكْمُلُ صِفَةُ الْمَحَبَّةِ ؛ أَحَدُهُمَا : انْتِزَاعُ الْحَسَدِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ، وَالثَّانِي : الْإِيْثَارُ بِالْمَقْدُورِ .

وَفِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، وَلَا خَيْرَ لَكَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ مَا يَرَى لِنَفْسِهِ » ^(١) .

وَكَانَ يَقُولُ أَبُو مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدُ : إِخْوَانِي كُلُّهُمْ خَيْرٌ مِنِّي ، قِيلَ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : كُلُّهُمْ يَرَى لِي الْفَضْلَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ فَضَّلَنِي عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .

وَلِبَعْضِهِمْ نَظْمًا ^(٢) :

[من المتقارب]

(١) رَوَاهُ الْقُضَاعِيُّ فِي « الْمُسْنَدِ » (٩٠٧) عَنْ سَيِّدِنَا سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَرَوَاهُ دُونُ قَوْلِهِ : (وَلَا خَيْرَ لَكَ . . .) أَبُو دَاوُدَ (٤٨٣٣) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٣٧٨) ، وَأَحْمَدُ (٣٠٣ / ٢) ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (٧٥٩ / ٢) .

(٢) أورد البيهقي الأنباري في « نزهة الألباء » (ص ٢٦٩) ، وياقوت الحموي في « معجم =

تَذَلُّ لِمَنْ إِنْ تَذَلَّ لَهُ يَرَى ذَاكَ لِلْفَضْلِ لَا لِلْبَلَاءِ
وَجَانِبُ صَدَاقَةٍ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ يَرَى الْفَضْلَ لَهُ^(١)



= الأدباء » (١٣٩١ / ٣) ، وعزواهما إلى ابن الفتى الحلواني النحوي ، وأبو طالب المكي في « القوت » (١٥٦٣ / ٣) ، وعزاه إلى محمد بن جامع الفقيه ، والراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (١٩ / ٢) ، وعزاه إلى جحظة البرمكي ، وفي نسبه إلى ابن الفتى نَظَرُ ؛ لأن ولادته بعد وفاة صاحب « القوت » ، والله تعالى أعلم .
(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب الخامس والخمسون

في آداب الصَّحبة والأخوة

سُئِلَ أَبُو حَفْصٍ عَنْ أَدَبِ الْفُقَرَاءِ فِي الصُّحْبَةِ ، فَقَالَ : حَفِظْ حُرْمَاتِ الْمَشَايِخِ ، وَحَسِّنُ الْعِشْرَةَ مَعَ الْإِخْوَانِ ، وَالنَّصِيحَةَ لِلْأَصَاغِرِ ، وَتَرَكُ صُحْبَةَ مَنْ لَيْسَ فِي طَبَقَتِهِمْ ، وَمُلَازِمَةَ الْإِثَارِ ، وَمُجَانِبَةَ الْإِدَّخَارِ ، وَالْمُعَاوَنَةَ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا^(١) .

فَمِنْ أَدَبِهِمْ : التَّغَافُلُ عَنْ زَلَلِ الْإِخْوَانِ ، وَالنُّصْحُ فِيمَا تَجِبُ فِيهِ النَّصِيحَةُ ، وَكَتْمُ عَيْبِ صَاحِبِهِ ، وَإِطْلَاعُهُ عَلَى عَيْبٍ يَعْلَمُ مِنْهُ ؛ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي)^(٢) .

وهذا فيه مصلحةٌ كُلِّيَّةٌ ؛ أَنْ يَكُونَ لِلشَّخْصِ مَنْ يُنَبِّهُهُ عَلَى عَيْبِهِ .

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ : قَالَ لِي مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ : قُلْ لِي فِي وَجْهِ مَا أَكْرَهُ ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْصَحُ أَخَاهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ فِي وَجْهِهِ مَا يَكْرَهُهُ^(٣) .

(١) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ١٢١) .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٢٩٣ / ٣) ، والبلاذري في « أنساب الأشراف » (٣٤٥ - ٣٤٦) .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٨٦ / ٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦٥ / ٦١) .

فَإِنَّ الصَّادِقَ يُحِبُّ مَنْ يَصْدُقُهُ ، وَالكَاذِبَ لَا يُحِبُّ النَّاصِحَ ؛ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٩] .

وَالنَّصِيحَةُ مَا كَانَتْ فِي السِّرِّ .

وَمِنْ أَدَبِ الصُّوفِيَّةِ : الْقِيَامُ بِخِدْمَةِ الْإِخْوَانِ ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى مِنْهُمْ ؛
فَبِذَلِكَ يَظْهَرُ جَوْهَرُ الْفَقِيرِ .

رَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بِقَلْعِ مِيزَابٍ كَانَ فِي دَارِ
الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِلَى الطَّرِيقِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ :
قَلَعْتَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضَعَهُ بِيَدِهِ ؟ ! فَقَالَ : إِذَا
لَا يَرُدُّهُ إِلَى مَكَانِهِ غَيْرُ يَدِكَ ، وَلَا يَكُونُ لَكَ سُلْمٌ غَيْرُ عَاتِقِ عُمَرَ ، فَأَقَامَهُ عَلَى
عَاتِقِهِ ، وَرَدَّهُ إِلَى مَوْضِعِهِ (١) .

وَمِنْ أَدَبِهِمْ : أَلَّا يَرَوْنَ لِنَفْسِهِمْ مِلْكَاً يَخْتَصُّونَ بِهِ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ : (كُنَّا لَا نَصْحَبُ مَنْ يَقُولُ : نَعْلِي) .

(١٣١) - أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ رَضِيُّ الدِّينِ ، عَنْ أَبِي الْمُظَفَّرِ ، عَنْ وَالِدِهِ
أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا حَاتِمٍ الصُّوفِيَّ قَالَ :
سَمِعْتُ أَبَا نَصْرِ السَّرَّاجَ يَقُولُ ذَلِكَ (٢) .

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ الْقَلَانِسِيِّ : دَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ يَوْمًا

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٢١٠ / ١) ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي « الْمَصْنَفِ » (١٥٢٦٤) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي
« الْمَعْرِفَةِ وَالتَّارِيخِ » (٥١١ / ١) ، وَقَوْلُهُ : (بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ) وَهَمْ ؛ فَإِنَّ الْقِصَّةَ
وَقَعَتْ بِالْمَدِينَةِ وَالدَّارِ بِهَا ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ الْعَارِفِ » (٧٦٣ / ٢) .

(٢) الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ (ص ٦١٢) ، وَلَمْ يَسْنِدْهُ ، وَانْظُرْ « اللَّامِعُ » (ص ٢٣٢ ، ٢٣٤) .

بالبصرة ، فَأَكْرَمُونِي وَبَجَّلُونِي ، فقلتُ يوماً لبعضِهِمْ : أينَ إِزَارِي ؟ فسقطتُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ^(١) .

وكانَ إِبراهيمُ بْنُ أَدهمَ رَحِمَهُ اللهُ إِذا صَحِبَهُ إِنسانٌ شارطَهُ على ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : أَنْ تكونَ الخِدْمَةُ والأَذَانُ لَهُ ، وَأَنْ تكونَ يَدُهُ في جَمِيعِ ما يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِمِ مِنَ الدُّنْيَا كَيْدِهِ .

فقالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحابِهِ : أَنَا لا أَقْدِرُ على هَذَا ، فقالَ : أَعْجَبَنِي صِدْقُكَ^(٢) .

وكانَ إِبراهيمُ بْنُ أَدهمَ يَنْظُرُ البِساتينَ ، وَيَعْمَلُ في الحِصَادِ ، وَيُنْفِقُ على أَصْحابِهِ^(٣) .

وكانَ مِنْ أَخْلاقِ السَّلَفِ : أَنَّ كُلَّ مَنْ احتاجَ إِلى شَيْءٍ مِنْ مالِ أَخِيهِ اسْتَعْمَلَهُ مِنْ غَيْرِ مُؤامَرَةٍ ؛ قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] ؛ أَيَ : مُشاعٍ هُمْ فِيهِ سِواءٌ .

(١) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٣٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٤١ / ١٠) ، وأسند القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٢) إلى أبي حاتم عن السَّراج عن القلانسي ، ومعلومٌ أَنَّ ثمة انقطاعاً بين السَّراج والقلانسي ، ويحتملُ أَنَّ العبارة : (سمعت أبا نصر السَّراج يقول : قال أبو أحمد بن القلانسي) ، كما في « الرسالة » ، والله تعالى أعلم .

(٢) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٣٦) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٢٦٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦١٣) ، ورواه مُتَّفَرِّقاً أبو نعيم في « الحلية » (٢٨ ، ٦ / ٨) .

(٣) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٣٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦١٣) .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ : أَنَّهُمْ إِذَا اسْتَقْلُوا صَاحِباً يَتَّهَمُونَ نَفْسَهُمْ ، وَيَتَسَبَّبُونَ إِلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ مِنْ بَوَاطِنِهِمْ ؛ لِأَنَّ انْطَوَاءَ الضَمِيرِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ لِلْمُصَاحِبِ . . وَلِجَعَةٍ فِي الصُّحْبَةِ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْكَتَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : صَحِبَنِي رَجُلٌ وَكَانَ عَلَى قَلْبِي ثَقِيلاً ، فَوَهَبْتُ لَهُ شَيْئاً بَنِيَّةً أَنْ يَزُولَ ثِقْلُهُ مِنْ قَلْبِي ، فَلَمْ يَزُلْ ، فَخَلَوْتُ بِهِ يَوْمًا وَقُلْتُ لَهُ : ضَعُ رِجْلَكَ عَلَى خَدِّي ، فَأَبَى ، فَقُلْتُ لَهُ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَزَالَ مَا كُنْتُ أَجِدُهُ فِي بَاطِنِي ، قَالَ الدُّقِّيُّ : قَصَدْتُ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ حَتَّى سَأَلْتُ الْكَتَّانِيَّ عَنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ (١) .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ : تَقْدِيمُ مَنْ يَعْرِفُونَ فَضْلَهُ ، وَالتَّوَسُّعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ ، وَالْإِيثَارُ بِالْمَوْضِعِ .

رُويَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ جَالِسًا فِي صُفَّةٍ ضَيِّقَةٍ ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ مِنَ الْبَدْرِيِّينَ فَلَمْ يَجِدُوا مَوْضِعًا يَجْلِسُونَ فِيهِ ، فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَجَلَسُوا مَكَانَهُمْ ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ اأَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا . . . ﴾ الْآيَةُ [المجادلة : ١١] (٢) .

وَحِكْيَى : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ بُنْدَارٍ الصُّوفِيَّ وَرَدَ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفِيفٍ زَائِرًا ،

(١) رواه أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٣٦) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٣) ، إلا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ الدُّقِّيِّ آخِرًا .

(٢) عزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٨/ ٨٢) إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مَرْسَلًا عَنْ مِقَاتِلِ بْنِ حَيَّانٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَوْرَدَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي « الْوَسِيطِ » (٤/ ٢٦٥) ، وَالْبَغَوِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٨/ ٥٧) .

فَتَمَاشِيَا ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : تَقَدَّمَ ، فَقَالَ : بَأْيِي عُذْرِي ؟ فَقَالَ : بِأَنَّكَ لَقِيتَ الْجُنَيْدَ وَمَا لَقِيتُهُ^(١) .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ : تَرَكُ صُحْبَةَ مَنْ هَمُّهُ شَيْءٌ مِنْ فُضُولِ الدُّنْيَا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [النجم : ٢٩] .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ : بَذَلَ الْإِنْصَافَ لِلْإِخْوَانِ ، وَتَرَكُ الْمُطَالَبَةَ بِالْإِنْصَافِ .

قَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْحِيرِيُّ : (حَقُّ الصُّحْبَةِ : أَنْ تُوسِّعَ عَلَى أَخِيكَ مَالَكَ وَلَا تَطْمَعَ فِي مَالِهِ ، وَتُنْصِفَهُ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَطْلُبَ مِنْهُ الْإِنْصَافَ ، وَتَكُونَ تَبْعًا لَهُ وَلَا تَطْمَعَ أَنْ يَكُونَ تَبْعًا لَكَ ، وَتَسْتَكْثِرَ مَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُ وَتَسْتَقِلَّ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْكَ) .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ فِي الصُّحْبَةِ : لِيْنُ الْجَانِبِ ، وَتَرَكُ ظَهْرَ النَّفْسِ بِالصَّوْلَةِ .

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوْذِبَارِيُّ : (الصَّوْلَةُ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ قِحَّةٌ ، وَعَلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ سُوءُ أَدَبٍ ، وَعَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ عَجْزٌ)^(٢) .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ : أَلَّا يَجْرِيَ فِي كَلَامِهِمْ : (لَوْ كَانَ كَذَا لَمْ يَكُنْ كَذَا) ، وَ (لَيْتَ كَانَ كَذَا) ، وَ (عَسَى أَنْ يَكُونَ كَذَا) ؛ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ عَامِيَّةً .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ فِي الصُّحْبَةِ : حَذَرُ الْمُفَارَقَةِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْمُلَازِمَةِ .

(١) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٥٠٤) ، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٢٨٨ / ٤١) .

(٢) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « بَيَانَ تَذَلُّلِ الْفُقَرَاءِ » (ص ٥٤) ، وَأَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّامِعِ » (ص ٤٢٣) ، وَالْقِحَّةُ - بِكَسْرِ الْقَافِ وَفَتْحِهَا - : الْوَقَاحَةُ وَقِلَّةُ الْحَيَاءِ .

قيل : صَحِبَ رجلٌ رجلاً ، ثمَّ أَرَادَ المُفَارَقَةَ ، فاستأذَنَ صاحِبَهُ ، فقال : بشرطٍ أَلَّا تصحبَ أحداً إلا إذا كانَ فوقنا ، وإن كانَ فوقنا أيضاً فلا تصحبهُ ؛ لأنَّكَ صَحِبْتَنَا أوَّلاً ، فقالَ الرجلُ : زالَ عن قلبي نيَّةُ المُفَارَقَةِ^(١) .
وَمِنْ أدبِهِمْ : التعطُّفُ على الأصاغرِ .

قيل : كانَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ رحمَهُ اللهُ يعملُ في الحصادِ ، ويُطعمُ الأصحابَ ، وكانوا يجتمعونَ بالليلِ وهم صيامٌ ، وربَّما كانَ يتأخَّرُ في بعضِ الأيامِ في العملِ ، فقالوا ليلةً : تعالوا نأكلُ فُطُورَنا دونهُ حتى يعودَ بعدَ هذا أسرعَ ، فأفطَرُوا ونامُوا .

فرجعَ إبراهيمُ بنُ أدهمَ ، فوجَدَهُمْ نياماً ، فقالَ : مساكينُ لعلَّهم لم يكنْ لَهُم طعامٌ ، فعَمَدَ إلى شيءٍ مِنَ الدقيقِ فعَجَنَهُ ، فانتبهوا وهو يَنفُخُ في النارِ واضعاً مَحاسِنَهُ على الترابِ ، فقالوا لَهُ في ذلكَ ، قالَ : قلتُ : لعلَّكم لم تَجِدُوا فُطُوراً فَنِمْتُمْ .

فقالوا : انظروا بأيِّ شيءٍ عَامَلْنَاهُ ، وبأيِّ شيءٍ يُعَامِلُنَا !!^(٢) .

وَمِنْ أدبِهِمْ : أَلَّا يقولوا عندَ الدعاءِ : (إلى أينَ ؟) ، (ولِمَ ؟) ،
(وبأيِّ سببٍ ؟) .

قالَ بعضُ العلماءِ : (إذا قالَ الرجلُ لصاحبِهِ : « قُمْ بنا » ، فقالَ :
« إلى أينَ ؟ » . . فلا تصحبهُ)^(٣) .

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٦١٢) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص ٦١٣) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (٢٧-٢٦ / ١) ، والمحاسن : المواضع الحسنة من البدن ، والمراد هنا : الوجه .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٦٧ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٩٧ / ٤) .

وقال آخرُ : (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ : « أَعْطِنِي مِنْ مَالِكَ » ، فَقَالَ : « كَمْ تُرِيدُ ؟ » . . ما قامَ بحقِّ الإخاءِ)^(١) .

وقد قال الشاعر^(٢) :

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا
وَمِنْ أَدْبِهِمْ : أَلَّا يَتَكَلَّفُوا لِلإِخْوَانِ .

قيلَ : لَمَّا وَرَدَ أَبُو حَفْصٍ الْعِرَاقَ . . تَكَلَّفَ لَهُ الْجُنَيْدُ أَنْوَاعَ الْأَطْعِمَةِ ،
فَأَنْكَرَ ذَلِكَ أَبُو حَفْصٍ وَقَالَ : صَيَّرَ أَصْحَابِي مِثْلَ الْمَخَانِثِ يُقَدِّمُ لَهُمُ
الْأَلْوَانَ !! وَالْفُتُوَّةُ عِنْدَنَا تَرْكُ التَّكَلُّفِ ، وَإِحْضَارُ مَا حَضَرَ ؛ فَإِنَّ بِالْتَّكَلُّفِ
رَبَّمَا يُؤْثَرُ مُفَارَقَةُ الضَّيْفِ ، وَبِتَرْكِ التَّكَلُّفِ يَسْتَوِي مَقَامُهُ وَذَهَابُهُ^(٣) .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ فِي الصُّحْبَةِ : الْمُدَارَاةُ ، وَتَرْكُ الْمُدَاهَنَةِ .

وَتَشَبَهُ الْمُدَارَاةُ بِالْمُدَاهَنَةِ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا : أَنَّ الْمُدَارَاةَ : مَا أُرِدَتْ بِهِ
صَلَاحُ أَخِيكَ ، فَدَارِيَّتُهُ لِرَجَاءِ صِلَاحِهِ ، وَاحْتَمَلَتْ مِنْهُ مَا تَكَرَّهُ ، وَالْمُدَاهَنَةُ :
مَا قَصَدَتْ بِهِ شَيْئاً مِنَ الْهَوَى ؛ مِنْ طَلَبِ حَظٍّ ، أَوْ إِقَامَةِ جَاهٍ .

وَمِنْ أَدْبِهِمْ فِي الصُّحْبَةِ : رِعَايَةُ الْإِعْتِدَالِ بَيْنَ الْإِنْقِبَاضِ وَالْإِنْبِطَاطِ .

نُقِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (الْإِنْقِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ

(١) أورده أبو طالب المكي في « الفوت » (١٥٦٧/٣) ، والغزالي في « الإحياء »
(٩٧/٤) .

(٢) البيت لقريط بن أنيف كما في « ديوان الحماسة » (١٦/١) ، ويندبهم : يدعوهم .

(٣) أورده نجم الدين الرازي في « منارات السائر » (ق/١٣١) .

لعداوتهم ، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء ، فكن بين المنقبض والمنبسط (١) .

ومن أدبهم : ستر عورات الإخوان .

قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائماً فكشفت الريح عنه ثوبه ؟ قالوا : نستره ونغطيّه .

فقال : بل تكشفون عورته ، قالوا : سبحان الله من يفعل هذا ؟!

قال : أحذكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيدها عليها ويضيعها بأعظم منها (٢) .

ومن أدبهم : الاستغفار للإخوان بظهر الغيب ، والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم .

حكى أن أخوين ابتلي أحدهما بهوى ، فأظهر عليه أخاه ، فقال : إني ابتليت بهوى ، فإن شئت ألا تقعد على محبتي لله فافعل .

فقال : ما كنت لأحل عقد إخائك لأجل خطيئتكَ ، وعقد بينه وبين الله تعالى عقداً ألا يأكل ولا يشرب حتى يُعافيه الله تعالى من هواه ، فطوى أربعين يوماً كلما يسأله عن هواه فيقول : ما زال ، فبعد الأربعين أخبره أن الهوى قد زال ، فأكل وشرب (٣) .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٢٢ / ٩) ، ورواه الخطابي في « العزلة » (ص ٩٨) عن أكثم بن صيفي الحكيم الشهير المعمر .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٦٧ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٨٨ / ٤) .

(٣) أورده نجم الدين الرازي في « منارات السائرين » (ق / ١٣١) .

وَمِنْ أَدَبِهِمْ : أَلَّا يُحَوِّجُوا صَاحِبَهُمْ إِلَى الْمُدَارَاةِ ، وَلَا يُلْجِئُوهُ إِلَى الْعِذَارِ ، وَلَا يَتَكَلَّفُوا لِلصَّاحِبِ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ ، بَلْ يَكُونُوا لِلصَّاحِبِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُؤَثِّرِينَ مُرَادَ الصَّاحِبِ عَلَى مُرَادِ أَنْفُسِهِمْ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : (شَرُّ الْأَصْدِقَاءِ : مَنْ أَخَوَجَكَ إِلَى مُدَارَاةٍ ، أَوْ أَلْجَأَكَ إِلَى عِذَارٍ ، أَوْ تَكَلَّفَتْ لَهُ) (١) .

وَقَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَثْقَلُ إِخْوَانِي عَلَيَّ : مَنْ يَتَكَلَّفُ لِي فِي الصُّحْبَةِ وَأَتَحَفَّظُ مِنْهُ ، وَأَخَفُّهُمْ عَلَيَّ قَلْبِي : مَنْ أَكُونُ مَعَهُ كَمَا أَكُونُ وَحْدِي) (٢) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : آدَابُ الصُّحْبَةِ وَحَقُوقُ الْأُخُوَّةِ كَثِيرَةٌ ، وَالْحِكَايَاتُ فِي ذَلِكَ يَطُولُ نَقْلُهَا .

وَقَدْ رَأَيْتُ فِي كِتَابِ الشَّيْخِ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الْحِكَايَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى شَيْئاً كَثِيراً ، وَقَدْ أَوْدَعَ كِتَابَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنٍ مِنْ ذَلِكَ (٣) .

وَحَاصِلُ الْجَمِيعِ : أَنَّ الْعَبْدَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ لِمَوْلَاهُ ، وَيُرِيدَ كُلَّ مَا يُرِيدُ لِمَوْلَاهُ لَا لِنَفْسِهِ ، وَإِذَا صَاحَبَ شَخْصاً تَكُونُ صُحْبَتُهُ إِيَّاهُ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَإِذَا صَحِبَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَجْتَهِدُ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَزِيدُهُ عِنْدَ اللَّهِ زُلْفَى .

(١) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٧٢/٣) دون نسبة ، والغزالي في « الإحياء » (١٣٢/٤) .

(٢) أوردته أبو طالب المكي في « القوت » (١٥٧٦/٣) ، والغزالي في « الإحياء » (١٣٣/٤) .

(٣) انظر « قوت القلوب » (١٥٤٧/٣) وما بعدها .

وكلُّ مَنْ قَامَ بحقوقِ الله تعالى يَرْزُقُهُ اللهُ تعالى عِلْماً بمعرفةِ النَّفْسِ
وعيوبِها ، ومحاسنِ الأخلاقِ ، ويُعرِّفُهُ محاسنَ الآدابِ ، ويُوفِّقُهُ مِنْ أَدَاءِ
الحقوقِ على بصيرةٍ ، ويُفَقِّهُهُ في كلِّ ذلكَ ، ولا يَفُوتُهُ شيءٌ ممَّا يحتاجُ إليه
فيما يرجعُ إلى حقوقِ الحقِّ ، وفيما يرجعُ إلى حقوقِ الخلقِ .

فكلُّ تقصيرٍ يَوجدُ مِنْ خُبثِ النَّفْسِ وعدمِ تزكيتها ، وبقاءِ صفاتها عليه ،
فإنَّ صَحِبَتْ ظَلَمَتْ بالإفراطِ تارةً ، وبالتفريطِ أُخرى ، وتعدَّتِ الواجبَ فيما
يرجعُ إلى الحقِّ والخلقِ ، فالحكاياتُ والمواعظُ والآدابُ وسماعُها . .
لا تعملُ في النَّفْسِ زيادةً تأثيرٍ ، وتكونُ كَبِيرُ يُقَلِّبُ فيها الماءُ مِنْ فوقُ ، فلا
يمكثُ فيها ، ولا يُنتَفَعُ به .

وَإِذَا أَخَذَتْ بالتقوى والزُّهْدِ في الدنيا . . نَبَعَ مِنْهَا ماءُ الحياةِ ، وتفَقَّهَتْ
وعَلِمَتْ ، وأدَّتِ الحقوقَ ، وقامتْ بواجبِ الآدابِ بتوفيقِ الله تعالى
وبعونه^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب السادس والخمسون

في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات الصوفية من ذلك

(١٣٢) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا أَبُو النَّجِيبِ الشُّهُرُورِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّرِيفُ نَوْرُ الْهَدْيِ أَبُو طَالِبِ الزَّيْنَبِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرْتَنَا كَرِيمَةُ الْمَرْوَزِيَّةُ ، قَالَتْ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشْمِيهَنِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَبْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ حَفْصٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ؛ فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ ، وَأَجَلَهُ ، وَرِزْقَهُ^(٢) ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ .

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ

(١) هو سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) ويجوز ضبط (فيكتب) بالبناء للمجهول ورفع ما بعده ، وهي رواية أبي ذرٍّ الهروي . انظر « إرشاد الساري » (٥ / ٣٢٤) .

لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ
الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ» (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً
فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢ - ١٣] ؛ أي : حَرِيرِز ، مُكِّنَ ؛ لاستقرارها فيه إلى
بلوغ أمدِّها .

ثمَّ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ تَقْلُبَاتِهِ : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] ، قِيلَ :
هَذَا الْإِنْشَاءُ نَفْخُ الرُّوحِ فِيهِ (٢) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَاعْلَمْ : أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرُّوحِ صَعْبُ الْمَرَامِ ،
وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ سَبِيلُ ذَوِي الْأَحْلَامِ ، وَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَ الرُّوحِ ،
وَأَسْجَلَ عَلَى الْخَلْقِ بِقَلَّةِ الْعِلْمِ ؛ حَيْثُ قَالَ : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
[الإسراء : ٨٥] .

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَلَامِهِ عَنْ إِكْرَامِهِ بَنِي آدَمَ ؛ فَقَالَ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا
بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

قِيلَ : قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : رَبَّنَا ؛ إِنَّكَ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا
وَيَتَنَعَّمُونَ (٣) ، وَلَمْ تُعْطِنَا ذَلِكَ ، فَأَعْطِنَاهُ فِي الْآخِرَةِ (٤) ، فَقَالَ : وَعِزَّتِي

(١) صحيح البخاري (٣٣٣٢) ، ورواه مسلم (٢٦٤٣) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧ / ١٩) ، والبغدادى في « تاريخ بغداد » (٩٠ / ١٤)
عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) في (أ) ونسخة أشار إليها في (و) : (ويتمتعون) ، وجمع بين النسختين في (ز) .

(٤) العبارة في (ط) : (ورؤي أنه لما خلق الله تعالى آدم وذريته .. قالت الملائكة :
يا رب ؛ خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة) .

وجلالي ؛ لا أجعلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ : (كُنْ) فكان^(١) .

فمع هذه الكرامة ، واختياره سبحانه وتعالى إيَّاهم على الملائكة . . لما أَخْبَرَ عَنِ الرُّوحِ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِقَلَّةِ الْعِلْمِ وَقَالَ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَتِ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَخْبِرْنَا : مَا الرُّوحُ ؟ وَكَيْفَ تُعَذِّبُ الرُّوحُ الَّتِي فِي الْجَسَدِ وَإِنَّمَا الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؟ وَلَمْ يَكُنْ نَزَلَ إِلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ^(٢) .

وحيثُ أَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنِ الرُّوحِ وَمَاهِيَّتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْيِهِ ، وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعِدُنُ الْعِلْمِ ، وَيَنْبُوعُ الْحِكْمَةِ . . فَكَيْفَ يَسُوعُ لغيره الخوضُ فِيهِ وَالإِشَارَةُ إِلَيْهِ ؟ !

لَا جَرَمَ لَمَّا تَقَاوَضَتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ الْمُتَطَلِّعَةُ إِلَى الْفُضُولِ ، الْمُتَشَوِّفَةُ إِلَى الْمَعْقُولِ ، الْمُتَحَرِّكَةُ بِوَضْعِهَا إِلَى كُلِّ مَا أَمَرَتْ بِالسَّكُونِ فِيهِ ، الْمُتَسَوِّرَةُ بِحِرْصِهَا إِلَى كُلِّ تَحْقِيقٍ وَكُلِّ تَمْوِيهِ ، وَأَطْلَقَتْ عِنَانَ النَّظَرِ فِي مَسَارِحِ الْفِكْرِ ، وَخَاضَتْ غَمَرَاتِ مَعْرِفَةِ مَاهِيَةِ الرُّوحِ . . تَاهَتْ فِي التَّيِّهِ ،

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٦٥٨ / ١٣) ، و« المعجم الأوسط » (٦١٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، و« مسند الشاميين » (٥٢١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٤٧) ، والدليمي في « الفردوس » (٥٢٨٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٤٣ / ١٧) ، وعزاه السيوطي في « الدر المنثور » (٣٣١ / ٥) إلى ابن مردويه من طريق العوفي .

وتنوّعت آراؤها فيه ، ولم يُوجدِ الاختلافُ بينَ أربابِ النقلِ والعقلِ في شيءٍ
كالاختلافِ في ماهيّة الرُّوحِ .

ولو لَزِمَتِ النُّفُوسُ حَدَّها معترفةً بعجزِها . . كانَ ذلكَ أجدرَ بها وأولى .

فأمّا أقاويلُ مَنْ ليسَ بمُتمسِّكِ بالشرائعِ . . فنُزَّهَ الكتابُ عن ذِكْرِها ؛ لأنّها
أقوالُ أبرزتها العقولُ التي ضَلَّتْ عن الرِّشَادِ ، وطُبِعَتْ على الفسادِ ، ولم
يُصِبْها نورُ الاهتداءِ ، ببركةِ مُتَابَعَةِ الأنبياءِ ، فهم كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ الَّذِينَ
كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف : ١٠١] ، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا
فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْءَاذَانَا وَقَرُّ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [فصلت : ٥] .

فلَمَّا حُجِبُوا عن الأنبياءِ لم يسمعوا ، وحيثُ لم يسمعوا لم يهتدوا ،
فأَصْرُوا على الجَهالاتِ ، وحُجِبُوا بالعقولِ عن المأمولِ .

والعقلُ حُجَّةُ اللهِ تعالى يَهْدِي بهِ قوماً ، ويُضِلُّ بهِ آخَرِينَ ، فلم ننقل
أقوالهم في الرُّوحِ واختلافهم فيه .

وأما المُتمسِّكون بالشرائعِ : تكلَّمُوا في الرُّوحِ ؛ فقومٌ منهم بطريقِ
الاستدلالِ والنَّظَرِ ، وقومٌ منهم بلسانِ الذَّوقِ والوَجْدِ لا باستعمالِ الفِكرِ ؛
حتى تكلَّم في ذلكَ مَشايخُ الصُّوفِيَّةِ أيضاً ، وكانَ الأولى الإمساكُ عن ذلكَ ،
والتأدُّبُ بأدبِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .

وقد قالَ الجُنيدُ رحمهُ اللهِ : (الرُّوحُ شيءٌ استأثَرَ اللهُ تعالى بعلمِهِ ، ولا
تجوزُ العبارةُ عنه بأكثرَ مِنْ موجودٍ)^(١) .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٧٣ - ٧٤) .

ولكن نجعل للصّادقين مَحْمِلًا لأقوالهم وأفعالهم ، ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة ؛ حيث حُرِّم تفسيره وجُوزَ تأويله ؛ إذ لا يَسَعُ القول في التفسير إلا نقلاً ، وأمّا التأويل فتمتدّ العقول إليه بالباع الطويل ؛ وهو ذِكْرُ ما تحتلّ الآية من المعنى ، من غير القطع بذلك^(١) ، وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وَجْهٌ ومَحْمِلٌ .

قال أبو عبد الله النّاجي : (الرُّوحُ جِسْمٌ يَلْطَفُ عَنِ الْحِسِّ ، وَيَكْبُرُ عَنِ اللَّمْسِ ، وَلَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِأَكْثَرِ مِنْ مَوْجُودٍ)^(٢) .

وهو وإنْ مَنَعَ عَنِ العبارة فقد حَكَمَ بَأَنَّهُ جِسْمٌ ، فكأنَّه عَبَّرَ عَنْهُ .

وقال ابنُ عطاء : (خَلَقَ اللهُ الأرواحَ قَبْلَ الأجسادِ ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ ؛ يعني : الأرواحَ ﴿ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ [الأعراف : ١١] ؛ يعني : الأجسادَ)^(٣) .

وقال بعضهم : (الرُّوحُ لطيفٌ قائمٌ في كَثِيفٍ ؛ كالْبَصْرِ جوهرٌ لطيفٌ قائمٌ في كَثِيفٍ)^(٤) .

وفي هذا القولِ نظرٌ .

وقال بعضهم : (الرُّوحُ عبارةٌ ، والقائمُ بالأشياء هو الحقُّ)^(٥) .

(١) وذهب بعض العلماء إلى الترادف بين التأويل والتفسير ، وقيل غير ذلك ، وانظر التفصيل في هذه المسألة في « الإتيقان في علوم القرآن » (٤ / ١٩٢-١٩٧) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٧٤) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٧٤) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ٧٤) .

(٥) صوابه : وما تقوم الأشياء به هو الحق عز وجل . من هامش (ح) ، وهذا القول أورده =

وهذا فيه نظرٌ أيضاً ، إلا أن يُحمَلَ على معنى الإحياء ؛ فقد قال بعضهم : (الإحياء صفةُ المُحيي ؛ كالتخليقِ صفةُ الخالقِ ، وقال تعالى : ﴿ وَاسْأَلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] ، وأمرُهُ كلامُهُ ، وكلامُهُ ليسَ بمخلوقٍ)^(١) .

أي : صارَ الحيُّ حياً بقوله : (كُنْ حياً) ، وعلى هذا : لا يكونُ الرُّوحُ معنىً في الجسدِ .

فمنَ الأقوالِ ما يدلُّ : على أنَّ قائلَهُ يعتقِدُ قِدَمَ الرُّوحِ ، ومنَ الأقوالِ ما يدلُّ على أنَّه يعتقِدُ حدوثَهُ .

ثمَّ إنَّ الناسَ مختلفونَ في الرُّوحِ الذي سئِلَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عنه ؛ فقال قومٌ : هو جبريلُ .

ونُقِلَ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضوانُ الله عليه أنَّه قال : (هو مَلَكٌ مِنَ الملائكةِ ، له سبعونَ ألفَ وجهٍ ، ولكلُّ وجهٍ منه سبعونَ ألفَ لسانٍ ، ولكلُّ لسانٍ منه سبعونَ ألفَ لغةٍ ، يُسَبِّحُ اللهَ تعالى بتلكَ اللُّغاتِ كُلِّها ، ويُخلَقُ مِنْ كُلِّ تَسْبِيحَةٍ مَلَكٌ يطيرُ معَ الملائكةِ إلى يومِ القيامةِ)^(٢) . ورُوِيَ عن عبدِ الله بنِ عباسٍ رضيَ الله عنهُما : (إنَّ الرُّوحَ خَلَقَ مِنْ

= السلمي في « تفسيره » (٣٩٥ / ١) ، وعزاه في موضع آخر (٣٩٧ / ١) إلى بعض البغداديين .

(١) انظر « التعرف » (ص ٧٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٤٤ / ١٧) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٣٤٤) .

خَلَقَ اللهُ ، صُورَهُمْ عَلَى صُورِ بَنِي آدَمَ ، وَمَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكٌ إِلَّا وَمَعَهُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّوحِ (١) .

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ : (الرُّوحُ كَهَيْئَةِ الْإِنْسَانِ ، وَلَيْسُوا بِنَاسٍ) (٢) .

وَقَالَ مُجَاهِدٌ : (الرُّوحُ عَلَى صُورَةِ بَنِي آدَمَ ؛ لَهُمْ أَيْدٍ وَأَرْجُلٌ وَرُؤُوسٌ ، يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَلَيْسُوا بِمَلَائِكَةٍ) (٣) .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ : (لَمْ يَخْلُقِ اللهُ تَعَالَى خَلْقًا أَكْبَرَ مِنَ الرُّوحِ غَيْرِ الْعَرْشِ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَتَلَعَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي لُقْمَةٍ . . لَفَعَلَ ، صُورُهُ خَلَقَهُ عَلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ ، وَصُورُهُ وَجْهُهُ عَلَى صُورَةِ الْآدَمِيِّينَ ، يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ وَالْمَلَائِكَةُ مَعَهُ فِي صَفٍّ وَاحِدٍ ، وَهُوَ مَمَّنٌ يَشْفَعُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ ، وَلَوْلَا أَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَائِكَةِ سِتْرًا مِنْ نُورٍ . . لَأَحْرَقَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ مِنْ نُورِهِ) (٤) .

فَهَذِهِ الْأَقَاوِيلُ لَا تَكُونُ إِلَّا نَقْلًا وَسَمَاعًا ، بَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ، وَإِذَا كَانَ الرُّوحُ الْمَسْئُولُ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْمَنْقُولِ . . فَهُوَ غَيْرُ الرُّوحِ الَّذِي فِي الْجَسَدِ .

(١) رواه أبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٤) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٣٤٤) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧٦/٢٤) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤١٣) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٣٤٤) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧٦/٢٤) ، ورواه أبو الشيخ في « العظمة » (٤١٠) موقوفاً على سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) أورده الثعلبي في « الكشف والبيان » (٤٦٩/١٦ - ٤٧٠) ، والبخاري في « تفسيره » (١٢٥/٥) .

فعلى هذا : يَسُوغُ القولُ في هذا الرُّوحِ ، ولا يكونُ الكلامُ فيه ممنوعاً .
قال بعضهم : (الرُّوحُ لطيفةٌ تسري مِنَ اللهِ تعالى إلى أماكنَ معروفةٍ ،
لا يُعْبَرُ عنه بأكثرَ مِنْ موجودٍ بإيجادٍ غيره)^(١) .

وقال بعضهم : الرُّوحُ لم يخرج مِنْ (كُنْ) ؛ لأنَّهُ لو خَرَجَ مِنْ (كُنْ)
كَانَ عليه الدُّلُّ ، قيلَ : فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَرَجَ ؟

قالَ : مِنْ بَيْنِ جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، بِمُلاحَظَةِ الإِشَارَةِ خَصَّهَا
بِسلامِهِ ، وَحَيَّاهَا بِكلامِهِ ؛ فَهِيَ مُعْتَقَّةٌ مِنْ ذُلِّ (كُنْ)^(٢) .

وسُئِلَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ عَنِ الرُّوحِ : أَمْخُلُوقَةٌ هِيَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، وَلَوْلا
ذَلِكَ مَا أَقَرَّتْ بِالرُّبُوبِيَّةِ حَيْثُ قَالَتْ : (بَلَى)^(٣) .

وَالرُّوحُ هِيَ الَّتِي قَامَ بِهَا الْبَدَنُ ، وَاسْتَحَقَّ بِهَا اسْمَ الْحَيَاةِ ، وَبِالرُّوحِ ثَبَتَ
الْعَقْلُ ، وَبِالرُّوحِ قَامَتِ الْحُجَّةُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الرُّوحُ كَانَ الْعَقْلُ مُعْطَلاً
لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ وَلَا لَهُ .

وقيلَ : إِنَّهَا جَوْهَرٌ مَخْلُوقٌ ، وَلَكِنَّهَا أَلْطَفُ الْمَخْلُوقاتِ ، وَأَصْفَى
الْجَوَاهِرِ وَأَنْوَرُهَا ، وَبِهَا تُرَى الْمُغَيَّاتُ ، وَبِهَا يَكُونُ الْكَشْفُ لِأَهْلِ
الْحَقَائِقِ ، وَإِذَا حُجِبَتِ الرُّوحُ عَنِ مُرَاعَاةِ السِّرِّ^(٤) . . أَسَاءَتِ الْجَوَارِحُ

(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (٣٩٥ / ١) .

(٢) أوردته السلمي في « تفسيره » (٣٩٦ / ١) ، وانظر « سراج العقول » للقزويني
(ق / ٤٦ ، ١٠٧) .

(٣) أوردته السلمي في « تفسيره » (٣٩٦ / ١) ، والقزويني في « سراج العقول » (ق / ٤٦) .

(٤) في « تفسير السلمي » : (ملاقاته) بدل (مراعاة) .

الأدب ؛ ولذلك صارت الرُّوحُ بينَ تَجَلٍّ واستتارٍ ، وقابضٍ ونازعٍ^(١) .

وقيلَ : الدنيا والآخرة عندَ الأرواحِ سواءٌ^(٢) .

وقيلَ : الأرواحُ تَجُولُ في البرزخِ ، وتُبَصِّرُ أحوالَ الدنيا ، والملائكةُ تتحدَّثُ في السماءِ عن أحوالِ آدميِّينَ ، وأرواحُ تحتَ العرشِ ، وأرواحُ طيَّارةٍ إلى الجنانِ وإلى حيثُ شاءتْ على أقدارِهِم مِنَ السَّعْيِ إلى اللهِ أيامَ الحياةِ^(٣) .

وروى سعيدُ بنُ المسيَّبِ عن سلمانِ الفارسيِّ رضيَ اللهُ عنه قالَ :
(أرواحُ المؤمنينَ تذهبُ في برزخٍ مِنَ الأرضِ حيثُ شاءتْ بينَ السماءِ والأرضِ ، حتى يَرُدَّها اللهُ إلى أجسادِها)^(٤) .

وقيلَ : (إذا وَرَدَ على الأرواحِ مَيِّتٌ مِنَ الأحياءِ .. التقوا وتحدَّثوا وتساءلوا ، ووَكَّلَ اللهُ تعالى بها ملائكةً تَعْرِضُ عليها أعمالَ الأحياءِ ، حتى إذا عُرِضَ على الأمواتِ ما يُعاقَبُ به الأحياءُ في الدنيا مِنْ أَجلِ الذنوبِ .. كانَ عَذْرُ اللهِ ظاهراً عندَ الأمواتِ ؛ فَإِنَّهُ لا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(٥) .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٩٦/١) .

(٢) قاله أبو بكر الواسطي ضمن جواب عن مكان الأرواح ، كما في « تفسير السلمي » (٣٩٦/١) .

(٣) قاله الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٢١٠/٤) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٤٢٩) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٩١٩ ، ٩٢٠) .

(٥) قاله الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٢١١/٤) .

وقد وَرَدَ في الخبرِ عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتُعْرَضُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَيَفْرَحُونَ بِحَسَنَاتِهِمْ ، وَتَزْدَادُ وُجُوهُهُمْ بَيَاضاً وَتَشْرِقَةُ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَلَا تُؤْذُوا أَمْوَاتَكُمْ » (١) .

وفي خبرٍ آخَرَ : « إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى عَشَائِرِكُمْ وَأَقَارِبِكُمْ مِنَ الْمَوْتَى ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا أُسْتَبَشِرُوا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالُوا : اَللَّهُمَّ ؛ لَا تُمِثَّهُمْ حَتَّى تَهْدِيَهُمْ كَمَا هَدَيْتَنَا » (٢) .

وهذه الأقوال والأخبار تدلُّ على أنها أعيانٌ في الجسد ، وليست بمعانٍ وأعراضٍ .

سُئِلَ الواسِطِيُّ رحمه الله : لَأَيِّ عِلَّةٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْكَمَ الْخَلْقِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ خُلِقَ رُوحُهُ أَوَّلًا ، فَوَقَعَ لَهُ صُحْبَةُ التَّمَكِينِ وَالِاسْتِقْرَارِ ؛ أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : « كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » (٣) ؛ أَيْ : لَمْ يَكُنْ رُوحًا وَلَا جَسَدًا (٤) .

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (٩٢٤) عن عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جدّه ، وفي (ب ، ج ، ز) : (وإشراقاً) بدل (وتشرقه) ، وفي النسخ ما عدا (أ ، ز ، ي) : (موتاكم) بدل (أمواتكم) .

(٢) رواه أحمد (١٦٥ / ٣) ، والحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (٩٢٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه أبو داود الطيالسي في « المسند » (١٩٠٣) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وفي (ج ، هـ) : (لما هديتنا) بدل (كما هديتنا) .

(٣) سبق تخريجه في (١٧٤ - ١٧٥) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٩٦ / ١) .

وقال بعضهم : (الرُّوحُ خُلِقَ مِنْ نَوْرِ الْعِزَّةِ ، وإِبْلِيسُ خُلِقَ مِنْ نَارِ الْعِزَّةِ ؛ ولهذا قال : ﴿ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ ﴾ [الأعراف : ١٢] ، ولم يَذَرِ أَنَّ النُّورَ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ)^(١) .

وقال بعضهم : (قَرَنَ اللهُ تَعَالَى الْعِلْمَ بِالرُّوحِ)^(٢) ، فهي للطاْفَتِها تنمو بِالْعِلْمِ ، كما ينمو البدنُ بِالغِذاءِ ، وهذا في علمِ اللهِ ؛ لأنَّ عِلْمَ الْخَلْقِ قَلِيلٌ لا يَبْلُغُ ذَلِكَ)^(٣) .

والمختارُ عِنْدَ أَكْثَرِ مُتَكَلِّمِي الْإِسْلَامِ : أَنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ وَالْحَيَوَانِيَّةَ عَرَضَانِ خُلِقَا فِي الْإِنْسَانِ ، وَالْمَوْتُ يُعَدِمُهُمَا ، وَأَنَّ الرُّوحَ هِيَ الْحَيَاةُ بَعِينَهَا ، صَارَ الْبَدَنُ بِوُجُودِهَا حَيًّا ، وَبِالْإِعَادَةِ إِلَيْهِ فِي الْقِيَامَةِ يَصِيرُ حَيًّا^(٤) .

وذهبَ بَعْضُ مُتَكَلِّمِي الْإِسْلَامِ : إِلَى أَنَّهُ جِسْمٌ لَطِيفٌ اشْتَبَكَ بِالْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ اشْتِبَاكَ الْمَاءِ بِالْعُودِ الْأَخْضَرِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي الْمَعَالِي الْجَوِينِيِّ^(٥) .

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ مَالَ إِلَى أَنَّهُ عَرَضٌ ، إِلَّا أَنَّهُ رَدَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ الْأَخْبَارُ الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهُ جِسْمٌ ؛ لِمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْعُرُوجِ وَالْهَبُوطِ وَالتَّرَدُّدِ فِي الْبَرْزَخِ ؛ فَحَيْثُ

(١) رواه إلى قوله : (من نار العزة) إسحاق بن راهويه في « المسند » (٧٨٨) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (١٠٨٣) عن عكرمة رحمه الله تعالى .

(٢) كقوله : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] . من هامش (ح) .

(٣) انظر « تفسير السلمي » (٣٩٦ / ١) .

(٤) انظر « سراج العقول » (ق / ٤٥) .

(٥) وهو الصحيح ، وعليه أهل السُّنَّةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءَ وَالصُّوفِيَّةَ ، وانظر « الإرشاد » (ص ٣٧٧) ، و« شرح النووي على مسلم » (٣٣-٣٢ / ١٣) ، و« نهاية المرام » (ص ١٦٠) ، و« تحفة المريد » (ص ٢٦٢) .

وُصِفَ بأوصافٍ دَلَّ على أَنَّهُ جسمٌ ؛ لأنَّ العَرَضَ لا يُوصَفُ بأوصافٍ ؛ إذ الوصفُ معنى ، والمعنى لا يقوم بالمعنى .

وأَصَرَّ بعضهم على أَنَّهُ عَرَضٌ .

سُئِلَ ابنُ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ؛ قِيلَ لَهُ : أينَ تذهبُ الأرواحُ عندَ مُفارقةِ الأبدانِ ؟ فقالَ : أينَ يذهبُ ضوءُ المصباحِ عندَ فناءِ الأذهانِ ؟

قِيلَ لَهُ : فأينَ تذهبُ الجُسُومُ إذا بَلَيْتْ ؟ فقالَ : فأينَ يذهبُ لحمُها إذا مَرَضَتْ ؟ (١) .

وقالَ بعضُ مَنْ يُتَّهَمُ بالعلومِ المردودةِ المذمومةِ ويُنسَبُ إلى الإسلامِ :
(الرُّوحُ ينفصلُ مِنَ البدنِ في جسمٍ لطيفٍ) (٢) .

وقالَ بعضهم : (إِنَّها إذا فارقتِ البدنَ تَحُلُّ معها القُوَّةُ الوَهْمِيَّةُ بتوسُّطِ النُّطْقِيَّةِ ، فتكونُ حيثُ مُطالعةُ للمعاني المحسوساتِ ؛ لأنَّ تجرُّدَهُ مِنْ هيئاتِ البدنِ عندَ المُفارقةِ غيرُ مُمكِنٍ .

وهيَ عندَ الموتِ شاعرةٌ بالموتِ ، وبعدَ الموتِ مُتَخِيلَةٌ نَفْسُها مقبورةٌ ، وتَتَصَوَّرُ جميعَ ما كانتَ تعتقدُهُ حالَ الحياةِ ، وتَحُسُّ بالثوابِ والعقابِ في القبرِ) (٣) .

وقالَ بعضهم : (أَسْلَمُ المقالاتِ أَنْ يُقالَ : الرُّوحُ شيءٌ مخلوقٌ ،

(١) أورده القزويني في « سراج العقول » (ق/٤٩) ، وفي (أ ، ج ، ز) : (الأشباح ... الأجسام) بدل (الأبدان ... الجُسُوم) .

(٢) عزاه القزويني في « سراج العقول » (ق/٤٧) إلى ثابت بن قرة الحرَّاني .

(٣) انظر « سراج العقول » (ق/٤٧) .

أَجْرَى اللهُ تَعَالَى الْعَادَةَ أَنْ يَحْيَا الْبَدَنُ مَا دَامَ مُتَّصِلًا بِهِ ، وَأَنَّهُ أَشْرَفُ مِنَ الْجَسَدِ ، يَذُوقُ الْمَوْتَ بِمُفَارَقَةِ الْجَسَدِ ، كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِمُفَارَقَتِهِ يَذُوقُ الْمَوْتَ ؛ فَإِنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْمَاهِيَّةَ يَتَعَاشَى الْعَقْلُ فِيهِمَا كَمَا يَتَعَاشَى الْبَصَرُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ (١) .

وَلَمَّا رَأَى الْمُتَكَلِّمُونَ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ : الْمَوْجُودَاتُ مُحْصَوْرَةٌ : قَدِيمٌ وَجَسْمٌ وَجَوْهَرٌ وَعَرَضٌ ، فَالرُّوحُ مِنْ أَيِّ هَؤُلَاءِ ؟
فَاخْتَارَ قَوْمٌ مِنْهُمْ : أَنَّهُ عَرَضٌ .

وَقَوْمٌ مِنْهُمْ : أَنَّهُ جَسْمٌ لَطِيفٌ كَمَا ذَكَرْنَا (٢) .

وَاخْتَارَ قَوْمٌ : أَنَّهُ قَدِيمٌ ؛ لِأَنَّهُ أَمَرٌ ، وَالْأَمْرُ كَلَامٌ ، وَالْكَلَامُ قَدِيمٌ .

فَمَا أَحْسَنَ الْإِمْسَاكَ عَنِ الْقَوْلِ فِيمَا هَذَا سَبِيلُهُ !!

وَكَلَامُ الشَّيْخِ أَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي « كِتَابِهِ » : يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ أَعْيَانٌ فِي الْجَسَدِ ، وَهَكَذَا النَّفُوسُ ؛ لِأَنَّهُ يَذْكُرُ أَنَّ الرُّوحَ تَتَحَرَّكُ لِلْخَيْرِ ، وَمِنْ حَرَكَتِهَا يَظْهَرُ نُورٌ فِي الْقَلْبِ يَرَاهُ الْمَلَكُ ، فَيُلْهِمُ الْخَيْرَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَأَنَّ النَّفْسَ تَتَحَرَّكُ ، وَمِنْ حَرَكَتِهَا تَظْهَرُ ظُلْمَةٌ فِي الْقَلْبِ ، فَيَرَى الشَّيْطَانُ الظُّلْمَةَ ، فَيَقْبَلُ بِالْإِغْوَاءِ (٣) .

وَحَيْثُ وَجَدْتُ أَقْوَالَ الْمَشَائِخِ تُشِيرُ إِلَى الرُّوحِ أَقُولُ : مَا عِنْدِي فِي ذَلِكَ

(١) فِي (أ ، و) : (يَتَعَاشَى) فِي الْمَوْضِعَيْنِ ، وَفِي (ح ، ي) : (يَتَلَاشَى) كَذَلِكَ .

(٢) انْظُرْ (٢ / ٤١٥) .

(٣) انْظُرْ « قُوَّةُ الْقُلُوبِ » (٢ / ٣٥٧ - ٣٥٨) .

على معنى ما ذكرت من التأويل دون أن أقطع به ؛ إذ مَبْلِي في ذلك إلى
السكوت والإمساك ، فأقول والله أعلم :

الرُّوحُ الإنسانيُّ العلويُّ السَّمَاوِيُّ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ ، والرُّوحُ الحيوانيُّ
البشريُّ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ ، والرُّوحُ الحيوانيُّ البشريُّ مَحَلُّ الرُّوحِ العلويِّ
ومورده .

والرُّوحُ الحيوانيُّ جِسْمَانِيٌّ لطيفٌ حاملٌ لِقُوَّةِ الحِسِّ والحركة ، تنبعثُ
مِنَ القلبِ - أعني بالقلب ها هنا : المُضْغَةُ اللَّحْمِيَّةُ المعروفةُ الشكلِ ،
المودعةُ في الجانبِ الأيسرِ مِنَ الجسدِ - وتنتشرُ في تجاويفِ العُرُوقِ
الضواريبِ .

وهذه الرُّوحُ لسائرِ الحيواناتِ ، ومنه تفيضُ قُوى الحواسِّ ، وهو الذي
قوامُهُ بإجراءِ سُنَّةِ اللهِ تعالى بالغذاءِ غالباً ، ويُتَصَرَّفُ بعِلْمِ الطَّبِّ فيه باعتدالِ
مزاجِ الأَخْلَاطِ .

ولورودِ الرُّوحِ الإنسانيِّ العلويِّ على هذا الرُّوحِ .. تَجَنَّسَ الرُّوحُ
الحيوانيُّ ، وباينَ أرواحِ الحيواناتِ ، واكتسبَ صفةً أخرى ، فصارَ نَفْساً
مَحَلّاً لِلنُّطْقِ والإلهامِ .

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشعر : ٧-٨] ؛
فتسويتها بورودِ الرُّوحِ الإنسانيِّ عليها واقتطاعها عن جنسِ أرواحِ الحيواناتِ ،
فتكوَّنتِ النَّفْسُ بتكوينِ اللهِ مِنَ الرُّوحِ العلويِّ .

وصارَ تَكُونُ النَّفْسِ التي هي الرُّوحُ الحيوانيُّ مِنَ الآدَمِيِّ مِنَ الرُّوحِ
العلويِّ في عَالَمِ الأَمْرِ . كَتَكُونِ حَوَاءَ مِنْ آدَمَ في عَالَمِ الخَلْقِ ، وصارَ بينهما

مِنَ التَّالِفِ والتعاشقِ كما بينَ آدمَ وحوّاءَ ، وصارَ كلُّ واحدٍ مِنْهُما يذوقُ الموتَ بمُفارقةِ صاحبه .

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ؛ فسكَنَ آدمُ إلى حوّاءَ ، وسكَنَ الرُّوحُ الإنسانيُّ العلويُّ إلى الرُّوحِ الحيوانيِّ وصيرَهُ نفساً ، وتكوَّنَ مِنْ سكُونِ الرُّوحِ إلى النَّفْسِ القلبُ ، وأعني بهذا القلبِ : اللَّطِيفَةَ التي مَحَلُّها المُضْغَةُ اللَّحْمِيَّةُ ، فالْمُضْغَةُ اللَّحْمِيَّةُ مِنْ عَالَمِ الخَلْقِ ، وهذه اللَّطِيفَةُ مِنْ عَالَمِ الأَمْرِ .

وكانَ تَكُونُ القلبِ مِنَ الرُّوحِ والنَّفْسِ في عَالَمِ الأَمْرِ . كتكوُّنِ الذَّرِيَّةِ مِنْ آدمَ وحوّاءَ في عَالَمِ الخَلْقِ ، ولولا المُساكَنَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ اللَّذَيْنِ أَحَدُهُما النَّفْسُ . . ما تَكوَّنَ القلبُ .

فَمِنْ القُلُوبِ قلبٌ مُتَطَلِّعٌ إلى الأبِ الذي هُوَ الرُّوحُ العلويُّ مِيَالٌ إِلَيْهِ ؛ وهُوَ القلبُ المؤيَّدُ الذي ذَكَرَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواهُ حُذِيفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : « الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ : قَلْبٌ أَجْرَدٌ فِيهِ سِرَاجٌ يَزْهَرُ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ ، وَقَلْبٌ أَسْوَدٌ مَنكُوسٌ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ ، وَقَلْبٌ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ ؛ فَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ ، وَقَلْبٌ مُضْفَحٌ فِيهِ إِيْمَانٌ وَنِفَاقٌ ؛ فَمَثَلُ الْإِيْمَانِ فِيهِ مَثَلُ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ الْقَرْحَةِ يَمُدُّهَا الْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ ، فَأَيُّ الْمِدَّتَيْنِ غَلَبَتْ عَلَيْهِ حُكْمَ لَهُ بِهَا » (١) .

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٤٣٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٠٤٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٧٦ / ١) موقوفاً على سيدنا حذيفة رضي الله عنه ، ورواه أحمد (٧ / ٣) ، والطبراني في « المعجم الصغير » (١٠٧٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٨٥ / ٤) مرفوعاً عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والقلب المنكوس مَيَّالٌ إلى الأمِّ التي هي النَّفْسُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ .

وَمِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ مُتَرَدِّدٌ فِي مَيْلِهِ إِلَيْهِمَا^(١) ، وَبَحَسَبِ غَلَبَةِ مَيْلِ الْقَلْبِ
يَكُونُ حُكْمُهُ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ .

وَالْعَقْلُ جَوْهَرُ الرُّوحِ الْعُلُويِّ ، وَلِسَانُهُ وَالدَّالُّ عَلَيْهِ ، وَتَدْبِيرُهُ لِلْقَلْبِ
الْمُؤَيَّدِ وَالنَّفْسِ الزَّكِيَّةِ الْمُطْمَئِنَّةِ . . تَدْبِيرُ الْوَالِدِ لِلْوَلَدِ الْبَارِّ وَالزَّوْجَةِ
الصَّالِحَةِ ، وَتَدْبِيرُهُ لِلْقَلْبِ الْمَنكُوسِ وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ . . تَدْبِيرُ الْوَالِدِ
لِلْوَلَدِ الْعَاقِ وَالزَّوْجَةِ السَّيِّئَةِ ، فَمُنْكَرٌ مِنْ وَجْهِ ، وَمُنْجَذِبٌ إِلَى تَدْبِيرِهِمَا مِنْ
وَجْهِ ؛ إِذْ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُمَا .

وَقَوْلُ الْقَائِلِينَ وَاخْتِلَافُهُمْ فِي مَحَلِّ الْعَقْلِ ؛ فَمِنْ قَائِلٍ : إِنَّ مَحَلَّهُ
الدِّمَاغُ ، وَمِنْ قَائِلٍ : إِنَّ مَحَلَّهُ الْقَلْبُ . . كَلَامُ الْغَائِبِينَ عَنْ دَرْكِ حَقِيقَةِ
ذَلِكَ .

وَاخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ لِعَدَمِ اسْتِقْرَارِ الْعَقْلِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ، وَانْجِدَابِهِ إِلَى
الْبَارِّ تَارَةً وَإِلَى الْعَاقِ أُخْرَى ، وَلِلْقَلْبِ وَالِدِّمَاغِ نَسَبَةٌ إِلَى الْبَارِّ وَالْعَاقِ .
فَإِذَا رُئِيَ فِي تَدْبِيرِ الْعَاقِ قِلٌّ : مَسْكَنُهُ الدِّمَاغُ .

وَإِذَا رُئِيَ فِي تَدْبِيرِ الْبَارِّ قِلٌّ : مَسْكَنُهُ الْقَلْبُ .

فَالرُّوحُ الْعُلُويُّ يَهْمُ بِالْارْتِقَاءِ إِلَى مَوْلَاهُ شَوْقًا وَحُنًوًا وَتَنْزُّهًا عَنِ الْأَكْوَانِ ،
وَمِنَ الْأَكْوَانِ الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ .

فَإِذَا ارْتَقَى الرُّوحُ يَحْنُو الْقَلْبُ إِلَيْهِ حُنًوًا الْوَلَدِ الْحَسَنِ الْبَارِّ إِلَى الْوَالِدِ ،

(١) أي : إلى الأب الذي هو القلب المؤيد ، وإلى الأم الذي هو القلب المنكوس .

وتحنو النَّفْسُ إلى القلبِ الذي هو الولدُ حُنُوَ الوالدةِ الحَينَةِ إلى ولدها .

وإذا حنَّتِ النَّفْسُ ارتقتْ مِنَ الأرضِ ، وانزوتْ عُروْقُها الضاربةُ في العالمِ السفليِّ ، وانكوى هواها ، وانحسمتْ مادَّتهُ ، وزهدتْ في الدنيا ، وتجاغتْ عن دارِ الغرورِ ، وأنابتْ إلى دارِ الخلودِ .

وقد تُخلدُ النَّفْسُ التي هي الأمُّ إلى الأرضِ بوضعها الجبليِّ ؛ لكونها مِنَ الرُّوحِ الحيوانيِّ المُجنَّسِ ، ومُستندِها في كونها إلى الطبائعِ التي هي أركانُ العالمِ السفليِّ^(١) ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] .

فإذا سَكَنَتِ النَّفْسُ التي هي الأمُّ إلى الأرضِ . . انجذبَ إليها القلبُ المنكوسُ انجذابَ الولدِ الميالِ إلى الوالدةِ المُعَوَّجَةِ الناقصةِ ، دونَ الوالدِ الكاملِ المُستقيمِ ، وينجذبُ الرُّوحُ إلى الولدِ الذي هو القلبُ لِمَا جُبِلَ عليه انجذابَ الوالدِ إلى ولدهِ ، فعندَ ذلكَ يتخلَّفُ عن حقيقةِ القيامِ بحقِّ مَوْلَاهُ .

وفي هذَينِ الانجذابَينِ يظهرُ حُكْمُ السعادةِ والشقاوةِ ؛ ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

وقد وَرَدَ في أخبارِ داودَ عليه السلامُ : أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَهُ سُلَيْمَانَ : أَيْنَ مَوْضِعُ الْعَقْلِ مِنْكَ ؟ فقالَ : القلبُ^(٢) ؛ لأنَّهُ قَالِبُ الرُّوحِ ، والرُّوحُ قَالِبُ الْحَيَاةِ .

وقالَ أبو سعيدٍ القُرشيُّ : (الرُّوحُ رُوحَانِ : رُوحُ الْحَيَاةِ ، وَرُوحُ

(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (٨٦٨) ضمن خبر طويل ، وفيه : (الدماغ) بدل (القلب) .

المماتِ ، فإذا اجتمعَا عَقَلَ الجِسْمُ ، وَرُوحُ المماتِ : هي التي إذا خرجتْ
مِنَ الجسدِ يصيرُ الحيُّ ميِّتاً ، وَرُوحُ الحياةِ : ما بهِ مَجَارِي الأنفاسِ وَقُوَّةُ
الأكلِ والشُّربِ وغيرِهما (١) .

وقال بعضهم : (الرُّوحُ نَسِيمٌ طَيِّبٌ يَكُونُ بهِ الحياةُ ، والنَّفْسُ رِيحٌ حَارَّةٌ
تَكُونُ مِنْهَا الحَرَكَاتُ المذمومةُ والشَّهَوَاتُ) (٢) ، ويُقالُ : (فلانٌ حارٌّ
الرأسِ) (٣) .

وفي الفصلِ الذي ذَكَرْنَاهُ يَقَعُ التَّنْبِيهُ عَلَى ماهِيَةِ النَّفْسِ ، وإشاراتُ
المشايخِ فِي ماهِيَةِ النَّفْسِ إِلَى ما يَظْهَرُ مِنْ آثارِها مِنْ الأفعالِ المذمومةِ
والأخلاقِ المذمومةِ ، وهي التي تُعَالَجُ بِحُسْنِ الرِّيَاضَةِ والمُجَاهَدَةِ إِزَالَتِهَا
وتَبْدِيلُهَا ؛ فالأفعالُ الرَّدِيئَةُ تُزَالُ ، والأخلاقُ الرَّدِيئَةُ تُبَدَّلُ .

(١٣٣) - أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ العالِمُ رَضِيَ الدِّينُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ القَزْوِينِيُّ
إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو [سَعْدٍ] مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي العَبَّاسِ الخَلِيلِيُّ (٤) ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا العالِمُ القَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الفَرُّخَزَادِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحاقَ
أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (٥) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) أوردته السلمي في « تفسيره » (٣٩٧ / ١) .

(٢) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ٧٦) .

(٣) انظر « نواذر الأصول » (٤٢٩ / ٤) .

(٤) في النسخ : (سعيد) بدل (سعد) ، والمثبت من « التحبير في المعجم الكبير »

(٦٩ / ٢) ، و « المنتخب من معجم شيوخ السمعاني » (ص ١٣٧٠) ، و « معجم شيوخ

ابن عساكر » (٨٦٦ / ٢) .

(٥) هو الثعلبي صاحب « الكشف والبيان » .

السُّفْيَانِيُّ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْيَقْطِينِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْعُقَيْلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، عَنِ ابْنِ لَهْيَعَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩] . وَقَفَ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ ؛ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا أَنْتَ وَلِيَّهَا وَمَوْلَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا »^(٢) .

وقيل : (النَّفْسُ لَطِيفَةٌ مُودَعَةٌ فِي الْقَالِبِ ؛ مِنْهَا الْأَخْلَاقُ وَالصِّفَاتُ الْمَذْمُومَةُ ، كَمَا أَنَّ الرُّوحَ لَطِيفَةٌ مُودَعَةٌ فِي الْقَالِبِ ؛ مِنْهَا الْأَخْلَاقُ وَالصِّفَاتُ الْمَحْمُودَةُ ، وَكَمَا أَنَّ الْعَيْنَ مَحَلُّ الرُّؤْيَا ، وَالسَّمْعَ مَحَلُّ الْأُذُنِ ، وَالْأَنْفَ مَحَلُّ الشَّمِّ ، وَالْفَمَ مَحَلُّ الذَّوْقِ . . هَكَذَا النَّفْسُ مَحَلُّ الْأَوْصَافِ الْمَذْمُومَةِ ، وَالرُّوحُ مَحَلُّ الْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ)^(٣) .

وجميعُ أخلاقِ النَّفْسِ وصفاتها مِنْ أَصْلَيْنِ : أَحَدُهُمَا : الطَّيِّشُ ، والثَّانِي : الشَّرُّ ، وَطَيِّشُهَا مِنْ جَهْلِهَا ، وَشَرُّهَا مِنْ حِرْصِهَا .

(١) هو أبو عبد الله ابن فنجويه الثقفي الدينوري .

(٢) الكشف والبيان (٤٢٦-٤٢٧ / ٢٩) ، والحديث معضل ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٦ / ١١) ، وابن المنذر وابن مردويه كما في « الدر المنثور » (٥٢٩ / ٨) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما عند قراءة قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : ٧-٨] ، وكذلك رواه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٩٣٣٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم (٢٧٢٢) عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه دون تقييد بآيات معينة .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٩٠-٢٩١) .

وُسُبِّهَتْ النَّفْسُ فِي طَيْشِهَا : بِكُرَّةٍ مُسْتَدِيرَةٍ عَلَى مَكَانٍ أَمْلَسَ مُصَوَّبٍ
لَا تَزَالُ مُتَحَرِّكَةً بِجِبِلَّتِهَا وَوَضَعِهَا .

وُسُبِّهَتْ فِي حِرْصِهَا : بِالْفَرَاشِ الَّذِي يُلْقِي نَفْسَهُ عَلَى ضَوْءِ الْمَصْبَاحِ ،
وَلَا يَقْنَعُ بِالضَّوِّ السَّيْرِ دُونَ الْهُجُومِ عَلَى جِزْمِ الضَّوِّ الَّذِي فِيهِ هَلَاكُهُ .
فَمِنَ الطَّيْشِ تُوجَدُ الْعَجَلَةُ وَقِلَّةُ الصَّبْرِ ، وَالصَّبْرُ جَوْهَرُ الْعَقْلِ ، وَالطَّيْشُ
صِفَةُ النَّفْسِ وَهَوَاهَا وَرُوحُهَا ، لَا يَغْلِبُهُ إِلَّا الصَّبْرُ^(١) ؛ إِذِ الْعَقْلُ يَقْمَعُ
الْهَوَى .

وَمِنَ الشَّرِّ يَظْهَرُ الطَّمَعُ وَالْحِرْصُ ، وَهُمَا اللَّذَانِ ظَهَرَا فِي آدَمَ حَيْثُ طَمَعَ
فِي الْخُلُودِ ، فَحَرَّصَ عَلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ .
وَصِفَاتُ النَّفْسِ لَهَا أَصُولٌ مِنْ أَصْلِ تَكُونِهَا ؛ لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ تَرَابٍ ،
وَلَهَا بِحَسَبِهِ وَصْفٌ .

وَقِيلَ : (وَصِفُ الضَّعْفِ فِي الْآدَمِيِّ مِنَ التُّرَابِ ، وَوَصِفُ الْبُخْلِ فِيهِ مِنَ
الطِّينِ ، وَوَصِفُ الشَّهْوَةِ فِيهِ مِنَ الْحَمِّ الْمَسْنُونِ ، وَوَصِفُ الْجَهْلِ فِيهِ مِنَ
الصَّلْصَالِ)^(٢) .

وَقِيلَ : قَوْلُهُ : ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرَّحْمَنُ : ١٤] بِهَذَا الْوَصْفِ : فِيهِ شَيْءٌ مِنَ
الشَّيْطَانَةِ ؛ لِدُخُولِ النَّارِ فِي الْفَخَّارِ ؛ فَمِنْ ذَلِكَ الْخِدَاعُ وَالْحَيْلُ وَالْحَسَدُ^(٣) .

(١) اعْلَمْ : أَنَّ قِلَّةَ الصَّبْرِ مِنْ قِلَّةِ جَوْهَرِ الْعَقْلِ ؛ لِأَنَّ الصَّبْرَ جَوْهَرُ الْعَقْلِ ، فَافْهَمْ . مِنْ هَامِشٍ
(ح) .

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ : (الشَّرِّ) بَدَلَ (الشَّهْوَةِ) ، وَانْظُرْ « قُوتُ الْقُلُوبِ » (١ / ٢٥١) .

(٣) انْظُرْ « تَفْصِيلُ النَّشَاطِينَ » (ص ٢٥) .

فَمَنْ عَرَفَ أَصُولَ النَّفْسِ وَجِبَلَاتِهَا . . عَرَفَ أَنَّ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهَا إِلَّا
بِالاستعانةِ ببارئِها وفاطِرِها .

فلا يتحقَّقُ العبدُ بالإنسانيةِ إِلَّا بعدَ أَنْ يُدبَّرَ دواعيَ الحيوانيةِ فيه بِالْعِلْمِ
وَالْعَدْلِ ؛ وهو رعايَةُ طَرَفِي الإفراطِ والتفريطِ ، ثُمَّ بِذَلِكَ تَقْوَى إِنْسَانِيَّتُهُ
وَمَعْنَاهُ ، وَيُدرِكُ صفاتِ الشَّيْطَانَةِ فِيهِ وَالْأَخْلَاقَ المذمومةَ ، وَكمالُ إِنْسَانِيَّتِهِ
يَتَقاضاهُ إِلَّا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ ، ثُمَّ تَنكشِفُ لَهُ الْأَخْلَاقُ الَّتِي يُنَازِعُ بِهَا
الرُّبُوبِيَّةَ ؛ مِنَ الْكِبَرِ ، وَالْعِزِّ ، وَرُؤْيَا النَّفْسِ ، وَالْعُجْبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ،
فَيَرى أَنَّ صِرْفَ الْعُبُودِيَّةِ فِي تَرْكِ الْمُنَازَعَةِ لِلرُّبُوبِيَّةِ .

وَاللهُ تَعَالَى ذَكَرَ النَّفْسَ فِي كَلَامِهِ الْقَدِيمِ بِثَلَاثَةِ أَوصَافٍ : بِالطَّمَأْنِينَةِ ؛
قَالَ : ﴿ يَتَأَنَّىهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر : ٢٧] .

وَسَمَّاها لَوَامَةً ؛ قَالَ : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾
[القيامة : ١-٢] .

وَسَمَّاها أَمَّارَةً ؛ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] .

وهي نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، لَهَا صفاتٌ مُتغَايِرَةٌ .

فَإِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ سَكِينَةً خَلَعَ عَلَى النَّفْسِ خِلْعَ الطَّمَأْنِينَةِ ؛ لِأَنَّ السَّكِينَةَ
مَزِيدُ الْإِيمَانِ ، وَفِيهَا ارْتِقَاءُ الْقَلْبِ إِلَى مَقَامِ الرُّوحِ لِمَا مُنِحَ مِنْ حِظِّ الْيَقِينِ ،
وَعِنْدَ تَوَجُّهِ الْقَلْبِ إِلَى مَحَلِّ الرُّوحِ تَتَوَجَّهُ النَّفْسُ إِلَى مَحَلِّ الْقَلْبِ ، وَفِي ذَلِكَ
طَّمَأْنِينَتُهَا .

وَإِذَا انزَعَجَتْ مِنْ مَقَارِّ جِبَلَتِهَا وَدَوَاعِي طَبِيعَتِهَا مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَقَامِ

الطَّمَانِينَةُ^(١) . . فهي لَوَامَةٌ ؛ لأنها تعودُ باللائمةِ على نَفْسِها ؛ لَنَظَرِها وَعِلْمِها بِمَحَلِّ الطَّمَانِينَةِ ، ثُمَّ انجذابها إلى مَحَلِّها الذي كانت فيه أَمَّارَةً بالسُّوءِ ، وإذا أقامت في مَحَلِّها لا يَغْشَاهَا نورُ العِلْمِ والمعرفةِ ، فهي على ظُلُمَتِها أَمَّارَةٌ بالسُّوءِ .
فالنَّفْسُ والرُّوحُ يتطاردان ؛ فتارةً تملكُ القلبَ دواعي الرُّوحِ ، وتارةً تملكُهُ دواعي النَّفْسِ .

وَأَمَّا السِّرُّ : فقد أشارَ القومُ إليه ، ووجدتُ في كلامِ القومِ : أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ جعلَهُ بعدَ القلبِ وقبلَ الرُّوحِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ جعلَهُ بعدَ الرُّوحِ وأَعْلَى مِنْهُ وَأَلْطَفَ ، وقالوا : السِّرُّ مَحَلُّ المُشَاهَدَةِ ، والرُّوحُ مَحَلُّ المَحَبَّةِ ، والقلبُ مَحَلُّ المعرفةِ .

والسِّرُّ الذي وقعتْ إشارةُ القومِ إليه . . غيرُ مذكورٍ في كلامِ الله تعالى ، وإنَّما المذكورُ في كلامِ الله الروحُ والنَّفْسُ وتنوُّعُ صفاتِها ، والقلبُ والفؤادُ والعقلُ .

وحيثُ لم نَجِدْ في كلامِ الله تعالى ذِكْرَ السِّرِّ بالمعنى المُشارِ إليه ، ورأينا الاختلافَ في القولِ فيه ، وأشارَ قومٌ إلى أَنَّهُ دونَ الرُّوحِ ، وقومٌ إلى أَنَّهُ أَلْطَفُ مِنَ الرُّوحِ . . فنقولُ واللهُ أَعْلَمُ :

الذي سَمَّوهُ سِرًّا ليسَ هوَ شيئاً مُستَقِلاً بِنَفْسِهِ لَهُ وجودٌ وذاتٌ كالرُّوحِ والنَّفْسِ ، وإنَّما لَمَّا صَفَتِ النَّفْسُ وتَزَكَّتِ انطلقَ الرُّوحُ مِنْ وَثاقِ ظُلْمَةِ النَّفْسِ ، فأَخَذَ في العُرُوجِ إلى أوطانِ القُرْبِ ، وانتزَحَ القلبُ عندَ ذلكَ مِنْ مُستَقَرِّهِ مُتَطَلِّعاً إلى الرُّوحِ ، فَاكْتَسَبَ وَصْفاً زائداً على وَصْفِهِ ، فاستعجمَ

(١) في بعض النسخ : (إلى مقار) بدل (إلى مقام) .

على الواجدین ذلك الوصف ؛ حيث رَأَوْهُ أَصْفَى مِنَ الْقَلْبِ ، فَسَمَّوْهُ سِرّاً .
ولمَّا صارَ للقلبِ وصفٌ زائدٌ على وصفِهِ بتطَّلُعِهِ إلى الرُّوحِ . . اكتسبَ
الرُّوحُ وصفاً زائداً في عُرُوجِهِ ، فاستعجمَ على الواجدین ، فَسَمَّوْهُ سِرّاً .
والذي زعموا أَنَّهُ أَلْطَفُ مِنَ الرُّوحِ . . هُوَ رُوحٌ مُتَّصِفَةٌ بوصفٍ أَخَصَّ ممَّا
عَهِدُوهُ ، والذي سَمَّوْهُ قَبْلَ الرُّوحِ سِرّاً . . هُوَ قَلْبٌ اتَّصَفَ بوصفٍ زائدٍ غيرِ
ما عَهِدُوهُ .

وفي مِثْلِ هَذَا التَّرَقِّي مِنَ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ . . تَتَرَقَّى النَّفْسُ إِلَى مَحَلِّ
الْقَلْبِ ، وَتَنْخَلَعُ مِنْ وَصْفِهَا ، فَتَصِيرُ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً تُرِيدُ كَثِيراً مِنْ مُرَادَاتِ
الْقَلْبِ ؛ مِنْ قَبْلِ أَنَّ الْقَلْبَ صَارَ يُرِيدُ مَا يُرِيدُ مَوْلَاهُ مُتَبَرِّئاً مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ
وَالْإِرَادَةِ وَالْاخْتِيَارِ^(١) ، وَعِنْدَ هَذَا ذَاقَ طَعْمَ صِرْفِ الْعُبُودِيَّةِ ؛ حَيْثُ صَارَ
حُرّاً عَنْ إِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ .

وَأَمَّا الْعَقْلُ : فَهُوَ لِسَانُ الرُّوحِ وَتَرْجُمانُ البَصِيرَةِ ، وَالبَصِيرَةُ لِلرُّوحِ
بِمِثَابَةِ الْقَلْبِ ، وَالْعَقْلُ بِمِثَابَةِ اللِّسَانِ .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَوَّلُ
مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَقْلُ ، فَقَالَ لَهُ : أَقْبِلْ ، فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَذْبِرْ ،
فَأَذْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْعُدْ ، فَقَعَدَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْطِقْ ، فَنَطَقَ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ
لَهُ : أَصْمِتْ ، فَصَمَتَ .

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (أ) : (إِذْ صَارَ الْقَلْبُ) بَدَلَ (أَنَّ الْقَلْبَ صَارَ) وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ ،
وَاعْتَمَدَ مَا فِي (أ) صَاحِبُ « شَرْحِ الْمَشْكَلَاتِ » (ق/٦٧) .

(٢) فِي (د) : (انْطَلَقَ ، فَانْطَلَقَ) .

فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ، وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَائِي ، وَسُلْطَانِي وَجَبَرُوتِي ؛ مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ ، وَلَا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ؛ بِكَ أُعْرِفُ ، وَبِكَ أُحْمَدُ ، وَبِكَ أُطَاعُ ، وَبِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطِي ، وَإِيَّاكَ أُعَاتِبُ ، وَلَكَ الثَّوَابُ ، وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ ، وَمَا أَكْرَمْتُكَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ الصَّبْرِ « (١) .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُعْجِبَنَّكُمْ إِسْلَامُ رَجُلٍ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا عُقْدَةُ عَقْلِهِ » (٢) .

وَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ بِأَيِّ شَيْءٍ يَتَفَاوَضُ النَّاسُ ؟ قَالَ : « بِالْعَقْلِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

قَالَتْ : قُلْتُ : أَلَيْسَ يُجْزَى النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ ؟ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ ؛ وَهَلْ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ قَدْ عَقَلَ ؟ ! فَيَقْدِرُ عُقُولُهُمْ يَعْمَلُونَ ، وَعَلَى قَدَرِ مَا يَعْمَلُونَ يُجْزَوْنَ » (٣) .

(١) رواه بلفظه الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (١٠٣٥) مرسلًا عن الأوزاعي رحمه الله تعالى ، ومرفوعاً (١٠٣٤) عن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه : (وما أكرمتك بشيء أفضل من الصبر) ، ورواه مختصراً ابن عدي في « الكامل » (٢٨٨/٣) ، وابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (٩) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والعقيلي في « الضعفاء الكبير » (١٧٥/٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٣٩-٣٤٠) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأفاض في تخريجه الحافظ الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين » (١/٤٥٣-٤٥٥) .

(٢) رواه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (١٩٢/٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٥٣٤/١) ، والحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (١٠٣٣) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٢٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (١٠٤٣) ، والحاثر بن أبي أسامة كما =

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْطَلِقُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُصَلِّي ، وَصَلَاتُهُ لَا تَعْدِلُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي ، وَصَلَاتُهُ تَعْدِلُ جَبَلَ أَحَدٍ إِذَا كَانَ أَحْسَنَهُمَا عَقْلاً » .

قيل : وكيف يكون أحسنهما عقلاً ؟ قال : « أَوْرَعُهُمَا عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، وَأَحْرَضُهُمَا عَلَى أَسْبَابِ الْخَيْرِ ، وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي الْعَمَلِ وَالْتَطَوُّعِ » ^(١) .

وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ الْعَقْلَ بَيْنَ عِبَادِهِ أَشْتَاتًا ، وَإِنَّ الرَّجُلَيْنِ يَسْتَوِي عَمَلُهُمَا وَبِرُّهُمَا وَصَوْمُهُمَا وَصَلَاتُهُمَا ، وَلَكِنَّهُمَا يَتَفَاوَتَانِ فِي الْعَقْلِ كَالذَّرَّةِ فِي جَنْبِ أَحَدٍ » ^(٢) .

وروي عن وَهْبِ بْنِ مُنْبِهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : (إِنِّي أَجِدُ فِي سَبْعِينَ كِتَابًا : أَنَّ جَمِيعَ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ مِنْ بُدُوِّ الدُّنْيَا إِلَى انْقِطَاعِهَا مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كَهَيْئَةِ رَمْلَةٍ وَقَعَتْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ رِمَالِ الدُّنْيَا) ^(٣) .

= في « بغية الباحث » (٨٢٣) .

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (١٠٤٤) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله عنه ، والحاتر بن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٢١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٦٢ / ١) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، وفيها : أَنَّ السائل هو سيدنا أبو حميد الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (١٠٤٥) مرسلًا عن طاوس رحمه الله تعالى ، وزاد : (وما قَسَمَ اللَّهُ لَخَلْقِهِ حَظًّا هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَقْلِ وَالْيَقِينِ) ، وفي (أ ، ج) : (علمهما) بدل (عملهما) .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (١٠٤٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٦ / ٤) .

واختلفَ الناسُ في ماهيةِ العقلِ ، والكلامُ في ذلكَ يكثرُ ، ولا نُؤثِرُ نقلَ
الأقوالِ ، وليسَ ذلكَ مِنْ غَرَضِنَا .

فقالَ قومٌ : (العقلُ مِنَ العُلُومِ ؛ فَإِنَّ الخاليَ مِنْ جميعِ العلومِ لا يُوصَفُ
بالعقلِ ، وليسَ العقلُ جميعَ العلومِ ؛ فَإِنَّ الخاليَ مِنْ مُعْظَمِ العلومِ يُوصَفُ
بالعقلِ) .

وقالوا : (ليسَ مِنَ العلومِ النَّظَرِيَّةِ ؛ فَإِنَّ مِنْ شرطِ ابتداءِ النَّظَرِ تَقَدُّمُ
كمالِ العقلِ ؛ فهوَ إِذَا مِنْ العلومِ الضَّرُورِيَّةِ ، وليسَ هوَ جميعُها ؛ فَإِنَّ
صاحبَ الحواسِّ الْمُخْتَلَّةِ عاقلٌ وقد عَدِمَ بعضَ مدارِكِ العلومِ الضَّرُورِيَّةِ) .

وقالَ بعضُهُمُ : (العقلُ ليسَ مِنْ أقسامِ العلومِ ؛ لَأَنَّهُ لو كانَ مِنْها لَوَجَبَ
الحُكْمُ بأنَّ الذاهِلَ عن ذِكْرِ الاستحالةِ والجوازِ لا يَتَّصِفُ بكونِهِ عاقلًا ،
ونحنُ نرى العاقلَ في كثيرٍ مِنْ أوقَاتِهِ ذاهلاً) .

وقالوا على هذا : العقلُ صفةٌ يَتَهَيَّأُ بها دَرْكُ العلومِ .

ونَقَلَ عنِ الحارثِ بنِ أسدِ المُحاسِبِيِّ رحمهُ اللهُ وهوَ مِنْ أَجَلِّ
المُشايخِ . . أَنَّهُ قالَ : (العقلُ : غَرِيزَةٌ يَتَهَيَّأُ بها دَرْكُ العلومِ)^(١) .

وعلى هذا يَتَقَرَّرُ ما ذَكَرْنَاهُ في أَوَّلِ ذِكْرِ العقلِ : أَنَّهُ لسانُ الرُّوحِ^(٢) ؛ لأنَّ
الرُّوحَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، وهيَ الْمُتَحَمِّلَةُ للأمانةِ التي أَبَتِ السماواتُ والأَرْضُونَ
أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَمِنْها يَفِيضُ نُورُ العقلِ ، وفي نُورِ العقلِ تتشكَّلُ العلومُ ،

(١) أوردَه الإمامُ الجويني في « البرهان » (١ / ١١٢) .

(٢) انظر (١ / ٣١٠ ، ٢ / ٤٢٧) .

فالعقل للعلوم بمثابة اللوح للمكتوب^(١) .

وهو بصفته منكوسٌ مُتَطَلِّعٌ إلى النَّفْسِ تارةً ، ومُنْتَصِبٌ مُسْتَقِيمٌ تارةً .

فَمَنْ كَانَ الْعَقْلُ فِيهِ مِنْكُوساً إِلَى النَّفْسِ . . فَرَّقَهُ فِي أَجْزَاءِ الْكَوْنِ ، وَعَدِمَ حُسْنَ الْعَدَالِ بِذَلِكَ ، وَأَخْطَأَ طَرِيقَ الْإِهْتِدَاءِ .

وَمَنْ انْتَصَبَ الْعَقْلُ فِيهِ وَاسْتَقَامَ . . تَأَيَّدَ الْعَقْلُ بِالبَصِيرَةِ الَّتِي هِيَ لِلرُّوحِ بِمِثَابَةِ الْقَلْبِ ، وَاهْتَدَى إِلَى الْمُكُونِ ، ثُمَّ عَرَفَ الْكَوْنَ بِالْمُكُونِ مُسْتَوِياً أَقْسَامَ الْمَعْرِفَةِ بِالْمُكُونِ وَالْكَوْنِ ، فَيَكُونُ هَذَا الْعَقْلُ عَقْلَ الْهَدَايَةِ .

فَكَلَّمَا أَحَبَّ اللَّهُ إِقْبَالَهُ عَلَى أَمْرٍ . . دَلَّهُ عَلَى إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ ، وَمَا كَرِهَ اللَّهُ لَهُ دَلَّهُ عَلَى اسْتِدْبَارِهِ ، فَلَا يَزَالُ يَتَّبَعُ مَحَابَّ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجْتَنِبُ مَسَاطِئَهُ ، وَكَلَّمَا اسْتَقَامَ الْعَقْلُ وَتَأَيَّدَ بِالبَصِيرَةِ . . كَانَ دَلَالَتُهُ عَلَى الرُّشْدِ وَنَهْيُهُ عَنِ الْغَيِّ .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (الْعَقْلُ عَلَى ضَرِيَيْنِ : ضَرْبٌ يُبْصِرُ بِهِ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَضَرْبٌ يُبْصِرُ بِهِ أَمْرَ آخِرَتِهِ) ، وَذَكَرَ : أَنَّ الْعَقْلَ الْأَوَّلَ مِنْ نُورِ الرُّوحِ ، وَالْعَقْلَ الثَّانِي مِنْ نُورِ الْهَدَايَةِ ، وَالْعَقْلَ الْأَوَّلَ موجودٌ فِي عَامَّةِ وَلَدِ آدَمَ ، وَالْعَقْلَ الثَّانِي موجودٌ فِي الْمُؤَحِّدِينَ ، مَفْقُودٌ فِي الْمُشْرِكِينَ^(٢) .

وَقِيلَ : (إِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ عَقْلاً ؛ لِأَنَّ الْجَهْلَ ظُلْمَةٌ ، فَإِذَا غَلَبَ النُّورُ وَبَصَّرَهُ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ . . زَالَتِ الظُّلْمَةُ وَأَبْصَرَ ، فَصَارَ عَقْلاً لِلْجَهْلِ)^(٣) .

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ب ، هـ) : (الْمَكْتُوب) .

(٢) النُّقْلُ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ فِي « نَوَادِرِ الْأَصُولِ » (٤ / ٤٢٨) .

(٣) النُّقْلُ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ فِي « نَوَادِرِ الْأَصُولِ » (٤ / ٤٢٨) .

وقيلَ : (عقلُ الإيمانِ مَسْكَنُهُ في القلبِ ، ومُعْتَمَلُهُ في الصدرِ بينَ عَيْنَيِ
الفؤادِ)^(١) .

والذي ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَوْنِ العقلِ لسانَ الرُّوحِ ؛ وهوَ عقلٌ واحدٌ ليسَ هوَ على
ضربَينِ ، ولكِنَّهُ إذا انتصبَ واستقامَ تَأَيَّدَ بالبصيرةِ واعتدلَ ، ووضعَ الأشياءَ
مواضعَها .

وهذا العقلُ هوَ العقلُ المُستضيءُ بنورِ الشرعِ ؛ لأنَّ انتصابَهُ واعتدالَهُ
هداهُ إلى الاستضاءةِ بنورِ الشرعِ ؛ لكونِ الشرعِ وَرَدَ على لسانِ النبيِّ
المُرسلِ ، وذلكَ لقُرْبِ رُوحِهِ مِنَ الحَضْرَةِ الإلهيَّةِ ، ومُكَاشَفَةِ بصيرتِهِ التي
هيَ للرُّوحِ بمثابةِ القلبِ بِقُدْرَةِ اللهِ تعالى وآيَاتِهِ ، واستقامةِ عقلِهِ بتأييدِ
البصيرةِ .

فالبصيرةُ تُحِيطُ بالعلومِ التي يستوعبُها العقلُ ، والتي يَضِيقُ عنها نطاقُ
العقلِ ؛ لأنها تستمدُّ مِنْ كلماتِ اللهِ التي يَنفَعُ البحرُ دونَ نفاذِها .

والعقلُ تَرْجُمانٌ تُؤدِّي البصيرةُ إليه مِنْ ذلكَ شَطْرًا ، كما يُؤدِّي القلبُ إلى
اللسانِ بعضَ ما فيه ، ويستأثرُ ببعضِهِ دونَ اللِّسانِ .

ولهذا المعنى مَنْ جَمَدَ على مُجرَّدِ العقلِ مِنْ غيرِ الاستضاءةِ بنورِ
الشرعِ .. حَظِيَ بعلومِ الكائناتِ التي هيَ مِنَ المُلْكِ ، والمُلْكُ ظاهرُ
الكائناتِ .

وَمَنْ استضاءَ عقلُهُ بنورِ الشرعِ .. تَأَيَّدَ بالبصيرةِ ، فاطَّلَعَ على

(١) النقل للحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (٤ / ٤٢٩) ، وفي بعض النسخ :
(ومتعمله) بدل (ومتعمله) ، وكذلك في الموضع الآتي .

الْمَلَكُوتِ ، وَالْمَلَكُوتُ بَاطِنُ الْكَائِنَاتِ ، اخْتَصَّ بِمُكَاشَفَتِهِ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ
وَالْعُقُولِ ، دُونَ الْجَامِدِينَ عَلَى مُجَرَّدِ الْعُقُولِ دُونَ الْبَصَائِرِ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : (إِنَّ الْعَقْلَ عَقْلَانِ : الْعَقْلُ الْأَوَّلُ^(١)) : مَسْكَنُهُ فِي
الْقَلْبِ ، وَذَلِكَ خَاصٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُوقِنِينَ ، وَمُعْتَمَلُهُ فِي الصَّدْرِ بَيْنَ عَيْنَيْ
الْفُؤَادِ ، وَالْعَقْلُ الْآخَرُ : مَسْكَنُهُ فِي الدِّمَاغِ ، وَمُعْتَمَلُهُ فِي الصَّدْرِ بَيْنَ عَيْنَيْ
الْفُؤَادِ ؛ فَبِالْأَوَّلِ يُدَبَّرُ أَمْرُ الْآخِرَةِ ، وَبِالثَّانِي يُدَبَّرُ أَمْرُ الدُّنْيَا^(٢) .

وَالَّذِي ذَكَرْنَاهُ : أَنَّهُ عَقْلٌ وَاحِدٌ ؛ إِذَا تَأَيَّدَ بِالْبَصِيرَةِ دَبَّرَ الْأَمْرَيْنِ ، وَإِذَا
تَفَرَّدَ دَبَّرَ أَمْرًا وَاحِدًا^(٣) ، وَهُوَ أَوْضَحُ وَأَبْيَنُ .

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْبَابِ مِنْ تَدْبِيرِهِ لِلنَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ وَالْأَمَّارَةِ . . مَا يَتَّبَعُهُ
الْإِنْسَانُ بِهِ عَلَى كَوْنِهِ عَقْلًا وَاحِدًا مُؤَيَّدًا بِالْبَصِيرَةِ تَارَةً ، وَمُنْفَرِدًا بِوَضْعِهِ
تَارَةً^(٤) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، وَاللَّهُ بِكَرَمِهِ الْمُتْلِهِمُ لِلصَّوَابِ^(٥) .



(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (هـ ، ح) : (إِنَّ الْعَقْلَ عَقْلَانِ) بَدَلَ (إِنَّ الْعَقْلَ عَقْلَانِ : الْعَقْلُ
الْأَوَّلُ) .

(٢) انْظُرْ « نَوَادِرُ الْأَصُولِ » (٤ / ٤٢٨ - ٤٣٠) .

(٣) انْظُرْ (٢ / ٤٣١ - ٤٣٢) .

(٤) فِي (ج ، و ، ز) : (بِوَصْفِهِ) بَدَلَ (بِوَضْعِهِ) .

(٥) فِي هَامِشِ (ب) : (بَلْغُ مَقَابَلَةٍ) ، وَفِيهِ : (بَلْغُ سَمَاعِ الْجَمَاعَةِ فِي السَّادِسِ وَالثَّلَاثِينَ
عَلَى الشَّيْخِ أَمِينِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بِقِرَاءَةِ كَاتِبِهِ عَبْدِ السَّلَامِ الْمُقَدَّسِيِّ) .

الباب السابع والخمسون

في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها^(١)

(١٣٤) - أخبرنا الشيخ شيخنا أبو النجيب الشهرزدي رحمه الله ،
قال : أخبرنا أبو الفتح الهروي ، قال : أخبرنا أبو نصر الترياقى ، قال :
أخبرنا أبو محمد الجراحي ، قال : أخبرنا أبو العباس المخبوبى ، قال :
أخبرنا أبو عيسى الترمذى ، قال : حدثنا هناد ، قال : حدثنا
أبو الأحوص ، عن عطاء بن السائب ، عن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن
للشيطان لمةً بآبن آدم ، وللملك لمةً^(٢) ، فأما لمةُ الشيطان : فإيعادٌ بالشرِّ ،
وتكذيبٌ بالحقِّ ، وأما لمةُ الملك : فإيعادٌ بالخير ، وتصديقٌ بالحقِّ ، فمن
وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه ، فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى
فليتعوذ بالله من الشيطان » ، ثم قرأ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة : ٢٦٨] ^(٣) .

(١) مطالعة هذا الباب من أهم المهمات . من هامش (ح) .

(٢) اللمة : من الإلمام ، ومعناه : النزول والقرب والإصابة ، والمراد به : ما يقع في القلب
بواسطة الشيطان أو الملك ، وأما اللمة - بالكسر - فهي الشعر النازل على الكتف .

(٣) سنن الترمذي (٢٩٨٨) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٩٨٥) ، وابن
حبان (٩٩٧) .

قَالَ الشَّيْخُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَإِنَّمَا يَتَطَلَّعُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّمَّتَيْنِ وَتَمْيِيزِ الْخَوَاطِرِ . . طَالِبٌ مُرِيدٌ يَتَشَوَّفُ إِلَى ذَلِكَ تَشَوُّفَ الْعَطْشَانِ إِلَى الْمَاءِ ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ وَقَعِ ذَلِكَ وَخَطَرِهِ وَفَلَاحِهِ ، وَصَلَاحِهِ وَفَسَادِهِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عَبْدًا مُرَادًا بِالْحُظْوَةِ بَصَفُوَ الْيَقِينِ وَمِنَحَ الْمُؤَقِنِينَ^(١) .

وَأَكْثَرُ التَّشَوُّفِ إِلَى ذَلِكَ^(٢) : لِلْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ أَخَذَ بِهِ فِي طَرِيقِهِمْ^(٣) .

وَمَنْ أَخَذَ فِي طَرِيقِ الْأَبْرَارِ . . قَدْ يَتَشَوَّفُ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ التَّشَوُّفِ ؛ لِأَنَّ التَّشَوُّفَ إِلَيْهِ يَكُونُ عَلَى قَدْرِ الْهَمَّةِ وَالطَّلَبِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحِظِّ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ .

وَمَنْ هُوَ فِي مَقَامِ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ . . لَا يَتَطَلَّعُ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّمَّتَيْنِ ، وَلَا يَهْتَمُّ بِتَمْيِيزِ الْخَوَاطِرِ .

وَمِنَ الْخَوَاطِرِ مَا هِيَ رُسُلُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى الْعَبْدِ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ : (لِي قَلْبٌ إِنْ عَصَيْتُهُ عَصَيْتُ اللَّهَ)^(٤) .

وَهَذَا حَالُ عَبْدٍ اسْتَقَامَ قَلْبُهُ ، وَاسْتَقَامَتِ الْقَلْبُ لَطْمَأْنِينَةِ النَّفْسِ ، وَفِي طُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ يَأْسُ الشَّيْطَانُ ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ كَدَّرَتْ صَفَاءَ الْقَلْبِ ، وَإِذَا تَكَدَّرَ الْقَلْبُ طَمَعَ الشَّيْطَانُ وَقَرَّبَ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ صَفَاءَ الْقَلْبِ

(١) قَوْلُهُ : (بِالْحُظْوَةِ) يُقَالُ : رَجُلٌ حَظِيٌّ : إِذَا كَانَ ذَا حُظْوَةٍ وَمَنْزَلَةٍ عِنْدَ مَخْدُومِهِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٢) أَيِ : إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّمَّتَيْنِ .

(٣) الْفِعْلُ (أَخَذَ) هُنَا مِنْ أَفْعَالِ الشَّرْعِ .

(٤) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي « الْقَوْتِ » (١ / ٣٤٠) ، وَقَالَ بَعْدَهُ : (يَعْنِي : أَنَّهُ لَا يُقْدَفُ فِيهِ إِلَّا طَاعَةٌ ، وَلَا يُقَرَّرُ فِيهِ إِلَّا حَقٌّ ؛ فَقَدْ صَارَ رَسُولُهُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا عَصَاهُ فَقَدْ عَصَى الْمُرْسِلَ) .

مَخْفُوفٌ بِالتَّذَكُّرِ وَالرَّعَايَةِ ، وَلِلذِّكْرِ نُورٌ يَتَّقِيهِ الشَّيْطَانُ كَاتِّقَاءِ أَحَدِنَا النَّارَ .

وقد وَرَدَ فِي الْخَبَرِ : « إِنَّ الشَّيْطَانَ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى تَوَلَّى وَخَسَسَ ، وَإِذَا غَفَلَ أَلْتَمَمَ قَلْبُهُ فَحَدَّثَهُ وَمَنَاهُ » (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

[الزخرف : ٣٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا

فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

فبالتقوى وجود خالص الذكر ، وبها يفتح بابه ، ولا يزال العبد يتقي

حتى يحمي الجوارح من المكاره ، ثم يحميها من الفضول وما لا يعنيه ،

فتصير أقواله وأفعاله ضرورة .

ثم ينتقل تقواه إلى باطنه ، ويُطهر الباطن ويُقيده عن المكاره ، ثم من

الفضول ، حتى يتقي حديث النفس ؛ قال سهل بن عبد الله : (أسوأ

المعاصي : حديث النفس) .

ويرى الإصغاء إلى ما تحدث به النفس ذنباً فيتقيه ، ويتقّد القلب عند

هذا الاتقاء بالذكر اتقاد الكواكب في كبد السماء ، ويصير القلب سماء

محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك بعد الشيطان عنه .

(١) رواه أبو يعلى في « المسند » (٤٣٠١) ، وابن أبي الدنيا في « مكاييد الشيطان »

(٢٢) ، وابن عدي في « الكامل » (١٢٩ / ٤) ، والطبراني في « الدعاء »

(١٨٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٦٨ / ٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله

عنه ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٩١٩) ، والطبري في « تفسيره »

(٧٠٩ / ٢٤) موقوفاً على سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

ومثل هذا العبد يندُر في حقِّه الخواطرُ الشيطانيَّةُ ولَمَّاتُهُ ، ويكونُ له خواطرُ النَّفْسِ ، ويحتاجُ إلى أن يتَّقِيها ويُمَيِّزَها بالعلمِ ؛ لأنَّ مِنْها خواطرٌ لا يَضُرُّ إِمضاؤُها ؛ كَمُطالَباتِ النَّفْسِ بِحاجاتِها ، وحاجاتِها تنقسمُ إلى الحقوقِ والحُظوظِ ، ويتعيَّنُ التَّمييزُ عندَ ذلكَ ، واتِّهاهُمُ النَّفْسِ بِمُطالَباتِ الحُظوظِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات : ٦] ؛ أي : فتَبَيَّنُوا .

وسببُ نزولِ الآيةِ : الوليدُ بنُ عُقْبَةَ ؛ حيثُ بعثَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى بني المُصْطَلِقِ ، فَكَذَبَ عليهم وسامَهُم إلى الكُفْرِ والعِصيانِ ، حتَّى هَمَّ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِقتالِهِم ، ثمَّ بعثَ خالداً إليهِم ، فَسَمِعَ أَذانَ المغربِ والعِشاءِ ، ورأى ما يَدُلُّ على كَذِبِ الوليدِ بنِ عُقْبَةَ ، فَأَنزَلَ اللهُ تعالى الآيةَ في ذلكَ ^(١) .

فظاهرُ الآيةِ وسببُ نزولِها ظاهرٌ ، وصارَ ذلكَ تنبيهاً مِنْ اللهُ عبادَهُ على التَّثَبُّتِ في الأمورِ .

قالَ سهلٌ في هذهِ الآيةِ : (الفاسقُ : الكذابُ) ^(٢) .

والكذبُ صفةُ النَّفْسِ ؛ لأنَّها تُملي أشياءً وتُسوِّلُ أشياءً على غيرِ

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٧٩/٤) ، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٦٠٨) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣١٠-٣١١/٣) عن سيدنا الحارث بن ضرار الخزاعي ، وابن راهويه في «المسند» (١٨٨٦) ، والطبري في «تفسيره» (٢٨٦/٢٢) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠١/٢٣) عن سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) تفسير التستري (ص ١٤٩) ، وأورده السلمي في «تفسيره» (٢٦١/٢) ، والشعلبي في «الكشف والبيان» (٣٦٤/٢٤) .

حقائقها ، فتعيّن الثبُتُ عندَ خاطِرها وإلقائها ، فيجعلُ العبدُ خاطرَ النَّفسِ نبأً يُوجبُ الثبُتَ ، ولا يَستفزُّه الطبعُ ، ولا يستعجلُّه الهوى ؛ فقد قال بعضهم : (أدنى الأدبِ : أن تقفَ عندَ الجهلِ ، وآخرُ الأدبِ : أن تقفَ عندَ الشُّبهةِ)^(١) .

وَمِنَ الأدبِ عندَ الاشتباهِ : إنزالُ خاطرِ مُحَرِّكِ النَّفسِ وخالقِها وبارئها وفاطرِها ، وإظهارُ الفقرِ والفاقةِ إليه ، والاعترافُ بالجهلِ ، وطلبُ المعرفةِ والمعونَةِ مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا أَتَى بِهَذَا الْأَدَبِ يُغَاثُ وَيُعَانُ ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ هَلِ الْخَاطِرُ لَطَلَبِ حَظٍّ أَوْ طَلَبِ حَقٍّ ؛ فَإِنْ كَانَ لِلْحَقِّ أَمْضَاهُ ، وَإِنْ كَانَ لِلْحَظِّ نَفَاهُ .

وهذا التوقُّفُ إِذَا لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُ الْخَاطِرُ بظَاهِرِ الْعِلْمِ ؛ لِأَنَّ الْإِفْتِقَارَ إِلَى بَاطِنِ الْعِلْمِ عِنْدَ فَقْدِ الدَّلِيلِ فِي ظَاهِرِ الْعِلْمِ .

ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَسَعُهُ فِي صِحَّتِهِ إِلَّا الْوُقُوفُ عَلَى الْحَقِّ دُونَ الْحَظِّ ، وَإِنْ أَمْضَى خَاطِرَ الْحَظِّ يَصِيرُ ذَلِكَ ذَنْبَ حَالِهِ ، يَسْتَغْفِرُ مِنْهُ كَمَا يَسْتَغْفِرُ مِنَ الذُّنُوبِ .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَدْخُلُ فِي تَنَاوُلِ الْحَظِّ ، وَيُمْضِي خَاطِرَهُ بِمَزِيدِ عِلْمٍ لَدَيْهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ عِلْمُ السَّعَةِ لِعَبْدٍ مَأْذُونٍ لَهُ فِي السَّعَةِ ، عَالِمٍ بِالْإِذْنِ ؛ فَيُمْضِي خَاطِرَ الْحَظِّ وَالْمَرَادَ بِذَلِكَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ، يَحْسُنُ بِهِ ذَلِكَ وَيَلِيقُ بِهِ ، عَالِمٍ بِزِيَادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ ، عَالِمٍ بِحَالِهِ ، مُحْكِمٍ لِعِلْمِ الْحَالِ وَعِلْمِ الْقِيَامِ ، لَا يُقَاسُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَا يُدْخَلُ فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ خَاصٌّ لِعَبْدٍ خَاصٍّ .

(١) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٢٠٧) عن سهل بن عبد الله التستري من قوله رحمه الله تعالى ، وفي نسخة على هامش (ج) : (وأحسن) بدل (وآخر) .

وَإِذَا كَانَ شَأْنُ الْعَبْدِ تَمْيِيزَ خَوَاطِرِ النَّفْسِ فِي مَقَامِ تَخْلُصِهِ مِنْ لَمَاتِ الشَّيْطَانِ . . تَكْثُرُ لَدَيْهِ خَوَاطِرُ الْحَقِّ وَخَوَاطِرُ الْمَلَكِ ، وَتَصِيرُ الْخَوَاطِرُ الْأَرْبَعَةُ فِي حَقِّهِ ثَلَاثَةً ، وَيَسْقُطُ خَاطِرُ الشَّيْطَانِ إِلَّا نَادِرًا لَضِيقِ مَكَانِهِ مِنَ النَّفْسِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ بِطَرِيقِ اتِّسَاعِ النَّفْسِ ، وَاتِّسَاعُ النَّفْسِ بِاتِّبَاعِ الْهَوَىِّ وَالْإِخْلَادِ إِلَى الْأَرْضِ^(١) ، وَمَنْ ضَاقَ النَّفْسَ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْحَظِّ . . ضَاقَتْ نَفْسُهُ ، وَسَقَطَ مَحَلُّ الشَّيْطَانِ إِلَّا نَادِرًا ؛ لَدُخُولِ الْإِبْتِلَاءِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ مِنَ الْمُرَادِينَ الْمُتَعَلِّقِينَ بِمَقَامِ الْمُقَرَّبِينَ مَنْ إِذَا صَارَ قَلْبُهُ سَمَاءً مُزِينًا بِزِينَةِ كَوَاكِبِ الذِّكْرِ . . يَصِيرُ قَلْبُهُ سَمَاوِيًّا ، فَيَتَرَقَّى وَيَعْرُجُ بِبَاطِنِهِ وَمَعْنَاهُ وَحَقِيقَتِهِ فِي طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ ، وَكَلَّمَا تَرَقَّى تَضَاعَلُ النَّفْسُ الْمُطْمِئِنَّةُ وَتَبْعُدُ عَنْهُ^(٢) ، وَتَبْعُدُ خَوَاطِرُهَا ، حَتَّى يُجَاوِزَ السَّمَاوَاتِ بِعُرُوجِ بَاطِنِهِ ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَاهِرِهِ وَقَالِبِهِ .

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ الْعُرُوجَ تَنْقَطِعُ عَنْهُ خَوَاطِرُ النَّفْسِ ؛ لِتَسْتَرِّهِ بِأَنْوَارِ الْقُرْبِ ، وَبُعْدِ النَّفْسِ عَنْهُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْقَطِعُ عَنْهُ خَوَاطِرُ الْحَقِّ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ الْخَاطِرَ رَسُولًا ، وَالرَّسَالََةَ إِلَى مَنْ بَعْدَ ، وَهَذَا قَرِيبٌ .

وهذا الذي وَصَفْنَاهُ نَازِلٌ يَنْزِلُ بِهِ وَلَا يَدُومُ ، بَلْ يَعُودُ فِي هَبْوَاطِهِ إِلَى مَنَازِلِ مُطَالَبَاتِ النَّفْسِ وَخَوَاطِرِهِ^(٣) ، فَتَعُودُ إِلَيْهِ خَوَاطِرُ الْحَقِّ وَخَوَاطِرُ

(١) فِي (د) : (وَالْخُلُود) بَدَلَ (وَالْإِخْلَاد) ، وَالْكَثِيرُ الْفَصِيحُ مَا أُثْبِتَ .

(٢) أَيِ : عَنِ الْقَلْبِ .

(٣) فِي (ح) : (وَخَوَاطِرُهَا) .

الْمَلِكِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَوَاطِرَ تَسْتَدْعِي وَجُوداً ، وَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ حَالُ الْفَنَاءِ ،
فَلَا خَاطِرَ فِيهِ ، وَخَاطِرُ الْحَقِّ انْتَفَى لِمَكَانِ الْقُرْبِ ، وَخَاطِرُ النَّفْسِ بَعْدَ لُبْعِدِ
النَّفْسِ ، وَخَاطِرُ الْمَلِكِ تَخَلَّفَ عَنْهُ كَتَخَلَّفَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي لَيْلَةِ
الْمِعْرَاجِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حَيْثُ قَالَ : (لَوْ دَنَوْتُ أَنْمُلَةً
لَا حَرَقْتُ) (١) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ : (الْمُحَدَّثُ وَالْمُكَلَّمُ إِذَا تَحَقَّقَا فِي
دَرَجَتَيْهِمَا . . . لَمْ يَخَافَا مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ ، فَكَمَا أَنَّ النَّبُوَّةَ مَحْفُوظَةٌ مِنْ إِقَاءِ
الشَّيْطَانِ . . . كَذَلِكَ مَحَلُّ الْمُكَالَمَةِ وَالْمُحَادَثَةِ مَحْفُوظٌ مِنْ إِقَاءِ النَّفْسِ
وَفِتْنَتِهَا ، وَمَحْرُوسٌ بِالْحَقِّ وَالسَّكِينَةِ ؛ لِأَنَّ السَّكِينَةَ حِجَابُ الْمُكَلَّمِ
وَالْمُحَدَّثِ مَعَ نَفْسِهِ) (٢) .

وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيَّ بِالْبَصْرَةِ يَقُولُ : (الْخَوَاطِرُ
أَرْبَعَةٌ : خَاطِرٌ مِنَ النَّفْسِ ، وَخَاطِرٌ مِنَ الْحَقِّ ، وَخَاطِرٌ مِنَ الشَّيْطَانِ ،
وَخَاطِرٌ مِنَ الْمَلِكِ .

فَأَمَّا الَّذِي مِنَ النَّفْسِ : يُحَسُّ بِهِ مِنْ أَرْضِ الْقَلْبِ ، وَالَّذِي مِنَ الْحَقِّ :

-
- (١) رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي « الْعِظْمَةِ » (٢٦٤) ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ »
(٦٤٠٧) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » (٥٥ / ٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ ، وَرَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي « الْعِظْمَةِ » (٢٧١) ، وَالْدِّينُورِيُّ الْمَالِكِيُّ فِي « الْمَجَالَسَةِ
وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ » (٦٥) مَرْسَلًا عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَعِنْدَ جَمِيعِهِمْ : أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ جَبْرِيلَ : « هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ » ، فَانْتَفَضَ جَبْرِيلُ ،
فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَابًا مِنْ نُورٍ ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْ أَدْنَاهَا لَأَحْرَقَتْ .
(٢) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِهِ » (ص ٢٢٠) .

مِنْ فَوْقِ الْقَلْبِ ، وَالَّذِي مِنَ الْمَلَكِ : عَنْ يَمِينِ الْقَلْبِ ، وَالَّذِي مِنَ الشَّيْطَانِ : عَنْ يَسَارِ الْقَلْبِ .

وَالَّذِي ذَكَرَهُ إِنَّمَا يَصِحُّ لِعَبْدٍ أَذَابَ نَفْسَهُ بِالتَّقْوَى وَالزُّهْدِ ، وَتَصَفَّى وُجُودَهُ ، وَاسْتَقَامَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ ، فَيَكُونُ قَلْبُهُ كَالْمِرْآةِ الْمَجْلُوءَةِ لَا يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا وَيُبْصِرُهُ ، فَإِذَا اسْوَدَّ الْقَلْبُ وَعَلَاهُ الرَّيْنُ لَا يُبْصِرُ الشَّيْطَانُ .

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَأَسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهِ حَتَّى يَعْلُو قَلْبُهُ الرَّيْنُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] » (١) .

سَمِعْتُ بَعْضَ الْعَارِفِينَ يَقُولُ كَلَاماً دَقِيقاً كُوشِفَ بِهِ ؛ فَقَالَ : (الْحَدِيثُ فِي بَاطِنِ الْإِنْسَانِ ، وَالْخِيَالُ الَّذِي يَتَرَاءَى لِبَاطِنِهِ وَيَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَصَفَاءِ الذِّكْرِ) (٢) . هُوَ مِنَ الْقَلْبِ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ النَّفْسِ ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا تَقَرَّرَ .

فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ مُنَاقَاةً وَمُحَادَاثَةً (٣) ،

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٤٤) ، وأحمد (٢٩٧/٢) ، وقوله : (حتى يعلو قلبه الرين) كذا في (و ، ح) ، وفي (أ ، ب ، ج ، د) : (يعلو قلبه) دون ذكر (الرين) ، وفي (هـ ، ز) : (تعلو قلبه) ؛ أي : النكته ، والرین والرآن واحدٌ ؛ وهو الطبع والتغطية .

(٢) في (ب ، و ، ز) : (ويحيل) بدل (ويحول) ، وفي (هـ ، ح) : (ويتخيل) ، وفي (ي) : (ويحيل ويخيل) .

(٣) المُنَاقَاةُ فِي الْأَصْلِ : تَكْلِيمُ الصَّبِيِّ بِمَا يَهْوَاهُ .

وتألفاً وتودُّداً ، وكلّما انطلقتِ النَّفْسُ في شيءٍ بهواها مِنْ القولِ والفعلِ . .
تأثّر القلبُ بذلك وتكدّر ، فإذا عادَ العبدُ مِنْ مواطنِ مُطالباتِ النَّفْسِ ، وأقبلَ
على ذِكْرِهِ ومَحَلِّ مُناجاتِهِ وخِدْمَتِهِ لله تعالى . . أقبلَ القلبُ بالمُعَاتِبَةِ لِلنَّفْسِ ،
وذكرَ النَّفْسَ شيئاً فشيئاً مِنْ فعلِها وقولِها ، كاللائمِ لِلنَّفْسِ والمُعَاتِبِ لها على
ذلك .

فإذا كانَ الخاطرُ أوَّلَ الفعلِ ومُفتتحَهُ . . فمعرفةُ مَنْ أَهَمَّ شأنِ العبدِ ؛ لأنَّ
الأفعالَ مِنْ الخواطرِ تنشأ ؛ حتى ذَهَبَ بعضُ العلماءِ إلى أَنَّ العِلْمَ المُفْتَرَضَ طلبُهُ
بقولِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : « طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »^(١) . .
هو علمُ الخواطرِ ؛ قالَ : (لأنها أوَّلُ الفعلِ ، وبفسادِها فسادُ الفعلِ) .

وهذا لَعَمْرِي لا يتوجّه ؛ لأنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم أَوْجَبَ
ذلكَ على كُلِّ مسلمٍ ، وليسَ كُلُّ المسلمينَ عندهُمْ مِنَ القريحةِ والمعرفةِ
ما يعرفونَ بهِ ذلكَ^(٢) ، ولكن يعلمُ الطالبُ أَنَّ الخواطرَ بمثابةِ البَذْرِ ؛ فَمِنْهَا
ما هوَ بَذْرُ السعادةِ ، وَمِنْهَا ما هوَ بَذْرُ الشقاوةِ .

وسببُ اشتباهِ الخواطرِ : أحدُ أربعةِ أشياءَ لا خامسَ لها : إمّا ضَعْفُ
اليقينِ ، أو قِلَّةُ العلمِ بمعرفةِ النفسِ وصفاتِها وأخلاقِها ، أو مُتَابَعَةُ الهوى
بخرمِ قواعدِ التقوى ، أو مَحَبَّةُ الدُّنْيَا وجاهِها ومالِها وطَلَبُ الرِّفْعَةِ والمنزلةِ
عندَ الناسِ .

فَمَنْ عَصِمَ عن هذهِ الأربعةِ يُفَرِّقُ بَيْنَ لَمَّةِ المَلَكِ وَلَمَّةِ الشيطانِ ، وَمَنْ

(١) سبق تخريجه في (٣٧٨ / ١) .

(٢) في (ب ، د) : (العزيمة) بدل (القريحة) .

ابتلي بها لا يعلمها ولا يتطلبها ، وانكشف بعض الخواطر دون البعض
لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض .

وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ، ومعرفة النفس
عسير المنال ، لا يكاد يتيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى .

واتفق المشايخ : على أن مَنْ كَانَ أَكْلُهُ مِنَ الْحَرَامِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْإِلْهَامِ
وَالْوَسْوَسَةِ ، وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ : (مَنْ كَانَ قُوَّتُهُ مَعْلُومًا لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ
الْإِلْهَامِ وَالْوَسْوَسَةِ)^(١) .

وهذا^(٢) لا يصح على الإطلاق إلا بقيد ؛ وذلك أَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ مَا يُقِيمُهُ
الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعَبْدٍ بِإِذْنٍ يَسْبِقُ إِلَيْهِ فِي الْأَخْذِ مِنْهُ وَالتَّقَوُّتِ ، وَمِثْلُ
هَذَا الْمَعْلُومِ لَا يَحْجُبُ عَنِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ ، إِنَّمَا ذَلِكَ يُقَالُ فِي حَقِّ مَنْ
دَخَلَ فِي مَعْلُومٍ بِاخْتِيَارٍ مِنْهُ وَإِثَارٍ ؛ لِأَنَّهُ يَنْحَجِبُ لِمَوْضِعِ اخْتِيَارِهِ ، وَالَّذِي
أَشْرْنَا إِلَيْهِ مُنْسَلَخٌ مِنْ إِرَادَتِهِ ، فَلَا يَحْجُبُهُ الْمَعْلُومُ .

وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان ، وقالوا : إِنَّ النَّفْسَ
تُطَالِبُ وَتُلْحِقُ ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مُرَادِهَا ، وَالشَّيْطَانُ إِذَا دَعَا إِلَى
زَلَةٍ وَلَمْ يُجِبْ يُوسُوسُ بِأُخْرَى ؛ إِذْ لَا غَرَضَ لَهُ فِي تَخْصِيسِ ، بَلْ مُرَادُهُ
الْإِغْوَاءُ كَيْفَ أَمَكْنَ^(٣) .

وتكلم الشيوخ في الخاطرين إذا كانا من الحق : أيهما يتبع ؟

(١) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٢٨٤) .

(٢) يعني : ما ذكره أبو علي خاصة . من هامش (ج) .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٨٥) .

قَالَ الْجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللَّهُ : (الْخَاطِرُ الْأَوَّلُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا بَقِيَ رَجَعَ صَاحِبُهُ إِلَى التَّأَمُّلِ ، وَهَذَا شَرْطُ الْعِلْمِ) (١) .

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : (الثَّانِي أَقْوَى ؛ لِأَنَّهُ إِزْدَادُ قُوَّةٍ بِالْأَوَّلِ) (٢) .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفِيفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : (هُمَا سَوَاءٌ ؛ لِأَنَّهُمَا مِنَ الْحَقِّ ، فَلَا مَزِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ) (٣) .

وَقَالُوا : الْوَارِدَاتُ أَعْمُ مِنَ الْخَوَاطِرِ (٤) ؛ لِأَنَّ الْخَوَاطِرَ تَخْتَصُّ بِنَوْعِ خُطَابٍ أَوْ مُطَالَبَةٍ ، وَالْوَارِدَاتُ تَكُونُ تَارَةً خَوَاطِرَ ، وَتَارَةً تَكُونُ وَارِدَ سُرُورٍ ، وَوَارِدَ حُزْنٍ ، وَوَارِدَ قَبْضٍ ، وَوَارِدَ بَسْطٍ (٥) .

وَقِيلَ : (بَنُورِ التَّوْحِيدِ يُقْبَلُ الْخَاطِرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَنُورِ الْمَعْرِفَةِ يُقْبَلُ مِنَ الْمَلِكِ ، وَبَنُورِ الْإِيمَانِ تُنْهَى النَّفْسُ ، وَبَنُورِ الْإِسْلَامِ يُرَدُّ عَلَى الْعَدُوِّ) (٦) .

وَمَنْ قَصَرَ عَنْ دَرْكِ حَقَائِقِ الزُّهْدِ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى تَمْيِيزِ الْخَوَاطِرِ . . يَزِنُ الْخَاطِرَ أَوَّلًا بِمِيزَانِ الشَّرْعِ ؛ فَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَضْلًا أَوْ فَرْضًا . . يُمَضِّيه ، وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ مُحَرَّمًا أَوْ مَكْرُوهًا . . يَنْفِيهِ ، فَإِنْ اسْتَوَى الْخَاطِرَانِ فِي نَظَرِ

(١) أوردته القشيري في « رسالته » (ص ٢٨٥) .

(٢) أوردته القشيري في « رسالته » (ص ٢٨٥) .

(٣) أوردته القشيري في « رسالته » (ص ٢٨٥) .

(٤) وعرف الإمام القشيري الوارد في « رسالته » (ص ٢٨٧) بقوله : (والوارد : ما يرد على القلوب من الخواطر المحموده ممّا لا يكون بتعمّل العبد ، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر ؛ فهو أيضاً وارد) .

(٥) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٨٧) .

(٦) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٤) .

العلم . . يُنفذُ أقربَهُما إلى مُخَالَفَةِ هوى النَّفْسِ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ قد يكونُ لها هوى كامنٌ في أحدهما ، والغالبُ مِنْ شأنِ النَّفْسِ الاعوجاجُ والرُّكونُ إلى الدُّونِ .

وقد يُلَمُّ الخاطرُ بنشاطِ النَّفْسِ والعبدُ يَظُنُّ أَنَّهُ بنهوضِ القلبِ ، وقد يكونُ مِنَ القلبِ نفاقٌ بسكونِهِ إلى النَّفْسِ ؛ يقولُ بعضُهُمْ : (منذُ عشرينَ سنةً ما سَكَنَ قلبي إلى نَفْسِي ساعةً)^(١) .

فيظهرُ مِنَ سكونِ القلبِ إلى النَّفْسِ خواطرٌ تشتبهُ بخواطرِ الحقِّ على مَنْ يكونُ ضعيفَ العلمِ ، ولا يُدرِكُ نفاقَ القلبِ والخواطرَ المُتولِّدةَ منه . . إلا العلماءُ الراسخونَ ، وأكثرُ ما تدخلُ الآفاتُ على أربابِ القلوبِ ، والآخذينَ مِنَ اليقينِ واليقظةِ والحالِ بسهمٍ مِنْ هذا القبيلِ ؛ وذلكَ لِقِلَّةِ العلمِ بالنَّفْسِ والقلبِ ، وبقاءِ نصيبِ الهوى فيهِم ، وينبغي أن يعلمَ العبدُ قطعاً أَنَّهُ مهما بقيَ عليه أثرٌ مِنَ الهوى وإن دَقَّ وقلَّ . . يبقى عليه بحسبه بقيَّةٌ مِنْ اشتباهِ الخواطرِ .

ثمَّ قد يَغْلَطُ في تمييزِ الخواطرِ محرومٌ قليلُ العلمِ ، ولا يُؤاخذُ بذلكَ ما لم يكنْ عليه مِنَ الشرعِ مُطالَبَةً ، وقد لا يُسامَحُ بذلكَ بعضُ الغالطينَ ؛ لِما كُوشِفُوا بِهِ مِنْ دَقِيقِ الخفاءِ في التمييزِ ، ثمَّ استعجالِهِم معَ علمِهِم وقِلَّةِ التَّشَبُّتِ .

وذكرَ بعضُ العلماءِ^(٢) : أَنَّ لَمَّةَ الْمَلِكِ وَلَمَّةَ الشَّيْطَانِ وَجِدَتَا لِحركةِ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١ / ٣٤٠) .

(٢) هو الإمام أبو طالب المكي في « قوت القلوب » .

النَّفْسِ وَالرُّوحِ ، وَأَنَّ النَّفْسَ إِذَا تَحَرَّكَتِ انْقَدَحَ مِنْ جَوْهَرِهَا ظُلْمَةٌ تَنَكُّتُ فِي الْقَلْبِ هِمَّةٌ سَوَاءٌ ، فَيَنْظُرُ الشَّيْطَانُ إِلَى الْقَلْبِ ، فَيَقْبِلُ بِالْإِغْوَاءِ وَالْوَسْوَسَةِ .

وَذَكَرَ : أَنَّ حَرَكَةَ النَّفْسِ تَكُونُ إِمَّا هَوًى ؛ وَهِيَ عَاجِلٌ حَظُّ النَّفْسِ ، أَوْ أُمْنِيَّةً ؛ وَهِيَ عَنِ الْجَهْلِ الْغَرِيزِيِّ ، أَوْ دَعْوَى حَرَكَةٍ أَوْ سَكُونٍ ؛ وَهِيَ آفَةُ الْعَقْلِ وَمِخْنَةُ الْقَلْبِ ، وَلَا تَرُدُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ إِلَّا بِأَحَدٍ ثَلَاثَةٍ : بِجَهْلِ ، أَوْ غَفْلَةٍ ، أَوْ طَلَبِ فُضُولٍ .

ثُمَّ يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مَا يَجِبُ نَفْيُهُ ؛ فَإِنَّهَا تَرُدُّ بِخِلَافِ مَأْمُورٍ ، أَوْ عَلَى وَفْقِ مَنْهِيٍّ ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ نَفْيُهَا فَضِيلَةً إِذَا وَرَدَتْ بِمُبَاحَاتٍ .

وَذَكَرَ : أَنَّ الرُّوحَ إِذَا تَحَرَّكَتِ انْقَدَحَ مِنْ جَوْهَرِهَا نُورٌ سَاطِعٌ ، يَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فِي الْقَلْبِ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ بِأَحَدٍ مَعَانٍ ثَلَاثَةٍ : إِمَّا بِفَرْضِ أَمْرٍ بِهِ ، أَوْ بِفَضْلِ نَدَبٍ إِلَيْهِ ، وَإِمَّا بِمُبَاحٍ يَعُودُ صِلَا حُهُ إِلَيْهِ^(١) .

وَهَذَا الْكَلَامُ يُدَلُّ عَلَى أَنَّ حَرَكَةَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ هُمَا الْمُوجِبَتَانِ لِلْمَتَيْنِ . وَعِنْدِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ : أَنَّ اللَّمَّتَيْنِ تَتَقَدَّمَانِ عَلَى حَرَكَةِ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ ؛ فَحَرَكَةُ الرُّوحِ مِنْ لَمَّةِ الْمَلِكِ ، وَالْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ مِنْ حَرَكَةِ الرُّوحِ ، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مِنَ الرُّوحِ بَرَكَةٌ لَمَّةِ الْمَلِكِ ، وَحَرَكَةُ النَّفْسِ مِنْ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ ، وَمِنْ حَرَكَةِ النَّفْسِ الْهِمَّةُ الدَّنِيَّةُ ، وَهِيَ مِنْ شُؤْمٍ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا وَرَدَتِ اللَّمَّتَانِ ظَهَرَتِ الْحَرَكَتَانِ ، وَظَهَرَ سِرُّ الْعَطَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ مِنْ مُعْطٍ كَرِيمٍ وَمُتَبَلٍّ حَكِيمٍ .

وَقَدْ تَكُونُ هَاتَانِ اللَّمَّتَانِ مُتَدَارِكَتَيْنِ ، وَيَنْمُجِي أَثَرُ أَحَدَاهُمَا بِالْأُخْرَى ،

(١) الْكَلَامُ بِنَحْوِهِ فِي « قُوتِ الْقُلُوبِ » (١ / ٣٤٥) .

وَالْمُتَفَتِّنُ الْمُتَيَقِّظُ يَنْفَتَحُ عَلَيْهِ بِمُطَالَعَةِ وَجُودِ هَذِهِ الْآثَارِ فِي ذَاتِهِ بَابُ أَنْسٍ ،
وَيَبْقَى أَبَداً مُتَفَقِّداً حَالَهُ مُطَالِعاً آثَارَ اللَّمَّاتِ (١) .

وَذِكْرَ خَاطِرٍ خَامِسٍ - وَهُوَ خَاطِرُ الْعَقْلِ - مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ الْأَرْبَعَةِ ،
فَيَكُونُ مَعَ النَّفْسِ وَالْعَدْوِّ ؛ لَوْجُودِ التَّمْيِيزِ وَإِثْبَاتِ الْحُجَّةِ عَلَى الْعَبْدِ ؛ لِيَدْخُلَ
الْعَبْدُ فِي الشَّيْءِ بِوَجُودِ عَقْلٍ ؛ إِذْ لَوْ فَقَدَ الْعَقْلُ سَقَطَ الْعِقَابُ وَالْعِتَابُ ، وَقَدْ
يَكُونُ مَعَ الْمَلِكِ وَالرُّوحِ ؛ لِيُوقَعَ الْفَعْلُ مُخْتَاراً ، وَيَسْتَوْجِبَ بِهِ الثَّوَابُ .

وَذِكْرَ خَاطِرٍ سَادِسٍ ؛ وَهُوَ خَاطِرُ الْيَقِينِ ، وَهُوَ رُوحُ الْإِيمَانِ وَمَزِيدُ
الْعِلْمِ .

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ : الْخَاطِرُ السَّادِسُ - وَهُوَ خَاطِرُ الْيَقِينِ - حَاصِلُهُ رَاجِعٌ
إِلَى مَا يَرُدُّ مِنْ خَاطِرِ الْحَقِّ ، وَخَاطِرُ الْعَقْلِ أَصْلُهُ تَارَةٌ مِنْ خَاطِرِ الْمَلِكِ ،
وَتَارَةٌ مِنْ خَاطِرِ النَّفْسِ ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ خَاطِرٌ عَلَى الْإِسْتِقْلَالِ ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ
كَمَا ذَكَرْنَا غَرِيزَةً يَتَهَيَّأُ بِهَا إِدْرَاكُ الْعُلُومِ ، وَيَتَهَيَّأُ بِهَا الْإِنْجِذَابُ إِلَى دَوَاعِي
النَّفْسِ تَارَةً ، وَإِلَى دَوَاعِي الرُّوحِ تَارَةً ، وَإِلَى دَوَاعِي الْمَلِكِ تَارَةً ، وَإِلَى
دَوَاعِي الشَّيْطَانِ تَارَةً .

فَعَلَى هَذَا : لَا تَزِيدُ الْخَوَاطِرُ عَلَى الْأَرْبَعَةِ (٢) .

(١) فِي (د) : (اللمتين) .

(٢) ثُمَّ أَعْلَمَ بَعْدَ هَذَا التَّقْسِيمِ : أَنَّ الْخَاطِرَ الَّذِي مِنْ قِبَلِ اللَّهِ ابْتِدَاءً . . . قَدْ يَكُونُ بَخِيرٌ ؛
إِكْرَاماً وَالْإِزَاماً لِلْحُجَّةِ ، وَقَدْ يَكُونُ بَشَرٌ ؛ امْتِحَاناً وَتَغْلِيظاً لِلْمَحْنَةِ ، وَالْخَاطِرُ الَّذِي مِنْ
قِبَلِ الْمَلِكِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَخِيرٌ ؛ إِذْ هُوَ نَاصِحٌ مُرْشِدٌ لَمْ يُرْسَلْ إِلَّا بِذَلِكَ ، وَالْخَاطِرُ الَّذِي
مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ لَا يَكُونُ [إِلَّا] بَشَرٌ ؛ إِغْوَاءً وَاسْتِزْلَالاً ، وَرَبَّمَا يَكُونُ بِالْخَيْرِ مَكْرَأً
وَاسْتِدْرَاجاً ، وَالَّذِي يَكُونُ مِنْ قِبَلِ هَوَى النَّفْسِ يَكُونُ بِالشَّرِّ ، وَرَبَّمَا لَا خَيْرَ فِيهِ تَمْتَعاً =

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر غير اللَّمَّتَيْنِ ، وهاتان اللَّمَّتَانِ هما الأصلُ ، والخاطرانِ الآخرانِ فرعٌ عليهما ؛ لأنَّ لَمَّةَ الْمَلِكِ إذا حَرَّكَتِ الرُّوحَ ، واهتزَّتِ الرُّوحُ بِالْهَمَّةِ الصَّالِحَةِ . قَرُبْتُ باهتزازِها بِالْهَمَّةِ الصَّالِحَةِ إِلَى حَظَائِرِ الْقُرْبِ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِ عِنْدَ ذَلِكَ خَوَاطِرُ مِنَ الْحَقِّ ، وَإِذَا تَحَقَّقَ بِالْقُرْبِ يَتَحَقَّقُ بِالْفَنَاءِ ، فَتَثْبُتُ الْخَوَاطِرُ الرَّبَّانِيَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ - كَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ - لِمَوْضِعِ قُرْبِهِ ، فَيَكُونُ أَصْلُ خَوَاطِرِ الْحَقِّ لَمَّةَ الْمَلِكِ .

وَلَمَّةُ الشَّيْطَانِ إِذَا حَرَّكَتِ النَّفْسَ هَوَتْ بِجِبِلَّتِهَا إِلَى مَرْكَزِهَا مِنَ الْغَرِيزَةِ وَالطَّبْعِ ، فَظَهَرَ مِنْهَا لِحَرَكَتِهَا خَوَاطِرُ مُلَائِمَةٍ لْغَرِيزَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا وَهَوَاهَا ، فَصَارَتْ خَوَاطِرُ النَّفْسِ نَتِيجَةَ لَمَّةِ الشَّيْطَانِ ، فَأَصْلُهُمَا لَمَّتَانِ تُتَّبَعَانِ أُخْرَيَيْنِ ، وَخَاطِرُ الْيَقِينِ وَالْعَقْلِ مُنْدَرِجٌ فِيهِمَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١) .



= وتَعَسُّفًا ، وَلَقَدْ وَجَدْتُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ : أَنَّ هَوَى النَّفْسِ أَيْضًا قَدْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ شَرُّ كَالشَّيْطَانِ . « مِنْهَاجُ الْعَابِدِينَ » . مِنْ هَامِش (ح) .
 (١) فِي هَامِش (ب) : (بَلَّغْ مُقَابِلَةً ، بَلَّغْ قِرَاءَةً) .

الباب الثامن والخمسون

في شرح الحال والمقام والفرق بينهما

قد كثر الاشتباه بين الحال والمقام ، واختلفت إشارات الشيوخ في ذلك^(١) ، ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسيهما وتداخلهما ، فترأى للبعض الشيء حالاً ، وترأى للبعض مقاماً ، وكلا الرؤيتين صحيح ؛ لوجود تداخلهما^(٢) .

ولا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ ضابطٍ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا ؛ عَلَى أَنَّ اللفظَ والعبارةَ عَنْهُمَا مُشْعِرٌ بِالْفَرْقِ ؛ فَالْحَالُ سُمِّيَ حَالاً ؛ لِتَحَوُّلِهِ ، وَالْمَقَامُ مَقَاماً ؛ لِثَبُوتِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ .

وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً ؛ مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ، ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس ، ثم تعود ، ثم تزول ، فلا يزال للعبد حال المحاسبة ، يتعاهدُ الحال ، ثم يحول الحال بظهور صفات النفس ، إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ، ويغلب حال المحاسبة ، وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة ، فتصير المحاسبة

(١) في (أ) : (واختلفت الشيوخ فيهما وإشارات المشايخ في ذلك) .

(٢) وفي هامش (ح) : (الأحوال : هي المواهب الفائضة على العبد من ربه ؛ إمّا واردة عليه ميزاناً للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب ، وإمّا نازلة من الحق امتناناً محضاً ، وإنما سُميت أحوالاً ؛ لحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات العبد إلى الصفات الحقيّة ودرجات القرب ؛ وذلك معنى الترقّي . من « قاشاني ») .

وطنه ومُستقرّه ومقامه ، ويصيرُ في مقامِ المُحاسبة بعدَ أن كانَ له حالُ المُحاسبة .

ثمَّ يُنازلهُ حالُ المُراقبةِ ، فمَنْ كانتِ المُحاسبةُ مقامه يصيرُ له مِنَ المُراقبةِ حالٌ ، ثمَّ يحولُ حالُ المُراقبةِ ؛ لتناوُبِ السَّهْوِ والغفلةِ في باطنِ العبدِ ، إلى أن ينقشعَ ضبابُ السَّهْوِ والغفلةِ ، ويتداركُ اللهُ عبدهُ بالمعونةِ ، فتصيرُ المُراقبةُ مقاماً بعدَ أن كانتُ حالاً .

ولا يستقرُّ مقامُ المُحاسبةِ قرارهُ إلا بنازلِ حالِ المُراقبةِ ، ولا يستقرُّ مقامُ المُراقبةِ قرارهُ إلا بنازلِ حالِ المُشاهدةِ ، فإذا مُنِحَ العبدُ بنازلِ حالِ المُشاهدةِ . . استقرَّت مُراقبتهُ وصارتُ مقامه ، ونازلُ المُشاهدةِ أيضاً يكونُ حالاً يحولُ بالاستتارِ ، ويظهرُ بالتَّجَلِّي ، ثمَّ يصيرُ مقاماً ، وتتخلَّصُ شمسُهُ عن كسوفِ الاستتارِ .

ثمَّ في مقامِ المُشاهدةِ أحوالٌ وزياداتٌ وترقياتٌ مِنْ حالٍ إلى حالٍ أعلى منه ؛ كالتحقُّقِ بالفناءِ ، والتخلُّصِ إلى البقاءِ ، والترقِّي مِنْ عَيْنِ اليقينِ إلى حقِّ اليقينِ ، وحقُّ اليقينِ نازلٌ يخرِقُ شَغافَ القلبِ^(١) ، وذلكَ أعلى فروعِ المُشاهدةِ .

وقد قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَاناً يُبَاشِرُ قَلْبِي »^(٢) .

(١) الشَّغافُ : [غلاف] القلب ؛ وهو جلدةٌ دونه كالْحِجَابِ ؛ [يُقَالُ] : شَغَفَهُ الحُبُّ ؛ أي : بلغ شغافه ، وقرأ ابن عباس : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ [يوسف : ٣٠] ، [قال] : دخل حُبُّه تحت الشَّغاف . « صحاح » . من هامش (ح) .

(٢) رواه البزار في « المسند » (٥٣٨٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، =

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : (للقلب تجويفان ؛ أحدهما : باطنٌ ، وفيه السمع والبصر ، وهو قلب القلب وسويداؤه .

والتجويف الثاني : ظاهر القلب ، وفيه العقل ، ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين ؛ هو صقال لموضع مخصوص فيه ، بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ، ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات ، فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات ^(١) .

وهذه الحالة التي خرقت شغاف القلب ووصلت إلى سويدائه وهو حق اليقين . . هي أسنى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها ، ونسبة هذه الحال من المشاهدة كنسبة الأجر من التراب ؛ إذ يكون تراباً ، ثم طيناً ، ثم لبناً ، ثم أجراً .

فالمشاهدة هي الأول والأصل ، يكون منها الفناء ؛ كالطين ، ثم البقاء ؛ كاللبن ، ثم هذه الحالة ، وهي آخر الفروع .

ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة - وهي أشرف الأحوال ، وهي مخض موهبة لا تُكتسب . . . سُميت كل المواهب من النوازل بالعبد أحوالاً ؛ لأنها غير مقدورة للعبد بكسبه ، فأطلقوا القول فيه ، وتداولت ألسنة الشيوخ أن المقامات مكاسب ، والأحوال مواهب .

= والطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٩٧٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣٢ / ٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وفيهما أنه قاله حاكياً دعاء سيدنا آدم عندما أهبط تجاه البيت الحرام .

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٣٤٣ / ١ - ٣٤٤) .

وعلى الترتيب الذي درّجناه كلّها مواهب ؛ إذ المكاسب محفوفة بالموهبة ، والمواهب محفوفة بالكسب ، فالأحوال مواجيد ، والمقامات طُرُق المواجيد ، ولكن في المقامات ظهر الكسب وبطنت الموهبة ، وفي الأحوال بطن الكسب وظهرت الموهبة ؛ فالأحوال مواهب علوية سماوية ، والمقامات طُرُقها .

وقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه : (سلوني عن طُرُق السماوات ؛ فإنّي أعرف بها من طُرُق الأرض)^(١) . . . إشارة : إلى المقامات والأحوال ، فطُرُق السماء : التوبة والزهد وغير ذلك من المقامات ؛ فإنّ السالك لهذه الطُرُق يصير قلبه سماوياً ، فهي طُرُق السماوات ، ومستنزلة للبركات^(٢) ، وهي الأحوال لا يتحقّق بها إلا ذوق قلب سماوي .

وقال بعضهم : (الحال : هو الذّكر الخفي)^(٣) ، وهذا إشارة إلى شيء ممّا ذكرناه .

وسمعت المشايخ بالعراق يقولون : (الحال : ما من الله)^(٤) ؛ فكلّ ما كان من طريق الاكتساب والأعمال . . يقولون : هذا ما من العبد ، فإذا لاح للمرید شيء من المواهب والمواجيد . . قالوا : هذا ما من الله ، وسمّوه حالاً ؛ إشارة منهم إلى أنّ الحال موهبة .

(١) أورده سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (٤٤١ / ٦) .

(٢) في (د) : (ومستنزل البركات) .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٦٦) .

(٤) ويجوز أن يقرأ أيضاً : (ما من الله) ، ومثل ذلك في الموضعين الآتين .

وقال بعضُ مشايخِ خُرَاسَانَ : (الأحوالُ موارِيثُ الأعمالِ)^(١) .

وقال بعضهم : (الأحوالُ كالبروقِ ، فإن بقيَ فحديثُ النَّفسِ)^(٢) .

وهذا لا يكادُ يستقيمُ على الإطلاقِ ، وإنَّما يكونُ ذلكَ في بعضِ الأحوالِ ؛ فإنَّها تطرُقُ ثمَّ تستلبُها النَّفسُ ، فأما على الإطلاقِ فلا ، والأحوالُ لا تمتزجُ بالنَّفسِ ؛ كالذهنِ لا يمتزجُ بالماءِ .

وذهبَ بعضهم : إلى أنَّ الأحوالَ لا تكونُ إلا إذا دامتُ ، فأما إذا لم تَدُمْ فهي لوائحُ وطوالعُ وبَوَادِهْ^(٣) ، وهي مُقَدِّماتُ الأحوالِ ، وليستُ بأحوالٍ .

واختلفَ المشايخُ في أنَّ العبدَ هل يجوزُ له أن ينتقلَ إلى مقامٍ غيرِ مقامِهِ الذي هوَ فيه قبلَ إحكامِ حُكْمِ مقامِهِ ؟

قال بعضهم : (لا ينبغي له أن ينتقلَ إلى غيرِ الذي هوَ فيه دونَ أن يُحْكَمَ حُكْمُ مقامِهِ)^(٤) .

(١) انظر « التعرف » (ص ٩٧) .

(٢) رواه السلمي في « طبقاته » (ص ٣١٥) ، وأورده القشيري في « رسالته » (ص ١٨٩ ، ٢٣٧) عن أبي الحسن بن الصائغ الدِّينوري ، وزاد في (أ) بعد (بقي) : (منها شيء) .

(٣) اللوائح : أماراتُ طلوعِ شمسِ المعارفِ على قلبِ العبدِ ، ويكونُ زوالُها سريعاً ، والطوالع : أماراتُ أبقي وقتاً ، إلا أنَّها على خطرِ الذهابِ والأفولِ ، والبواده : ما يفجأ القلبَ من الغيبِ ، فيوجبُ فرحاً أو ترحاً . انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٧٢ - ٢٧٣) ، وما سيأتي في (٢ / ٥٦٥) .

(٤) فَمَنْ لا قناعةَ له لا يصحُّ له التوكُّلُ ، وَمَنْ لا توكُّلَ له لا يصحُّ له التسليمُ ، وَمَنْ لا توبةَ له لا يصحُّ له الإنابةُ ، وَمَنْ لا ورعَ له لا يصحُّ له الزُّهْدُ ، وكذا البواقي . من هامش (ج) .

وقال بعضهم : (لا يكملُ له المقامُ الذي هو فيه إلا بعدَ ترقُّيه إلى مقامٍ فوقه ، فينظرُ من مقامه العالي إلى ما دونه من المقام ، فيحكمُ أمرَ مقامه)^(١) .

والأولى أن يُقالَ واللهُ أعلمُ : الشخصُ في مقامه يُعطى حالاً من مقامه الأعلى الذي سوف يرتقي إليه ، فبوجدان ذلك الحال يستقيم أمرُ مقامه الذي هو فيه ، ويتصرَّف الحقُّ فيه كذلك .

ولا يُضافُ الشيءُ إلى العبدِ أنَّه يرتقي أو لا يرتقي ؛ فإنَّ العبدَ بالأحوالِ يرتقي إلى المقاماتِ ، والأحوالُ مواهبُ تُرقِّي إلى المقاماتِ التي يمتزجُ فيها الكسبُ بالمَوْهبةِ .

ولا يلوحُ للعبدِ حالٌ من مقامٍ أعلى ممَّا هو فيه إلا وقد قَرَّبَ ترقُّيه إليه ، فلا يزالُ العبدُ يُرقَّى إلى المقاماتِ بزائدِ الأحوالِ^(٢) .

فعلى ما ذكرناه : يتَّضحُ تداخلُ المقاماتِ والأحوالِ حتى التوبةِ ، ولا يُعرفُ مقامٌ^(٣) إلا وفيه حالٌ ومقامٌ ، وفي الزُّهدِ حالٌ ومقامٌ ، وفي التوكلِ حالٌ ومقامٌ ، وفي الرِّضا حالٌ ومقامٌ .

قالَ أبو عُثْمَانَ الحِيرِيُّ : (منذُ أربعينَ سنةً ما أقامني اللهُ تعالى في حالٍ فكَّرَتهُ)^(٤) .

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص ٢٣٥) .

(٢) في (ج ، د) : (برائد) بدل (بزائد) .

(٣) في (ط) : (ولا يعرف فضيلة) .

(٤) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٢٤٤) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ١٥٨) ، ومن طريقه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٩ / ١٠٣) .

أشارَ : إلى الرِّضا ، ويكونُ منه حالٌ ثمَّ يصيرُ مقاماً .

والمحبَّةُ حالٌ ومقامٌ ، ولا يزالُ العبدُ يتتَوَّبُ بطُرُقٍ حالِ التوبةِ حتى يتوبَ ، وطروقُ حالِ التوبةِ بالانزجارِ أولاً .

قالَ بعضهمُ : (الزَّجْرُ هَيَّجَانٌ فِي الْقَلْبِ لَا يُسْكِنُهُ إِلَّا الْإِنْتِبَاهُ مِنَ الْغَفْلَةِ ، فِيرُدُّهُ إِلَى الْيَقَظَةِ ، فَإِذَا تَيَقَّظَ أَبْصَرَ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَا) .

وقالَ بعضهمُ : (الزَّجْرُ ضِيَاءٌ فِي الْقَلْبِ يُبْصِرُ بِهِ خَطَأَ قَصْدِهِ) .

والزَّجْرُ فِي مُقَدِّمَةِ التَّوْبَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ : زَجْرٌ مِنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ ، وَزَجْرٌ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ ، وَزَجْرٌ مِنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ .

فَيُنَازِلُ النَّائِبَ حَالَ الزَّجْرِ ، وَهِيَ مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَقُودُهُ إِلَى التَّوْبَةِ ، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا يَزَالُ بِالْعَبْدِ ظَهُورُ هَوَى النَّفْسِ يَمْحُو آثَارَ حَالِ التَّوْبَةِ وَالزَّجْرِ ، ثُمَّ يُعَاوِدُهُ الْحَالُ ، حَتَّى تَسْتَقَرَّ التَّوْبَةُ وَتَصِيرَ مَقَاماً .

وَهَكَذَا فِي الزُّهْدِ ؛ لَا يَزَالُ يَتَزَهَّدُ بِنَازِلَةِ حَالِ تُرْيِهِ لَذَّةَ تَرْكِ الْإِشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا ، وَتُقَبِّحُ لَهُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ يَمْحُو أَثَرَ حَالِهِ بِدَلَالَةِ شَرِّهِ النَّفْسِ وَحِرْصِهَا عَلَى الدُّنْيَا وَرُؤْيَا الْعَاجِلَةِ ، حَتَّى تَتَدَارَكُهُ الْمَعُونَةُ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ ، فَيَزْهَدُ وَيَسْتَقَرَّ زُهْدُهُ ، وَيَصِيرَ الزُّهْدُ مَقَامَهُ .

وَلَا تَزَالُ نَازِلَةٌ حَالِ التَّوَكُّلِ تَقْرَعُ بَابَ قَلْبِهِ حَتَّى يَتَوَكَّلَ ، وَهَكَذَا حَالُ الرِّضَا ، حَتَّى يَطْمئنَّ عَلَى الرِّضَا ، وَيَصِيرَ ذَلِكَ مَقَامَهُ .

وَهَا هُنَا دَقِيقَةٌ لَطِيفَةٌ : وَذَلِكَ أَنَّ مَقَامَ الرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ يَثْبُتُ وَيُحْكَمُ بَبَقَائِهِ مَعَ وَجُودِ دَاعِيَةِ الطَّبَعِ ، وَلَا يُحْكَمُ بَبَقَاءِ حَالِ الرِّضَا مَعَ وَجُودِ دَاعِيَةِ الطَّبَعِ ؛

وذلك مثل كراهية يجدها الراضي بحُكمِ الطبع ، ولكن علمُهُ بمقامِ الرضا يَغْمُرُ حُكْمَ الطبع ، وظهورُ حُكْمِ الطبعِ في وجودِ الكراهيةِ المغمورةِ بالعلمِ . . لا يُخْرِجُهُ عن مقامِ الرضا ، ولكن يفقدُ حالَ الرضا ؛ لأنَّ الحالَ لَمَّا تَجَرَّدَتْ مَوْهَبَةً أُخْرِقَتْ داعيةُ الطبعِ .

فيقال : كيف يكونُ صاحبُ مقامٍ في الرضا ولا يكونُ صاحبَ حالٍ فيه والحالُ مُقَدِّمَةٌ للمقامِ والمقامُ أثبتُ ؟!

نقولُ : لأنَّ المقامَ لَمَّا كَانَ مَشُوباً بِكَسْبِ الْعَبْدِ . . احتمَلَ وجودُ الطبعِ فيه ، والحالَ لَمَّا كَانَ مَوْهَبَةً مِنَ اللَّهِ . . نَزَّهَتْ عَنِ مَزْجِ الطبعِ ، فحالُ الرضا أَصْلَفُ^(١) ، ومقامُ الرضا أَمَكُنُ .

ولا بُدُّ للمقاماتِ مِنْ زَائِدِ الْأَحْوَالِ ؛ فلا مقامَ إِلَّا بَعْدَ سَابِقَةٍ حَالٍ ، ولا تَقَرُّدَ للمقاماتِ دُونَ سَابِقَةٍ الْأَحْوَالِ .

وَأَمَّا الْأَحْوَالُ : فَمِنْهَا مَا يَصِيرُ مَقَاماً ، وَمِنْهَا مَا لَا يَصِيرُ مَقَاماً ، وَالسَّرُّ فِيهِ : مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ أَنَّ الْكَسْبَ فِي الْمَقَامِ ظَهَرَ وَالْمَوْهَبَةُ بَطَنَتْ ، وَفِي الْحَالِ ظَهَرَتِ الْمَوْهَبَةُ وَالْكَسْبُ بَطَنَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْأَحْوَالِ الْمَوْهَبَةُ غَالِبَةً . . لَمْ تَتَقَيَّدْ ، وَصَارَتِ الْأَحْوَالُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهَا ، وَلَطَفَ سَنِيُّ الْأَحْوَالِ أَنْ يَصِيرَ مَقَاماً ، وَمَقْدُورَاتُ الْحَقِّ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ ، وَمَوَاهِبُهُ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ : (لَوْ أُعْطِيَ رُوحَانِيَّةَ عِيسَى ، وَمُكَالَمَةَ مُوسَى ، وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . . لَطَلَبْتُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ مَوَاهِبَ الْحَقِّ لَا تَنْحَصِرُ) .

(١) أَصْلَفُ : أَضْلَبُ ؛ أَي : لَيْسَ لَهُ لَذَّةٌ . مِنْ هَامِش (ح) .

وهذه أحوال الأنبياء ، فلا تُعطى للأولياء ، ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطلع العبد وتطلُّبه ، وعدم قناعتِه بما هو فيه من أمر الحق سبحانه ؛ لأنَّ سيِّد المرسلين صلوات الله وسلاماته عليه نبَّه على عدم القناعة ، وقرع باب الطلب ، واستنزال بركة المزيد . . بقوله عليه الصلاة السلام : « كُلُّ يَوْمٍ لَمْ أَزِدْ فِيهِ عِلْماً . . فَلَا بُورِكَ لِي فِي صَيِّحَةٍ ذَلِكَ الْيَوْمِ » (١) .

وفي دعائه عليه الصلاة والسلام : « اَللّٰهُمَّ ؛ مَا قَصَرَ عَنْهُ رَأْيِي ، وَضَعُفَ فِيهِ عَمَلِي ، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي - أَوْ أُمْنِيَّتِي - مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ . . فَأَنَا أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ ، وَأَسْأَلُكَهُ » (٢) .

حتى تعلَّم (٣) أَنَّ مَوَاهِبَ الْحَقِّ لَا تَنْحَصِرُ ، والأحوال مواهبٌ ، وهي مُتَّصِلَةٌ بكلمات الله تعالى التي يَنْفَدُ الْبَحْرُ دُونَ نَفَادِهَا ، وَتَنْفَدُ أَعْدَادُ الرِّمَالِ دُونَ أَعْدَادِهَا ، وَاللهُ الْمُنْعِمُ الْمُعْطِي (٤) .



(١) رواه ابن عدي في « الكامل » (٢٧٣/٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٦٣٦) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٨٨/٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٣١٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه الترمذي (٣٤١٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٤٣-٣٤٤/١٠) ، وابن نصر المروزي في « صلاة الوتر » (ص ٣٣٧) ، والبيهقي في « الدعوات الكبير » (٦٩) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) هو غاية لقوله : (لَأَنَّ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ نَبَّهَ . .) .

(٤) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب التاسع والخمسون

في الإشارة إلى المقامات على الاختصار والإيجاز

(١٣٥) - أخبرنا شيخنا شيخ الإسلام أبو النجيب عبد القاهر الشهروردي رحمه الله ، قال : أخبرنا أبو منصور بن خيرون إجازة ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري إجازة ، قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن محمد ، قال : أخبرنا أبو محمد يحيى بن صاعد ، قال : أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا الهيثم بن جميل ، قال : حدثنا كثير بن سليم المدائني ، قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال : يا رسول الله ؛ إنني رجل ذرب اللسان ، وأكثر ذلك على أهلي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْأَسْتِغْفَارِ ؟ ! فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِئَةَ مَرَّةٍ » (١) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه في حديث آخر : « فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

(١) الزهد لابن المبارك (١١٣٧) ، ورواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣١٧٣) ، ورواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٢٠٩) ، وابن ماجه (٣٨١٧) ، وأحمد (٣٩٦/٥) ، وابن حبان (٩٢٦) من حديث سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ، وذراية اللسان : فحشهُ وسلطته وحِدَّتُهُ .

وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ ^(١) .

وروى أبو بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي ، فَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ » ^(٢) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

وقال الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحریم : ٨] .

التوبة أصل كل مقام ^(٣) ، وقوام كل مقام ، ومفتاح كل حال ، وهي أول المقامات ، وهي بمثابة الأرض للبناء ؛ فمن لا أرض له لا بناء له ، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له ^(٤) .

(١) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠١٩٥) ، وابن ماجه (٣٨١٥) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٠٠٥٥) ، وهو في « صحيح البخاري » (٦٣٠٧) وغيره : (أكثر من سبعين مرة) .

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) وغيره من رواية أبي بردة عن سيدنا الأغر المزني رضي الله عنه .

(٣) ماهية التوبة مركبة من ثلاثة أجزاء : التحسُّر والتندُّم على ما سبق ، والانقلاع في الحال ، والعزم على الامتناع في الاستقبال ، هكذا قال فخر الدين الرازي في بعض مُصنَّفاته ، وأمَّا إرضاء الخصوم وقضاء الفوائد والتصفية عن كدورات المعاصي السابقة . فمن أوصاف كمال التوبة الخارجة عن [ماهيتها] وإن كانت واجبة . من هامش (ح) .

(٤) للتوبة أقسام : توبة العوام عن الذنوب الظاهرة ، وتوبة الخواص عن الأخلاق الذميمة الباطنة ، وتوبة أهل البداية من أصحاب الحقيقة وأرباب الكشف عن مواقع الرِّية والشُّبهة ؛ لأنَّ الوقوف في الشُّبهات سادُّ لباب الحقيقة ، وتوبة المُحِبِّين عن الغفلة عن ذكر الله تعالى ، وتوبة أهل الكمال من أرباب الحقيقة عن الوقوف على مقام يتصوَّر أن =

وإني بمبلغ علمي وقدر وسعي وجهدي اعتبرت المقامات والأحوال
وثمراتها ، فرأيتها تجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه ،
فصارت مع الإيمان أربعة ، ثم رأيتها في إفادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة
الطباع الأربع التي جعلها الله تعالى بإجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية .

ومن تحقق بحقائق هذه الأربعة . . يلج ملكوت السماوات ، ويكشف
بالقدر والآيات ، ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله المنزلات ، ويحظى
بجميع الأحوال والمقامات ؛ فكلها من هذه الأربعة ظهرت ، وبها تهيات
وتأكدت .

فأخذ الثلاث بعد الإيمان : التوبة النصوح ، والثاني : الزهد في الدنيا ،
والثالث : تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهراً وباطناً من الأعمال
القلبية والقلبية من غير فتور وقصور^(١) .

ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها ؛
وهي قلة الكلام ، وقلة المنام ، وقلة الطعام ، والاعتزال عن الناس .

واتفق المشايخ والعلماء الزاهدون : على أن هذه الأربعة بها تستقر

= يكون له مقام آخر ، وعلى هذا : أول بعض المشايخ قول النبي عليه السلام : « إني
لأتوب إلى الله تعالى كل يوم مئة مرة » ؛ [أن] النبي عليه السلام كان يترقى كل يوم مئة
مقام ، وإذا وصل إلى مقام استغفر عن وقوفه فيما سبق .

وسأل فقير [من الملامية] عن توبة أهل الحقيقة ، فأجاب بعضهم : بأن توبتهم الجلوس
على بساط الشهود ، وإفراد القلب للفرد الحقيقي جل جلاله . من هامش (ح) .

(١) زاد في بعض النسخ بعد (وباطناً) : (وإما باطناً) ، والعبارة في (أ) : (ظاهراً وباطناً
من الأعمال القلبية والقلبية ، وإما باطناً من الأعمال القلبية من غير فتور وقصور) .

المقامات ، وتستقيم الأحوال ، وبها صار الأبدال أبدالاً ، بتأييد الله وحسن توفيقه .

ونبين بالبيان الواضح أن سائر المقامات تدرج في صحة هذه ، ومن ظفر بها فقد ظفر بالمقامات كلها :

أولها بعد الإيمان : التوبة ، وهي في مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال ، وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال .

ولا بُد في ابتدائها من وجود زاجر ، ووجدان الزاجر حال ؛ لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهب^(١) ، وحال الزجر مفتاح التوبة ومبتدؤها .

قال رجل لشر الحافي : ما لي أراك مهموماً ؟ قال : لأنني ضال ومطلوب ؛ ضللت الطريق والمقصد ، وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى المقصد لطلبت ، ولكن سنة الغفلة أدركتني ، وليس لي منها خلاص إلا أن أزجر فأنزجر .

قال الأصمعي : رأيت أعرابياً بالبصرة يشتكي عينه ، وهي يسيل منها الماء ، فقلت : ألا تمسح عينك ؟ فقال : لا ، فقلت : لم ، فقال : لأن الطبيب قد زجرني ، ولا خير فيمن لا ينزجر^(٢) .

فالزاجر في الباطن حال يهبها الله تعالى ، ولا بُد من وجودها للتائب .

(١) انظر (٤٥١/٢ - ٤٥٢) .

(٢) رواه ابن الجوزي في « ذم الهوى » (ص ٤٨) .

ثُمَّ بَعْدَ الْانْزِجَارِ يَجِدُ الْعَبْدُ حَالَ الْإِنْتِبَاهِ ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ : (مَنْ لَزِمَ مُطَالَعَةَ الطَّوَارِقِ انْتَبَهَ) .

وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ : (عَلَامَةُ الْإِنْتِبَاهِ خَمْسٌ : إِذَا ذَكَرَ نَفْسَهُ افْتَقَرَ ، وَإِذَا ذَكَرَ ذَنْبَهُ اسْتَغْفَرَ ، وَإِذَا ذَكَرَ الدُّنْيَا اعْتَبَرَ ، وَإِذَا ذَكَرَ الْآخِرَةَ اسْتَبَشَرَ ، وَإِذَا ذَكَرَ الْمَوْلَى افْتَخَرَ) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الْإِنْتِبَاهُ أَوَائِلُ دَلَالَاتِ الْخَيْرِ) .

إِذَا انْتَبَهَ الْعَبْدُ مِنْ رَقْدَةٍ غَفَلْتِهِ . . آدَاهُ ذَلِكَ الْإِنْتِبَاهُ إِلَى التَّيَقُّظِ ، فَإِذَا تَيَقَّظَ أَلْزَمَهُ تَيَقُّظُهُ الطَّلَبَ لَطَرِيقِ الرُّشْدِ ، فَيَطْلُبُ ، فَإِذَا طَلَبَ عَرَفَ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْحَقِّ ، فَيَطْلُبُ الْحَقَّ وَيَرْجِعُ إِلَى بَابِ تَوْبَتِهِ ، ثُمَّ يُعْطَى بِإِنْتِبَاهِهِ حَالَ التَّيَقُّظِ .

قَالَ فَارَسٌ : (أَوْفَى الْأَحْوَالِ : التَّيَقُّظُ وَالْإِعْتِبَارُ) .

وَقِيلَ : التَّيَقُّظُ : تَبَيُّانُ خَطِئِ الْمَسْلُوكِ بَعْدَ مُشَاهَدَةِ سَبِيلِ النِّجَاةِ .

وَقِيلَ : إِذَا صَحَّتِ الْيَقَظَةُ كَانَ صَاحِبُهَا فِي أَوَائِلِ طَرِيقِ التَّوْبَةِ .

وَقِيلَ : الْيَقَظَةُ : حَرْدَةٌ مِنْ جِهَةِ الْمَوْلَى لِقُلُوبِ الْخَائِفِينَ تَدُلُّهُمْ عَلَى طَلَبِ التَّوْبَةِ^(١) .

فَإِذَا تَمَّتْ يَقَظَتُهُ نُقِلَ بِذَلِكَ إِلَى مَقَامِ التَّوْبَةِ .

فَهَذِهِ أَحْوَالُ ثَلَاثَةٍ تَتَقَدَّمُ التَّوْبَةَ .

(١) الْحَرْدَةُ : الْقَصْدُ .

ثُمَّ التَّوْبَةُ فِي اسْتِقَامَتِهَا تَحْتَاجُ إِلَى الْمُحَاسَبَةِ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ التَّوْبَةُ إِلَّا بِالْمُحَاسَبَةِ .

نَقَلَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا ، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْشِ الْأَكْبَرِ عَلَى اللَّهِ ؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة : ١٨])^(١) .

فَالْمُحَاسَبَةُ بِحِفْظِ الْأَنْفَاسِ ، وَضَبْطِ الْحَوَاسِّ ، وَرِعَايَةِ الْأَوْقَاتِ ، وَإِثَارِ الْمُهِمَّاتِ .

وَيَعْلَمُ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْجَبَ عَلَيْهِ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ رَحْمَةً مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ لَعَلِمِهِ بَعْدِهِ ، وَاسْتِيْلَاءِ الْغَفْلَةِ عَلَيْهِ ؛ كَيْ لَا يَسْتَعْبِدَهُ الْهَوَى ، وَتَسْتَرْقُهُ الدُّنْيَا ؛ فَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ سِلْسِلَةٌ تَجْدُبُ النُّفُوسَ إِلَى مَوَاطِنِ الْعُبُودِيَّةِ لِأَدَاءِ حَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ .

وَيُرَاقِبُ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِحُسْنِ الْمُحَاسَبَةِ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ إِلَى صَلَاةٍ أُخْرَى ، وَيَسُدُّ مَدَاخِلَ الشَّيْطَانِ بِحُسْنِ الْمُحَاسَبَةِ وَالرَّعَايَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ إِلَّا بَعْدَ حَلِّ عُقْدِ الْقَلْبِ بِحُسْنِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ وَحَرَكَةٍ عَلَى خِلَافِ الشَّرْعِ تَنْكُتُ فِي الْقَلْبِ نُكْثَةً سَوْدَاءَ ، وَتَعْقِدُ عَلَيْهِ عُقْدَةً .

وَالْمُتَّفَقُ الْمُحَاسِبُ يُهَيِّئُ الْبَاطِنَ لِلصَّلَاةِ بِضَبْطِ الْجَوَارِحِ^(٢) وَيُحَقِّقُ مَقَامَ

(١) رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي « الزَّهْدِ » (٣٠٦) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٣٥٦٠٠) ، وَأَحْمَدُ فِي « الزَّهْدِ » (٦٣٣) ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي « مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ » (٢) .

(٢) فِي (ج ، ح) : (وَيَضْبُطُ) بَدَلَ (بِضْبُطِ) .

المُحَاسِبَةُ^(١) ، فيكونُ عندَ ذلكَ لصلَاتِهِ نورٌ يُشْرِقُ على أَجزاءِ وَقْتِهِ إلى الصلاةِ الأُخْرَى ، فلا تَزَالُ صَلَاتُهُ مُنَوَّرَةً تَامَّةً بنورِ وَقْتِهِ ، ووقْتُهُ مُنَوَّرًا معمورًا بنورِ صَلَاتِهِ^(٢) .

وكانَ بعضُ المُحَاسِبِينَ يَكْتُبُ الصَّلَوَاتِ في قِرطاسٍ ، وَيَدْعُ بَيْنَ كُلِّ صَلَاتَيْنِ بياضاً ، وكلَّما ارتكبَ خَطِيئَةً مِنْ كَلِمَةٍ غِيبَةٍ أو أَمْرٍ آخَرَ . . خَطَّ خطأً ، وكلَّما تكلَّمَ أو تحرَّكَ فيما لا يَعيْنِهِ . . نَقَطَ نُقْطَةً ؛ ليعتبرَ ذنوبَهُ وحركاتِهِ فيما لا يَعيْنِهِ ؛ لِيُضَيِّقَ بِالْمُحَاسِبَةِ مجاريَ الشَّيْطَانِ والنَّفْسِ الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ ؛ لِمَوْضِعِ صِدْقِهِ في حُسْنِ الافتقَادِ ، وحِرْصِهِ على تحقيقِ مقامِ العِبَادِ .

وهذا مقامُ المُحَاسِبَةِ والرَّعَايَةِ يَقَعُ مِنْ ضرورةِ صِحَّةِ التَّوْبَةِ ؛ قالَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ : (مَنْ حَسُنَتْ رِعَايَتُهُ ، دَامَتْ وِلَايَتُهُ) .

وسُئِلَ الوَاسِطِيُّ : أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قالَ : مُرَاعَاةُ السِّرِّ ، والمُحَاسِبَةُ في الظَّاهِرِ ، والمُرَاقَبَةُ في البَاطِنِ ، وَيَكْمُلُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ ، وبِهِمَا تَسْتَقِيمُ التَّوْبَةُ .

والمُرَاقَبَةُ والرَّعَايَةُ حالانِ شَرِيفانِ ، ويَصِيرانِ مَقَامَيْنِ شَرِيفَيْنِ يَصِحَّانِ بِصِحَّةِ مَقَامِ التَّوْبَةِ ، وتَسْتَقِيمُ التَّوْبَةُ على الكَمَالِ بِهِمَا ، فَصَارَتِ المُحَاسِبَةُ والمُرَاقَبَةُ والرَّعَايَةُ مِنْ ضرورةِ مَقَامِ التَّوْبَةِ .

(١) في النسخ ما عدا (أ ، ب ، ج ، ح) : (وتحقق) بدل (ويحقق) ، والعطف واضح ، وعلى المثبت يكون العطف على قوله : (يُهيئ) .

(٢) في (أ ، ج) : (مغموراً) بدل (معموراً) .

(١٣٦) - أخبرنا أبو زرعة إجازة ، عن ابن خَلَفِ أبي بكرٍ الشَّيرازيِّ ،
 قال : سمعتُ أبا عبدِ الرحمنِ السُّلَميَّ يقولُ : سمعتُ [أبا الحسينِ]
 الفارسيَّ يقولُ^(١) : سمعتُ الجُرَيْريَّ يقولُ : (أمرنا هذا مَبْنِيٌّ على
 فَضْلَيْنِ ؛ وهما : أنْ تُلْزِمَ نَفْسَكَ المُرَاقَبَةَ لله تعالى ، ويكونَ العلمُ على
 ظاهرِكَ قائماً)^(٢) .

وقال المرتعشُ : (المُرَاقَبَةُ : مُراعاةُ السِّرِّ لمُلاحظةِ الحقِّ في كلِّ لحظةٍ
 وَلَفْظَةٍ)^(٣) .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

وهذا هوَ علمُ القيامِ ، وبذلك يَتِمُّ علمُ الحالِ ، ومعرفةُ الزيادةِ
 والنُّقصانِ ؛ وهو^(٤) : أنْ يعلمَ مِغْيَارَ حالِهِ فيما بينَهُ وبينَ الله ، وكلُّ هذا
 مُلَازِمٌ لِصِحَّةِ التَّوْبَةِ ، وَصِحَّةُ التَّوْبَةِ مُلَازِمٌ لَهَا ؛ لأنَّ الخواطرَ مُقَدِّماتُ
 العِزائِمِ ، والعِزائِمُ مُقَدِّماتُ الأفعالِ ؛ لأنَّ الخواطرَ تُحَقِّقُ إرادةَ القلبِ ،
 والقلبُ أميرُ الجوارحِ ، والجوارحُ لا تتحرَّكُ إلا بحركةِ القلبِ بالإرادةِ ،
 والمُرَاقَبَةُ حَسْمُ موادِّ الخواطرِ الرَّدِيئَةِ .

فصارَ مِنْ تمامِ المُرَاقَبَةِ تمامُ التَّوْبَةِ ؛ لأنَّ مَنْ حَصَرَ الخواطرَ كُفِيَ مُؤَنَةً

(١) في النسخ : (الحسن) بدل (أبا الحسين) ، والمثبت من « الرسالة » وغيرها .

(٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٠) ، وأورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
 (ص ١٠٣) .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٠) ، وأورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
 (ص ١٠٦) .

(٤) أي : علم القيام .

الجوارح ؛ لأنَّ بالمُراقَبةِ استتصالَ عُروقِ إرادةِ المَكَارِهِ مِنَ القلبِ ،
وبالمُحاسبةِ استدراكَ ما انفلتَ مِنَ المُراقَبةِ .

(١٣٧) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ ، عَنْ ابْنِ خَلْفٍ ، عَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ :

سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ الْمَغْرِبِيَّ يَقُولُ : (أَفْضَلُ مَا يُلْزَمُ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الطَّرِيقِ :
الْمُحاسبةُ ، وَالْمُراقَبةُ ، وَسِياسَةُ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ)^(١) .

وَإِذَا صَحَّتِ التَّوْبَةُ صَحَّتِ الْإِنَابَةُ ؛ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

(إِذَا صَدَقَ الْعَبْدُ فِي تَوْبَتِهِ صَارَ مُنِيبًا ؛ لِأَنَّ الْإِنَابَةَ ثَانِي دَرَجَةِ التَّوْبَةِ) .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ : (الْمُنِيبُ : الرَّاجِعُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَشْغَلُهُ عَنِ اللَّهِ

إِلَى اللَّهِ) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الْإِنَابَةُ : الرَّجُوعُ مِنْهُ إِلَيْهِ لَا مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ ، فَمَنْ رَجَعَ

مِنْ غَيْرِهِ إِلَيْهِ ضَيَّعَ أَحَدَ طَرَفَيْ الْإِنَابَةِ .

وَالْمُنِيبُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَرْجِعٌ سِوَاهُ ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ

رَجُوعِهِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ مِنْ رَجُوعِ رَجُوعِهِ ، فَيَقْبِضُ شَبْحًا لَا وَصْفَ لَهُ ، قَائِمًا بَيْنَ

يَدَيِ الْحَقِّ ، مُسْتَغْرِقًا فِي عَيْنِ الْجَمْعِ)^(٢) .

وَمُخَالَفَةُ النَّفْسِ ، وَرُؤْيَةُ عيوبِ الْأَفْعَالِ ، وَالْمُجَاهَدَةُ . . . تَتَحَقَّقُ بِتَحْقِيقِ

الرَّعَايَةِ وَالْمُراقَبةِ .

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٠) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار »

(ص ١٠٣) ، وفي (هـ ، ح) : (أفضل التوبة) بدل (أفضل) ، وعبرة

« الرسالة » : (أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (١٢٥ / ٢) .

قال أبو سليمان : (ما استحسنْتُ مِنْ نَفْسِي عملاً فاحتسبته)^(١) .

وقال أبو عبد الله السَّجْزِيُّ : (مَنْ استحسنَ شيئاً مِنْ أحواله في حال إرادته^(٢) . . فسدت عليه إرادته ، إلا أن يرجع إلى ابتدائه ، فيروض نفسه ثانياً ، وَمَنْ لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه . . لا يبلغ مَبْلَغ الرجال) .

ورؤية عيوب الأفعال مِنْ ضرورة صِحَّة الإنابة ، وهو في تحقيق مقام التوبة .

ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المُجاهدة ، ولا يصدق العبد في المجاهدة إلا بوجود الصبر ؛ روى فضالة بن عُبيد قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ : « الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ »^(٣) .

ولا يَتِمُّ ذلك إلا بالصبر ، وأفضل الصبر الصبرُ على الله بعُكُوفِ الهمِّ عليه^(٤) ، وصدق المراقبة له بالقلب ، وحسَم مَوَادِّ الخواطر .

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٣١٢) .

(٢) أي : في حال سلوكه في نظر الشيخ . من هامش (ح) .

(٣) رواه الترمذي (١٦٢١) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٧٩٤) ، وأحمد (٢٠ / ٦) ، وابن حبان (٤٦٢٤) ، وقال الطَّيْبِيُّ في « الكاشف » (٤٩١ / ٢) : (يعني : المجاهد ليس مَنْ قاتل الكفار فقط ، بل المجاهد مَنْ حارب نفسه وحملها وأكرهها على طاعة الله تعالى ؛ لأنَّ نفسَ الرجل أشدَّ عداوةً معه مِنَ الكُفَّار ؛ لأنَّ الكُفَّار أبعدُ منه ، ولا يتفق التلاحق والتقابل معهم إلا حيناً بعد حين ، وأما نفسه فأبداً تُلَازِمُهُ وتمنعه من الخير والطاعة ، ولا شك أنَّ القتال مع العدو الذي يُلازِمُ الرجلَ أهمُّ من القتال مع العدو الذي هو بعيدٌ منه ؛ قال الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ [التوبة : ١٢٣] .

(٤) في (د) : (الهمة) بدل (الهم) .

والصبرُ ينقسمُ : إلى فرضٍ وفضلٍ .

فالفرضُ : الصبرُ على أداءِ المُفترَضاتِ ، والصبرُ عنِ المُحرَّماتِ .

وَمِنَ الصبرِ الذي هوَ فضلٌ : الصبرُ على الفقرِ ، والصبرُ عندَ الصَّدْمَةِ الأولى ، وَكِتْمَانُ المصائبِ والأوجاعِ ، وتركُ الشَّكْوَى ، والصبرُ على إخفاءِ الفقرِ ، والصبرُ على كَتْمِ المِنَحِ والكراماتِ ، ورُؤْيَةِ القُدَرِ والآياتِ .

ووجوهُ الصبرِ فرضاً وفضلاً كثيرةٌ ، وكثيرٌ مِنَ الناسِ مَنْ يقومُ بهذه الأقسامِ مِنَ الصبرِ ، وَيَضِيقُ عَنِ الصبرِ على اللهِ بلزومِ صِحَّةِ المُرَاقَبَةِ والرَّعَايَةِ ونفيِ الخواطرِ .

فإذاً : حقيقةُ الصبرِ كائناً في التوبةِ ، ككينونةِ المُرَاقَبَةِ في التوبةِ^(١) .

والصبرُ مِنْ أعزِّ مقاماتِ المُوقِنِينَ ، وهوَ داخلٌ في حقيقةِ التوبةِ .

قالَ بعضُ العلماءِ : (أيُّ شيءٍ أفضلُ مِنَ الصبرِ وقد ذَكَرَهُ اللهُ تعالى في كلامِهِ في نَيْبٍ وتسعينَ موضعاً ؟ ! وما ذَكَرَ شيئاً بهذا العددِ)^(٢) .

وصِحَّةُ التوبةِ تحتوي على مقامِ الصبرِ معَ شرفِهِ .

وَمِنَ الصبرِ : الصبرُ على النُّعْمَةِ ؛ وهوَ أَلَّا يَصْرِفَهَا في معصيةِ اللهِ تعالى ، وهذا أيضاً داخلٌ في صِحَّةِ التوبةِ .

وكانَ سهلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ : (الصبرُ على العافيةِ أَشَدُّ مِنَ الصبرِ على البلاءِ)^(٣) .

(١) في (أ ، ب ، ج ، د ، هـ) : (لكينونة) بدل (ككينونة) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٥٤٦ / ٢) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٥٤٧ / ٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢٣٨ / ٧) ، =

ورُوِيَ عن بعضِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم : (بُلِينَا بِالضَّرَاءِ فَصَبَرْنَا ،
وَبُلِينَا بِالسَّرَاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ)^(١) .

وَمِنَ الصَّبْرِ : رعايَةُ الاقتصَادِ في الرِّضَا والغَضَبِ ، والصَّبْرُ عن مَحْمَدَةِ
النَّاسِ ، والصَّبْرُ على الخُمُولِ والتواضعِ .

والذَّلَّةُ داخلٌ في الزهدِ وإنْ لم يكنْ داخلًا في التوبةِ ، وكلُّ ما فاتَ في
مقامِ التوبةِ مِنَ المقاماتِ السَّنيَّةِ والأحوالِ . . يُوجَدُ في الزهدِ ، وهو ثالثُ
الأربعةِ التي ذَكَرْنَا^(٢) .

وحقيقةُ الصبرِ تَظْهَرُ مِنْ طُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ ، وَطُمَأْنِينَتُهَا مِنْ تَزَكِّيَتِهَا ،
وتَزَكِّيَتُهَا بِالتَّوْبَةِ ؛ فَالنَّفْسُ إِذَا تَزَكَّتْ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ . . ذَهَبَ عَنْهَا الشَّرَاسَةُ
الطَّبِيعِيَّةُ ، وَقَلَّتْ الصَّبْرُ مِنْ وُجُودِ شَرَّاسَةٍ فِي النَّفْسِ وَإِبَاءٍ وَاسْتِعْصَاءٍ فِيهَا .

والتَّوْبَةُ النَّصُوحُ تُلَيِّنُ النَّفْسَ ، وتُخْرِجُهَا مِنْ طَبِيعَتِهَا وَشَرَّاسَتِهَا إِلَى
اللَّيْنِ ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ بِالمُحَاسَبَةِ والمُرَاقَبَةِ تَصْفُو وتنطَفِئُ نيرانُهَا المُتَأَجِّجَةُ
بمُتَابَعَةِ الهَوَى ، وَتَبْلُغُ بِطُمَأْنِينَتِهَا مَحَلَّ الرِّضَا ومَقَامَهُ ، وَتَطْمَئِنُّ في مجاري
الأقدارِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ النَّبَاجِيُّ : (اللهُ تعالى عِبَادُ يَسْتَحْيُونَ مِنَ الصَّبْرِ ،

= وأورده بنحوه السلمي في « تفسيره » (٢ / ٢١١) دون عزو .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٥٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ١٠٠) ، وابن
عساكر في « تاريخ دمشق » (٧ / ٣٠-٣١) موقوفاً على سيدنا عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه .

(٢) انظر (٢ / ٤٦٠) .

يتلقفونَ مواقعَ أقداره بالرضا تَلَقُّفًا (١) .

وكانَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنه يقولُ : (أصبحْتُ وما لي سرورٌ
إلا مواقعُ القضاء) (٢) .

وقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لابنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما حينَ
وصَّاهُ : « أَعْمَلُ اللهُ بِالْيَقِينِ فِي الرِّضَا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ خَيْرًا
كَثِيرًا » (٣) .

وفي الخبرِ عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « مِنْ خَيْرِ مَا أُعْطِيَ
الرَّجُلُ : الرِّضَا بِمَا قَسَمَ اللهُ تَعَالَى لَهُ » (٤) .

فالأخبارُ والآثارُ والحكاياتُ في فضيلةِ الرِّضَا وشرفِهِ . . أكثرُ مِنْ أَنْ
تُحصَى .

والرِّضَا ثمرةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ ، وما تَخَلَّفَ عَبْدٌ عَنِ الرِّضَا إِلَّا لِتَخْلُفِهِ عَنِ
التَّوْبَةِ النَّصُوحِ .

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧/٢١) ، وابن العديم في « بغية الطلب »
(٤٢٨٨/٩) .

(٢) رواه عبد الله بن عبد الحكم في « سيرة عمر بن عبد العزيز » (ص ٩٧) ، وأورده
أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٠٦/٢) .

(٣) رواه الحاكم (٥٤١/٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣١٤/١) ، وقوام السنة في
« الترغيب والترهيب » (١٦٠٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأصله
في « سنن الترمذي » (٢٥١٦) ، و« مسند أحمد » (٣٠٣/١) دون هذا اللفظ .

(٤) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٠٩/٢) ، وروى الترمذي (٢٣٠٥) وغيره
من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « وارضَ بما قسمَ اللهُ تَكُنْ أَغْنَى
النَّاسِ » .

فإذاً : تجمعُ التوبةُ النَّصُوحُ حالَ الصبرِ ، وحالَ الرِّضا ، ومقامَ الصبرِ ، ومقامَ الرِّضا .

والخوفُ والرجاءُ مقامانِ مِنْ مقاماتِ أهلِ اليقينِ ، وهما كائنانِ في صُلْبِ التوبةِ النَّصُوحِ ؛ لأنَّ خوفَهُ حَمَلَهُ على التوبةِ ، ولولا خوفَهُ ما تابَ ، ولولا رجاءُهُ ما خافَ ؛ فالرجاءُ والخوفُ يتلازمانِ في قلبِ المؤمنِ ، ويعتدِلُ الخوفُ والرجاءُ للتائبِ المُستقيمِ في التوبةِ .

دَخَلَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رجلٍ وهو في سِياقِ الموتِ ، فقالَ : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » ، فقالَ : أَجِدُنِي أَخافُ ذُنُوبِي وأرجو رحمةَ رَبِّي ، فقالَ : « مَا أَجْتَمَعَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ . . إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا رَجَا ، وَأَمَّنَّهُ مَا يَخَافُ » (١) .

وجاءَ في تفسيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] : هو العبدُ يُذْنِبُ الكبائرَ ثُمَّ يَقُولُ : قد هلكْتُ ، لا ينفعُنِي عملٌ (٢) .

فالتائبُ خافَ ، فتابَ ورجا المغفرةَ ، ولا يكونُ التائبُ تائباً إلا وهو راجٍ خائفٌ .

(١) رواه الترمذي (٩٨٣) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١٠٨٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٦١) ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه عبد الرزاق في « تفسيره » (٢٠٢) ، والطبري في « تفسيره » (٥٨٩/٣) عن عبيدة السلماني من قوله رحمه الله تعالى ، والبيهقي في « الشعب » (٦٦٩٢) ، والثعلبي في « تفسيره » (٦٧-٦٦/٥) موقوفاً على سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

ثُمَّ إِنَّ النَّائِبَ حَيْثُ قَيَّدَ الْجَوَارِحَ عَنِ الْمَكَارِهِ ، وَاسْتَعَانَ بِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . . فَقَدْ شَكَرَ النِّعَمَ ؛ لِأَنَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنَ الْجَوَارِحِ نِعْمَةٌ ، وَشُكْرُهَا قَيْدُهَا عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَاسْتِعْمَالُهَا فِي الطَّاعَةِ ، وَأَيُّ شَاكِرٍ لِلنِّعْمَةِ أَكْثَرُ مِنَ النَّائِبِ الْمُسْتَقِيمِ ؟ !

فَإِذَا : جَمَعَ مَقَامُ التَّوْبَةِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ كُلَّهَا ؛ فَجَمَعَ مَقَامَ التَّوْبَةِ حَالَ الزَّجْرِ ، وَحَالَ الْإِنْتِبَاهِ ، وَحَالَ التَّيَقُّظِ ، وَمُخَالَفَةِ النَّفْسِ ، وَالتَّقْوَى ، وَالْمُجَاهَدَةَ ، وَرُؤْيَا عِيُوبِ الْأَفْعَالِ ، وَالْإِنَابَةَ ، وَالصَّبْرَ ، وَالرِّضَا ، وَالْمُحَاسَبَةَ ، وَالْمُرَاقَبَةَ ، وَالرَّعَايَةَ ، وَالشُّكْرَ ، وَالْخَوْفَ ، وَالرَّجَاءَ .
وَإِذَا صَحَّتِ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ وَتَزَكَّتِ النَّفْسُ . . انْجَلَتْ مِرَاةُ الْقَلْبِ ، وَبَانَ قُبْحُ الدُّنْيَا فِيهَا ، فَحَصَلَ الزُّهْدُ .

وَالزَّاهِدُ يَتَحَقَّقُ فِيهِ التَّوَكُّلُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَزْهَدُ فِي الْمَوْجُودِ إِلَّا لِاعْتِمَادِهِ عَلَى الْمَوْعُودِ ، وَالشُّكُونُ إِلَى وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ عَيْنُ التَّوَكُّلِ .
وَكُلُّ مَا بَقِيَ عَلَى الْعَبْدِ مِنَ بَقِيَّةٍ فِي تَحْقِيقِ الْمَقَامَاتِ كُلِّهَا بَعْدَ تَوْبَتِهِ . . يَسْتَدْرِكُهُ بِزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَهُوَ ثَلَاثُ الْأَرْبَعَةِ .

(١٣٨) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ خَيْرُونَ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ إِجَازَةً^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ صَاعِدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ ،

(١) سقط التصريح بالإجازة في (د ، ز) .

قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ [سُلَيْمٍ] ^(١) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ ، فَبَدَأَ بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَرَأَاهَا قَدْ أَحْدَثَتْ فِي الْبَيْتِ سِتْرًا وَزَوَائِدَ فِي يَدَيْهَا ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجَعَ وَلَمْ يَدْخُلْ ، ثُمَّ جَلَسَ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ ! مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ ! » .

فَرَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّهُ إِنَّمَا رَجَعَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ السِّتْرِ وَالزَّوَائِدِ ، فَأَخَذَتْ السِّتْرَ وَالزَّوَائِدَ ، فَأَرْسَلَتْ بِهِمَا مَعَ بِلَالٍ ، وَقَالَتْ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُلْ لَهُ : قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهِ ، فَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ ، فَأَتَى بِهِ بِلَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : قَالَتْ فَاطِمَةُ : قَدْ تَصَدَّقْتُ بِهِ ، فَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ فَعَلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي !! قَدْ فَعَلْتُ بِأَبِي وَأُمِّي !! اذْهَبْ فَبِعَهُ » ^(٢) .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف : ٧] ؛ قِيلَ : أَيُّهُمْ أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ^(٣) .

(١) فِي النِّسْخِ : (سَلِيمَان) أَوْ (سَلْمَان) ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ « الزَّهْد » (١١٨٣) ، وَ« تَهْذِيبُ الْكَمَال » (٢٩٢ / ٢٥) ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمٍ : هُوَ أَبُو هَلَالِ الرَّاسِبِيِّ الْبَصْرِيُّ (ت ١٦٧ هـ) .

(٢) الزَّهْدُ (١١٨٣) لِابْنِ الْمُبَارَكِ ، وَالحَدِيثُ مُرْسَلٌ ، وَرَوَاهُ مَرْفُوعًا أَبُو دَاوُدَ (٤٢١٣) ، وَأَحْمَدُ (٢٧٥ / ٥) ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي « السَّنَنِ الْكَبْرَى » (٢٦ / ١) عَنْ سَيِّدِنَا ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَابْنِ حِبَانَ (٦٩٦) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي « تَفْسِيرِهِ » (١٠٧٠٧) عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَوْرَدَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي « الْوَسِيطِ » (١٣٦ / ٣) ، وَالبَغَوِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (١٧٦ / ٨) =

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الزُّهْدِ ، فَقَالَ :
هُوَ إِلَّا تُبَالِي مَنْ أَكَلَ الدُّنْيَا ؛ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ^(١) .

وُسُئِلَ الشُّبَلِيُّ عَنِ الزُّهْدِ ، فَقَالَ : وَيَلَكُمْ ، أَيُّ مَقْدَارٍ لَجَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ أَنْ
يُزْهَدَ فِيهَا !؟^(٢) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَاسِطِيُّ : (إِلَى مَتَى تَصُولُ بِتَرْكِ كَيْفِ !؟ وَإِلَى مَتَى
تَصُولُ بِإِعْرَاضِكَ عَمَّا لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بِعَوْضَةٍ !؟)^(٣) .

فَإِذَا صَحَّ زُهْدُ الْعَبْدِ صَحَّ تَوَكُّلُهُ أَيْضًا ؛ لِأَنَّ صَدَقَ تَوَكُّلُهُ مَكْنَهُ مِنْ زُهْدِهِ
فِي الْمَوْجُودِ .

فَمَنْ اسْتَقَامَ فِي التَّوْبَةِ ، وَزَهَدَ فِي الدُّنْيَا ، وَحَقَّقَ هَٰذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ ..
اسْتَوْفَى سَائِرَ الْمَقَامَاتِ ، وَتَمَكَّنَ فِيهَا ، وَتَحَقَّقَ بِهَا .

وَتَرْتِيبُ التَّوْبَةِ مَعَ الْمُرَاقَبَةِ وَارْتِبَاطُ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ : أَنْ يَتَوَبَّ الْعَبْدُ ، ثُمَّ
يَسْتَقِيمَ فِي التَّوْبَةِ حَتَّى لَا يَكْتَبَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الشَّمَالِ شَيْئًا ، ثُمَّ يَرْتَقِيَ مِنْ
تَطْهِيرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْمَعَاصِي إِلَى تَطْهِيرِ الْجَوَارِحِ عَمَّا لَا يَغْنِي ، فَلَا يَسْمَحُ
بِكَلِمَةٍ فَضُولٍ وَلَا حَرَكَةٍ فَضُولٍ .

= عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) أَوْرَدَهُ الْكَلَابَازِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٠٩) ، وَالْخُرَكُوشِيُّ فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ »
(ص ١٢١) .

(٢) أَوْرَدَهُ الْكَلَابَازِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٠٩) ، وَفِيهِ : (لِأَقْلَ مِنْ جَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ) بَدَلَ
(لَجَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ) ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (١٤٣ / ٣٤) عَنْ
أَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِيِّ مِنْ قَوْلِهِ دُونَ سَوْأَلٍ بَلْفَظَ : (الدُّنْيَا عِنْدَ اللَّهِ أَقْلُ مِنْ جَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ ،
فَمَا قِيَمَةُ جَنَاحٍ بِعَوْضَةٍ حَتَّى يُزْهَدَ فِيهَا !؟) .

(٣) أَوْرَدَهُ الْكَلَابَازِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١١٠) .

ثُمَّ تَنْتَقِلُ الرَّعَايَةُ وَالْمُحَاسَبَةُ مِنَ الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ ، وَتَسْتَوِلِي الْمُرَاقَبَةُ عَلَى الْبَاطِنِ - وَهُوَ التَّحَقُّقُ بِعِلْمِ الْقِيَامِ - بِمَخَوِّ خَوَاطِرِ الْمَعْصِيَةِ عَنْ بَاطِنِهِ ، ثُمَّ خَوَاطِرِ الْفُضُولِ ، فَإِذَا تِمَكَّنَ مِنْ رِعَايَةِ الْخَطَرَاتِ . . عُصِمَ عَنْ مُخَالَفَةِ الْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ ، وَتَسْتَقِيمُ تَوْبَتُهُ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود : ١١٢] ؛ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِقَامَةِ فِي التَّوْبَةِ أَمْرًا لَهُ وَلَا تَبَاعِهِ وَأُمَّتِهِ .

وَقِيلَ : (لَا يَكُونُ الْمُرِيدُ مُرِيدًا حَتَّى لَا يَكْتُبَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الشَّمَالِ شَيْئًا عَشْرِينَ سَنَةً)^(١) ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا وَجُودُ الْعِصْمَةِ ، وَلَكِنَّ الصَّادِقَ التَّائِبَ النَّادِمَ إِذَا ابْتُلِيَ بِذَنْبٍ نَادِرًا^(٢) . . يَنْمَحِي أَثْرُ الذَّنْبِ عَنْ بَاطِنِهِ فِي الْطُفِّ سَاعَةٍ ؛ لَوْجُودِ النَّدَمِ فِي بَاطِنِهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةٌ ، فَلَا يَكْتُبُ عَلَيْهِ صَاحِبُ الشَّمَالِ شَيْئًا .

فَإِذَا تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا ثُمَّ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا ؛ حَتَّى لَا يَهْتَمُّ فِي غَدَائِهِ لِعَشَائِهِ ، وَلَا فِي عَشَائِهِ لَغَدَائِهِ ، وَلَا يَرَى الْإِدْخَارَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُ تَعَلُّقٌ هَمٌّ بِغَدٍ . . فَقَدْ جَمَعَ فِي هَذَا الزُّهْدَ وَالْفَقْرَ .

وَالزُّهْدُ أَفْضَلُ مِنَ الْفَقْرِ ، وَهُوَ فَقْرٌ وَزِيَادَةٌ ؛ لِأَنَّ الْفَقِيرَ عَادِمٌ لِلشَّيْءِ اضْطِرَّارًا ، وَالزَّاهِدَ تَارِكٌ لِلشَّيْءِ اخْتِيَارًا ، وَزُهْدُهُ يُحَقِّقُ تَوَكُّلَهُ ، وَتَوَكُّلُهُ

(١) سبق مسنداً في (٣٨٦ / ١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ الزَّفَّاقِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) العبارة في النسخ ما عدا (ح ، ي) : (. . . التَّائِبُ بِالنَّادِرِ إِذَا ابْتُلِيَ بِذَنْبٍ) بَدَل (. . . التَّائِبُ النَّادِمُ إِذَا ابْتُلِيَ بِذَنْبٍ نَادِرًا) .

يُحَقِّقُ رِضَاهُ ، وَرِضَاهُ يُحَقِّقُ الصَّبْرَ ، وَصَبْرُهُ يُحَقِّقُ حَبْسَ النَّفْسِ وَصَدَقَ
الْمُجَاهِدَةُ ، وَحَبْسُ النَّفْسِ لِلَّهِ يُحَقِّقُ خَوْفَهُ ، وَخَوْفُهُ يُحَقِّقُ رَجَاءَهُ ، وَيَحْظَى
بِالتَّوْبَةِ وَالزُّهْدِ بِكُلِّ الْمَقَامَاتِ .

وَالزُّهْدُ وَالتَّوْبَةُ إِذَا اجْتَمَعَا مَعَ صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَعُقُودِهِ وَشُرُوطِهِ . . يَعُوزُ
هَذِهِ الثَّلَاثَةُ رَابِعٌ بِهِ تَمَامُهَا ؛ وَهُوَ دَوَامُ الْعَمَلِ لِلَّهِ ؛ لِأَنَّ الْأَحْوَالَ السَّنِيَّةَ
يُنْكَشِفُ بَعْضُهَا بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ ، وَيَتَسَرَّرُ بَعْضُهَا مُتَوَقِّفًا عَلَى وَجُودِ الرَّابِعِ ؛ وَهُوَ
دَوَامُ الْعَمَلِ .

وَكَثِيرٌ مِنَ الزُّهَّادِ الْمُتَحَقِّقِينَ بِالزُّهْدِ الْمُسْتَقِيمِينَ فِي التَّوْبَةِ . . تَخَلَّفُوا عَنْ
كَثِيرٍ مِنْ سَنِيِّ الْأَحْوَالِ ؛ لِتَخَلُّفِهِمْ عَنْ هَذَا الرَّابِعِ ، وَلَا يُرَادُ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا
إِلَّا لِكَمَالِ الْفَرَاغِ الْمُسْتَعَانَ بِهِ عَلَى إِدَامَةِ الْعَمَلِ لِلَّهِ ، وَالْعَمَلُ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ
لَا يَزَالُ ذَاكِرًا أَوْ تَالِيًا أَوْ مُصَلِّيًا أَوْ مُرَاقِبًا ، لَا يَشْغَلُهُ عَنْ هَذِهِ إِلَّا وَاجِبٌ
شَرْعِيٌّ ، أَوْ مُهِمٌّ لَا بُدَّ مِنْهُ طَبِيعِيٌّ .

وَإِذَا اسْتَوْلَى الْعَمَلُ الْقَلْبِيُّ عَلَى الْقَلْبِ مَعَ وَجُودِ الشُّغْلِ الَّذِي أَذَاهُ إِلَيْهِ
حُكْمُ الشَّرْعِ . . لَا يَفْتَرُّ بَاطِنُهُ عَنِ الْعَمَلِ ، فَإِذَا كَانَ مَعَ الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى مُتَمَسِّكًا
بِدَوَامِ الْعَمَلِ . . فَقَدْ أَكْمَلَ الْفَضْلَ ، وَمَا آلَى جُهْدًا فِي الْعُبُودِيَّةِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الْوَرَّاقُ : (مَنْ خَرَجَ مِنْ قَالِبِ الْعُبُودِيَّةِ . . صُنِعَ بِهِ مَا يُصْنَعُ
بِالْآبِقِ) (١) .

(١) أوردته الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٣) ، وابن خميس في « مناقب
الأبرار » (٤٧٦ / ١) ، وأوردته السلمي في « تفسيره » (١٤٧ / ١) عن الجنيد رحمه الله
تعالى .

وَسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيُّ مَنْزِلَةٍ إِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِهَا قَامَ مَقَامَ الْعُبُودِيَّةِ ؟ قَالَ : إِذَا تَرَكَ التَّدْبِيرَ وَالْإِخْتِيَارَ^(١) .

فَإِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ بِالتَّوْبَةِ وَالزُّهْدِ وَدَوَامِ الْعَمَلِ لِلَّهِ . . . يَشْغَلُهُ وَقْتُهُ الْحَاضِرُ عَنْ وَقْتِهِ الْآتِي ، وَيَصِلُ إِلَى مَقَامِ تَرْكِ التَّدْبِيرِ وَالْإِخْتِيَارِ ، ثُمَّ يَصِلُ إِلَى أَنْ يَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ ، فَيَكُونُ اخْتِيَارُهُ مِنْ اخْتِيَارِ اللَّهِ ؛ لِزَوَالِ هَوَاهُ ، وَوُفُورِ عِلْمِهِ ، وَانْقِطَاعِ مَادَّةِ الْجَهْلِ عَنْ بَاطِنِهِ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِيُّ : (مَا دَامَ الْعَبْدُ يَتَعَرَّفُ يُقَالُ لَهُ : لَا تَخْتَرْ وَلَا تَكُنْ مَعَ اخْتِيَارِكَ حَتَّى تَعْرِفَ ، فَإِذَا عَرَفَ وَصَارَ عَارِفًا يُقَالُ لَهُ : إِنْ شِئْتَ فَاخْتَرْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَخْتَرْ ؛ لِأَنَّكَ إِنْ اخْتَرْتَ فَبِاخْتِيَارِنَا اخْتَرْتَ ، وَإِنْ تَرَكْتَ الْإِخْتِيَارَ فَبِاخْتِيَارِنَا تَرَكْتَ الْإِخْتِيَارَ ؛ فَإِنَّكَ بِنَا فِي الْإِخْتِيَارِ وَفِي تَرْكِ الْإِخْتِيَارِ)^(٢) .

وَالْعَبْدُ لَا يَتَحَقَّقُ بِهَذَا الْمَقَامِ الْعَالِي وَالْحَالِ الْعَزِيزِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ وَالنَّهَايَةُ - وَهُوَ أَنْ يَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ بَعْدَ تَرْكِ التَّدْبِيرِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْإِخْتِيَارِ - . . . إِلَّا بِإِحْكَامِهِ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا ؛ لِأَنَّ تَرْكَ التَّدْبِيرِ فَنَاءٌ ، وَتَمْلِكُ التَّدْبِيرِ وَالْإِخْتِيَارِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُهُ ، وَرَدُّهُ إِلَى الْإِخْتِيَارِ . . . تَصَرُّفٌ بِالْحَقِّ ، وَهُوَ مَقَامُ الْبَقَاءِ ؛ وَهُوَ الْإِنْسِلَاخُ عَنْ وُجُودِ كَانَ بِالْعَبْدِ إِلَى وُجُودِ يَصِيرُ بِالْحَقِّ .

(١) أوردته الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٩٣) .

(٢) أوردته أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٦١) ، وفي (أ ، ج) : (فَبِاخْتِيَارِنَا تَرَكْتَ) دون المفعول ، وهو أنسب مع ما قبله ، والمثبت من باقي النسخ موافق لـ « اللمع » .

وهذا العبد ما بقي عليه من الاعوجاج ذرّة ، واستقام ظاهره وباطنه في
 العبودية ، وغمر العلم والعمل ظاهره وباطنه ، وتوطن حظيرة القرب^(١)
 بنفس بين يدي الله تعالى متمسكة بالاستكانة والافتقار ، مُحَقِّقَةٌ بقول
 رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : « لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِكَ ،
 وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَأُضَيِّعَ ، أَكْلَأْنِي كَلَاءَةُ الْوَلِيدِ ، وَلَا تَخَلَّ عَنِّي »^(٢) ،
 والله أعلم^(٣) .



(١) في النسخ ما عدا (ب ، هـ ، و ، ح) : (حضرة القرب) .

(٢) قال الغماري في « الغنية » (٢ / ٨٣٤ - ٨٣٥) : (لم أجده هكذا مجموعاً ، وعند البزار
 [كما في « كشف الأستار » (٣١٩٠)] من حديث ابن عمر : كان من دعائه صَلَّى الله
 عليه وسلم : « اللهم ؛ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَلَا تَنْزِعْ مِنِّي صَالِحَ
 مَا أُعْطَيْتَنِي » ، وسنده ضعيف ، وعند أحمد في « الزهد » [٥٠] ، وأبي يعلى
 [٥٥٢٧] ، والعسكري في « الأمثال » ، والقضاعي في « مسند الشهاب » [١٤٨٤] من
 حديث ابن عمر أيضاً : أَنَّهُ صَلَّى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه : « اللهم ؛ واقية
 كواقية الوليد » .

(٣) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب الستون

في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب

قولهم في التوبة

قال رُوَيْمٌ رَحِمَهُ اللهُ : (معنى التوبة : أَنْ تَتُوبَ مِنَ التَّوْبَةِ) (١) .

قيل : معناه : قولٌ رابعة : (أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قِلَّةِ صِدْقِي فِي قَوْلِي : « أَسْتَغْفِرُ اللهَ ») (٢) .

وُسئِلَ الْحَسَنُ الْمَعَاذِلِيُّ عَنِ التَّوْبَةِ ؟ فَقَالَ : تَسْأَلُنِي عَنْ تَوْبَةِ الْإِنَابَةِ أَوْ تَوْبَةِ الْاسْتِجَابَةِ ؟

فَقَالَ السَّائِلُ : مَا تَوْبَةُ الْإِنَابَةِ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَخَافَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ .

قَالَ : فَمَا تَوْبَةُ الْاسْتِجَابَةِ ؟ قَالَ : أَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ لِقُرْبِهِ مِنْكَ (٣) .

(١) يعني : أَنْ تَتُوبَ مِنْ نَقْضِ التَّوْبَةِ الْأُولَى . مِنْ هَامِش (ح) ، وَقَوْلُ رُوَيْمٍ أَوْرَدَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٠٨) ، وَأَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ٦٨) ، وَابْنُ فُورِكَ فِي « الْإِبَانَةِ عَنْ طَرُقِ الْقَاصِدِينَ » (ص ٣٦) .

(٢) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « ذِكْرِ النِّسْوَةِ الْمُتَعَبِّدَاتِ » (ص ٢٩) ، وَأَوْرَدَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٠٨) ، وَالرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي « مُحَاضَرَاتِ الْأَدْبَاءِ » (٢ / ٤٨٤) ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « صِفَةِ الصَّفْوَةِ » (٢ / ٢٤٤) .

(٣) أَوْرَدَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٠٨) .

وهذا الذي ذكّره من توبة الاستجابة إذا تحقّق العبدُ بها ربّما تاب في صلاته من كلّ خاطِرٍ يُلِمُّ به سوى الله ، ويستغفرُ اللهَ منه ، وهذه توبةٌ لازمةٌ لبواطنِ أهلِ القُرْبِ ، كما قيل^(١) :

إِذَا قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةٌ وَجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ
قَالَ ذُو التُّونِ : (توبةُ العوامِّ : من الذنوبِ ، وتوبةُ الخواصِّ : من الغفلةِ ، وتوبةُ الأنبياءِ : من رؤيةِ عجزِهِم عن بلوغِ ما نالَهُ غيرُهُم)^(٢) .

سُئِلَ أَبُو مُحَمَّدٍ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الرَّجُلِ يَتَوَبُّ مِنَ الشَّيْءِ وَيَتْرُكُهُ ، ثُمَّ يَخْطُرُ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِقَلْبِهِ أَوْ يَرَاهُ أَوْ يَسْمَعُ بِهِ ، فَيَجِدُ حَلَاوَتَهُ ، فَقَالَ : الْحَلَاوَةُ طَبْعُ الْبَشَرِيَّةِ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الطَّبْعِ ، وَلَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ قَلْبَهُ إِلَى مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ بِالشَّكْوَى ، وَيُنْكِرُهُ بِقَلْبِهِ ، وَيُلْزِمَ نَفْسَهُ الْإِنْكَارَ وَلَا يُفَارِقَهُ ، ويدعو اللهَ تعالى أَنْ يُنْسِيَهُ ذَلِكَ وَيُشْغِلَهُ بِغَيْرِهِ مِنْ ذِكْرِهِ وَطَاعَتِهِ .

قَالَ : وَإِنْ غَفَلَ عَنِ الْإِنْكَارِ طَرْفَةَ عَيْنٍ . . أَخَافُ عَلَيْهِ أَلَّا يَسْلَمَ ، وتعمل الحلاوة في قلبه ، ولكن مع وجدان الحلاوة يُلْزِمُ قلبه الإنكارَ ويحزنُ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ^(٣) .

وهذا الذي قاله سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . . كافٍ بالغٍ لكلِّ طالبٍ صادقٍ يُريدُ صِحَّةَ تَوْبَتِهِ .

(١) روى البيت ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٥١ / ١٦) عن جارية من أهل بغداد .

(٢) أورده تاملًا الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٩) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٤) ، ودون قوله : (وتوبة الأنبياء . .) أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٦٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٠١) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٥١٠ / ٢) .

والعارفُ القويُّ الحالِ يتمكّنُ مِنْ إِزَالَةِ الحَلَاوَةِ عَنْ بَاطِنِهِ ، وَيَسْهُلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَسْبَابُ سَهُولَةِ ذَلِكَ مُتَنَوِّعَةٌ للعارفِ ، وَمَنْ تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةُ حُبِّ اللَّهِ الْخَاصِّ عَنْ صِفَاءِ مُشَاهَدَةِ وَصَرَفِ يَقِينٍ . . . أَيُّ حَلَاوَةٍ تَبْقَى فِي قَلْبِهِ ؟ ! وَإِنَّمَا حَلَاوَةُ الْهَوَى لِعَدَمِ حَلَاوَةِ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى .

وُسئِلَ الشُّوسِيُّ عَنِ التَّوْبَةِ ، فَقَالَ : التَّوْبَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ذِمَّةُ الْعِلْمِ إِلَى مَا مَدَحَهُ الْعِلْمُ^(١) .

وهذا وصفٌ يعمُّ الظاهرَ والباطنَ لِمَنْ كُوشِفَ بصريحِ العلمِ ؛ لأنَّه لا بقاءَ للجهلِ معَ العلمِ ، كما لا بقاءَ للَّيْلِ معَ طلوعِ الشمسِ ، وهذا يستوعبُ جميعَ أقسامِ التَّوْبَةِ بالوصفِ الخاصِّ والعامِّ .

وهذا العلمُ يكونُ علمَ الظاهرِ والباطنِ ؛ لتطهيرِ الظاهرِ والباطنِ بأخصِّ أوصافِ التَّوْبَةِ وأعمِّ أوصافِها .

وقالَ أبو الحسينِ الثُّورِيُّ رحمهَ اللهِ عليه : (التَّوْبَةُ : أَنْ تَتُوبَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى)^(٢) .

قولهم في الورع

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَلَأَكَ دِينُكَمُ الْوَرَعُ »^(٣) .

(١) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٦٨) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٩٤) ، والسلمي في « تفسيره » (١٨٣ / ١) ، ورواه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٣٠ / ٥) عن ابن عطاء الأَدَمي رحمه الله تعالى .

(٢) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٦٨) ، والكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٩) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٦٩ / ٢) إلى طاهر المقدسي رحمه الله تعالى .

(٣) رواه القضاعي في « المسند » (٤٠) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » =

(١٣٩) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً ^(١) ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً ^(٢) ،
عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْخَلَّالُ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي ابْنُ قُتَيْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا [عَمْرُو] بْنُ عُثْمَانَ ^(٣) ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ ،
عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ عَلَى نَهْرٍ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
وُضُوئِهِ أَفْرَغَ فَضْلَهُ فِي النَّهْرِ وَقَالَ : « يُبْلِغُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمًا يَنْفَعُهُمْ » ^(٤) .

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لَا يَنْبَغِي لِمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى وَوَزَنَ
بِالْوَرَعِ أَنْ يَذِلَّ لِصَاحِبِ دُنْيَا) ^(٥) .

= (١٠١) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ أَيْضاً
(١٠٠) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ »
(٢٦٦٣٩) ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (٩٦) مَرْسِلاً عَنْ عَمْرُو بْنِ قَيْسِ الْمُلَائِي ، وَانْظُرْ « غَنِيَّةُ
الْعَارِفِ » (٨٣٨ / ٢) .

- (١) سَقَطَ التَّصْرِيحُ بِالْإِجَازَةِ مِنْ (د ، هـ ، و) .
- (٢) سَقَطَ التَّصْرِيحُ بِالْإِجَازَةِ مِنْ (أ ، ج ، و ، ز) .
- (٣) فِي النُّسخِ : (عَمْر) بَدَلَ (عَمْرُو) ، وَفِي « الزَّهْدِ الْكَبِيرِ » : (عَمْرَان) ، وَلَعَلَّ
الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَ . انْظُرْ « تَهْذِيبُ الْكَمَالِ » (١٩٥ / ٤) فِي تَرْجُمَةِ بَقِيَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ .
- (٤) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « الزَّهْدِ الْكَبِيرِ » (٨٧٩) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ ،
وَالطَّبْرَانِيُّ فِي « مَسْنَدِ الشَّامِيِّينَ » (١٤٦٩) ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي « تَارِيخِ بَغْدَادِ »
(١١٠ / ٥) ، وَفِي (أ) : (أَقْوَاماً أُخْر) بَدَلَ (قَوْمَاً) ، وَفِي (ج) : (قَوْمَاً أُخْرَيْنَ) ،
وَفِي (ح) : (قَوْمَاً أُخَرَ) .

- (٥) أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي « مَنَاقِبِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ » (ص ١٧٢) عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ عَنْ
سَيِّدِنَا عَمْرِ بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٥٦ / ٣) ، وَأَوْرَدَهُ ابْنُ
أَبِي الدُّنْيَا فِي « الْقَنَاعَةِ وَالتَّعَفُّفِ » (٨٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ مِنْ قَوْلِهِ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ معروفُ الْكَرْخِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : (احْفَظْ لِسَانَكَ مِنَ الْمَدْحِ كَمَا تَحْفَظُهُ مِنْ الدَّمِ)^(١) .

نُقِلَ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدِ الْمُحَاسِبِيِّ أَنَّهُ كَانَ عَلَى طَرَفِ إصْبَعِهِ الْوُسْطَى عِرْقٌ ، إِذَا مَدَّ يَدَهُ إِلَى طَعَامٍ فِيهِ شُبْهَةٌ ضَرَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعِرْقُ^(٢) .

سُئِلَ السَّبَّالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الْوَرَعِ ، فَقَالَ : الْوَرَعُ : أَنْ تَتَوَرَّعَ أَنْ يَتَشَتَّ قَلْبُكَ عَنِ اللهِ طَرْفَةً عَيْنٍ^(٣) .

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٧٠٧) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٢٨) .

(٢) نقله أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٧٠-٧١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٢٩) ، وروى أبو نعيم في « الحلية » (٧٤/١٠) بإسناده إلى الجنيد قال : (كان الحارث كثير الضَّرِّ ، فاجتاز بي يوماً وأنا جالسٌ على بابنا ، فرأيتُ في وجهه زيادة الضَّرِّ من الجوع ، فقلتُ له : يا عَمُّ ؛ لو دخلتَ إلينا نِلتَ من شيءٍ عندنا ، فقال : أَوْتَفَعُلُ ؟ قلتُ : نعم وتسرّني بذلك وتبرّني ، فدخلتُ بين يديه ودخل معي ، وعمدْتُ إلى بيت عمِّي وكان أوسعَ من بيتنا لا يخلو من أطعمة فاخرة لا يكونُ مثلُها في بيتنا سريعاً ، فجنّتُ بأنواع كثيرة من الطعام فوضعتُه بين يديه ، فمدَّ يده وأخذ لُقْمَةً فرفعها إلى فيه ، فرأيتُه يَلُوكُهَا ولا يَزْدَرِدُهَا ، فخرج وما كَلَّمَنِي ، فلمّا كان الغدُ لَقِيتُه ، فقلتُ : يا عَمُّ ؛ سرّرتني ثمَّ نَغَصْتَ عليّ ، فقال : أمّا الفاقة فكانت شديدةً ، وقد اجتهدتُ أن أنال من الطعام الذي قدّمته إليّ ، ولكن بيني وبين الله علامة إذا لم يكن الطعامُ عند الله مرضياً ارتفع إلى أنفي [منهُ زفرةٌ] ، فلم تقبله نفسي ، فقد رَمِيتُ بتلك اللُقْمَةِ في دَهْلِيزِكُمْ وخرجت) ، وأورد القشيري نحو هذه القصة في « رسالته » (ص ١٢٠) ، وذكر أَنَّهُ دعاه مرة أخرى ، فقدّم إليه كِسْراً كانت عنده ، فأكل وقال : (إِذَا قَدَّمْتَ إِلَى فَقِيرٍ شَيْئاً . . فَقَدِّمْ مِثْلَ هَذَا) .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٧١) ، ورواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٥٧) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٢٦) بلفظ : (الْوَرَعُ : أَنْ تَتَوَرَّعَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ) .

وقال أبو سليمان الداراني : (الورع أول الزهد ، كما أن القناعة طرف من الرضا)^(١) .

وقال يحيى بن معاذ الرازي : (الورع : الوقوف على حد العلم من غير تأويل)^(٢) .

سئل الخواص عن الورع ، فقال : ألا يتكلم العبد إلا بالحق ، غضب أو رضي ، وأن يكون اهتمامه بما يرضي الله^(٣) .

(١٤٠) - أخبرنا أبو زرعة إجازة ، عن أبي بكر بن خلف إجازة^(٤) ، عن السلمي قال : سمعت الحسن بن أحمد بن جعفر يقول : سمعت محمد بن داود الدينوري يقول : سمعت ابن الجلاء يقول : (أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا ما استقاه بركوته ورشائه ، ولم يتناول من طعام جلب من مضر شيئاً)^(٥) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٣٤٤) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/٩) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (٨٣٣) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٨) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص ٣٢٦) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢٨٥) ، ومن طريقه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٦٠) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٨/٦) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، د) .

(٥) رواه من طريق السلمي البيهقي في « الزهد الكبير » (٩٥٠) ، و« الشعب » (٥٤٠٢) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٢٦-٣٢٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٩/٦) ، وقوله : (جلب من مضر) ؛ يعني : لا يأكل الطعام الذي جاء من سائر البلاد والمدن .

وقال الخَوَاصُّ : (الَوَرَعُ دليلُ الخوفِ ، والخوفُ دليلُ المعرفةِ ،
والمعرفةُ دليلُ القُرْبَةِ)^(١) .

قولم في الزهد

قال الجُنَيْدُ رحمه الله : (الزهدُ : خُلُوُّ الأيدي مِنَ الأَملاكِ ، والقلوبِ
مِنَ السَّبْعِ)^(٢) .

وسُئِلَ الشُّبْلِيُّ عَنِ الزَّهْدِ ، فَقَالَ : لا زهدَ في الحَقِيقَةِ ؛ لَأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَزْهَدَ
فِيما لَيْسَ لَهُ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِزَهْدٍ ، أَوْ يَزْهَدَ فِيما هُوَ لَهُ ، فَكَيْفَ يَزْهَدُ فِيهِ وَهُوَ
مَعَهُ وَعِنْدَهُ ؟ ! فَلَيْسَ إِلَّا ظَلْفُ النَّفْسِ وَبَذْلُ وَمُوَاسَاةٍ^(٣) .

يُشِيرُ : إلى الأقسامِ التي سَبَقَ بها الأَقْلَامُ ، وهذا لوِ اطَّرَدَ لَهَدَمَ قاعِدَةَ
الاجتهادِ والكسبِ ، وَلَكِنَّ مقصودَ الشُّبْلِيِّ : أَنْ يُقَلِّلَ الزَّهْدَ في عَيْنِ الْمُعْتَدِّ
بالزهدِ ؛ لئلا يَغْتَرَّ بالزهدِ .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُوتِيَ زُهْدًا فِي
الدُّنْيَا وَمَنْطِقًا . فَأَقْرَبُوا مِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةُ »^(٤) .

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٨٤٤) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٠٩) ، وأبو نصر السراج في « اللمع »
(ص ٧٢) ، وفيه : (من الطمع) بدل (من التبع) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٠) ، والظِّلْفُ : المنع والكف ، وفي (أ ،
ب) : (صلف النفس) بدل (ظلف النفس) ، وفي (د) : (خلاف النفس) .

(٤) رواه ابن ماجه (٤١٠١) ، وابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٦٩٠) عن
سيدنا أبي خَلَّاد رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (١٨٨٥) ،
والبيهقي في « الشعب » (٤٦٣١) ، ومن طريق الطبراني أبو نعيم في « الحلية »
(٣١٧ / ٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيها جميعاً : (وقلة منطق) بدل =

وقد سَمَّى اللهُ تعالى الزاهدين علماء في قصّة قارون ؛ فقال : ﴿ وَقَالَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ [القصص : ٨٠] ؛ قيل : هم
الزاهدون^(١) .

وقال سهل بن عبد الله : (للعقل ألف اسم ، ولكل اسم منه ألف اسم ،
وأول كل اسم منه ترك الدنيا) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا
صَبَرُوا ﴾ [السجدة : ٢٤] ؛ قيل : عن الدنيا^(٢) .

وفي الخبر : « الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ ، مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا ، فَإِذَا
دَخَلُوا فِي الدُّنْيَا فَأَحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ »^(٣) .

وجاء في الأثر : « لَا تَزَالُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَدْفَعُ عَنِ الْعِبَادِ سَخَطَ اللَّهِ ،
مَا لَمْ يُيَالُوا مَا نَقَصَ مِنْ دُنْيَاهُمْ مَعَ سَلَامَةِ دِينِهِمْ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ^(٤) وَقَالُوا :

= (ومنطق) ، وانظر « غنية العارف » (٨٤٠ / ٢) .

(١) أوردته الفيروزابادي في « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » (ص ٣٣١) ،
وأبو طالب المكي في « القوت » (٦٨٠ / ٢) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩٥ / ٢٠) من تفسير وكيع رحمه الله تعالى ، والدينوري
المالكي في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢١٦) من تفسير الحسن بن صالح بن حي
رحمه الله تعالى ، وانظر « النكت والعيون » (٣٦٦ / ٤) ، و« الدر المنثور »
(٥٥٦ / ٦) .

(٣) رواه الديلمي في « الفردوس » (٤٢١٠) ، والرافعي في « تاريخ قزوين » (٤٤٥ / ٢)
عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « إتحاف السادة المتقين »
(١٢٥ / ٦ - ١٢٦) ، و« غنية العارف » (٨٤١ / ٢) .

(٤) أي : بالوا ما نقص من دنياهم . من هامش (ح) .

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) . . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : كَذَبْتُمْ ، لَسْتُمْ بِهَا صَادِقِينَ « (١) .

وقال سهل بن عبد الله : (أعمال البر كلها في موازين الزهاد ، وثواب زهدهم زيادة لهم) (٢) .

وقيل : (مَنْ سُمِّيَ باسم الزهد في الدنيا . . فقد سُمِّيَ بألف اسم محمود ، وَمَنْ سُمِّيَ باسم الرِّغبة في الدنيا . . فقد سُمِّيَ بألف اسم مذموم) (٣) .

وقال السري رحمه الله : (الزهد : ترك حُطُوطِ النَّفْسِ مِنْ جميع ما في الدنيا) ، ويجمع هذا : الحُطُوطَ المَالِيَّةَ والجَاهِيَّةَ ، وَحُبَّ المنزلة عند الناس ، وَحُبَّ المَحْمَدةِ والشَّاءِ مِنَ الخَلْقِ .

وسئل الشَّبْلِيُّ عن الزهد وعن حقيقته ، فقال : الزهد غفلة ؛ لأن الدنيا لا شيء ، والزهد في لا شيء غفلة (٤) .

وقال بعضهم : (لَمَّا رَأَوْا حقارة الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا ؛ لهوانها عندهم) (٥) .

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (١٠٩٠) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٦) ، وابن أبي عاصم في « الزهد » (٢٨٨) ، والبيهقي في « الشعب » (١٠٠١٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، والبزار في « المسند » (٨٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « غنية العارف » (٨٤٣ / ٢) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢٤٣ / ١) ط . دار صادر .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٧٢) .

(٤) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٧٣) .

(٥) انظر « اللمع » (ص ٧٣) .

قال الشيخ رحمه الله : وعندي : أنَّ الزهد في الزهد غير هذا ، وإنما الزهد في الزهد : بالخروج من الاختيار في الزهد ؛ لأنَّ الزاهد اختار الزهد وأرادهُ ، وإرادته تستند إلى علمه ، وعلمهُ قاصرٌ ، فإذا أُقيِمَ في مُقام ترك الإرادة وانسلخ من اختياره . . كاشفه الله تعالى بمُرادِهِ ، فترك الدنيا بمُراد الحق لا بمُراد نفسه ، فيكون زُهدُهُ بالله تعالى حيثُ ، أو يعلم أنَّ مُراد الله منه التلبُّس بشيءٍ من الدنيا ، فما يدخلُ بالله في شيءٍ من الدنيا لا ينقُضُ عليه زهدُهُ ، فيكون دخوله في الشيء من الدنيا بالله وبإذن منه زهداً في الزهد .

والزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمُها ؛ إن تركها تركها بالله ، وإن أخذها أخذها بالله ، وهذا هو الزهد في الزهد ، وقد رأينا من العارفين من أُقيِمَ في هذا المُقام .

وفوق هذا المُقام مقام آخر في الزهد ؛ وهو لمن يردُّ الحق إليه اختياره لسعة علمه وطهارة نفسه في مقام البقاء ، فيزهد زهداً ثالثاً ، ويترك الدنيا بعد أن مُكِّنَ من ناصيتها ، وأُعِيدَتْ عليه موهبةٌ ، ويكون تركهُ للدنيا في هذا المُقام باختياره ، واختيارُهُ من اختيار الحق .

فقد يختار تركها حيناً ؛ تأسيساً بالأنبياء والصالحين ، ويرى أنَّ أخذها في مقام الزهد في الزهد رفقٌ أدخل عليه لموضع ضعفه عن درك شأو الأقوياء من الأنبياء والصديقين^(١) ، فيترك الرفق من الحق بالحق للحق .

وقد يتناولهُ باختياره ؛ رفقاً بالنفس بتدبير يسوسه فيه صريح العلم ،

(١) الشأو : الغاية والنهاية .

وهذا مقام التصرف لأقوياء العارفين ؛ زهدوا ثالثاً بالله ، كما رغبوا ثانياً بالله ، كما زهدوا أولاً لله صدقاً وإخلاصاً^(١) .

قولم في الصبر

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : (الصبر : انتظار الفرج من الله ، وهو أفضل الخدمة وأعلاها)^(٢) .

وقال بعضهم : (الصبر : أن تصبر في الصبر) ؛ أي : لا تطالع فيه الفرج^(٣) .

قال الله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وقيل : (لكل شيء جوهر ، وجوهر الإنسان العقل ، وجوهر العقل الصبر)^(٤) .

فالصبر عرك النفس ، وبالعرك تليين ، والصبر جار في الصابر مجرى الأنفاس ؛ لأنه يحتاج إلى الصبر عن كل شيء منهي ومكروه ومذموم ظاهراً

(١) قوله : (صدقاً وإخلاصاً) زيادة من (و) ، وهي في نسخة على هامش (أ) بعد قوله : (ثانياً بالله) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٠) ، وجاء في بعض النسخ : (الفرج) بدل (الفرج) .

(٣) أورده مع التفسير الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٠) .

(٤) رواه السلمى في « طبقات الصوفية » (ص ٥٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٠٩ / ١٠) ، والبيهقي في « الشعب » (٤٣٥٨) .

وباطناً ، والعلمُ يَدُلُّ والصبرُ يقبلُ ، ولا تنفعُ دَلَالَةُ العلمِ بغيرِ قبولِ الصبرِ ،
وَمَنْ كَانَ العلمُ سَائِسَهُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . . لَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ الصَّبْرُ
مُسْتَقَرَّةً وَمَسْكَنَةً .

والعلمُ والصبرُ مُتَلَازِمَانِ كَالرُّوحِ وَالْجَسَدِ ، لَا يَسْتَقِلُّ أَحَدُهُمَا بِدُونِ
الْآخَرِ ، وَمَصْدَرُهُمَا الْغَرِيزَةُ الْعَقْلِيَّةُ ، وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ ؛ لِاتِّحَادِ مَصْدَرِهِمَا ،
وَبِالصَّبْرِ تَحَامِلٌ عَلَى النَّفْسِ ، وَبِالْعِلْمِ تَرَقُّ إِلَى الرُّوحِ ، وَهُمَا الْبَرْزَخُ
وَالْفُرْقَانُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ^(١) ؛ لِيَسْتَقَرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي مُسْتَقَرِّهِ ، وَفِي
ذَلِكَ صَرِيحُ الْعَدْلِ وَصِحَّةُ الْإِعْتِدَالِ ، وَبِانْفِصَالِ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ - أَعْنِي :
الْعِلْمَ وَالصَّبْرَ - مَيْلٌ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ ؛ أَعْنِي : النَّفْسَ وَالرُّوحَ ، وَبَيَانُ
ذَلِكَ يَدِقُّ .

وَنَاهِيكَ بِشَرَفِ الصَّبْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾
[الزمر : ١٠] !! كُلُّ أَجِيرٍ أَجْرُهُ بِحِسَابٍ ، وَأَجْرُ الصَّابِرِ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا
بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧] ؛ أَضَافَ الصَّبْرَ إِلَى نَفْسِهِ ؛ لِشَرِيفِ مَكَانِهِ وَتَكْمُلِ النِّعَةِ
بِهِ .

قِيلَ : وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى الشُّبْلِيِّ ، فَقَالَ : أَيُّ صَبْرٍ أَشَدُّ عَلَى الصَّابِرِينَ ؟

(١) الْبَرْزَخُ فِي الْأَصْلِ : هُوَ الْحَائِلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ، وَيُعْبَرُ عَنْهُ عَنِ عَالَمِ الْمَثَالِ الْحَاجِزِ بَيْنَ
الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَعَالَمِ الْأَرْوَاحِ الْمُجَرَّدَةِ ؛ أَعْنِي : الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ؛ وَمِنْهُ الْكَشْفُ
الصُّورِي . مِنْ « الْإِصْطِلَاحَاتِ » ، وَالْفُرْقَانُ : هُوَ الْعِلْمُ التَّفْصِيلِيُّ الْفَارِقُ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

فَقَالَ : الصَّبْرُ فِي اللَّهِ^(١) ، فَقَالَ : لَا ، فَقَالَ : الصَّبْرُ لِلَّهِ^(٢) ، فَقَالَ : لَا ،
فَقَالَ : الصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ^(٣) ، فَقَالَ : لَا .

فَغَضِبَ الشُّبْلِيُّ وَقَالَ : وَيَحَكَ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : الصَّبْرُ
عَنِ اللَّهِ^(٤) ، قَالَ : فَصَرَخَ الشُّبْلِيُّ صَرْخَةً كَادَ أَنْ يَتَلَفَ رُوحُهُ^(٥) .

وعندي في معنى الصبر عن الله وجهٌ ، ولكونه من أشد الصبر على
الصابرين وجهٌ ؛ وذلك أنَّ الصبر عن الله يكون في أخصِّ مقامات

(١) هو الثبات في سلوك طريق الحقِّ ، وتوطيئ النفس من المجاهدة بالاختيار وترك
المألوفات واللذات ، وتحمل البليّات ، وقوّة العزيمة في التوجّه إلى مَنبَع الكمال ،
وهو من مقام السالكين ، [يَهْبُهُ اللَّهُ] لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ فَضْلِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ . من هامش (ح) .

(٢) هو من لوازم الإيمان ، وأول درجات أهل الإسلام ، وقال النبي عليه السلام : « الإيمان
نصفان ؛ نصفٌ صبرٌ ، ونصفٌ شكرٌ » ؛ وهو حبس النفس عن الجزع عند فوات
مرغوبٍ أو وقوع مكروه ، وهو من فضائل الأخلاق الموهوبة من فضل الله لأهل دينه
وطاعته المُقتضي للثواب الجزيل . من هامش (ح) .

(٣) هو لأهل الحضور والكشف عند التجرّد [عن] ملابس الأفعال [والصفات] ، والتعرّض
لتجليات الجمال والكمال ، [وتوارد] واردات الأنس والهيبة ، فهو بحضور القلب لَمَنْ
كان له قلبٌ ، والاحتراس عن الغفلة والغيبة عند التلويّنات لظهور النفس ، وهو أَشَقُّ
على النفس من الضرب على الهام وإن كان لذيذاً جداً . من هامش (ح) .

(٤) هو لأهل العيان والمشاهدة من العُشّاق المشتاقين المُتقلّبين في أطوار التجلّي ،
المُتخلّفين عن الناسوت ، المُتنوّرين بنور اللاهوت ، ما بقي لهم قلبٌ ولا وصف ،
[كلّما] لاح لهم نورٌ من سُبحات أنوار الجمال . . احترقوا وتفتّأوا ، وكلّما ضُربَ بهم
حجابٌ ورّد وجودهم تشريفاً وتعظيماً . . ذاقوا مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ وحركة الفُرْقَةِ ما يُحِيلُ به
صبرَهُمْ ويُحَقِّقُ موتَهُمْ ، وهو [من] أحوال المُحبّين . من هامش (ح) .

(٥) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٤١) ، وأورده أبو نصر السّراج في « اللمع »
(ص ٧٦) .

المُشَاهِدَةِ ، يرجعُ العبدُ عن مَوْلَاهُ استحياءً وإجلالاً ، وتنطبقُ بصيرتُهُ خَجَلًا
وذَوْبَانًا ، ويتغيَّبُ في مَفَاوِزِ اسْتِكَانَتِهِ وتَخَفُّيهِ ؛ لِإِحْسَاسِهِ بِعَظِيمِ أَمْرِ التَّجَلِّي .

وهذا مِنْ أَشَدِّ الصَّبْرِ ؛ لِأَنَّهُ يَوَدُّ اسْتِدَامَةَ هَذَا الْحَالِ ؛ تَأْدِيَةً لِحَقِّ
الْجَلَالِ ، وَالرُّوحَ تَوَدُّ أَنْ تَكْتَحِلَ بِبَصِيرَتِهَا بِاسْتِلْمَاعِ نُورِ الْجَمَالِ ، وَكَمَا أَنَّ
النَّفْسَ مُنَازِعَةً لِعُمُومِ حَالِ الصَّبْرِ . فَالرُّوحُ فِي هَذَا الصَّبْرِ مُنَازِعَةٌ ، فَاشْتَدَّ
الصَّبْرُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى لَذَلِكَ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَالِمٍ : (هُم ثَلَاثَةٌ : مُتَصَبِّرٌ ، وَصَابِرٌ ، وَصَبَّارٌ ؛
فَالْمُتَصَبِّرُ : مَنْ صَبَرَ فِي اللَّهِ ؛ فَمَرَّةً يَصْبِرُ ، وَمَرَّةً يَجْزَعُ ^(١) .

وَالصَّابِرُ : مَنْ يَصْبِرُ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ ، وَلَا يَجْزَعُ ، وَلَكِنْ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ
الشَّكْوَى ، وَقَدْ يُمَكِّنُ مِنْهُ الْجَزَعُ .

وَأَمَّا الصَّبَّارُ ؛ فَذَلِكَ الَّذِي صَبْرُهُ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ وَبِاللَّهِ ، فَهَذَا لَوْ وَقَعَ عَلَيْهِ
جَمِيعُ الْبَلَايَا لَا يَجْزَعُ وَلَا يَتَغَيَّرُ مِنْ جِهَةِ الْوُجُوبِ وَالْحَقِيقَةِ ، لَا مِنْ جِهَةِ
الرَّسْمِ وَالْخِلْقَةِ ^(٢) .

وإِشَارَتُهُ فِي هَذَا : إِلَى ظَهْوَرِ حُكْمِ الْعِلْمِ فِيهِ مَعَ ظَهْوَرِ صِفَةِ الطَّبِيعَةِ ^(٣) .

وَكَانَ الشُّبْلِيُّ يَتِمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ^(٤) :

[من الخفيف]

(١) فِي (د ، ي) وَ « اللَّمَع » : (يَعْجَز) .

(٢) رَوَاهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَع » (ص ٧٦-٧٧) .

(٣) فِي (ب) : (بَقِيَّةُ صِفَةِ الطَّبِيعَةِ) بَدَلِ (صِفَةِ الطَّبِيعَةِ) .

(٤) عَزَا السَّلْمِيُّ الْبَيْتَ الثَّانِي فِي « تَفْسِيرِهِ » (١٩٤ / ٢) إِلَى ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

تَعَالَى ، وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٤٣٤ / ١٧) عَنْ ذِي النُّونِ الْمِصْرِيِّ أَنَّهُ =

إِنَّ صَوْتَ الْمُحِبِّ مِنْ أَلَمِ الشَّوْ قِ وَخَوْفِ الْفِرَاقِ يُورِثُ ضُرًّا
صَابِرَ الصَّبْرِ فَاسْتَعَاثَ بِهِ الصَّبُّ رُفْصَاحَ الْمُحِبِّ لِلصَّبْرِ صَبْرًا^(١)

قال جعفر الصادق رضي الله عنه : (أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْبِيَاءَهُ بالصَّبْرِ ،
وجعلَ الحِظَّ الأعلى للرسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حيثُ جعلَ صبرَهُ باللهِ
لا بِنَفْسِهِ ؛ فقالَ : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل : ١٢٧])^(٢) .

وسئِلَ السَّريُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ الصَّبْرِ ، فتكلَّمَ فيه ، فدَبَّ عَلَى رِجْلِهِ
عَقْرَبٌ ، فجعلَ يَضْرِبُهُ بِإِبْرَتِهِ ، فقليلَ لَهُ : لَمْ لَا تَدْفَعُهُ ؟ قالَ : أَسْتَحْيِي
مِنَ اللهِ أَنْ أَتَكَلَّمَ فِي حَالٍ ثُمَّ أُخَالِفَ مَا أَتَكَلَّمُ فِيهِ^(٣) .

= كان له عصاً مكتوب عليها هذان البيتان ، وزاد قبلهما :

عَبَرَاتُ كَتَبْنَ فِي الْخَدِّ سَطْرًا قَدْ قَرَأَهُ مَنْ لَيْسَ يُحْسِنُ يَقْرَأَ

- (١) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٧٧) ، وزاد بيتاً ذكرته في التعليق السابق .
(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٣٧٩ / ١) إلى قوله : (للرسول صلى الله عليه وسلم) ،
ونسب الباقي إلى سهل التستري رحمه الله تعالى ، وبداية قوله : (واعلم : أنه لا معين
على الصبر إلا الله ؛ حيث جعل صبره . . .) ، فما أورده المؤلف مُرَكَّبٌ من قولين ،
والصبر بالله : هو لأهل التمكين في مقام الاستقامة الذين أفناهم الله بالكُلِّيَّةِ وما ترك
عليهم شيئاً من بَقِيَّةِ الْإِنِّيَّةِ وَالْأَثْنِيَّةِ ، ثُمَّ وَهَبَ [لهم] وجوداً من [ذاته] حتى قاموا به
وفعلوا بصفاته ، وهو من أخلاق الله تعالى ليس لأحد فيه نصيب ؛ ولهذا أمره به ، ثُمَّ
بَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ الصَّبْرَ الَّذِي أُمِرْتُ بِهِ لَيْسَ مِنْ سَائِرِ أَقْسَامِ الصَّبْرِ حَتَّى يَكُونَ بِنَفْسِكَ أَوْ
بِقَلْبِكَ ، بَلْ هُوَ صَبْرِي ؛ لَا [تُبَاشِرُهُ] إِلَّا بِي ، وَلَا [تُطِيقُهُ] إِلَّا [بِقَوَّتِي] ، ولعدم وفاء
قَوَّتِهِ بهذا الصبر قال : « شَيَّبَتْنِي سُورَةُ هُودٍ » ، ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر : ٨٨]
بالتلوين بظهور القلب بصفته ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ هَذَا الصَّبْرِ يَرَى الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ الْحَقِّ ؛ فَكُلُّ
مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ يَرَاهُ فَعَلَ اللهُ ، [وَكُلُّ] صِفَةٍ تَظْهَرُ عَلَيْهِمْ تَجَلِّيًّا مِنْ تَجَلِّيَّاتِهِ . من هامش
(ح) .

(٣) سبق تخريجه في (١١١ / ٢) .

(١٤١) - أخبرنا أبو زرعة إجازة^(١) ، عن أبي بكر بن خلف إجازة ،
عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : سمعت محمد بن خالد يقول : سمعت
الفرغانى يقول : سمعت الجعيد رحمه الله عليه يقول : (إن الله تعالى أكرم
المؤمنين بالإيمان ، وأكرم الإيمان بالعقل ، وأكرم العقل بالصبر ؛ فالإيمان
زين المؤمن ، والعقل زين الإيمان ، والصبر زين العقل)^(٢) .

وأنشد عن إبراهيم الخواص رحمه الله^(٣) :

[من الطويل]

صَبَرْتُ عَلَى بَعْضِ الْأَذَى خَوْفَ كُلِّهِ	وَدَافَعْتُ عَنْ نَفْسِي لِنَفْسِي فَعَزَّتِ
وَجَرَّعْتُهَا الْمَكْرُوهَ حَتَّى تَدَرَّبَتْ	وَلَوْ لَمْ أُجَرِّعْهَا إِذَا لَا شِمَازَتْ
أَلَا رَبُّ ذُلِّ سَاقٍ لِلنَّفْسِ عِزَّةٌ	وَيَا رَبَّ نَفْسٍ بِالتَّذَلُّلِ عَزَتْ
إِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ أَلْتَمِسُ الْغِنَى	إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ أَسْأَلُونِي فَشَلَّتْ
سَأَصْبِرُ جَهْدِي إِنْ فِي الصَّبْرِ عِزَّةٌ	وَأَرْضَى بِدُنْيَايَ وَإِنْ هِيَ قَلَّتْ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا أُلْفَتِي	فَإِنْ أَطْمَعْتُ تَأَقَّتْ وَإِلَّا تَسَلَّتْ

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : (ما أنعم الله على عبد من نعمة ثم انتزعها
منه ، فعاضه مما انتزع منه الصبر . . إلا كان ما عاضه خيراً مما انتزع منه)^(٤) .

- (١) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ ، وكذلك في الراوي بعد .
- (٢) في النسخ ما عدا (أ ، ج ، ح) : (دين) بدل (زين) في المواضع الثلاثة .
- (٣) نقل الأبيات الرافي في « التدوين » (٩٩ / ٢) بإسناد السلمي في كتابه « المقامات » إلى الخواص ، وأوردها ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥ / ٧١) ، وروى الأبيات الثلاثة الأولى السلمي في « آداب الصحبة » (٤٩) من إنشاد عبد الحميد بن عبد الرحمن القاضي ، ويروى البيت الأخير لسيدنا عمرو بن معدي كرب رضي الله عنه .
- (٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصبر والثواب عليه » (٢٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » =

وَأُنشِدَ لِسُمْنُونٍ^(١) :

[من الطويل]

تَجَرَّعْتُ مِنْ حَالِيهِ نُعْمَى وَأَبُوسَا زَمَانٌ إِذَا أَجْرَى عَزَالِيهِ إِيْحَتَسَى^(٢)
فَكَمْ غَمْرَةٍ قَدْ جَرَّعْتَنِي كُؤُوسَهَا فَجَرَّعْتُهَا مِنْ بَحْرِ صَبْرِي أَكُؤُوسَا
تَدَّرَعْتُ صَبْرِي وَالتَّحَفْتُ صُرُوفَهُ وَقُلْتُ لِنَفْسِي الصَّبْرُ أَوْ فَاهْلِكِي أَسَى
خُطُوبٌ لَوْ أَنَّ الشُّمَّ زَاخَمَنَ خُطْبَهَا لَسَاخَتْ وَلَمْ تُذْرِكْ لَهَا أَلْكَفٌ مَلَمَسَا^(٣)



قَالَ ابْنُ الْجَلَّا : (الْفَقْرُ : أَلَّا يَكُونَ لَكَ ، فَإِذَا كَانَ لَا يَكُونُ لَكَ)^(٤) ؛
يعني : تَوَثُّرُهُ .

وَقَالَ الْكَتَّانِيُّ : (إِذَا صَحَّ الْاِفْتِقَارُ إِلَى اللَّهِ . صَحَّ الْغِنَى بِاللَّهِ تَعَالَى ؛
لأنَّهُمَا حَالَانِ لَا يَتِمُّ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ)^(٥) .

= (٢٩٨ / ٥) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٥٦٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »
(٢٣١ - ٢٣٠ / ٤٥) .

(١) أورد الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١١) .

(٢) قوله : (زمان) ضبطت في (و) بالنصب منونة ، وأشير إلى نسخة في الهامش مضبوطة
بالجر والرفع منونة ، والعزاليين : مُثْنَى (عَزَلَاء) ، والجمع : (عَزَالِي) و (عَزَالِي) ؛
وهي فَمُ المزايدة الأسفل ، وانظر « حسن التصرف » (ق / ٩٩) .

(٣) الشُّمُّ : جمع (أَشَمٌّ) ؛ وهو الجبل العالي .

(٤) أورد أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٧٥) ، والكلاباذي في « التعرف »
(ص ١١٢) ، وزاد السراج : (وَمِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لَكَ لَمْ يَكُنْ لَكَ) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٥٨ / ١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق »
(٢٥٧ / ٥٤) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٢) ، وهو في « الرسالة
القشيرية » (ص ٥٧٣) مروي عن الجنيد أو الفرغاني رحمهما الله تعالى .

وقال الثوري : (نعتُ الفقير : السُّكُونُ عندَ العَدَمِ ، والبَذْلُ عندَ الوجودِ)^(١) .

وقال غيره : (والاضطرابُ عندَ الوجودِ)^(٢) .

وقال الدَّرَاجُ : فَتَشْتُ كِنْفَ أُسْتَاذِي أُرِيدُ مُكْحَلَةً^(٣) ، فوجدتُ فيها قطعةً^(٤) ، فَتَحِيرْتُ ، فَلَمَّا جَاءَ قَلْتُ لَهُ : إِنِّي وَجَدْتُ فِي كِنْفِكَ قِطْعَةً ، قَالَ : قَدْ رَأَيْتَهَا ؟! رُدَّهَا ، ثُمَّ قَالَ : خُذْهَا وَاشْتَرِ بِهَا شَيْئًا ، فَقُلْتُ : مَا كَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْقِطْعَةِ بِحَقِّ مَعْبُودِكَ ؟ فَقَالَ : مَا رَزَقَنِي اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ غَيْرَهَا ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُوصِيَ أَنْ تُشَدَّ فِي كَفِّي فَأَرَدَهَا إِلَى اللَّهِ^(٥) .

قال إبراهيمُ الخَوَّاصُ : (الْفَقْرُ رِذَاءُ الشَّرَفِ ، وَلِبَاسُ الْمُرْسَلِينَ ، وَجِلْبَابُ الصَّالِحِينَ)^(٦) .

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (١٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٧٨) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٢) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢٧٩ / ١) إلى إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٣٠) عن أبي سعيد بن الأعرابي رحمه الله تعالى .

(٣) الكِنْفُ فِي الْأَصْلِ : وَعَاءٌ تَكُونُ فِيهِ أَدَاةُ الرَّاعِي ، وَبِتَصْغِيرِهِ جَاءَ الْأَثَرُ : (كُنِفْتُ مِلْحًا عِلْمًا) .

(٤) فِي « التَّعْرِفِ » : (قِطْعَةُ فِضَّةٍ) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٢ - ١١٣) ، وفي (ج) : (يُسَدُّ) بَدَل (تُشَدُّ) .

(٦) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٧٤) ، وبنحوه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٥٨) ، وزاد السَّراج : (وَتَاجُ الْمُتَّقِينَ ، وَزِينَةُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغَنِيمَةُ الْعَارِفِينَ ، وَثَنِيَّةُ الْمُرِيدِينَ ، وَحِصْنُ الْمُطِيعِينَ ، وَسَجْنُ الْمَذْنِبِينَ ، وَمُكْفَرٌ لِلْسَّيِّئَاتِ ، =

وَسُئِلَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْفَقِيرِ الصَّادِقِ ، فَقَالَ : لَا يَسْأَلُ ، وَلَا يَرُدُّ ، وَلَا يَحْبَسُ ^(١) .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوْذُبَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : سَأَلَنِي الرَّقَّاقُ فَقَالَ : يَا أَبَا عَلِيٍّ ، لِمَ تَرَكَ الْفُقَرَاءَ أَخَذَ الْبُلْغَةَ فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ ^(٢) ؟ قَالَ : قُلْتُ : لِأَنَّهُمْ مُسْتَغْنُونَ بِالْمُعْطَى عَنِ الْعَطَايَا ، قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ وَقَعَ لِي شَيْءٌ آخَرُ ، فَقُلْتُ : هَاتِ أَفِئْذِي مَا وَقَعَ لَكَ ، قَالَ : لِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَنْفَعُهُمُ الْوَجُودُ ؛ إِذِ اللَّهِ فَاقْتَهُمْ ، وَلَا تَضُرَّهُمُ الْفَاقَةُ ؛ إِذِ اللَّهِ وَجُودُهُمْ ^(٣) .

قَالَ بَعْضُهُمْ : (الْفَقْرُ : وَقُوفُ الْحَاجَةِ عَلَى الْقَلْبِ ، وَمَخُوهَا عَمَّا سِوَى الرَّبِّ) .

وَقَالَ الْمُسُوحِيُّ : (الْفَقِيرُ : الَّذِي لَا تُغْنِيهِ النَّعْمُ ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْمِحْنُ) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : (حَقِيقَةُ الْفَقْرِ : أَلَّا يَسْتَغْنِيَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَرَسْمُهُ : عَدَمُ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا) ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ الطُّوسِيُّ : بَقِيَتْ مُدَّةٌ أَسْأَلُ عَنْ مَعْنَى اخْتِيَارِ أَصْحَابِنَا لِهَذَا

= وَمُعْظَمُ لِلْحَسَنَاتِ ، وَرَافِعٍ لِلدَّرَجَاتِ ، وَمُبْلَغٍ إِلَى الْغَايَاتِ ، وَرِضَا الْجَبَّارِ ، وَكِرَامَةِ أَهْلِ وَلَايَتِهِ مِنَ الْأَبْرَارِ ، وَالْفَقْرُ هُوَ شَعَارُ الصَّالِحِينَ ، وَدَأْبُ الْمُتَّقِينَ) ، وَزَادَ أَيْضاً الْخُرُكُوشِي مَعَ اخْتِلَافٍ كَثِيرٍ مَعَ عِبَارَةِ « اللَّمْعُ » .

(١) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمْعِ » (ص ٧٥) ، وَرَوَى الْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٤٠٨) أَنَّهُ قَالَ فِي عَلَامَةِ الْمُتَوَكَّلِ .

(٢) الْبُلْغَةُ : مَا يُتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الْعِيشِ ، وَتَبَلَّغَ بِكَذَا ؛ أَيِ : اكْتَفَى بِهِ . « صَحَاحٌ » . مِنْ هَامِشٍ (ح) .

(٣) أَوْرَدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمْعِ » (ص ٧٤-٧٥) .

(٤) رَوَاهُ الْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٥٧٢) .

الفقر على سائر الأشياء ، فلم يُجِبني أحدٌ بجوابٍ يُقْنِعني ، حتى سألتُ نصرَ ابنَ الحَمَّامِي ، فقال لي : لَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ التَّوْحِيدِ ، فَقَنَعْتُ بِذَلِكَ (١) .

وَسُئِلَ ابْنُ الْجَلَّا عَنِ الْفَقْرِ ، فَسَكَتَ حَتَّى صَلَّى ، ثُمَّ ذَهَبَ وَرَجَعَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَمْ أَسْكُتْ إِلَّا لِدَرَاهِمٍ كَانَتْ عِنْدِي ، فَذَهَبْتُ وَأَخْرَجْتُهُ ، وَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ اللَّهِ أَنْ أَتَكَلَّمَ فِي الْفَقْرِ وَعِنْدِي دَرَاهِمٌ ، ثُمَّ جَلَسَ وَتَكَلَّمَ (٢) .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ : (مِنْ حُكْمِ الْفَقِيرِ : أَلَّا يَكُونَ لَهُ رَغْبَةٌ ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ لَا تُجَاوِزُ رَغْبَتُهُ كِفَايَتَهُ) (٣) .

قَالَ فَارَسٌ : قُلْتُ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ مَرَّةً وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ أَثَرَ الْجُوعِ وَالضَّرِّ : لِمَ لَا تَسْأَلُ النَّاسَ فَيُطْعِمُوكَ ؟ فَقَالَ : أَخَافُ أَنْ أَسْأَلَهُمْ فَيَمْنَعُونِي ، فَلَا يُفْلِحُوا (٤) .

وَأُنْشِدَ لِبَعْضِهِمْ (٥) :

[من البسيط]

- (١) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٧٥) .
- (٢) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٥٧٥ - ٥٧٦) ، وأورده مختصراً الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٥٨) .
- (٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٣٩٤) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » (٣٢٥٥) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٥٨١) .
- (٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٣) ، ولعلَّه أراد ما رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٩٤ / ٨) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً : « لولا أنَّ المساكينَ يكذبونَ ما أفلحَ مَنْ رَدَّهم » ، ورمز السيوطي في « الجامع الصغير » إلى ضعفه ، وانظر « فيض القدير » (٣٤١ / ٥) .
- (٥) روى الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٣) عن النوري رحمه الله تعالى ، =

قَالُوا غَدَا أَلْعِيدُ مَاذَا أَنْتَ لَابِسُهُ فَقُلْتُ خِلْعَةً سَاقِ عَبْدَهُ جُرْعَا^(١)
 فَقَرُّ وَصَبْرٌ هُمَا ثَوْبَانِ تَحْتَهُمَا قَلْبٌ يَرَى رَبَّهُ الْأَغْيَادَ وَالْجُمَعَا
 أُخْرَى الْمَلَابِسِ أَنْ تَلْقَى الْحَبِيبَ بِهَا يَوْمَ التَّزَاوُرِ فِي الثَّوْبِ الَّذِي خَلَعَا
 الدَّهْرُ لِي مَا تَمُّ إِنْ غَبْتَ يَا أَمْلِي وَالْعِيدُ مَا دُمْتُ لِي مَرَأًى وَمُسْتَمَعَا

قولهم في الشكر

قَالَ بَعْضُهُمْ : (الشُّكْرُ : هُوَ الْغِيَّةُ عَنِ الشُّكْرِ بِرُؤْيَا الْمُنْعِمِ)^(٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ الرَّازِيُّ : (لَسْتُ بِشَاكِرٍ مَا دُمْتُ تَشْكُرُ ، وَغَايَةُ
 الشُّكْرِ التَّحِيرُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الشُّكْرَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَجِبُ الشُّكْرُ
 عَلَيْهَا)^(٣) .

وَفِي أَخْبَارِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ
 أَشْكُرَكَ إِلَّا بِنِعْمَةٍ ثَانِيَةٍ مِنْ نِعَمِكَ ؟ ! فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَقَدْ
 شَكَرْتَنِي^(٤) .

= وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٣٧٢ / ١٠) عَنِ الشُّبْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي
 « الرِّسَالَةِ » (ص ٥٨١) عَنْ بَعْضِهِمْ ، وَقَالَ بَعْدَهَا : (وَقِيلَ : إِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِأَبِي
 عَلِيٍّ الرُّوْذِبَارِيِّ) ، وَلَيْسَ فِي « التَّعْرِفِ » وَ« الْحَلِيَّةِ » تَصْرِيحٌ وَاضِحٌ بِأَنَّهَا مِنْ شَعْرِ
 النَّوْرِيِّ وَالشُّبْلِيِّ ، وَهِيَ فِي « دِيْوَانِ الشُّبْلِيِّ » (ص ١٠٩) .

(١) فِي (هـ ، ح) : (أَتَى) بَدَلَ (غَدَا) ، وَهِيَ رَوَايَةُ « الْحَلِيَّةِ » .

(٢) أَوْرَدَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١١٨) .

(٣) أَوْرَدَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١١٨) .

(٤) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٩٧ / ١٧) ، وَأَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ فِي

« الْقُوْتِ » (٥٦٦ / ٢) ، وَفِي (د) : (مِنْ عِنْدِكَ) بَدَلَ (مِنْ نِعَمِكَ) .

ومعنى الشكر في اللغة : هو الكشف والإظهار ؛ يقال : شَكَرَ وَكَشَرَ :
إذا كَشَفَ عن ثَغْرِهِ وَأَظْهَرَهُ .

فَنَشَرُ النِّعَمِ وَذِكْرُهَا وَتَعْدَادُهَا بِاللِّسَانِ مِنْ ظَاهِرِ الشُّكْرِ ، وَبِاطْنِ الشُّكْرِ أَنْ
يَسْتَعِينَ بِالنِّعَمِ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَلَا يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى الْمَعْصِيَةِ^(١) ؛ فَهُوَ شُكْرُ
النِّعْمَةِ .

وسمعتُ شيخنا رحمه الله يُشَدُّ عن بعضهم^(٢) :

أُولَيْتَنِي نِعْمًا أَبُوحُ بِشُكْرِهَا وَكَفَيْتَنِي كُلَّ الْأُمُورِ بِأَسْرِهَا
فَلَا شُكْرَنَّاكَ مَا حَيَّتُ فَإِنْ أَمْتُ فَلَتَشْكُرَنَّكَ أَعْظُمِي فِي قَبْرِهَا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ : الْحَمَادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ »^(٣) .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أُبْتُلِيَ فَصَبَرَ ، وَأُعْطِيَ
فَشَكَرَ ، وَظَلِمَ فَغَفَرَ ، وَظَلِمَ فَاسْتَغْفَرَ » ، قِيلَ : فَمَا بِالْهُ ؟ قَالَ : « أَوْلَئِكَ
لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ »^(٤) .

(١) ويجوز أن يقرأ (يستعين) في الموضعين بالتاء أوله ، كما ضبط كذلك في بعض النسخ .

(٢) أورد البيهقي الطُّرُطُوشِي في « سراج الملوك » (ص ٣٨٦) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

(٣) سبق تخريجه في (٩٧ / ٢) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الشكر » (١٦٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٦٣ / ٧) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١٩٦ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٤١٧) عن سيدنا سَخْبَرَةَ الْأَزْدِيِّ رضي الله عنه .

قال الجنيد رحمه الله عليه : (فرضُ الشكرِ : الاعترافُ له بالنعم بالقلبِ
واللسانِ) (١) .

وفي الحديث : « أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ » (٢) .

وقال بعضُ العلماءِ في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾
[لقمان : ٢٠] ؛ قَالَ : (الظاهرةُ : العَوَافِي والغِنَى ، والباطنةُ : البَلَايَا
والفَقْرُ) (٣) ؛ فَإِنَّ هَذِهِ نِعَمٌ أُخْرَوِيَّةٌ ؛ لِمَا يُسْتَوْجَبُ بِهَا مِنَ الْجَزَاءِ .

وحقيقةُ الشكرِ : أَنْ يَرَى جَمِيعَ الْمُقْضِي لَهُ بِهِ نِعْمًا غَيْرَ مَا يَضُرُّهُ فِي
دِينِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْضِي لِلْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ شَيْئًا إِلَّا وَهُوَ نِعْمَةٌ فِي حَقِّهِ ؛
فَإِمَّا عَاجِلَةٌ يَعْرِفُهَا وَيَفْهَمُهَا (٤) ، وَإِمَّا آجِلَةٌ بِمَا يَقْضِي لَهُ مِنَ الْمَكَارِهِ ، فَإِمَّا أَنْ
يَكُونَ دَرَجَةً لَهُ ، أَوْ تَمَحِيصًا ، أَوْ تَكْفِيرًا .

فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ مَوْلَاهُ أَنْصَحُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَعْلَمُ بِمَصَالِحِهِ ، وَأَنَّ كُلَّ مَا مِنْهُ
نِعْمٌ . . فَقَدْ شَكَرَ .

(١) أورده ابن خميس في « مناقب الأبرار » (ص ٣٧٠) ، والمجد ابن الجزري في
« المختار » (٨١ / ٢) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٣) ، وابن ماجه (٣٨٠٠) ، والنسائي في « السنن الكبرى »
(١٠٥٩٩) ، وابن حبان (٨٤٦) ، والحاكم (٤٩٨ / ١) عن سيدنا جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٥٧٠ / ٢) .

(٤) في (و) : (ويفرح بها) بدل (ويفهمها) .

قولم في الخوف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَأْسُ الْحِكْمَةِ : مَخَافَةُ اللَّهِ »^(١) .
وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ بِهِ مَرَضًا ، وَمَا بِهِ مَرَضٌ إِلَّا خَوْفُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَيَاءُ مِنْهُ »^(٢) .

قال أبو عمرو الدمشقي : (الخائفُ : مَنْ يَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُ مِنَ الشَّيْطَانِ)^(٣) .

وقال بعضهم : (لَيْسَ الْخَائِفُ مَنْ يَبْكِي وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ ، وَلَكِنَّ الْخَائِفَ التَّارِكُ مَا يَخَافُ أَنْ يُعَذَّبَ عَلَيْهِ)^(٤) .

(١) رواه الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (١١٥٨) ، والبيهقي في « الشعب » (٧٣٠) مرفوعاً عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأبو داود في « الزهد » (١٦٠) ، والبيهقي في « المدخل » (٧٨٦) موقوفاً على سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر « كشف الخفاء » (٤٢١ / ١) ، و« غنية العارف » (٨٥٣ / ٢) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٣٧ / ٧) ، وتمام الرازي في « فوائده » (٢٩٢) ، والشعلبي في « الكشف والبيان » (٥١٣ / ٢٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « غنية العارف » (٨٥٣ / ٢) .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٣٥٠) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٥) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤٣) ، وفي هامش (ح) بيتان للزمخشري ؛ وهما :
(من الطويل)

إلهي إليك المشتكى نفسٌ مُشتهٍ إلى الشرِّ تدعوني عن الخيرِ تنهاني
وما يشتكي الشيطان إلا مُغفلٌ ألا إنَّ نفسَ المُشتهي ألفُ شيطانٍ

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٦ / ٨) ، وأورده الخركوشي في « تهذيب =

وقيل : الخائف : الذي لا يخاف غير الله^(١) ، قيل : أي : لا يخاف لنفسه ، إنما يخاف إجلالاً له ، والخوف للنفس خوف العقوبة^(٢) .

وقال سهل بن عبد الله التستري : (الخوف ذكرٌ ، والرجاء أنثى)^(٣) ؛ أي : منهما تتولد حقائق الإيمان^(٤) .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [النساء : ١٣١] ؛ قيل : هذه الآية قطب القرآن ؛ لأن مدار الأمر كله على هذا^(٥) .

وقيل : إن الله تعالى جمع للخائفين ما فرقه على المؤمنين ؛ وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان ؛ فقال تعالى : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٤] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقال : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : ٨]^(٦) .

وقال سهل : (كمال الإيمان بالعلم ، وكمال العلم بالخوف)^(٧) .

= الأسرار » (ص ١٤٢) عن إسحاق بن خلف الزاهد رحمه الله تعالى .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٦) عن رؤيم رحمه الله تعالى .

(٢) انظر « التعرف » (ص ١١٦) .

(٣) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٦) ، وأبو طالب المكي في « القوت » (٢ / ٦٥٢) ، وفيه : (والمحبة) بدل (والرجاء) .

(٤) انظر « التعرف » (ص ١١٦) .

(٥) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢ / ٦١٦) .

(٦) الكلام لأبي طالب المكي في « القوت » (٢ / ٦١٧) .

(٧) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢ / ٦١٧) .

وقال أيضاً : (العلمُ كَسْبُ الإيمانِ ، والخوفُ كَسْبُ المعرفةِ)^(١) .

وقال ذو النُّونِ : (لا يُسقى المُحبُّ كأسَ المَحَبَّةِ إلا مِنْ بعدِ أَنْ يُنْضِجَ الخوفُ قلبَهُ)^(٢) .

وقال الفضيلُ بنُ عياضٍ : (إذا قِيلَ لَكَ : « تخافُ اللهَ ؟ » . . اسْكُتْ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ : « لا » كَفَرْتَ ، وَإِنْ قُلْتَ : « نعم » فليسَ وصفُكَ وصفَ مَنْ يخافُ)^(٣) .

قولهم في الرباء

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ؛ لَا أَجْعَلُ مَنْ آمَنَ بِي فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ كَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِي »^(٤) .

وقيلَ : جاءَ أعرابيٌّ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فقالَ : مَنْ

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٦١٧/٢) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٦١٧/٢) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٤٦) ، وزادا : (فإنما خوف النار عند خوف الفراق . . بمنزلة قطرة قطرت في بحر لجيٍّ ، ولا أعلم شيئاً أحمداً للقلب من خوف الفراق) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٦١٨/٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٥١٧-٥١٦/٧) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٩٧٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٥٨-٣٥٩) ، والخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٨٧٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو في « صحيح البخاري » (٢٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه دون قوله : (ثُمَّ يَقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلَالِي . .) .

يَلِي حَسَابَ الْخَلْقِ ؟ فَقَالَ : « اللَّهُ تَعَالَى » ، قَالَ : هُوَ بِنَفْسِهِ ؟ قَالَ :
« نَعَمْ » ، فَتَبَسَّمَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مِمَّ
ضَحِكْتَ يَا أَعْرَابِيُّ ؟ » ، فَقَالَ : إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا قَدَّرَ عَفَا ، وَإِذَا حَاسَبَ
سَامَحَ ^(١) .

وَقَالَ شَاهُ الْكَرْمَانِيِّ : (علامة الرجاء : حُسْنُ الطَّاعَةِ) ^(٢) .

وَقِيلَ : الرَّجَاءُ : رُؤْيُ الْجَلَالِ بِعَيْنِ الْجَمَالِ ^(٣) .

وَقِيلَ : الرَّجَاءُ : قُرْبُ الْقَلْبِ مِنْ مُلَاطَفَةِ الرَّبِّ ^(٤) .

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذِبَارِيُّ : (الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَجَنَاحِي الطَّائِرِ ؛ إِذَا
اسْتَوِيَا اسْتَوَى الطَّيْرُ وَتَمَّ طَيْرَانُهُ) ^(٥) .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ خَفِيفٍ : (الرَّجَاءُ : ارْتِيَاخُ الْقُلُوبِ لِرُؤْيَةِ كَرَمِ
الْمَرْجُوِّ) ^(٦) .

(١) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٥٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن

أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (٢٥) مرسلًا عن الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٢) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٥٣) ، والقشيري في « الرسالة »
(ص ٣٥٩) .

(٣) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٣٥٩) .

(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٣٥٩) ، وفي بعض النسخ : (ملاحظة) بدل
(ملاطفة) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٩٩٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٦٠) ،
وزادا : (وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت) .

(٦) أورده أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦ / ١٠) ضمن كلام طويل ، وفيه : (الموجد) بدل
(المرجو) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٥٢) ، والقشيري في
« الرسالة » (ص ٣٦٠) ، وفي (د) : (الموجود) بدل (المرجو) .

قَالَ مُطَرِّفٌ : (لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ . . لَا عَتَدَلَا) (١) .

والخوفُ والرجاءُ للإيمانِ كالجنَاحَينِ ، ولا يكونُ خائفاً إلا وهو راجٍ ،
ولا راجياً إلا وهو خائفٌ ؛ لأنَّ مُوجِبَ الخوفِ الإيمانُ ، وَمِنْ الإيمانِ
رجاءٌ ، وَمُوجِبَ الرجاءِ الإيمانُ ، وَمِنْ الإيمانِ خوفٌ .

ولهذا المعنى رُوِيَ عن لُقْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ : خَفِ اللَّهَ تَعَالَى خَوْفاً
لَا تَأْمَنُ فِيهِ مَكْرَهُ ، وَارْجُهُ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِكَ .

قَالَ : فَكَيْفَ أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا لِي قَلْبٌ وَاحِدٌ ؟ قَالَ : أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ
الْمُؤْمِنَ لَدُو قَلْبَيْنِ ؛ يَخَافُ بِأَحَدِهِمَا ، وَيَرْجُو بِالْآخَرِ (٢) ؟ ! وَهَذَا لِأَنَّهُمَا مِنْ
حُكْمِ الْإِيمَانِ .

تولمسم في التوكل

قَالَ السَّرِيُّ : (التَّوَكَّلُ : الْإِنْخِلَاعُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ) (٣) .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ : (التَّوَكَّلُ : أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ كَمَا لَمْ يَكُنْ ، فَيَكُونَ اللَّهُ لَهُ كَمَا
لَمْ يَزَلْ) (٤) .

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (٢٠٨ / ٢) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٩٤) ،
وأورده بلفظه أبو طالب المكي في « القوت » (٥٩٤ / ٢) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩١٢) ، وأحمد في « الزهد » (٥٤٩) ، والبيهقي في
« الشعب » (١٠١٥) ، وابن أبي الدنيا في « حسن الظن بالله » (١٣٣) .

(٣) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٥٠) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف »
(ص ١١٨) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١١٩) ، ودون نسبة الخرکوشي في « تهذيب
الأسرار » (ص ١٣٥) .

وقال سهل : (كلُّ المقاماتِ لها وجهٌ وقفاً ، غيرَ التوكلِ ؛ فإنه وجهٌ بلا قفاً)^(١) ، قال بعضهم : (يُريدُ : توكلَ العنايةِ ، لا توكلَ الكفايةِ)^(٢) .

واللهُ تعالى جعلَ التوكلَ مقروناً بالإيمانِ ؛ فقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] ، وقال : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٢] .

وقال لنبیہ علیہ السلام : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .
وقال ذو النُّونِ : (التوكلُ : تركُ تدبيرِ النَّفسِ ، والانخلاعُ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ)^(٣) .

وقال أبو بكرٍ الزَّقاقُ : (التوكلُ : رَدُّ العیشِ إلى يومٍ واحدٍ ، وإسقاطُ همِّ غدٍ)^(٤) .

وقال أبو بكرٍ الواسطيُّ : (أصلُ التوكلِ : صدقُ الفاقةِ والافتقارِ ، وألاً يفارقَ التوكلَ في أمانیه ، ولا يلتفتَ بسِرِّهِ إلى توكلِهِ لحظةً في عُمُرِهِ)^(٥) .
وقال بعضهم : (مَنْ أرادَ أنْ يقومَ بحقَّ التوكلِ . . فليحفرْ لنفسِهِ قبراً

(١) أوردہ الکلاباذی فی « التعرف » (ص ١١٩) ، والخرکوشي فی « تهذيب الأسرار » (ص ١٣٩) .

(٢) قالہ الکلاباذی فی « التعرف » (ص ١١٩) ، وزاد : (وهو ألا يطالبه بالأعواض) .

(٣) أوردہ أبو نصر السَّراج فی « اللمع » (ص ٧٨) .

(٤) أوردہ أبو نصر السَّراج فی « اللمع » (ص ٧٨) ، والسلمي فی « تفسيره » (١/٣٤٢) ، وعزاه الخرکوشي فی « تهذيب الأسرار » (ص ١٣٨) إلى أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى .

(٥) أوردہ أبو نصر السَّراج فی « اللمع » (ص ٧٩) ، والسلمي فی « تفسيره » (١/٣٦٦) .

يَدْفِنُهَا فِيهِ ، وَيَنْسَى الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ التَّوَكُّلِ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى كَمَالِهِ (١) .

وَقَالَ سَهْلٌ : (أَوَّلُ مَقَامَاتِ التَّوَكُّلِ : أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَيِ الْغَاسِلِ ؛ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ أَرَادَ ، وَلَا يَكُونُ لَهُ حَرَكَةٌ وَلَا تَدْبِيرٌ) (٢) .

وَقَالَ حَمْدُونُ الْقَصَّارُ : (التَّوَكُّلُ : هُوَ الْإِعْتَصَامُ بِاللَّهِ) (٣) .

وَقَالَ سَهْلٌ أَيْضاً : (الْعِلْمُ كُلُّهُ بَابٌ مِنَ التَّعَبُّدِ ، وَالتَّعَبُّدُ كُلُّهُ بَابٌ مِنَ الْوَرَعِ ، وَالْوَرَعُ كُلُّهُ بَابٌ مِنَ الزَّهْدِ ، وَالزَّهْدُ كُلُّهُ بَابٌ مِنَ التَّوَكُّلِ) (٤) .

وَقِيلَ : التَّقْوَى وَالْيَقِينُ مِثْلُ كِفَتَيِ الْمِيزَانِ ، وَالتَّوَكُّلُ لِسَانُهُ ؛ بِهِ يُعْرَفُ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ (٥) .

قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَيَقَعُ لِي : أَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى قَدْرِ الْعِلْمِ بِالْوَكِيلِ ؛ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَتَمَّ مَعْرِفَةً كَانَ أَتَمَّ تَوَكُّلاً ، وَمَنْ كَمَلَ تَوَكُّلُهُ غَابَ فِي رُؤْيَا الْوَكِيلِ عَنْ رُؤْيَا تَوَكُّلِهِ .

ثُمَّ إِنَّ قُوَّةَ الْمَعْرِفَةِ تُفِيدُهُ صِرْفَ الْعِلْمِ بِالْعَدْلِ فِي الْقِسْمَةِ ، وَأَنَّ الْأَقْسَامَ

(١) أوردته أبو نصر السَّراج في «اللمع» (ص ٧٩) .

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (١٢٥٠) دون قوله : (ولا يكون له ...) ، وأوردته الخركوشي في «تهذيب الأسرار» (ص ١٣٥) ، والقشيري في «الرسالة» (ص ٤٠٩) .

(٣) أوردته القشيري في «رسالته» (ص ٤٠٩) .

(٤) تفسير التستري (ص ١٧٢) ، وأوردته أبو طالب المكي في «القوت» (٢/ ٨٥٣) .

(٥) أوردته أبو طالب المكي في «القوت» (٢/ ٨٥٣) عن سهل التستري رحمه الله تعالى ، وهو في «تفسيره» (ص ١٧٢) .

نُصِبَتْ بِإِزَاءِ الْمَقْسُومِ لَهُمْ عَدْلًا وَمُوَازَنَةً ، وَأَنَّ النَّظَرَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ؛ لَوْجُودِ
الْجَهْلِ فِي النَّفْسِ ، وَكَلَّمَا أَحَسَّ بِشَيْءٍ يَقْدَحُ فِي تَوَكُّلِهِ . . يَرَاهُ مِنْ مَنَبَعِ
النَّفْسِ ؛ فَتَقْصَانُ التَّوَكُّلِ يَظْهَرُ بِظُهُورِ النَّفْسِ ، وَكَمَالُهُ يَثْبُتُ بِغَيْبَةِ النَّفْسِ .

وَلَيْسَ لِلْأَقْوِيَاءِ اعْتِدَادٌ بِتَصْحِيحِ تَوَكُّلِهِمْ ، وَإِنَّمَا سُغْلُهُمْ فِي تَغْيِيبِ النَّفْسِ
بِتَقْوِيَةِ مَوَادِّ الْقَلْبِ ، فَإِذَا غَابَتِ النَّفْسُ انْحَسَمَتْ مَادَّةُ الْجَهْلِ ، فَيَصْحُ
التَّوَكُّلُ ، وَالْعَبْدُ غَيْرُ نَازِلٍ إِلَيْهِ ، وَكَلَّمَا تَحَرَّكَ مِنَ النَّفْسِ بَقِيَّةً . . يَرِدُ عَلَى
ضَمَائِرِهِمْ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
[العنكبوت : ٤٢] ، فَيَغْلِبُ وَجُودُ الْحَقِّ الْأَعْيَانِ وَالْأَكْوَانِ ، وَيَرَى الْكَوْنَ بِاللَّهِ مِنْ
غَيْرِ اسْتِقْلَالِ الْكَوْنِ فِي نَفْسِهِ ، وَيَصِيرُ التَّوَكُّلُ حَيْثُ اضْطَرَّارًا .

وَلَا يَقْدَحُ فِي تَوَكُّلٍ مِثْلٍ هَذَا الْمُتَوَكِّلُ مَا يَقْدَحُ فِي تَوَكُّلِ الضَّعْفَاءِ فِي
التَّوَكُّلِ مِنْ وَجُودِ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِطِ ؛ لِأَنَّهُ يَرَى الْأَسْبَابَ أَمْوَاتًا لَا حَيَاةَ لَهَا
إِلَّا بِالْوَكِيلِ ، وَهَذَا تَوَكُّلُ خَوَاصِّ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ .

قولهم في الرضا

قَالَ الْحَارِثُ : (الرِّضَا : سَكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ جَرَيَانِ الْحُكْمِ) (١) .

وَقَالَ ذُو الثُّونِ : (الرِّضَا : سُرُورُ الْقَلْبِ بِمُرِّ الْقَضَا) (٢) .

(١) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٠) ، والسلمي في « تفسيره » (٤١٢ / ٢) ،
والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ١٢٩) ، والشعلبي في « الكشف والبيان »
(١٣٣ / ٣٠) .

(٢) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٠) ، وأبو نصر السراج في « اللمع »
(ص ٨٠) ، والسلمي في « تفسيره » (٤١٢ / ٢) ، وعزاه في (٢٨٤ / ١) إلى الجنيد =

وقال سُفْيَانُ عِنْدَ رَابِعَةٍ : اللَّهُمَّ ؛ اَرْضَ عَنَّا ، فَقَالَتْ لَهُ : أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَطْلُبَ رِضَا مَنْ لَسْتَ عَنْهُ بِرَاضٍ ؟!

فسألها بعضُ الحاضرينَ : متى يكونُ العبدُ راضياً عنِ اللهِ تعالى ؟
فقالتُ : إذا كانَ سرورُهُ بالمصيبةِ كسرورهِ بالنعمةِ^(١) .

وقالَ سهلٌ : (إذا اتَّصَلَ الرِّضَا بالرِّضْوَانِ . اتَّصَلَتِ الطُّمَأْنِينَةُ ، فَطُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)^(٢) .

وقالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا »^(٣) .

وقالَ عليهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرَحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ ، وَجَعَلَ أَلْهَمَ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ »^(٤) .

وقالَ الجُنَيْدُ : (الرِّضَا : هُوَ صِحَّةُ الْعِلْمِ الْوَاصِلِ إِلَى الْقُلُوبِ) .

= رحمه الله تعالى ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٧) ، وعزاه إلى النوري رحمه الله تعالى .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٠١١/٢) ، وفيه تصريح بالسائل ؛ وهو جعفر بن سليمان الضبعي ، وهو في « التعرف » (ص ١٢٠) وبعض النسخ دون سؤال بعض الحاضرين .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٠) .

(٣) رواه مسلم (٣٤) عن سيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٦٨-٦٩) ، والبيهقي في « الشعب »

(٢٠٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير »

(٢٦٦/١٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٢١/٤) ، والبيهقي في « الشعب »

(٢٠٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فإذا باشر القلب حقيقة العلم . . أداهُ إلى الرِّضا ، وليس الرِّضا والمَحَبَّةُ
كالخوفِ والرجاءِ ؛ فإنَّهُما^(١) حالان لا يُفارقانِ العبدَ في الدنيا والآخرة ؛
لأنَّهُ في الجنة لا يستغني عن الرِّضا والمَحَبَّةِ .

وقال ابنُ عطاءٍ : (الرِّضا : سكونُ القلبِ إلى قديمِ اختيارِ الله تعالى
للعبدِ أَنَّهُ اختارَ لَهُ الأفضلَ ، فيرضى لَهُ ؛ وهو تركُ السُّخْطِ)^(٢) .

وقال أبو ترابٍ : (ليس ينالُ الرِّضا مِنَ الله مَنْ للدنيا في قلبِهِ مقدارٌ)^(٣) .

وقال سَريُّ : (خمسٌ مِنَ أخلاقِ المُقَرَّبِينَ : الرِّضا عنِ الله فيما تُحِبُّ
النَّفْسُ وتكرهُ ، والحُبُّ لَهُ بالتَّحَبُّبِ إِلَيْهِ ، والحياءُ مِنَ الله ، والأنسُ بِهِ ،
والوَخْشَةُ مِمَّا سِوَاهُ)^(٤) .

وقال الفُضَيْلُ : (الراضي لا يتمنَّى فوقَ منزلتِهِ شيئاً)^(٥) .

وقال ابنُ سَمْعُونٍ : (الرِّضا بالحقِّ ، والرِّضا لَهُ ، والرِّضا عَنْهُ ؛ فالرِّضا
بِهِ مُدَبَّراً ومُخْتاراً ، والرِّضا عَنْهُ قاسماً ومُعْطِياً ، والرِّضا لَهُ إِلَهاً وربّاً)^(٦) .

(١) أي : الرضا والمحبة .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٠) ، وأبو نصر السراج في « اللمع »
(ص ٨٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٧) .

(٣) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٥٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق »
(٣٤٦ / ٤٠) .

(٤) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٥) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « الرضا عن الله بقضائه » (١٦) ، والسلمي في « تفسيره »
(٢٧٩ / ١) .

(٦) رواه البيهقي في « الشعب » (٢٣٠) ، وقد قاله عندما سئل عن الرضا .

سُئِلَ أَبُو سَعِيدٍ : هل يجوزُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ رَاضِياً سَاطِئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَاضِياً عَنْ رَبِّهِ ، سَاطِئاً عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُهُ
عَنِ اللَّهِ .

وَقِيلَ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضَوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا : إِنَّ أَبَا ذَرٍّ
يَقُولُ : الْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى ، وَالسُّقْمُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ .

قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ ، أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ : مَنْ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ
لَهُ . . . لَمْ يَتَمَنَّ أَنْهُ فِي غَيْرِ الْحَالَةِ الَّتِي اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ^(١) .

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) : (مَنْ جَلَسَ عَلَى بَسَاطِ الرِّضَا . . لَمْ يَنْلُهُ
مِنَ اللَّهِ مَكْرُوهٌ أَبَداً ، وَمَنْ جَلَسَ عَلَى بَسَاطِ السُّؤَالِ . . لَمْ يَرْضَ عَنِ اللَّهِ فِي
كُلِّ حَالٍ) .

وَقَالَ يَحْيَى : (يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ إِلَى هَٰذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ : فِعْلٍ مِنْهُ بِكَ ،
وَفِعْلٍ مِنْكَ لَهُ ؛ فَتَرْضَى فِيمَا عَمَلٌ ، وَتُخْلِصُ فِيمَا تَعْمَلُ)^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الرَّاظِي : مَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى فَائِتٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَلَمْ
يَتَأَسَفْ عَلَيْهَا) .

(١) رَوَاهُ الْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٤٥٦) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ »
(٢٥٣ / ١٣) .

(٢) فِي (ج) : (وَقَالَ أَيْضاً) بَدَلَ (وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، وَفِي (ي) : (وَقَالَ
عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

(٣) أَوْرَدَهُ الْخُرَكُوشِيُّ فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ » (ص ١٨٤) ، وَالْغَزَالِيُّ فِي « الْإِحْيَاءِ »
(٦٥ / ٩) ، وَعَزَّوَاهُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْمُرُوزِيِّ ، وَزَادَا : (فَإِذَا أَنْتَ قَدْ سَعَدْتَ
بِهَٰذَيْنِ . . فَزَتْ فِي الدَّارَيْنِ) .

وقيل ليحيى بن مُعَاذٍ : متى يبلغُ العبدُ إلى مقام الرِّضا ؟ قَالَ : إذا أقامَ
نَفْسَهُ على أربعةِ أصولٍ فيما يُعاملُ به ؛ يقولُ : إنَّ أعطيتني قِبَلْتُ ، وإنَّ
منعتني رَضِيتُ ، وإنَّ تركتني عَبدْتُ ، وإنَّ دعوتني أَجبتُ^(١) .

وقال الشُّبْلِيُّ رحمه اللهُ بينَ يَدَيِ الجُنَيْدِ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، فقالَ
الجُنَيْدُ : قولُكَ ذا ضِيقُ صدرٍ ، فقالَ : صدقتَ ، قالَ : فضيَّقُ الصدرَ تركُ
الرِّضا بالقضاءِ^(٢) .

وهذا إنَّما قاله الجُنَيْدُ رحمه اللهِ عليه تنبيهاً منه على أصلِ الرِّضا ؛ وذلك
أنَّ الرِّضا يحصلُ لانِشراحِ القلبِ وانفساحِهِ ، وانِشراحِ القلبِ مِنْ نورِ
اليقينِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ﴾
[الزمر : ٢٢] .

فإذا تمكَّنَ النورُ مِنَ الباطنِ اتَّسعَ الصدرُ ، وانفتحتْ عينُ البصيرةِ ،
وعاينَ حُسْنَ تدبيرِ اللهِ تعالى ، فينتزعُ التَّسَخُّطَ والتَضَجُّرَ ؛ لأنَّ انِشراحَ
الصدرِ يتضمَّنُ حلاوةَ الحُبِّ ، وفعلَ المحبوبِ بموقعِ الرِّضا عندَ المُحِبِّ
الصادقِ ؛ لأنَّ المُحِبَّ يرى أنَّ الفعلَ مِنَ المحبوبِ مرادُهُ واختيارُهُ ، فيَقْنى
في لَذَّةِ رُؤيةِ اختيارِ المحبوبِ عَنِ اختيارِ نَفْسِهِ ، كما قيلَ^(٣) : [من البسيط]

وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ



(١) انظر « حلية الأولياء » (١٠ / ٦٦) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٤٥٦) .

(٣) عجز بيت لمهيار الديلمي في « ديوانه » (١ / ٢٤) ، وصدره : (أرضى وأسخط أو
أرضى تلؤنه) ، وفي هامش (ب) : (بلغ مقابلة ، بلغ قراءة) .

الباب الحادي وستون

في ذكر الأحوال وشرحها

[قولهم في المحبة]

(١٤٢) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ السُّهْرَوَرْدِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ الزَّيْنَبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا كَرِيمَةُ الْمَرْوَزِيَّةُ ، قَالَتْ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشْمِيهَنِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفِرَبْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ^(١) : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ » ^(٢) .

(١٤٣) - وَأَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو زُرْعَةَ طَاهِرُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ إِجَازَةً ^(٣) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلْفٍ إِجَازَةً ^(٤) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،

(١) زاد في (د) : (في قلبه) .

(٢) صحيح البخاري (٢١) ، ورواه مسلم (٤٣) .

(٣) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (أ ، ب ، ح) .

(٤) سقط التصريح بالإجازة من النسخ ما عدا (أ ، ب ، هـ ، ح) .

قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ بْنُ حَيْثُوبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدٍ بْنُ مُؤَمِّلٍ ، عَنْ أَبِيهِ
قَالَ : حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ وَهَبٍ ، عَنْ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ ، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو : « اَللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَسَمْعِي
وَبَصَرِي ، وَأَهْلِي وَمَالِي ، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ » (١) .

فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَبَ خَالَصَ الْحُبِّ ، وَخَالَصُ
الْحُبِّ : هُوَ أَنْ يُحِبَّ اللَّهُ تَعَالَى بِكُلِّئِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَكُونُ فِي حَالٍ
قَائِمًا بِشُرُوطِ حَالِهِ بِحُكْمِ الْعِلْمِ ، وَالْجِبِلَّةُ تَتَقَاضَاهُ بِضَدِّ الْعِلْمِ ؛ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ
رَاضِيًا وَالْجِبِلَّةُ قَدْ تَكْرَهُ ، وَيَكُونُ النَّظَرُ إِلَى الْانْقِيَادِ بِالْعِلْمِ لَا إِلَى الْاسْتِعْصَاءِ
بِالْجِبِلَّةِ ؛ فَقَدْ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِحُكْمِ الْإِيمَانِ ، وَيُحِبُّ الْأَهْلَ وَالْوَلَدَ بِحُكْمِ
الطَّبْعِ .

وَلِلْمَحَبَّةِ وَجُوهٌ ، وَبَوَاعِثُ الْمَحَبَّةِ فِي الْإِنْسَانِ مُتَنَوِّعَةٌ ؛ فَمِنْهَا : مَحَبَّةُ
الرُّوحِ ، وَمَحَبَّةُ الْقَلْبِ ، وَمَحَبَّةُ النَّفْسِ ، وَمَحَبَّةُ الْعَقْلِ .

فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرُهُ الْأَهْلَ وَالْمَالَ وَالْمَاءَ
الْبَارِدَ . . اسْتِئْصَالُ عُرُوقِ الْمَحَبَّةِ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، حَتَّى يَكُونَ حُبُّ اللَّهِ
غَالِبًا ، فَيُحِبُّ اللَّهُ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَرُوحِهِ وَكُلِّئِهِ ، حَتَّى يَكُونَ حُبُّ اللَّهِ أَغْلَبَ فِي

(١) رَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ فِي « الْفَرْدُوسِ » (١٩٦٦) ، وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٢٢٦ / ١) ، وَكَذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٩٠) ،
وَالْحَاكِمُ (٤٣٣ / ٢) ، إِلَّا أَنَّ فِيهِمَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَانَ مِنْ
دَعَاءِ دَاوُدَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحَبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي
حُبَّكَ ، اللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي ، وَمِنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ » .

الطبع أيضاً والجيلة من حُبِّ الماء البارد ، وهذا يكون حُبّاً خاصّاً لخواصِّ
ينغمرُ به وبنوره نارُ الطبع والجيلة ، وهذا يكون حُبِّ الذاتِ عن مُشاهدةِ
بعُكُوفِ الرُّوحِ وخلُوصِهِ إلى مواطنِ القُربِ .

قال الواسطيُّ في قوله تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] : (كما أنَّه
بذاته يُحِبُّهُمْ كذلك يُحِبُّونَ ذاته ؛ فالهَاءُ راجعةٌ إلى الذاتِ ، دونَ التَّعَوُّتِ
والصِّفَاتِ) (١) .

وقال بعضهم : (الحُبُّ شرطُهُ : أنْ تلحقَهُ سَكَراتُ المَحَبَّةِ ، فإذا لم
يكنْ ذلك لم يكنْ فيه حقيقةٌ) (٢) .

فإذاً : الحُبُّ حُبَّانٍ : حُبٌّ عامٌّ ، وحُبٌّ خاصٌّ .

فالحُبُّ العامُّ : مُفسَّرٌ بامْتِثَالِ الأمرِ ، وربَّما كانَ حُبّاً مِنْ مَعَدِنِ العِلْمِ
بالآلاءِ والنِّعماءِ ، وهذا الحُبُّ مُحَرِّكُهُ مِنَ الصِّفَاتِ (٣) .

وقد ذَكَرَ جَمْعٌ مِنَ المشايخِ الحُبَّ في المقاماتِ ، فيكونُ النَّظَرُ إلى هذا
الحُبِّ العامِّ الذي يكونُ لكسبِ العبدِ فيه مدخلٌ .

وأما الحُبُّ الخاصُّ : فهو حُبُّ الذاتِ عن مُطالعةِ الرُّوحِ ، وهو الحُبُّ
الذي فيه السَّكَراتُ ؛ وهو الاصطناعُ مِنَ اللهِ الكريمِ لعبدهِ واصطفاءُهُ إِيَّاهُ .

(١) أورده السلمي في « تفسيره » (١٧٩/١) ، وعزاه إلى أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى .

(٢) رواه السلمي في « تفسيره » (١٧٩/١) ، وعزاه إلى أبي الحسن السلامي رحمه الله تعالى .

(٣) في (هـ ، ز ، ح) : (مخرجه) بدل (محرکه) .

وهذا الحبُّ يكونُ مِنَ الأحوالِ ؛ لأنَّه مَخْصُصٌ مَوْهَبَةٌ لِسَ لِلْكَسْبِ فِيهِ
مَدْخُلٌ ، وَهُوَ مَفْهُومٌ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ
الْمَاءِ الْبَارِدِ »^(١) ؛ لأنَّه كَلَامٌ عَنْ وَجْدَانِ رُوحٍ تَلْتَدُّ بِحَبِّ الذَّاتِ .

وهذا الحبُّ رُوحٌ ، والحبُّ الذي يَظْهَرُ مِنْ مُطَالَعَاتِ الصِّفَاتِ وَيَطْلُعُ مِنْ
مُطَالَعِ الْإِيمَانِ . . قَالَ هَذَا الرُّوحُ .

وَلَمَّا صَحَّتْ مَحَبَّتُهُمْ هَذِهِ . . أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَذَلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ؛ لِأَنَّ الْمُحِبَّ يَذَلُّ لِمُحِبِّهِ وَلِمُحِبُّوبِ مُحِبِّهِ ،
وَيُنْشِدُ :
[من الطويل]

لِعَيْنِ تُقَدِّي أَلْفُ عَيْنٍ وَتَتَّقِي وَيُكْرِمُ أَلْفُ لِحْيِبِ الْمُكْرَمِ

وهذا الحبُّ الخاصُّ هُوَ أَصْلُ الأحوالِ السَّيِّئَةِ وَمُوجِبُهَا ، وَهُوَ فِي
الأحوالِ كَالْتَوْبَةِ فِي الْمَقَامَاتِ ، فَمَنْ صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عَلَى الْكَمَالِ . . تَحَقَّقَ
بَسَائِرُ الْمَقَامَاتِ ؛ مِنَ الزُّهْدِ وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلِ عَلَى مَا شَرَّخَنَاهُ أَوَّلًا ، وَمَنْ
صَحَّتْ مَحَبَّتُهُ هَذِهِ . . تَحَقَّقَ بَسَائِرُ الأحوالِ ؛ مِنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ ، وَالصَّخْرِ
وَالْمَخْرُ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ .

والتوبةُ لهذا الحبِّ أَيْضاً بِمِثَابَةِ الْجُثْمَانِ ؛ لِأَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْحَبِّ الْعَامِّ
الذي هُوَ لهذا الحبِّ كَالْجَسَدِ ، وَمَنْ أَخَذَ فِي طَرِيقِ الْمُحِبُّوبِينَ - وَهُوَ طَرِيقُ
خَاصٍّ مِنْ طُرُقِ الْمَحَبَّةِ - . . يَتَكَمَّلُ فِيهِ وَيَجْتَمِعُ لَهُ رُوحُ الْحَبِّ الْخَاصِّ مَعَ
قَالَِبِ الْحَبِّ الْعَامِّ الذي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَتَقَلَّبُ فِي

(١) سبق مسنداً في (٢/ ٥١٤-٥١٥) .

أَطْوَارِ الْمَقَامَاتِ ؛ لِأَنَّ التَّقَلُّبَ فِي أَطْوَارِ الْمَقَامَاتِ ، وَالتَّرَقِّيَ مِنْ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَى شَيْءٍ . . . طَرِيقُ الْمُحِبِّينَ .

وَمَنْ أَخَذَ فِي طَرِيقِ الْمُجَاهِدَةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [المنكوت : ٦٩] ، وَمِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى : ١٣] ؛ أَثْبَتَ كَسْبَ الْإِنَابَةِ سَبِيلاً لِلْهَدَايَةِ ، وَفِي حَالِ الْمَحْبُوبِ صَرَخَ بِالاجْتِبَاءِ غَيْرَ مُعَلِّلٍ بِالْكَسْبِ ؛ فَقَالَ : ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ١٣] .

فَمَنْ أَخَذَ فِي طَرِيقِ الْمَحْبُوبِينَ . . . يَطْوِي بَسَاطَ أَطْوَارِ الْمَقَامَاتِ ، وَيَنْدَرِجُ فِيهِ صَفْوَهَا وَخَالَصُهَا بِأَتَمِّ وَصْفِهَا ، وَالْمَقَامَاتُ لَا تُقَيَّدُ وَلَا تَحْبِسُهُ ، وَهُوَ يُقَيِّدُهَا وَيَحْبِسُهَا بِتَرْقِيهِ مِنْهَا وَاسْتِزَاعِهِ صَفْوَهَا وَخَالَصَهَا ؛ لِأَنَّهُ حَيْثُ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ أَنْوَارُ الْحُبِّ الْخَاصِّ خَلَعَ مَلَابِسَ صِفَاتِ النَّفْسِ وَنَعَوْتَهَا .

وَالْمَقَامَاتُ كُلُّهَا مُصَفِّيَةٌ لِلتُّعُوتِ وَالصِّفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ ؛ الزُّهْدُ يُصَفِّيهِ عَنِ الرِّغْبَةِ ، وَالتَّوَكُّلُ يُصَفِّيهِ عَنِ قِلَّةِ الْاعْتِمَادِ الْمُتَوَلَّدِ مِنْ جَهْلِ النَّفْسِ ، وَالرِّضَا يُصَفِّيهِ عَنِ ضَرْبَانِ عِرْقِ الْمُنَازَعَةِ^(١) ، وَالْمُنَازَعَةُ لِبَقَاءِ جُمُودٍ فِي النَّفْسِ مَا أَشْرَقَتْ عَلَيْهَا شَمْسُ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ ، فَبَقِيَ ظُلُمْتُهَا وَجُمُودُهَا .

فَمَنْ تَحَقَّقَ بِالْحُبِّ الْخَاصِّ . . . لَانَتْ نَفْسُهُ وَذَهَبَ جُمُودُهَا ، فَمَاذَا يَنْزِعُ الزُّهْدُ مِنْهُ مِنَ الرِّغْبَةِ وَرِغْبَةُ الْحُبِّ أَحْرَقَتْ رِغْبَتَهُ ؟ ! وَمَاذَا يُصَفِّي مِنْهُ التَّوَكُّلُ

(١) الضَّرْبَانِ : الْحَرَكَةُ الْقَوِيَّةُ .

وَمُطَالَعَةُ الْوَكِيلِ حَشَتْ بِصِيرَتِهِ ؟ ! وَمَاذَا يُسْكُنُ فِيهِ الرِّضَا مِنْ عُرُوقِ الْمُنَازَعَةِ
وَالْمُنَازَعَةُ مَمَّنْ لَمْ يُسَلِّمْ كُلِّيَّتَهُ ؟ !^(١) .

قَالَ الرَّوْذُبَارِيُّ : (مَا لَمْ تَخْرُجْ مِنْ كُلِّيَّتِكَ لَا تَدْخُلْ فِي حَدِّ الْمَحَبَّةِ) .
وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ : (مَنْ قَتَلَتْهُ مَحَبَّتُهُ فِدَيْتُهُ رُؤْيَتُهُ ، وَمَنْ قَتَلَهُ عَشْقُهُ فِدَيْتُهُ
مُنَادِمَتُهُ)^(٢) .

(١٤٤) - أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً ، عَنْ ابْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً^(٣) ، عَنْ
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٤) ، قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرٍ يَقُولُ :
سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلَوِيَّةٍ يَقُولُ : قَالَ أَبُو يَزِيدَ ذَلِكَ^(٥) .

فَإِذَا : التَّقْلُبُ فِي أَطْوَارِ الْمَقَامَاتِ لِعَوَامِّ الْمُحِبِّينَ ، وَطَيُّ بَسَاطِ الْأَطْوَارِ
لِخَوَاصِّ الْمُحِبِّينَ ، وَهُمُ الْمَحْبُوبُونَ ، تَخَلَّفَتْ عَنْ هِمَمِهِمُ الْمَقَامَاتُ ،
وَرَبَّمَا كَانَتِ الْمَقَامَاتُ عَلَى مَدَارِجِ طَبَقَاتِ السَّمَاوَاتِ ، وَهِيَ مَوَاطِنُ مَنْ يَتَعَثَّرُ
فِي أَذْيَالِ بَقَايَاهُ .

قَالَ بَعْضُ الْكِبَارِ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصِ : إِلَى مَاذَا أَدَّى بِكَ التَّصَوُّفُ ؟

(١) عَلَى هَامِشٍ (أ) دُونَ تَصْحِيحٍ : (وَالْمُتَحَقِّقُ بِالْحُبِّ الْخَاصِّ قَدْ سَلَّمَ كُلِّيَّتَهُ) ، وَيَجُوزُ
أَنْ يَضْبُطَ الْمَثَبُ : بـ (لَمْ تَسَلِّمْ كُلِّيَّتَهُ) ، أَوْ (لَمْ تُسَلِّمْ . . .) .

(٢) كَمَا قِيلَ : مَنْ لَمْ يَمُتْ لَمْ يَرِ اللَّهَ ، وَكَمَا قِيلَ : مَنْ قَتَلَهُ مَحَبَّتُهُ حَصَلَ لَهُ الْوَصَالُ ، وَمَنْ
قَتَلَهُ الْعَشْقُ حَصَلَ لَهُ الْإِتِّصَالُ . مِنْ هَامِشٍ (ح) ، وَالْمُرَادُ بِالْمُنَادِمَةِ هُنَا : الْمَكَالِمَةُ
وَالْمَجَالِسَةُ .

(٣) سَقَطَ التَّصْرِيحُ بِالْإِجَازَةِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ فِي غَالِبِ النُّسخِ .

(٤) زَادَ فِي (د) التَّصْرِيحُ بِالْإِجَازَةِ .

(٥) أَوْرَدَهُ أَبُو الْمَعَالِي شَيْذَلَهُ فِي « لَوَاعِعِ أَنْوَارِ الْقُلُوبِ » (ص ٢٦٧) .

فَقَالَ : إِلَى التَّوَكُّلِ ، فَقَالَ : تَسْعَى فِي عِمْرَانٍ بَاطِنِكَ !! أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْفَنَاءِ فِي التَّوَكُّلِ بِرُؤْيَا الْوَكِيلِ ؟! (١) .

فَالنَّفْسُ إِذَا تَحَرَّكَتْ بِصِفَتِهَا مُنْفِلَتَةً مِنْ دَائِرَةِ الزَّهْدِ . . يَرُدُّهَا الزَّاهِدُ إِلَى الدَّائِرَةِ بِزَهْدِهِ ، وَالْمُتَوَكِّلُ إِذَا تَحَرَّكَتْ نَفْسُهُ . . يَرُدُّهَا بِتَوَكُّلِهِ ، وَالرَّاضِي يَرُدُّهَا بِرِضَاهُ .

وَهَذِهِ الْحَرَكَاتُ مِنَ النَّفْسِ بَقَايَا وَجُودِيَّةٌ تَفْتَقِرُ إِلَى سِيَاسَةِ الْعِلْمِ ، وَفِي ذَلِكَ تَنْسُمُ رَوْحَ الْقُرْبِ مِنْ بَعِيدٍ ؛ وَهُوَ أَدَاءُ حَقِّ الْعُبُودِيَّةِ مَبْلَغَ الْعِلْمِ (٢) ، وَبِحَسَبِهِ الْاجْتِهَادُ وَالْكَسْبُ .

وَمَنْ أَخَذَ فِي طَرِيقِ الْخَاصِّ . . عَرَفَ طَرِيقَ التَّخَلُّصِ مِنَ الْبَقَايَا بِالتَّسْتَرِّ بِأَنْوَارِ فَضْلِ الْحَقِّ ، وَمَنْ اِكْتَسَى مَلَابِسَ نُورِ الْقُرْبِ بِرُوحِ دَائِمَةِ الْعُكُوفِ ،

(١) رَوَاهُ بَنُحُوهُ الْقَشِيرِي فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٤١١) ، وَأَوْرَدَهُ الْكَلَابَازِي فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٢٠) ، وَبَعْضُ الْكِبَارِ : هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ الْكَلَابَازِي أحياناً فِي « التَّعْرِفِ » بـ (بَعْضُ الْكِبَرَاءِ) أَوْ (بَعْضُ الْكِبَارِ) ، وَالْخُرَكُوشِي فِي « التَّهْذِيبِ » بـ (الْمَذْبُوحِ) ، وَقَدْ قَالَ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتِهِ » (ص ٣٠٧-٣٠٨) : (وَالْمَشَايخُ فِي أَمْرِهِ مُخْتَلِفُونَ ، رَدَّهُ أَكْثَرُ الْمَشَايخِ وَنَفْوُهُ ، وَأَبَوَا أَنْ يَكُونَ لَهُ قَدَمٌ فِي التَّصَوُّفِ ، وَقَبْلَهُ مِنْ جَمَلَتِهِمْ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عَطَاءٍ ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ ، وَأَبُو الْقَاسِمِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّصْرَابَادِي ، وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ ، وَصَحَّحُوا لَهُ حَالَهُ ، وَحَكُّوا عَنْهُ كَلَامَهُ ، وَجَعَلُوهُ أَحَدَ الْمُحَقِّقِينَ ؛ حَتَّى قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ : الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ) ، وَنَقَلَ هَذَا الْكَلَامَ أَيْضاً ابْنُ خَمَيْسٍ فِي « مَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ » (٢/ ٦٩٦) .

وَقَالَ الْمُنَاوِي فِي « الْكَوَاكِبِ الدَّرِّيَّةِ » (٢/ ٦٩) : (وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ ؛ مَا بَيْنَ مُكْفَرٍ لَهُ ، وَمَعْتَقِدٍ وَلَايَتِهِ ، وَهُمْ الْجُمْهُورُ ؛ وَمِنْهُمْ الْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » ، وَابْنُ الْحَاجِّ فِي « الْمَدْخَلِ » ، وَغَيْرُهُمَا) .

(٢) فِي (أ ، د) : (بِمَبْلَغِ الْعِلْمِ) .

مَحْمِيَّةٌ عَنِ الطَّوَارِقِ وَالصُّرُوفِ . . لَا يُزَعِّجُهُ طَلَبٌ ، وَلَا يُوحِشُهُ سَلَبٌ .

فَالزُّهْدُ وَالتَّوَكُّلُ وَالرِّضَا كَائِنٌ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ كَائِنٍ فِيهَا ؛ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ كَيْفَ تَقَلَّبَ كَانَ زَاهِداً وَإِنْ رَغِبَ ؛ لِأَنَّهُ بِالْحَقِّ لَا بِنَفْسِهِ ، وَإِنْ رُئِيَ مِنْهُ الِاتِّفَاتُ إِلَى الْأَسْبَابِ . . فَهُوَ مُتَوَكِّلٌ ، وَإِنْ وُجِدَ مِنْهُ الْكَرَاهَةُ . . فَهُوَ رَاضٍ ؛ لِأَنَّ كِرَاهَتَهُ لِنَفْسِهِ - وَنَفْسُهُ لِلْحَقِّ ، وَكَرَاهَتُهُ بِالْحَقِّ - أُعِيدَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ بِدَوَاعِيهَا وَصِفَاتِهَا مُطَهَّرَةً مُوَهَّوبَةً مَحْمُولَةً مَلْطُوفاً بِهَا ، صَارَ عَيْنُ الدَّاءِ دَوَاءً ، وَصُورُ الإِعْلَالِ شِفَاءً ، وَنَابَ طَلَبُ اللَّهِ لَهُ مَنَابَ كُلِّ طَلِبٍ مِنْ زَهْدٍ وَتَوَكُّلٍ وَرِضَا ، وَصَارَ مَطْلُوبُهُ مِنَ اللَّهِ يَنُوبُ عَنْ كُلِّ مَطْلُوبٍ مِنْ زَهْدٍ وَتَوَكُّلٍ وَرِضَا .

قَالَتْ رَابِعَةٌ : (مُحِبُّ اللَّهِ لَا يَسْكُنُ حَنِينُهُ وَأَنِينُهُ حَتَّى يَسْكُنَ مَعَ مَحْبُوبِهِ) .

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ : (حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ : أَنْ تَهَبَ كُلَّكَ لِمَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَا يَبْقَى لَكَ مِنْكَ شَيْءٌ)^(١) .

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ : (الشُّرُورُ بِاللَّهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَحَبَّةِ لَهُ ، وَالْمَحَبَّةُ فِي الْقَلْبِ نَارٌ تُحْرِقُ كُلَّ دَنْسٍ) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ : (صَبْرُ الْمُحِبِّينَ أَشَدُّ مِنْ صَبْرِ الزَّاهِدِينَ ، وَاعْجَباً !! كَيْفَ يَصْبِرُ الْإِنْسَانُ عَنْ حَبِيبِهِ ؟)^(٢) .

(١) أوردته القشيري في « الرسالة » (ص ٦٥٣) ، وأبو المعالي شَيْذَلَهُ فِي « لَوَامِعِ أَنْوَارِ الْقُلُوبِ » (ص ٥٦٧) ، وزاد : (فَتَذُوبٌ بِذَلِكَ فِي طَاعَتِهِ ، وَلِسَانُكَ فِي ذِكْرِهِ ، وَقَلْبُكَ فِي تَفَكُّرِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ ، وَسِرُّكَ فِي مُؤَانَسَتِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ) .

(٢) أوردته القشيري في « الرسالة » (ص ٤٤٠) ، وابن خميس في « مناقب الأبرار » (٢٧٨ / ١) ، وزادا : وأنشد :

الصَّبْرُ يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يُحَمَّدُ

وقال بعضهم : (مَنْ ادَّعى مَحَبَّةَ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ تَوَرُّعٍ عَنْ مَحَارِمِهِ .. فهو كَذَّابٌ ، وَمَنْ ادَّعى مَحَبَّةَ الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ إِنْفَاقٍ مِلْكِهِ ^(١) .. فهو كَذَّابٌ ، وَمَنْ ادَّعى مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ حُبِّ الْفُقَرَاءِ .. فهو كَذَّابٌ) ^(٢) .

وكانت رابعة تُنشد ^(٣) :

تَعْصِي الْأِلَهِ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي الْفَعَالِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ ^(٤)

وإذا كان الحبُّ للأحوالِ كالتوبةِ للمقاماتِ .. فَمَنْ ادَّعى حالاً يُعْتَبَرُ حُبَّهُ ، وَمَنْ ادَّعى مَحَبَّةً تُعْتَبَرُ تَوْبَتُهُ ؛ فَإِنَّ التَّوْبَةَ قَالِبُ رُوحِ الْحَبِّ ، وَهَذَا الرُّوحُ قِيَامُهُ بِهَذَا الْقَالِبِ ، وَالْأَحْوَالُ أَغْرَاضُ قِيَامِهَا بِجَوْهَرِ الرُّوحِ .

(١) في (د) : (ماله) بدل (ملكه) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٩٧) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٧٥ / ٨) عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى .

(٣) روى البيتين البيهقي في « الشعب » (٤٩١) ، وأوردهما ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٨ / ٦٩) ، وليس البيتان ظاهري النسبة لها ؛ إذ يحتمل أنها قالتها تمثلاً ، ورواهما البيهقي في « الشعب » (٤٩٢) من قول أبي العتاهية ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦٩ / ٣٢) من قول عبد الله بن المبارك ، ونُسباً أيضاً إلى الشافعي ومحمود الوراق وغيرهما ، وفي (هـ) : (تضرع) بدل (تظهر) ، وفي نسخة على هامش (د) : (في القياس) بدل (في الفعال) .

(٤) في هامش (ح) زيادة بيت دون إشارة تصحيح ؛ وهو :

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَتَّيْدِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لَشُكْرِ ذَاكَ مُضْبِعُ

وَقَالَ سُمْنُونُ : (ذَهَبَ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » ، فَهُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى) (١) .

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ الشُّوسِيُّ : (لَا تَصِحُّ الْمَحَبَّةُ حَتَّى يَخْرَجَ مِنْ رُؤْيَةِ الْمَحَبَّةِ إِلَى رُؤْيَةِ الْمَحْبُوبِ بَفَنَاءِ عِلْمِ الْمَحَبَّةِ ؛ مِنْ حَيْثُ كَانَ لَهُ الْمَحْبُوبُ فِي الْغَيْبِ ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا بِالْمَحَبَّةِ ، فَإِذَا خَرَجَ الْمُحِبُّ إِلَى هَذِهِ اللَّبْسَةِ . . كَانَ مُحِبًّا مِنْ غَيْرِ مَحَبَّةٍ) (٢) .

وُسئِلَ الْجُنَيْدُ عَنِ الْمَحَبَّةِ ، فَقَالَ : دَخُولُ صِفَاتِ الْمَحْبُوبِ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ صِفَاتِ الْمُحِبِّ (٣) .

قِيلَ : هَذَا عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا » (٤) ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ إِذَا صَفَتْ وَكَمَلَتْ لَا تَزَالُ تَجْذِبُ بِوَصْفِهَا إِلَى مَحْبُوبِهَا ، فَإِذَا انْتَهَتْ إِلَى غَايَةِ جُهِدِهَا . . وَقَفَتْ وَالرَّابِطَةُ مُتَأَصِّلَةٌ

(١) رواه القشيري في « الرسالة » (ص ٦٥٤) ، وأورده أبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٣٤٦) ، والحديث سبق تخريجه في (١ / ٢٧١-٢٧٢) .

(٢) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٨٨) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٦٢-٦٣) ، وإلى قوله : (بفناء علم المحبة) القشيري في « الرسالة » (ص ٦٥٧) ، وفي (هـ) و « اللمع » : (النسبة) بدل (اللبسة) ، وفي « التهذيب » : (الخصلة) .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٨٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٥٢) ، وأبو المعالي شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٣١٨) ، وزاد بعده : (فيبلغ به الغاية التي لا مدى وراءها ، والنهاية التي لا مطلوب بعدها ؛ وهو المحبوب) .

(٤) سبق تخريجه في (١ / ٣٢١) .

مُتَأَكِّدَةً ، وَكَمَالُ وَصْفِ الْمَحَبَّةِ أَزَالَ الْمَوَانِعَ مِنَ الْمُحِبِّ ، وَبِكَمَالِ وَصْفِ الْمَحَبَّةِ تُجَذَّبُ صِفَاتُ الْمَحْبُوبِ ؛ تَعَطُّفًا عَلَى الْمُحِبِّ الْمُخْلِصِ مِنْ مَوَانِعَ قَادِحَةٍ فِي صَدَقِ الْحَبِّ ، وَنَظَرًا إِلَى قُصُورِهِ بَعْدَ اسْتِنْفَادِ جُهِدِهِ ، فَيَعُودُ الْمُحِبُّ بِعَوَائِدِ اكْتِسَابِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمَحْبُوبِ ، فَيَقُولُ عِنْدَ ذَلِكَ ^(١) :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا
فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

وهذا الذي عَبَّرْنَا عَنْهُ حَقِيقَةُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ » ^(٢) ؛ لِأَنَّهُ بِنِزَاهَةِ النَّفْسِ وَكَمَالِ التَّزْكِيَةِ يَسْتَعِدُّ لِلْمَحَبَّةِ ، وَالْمَحَبَّةُ مُوَهِّبَةٌ غَيْرُ مُعَلَّلَةٍ بِالتَّزْكِيَةِ ، وَلَكِنَّ سُنَّةَ اللَّهِ جَارِيَةٌ أَنْ يُزَكِّي نَفُوسَ أَحِبَّائِهِ بِحُسْنِ تَوْفِيقِهِ وَتَأْيِيدِهِ ، وَإِذَا مَنَحَ نِزَاهَةَ النَّفْسِ وَطَهَارَتَهَا ، ثُمَّ جَذَبَ رُوحَهُ بِجَاذِبِ الْمَحَبَّةِ . . خَلَعَ عَلَيْهِ خِلَعَ الصِّفَاتِ وَالْأَخْلَاقِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَهُ رُتْبَةً فِي الْوُصُولِ .

فتارةً يَنْبَعُ الشَّوْقُ مِنْ بَاطِنِهِ إِلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ؛ لَكُونِ عَظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ غَيْرِ مُتَنَاهٍ ، وَتَارَةً يَتَسَلَّى بِمَا مُنِحَ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَصُولَهُ الَّذِي يُسَكِّنُ نِيرَانَ شَوْقِهِ ، وَبِبَاعِثِ الشَّوْقِ تَسْتَقَرُّ الصِّفَاتُ الْمُوَهَّوبَةُ الْمُحَقَّقَةُ رُتْبَةَ الْوُصُولِ عِنْدَ الْمُحِبِّ ، وَلَوْلَا بَاعِثُ الشَّوْقِ رَجَعَ الْقَهْقَرَى ، وَظَهَرَتْ صِفَاتُ نَفْسِهِ الْحَائِلَةُ بَيْنَ الْمَرءِ وَقَلْبِهِ .

(١) البیتان للحلاج فی « دیوانه » (ص ٣٤٢-٣٤٣) ، ولالإمام الغزالي فی « مشكاة الأنوار » (ص ٥٧-٥٨) فصل نفیس فی تأویل هذین البیتین وأمثالهما من العبارات الموهمة .

(٢) أورده الغزالي فی « المقصد الأسنى » (ص ٣٠٢) ، والرازي فی « تفسیره » (٥٨ / ٧) ، وقال الغماري فی « الغنية » (٨٧٠ / ٢) : (لم أجده) .

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْوَصُولَ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، أَوْ تُخَيَّلَ لَهُ غَيْرُ هَذَا الْقَدْرِ . . فهو مُتَعَرِّضٌ لمذهبِ النصارى في اللاهوتِ والنَّاسوتِ .

وإشاراتُ الشُّيُوخِ في الاستغراقِ والفناءِ كُلِّها عائدةٌ إلى تحقيقِ مقامِ الْمَحَبَّةِ ؛ باستيلاءِ نورِ اليقينِ وخُلَاصَةِ الذِّكْرِ على القلبِ ، وتحقيقِ حقِّ اليقينِ بزوالِ اعوجاجِ البقايا ، وأَمَتِ اللَّوْثِ الْوُجُودِيِّ مِنْ بقاءِ صفاتِ النَّفْسِ ^(١) ، وإذا صَحَّتِ الْمَحَبَّةُ تَرَبَّتْ عَلَيْهَا الْأَحْوَالُ وَتَبَعَتْهَا .

سُئِلَ الشُّبْلِيُّ عَنِ الْمَحَبَّةِ ، فَقَالَ : كَأْسٌ لَهَا وَهَجٌ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الْحَوَاسِّ وَسَكَنَ فِي النَّفُوسِ . . تَلَا شَتَّ ^(٢) .

وقيلَ : لِلْمَحَبَّةِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ ؛ ظَاهِرُهَا : اتِّبَاعُ رِضَا الْمَحْبُوبِ ، وَبَاطِنُهَا : أَنْ يَكُونَ مَفْتُونًا بِالْحَبِيبِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَلَا يَبْقَى فِيهِ بَقِيَّةٌ لغيرِهِ وَلَا لِنَفْسِهِ .

(١) في (ي) : (إمطة) بدل (أمت) ، والأَمْتُ في الأصل : الانخفاض والارتفاع ، أو الاختلاف في الشيء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٧] ، واللَّوْثُ : بمعنى الشائبة .

(٢) أورده أبو المعالي شيدله في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٤٤٦ ، ٤٤٨) ، وفيه زيادة ، وعبارته في الموضع الأول : (المحبة : نارٌ حَشُوها وَهَجٌ ؛ إن بلغت إلى القلوب ثبتت واستقرت في الحواسِّ ، وإن وقفت مع النفوس تلاشت ، فهو بلاءٌ في بلاء ، أَوَّلُهُ الْبَلَاءُ وَآخِرُهُ التَّلَفُ وَالنَّوْيُ) ، وعبارته في الموضع الثاني : (المحبة : كأسٌ لها وَهَجٌ ؛ إن استقرت في الحواسِّ قتلت ، وإن تمكَّنت في النفوس أسكرت ، فهي سُكْرٌ في الظاهر ، صَخْوٌ في الباطن ، فأرواحُ الْمُحِبِّينَ تَلَطَّفَتْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَتَعَطَّفَتْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، فَلَيْسَ الْكُونُ بِبَالٍ مِنْ عَرَفِ مُكُونِ الْكُونِ !؟) .

فَمِنْ الْأَحْوَالِ السَّيِّئَةِ فِي الْمَحَبَّةِ :

الشوق

ولا يكونُ الْمُحِبُّ إِلَّا مُشْتاقاً أبداً ؛ لأنَّ أمرَ الحقِّ سُبْحَانَهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ ؛
فما مِنْ حالٍ يبلُغُها الْمُحِبُّ إِلَّا ويعلمُ أَنَّ وراءَ ذلكَ أَوْفى منها وَأَتَمَّ ،
وَأُنشِدَ :

حُزْنِي كَحُسْنِكَ لَا لِيذا أَمَدٌ يُنْهَى إِلَيْهِ وَلَا لِيذا أَمَدٌ
ثمَّ هذا الشوقُ الحادثُ عندهُ ليسَ كسبهِ ، وإنما هوَ مَوْهَبَةٌ خَصَّ اللهُ
تعالى بها الْمُحِبِّينَ .

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحَوَارِيِّ : دخلتُ على أبي سُلَيْمانَ الدَّارانيِّ فرأيتُهُ
يبكي ، فقلتُ : ما يُبْكِيكَ رَحِمَكَ اللهُ ؟

قالَ : وَيَحَكَ يا أحمدُ !! إذا جَنَّ هذا الليلُ ، [وافترشَ] أهلُ الْمَحَبَّةِ
أقدامَهُمْ ، وَجَرَتْ دموعُهُمْ على خُدودِهِمْ . . أَشْرَفَ الْجَلِيلُ جَلَّ جلالُهُ عَلَيْهِمْ
وقالَ : بَعَيْنِي مَنْ تَلَذَّذَ بكلامي ، واستراحَ إلى مُناجاتي ، وإِنِّي لَمُطَّلَعٌ عَلَيْهِمْ
في خَلَوَاتِهِمْ ، أَسْمَعُ أُنْيَهُمْ ، وأرى بُكاءَهُمْ ، يا جبريلُ ؛ نادِ فِيهِمْ :
ما هذا الْبُكَاءُ الَّذِي أراهُ فِيكُمْ ؟! هل خَبَرَكُمْ مُخَبِّرٌ أَنَّ حَبِيباً يُعَذِّبُ أَحبابَهُ
بالنارِ ؟! بل كيفَ يَجْمَلُ بي أَنْ أُعَذِّبَ قوماً إذا جَنَّهُمُ الليلُ تَمَلَّقُوا لي ؟! فبي
حلفتُ ؛ إذا وَرَدُوا الْقِيامَةَ عَلَيَّ أَنْ أُسْفِرَ لَهُمْ عن وَجْهي ، وأُبَيِّحَهُمْ رِياضَ
قُدْسِي (١) .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ١٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ١٣٤ - ١٣٥) .

وهذه أحوال قوم من المحبين أقيموا مقام الشوق .

والشوق من المحبة كالزهد من التوبة ؛ إذا استقرت التوبة ظهر الزهد ،
وإذا استقرت المحبة ظهر الشوق .

قال الواسطي في قوله تعالى : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [طه : ٨٤] ؛
قال^(١) : (شوقاً واستهانة بمن وراءه ، فقال : ﴿ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي ﴾ [طه : ٨٤] ؛
من شوقه إلى مكالمة الله ، ورمى بالألواح ؛ لما فاتته من وقته)^(٢) .

قال أبو عثمان : (الشوق ثمرة المحبة ؛ من أحب الله اشتاق إلى
لقائه)^(٣) .

وقال أيضاً : (قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾ [العنكبوت : ٥] تعزية
للمشتاقين ؛ معناه : إني أعلم أن شوقكم إليّ غالب ، وإنني أجلت للقائكم
أجلاً ، وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه)^(٤) .

وقال ذو النون : (الشوق أعلى الدرجات ، وأعلى المقامات ، فإذا بلغها
الإنسان استبطأ الموت ؛ شوقاً إلى ربه ، ورجاءً للقاءه والنظر إليه)^(٥) .

(١) يعني : قال الواسطي : عجل موسى لأجل الشوق لربه ، ولاستهانته [بما] سوى الله .
من هامش (ح) .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٤٤٧ / ١) ، وعزاه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
(ص ٧٠) إلى الجنيد رحمه الله تعالى .

(٣) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧١) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٨) ، وأورده السلمي في « تفسيره » (١١٤ / ٢) ،
والقشيري في « رسالته » (ص ٦٦٨) ، وزاد السلمي : (فطیبُوا نَفْساً وَتَنَعَّمُوا) .

(٥) رواه البيهقي في « الشعب » (٤٥٦) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق »
(٤٣١ / ١٧) .

وعندي : أنَّ الشوقَ الكائنَ في المُحِبِّينَ إلى رُتَبٍ يتوقَّعونَهَا في الدنيا . .
 غيرُ الشوقِ الذي يكونُ يُتَوَقَّعُ ما بعدَ الموتِ ، واللهُ تعالى يُكَاشِفُ أَهْلَ وُدِّهِ
 بعطايا يجدونها عِلْماً ، ويطلبونها ذَوْقاً ؛ فلذلك يكونُ شوقُهُم ليصيرَ العلمُ
 ذَوْقاً ، وليسَ مِنْ ضرورةِ مقامِ الشوقِ استبطاءُ الموتِ ، وربَّما الأصِحَّاءُ مِنَ
 المُحِبِّينَ يستلذُّونَ الحياةَ لله تعالى ، كما قالَ الخليلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] .

فَمَنْ كانتَ حياتهُ لله تعالى مَنَحَهُ الكريمُ لَذَّةَ المُنَاجَاةِ والمَحَبَّةِ ؛ فتمتلى
 عينُهُ مِنَ النَّقْدِ^(١) ، ثُمَّ يُكَاشِفُهُ مِنَ المِنَحِ والعطايا في الدنيا ما يتحقَّقُ بمقامِ
 الشوقِ مِنْ غيرِ الشوقِ إلى ما بعدَ الموتِ .

وأنكرَ بعضُهُم مقامَ الشوقِ ، وقالَ : إنَّما يكونُ الشوقُ إلى الغائبِ ،
 ومتى يَغِيبُ الحبيبُ عنِ الحبيبِ حتى يشتاقَ إلى الحبيبِ ؟!
 ولهذا سُئِلَ الأنطاكِيُّ عنِ الشوقِ ، فقالَ : إنَّما يشتاقُ الغائبُ ،
 وما غَبْتُ عنه منذُ وجدتهُ^(٢) .

وإنكارُ الشوقِ على الإطلاقِ لا أرى لَهُ وجهاً ؛ لأنَّ رُتَبَ العطايا والمِنَحِ
 مِنْ أَنْصِبَةِ القُرْبِ إذا كانتَ غيرَ مُتَنَاهِيَةٍ . . كيفَ يُنكَرُ الشوقُ مِنَ المُحِبِّ ؟!
 فهوَ غيرُ غائبٍ وغيرُ مُشتاقٍ بالنسبةِ إلى ما وَجَدَ ، ولكن يكونُ مُشتاقاً إلى
 ما لم يجدْ مِنْ أَنْصِبَةِ القُرْبِ ، فكيفَ يُمنَعُ حالُ الشوقِ والأمرُ هلكذا ؟!
 وَوَجْهٌ آخَرُ ؛ أنَّ الإنسانَ لا بُدَّ لَهُ مِنْ أُمُورٍ يَرُدُّهَا حُكْمُ الحالِ ؛ لموضعِ

(١) يُقالُ : ما زالَ فلانٌ يَتَقَدُّ بصره إلى الشيءِ : إذا لم يَزَلْ ينظرُ إليه .

(٢) أورده دون نسبة الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (٥٠٦ / ٤) .

بَشَرِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ ، وَعَدَمِ وَقُوفِهِ عَلَى حَدِّ الْعِلْمِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ حَكْمُ الْحَالِ ،
وَوُجُودُ هَذِهِ الْأُمُورِ مُثِيرٌ لِنَارِ الشَّوْقِ ، وَلَا نَعْنِي بِالشَّوْقِ إِلَّا مُطَالَبَةً تَنْبَعُ مِنَ
الْبَاطِنِ إِلَى الْأَوَّلَى وَالْأَعْلَى مِنْ أَنْصِبَةِ الْقُرْبِ ، وَهَذِهِ الْمُطَالَبَةُ كَانَتْ فِي
الْمُحِبِّينَ .

فَالشَّوْقُ إِذَا : كَانَتْ لَا وَجْهَ لِانْكَارِهِ ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ : (شَوْقُ الْمُشَاهِدَةِ
وَاللِّقَاءِ أَشَدُّ مِنْ شَوْقِ الْبُعْدِ وَالْغَيْبَةِ) ، فَيَكُونُ فِي حَالِ الْغَيْبَةِ مُشْتَاقًا إِلَى
اللِّقَاءِ ، وَيَكُونُ فِي حَالِ اللَّقَاءِ وَالْمُشَاهِدَةِ مُشْتَاقًا إِلَى زَوَائِدَ وَمَبَارٍّ مِنَ الْحَبِيبِ
وَأَفْضَالِهِ ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَرَاهُ وَأَخْتَارُهُ .

وَقَالَ فَارَسٌ : (قُلُوبُ الْمُشْتَاقِينَ مُنَوَّرَةٌ بِنُورِ اللَّهِ ، فَإِذَا تَحَرَّكَتِ اشْتِيَاقًا
أَضَاءَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَيَعْرِضُهُمُ اللَّهُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَيَقُولُ :
هَؤُلَاءِ الْمُشْتَاقُونَ إِلَيَّ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي إِلَيْهِمْ أَشَوْقُ) (١) .

وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ : (لَوْ أَنَّ اللَّهَ حَجَبَ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَنْ رُؤْيَيْهِ . . لَا اسْتَغَاثُوا مِنَ
الْجَنَّةِ كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ مِنَ النَّارِ) (٢) .

وَسُئِلَ ابْنُ عَطَاءٍ عَنِ الشَّوْقِ ، فَقَالَ : احْتِرَاقُ الْحَشَا (٣) ، وَتَلَهُّبُ
الْقُلُوبِ ، وَتَقَطُّعُ الْأَكْبَادِ مِنَ الْبُعْدِ بَعْدَ الْقُرْبِ (٤) .

(١) أوردته الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧١) ، والقشيري في « الرسالة »
(ص ٦٦٧) .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤/١٠) ، وأوردته القشيري في « الرسالة »
(ص ٦٦٧) .

(٣) الحشا : ما اشتملت عليه الضلوع .

(٤) أوردته القشيري في « رسالته » (ص ٦٦٦) .

وسُئِلَ بعضُهُمْ : الشوقُ أعلى أم المَحَبَّةُ ؟ فقالَ : المَحَبَّةُ ؛ لأنَّ الشوقَ يتولَّدُ منها^(١) .

فلا مُشتاقٌ إلا مِنْ غلبةِ الحبِّ ؛ فالحبُّ أصلٌ ، والشوقُ فرعٌ^(٢) .
وقالَ النَّصْرَابادِيُّ : (لِلخَلْقِ كُلِّهِمْ مقامُ الشوقِ لا مقامُ الاشتياقِ ، وَمَنْ دَخَلَ فِي حالِ الاشتياقِ هَامَ فِيهِ ؛ حتَّى لا يُرى لَهُ أثرٌ ولا قَرارٌ)^(٣) .
ومنها :

الأنس

وقد سُئِلَ الجُنَيْدُ عَنِ الأُنْسِ ، فقالَ : ارتفاعُ الحِشْمَةِ معَ وجودِ الهَيِّئَةِ^(٤) .

وسُئِلَ ذُو النُّونِ عَنِ الأُنْسِ ، فقالَ : هوَ انبساطُ المُحِبِّ إلى المَحْبُوبِ^(٥) .

قيلَ : مَعْنَاهُ : قولُ الخليلِ : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ،
وقولُ موسى : ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]^(٦) .

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٦٦٦) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص ٦٦٦) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٦٦٥) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٥) ، وأبو نصر السَّراج في « اللمع »

(ص ٩٧) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٨١) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٥) .

(٦) انظر « التعرف » (ص ١٢٥) .

وَأُنشِدَ لِرُؤَيْمٍ ^(١) :

[من المنسرح]

شَغَلْتَ قَلْبِي بِمَا لَدَيْكَ فَلَا يَنْفَكُ طُولَ الْحَيَاةِ مِنْ فِكْرِي
أَنْتَنِي مِنْكَ بِالْوِدَادِ فَقَدْ أَوْحَشْتَنِي مِنْ جَمِيعِ ذَا الْبَشَرِ
ذِكْرُكَ لِي مُؤَنَسٌ يُعَارِضُنِي يُوعِدُنِي عَنْكَ مِنْكَ بِالْظَفَرِ
وَحَيْثُمَا كُنْتَ يَا مَدَى هِمَمِي فَأَنْتَ مِنِّي بِمَوْضِعِ النَّظَرِ

وروي أن مطرف بن عبد الله بن الشَّخِيرِ كَتَبَ إِلَى عمرَ بن عبد العزيز :
(لِيَكُنْ أَنْسُكَ بِاللَّهِ ، وَانْقِطَاعُكَ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عِبَادًا اسْتَأْنَسُوا بِاللَّهِ ، فَكَانُوا
فِي وَحْدَتِهِمْ أَشَدَّ اسْتِنَاسًا مِنَ النَّاسِ فِي كَثَرَتِهِمْ ، وَأَوْحَشُ مَا يَكُونُ النَّاسُ
أَنْسُ مَا يَكُونُونَ ، وَأَنْسُ مَا يَكُونُ النَّاسُ أَوْحَشُ مَا يَكُونُونَ) ^(٢) .

قَالَ الْوَاسِطِيُّ : (لَا يَصِلُ إِلَى مَحَلِّ الْأَنْسِ مَنْ لَمْ يَسْتَوْحِشْ مِنَ الْأَكْوَانِ
كُلِّهَا) .

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْوَرَّاقُ : (لَا يَكُونُ الْأَنْسُ بِاللَّهِ إِلَّا وَمَعَهُ التَّعْظِيمُ ؛ لِأَنَّ
كُلَّ مَنْ اسْتَأْنَسَ بِهِ سَقَطَ عَنْ قَلْبِكَ تَعْظِيمُهُ ، إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَزِيدَ
بِهِ أَنْسًا إِلَّا أَزْدَدْتَ مِنْهُ هَيْبَةً وَتَعْظِيمًا) ^(٣) .

(١) أورد الأبيات الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٥) ، وهي مشكوكة النسبة إلى
الحلاج . انظر « ديوانه » (ص ٤٥٧) .

(٢) رواه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٧) ، وأورده أبو نصر السراج في
« اللمع » (ص ٩٦) .

(٣) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٢) .

قالت رابعة : (كلُّ مطيع مُستأنس)^(١) ، وأنشدت^(٢) : [من الكامل]

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي
فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أُنِيسِي

وقال مالك بن دينار : (مَنْ لَمْ يَأْنَسْ بِمُحَادَثَةِ اللَّهِ عَنْ مُحَادَثَةِ
المخلوقين . . فقد قلَّ علمُهُ ، وعَمِيَ قلبُهُ ، وضيَّعَ عُمُرُهُ)^(٣) .

قيل لبعضهم : مَنْ مَعَكَ فِي الدَّارِ ؟ قَالَ : اللَّهُ تَعَالَى مَعِي ،
ولا يستوحش مَنْ أُنِسَ بِرَبِّهِ .

وقال الخَرَّازُ : (الْأُنْسُ : مُحَادَثَةُ الْأَرْوَاحِ مَعَ الْمَحْبُوبِ فِي مَجَالِسِ
الْقُرْبِ) .

وَوَصَفَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ صِفَةَ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ الْوَاصِلِينَ ؛ فَقَالَ : (جَدَّدَ لَهُمُ
الْوُدَّ فِي كُلِّ طَرْفَةِ بَدَوَامِ الْإِتِّصَالِ ، وَأَوَاهُمُ فِي كَنَفِهِ بِحَقَائِقِ السُّكُونِ إِلَيْهِ ،
حَتَّى أَنْتَ قُلُوبُهُمْ ، وَحَنَّتْ أَرْوَاحُهُمْ شَوْقًا ، فَكَانَ الْحُبُّ وَالشَّوْقُ مِنْهُمْ
إِشَارَةً مِنَ الْحَقِّ إِلَيْهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ ؛ وَهُوَ الْوَجُودُ بِاللَّهِ ، فَذَهَبَ
مُنَاهُمْ ، وَانْقَطَعَتْ آمَالُهُمْ عِنْدَهُ ؛ لِمَا بَانَ مِنْهُ لَهُمْ .

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٧٦/٩) عن ذي النون المصري من قوله رحمه الله تعالى ، ورواه البيهقي في « الشعب » (١٠٠١) عن ذي النون أنه وجدته مكتوباً على حجر .

(٢) أورد البيهقي الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٨٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٨/٦٩) ، وابن الجوزي في « صفة الصفوة » (٤٣٢/٢) .

(٣) رواه ابن حبان البستي في « روضة العقلاء » (ص ٨٥) ، وأورده السمرقندي في « تنبيه الغافلين » (ص ٣٠٩) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٨) .

ولو أَنَّ الْحَقَّ أَمَرَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ يَسْأَلُونَ لَهُمْ . . ما سَأَلُوهُ بَعْضَ ما أَعَدَّ لَهُمْ
 فِي قَدِيمٍ وَخُدَانِيَّتِهِ وَدَوَامِ أَرْزَاقِهِ ، وَسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَكَانَ نَصِيْبُهُمْ مَعْرِفَتُهُمْ بِهِ ،
 وَإِفْرَاقَ هِمَمِهِمْ عَلَيْهِ^(١) ، واجْتِمَاعَ أَهْوَائِهِمْ فِيهِ ، فَصَارَ يَحْسُدُهُمْ مِنْ عِبِيدِهِ
 الْعُمُومُ ؛ أَنْ رَفَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ جَمِيعَ الْهُمُومِ) .

وَأُنْشِدَ فِي مَعْنَاهُ^(٢) :

كَانَتْ لِقَلْبِي أَهْوَاءٌ مُفَرِّقَةٌ فَاسْتَجَمَعْتُ إِذْ رَأَيْتُكَ أَلْتَفُسُ أَهْوَائِي
 فَصَارَ يَحْسُدُنِي مَنْ كُنْتُ أَحْسَدُهُ وَصِرْتُ مَوْلَى الْوَرَى مَذْصِرْتُ مَوْلَائِي
 تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمْ شُغْلًا بِذِكْرِكَ يَا دِينِي وَدُنْيَائِي

وقد يكونُ مِنَ الْأُنْسِ الْأُنْسُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَذِكْرِهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ ، وَسَائِرِ
 أَبْوَابِ الْقُرْبَاتِ ، وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأُنْسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْحَةٌ مِنْهُ ،
 وَلَكِنْ لَيْسَ هُوَ حَالُ الْأُنْسِ الَّذِي يَكُونُ لِلْمُحِبِّينَ .

وَالْأُنْسُ حَالٌ شَرِيفٌ يَكُونُ عِنْدَ طَهَارَةِ الْبَاطِنِ ، وَكَنْسِهِ بِصَدَقِ الزَّهْدِ ،
 وَكَمَالِ التَّقْوَى ، وَقَطْعِ الْأَسْبَابِ وَالْعِلَاقِ ، وَمَحْوِ الْخَوَاطِرِ وَالْهَوَاجِسِ .

وَحَقِيقَتُهُ عِنْدِي : كَنْسُ الْوُجُودِ بِثِقَلِ لَائِحِ الْعَظْمَةِ ، وَانْتِشَارُ الرُّوحِ فِي
 مِيَادِينِ الْفُتُوحِ ، وَلَهُ اسْتِقْلَالٌ بِنَفْسِهِ يَشْتَمِلُ عَلَى الْقَلْبِ ، فَيَجْمَعُهُ بِهِ عَنِ
 الْهِيَةِ ، وَفِي الْهِيَةِ اجْتِمَاعُ الرُّوحِ وَرُسُوبُهُ إِلَى مَحَلِّ النَّفْسِ .

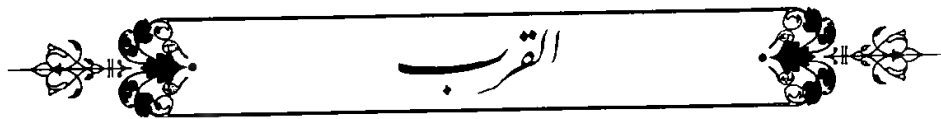
(١) فِي (ج ، هـ ، ح) : (لَهُ) بَدَلَ (عَلَيْهِ) .

(٢) أورد البيت الأول والثاني الأصبهاني في « الزهرة » (ص ٩٧) ، وعزاها إلى بعض أهل
 عصره ، وأوردها كاملة أبو طالب المكي في « القوت » (١٠٥٨ / ٢) ، وأبو المعالي
 شَيْذَلَه في « لوامع أنوار القلوب » (ص ٥٧٦) ، و (النفس) فاعل (استجمعت) .

وهذا الذي وَصَفْنَاهُ مِنْ أَنْسِ الذَّاتِ وَهِيَةِ الذَّاتِ . . يكونُ في مقامِ البقاءِ بعدَ العبورِ على مَمَرِّ الفناءِ ، وهما غيرُ الأنسِ والهيَةِ اللَّذَيْنِ يذهبانِ بوجودِ الفناءِ ؛ لأنَّ الهيَةَ والأنسَ قبلَ الفناءِ ظَهَرَا مِنْ مُطَالَعَةِ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَلالِ وَالْجَمالِ ؛ وذلكَ مقامُ التَّلَوِينِ ، وما ذَكَرْنَاهُ بعدَ الفناءِ في مقامِ التَّمكِينِ والبقاءِ . . مِنْ مُطَالَعَةِ الذَّاتِ .

وَمِنْ الْأُنْسِ خُضُوعُ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، وَمِنْ الْهِيَةِ خُشُوعُهَا ، وَالْخُضُوعُ وَالْخُشُوعُ يَتَقَارِبَانِ وَيَفْتَرِقَانِ بِفَرْقٍ لَطِيفٍ مُدْرِكٍ بِإِيْمَاءِ الرُّوحِ .

ومنها :



قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَنُبَيِّتَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق : ١٩] .

وقد وَرَدَ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي سُجُودِهِ » ^(١) .

فَالسَّاجِدُ إِذَا أَذِيقَ طَعْمَ السُّجُودِ يَقْرُبُ ؛ لِأَنَّهُ يَسْجُدُ وَيَطْوِي بِسُجُودِهِ بَسَاطَةَ الْكُونِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ ، وَيَسْجُدُ عَلَى طَرَفِ رِءَاسِ الْعِظْمَةِ ، فَيَقْرُبُ .

وقد وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُشِيدُ هَذَا الْقَوْلَ ؛ وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَجَدَ يُطَهَّرُ بِسُجُودِهِ مَا تَحْتَ جَنْبَتَيْهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ » ^(٢) ؛ بِإِيْمَاءِ يُدْرِكُهُ أَرْبَابُهُ .

(١) رواه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٩٥١ ، ٨٦٨٧) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنِّي لِأَجِدُ الْحُضُورَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَقُولُ : (يَا اللَّهُ)
أَوْ (يَا رَبِّ) ، فَأَجِدُ ذَلِكَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْجِبَالِ ، قِيلَ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ
النِّدَاءَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَهَلْ رَأَيْتَ جَلِيسًا يُنَادِي جَلِيسَهُ ؟ ! وَإِنَّمَا هِيَ
إِشَارَاتٌ وَمُلَاحَظَاتٌ وَمُنَاغَاتٌ وَمُلَاطَفَاتٌ .

وهذا الذي وصفه مقامٌ عزيزٌ مُتَحَقِّقٌ فِيهِ الْقُرْبُ ، وَلَكِنَّهُ مُشْعِرٌ بِمَحْوٍ ،
وَمُؤَذِّنٌ بِسُكْرِ ، يَكُونُ ذَلِكَ لِمَنْ غَابَتْ نَفْسُهُ فِي نَوْرِ رُوحِهِ ؛ لَغَلْبَةِ سُكْرِهِ ،
وَقُوَّةِ مَحْوِهِ ، فَإِذَا صَحَا وَأَفَاقَ يَتَخَلَّصُ الرُّوحُ مِنَ النَّفْسِ ، وَالنَّفْسُ مِنَ
الرُّوحِ ، وَيَعُودُ كُلٌّ مِنَ الْعَبْدِ إِلَى مَحَلِّهِ وَمَقَامِهِ ، فَيَقُولُ : (يَا اللَّهُ) وَ (يَا
رَبِّ) بِلِسَانِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ ، الْعَائِدَةِ إِلَى مَقَامِ حَاجَتِهَا وَمَحَلِّ عُبودِيَّتِهَا .

وَالرُّوحُ يَسْتَقِلُّ بِفَتْوحِهِ وَبِكَمَالِ الْحَالِ عَنِ الْأَقْوَالِ ، وَهَذَا أَتَمُّ وَأَقْرَبُ
مِنَ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ وَفَّى حَقَّ الْقُرْبِ بِاسْتِقْلَالِ الرُّوحِ بِالْفَتْوحِ ، وَأَقَامَ رَسْمَ
الْعُبودِيَّةِ بِعَوْدِ حُكْمِ النَّفْسِ إِلَى مَحَلِّ الْإِفْتِقَارِ .

وَحِظُّ الْقُرْبِ لَا يَزَالُ يَتَوَفَّرُ لِلرُّوحِ بِإِقَامَةِ رَسْمِ الْعُبودِيَّةِ مِنَ النَّفْسِ .

قَالَ الْجُنَيْدُ : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرُبُ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَى
مِنْ قُرْبِ قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنْهُ ، فَاَنْظُرْ مَاذَا يَقْرُبُ مِنْ قَلْبِكَ) (١) .

وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ السُّوسِيُّ : (مَا دَامَ الْعَبْدُ يَكُونُ بِالْقُرْبِ . . لَمْ يَكُنْ قَرِيبًا
حَتَّى يَغِيبَ عَنِ الْقُرْبِ بِالْقُرْبِ ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْ رُؤْيَا الْقُرْبِ بِالْقُرْبِ . . فَذَلِكَ
قُرْبٌ) (٢) .

(١) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٨٥) .

(٢) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٨٥) ، والسلمي في « تفسيره » (٣٠٣ / ٢) ، =

[من مجزوء الرمل]

وقد قال قائلهم^(١) :

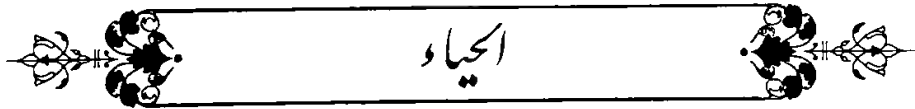
قَدْ تَحَقَّقْتُكَ فِي السَّرِّ فَاجَاكَ لِسَانِي
فَأَجْتَمَعْنَا لِمَعَانٍ وَأَفْتَرَقْنَا لِمَعَانِي
إِنْ يَكُنْ غَيِّكَ أَلْتَعُ ظِيمٌ عَنْ لَحْظِ عَيَانِي
فَلَقَدْ صَيَّرَكَ الْوَجْهَ دُ مِنْ الْأَحْشَاءِ دَانِي

قال ذو النُّونِ : (ما ازدادَ أحدٌ مِنَ اللَّهِ قُرْبَةً إِلَّا ازدادَ هَيْبَةً) .

وقال سهلٌ : (أدنى مقامٍ مِنْ مقاماتِ القُرْبِ : الحياءُ)^(٢) .

وقال النُّصْرَابَاذِيُّ : (باتِّباعِ السُّنَّةِ تُنالُ المعرفةُ ، وبأداءِ الفرائضِ تُنالُ القُرْبَةُ ، وبالمُواظبةِ على النوافلِ تُنالُ المَحَبَّةُ)^(٣) .

ومنها :



والحياءُ على الوصفِ العامِّ ، والوصفِ الخاصِّ .

فأمَّا الوصفُ العامُّ : فما أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ :
« اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » ، قالوا : إِنَّا نَسْتَحْيِي يَا رَسُولَ اللَّهِ !!

= والخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٥) .

(١) أورد الأبيات السلمي في « تفسيره » (٣٠٢ / ٢) ، ورواها الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١١٥ / ٨) ، وعزاها إلى الحلاج ، وأوردها أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٨٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٢٥٣) ، وعزواها إلى الجنيد رحمه الله تعالى .

(٢) أورد السلمي في « تفسيره » (٧١ / ١) .

(٣) أورد الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٧٦) دون نسبة .

قال : « لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَنْ أَسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ . . فَلْيَحْفَظِ
الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى ، وَمَنْ أَرَادَ
الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْتَحْيَا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ » (١) .
وهذا الحياءُ مِنَ المَقَامَاتِ .

وأما الحياءُ الخاصُّ : فَمِنَ الأحوالِ ؛ وهو ما نُقِلَ عن عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ
عنه أَنَّهُ قَالَ : (إِنِّي لَا غَتْسُلُ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ ، فَأَنْطَوِي حَيَاءً مِنَ اللَّهِ) (٢) .

(١٤٥) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً ، عَنْ ابْنِ خَلْفٍ إِجَازَةً ، عَنْ
أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْبَغْدَادِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ ابْنَ
صَالِحٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِوَيْنٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُؤَدَّبَ
يَقُولُ : قَالَ لِي سَرِيٌّ : (احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ : إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْأُنْسَ يَطُوفَانِ
بِالْقَلْبِ ، فَإِذَا وَجَدَا فِيهِ الزَّهْدَ وَالْوَرَعَ حَطًّا ، وَإِلَّا رَحَلَا) (٣) .

والحياءُ : إِطْرَاقُ الرُّوحِ إِجْلَالاً لِعَظِيمِ الْجَلَالِ ، وَالْأُنْسُ : التَّنَاضُ الرُّوحِ

(١) رواه الترمذي (٢٤٥٨) ، وأحمد (٣٨٧/١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف »
(٣٥٤٦١) ، والحاكم (٣٢٣/٤) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروى
عن غيره أيضاً . انظر « غنية العارف » (٨٨٠/٢) .

(٢) رواه بنحوه أحمد في « الزهد » (٦٦٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٥٦/١) ، ورواه
بلفظ المؤلف ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١١٣/٤) ، وأحمد في « الزهد »
(١١٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٦٠/١) عن سيدنا أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه من قوله .

(٣) رواه من طريق السلمي تلميذه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٩) ، وفيه : (يطرقان
القلب) بدل (يطوفان بالقلب) ، ورواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٣) عن الجنيد
عن خاله السري ، واللفظ فيه : (الشوق والولـه يُرفرفان على القلب ، فإن وجدا فيه
الحياء والأنس . . أوطنا ، وإلا رحلا ، احفظ عني هذا الكلام يا غلام لا يُضَيِّع) .

بكمال الجمال ، فإذا اجتمعا فهو الغاية في المُنَى ، والنهاية في العطاء .

قال بعض الحكماء : (مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْحَيَاءِ وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ فِيمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ .. فَهُوَ مُسْتَدْرَجٌ) (١) .

وقال ذو النُّونِ : (الْحَيَاءُ : وجودُ الهَيْئَةِ فِي الْقَلْبِ مَعَ حِشْمَةٍ مَا سَبَقَ مِنْكَ إِلَى رَبِّكَ) (٢) .

وقال ابنُ عطاءٍ : (الْعِلْمُ الْأَكْبَرُ : الْهَيْئَةُ وَالْحَيَاءُ ، فَإِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الْهَيْئَةُ وَالْحَيَاءُ .. فَلَا خَيْرَ فِيهِ) (٣) .

وقال أبو سُلَيْمَانَ : (إِنَّ الْعِبَادَ عَمِلُوا عَلَى أَرْبَعِ دَرَجَاتٍ : عَلَى الْخَوْفِ ، وَالرَّجَاءِ ، وَالتَّعْظِيمِ ، وَالْحَيَاءِ ، وَأَشْرَفُهُمْ مَنْزِلَةٌ : مَنْ عَمِلَ عَلَى الْحَيَاءِ ؛ لِمَا يَقْنَنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، اسْتَحْيَا مِنْ حَسَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا اسْتَحْيَا الْعَاصُونَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ) (٤) .

وقال بعضهم : (الْغَالِبُ عَلَى قُلُوبِ الْمُسْتَحْيِينَ : الْإِجْلَالُ وَالتَّعْظِيمُ دَائِمًا عِنْدَ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ) .

(١) أورده الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٤٦) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٩) ، وعزواه إلى أبي عثمان الحيري رحمه الله تعالى .

(٢) رواه البيهقي في « الشعب » (٧٣٥٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٩) ، وفي « الشعب » : (خشية) بدل (حشمة) ، وفي « الرسالة » : (وحشة) .

(٣) رواه القشيري في « رسالته » (ص ٤٨٩) .

(٤) أورده بنحوه الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٤٤٥) ، وعزاه إلى أبي أحمد القاضي رحمه الله تعالى ، والزمخشري في « ربيع الأبرار » (١٣٨/٢) ، وعزاه إلى إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى .

وَأَنْشَدَ شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو النَّجِيبِ الشُّهْرُورِيُّ^(١) : [من مجزوء الكامل]

أَشْتَأُقُهُ فَإِذَا بَدَا أَطْرَقْتُ مِنْ إِجْلَالِهِ
لَا خِيفَةَ بَلْ هَيَّيَّةً وَصِيَانَةً لِحِمَالِهِ^(٢)
الْمَوْتُ فِي إِذْبَارِهِ وَالْعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ
وَأَصْدُّ عَنْهُ إِذَا بَدَا وَأَرْوَمُ طَيْفَ خِيَالِهِ

ومنها :



الاتصال^(٣)

قَالَ الثَّوْرِيُّ : (الاتِّصَالُ : مُكَاشَفَاتُ الْقُلُوبِ ، وَمُشَاهَدَاتُ الْأَسْرَارِ)^(٤) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الاتِّصَالُ : وَصُولُ السِّرِّ إِلَى مَقَامِ الدُّهُولِ)^(٥) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (الاتِّصَالُ : أَلَّا يَشْهَدَ الْعَبْدُ غَيْرَ خَالِقِهِ ، وَلَا يَتَّصِلَ بِسِرِّهِ خَاطِرٌ لَغَيْرِ صَانِعِهِ)^(٦) .

(١) الأبيات في « مرآة الزمان » (١٧٧ / ١٨) من شعر عبد الواحد بن نصر البيغاء ، وعزا

العميدي في « الإبانة عن سرقات المتنبى » (ص ٤٥) البيتين الأول والثاني إلى معوج الرقي .

(٢) في (د) : (وصباية بجماله) .

(٣) الاتِّصَالُ : هو ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدي ، بقطع النظر عن تقيّد وجوده بعينه ، وإسقاط إضافته إليه ، فيرى اتِّصَالَ مدد الوجود ونفْسِ الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع ، حتى يبقى موجوداً به . من هامش (ح) .

(٤) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٧) .

(٥) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٧) ، وقال بعده : (معناه : أن يشغله تعظيم الله عن تعظيم سواه) .

(٦) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٧) ، وعزاه إلى بعض الكبار ، ولعلّ المراد به العلاج .

وقال سهل بن عبد الله : (حُرِّكُوا بالبلاءِ فَتَحَرَّكُوا ، وَلَوْ سَكُنُوا اتَّصَلُوا)^(١) .

وقال يحيى بن مُعَاذِ الرَازِي : (الْعُمَالُ أَرْبَعَةٌ : تَائِبٌ ، وَزَاهِدٌ ، وَمُشْتَأَقٌ ، وَوَاصِلٌ ؛ فَالتَّائِبُ مُحَجَّوْبٌ بِتَوْبَتِهِ ، وَالزَّاهِدُ مُحَجَّوْبٌ بِزَهْدِهِ ، وَالْمُشْتَأَقُ مُحَجَّوْبٌ بِحَالِهِ ، وَالوَاصِلُ لَا يَحْجُبُهُ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ) .

وقال أبو سعيد القُرَشِيُّ : (الْوَاصِلُ : الَّذِي يَصِلُهُ اللهُ تَعَالَى ، فَلَا يُخْشَى عَلَيْهِ الْقَطْعُ أَبَدًا ، وَالْمُتَّصِلُ : الَّذِي بِجُهِدِهِ يَتَّصِلُ ، وَكَلَّمَا دَنَا انْقَطَعَ) .

وكانَ هذا الَّذِي ذَكَرَهُ حَالُ الْمُرِيدِ وَالْمُرَادِ ؛ لَكُونِ أَحَدِهِمَا مُبَادَأً بِالْكَشُوفِ ، وَكَوْنِ الْآخَرِ مُرَدُوداً إِلَى الْاجْتِهَادِ .

وقال أبو يزيد : (الْوَاصِلُونَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ : هَمْزُهُمُ اللهُ ، وَشُغْلُهُمْ فِي اللهِ ، وَرَجُوعُهُمْ إِلَى اللهِ) .

وقال السَّيَّارِيُّ : (الْوُصُولُ مَقَامٌ جَلِيلٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَنْ يُوصِلَهُ اخْتَصَرَ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَقَرَّبَ إِلَيْهِ الْبَعِيدَ) .

وقال الجُنَيْدُ : (الْوَاصِلُ : هُوَ الْحَاصِلُ عِنْدَ رَبِّهِ) .

وقال رُوَيْمٌ : (أَهْلُ الْوُصُولِ أَوْصَلَ اللهُ إِلَيْهِمْ قُلُوبَهُمْ ؛ فَهُمْ مُحْفُوظُونَ الْقَوَى ، مَمْنُوعُونَ مِنَ الْخَلْقِ أَبَدًا) .

(١) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٢٨) .

وقال ذو النُّونِ : (ما رَجَعَ مَنْ رَجَعَ إِلَّا مِنَ الطَّرِيقِ ، وما وَصَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ فَرَجَعَ عَنْهُ) (١) .

واعلَمَ : أَنَّ الاتِّصَالَ والمُواصَلَةَ أَشارَ إِلَيْهِ الشُّيُوخُ ، وَكُلُّ مَنْ وَصَلَ إِلَى صَفْوِ اليَقِينِ بِطَرِيقِ الذَّوْقِ والوَجْدانِ . . فَهُوَ فِي رُتْبَةٍ مِنَ الوُصُولِ ، ثُمَّ يَتَفَاوَتُونَ .

فَمِنْهُمْ : مَنْ يَجِدُ اللَّهَ بِطَرِيقِ الأَفْعَالِ ، وَهُوَ رُتْبَةٌ فِي التَّجَلِّيِ ، فَيَفْنَى فَعْلُهُ وَفَعْلُ غَيْرِهِ ؛ لَوْ قُوفِهِ مَعَ فَعْلِ اللَّهِ ، وَيُخْرَجُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنَ التَّدْبِيرِ والاختيارِ ، وَهَذِهِ رُتْبَةٌ فِي الوُصُولِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ يُوقِفُ فِي مَقامِ الهَيْبَةِ والأُنْسِ بما يُكاشِفُ قَلْبُهُ بِهِ مِنْ مُطالَعَةِ الجلالِ والجمالِ ، وَهَذَا تَجَلٍّ بِطَرِيقِ الصِّفَاتِ ، وَهُوَ رُتْبَةٌ فِي الوُصُولِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ يُرْفَى إِلَى مَقامِ الفناءِ ، مُشْتَمِلًا عَلَى باطنِهِ أنوارِ اليَقِينِ والمُشاهَدَةِ ، مُغَيَّبًا فِي شَهِودِهِ عَنْ وَجُودِهِ ، وَهَذَا ضَرْبٌ مِنْ تَجَلِّيِ الذَّاتِ لخواصِّ المُقَرَّبِينَ ، وَهَذَا رُتْبَةٌ فِي الوُصُولِ .

وَفَوْقَ هَذَا حَقُّ اليَقِينِ ، وَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا لِلخواصِّ لَمَحٌّ ؛ وَهُوَ سَرِيانُ نُورِ المُشاهَدَةِ فِي كُلِّيةِ العَبْدِ ، حَتَّى يَحْظِيَ بِهِ رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَنَفْسُهُ حَتَّى قَالَبَهُ ، وَهَذَا مِنْ أَعْلَى رُتَبِ الوُصُولِ .

وَإِذَا تَحَقَّقَتِ الحَقائِقُ يَعْلَمُ العَبْدُ مَعَ هَذِهِ الأَحْوالِ الشَّرِيفَةِ أَنَّهُ بَعْدُ فِي

(١) رواه البيهقي في « الزهد الكبير » (٦٧) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦١ / ٩) ، وأورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤٩) عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى .

أَوَّلِ الْمَنْزِلِ ، فَأَيْنَ الْوَصُولُ ؟ ! هِيَهَاتَ !! مَنَازِلُ طَرِيقِ الْوَصُولِ لَا تُقَطَعُ أَبَدَ
الْآبَادِ فِي عُمُرِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيِّ ، فَكَيْفَ فِي الْعُمُرِ الْقَصِيرِ الدُّنْيَاوِيِّ ؟ !
ومنها :

القبض والبسط

وهما حالان شريفان ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

وقد تَكَلَّمَ فِيهِمَا الشُّيُوخُ ، وَأَشَارُوا بِإِشَارَاتٍ هِيَ عِلَامَاتُ الْقَبْضِ
وَالْبَسْطِ ، وَلَمْ أَجِدْ كَشْفًا عَنْ حَقِيقَتِهِمَا ؛ لِأَنَّهُمْ اِكْتَفَوْا بِالْإِشَارَةِ ، وَالْإِشَارَةُ
تُقْنَعُ الْأَهْلَ .

وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشْبَعَ الْكَلَامَ فِيهِمَا ؛ لَعَلَّهُ يَتَشَوَّفُ إِلَى ذَلِكَ طَالِبٌ وَيُحِبُّ
بَسْطَ الْقَوْلِ فِيهِ .

وَاعْلَمْ : أَنَّ الْقَبْضَ وَالْبَسْطَ لَهُمَا مَوْسِمٌ مَعْلُومٌ وَوَقْتُ مَحْتَمٌ ؛ لَا يَكُونَانِ
قَبْلَهُ ، وَلَا يَكُونَانِ بَعْدَهُ .

وَوَقْتُهُمَا وَمَوْسِمُهُمَا : فِي أَوَائِلِ حَالِ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ ، لَا فِي نَهَايَتِهَا ،
وَلَا قَبْلَ حَالِ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ ، فَمَنْ هُوَ فِي مَقَامِ الْمَحَبَّةِ الْعَامَّةِ الثَّابِتَةِ بِحُكْمِ
الْإِيمَانِ . . لَا يَكُونُ لَهُ قَبْضٌ وَلَا بَسْطٌ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لَهُ خَوْفٌ وَرَجَاءٌ .

وَقَدْ يَجِدُ شِبْهَ حَالِ الْقَبْضِ وَشِبْهَ حَالِ الْبَسْطِ وَيَظُنُّ ذَلِكَ قَبْضًا وَبَسْطًا ،
وَلَيْسَ هُوَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ هَمٌّ يَعْتَرِيهِ فَيَظُنُّهُ قَبْضًا ، وَاهْتِرَازُ نَفْسَانِيٍّ وَنَشَاطٌ
طَبِيعِيٌّ فَيَظُنُّهُ بَسْطًا ، وَالْهَمُّ وَالنَّشَاطُ يَصْدُرَانِ مِنْ مَحَلِّ النَّفْسِ وَمِنْ
جَوْهَرِهَا ؛ لِبَقَاءِ صِفَاتِهَا ، وَمَا دَامَتْ صِفَةُ الْأَمَارِيَّةِ فِيهَا بَقِيَّةٌ عَلَى النَّفْسِ . .

يكون منها الاهتزاز والنشاط والهم ، والهم وهج [شاخوز] النفس^(١) ،
والنشاط ارتفاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع .

فإذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة . . يصير ذا
حال ، وذا قلب ، وذا نفس لوامة ، ويتناوب القبض والبسط فيه عند ذلك ؛
لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الإيقان وحال المحبة الخاصة ، فيقبضه
الحق تارة ويسطه أخرى .

قال الواسطي : (يقبضك عما لك ، ويسطك فيما له)^(٢) .

وقال الثوري : (يقبضك بإياه ، ويسطك لإياه)^(٣) .

واعلم : أن وجود القبض لظهور صفة النفس وغلبتها ، وظهور البسط
لظهور صفة القلب وغلبته ، والنفس ما دامت لوامة فتارة مغلوبة ، وتارة
غالبة ، والقبض والبسط باعتبار ذلك منها .

وصاحب القلب تحت حجاب نوراني ؛ لوجود قلبه ، كما أن صاحب
النفس تحت حجاب ظلمياني ؛ لوجود نفسه ، فإذا ارتقى من القلب وخرج
من حجابيه . . لا يقيده الحال ولا يتصرف فيه ، فيخرج من تصرف القبض
والبسط حينئذ ، فلا يقبض ولا يسط ما دام متخلصاً من الوجود الثوراني

(١) الوهج في الأصل : حر النار ، وفي النسخ : (شاخور) بدل (شاخوز) ، والشاخوز :
لعله مأخوذ من الشخز ؛ وهو الاضطراب ، والله تعالى أعلم ، وقد فسّر في هامش (ح)
بذلك .

(٢) أورده السلمي في « تفسيره » (٧٤ / ١) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار »
(ص ٣٨٣) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٧٤ / ١) .

الذي هو القلب ، ومُتحققاً بالقربِ مِنْ غيرِ حجابِ النَّفسِ والقلبِ .

فإذا عادَ إلى الوجودِ مِنَ الفناءِ والبقاءِ . . يعودُ إلى الوجودِ الثُّورانيِّ الذي هو القلبُ ، فيعودُ القبضُ والبسطُ إليه عندَ ذلكَ ، ومهما تَخَلَّصَ إلى الفناءِ والبقاءِ . . فلا قبضَ ولا بسطَ .

قالَ فارسٌ : (أَوَّلًا القبضُ ، ثُمَّ البسطُ ، ثُمَّ لا قبضَ ولا بسطَ)^(١) ؛ لأنَّ القبضَ والبسطَ يقَعانِ في الوجودِ ، فأَمَّا معَ الفناءِ والبقاءِ فلا^(٢) .

ثمَّ إِنَّ القبضَ قد يكونُ عقوبةَ الإفراطِ في البسطِ ؛ وذلكَ أَنَّ الواردَ مِنَ اللهِ تعالى يَرِدُ على القلبِ ، فيمتلئُ القلبُ منه رَوْحاً وفَرَحاً واستبشاراً ، فتسترقُّ النَّفسُ السَّمعَ عندَ ذلكَ وتأخذُ بنصييها ، فإذا وَصَلَ أثرُ الواردِ إلى النَّفسِ . . طَغَتْ بطبعِها ، وأفرطَتْ في البسطِ ، حتى يُشاكِلُ البسطُ نشاطاً ، فيُقابِلُ بالقبضِ عقوبةً .

وكلُّ القبضِ إذا فُتِّشَ لا يكونُ إلا مِنْ حركةِ النَّفسِ وظهورِها بصفتيها ، ولو تَأَدَّبَتِ النَّفسُ وَعَدَلَتْ ، ولم تَجْرِ بالطُّغيانِ تارةً وبالعِصيانِ أُخْرَى . . ما وَجَدَ صاحبُ القلبِ القبضَ ، ودامَ رَوْحُهُ وَأُنْسُهُ ، ورعايةُ الاعتدالِ الذي يَسُدُّ بابَ القبضِ . . مُتَلَقَّي مِنْ قَوْلِهِ تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٣] .

فواردُ الفَرَحِ ما دامَ موقوفاً على الرُّوحِ والقلبِ . . لا يَكُفُّ ،

(١) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٨٣) .

(٢) أي : فلا يقع القبض والبسط في الفناء والبقاء . من هامش (ح) .

ولا يستوجبُ صاحبهُ القبضُ ، سيّما إذا لَطَفَ الفرحُ بالواردِ بالإيواءِ إلى الله تعالى ، وإذا لم يَلْتَجِئْ بالإيواءِ إلى الله . تطلَّعتِ النَّفْسُ وأخذتْ حظَّها مِنَ الفرحِ ، وهوَ الفَرَحُ بما أُوتِيَ الممنوعُ منه ، فَمِنْ ذلكَ القبضُ في بعضِ الأحيانِ ، وهذا مِنْ أَلْطَفِ الذُّنُوبِ الْمُوجِبَةِ للقبضِ ، وفي النَّفْسِ مِنْ حركاتِها وصفاتِها وَثَبَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ مُوجِبَةٌ للقبضِ .

ثمَّ الخوفُ والرجاءُ لا يَعدَمُهُما صاحِبُ القبضِ والبسطِ ، ولا صاحِبُ الأنسِ والهَيِّيةِ ؛ لأنَّهُما مِنْ ضرورةِ الإيمانِ ، فلا يَنعَدِمَانِ ، وأَمَّا القبضُ والبسطُ فيَنعَدِمَانِ عِنْدَ صاحِبِ الإيمانِ ؛ لِنُقْصَانِ الحِظِّ مِنَ القلبِ ، وعِنْدَ صاحِبِ الفناءِ والبقاءِ والقُرْبِ ؛ لِتَخْلُصِهِ مِنَ القلبِ .

وقد يَرُدُّ على الباطنِ قبضٌ وبسطٌ ولا يُعْلَمُ سببُهُما ، ولا يخفى سببُ القبضِ والبسطِ إلا على قليلِ الحِظِّ مِنَ العلمِ الذي لم يُحْكَمْ عِلْمُ الحالِ ولا عِلْمُ المَقامِ ، وَمَنْ أَحْكَمَ عِلْمَ الحالِ وعِلْمَ المَقامِ . لا يخفى عليه سببُ القبضِ والبسطِ ، وربَّما كما كانَ يَشْتَبُهْ عليه سببُ القبضِ والبسطِ . . يَشْتَبُهْ عليه الهمُّ بالقبضِ والنشاطُ بالبسطِ ، وإنَّما عِلْمُ ذلكَ لِمَنْ استقامَ قلبُهُ .

وَمَنْ عَدِمَ القبضَ والبسطَ وارتقى منهما . فنَفْسُهُ مُطْمَئِنَّةٌ ، لا يَنقَدِحُ مِنْ جَوهَرِها نارٌ تُوجِبُ القبضَ ، ولا يَتَلَاطَمُ بِحَرٍّ طَبِيعِها مِنْ أَهْوِيَةِ الهوى حتى يَظْهَرَ مِنْهُ البسطُ^(١) ، وربَّما صارَ لِمِثْلِ هَذَا القبضِ والبسطِ في نَفْسِهِ لا مِنْ نَفْسِهِ ، تَكُونُ نَفْسُهُ الْمُطْمَئِنَّةُ بِطَبِيعِ القلبِ ، فيَجري القبضُ والبسطُ في نَفْسِهِ

(١) قوله : (أهوية) كذا في النسخ ، وقد نقلت سابقاً في (٢٦٩ / ١) أنَّ قياسه (أهواء) ، وأنَّ (أهوية) جمع (هواء) .

المُطْمِئِنَّة وما لقلبه قبضٌ ولا بسطٌ ؛ لأنَّ القلبَ مُتَحَصِّنٌ بِشُعَاعِ نورِ الرُّوحِ ،
مُسْتَقَرٌّ فِي دَعَةِ القُرْبِ ، فلا قبضَ ولا بسطَ .

ومنها :

الفناء والبقاء

فقد قيلَ : الفناءُ : أنْ تَفْنَى عَنْهُ الحِظْوُظُ ؛ فلا يكونُ لَهُ في شيءٍ حِظٌّ ؛
بل يَفْنَى عَنِ الأشياءِ كُلِّهَا شُغْلًا بِمَنْ فَنِيَ بِهِ ^(١) ، وقد قالَ عامرُ بنُ عبدِ اللهِ :
(ما أبالي امرأةٌ رأيتُ أمَ حائِطاً) ^(٢) .

ويكونُ محفوظاً فيما لله عليه ، مصروفاً عن جميعِ المُخَالَفاتِ .
والبقاءُ يَعْقِبُهُ ؛ وهو أنْ يَفْنَى عَمَّا لَهُ وَيَبْقَى بِمَا لله ^(٣) .

وقيلَ : الباقي : أنْ تَصِيرَ الأشياءُ كُلُّهَا لَهُ شيئاً واحداً ؛ فتكونُ كُلُّ
حركاتِهِ في مُوَافَقَةِ الحقِّ دُونَ مُخَالَفَتِهِ ، فيكونُ فانياً عَنِ المُخَالَفاتِ ، باقياً
في المُوَافَقَاتِ ^(٤) .

وعندي : أنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ هَذَا القَائِلُ هُوَ مَقَامُ صِحَّةِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ ،
وَلَيْسَ مِنَ الفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ بشيءٍ .

وَمِنَ الإِشَارَةِ إِلَى الفَنَاءِ : مَا رَوَى أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

(١) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤٢) .

(٢) رواه أحمد في « الزهد » (١٢٣٣) ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٦٦ / ٨) من كلام
معروف الكرخي رحمه الله تعالى .

(٣) انظر « التعرف » (ص ١٤٣) .

(٤) هو من كلام الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤٣) .

سَلَّمَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ وَهُوَ فِي الطَّوَافِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ ، فَشَكَاهُ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : كُنَّا نَتَرَاءَى اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ (١) .

وَقِيلَ : الْفَنَاءُ : هُوَ الْغَيْبَةُ عَنِ الْأَشْيَاءِ ، كَمَا كَانَ فَنَاءُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ (٢) .

وَقَالَ الْخَرَّازُ : (الْفَنَاءُ : هُوَ التَّلَاشِي بِالْحَقِّ ، وَالْبَقَاءُ : هُوَ الْحَضُورُ مَعَ الْحَقِّ) (٣) .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ : (الْفَنَاءُ : اسْتَعْجَامُ الْكُلِّ عَنْ أَوْصَافِك ، وَاشْتِغَالُ الْكُلِّ مِنْكَ بِكُلِّيَّتِهِ) (٤) .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ : (عِلْمُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ يَدُورُ عَلَى إِخْلَاصِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَصَحَّةِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَمَا كَانَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ الْمَغَالِيطُ وَالزَّنْدَقَةُ) (٥) .

وَسُئِلَ الْخَرَّازُ : مَا عَلَامَةُ الْفَانِي ؟ قَالَ : عَلَامَةُ مَنْ ادَّعَى الْفَنَاءَ : ذَهَابُ حَظِّهِ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى (٦) .

(١) رَوَاهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي « أَدَبِ النَّفْسِ » (ص ١٠٥) ، وَأُورِدَهُ الْكَلَابَازِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٤٤) .

(٢) هُوَ مِنْ كَلَامِ الْكَلَابَازِيِّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٤٤) .

(٣) وَقِيلَ : إِنَّ الْخَرَّازَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ فِي عِلْمِ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ . انْظُرْ « طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٢٢٨) ، وَ« مَنَاقِبُ الْأَبْرَارِ » (ص ٤٧٧) .

(٤) أُورِدَهُ أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجُ فِي « اللَّمَعِ » (ص ٢٨٥) .

(٥) رَوَاهُ السَّلْمِيُّ فِي « طَبَقَاتُ الصُّوفِيَّةِ » (ص ٤٠٤) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٢٠٩) ، وَبَنَحُوهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (١٠ / ٣٦١) .

(٦) أُورِدَهُ الْكَلَابَازِيُّ فِي « التَّعْرِفِ » (ص ١٤٤) ، وَالْخُرَكُوشِيُّ فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ » (ص ٣٨٤) ، وَزَادَا وَاللَّفْظَ لِلْكَلابَازِيِّ : ثُمَّ يَبْدُو بِإِدِّ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُتْرِكُهُ ذَهَابًا =

وقال أبو سعيد الخَرَّازُ : (أهلُ الفناءِ في الفناءِ صحَّتهمُ أنْ يصحبَهُم علمُ البقاءِ ، وأهلُ البقاءِ في البقاءِ صحَّتهمُ أنْ يصحبَهُم علمُ الفناءِ)^(١) .

واعلمُ : أنَّ أقاويلَ الشُّيوخِ في الفناءِ والبقاءِ كثيرةٌ ؛ فبعضُها إشارةٌ إلى فناءِ المُخالفاتِ وبقاءِ المُوافقاتِ ، وهذا تقتضيه التوبةُ النصوحُ ، فهو ثابتٌ بوصفِ التوبةِ .

وبعضُها يُشيرُ : إلى زوالِ الرِّغبةِ والحِرْصِ والأملِ ، وهذا يقتضيه الزهدُ .
وبعضُها إشارةٌ : إلى فناءِ الأوصافِ المذمومةِ وبقاءِ الأوصافِ المحمودةِ ، وهذا تقتضيه تركيةُ النَّفسِ .

وبعضُها إشارةٌ : إلى حقيقةِ الفناءِ المُطلقِ ، وكلُّ هذه الإشاراتِ فيها معنى الفناءِ مِنْ وجهٍ ، ولكنَّ الفناءَ المُطلقَ هوَ ما يستولي مِنْ أمرِ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالى على العبدِ ، فيَغْلِبُ كَوْنَ الحقِّ سُبْحانَهُ وتعالى على كَوْنِ العبدِ ، وهو ينقسمُ إلى فناءٍ ظاهرٍ ، وفناءٍ باطنٍ .

فأمَّا الفناءُ الظاهرُ : فهوَ أنْ يتجلَّى الحقُّ سُبْحانَهُ وتعالى بطريقِ الأفعالِ ، ويسْلُبَ عن العبدِ اختيارَهُ وإرادَتَهُ ، فلا يرى لِنَفْسِهِ ولغيرِهِ فعلاً إلا بالحقِّ ، ثمَّ يأخذُهُ في المُعاملةِ معَ اللهِ تعالى بحَسَبِهِ ؛ حتى سمعتُ أنْ بعضَ مَنْ أُقيِمَ في هذا المقامِ مِنَ الفناءِ كانَ يبقَى أيَّاماً لا يتناولُ الطعامَ والشرابَ حتى يتجرَّدَ

= حظُّهُ من اللهِ تعالى إجلالاً لهُ ، ثمَّ يبدو له بادٍ من اللهِ تعالى فيُريهِ ذهابَ حظِّهِ من رؤيةِ ذهابِ حظِّهِ ، ويبقى رؤيةَ ما كانَ من اللهِ ، ويتفرَّدُ الواحدُ الصمدُ في أَحَدِيَّتِهِ ، فلا يكونُ لغيرِ اللهِ معَ اللهِ فناءٌ ولا بقاءٌ .

(١) علمُ البقاءِ : علمُ الشرعِ ، وعلمُ الفناءِ : علمُ التوحيدِ . من هامش (ج) .

لَهُ فَعَلَ اللهُ فِيهِ ، وَيُقَيِّضُ اللهُ تَعَالَى لَهُ مَنْ يُطْعِمُهُ وَيَسْقِيهِ كَيْفَ شَاءَ وَأَحَبُّ^(١) ، وَهَذَا لَعَمْرِي فَنَاءٌ ؛ لِأَنَّهُ فَنِيَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْغَيْرِ ؛ نَظَرًا إِلَى فَعَلِ اللهِ تَعَالَى بِفَنَاءِ فَعَلٍ غَيْرِ اللهِ .

وَالْفَنَاءُ الْبَاطِنُ : أَنْ يُكَاشَفَ تَارَةً بِالصِّفَاتِ ، وَتَارَةً بِمُشَاهَدَةِ آثَارِ عَظَمَةِ الْذَاتِ ، فَيَسْتَوْلِي عَلَى بَاطِنِهِ أَمْرُ الْحَقِّ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُ هَاجِسٌ وَلَا وَسْوَاسٌ .

وَلَيْسَ مِنْ ضَرُورَةِ الْفَنَاءِ أَنْ يَغِيبَ إِحْسَاسُهُ ، وَقَدْ يَتَّفَقُ غَيْبَةُ الْإِحْسَاسِ لِبَعْضِ الْأَشْخَاصِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ ضَرُورَةِ الْفَنَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَقَدْ سَأَلْتُ الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ الْبَصْرِيِّ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ يَكُونُ بَقَاءُ الْمُتَخَيَّلَاتِ فِي السِّرِّ وَوُجُودُ الْوَسَاوِسِ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ ؟ وَكَانَ عِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ ، فَقَالَ لِي : هَذَا يَكُونُ فِي مَقَامِ الْفَنَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ هَلْ هُوَ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ أَمْ لَا .

ثُمَّ ذَكَرَ حِكَايَةَ مُسْلِمٍ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَوَقَعَتْ أُسْطُوَانَةٌ فِي الْجَامِعِ انْزَعَجَ لَهْدَّتِهَا أَهْلُ الْأَسْوَاقِ ، فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ ، فَرَأَوْهُ فِي الصَّلَاةِ وَلَمْ يَحْسَ بِالْأُسْطُوَانَةِ وَوَقْعِهَا^(٢) .

فَهَذَا هُوَ الْاسْتِغْرَاقُ وَالْفَنَاءُ بَاطِنًا .

ثُمَّ قَدْ يَتَّسَعُ وَعَاؤُهُ ؛ حَتَّى لَعَلَّهُ يَكُونُ مُتَحَقِّقًا بِالْفَنَاءِ وَمَعْنَاهُ رُوحًا وَقَلْبًا ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ كُلِّ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ وَفَعَلٍ .

(١) انظر ما تقدم في (٤٤٦/١ - ٤٥١) .

(٢) سبق تخريجها في (١٧٣/٢ - ١٧٤) .

ويكون من أقسام الفناء : أن يكون في كل فعلٍ وقولٍ مرجعُهُ إلى الله سبحانه ، وينتظر الإذن في كُلِّياتِ أمورِهِ ؛ ليكون في الأشياءِ باللهِ لا بنفسِهِ .

فتاركُ الاختيارِ مُنتظراً لفعلِ الحقِّ فإن ، وصاحبُ الانتظارِ لإذنِ الحقِّ في كُلِّياتِ أمورِهِ . راجعُ إلى الله سبحانه بباطنِهِ في جُزئياتِها فإن ، ومن مَلَكَةِ الله اختيارَهُ وأُطْلِقَهُ في التصرُّفِ ؛ يختارُ كيفَ شاءَ وأرادَ ، لا مُنتظراً للفعلِ ، ولا مُنتظراً للإذنِ . هو باقٍ ، والباقي في مقامٍ لا يحجُبُهُ الحقُّ عن الخلقِ ، ولا الخلقُ عن الحقِّ ، والفاني محجوبٌ بالحقِّ عن الخلقِ .

والفناء الظاهرُ لأربابِ القلوبِ والأحوالِ ، والفناء الباطنُ لمن أُطْلِقَ عن وثاقِ الأحوالِ ، وصارَ باللهِ لا بالأحوالِ ، وخَرَجَ مِنَ القلبِ فصارَ مع مُقْلَبِهِ لا مع قلبِهِ ، طُوبَى لَهُ ، طُوبَى لَهُ^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلة) .

الباب الثاني وستون

في شرح كلمات مشيرة إلى

بعض الأحوال من اصطلاح الصوفية

(١٤٦) - أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي ابن سلمان إجازة^(١) ، قال : أخبرنا أبو الفضل حمد بن أحمد ، قال : أخبرنا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ، قال : حدثنا محمد بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو مسلم الكشي ، قال : حدثنا مسور بن عيسى ، قال : حدثنا القاسم بن يحيى ، قال : حدثنا ياسين الزيات ، عن أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِنْ مَعَادِنِ التَّقْوَى تَعَلُّمَكَ إِلَى مَا قَدْ عَلِمْتَ عِلْمَ مَا لَمْ تَعْلَمْ ، وَالنَّقْصُ فِيمَا عَلِمْتَ قِلَّةُ الزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا يُزْهَدُ الرَّجُلُ فِي عِلْمٍ مَا لَمْ يَعْلَمْ قِلَّةُ الْإِنْتِفَاعِ بِمَا قَدْ عِلِمَ »^(٢) .

فمشايخ الصوفية أحكموا أساس التقوى ، وتعلموا العلم لله تعالى ، وعملوا بما علموا لموضع تقواهم ، فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا من

(١) سقط التصريح بالإجازة من (أ ، ج ، هـ) .

(٢) رواه من طريق أبي مسلم الكشي أبو نعيم في « رياضة الأبدان » كما في « الغنية » (٨٩١ / ٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٤٩٢) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٥٨٠) ، ومن طريق أبي نعيم تلميذه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٤٣١ / ١) ، وانظر « العلل المتناهية » (٨٥ / ١ - ٨٦) .

غرائب العلوم ودقيق الإشارات ، واستنبطوا مِنْ كلامِ الله تعالى غرائب العلوم وعجائب الأسرار ، وترسَّخَ قَدَمُهُمْ فِي الْعِلْمِ .

قال أبو سعيد الخَرَّازُ : (أَوَّلُ الْفَهْمِ لِكَلَامِ اللَّهِ : الْعَمَلُ بِهِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ الْعِلْمَ وَالْفَهْمَ وَالِاسْتِنْبَاطَ ، وَأَوَّلُ الْفَهْمِ : إِقَاءُ السَّمْعِ وَالْمُشَاهَدَةُ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧])^(١) .

وقال أبو بكرٍ الواسِطِيُّ : (الراسخون في العلم : هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيبِ الغيبِ ، وفي سِرِّ السِّرِّ ، فعرفَهم ما عَرَفَهم ، وأرادَ منهم مِنْ مُقتضى الآياتِ ما لم يُردِّ مِنْ غيرِهِمْ ، وخاضوا بحرَ العلمِ بالفهمِ لطلبِ الزِّياداتِ ، فانكشفَ لَهُمْ مِنْ مَذْخُورِ الخَزَائِنِ والمخزونِ تحتَ كُلِّ حرفٍ وآيةٍ مِنَ الْفَهْمِ وعجائبِ النصِّ ، فاستخرجوا الدَّرَرَ والجواهرَ ، ونطقوا بِالْحِكْمَةِ)^(٢) .

وقد وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ الْغُرَّةِ بِاللَّهِ »^(٣) .

(١) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ١١٣) .

(٢) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ١١٣) ، والسلمي في « تفسيره » (٨٧ / ١) .

(٣) رواه السلمي في « الأربعين في التصوف » (ص ١٣) ، والدلمي في « الفردوس » (٨٠٢) ، والغُرَّة : الغفلة .

(١٤٧) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً^(١) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلْفٍ إِجَازَةً^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّضْرَابَادِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ ابْنَ عَائِشَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْقُرَشِيَّ يَقُولُ : (هِيَ أَسْرَارُ اللَّهِ تَعَالَى يُبْدِيهَا إِلَى أَمَنَاءِ أَوْلِيَائِهِ وَسَادَاتِ النَّبَلَاءِ مِنْ غَيْرِ سَمَاعٍ وَلَا دَرَسَةٍ ، وَهِيَ مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ)^(٣) .

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ : (لِلْعَارِفِينَ خَزَائِنُ أَوْدَعُوهَا عُلُومًا غَرِيبَةً وَأَنْبَاءً عَجِيبَةً ، يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِلِسَانِ الْأَبَدِيَّةِ ، وَيُخْبِرُونَ عَنْهَا بِعِبَارَةِ الْأَزَلِيَّةِ ، وَهُوَ مِنَ الْعِلْمِ الْمَجْهُولِ)^(٤) .

فَقَوْلُهُ : (بِلِسَانِ الْأَبَدِيَّةِ) وَ(عِبَارَةِ الْأَزَلِيَّةِ) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ بِاللَّهِ يَنْطِقُونَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « بِي يَنْطِقُ »^(٥) ، وَهُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ فِي حَقِّ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

فِمِمَّا تَدَاوَلَتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ مِنَ الْكَلِمَاتِ تَفْهِيمًا مِنْ بَعْضِهِمْ لِلْبَعْضِ ، وَإِشَارَةً مِنْهُمْ إِلَى أَحْوَالِ يَجِدُونَهَا ، وَمَعَامِلَاتٍ قَلْبِيَّةٍ يَعْرِفُونَهَا . . قَوْلُهُمْ :

(١) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ .

(٢) سقط التصريح بالإجازة من بعض النسخ .

(٣) قوله : (هي) ؛ أي : العلوم التي هي كهيئة المكنون .

(٤) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٢٣٢) ، ومن طريقه أبو نعيم في « الحلية » (٢٤٧ / ١٠) .

(٥) سبق تخريجه في (٣٢١ / ١) .

قيل : أصل الجمع والتفرقة : قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ ، فهذا جمعٌ ، ثمَّ فَرَّقَ فقال : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ جمعٌ ، ثمَّ فَرَّقَ بقوله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

والجمعُ أصلٌ ، والتفرقةُ فرعٌ ؛ فكلُّ جمعٍ بلا تفرقةٍ زندقَةٌ ، وكلُّ تفرقةٍ بلا جمعٍ تعطيلٌ^(١) .

وقال الجُنَيْدُ : (القُرْبُ بالوجدِ جمعٌ ، وَغَيْبَتُهُ فِي الْبَشَرِيَّةِ تَفَرُّقَةٌ)^(٢) .

وقيلَ : جَمَعَهُمْ فِي الْمَعْرِفَةِ ، وَفَرَّقَهُمْ فِي الْأَحْوَالِ^(٣) .

والجمعُ اتِّصَالٌ لَا يُشَاهِدُ صَاحِبُهُ إِلَّا الْحَقَّ ، فمَتَى شَهِدَ غَيْرَهُ فَمَا جَمَعَ ، وَالتَّفَرُّقَةُ شَهَادَةُ لِمَنْ شَهِدَ بِالْمُبَايَنَةِ^(٤) .

وعباراتهم في ذلك كثيرةٌ .

والمقصودُ : أَنَّهُمْ أَشَارُوا بِالْجَمْعِ : إِلَى تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ ، وَأَشَارُوا بِالتَّفَرُّقَةِ : إِلَى الْاِكْتِسَابِ ؛ فَعَلَى هَذَا : لَا جَمْعٌ إِلَّا بِتَفَرُّقَةٍ .

ويقولونَ : (فَلَانٌ فِي عَيْنِ الْجَمْعِ) ؛ يَعْنُونَ : اسْتِيْلَاءَ مُرَاقِبَةِ الْحَقِّ عَلَى

(١) الكلام لأبي نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٨٣) .

(٢) رواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ١٥٧) ، وأورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٨٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٨٠) .

(٣) أورده الخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٨٠) عن الأبهري رحمه الله تعالى .

(٤) في (ب ، د ، هـ ، ي) : (لمن شاء) بدل (لمن شاهد) .

باطنِه ، فإذا عادَ إلى شيءٍ مِنْ أَعْمَالِهِ . . عادَ إلى التفرقة ؛ فصَحَّةُ الجمعِ
بالتفرقة ، وصَحَّةُ التفرقة بالجمع ، وهذا يرجعُ حاصلُهُ : إلى أنَّ الجمعَ مِنَ
العلمِ باللهِ ، والتفرقة مِنَ العلمِ بأمرِ اللهِ ، ولا بُدَّ مِنْهُمَا جميعاً .

قالَ الْمُزَيْنُ : (الجمعُ : عينُ الفناءِ باللهِ ، والتفرقةُ : العبوديَّةُ مُتَّصِلُ
بعضُها بالبعضِ) (١) .

وقد غَلِطَ قَوْمٌ وادَّعَوْا أَنَّهُمْ في عينِ الجمعِ ، وأشاروا إلى صِرْفِ
التوحيدِ ، وعَطَّلُوا الاكتسابَ ، فَتَزَنَّدَقُوا ، وَإِنَّمَا الجمعُ حُكْمُ الرُّوحِ ،
والتفرقةُ حُكْمُ القالِبِ ، وما دامَ هذا التركيبُ باقياً فلا بُدَّ مِنَ الجمعِ
والتفرقة .

وقالَ الواسطيُّ : (إذا نظرتَ إلى نَفْسِكَ فَرَّقْتَ ، وإذا نظرتَ إلى رَبِّكَ
جمعتَ ، وإذا كنتَ قائماً بغيرِكَ فَأنتَ فإنِ بلا جمعٍ ولا تفرقة) (٢) .

وقيلَ : (جمعَهُمْ بذاتِهِ ، وفَرَّقَهُمْ في صفاتِهِ) .

وقد يُريدونَ بالجمعِ والتفرقة : أَنَّهُ إذا أثبتَ لِنَفْسِهِ كَسْباً ونَظَرًا إلى
أَعْمَالِهِ . . فهوَ في التفرقة ، وإذا أثبتَ الأشياءَ بالحقِّ . . فهوَ في الجمعِ .

ومجموعُ الإشاراتِ تُنبئُ : أنَّ الكونَ يُفَرِّقُ ، والمُكوَّنَ يجمعُ ، فَمَنْ
أَفردَ المُكوَّنَ جَمَعَ ، وَمَنْ نَظَرَ إلى الكونِ فَرَّقَ ؛ فالتفرقةُ عبوديَّةٌ ، والجمعُ
توحيدٌ .

(١) أوردته الخرکوشي في « تهذيب الأسرار » (ص ٣٧٩) .

(٢) أوردته أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٢٨٤) ، والخرکوشي في « تهذيب الأسرار »
(ص ٣٨٠) ، وفيهما : (فأنت ميت) بدل (فأنت فان) .

فإذا أثبت طاعاته نظراً إلى كسبه . . فَرَّقَ ، وإذا أثبتّها بالله جَمَعَ ، وإذا تحقّق بالفناء فهو جمعُ الجمعِ .

ويمكن أن يُقال : رؤية الأفعال تفرقة ، ورؤية الصفات جمع ، ورؤية الذات جمعُ الجمعِ .

سُئِلَ بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام ، فقال : أُفْنِي موسى عن موسى ، فلم يكن لموسى خبرٌ من موسى ، ثمَّ كَلَّمَ ، فكان المُكَلَّمُ والمُكَلَّمُ هو ، وكيف كان يُطِيقُ موسى حملَ الخطابِ وردَّ الجوابِ لولا بَيَّاهُ سَمِعَ ؟!

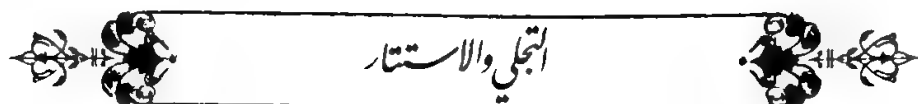
معنى هذا : أنَّ الله تعالى مَنَحَهُ قُوَّةً ، بتلك القُوَّةِ سَمِعَ ، ولولا تلك القُوَّةُ ما قَدَرَ على السمعِ .
ثمَّ أَنشَدَ القائلُ مُثَمِّلاً :

[من الكامل]

وَبَدَا لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أُنْذِمَلَ الْهَوَى	بَرْقٌ تَأَلَّقَ مَوْهِنًا لَمَعَانُهُ
يَبْدُو كَحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ وَدُونَهُ	صَعْبُ الذُّرَا مُتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ
فَبَدَا لِيَنْظُرَ كَيْفَ لَاحَ فَلَمْ يُطِقْ	نَظْرًا إِلَيْهِ وَرَدَّهُ أَشْجَانُهُ
فَالنَّارُ مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ	وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ ^(١)

(١) أورده ابن خميس في « مناقب الأبرار » (٢ / ٧٠١) ، والمسؤول عن حال سيدنا موسى عليه السلام : هو الحلاج الحسين بن منصور ، وعزا الأبيات أبو الفرج الأصفهاني في « مقاتل الطالبين » (ص ٤٨١) ، والقالبي في « النواذر » (ص ٢٠٥) إلى محمد بن صالح بن عبد الله الطالبي ، ونُسبت إلى الحلاج أيضاً ، وهي في « ديوانه » (ص ٥١٠ - ٥١١) .

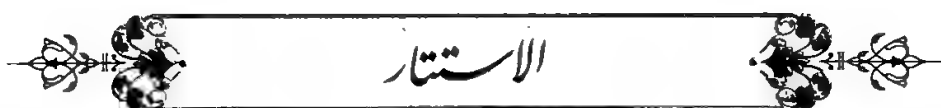
ومنها : قولهم :



قال الجنيد : (إنما هو تأديبٌ وتهذيبٌ وتذويبٌ ؛ فالتأديبُ محلُّ الاستارِ ، وهو للعوام ، والتهذيبُ للخواص ؛ وهو التجلي ، والتذويبُ للأولياء ؛ وهو المُشاهدةُ)^(١) .

وحاصلُ الإشاراتِ في الاستارِ والتجلي . . راجعٌ إلى ظهورِ صفاتِ النفسِ .

ومنها :



وهو إشارةٌ إلى غيبةِ صفاتِ النفسِ بكمالِ قوَّةِ صفاتِ القلبِ .

ومنها :



ثمَّ التجليُّ قد يكونُ بطريقِ الأفعالِ ، وقد يكونُ بطريقِ الصفاتِ ، وقد يكونُ بطريقِ الذاتِ .

والحقُّ تعالى أبقيَ على الخواصِّ موضعَ الاستارِ ؛ رحمةً منه لهم ولغيرهم ؛ فأما لهم : فلا تُهمُّ به يرجعونَ إلى مصالحِ النفوسِ ، وأما

(١) وهذه الثلاثة كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، والمعرفة والمكاشفة والمشاهدة .
من هامش (ج) .

لغيرهم : فلأنه لولا مواضع الاستتار لم يُنتفع بهم ؛ لاستغراقهم في جمع الجمع ، وبُروزهم لله الواحد القهار .

قال بعضهم : (علامة تجلّي الحق للأسرار : هو ألا يشهد السرُّ ما يتسلّط عليه التعبير ويخويه الفهم ، فمن عبّر أو فهم فهو صاحب خاطر استدلال ، لا ناظر إجلال)^(١) .

وقال بعضهم : (التجلّي : رفع حجب البشرية ، لا أن تتلوّن ذات الحق عز وجل ، والاستتار : أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب)^(٢) .
ومنها :

التجريد والتفريد

إشارة منهم في التجريد والتفريد : أنّ العبد يتجرّد عن الأغراض فيما يفعله^(٣) ؛ لا يأتي بما يأتي به نظراً إلى الأعواض في الدنيا والآخرة ، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤدّيه حسب جهده عبودية وانقياداً ، والتفريد : ألا يرى نفسه فيما يأتي به ، بل يرى منّة الله عليه .

فالتجريد ينفي الأغيار ، والتفريد ينفي نفسه واستغراقه في رؤية نعمة الله عليه وغيبته عن كسبه .

(١) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤١) ، وعزاه إلى بعض الكبار ، ولعل المراد به : الحلاج الحسين بن منصور ، وقوله : (فهو صاحب خاطر استدلال) ؛ أي : لا يشهد ما لا تمكن العبارة عنه ؛ لأنه لا يشهد إلا عظمته وحقيقته ، فيسقط ذلك عن تخيير ما شاهده في الحال . من هامش (ج) .

(٢) أورده الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٤٢) .

(٣) في (أ ، د ، ح) : (الأعواض) .

ومنها :

الوجد والتواجب والوجود

فالوجد : ما يَرِدُ على الباطنِ مِنَ اللَّهِ يَكْسِبُهُ فَرَحاً أَوْ حُزناً ، وَيُغَيِّرُهُ عَنْ هَيْئَتِهِ ، وَيَتَطَلَّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ فُرْجَةٌ يَجِدُهَا الْمَغْلُوبُ عَلَيْهِ بِصِفَاتِ نَفْسِهِ^(١) ، يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٢) .

والتواجد : استجلابُ الوجدِ بالتذكُّرِ والتفكُّرِ^(٣) .

والوجود : اتِّسَاعُ فُرْجَةِ الوجدِ بالخروجِ إِلَى فضاءِ الوجدانِ ، فلا وجدَ مَعَ الوجدانِ ، ولا خبرَ مَعَ العِيَانِ ؛ فالوجدُ بَعَرَضِيَّةُ الزوالِ ، والوجودُ ثابتٌ ثبوتَ الجبالِ^(٤) ، وقد قيلَ^(٥) :

[من البسيط]

قَدْ كَانَ يُطْرِبُنِي وَجْدِي فَأَفْقَدَنِي عَنْ رُؤْيَةِ الْوَجْدِ مَنْ فِي الْوَجْدِ مَوْجُودٌ
وَالْوَجْدُ يُطْرِبُ مَنْ فِي الْوَجْدِ رَاحَتُهُ وَالْوَجْدُ عِنْدَ حُضُورِ الْحَقِّ مَفْقُودٌ

(١) في (د ، و ، ز) : (فرجة) بدل (فرجة) .

(٢) قوله : (منها) ؛ أي : الفرجة .

(٣) فالتواجدُ بداية ، والوجودُ نهاية ، والوجدُ واسطة ؛ فهو كَمَنْ شاهد البحر ، ثمَّ ركبهُ ، ثمَّ غَرِقَ فيه . من هامش (ج) .

(٤) المواجيد ثمرات الأوراد ؛ فَمَنْ ازداد وظائفهُ ، ازداد من الله تعالى لطفهُ ، فَمَنْ لا وِرْدَ له بظاهره ، لا وارد له في سرائره ، وكلُّ ما يتكلَّفُ العبدُ من المعاملات الظاهرة . . يُوجِبُ له حلاوة الطاعات ، وما يُنْزِلُهُ من أحكام باطنه . . يُوجِبُ له المواجيدُ في المعاملات ، والمواجيدُ نتائج المنازلات . من هامش (ج) .

(٥) أورد البيهقي الكلاباذي في « التعرف » (ص ١٣٢) ، وعزاهما إلى الجنيد رحمه الله تعالى ، ونسبا إلى الحلاج كما في ذيل « ديوانه » (ص ٤٣٥) ، وفي (ج) : (فغيبني) بدل (فأفقدني) ، وفي (ح) : (فأفقدني) .

ومنها :

الغلبة

والغَلَبَةُ : وَجْدٌ مُتْلَاحِقٌ ؛ فالوَجْدُ كالبرقِ يبدو ، والغَلَبَةُ كتلاحقِ البرقِ وتواتره يُغَيِّبُ عن التمييز ؛ فالوَجْدُ ينطفئُ سريعاً ، والغَلَبَةُ تبقى للأسرارِ مُذِيعاً .

ومنها :

المسامرة

وهي تفرُّدُ الأرواحِ بخَفِيِّ مُنَاجَاتِها ولطيفِ مُنَاجَاتِها في سِرِّ السِّرِّ ، يلطفُ إدراكها للقلبِ ؛ لتفرُّدِ الرُّوحِ بها ، وتَلَزُّمِهِ بها دونَ القلبِ^(١) .

ومنها :

السكر والصحو

فالسُّكْرُ : استيلاءُ سُلْطَانِ الحالِ .

والصَّحْوُ : العَوْدُ إلى ترتيبِ الأفعالِ ، وتهذيبِ الأقوالِ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ : (السُّكْرُ : غَلِيَانُ القلبِ عِنْدَ مُعَارَضَاتِ ذِكْرِ المَحْبُوبِ)^(٢) .

وقالَ الواسِطِيُّ : (مقاماتُ الواجدِينَ أَرْبَعَةٌ : الذُّهُولُ^(٣) ، ثُمَّ الحَيْرَةُ ،

(١) في (ب ، هـ ، ح) : (وتَلَنَّدُ) بدل (وتَلَزَّمه) .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٤٦٤) ، وأورده أبو نعيم في « الحلية » (٣٨٦ / ١٠) .

(٣) أي : الغفلة عمّا سوى الله . من هاشم (ح) .

ثُمَّ السُّكْرُ ، ثُمَّ الصَّخْوُ ، كَمَنْ سَمِعَ بِالْبَحْرِ ، ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ، ثُمَّ دَخَلَ فِيهِ ، ثُمَّ أَخَذَتْهُ الْأَمْوَاجُ .

فَعَلَى هَذَا : مَنْ بَقِيَ عَلَيْهِ أَثَرٌ مِنْ سَرَيَانِ الْحَالِ فِيهِ . . فَعَلَيْهِ أَثَرٌ مِنْ السُّكْرِ ، وَمَنْ عَادَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْهُ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ . . فَهُوَ صَاحِبُ .

فَالسُّكْرُ لِأَرْبَابِ الْقُلُوبِ ، وَالصَّخْوُ لِلْمُكَاشِفِينَ بِحَقَائِقِ الْغُيُوبِ .
ومنها :

المحو والإثبات

الْمَحْوُ : بِإِزَالَةِ أَوْصَافِ النُّفُوسِ ، وَالْإِثْبَاتُ : بِمَا أُدِيرَ عَلَيْهِمْ مِنْ آثَارِ الْحُبِّ الْكُؤُوسِ^(١) .

أَوْ الْمَحْوُ : مَحْوُ رُسُومِ الْأَعْمَالِ بِنَظَرِ الْفَنَاءِ إِلَى نَفْسِهِ وَمَا مِنْهُ ، وَالْإِثْبَاتُ : إِثْبَاتُهَا بِمَا أَنْشَأَ الْحَقُّ لَهُ مِنَ الْوُجُودِ بِهِ ، فَهُوَ بِالْحَقِّ لَا بِنَفْسِهِ ، بِإِثْبَاتِ الْحَقِّ إِيَّاهُ مُسْتَأْنِفًا بَعْدَ أَنْ مَحَاهُ عَنْ أَوْصَافِهِ .

قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ : (يَمْحُو أَوْصَافَهُمْ ، وَيُثَبِّتُ أَسْرَارَهُمْ)^(٢) .

ومنها :

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

فَعِلْمُ الْيَقِينِ : مَا كَانَ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ .

وَعَيْنُ الْيَقِينِ : مَا كَانَ مِنْ طَرِيقِ الْكُشُوفِ وَالتَّوَالٍ .

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ب) : (كُؤُوس) ، وَالْأَنْسَبُ مَا أَثْبَتَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٢) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (١ / ٣٣٧) .

وَحَقُّ الْيَقِينِ : مَا كَانَ بِتَحْقِيقِ الْإِنْفَصَالِ عَنْ لَوْثِ الصَّلْصَالِ ، بَوْرُودٍ رَائِدِ الْوِصَالِ^(١) .

قَالَ فَارَسٌ : (عِلْمُ الْيَقِينِ لَا اضْطِرَابَ فِيهِ ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي أَوْدَعَهُ اللَّهُ الْأَسْرَارَ)^(٢) .

وَالْعِلْمُ إِذَا انْفَرَدَ مِنْ نَعْتِ الْيَقِينِ كَانَ عِلْمًا بِشَبْهَةٍ ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ الْيَقِينُ كَانَ عِلْمًا بِلَا شَبْهَةٍ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ هُوَ حَقِيقَةُ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ عِلْمُ الْيَقِينِ وَعَيْنُ الْيَقِينِ .

وَقَالَ الْجُنَيْدُ : (حَقُّ الْيَقِينِ : مَا يَتَحَقَّقُ الْعَبْدُ بِذَلِكَ ؛ وَهُوَ أَنْ يُشَاهِدَ الْغُيُوبَ كَمَا يُشَاهِدُ الْمَرْتَبَاتِ مُشَاهِدَةً عَيَانٍ ، وَيَحْكَمَ عَلَى الْغَيْبِ ، فَيُخْبِرَ عَنْهُ بِالصِّدْقِ ، كَمَا أَخْبَرَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَالَ لَمَّا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَاذَا أَبْقَيْتَ لِعِيَالِكَ ؟ » ، قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ)^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (عِلْمُ الْيَقِينِ : حَالُ الْمَعْرِفَةِ ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ : حَالُ الْجَمْعِ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ : جَمْعُ الْجَمْعِ بِلِسَانِ التَّوْحِيدِ)^(٤) .

وَقِيلَ : الْيَقِينُ : اسْمٌ ، وَرَسْمٌ ، وَعِلْمٌ ، وَعَيْنٌ ، وَحَقٌّ ؛ فَالْإِسْمُ وَالرَّسْمُ لِلْعَوَامِّ ، وَالْعِلْمُ عِلْمُ الْيَقِينِ لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَعَيْنُ الْيَقِينِ لَخَوَاصِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَحَقِيقَةُ حَقِّ الْيَقِينِ اخْتَصَّ بِهِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) فِي (ب ، هـ ، ز ، ح) : (زَائِد) بَدَلَ (رَائِد) .

(٢) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٤١٧ / ٢) .

(٣) سَبَقَ تَخْرِيجَ الْحَدِيثِ فِي (٣٦٧ / ٢) .

(٤) أَوْرَدَهُ السَّلْمِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » (٤١٧ / ٢) دُونَ الْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ .

ومنها :

الوقت

والمراد بالوقت : ما هو غالبٌ على العبدِ ، وأغلبُ ما على العبدِ وقتهُ ؛
فإنَّهُ كالسيفِ يمضي الوقتُ بحكمِهِ ويقطعُ^(١) .

وقد يُرادُ بالوقتِ : ما يهجمُ على العبدِ لا بكسبِهِ ، فيتصرفُ فيه فيكونُ
بحكمِهِ ؛ يُقالُ : (فلانٌ بحكمِ الوقتِ) ؛ يعني : مأخوذاً عمّا منه بما
للحقِّ^(٢) .

(١) أي : فكما أنَّ السيفَ قاطعٌ فالوقتُ بما يُمضيهِ الحقُّ ويُجْريهِ غالبٌ ، وقيل : السيفُ لَيِّنٌ
مُسَّهٌ ، قاطعٌ حَدَّهُ ، فَمَنْ لَا يَنْتَهَ سَلِمَ ، وَمَنْ خَاشَنَهُ اصْطَلَمَ ، وهكذا الوقتُ ؛ مَنْ اسْتَسْلَمَ
لِحُكْمِهِ نَجَا ، وَمَنْ عَارَضَهُ بَتَرَكِ الرِّضَا انْتَكَسَ فتردَّى ، وأنشد : [من الطويل]
وكالسيفِ إن لا يَنْتَهَ لَانَ مُسَّهٌ وحَدَّاهُ إن خَاشَنَهُ خَشِنَانِ

وَمَنْ سَاعَدَهُ الْوَقْتُ فَالْوَقْتُ لَهُ وَقْتُ ، وَمَنْ نَاكَدَهُ الْوَقْتُ فَالْوَقْتُ لَهُ مَقْتُ . من هامش (ج) .

(٢) قال أبو علي الدقاق : (الوقتُ : ما أنتَ به ؛ إن كنتَ بالدنيا فوقتَكَ الدنيا ، وإن كنتَ
بالعُقبى فوقتَكَ العُقبى ، وإن كنتَ بالشُّرورِ فوقتَكَ سرورٌ ، وإن كنتَ بالحُزنِ فوقتَكَ
حزنٌ) ؛ يريد بهذا : أنَّ الوقتَ ما كان غالباً على الإنسان ، و[قد] يعنون بالوقتِ :
ما هو فيه من الزمان ؛ [فإنَّ] قوماً قالوا : (الوقتُ : ما بين الزمانين) ؛ يعني : بينَ
الماضي والمستقبل ، ويقولون : (الصوفيُّ ابن وقته) ؛ أي : مُشْتَغِلٌ بما هو أولى في
الحال ، وقيل : (الفقير ما يهْمُهُ ماضي وقتهِ وآتي وقتهِ ، بل يهْمُهُ وقتهِ الذي هو فيه) ،
قال الشاعر :

ما مضى فاتَ والمُؤمِّلُ غَيَّبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

وقيل : الاشتغالُ بفواتِ وقتٍ ماضٍ . . تضييعُ وقتٍ ثانٍ ، وقد يريدون بالوقتِ :
ما يُصادِفُهُم من تصريفِ الحقِّ لهم دون ما يختارون لأنفسهم ؛ فيقولون : (فلانٌ بِحُكْمِ
الوقتِ) ؛ أي : إنَّهُ مُسْتَسْلِمٌ لما يبدو من الغيب من غير اختيارٍ . من هامش (ج) .

ومنها :

الغيبة والشهود

فالشُّهُودُ : هو الحضورُ وقتاً بنعتِ المُرَاقِبَةِ ، ووقتاً بوصفِ المُشَاهِدَةِ ،
فما دامَ العبدُ موصوفاً بالشُّهُودِ والرَّعايَةِ . فهو حاضراً ، فإذا فقدَ حالَ
المُشَاهِدَةِ والمُرَاقِبَةِ . خَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الحُضُورِ ، فهو غائبٌ .

وقد يعنونَ بالغِيبَةِ : الغِيبَةَ عَنِ الأشياءِ بالحقِّ ؛ فيكونُ على هذا المعنى
حاصلُ ذلكَ راجعاً إلى مقامِ الفناء .

ومنها :

الذوق والشرب والرِّي

فالذوقُ إيمانٌ ، والشُّربُ عِلْمٌ ، والرِّيُّ حالٌ .
فالذوقُ لأربابِ البَوَادِيهِ والبَوَادِي ، والشُّربُ لأربابِ الطَّوَالِعِ واللَّوَامِعِ
واللَّوَانِحِ ، والرِّيُّ لأربابِ الأحوالِ ؛ وهي أَنَّ الأحوالَ هي التي تستقرُّ ، فما
لم يستقرَّ فليسَ بحالٍ ، وإنَّما هي لوامعُ وطوالعُ .
وقيلَ : الحالُ لا تستقرُّ ؛ لأنها تحوُّلٌ ، فإذا استقرَّتْ صارتْ مقاماً .

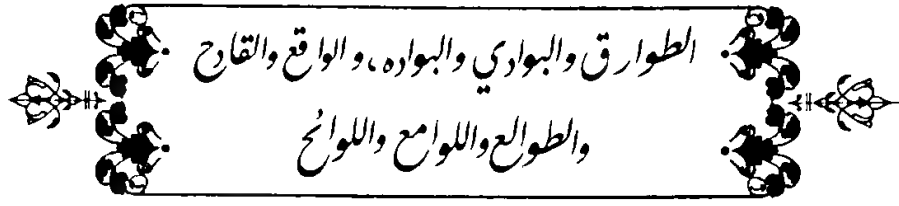
ومنها :

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة

فالمُحَاضِرَةُ لأربابِ التلوينِ ، والمُشَاهِدَةُ لأربابِ التمكنِ ، والمُكَاشِفَةُ
بينَهُمَا إلى أن تستقرَّ المُشَاهِدَةُ .

فالمُحَاضِرَةُ لأهلِ العلمِ ، والمُكَاشِفَةُ لأهلِ العَيْنِ ، والمُشَاهِدَةُ لأهلِ
الحقِّ ؛ أي : حقِّ اليقينِ .

ومنها :



فهذه كلها ألفاظٌ مُتقاربةُ المعنى ، ويمكنُ بسطُ القولِ فيه^(١) ، ويكونُ حاصلُ ذلكَ راجعاً إلى معنى واحدٍ يكثرُ بالعبارة ، فلا فائدةَ فيه .

والمقصودُ : أنَّ هذه الأسماءَ كلها مبادئُ الحالِ ومُقدِّماتُه ، وإذا صحَّ الحالُ استوعبَ هذه الأسماءَ كلها ومعانيها .

ومنها :



فالتلوينُ لأربابِ القلوبِ ؛ لأنَّهم تحتَ حُجُبِ القلوبِ ، وللقلوبِ تَخَلُّصٌ إلى الصفاتِ ، وللصفاتِ تَعَدُّدٌ بتعددِ جهاتِها ، فظهرَ لأربابِ القلوبِ بحسَبِ تعدُّدِ الصفاتِ تلويناتٌ ، ولا تجاوزُ للقلوبِ وأربابِها عن عالمِ الصفاتِ .

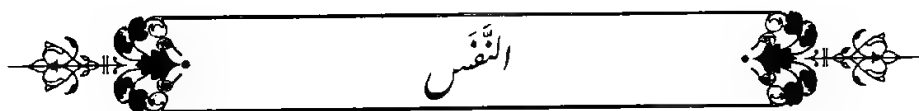
وأما أربابُ التمكينِ فخرَجُوا مِنْ مشائمِ الأحوالِ ، وخرَقُوا حُجُبَ القلوبِ ، وباشرَ أرواحَهُمْ سَطُوعُ نورِ الذاتِ ، فارْتَفَعَ التلوينُ ؛ لعدمِ التغيُّرِ في الذاتِ ؛ إذ جَلَّ ذاته عن حلولِ الحوادثِ والتغيُّراتِ ، فلمَّا خَلَصُوا إلى مواطنِ القُرْبِ ، واحتفظوا مِنْ أَنْصِبَةِ تَجَلِّيِ الذاتِ . . ارتفعَ عنهمُ التلوينُ .

(١) في (هـ ، ح) ونسخة على هامش (ج) : (فيها) ، وعلى المثلث فالضمير راجع إلى (المعنى) .

فالتلوينُ حينئذٍ يكونُ في نفوسِهِمْ ؛ لأنها في محلِّ القلوبِ لموضعِ طهارتها وقُدُسِها ، والتلوينُ الواقعُ في النَّفْسِ لا يُخْرِجُ صاحِبَهُ عن حالِ التمكينِ ؛ لأنَّ جريانَ التلوينِ في النَّفْسِ لبقاءِ رَسْمِ الإنسانيَّةِ ، وثبوتِ القدمِ في التمكينِ كشفُ حقِّ الحقيقةِ .

وليسَ المَعْنَى بالتمكينِ ألا يكونَ للعبدِ تغيُّرٌ ؛ فإنَّهُ بشرٌ ، وإنَّما نعني به أنَّ ما كُوشِفَ به مِنَ الحقيقةِ لا يتوارى عنه أبداً ، ولا يتناقصُ بل يزيدُ ، وصاحبُ التلوينِ قد يتناقصُ الشيءُ في حقِّه عندَ ظهورِ صفاتِ نَفْسِهِ ، وتغيُّبُ عنه الحقيقةُ في بعضِ الأحوالِ ، ويكونُ ثبوتهُ على مُستقرِّ الإيمانِ ، وتلوينهُ في زوائدِ الأحوالِ .

ومنها :



ويقالُ : النَّفْسُ للمُتَهَيِّ ، والوقتُ للمُبْتَدِئِ ، والحالُ للمُتَوَسِّطِ ؛ فكأنَّه إشارةٌ منهم إلى أنَّ المُبْتَدِئَ يَطْرُقُهُ مِنَ اللَّهِ طَارِقٌ لا يَسْتَقِرُّ ، والمُتَوَسِّطُ صاحبُ حالٍ غالبٍ حالُهُ عليه ، والمُتَهَيِّ صاحبُ نَفْسٍ مُتَمَكِّنٌ مِنَ الْحَالِ ؛ لا يتناوبُ عليه الحالُ بالغَيْبَةِ والحُضُورِ ، بل تكونُ المواجهَةُ مقرونةً بأنفاسِهِ ، مُقِيمَةً لا تتناوبُ عليه .

وهذهِ كُلُّها أحوالٌ لأربابِها ، ولهم منها ذوقٌ وشُرْبٌ ، واللهُ يَنْفَعُ ببركتِهِمْ ، آمين^(١) .



(١) في هامش (ب) : (بلغ مقابلةً) .

الباب الثالث والستون

في ذكر شي من البدايات والنهايات وصحتها

(١٤٨) - حَدَّثَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ السُّهْرُورْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الشَّرِيفُ أَبُو طَالِبٍ الْحَسِينُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّيْنَبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا كَرِيمَةُ الْمَرْوَزِيَّةُ ، قَالَتْ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْهَيْثَمِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمَكِّيِّ الْكُشْمِيهَنِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْفَرَبْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التِّمِّيُّ : أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصٍ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا . . فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (١) .

(١) صحيح البخاري (١) ، ورواه غالب المُحدِّثين بروايات عديدة ، وللإمام السيوطي : « منتهى الآمال في شرح حديث إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » ، وللبرهان الكوراني : « إعمال الفكر والرويات في بيان حديث إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » .

قال الشيخ رحمه الله عليه : النية أول العمل ، وبحسبها يكون العمل ، وأهم ما للمريد في ابتداء أمره في طريق القوم : أن يدخل طريق الصوفية ، ويتزياً بزيهم ، ويجالس طائفتهم لله تعالى ؛ فإن دخوله في طريقهم هجرة حاله ووقته .

وقد ورد : « الْمُهاجِرُ : مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » (١) .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

فالمريد ينبغي أن يخرج إلى طريق القوم لله ؛ فإنه إن وصل إلى نهايات القوم . . فقد لحق بالمنزل ، وإن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم . . فأجره على الله ، وكل من كانت بدايته أحكم . . كانت نهايته أتم .

(١٤٩) - أخبرنا أبو زرعة إجازة ، عن ابن خلف إجازة ، عن أبي عبد الرحمن ، عن أبي العباس البغدادي ، عن جعفر الخلدي قال : سمعتُ الجُنيد يقولُ : (أكثرُ العوائقِ والحوائلِ والموانعِ مِنْ فسادِ الابتداءِ) .

فالمريد في أول سلوك هذا الطريق يحتاج إلى إحكام النية ، وإحكام النية تنزيهها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل ، حتى يكون خروجه خالصاً لله تعالى .

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : (اعلم يا عمر : أن عون الله للعبد بقدر النية ؛ فمن تمت نيته تم عون الله له ، ومن قصرت عنه

(١) رواه البخاري (١٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

نَبِيَّهُ قَصَرَ عَنْهُ عَوْنُ اللَّهِ بِقَدْرِ ذَلِكَ (١) .

وَكَتَبَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ إِلَى أَخِيهِ : (أَخْلِصِ النِّيَّةَ فِي أَعْمَالِكَ يَكْفِكَ قَلِيلٌ مِنَ الْعَمَلِ) (٢) .

وَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى النِّيَّةِ بِنَفْسِهِ . . يَصْحَبُ مَنْ يُعَلِّمُهُ حُسْنَ النِّيَّةِ ؛ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ : (أَوَّلُ مَا يُؤَمِّرُ بِهِ الْمُرِيدُ الْمُبْتَدِئُ : التَّبَرُّؤُ مِنَ الْحَرَكَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، ثُمَّ التَّنَقُّلُ إِلَى الْحَرَكَاتِ الْمَحْمُودَةِ ، ثُمَّ التَّفَرُّدُ لِأَمْرِ اللَّهِ ، ثُمَّ التَّوَقُّفُ فِي الرِّشَادِ ، ثُمَّ الثَّبَاتُ ، ثُمَّ الْبَيَانُ ، ثُمَّ الْقُرْبُ ، ثُمَّ الْمُنَاجَاةُ ، ثُمَّ الْمُصَافَاةُ ، ثُمَّ الْمُوَالَاةُ ، وَيَكُونُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ مُرَادَهُ ، وَالتَّفْوِيزُ وَالتَّوَكُّلُ حَالَهُ ، ثُمَّ يَمُنُّ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا بِالْمَعْرِفَةِ ، فَيَكُونُ مَقَامُهُ عِنْدَ اللَّهِ مَقَامَ الْمُتَبَرِّئِينَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَهَذَا مَقَامُ حَمَلَةِ الْعَرْشِ ، وَلَيْسَ بَعْدَهُ مَقَامٌ) (٣) .

هَذَا مِنْ كَلَامٍ سَهْلٍ جَمَعَ فِيهِ مَا فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ .

وَمَتَى تَمَسَّكَ الْمُرِيدُ بِالصَّدَقِ وَالْإِخْلَاصِ . . بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ ، وَلَا يُحَقِّقُ صَدَقَهُ وَإِخْلَاصَهُ كَشَيْئَيْنِ ؛ مُتَابِعَةُ أَمْرِ الشَّرْعِ ، وَقَطْعُ النَّظَرِ عَنِ الْخَلْقِ ؛ فَكُلُّ الْآفَاتِ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى أَهْلِ الْبَدَايَاتِ لِمَوْضِعِ نَظَرِهِمْ إِلَى الْخَلْقِ .

(١) رواه أحمد في « الزهد » (١٧٣٨) ، وأبو بكر الأجري في « أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز » (ص ٧٠-٧٢) .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٣٤٤ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٦١ / ٩) .

(٣) أورده أبو المعالي شيدله في « لواعج أنوار القلوب » (ص ١٣٨-١٣٩) .

وَبَلَّغْنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثٌ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَكْمُلُ
إِيمَانُ الْمَرْءِ حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ عِنْدَهُ كَأَلْبَاعِيرٍ ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَرَاهَا
أَصْغَرَ صَاغِرٍ »^(١) ؛ إِشَارَةً إِلَى قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْخَلْقِ ، وَالْخُرُوجِ مِنْهُمْ ،
وَتَرْكِ التَّقَيُّدِ بِعَادَاتِهِمْ .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حِضْرَوَيْهِ : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُ عَلَى كُلِّ
حَالٍ . . فَلْيَلْزِمِ الصَّدَقَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ)^(٢) .

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلْصَدَقُ يَهْدِي
إِلَى الْبَرِّ »^(٣) .

وَلَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَالِ وَالْجَاهِ ، وَالْخُرُوجِ مِنَ الْخَلْقِ بِقَطْعِ
النَّظَرِ إِلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يُحْكِمَ أَسَاسَهُ ، فَيَعْلَمَ دَقَائِقَ الْهَوَى وَخَفَايَا شَهَوَاتِ
النَّفْسِ .

فَأَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْمُرِيدِ : مَعْرِفَةُ النَّفْسِ ، وَلَا يَقُومُ بِوَاجِبِ حَقِّ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ
مَنْ لَهُ فِي الدُّنْيَا حَاجَةٌ مِنْ طَلَبِ الْفُضُولِ وَالزِّيَادَاتِ ، أَوْ عَلَيْهِ مِنَ الْهَوَى
بَقِيَّةٌ .

(١) رَوَاهُ بَنُحُوهُ أَبُو دَاوُدَ فِي « الزَّهْدِ » (٢٤٢) ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ
وَفَضْلِهِ » (١٥١٦) مَوْقُوفًا عَلَى سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ مَرْفُوعًا
(١٥١٥) عَنْ سَيِّدِنَا شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالَ : (وَهَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ
مَرْفُوعًا ، وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ) .

(٢) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَّةِ » (٤٢ / ١٠) ، وَأَوْرَدَهُ الْخُرَكُوشِيُّ فِي « تَهْذِيبِ الْأَسْرَارِ »
(ص ١٩١) ، وَالْقَشِيرِيُّ فِي « الرِّسَالَةِ » (ص ٤٨٢-٤٨٣) .

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٩٤) ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٠٧) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ .

قال زيد بن أسلم : (خَصْلَتَانِ هُمَا كَمَالُ أَمْرِكَ : تُصْبِحُ وَلَا تَهْمُ لِلَّهِ بِمَعْصِيَةٍ ، وَتُمْسِي وَلَا تَهْمُ لِلَّهِ بِمَعْصِيَةٍ)^(١) .

فإذا أَحْكَمَ الزَّهْدَ وَالتَّقْوَى انْكَشَفَتْ لَهُ النَّفْسُ ، وَخَرَجَتْ مِنْ حُجُبِهَا ، وَعَلِمَ طَرِيقَ حَرَكَتِهَا ، وَخَفِيَ شَهْوَتُهَا ، وَدَسَائِسُهَا وَتَلْبِيسَاتُهَا ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِالصَّدَقِ فَقَدْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى .

قال ذو النُّونِ : (اللَّهُ تَعَالَى فِي أَرْضِهِ سَيْفٌ مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَ ؛ وَهُوَ الصَّدَقُ)^(٢) .

وُنُقِلَ فِي مَعْنَى الصَّدَقِ : أَنَّ عَابِدًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَاوَدَتْهُ مَلِكَةٌ عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَالَ : اجْعَلُوا لِي مَاءً فِي الْخَلَاءِ أَتَنْظِفُ بِهِ ، ثُمَّ صَعِدَ أَعْلَى مَوْضِعٍ فِي الْقَصْرِ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَلِكِ الْهَوَاءِ : أَنْ الزَّمْ عَبْدِي ، قَالَ : فَلَزِمَتْهُ وَوَضَعَتْهُ عَلَى الْأَرْضِ وَضِعًا رَفِيقًا ، فَقِيلَ لِإِبْلِيسَ : أَلَا أَغْوَيْتُهُ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ لِي سُلْطَانٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ هَوَاهُ ، وَبَدَّلَ نَفْسَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا^(٣) .

وَيَنْبَغِي لِلْمُرِيدِ أَنْ تَكُونَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ حَتَّى فِي أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَمَلْبُوسِهِ ؛ فَلَا يَلْبَسُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا لِلَّهِ ،

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٧ / ١٩) ، وأورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٣٤٤ / ٣) ، وفي النسخ ما عدا (ب ، ج ، هـ) : (تهتم) بدل (تهم) في كلا الموضعين .

(٢) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٢٢-٢٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣٩٥ / ٩) ، وأورده الخركوشي في « التهذيب » (ص ١٨٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٤٨٦) .

(٣) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (٢٧٣ / ٢) .

ولا ينامُ إلا لله ؛ لأنَّ هذه كلها أَرْفاقٌ أَدْخَلَهَا على النَّفْسِ ، فإذا كانت لله لا تستعصي النَّفْسُ ، وتُجِيبُ إلى ما يُرادُ منها مِنَ المعاملةِ لله والإخلاصِ ، وإذا دَخَلَ في شيءٍ مِنْ رَفَقِ النَّفْسِ لا لله ولا بنيةٍ صالحةٍ . . صارَ ذلك وبالاً عليه .

وقد وَرَدَ في الخبرِ : « مَنْ تَطَيَّبَ لله عَزَّ وَجَلَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، وَمَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَنْتَنُ مِنَ الْجِيفَةِ »^(١) .

وقيلَ : كانَ أنسٌ يقولُ : (طَيِّبُوا كَفِّي بِمِسْكِ ؛ فَإِنَّ ثَابِتاً يُصَافِحُنِي ، وَيُقَبِّلُ يَدِي) .

وقد كانوا يُحَسِّنُونَ اللَّبَاسَ للصلاةِ مُتَقَرِّبِينَ بِذلكَ إلى اللهِ بِنِيَّتِهِمْ .

فالمُرِيدُ ينبغي أنْ يتفَقَّدَ جميعَ أقوالِهِ وأفعَالِهِ وأحوَالِهِ ، ولا يُسامَحَ نَفْسَهُ أنْ يتحرَّكَ بحركةٍ أو يتكلَّمَ بكلمةٍ إلا لله تعالى^(٢) ، وقد رأينا في أصحابِ شيخنا مَنْ كانَ ينوي عندَ كُلِّ لُقْمَةٍ ، ويقولُ بلسانِهِ أيضاً : (أَكُلُّ هذهِ اللُّقْمَةِ لله تعالى) .

ولا ينفعُ القولُ إذا لم تكنِ النيةُ في القلبِ ؛ لأنَّ النيةَ عملُ القلبِ ، وإنما اللِّسانُ تَرْجُمانٌ ، فما لم تشتملْ عليها عزيمةُ القلبِ لله . . لا يكونُ نيةً .

(١) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٧٩٣٣) مرسلًا عن إسحاق بن أبي طلحة رحمه الله تعالى .

(٢) قوله : (يتحرك . . . يتكلم) ضبط في بعض النسخ بالتاء ، وضبط في بعضها الآخر بالوجهين ، ومرجع الضمير على كلِّ واضحٍ .

ونادى رجل امرأته وكان يُسْرِحُ شَعْرَهُ ؛ فقال : هاتِ المِذْرَى^(١) ، أرادَ المِيلَ لِيُفَرِّقَ شَعْرَهُ ، فقالتُ لَهُ امرأتهُ : أجيءُ بِالمِرْآةِ ؟ فسَكَتَ ، ثُمَّ قالَ : نعم ، فقالَ لَهُ مَنْ سَمِعَهُ : سَكَتَ وتوقَّفتَ عَنِ المِرْآةِ ثُمَّ قلتَ : نعم !! فقالَ : إِنِّي قلتُ لها : (هاتِ المِذْرَى) بَنِيَّةٌ ، فلمَّا قالتَ : (المِرْآةِ) لم يكنْ لي في المِرْآةِ نِيَّةٌ ، فوقفْتُ حتَّى هَيَّأَ اللهُ عِزَّ وجلَّ لي نِيَّةً ، فقلتُ : نعم^(٢) .

فكلُّ مُبتدئٍ لا يُحْكِمُ أساسَ بدايتهِ بِمُهاجَرَةِ الأَلفِ والأَصْدِقَاءِ والمعارِفِ ، ولا يَتَمَسَّكُ بِالوَحْدَةِ . لا تَسْتَقِرُّ بدايتهُ ، وقد قيلَ : مِنْ قِلَّةِ الصَّدَقِ : كَثْرَةُ الخُلَطَاءِ^(٣) ، وأنفعُ ما لَهُ : لزومُ الصمتِ ، وألَّا يَطْرُقَ سَمْعُهُ كلامُ الناسِ ؛ فَإِنَّ باطنَهُ يَتَغَيَّرُ وَيَتَأَثَّرُ بالأقوالِ المختلفةِ .

وكلُّ مَنْ لا يَعْلَمُ كمالَ زهدهِ في الدنيا ، وتمسُّكُهُ بحقائقِ التقوى . لا يَعْرِفُهُ أَبَدًا ؛ فَإِنَّ معرفتهُ لَهُ لا تُنْتِجُ عَلَيْهِ خَيْرًا ، وبواطنُ أَهْلِ الابتداءِ كالشَّمْعِ يَقْبَلُ كُلَّ نَقْشٍ .

ورَبَّمَا اسْتَضَرَّ المُبتدئُ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَى الناسِ ، ويستَضِرُّ بِفُضُولِ النَّظَرِ أيضاً وَفُضُولِ المَشْيِ ، فيَقِفُ مِنَ الأشياءِ كُلِّهَا على الضرورةِ ، فيَنْظُرُ

(١) المِذْرَى : قرن من عظم كانوا يمتشطون به .

(٢) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١٣٥٣ / ٣) ، والغزالي في « الإحياء » (٤٩ / ٩) .

(٣) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٢٤ / ١٠) عن السري السقطي رحمه الله تعالى ، وفي (ج) و« الحلية » : (الخطأ) بدل (الخلطاء) .

ضرورة ؛ حتى لو مشى في بعض الطُّرُقِ يجتهدُ أن يكونَ نظَرُهُ إلى الطريقِ الذي يسلكُهُ لا يلتفتُ يَمَنَةً ولا يَسْرَةً ، ثمَّ يَتَّقِي موضعَ نظَرِ الناسِ إليه وإحساسِهِم منه بالرَّعاية والاحترازِ ؛ فإنَّ علمَ الناسِ منه بذلكَ أَضَرُّ عليه مِنْ فعلِهِ .

ولا يستحقُّرُ فُضُولَ المشي ؛ فإنَّ كُلَّ شيءٍ مِنْ قولٍ وفعلٍ ونظَرٍ وسماعٍ خَرَجَ عن حدِّ الضرورةِ . . جَرَّ إلى الفُضُولِ ، ثمَّ يَجُرُّ إلى تضييعِ الأصولِ .
قال سُفيانُ : (إِنَّمَا حُرِّمُوا الوصولَ ، بتضييعِ الأصولِ)^(١) .

فكُلُّ مَنْ لا يَتَمَسَّكُ بالضرورةِ في القولِ والفعلِ . . لا يقدرُ أن يقفَ على قَدْرِ الحاجةِ مِنَ الطعامِ والشرابِ والنومِ ، ومتى تعدَّى الضرورةَ تداعتْ عزائمُ قلبِهِ ، وانحَلَّتْ شيئاً فشيئاً .

وقال سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (مَنْ لم يعبدِ اللهَ اختياراً . . يعبدِ الخلقَ اضطراراً) .

وينفتحُ على العبدِ أبوابُ الرُّخَصِ والاتِّساعِ ، ويَهْلِكُ مع الهالكينَ .
ولا ينبغي للمبتدئِ أن يعرفَ أحداً مِنْ أربابِ الدنيا ؛ فإنَّ معرفتَهُ لَهُمْ سَمٌّ قاتِلٌ ، وقد وَرَدَ : (الدنيا مَبْغُوضَةٌ اللهُ ، مَنْ تَمَسَّكَ بِحَبْلِ مِنْهَا قَادَتُهُ إِلَى النارِ)^(٢) ، وما حَبْلٌ مِنْ حَبَالِهَا إِلَّا كَأَبْنَائِهَا وَالطَّالِبِينَ لَهَا وَالْمُحِبِّينَ ، فَمَنْ

(١) أوردَه أبو طالب المكي في « القوت » (٢٦٤ / ١) ، وعزاه إلى سفيان الثوري وغيره رحمهم الله تعالى ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣١٦ / ١٠) ، وعزاه إلى أحمد بن أبي الورد الصوفي رحمه الله تعالى .

(٢) روى الثعلبي في « الكشف والبيان » (٢٦١ / ٩) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « السَّمَّاحُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، أَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا ، مَنْ تَعَلَّقَ بِغَصْنٍ =

عَرَفَهُمْ انجذب إليها شاء أم أبى .

ويحترزُ المُبتدئُ مِنْ مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ بَقِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ ؛ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَرٌّ مِمَّا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ مُجَالَسَةِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، وَرَبَّمَا يُشِيرُونَ إِلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ شُغْلُ الْمُتَعَبِّدِينَ ، وَأَنَّ أَرْبَابَ الْأَحْوَالِ ارْتَقَوْا مِنْ ذَلِكَ ، وَيَنْبَغِي لِلْفَقِيرِ أَنْ يَخْتَصِرَ عَلَى الْفَرَائِضِ وَصُومِ رَمَضَانَ فَحَسْبُ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ هَذَا الْكَلَامُ سَمْعَهُ رَأْسًا ؛ فَإِنَّا جَرَّبْنَا وَمَارَسْنَا الْأُمُورَ كُلَّهَا ، وَجَالَسْنَا الْفُقَرَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، وَرَأَيْنَا أَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ ، وَيَرَوْنَ الْفَرَائِضَ دُونَ الزِّيَادَاتِ وَالنَّوَافِلِ . . تَحْتَ الْقُصُورِ ، مَعَ كَوْنِهِمْ أَصْحَاءَ فِي أَحْوَالِهِمْ .

فعلى العبد : التَّمَسُّكُ بِكُلِّ فَرِيضَةٍ وَفَضِيلَةٍ ؛ فَبِذَلِكَ تَثْبُتُ قَدُمُهُ فِي بَدَايَتِهِ .

وَيُرَاعَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً ، وَيَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى خَالِصًا لَا يَمزُجُهُ بِشَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِ نَفْسِهِ وَمَآرِبِهَا ، وَيُيَكِّرُ إِلَى الْجَامِعِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ بَعْدَ الْغُسْلِ لِلْجُمُعَةِ ، وَإِنْ اغْتَسَلَ قَرِيبًا مِنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ إِذَا أَمَكَّنَهُ ذَلِكَ . . فَحَسَنٌ ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ اغْتَسِلْ لِلْجُمُعَةِ وَلَوْ أَشْتَرَيْتَ أَلْمَاءَ بِعَشَائِكَ »^(١) ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَغْتَسَلَ

= مِنْ أَغْصَانِهَا . . قَادَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَالْبَخْلُ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ ، أَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا ، مَنْ تَعَلَّقَ بِغَصَنِ مِنْ أَغْصَانِهَا . . قَادَتُهُ إِلَى النَّارِ .

(١) رَوَاهُ الدِّيلَمِيُّ فِي « الْفَرْدُوسِ » (٨٣٨٤) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلْفَظٍ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ اغْتَسِلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ وَلَوْ صَارَ أَنْ تَشْتَرِيَ الْمَاءَ بِقُوَّةِ يَوْمِكَ » ، وَانْظُرْ « تَنْزِيهِ الشَّرِيعَةِ الْمَرْفُوعَةِ » (٧٤ / ٢) .

للجمعة ؛ فَإِنَّ غُسْلَ الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِلذُّنُوبِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ ^(١) .

ويشتغل ويخدم بالصلاة والتضرع والدعاء والتلاوة وأنواع الأذكار من غير فتور إلى أن يُصلي الجمعة ، ويجلس مُعْتَكِفاً في الجامع إلى أن يُصلي الفرض من صلاة العصر ، وبقية النهار يشغله بالتسبيح والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ بَرَكَةَ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أُسْبُوعِهِ .

وقد كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَنْ يَضْبُطُ أَحْوَالَهُ وَأَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ جَمِيعَ الْأُسْبُوعِ حَتَّى يَجِدَ ثَمَرَةَ ذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَوْمُ الْمَزِيدِ لِكُلِّ صَادِقٍ ، وَيَكُونُ مَا يَجِدُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُحْكَمًا يَعْتَبَرُ بِهِ سَائِرَ الْأُسْبُوعِ الَّذِي مَضَى ^(٢) ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْأُسْبُوعُ سَلِيمًا يَكُونُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ مَزِيدُ الْأَنْوَارِ وَالْبَرَكَاتِ ، وَمَا يَجِدُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَسَامَةِ النَّفْسِ وَقِلَّةِ الْإِنْشِرَاحِ . . فَلَمَّا ضَيَّعَ فِي الْأُسْبُوعِ ، يَعْرِفُ ذَلِكَ وَيَعْتَبِرُهُ .

وَيَبْقَى جَدًّا أَنْ يَلْبَسَ لِلنَّاسِ الرَّفِيعَ مِنَ الثِّيَابِ ، أَوْ ثِيَابَ الْمُتَقَشِّفِينَ لِيُرَى بَعِينَ الزَّهْدِ ؛ فَفِي لُبْسِ الرَّفِيعِ لِلنَّاسِ هَوًى ، وَفِي لُبْسِ الْخَشَنِ رِيَاءٌ ، فَلَا يَلْبَسُ إِلَّا اللَّهَ .

بَلَّغْنَا أَنَّ سُفْيَانَ لَبَسَ الْقَمِيصَ مَقْلُوبًا ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ حَتَّى ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَنَبَّهَهُ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ ، فَهَمَّ أَنْ يَخْلَعَهُ وَيُغَيِّرَهُ ، ثُمَّ أَمْسَكَ وَقَالَ :

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤ / ١٦١) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه ، وأحمد (٣ / ٨١) ، وابن حبان (٢٧٧٨) ، والحاكم (١ / ٢٨٣) عن سيدنا أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

(٢) في نسخة على هامش (ح) : (محكماً) بدل (محكاً) .

لا ، لَبِسْتُهُ بَنِيَّةَ اللَّهِ ، فلا أُغَيِّرُهُ فَأَلْبَسُهُ بَنِيَّةَ النَّاسِ ^(١) .

فَلْيَعْلَمِ الْعَبْدُ ذَلِكَ وَيَعْتَبِرْهُ .

ولا بُدَّ لِلْمُبْتَدِئِ أَنْ يَكُونَ لَهُ حَظٌّ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَمِنْ حِفْظِهِ ؛ فَيَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ السَّبْعِ إِلَى الْجَمِيعِ إِلَى أَقَلِّ أَوْ أَكْثَرَ كَيْفَمَا أُمِكنَ ، وَلَا يُصْنِغِي إِلَى قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ : مُلَازِمَةُ ذِكْرِ وَاحِدٍ أَفْضَلُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّهُ يَجِدُ بِالْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ جَمِيعَ مَا يَتَمَنَّى بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا اخْتَارَ مِنَ الْمَشَايخِ بَعْضُهُمْ أَنْ يُدِيمَ الْمُرِيدُ ذِكْرًا وَاحِدًا ؛ لِيَجْتَمَعَ لَهُمْ .

وَمَنْ لَازَمَ التِّلَاوَةَ فِي الْخُلُوةِ ، وَتَمَسَّكَ بِالْوَحْدَةِ . . تُفِيدُهُ التِّلَاوَةُ وَالصَّلَاةُ أَوْفَى مِمَّا تُفِيدُهُ الذِّكْرُ الْوَاحِدُ ، فَإِذَا سَئِمَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يُصَانِعُ النَّفْسَ عَلَى الذِّكْرِ مُصَانَعَةً ، وَيَنْزِلُ مِنَ التِّلَاوَةِ إِلَى الذِّكْرِ ؛ فَإِنَّهُ أَخَفُّ عَلَى النَّفْسِ .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْإِعْتِبَارَ بِالْقَلْبِ ؛ فَكُلُّ عَمَلٍ مِنْ تِلَاوَةٍ وَصَلَاةٍ وَذِكْرِ لَا يَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ . . لَا يُعْتَدُّ بِهِ كُلُّ الْإِعْتِدَادِ ؛ فَإِنَّهُ عَمَلٌ نَاقِصٌ .

وَلَا يَحْقِرُ الْوَسَاوِسَ وَحَدِيثَ النَّفْسِ ؛ فَإِنَّهُ مُضِرٌّ وَدَاءٌ عُضَالٌ ، بَلْ يُطَالِبُ نَفْسَهُ أَنْ يُصَيِّرَ فِي تِلَاوَتِهِ مَعْنَى الْقُرْآنِ مَكَانَ حَدِيثِ النَّفْسِ مِنْ بَاطِنِهِ ، كَمَا أَنَّ التِّلَاوَةَ عَلَى اللِّسَانِ مَشْغُولٌ لِسَانُهُ بِالتِّلَاوَةِ وَلَا يَمزُجُهُ كَلَامٌ آخَرٌ . . هَكَذَا يَكُونُ مَعْنَى الْقُرْآنِ فِي الْقَلْبِ لَا يَمزُجُهُ حَدِيثُ النَّفْسِ .

وَإِنْ كَانَ أَعْجَمِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْنَى الْقُرْآنِ . . تَكُونُ الْمُرَاقَبَةُ حِلْيَةً بَاطِنِهِ ،

(١) سبق تخريجه في (٢٤٧/٢) .

فَيُشْغِلُ بَاطِنَهُ بِمُطَالَعَةِ نَظَرِ اللَّهِ إِلَيْهِ مَكَانَ حَدِيثِ النَّفْسِ ؛ فَإِنَّ بِالِدَوَامِ عَلَى ذَلِكَ يَصِيرُ مِنْ أَرْبَابِ الْمُشَاهِدَةِ .

قَالَ مَالِكٌ : (قُلُوبُ الصَّادِقِينَ إِذَا سَمِعَتِ الْقُرْآنَ طَرِبَتْ إِلَى الْآخِرَةِ)^(١) .

فَلْيَتَمَسَّكِ الْمُرِيدُ بِهَذِهِ الْأَصُولِ ، وَيَسْتَعِينَ بِدَوَامِ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ ؛ فَبِذَلِكَ ثَبَاتُ قَدَمِهِ .

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (عَلَى قَدَرِ لَزُومِ الْإِلْتِمَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ يَعْرِفُ الْبَلَاءَ ، وَعَلَى قَدَرِ مَعْرِفَتِهِ بِالْبَلَاءِ يَكُونُ إِفْتِقَارُهُ إِلَى اللَّهِ)^(٢) .

فَدَوَامُ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ عِلْمٍ دَقِيقٍ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ ، وَهَذَا الْإِفْتِقَارُ مَعَ الْأَنْفَاسِ لَا يَسْتَبْدُ بِحَرَكَةٍ ، وَلَا يَسْتَقِلُّ بِكَلِمَةٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى وَدُونَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا ، وَكُلُّ كَلِمَةٍ وَحَرَكَةٍ خَلَتْ عَنْ مُرَاجَعَةِ اللَّهِ وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ فِيهَا . لَا تُعَقَّبُ خَيْرًا قَطْعًا ، عَلِمْنَا ذَلِكَ وَتَحَقَّقْنَاهُ .

وَقَالَ سَهْلٌ : (مَنْ انْتَقَلَ مِنْ نَفْسٍ إِلَى نَفْسٍ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ . . فَقَدْ ضَيَّعَ حَالَهُ ، وَأَذْنَى مَا يَدْخُلُ عَلَى مَنْ ضَيَّعَ حَالَهُ : دَخُولُهُ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ وَتَرْكُهُ مَا يَعْنِيهِ)^(٣) .

وَبَلَّغَنَا أَنَّ حَسَّانَ بْنَ سِنَانٍ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ : لِمَنْ هَذِهِ الدَّارُ ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي « الزَّهْدِ » (١٨٧٧) ، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » (٣٥٨ / ٢) .

(٢) تَفْسِيرُ التُّسْتَرِيِّ (ص ٦٩) بِنَحْوِهِ ، وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ أَيْضًا أَبُو نَعِيمٍ فِي « الْحَلِيَةِ » (١٩٩ / ١٠) .

(٣) أَوْرَدَهُ ابْنُ الْحَاجِّ فِي « الْمَدْخَلِ » (٢١ / ١) .

نَفْسِهِ وَقَالَ : مَا لِي وَهَذَا السُّؤَالِ ؟ ! وهل هذه إلا كلمةٌ لا تعنيني ؟ ! وهل هذا إلا لاستيلاءِ نَفْسِي وَقِلَّةِ أدبِهَا ؟ ! وآلِي على نَفْسِهِ أَنْ يصومَ سنةً كَفَّارَةً لهذه الكلمة^(١) .

فبالصدقِ نالُوا ما نالُوا ، وبِقُوَّةِ العزائمِ عزائمِ الرجالِ بَلَّغُوا ما بَلَّغُوا .

(١٥٠) - أَخْبَرَنَا أَبُو زُرْعَةَ إِجَازَةً ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلْفِ إِجَازَةً^(٢) ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَنْصُورًا يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو الْأَنْمَاطِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ الْجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ : (لَوْ أَقْبَلَ صَادِقٌ عَلَى اللَّهِ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ لَحِظَةٌ . . لَكَانَ مَا فَاتَهُ مِنْ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَه)^(٣) .

وهذه الجملةُ يحتاجُ المُبتدئُ أَنْ يُحْكِمَهَا ، والمنتهي عالمٌ بها عاملٌ بحقائقها ؛ فالْمُبْتَدِئُ صادقٌ ، والْمُنْتَهِي صِدِّيقٌ .

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ : (الصَّادِقُ : الَّذِي ظَاهِرُهُ مُسْتَقِيمٌ ، وَبَاطِنُهُ يَمِيلُ أَحْيَانًا إِلَى حِظِّ النَّفْسِ ، وَعَلَامَتُهُ : أَنْ يَجِدَ الْحَلَاوَةَ فِي بَعْضِ الطَّاعَةِ وَلَا يَجِدَ فِي بَعْضٍ ، وَإِذَا اشْتَغَلَ بِالذِّكْرِ ثَوَّرَ الرُّوحَ ، وَإِذَا اشْتَغَلَ بِحِظِّ النَّفْسِ يُحْجَبُ عَنِ الْأَذْكَارِ)^(٤) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » (٥٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١١٥ / ٣) ، ومن طريق ابن أبي الدنيا البيهقي في « الشعب » (٤٧٣١) .

(٢) سقط التصريح بالإجازة في كلا الموضعين من بعض النسخ .

(٣) طبقات السلمي (ص ١٦١) ، ورواه من طريقه القشيري في « رسالته » (ص ١٥٥) ، وفيهما : (أَلْفَ أَلْفٍ) بدل (أَلْف) .

(٤) أورده السلمي في « تفسيره » (١٩٠ / ١) ، وفي (أ ، و ، ز ، ح) : (نَوَّرَ) بدل =

وَالصَّادِقُ : الذي استقامَ ظاهرُهُ وباطنُهُ ، يعبُدُ اللهَ تعالى بتلوينِ الأحوالِ ، لا يَحْجُبُهُ عَنِ اللهِ وَعَنِ الْأَذْكَارِ أَكْلٌ وَلَا نَوْمٌ وَلَا شُرْبٌ وَلَا طَعَامٌ ، وَالصَّادِقُ يُرِيدُ نَفْسَهُ اللهُ ، وَأَقْرَبُ الْأَحْوَالِ إِلَى النَّبُوَّةِ : الصَّادِقِيَّةُ ، وَقَالَ أَبُو يَزِيدَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ : (آخِرُ نَهَايَاتِ الصَّادِقِينَ أَوَّلُ دَرَجَاتِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ) (١) .

وَعَلِمَ : أَنَّ أَرْبَابَ النَهَايَاتِ اسْتَقَامَتْ بِوَاطِنُهُمْ وَظَوَاهِرُهُمْ اللهُ ، وَأَرْوَاحُهُمْ خَلَصَتْ عَنْ ظُلْمَةِ النَّفُوسِ ، وَوَطِئَتْ بِسَاطِ الْقُرْبِ ، وَنَفُوسُهُمْ مُنْقَادَةٌ مَطَوَاعَةٌ مُصَالِحَةٌ مَعَ الْقُلُوبِ ، مُجِيبَةٌ إِلَى كُلِّ مَا تُجِيبُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ ، أَرْوَاحُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَقَامِ الْأَعْلَى ، انْطَفَأَتْ فِيهِمْ نِيرَانُ الْهَوَى ، وَتَخَمَّرَ فِي بِوَاطِنِهِمْ صَرِيحُ الْعِلْمِ ، وَانْكَشَفَتْ لَهُمُ الْآخِرَةُ ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَيِّتٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . . فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ » رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢) ؛ إِشَارَةً مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَا كُوشِفَ بِهِ مِنْ صَرِيحِ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَصِلُ إِلَيْهِ عَوَامُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ ؛ حَيْثُ يُقَالُ : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] .

= (ثَوْر) ، وَفِي (ب ، د) : (تَوَر) .

(١) أوردته الكلاباذي في « التعرف » (ص ٧٦) .

(٢) رواه الحاكم (٦٢ / ٣) ، وابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٢٧ / ٣) ، وأبو يعلى في « المسند » (٤٨٩٩) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٥٤ / ١) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ . . فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ » .

فَأَرْبَابُ النِّهَايَاتِ مَاتَتْ أَهْوِيَّتُهُمْ ، وَخَلَصَتْ أَرْوَاحُهُمْ .

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ وَصْفِ الْعَارِفِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مَعَهُمْ بَاطِنٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ مَرَّةً : عَبْدٌ كَانَ فَبَانَ^(١) .

فَأَرْبَابُ النِّهَايَاتِ هُمْ عِنْدَ اللَّهِ بِحَقِيقَتِهِمْ ، مُعَوِّقِينَ بِتَوْقِيتِ الْأَجْلِ ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جُنُودِهِ فِي خَلْقِهِ ، بِهِمْ يُهْدَى وَبِهِمْ يُرْشَدُ وَبِهِمْ يُجَذَّبُ أَهْلُ الْإِرَادَةِ ، كَلَامُهُمْ دَوَاءٌ ، وَنَظَرُهُمْ دَوَاءٌ^(٢) ، ظَاهَرُهُمْ مُحْفُوظٌ بِالْحُكْمِ ، وَبَاطِنُهُمْ مَعْمُورٌ بِالْعِلْمِ .

قَالَ ذُو النُّونِ : (عَلَامَةُ الْعَارِفِ ثَلَاثَةٌ : لَا يُطْفِئُ نُورُ مَعْرِفَتِهِ نُورَ وَرَعِهِ ، وَلَا يَعْتَقِدُ بَاطِنًا مِنَ الْعِلْمِ يَنْقُضُ عَلَيْهِ ظَاهِرًا مِنَ الْحُكْمِ ، وَلَا تَحْمِلُهُ كَثْرَةُ نِعَمِ اللَّهِ وَكَرَامَتُهُ عَلَى هَتِكِ أَسْتَارِ مُحَارِمِ اللَّهِ)^(٣) .

فَأَرْبَابُ النِّهَايَاتِ كُلَّمَا أَزْدَادُوا نِعْمَةً أَزْدَادُوا عُبُودِيَّةً ، وَكُلَّمَا أَزْدَادُوا دُنْيَا أَزْدَادُوا قُرْبًا ، وَكُلَّمَا أَزْدَادُوا جَاهًا وَرِفْعَةً أَزْدَادُوا تَوَاضَعًا وَذِلَّةً ؛ ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

وَكُلَّمَا تَنَاولُوا شَهْوَةً مِنْ شَهَوَاتِ النَّفُوسِ . . اسْتَخْرَجَتْ مِنْهُمْ شُكْرًا

(١) أوردهما أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٥٨) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٤٦) .

(٢) في (ي) : (شفاء) بدل (دواء) ، والذي أَرَجَّحَهُ أَنَّ أَصْلَ الْكَلِمَةِ (رَوَاء) بِالرَّاءِ ، ثُمَّ تَصَحَّفَتْ إِلَى الدَّالِ ؛ أَيِ : نَظَرُهُمْ مُزَوِّجٌ لِلْمُرِيدِينَ الطَّالِبِينَ الْمُتَعَطِّشِينَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ، وَهُوَ أَبْلَغُ وَأَقْرَبُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٣) أورده أبو نصر السَّراج في « اللمع » (ص ٦١) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٤٦) ، والشارعي في « مرشد الزوار » (١ / ٣٧٩) .

صافياً ، يتناولون الشهوات تارة رفقا بالنفوس ؛ لأنها معهم كالطفل الذي يُلطَّفُ بالشيء ، ويُهدى له الشيء ؛ لأنه مقهورٌ تحت السياسة ، مرحومٌ ملطوفٌ به ، وتارة يمنعون نفوسهم الشهوات تأسياً بالأنبياء صلوات الله عليهم واختيارهم التقلل من الشهوات الدنيوية .

قال يحيى بن مُعَاذٍ : (الدنيا عروسٌ ، ومن يطلبها ماشطتها ، والزاهد فيها يُسخم وجهها ، وينتف شعرها ، ويُخرق ثوبها ، والعارف بالله مُشتغلٌ بسيده ، ولا يلتفت إليها)^(١) .

واعلم : أنَّ المُتَهَيَّ مع كمال حاله لا يستغني أيضاً عن سياسة النفس ومنعها من الشهوات ، وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر .

وقد غلط في هذا خلقٌ ، وظنوا أنَّ المُتَهَيَّ استغنى عن الزيادات والنوافل ، ولا يضرُّه الاسترسال في تناول الملاذ والشهوات .

وهذا خطأ ، لا من حيث إنه يحجب العارف عن معرفته ، ولكن يوقف عن مقام المريد .

فقومٌ لما رأوا أنَّ هذه الأشياء لا تؤثر فيهم قسوة ولا تورثهم حجة . . ركنوا إليها واسترسلوا فيها ، وقنعوا بأداء الفرائض ، واتسعوا في المآكل والمشارب ، وهذا الانبساط منهم بقية من سُكر الأحوال ، وتقيد بنور الحال ، وعدم التخلص بالكلية إلى نور الحق .

ومن تخلص من نور الحال إلى نور الحق . . يذهب عنه بقايا السكر ،

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في « الحلية » (١٠ / ٥٣ - ٥٤) ، وأورده بلفظه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٦١ ، ٧٣) ، والقشيري في « الرسالة » (ص ٣٣٩) .

وَيُوقِفُ نَفْسَهُ مَقَامَ الْعَبِيدِ ، كَأَحَادِ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ ؛ يَتَقَرَّبُ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَأَنْوَاعِ الْبِرِّ حَتَّى بِإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ .

وَلَا يَسْتَكْبِرُ وَلَا يَسْتَنْكَفُ أَنْ يَعُودَ فِي صُورِ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إظهارِ الْإِرَادَةِ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَصِلَةٍ ؛ فَيَتَنَاوَلُ الشَّهَوَاتِ وَقْتًا ؛ رِفْقًا بِالنَّفْسِ الْمُطَهَّرَةِ الْمُزَكَّاةِ الْمُتَنَادَةِ الْمُطَوَّاعَةِ ؛ لِأَنَّهَا أَسِيرَتُهُ ، وَيَمْنَعُهَا الشَّهَوَاتِ وَقْتًا ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ صَلَاحَهَا .

واعتَبِرْ هَذَا سِوَاءَ بِحَالِ الصَّبِيِّ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ جَاوَزَ حَدَّ الْعِتْدَالِ مِنْ إعْطَاءِ الْمُرَادِ وَقْتًا وَمَنْعِهِ وَقْتًا . . فَسَدَ طَبْعُهُ^(١) ؛ لِأَنَّ الْجِبِلَّةَ لَا بُدَّ مِنْ قَمْعِهَا بِسِيَاسَةِ الْعِلْمِ ، وَمَا دَامَتِ الْجِبِلَّةُ بَاقِيَةً لَا بُدَّ مِنْ سِيَاسَةِ الْعِلْمِ ، وَهَذَا بَابُ غَامِضٍ دَخَلَ فِي النِّهَايَاتِ عَلَى الْمُتَنَهِّينَ مِنْ ذَلِكَ دَوَاحِلُ ، وَوَقَعَ الرُّكُونُ ، وَانْسَدَّ بِهِ بَابُ الْمَزِيدِ .

فَالْمُنْتَهَى مَلَكٌ نَاصِيَةٌ الْإِخْتِيَارِ فِي الْأَخْذِ وَالْتِرْكِ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ فِي الْأَعْمَالِ وَالْحُظُوظِ .

فَفِي الْأَعْمَالِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ ؛ فَتَارَةً يَأْتِي بِالْأَعْمَالِ كَأَحَادِ الصَّادِقِينَ ، وَتَارَةً يَتْرِكُ زِيَادَةَ الْأَعْمَالِ رِفْقًا بِالنَّفْسِ ، وَتَارَةً يَأْخُذُ الْحُظُوظَ وَالشَّهَوَاتِ رِفْقًا بِالنَّفْسِ ، وَتَارَةً يَتْرِكُهَا تَفْقُودًا لِلنَّفْسِ بِحُسْنِ السِّيَاسَةِ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مُخْتَارًا .

فَمَنْ سَاكِنَ تَرَكَ الْحُظُوظَ بِالْكُلِّيَّةِ . . فَهُوَ زَاهِدٌ تَارِكٌ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَمَنْ

(١) فِي النِّسْخِ مَا عَدَا (ب ، هـ) : (انْفَسَدَ) ، وَقَدْ سَبَقَ التَّعْلِيقُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي (٣٩١/١) .

استرسل في أخذها فهو راغب بالكُلِّيَّة ، والمُنْتَهَى شَمِلَ الطَّرْفَيْنِ ؛ فَإِنَّهُ عَلَى غَايَةِ الاعتدالِ ، واقفٌ على الصراطِ بين الإفراطِ والتفريطِ .

فَمَنْ رُدَّتْ إِلَيْهِ الْأَقْسَامُ فِي النِّهَايَةِ ، فَأَخَذَهَا زَاهِدًا فِي الزُّهْدِ . . فهو تحتَ قَهْرِ الْحَالِ مِنْ تَرْكِ الْإِخْتِيَارِ ، وتاركُ الْإِخْتِيَارِ الْوَاقِفُ مَعَ فِعْلِ اللَّهِ . . مُقَيَّدٌ بِالْحَالِ ، وكَمَا أَنَّ الزَّاهِدَ مُقَيَّدٌ بِالتَّارِكِ تَارِكُ الْإِخْتِيَارِ . . فكذلك الزَّاهِدُ فِي الزُّهْدِ ، الْآخِذُ مِنَ الدُّنْيَا مَا سَبَقَ إِلَيْهِ لِرُؤْيِيَّتِهِ فِعْلَ اللَّهِ . . مُقَيَّدٌ بِالْأَخْذِ .

وَإِذَا اسْتَقَرَّتِ النِّهَايَةُ لَا يَتَقَيَّدُ بِالْأَخْذِ وَلَا بِالتَّارِكِ ، بَلْ يَتْرُكُ وَقْتًا وَإِخْتِيَارَهُ مِنْ إِخْتِيَارِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَأْخُذُ وَقْتًا وَإِخْتِيَارَهُ مِنْ إِخْتِيَارِ اللَّهِ ، وَهَكَذَا صَوْمُهُ النَّافِلَةُ ، وَصَلَاتُهُ النَّافِلَةُ ؛ يَأْتِي بِهَا وَقْتًا وَيَسْمَحُ لِلنَّفْسِ وَقْتًا ؛ لِأَنَّهُ مُخْتَارٌ صَحِيحٌ فِي الْإِخْتِيَارِ فِي الْحَالَيْنِ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ وَنِهَايَةُ النِّهَايَةِ ، وَكُلُّ حَالٍ تَسْتَقَرُّ وَتَسْتَقِيمُ يُشَاكِلُ حَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَهَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ ، وَيَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ وَلَا يَصُومُ الشَّهْرَ كُلَّهُ غَيْرَ رَمَضَانَ^(١) ، وَيَتَنَاوَلُ الشَّهَوَاتِ .

وَلَمَّا قَالَ الرَّجُلُ : إِنَّنِي عَزَمْتُ أَلَّا أَكُلَ اللَّحْمَ . . قَالَ : « لَا ، كُلِ اللَّحْمَ ؛ فَإِنِّي أَكُلُ اللَّحْمَ وَأُحِبُّهُ ، وَلَوْ سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُطْعِمَنِيهِ كُلَّ يَوْمٍ . . لَأَطْعَمَنِي »^(٢) ، وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ

(١) رَوَى مُسْلِمٌ (٧٤٦) وَغَيْرُهُ عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ ضَمِنَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ : (وَلَا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ ، وَلَا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ ، وَلَا صَامَ شَهْرًا غَيْرَ رَمَضَانَ) .

(٢) الْمَثْبُوتُ غَرِيبٌ بِاللَّفْظِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ . انْظُرْ « غِنْيَةُ الْعَارِفِ » (٩٢٢/٢ - ٩٢٣) .

مُختاراً في ذلك ؛ إن شاء أَكَلَ وإن شاء لم يأكل ، وكان يترك الأكل اختياراً ،
ويأكل اختياراً .

وقد دخلت الفِتنَةُ على قومٍ كُلِّما قِيلَ لَهُم : إِنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه
وسَلَّمَ فَعَلَ كذا.. يقولون : كان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ مُشْرِعاً ،
وهذا إذا قالوه على معنى : أَنَّهُ لا يلزمُهُمُ التَّأْسِي به.. جهلٌ محضٌ ؛ فَإِنَّ
الرُّخْصَةَ الوقوفُ على حَدِّ قولِهِ ، والعزيمةُ التَّأْسِي بفعْلِهِ ، وقولُ رسولِ اللهِ
صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ لأربابِ الرُّخْصِ ، وفعله لأربابِ العزائمِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمُنتَهِي يُحاكي حالَهُ حالَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ في دعاءِ
رسولِ اللهِ الخَلْقَ إلى الحقِّ ؛ فكلُّ ما كانَ يَعْتَمِدُهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه
وسَلَّمَ ينبغي أَنْ يَعْتَمِدَهُ ، فكانَ قيامُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ وصيامُهُ
الزَّائِدُ لا يخلو : إمَّا أَنْ كانَ لِيُقْتَدَى بِهِ ، وإمَّا أَنْ كانَ لِمَزِيدٍ كانَ يَجِدُهُ
بذلك ؛ فَإِنْ كانَ لِيُقْتَدَى بِهِ فالْمُنتَهِي أيضاً مُقْتَدَى بِهِ ، فينبغي أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ
ذلك .

والصَّحِيحُ الحقُّ : أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ لم يفعلْ ذلكَ لِمُجَرَّدِ
الاقْتِدَاءِ ، بل كانَ يَجِدُ بذلكَ زيادةً ؛ وهو ما ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَهْذِيبِ الجِبِلَّةِ ؛
قالَ اللهُ تَعَالَى خطاباً لَهُ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] ؛ لِأَنَّ لَهُ
بذلكَ استمداداً مِنَ الحَضْرَةِ الإلهِيَّةِ ، وقرَعَ بابَ الكَرِيمِ ، والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ
عليه وسَلَّمَ مُفْتَقِرٌ إلى الزيادةِ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، غيرُ مُسْتَغْنٍ عن ذلكَ .

ثُمَّ في ذلكَ سِرٌّ غريبٌ^(١) ؛ وذلكَ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ

(١) في نسخة على هامش (د) : (عجيب) .

برابطة جنسية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ، ولولا رابطة الجنسية ما وصلوا إليه ولا انتفعوا به ، وبين نفسه الطاهرة ونفوس الأتباع رابطة التأليف^(١) ، كما بين روجه وأرواحهم رابطة التأليف ، ورابطة التأليف : أن النفوس ألفت آنفاً كما أن الأرواح ألفت أولاً ، ولكل روح مع نفسه تأليف خاص ، والشكون والتأليف والامتزاج واقع بين الأرواح والنفوس .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم العمل ؛ لتصفية نفسه ونفوس الأتباع ، فما احتاجت إليه نفسه من ذلك نال ، وما فضل من ذلك وصل إلى نفوس الأمة ، وهكذا المنتهي مع الأصحاب والأتباع على هذا المعنى .

فلا يتخلف عن الزيادات والنوافل ، ولا يسترسل في الشهوات واللذات . . إلا بدلالة محض النفس ، ولا يُعطي الاعتدال حقه من ذلك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة .

وكل من يحتاج إلى صحة الجلوة للغير . . لا بُدَّ له من خلوة صحيحة بالحق ، حتى تكون جلوته في حماية خلوته .

ومن يترأى له أن أوقاته كلها خلوة ، وأنه لا يحجبُ شيء ، وأن أوقاته بالله والله ، ولا يرى نقصاناً ؛ لأن الله ما فطنه لحقيقة المزيد . . فهو صحيح في حاله ، غير أنه تحت قُصور ؛ لأنه ما نبهه لسياسة الجبلية ، وما عرّف سرّ تملك الاختيار ، وما وقّف من البيان على البيضاء النقية .

وقد نقلت عن المشايخ كلمات فيها موضع الاشتباه ؛ فقد يسمعها

(١) في بعض النسخ : (التأليف) ، وكذلك في الموضع الآتي .

الإنسان ويبنى عليها ، والأولى : أن يفتقر العبد إلى الله تعالى في كل كلمة يسمعها ، حتى يسمعه الله تعالى من ذلك الصواب .

نقل عن بعضهم أنه سُئل عن كمال المعرفة ، فقال : إذا اجتمعت المتفرقات ، واستوت الأحوال والأماكن ، وسقطت رؤية التمييز^(١) .

فمثل هذا القول يوهم ألا يبقى تمييز بين الجلوة والخلو ، وبين القيام بصور الأعمال وبين تركها ، ولم يفهم منه إلا ذلك^(٢) ، ولا يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصاً ؛ يعني : أن حظ المعرفة لا يتغير بحال من الأحوال .

وهذا صحيح ؛ أن حظ المعرفة لا يتغير بحال ولا يفتقر إلى التمييز ، وتستوي الأحوال فيه ، ولكن حظ المزيد يتغير ويحتاج إلى التمييز ، وليس في هذا الكلام وأمثاله ما ينافي ما ذكرناه .

قيل لمحمد بن الفضل : حاجة العارفين إلى ماذا ؟ قال : حاجتهم إلى الخصلة التي كملت بها المحاسن كلها ؛ ألا وهي الاستقامة^(٣) .

فكل من كان أتم معرفة كان أتم استقامة ، فاستقامة أرباب النهايات على التمام .

(١) رواه أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٦٢) عن عبد الرحمن الفارسي رحمه الله تعالى ، وعلق عليه أبو نصر فقال : (معنى ذلك : أن يكون وقت العبد وقتاً واحداً بلا تغيير ، ويكون العبد في جميع أحواله بالله والله ، مأخوذاً عما سوى الله ، فعند ذلك يكون هذا حاله) .

(٢) سقطت لفظة (إلا) من بعض النسخ .

(٣) أورده أبو نصر السراج في « اللمع » (ص ٥٨) .

والعبدُ في الابتداء مأخوذٌ في الأعمالِ ، محجوبٌ بها عن الأحوالِ ،
وفي التوسطِ محظوظٌ بالأحوالِ ؛ فقد يُحجَبُ عن الأعمالِ ، وفي الانتهاءِ
لا تحجُبُهُ الأعمالُ عن الأحوالِ ، ولا الأحوالُ عن الأعمالِ ، وذلك هو
الفضلُ العظيمُ .

سُئِلَ الجُنَيْدُ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ عنِ النِّهَايَةِ ، فَقَالَ : هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى الْبَدَايَةِ .

وقد فَسَّرَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ الْجُنَيْدِ فَقَالَ : (مَعْنَاهُ : أَنَّهُ كَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ فِي
جَهْلٍ ، ثُمَّ وَصَلَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى التَّحْيِيرِ وَالْجَهْلِ ، وَهُوَ
كَالطُّفُولِيَّةِ ؛ يَكُونُ جَهْلٌ ، ثُمَّ عِلْمٌ ، ثُمَّ جَهْلٌ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَيْكِي لَا
يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [النحل : ٧٠] .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : (أَعْرِفُ الْخَلْقَ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَحْيِيرًا فِيهِ)^(١) .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ : أَنَّهُ يُبَادَأُ بِالْأَعْمَالِ ثُمَّ يُرْفَى إِلَى
الْأَحْوَالِ ، ثُمَّ يُجْمَعُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ ، وَهَذَا يَكُونُ لِلْمُنْتَهَى الْمُرَادِ
الْمَأْخُودِ فِي طَرِيقِ الْمَحْبُوبِينَ ، يَنْجَذِبُ رُوحُهُ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ،
فَيَسْتَتِيعُ الْقَلْبَ ، وَالْقَلْبُ يَسْتَتِيعُ النَّفْسَ ، وَالنَّفْسُ تَسْتَتِيعُ الْقَالَْبَ ، فَيَكُونُ
بِكُلِّيَّتِهِ قَائِمًا بِاللَّهِ ، سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي »^(٢) ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ
يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [الرعد : ١٥] .

(١) رواه السلمي في « الطبقات » (ص ٣٨٠) عن أبي يعقوب النهرجوري رحمه الله تعالى ،
والقشيري في « الرسالة » (ص ٦٤٢) عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى .

(٢) سبق تخريجه في (٣٨ / ٢) .

والظلالُ : القوالبُ تسجدُ لسجودِ الأزواجِ ، وعندَ ذلكَ يسري رُوحُ
المَحَبَّةِ في جميعِ أجزائِهِم وأبعاضِهِم ، فيتلذذونَ ويتنعمونَ بِذِكْرِ اللَّهِ وتلاوةِ
كلامِهِ مَحَبَّةً ووُدًّا ، فَيُحِبُّهُمُ اللَّهُ ، وَيُحِبُّهُمْ إلى خَلْقِهِ ؛ نعمةً مِنْهُ عَلَيْهِم
وفضلاً ؛ على ما :

(١٥١) - أَخْبَرَنَا شَيْخُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ضِيَاءُ الدِّينِ أَبُو النَّجِيبِ الشَّهْرُورِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو طَالِبٍ الزَّيْنَبِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرْتَنَا كَرِيمَةُ الْمَرْوَزِيَّةُ ، قَالَتْ : أَخْبَرَنَا
أَبُو الْهَيْثَمِ الْكُشْمِيهَنِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْفَرَبَرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ
أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا
فَأَحِبَّهُ ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا
فَأَحِبُّوهُ ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » (١) .

واللهُ أعلمُ بأحوالِ العبادِ ، وباللهِ العونُ والعصمةُ والتوفيقُ ، وإليه انتهاءُ
الطريقِ .

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
وآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْأَبْرَارِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْمُعِينُ .



(١) صحيح البخاري (٧٤٨٥) ، ورواه مسلم (٢٦٣٧) ، وقوله : (فَأَحِبَّهُ) الفتح هو
الرواية ، والضم أفصح منه . انظر « شرح الأشموني على الألفية » (٨٩٧ / ٣) .



خاتمة النسخة (أ)

تمّ كتاب « عوارف المعارف » بحمد الله وحُسن توفيقه ، وصلى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين ، في يوم السبت وقت صلاة العصر شهر جمادى الثاني سنة سبع وسبعين وست مئة .

كتبه : إسماعيل بن سالار بن زكي بن سالار الكازروني ، حامداً ومُصلياً .

خاتمة النسخة (ب)

[تمّ] ما حرّره العبد الفقير الضعيف إلى عفو الله تعالى ؛ محمّد بن يوسف بن عبد الرحمن الحوراني^(١) .

وكان الفراغ من كتاب « عوارف المعارف » ، يوم الأربعاء تاسع عشر من جمادى الآخرة سنة اثنين وتسعين وست مئة من الهجرة النبوية ، أحسن الله تقضيها ، والحمد لله رب العالمين .

خاتمة النسخة (ج)

لله الحمد في جميع الأطوار ، ثمّ الصلّوات للنبي المختار .
وكتب بعد هذه الخاتمة خاتمة مفصلة للكتاب ؛ وإليك نصّها :

(١) كذا رسمت ، ويحتمل أنّها (الخوزاني) ، والله تعالى أعلم .

(الحمد لله المعين ، والصلاة والسلام على خير خلقه النبي الأمين ،
وسيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، سيما الخلفاء
الراشدين ، والغزاة والمستشهادين ، والتابعين وتبع التابعين ، والعلماء
المجتهدين ، وأهل طاعة الله من أهل السماوات وأهل الأرضين ،
والشكر لله تعالى وتقدس على إتمام كتابة « عوارف المعارف » ، [كان]
ابتدائها في مسجد سيد الرسل ، وهادي السبل ، عليه الصلاة
والسلام ، وانتهاءها في البلد الحرام - لا زال مكانه مأمن الأنام - والمسجد
والمقام .

وقد كتبت لجناب الشيخ الأعلام ، أكرم المشايخ من الأمم ، نزيل
الحرمين الشريفين ، مدرس المسجدين المنيفين ، مطاف طوائف طرائف ،
حكم مهبط وفود لطائف ، كرم روضة دار السلام سعادتين ، حذقة حذيفة
أنوار رئاستين ، حلال مشكلات أحكام شرعي ، شافع معضلات أصلي
وفرعي ، قانون شفاء قلوب أولياء ، مشكاة نجاة كرب غرباء وصلحاء ،
شهاب الطريقة والشرعة والحقيقة والدين ، أبي المكارم الشيخ شهاب الدين
أحمد بن المرحوم افتخار الأكابر في عصره ، الخواجه شيخ محمد بن
الصدر الأعظم الأكرم الأطهار أشرف العجم ، الخواجه أحمد الدشتي
الكيلاني ، أبقاه الله في الأمن والأمان ، في عين عرفان المعاني ، ورحم
أسلافه ، وكثر أولاده وأخلافه ، ورحم كاتبه وقارئه ، ولجميع المؤمنين ،
وصلى الله على خير النبيين ، وأصحابه وأولاده أجمعين ، آمين رب
العالمين) .

ثُمَّ نُقِلَ آيَاتُ لِمَحَمَّدَ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ ؛ وَهِيَ ^(١) :

كُتِبَتْ بِعَوْنِ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْعُلَا	عَوَارِفُ شَيْخِي قُدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ
إِمَامِ الْهُدَى شَيْخِ الشُّيُوخِ وَقُطْبِهِمْ	شَهَابِ لِدِينِ اللَّهِ قَدْ فَاقَ عَصْرَهُ
بِكَشْفِ وَإِقَانٍ وَزُهْدٍ وَحِكْمَةٍ	وَعِلْمٍ وَعِرْفَانٍ وَأَعْطَاهُ نَشْرَهُ
وَأَجْرِي يَنَابِيعَ الْعُلُومِ بِنُطْقِهِ	وَطَهَّرَ مَجْرَاهُ وَأَوْسَعَ صَدْرَهُ
تَصَدَّقَ بِعَوْنِ اللَّهِ سَبْعِينَ حَجَّةً	لِإِرْشَادِ خَلْقِ اللَّهِ عَمَرَ عُمْرَهُ
وَأَحْكَمَ بُيَانِ السُّلُوكِ مُمَهِّدًا	قَوَاعِدَ عِرْفَانٍ وَشَيْدَ قَصْرَهُ
فَأَصْبَحَ أَصْحَابُ التَّصَوُّفِ كَاشِفًا	بِمَا أَوْضَحَ الشَّيْخُ الْمُكَاشِفُ سِرَّهُ
أَفَاضَ عَلَيْهِ الْحَقُّ شُؤْبُوبَ رَحْمَةٍ	وَفِي الْجَنَّةِ الْمَأْوَى تِكَامِلَ أَجْرَهُ
فِيَا رَبِّ وَفَقَّنِي لِمَا كُنْتُ نَامِقًا	وَيَا رَبَّ أَلْهِمْنِي وَعَلَّمْنِي فَسْرَهُ
وَيَا رَبَّ غُفْرَانًا لِمَنْ كَانَ سَائِلًا	لَزَلَّةٍ هَذَا الْعَبْدِ إِذْ طَالَ شَعْرُهُ
وَكَانَ فَرَاحِي مِنْهُ شَعْبَانُ نَصْفُهُ	لِعَامِ ثَلَاثِينَ ثَمَانِي أَرْزُهُ ^(٢)
يُزَادُ عَلَيْهِ سَبْعُ مَاءٍ مُكَمَّلًا	لَهَجْرَةٍ خَيْرِ الْخَلْقِ إِذْ تَابَعَ أَمْرَهُ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا حَجَّ بَيْتَهُ	عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا زَارَ قَبْرَهُ

ثُمَّ كُتِبَ بَعْدُ وَصِفْتُ بَسِيطَ لِلنَّسْخَةِ الْمَقَابِلَةِ عَلَيْهَا النَّسْخَةُ (ج) ، وَالتِّي قُرِئْتُ عَلَى الْمُؤَلِّفِ ، كَمَا كُتِبَ تَأْرِيخُ وَتَوْثِيقُ لِهَذِهِ الْمَقَابِلَةِ ، وَإِلَيْكَ صُورَةُ هَذَا الْمَكْتُوبِ :

(١) وَالظَّاهِرُ : أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ قَدْ قِيلَتْ بِسَبَبِ كِتَابَةِ وَنَسْخِ « عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ » ، وَلَعَلَّ النَّاسِخَ أَتَى بِهَا ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ مَدْحِ الْكِتَابِ وَمُؤَلِّفِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) فِي نَسْخَةٍ عَلَى الْهَامِشِ : (وَفِي نَصْفِ شَعْبَانَ تَصَادَفَ خْتَمُهُ) بَدَلَ الشَّطْرِ الْأَوَّلِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد حمد الله تعالى على نعمائه وإفضاله ، والصلاة والسلام على محمد وآله . . قابلتُ هذا الكتاب المُسمَّى بـ « عوارف المعارف » للشيخ العالم العامل الربّاني ، الإمام الكامل المُكَمَّل الرَّحْماني ، شهاب المِلَّة والدين أبي عبد الله عمر الشُّهُرُوردي ، قدس الله روحه ، بنسخة مأخوذة من أمُّ النسخ المقروءة على مُصنِّفها مراراً ، وفيها خطُّه الشريف تَكَرَّراً ، وهذه صورةُ كتابته :

(قَرَأَ عَلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ : الْوَلَدُ الصَّالِحُ الْعَالِمُ الزَّاهِدُ الْعَارِفُ ، نَجْمُ الْمِلَّةِ وَالدينُ ثَابِتُ بْنُ تَاوَانَ^(١) ، قِرَاءَةً مَنْ تَفَهَّمْ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْإِشَارَاتِ وَالْغَرَائِبِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِمَعْرِفَتِهَا مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ مَشَايخِ الصُّوفِيَّةِ ، وَاللهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ تَأْيِيداً وَتَوْفِيقاً .

وَسَمِعَ الْكِتَابَ جَمِيعَهُ بِقِرَاءَتِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُقِيمِينَ بِالرِّبَاطِ الَّذِي أَمَرَ بِنَائِهِ بِالْمَرْزُبَانِيَّةِ خَلِيفَةُ اللهِ تَعَالَى الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ النَّاصِرُ لَدِينِ اللهِ تَعَالَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، شَيْدُ اللهِ تَعَالَى بِهِ قَوَاعِدَ الدِّينِ ، وَنَصَرَ بِهِ أَحْزَابَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَكُتِبَ : عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشُّهُرُوردي ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .
وَقَدْ [قَرَأَهُ] بَعْدَهُ مَشَايخُ الصُّوفِيَّةِ [نَيْقاً] وَعِشْرِينَ مَرَّةً ، وَعَلَيْهَا إِجَازَاتٌ

(١) وهو من أجل تلاميذ المؤلف . انظر ما تقدم في (٣٧ / ١) .

مُتَعَدِّدَةٌ ؛ إِمَّا [مَكْتُوبَةٌ] فِي زَمَانِ حَيَاةِ مُصَنِّفِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَإِمَّا بَعْدَ مُضِيِّ سَبِيلِهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْغَفُورِ .

وَالْكِتَابُ الْمُقَابِلُ بِهِ مَوْقُوفٌ عَلَى الرِّبَاطِ الْمُبَارَكِ الْمَبْنِيِّ بِمَحْرُوسَةِ دِمَشْقٍ حَمَاهَا اللَّهُ جَنْبَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ الْمُسَمَّى بِالسُّمَيْسَاطِيَّةِ ، وَقَابَلْتُهُ مَعَ مَوْلَانَا الشَّيْخِ الْعَالِمِ الْفَاضِلِ ، النَّاسِكِ السَّالِكِ الْعَارِفِ ، مُفِيدِ الطَّالِبِينَ ، عَلَاءِ الْمِلَّةِ وَالِدِينَ ، مُحَمَّدٍ عَرَبِ الْخِرَاسَانِيِّ ، مَتَّعَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِدَوَامِ أَنْفَاسِهِ ، مُقَابِلَةً مَشْفُوعَةً بِالْإِحْتِيَاطِ وَالتَّحْقُظِ وَالتَّحْقِيقِ ، إِلَّا مَا زَاغَ الْبَصَرُ ، وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِ النَّظَرُ ، وَالْمَرْجُوُّ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ مَشْكُورًا ، وَذَنْبُهُ مَغْفُورًا .

وَكُتِبَ : أَقْلُ الْمَسَاكِينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَبْرَقُو هِيَ مَوْلِدًا بِمَدِينَةِ دِمَشْقٍ بِالْمَقَامِ الْمَذْكُورِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمٍ مِنَ الْعَرَبِ ، مِنَ الرَّبْعِ الثَّانِي لِسَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

وَنَحْنُ قَابِلُنَا مَا كَتَبْنَا وَنَقَلْنَا مِنْ هَذِهِ النُّسخَةِ بِالْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - دَامَتْ حَرَمَتُهُمَا - بِهَذِهِ النُّسخَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمَوْصُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ بِغَايَةِ الْإِحْتِيَاطِ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ الْوَاقِفِينَ الْمُحْتَسِبِينَ أَجَرَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِمْ ، وَأَقْبَلَ بِرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ عَلَيْهِمْ . . فِي رَجَبِ الْأَصْبِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ (. . .) عَلَى يَدِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْبَاتٌ فِي مَدْحِ كِتَابِ « الْعَوَارِفِ » وَمَوْلَفِهِ الْإِمَامِ الشُّهُرُورِيِّ ، أَصَابَهَا بَعْضُ الْخَلَلِ فِي تَرْكِيبِهَا وَوُزْنِهَا ؛ وَهِيَ :

يا أخ الإصاف إن لجَّ على الخلف المخالف
 صانك الله أبن لي هل رأيت مُقلّة طارف
 كشهاب الدين حَبْرًا بالطريق الحقّ عارف
 أو بياناً ظلّ للحقّ على الباطل قاذف
 من علوم القوم أشفى من عوارف للمعارف
 وصف شهاب الدين قد حيّر [وصف] كلّ واصف
 - أودع عَرْف سرّه عوارف المعارف
 ففاح نشر رَوْحِه لروح كلّ واصف
 - [إذا ما] التقينا والعيون نواظر وألُسنا حرب وأعيننا سلّم
 وتحت مجاري الدمع منّا مودّة تطلّع سرّاً حيث لا يبلغ الوهم

خاتمة النسخة (د)

فرغ من كتابته : العبد الضعيف الراجي إلى رحمة الله ؛ محمّد بن
 عبد الله بن محمّد (. . .) ، ثمّ السورباني ، يوم الأربعاء [سابع] صفر سنة
 ست وخمسين وست مئة بمدينة دمشق [حماها] الله ، بالمدرسة العادلية ،
 رحم الله بانيها .

خاتمة النسخة (هـ)

[وقع الفراغ] من كتابة [هذا] الكتاب بعون الله وحسن توفيقه ، على يد
 العبد الفقير الحقير الذليل ، المُقرّ بذنبه ، المحتاج إلى رحمة الله وكرمه

وفضله وعفوه ، أبي (. . .) خلف بن أبي زيد بن الحسين الصباغي
الكاشغري ، في غرة المُحرَّم ظهير يوم الخميس ، في خانقاه سعيد
السعداء ، سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله أجمعين .

خاتمة النسخة (و)

وقع الفراغ من تحريره : العبد الضعيف المذنب الراجي إلى رحمة الله
تعالى وغفرانه ؛ محمَّد بن الحسين بن محمَّد بن عمر بن الحسن (. . .)
الدامري ، في يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ، سنة
أربع وسبعين وست مئة ، عمَّت بركته ، ورزقنا قدره ، وأصلحِ اللهم
أحواله ، واجعل مرضاته مآله ، بحقِّ المصطفى وآله .

أموتُ ويبقى كلُّ ما قد كتبتُهُ فيا ليتَ مَنْ يقرأ خُطوطي دعا ليا
[لعلَّ إلهي يعفو] عني بفضلِهِ ويغفرُ زلَّاتي وسوءَ فعليَا

خاتمة النسخة (ز)

تمَّ كتاب « عوارف المعارف » بحمد الله ومنَّه وحسن توفيقه ، وصلَّى الله
على خير خلقه محمَّد نبيِّه وصَفِيَّه وآله وسلَّم .

فرغ من تحريره : يومَ الجمعة وقت الضحى في السادس والعشرين من
شهر الله المبارك ذي الحجَّة ، سنة ثلاث وسبع مئة .

نَجَزَ حامداً لله ومُصلِّياً ومُستغِيراً ، والحمدُ حقَّ حمده ، والصلاة على
نبيِّه محمَّد وآله أجمعين .

خاتمة النسخة (ح)

وقع الفراغ من تسويد « عوارف المعارف » صنعة الإمام العالم الكامل
الفاضل البارع المُحقِّق ، قُطْب الإسلام والمسلمين ، شهاب المِلَّة والحقِّ
والدين ، أبي عبد الله عمر بن محمَّد بن عبد الله الشُّهُرُورْدي البكري ،
رضي الله عنه وأرضاه ، يوم الاثنين وقت الظهر ، في يوم عرفة من شهر
رمضان المبارك^(١) ، في تاريخ سنة ست وستين وثمان مئة ، على يد أضعف
العباد [وأحقرهم] ، المُقرِّر بذنبه ، المحتاج إلى رحمة ربِّه وكرمه وفضله
وعفوه ، يعقوب بن بدر بن مصطفى بن خضر بن ميكائيل الشهير بميكائلي
في نواحية عنقري ، غفر الله له ولهم ولأسلافهم ولجميع المؤمنين ، آمين
يا ربَّ العالمين ، بحقَّ محمَّد وآله أجمعين ، اللهم ؛ انفعه به في الدنيا
والآخرة .

فرحم الله عبداً نظرها أو قرأها ، ووقف عليها على خطأ أو تصحيف أو
تحريف غيرَه وردَّه إلى الصواب والدعاء بالخير ، ورحم الله عبداً قال :
آميناً .

أموْتُ ويبقى كلُّ ما [قد] كتبتُه فيا ليتَ مَنْ يقرأ كتابي دعا ليا
لعلَّ إلهي يعفو [عني] خطيئتي ويغفرُ [لي] ذنبي وسوءَ فعلياً

(١) كذا في الأصل .

خاتمة النسخة (ي)

[تمَّ هذا] الكتاب المُسمَّى بـ « عوارف المعارف » يوم الخميس وقت الضحى في السادس من شهر مُحَرَّم الحرام سنة ألف ومئة وخمسة وعشرين ، بيد [العبد] الضعيف النحيف الراجي إلى رحمة الله وشفاعة النبيِّ الحجازي ، أحمد بن عبد النبي عرف [بترك] الغوري ، غفر الله له ولوالديه ولأستاده وأجداده وأحبابه ، وأحسن الله له ولهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، آمين ربَّ العالمين .



سماع النسخة (ب)

قرأت جميع هذا الكتاب على الشيخ الإمام العالم الحافظ بقيّة السلف علاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد (. . .) القونوي ، وهو قرأه على الشيخ نجم الدين عمرو الروزبهاني البقلي ، وهو قرأه على المُصنّف رحمه الله .

فسمعه عليه جماعة ؛ منهم : الشيخ الإمام العالم العامل الكامل ، بقيّة السلف ، أنموذج الخلف ، شرف الدين محمود بن علاء الدين علي بن فخر الدين إبراهيم القيصري شيخ السّادة الصوفية بخانقاه خابور ظاهر دمشق المحروسة ، وولده عبد الملك وعبد الله ، وابن عمّهما محمّد بن علاء الدين علي بن محمّد بن علي بن إبراهيم القيصري ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أحمد التبريزي ، وعلاء الدين علي بن محمّد بن أبي بكر (. . .) ، والشيخ علاء الدين علي بن منصور بن علي الخواجي ، والشيخ شمس الدين محمّد بن أبي بكر بن أحمد الشّيرازي ، والشيخ الإمام العالم العلامة جامع الفضائل محيي الدين أبي زكريّا يحيى بن محمّد بن سليمان الشيبّي ، والشيخ الإمام العلامة الفاضل زين الدين عمر بن عبد الرحمن بن محمّد المارداني ، والشيخ شرف الدين الذهبي ، والشيخ جلال الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الخوارزمي ، كلّهم سمعوا جميع الكتاب ، إلا الشيخ شرف الدين الذهبي ؛ فإنّه سمع أكثره وفاته منه مواضع .

وكانت قراءته في مجالس ، آخرها يوم الأحد سابع غرة محرم ، سنة أربع وستين وسبع مئة ، وأجاز الشيخ المذكور أيده الله تعالى لهم روايته بشرائطه المعتبرة عند أئمة النظر .

وكتبه : محمد بن منصور بن محمد (. . .) ، صحّحه وكَمَّلَ كتبه العبد الفقير علي بن أحمد بن (. . .) القونوي ، عفا الله تعالى عنه .

سماعات النسخة (هـ)

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، ورضي الله عن التابعين ، وقدّس أرواح المشايخ إلى يوم الدين .
وبعد :

- فقد سمعَ بقراءته جميعَ هذا الكتاب - وهو « عوارف المعارف » تصنيفُ الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله الشهرُورديّ ، قدّسَ الله سرّه - : على الشيخ الإمام الأوحد القدوة العارف شرف الدين أبي عبد الله محمد بن الحجاج بن محمد الكاشغريّ الختني رحمه الله قال : قال : أخبرنا شيخ الشيوخ علاء الدين أبو المعالي علي بن إسماعيل القونويّ الشافعيّ بقراءتي عليه وهو يسمع ، أخبرنا الشيخ الجليل الأصيل بدرُ الدين المعروف بابن الخلال الدمشقيّ سماعاً عليه ، قال : أنبأنا المُصنّفُ قدّسَ الله سرّه .

(ح) وبإجازته من الشيخ الإمام الحُجّة صدر الدين أبي المجمع إبراهيم ، ابن قطب الواصلين سعد الدين محمد بن المؤيّد الحمّوي

الجويني ، قال : أخبرنا بقراءتي سماعاً - وهو من أول الكتاب إلى الباب الحادي والثلاثين ، ومن الباب الستين إلى آخر الكتاب - وبقراءة الشيخ عماد الدين محمد بن أحمد بن الخطيب الجاجرمي - من الباب الحادي والثلاثين إلى الباب الستين - . . الشيخ النسيب شهاب الدين مسعود بن عبد الرحمن المستوفي الإسفرايني ، أخبرنا سماعاً بجميعه المصنّف حُجَّةُ الإسلام شهاب الدين السُّهرُوردي ، في شَوَّال سنة ست عشرة وست مئة .

وصحَّ لي وثبَّت في مجالس بالقدس الشريف بزاوية الأقصى ، آخر ذلك شهر جمادى الأولى من سنة أربعين وسبع مئة ، وأجاز بسؤالي جميعَ ما يجوز له وعنه روايته بشرطه .

وكتب : أحمد بن محمد بن محمد البخاري النجاري ، حامداً لله ومُصلياً ومُسليماً ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

- وسمعتُ جميعه أيضاً : على الشيخ الإمام الحافظ شيخ المُحدِّثين وعُمدتهم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نُباتة الفارقي ثمّ المصري الشافعي ، بقراءة الشيخ الإمام العلامة سديد الدين أبي الحسن علي بن محمد بن أبي الحسن خطيب بلدة سَلَماس ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام القدوة قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن القسطلاني التَّوَزَري الشافعي ، في شهور سنة إحدى وثمانين وست مئة ، بالجامع العتيق بمصر المحروسة ،

قال : أخبرنا الشيخ الإمام مرشد الخلق إلى الحقّ شهاب الدين أبو عبد الله عمر بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عَمْوِيَه - واسمه : عبد الله - بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمّد بن أبي بكر الصّدِّيق رضي الله عنه قراءة عليه وأنا أسمع بمكّة تجاه الكعبة المُكْرَمَة^(١) ، زادها الله شرفاً وكرامة ، في ذي الحِجَّة من سنة ست وعشرين وست مئة .

وصحّ وثبّت في مجالس في العشر الأخير من رمضان سنة أربعين وسبع مئة بالخانقاه العزيزة المعروفة بالسُّمَيْسَاطِيَّة حول الجامع الأموي بدمشق ، وأجاز وسمع آخرون ذُكِرَ أسماؤهم على نسخة السُّمَيْسَاطِيَّة ، وبها كانت القراءة .

وكتب : أحمد بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن محمّد البخاري حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا .

- وقرأتُ جميع هذا الكتاب - وهو « عوارف المعارف » - : على شَيْخِي الإمام العارف بالله والمرشد إليه ، شيخ الوقت نادرة الوجود ، علاء الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين يوسف بن إسحاق الحرّاني المَلْطِي المعروف بالمصري ، قدّس الله سرّه العزيز ونور ضريحه ؛ وذلك حين رحلتي لقصده إلى مَلْطِيَّة بالروم ، فأمرني أن أقرأه عليه بحضور جماعة جمّة من أصحابه ، وذلك ما بين الظهر والعصر ، وأخبرني أنّه قرأ بعضه وأجازه ببعضه الشيخُ الإمام مرشد الخلق إلى الحقّ ولي الدين علاء الدولة أحمد بن

(١) جاءت الكلمة مطموسة ، ويحتمل أن تكون : (المعظمة) أو (المشرقة) أو نحوهما .

محمّد بن أحمد السّمْناني الخراساني رحمة الله عليه ، قال : أخبرنا بجميعه
رشيد الدين محمّد ابن أبي القاسم المقرئ البغدادي إجازةً ، قال : أخبرنا
الشيخ الإمام العارف بالله شهاب الدين أبو عمرو^(١) عمر الشّهْرُوردي
المصنف سماعاً عليه .

وصحّ وثبّت في مجالسَ تجمعها مباحثُ وأحوال ، وذلك في شهور سنة
تسع وأربعين وسبع مئة ، وأجاز الشيخ لي ولمن سمع جميع ما يجوز له
وعنه روايته بشرطه .

وكتب : أحمد بن أبي محمّد بن محمّد بن محمّد رحمه الله ،
حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه .

- وسمعتُ جميع كتاب « العوارف » أيضاً : على الشيخ الإمام المُعَمَّر
الخطيب صدر الدين أبي الفتح محمّد بن الحافظ شرف الدين [أبي] عبد الله
محمّد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عنان بن موسى بن إسماعيل بن
عيسى بن عبد الله بن مكّي سبط القاضي الخشّاب الميّدومي البكري الشافعي
رحمه الله تعالى . . بقراءاتٍ مختلفة ، قيل له : أخبرك الشيخ الإمام قطب
الدين أبو بكر محمّد بن أحمد بن القسطلاني التّوّزري الشافعي قراءةً عليه
وأنت تسمعُ ، قال : أخبرنا الشيخ شهاب الدين المُصنّف سماعاً عليه في ذي
الحجّة من سنة ست وعشرين وسبع مئة بمكّة شَرَفها الله تعالى .

وسمع من هذه القراءات : ولدي محمّد - عُرف بصدقة - من أوّل

(١) كذا في النسخة ، والمشهور : أنّه يكنى بـ (أبي حفص) ، وقيل : (أبو عبد الله) ،
وانظر ما سبق في ترجمته (١٨ / ١) .

الكتاب إلى آخر الباب الثاني عشر في شرح حرمة المشايخ ، ومن أول الحادي والعشرين في شرح حال المُتَجَرِّد والمُتَاهِل من الصوفيّة وصحّة مقاصدهم إلى آخر الباب الرابع والعشرين في السماع ترفعاً واستغناءً ، ومن قوله : (وَمِنْ أَخْلَاقِ الصُّوفِيَّةِ الْقَنَاعَةُ) من الباب الثلاثين في تفاصيل أخلاق الصوفيّة إلى آخر الباب الخامس والأربعين في ذكر فضل قيام الليل .

وصحّ وثبت في شهور سنة اثنين وخمسين وسبع مئة بالقدس الشريف .

وأجاز وكتب : أحمد بن محمّد بن محمّد رحمه الله .

- وسمعتُ أيضاً وولدي محمد - عُرِفَ بصدقة - وأبو بكر حضوراً في الثالثة من عمره : على الشيخ الرُّحْلة المسند المُعَمَّر صدر الدين أبي الفتح بن الحافظ أبي عبد الله بن إبراهيم بن أبي القاسم الشافعي من كتاب « العوارف » الباب الحادي عشر والثاني عشر والثالثة التي بعدهما ، والحادي والستون إلى آخر الكتاب ، بقراءة المُحدِّث الحسيب الحافظ شمس الدين الحسيني .

وصحّ وثبت في مجلسين ، آخرُهُما يوم الجمعة خامس عشر رمضان المُعَظَّم من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بسكن ابن حديدة من حارة المغاربة بالقدس الشريف .

وكتب : أحمد بن أبي محمّد بن أبي عبد الله محمّد بن محمّد رحمه الله ، حامداً لله ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم .



إجازات النسخة (أ) بالخرقة الشريفة

أجزتُ ولد العالم الفاضل الكامل مولود بن محمود أعزّه الله بطاعته ،
للشيخ العالم الواصل الفاضل الكامل صفي الدين محمّد بن الشيخ السعيد
الشهيد عبد المجيد . . أن يروي عني جميع ما يجوز لي روايته على شروط
أئمة النقل ، وتلفّظت له بالإجازة وبإلباس خرقة المشايخ .

وإنني لبستها وأجزته من فريد عصره وخير الأولي الواصلين ، سلطان
أعظم المشايخ المُحقّقين ، عزّ الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرّج
الفاروخي ، وهو أخذها عن فريد عصره أفضل العلماء المتبحرين ، قانع
بدعة المبتدعين ، سلطان المشايخ المُحقّقين ، شهاب الدين عمر بن
محمّد بن عبد الله الشُّهُرُوردي ، وهو أخذها عن عمّه سلطان مشايخ عصره
ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله الشُّهُرُوردي ، عن عمّه
القاضي الفاضل الكامل المُتدبّن وجيه الدين عمر بن محمّد الشُّهُرُوردي ،
عن أخي فرج الزّنجاني ، عن أبي العباس بن خفيف ، عن رُويم بن
محمّد ، عن أبي القاسم الجنيد ، عن السري ، عن المعروف الكرخي ،
عن داود الطائي ، عن حبيب العجمي ، عن الحسن البصري ، عن أمير
المؤمنين ، وقطب الواصلين ، والمجتهدين المُحقّقين ؛ علي بن

أبي طالب ، عن خاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، محمد المصطفى
وعلى الغُرِّ الطاهرين أجمعين .

كتبه : أعجز وأفقر خلق الله تعالى عبد الصمد بن عبد السلام بن
عبد المجيد بن عمر رحمه الله ، حامداً مُصلياً مُسلماً .



إجازات النسخة (هـ) بالخرقة الشريفة

- وقرأتُ على الشيخ الإمام العالم بقيّة السلف قطب الدين أبي بكر محمّد بن الإمام جمال الدين محمّد بن الإمام جلال الدين أبي العزّ مكرم الأنصاري الخزرجي رحمه الله تعالى.. حديث أم خالد الذي في الباب الثاني عشر في شرح حُرمة المشايخ من هذا الكتاب ، قلت : كذا خبرك الشيخ الإمام المُحدّث رضي الدين أبو أحمد بن محمّد بن إبراهيم الطبري الشافعي قراءةً عليه وأنت تسمع ، قال : أخبرنا الإمام ضياء الدين محمّد بن عمر بن محمّد القسطلاني قراءةً عليه وأنا أسمع .

(ح) قال الشيخ قطب الدين : وأخبرنا إجازة الشيخ قطب الدين أبو بكر محمّد بن أحمد بن القسطلاني [التوّزري الشافعي] ^(١) ، قال : أخبرنا الإمام الحُجّة شهاب الدين أبو حفص عمر ابن عبد الله بن محمّد الشُّهْرُوردي قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو زرعة ، عن أبيه الحافظ أبي الفضل المقدسي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف الأديب بنيسابور ، أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحافظ ، أخبرنا [أحمد] بن إسحاق ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري ، أخبرنا أبو الوليد ، حدّثنا إسحاق بن سعيد ، أخبرنا أبي ، حدّثني أم خالد بنت خالد قالت : أتني النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة ، فقال : « مَنْ تَرَوْنَ أكسو هذه ؟ » ، فسكت القوم ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه

(١) ما بين المعقوفين لحق غير واضح في هامش (هـ) .

وسلّم : « اتتوني بأُمّ خالدٍ » ، قالت : فأتي بي فالبسنيها بيده ، قال : « أبلي وأخلقي » يقولها مرتين ، وجعل ينظر إلى عَلمٍ في الخميصة أصفر وأحمر ويقول : « يا أُمّ خالدٍ ؛ هذا سنّا » ، قال الشيخ شهاب الدين : والسّنّا بلسان الحبشة : الحَسَن^(١) ، وسمع هذا الحديث بقراءتي ولدي محمد عُرِفَ بصدقة .

- ثمَّ إنّ الشيخ قطب الدين ابن المكرم رحمه الله تعالى ألّبسَ ولدي بعد سماع هذا الحديث الخرقة المنسوبة إلى المشايخ رحمة الله عليهم ، وهي له على سبيل التبرك (. . .) ، وقال عندما ألّبه إياها : يا بُنَيَّ ؛ ألّبسني هذه الخرقة شيخي عماد السلف وعمدة الخلف عزُّ الدين بن عبد العزيز المنوفي رحمه الله تعالى ، وهو لبسها من شيخه أبي الفتح الواسطي ، وهو لبسها من شيخه الإمام محيي الدين أحمد بن أبي الحسن علي بن محمّد بن علي بن ثابت الرفاعي ، وهو لبسها من علي بن القارئ الواسطي ، وهو لبسها من [أبي] الفضل بن كامخ^(٢) ، وهو لبسها من غلام بن تُرْكان ، وهو لبسها من الشيخ [أبي علي الرُّوذباري]^(٣) ، وهو لبسها من علي العجمي ، وهو من الشُّبلي ، وهو من الجنيد ، وهو صحب بها سَرِيّاً السَّقَطي ، وهو صحب بها أبا محفوظ الكرخي ، وهو صحب بها داود الطائي ، وهو صحب بها حبيباً العجمي ، وهو صحب بها الحسن البصري ، وهو صحب بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وهو صحب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

(١) سبق هذا الحديث مسنداً من طريق المؤلف في (٣٣٣/١ - ٣٣٥) .

(٢) جاء في النسخة قبل علي العجمي الآتي ، والمثبت من « طبقات الأولياء » (ص ٩٤) وغيره .

(٣) رسمها في النسخة : (علي بن البارباري) .

وصحَّ هذا الإلباسُ بهذا السند في العشر الأخير من شهر رجب الفرد من سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكتب : أحمد بن أبي محمَّد بن محمَّد رحمه الله النجَّاري ، حامداً لله ومُصلِّياً ومُسلِّماً ، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم .

- وألبس ولديَّ محمَّد صدقة وأبا بكر خرقَةَ التصوف - وهي لمحمَّد الخرقَة الأصليَّة - . الشيخُ الإمام الرُّحلة المسند صدر الدين محمَّد بن محمَّد بن إبراهيم بن أبي القاسم الميِّدومي الخطيب ؛ وذلك يوم الجمعة سادس وعشرين شهر المُحرَّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأخبرهما أنَّه لبسها من الشيخ تاج الدين أبي الهدى أحمد بن محمَّد بن أبي الحسن العبَّاسي ، وهو لبسها من سفير الخلافة البادراني^(١) ، وهو لبسها من شيخ الشيوخ شهاب الدين أبي حفص عمر ابن عبد الله الشُّهْرُوردي .

وأخبرهما أنَّه صحب بها قطب الدين أبا بكر محمَّد بن أحمد بن القسطلاني ، قال : ألبسني شَيْخي مرشد الوقت شهاب الدين عمر ابن عبد الله الشُّهْرُوردي طاقيةً بعثها لي من بغداد ، وأجاز لي لبسها ، ثمَّ إنِّي لبستها من يده المباركة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المُعظَّمة سنة ست

(١) كذا في النسخة وكثير من المصادر والمراجع ، والمشهورُ : أنَّه بالدال المهملة نسبة إلى (بادراًيا) قرية من أعمال واسط ، وسفير الخلافة البادراني : هو الإمام الفقيه نجم الدين أبو محمَّد عبد الله بن أبي الوفاء محمَّد البغدادي البادراني الشافعي ، وممَّا قاله فيه السراج الوراق بعد إصلاحه بين صاحب الشام الملك الناصر وصاحب مصر :

بك التأم الإسلام بعد شتاتِهِ وجرَّد نحو الكفر حدَّ شَبَاتِهِ
هُدِينَا بنجم الدِّين والأمرُ مشكُلُ فكانت نجومُ الليلِ في كلماتِهِ

انظر « نجم المهتدي » (٢ / ٤٧-٤٨) .

وعشرين وست مئة ، قال : ألبسني عمِّي شيخ الإسلام إمام الحرمين ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله السَّهْرُوردي ، وهو لبسها من عم أبيه القاضي وجيه الدين المُلَقَّب بـ (عَمُّوِيه) السَّهْرُوردي ، وهو لبسها من أخي فرج الزَّنْجاني ، وهو لبسها من أبي العبَّاس النَّهَّاوَندي ، وهو لبسها من مِمَشاذ الدِّينوري ، وهو لبسها من أبي عبد الله محمد بن خَفِيف الشِّيرازي ، وهو لبسها من رُوَيم بن محمَّد ، وهو لبسها من أبي القاسم الجنيد بن محمَّد بن الجنيد البغدادي ، وهو صحب خاله أبا الحسن سري بن المَغْلَس السَّقْطِي ، وهو صحب أبا محفوظ معروفًا الكرخي ، وهو صحب داود الطائي ، وهو صحب حبيباً العجمي ، وهو صحب أبا سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، وهو صحب أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب ، وهو صحب سيِّدنا محمَّداً صَلَّى الله عليه وسلَّم وكرَّم .

وللشيخ ضياء الدين نسبة أخرى ؛ وهو أنَّه صحب بها أحمد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي ، وهو صحب بها أبا بكر النَّسَّاج ، وهو صحب بها عمرو بن محمَّد بن يوسف الزُّجَاجي ، وهو صحب بها الشُّبلي ، وهو صحب بها الجنيد .

وللشيخ شهاب الدين نسبة أخرى ؛ وهي أنَّه صحب بها أبا محمَّد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ، وهو من أبي سعيد بن المبارك المخزومي ، وهو من أبي الحسن علي بن محمَّد القرشي الهَكَاري ، وهو من أبي الفرج الطُّرْطُوشي ، وهو من أبي الفضل عبد الواحد التميمي ، وهو من الشُّبلي ، وهو من الجنيد .

وأصل خرقة ولدي أبي بكر : فإنه لبسها من الشيخ العارف شرف الدين أبي عبد الله محمد بن الحجاج بن محمد الكاشغري الجانداري ، وهو لبسها من أبي المجمع صدر الدين إبراهيم بن محمد بن المؤيد الحموي الجويني ، وهو لبسها من والده شيخ الإسلام قدوة الأنام سعد الدين سلام الله عليه ، وهو لبسها من يد ابن عم أبيه شيخ الشيوخ صدر الدين أبي الحسن في المسجد الأقصى ، وهو لبسها من يد أبيه شيخ الشيوخ أبي الفتح عمر ، وهو لبسها من يد جدّه جمال السنّة معين الدين أبي عبد الله محمد بن حمويه ، وله نسبتان ؛ نسبة الصحبة ونسبة الخرقة ؛ أمّا نسبة الصحبة : فمع الخضر عليه السلام ، وأمّا نسبة الخرقة : فإنه لبسها من يد شيخ الإسلام أبي علي الفضل بن محمد الفارمذي ، وهو لبسها من يد أبي القاسم عبد الله بن علي الكركاني الطوسي ، وهو لبسها من يد أبي القاسم منصور بن خلف المغربي ، وهو لبسها من يد أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي ، ونقل أن الشيخ أبا القاسم الكركاني صحب أبا عثمان ولبس الخرقة منه ، وهو لبسها من يد أبي عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري ، وهو لبسها من يد سيّد الطائفة الجنيد .

فهذه النسبة ألبسه إياها ، بارك الله له فيها ، ورزقه الاجتناب عمّا يُنافيها ؛ وذلك في شهور سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، بزاوية الشيخ تقي الدين بالقدس الشريف ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه الطيّين الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .





فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿بِسْمِ اللَّهِ ... وَلَا الضَّالِّينَ﴾	سورة الفاتحة ٧-١	١٥٢/٢
﴿الْم ... الْمُفْلِحُونَ﴾	سورة البقرة ٥-١	٣١٣/٢
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣	٥٦/٢
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾	٥	٥٦/٢
﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٩	٢٢٥/٢
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾	١٣٦	٥٥٤ ، ٢٩٦/٢
﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾	١٥٣	٢٨٦/٢
﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ﴾	١٦٣-١٦٤	٣١٣ ، ٢٧٦/٢
﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾	١٧٧	٤٨٩/٢
﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾	١٩٥	٤٧١/٢
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾	٢٠١	٣٢٧/٢
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾	٢٢٢	٤٥٩/٢
﴿وَاللَّهُ يَقْضِ وَيَبْصُطُ﴾	٢٤٥	٥٤٢/٢
﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾	٢٥٠	٣٢٧/٢
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ﴾	٢٦٠	٥٣٠/٢
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾	٢٦٨	٤٣٤/٢
﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾	٢٧٣	٢٦٣ ، ٢٤٩/١
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾	٢٨٢	٢١٢/١
﴿الرَّسُولُ بِمَا﴾	٢٨٥-٢٨٦	٣١٧ ، ٣١٣/٢
﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا﴾	٢٨٦	٣٢٧/٢-٤٦٢/١

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

سورة آل عمران

٣٠٤ / ٢	٢-١	﴿الَمْ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
٣٢٧ / ٢	٨	﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا﴾
٥٥٤ ، ٣١٣ / ٢	١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾
٢٨٩ / ٢	٢٦	﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾
٣١٣ / ٢	٢٦	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾
٢٧ / ٢ - ٢٣٥ / ١	٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾
٤٣٣ / ١	٣٧	﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾
٣٢٧ ، ٢٩٦ / ٢	٥٣	﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ﴾
١٢ / ٢	٧٤	﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾
٩٢ / ٢	١٠٣	﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾
٣٧٥ / ٢	١٠٣	﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾
٥٠٧ / ٢	١٢٢	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
١٠ / ٢	١٢٨	﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾
٣٧٨ / ٢	١٥٩	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا﴾
٣٢٧ / ٢	١٩٣	﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾
٣٥٢ ، ٣٥٠ / ١	٢٠٠	﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾

سورة النساء

٤٦٢ / ١	٢٨	﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾
٥٣٠ / ١	٤١	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا﴾
١٩٧ ، ١٥٣ / ٢	٤٣	﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾
٢٨٤ / ٢	٦٤	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا﴾
٣٣٥ / ١	٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
٥٦٨ / ٢	١٠٠	﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾
٢٨٤ / ٢	١١٠	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾
٥٠٣ / ٢	١٣١	﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا﴾

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

سورة المائدة

٣٨٥/٢	٢	﴿وَتَمَآوُؤًا عَلَى الْبِرِّ﴾
٢٥٦/١	٨	﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾
٥٠٧/٢	٢٣	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾
٢١٨/٢	٤٢	﴿سَتَجِدُونَ لِلْكَذِبِ﴾
٥١٦/٢	٥٤	﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
٥١٧/٢	٥٤	﴿أَذَلُّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾
٤٧٩/١	٨٣	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ﴾
١٢٢/٢	١١٦	﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ﴾

سورة الأنعام

٢٦٤/١	٥٢	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾
٣١٠/١	٧٥	﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ﴾
١٦٨/٢	٧٩	﴿وَجَهَّتْ وَجْهِي﴾
٣٦٣ ، ٣٠٧/١	٩٠	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾
٤٢١ ، ٢٢٦/٢	٩٦	﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾
٢٢٣ ، ١٨٢/١	١٢٢	﴿أَرَمَنْ كَانَ مِثْلًا﴾
٢٢٤/٢	١٦٢	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي﴾
٥٢٨/٢	١٦٢	﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَشُسْكِي﴾

سورة الأعراف

٤٠٩/٢	١١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾
٤١٥/٢	١٢	﴿خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ﴾
٨٢/٢	٤٣	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾
٣١٣/٢	٥٦-٥٤	﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ... الْمُحْسِنِينَ﴾
٣٩٦/٢	٧٩	﴿وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾
٢٣٨/١	١٢٢-١٢١	﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾
٥٤٧/١	١٤٢	﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى﴾

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾	١٤٣	١١٧، ١١٥ / ٢ - ٤٣٧ / ١
		٥٣٠، ١٢٠
﴿ لَنْ تَرِنِي ﴾	١٤٣	٤٤٢ / ١
﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾	١٤٦	٣٧ / ٢
﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ﴾	١٥٤	٥٠٣ / ٢
﴿ أَنْتَ وَلَيْسَ أَفْغَرُ لَنَا ﴾	١٥٥	٣٢٧ / ٢
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾	١٧٢	١٧٥ / ١
﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾	١٧٢	٣١١، ١٩٥، ١٩٤ / ١
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ ﴾	١٧٦	٤٢١ / ٢
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾	١٧٩	١٧٣ / ١
﴿ وَجَعَلَ مَتْنًا لِرُوحَهَا ﴾	١٨٩	٤١٩ / ٢ - ٥٢٢ / ١
﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾	١٩٩	١٠٥ / ٢
﴿ إِنَّكَ الْذِيكَ اتَّقُوا ﴾	٢٠١	٤٣٦ / ٢

سورة الأنفال

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾	١	٥٣٨ / ١
﴿ إِذْ يُغِيثُكُمْ النَّعَاسَ ﴾	١١	٢٦٠ / ٢
﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	١١	٢٨٠ / ٢
﴿ وَيُثَبِّتُ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾	١٢-١١	٢٦١ / ٢
﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴾	٢٣	١٧٩ / ١
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا ﴾	٢٤	١٨٨ / ١
﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٦٣	٩٢ / ٢ - ٣٠٩ / ١
﴿ هُوَ الَّذِي آتَاكَ ﴾	٦٣-٦٢	٣٧٥ / ٢

سورة التوبة

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾	١٠٨	٣٥٥ / ١
﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾	١٠٨	١٢٥ / ٢
﴿ السَّيِّحُونَ ﴾	١١٢	٢٠٢ / ٢ - ٣٧٧ / ١

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

١٧٠ / ١

١٢٢

﴿ قُلُوبًا لَا تَقْرَأُ مِنْ كُتُبٍ فَرَقَرَةٍ ﴾

٣١٣ / ٢

١٢٨-١٢٩

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾

سورة يونس

١٩ / ٢

٥٨

﴿ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ ﴾

سورة هود

٤٧٥ / ٢-٢٠٧ ، ٢٠٦ / ١

١١٢

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾

٢٩٤ ، ١٨٤ / ٢

١١٤

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ﴾

٣٢٣ ، ٢٩٤ / ٢

١١٤

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي ﴾

سورة يوسف

٤٢٥ / ٢

٥٣

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾

٣٢٧ / ٢

١٠١

﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

٢٢٧ / ١

١٠٨

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾

سورة الرعد

٥٨٨ ، ١٧٨ / ٢-٣٢٠ / ١

١٥

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴾

٦١ / ٢

١٥

﴿ وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ ﴾

٢٨٠ / ٢-١٦٩ ، ١٦٨ / ١

١٧

﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾

٤٦٥ / ٢

٣٣

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ ﴾

سورة ابراهيم

٣٢٧ / ٢

٣٨

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي ﴾

سورة الحجر

٢٤٨ / ٢-٣١٥ / ١

٢٩

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ﴾

٣٥٦ ، ٢٣٤ / ١

٤٧

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ ﴾

٣٨٧ / ٢

٤٧

﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ ﴾

١٢ / ٢

٨٧

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا ﴾

٥٨٥ / ٢

٩٩

﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ ﴾

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

سورة النحل

٣٥ / ٢	٢٣	﴿ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾
٥٨٨ / ٢	٧٠	﴿ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾
٨١ / ٢	٩٧	﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾
٣٤٠ ، ٢٢٧ / ١	١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾
٤٩٣ ، ٤٩٠ / ٢	١٢٧	﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ ﴾

سورة الإسراء

٣٥ / ٢	٣٧	﴿ وَلَا تَشْرِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾
٥١٢ / ١	٦٤	﴿ وَأَسْتَفْزِزُ مِنْ أَسْطَظَّتْ ﴾
٤٠٦ / ٢	٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾
٢٠٦ / ١	٧٤	﴿ وَلَوْلَا أَنْ نَبَيَّنَّاكَ ﴾
٢٩٩ / ٢	٨٠	﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي ﴾
٢٥٥ / ٢	٨٤	﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾
٤٠٦ / ٢	٨٥	﴿ وَمَا أَوْثِقْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾
٤١٠ / ٢	٨٥	﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾
٣١٤ / ٢	١١١-١١٠	﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ ﴾

سورة الكهف

٤٧٣ / ٢	٧	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ ﴾
٢٦٤ / ١	٢٨	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾
٥٥٣ / ٢	٦٥	﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾
٤٠٨ / ٢	١٠١	﴿ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ ﴾
٣١٤ / ٢	١١٠-١٠٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
١٨٩ / ١	١٠٩	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ ﴾

سورة مريم

٣٧٣ / ٢	٤٨	﴿ وَأَعَزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ ﴾
---------	----	-------------------------------------

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

سورة طه

١٥٣/٢	١٢	﴿ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ ﴾
١٥٣/٢	١٤	﴿ أَنْتَ مَا ﴾
٢٣٨/١	٧٢	﴿ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا ﴾
٥٢٧/٢	٨٤	﴿ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ ﴾
٣٠٤/٢	١١١	﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾
١٩٦/١	١١٤	﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾
٣٢٧/٢	١١٤	﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾
٣٢٣/٢	١٣٠	﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾

سورة الأنبياء

٢٢٣/١	٣٠	﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾
١٩٧/١	٧٩	﴿ فَفَهَمْنَاهَا لِلْيَمِينِ ﴾
١٢٢/٢	٨٣	﴿ وَيَأْتِيكَ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ ﴾
٣٢٧/٢	٨٧	﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾
٣٢٧/٢	٨٩	﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾
٣١٤/٢	٨٧ - ٨٩	﴿ وَذَا النُّونِ . . . خَيْرَ الْوَارِثِينَ ﴾

سورة الحج

٣٥١/١	٧٨	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ ﴾
-------	----	-----------------------------

سورة المؤمنون

١٥٠ ، ١٢٧/٢	١	﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾
٤٠٦/٢	١٢ - ١٣	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾
٤٠٦/٢	١٤	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾
٣٢٧/٢	١١٨	﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ﴾

سورة النور

٤١٩/١	٢٧	﴿ حَتَّىٰ نَسْتَأْذِنُوا وَنُسَلِّمُوا ﴾
-------	----	--

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

٤٥٩ / ٢

٣١

﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾

٢٦٥ / ٢

٣٥

﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي الْبَحْرِ ۚ كَذَلِكَ نُورُ اللَّهِ يُسْهِرُ الْظُلُمَ ۚ ﴾

٣١٧ / ٢

٣٥

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ ﴾

٣٤٦ / ١

٣٧-٣٦

﴿ فِي يُتُوبِ أَوْ ذُنَّ اللَّهُ ﴾

٢٤٤ / ٢

٦١

﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ ﴾

٣٣٨ / ١

٦٢

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ﴾

سورة الفرقان

٥٢٥ / ١

٢٦

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾

٣٨٦ / ٢

٢٨-٢٧

﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ ﴾

٩ / ٢

٣٢

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

٥٠٧ / ٢

٥٨

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ ﴾

٣٣٥ / ٢

٦٢

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ ﴾

٢٨٦ / ٢

٦٤

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ ﴾

٣٢٧ / ٢

٧٤

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا ﴾

سورة الشعراء

٣٨٥ / ١

٢١

﴿ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ ﴾

٣٧٦ / ٢

١٠١-١٠٠

﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾

٣٨٩ / ٢

٢١٦

﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ ﴾

٤٩٣ ، ١٩٤ / ١

٢١٩-٢١٨

﴿ الَّذِي يَرِنُّكَ ﴾

سورة النمل

٣٢٧ / ٢

١٩

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾

١٨٣ / ١

٨٠

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْغَوَايِ ﴾

سورة القصص

١٢٠ / ٢-٤٣٧ ، ٤٣٦ / ١

٢٤

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ ﴾

١٩ / ٢

٧٦

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ ﴾

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾	٨٠	٤٨٦/٢
﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾	٨٨	٢٩٢/١

سورة العنكبوت

﴿ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ﴾	٥	٥٢٧/٢
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ ﴾	٤٢	٥٠٩/٢
﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾	٤٣	٢٦/٢
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾	٦٩	٥١٨/٢ - ٢٤٠/١

سورة الروم

﴿ فَسُبْحَنَ اللَّهُ حِينَ تُنسَبُ ﴾	١٧	٣١٤/٢
﴿ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾	١٨	٣٢٥/٢
﴿ لَا بَدِيلَ لِمَخْلُوقِ اللَّهِ ﴾	٣٠	١٠٣/٢
﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾	٣١	٢٨٣، ١٧٣/٢

سورة لقمان

﴿ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِ ﴾	٦	٥١١/١
﴿ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾	١٨	٣٦/٢
﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ﴾	٢٠	٥٠١/٢

سورة السجدة

﴿ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ﴾	١٦	٢٧٦، ٢٦٨/٢
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾	١٧	٢٨٦، ٢٠٢/٢
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً ﴾	٢٤	٤٨٦/٢

سورة سبأ

﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ ﴾	١٣	٣٣٥/٢
----------------------------	----	-------

سورة فاطر

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ ﴾	١	٤٨٧/١
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ﴾	١٩	٤٨٩/١

الجزء والصفحة	رقمها	الآية
١٩٧ / ١	٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾
٥٠٣ / ٢ - ٢١٨ / ١	٢٨	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾
٢٧٦ / ١	٣٢	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾

سورة الصافات

٣١٤ / ٢	١٨٢-١٨٠	﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾
---------	---------	--------------------

سورة ص

١٩١ / ١	٢٩	﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾
٢٨١ / ٢	٧١	﴿إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا﴾

سورة الزمر

٢٦٩ / ٢	٩	﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ... وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٤٩٠ ، ٢٠٢ / ٢	١٠	﴿إِنَّمَا يُوقِ الصَّابِرُونَ﴾
٤٧٩ ، ١٨٧ / ١	١٨-١٧	﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ﴾
٥١٣ / ٢	٢٢	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾
٢٦٥ / ٢ - ٣٠٨ / ١	٢٣	﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ﴾
٣١٨ / ١	٢٣	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾
٤٨٠ / ١	٢٣	﴿نَفْسَعِرْ مِنْهُ جُلُودُ﴾
٣٥ / ٢	٦٠	﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾
٣٣٣ / ٢	٦٣	﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ﴾

سورة غافر

٣٩٢ / ٢	٣-١	﴿حَم * نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾
٣٢٧ / ٢	١٩	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾
٢٦٧ / ٢	٥٥	﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ﴾
١٥٥ / ٢	٦٠	﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ﴾
٢٦٩ / ٢	٦٧	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾

الجزء والصفحة

رقمها

الآية

سورة فصلت

٤٠٨/٢	٥	﴿ وَقَالُوا أَفُلُونَا فِي أَكْثَنِ ﴾
٣١٤ ، ١٧٤ / ١	١١	﴿ أَنْتِنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾
٨٢ / ٢ - ٣٦٨ / ١	٣٥ - ٣٤	﴿ أَدْفَعْ بِالنَّارِ إِلَى أَحْسَنُ ﴾
٣٨٣ / ١	٥٣	﴿ سَتْرِبِهِمْ إِيَّاَنَا ﴾

سورة الشورى

١٧١ / ١	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ﴾
٥١٨ / ٢ - ١٣٨ / ١	١٣	﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ ﴾
٥١٨ / ٢ - ٢٤٠ / ١	١٣	﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾
٣٩٧ / ٢	٣٨	﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى ﴾
٣٣٨ / ١	٥١	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾

سورة الزخرف

٤٣٦ / ٢ - ١٨٣ / ١	٣٦	﴿ وَمَنْ يَقْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾
٣٨٥ / ٢	٦٧	﴿ الْأَخْلَاءِ يَوْمَئِذٍ ﴾

سورة الدخان

٣٤٨ / ١	٢٩	﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ ﴾
---------	----	--

سورة الأحقاف

٣٢٧ / ٢	١٥	﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾
---------	----	-----------------------

سورة محمد

٢١١ / ٢	٣٣	﴿ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴾
٣٦٦ / ٢	٣٧ - ٣٦	﴿ يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ ﴾

سورة الفتح

٣٣٦ / ١	١٠	﴿ إِنَّ الدِّينَ بِيَايُوكَ ﴾
٣٨٧ / ١	٢٩	﴿ كَرِزِعَ أَخْرَجَ شَطْرَهُ ﴾

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾	٢٩	٢٦٥ ، ٦١ / ٢
﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾	٢٩	٣٨٥ ، ٩٢ / ٢
﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ﴾	٢٩-٢٧	٣١٤ / ٢

سورة الحجرات

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا﴾	١	٣٣٦ / ٢
﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾	٢	٣٤٢ / ٢
﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾	٢	٣٤٤ / ٢
﴿أَنْ تَحْطَ أَعْمَلُكُمْ﴾	٢	٣٤٥ / ٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾	٣	٣٤٦ / ٢
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمَحَّنَ اللَّهُ﴾	٣	٣٤٧ / ٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾	٤	٣٤٨ / ٢
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾	٥	٣٤٨ / ٢
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ﴾	٦	٤٣٧ / ٢

سورة ق

﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾	٢٢	٥٨٠ / ٢
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾	٣٧	٥٥٢ / ٢ - ١٨١ / ١

سورة النجم

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾	٩	١١٤ / ٢
﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾	١٧	١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ / ٢
		١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧
﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾	٢٩	٣٩٩ / ٢
﴿وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ﴾	٦١	٥١١ / ١

سورة الرحمن

﴿مِنْ صَلَاسِلٍ كَالْفَخَّارِ﴾	١٤	٤٢٤ ، ٧ / ٢
﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾	١٥	٧ / ٢

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
سورة الحديد		
﴿سَبِّحْ لِلَّهِ ... بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١-٦	٣١٤/٢
﴿فَالْيَوْمَ لَا يُوَفِّدُ مِنْكُمْ﴾	١٥	٥٢٤/١
﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾	٢٣	٥٤٤، ١١٤، ١٩/٢
سورة المجادلة		
﴿وَإِذَا قِيلَ ائْتِرُوا﴾	١١	٣٩٨/٢
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَدَجْتُمْ﴾	١٢	٣٥٥/٢
﴿أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ﴾	١٣	٣٥٥/٢
سورة الحشر		
﴿وَمَا ءَانَتْكُمْ الرَّسُولُ﴾	٧	٢٣٥/١
﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾	٩	٤٩، ٤٧، ٤٦/٢
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾	٩	٤٩/٢
﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾	٩	٥٥/٢
﴿يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٣٩٣/٢
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾	١٠	٣٢٨/٢
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾	١٤	٣٦٤/١
﴿لَوْ أَنزَلْنَا﴾	٢١-٢٤	٣١٤/٢
سورة الممتحنة		
﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾	٤	٣٢٨، ٣٢٠، ٢٧٧/٢
سورة الصف		
﴿كَأَنَّهُمْ بُلَيْنٌ مُرْصُوصٌ﴾	٤	١٨٠/٢-٣٦٤/١
سورة المنافقون		
﴿لَوْ أَرَأَوْهُمْ﴾	٥	٣٦/٢
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾	٨	٣٦/٢

الجزء والصفحة	رقمها	الآية
٤٦٧/١	سورة التغابن ١٤	﴿إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾
٤٦٨، ٣٩٠/١	سورة الطلاق ٣-٢	﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾
١٠٥/٢	سورة التحريم ٦	﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾
٤٥٩/٢	٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا﴾
١٧، ١٤، ١٢، ٦/٢	سورة القلم ٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾
٤٦٣/٢	سورة الحاقة ٨	﴿يَوْمَ يَذُّعَرَضُونَ﴾
١٦٦/١	١٢	﴿وَنَعِيهَا أُذُنٌ وَّعِيَةٌ﴾
١٥/٢	٤٥-٤٤	﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْهَا﴾
١٨٨/٢	سورة المعارج ٢٣	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾
٣٢٨/٢	سورة نوح ٢٨	﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾
١٩١/١	سورة المزمل ٤	﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ نَزِيلًا﴾
٥٥٧/١	سورة المدثر ٥-١	﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾
٤٢٥/٢	سورة القيامة ٢-١	﴿لَا أَقْسِمُ بِوَجْهِ الْقَيِّمَةِ﴾
١٩٦/١	١٦	﴿لَا تَحْزَنْ بِهِ لِسَانُكَ﴾

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ نَاصِرَةً﴾	٢٢-٢٣	٦١/٢
﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾	٩	٣٦٥ ، ٥٧/٢
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾	٢-١	٢٦٥/١
﴿قِيلَ الْإِنْسُ﴾	١٧-١٩	٣٥/٢
﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ مُسْفِرَةً﴾	٣٨-٣٩	٦١/٢
﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾	٢٧-٣١	٧٤/٢
﴿وَفَكَمَهَا وَأَبَّا﴾	٣١	٢١٩/١
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ﴾	١٤	٤٤١/٢
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾	٢٢-٢٨	٢٧٤/١
﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾	٢٤	٦١/٢
﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾	١	٢٧٧/٢
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسُ﴾	٥-٦	٣٥/٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾	٢٧-٢٨	٤٢٥ ، ٢١/٢
﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾	١٧	٣٨٥/٢
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّكَهَا﴾	٩	١٠٤/٢-٣٠٦/١
﴿وَنَقِيرَ وَمَا سَوَّاهَا﴾	٧-١٠	٤١٨ ، ١٠٤/٢

الآية	رقمها	الجزء والصفحة
﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَانْفَقَ﴾	سورة الليل ١٠-٥	٢٢٨/١
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾	سورة العلق ٥-١	٥٥٥/١
﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٥	١٧٤/١
﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾	١٩	٥٣٤/٢
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾	سورة البينة ٥	٥٥١، ٢٠١/١
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾	٨	٥٠٣/٢
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	سورة الزلزلة ٨-٧	١٧٢/١
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾	سورة الكوثر ٢	١٦٦/٢
﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾	٣	٣١٢/١



فهرس أطراف الأحاديث^(١)

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٢٦٧/١	ابن عباس	- أبشروا يا أصحاب الصفة (م)
٥٨٦/١	أبو هريرة	- أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني
١٥٠/٢	عبد الله بن عباس	- أتاني جبريل لدلوك الشمس
٢٤١/٢	عبد الله بن عمر	- أترعوا الطسوس
٣٥١/٢	أبو هريرة	- اتركوني ما تركتكم (م)
٤٢/٢	أبو ذر	- اتق الله حيثما كنت
٣٩١/٢	عمرو بن عوف المزني	- اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه
٣٣٨/٢	أبو الدرداء	- أتمشي أمام من هو خير منك؟!
٥٣٠/١	عبد الله بن مسعود	- أحب أن أسمع من غيري
٣٩٢/١	عبد الله بن عمرو	- أحب شيء إلى الله الغرباء (م)
٤٩١/١	النابعة الجعدي	- أحسنت يا أبا ليلى
٤٣٦/١	عائشة	- أحل ما أكل المرء
٦٤/٢	أنس بن مالك	- أحملك على ابن الناقة (م)
١١/٢	أبو هريرة	- الأخلاق مخزونة عند الله تعالى
١٠٥، ١٠٢/٢	علي بن أبي طالب	- أدبني ربي
١٢٦/٢	سلمان الفارسي، أبو هريرة	- إذا أتى أحدكم الخلاء
١٣٠/٢	أبو موسى الأشعري	- إذا أراد أحدكم أن يبول
٤٠٥/١	زيد بن أرقم	- إذا أراد أحدكم سفراً
٤٨٢/١	العباس بن عبد المطلب	- إذا اقشعر الجلد
٤٨١/١	أم كلثوم	- إذا اقشعر جلد العبد
٢٣٧/٢	جابر بن عبد الله	- إذا أكل أحدكم الطعام

(١) رمزنا بـ (م) إلى الحديث المسند .

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٥٠ / ٢	أبو هريرة، عمر بن الخطاب	- إذا التقى المسلمان
٤٢٠ / ١	أبو هريرة	- إذا انتعلتم فابدؤوا باليمين
٢٤١ / ٢	أبو هريرة	- إذا توضأتم فأشربوا
٢٣٩ / ٢	أبو هريرة	- إذا جاء أحدكم خادمه
١٨٥ / ٢	أنس بن مالك	- إذا حضر العشاء والعشاء
٤٨٥ / ٢	أبو خلاد، أبو هريرة	- إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً
٤٢٦ / ١	عبد الله بن عمر	- إذا زار أحدكم أخاه
٢٣٦ / ٢	أنس بن مالك	- إذا سقطت لقمة أحدكم
١٥٤ / ٢	أبو أيوب الأنصاري، ابن عمر	- إذا صليت صلاة
٤١٥ / ١	أبو هريرة	- إذا عاد الرجل أخاه
١٥٦ / ٢	أبو بكر الصديق	- إذا قام أحدكم إلى الصلاة
١٩١ / ٢	-	- إذا قام العبد إلى الصلاة
٤٢٣ / ١	جابر بن عبد الله	- إذا قدم أحدكم من سفر
٣٠٧ / ١	الحسن البصري	- إذا كان الغالب على عبي
٤٦٦ / ١	حذيفة بن اليمان	- إذا كان بعد المثلين
٥٥٢ / ١	أبو هريرة، أنس بن مالك	- إذا كان يوم القيامة يجيء الإخلاص
٢١٩ / ٢	أبو هريرة	- إذا كان يوم صوم أحدكم
٤٠٣ / ١	أبو سعيد الخدري، أبو هريرة	- إذا كنتم ثلاثة في سفر
٢٧٠ / ٢	-	- إذا نام العبد
٢٩٢ / ٢	أبو هريرة	- إذا نام العبد عقد الشيطان
٣٩٥ / ١	جابر بن عبد الله	- إذا هم أحدكم بالأمر (م)
٢٣٦ / ٢	عبد الله بن عباس	- إذا وضع الطعام
٢٣٥ / ٢	عبد الله بن عمر	- إذا وضعت المائدة
٢٢٣ / ٢	عائشة	- أذيبوا طعامكم بالذكر
٣٢٥ / ١	أبو هريرة	- ارحلوا لصاحبيكم (م)
٣٧٠ / ١	عبد الله بن عمرو	- ارحموا ترحموا
٢٢٥ / ٢	عبد الله بن مسعود	- أرض الجنة قيعان

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٣٦٥ / ١	أبو هريرة	- الأرواح جنود مجندة (م)
٢٥٨ / ٢	أبو هريرة	- إزرة المؤمن إلى نصف الساق
٣٥٣ / ١	علي بن أبي طالب	- إسباغ الوضوء في المكاره (م)
٥٣٦ / ٢	عبد الله بن مسعود	- استحيوا من الله حق الحياء
٢٠٧ / ١	ثوبان	- استقيموا ولن تحصوا
٣٣٥ / ١	عبد الله بن الزبير	- أسق يا زبير
٤٩٨ / ١	علي بن أبي طالب	- أشبهت خلقي وخلقي
٤٢٢ / ١	لقيط بن صبرة	- أصبتم شيئاً؟
٣٧٦ ، ٢٠١ / ١	أنس بن مالك	- اطلبوا العلم ولو بالصين (م)
٤٧٠ / ٢	عبد الله بن عباس	- اعمل لله باليقين في الرضا
٣٢٩ / ٢	أبو ثعلبة الخشني	- أعوذ بك من هوى متبع
٤٨١ / ١	زيد بن أسلم	- اغتنموا الدعاء عند الرقة
٥٠١ / ٢	جابر بن عبد الله	- أفضل الذكر لا إله إلا الله
٢٠٩ / ٢	عبد الله بن عمرو	- أفضل الصيام
٢٤٣ ، ٩٨ / ٢	أنس بن مالك، عبد الله بن الزبير	- أفطر عندكم الصائمون
٨٠ / ٢	عبد الله بن عمرو	- أفلح من أسلم
٥٤٣ / ١	أنس بن مالك	- أفيكم من ينشدنا؟ (م)
٥٣٤ / ٢	أبو هريرة	- أقرب ما يكون العبد من ربه
٢٣٩ / ٢	أبو موسى الأشعري	- أكرموا الخبز
٢٣٦ / ١	عبد الله بن عمر	- اكلائي كلاءة الوليد
	مجاهد، عبد الرحمن بن	- ألا أخبركم بأشد من هذا؟
٨٦ / ٢	عجلان، أنس بن مالك	
٣٨١ / ٢	سعيد بن المسيب، أبو هريرة	- ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة؟ (م)
٣٥٤ / ١	أبو هريرة	- ألا أخبركم بما يمحو الله الخطايا
٤٣ / ٢	جابر بن عبد الله	- ألا أخبركم على من تحرم النار؟
٩٥ / ٢	النعمان بن بشير	- ألا إن مثل المؤمنين (م)

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

- | | | |
|-------|-------------------------------|------------------------------------|
| ٣٠٩/١ | أبو الدرداء | - ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي |
| ٧٦/٢ | أنس بن مالك | - ألم أنهك أن تخبئ شيئاً |
| ٦٢/٢ | أنس بن مالك | - أما إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً |
| | محمد بن ثابت بن قيس، | - أما ترضى أن تعيش سعيداً؟ |
| ٣٤٦/٢ | ابنة ثابت بن قيس | |
| ٤٠٨/١ | معاذ بن جبل | - إن أتخذ متبراً فقد اتخذه إبراهيم |
| ٣٧٧/٢ | جابر بن عبد الله، أبو هريرة | - إن أحبكم إلى الله الذين يألفون |
| ٤٠٥/٢ | عبد الله بن مسعود | - إن أحدكم يجمع خلقه (م) |
| ٤١٤/٢ | أنس بن مالك، جابر بن عبد الله | - إن أعمالكم تعرض على عشائركم |
| | النعمان بن مرة، أبو هريرة، | - إن أقبح السرقة |
| ١٩١/٢ | أبو قتادة | |
| ٥٤/٢ | أبو موسى الأشعري | - إن الأشعرين إذا أرملوا (م) |
| | أبو حميد الساعدي، | - إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي |
| ٤٢٩/٢ | أبو أيوب الأنصاري | |
| ٣٩٤/١ | عبد الله بن عمر | - إن الشمس تطلع |
| ٤٣٦/٢ | أنس بن مالك، ابن عباس (ف) | - إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم |
| ٢٢٢/١ | أنس بن مالك | - إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم |
| ٣٢٦/٢ | عائشة | - إن الصلاة بالسواك |
| | الفضل بن العباس، | - إن الصلاة تمسكن |
| ١٩٧/٢ | المطلب بن أبي وداعة | |
| ١٩٢/٢ | عبادة بن الصامت، أنس بن مالك | - إن العبد إذا أحسن الوضوء |
| ٤٤١/٢ | أبو هريرة | - إن العبد إذا أذنب |
| ٥٣٤/٢ | عائشة | - إن العبد إذا سجد يطهر بسجوده |
| ١٥٤/٢ | أبو هريرة | - إن العبد إذا قام إلى الصلاة |
| ٩١/٢ | أبو سعيد الخدري | - إن الغضب جمرة |
| ٥٨٩/٢ | أبو هريرة | - إن الله إذا أحب عبداً (م) |

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

	أبو سعيد الخدري،	- إن الله بحكمته جعل الروح والفرح
٥١٠ / ٢	عبد الله بن مسعود	
٢٧ / ٢	أنس بن مالك، عياض بن حمار	- إن الله تعالى أوحى إلي (م)
٤٢٩ / ٢	طاوس	- إن الله تعالى قسم العقل
٢٣٥ / ٢	عبد الله بن بسر	- إن الله خلقني عبداً
٣٧٩ / ١	عائشة، أبو هريرة، أبو الدرداء	- إن الله عز وجل أوحى إلي
١٢٥ / ٢	أبو أيوب الأنصاري، جابر، أنس	- إن الله عز وجل قد أثنى
٣٥٠ / ١	عبد الله بن عمر	- إن الله ليدفع بالمسلم (م)
٣٥٠ / ١	جابر بن عبد الله	- إن الله ليصلح بصلاح الرجل
٣٧٨ / ١	أبو سعيد الخدري	- إن الناس لكم تبع (م)
٤٢٥ / ١	عمر بن الخطاب	- إن الناقة اقتحمت بي
٣٦١ / ١	أنس بن مالك	- إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم (م)
٤٧٣ / ١	أنس بن مالك	- إن ركعة من متأهل خير
٤٩١ / ١	عائشة	- إن روح القدس مع حسان
٤٦ / ٢	عبد الله بن عباس	- إن شئتم قسمتم للمهاجرين
١٣١ / ٢	عبد الله بن مغفل	- إن عامة الوسواس منه
٩٢ / ٢	عبد الله بن عباس	- إن فيك خصلتين يحبهما الله (م)
٢٣٢ / ١	أنس بن مالك	- إن قدرت أن تصبح وتمسي (م)
٤٣٤ / ٢	عبد الله بن مسعود	- إن للشيطان لمة بابن آدم (م)
١١ / ٢	عثمان بن عفان	- إن الله تعالى مئة وسبعة عشر خلقاً
٢٨١ / ١	أبو هريرة	- إن لله ملائكة فضلاً عن كتاب الناس (م)
١٧ ، ١١ / ٢	عثمان بن عفان	- إن لله مئة وبضعة عشر خلقاً
١٤ / ٢	جابر بن عبد الله	- إن من أحبكم إلي (م)
٥٥ / ٢	جابر بن عبد الله	- إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال
٤٩٠ / ١	أبي بن كعب	- إن من الشعر لحكمة
٥٥٢ / ٢	أبو هريرة	- إن من العلم كهينة المكنون

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٢٨/٢	محمد بن عبد الله بن عمرو	- إن من رأس التواضع (م)
٥٥١/٢	جابر بن عبد الله	- إن من معادن التقوى تعلمك
٢٩٣/٢	عبد الله بن مسعود	- إن نام حتى يصبح
١٣٢/٢	زيد بن أرقم	- إن هذه الحشوش محتضرة (م)
٤٩٨/١	علي بن أبي طالب	- أنت أخونا ومولانا
٤٩٨/١	علي بن أبي طالب	- أنت مني وأنا منك
٢٩٥/٢	أبو اليسر، ابن مسعود	- أنتظر أمر ربي
٧٦/٢	أبو هريرة	- أنفق يا بلال
٥٩/٢	أبو هريرة	- إنك حيث كنت ساكتاً
٤٥/٢	-	- إنك وطئت بنعلك على رجلي (م)
٥٦٧/٢	عمر بن الخطاب	- إنما الأعمال بالنيات (م)
٣٦٤/١	النعمان بن بشير	- إنما المؤمنون كرجل واحد
١٢٦/٢	أبو هريرة	- إنما أنا لكم بمنزلة الوالد (م)
١٠/٢	-	- إنما أنسى لأسن
١١/٢	أبو هريرة	- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
	جابر بن عبد الله، البراء بن	- إنما ذلكم الله الذي ذمه شين
٣٤٨/٢	عازب، الأقرع بن حابس	- إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به (م)
١٦٣/١	أبو موسى الأشعري	- إنما نهيت عن صوتين
٥١٢/١	عبد الرحمن بن عوف	- إنه لم يمنعني أن أرد عليك
٤١٨/١	عبد الله بن عمر	- إنه ليغان على قلبي
٤٥٩/٢	أبو بردة الأشعري، الأغر المزني	- إنهما يعذبان
١٢٩/٢	عبد الله بن عباس	- إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر
٤١٨/١	المهاجر بن قنفذ	- إني لأستغفر الله وأتوب إليه
٤٥٨/٢	أبو هريرة	- أول ما خلق الله تعالى العقل
٤٢٧/٢	الأوزاعي	- أول ما يدعى إلى الجنة الحمادون
٩٧/٢	عبد الله بن عباس	

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٥٠٠ / ٢	عبد الله بن عباس	- أول من يدعى إلى الجنة
	النعمان بن مرة،	- أي السرقة أقبح؟
١٩١ / ٢	أبو هريرة، أبو قتادة	
٧٠ / ٢	أبو ذر، أبو هريرة	- إياك وكثرة الضحك
	أنس بن مالك،	- أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟
٤١ / ٢	عبد الرحمن بن عجلان	
٤٥ / ٢	-	- باسم الله، أوجعتني (م)
		- بالعقل في الدنيا والآخرة (جواباً لعائشة
٤٢٨ / ٢	عائشة	عن تفاضل الناس بأي شيء يكون)
٣٧٠ / ١	عبد الله بن عمر	- بل أنتم العكارون
٤١ / ٢	عائشة	- بش ابن العشرة (م)
٦٤ / ٢	صهيب الرومي	- تأكل من التمر وأنت رمد؟!
٤٢٥ / ٢	-	- تخلقوا بأخلاق الله
٢٤٠ / ٢	عبد الله بن مسعود	- تخلصوا فإنه نظافة
٢١٦ / ٢	أنس بن مالك	- تسحروا فإن في السحور بركة
٤١٤ / ٢	سعيد الأنصاري	- تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس
١٥٦ / ٢	أبو بكر الصديق، أبو الدرداء (ف)	- تعوذوا بالله من خشوع النفاق
١٦٣ / ٢	عبد الله بن عمر	- تفضل صلاة الجماعة صلاة الفذ
١٩ / ٢	أبو هريرة	- تقوى الله وحسن الخلق
٣٧٨ / ٢	معقل بن يسار، أنس بن مالك	- تناكحوا تكثروا
٣٨٠، ٩٣ / ٢	معاذ بن جبل	- تنصب لطائفة من الناس
٥١٤ / ٢	أنس بن مالك	- ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان (م)
٨٧ / ٢	أبو هريرة	- ثلاث منجيات (م)
٥٦ / ٢	أنس بن مالك	- ثلاث مهلكات
٨ / ٢	عبد الله بن جعفر	- جاءني رجلان عليهما ثياب بياض

طرف الحديث الراوي الجزء والصفحة

٥٣٩ / ١	أنس بن مالك	- حديث عهد بربه
١٠٣ / ٢	-	- حسنوا أخلاقكم
٢٤ / ٢	معاذ بن جبل	- حف الإسلام بمكارم الأخلاق
١٠٨ / ٢	عائشة	- حق الولد على الوالد
٢٤٠ / ٢	أبو سعيد الخدري	- الحمد لله الذي أطعمنا
٧٣ / ٢	أبو أمانة الباهلي	- الحياء والعبي شعبتان (م)
٤٤٤ / ١	عمر بن الخطاب	- خذه فتموله (م)
٧ / ٢	-	- خذوا شطر دينكم
٤١٤ / ١	أبو هريرة	- خرج رجل يزور أخأله في الله
٢٥٧ / ٢	-	- خشيت أن يعرض عني ربي
٤٠٣ / ١	عبد الله بن عمرو	- خير الأصحاب عند الله
٤٦٣ / ١	حذيفة بن اليمان	- خيركم بعد المثنين
٢٢٢ / ٢	أبو سعيد الخدري	- دعاكم أخوكم (م)
٤٨٣ / ١	عائشة	- دعهما يا أبا بكر (م)
٥١٠ / ٢	العباس بن عبد المطلب	- ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً
٣٢٧ / ١	أنس بن مالك	- ذهب المفطرون اليوم بالأجر (م)
٥٥٧ / ١	عائشة	- ذهب مراراً كي يردي نفسه
٥٠٢ / ٢	عبد الله بن مسعود	- رأس الحكمة مخافة الله
٥٨ / ٢	أنس بن مالك	- رأيت قصوراً
١٨٢ / ٢ - ٣٥١ / ١	جابر بن عبد الله	- رجعنا من الجهاد الأصغر
٤٢١ / ١	أنس بن مالك	- الرجل يلقى صديقه وأخاه ينحني له؟ قال: «لا»
٤٠٢ / ١	رافع بن خديج	- الرفيق ثم الطريق
٤٠٥ / ١	عبد الله بن عمرو، أنس بن مالك	- زودك الله التقوى
١١١ / ٢	ثوبان	- زويت لي الأرض
١٦٦ / ١	عبد الله بن الحسن، مكحول	- سألت الله أن يجعلها أذنك (م)
٥٥٣ ، ٢٨٦ / ١	حذيفة بن اليمان	- سألت جبرائيل عن الإخلاص (م)

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٣٣٣ / ٢	عثمان بن عفان	- سألتني عن شيء عظيم
١٨٧ / ٢	-	- سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان
٣٨٧ / ٢	أبو هريرة	- سبعة يظلهم الله
١٧٩ / ٢	عائشة	- سبوح قدوس
٥٨٨ ، ١٧٨ ، ٣٨ / ٢	عائشة	- سجد لك سوادي
٣٨٣ / ٢	عبد الله بن مسعود	- السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
	عبد الله بن سرجس ،	- السمات الحسن
٩٠ / ٢	عبد الله بن عباس	
٣٢٦ ، ١٣٥ / ٢	عائشة	- السواك مطهرة للضم
٢٧٤ / ١	أبو هريرة	- سيروا ، سبق المفردون . . . المستهترون بذكر الله
٢٠٧ / ١	أبو بكر الصديق	- شيتني سورة (هود)
٢٠١ / ٢	عبد الله بن مسعود	- الصبر نصف الإيمان
٥٧٠ / ٢	عبد الله بن مسعود	- الصدق يهدي إلى البر
٣٢٠ / ٢	زيد بن أرقم	- صلاة الضحى إذا رمضت الفصال
١٥٨ / ٢	علي ، ابن عمر	- الصلاة عماد الدين
١٨٤ / ٢	أبو هريرة	- الصلوات كفارات للخطايا (م)
٢٠١ / ٢	أبو هريرة	- الصوم لي
٢٠١ / ٢	رجل من بني سليم	- الصوم نصف الصبر
٤٦٤ / ١	أبو هريرة - عائشة	- ضحى رسول الله
٦٧ / ٢	حاتب بن أبي بلتعة	- الطخي وجهها (م)
٢٠٣ / ١	عبد الله بن مسعود	- طلب الحلال فريضة
٤٤٢ / ٢ - ٣٧٨ / ١	أنس بن مالك	- طلب العلم فريضة
٢٨ / ٢	ركب المصري	- طوبى لمن تواضع
٤٨٦ / ٢	أنس بن مالك	- العلماء أمناء الرسل
٢٧ / ٢	أبو الدرداء	- على البر والتقوى والرهبة
٢٣٣ / ٢	عائشة	- علي بذلك الأبيض

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٢٧٦/٢	سلمان الفارسي	- عليكم بالصلاة بين العشاءين
٢٨٦/٢	بلال الحبشي، أبو أمامة الباهلي	- عليكم بقيام الليل
١٣٣/٢	طاوس	- غفرانك
٤٤٦/١، ٥٢٣/٢	أنس بن مالك	- فإذا أحببته كنت له سمعاً
	أنس بن مالك،	- فأمره جبريل أن أرسل بقميصك
٣٤٣/١	المطلب بن عبد الله	- فإنك مع من أحببت
٢٧٢/١	أبو ذر الغفاري	- فأين أنت من الاستغفار؟! (م)
	أنس بن مالك،	
٤٥٨/٢	حذيفة بن اليمان	- فرغ ربكم عن الخلق
١٠٣/٢	عبد الله بن مسعود	- فضل العالم على العابد
	أبو سعيد الخدري،	
٢٢٥/١	أبو أمامة الباهلي	
٥٥٥/١	عائشة	- فقلت: ما أنا بقارئ (م)
١٧٣/١	-	- فقه الرجل
٢١٧/٢	أبو هريرة	- قال الله: أحب عبادي (م)
٤٠٥/١	عبد الله بن عمر	- قال لقمان: إن الله إذا استودع شيئاً
١٢٠/٢	عبد الله بن عباس	- قال: يا موسى إنه لا يراني (م)
٤٢١/١	أنس بن مالك	- قبله المسلم أخاه المصافحة
٤١٩/٢	أبو سعيد الخدري، حذيفة (ف)	- القلوب أربعة
٢٨٩/٢	جابر بن عبد الله، ابن عباس	- قم من الليل
٨٠/٢	جابر، أنس بن مالك	- القناعة مال لا ينفد
	عبيد مولى رسول الله،	- قولوا لهما: قيثا
٢١٩/٢	أنس بن مالك	
٦٧/٢	حاطب بن أبي بلتعة	- قوما فاغسلا وجهيكما
٥١٢/١	جابر، علي بن أبي طالب	- كان إبليس أول من ناح
٥٠٢/٢	عبد الله بن عمر	- كان داود يعود الناس

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٢٦٥ / ١	أنس بن مالك	- كان رسول الله ﷺ إذا صافحهم
٢٦٤ / ١	-	- كان رسول الله ﷺ يواسيهم
٤٢٠ / ١	جابر بن عبد الله	- كان يخلع اليسرى
٣٣١ / ٢	عقبة بن عامر	- كل امرئ يوم القيامة
٦٢ / ٢	جابر بن عبد الله	- كل معروف صدقة (م)
٣٦٧ / ٢	عبد الله بن عمر	- كل يوم سبعين مرة (م)
٤٥٧ / ٢	عائشة	- كل يوم لم أزد فيه علماً
٢٧٨ / ١	أسامة بن زيد	- كلهم في الجنة (م)
٢١٨ / ٢	أبو هريرة	- كم من صائم
٤١٤ / ٢ - ١٧٤ / ١	ميسرة الفجر	- كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد
٤٦٠ / ١	عوف بن مالك	- كيف أنتم يوم يكثركم من هذا؟ (م)
١٠ / ٢	-	- كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم
٦٠ / ٢	مالك بن نضلة الجشني	- لا أقره
٤١٣ / ١	عبد الله بن عمر	- لا إله إلا الله وحده لا شريك له
٤٨٦ / ٢	أنس بن مالك	- لا تزال (لا إله إلا الله) تدفع عن العباد
٤٣١ / ١	عبد الله بن عمر	- لا تزال المسألة بأحدكم
١٩٩ / ١	حكيم بن عمير	- لا تسألوني عن الشر (م)
٢٨٨ / ٢	أبو هريرة، جابر بن عبد الله	- لا تشادوا هذا الدين فإنه متين
٩١ / ٢	جارية بن قدامة	- لا تغضب
٢٨٨ / ٢	أنس بن مالك، ابن مسعود (ف)	- لا تكابدوا الليل
٢٣٦ / ١	أبو بكرة	- لا تكلني إلى نفسي
٤٧٨ / ٢	-	- لا تكلني إلى نفسي طرفة عين
٥٩ / ٢	حذيفة بن اليمان	- لا تكونوا إمعة (م)
٣٩١ / ٢	أبو هريرة	- لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم
٣٨٨ ، ٨٤ / ٢	عبد الله بن عباس	- لا تمار أخاك (م)
٥٧ / ٢	أسماء بنت أبي بكر	- لا توكي

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٢٠٩/٢	أبو قتادة الأنصاري	- لا صام ولا أفطر
١٣٣/٢	أبو سعيد الخدري	- لا يخرج الرجلان يضربان الغائط
١٨٦/٢	-	- لا يدخل أحدكم في الصلاة
٢٥٨/٢	عبد الله بن مسعود	- لا يدخل الجنة من كان في قلبه
٣٢١/١	أنس بن مالك، أبو هريرة	- لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل
٢١٧/٢	سهل بن سعد الساعدي	- لا يزال الناس بخير
٢١/٢	وهب بن منبه	- لا يسعني أرضي ولا سمائي
٨٥/٢	عبد الله بن مسعود	- لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه
٤٢٨/٢	عبد الله بن عمر	- لا يعجبكم إسلام رجل
١٩٣/٢	عمار بن ياسر	- لا يكتب للعبد من صلاته
٥٧٠/٢	شداد بن أوس	- لا يكمل إيمان المرء
١٧٦/٢	طلق بن علي	- لا ينظر الله إلى من لا يقيم صلبه
٤٢٠/١	أبو مسعود الأنصاري	- لا يؤم الرجل
٣١٦/٢	أنس بن مالك	- لأن أقعد في مجلس أذكر الله
٤٢٩/١	أبو هريرة	- لأن يأخذ أحدكم حبلًا
١٠٨/٢	جابر بن سمرة	- لأن يؤدب الرجل ولده خير (م)
٢٣٤/٢ - ٣٥٧/١	وحشي بن حرب	- لعلمكم تفترون على طعامكم
٤٩٠/١	أبو موسى الأشعري	- لقد أعطي مزمارة
٤٧/٢	أبو هريرة	- لقد عجب الله من فلان وفلانة
٢٤٥/١	عبد الله بن عمر	- لكل شيء مفتاح (م)
٤٨٨/١	فضالة بن عبيد الأنصاري	- لله أشد أذنًا
١٤٤/٢	أبي بن كعب	- للوضوء شيطان (م)
١٥٠/٢	عبد الله بن عباس	- لما خلق الله الجنة عدن
	سعيد بن أبي هلال، ابن عباس،	- اللهم آت نفسي تقواها (م)
٤٢٣/٢	أبو هريرة، زيد بن أرقم	
٥١٥/٢	العرباض بن سارية	- اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي (م)

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٨٠ / ٢	أبو هريرة	- اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً
٤١٤ / ١	أبو هريرة	- اللهم اجعل لنا بها قراراً
٢٩٨ / ٢	عبد الله بن عباس	- اللهم اجعل لي نوراً
٣٦٩ / ١	عائشة	- اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا
٥٣١ / ١	عبد الله بن عمر، سالم المحاربي	- اللهم ارزقني عينين هطاليتين
٧٤ / ٢	الزبير بن العوام	- اللهم اغفر للذين يدعون
٤٥٠ / ٢	عبد الله بن عمر، عائشة	- اللهم إني أسألك إيماناً
	عبد الله بن عمر،	- اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر
٤١٣ / ١	عبد الله بن سرجس	
١٧٨ / ٢	علي بن أبي طالب	- اللهم لك سجدت
٤٥٧ / ٢	عبد الله بن عباس	- اللهم ما قصر عنه رأيي
٧٧ / ٢	عمر بن الخطاب	- لو توكلتم على الله
٢٤٨ / ١	أبو هريرة، سعيد بن المسيب	- لو خشع قلبه لخشعت جوارحه
٢٢٨ / ٢	عائشة	- لو كان يسمي الله لكفاكم
١٣٤ / ٢	خالد الجهنني	- لولا أن أشق على أمتي (م)
١٩٨ / ٢ - ١٨٤ / ١	أبو هريرة	- لولا أن الشياطين يحومون
٣٥٠ / ١	مساعف الديلي	- لولا عباد الله ركع
٣٧٤ / ٢	عبد الله بن مسعود	- ليأتين على الناس زمان
٢٣٦ / ٢	أبو هريرة، عبد الله بن عمر	- ليأكل أحدكم بيمينه
٣٨١ / ١	عبد الله بن عمرو	- ليت مات بغير مولده (م)
٤٣١ / ١	أبو هريرة	- ليس المسكين الذي ترده الأكلة
٦٠ / ٢	عبد الله بن عمرو	- ليس الواصل بالمكافئ
٣٥٧ / ٢	عبادة بن الصامت	- ليس منا من لم يجل كبيرنا (م)
٢٨٨ / ٢	أنس بن مالك	- ليصل أحدكم من الليل ما تيسر
٤٧١ / ٢	أنس بن مالك	- ما اجتمعوا في قلب عبد
٢٧١ / ١	أنس بن مالك	- ما أعددت لها؟ ... المرء مع من أحب (م)

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٤٢١/١	الشعبي	- ما أنا بفتح خير أسر
٢٦٦/١	طلحة النضري	- ما بال أقوام يقولون: أحرق بطوننا التمر؟!
٤٦١/١	أسامة بن زيد	- ما تركت بعدي فتنة أضر (م)
٣٥٦/٢	علي بن أبي طالب	- ما ترى في الصدقة كم تكون؟
٣٦٥/٢	سمرة بن جندب	- ما تصدق متصدق بصدقة
٢٣٦/٢	أبو هريرة	- ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط
١٧١/١	عبد الله بن عمر	- ما عبد الله بشيء أفضل من فقه
٧٩/٢	أبو سعيد الخدري	- ما قل وكفى خير (م)
٥٤٠/١	علي بن أبي طالب	- ما كنت لأكره لنفسي شيئاً
	جابر بن عبد الله	- ما لكم؟!
	عبد الله بن بريدة، ثوان،	- مالي وللدنيا؟! (م)
٤٧٣/٢	ابن عمر	
٢٣٩، ٢٠٧/٢	المقدام بن معدي كرب	- ما ملأ آدمي وعاء
٩٦/٢	أبو سعيد الخدري	- ما من الناس أحد أمن علينا
٢٤/٢	أبو الدرداء	- ما من شيء يوضع (م)
٩٨/٢	جابر بن عبد الله	- ما من عبد ينعم عليه نعمة
٧٥/٢	أبو هريرة	- ما من يوم إلا وملكان
١٠٨/٢	عمرو بن سعيد بن العاص	- ما نحل والد ولداً
	الحسن البصري، عبد الله	- ما نزل من القرآن آية (م)
١٩٠/١	ابن مسعود	
٩٦/٢	أبو هريرة	- ما نفعني مال كمال أبي بكر
٥٦٢/٢	عمر بن الخطاب	- ماذا أبقيت لعيالك؟
٣٨٠/٢	عبد الله بن مسعود	- المتحابون في الله على عمود
٣٧٥/١	أبو سعيد الخدري	- مثل المؤمن كمثل الفرس (م)
٩٢/٢	أنس بن مالك	- مثل المؤمنين إذا التقيا
١٧٣، ١٦٤/١	أبو موسى الأشعري	- مثل ما بعثني الله به من الهدى

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٤٦٧ / ٢	فضالة بن عبيد	- المجاهد من جاهد نفسه
٢٥٩ / ١	أبو موسى الأشعري	- مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً
٣٩٣ / ٢	سهل بن سعد الساعدي	- المرء على دين خليله
٤٢١ / ١	عكرمة	- مرحباً بالراكب المهاجر
١٧٥ / ١	أبو الدرداء	- مسح ظهر آدم
١٨ / ٢	عائشة	- مكارم الأخلاق عشرة (م)
٤٨١ / ٢	عبد الله بن عباس، أبو هريرة	- ملاك دينكم الورع
٥٠٥ / ٢	أبو هريرة، الحسن البصري	- مم ضحكك يا أعرابي؟
٥٠٠ / ٢	سخبرة الأزدي	- من ابتلي فصبر
٢٣٤ / ٢	جابر بن عبد الله	- من أحب الطعام إلى الله
٢٢٨ / ٢	أنس بن مالك، ابن عباس	- من أحب أن يكثر خير بيته
	مكحول، أبو أيوب	- من أخلص لله أربعين صباحاً (م)
٥٨٩ ، ٥٤٧ / ١	الأنصاري، ابن عباس	
٥٧٦ / ١	مكحول	- من أخلص لله العبادة (م)
٥٨٠ / ٢	عائشة	- من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي
٢٤٦ / ٢	عبد الله بن عمر	- من اشترى ثوباً
٨١ / ٢	عبد الله بن محصن	- من أصبح آمناً في سربه (م)
٣٧١ / ١	جابر بن عبد الله، جودان العبدي	- من اعتذر إلى أخيه معذرة
٤٤ / ٢	أبو الدرداء	- من أعطي حظه من الرفق
٢٤٠ / ٢	معاذ الجهني	- من أكل طعاماً
	أبو عمرو بن العلاء، عبد الرحمن	- من أنت؟
٥٣٦ / ١	ابن كعب، سعيد بن المسيب	
٣٤٩ / ١	عمران بن الحصين	- من انقطع إلى الله كفاه
٢٧١ / ٢	-	- من أوى إلى فراشه
٢٤١ / ٢	أبو هريرة	- من بات وفي يده غمر
١٩٤ / ٢	عبد الله بن عباس	- من ترك الصف الأول

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٢٥٨ / ٢	بريدة الأسلمي	- من ترك الصلاة فقد كفر
٨٤ / ٢	أنس بن مالك	- من ترك المراء وهو مبطل
٢٥٢ / ٢	معاذ الجهني	- من ترك ثوب جمال
٣٣٤ / ١	أم خالد بنت خالد	- من ترون أكسو هذه؟ (م)
٢٨١ / ١	عبد الله بن عمر	- من تشبه بقوم فهو منهم
٥٧٢ / ٢	إسحاق بن أبي طلحة	- من تطيب لله عز وجل
٣٧٢ / ١	جابر بن عبد الله	- من تنصل إليه فلم يقبل
٤٤٤ / ١	زيد بن خالد	- من جاءه من أخيه معروف
٣٧٧ / ١	أنس بن مالك	- من خرج من بيته في طلب العلم
٥٠٢ / ١	أبو هريرة، ابن عمر	- من خلق السماء؟
٤٧٠ / ٢	أبو هريرة	- من خير ما أعطي الرجل
٣٨٧ / ١	أبو هريرة	- من دعا إلى هدى (م)
٣١٣ / ١	أبو الدرداء	- من سلك طريقاً يلتمس به علماً (م)
٢٠٨ / ٢	أبو موسى الأشعري	- من صام الدهر
٢١٤ / ٢	أنس بن مالك	- من صام ثلاثة أيام
٢٦٦ ، ٢٦٤ / ٢	جابر بن عبد الله	- من صلى بالليل
١٩٧ / ٢	صلة بن أشيم، عثمان بن عفان	- من صلى ركعتين
	مكحول، كعب بن مالك،	- من طلب العلم لياهي به (م)
٨٤ / ٢	عبد الله بن عمر	
٩٧ / ٢	عبد الله بن عمرو	- من عطس أو تجشأ
٣٥٣ / ٢	أبو أمامة الباهلي	- من علم عبداً آية من كتاب الله (م)
٥٣٤ / ١	أبو هريرة	- من غشنا فليس منا
٢٩٩ / ٢	أبو سعيد الخدري	- من قال ذلك إذا خرج إلى الصلاة
٣٣١ / ٢	أبو هريرة	- من قال ذلك في يومه مئة مرة
٩٩ / ٢	أبو هريرة	- من قال لأخيه (م)
٥٤٢ / ١	أبو قتادة الأنصاري	- من قتل قتيلاً فله سلبه

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

٤٣ / ٢	معاذ بن أنس الجهني	- من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه
٢٤٢ / ٢	أبو هريرة	- من مشى إلى طعام
٦٠ / ٢	عقبة بن عامر الجهني	- من مكارم الأخلاق
٤٩٠ / ١	-	- من هذا مرة ومن هذا مرة
٤٤٢ / ١	عائذ بن عمرو	- من وجه إليه شيء
٥٣٧ / ١	عبد الله بن عباس	- من وقف بمكان كذا
١٧٢ / ١	معاوية بن أبي سفيان	- من يرد الله به خيراً (م)
٤٣٠ / ١	أبو سعيد	- من يستغفر يعفه الله (م)
٦٣ / ٢	أنس بن مالك	- من يشتري العبد؟
٤٢٩ / ١	ثوبان	- من يضمن لي واحدة
٤٦ / ٢	أبو هريرة	- من يضيف هذا؟
١٩٣ / ٢	عمار بن ياسر	- منكم من يصلي الصلاة كاملة
٥٦٨ / ٢	عبد الله بن عمرو	- المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه
٤١ / ٢	عبد الله بن عمر	- المؤمن الذي يعاشر الناس (م)
٩٢ / ٢ ، ٣٦٤ / ١	أبو هريرة	- المؤمن آلف مألوف
	أنس بن مالك، سهل بن	- المؤمن كثير بأخيه
٣٧٦ / ٢	سعد الساعدي	
٩٤ / ٢	أبو موسى الأشعري	- المؤمن للمؤمن كالبنيان
٣٦٥ / ١	أبو هريرة	- المؤمن مرآة المؤمن
٣٦٥ / ١	أبو هريرة	- المؤمن يألف ويؤلف
٣٦٠ / ١	-	- المؤمنون إخوة
٥٥١ / ١	أبو هريرة	- الناس معادن كمعادن الذهب
٢٢٢ / ٢	بريدة الأسلمي	- نأكل رزقنا
١٨٨ / ١	أبو هريرة	- نحن الآخرون السابقون
١٧٩ / ١	زيد بن ثابت	- نصر الله امرأ سمع منا حديثاً (م)
٧٢ / ٢	جابر بن عبد الله	- نعم الإدام الخل

الجزء والصفحة

الراوي

طرف الحديث

- | | | |
|---------|---------------------------------|---|
| ٢٣٨ / ٢ | أم سعد | - نعم الإدام الخل |
| ٣٤٧ / ١ | أنس، بريدة | - نعم من أفاضلها |
| ٢٣٧ / ٢ | عائشة | - النفخ في الطعام |
| ٤٧٤ / ١ | عائشة | - النكاح ستي (م) |
| | ابن مسعود، بريدة الأسلمي، | - نهيتكم عن زيارة القبور |
| ٤١٥ / ١ | أنس بن مالك | |
| ٢٥٧ / ٢ | - | - نوروا قلوبكم بلباس الصوف |
| ٢٢٤ / ٢ | عبد الله بن أبي أوفى، ابن مسعود | - نوم العالم عبادة |
| ٦٥ / ٢ | عائشة | - هذه بتلك |
| | عمار بن ياسر، عثمان بن | - هكذا خرجت عظمة الله من قلوب بني إسرائيل |
| ١٥٧ / ٢ | أبي دهرش | |
| ٤٣ / ٢ | أبو مسعود الأنصاري | - هون عليك فإني لست بملك |
| ٢٧٦ / ٢ | أنس بن مالك | - هي الصلاة بين العشاءين |
| ٣٠٥ / ١ | أنس بن مالك، الحسن البصري | - والذي نفس محمد بيده |
| ٢٢٧ / ٢ | ابن عباس، سلمان الفارسي | - الوضوء قبل الطعام |
| ٦٥ / ٢ | أنس بن مالك | - يا أبا عمير ما فعل النغير؟ (م) |
| ٥٧٥ / ٢ | أبو هريرة | - يا أبا هريرة اغتسل للجمعة |
| ١٤٣ / ٢ | أبو هريرة | - يا بلال حدثني بأرجى عمل |
| ١٤٢ / ٢ | أنس بن مالك | - يا بني إن استطعت |
| ٥ / ٢ | أنس بن مالك | - يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي (م) |
| ٦٤ / ٢ | أنس بن مالك | - يا ذا الأذنين |
| ٣٩٢ / ٢ | عبد الله بن عمر | - يا عبد الله إذا أحببت أحداً |
| ٢٣٣ / ٢ | علي بن أبي طالب | - يا علي ابدأ طعامك بالملح |
| ٥٣١ / ١ | عبد الله بن عمر | - يا عمر ها هنا تسكب العبرات |
| ٢٣ / ٢ | معاذ بن جبل | - يا معاذ أوصيك بتقوى الله |
| ٤٦٤ / ١ | عبد الله بن مسعود | - يا معشر الشبان |

الجزء والصفحة	الراوي	طرف الحديث
٤٧٥ / ١	أبو هريرة، ابن مسعود	- يأتي على الناس زمان
٤٨٢ / ٢	أبو الدرداء	- يبلغه الله عز وجل قوماً ينفعهم (م)
٣٧٢ / ١	كعب بن مالك	- يجزئك من ذلك الثلث
٢٤٩ / ١	أبو هريرة	- يدخل فقراء أمتي الجنة
٣٥ / ٢	أبو هريرة	- يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي
١٥٢ / ٢	أبو هريرة	- يقول الله تعالى : قسمت الصلاة (م)
٣٨١ / ٢	عبادة بن الصامت	- يقول الله عز وجل : حققت محبتي
٥٠٤ / ٢	أنس بن مالك، أبو سعيد الخدري	- يقول الله : أخرجوا من النار
٣٧٣ / ٢	أبو سعيد الخدري	- يوشك أن يكون خير مال المسلم (م)
٢٦٢ / ١	عبد الله بن مسعود	- يوم كلم الله موسى كان عليه جبة صوف (م)



فهرس الآش والأقوال^(١)

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
١٦٩/١	-	- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أنواع الكرامات
٤٦١/١	معاذ بن جبل	- ابتلينا بالضراء فصبرنا
٥٣٩/٢	الحلاج	- الاتصال ألا يشهد العبد غير خالقه
٥٣٩/٢	أبو الحسين النوري	- الاتصال مكاشفات القلوب
٥٣٩/٢	-	- الاتصال وصول السر إلى مقام الذهول
٤٠٣/٢	جعفر الصادق	- أثقل إخواني علي من يتكلف لي
١٦/٢	الجنيد	- اجتمع فيه أربعة أشياء
١٢٦/٢	سلمان الفارسي	- أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول
٢٠٠/١	سفيان بن عيينة	- أجهل الناس من ترك العمل
٥٢٩/٢	ابن عطاء	- احتراق الحشا وتلهب (لمن سألته عن الشوق)
٢٩١/٢	أبو سليمان الداراني	- الاحتلام عقوبة
٥٨/٢	سفيان الثوري	- الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك
٥٨/٢	الحسن البصري	- الإحسان أن تعم ولا تخص
٥٣٧/٢	السري السقطي	- احفظ عني ما أقول لك (م)
٤٨٣/٢	معروف الكرخي	- احفظ لسانك من المدح
٤٥٣/٢	أبو الحسن بن الصائغ	- الأحوال كالبروق، فإن بقي فحديث النفس
٤٥٣/٢	-	- الأحوال مواريث الأعمال
٢٢٩/١	-	- أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد
٤٥٢/١	-	- أخذ الفقير الصدقة ممن يعطيه
٤٥٢/١	أبو سليمان الداراني	- آخر أقدام الزاهدين (م)
٥٨٠/٢	أبو يزيد البسطامي	- آخر نهايات الصديقين

(١) رمزنا بـ (م) إلى الأثر أو القول المسند .

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- | | | |
|-------|---------------------|---|
| ٢٨٩/١ | رويم | - الإخلاص ألا يرض صاحبه عليه عوضاً |
| ٢٨٧/١ | أبو عثمان المغربي | - الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال (م) |
| ٥٦٩/٢ | - | - أخلص النية في أعمالك |
| ٣٩٣/٢ | أبو معاوية الأسود | - إخواني كلهم خير مني |
| ١٠٦/٢ | عبد الله بن المبارك | - أدب الخدمة أعز من الخدمة |
| ١٢١/٢ | ذو النون المصري | - أدب العارف فوق كل أدب |
| ١١٢/٢ | ابن عطاء | - الأدب الوقوف مع المستحسنات |
| ١٢٢/٢ | أبو نصر السراج | - أدب أهل الخصوصية من أهل الدين |
| ٣٤٨/٢ | أبو عثمان | - الأدب عند الأكابر وفي مجالس السادات |
| ١١١/٢ | أنس بن مالك | - الأدب في العمل علامة قبول العمل |
| ١٢٣/٢ | عبد الله بن المبارك | - الأدب للعارف بمنزلة التوبة للمستأنف |
| ٤٨٩/١ | أبو طالب المكي | - أدركنا أبا مروان وله جوار |
| ٤٣٨/٢ | سهل التستري | - أدنى الأدب أن تقف عند الجهل |
| ٥٣٦/٢ | سهل التستري | - أدنى مقام من مقامات القرب |
| ٢٠٥/٢ | عائشة | - أديموا قرع باب الملكوت |
| ٢٠٢/٢ | يحيى بن معاذ الرازي | - إذا ابتلي المريد بكثرة الأكل |
| ٥١٠/٢ | سهل التستري | - إذا اتصل الرضا بالرضوان |
| ١٨٩/٢ | أبو نصر السراج | - إذا أخذ العبد في التلاوة |
| ٢٢٩/١ | - | - إذا أراد الله تعالى بعبد سوءاً |
| ٨٦/٢ | - | - إذا أشكل عليك أمران |
| | | - إذا أقام نفسه على أربعة أصول (لمن سأل): |
| ٥١٣/٢ | يحيى بن معاذ الرازي | متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟) |
| ٣٨٩/٢ | أبو ذر | - إذا انقلب عما كان عليه أبغضه |
| ٢١٣/١ | الإمام الشافعي | - إذا أوصى بماله لأعقل الناس |
| | | - إذا ترك التدبير والاختيار (لمن سأل): أي منزلة |
| ٤٧٧/٢ | سهل التستري | إذا قام العبد بها قام مقام العبودية؟) |
| ١٤٢/٢ | - | - إذا حضر القلب في الوضوء |

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

٣٨٣ / ١

السري السقطي

- إذا خرج الشتاء قد خرج آذار

١٢٣ / ٢

ذو النون المصري

- إذا خرج المريد عن حد استعمال الأدب

٣٧٦ / ٢

عمر بن الخطاب

- إذا رأى أحدكم وداً من أخيه

١٤٦ / ٢

-

- إذا رأيت الصوفي ليس معه ركوة أو كوز

٢١٢ / ٢

-

- إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع

٣٦٤ / ٢

الجنيد

- إذا رأيت الفقير فالقه بالرفق

٥٠٩ / ١

الجنيد

- إذا رأيت المريد يطلب السماع

٢٥١ / ٢

أبو حفص الحداد

- إذا رأيت ضوء الفقير في ثوبه

١٨٩ / ٢

أبو سعيد الخراز

- إذا ركع فالأدب في ركوعه

٤٩٥ / ٢

أبو بكر الكتاني

- إذا صح الافتقار إلى الله

٤٦٢ / ٢

-

- إذا صحت اليقظة كان صاحبها

٤٦٦ / ٢

إبراهيم بن أدهم

- إذا صدق العبد في توبته

٤٠٠ / ٢

-

- إذا قال الرجل لصاحبه : قم بنا

٧٤ / ٢

-

- إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر

٣٧٩ / ٢

بشر الحافي

- إذا قصر العبد في طاعة الله

٥٨٠ / ١

سهل التستري

- إذا قلت : لا إله إلا الله مد الكلمة

٥٠٤ / ٢

الفضيل بن عياض

- إذا قيل لك : تخاف الله؟

٢٠٤ / ١

-

- إذا كان العبد على سلامة الباطن

٤٥٨ / ١

سهل التستري

- إذا كان للمريد حال يتوقع به زيادة

٢١٢ / ٢

-

- إذا كانوا جماعة متوافقين أشكالا

١٨٨ / ٢

-

- إذا كبرت التكبير الأولى

٢٧٩ / ١

الجنيد

- إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم

٣٢ / ٢

أبو يزيد البسطامي

- إذا لم ير لنفسه مقاماً (فيمن سألته :

٧٧ / ٢

ابن عيينة

متى يكون الرجل متواضعاً؟)

٢٠٦ / ٢

لقمان الحكيم

- إذا لم يكن عنده شيء وعد

- إذا ملئت المعدة نامت الفكرة

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- إذا نظرت إلى نفسك فرقت	أبو بكر الواسطي	٥٥٥ / ٢
- إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء	-	٤٣٢ / ١
- إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء	الحكيم الترمذي	٤١٣ / ٢
- إذا وقعت الغيبة ارتفعت الأخوة	الفضيل بن عياض	٣٨٧ / ٢
- إذا وقف العبد في الصلاة يقول الله	أبو سليمان الداراني	١٩٢ / ٢
- آذان وعنت عن الله أسرارته (في تفسير: ﴿وَعَبَّأْ أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾)	أبو بكر الواسطي	١٦٧ / ١
- الإرادة سمو القلب لطلب المراد	أبو عبد الله بن خفيف	٢٤١ / ١
- ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات	بطليموس	٣٥٢ / ١
- ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة (لمن سألته عن الأنس)	الجنيد	٥٣٠ / ٢
- ارجعوا إلى ما كنتم فيه (قاله في قوم فيهم قوال فلما رأوه أمسكوا)	ممشاذ الدينوري	٥٢١ / ١
- أرضاهم بالمقدور (فيمن سألته: من أقهر الناس لنفسه؟)	الحارث المحاسبي	٩٠ / ٢
- أرواح المؤمنين تذهب في برزخ	المسيب بن سليمان	٤١٣ / ٢
- الأرواح تجول في البرزخ	الحكيم الترمذي	٤١٣ / ٢
- أريد إقبال الخلق علي	-	٣٨٣ / ١
- استجيبوا لله بسراركم (في تفسير: ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)	-	١٨٩ / ١
- استحيوا من الله وإنني لأدخل الكنيف	أبو بكر الصديق	١٣٣ / ٢
- أستغفر الله من قلة صدقي	رابعة العدوية	٤٧٩ / ٢
- أسرجت وألجمت وطففت	-	٣٣ / ٢
- أسلم المقالات أن يقال	-	٣١٦ / ٢
- أسوأ المعاصي حديث النفس	سهل التستري	٤٣٦ ، ٣٢٢ / ٢
- أصبح كل يوم وأحب ما إلي الصوم	أبو السعود بن شبل	٢١١ / ٢

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٢٦٩/١	حارثة بن مالك	- أصبحت مؤمناً حقاً
٤٧٠، ٩٠/٢	عمر بن عبد العزيز	- أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القضاء
٣٥٣/١	أبو بكر الواسطي	- اصبروا على بلائي (في تفسير: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا...﴾)
٣٥٢/١	السري السقطي	- اصبروا عن الدنيا رجاء السلامة (في تفسير: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا...﴾)
٣٨٣/٢	أبو بكر الطمستاني	- اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا (م)
٥٠٧/٢	أبو بكر الواسطي	- أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار
١٧٤/١	عبد الله بن عباس	- أصل طينة رسول الله ﷺ
	أبو يعقوب النهرجوري،	- أعرف الخلق بالله أشدهم تحيراً فيه
٥٨٨/٢	ذو النون المصري	
٣٢٦/١	السري السقطي	- أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة (م)
٤٨٤/٢	أبو عبد الله بن الجلا	- أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة (م)
		- أعطى الدارين ولم ير شيئاً (في تفسير: ﴿فَأَمَّا مَنْ
٢٢٨/١	-	أَعْطَى وَالْفَقْرَ...﴾)
٣٧٥/٢	الجنيد	- أعلم الناس بالآفات أكثرهم آفات
٥٦٨/٢	سالم بن عبد الله بن عمر	- اعلم يا عمر أن عون الله للعبد
٤٨٧/٢	سهل التستري	- أعمال البر كلها في موازين الزهاد
٢٠٦/٢	يحيى بن معاذ الرازي	- أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته
٤٤٧/١	أبو بكر الواسطي	- الافتقار إلى الله تعالى
		- افتقر إلى الله بصحة العزم (في تفسير: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾)
٢٠٧/١	جعفر الصادق	
١٧٣/١	عبد الله بن عباس	- أفضل العبادة الفقه في الدين
٤٦٦/٢	أبو عثمان المغربي	- أفضل ما يلزم الإنسان (م)
٦٩/٢	سعيد بن العاص	- اقتصد في مزاحك
٥٦٨/٢	الجنيد	- أكثر العوائق والحوائل (م)

- الأكل مع الإخوان أفضل من الأكل مع العيال ٢٤٥ / ٢ -
- ألا لا سمع الله لكم عبد الله بن عمر ٥١٣ / ١
- ألا يتكلم العبد إلا بالحق (لمن سألته عن الورع) إبراهيم الخواص ٤٨٤ / ٢
- ألا يستغني بشيء دون الحق (لمن سألته عن حقيقة الفقر) أبو بكر الشبلي ٢٤٦ / ١
- إلهي كيف أشكرك وأنا لا أستطيع - ٤٩٩ / ٢
- إلى ماذا أدئ بك التصوف؟ الحلاج ٥١٩ / ٢
- إلى متى تصول بترك كنيف؟! أبو بكر الواسطي ٤٧٤ / ٢
- أما والله لو كان عند نبي الله موسى شيء مطرف بن الشخير ٤٣٧ / ١
- أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر جعفر الصادق ٤٩٣ / ٢
- أمر رسول الله ﷺ بإسالات القصعة أنس بن مالك ٢٣٧ / ٢
- أمرنا هذا مبني على فصلين (م) أبو محمد الجريري ٤٦٥ / ٢
- إن أبا عمرو الزجاجي جاور بمكة ثلاثين سنة - ١٤٩ / ٢
- إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة وهب بن منبه ١٩٥ / ٢
- إن أردت أن تلقى صاحبك علي بن أبي طالب ٢٥٠ / ٢
- إن الأسماء التسعة والتسعين أبو القاسم الكركاني ٢٢ / ٢
- إن الجنيد رحمة الله عليه ترك السماع - ٥٠٩ / ١
- إن الجوع يصفى الفؤاد بشر الحافي ٢٠٣ / ٢
- إن الخشوع في الصلاة عبد الله بن عباس ١٨٧ / ٢
- إن الذي أصلي له أقرب إلي (فيمن قال له: إن الناس أفسدوا...) موسى بن جعفر ١٩٣ / ٢
- إن الروح خلق من خلق الله عبد الله بن عباس ٤١٠ / ٢
- إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه أبو علي الروذباري ١٤٤ / ٢
- إن الصوم أمانة - ٢١٩ / ٢
- إن العباد عملوا على أربع درجات أبو سليمان الداراني ٥٣٨ / ٢
- إن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله عباد بن كثير ١٥٨ / ٢
- إن العقل عقلان - ٤٣٣ / ٢

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٢٤٦/١	ابن الكرنبي	- إن الفقير الصادق ليحترز من الغنى
٤٩٤/٢	الجنيد	- إن الله تعالى أكرم المؤمنين بالإيمان (م)
	الحسن البصري،	- إن الله تعالى لا يعبأ بذى علم ورواية
٢٢٣/١	أبو محمد الجريري	
٧٠/٢	عيسى عليه السلام	- إن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب
٢٦٣/٢	-	- إن الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين في الأسحار
٥٣٥/٢	الجنيد	- إن الله تعالى يقرب من قلوب عباده
٤٦٣/١	-	- إن الناس يتكلمون فيك
٢٥٠/٢	-	- إن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه لبس قميصاً
		- إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي على عهد
٢٩٩/١	عمر بن الخطاب	رسول الله (م)
٥٠٤/١	أبو طالب المكي	- إن أنكرنا السماع مجملأً مطلقاً
٤٣٩/١	-	- إن بعض الصوفية قرض الفأر خفه
٤٨٥/١	-	- إن بعض الواجدین كان یقتات السماع
١٤٧/٢	-	- إن بعضهم أدب نفسه
٢١٢/٢	-	- إن بعضهم صام سنين بسبب شاب
		- أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً (فيمن
٣٠/٢	يوسف بن أسباط	سأله عن الغاية في التواضع)
٧٧/٢	ابن أخي الزهري	- إن جبريل عليه السلام قال: ما في الأرض
٥٧٦/١	-	- إن داود عليه السلام لما ابتلي بالخطيئة
١٩٥/٢	عائشة	- إن رسول الله ﷺ كان يسمع من صدره
٤٧٣/١	-	- إن ركعة من متأهل خير من سبعين
١٤٥/٢	-	- إن سهل بن عبد الله كان يحث أصحابه
٤٧٣/١	عبد الله بن عمر	- إن عيسى سينكح إذا نزل إلى الأرض
٢٥٩/١	الحسن البصري، عبيد بن عمير	- إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر
١٨٣/١	ابن سمعون	- إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- إن للقلوب إقبالاً وإدباراً	أبو سعيد بن الأعرابي	٤٦٩/١
- إن لله عز وجل في خلقه مثوبات فقر	علي بن أبي طالب	٤٥٦/١
- إن لله ملكاً نصفه من نار (م)	خالد بن معدان	٣٨٢/٢
- إن لم تبرهم فلا تؤذهم (لمن سأل على أي شرط يصحب الخلق) (م)	أبو عبد الله بن الجلا	٣٨٨/٢
- إن لي عباداً يحبونني وأحبهم	-	٢٦٣/٢
- إن هذا قول قوم تكلموا (م)	الجنيد	٣٠٠/١
- إن هذه الآية مكتوبة في التوراة	عبد الله بن عمرو	٥٦٥/١
- إن يحيى بن زكريا تزوج لأجل السنة	-	٤٧٣/١
- أنا أحتاج إلى الزوجة	الجنيد	٤٧١/١
- أنا أذكر خطاب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	-	١٩٥/١
- أنا أكل وأنا أصلي	أبو النجيب السهروردي	٢٣٠/٢
- أنا الحق	الحلاج	٣٠٠/١
- أنا إلى أن أطلق نفسي أحوج مني (فيمن قال له: تزوج)	-	٤٦٣/١
- أنا ردم كله لا ينفذ في قول	-	٥٢٠/١
- أنا لا أكل إلا من طعام الفضل	حماد الدباس	٤٤٦/١
- الإنابة الرجوع منه إليه	-	٤٦٦/٢
- الانبساط بالقول مع الحق	أبو بكر الشبلي	١٢٠/٢
- الانتباه أوائل دلالات الخير	-	٤٦٢/٢
- انتقم من حرصك بالقناعة	إبراهيم المارستاني	٧٨/٢
- الأنس بالله أن تستوحش من الخلق (م)	علي بن سهل الأصبهاني	٣٨٤/٢
- الأنس محادثة الأرواح	أبو سعيد الخراز	٥٣٢/٢
- الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم	الإمام الشافعي	٤٠١/٢
- انقطع الخلق عن الله بخصلتين	الخواص	١٩٤/٢
- أنكر قوم هذا لمخالفة العلم	أبو نصر السراج	٢١١/٢

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- إنما أحب أخي (لمن سأله : أيما أحب إليك؟
أخوك أو صديقك؟) حكيم بن مرة، خالد بن
صفوان، عبد الحميد الكاتب ٣٩٠ / ٢
- إنما حرموا الوصول سفيان الثوري ٥٧٤ / ٢
- إنما سمي العقل عقلاً الحكيم الترمذي ٤٣١ / ٢
- إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب الجندب ٥٥٧ / ٢
- إنما يشتاق الغائب (لمن سأله عن الشوق) أبو الحسن الأنطاكي ٥٢٨ / ٢
- إنما يكون الشوق إلى الغائب - ٥٢٨ / ٢
- إنه ليؤذيني ريح هؤلاء - ٢٦٠ / ١
- إنها إذا فارقت البدن تحل معها القوة الوهمية - ٣١٦ / ٢
- إنها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات - ٤١٢ / ٢
- أنهاك عنه وأكرهه لك (فيمن سأله عن الغناء) القاسم بن محمد ٥١٣ / ١
- إني أجد في سبعين كتاباً وهب بن منبه ٤٢٩ / ٢
- إني إذا كنت في الخلوة أحمد بن أبي الحواري ٢٩١ / ١
- إني لأستجم نفسي بشيء من الباطل أبو الدرداء ٤٩٥ / ١
- إني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي الفضيل بن عياض ٤٣٩ / ١
- إني لأغتسل في البيت المظلم عثمان بن عفان ٥٣٧ / ٢
- أهدي لبعض أصحاب رسول الله رأس شاة أنس بن مالك ٤٨ / ٢
- أهل الخالصة الذين هم المرادون (م) أبو سعيد الخراز ٢٣٩ / ١
- أهل السماع على ثلاث طبقات أبو نصر السراج ٥٠٥ / ١
- أهل الفناء في الفناء صحتهم أبو سعيد الخراز ٥٤٨ / ٢
- أهل الليل في ليلهم أشد لذة أبو سليمان الداراني ٢٦٢ / ٢
- أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم رويم ٥٤٠ / ٢
- أوفى الأحوال التيقظ والاعتبار فارس الدينوري ٤٦٢ / ٢
- أول العلم الاستماع سفيان بن عيينة ١٩٥ / ١
- أول الفهم لكلام الله العمل به أبو سعيد الخراز ٥٥٢ / ٢
- أول ما يؤمر به المرید سهل التستري ٥٦٩ / ٢

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- أول مقامات التوكل	سهل التستري	٥٠٨ / ٢
- أولاً القبض ثم البسط	فارس الدينوري	٥٤٤ / ٢
- أولك نطفة مذرة	مالك بن دينار	٣٥ / ٢
- أي شيء أفضل من الصبر	-	٤٦٨ / ٢
- أي : لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم (في تفسير : ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾)	عائشة	٣٣٧ / ٢
- إياك وكثرة الضحك	أبو ذر، أبو هريرة	٧٠ / ٢
- إياكم والغناء فإنه يزيد في الشهوة	يزيد بن الوليد الناقص	٥١٤ / ١
- اثتونا بالسفرة نعبث بها	شداد بن أوس	٢٢٢ / ١
- الإيثار لا يكون عن اختيار	-	٤٩ / ٢
- الإيثار هو أن يقدم حظوظ الإخوان	أبو حفص الحداد	٤٩ / ٢
- الإيمان أربعة أركان	أبو الحسن بن سالم	٥٧٣ / ١
- الإيمان بطريقنا هذا ولاية	الجنيد	٢٧٣ / ١
- أين يذهب ضوء المصباح (لمن سأله : أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان؟)	عبد الله بن عباس	٣١٦ / ٢
- الباب العظيم الذي يدخل منه إلى الله	-	٢٠٣ / ٢
- باتباع السنة تنال المعرفة	النصراباذي	٥٣٦ / ٢
- الباقي أن تصير الأشياء كلها له	الكلاباذي	٥٤٦ / ٢
- بالأدب يفهم العلم	يوسف بن الحسين الرازي	١٠٥ / ٢
- بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة (م)	عبادة بن الصامت	٣٣١ / ١
- بصائر المبصرين ومعارف العارفين	الحلاج	١٨٤ / ١
- بقيت البارحة إلى الصباح أجهد أن أقول	أبو يزيد البسطامي	٢١٨ / ١
- بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا	أبو بكر الطوسي	٤٩٧ / ٢
- البكاء من بقية الوجود	حماد الدباس	٥٢٦ / ١
- بلينا بالضراء فصبرنا	عبد الرحمن بن عوف	٤٦٩ / ٢
- بنور التوحيد يقبل خاطر من الله تعالى	-	٤٤٤ / ٢

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- بيننا وبينهم أن يقعد واحد منهم (لمن سأله
عمن يصرع أثناء قراءة القرآن) ابن سيرين ٥١٦/١
- التبرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة (م) أبو محمد الجريري ١١٦/٢
- التجلي رفع حجة البشرية - ٥٥٨/٢
- تخضع للحق وتنقاد له (فيمن سأل عن التواضع) الفضيل بن عياض ٢٨/٢
- ترك الأدب موجب للطرد أبو علي الدقاق ١١٢/٢
- تسألني عن توبة الإنابة أو توبة الاستجابة؟ (لمن سأل عن التوبة) الحسن المغازلي ٤٧٩/٢
- تصفية القلب عن موافقة البرية (لمن سأل عن التصوف) الجنيد، أبو عبد الله بن خفيف ٢٥٤/١
- التصوف استرسال النفس مع الله رويم ٢٥٣/١
- التصوف الأخذ بالحقائق معروف الكرخي ٢٤٦/١
- التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة الجنيد ٢٤٦/١
- التصوف أن يكون العبد في كل وقت عمرو بن عثمان المكي ٢٥٣/١
- التصوف أن يملك الحق عنك الجنيد ٢٥١/١
- التصوف أوله علم الجنيد ٢٥٣/١
- التصوف ترك التصرف الجنيد ٢٥٤/١
- التصوف ترك التكلف ابن السماك ٧١/٢
- التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق (م) أبو بكر الكتاني ٢٠/٢
- التصوف ذكر مع اجتماع - ٢٥٣/١
- التصوف كله آداب لكل وقت أدب أبو حفص الحداد ٣٤١، ٢٤٨/١
- التصوف كله اضطراب - ٢٥٦/١
- التصوف كله جد أبو علي الروذباري ٥١٨/١
- التصوف مبني على ثلاث خصال رويم ٥١/٢ - ٢٤٦/١
- التصوف: ترك كل حظ للنفس أبو الحسين النوري ٣٨٢/١
- تعلم حسن الاستماع ابن المقفع، الحسن البصري ١٩٥/١

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- التقوى واليقين مثل كفتي الميزان	سهل التستري	٥٠٨ / ٢
- التكلف تخلف		٧١ / ٢
- تنزل الرحمة على هذه الطائفة	الجنيد	٤٨٦ / ١
- تنسموا روح ما دعاهم إليه فأسرعوا (في تفسير : ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)	الجنيد	١٨٨ / ١
- التواضع حسن ولكن في الأغنياء أحسن	يحيى بن معاذ الرازي	٣١ / ٢
- التواضع على ضريبن	الحكيم الترمذي	٣٧ / ٢
- توبة العوام من الذنوب	ذو النون المصري	٤٨٠ / ٢
- التوبة أن يتوب عن كل شيء	أبو الحسين النوري	٤٨١ / ٢
- التوبة من كل شيء ذمه العلم (لمن سأله عن التوبة)	أبو يعقوب السوسي	٤٨١ / ٢
- التوحيد يوجب الإيمان	الجلاللي البصري	١٠٩ / ٢
- توضأ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية	-	١٤٨ / ٢
- التوكل الانخلاع من الحول	السري السقطي	٥٠٦ / ٢
- التوكل أن يكون لله	الجنيد	٥٠٦ / ٢
- التوكل ترك تدبير النفس	ذو النون المصري	٥٠٧ / ٢
- التوكل رد العيش إلى يوم واحد	أبو بكر الزقاق	٥٠٧ / ٢
- التوكل هو الاعتصام بالله	حمدون القصار	٥٠٨ / ٢
- التيقظ تبيان خطأ المسلك	-	٤٦٢ / ٢
- الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول	ابن عطاء	٤٤٤ / ٢
- ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا	أبو سليمان الداراني	٤٦٠ / ١
- ثلاث من علامات الإخلاص	ذو النون المصري	٢٨٧ / ١
- ثلاث من علامات التواضع	ذو النون المصري	٣١ / ٢
- جدد لهم الود في كل طرفة	-	٥٣٢ / ٢
- جذبة من جذبات الحق	أبو القاسم النصرابادي	٣٨٦ / ١
- الجماع يسكن هيجان العشق	-	٤٧٧ / ١
- الجمع عين الفناء بالله	أبو الحسن المزين	٥٥٥ / ٢

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٥٥٥ / ٢	-	- جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته
٥٥٤ / ٢	الأبهري	- جمعهم في المعرفة
٥٨٧ / ٢	محمد بن الفضل البلخي	- حاجتهم إلى الخصلة (لم سأل: حاجة العارفين إلى ماذا؟)
٤٦٣ / ٢	عمر بن الخطاب	- حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
٤٥٢ / ٢	-	- الحال ما من الله
٤٥٢ / ٢	-	- الحال هو الذكر الخفي
٥٢٥ / ١	-	- حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة
٥١٦ / ٢	أبو الحسن السلامي	- الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة
٥٨٣ / ١	-	- حد الجوع ألا يميز بين الخبز
٥٨٤ / ١	-	- حد الجوع أن يبزق
٨٨ / ٢	عبد الله بن عباس	- الحدث حدثان حدث من فرجك
٤٤١ / ٢	-	- الحديث في باطن الإنسان
٧٨ / ٢	بنان الحمال	- الحر عبد ما طمع
٥٤٠ / ٢	سهل التستري	- حركوا بالبلاء فتحركوا
٢٩١ / ٢	سفيان الثوري	- حرمت قيام الليل سبعة أشهر بذنب أذنبته
٤٣١ / ١	سيدنا إبراهيم عليه السلام	- حسبي من سؤالي علمه بحالي
٢٤٨ / ١	أبو حفص الحداد	- حسن أدب الظاهر
٣٤١ / ٢	السري السقطي	- حسن الأدب ترجمان العقل
	أبي سعيد الخراز،	- حسنات الأبرار سيئات المقربين
١٦٣ / ٢	ذو النون المصري، الجنيد	
٣٩٩ / ٢	أبو عثمان الحيري	- حق الصحبة: أن توسع على أخيك مالك
٥٦٢ / ٢	الجنيد	- حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك
٥٦٢ / ١	أبو علي الجوزجاني	- الحق يريد منك الاستقامة
٥٠ / ٢	أبو هريرة، عمر بن الخطاب	- حقيقة الإيثار أن تؤثر بحظ آخرتك على إخوانك
٤٩٧ / ٢	يحيى بن معاذ الرازي	- حقيقة الفقر ألا يستغني إلا بالله

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- ٥٢١ / ٢ أبو عبد الله القرشي - حقيقة المحبة أن تهب كلك
- ٢٨٩ / ٢ أبو حفص السهروردي - حكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له أنه كان يأمر
- ٢٤٩ / ٢ - - حكى أن جماعة من أصحاب المرقعات
- ٢٤٧ / ٢ - - حكى أن سفیان الثوري خرج ذات يوم وعليه ثوب
- ٢١٢ / ٢ - - حكى عن أبي الحسن المكي أنه كان يصوم الدهر
- ٢١١ / ٢ - - حكى عن بعض الصادقين من أهل واسط
- ٤٨٠ / ٢ سهل التستري - الحلاوة طبع البشرية
- ٥٣٨ / ٢ ذو النون المصري - الحياء وجود الهيبة في القلب
- ١٨٩ / ١ أبو بكر الواسطي - حياتها تصفيتها عن كل معلول (في تفسير: ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)
- ٤٤٤ / ٢ الجنيد - الخاطر الأول لأنه إذا بقي رجع صاحبه
- ٥٠٣ / ٢ رويم - الخائف الذي لا يخاف غير الله
- ٥٠٢ / ٢ أبو عمرو الدمشقي - الخائف من يخاف من نفسه
- ٣٩ / ٢ أنس بن مالك - خدمت رسول الله صلى الله عليه عشر سنين (م)
- ٣٤٩ / ٢ أبو منصور المغربي - خدمته ما صحبتته (فيمن سأله: كم صحبت أبا عثمان؟)
- ٢١٨ / ٢ مجاهد - خصلتان تفسدان الصوم
- ٥٧١ / ٢ زيد بن أسلم - خصلتان هما كمال أمرك
- ٥٠٦ / ٢ لقمان الحكيم - خف الله تعالى خوفاً
- ٢٨ / ٢ الجنيد - خفض الجناح ولين الجانب (فيمن سأله عن التواضع)
- ١٥ / ٢ - - الخلق الجميل لباس النعوت
- ١٤ / ٢ أبو بكر الواسطي - الخلق العظيم ألا يخاصم
- ١٦ / ٢ ابن عطاء - الخلق العظيم ألا يكون له اختيار
- ٤٠٩ / ٢ ابن عطاء - خلق الله الأرواح قبل الأجساد
- ١٦٩ / ١ أبو بكر الواسطي - خلق الله درة صافية
- ١٠٣ / ٢ - - الخلق لا سبيل إلى تغييره كالخلق
- ٤٣٧ / ١ أبو سعيد الخراز - الخلق مترددون بين ما لهم

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
١٣ / ٢	-	- الخلق مع الخلق والصدق مع الحق
٣٧٣ / ٢	-	- الخلوة أصل ، والخلطة عارض
٥٤٩ / ١	سلمان الفارسي	- خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً
٥١١ / ٢	السري السقطي	- خمس من أخلاق المقربين
٢٩ / ٢	سفيان الثوري	- خمسة أنفس أعز الخلق في الدنيا
٤٤٠ / ٢	أبو محمد بن عبد البصري	- الخواطر أربعة : خاطر من النفس
٥٠٣ / ٢	سهل التستري	- الخوف ذكر والرجاء أنثى
٥٠٥ / ٢	أبو علي الروذباري	- الخوف والرجاء كجناحي الطائر
٤٧٢ / ١	عبد الله بن عباس	- خير هذه الأمة أكثرها نساء
٢٤٤ / ٢	-	- دخل قوم على سفيان الثوري فلم يجدوه
٧٢ / ٢	شقيق بن سلمة	- دخلت على سلمان الفارسي فأخرج إلي
٢٩١ / ٢	-	- دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي
١٠٧ / ٢	القاسم بن سلام	- دخلت مكة ، فكنت ربما أقعد
٥٢٣ / ٢	الجنيد	- دخول صفات المحبوب (لمن سألته عن المحبة)
٢٤٩ / ١	أبو محمد الجريري	- الدخول في كل خلق سني (لمن سألته عن التصوف) (م)
٢٥٦ / ٢	عمر بن الخطاب	- دعوا هذه البراقات للنساء
٢٠٧ / ٢	محمد بن الفضل البلخي	- الدنيا بطنك على قدر زهدك في بطنك
٥٨٢ / ٢	يحيى بن معاذ الرازي	- الدنيا عروس ومن يطلبها ماشطتها
٥٧٤ / ٢	-	- الدنيا مبعوضة الله
٤١٣ / ٢	أبو بكر الواسطي	- الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء
٢٩١ / ٢	الحسن البصري	- ذنوبك قيدتك (قاله لمن لا يقوم الليل . . .)
٥٢٣ / ٢	سمنون	- ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة
٢٤٧ / ١	أبو بكر المصري	- الذي يملك ولا يملك (لمن سألته عن الفقير)
٢١٩ / ١	-	- الراسخ من اطلع على محل المراد
٢١٩ / ١	أبو بكر الواسطي	- الراسخون في العلم هم الذين رسخوا
٢١٩ / ١	أبو سعيد الخراز	- الراسخون في العلم هم الذين كملوا

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٥٥٢/٢	أبو بكر الواسطي	- الراسخون في العلم هم رسخوا
٥١١/٢	الفضيل بن عياض	- الراضي لا يتمنى فوق منزلته
٥١٢/٢	-	- الراضي من لم يندم
٥٦٣/١	عمر بن الخطاب	- رأى قلبي ربي
١٤٧/٢	معاذ بن جبل	- رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ
٤٨٣/١	عائشة	- رأيت رسول الله ﷺ يسترني
٢٦٨/١	الحسن البصري	- رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً
٥٠٣/١	-	- رأينا جماعة ممن يمشي على الماء
٥٦٥/١	زيد بن أسلم	- رب أنبئني عن هذه الأمة المرحومة (م)
١٩٢/٢	أبو بكر الوراق	- ربما أصلي ركعتين فأنصرف منهما
٥٠٥/٢	أبو عبد الله بن خفيف	- الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو
٥٠٥/٢	-	- الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال
٥٨١/٢	يحيى بن معاذ الرازي	- رجل معهم بائن منهم (لمن سأل عن وصف العارف)
٣٩٥/٢ - ٣٦٧/١	عمر بن الخطاب	- رحم الله امرأً أهدي إلي عيوبي
٢٢٨/١	عمر بن الخطاب	- رحم الله صهيياً لو لم يخف الله لم يعصه
٥١١/٢	ابن سمعون	- الرضا بالحق والرضا له
٥٠٩/٢	ذو النون المصري	- الرضا سرور القلب
٥٠٩/٢	الحارث المحاسبي	- الرضا سكون القلب
٥١١/٢	ابن عطاء	- الرضا سكون القلب
٥١٠/٢	الجنيد	- الرضا هو صحة العلم
٤٩٤/١	-	- الرقص نقص
١٩٦/٢	عبد الله بن عباس	- ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة
٤٠٩/٢	أبو عبد الله النباجي	- الروح جسم يلطف عن الحس
٤١٥/٢	عكرمة	- الروح خلق من نور العزة
٤٢١/٢	أبو سعيد القرشي	- الروح روحان روح الحياة
٤٠٨/٢	الجنيد	- الروح شيء استأثر الله تعالى بعلمه

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- الروح عبارة والقائم بالأشياء هو الحق	-	٤٠٩/٢
- الروح على صورة بني آدم	مجاهد	٤١١/٢
- الروح كهينة الإنسان وليسوا بناس	أبو صالح	٤١١/٢
- الروح لطيف قائم في كثيف	-	٤٠٩/٢
- الروح لطيفة تسري من الله إلى أماكن معروفة	-	٤١٢/٢
- الروح لم يخرج من (كن)	-	٤١٢/٢
- الروح نسيم طيب يكون به الحياة	-	٤٢٢/٢
- الروح ينفصل من البدن في جسم لطيف	ثابت بن قرة الحراني	٣١٦/٢
- رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين	أبو سعيد الخراز	٢٨٨/١
- الزجر ضياء في القلب	-	٤٥٥/٢
- زجر عن الأدنى (في تفسير: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾)	ابن عطاء	٣٤٤/٢
- الزجر هيجان في القلب	-	٤٥٥/٢
- الزم الأدب ظاهراً وباطناً	عائشة بنت أبي عثمان الجبيري	١١٠/٢
- الزم الوحدة وامح اسمك عن القوم	أبو بكر الشبلي	٥٥٣/١
- الزهد ترك حظوظ النفس	السري السقطي	٤٨٧/٢
- الزهد خلو الأيدي من الأملاك	الجنيد	٤٨٥/٢
- الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء (لمن سأله عن الزهد وحقيقته)	أبو بكر الشبلي	٤٨٧/٢
- سابق عمر الزبير فسبقه الزبير	-	٦٦/٢
- سأل الناس رسول الله ﷺ فأكثرُوا	عبد الله بن عباس	٣٥٥/٢
- سبحاني	أبو يزيد البسطامي	٣٠٠/١
- السرور بالله من شدة المحبة له	أبو الحسين الوراق	٥٢١/٢
- السكر غليان القلب	أبو عبد الله بن خفيف	٥٦٠/٢
- السلامة عشرة أجزاء	شقيق البلخي	٣٧٣/٢
- سلوا جابر بن عبد الله	عبد الله بن عباس	٢٢٦/١

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- | | | |
|-------|---------------------|--|
| ٢٢٦/١ | عبد الله بن عمر | - سلوا سعيد بن المسيب |
| ٢٢٦/١ | أنس بن مالك | - سلوا مولانا الحسن |
| ٤٥٢/٢ | علي بن أبي طالب | - سلوني عن طرق السماوات |
| ٥٢٦/١ | أبو بكر الكتاني | - سماع العوام على متابعة الطبع |
| ٥٢٠/١ | - | - السماع لا يحدث في القلب شيئاً |
| ٥٣٠/١ | - | - السماع لقوم كالدواء |
| ٩٥/٢ | - | - سمي الإنسان إنساناً |
| ١٣/٢ | - | - سمي خلقه عظيماً لاجتماع |
| ١٢/٢ | الجنيد | - سمي خلقه عظيماً لأنه لم يكن |
| ١٥٦/٢ | - | - سميت مثاني |
| ٢٦٢/٢ | - | - سنة الوصل سنة |
| ٢٤٣/١ | - | - سئل خادم الشبلي : ماذا رأيت منه عند موته؟ |
| ٣٣٢/١ | أبو علي الدقاق | - الشجرة إذا نبتت بنفسها |
| ٤٠٣/٢ | علي بن أبي طالب | - شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة |
| ٥٣٥/١ | السري السقطي | - شرط الواجد في زعقته |
| ٤٩٩/٢ | - | - الشكر هو الغيبة عن الشكر |
| ٧١/٢ | أنس بن مالك | - شهدت وليمة لرسول الله ما فيها خبز |
| ٥٢٧/٢ | ذو النون المصري | - الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات |
| ٥٢٩/٢ | - | - شوق المشاهدة واللقاء |
| ٥٢٧/٢ | أبو عثمان الحيري | - الشوق ثمرة المحبة |
| | | - شوقاً واستهانةً بمن وراءه (في تفسير : ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾) |
| ٥٢٧/٢ | أبو بكر الواسطي | - الصادق الذي ظاهره مستقيم |
| ٥٧٩/٢ | أبو سعيد القرشي | - الصادق يكون جهله مزيداً لعلمه |
| ٤٩٦/١ | سهل التستري | - صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين |
| ٥٢١/٢ | يحيى بن معاذ الرازي | - الصبر أن تصبر في الصبر |
| ٤٨٩/٢ | - | |

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- الصبر انتظار الفرج من الله	سهل التستري	٤٨٩/٢
- الصبر على العافية أشد من الصبر	سهل التستري	٤٦٨/٢
- الصبر عنهن خير من الصبر عليهن (فيمن سألته عن النساء)	سهل التستري	٤٦٢/١
- صح عند أهل المعرفة (م)	أبو محمد الجريري	٣١/٢
- صحبت أبا علي السندي	أبو يزيد البسطامي	٣٥١/٢
- صحبت أصحاب رسول الله ﷺ	مسروق	١٦٥/١
- صحبت الصوفية خمسين سنة	أبو سعيد الجزار	٣٨٨/٢
- صحبت ثلاثين شيخاً كل يوصيني	فتح الموصلي	٢٠٧/٢
- صحبت سهلاً سنين ما رأيت تغيير	-	٥٢٤/١
- الصداقة لحمه كلحمه النسب	-	٣٩٠/٢
- صدق الإخلاص نسيان رؤية الخلق	أبو عثمان المغربي	٢٨٩/١
- صر بحراً حتى لا تتغير	-	٣٨٩/١
- صليت وردي ليلة من الليالي	السري السقطي	١١٠/٢
- الصوت الحسن (في تفسير: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾)	ابن شهاب الزهري	٤٨٧/١
- الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قببح	الجنيد	٢٥٥/١
- الصوفي كالأرض يطؤها البر والفاجر	الجنيد	٢٥٥/١
- الصوفي من إذا استقبله حالان حسان	أبو الحسين الوراق	٢٥٢/١
- الصوفي من صفا من الكدر	أبو بكر الشبلي	٢٥٤/١
- الصوفي من لا يتعبه طلب	ذو النون المصري	٢٥١/١
- الصوفي من يرى دمه هدرأ	سهل التستري	٥١/٢
- الصوفية (لمن سألته: من أصحاب من الطوائف؟)	حمدون القصار، سهل التستري	٢٥٢/١
- الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء	ذو النون المصري	٢٥٢/١
- الصولة على من فوقك قحة	أبو علي الروذباري	٣٩٩/٢
- طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة	-	٩٣/٢
- طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام	أبو بكر الزقاق	٢٣٣/١

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

٥٧٣ / ٢

أنس بن مالك

- طيبوا كفي بمسك

- الظالم الذي يجزع من البلاء (في تفسير:

٢٧٦ / ١

-

﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾

- الظالم الذي يحب الله من أجل الدنيا (في

٢٧٨ / ١

ابن عطاء

تفسير: ﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾

- الظالم الزاهد والمقتصد العارف (في تفسير:

٢٧٦ / ١

-

﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾

- الظالم صاحب الأقوال (في تفسير:

٢٧٧ / ١

أحمد بن عاصم الأنطاكي

﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾

- الظالم يذكر الله بلسانه (في تفسير:

٢٧٦ / ١

ذو النون المصري

﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾

- الظالم يعبد الله على الغفلة (في تفسير:

٢٧٦ / ١

-

﴿... فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...﴾

- الظاهرة العوافي والغنى (في تفسير:

٥٠١ / ٢

-

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَّرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾

٥٠٤ / ١

-

- ظهر من بعض الصوفية وجد

٤٤٧ / ١

أبو سعيد الخراز

- العارف فني تدييره في تديير الحق

٧٨ / ٢

أبو بكر المراغي

- العاقل: من دبر أمر الدنيا بالقناعة

٢٠٥ / ٢

شقيق البلخي

- العبادة حرفة وحانوتها الخلوة

١٠٨ / ٢

أبو علي الدقاق

- العبد يصل بطاعته إلى الجنة

١٥٥ / ٢

خالد الربيعي

- عجبت لهذه الآية

٩٣ / ٢

-

- العدالة خليفة المحبة

٥٨٨ / ١

أبو طالب المكي

- عرفنا من طوى أربعين يوماً

١٧ / ٢

الحلاج

- عظم خلقك لأنك لم ترض بالاخلاق

١٣ / ٢

الحلاج

- عظم خلقه حيث صغرت الأكوان

١٧ / ٢

أبو سعيد القرشي

- العظيم هو الله ومن أخلاقه

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٤٣٢ / ٢	الحكيم الترمذي	- عقل الإيمان مسكنه في القلب
٤٣١ / ٢	الحكيم الترمذي	- العقل على ضربين ضرب يبصر به
٤٣٠ / ٢	الحارث المحاسبي	- العقل غريزة يتها بها
٢٤٢ / ١	أبو عثمان	- عقوبة قلوب المريدين أن يحجبوا
٤٦٢ / ٢	أبو يزيد البسطامي	- علامة الانتباه خمس
١٨٠ / ١	-	- علامة الخير في السماع
٥٠٥ / ٢	شاه الكرمانى	- علامة الرجاء حسن الطاعة
٥٨١ / ٢	ذو النون المصري	- علامة العارف ثلاثة
٥٥٨ / ٢	الحلاج	- علامة تجلي الحق للأسرار
٥٤٧ / ٢	أبو سعيد الخراز	- علامة من ادعى الفناء
٥٣٨ / ٢	ابن عطاء	- العلم الأكبر الهيبة والحياء
٥٤٧ / ٢	إبراهيم بن شيان	- علم الفناء والبقاء يدور
٣٦٦ / ٢	قتادة	- علم الله تعالى أن في خروج المال (في تفسير: ﴿فِيُخَفِّكُم بِخُلُوعِهِمْ وَيُخْرِجُ أَوْفَنَّاكُمْ﴾)
٥٦٢ / ٢	-	- علم اليقين حال المعرفة
٥٦٢ / ٢	فارس الدينوري	- علم اليقين لا اضطراب فيه
٥٠٤ / ٢	سهل التستري	- العلم كسب الإيمان
٥٠٨ / ٢	سهل التستري	- العلم كله باب من التعبد
٣٣٢ / ١	سلمان الفارسي	- علمنا رسول الله ﷺ كل شيء
١٦١ / ١	الجنيد	- علمنا هذا قد طوي بساطه
٢٤٣ / ١	الجنيد	- علمنا هذا مشبك بحديث رسول الله
٦ / ٢	مجاهد	- على دين عظيم (في تفسير: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾)
٥٧٨ / ٢	سهل التستري	- على قدر لزوم الالتجاء والافتقار
٢٤٣ / ٢	أنس بن مالك	- عليكم صلاة قوم أبرار
٥٤٠ / ٢	يحيى بن معاذ الرازي	- العمال أربعة تائب وزاهد
٥٣٨ / ٢	-	- الغالب على قلوب المستحيين

- الغلظة وهو ثوران الطبع (في تفسير :
﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا . . ﴾)
- ٤٦٢ / ١ مكحول ، سالم بن شابور
- الغناء رقية الزنى
- ٥١٣ / ١ الفضل بن عياض
- الغناء لهو مكروه يشبه الباطل
- ٥١٠ / ١ الإمام الشافعي
- الغناء مفسدة للقلب
- ٥١٤ / ١ الضحاك
- الغناء يثبت النفاق في القلب
- ٥١٣ / ١ عبد الله بن مسعود
- الفاسق الكذاب
- ٤٣٧ / ٢ سهل التستري
- فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (قاله لمن سأله ثم عارضه) الجنيد
- ٣٥٠ / ٢
- الفتوة الصفيح عن عثرات الإخوان
- ٦٠ / ٢ الفضيل بن عياض
- الفتوة عندي ما وصف الله به الأنصار
- (فيمن سأله عن الفتوة)
- ٤٩ / ٢ أبو الحسن البوشنجي
- فرض الشكر الاعتراف له بالنعمة
- ٥٠١ / ٢ الجنيد
- فضيق الصدر ترك الرضا بالقضاء
- ٥١٣ / ٢ الجنيد
- الفقر أحب إلي من الغنى
- ٥١٢ / ٢ أبو ذر
- الفقر ألا يكون لك
- ٤٩٥ / ٢ أبو عبد الله بن الجلا
- الفقر رداء الشرف
- ٤٩٦ / ٢ إبراهيم الخواص
- الفقر وقوف الحاجة على القلب
- ٤٩٧ / ٢ -
- فقهم وأدبهم (في تفسير : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾)
- ١٠٥ / ٢ عبد الله بن عباس
- الفقير الذي لا تغنيه النعمة
- ٤٩٧ / ٢ حسن المسوحي
- الفقير الذي لا يكون له إلى الله حاجة (م)
- ٢٤٧ / ١ مظفر القرمييسي
- الفقير الذي لا يكون له إلى مولاه حاجة (م)
- ٤٥٢ / ١ مظفر القرمييسي
- فقير لما خصصتني به من علم اليقين (في تفسير :
﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ . . ﴾)
- ٤٣٨ / ١ الحلاج
- الفناء استعجام الكل عن أوصافك
- ٥٤٧ / ٢ الجنيد
- الفناء أن تنفى عنه الحظوظ
- ٥٤٦ / ٢ الكلاباذي

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٥٤٧/٢	أبو سعيد الخراز	- الفناء هو التلاشي بالحق
٥٤٧/٢	الكلاباذي	- الفناء هو الغيبة عن الأشياء
٤٨٤/١	أبو طالب المكي	- في السماع حرام وحلال وشبهة
٣٥٦/٢	علي بن أبي طالب	- في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي
		- في هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه
١٨٩/١	ابن عطاء	(في تفسير: ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)
		- قال ذلك وإن خضرة البقل (في تفسير:
٤٣٧/١	عبد الله بن عباس	﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ...﴾)
٦٦/٢	-	- قال لي عمر: تعال أنا فسك في الماء
٤٣٧/١	محمد الباقر	- قالها وإنه يحتاج إلى شق تمره (في تفسير:
		﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ...﴾)
١٢٤/٢	عبد الله بن المبارك	- قد أكثر الناس في الأدب
٣٣/٢	عبد القادر الجيلاني	- قدمي على رقة جميع الأولياء
٥٠٥/٢	-	- قرب القلب من ملاطفة الرب
٥٥٤/٢	الجنيد	- القرب بالوجد جمع
٢١٨/٢	أبو طالب المكي	- قرن الله الاستماع إلى الباطل
٤١٥/٢	-	- قرن الله تعالى العلم بالروح
		- قطع العلائق وجمع الهم (فيمن سأله:
١٩٥/٢	الجنيد	ما فرصة الصلاة؟)
٣٩٥/٢	ميمون بن مهران	- قل لي في وجهي ما أكره
١٨٣/١	سهل التستري	- القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة
١٨١/١	يحيى بن معاذ الرازي	- القلب قلبان قلبن قد احتشئ
٢١/٢	سهل التستري	- القلب كالعرش والصدر كالكرسي
		- قلب لاحظ الحق بعين التعظيم (في تفسير:
١٨٢/١	ابن عطاء	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾)
	ابن المسيب، علي بن	- قلة العيال أحد اليسارين
٤٦٦/١	أبي طالب، جعفر الصادق	

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- قلت لبعض الفقهاء مرة	فارس الدينوري	٤٩٨/٢
- قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن	مالك بن دينار	٥٧٨/٢
- قلوب المشتاقين منورة بنور الله	فارس الدينوري	٥٢٩/٢
- قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل	أبو يزيد البسطامي	٢٤٣/١
- القناعة سيف لا ينبو	علي بن أبي طالب	٧٩/٢
- القناعة من الرضا	أبو سليمان الداراني	٨٢/٢
- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ تعزية للمشتاقين	أبو عثمان الحيري	٥٢٧/٢
- قيل لأبي حفص الحداد: أي الأعمال أفضل؟	-	٢٠٧/١
- قيل لبعض الصوفية: ثوبك ممزق	-	٢٤٦/٢
- قيل لعبد الواحد بن زيد: من الصوفية عندك؟	-	٢٣٥/١
- قيل: للحسن البصري هكذا قال الفقهاء	-	١٧٠/١
- كأس لها وهج (لمن سألها عن المحبة)	أبو بكر الشبلي	٥٢٥/٢
- كان إبراهيم الخواص إذا دخل البادية	-	١٤٥/٢
- كان إبراهيم الخواص يخرج من مكة إلى الكوفة	-	١٤٦/٢
- كان إبراهيم بن أدهم إذا صحبه إنسان	-	٣٩٧/٢
- كان إبراهيم بن أدهم به قيام	-	١٤٧/٢
- كان إبراهيم بن أدهم ينظر البساتين	-	٣٩٧/٢
- كان أبو بكر الصديق رضوان الله عليه يطوي	-	٥٨٤/١
- كان أبو بكر الفراء بزنجان يلبس فرواً خشناً	أبو حفص السهروردي	٢٥٣/٢
- كان أبو حفص الحداد يلبس الناعم	-	٢٥٢/٢
- كان إذا وجد عند السماع	-	٥٠٤/١
- كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون بالبطيخ	بكر بن عبد الله المزني	٦٦/٢
- كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون	-	١٥٣/٢
- كان الأستاذ أبو علي لا يستند إلى شيء	القشيري	١٠٨/٢
- كان الجنيد يصوم على الدوام	-	٢٠٩/٢
- كان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف (م)	طلحة النضري	٣٥٦/١

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- ٢٥٤ / ٢ أبو حفص السهروردي - كان الشيخ أبو السعود حاله مع الله ترك الاختيار
- ٢٥٣ / ٢ أبو حفص السهروردي - كان الشيخ عبد القادر يلبس هيئة
- ٣٤٣ / ١ أبو النجيب السهروردي - كان الفقير يلبس قصير الأكمام
- ٥٣٣ / ١ - - كان النصر اباذي كثير الولع في السماع
- ٦٥ / ٢ عائشة - كان ألين الناس بساماً ضحاكاً
- ١٤٩ / ٢ - - كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل
- ١٩٠ / ٢ - - كان بعضهم لا يتهاى له حفظ العدد
- - كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر (في تفسير: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾)
- ٣٤٢ / ٢ - - كان خلقه القرآن
- ١٢، ٦ / ٢ عائشة - كان داود حسن الصوت
- ٤٩٠ / ١ وهب بن منبه - كان رسول الله إذا قام من الليل
- ١٣٥ / ٢ حذيفة بن اليمان - كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً لغد
- ٧٥ / ٢ أنس بن مالك - كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد (م)
- ٢٥٨ / ١ أنس بن مالك - كان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله
- ١٩٣ / ٢ - - عنهما إذا أراد أن يخرج
- ٥٨٤ / ١ - - كان سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم يطويان
- ٢٠٩ / ٢ سهل التستري - كان سهل بن عبد الله يأكل
- ٢٥٣ / ٢ أبو حفص السهروردي - كان شيخنا أبو النجيب السهروردي لا يتقيد بهيئة
- ٥٨٤ / ١ - - كان عبد الله بن الزبير يطوي
- ١٤٣ / ٢ - - كان علي بن الهيثي يقعد الليل جميعه
- ٢٥٣ / ٢ أبو حفص السهروردي - كان علي بن الهيثي يلبس لبس فقراء السواد
- ٢٥٦ / ٢ سالم الأفتس - كان عمر بن عبد العزيز من ألين الناس لباساً
- ٤٨١ / ١ - - كان عمر ربما مر بالآية في ورده فتخنفه
- ٧٦ / ٢ عبيد بن عمير، مجاهد - كان عيسى بن مريم ﷺ يأكل الشجر
- ٣٣٧ / ٢ - - كان قوم يقولون: لو أنزل (في تفسير: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾)

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
١٤٧/٢	عائشة	- كان لرسول الله ﷺ خرقه
٤٨٩/١	أبو طالب المكي	- كان لعطاء جاريتان تلحنان
٦٨/٢	-	- كان مع الصبي صبيّاً ومع الكهل كهلاً (قيل في وصف ابن طاوس)
٤٣٤/١	-	- كان معتكفاً في جامع البصرة مدة (نقل عن إبراهيم بن أدهم)
١٥٧/٢	-	- كان موسى عليه السلام يعامل بني إسرائيل - كان ناس يضحون قبل رسول الله ﷺ
٣٣٧/٢	جابر بن عبد الله	(في تفسير: ﴿لَا تَقْدِمُوا﴾)
٩٩/٢	زيد بن أسلم	- كان نبي من الأنبياء يأخذ بركاب الملك
٢٥٥/٢	-	- كان يحيى بن معاذ الرازي يلبس الصوف
٤٣٤/١	-	- كان يخرج بين العشاءين ويسأل من باب (نقل عن أبي جعفر الحداد)
٤٣٤/١	-	- كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن (نقل عن سفيان الثوري)
٣٢٢/٢	سفيان الثوري	- كان يعجبهم إذا فرغوا
٣٠٧/١	عبد الله بن بشر	- كان يقال إذا اجتمع عشرون رجلاً أو أكثر (م)
٥٧٦/١	سفيان الثوري	- كان يقال: ما أخلص عبد لله أربعين صباحاً
٤٣٤/١	-	- كان يمد يده عند الفاقة (نقل عن أبي سعيد الخراز)
٣٤٢/١	مجاهد	- كان يوسف أعلم بالله عز وجل
٢٥٩/١	أبو هريرة، فضالة بن عبيد	- كانوا يخرون من الجوع (في وصف الصحابة)
١٢٥/٢	عطاء	- كانوا يستنجون بالماء (في تفسير: ﴿فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا...﴾)
٥١٧/١	بقية بن الوليد	- كانوا يكرهون النظر إلى الغلام الأمرد
٧٠/٢	سفيان الثوري	- كثرة الضحك من الرعونة
٤٦٦/١	-	- كثرة العيال أحد الفقرين

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- | | | |
|------------------|---------------------|---|
| ٤٦٥ / ١ | عبد الله بن عمر | - كثرة العيال وقلة المال (فيمن سأله عن جهد البلاء) |
| ٤٧٢ / ١ | سفيان بن عيينة | - كثرة النساء ليس من الدنيا |
| ٥٠٧ / ٢ | سهل التستري | - كل المقامات لها وجه وقفاً |
| ٢٤٢ / ١ | أبو سعيد الخراز | - كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل (م) |
| ٤٤٧ / ١ | حماد الدباس | - كل جسم يربى بطعام الفضل |
| ٥٣٢ / ٢ | رابعة العدوية | - كل مطيع مستأنس |
| ٥١٧ / ١ | عطاء | - كل نظرة يهواها القلب |
| ٢٤٤ / ١ | سهل التستري | - كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة |
| ٥١٦ / ٢ | أبو بكر الواسطي | - كما أنه بذاته يحبهم (في تفسير: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾) |
| ٥٠٣ / ٢ | سهل التستري | - كمال الإيمان بالعلم |
| ٢٠٨ / ١ | أبو علي الجوزجاني | - كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة |
| ٣٩٦ / ٢ | إبراهيم بن شيبان | - كنا لا نصحب من يقول: نعلي |
| ٣٩٦ / ٢ | أبو نصر السراج | - كنا لا نصحب من يقول: نعلي |
| ٣٥٥ / ١ | - | - كنا نتبع الماء الحجر (في تفسير: ﴿رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا...﴾) |
| ٦٨ / ٢ | معاوية بن عبد الحكم | - كنا نتذاكر الشعر عند محمد بن سيرين |
| ٣٥٣ / ٢ | إبراهيم بن شيبان | - كنا نصحب أبا عبد الله المغربي ونحن شبان |
| ٤٨٦ / ١ | - | - كنا نعرف مواجيد أصحابنا |
| ٤٥٤ / ١ | - | - كنت ذا صنعة جليلة |
| ٨٠ / ٢ | عمر بن الخطاب | - كونوا أوعية الكتاب |
| ٤٨٢ / ١ | أبو الحسن بن سالم | - كيف أنكر السماع وقد أجازاه وسمعه |
| ٤٠٢ / ٢ | عيسى عليه السلام | (فيمن قال له: كيف تنكر السماع...) |
| ٨٣ / ٢ - ٢٣٤ / ١ | أبو حفص الحداد | - كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائماً |
| ٣٤٧ / ٢ | أنس بن مالك | - كيف يبقى الغل في قلوب ائلفت بالله |
| ٥١٠ / ١ | الإمام الشافعي | - لا أعلم وصية أجزت بعد موت صاحبها |
| | | - لا بأس بالقراءة بالألحان |

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٢٨٩/١	أبو بكر الزقاق	- لا بد لكل مخلص من رؤية إخلاصه - لا تبدؤوه بالخطاب (في تفسير: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾)
٣٤٤/٢	أبو بكر بن طاهر	- لا تتكلموا بين يدي كلامه (في تفسير: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾)
٣٣٧/٢	عبد الله بن عباس	- لا تجمعوا بين الأدمين - لا تخاطبوه إلا مستفهمين (في تفسير: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾)
٢٠٦/٢	الحسن البصري	- لا تزال الصوفية بخير ما تناقروا (م) - لا تسبقوا رسول الله (في تفسير: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾)
٣٤٤/٢	سهل التستري	- لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة - لا تضع حق أخيك
٣٦٦/١	رويم	- لا تطلبوا علم ما لم تعلموا - لا تطلبوا منزلة وراء منزلته (في تفسير: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾)
٣٣٧/٢	الكلبي	- لا تطمع في المنزلة عند الله - لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب
٥٢٣/٢	أبو يعقوب السوسي	- لا تكلم أحداً من الفقراء - لا تكلموا أهل هذا الطريق
٣٨٨، ٣٦٤/٢	أبو عبد الله بن الجلا	- لا نمشوا بين يدي رسول الله (في تفسير: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾)
٢٢٢/١	-	- لا زهد في الحقيقة (لمن سأل عن الزهد) - لا في الصلاة ولا في غيرها (فيمن سأل: هل تجد في الصلاة شيئاً من أمور الدنيا؟)
٣٤١/٢	-	- لا يبغيض الأخ بعد الصلابة - لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج
٥٧٩/١	أبو بكر ابن يزدانبار	- لا يجاوز همه قدمه (فيمن سأل عن أدب المسافر) - لا يزهد العبد حقيقة الزهد
٣٩١/٢	إبراهيم النخعي	- لا يسأل ولا يرد ولا يحبس (لمن سأل عن الفقير الصادق)
٣٥٩/٢	أبو النجيب السهروردي	
٤٢٦/١	أبو النجيب السهروردي	
٣٣٨/٢	-	
٤٨٥/٢	أبو بكر الشبلي	
١٧٣/٢	-	
٣٨٩/٢	-	
٤٦٨/١	عبد الله بن عباس	
١١٩/٢	رويم	
٥٨٧/١	سهل التستري	
٤٩٧/٢	سهل التستري	

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- لا يستحق الإنسان الرياسة	سهل التستري	١٠٠/٢
- لا يسقى المحب كأس المحبة	ذو النون المصري	٥٠٤/٢
- لا يصح السماع إلا لعارف مكين	-	٥٠٩/١
- لا يصل إلى محل الأنس	أبو بكر الواسطي	٥٣١/٢
- لا يضر نقصان الوجد	الجنيد	٥٢٦/١
- لا يفقه الرجل كل الفقه	أبو الدرداء	١٩٢/١
- لا يكمل الرجل حتى يستوي	أبو عثمان الحيري	١٠٠/٢
- لا يكمل إيمان المرء	أبو الدرداء	٥٧٠/٢
- لا يكمل شغل قلب العبد بالله الكريم	سهل التستري	٣٢٠/٢
- لا يكمل له المقام	-	٤٥٤/٢
- لا يكون الأنس بالله إلا ومعه التعظيم	أبو الحسين الوراق	٥٣١/٢
- لا يكون المرید مريداً (م)	أبو بكر الزقاق	٤٧٥/٢ - ٣٨٦/١
- لا ينبغي لمن أخذ بالتقوى	عمر بن الخطاب	٤٨٢/٢
- لا ينبغي له أن يتنقل	-	٤٥٣/٢
- لأن أتوضأ عن كلمة خبيثة	عبد الله بن مسعود	٨٨/٢
- لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلي	وهب بن منبه	٢٦٩/٢
- لأن أنقص من عشائي لقمة	أبو سليمان الداراني	٢٧٠/٢
- لأن تختلف علي الأسنه أحب إلي	عامر بن عبد الله	١٧٢/٢
- لأن يراني الرجل سنين	عطاء	٩٩/٢
- لأنك قبلت فنون ما أسديت إليك (في تفسير:		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾)	أبو بكر الواسطي	١٥/٢
- لأنه جاد بالكونين عوضاً عن الحق	أبو بكر الواسطي	١٢/٢
- لأنه خلق روحه أولاً (لمن سأله عن سبب		
كون رسول الله أحكم الخلق)	أبو بكر الواسطي	٤١٤/٢
- لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه	-	١٣/٢

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- لأنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق (في تفسير:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾)

١٥/٢

الحلاج

- اللب والعقل مئة جزء

١٨٧/١

-

- لبس أبو سليمان الداراني ثوباً غسلاً

٢٤٩/٢

-

- لبس علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قميصاً رازياً

٢٥٦/٢

زيد بن وهب

- لجليسي علي ثلاث

٣٩٢/٢

سعيد بن العاص

- لذكرى لقوم مخصوصين (في تفسير:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ...﴾)

١٨٢/١

أبو بكر الواسطي

- لست بشاكر ما دمت تشكر

٤٩٩/٢

يحيى بن معاذ الرازي

- لست بعظيم ولكنني عزيز (لمن قال له:

ما أعظمك في نفسك)

٣٧/٢

الحسن البصري

- لقاء الإخوان لقاح

٩٥/٢

-

- لقد أدركت سبعين بدرياً

٢٥٩/١

الحسن البصري

- لقد تجلى الله لعباده في كلامه

١٩٣/١

جعفر الصادق

- لقد رأيت سبعين من أهل الصفة

٢٦٦/١

أبو هريرة

- لكل شيء جوهر

٤٨٩، ٤٠/٢

الحارث المحاسبي

- لكل شيء صفوة

١٦٤/٢

الجنيد

- لكل شيء مطية

٢٩/٢

لقمان الحكيم

- للخلق كلهم مقام الشوق

٥٣٠/٢

النصراباذي

- للصلاة أربع شعب

١٩٠/٢

-

- للعارفين خزائن أودعوها

٥٥٣/٢

أبو سعيد الخراز

- للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم

٤٨٦/٢ - ٢١٣/١

سهل التستري

- للقلب تجويفان أحدهما باطن

٤٥١/٢

سهل التستري

- للمحبة ظاهر وباطن

٥٢٥/٢

-

- للنفس نظران نظر إلى تحت

٢٦٨/٢

-

- لله تعالى في أرضه سيف

٥٧١/٢

ذو النون المصري

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- لله عباد إذا نظروا إلى الشخص	أبو النجيب السهروردي	٣٨٠ / ١
- لله عباد يستحيون من الصبر	أبو عبد الله النباجي	٤٦٩ / ٢
- لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص	ذو النون المصري	٥٥٣ / ١
- لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش	سعيد بن جبير	٤١١ / ٢
- لم يرجع رسول الله ﷺ	سهل التستري	١١٦ / ٢
- لم يسأل الكليم الخلق (في تفسير: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ...﴾)	النصر اباذي	٤٣٧ / ١
- لم يكن رسول الله ﷺ ينفخ في طعام	عبد الله بن عباس	٢٣٧ / ٢
- لما بعث محمد إلى الحجاز	أبو بكر الواسطي	١٧ / ٢
- لما رأوا حقارة الدنيا	-	٤٨٧ / ٢
- لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة	أنس بن مالك	٥٥ / ٢
- لما مات أبو الدرداء وجد في ثوبه	-	٢٥٦ / ٢
- لمن كان له قلب بصير يقوى (في تفسير: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾)	-	١٨٤ / ١
- لمن كان له قلب سليم من الأغراض (في تفسير: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾)	-	١٨١ / ١
- لمن كان له قلب لا يخطر فيه (تفسير: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾)	الحلاج	١٨٢ / ١
- لن يصفو للعاقل فهم الأخير	أبو عمرو الأنماطي	٥٥٩ / ١
- لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين	سيدنا عيسى عليه السلام	٣١٠ / ١
- الله معي ولا يستوحش من أنس بربه (لم سأل: من معك في الدار؟)	-	٥٣٢ / ٢
- لو أعطيت روحانية عيسى	-	٤٥٦ / ٢
- لو أقبل صادق على الله ألف سنة (م)	الجنيد	٥٧٩ / ٢
- لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته	أبو يزيد البسطامي	٥٢٩ / ٢
- لو أن رجلاً صام النهار وقام الليل	عمر بن الخطاب	٣٨٣ / ٢

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- | | | |
|---------|-----------------------|--|
| ٩٣ / ٢ | - | - لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة |
| ٣٦٢ / ٢ | الجنيد | - لو علمت أن صلاة ركعتين لي |
| ١٨٠ / ١ | - | - لو علمهم الله أهلاً للسماع |
| ٣٢٠ / ١ | عامر بن عبد القيس | - لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً |
| ٤٦٣ / ١ | بشر الحافي | - لو كنت أعول دجاجة |
| ٤٧٢ / ١ | عبد الله بن مسعود | - لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام |
| ٧٨ / ٢ | بشر الحافي | - لو لم يكن في القناعة إلا التمتع بالعز |
| ٥٠٦ / ٢ | مطرف بن الشخير | - لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه |
| ١٤ / ٢ | أبو بكر الواسطي | - لو جدانك حلاوة المطالعة (في تفسير: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾) |
| ٥١٧ / ١ | - | - اللوطية على ثلاثة أصناف |
| ٢٦٨ / ١ | سفيان الثوري | - لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت |
| ٣٠ / ٢ | أبو عبد الله بن الجلا | - لولا شرف التواضع |
| ٢١٠ / ٢ | أبو النجيب السهروردي | - لي سنين ما أكلت شيئاً بشهوة نفس |
| ٤٣٥ / ٢ | - | - لي قلب إن عصيته عصيت الله |
| ٥٠٢ / ٢ | إسحاق بن خلف الزاهد | - ليس الخائف من يبكي |
| ٥١٤ / ١ | الحسن البصري | - ليس الدف من سنة المسلمين |
| ٢٢٣ / ١ | عبد الله بن مسعود | - ليس العلم بكثرة الرواية |
| ٣٧٩ / ٢ | محمد ابن الحنفية | - ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف |
| ٢٩٢ / ١ | - | - ليس في الدارين غير الله |
| ٢٦٢ / ٢ | - | - ليس في الدنيا شيء يشبه نعيم أهل الجنة |
| ١٠٦ / ٢ | أبو الحسين النوري | - ليس لله في عبده مقام |
| ٥١١ / ٢ | أبو تراب النخشي | - ليس ينال الرضا من الله |
| ٥٣١ / ٢ | مطرف بن الشخير | - ليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه |
| ٥٤٦ / ٢ | عامر بن عبد الله | - ما أبالي امرأة رأيت أم حائطاً |
| ٣٩٢ / ٢ | عبد الله بن عباس | - ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً |

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٢٤١ / ١	الجنيد	- ما أخذنا التصوف من القيل والقال
٢١٣ / ٢	أبو عبد الله الراhibي	- ما أخلص عبد لله قط
٥١٩ / ١	الحصري	- ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج
٥٣٦ / ٢	ذو النون المصري	- ما ازداد أحد من الله قربةً
٤٦٧ / ٢	أبو سليمان الداراني	- ما استحسنت من نفسي عملاً
١٤٢ / ٢	عدي بن حاتم	- ما أقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء
٢٣٤ / ٢	أنس بن مالك	- ما أكل رسول الله ﷺ على خوان (م)
٢٠٤ / ٢	ذو النون المصري	- ما أكلت حتى شبع
٥١٧ / ١	-	- ما أنا أخوف على الشاب الثائب من السبع الضاري
٤٩٤ / ٢	عمر بن عبد العزيز	- ما أنعم الله على عبد من نعمة
٤٦٧ / ١	عبد القادر الجيلاني	- ما تزوجت حتى قال لي رسول الله: تزوج
٥١٣ / ١	عثمان بن عفان	- ما تغنيت ولا تمنيت
٣٨٧ / ٢	الجنيد	- ما تواخى اثنان في الله
٣٨٧ / ٢	-	- ما حسد الشيطان متعاونين على بر
٤٧٧ / ٢	يحيى بن معاذ الرازي	- ما دام العبد يتعرف يقال له
٥٣٥ / ٢	أبو يعقوب السوسي	- ما دام العبد يكون بالقرب
١٧٢ / ٢	الربيع بن خثيم	- ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها
٢٦٢ / ٢	-	- ما راعيته قط يريني وجهه (فيمن سأله: كيف كنت والليل؟)
٤٦١ / ١	أبو سليمان الداراني	- ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت
٥٤١ / ٢	ذو النون المصري	- ما رجع من رجع إلا من الطريق
١٩٤ / ١	جعفر الصادق	- ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم
٧٧ / ٢	جابر بن عبد الله	- ما سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال: لا
٢٠٥ / ٢	عائشة	- ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام
٣٧٣ / ٢	أبو بكر الوراق	- ما ظهرت الفتنة إلا بالخلطة
٤٥ / ٢	أبو يزيد البسطامي	- ما غلبني أحد ما غلبني شاب

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٧٨ / ٢	ابن أخي الزهري	- ما في الأرض أهل عشرة أبيات (م)
٢٠١ / ٢	-	- ما في عمل ابن آدم شيء إلا ويذهب برد المظالم
٥١٩ / ٢	أبو علي الروذباري	- ما لم تخرج من كليتك
١٩٠ / ١	عبد الله بن مسعود	- ما من حرف أو آية
٣٤٨ / ١	أنس بن مالك، عطاء الخراساني	- ما من صباح ولا رواح
٢٠٥ / ٢	يسار بن نمير	- ما نخلت لعمر دقيقا إلا وأنا له عاص
٢٤٣ / ٢	-	- ما ندري أيهم أعظم وزراً
١٦٩ / ١	عبد الله بن عباس	- الماء العلم والأودية القلوب (في تفسير: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾)
٢٨٠ / ٢	عبد الله بن عباس	- الماء القرآن والأودية القلوب (في تفسير: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ...﴾)
٢٥٢ / ٢	-	- مات ابن الكرني وعليه مرقعته
٢٥١ / ٢	-	- مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه
١٤٦ / ٢	-	- مات الخواص في جامع الري
١٩٥ / ٢	الحسن البصري	- ماذا يعز عليك من أمر دينك
٤٨١ / ٢ ، ٢٨٧ / ١	أبو يعقوب السوسي	- متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص
٨٥ / ٢	-	- المجادل المماري يضع في نفسه
٥٢١ / ٢	رابعة العدوية	- محب الله لا يسكن حنينه
٥٣٠ / ٢	-	- المحبة لأن الشوق يتولد منها (لمن سأله: الشوق أعلى أم المحبة؟)
٤٤٠ / ٢	الحكيم الترمذي	- المحدث والمكمل إذا تحققا في درجتهم
١٨١ / ٢	كعب الاحبار	- محمد بن عبد الله يولد بمكة (م)
٤٥٨ / ١	-	- المرأة لا تصلح إلا للرجال (فيمن سأله: لم لا تتزوج؟)
٢٣٩ / ١	أبو سعيد الخراز	- المراد محمول في حاله (م)
٤٦٤ / ٢	أبو بكر الواسطي	- مراعاة السر والمحاسبة في الظاهر (لمن سأله: أي الأعمال أفضل؟)

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- المراقبة مراعاة السر لملاحظة الحق	أبو محمد المرتعش	٤٦٥ / ٢
- مرور الفاحشة بقلب العارف	-	٤٧٨ / ١
- المريد الذي مات قلبه	أبو عثمان	٢٤١ / ١
- المزاح مسلبة للبهاء	الحسين بن عبد الرحمن، أبو حاتم	٦٩ / ٢
- المستمع بين استتار وتجل (م)	أبو سهل الصعلوكي	٤٨٦ / ١
- المستمع يجب أن يكون في سماعه	أبو بكر الكتاني	٥٣٢ / ١
- المستمع ينبغي أن يسمع بقلب حي	أبو عمرو بن نجيد	٤٨٧ / ١
- مسكين يحيى لم يصبر على الدون	أبو يزيد البسطامي	٢٥٥ / ٢
- المشاهدة تذهل والحجة تفهم	أبو بكر الواسطي	١٨٢ / ١
- معالجة العزبة خير من معالجة النساء	-	٤٦٢ / ١
- معنى التوبة أن تتوب من التوبة	رويم	٤٧٩ / ٢
- مغنون (في تفسير: ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾)	-	٥١١ / ١
- مقامات الواجدین أربعة	أبو بكر الواسطي	٥٦٠ / ٢
- مكتوب في كتب الله: إني حرمت	وهب بن منبه	٢٩ / ٢
- الملامتي هو الذي لا يظهر خيراً	-	٢٨٤ / ١
- من اتكل على حسن اختيار الله له	علي بن أبي طالب	٥١٢ / ٢
- من أحب أن يتواضع قلبه	أبو حفص الحداد	٢٩ / ٢
- من أحب أن يكون الله تعالى معه	أحمد بن خضرويه	٥٧٠ / ٢
- من اختار الخلوة على الصحبة (م)	أبو عثمان المغربي	٥٦٠ / ١
- من أدبهم قبل الصلاة	أبو نصر السراج	١٩٠ / ٢
- من ادعى محبة الله من غير تورع	حاتم الأصم	٥٢٢ / ٢
- من أراد أن يقوم بحق التوكل	-	٥٠٧ / ٢
- من استحسن شيئاً من أحواله	أبو عبد الله السجزي	٤٦٧ / ٢
- من استفتح باب المعاش (م)	يحيى بن معاذ الرازي	٤٥٤ / ١
- من استكثر منه فهو سفيه	الإمام الشافعي	٥١٠ / ١
- من أسرف في مطعمه ومشربه	-	٢٠٣ / ٢

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- من أعان نفسه على هواها	الجنيد	١٠٧/٢
- من اغتاب فسد صومه	سفيان الثوري	٢١٨/٢
- من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً	أبو عثمان الحيري	٢٤٣/١
- من انتقل من نفس إلى نفس	سهل التستري	٥٧٨/٢
- من أوتي الخلق فقد أوتي أعظم المقامات	-	١٦/٢
- من تحت خضراء السماء مثلي	-	٣٣/٢
- من ترك الصف الأول مخافة أن يضيق على أهله	-	١٩٤/٢
- من تعود أفخاذ النساء لا يفلح	إبراهيم بن أدهم	٤٦٦/١
- من تكبر فقد أخبر عن ندالة نفسه	-	٣٧/٢
- من تكلم في الحياء ولا يستحيي من الله	أبو عثمان الحيري	٥٣٨/٢
- من تهاون بالأدب	عبد الله بن المبارك	١١٠/٢
- من جاع ولم يسأل ومات	سفيان الثوري	٤٣٥/١
- من جلس على بساط الرضا	علي بن أبي طالب	٥١٢/٢
- من حسن الاستماع إمهال المتكلم	-	١٩٦/١
- من حسنت رعايته دامت ولايته	الجنيد	٤٦٤/٢
- من حكم الفقير ألا يكون له رغبة	أبو بكر بن طاهر	٤٩٨/٢
- من خرج من قلب العبودية	أبو بكر الوراق	٤٧٦/٢
- من خلا قلبه عن ذكر الآخرة (م)	سهل التستري	١٨٩/٢
- من رأى لنفسه قيمة	الفضيل بن عياض	٢٩/٢
- من رأى لنفسه ملكاً	يوسف بن الحسين الرازي	٥٠/٢
- من رق ثوبه رق دينه	الحسن البصري	٢٥٨/٢
- من سمي باسم الزهد في الدنيا	-	٤٨٧/٢
- من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس (م)	أبو بكر بن أبي سعدان	٥١/٢
- من طوى أربعين يوماً ظهرت له	سهل التستري	٥٨٧/١
- من عرض نفسه للثهم فلا يلومن	عمر بن الخطاب	٢٩٩/١
- من عرف كوامن نفسه	-	٢٩/٢

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
١٨٧ / ٢	معاذ بن جبل	- من عرف من على يمينه وشماله
٢٣٧ / ١	يحيى بن معاذ الرازي	- من عرف نفسه فقد عرف ربه
٤٦ / ٢	ذو النون المصري	- من علامات الزاهد المشروح صدره
١٨٥ / ٢	-	- من فقه الرجل : أن يبدأ بقضاء حاجته
٤٠١ / ٢	-	- من قال لأخيه : (أعطني من مالك
٣٥٠ / ٢	أبو سهل الصعلوكي	- من قال لأستاذه : «لا» لا يفلح أبداً
٥١٩ / ٢	أبو يزيد البسطامي	- من قتلته محبته فديته رؤيته (م)
١٨٨ / ٢	سفيان الثوري	- من قرأ كلمة مكتوبة في حائط
٥٧٣ / ٢	السري السقطي	- من قلة الصدق كثرة الخلطاء
٧٨ / ٢	ذو النون المصري	- من قنع استراح من أهل زمانه
٧٩ / ٢	يحيى بن معاذ الرازي	- من قنع بالرزق فقد ذهب بالآخرة
٤٤٣ / ٢	أبو علي الدقاق	- من كان قوته معلوماً لا يفرق
٣٧٤ / ١	السري السقطي	- من لا يعرف قدر النعم (م)
٣٧٤ / ١	السري السقطي	- من لا يعرف قدر النعم سلبها (م)
٩٥ / ٢ - ٣٧٩ / ١	-	- من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه
٤٦٢ / ٢	-	- من لزم مطالعة الطوارق انتبه
٥٣٢ / ٢	مالك بن دينار	- من لم يأنس بمحادثة الله
١٢٣ / ٢	أبو الحسين النوري	- من لم يتأدب للوقت
١٨٧ / ٢	سفيان الثوري	- من لم يخشع فسدت صلاته
٣٣٢ / ١	-	- من لم ير مفلحاً لا يفلح
١٨٨ / ١	الحارث المحاسبي	- من لم يسمع نداء الله تعالى (في تفسير : ﴿... إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾)
٥٧٤ / ٢	سهل التستري	- من لم يعبد الله اختياراً
٣٥٠ / ٢	-	- من لم يعظم حرمة من تأدب به
٣٣١ / ١	أبو يزيد البسطامي	- من لم يكن له أستاذ
٢٠٦ / ١	-	- من يطبق مثل هذه المخاطبة (في تفسير : ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾)

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

- ٢٦٢/٢ علي بن بكار - منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر
- ٤٥٤/٢ أبو عثمان الحيري - منذ أربعين سنة ما أقامني الله
- ٤٤٥/٢ - - منذ عشرين سنة ما سكن قلبي
- ١١٢/٢ أبو محمد الجريري - منذ عشرين سنة ما مددت
- ٤٦٦/٢ أبو سعيد القرشي - المنيب الراجع عن كل شيء
- ١٤٣/٢ الحصري - مهما أتتبه من الليل لا يحملني النوم
- ١٨٣/١ محمد الباقر - موت القلب من شهوات النفس
- ١٨١/١ أبو بكر الشبلي - موعظة القرآن لمن قلبه حاضر مع الله
- ٤٥١/١ أبو يزيد البسطامي - مولاي يرزق الكلب والخنزير (فيمن سأله أين معاشك)
- ٣٨٨/١ - - الناس يقولون: افتحوا أعينكم
- ١٢٣/٢ عبد الله بن المبارك - نحن إلى قليل من الأدب
- ٣٣٨/٢ - - نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله (في تفسير: ﴿لَا تُفْذِمُوا﴾)
- ٤٣٧/١ ابن عطاء - نظر من العبودية إلى الربوبية (في تفسير: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ...﴾)
- ١١٠/٢ أبو الديان، ابن الجلا - نظرت إلى غلام أمرد
- ٤٩٦/٢ - ٢٤٦/١ أبو الحسين النوري - نعت الفقير السكون عند العدم
- ٢٩٠/١ الجنيد - نعم الصدق أصل وهو الأول (لمن سأله: أبين الإخلاص والصدق فرق؟)
- ٣٢/٢ بزرجمهر - نعم أما النعمة فالتواضع (فيمن سأله عن النعمة التي لا يحسد عليها)
- ٥١٢/٢ أبو سعيد الخراز - نعم يجوز أن يكون راضياً عن ربه (لمن سأله: هل يجوز أن يكون العبد راضياً ساخطاً؟)
- ٤١٢/٢ أبو سعيد الخراز - نعم، ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية (لمن سأله عن الروح: أمخلوقة هي؟)
- ٤٧١/١ - - النفس تقول للقلب: كن معي في الطعام

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- النفس لطيفة مودعة في القلب	-	٤٢٣ / ٢
- النفس مجبولة على سوء الأدب	ابن عطاء	١٠٧ / ٢
- نقصان كل مخلص في إخلاصه	أبو بكر الزقاق	٢٨٨ / ١
- نقل عن بعض التابعين أنه كان ورده من التسبيح	-	٣٣٢ / ٢
- نقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده	أبو هريرة	٣٣٢ / ٢
- نومهم نوم الغرقى وأكلهم أكل المرضى	السري السقطي	٢٦٨ / ٢
- النية بالله ولله ومن الله	أبو الحسن بن سالم	١٦٤ / ٢
- هذا لا يقوله إلا أحد رجلين (لمن سأله عن قول بعض الإباحية)	سهل التستري	٣٠٤ / ١
- هذا مثل ضربه الله للعبد (في تفسير: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾)	ابن عطاء	١٦٩ / ١
- هكذا كنا حتى قست قلوبنا	أبو بكر الصديق	٥٢٥ / ١
- هل رأيت شراً قط إلا ممن تعرف	-	٣٧١ / ٢
- هم ثلاثة: متصبر وصابر وصبار	أبو الحسن بن سالم	٤٩٢ / ٢
- هما سواء لأنهما من الحق	أبو عبد الله بن خفيف	٤٤٤ / ٢
- هو الصفاء الزلال (فيمن سأله عن السماع)	الخضر عليه السلام	٤٩٢ / ١
- هو الغناء بلغة حمير (في تفسير: ﴿وَأَنْتُمْ سَكِيدُونَ﴾)	عبد الله بن عباس	٥١١ / ١
- هو الغناء والاستماع له (في تفسير: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾)	عبد الله بن مسعود	٥١١ / ١
- هو الغناء والمزامير (في تفسير: ﴿وَأَسْفُزُوا...﴾)	مجاهد	٥١٢ / ١
- هو القلب الذي يلاحظ الحق (في تفسير: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى...﴾)	ابن عطاء	١٨٤ / ١
- هو أن تقبل على الله تعالى (فيمن سأله: كيف الدخول في الصلاة؟)	أبو سعيد الخراز	١٦٤ / ٢
- هو بسط الوجه وبذل المعروف (فيمن سأله عن حسن الخلق)	عبد الله بن المبارك	١٩ / ٢

الجزء والصفحة

الراوي أو القائل

الأثر أو القول

٤٤٤ / ١

سهل التستري

- هو ترك التدبير (فيمن سأله عن علم الحال)

- هو سكون الأطراف والطمأنينة (في تفسير:

١٨٨ / ٢

-

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾)

- هو على ضربين تكلف (فيمن سأله عن

٥٠٥ / ١

-

التكلف في السماع)

- هو غسل الأدبار بالماء (في تفسير:

١٢٥ / ٢

الكلبي

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحْجُونَ أَنْ يَبْظَهَرُوا...﴾)

- هو ما كان يأتمر من أمر الله (في تفسير:

٦ / ٢

قتادة

كان خلقه القرآن)

- هو مجاهدة النفس والهوى (في تفسير:

٣٥١ / ١

عبد الله بن المبارك

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾)

٤١٠ / ٢

علي بن أبي طالب

- هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه

٥٥٣ / ٢

أبو سعيد القرشي

- هي أسرار الله تعالى يديها (م)

٥٨٨ / ٢

الجنيد

- هي الرجوع إلى البداية (لمن سأله عن النهاية)

٤٦٥ / ١

الحلاج

- هي النفس إن لم تشغلها شغلتك

٢٨٩ / ٢

سفيان الثوري

- هي أول نومة فإن انتبهت

- هي بقاع الأرض كلها (في تفسير: ﴿فِي بُيُوتٍ

٣٤٧ / ١

الحسن البصري

أَذْنُ اللَّهِ...﴾)

٥٣٣ / ١

أبو عمرو بن نجيد

- هيهات يا أبا القاسم زلة في السماع

٥٢٧ / ١

أبو بكر الكتاني

- الوارد يرد فيصادف شكلاً

٥٤٠ / ٢

أبو سعيد القرشي

- الواصل الذي يصله الله تعالى

٥٤٠ / ٢

الجنيد

- الواصل من حصل عند ربه

٥٤٠ / ٢

أبو يزيد البسطامي

- الواصلون في ثلاثة أحرف

١٦٧ / ١

أبو بكر الواسطي

- واعية في معادنها (في تفسير: ﴿وَرَعِيهَا أَذْنٌ وَرَعِيَّةٌ﴾)

٤٧٤ / ١

الحسن البصري

- والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته

٥٠٥ / ١

-

- الوجد سر صفات الباطن

الأثر أو القول	الراوي أو القائل	الجزء والصفحة
- وجد من السماع فقيل له : أين حالك من هذا؟	-	٥٢٤ / ١
- وجدت خير الدنيا والآخرة (قاله لمن استوصاه) (م)	أبو بكر الوراق	٥٦٠ / ١
- وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام	وهب بن منبه	٢٢٦ / ٢
- وجدنا التواضع مع الجهل والبخل	بزرجمهر	٣٢ / ٢
- وجدوا أرياح العناية القديمة بهم (في تفسير: ﴿لَنْ تُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَ نَا مِنْ آلِ يَنْتِ﴾)	جعفر الصادق	٢٣٨ / ١
- الوحدة منية الصديقين	يحيى بن معاذ الرازي	٥٥٣ / ١
- الورع الوقوف على حد العلم	يحيى بن معاذ الرازي	٤٨٤ / ٢
- الورع أن تتورع أن يتشتت قلبك	أبو بكر الشبلي	٤٨٣ / ٢
- الورع أول الزهد	أبو سليمان الداراني	٤٨٤ / ٢
- الورع دليل الخوف	إبراهيم الخواص	٤٨٥ / ٢
- وصف الضعف في الآدمي من التراب	-	٤٢٤ / ٢
- الوصول مقام جليل	أبو العباس السيارى	٥٤٠ / ٢
- وضعه الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن	الإمام الشافعي	٥١٠ / ١
- وقوف الحاجة على القلب (فيمن سأله عن الفقر)	-	٤٥٢ / ١
- وكان أبو عبد الله بن جابر صام	-	٢٠٨ / ٢
- ولدي من سلك طريقي	أبو النجيب السهروردي	٣١٦ / ١
- وهل يفسد الناس إلا الناس؟!	عبد الله بن عباس	٣٨٦ / ٢
- ويلكم أي مقدار لجناح بعوضة (لمن سأله عن الزهد)	أبو بكر الشبلي	٤٧٤ / ٢
- يا بن أخي هل تدري في أي شيء	أبو سلمة بن عبد الرحمن	٣٥٠ / ١
- يا بني اجعل عملك ملحا	رويم	٣٤١ / ٢
- يا بني إسرائيل لا تقولوا: العلم في السماء	-	٢٢١ / ١
- يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين	لقمان الحكيم	٢٣٠ / ١
- يا حبذا نوم الأكياس وفطرتهم	أبو الدرداء	٢١٥ / ٢
- يا داود إذا رأيت لي طالبا	عبد العزيز بن عمير، سهل التستري	٣٢٣ / ١

الجزء والصفحة	الراوي أو القائل	الأثر أو القول
٢٨٧ / ٢	-	- يا رب إنني أحب أن أتعبد لك
٥٧٣ / ١	عمر بن الخطاب	- يا سارية الجبل
٣٨٩ / ١	بشر الحافي	- يا معشر القراء؛ سيحوا تطيخوا
١٥٨ / ٢	سهل التستري	- يحتاج العبد إلى السنن الرواتب
٤٤٨ / ١	-	- اليد العليا يد الآخذ
٥١٢ / ٢	يحيى بن معاذ الرازي	- يرجع الأمر كله إلى هذين الأصلين
٥٨٣ / ١	سهل التستري	- يطفئه النور (لمن سأله عن بعض من يطوي في طعامه)
٦٢ / ٢	سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي	- يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك
٥٤٣ / ٢	أبو الحسين النوري	- يقبضك بإياه ويسطك لإياه
٥٤٣ / ٢	أبو بكر الواسطي	- يقبضك عما لك
٤٦٢ / ٢	-	- اليقظة حردة من جهة المولى
١٢١ / ٢	-	- يقول الحق سبحانه وتعالى: من ألزمته
٢٦٥ / ٢	سهل التستري	- اليقين نار والإقرار فتيلة
٥٦٢ / ٢	-	- اليقين: اسم ورسم وعلم وعين وحق
٢٤٨ / ٢	أبو سليمان الداراني	- يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم
٥٦١ / ٢	ابن عطاء	- يمحوا أو صافهم ويثبت أسرارهم
١٦٥ / ٢	-	- ينبغي إذا قلت: الله أكبر (فيمن سأله: كيف تكبر التكبير الأولى؟)
١٩٤ / ٢	الخواص	- ينبغي للرجل أن ينوي نوافله لفرائضه
٤٨٦ / ١	رويم	- يتبهنون للمعاني التي تعذب (فيمن سأله عن وجد الصوفية)
٤٩ / ٢	ابن عطاء	- يؤثرون على أنفسهم جوداً وكرماً
١٣٢ / ٢	عبد الله بن المبارك	- يوسع في البول في المستحم



فهرس القصص والمنامات والوصايا

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

- ٣٩١ / ١ - إبراهيم الخواص مع الخضر عليه السلام في الصحراء
- ١٤٦ / ٢ - إبراهيم الخواص ومحافظة على الطهارة
- ٣٩٧ / ٢ - إبراهيم بن أدهم وشرطه في الصحبة
- ٤٠٠ / ٢ - إبراهيم بن أدهم وصدقه في معاملة إخوانه
- ١٤٧ / ٢ - إبراهيم بن أدهم ومحافظة على الطهارة
- ٤٩٨ / ٢ - ابن الجلا وتصدقه بما يملك عندما طلب منه الكلام في الفقر
- ١٤٥ / ٢ - ابن الكرني وصورة في تأديبه لنفسه
- ٣٩٧ ، ٣٩٦ / ٢ - أبو أحمد القلانسي مع بعض الصوفية الصادقين في الصحبة
- ٣٦٥ / ٢ - أبو أحمد القلانسي وترفقه بمريده إبراهيم الصائغ
- ٤٨ / ٢ - أبو الحسن الأنطاكي مع ضيوفه الثلاثين المؤثرين
- ٢١٣ / ٢ - أبو الحسن التنيسي وجناية بعض تلامذته بسبب تصرفه في أكل الطعام
- ٢١٢ / ٢ - أبو الحسن المكي مع أبي الحسن بن سالم
- ٤٤٨ ، ٤٤٧ / ١ - أبو الحسين النوري مع الجنيد ونيته في سؤال الناس
- ٣١٣ / ١ - أبو الدرداء مع الرجل الذي آتاه من المدينة إلى الشام لحديث بلغه عنه
- ٢٥٤ / ٢ - أبو السعود بن شبل وتركه للاختيار
- ٤٥١ ، ٤٥٠ / ١ - أبو السعود بن شبل ومذهبه في قبول العطاء
- ٢١٠ / ٢ ، -
- ٥٤١ ، ٥٤٠ / ١ - أبو القاسم القشيري مع أبي محمد الجويني
- ٣٠ / ٢ - أبو النجيب السهروردي مع أسارى الإفرنج
- ٤٤٩ ، ٤٤٨ / ١ - أبو النجيب السهروردي مع مريده إسماعيل البطائحي
- ٤٣٣ / ١ - أبو النجيب السهروردي مع ولده الذي سألته مالا

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

- أبو النجيب السهروردي والعقوبة التي أصابته في تصرفه في أكل الطعام ٢١٠ / ٢
- أبو النجيب السهروردي وتنبيه شيخه أحمد الغزالي إلى الهدف من إلباس الخرقة ٢٧٩ ، ٢٧٨ / ١
- أبو بكر الشبلي مع السائل الذي سأله عن أشد الصبر ٤٩١ ، ٤٩٠ / ٢
- أبو بكر الشبلي وتمسكه بالسنة عند موته ٢٤٤ ، ٢٤٣ / ١
- أبو بكر الكتاني وصدقه في بعض من صحبه وكان على قلبه ثقيلاً ٣٩٨ / ٢
- أبو بكر الكتاني وعمرو المكي وعياش بن مهدي واستعفاهم عن سؤال الناس ٤٥١ / ١
- أبو بكر مع الصحابي الذي وقع به في مجلس رسول الله ﷺ ٥٩ ، ٥٨ / ٢
- أبو جعفر الخلدي وسؤاله الجنيد عن الفرق بين الإخلاص والصدق ٢٩٠ / ١
- أبو حفص الحداد مع الجنيد ١٠٦ / ٢
- أبو حفص الحداد وإنكاره على الجنيد تكلفه له ولمريديه أنواع الأطعمة ٤٠١ / ٢
- أبو حفص الحداد ومريده الصامت ٣٥١ / ٢
- أبو حفص السهروردي مع شيخه ابن عبد البصري ٥٤٩ / ٢
- أبو حفص السهروردي مع عمه أبي النجيب ٣٤٤ ، ٣٤٣ / ٢
- أبو ذر مع الغلام الذي أراد إغاظته ٨٦ / ٢
- أبو سعيد الخدري ودعوته النبي ﷺ على الطعام وكان بعض الحضور صائماً ٢٢٢ / ٢
- أبو سليمان الخواص وحمارة الذي خاطبه ٥٧١ / ١
- أبو عبد الله الرفاعي وعدم رجوعه إلى معلوم من الطعام ٢٤٩ / ٢
- أبو عبد الله المغربي ومريده حسن الذي صحبه سبعين سنة ٣٥٣ / ٢
- أبو عثمان الحيري وصدقه في السلوك عند شيخه أبي حفص الحداد ٣٥١ / ٢
- أبو عمر بن العلاء وغشيانه في الصلاة بسبب هاتف سمعه ١٩٢ / ٢
- أبو عمرو الزجاجي وخدمة الفقراء من الصوفية ٣٧٣ / ١
- أبو عمرو الزجاجي وقضاؤه الحاجة خارج الحرم ١٤٩ / ٢
- أبو محمد الجريري مع الجنيد ٣٦٤ / ٢
- أبو محمد الجريري مع الرجل صاحب الثوب الواحد ٢٥١ ، ٢٥٠ / ٢
- أبو محمد الراشني واشتغاله بالصلاة أثناء السماع ٥٢٩ / ١
- أبو يزيد البسطامي مع الرجل الذي شهر نفسه بالولاية مع مخالفته آداب الشريعة ٢٤٣ / ١
- أبو يزيد البسطامي مع شاب من أهل بلخ ٤٦ ، ٤٥ / ٢

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

- أبو يزيد البسطامي وعجزه عن التهليل بسبب تذكره معصية في صباه ٢١٩ ، ٢١٨ / ١
- أحمد بن أبي الحواري مع شيخه أبي سليمان الدارني ٥٢٦ / ٢ - ٢٩٢ ، ٢٩١ / ١
- أحمد بن حنبل مع أيوب الحمال ٤٥٥ / ١
- استشكال بعض المريدين كلاماً لأبي السعود بن شبل والجواب عن إشكاله في المنام ٣٤١ ، ٣٤٠ / ٢
- الأصمعي مع بعض الأعراب ٤٦١ / ٢
- الأعرابي الذي أكل طعام رسول الله ﷺ بلقمتين ٢٢٨ / ٢
- الأعرابي الذي أنكر هيئة جلوس رسول الله ﷺ على الطعام ٢٣٥ / ٢
- الأعرابي الذي بال في مسجد رسول الله ﷺ ٤٢٤ / ١
- إكرام رسول الله ﷺ لأهل بدر وتقديمهم على غيرهم ٣٩٨ / ٢
- أمر بعض الأشخاص في المنام حمل الطعام إلى حماد الدباس ٤٤٧ / ١
- الأنصاري وزوجته وفعلهما العجيب مع ضيف رسول الله ﷺ ٤٧ ، ٤٥ / ٢
- إنكار بعض العلماء على بعض العباد المتصنعين في الطعام ٢٤٢ / ٢
- أهل الصفة وقولهم لرسول الله ﷺ : أحرق بطوننا التمر ٢٦٦ / ١
- إيثار سعد بن الربيع لأخيه عبد الرحمن بن عوف ٥٥ / ٢
- بشر الحافي مع بعض أصحاب المرقعات ٢٥٠ ، ٢٤٩ / ٢
- بشر الحافي والسبب في تركه التزوج ٤٦٣ / ١
- بعض الأبدال وفضيلة بعض صيغ التسبيح ٣٣٣ / ٢
- بعض الأعراب من الصحابة مع رجل اتهمه بعدم معرفة قضاء الحاجة ١٣١ / ٢
- بعض الأنبياء ومعاتبته عابداً ترك سنة التزوج ٤٧٢ / ١
- بعض التائبين الذي حج ولم يسأل الناس شيئاً ٤٣٦ ، ٤٣٥ / ١
- بعض الزاهدين وتأديبه فيما ذهب إليه من عدم سؤال الناس ٤٥٣ ، ٤٥٢ / ١
- بعض الصالحين مع القنبرة العمياء ٤٤٠ / ١
- بعض الصالحين مع صوفي يستدعيه إلى الغزو ٣٥١ / ١
- بعض الصالحين واستحضاره النية الصالحة في كل شيء ٥٧٣ / ٢
- بعض الصالحين واستغفاره عن السؤال ٤٣٣ / ١
- بعض الصوفية واختياره ذهاب بصره على ترك الوضوء ١٤٩ / ١

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

- ٤٩٨ / ٢ - بعض الصوفية والسبب في عدم سؤاله الناس مع شدة حاجته
- ٥٤ ، ٥٣ / ٢ - بعض الصوفية وبكاؤه بسبب عدم تفقد بعض إخوانه
- ١٤٦ / ٢ - بعض الصوفية وتأديبه نفسه في الطهارة
- ٣٨٩ / ٢ - بعض الصوفية وخلقه الكبير بعد فراق زوجته
- ١٤٩ / ٢ - بعض الصوفية ومحافظةه على سنة تجديد الوضوء
- ٥٠ / ٢ - بعض الصوفية ونيتة في عدم إظهار البشر الكثير لبعض إخوانه
- ٤٥٤ / ١ - بعض العابدين وشكته في وصول الرزق
- ٤٧١ / ١ - بعض العلماء مع بعض الناس في طعنه على الصوفية
- ٥٢٤ / ١ - بعض المشايخ والإنكار عليه وجده في السماع
- ٢٩١ / ١ - بعض الملامتية وامتناعه عن حضور مجلس السماع
- ٢١٥ / ٢ - بعض صالحى العراق وطريقته في الصيام
- ٤٦٩ ، ٤٦٨ / ١ - بعض مشايخ خراسان ومعاتبته على التزوج
- ١٤٧ / ٢ - تأديب بعض الصوفية نفسه في إخراج الريح
- ٦٧ / ٢ - تلطيخ سيدتنا عائشة لوجه سيدتنا سودة وضحك رسول الله ﷺ من صنعها
- ٥٤٤ ، ٥٤٣ / ١ - تواجد رسول الله ﷺ من سماعه بعض الأشعار
- ٣٤٧ ، ٣٤٥ / ٢ - ثابت بن قيس وبشارة رسول الله ﷺ له
- ٥٧١ / ١ - جعفر الخلدي ودعاء رد الضالة
- ٣٦٦ / ٢ - الجنيد والرجل الذي أراد أن يخرج من ماله ويسلك طريق الصوفية
- ٥٣٣ / ١ - الجنيد والشاب الذي خرجت روحه أثناء السماع
- ٣٠٠ ، ٢٩٩ / ١ - الجنيد وسؤاله عن بعض الأقوام الذين قالوا بإسقاط الأعمال
- ٢١٧ / ١ - حاتم الأصم مع الإمام أحمد بن حنبل
- ٢١٧ ، ٢١٦ / ١ - حاتم الأصم مع الطنافسي
- ٢١٦ ، ٢١٤ / ١ - حاتم الأصم مع قاضي الري محمد بن مقاتل
- ٤٨٣ / ٢ - الحارث المحاسبي وعرق يده الذي يتحرك إذا أكل شبهة
- ٤٩٨ / ١ - حجل بعض الصحابة أمام رسول الله ﷺ
- ٤٩ ، ٤٨ / ٢ - حذيفة العدوي مع الشهداء الثلاثة المؤثرين

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

٥٧٩ ، ٥٧٨ / ٢

- حسان بن سنان ومعاقبته لنفسه بسبب سؤالها عما لا يعنيه

٢٩١ / ٢

- الحسن البصري مع الرجل الذي حرم من قيام الليل

٥٢٠ ، ٥١٩ / ٢

- الحلاج مع إبراهيم الخواص

٤٤٧ ، ٤٤٦ / ١

- حماد الدباس ومذهبه في قبول الطعام

٣٤٣ ، ٣٤٢ ، ٣٣٦ / ٢

- خلاف سيدنا أبي بكر مع عمر في مجلس رسول الله ﷺ

٤٩٦ / ٢

- الدراج مع أستاذه الذي ادخر قطعة لكفنه

٣٨٩ / ١

- ذو النون المصري مع أبي يزيد البسطامي

٢٥٥ ، ٢٥٤ / ١

- ذو النون المصري مع المرأة الصوفية التي رآها ببعض سواحل الشام

٤٩٣ / ١

- ذو النون المصري مع بعض المتواجدين

٤١٤ / ١

- الرجل الذي زار أخاً له في الله مع الملك الذي أُرصد له

٤٧٣ / ٢

- رسول الله ﷺ مع ابنته سيدتنا فاطمة الزهراء

٣٤٨ / ٢

- رسول الله ﷺ مع وفد بني تميم

٥٥٦ ، ٥٥٤ / ١

- رسول الله ﷺ وبدء الوحي

٥٥٧ / ١

- رسول الله ﷺ وفترة الوحي

٤٢ ، ٤١ / ٢

- رسول الله ﷺ ومداراته لبعض ضعيفي الإيمان

٤٠٩ / ١

- رسول الله ﷺ والماء الذي فار بين أصابعه ﷺ

٢٨٠ / ١

- رفق بعض شيوخ الصوفية في تأديب من صحبه

٤٩٧ / ٢

- الروذباري مع الزقاق

٥٧١ / ١

- الروذباري والهاتف الذي سمعه

٥٣ / ٢

- الروذباري وقسيمة العابدة

٣١٦ / ٢

- رؤيا إبراهيم التيمي دخول الجنة بسبب المسبغات التي علمه إياها الخضر عليه السلام

١٩٦ / ٢

- رؤيا أبي الخير الأقطع رسول الله ﷺ في المنام

٤٨٨ / ١

- رؤيا الجنيد إبليس في النوم

٥٠٠ ، ٤٩٩ / ١

- رؤيا بعض الصالحين رسول الله ﷺ في المنام وإقراره سماع الصوفية

٢٠٧ / ١

- رؤيا بعض الصالحين رسول الله ﷺ في المنام وسؤاله عن قوله : شيبني هود

٣٤٦ / ٢

- رؤيا بعض الصحابة سيدنا ثابت بن قيس في المنام

القصة أو المنام أو الوصية

الجزء والصفحة

- رؤيا بعض الفقراء دخول الجنة وانحطاط رتبته بسبب لبسه أكثر من قميص ٢٥١ / ٢
- رؤيا ممشاذ الدينوري رسول الله ﷺ في المنام ٤٩٢ / ١
- رويم وتأديب بعض الجواري له في شرب الماء ٢٢٠ / ٢
- الزاهد خليفة وطيه في كل شهر على لوزة ٥٨٥ / ١
- السري السقطي والعقرب الذي لدغه ٤٩٣ / ١١١ / ٢
- السري السقطي ومعاتبته في مد رجله في المحراب ١١٠ / ٢
- السرية التي ظنت الفرار من الزحف وقول الرسول لهم: بل أنتم العكارون ٣٧٠ / ١
- سفيان الثوري مع رابعة العدوية ٥١٠ / ٢
- سفيان الثوري وبعده عن التكلف والتصنع مع إخوانه وضيوفه ٢٤٤ / ٢
- سفيان الثوري وحرمانه من قيام الليل بسبب سوء ظنه ٢٩١ / ٢
- سفيان الثوري ونيته في لبس الثياب ٥٧٦ / ٢٤٧ / ٢
- سليمان الخواص وامتناعه من لقاء إبراهيم بن أدهم ٣٧٢ / ٢
- سهل التستري وتواجده في آخر عمره ٥٢٥ / ١
- سهل التستري وتواجده وإنكار تلميذه ابن سالم ذلك ٥٢٥ / ١
- سهل التستري وسؤاله عن بعض أهل البطالة والغفلة ٣٠٤ / ١
- سيدتنا أسماء ووصفها لبعض الصحابة ٥١٥ / ١
- سيدتنا أم خالد والباس النبي ﷺ إياها الخرقه ٣٣٥ / ٣٣٣ / ١
- سيدتنا أم رومان ونهي سيدنا أبي بكر لها عن التمايل في الصلاة ١٥٦ / ٢
- سيدتنا حفصة مع أبيها سيدنا عمر بن الخطاب ٢٠٤ / ٢
- سيدتنا عائشة وإكرامها للوفد الذي جاءها ٤٢٢ / ١
- سيدتنا عائشة والعيش على التمر والماء في عهد رسول الله ﷺ ٢٠٤ / ٢
- سيدتنا عائشة وفضيلة الخل ٢٣٨ / ٢
- سيدتنا عائشة وفقدتها رسول الله ﷺ في بعض الليالي ٣٨ / ٢
- سيدنا إبراهيم عليه السلام واستغفاه عن السؤال أثناء إلقائه في النار ٤٣١ / ١
- سيدنا ابن عمر وإنكاره صنيع بعض المتواجدين ٥١٦ / ٥١٥ / ١
- سيدنا أبو الدرداء مع صاحبه الذي ابتلي بالكبائر ٣٩٠ / ٢

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

٢٩٥ ، ٢٩٤ / ٢

- سيدنا أبو اليسر مع المرأة البائعة للتمر

٢٧٢ / ١

- سيدنا أبو ذر وتبشير به بأن المرء مع من أحب

٤٢٤ / ١

- سيدنا أبو رفاعه وسؤاله النبي ﷺ أثناء الخطبة

٥٣٠ / ١

- سيدنا أبي بن كعب وبكاء رسول الله ﷺ أثناء قراءته القرآن

٢٤٤ / ٢

- سيدنا الحسين بن علي وتواضعه الكبير مع بعض المساكين

١٤٣ / ٢

- سيدنا بلال والعمل الذي بشر بسببه بدخول الجنة

٧٦ / ٢

- سيدنا بلال ونهي الرسول ﷺ له عن الادخار

٨٦ / ٢

- سيدنا رسول الله ﷺ مع القوم الذي كانوا يجرون حجراً

٩ ، ٨ / ٢

- سيدنا رسول الله ﷺ وحديث رضاعه

٧٣ / ٢

- سيدنا سلمان الفارسي وبعده عن التكلف في استقبال ضيوفه

٢٢٢ / ١

- سيدنا شداد بن أوس وشدة مراقبته لله تعالى

٥١٢ / ٢

- سيدنا علي ومذهبه في الفقر والغنى

٥٤١ / ١

- سيدنا عمار واختلافه مع أهل البصرة في قسم الغنيمة

٤٦٠ ، ٤٥٩ / ١

- سيدنا عمار والعطاء الذي استقله من رسول الله ﷺ

٤٠٦ ، ٤٠٥ / ١

- سيدنا عمر مع الرجل الذي حفظت وديعته أثناء سفره

٤٥٦ ، ٤٥٥ / ١

- سيدنا عمر مع السائل الكاذب

٣٦٨ ، ٣٦٧ / ١

- سيدنا عمر مع بشير بن سعد الأنصاري

٣٩٢ ، ٣٩١ / ٢

- سيدنا عمر مع صاحبه الذي ابتلي بالكبائر

٣٦٠ / ١

- سيدنا عمر مع مملوكه وثيق الرومي

٤٤٤ / ١

- سيدنا عمر واستغفاره عن العطاء

٣٩٦ / ٢

- سيدنا عمر والميزاب الذي بناه رسول الله ﷺ

٧٤ / ٢

- سيدنا عمر وعده معرفة الغوامض من التكلف

٥٣٦ ، ٥٣٥ / ١

- سيدنا كعب بن زهير ويردته التي طلب منه سيدنا معاوية شراءها

٥٤٨ ، ٥٤٧ / ١

- سيدنا موسى عليه السلام والكتاب الذي وعده لبني إسرائيل إذا أنجاه الله من فرعون

٤٣٠ / ١

- سيدنا هلال بن حصن واستغفاره عن السؤال والرزق الوافر الذي أصابه

٢٠٥ / ٢

- سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام مع إبليس اللعين

الجزء والصفحة

القصة أو المنام أو الوصية

- ٧٣ / ٢ - سيدنا يونس عليه السلام وبعده عن التكلف في استقبال ضيوفه
- ٤٧٥ / ١ - سيدنا يونس مع زوجته التي كانت تؤذيه
- ٥١٣ / ٢ - الشبلي بين يدي الجنيد
- ٥٣٨ ، ٥٣٧ / ١ - الشيوخ والشبان الذي اختلفوا في قسم الغنائم في غزوة بدر
- ٢٧١ ، ٢٧١ / ١ - الصحابي الذي أعد للجنة حب الله ورسوله والبشارة العظيمة التي بُشِّرَ بها
- ٤٥ / ٢ - الصحابي الذي وطئ رجل رسول الله ﷺ
- ٤٠٢ / ٢ - صنع بعض المتأخيين عندما ابتلي أخوه بهوى
- ٣٤٤ / ١ - الصوفي الذي لم يتفرغ لغسل ثوبه
- ٢٠٣ / ٢ - الطيالسي وأكله للخبز اليابس المبلول
- ٥٧١ / ٢ - عابد بني إسرائيل التي راودته ملكة عن نفسه
- ٤٦٧ / ١ - عبد القادر الجيلاني مع بعض الصالحين الذي عاتبه على التزوج
- ٢٤٩ / ٢ - عبد القادر الجيلاني مع فقير أنكر تفاوت معاملته لغير الصوفية
- ٤٤٩ / ١ - عبد القادر الجيلاني وصحة إشارات الصوفية
- ٤٠٤ ، ٤٠٣ / ١ - عبد الله المروزي مع أبي علي الشروطي
- ١٤٣ / ٢ - علي بن الهيثمي وملازمته على الطهارة
- ٣٩٩ ، ٣٩٨ / ٢ - علي بن بندار مع أبي عبد الله بن خفيف
- ٥٠٢ / ١ - الغلام الذي ألقى نفسه من الجبل على عهد بني إسرائيل
- ٥٢ / ٢ - فتنة الصوفية وإيثار أبي الحسين النوري
- ١٠٧ / ٢ - القاسم بن سلام مع عائشة المكية
- ٥٣ / ٢ - قيس بن سعد والعفو عن غرمائه
- ٢٩١ / ٢ - كرز بن وبرة وبكاؤه الشديد بسبب نومه عن حربه
- ٥٧١ / ١ - كشف بعض الصالحين عن الفتك بأهل مكة
- ٤٠٠ / ٢ - ما شرطه بعض الصوفية لمن أراد مفارقتهم
- ٢٣٠ / ٢ - محمد الغزالي وزيارته لبعض الصالحين الحاضرين الذاكرين
- ١٩٦ / ٢ - محمد بن يوسف الفرغاني مع حاتم الأصم
- ٢١٩ / ٢ - المرأتان اللتان صامتا على عهد رسول الله ﷺ حتى أجهدهما الجوع والعطش

الجزء والصفحة

٦٤ / ٢

٦٣ / ٢

٦٤ / ٢

٢٥٦ ، / ٢٥٥

١٧٤ / ٢

٢٣٠ ، ٢٢٩ / ١

٥٧٤ ، ٥٧٣ / ١

٥٧٣ ، ٥٧٢ / ١

٥٧٣ / ١

٥٢١ ، ٥٢٠ / ١

٤٩١ / ١

٥٣٣ / ١

٢٤٥ / ٢

٥٦٠ / ١

٩١ / ٢

٢٣ / ٢

٣٤٦ / ٢

٢٣٠ / ١

٢٥٥ / ٢

القصة أو المنام أو الوصية

- مزاح رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه

- مزاح رسول الله ﷺ مع زاهر بن حزام

- مزاح رسول الله ﷺ مع صهيب الرومي

- مسلمة بن عبد الملك مع عمر بن عبد العزيز

- مصعب بن سعد مع سعد بن مالك

- معاذ بن جبل وسؤاله عن رجلين قوي اليقين وضعيفه

- مكاشفة بعض الصوفية بحياة شخص أرجف عليه أنه قد مات

- مكاشفة بعض شيوخ خراسان بولد له كاد يسقط من السفينة

- مكاشفة سيدنا عمر بالعدو بقوله : يا سارية الجبل

- ممشاذ الدينوري والقوم الذي مر بهم وفيهم قَوَال

- النابغة الجعدي مع رسول الله ﷺ

- النصر اباذي ومعاتبته في كثرة السماع

- هارون الرشيد مع أبي معاوية الضرير

- وصية أبي بكر الوراق لرجل جاء لزيارته

- وصية رسول الله ﷺ لجارية بن قدامة

- وصية رسول الله ﷺ لسيدنا معاذ بن جبل

- وصية سيدنا ثابت بن قيس

- وصية لقمان لابنه

- يحيى بن معاذ الرازي ولبسه للثياب في ابتداء أمره وآخره



فهرس الأشعار

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
الهمزة المكسورة				
تركت للناس	ودنيائي	البسيط	-	٥٣٣ / ٢
فصار يحسدني	مولائي	البسيط	-	٥٣٣ / ٢
كانت لقلبي	أهوائي	البسيط	-	٥٣٣ / ٢
الباء المضمومة				
إذا قلت	ذنب	الطويل	-	٤٨٠ / ٢
شربنا	نصيب	الطويل	-	٥٢٣ / ١
أرضى وأسخط	محبوب	البسيط	مهيار الديلمي	٥١٣ / ٢
أتوب إليك	الذنوب	الوافر	مجنون ليلى	٤٨٥ / ١
فأما من	أتوب	الوافر	مجنون ليلى	٤٨٥ / ١
إن تأملتكم	قلوب	الخفيف	-	١٨٧ / ١
التاء المكسورة	ألا رب عزت	الطويل	أنشده الخواص	٤٩٤ / ٢
إذا ما مددت	فشلت	الطويل	أنشده الخواص	٤٩٤ / ٢
سأصبر جهدي	قلت	الطويل	أنشده الخواص	٤٩٤ / ٢
صبرت على	فعزت	الطويل	أنشده الخواص	٤٩٤ / ٢
وجرعتها المكروه	شمأزت	الطويل	أنشده الخواص	٤٩٤ / ٢
الحاء المكسورة	إذا نطقت مليح	الطويل	أنشده ابن عطاء	١١٢ / ٢
الذال المضمومة				
قد كان يطربني	موجود	البسيط	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٥٥٩ / ٢
والوجد يطرب	مفقود	البسيط	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٥٥٩ / ٢

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
حزني كحسبك	أمد	الكامل	-	٥٢٦ / ٢
وإذا صفا	الواحد	الكامل	-	٣٧٦ / ٢

الدال المفتوحة

وجليس الخير	وحده	مجزوء الرمل	نسب إلى أبي العتاهية	
			وابن طاهر	٣٨٤ / ٢
وحدة الإنسان	عنده	مجزوء الرمل	نسب إلى أبي العتاهية	
			وابن طاهر	٣٨٤ / ٢

الدال المكسورة

إلا مسارعة	الأبد	البسيط	-	٢٥٥ / ١
فمطلب القوم	الصمد	البسيط	-	٢٥٥ / ١
فهم رهائن	العدد	البسيط	-	٢٥٥ / ١
قوم همومهم	أحد	البسيط	-	١٨٧ / ١
ما إن تنازعهم	والولد	البسيط	-	٢٥٥ / ١
ولا للبس	بلد	البسيط	-	٢٥٥ / ١

الراء المفتوحة

إن صوت	ضرا	الخفيف	ذو النون المصري	٤٩٣ / ٢
صابر الصبر	صبرا	الخفيف	ذو النون المصري	٤٩٣ / ٢
ولا خير	يكدرا	الطويل	النابعة الجعدي	٤٩١ / ١
ولا خير	أصدرا	الطويل	النابعة الجعدي	٤٩١ / ١

الراء المكسورة

إذا شئت	العسر	الطويل	علي الجرجاني	٤٣٣ / ١
فإن فعلت	العذر	الطويل	علي الجرجاني	٤٣٤ / ١
فسل نفسك	اليسر	الطويل	علي الجرجاني	٤٣٤ / ١
تضوع أرواح	بالدار	البسيط	الشريف الرضي	٥٣٩ / ١
لا ينطقون	بإكثار	البسيط	العرندس الكلابي	٤٤ / ٢
من تلق	الساري	البسيط	العرندس الكلابي	٤٤ / ٢

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
هينون لينون	أيسار	البسيط	العرنس الكلابي	٤٤ / ٢
أوليتني نعماً	بأسرها	الكامل	-	٥٠٠ / ٢
فلاشكرنك ما	قبرها	الكامل	-	٥٠٠ / ٢
انستني منك	البشر	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٥٣١ / ٢
ذكرك لي	بالظفر	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٥٣١ / ٢
شغلت قلبي	فكري	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٥٣١ / ٢
وحيشما كنت	النظر	المنسرح	نسب إلى رويم، والحلاج	٥٣١ / ٢

السين المفتوحة

تجرعت من	إحتسى	الطويل	سمنون	٤٩٥ / ٢
تدرعت صبري	أسى	الطويل	سمنون	٤٩٥ / ٢
خطوب لو	ملمسا	الطويل	سمنون	٤٩٥ / ٢
فكم غمرة	أكؤسا	الطويل	سمنون	٤٩٥ / ٢

السين المكسورة

إني جعلتك	جلوسي	الكامل	رابعة العدوية	٤٧٦ / ١
فالجسم مني	أنيسي	الكامل	رابعة العدوية	٥٣٢ / ٢ - ٤٧٦ / ١
ولقد جعلتك	جلوسي	الكامل	-	٥٣٢ / ٢

العين المضمومة

نعصي الإله	بديع	الكامل	متنازع النسبة	٥٢٢ / ٢
لو كان حبك	مطيع	الكامل	متنازع النسبة	٥٢٢ / ٢
كيف يزهو	ضجيعه	مجزوء الرمل	ابن الرومي	٣٦ / ٢

العين المفتوحة

أحرى الملابس	خلعا	البسيط	متنازع النسبة	٤٩٩ / ٢
الدهر لي	ومستمعا	البسيط	متنازع النسبة	٤٩٩ / ٢
فقر وصبر	الجمعا	البسيط	متنازع النسبة	٤٩٩ / ٢
قالوا غدا	جرعا	البسيط	متنازع النسبة	٤٩٩ / ٢

مطلع البيت القافية البحر القائل الجزء والصفحة

القاف المكسورة

إلا الحبيب	وترياقي	المنسرح	-	٥٤٣ / ١
قد لسعت	راقي	المنسرح	-	٥٤٣ / ١

الكاف المفتوحة

أما ترثي	بكى	مجزوء الوافر	الوزير الزيات	٤٩٣ / ١
صغير هواك	احتنكا	مجزوء الوافر	الوزير الزيات	٤٩٣ / ١
وأنت جمعت	مشركا	مجزوء الوافر	الوزير الزيات	٤٩٣ / ١

اللام المضمومة

أسائل عن	تنزل	الطويل	-	٥٠٤ / ١
إن الرسول	مسلول	البسيط	كعب بن زهير	٥٣٥ / ١
بانت سعاد	مكبول	البسيط	كعب بن زهير	٥٣٥ / ١

اللام المفتوحة

تذلل لمن	للبله	المتقارب	نسب إلى أبي العتاهية، وابن طاهر	٣٩٤ / ٢
وجانب صداقة	له	المتقارب	نسب إلى أبي العتاهية، وابن طاهر	٣٩٤ / ٢

اللام المكسورة

أشتاقه فإذا	إجلاله	مجزوء الكامل	نسب إلى عبد الواحد	
لا خيفة	بجماله	مجزوء الكامل	البيغاء، ومعوج الرقي	٥٣٩ / ٢
الموت في	إقباله	مجزوء الكامل	نسب إلى عبد الواحد	
وأصد عنه	خياله	مجزوء الكامل	البيغاء، ومعوج الرقي	٥٣٩ / ٢
			عبد الواحد البيغاء	٥٣٩ / ٢
			عبد الواحد البيغاء	٥٣٩ / ٢

الميم المضمومة

أيا جبلي	نسيمها	الطويل	مجنون ليلى	٥٠١ / ١
----------	--------	--------	------------	---------

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
أجد بردها	صميمها	الطويل	مجنون ليلى	٥٠١/١
ألا إن أدواني	قديمها	الطويل	مجنون ليلى	٥٠١/١
تكلم منا	يتكلم	الطويل	العباس بن الأحنف	٥٢٣/١
فإن الصبا	همومها	الطويل	مجنون ليلى	٥٠١/١
إن السماء	الراهم	الكامل	-	٤٧٠/١

الميم المكسورة

لعين تفدى	المكرم	الطويل	-	٥١٨/٢
أنعي إليك	الحكم	البسيط	-	١٨٢/١

النون المضمومة

فبدا لينظر	أشجانه	الكامل	نسب إلى محمد	
			الطالبي، والحلاج	٥٥٦/٢
فالنار ما	أجفانه	الكامل	نسب إلى محمد	
			الطالبي، والحلاج	٥٥٦/٢
وبدا له	لمعانه	الكامل	نسب إلى محمد	
			الطالبي، والحلاج	٥٥٦/٢
يبدو كحاشية	أركانه	الكامل	نسب إلى محمد	
			الطالبي، والحلاج	٥٥٦/٢

النون المفتوحة

أشم منك	أردانا	البسيط	الشريف الرضي	١٨٧/١
لا يسألون	برهانا	البسيط	قريط بن أنيف	٤٠١/٢
لو كنت	شيبانا	البسيط	قريط بن أنيف	٤٤٠/١
أنا من أهوى	بدنا	الرمل	الحلاج	٥٢٤/٢
فإذا أبصرتني	أبصرتنا	الرمل	الحلاج	٥٢٤/٢

النون المكسورة

طفع السرور	أبكاني	الكامل	-	٥٢٦/١
------------	--------	--------	---	-------

مطلع البيت	القافية	البحر	القائل	الجزء والصفحة
إن يكن غيبك	عياني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٥٣٦ / ٢
فاجتمعنا	لمعاني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٥٣٦ / ٢
فلقد صيرك	داني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٥٣٦ / ٢
قد تحققتك	لساني	مجزوء الرمل	نسب إلى الحلاج، والجنيد	٥٣٦ / ٢



فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- الإبانة الكبرى، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري البغدادي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الراية، الرياض، السعودية.

- الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى، للإمام الأديب البلاغي الكاتب أبي سعد محمد بن أحمد العميدي (ت ٤٣٣هـ)، شرح وتحقيق إبراهيم الدسوقي، طبع سنة (١٩٦١هـ) لدى دار المعارف، القاهرة، مصر.

- الإبانة عن طرق القاصدين، للإمام الأصولي المتكلم المفسر النظار أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق محمد علاء الدين زينو، ط ١، (٢٠١٨م)، دار ضياء الشام، دمشق، سورية.

- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، للإمام الفقيه أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (ت ١١٥٦هـ)، طبع سنة (١٣١٦هـ) لدى المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام القارئ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد البناء الدمياطي (ت ١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط ٣، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الإتقان في علوم القرآن، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) لدى الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

- الآحاد والمثاني، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق باسم الجوابرة، ط ١، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، دار الراية، الرياض، السعودية.

- إحكام الدلالة على تحرير الرسالة، للإمام قاضي القضاة شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكريا ابن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تصحيح إبراهيم عبد الغفار الدسوقي، وهو مطبوع بهامش «نتائج الأفكار القدسية» للعروسي، ط ١، (١٢٩٠هـ، ١٨٧٠م)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- إحياء علوم الدين، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز وسيرته، للإمام الفقيه المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري البغدادي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله عيلان، ط ٢، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الاختيار لتعليل المختار، للإمام الفقيه المحدث المحرر مجد الدين أبي الفضل عبد الله بن محمود ابن مودود الموصلّي (ت ٦٨٣هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وأحمد برهوم وعبد اللطيف حرز الله، ط ١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، دار الرسالة العالمية، دمشق، سورية.

- أخلاق النبي وآدابه، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق صالح الونيان، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار المسلم، الرياض، السعودية.

- الإخوان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط ١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- آداب الصحبة، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- أدب الإملاء والاستملاء، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق ماكس فايسفايلر، ط ١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أدب الدين والدنيا، للإمام الفقيه القاضي المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- الأدب الصغير والأدب الكبير، للإمام الأديب الكاتب عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الأدب المفرد، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٣، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- أدب النفس، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق أحمد السايح، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

- الأربعين في التصوف، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ)، ط ٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند.

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام المقرئ الحافظ المتفنن شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، ط ٧، (١٩٠٥هـ - ١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.

- الأسامي والكنى، للإمام الحافظ القاضي أبي أحمد محمد بن محمد النيسابوري المعروف بالحاكم الكبير (ت ٣٧٨هـ)، تحقيق يوسف الدخيل، ط ١، (١٩٩٤م)، دار الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- أسباب نزول القرآن، للإمام المفسر النحوي اللغوي الفقيه المتفنن أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق كمال زغلول، ط ١، (١٤١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، طبع سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

- الأسماء والصفات، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجري (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

- الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- اصطناع المعروف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، للعلامة الفقيه أبي بكر عثمان بن محمد شطا المشهور بالبكري الدمياطي (ت ١٣١٠هـ)، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط ٢، (١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الأعلام، للأستاذ البحانة خير الدين بن محمود الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، ط ١٥، (٢٠٠٢م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- إكمال الإكمال، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- الأم، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

- الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي الحسين محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن سمعون الواعظ (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق عامر صبري، ط ١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- الأمالي، للإمام الزاهد الواعظ أبي القاسم عبد الملك بن محمد ابن بشران البغدادي (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق أحمد بن سليمان، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، للإمام المؤرخ نقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد النميسي، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الإمتاع والمؤانسة، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت ٤٠٠هـ)، ط ١، (١٤٢٤هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- أمثال الحديث، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، ط ٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

- الأموال، للإمام الحافظ أبي أحمد حميد بن مخلد ابن زنجويه الخراساني (ت ٢٥١هـ)، تحقيق شاكراً فياض، ط ١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، من منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية.

- الأموال، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق سيد رجب، ط ١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار الهدى النبوي، مصر. دار الفضيلة، السعودية.

- الأنساب، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن المعلمي وآخرين، ط ١، (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند.

- الأولياء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد السعيد زغلول، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- البداية والنهاية، للإمام الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، طبع سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) لدى دار الفكر، بيروت، لبنان.

- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الهجرة، الرياض، السعودية.

- البديع في نقد الشعر، للإمام المؤرخ البلاغي الأديب مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة ابن منقذ الكناني (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط ١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

- البرصان والعرجان والعميان والحولان، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (ت ٢٥٥هـ)، ط ١، (١٤١٠هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- البرهان في أصول الفقه، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط ١، (١٣٩٩هـ)، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، قطر.

- البرهان في علوم القرآن، للإمام الفقيه الأصولي المحدث النقاد المتفنن بدر الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- بستان العارفين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق محمد الحجار، ط ٦، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- البصائر والذخائر، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق وداد القاضي، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.

- بغية الطلب في تاريخ حلب، للإمام المحدث المؤرخ كمال الدين عمر بن أحمد ابن العديم العقيلي (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق سهيل زكار، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام المفسر الحافظ النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهاجس، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد مرسي الخولي، ط ٢، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- بيان تذلل الفقراء، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق نصر الله ورجوادی ومحمد سوري، طبع سنة (١٣٨٨هـ)، وهو صادر ضمن «مجموعة آثار أبي عبد الرحمن السلمي»، من منشورات مؤسسة وهشي حكمت وفلسفة، طهران، إيران، ومؤسسة مطالعات إسلامي دانش اه آزاد، برلين، ألمانيا.

- البيان في مذهب الإمام الشافعي، للإمام الفقيه الأصولي أبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت ٥٥٨هـ)، تحقيق قاسم النوري، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى الزبيدي الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار فراج وآخرين، ط ١، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

- تاريخ ابن الوردي، للإمام الفقيه القاضي المؤرخ الشاعر الأديب زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر ابن الوردي المعري الكندي (ت ٧٤٩هـ)، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ إربل، المسمى: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمائل»، للإمام المؤرخ الأديب المبارك بن أحمد بن المبارك ابن المستوفي اللخمي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق سامي الصقار، طبع سنة (١٩٨٠م) لدى دار الرشيد، بغداد، العراق.

- تاريخ أصبهان، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط ٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- تاريخ الخلفاء، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ٢، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- التاريخ الكبير، للإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدرآباد الدكن، الهند.

- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، للإمام المؤرخ قاضي القضاة مجير الدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي (ت ٩٢٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، ط ١، (١٤٣١هـ - ٢٠١١م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- تاريخ بغداد، للإمام الحفاظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ دنيسر، للعلامة الطبيب أبي حفص عمر بن الخضر المعروف بن اللمش الدنيسري التركي (ت ٦٤٠هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، للإمام الدنيا الحفاظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، تحقيق عمرو العمروي، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تاريخ مساجد بغداد وآثارها، للباحث محمود شكري الألوسي، تهذيب محمد بهجة الأثري، طبع سنة (١٣٤٦هـ)، مطبعة دار السلام، بغداد، العراق.

- تاريخ نيسابور، للإمام الحفاظ الناقد أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، مكتبة ابن سينا، طهران، إيران.

- تاريخ يحيى بن معين برواية الدوري، للإمام الحفاظ أبي زكريا يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣هـ)، تحقيق أحمد نور سيف، ط ١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية.

- تأييد الحقيقة العلمية وتشديد الطريقة الشاذلية، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق عبد الله الغماري، طبع سنة (١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م) لدى المطبعة الإسلامية، القاهرة، مصر.

- التبصرة، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ط ١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، طبع سنة (١٩٦٧م) لدى المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

- تحرير ألفاظ التنبيه، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق عبد الغني الدقر، ط ١، (١٤٠٨هـ)، دار القلم، دمشق، سورية.

- تحفة الأخوذ، للعلامة المتفنن أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تحفة المحتاج في شرح المنهاج، للإمام الفقيه المفتي المحقق المتفنن شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، طبع سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م) لدى المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

- تحفة المريد على جوهرة التوحيد، لشيخ الأزهر العلامة الفقيه المتكلم أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد الباجوري (ت ١٢٧٦هـ)، تحقيق الدكتور علي جمعة، ط ١، (١٤٢٢هـ)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للإمام المحدث الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق عبد الله السعد، ط ١، (١٤١٤هـ)، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية.

- التدوين في أخبار قزوين، للإمام الفقيه المحقق المحدث المتفنن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافي القزويني (ت ٦٢٣هـ)، طبع سنة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التذكرة الحمدونية، للإمام الأديب المؤرخ بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي (ت ٥٦٢هـ)، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك، للإمام الحافظ أبي حفص عمر بن أحمد ابن شاهين البغدادي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد حسن إسماعيل، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الترغيب والترهيب، للإمام المحدث المفسر قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد القرشي الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق أيمن شعبان، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.

- نصحيح التصحيح وتحرير التحريف، لإمام الأدب النحوي المؤرخ المتفنن صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي الدمشقي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق السيد الشرقاوي، ط ١، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق بسام الجابي، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الجفان والجابي، ليماصول، قبرص. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- التعرف لمذهب أهل التصوف، للإمام الصوفي أبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التعريفات، للإمام الأصولي المتكلم المحقق المتفنن السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد الجرجاني الحسيني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر.

- تعظيم قدر الصلاة، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤هـ)، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط ١، (١٤٠٦هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- تفسير ابن أبي حاتم، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين»، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط ٣، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.

- تفسير البغوي، المسمى: «معالم التنزيل في تفسير القرآن»، للإمام الفقيه المفتي المفسر محبي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ٤، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- تفسير البضاوي، المسمى: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للإمام القاضي المفسر الأصولي المتكلم ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق محمد المرعشلي، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- تفسير التستري، للإمام الصوفي العارف بالله أبي محمد سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ)، جمع أبي بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط ١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الخازن، المسمى: «اللباب التأويل في معاني التنزيل»، للإمام المفسر علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد الشيعي المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، ط ١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام المجدد المتكلم المفسر الأصولي فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط ١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- تفسير السلمي، المسمى: «حقائق التفسير»، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير السمرقندي، المسمى: «بحر العلوم»، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام المجتهد المفسر المؤرخ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد شاكر، ط ١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- تفسير القرطبي، المسمى: «الجامع لأحكام القرآن»، للإمام الفقيه المفسر المتفنن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- تفسير الواحدي، المسمى: «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ١، (١٤١٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، طبع سنة (١٩٨٣م) لدى دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت ٦٢٩هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط ١، (١٤٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ الفقيه المؤرخ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط ٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- التكملة والذيل على درة الغواص، أو: «التكملة فيما يلحن فيه العامة»، للإمام الأديب اللغوي أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي قرني، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، وهو مطبوع ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»، دار الجبل، بيروت، لبنان.

- تلبس إبليس، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى العلوي ومحمد البكري، طبع سنة (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) لدى وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

- تنبيه الغافلين، لإمام الهدى الفقيه المفسر المتكلم أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٥هـ)، تحقيق السيد العربي، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر.

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، للإمام المحدث نور الدين علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الغماري، ط ١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمع الإمام اللغوي الأديب المحدث المتفنن مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التهجد وقيام الليل، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مصلح الحارثي، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- تهذيب الأسرار، للإمام العارف الصوفي أبي سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخرکوشي (ت ٤٠٧هـ)، تحقيق بسام بارود، طبع سنة (١٩٩٩م) لدى المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات.

- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق مصطفى عطا، طبع سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- التواضع والخمول، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق محمد عطا، ط ١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- التوبخ والتنبه، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة الفرقان، القاهرة، مصر.

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط ١، (١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الثقات، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ)، ط ١، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- جامع الأحاديث، للإمام المفسر الحافظ الفقيه النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين بإشراف العلامة الدكتور علي جمعة، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، للإمام المحدث اللغوي الأديب مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وبشير عيون، ط ١، (١٣٨٩هـ)، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، دمشق، سورية.

- جامع الشروح والحواشي، للباحث السيد عبد الله محمد بن علي الحبشي الحضرمي، طبع في المركز الثقافي سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، أبوظبي، الإمارات.

- جامع بيان العلم وفضله، للإمام الفقيه الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

- الجامع لشعب الإيمان، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجدي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط ١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.

- الجامع، للإمام الحافظ الفقيه أبي عروة معمر بن راشد الأزدي (ت ١٥٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، (١٤٠٣هـ)، من منشورات المجلس العلمي، باكستان، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الجرح والتعديل، للإمام الحافظ النقاد المفسر أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط ١، (١٢٧١هـ - ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- جمل من أنساب الأشراف، للإمام المؤرخ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- جمهرة الأمثال، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، لبنان.

- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الجوع، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- حاشية ابن عابدين، المسماة: «رد المحتار على الدر المختار»، للإمام الفقيه الأصولي المحقق المتفن السيد محمد أمين بن عمر ابن عابدين أفندي الدمشقي (ت ١٢٥٢هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، طبعة خاصة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، المسماة: «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه»، للإمام الفقيه المحدث المفسر نور الدين محمد بن عبد الهادي التنوي السندي (ت ١١٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الشافعي، للإمام القاضي الفقيه المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الحاوي للفتاوي، للإمام المفسر الحافظ النحوي البلاغي جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية الصادرة سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، بيروت، لبنان.

- حسن الظن بالله، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مخلص محمد، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- حقائق عن التصوف، للعلامة الصوفي المربي السيد عبد القادر عيسى (ت ١٤١٢هـ)، طبع سنة (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الحلم، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد عطا، ط ١، (١٤١٣هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، ط ٥، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي الصادرة سنة (١٣٥٧هـ)، لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، للعلامة المؤرخ كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الصابوني المعروف بابن الفوطي المروزي الشيباني (ت ٧٢٣هـ)، تحقيق مصطفى جواد، طبع سنة (١٣٥١هـ) لدى المكتبة العربية، بغداد، العراق.

- حياة الحيوان الكبرى، للإمام الفقيه الأديب المتفنن كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨هـ)، ط ١، (١٢٨٤هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- خاص الخاص، للإمام المؤرخ اللغوي الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق حسن الأمين، طبع سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

- خطط الشام، للأديب الكاتب المؤرخ محمد بن عبد الرزاق كرد علي (ت ١٣٧٢هـ)، ط ٣، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، مكتبة النوري، دمشق، سورية.

- خلاصة المفاهر في مناقب الشيخ عبد القادر، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد البافعي (ت ٧٦٨هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط ١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الآثار الإسلامية، بريلي، سريلانكا.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ الفقيه النحوي البلاغي المتفنن جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط ١، (١٤٣٣هـ - ٢٠١١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- درة الغواص في أوهام الخواص، للإمام الأديب الشاعر أبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (ت ٥١٦هـ)، تحقيق عرفات مطرجي، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الدعاء، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الدعاء، للإمام القاضي الفقيه المحدث أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق عمرو عبد المنعم، ط ١، (١٤١٤هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر. مكتبة العلم، جدة، السعودية.

- الدعوات الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق بدر البدر، ط ١، (٢٠٠٩م)، دار غراس، الكويت.

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. دار الريان، القاهرة، مصر.

- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، للإمام محمد ابن علان البكري الصديقي (ت ١٠٥٧هـ)، تحقيق خليل شيحا، ط ٤، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- ديوان ابن الرومي، للشاعر العباسي الكبير أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق حسين نصار، ط ٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- ديوان ابن الزيات، للوزير الأديب محمد بن عبد الملك الزيات (ت ٢٣٢هـ)، شرح وتحقيق جميل سعيد، من منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

- ديوان ابن الفارض، للشاعر الصوفي سلطان العاشقين شرف الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن ابن الفارض الحموي المصري (ت ٦٣٢هـ)، طبع سنة (١٩٦٢م) لدى دار صادر، بيروت، لبنان.

- ديوان الجرجاني، للإمام القاضي الأديب أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق سميح صالح، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- ديوان الحلاج، للشاعر الصوفي الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ)، جمع وتحقيق كامل الشيبى، ط ٢، منشورات الجمل.

- ديوان الحماسة، للشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت ٢٣١هـ)، ومعه: «شرح ديوان الحماسة» للإمام الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع سنة (١٣٥٨هـ) لدى المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر.

- ديوان الشبلي، للإمام الصوفي العارف الزاهد أبي بكر جعفر بن يونس الشبلي (ت ٣٣٤هـ)، جمع وتحقيق كامل الشيبى، ط ١، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م)، دار التضامن، بغداد، العراق.

- ديوان الشريف الرضي، للشاعر الأديب البلاغي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، شرح وتحقيق محمود حلاوي، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

- ديوان العباس بن الأحنف، لشاعر الغزل العباسي أبي الفضل العباس بن الأحنف اليمامي (ت ١٩٢هـ)، تحقيق عائكة الخزرجي، ط ١، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، للإمام قاضي
القضاة المؤرخ الكبير ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الإشبيلي
(ت ٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، ط ٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- ديوان النابغة الجعدي، للصحابي الجليل الشاعر قيس بن عبد الله النابغة الجعدي العامري (ت
نحو ٥٠هـ)، جمع وشرح وتحقيق واضح الصمد، ط ١، (١٩٩٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- ديوان مجنون ليلى، للشاعر الأموي العذري قيس بن الملوحة العامري المعروف بمجنون ليلى
(ت ٦٨هـ)، برواية أبي بكر الوالي، تحقيق يسرى عبد الغني، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ديوان مهيار الديلمي، للشاعر العباسي أبي الحسين مهيار بن مرزويه الفارسي الديلمي
(ت ٤٢٨هـ)، تحقيق أحمد نسيم، ط ١، (١٣٤٤هـ - ١٣٢٥م)، دار الكتب المصرية، القاهرة،
مصر.

- الذريعة إلى مكارم الشريعة، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد
المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق أبي زيد العجمي، ط ١، (١٤٢٨هـ -
٢٠٠٧م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- ذكر الأقران وروايتهم عن بعضهم بعضاً، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر
المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط ١، (١٤١٧هـ -
١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن
الحسين الأزدي السلمي (ت ٤١٢هـ)، تحقيق محمود الطناحي، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)،
مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- ذم الدنيا، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)،
تحقيق عبد القادر عطا، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- ذم الغيبة والنميمة، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي
(ت ٢٨١هـ)، تحقيق بشير عيون، ط ١، (١٤١٣هـ)، مكتبة دار البيان، دمشق، سورية. مكتبة
المؤيد، الرياض، السعودية.

- ذم الملاهي، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق عمرو سليم، ط ١، (١٤١٦هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر. مكتبة العلم، جدة، السعودية.

- ذم الهوى، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق خالد العلمي، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- ذيل الروضتين، المسمى: «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، للإمام الفقيه المحدث المؤرخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي المعروف بابن أبي شامة (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ذيل تاريخ بغداد، للحافظ المؤرخ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط ١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الأمير مهنا، ط ١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

- الرحلة في طلب الحديث، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، ط ١، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، الناشر أمين دمج، بيروت، لبنان.

- الرد على المنطقيين، المسمى: «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان»، للعلامة الشيخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، طبع سنة (١٩٧٦م) لدى دار ترجمان السنة، لاهور، باكستان.

- الرد على من يحب السماع، للإمام القاضي الفقيه أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- رسالة الفقر في مخالفة النفس والقهر، للإمام الفقيه المفسر المتفنن شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي البكري الصديقي (ت ٦٣٢هـ)، تحقيق عبد اللطيف المحيمد، ط ١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، كتاب ناشرون، بيروت، لبنان.

- الرسالة القشيرية، للإمام الصوفي الأصولي المتكلم الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط ١، (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- الرضا عن الله بقضائه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق ضياء الحسن السلفي، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، الدار السلفية، بمباي، الهند.

- الرقة والبكاء، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ٣، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، للإمام النحوي المؤرخ المتبحر أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عمر السلامي، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- روض الرياحين في حكايا الصالحين، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، تحقيق عدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، ط ٢، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- روضة الجبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الأطعاني البسطامي (ت ٨٠٦هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط ١، (٢٠٠٤م)، مكتبة دارة الكرز، القاهرة، مصر.

- روضة الطالبين وعمدة المفتين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط ٣، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية. عمان، الأردن.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد حمزة ومحمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الزهد الكبير، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجردي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عامر حيدر، ط ٣، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- الزهد والرقائق، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت ١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع سنة (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، طبعة مصورة عن طبعة المجلس العلمي في الهند لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الزهد وصفة الزاهدين، للإمام المؤرخ المحدث أبي سعيد أحمد بن ابن الأعرابي البصري (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق مجدي السيد، ط ١، (١٤٠٨هـ)، دار الصحابة، طنطا، مصر.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي السري هناد بن السري (ت ٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط ١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م)، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار المشكاة، القاهرة، مصر.

- الزهد، للإمام الحافظ أبي سفيان وكيع بن الجراح الرؤاسي (ت ١٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، ط ١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

- الزهد، للإمام المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق محمد شاهين، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- زهر الآداب وثمر الألباب، للإمام الأديب الناقد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٥، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام المحدث المؤرخ شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

- سراج الملوك، للإمام الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- السنة، المسمى: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق أحمد الغامدي، ط ٨ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- السنة، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط ١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- السنة، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط ١، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عوض، ط ٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سنن الدارمي، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط ١، (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.

- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- السنن الكبرى، وفي ذيله «الجواهر النقي»، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجدي (ت ٤٥٨هـ)، ط ١، (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدرآباد الدكن، الهند.

- السنن، للإمام الحافظ المفسر أبي عثمان سعيد بن منصور الخراساني (ت ٢٢٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م)، الدار السلفية، بومباي، الهند.

- سير أعلام النبلاء، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط ٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، للإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم المصري (ت ٢١٤هـ)، تحقيق أحمد عبيد، ط ٦، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط ١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية، وبيروت، لبنان.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، للإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الأشموني (ت نحو ٩٠٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- شرح التسهيل، لإمام العربية جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- شرح الزرقاني على مختصر خليل، للإمام المحدث الفقيه المتفتن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١٠٩٩هـ)، تحقيق عبد السلام أمين، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- شرح السنة، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، ط ٢، (١٤٠٣هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

- شرح الشفا، للإمام الفقيه المحدث المتفتن نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد المعروف بملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق عبد الله الخليلي، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- شرح الفاسي على الرائية الشريشية، للعلامة الفقيه المحدث العارف أبي العباس أحمد بن يوسف الفاسي (ت ١٠٢١هـ)، طبع سنة (١٣١٦هـ) لدى المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.

- شرح المفصل، للإمام النحوي اللغوي موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق إميل يعقوب، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- شرح درة الغواص في أوهام الخواص، للإمام المفسر الفقيه الأديب المتفتن شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ)، وهو صادر ضمن «درة الغواص وشرحها وحواشيها وتكملتها»، تحقيق عبد الحفيظ فرغلي قرني، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- شرح مشكل الآثار، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المصري (ت ٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- شرح مقامات الحريري، للإمام الأديب أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي (ت ٦١٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) لدى المكتبة المصرية، القاهرة، مصر.

- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميحي، ط ٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط ١، (١٤٣٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الفحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

- الشكر، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق بدر البدر، ط ٣، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، الكويت.

- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق سيد الجليمي، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، السعودية.

- الصبر والثواب عليه، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- صحيح ابن خزيمة، المسمى: «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ»، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه ﷺ، من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة النيسابوري (ت ٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط ٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- صحيح البخاري، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير الناصر، ط ٣، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، طبعة مصورة عن الطبعة السلطانية اليونانية، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.

- صحيح مسلم، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الصداقة والصديق، للإمام الأديب اللغوي الفيلسوف أبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الفكر، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.

- صفة الصفوة، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري ومحمد قلعه جي، ط ٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- صفة النار، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- صفوة التصوف، للإمام الحافظ الرحالة المؤرخ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الشيباني المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق أبو علي النظيف، ط ١، (٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- صلاة الوتر، أو: «مختصر قيام الليل»، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤هـ)، اختصار العلامة المقرئ، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، حديث أكاديمي فيصل آباد، باكستان.

- الصمت وآداب اللسان، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق أبي إسحاق الحويني، ط ١، (١٤١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الضعفاء الكبير، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط ١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الطب النبوي، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق مصطفى خضر دونمز التركي، ط ١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- طبقات الأولياء، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، ط ٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- طبقات الشافعية الكبرى، للإمام الأصولي قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط ٢، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- طبقات الشافعية، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق كمال الحوت، ط ١، (٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- طبقات الشافعية، للإمام الفقيه المؤرخ تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة الأسدي (ت ٨٥١هـ)، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط ١، (١٤٠٧هـ)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- طبقات الشافعيين، للإمام الحافظ المؤرخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

- طبقات الصوفية، للإمام الزاهد مؤرخ الصوفية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت ٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبه، ط ٣، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- الطبقات الكبرى، المسمى: «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»، للإمام الرباني المربي الفقيه المحدث أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ)، طبع سنة (١٣١٧هـ) لدى المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.

- الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط ١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الطهور، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق مشهور سلمان، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة الصحابة، جدة، السعودية. مكتبة التابعين، القاهرة، مصر.

- طوق الحمامة، للإمام الفقيه الأديب الفيلسوف أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي القرطبي (ت ٤٥٦هـ)، ط ٢، (١٩٨٧م)، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان.

- العبر في خبر من غبر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط ١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العزلة والانفراد، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مسعد السعدني، ط ١، (٢٠٠٥م)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- العزلة، للإمام الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد ابن الخطاب الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، ط ٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر.

- العظمة، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله المباركفوري، ط ١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- العقد الفريد، للإمام الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد قميحة وعبد المجيد الترحيني، ط ١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، للإمام الفقيه الحافظ المتبحر المتفنن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن المصري (ت ٨٠٤هـ)، تحقيق أيمن الأزهرى وسيد مهنا، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العقل وفضله، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- العقوبات، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- علل الحديث، للإمام الحافظ النقاد أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين بإشراف سعد الحميد وخالد الجريسي، ط ١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، مطابع الجريسي، السعودية.

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق، ط ٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.

- العمد من الفوائد والآثار الصحاح والغرائب في مشيخة شهدة، للشيخة الجليلة المسندة الفقيهة فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد الكاتبة الدينورية البغدادية (ت ٥٧٤هـ)، تحقيق فوزي عبد المطلب، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- عمل اليوم والليلة، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق فاروق حمادة، ط ٢، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- عمل اليوم والليلة، للإمام المحدث الرحالة أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السني الدينوري (ت ٣٦٤هـ)، تحقيق كوثر البرني، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الأرقم، بيروت، لبنان.

- عيون الأخبار، للإمام اللغوي الأديب المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، ط ٢، (١٩٩٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

- غرائب التفسير وعجائب التأويل، للإمام الفقيه المفسر برهان الدين أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى المعروف بتاج القراء (ت بعد ٥٣٥هـ)، تحقيق شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان.

- غريب الحديث، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق حسين محمد محمد شرف، ومراجعة عبد السلام هارون، ط ١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، منشورات الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر.

- غنية العارف بتخريج أحاديث عوارف المعارف، للعلامة المحدث السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري (ت ١٣٨٠هـ)، تحقيق أديب الكمداني ومحمد المصطفى، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، وهو مطبوع مع «عوارف المعارف»، المكتبة المكية، مكة المكرمة، السعودية.

- الغيلانيات، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق حلمي عبد الهادي، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

- فتاوى ابن الصلاح، للإمام المحدث الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق موفق عبد القادر، ط ١، (١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، ودار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- الفتاوى الحديثية، للإمام الفقيه المفتي المحدث المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، تحقيق أحمد عناية، ط ١، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- فتاوى الرملي، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت ٩٥٧هـ)، ط ١، (١٣٠٨هـ - ١٨٨٨م)، طبعة مصورة لدى المكتبة الإسلامية عن المطبعة الميمنية بمصر، ديار بكر، تركيا.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

- الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر سلطان العارفين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، طبعة مصورة لدى دار صادر عن دار الكتب العربية الكبرى بالقاهرة، بيروت، لبنان.

- الفردوس بمأثور الخطاب، للإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي (ت ٥٠٩هـ)، تحقيق السعيد زغلول، ط ١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الفروق، المسمى، «أنوار البروق في أنواء الفروق»، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق محمد سراج وعلي جمعة، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

- فضائل الأوقات، للإمام الفقيه الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجري (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عدنان القيسي، ط ١، (١٤١٠هـ)، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.

- فضائل القرآن، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

- الفلاكة والمفلوكون، للعلامة المتفنن أحمد بن علي الدلجي (ت ٨٣٨هـ)، طبع سنة (١٣٢٢هـ) لدى مطبعة الشعب، مصر.

- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، للعلامة الشريف المحدث المسند محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني (ت ١٣٨٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، (١٩٨٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- الفوائد، للإمام الحافظ أبي القاسم تمام بن محمد بن عبد الله البجلي الرازي (ت ٤١٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط ١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- القناعة والتعفف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مصطفى عطا، ط ١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام الزاهد العارف شيخ الصوفية أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق محمود الرضواني، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

- الكامل في التاريخ، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق عمر تدمري، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الكامل في اللغة والأدب، لإمام العربية أبي العباس محمد بن يزيد المبرد البصري (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد الدالي، ط ٢، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام اللغوي النحوي المفسر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط ٣، (١٤٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحدث الشام الإمام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت ١١٦٢هـ)، ط ١، (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للإمام المؤرخ مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة التركي (ت ١٠٦٧هـ)، بعناية محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للإمام الحافظ المفسر أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق ثلة من الباحثين، ط ١، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار التفسير، جدة، السعودية.

١
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للإمام المحدث علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي
خان المتقي الهندي المدني (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط ٥، (١٤٠١هـ -
١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- كنوز الذهب في تاريخ حلب، للإمام المؤرخ موفق الدين أبي ذر أحمد بن إبراهيم سبط ابن
العجمي (ت ٨٨٤هـ)، ط ١، (١٤١٧هـ)، دار القلم، حلب، سورية.

- الكنى والأسماء، للحافظ المؤرخ الوراق أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت ٣١٠هـ)، تحقيق
نظر الفاريابي، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للإمام المتبحر المتفنن زين الدين محمد
عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط ٣،
(٢٠١٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- اللباب في تهذيب الأنساب، للإمام النسابة المؤرخ الأديب عز الدين أبي الحسن علي بن محمد
ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، ط ٣، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني
(ت ٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية،
بيروت، لبنان.

- اللطائف والظرائف، للإمام الأديب اللغوي الناقد أبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي
(ت ٤٢٩هـ)، دار المناهل، بيروت، لبنان.

- اللمع، للإمام الصوفي الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ)، تحقيق
عبد الحليم محمود وطه سرور، ط ١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة،
مصر. مكتبة المشى، بغداد، العراق.

- لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب، للإمام القاضي الفقيه الأديب
أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك الجيلي المعروف بشيذه (ت ٤٩٤هـ)، تحقيق أنس محمد
عدنان الشرفاوي، ط ١، (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- المتفق والمفترق، للإمام الحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد صادق الحامدي، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار القادري، دمشق، سورية.

- المجالسة وجواهر العلم، للإمام الفقيه المحدث أبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق مشهور آل سلمان، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام الحافظ النقاد أبي حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق محمود زايد، ط ١، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)، دار الوعي، حلب، سورية.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- المجموع شرح المذهب، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق وتكميل محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

- محاسبة النفس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم وعبد الله الشرقاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، مصر.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للإمام المفسر اللغوي الأديب أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق عمر الطباع، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام النحوي المفسر أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الغرناطي الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام محمد، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الديلمي، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، طبع سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ضمن «تاريخ بغداد» (ج: ١٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المخلصيات، للإمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن المخلص البغدادي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق نبيل جرار، ط ١، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.

- مداراة الناس، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- المدخل إلى علم السنن، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي الخسروجري (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط ١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م)، دار اليسر، القاهرة، مصر.

- المدخل، للإمام الفقيه الصوفي الزاهد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج العبدري (ت ٧٣٧هـ)، دار التراث، القاهرة، مصر.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام العارف الفقيه المؤرخ الأديب عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، طبع سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) لدى دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، للإمام المؤرخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار الرسالة، دمشق، سورية.

- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، للإمام الفقيه الواعظ موفق الدين أبي محمد بن عبد الرحمن الشارعي (ت ٦١٥هـ)، ط ١، (١٤١٥هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام الفقيه المحدث المتفنن نور الدين أبي الحسن علي بن سلطان محمد المعروف بملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

- المستخرج، للإمام الحافظ أبي عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري الإسفرايني (ت ٣١٦هـ)، تحقيق أيمن الدمشقي، ط ١، (١٤١٩هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ الناقد أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، ط ١، (١٣٤٠هـ - ١٩٢١م)، دائرة المعارف العثمانية النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- المستفاد من تاريخ بغداد، للإمام المؤرخ أبي الحسن أحمد بن أيك الحسامي المعروف بابن الدماطي (ت ٧٤٩هـ)، وهو ملحق بـ «تاريخ بغداد»، تحقيق مصطفى عطا، ط ١، (١٤١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المستقصى في أمثال العرب، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط ٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند ابن الجعد، أو «الجعديات»، للإمام المحدث أبي الحسن علي بن الجعد الجوهري البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، بجمع تلميذه الإمام الحافظ أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٧هـ)، وتحقيق عبد المهدي بن عبد الهادي، ط ١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة الفلاح، الكويت.

- مسند أبي يعلى، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المشنى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق حسين أسد، ط ١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

- مسند إسحاق بن راهويه، للإمام سيد الحفاظ أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه الحنظلي (ت ٢٣٨هـ)، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط ١، (١٤١٢هـ)، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الإمام أحمد، للإمام المجتهد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، طبع سنة (١٣١٣هـ) لدى المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- مسند البزار، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، ط ١، بدأت سنة (١٩٨٨م) وانتهت سنة (٢٠٠٩م)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط ١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الشهاب، المسمى: «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية» للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط ٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الطيالسي، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق محمد التركي، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار هجر، القاهرة، مصر.

- مشكاة الأنوار، للإمام المتكلم حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق أبو العلا عفيفي، طبع سنة (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م) لدى الدار القومية، القاهرة، مصر.

- مشيخة السهروردي، لإمام الصوفية المحدث الفقيه العارف شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد القرشي البكري السهروردي (ت ٦٣٢هـ) برواية تلميذه؛ الإمام عماد الدين أبي الفضل محمد بن محمد الشيرازي، والإمام شهاب الدين أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي، وتخريج الإمام الحسن بن محمد ابن جرويه الشيباني الموصلي، وتحقيق عامر صبري، صدر سنة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ضمن مجلة الأحمدية، العدد: (١٠).

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للإمام اللغوي أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي (ت نحو ٧٧٠هـ)، ط ٥، (١٩٢٢م)، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر.

- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- المصنف، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط ١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.

- معاني القرآن، للإمام النحوي اللغوي أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، ط ٣، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، طبعة مصورة لدى دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- معجم ابن الأعرابي، للإمام الحافظ أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد ابن الأعرابي البصري (ت ٣٤٠هـ)، تحقيق عبد المحسن الحسيني، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية.

- معجم الأدباء، المسمى: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- المعجم الأوسط، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن محمد وعبد المحسن الحسيني، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

- معجم البلدان، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة الجغرافي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، بعناية المستشرق وستفيلد، ط ٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، لعلّي الرضا قره بلوط، وأحمد طوران قره بلوط، ط ١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار العقبة، قيصري، تركيا.

- معجم الشيوخ الكبير، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية.

- معجم الشيوخ، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

- معجم الشيوخ، للإمام تاج الدين قاضي القضاة الفقيه المحدث المؤرخ المتكلم عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تخريج الإمام ابن سعد الصالحي، تحقيق بشار عواد معروف ورائد العنبي ومصطفى الأعظمي، ط ١، (٢٠٠٤م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- معجم الصحابة، للإمام الحافظ القاضي الفقيه أبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق صلاح المصراطي، ط ١، (١٤١٨هـ)، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية.

- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

- معجم المؤلفين، للأستاذ البحثة عمر بن رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، ط ١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.

- المعرفة والتاريخ، للإمام الحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط ٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المعين في طبقات المحدثين، للإمام للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق همام سعيد، ط ١، (١٤٠٤هـ)، دار الفرقان، عمان، الأردن.

- المغازي، للإمام القاضي المؤرخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق مارسدن جونز، ط ٣، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الأعلمي، بيروت، لبنان.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، ط ١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المغني عن حمل الأسفار، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦هـ)، ط ١ (١٤٢٦هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- مفيد العلوم ومبيد الغموم، المنسوب للإمام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت ٣٨٣هـ)، طبع سنة (١٤١٨هـ) لدى المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- مقاتل الطالبين، للإمام الأديب أبي الفرج علي بن الحسين القرشي الأموي الأصبهاني البغدادي (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط ١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام المجدد حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، بإشراف اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق سيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المقفى الكبير، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي العبيدي المثيري (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد العلاوي، ط ٢، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أيمن البحيري، ط ١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

- مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، للإمام الفقيه الحسين بن نصر ابن خميس الكعبي الموصلي الجهني (ت ٥٥٢هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط ١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات.

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للإمام المؤرخ الحافظ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني العراقي (ت ٦٤١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط ١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- المنتخب من معجم شيوخ السمعاني، للإمام الحافظ النسابة المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط ١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا، ط ١، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- منهاج الطالبين وعمدة المفتين، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق محمد محمد طاهر شعبان، ط ١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام شيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ط ٢، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الموضوعات، للإمام الحافظ المؤرخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين بوياجيلار، ط ١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

- الموطأ، لإمام دار الهجرة المجتهد أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- النسخ والمنسوخ، للإمام اللغوي المحدث الفقيه أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق محمد المديفر، طبع سنة (١٤١٨هـ) لدى مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، للإمام الحافظ المحقق البحر شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق حمدي السلفي، ط ٢، (١٤١٥هـ)، دار ابن كثير، دمشق، سورية.

- نثر الدر، للوزير المؤرخ الأديب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي الرازي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق خالد محفوظ، ط ١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نجم المهتدي ورجم المعتدي، للإمام القاضي الفقيه فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم القرشي (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق بلال محمد حاتم السقا، ط ١، (١٤٤١هـ - ٢٠١٩م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- النجم الوهاج في شرح المنهاج، للإمام الفقيه الأديب المتفنن كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط ١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المصري (ت ٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، مصر.

- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، للإمام النحوي الأديب المؤرخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط ٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

- نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، للإمام المؤرخ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيمن ابن دقماق العلائي (ت ٨٠٩هـ)، تحقيق سمير طيارة، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- نزهة الحفاظ، للإمام الحافظ أبي موسى محمد بن عمر الأصبهاني المدني (ت ٥٨١هـ)، تحقيق عبد الرضا عبد المحسن، ط ١، (١٤٠٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، أو: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، للباحث المؤرخ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني الطالبي (ت ١٣٤١هـ)، ط ١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- النفقة على العيال، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق نجم خلف، ط ١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- النكت والعيون، للإمام القاضي الفقيه المفسر الأديب أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نهاية المرام في دراية الكلام، للإمام المتكلم ضياء الدين أبي القاسم عمر بن الحسين الطبري المعروف بخطيب الري (ت ٥٥٠هـ)، تحقيق عبد القادر علي، ط ١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نهاية المطلب في دراية المذهب، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط ١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام اللغوي مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- نوارد الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بالحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق توفيق التكلة، ط ١، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- هدية العارفين، للعلامة الباحث إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، طبعة مصورة عن نشرة وكالة المعارف الجليلة بإستنبول (١٩٥١م) لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- الوافي بالوفيات، لإمام الأدب النحوي المؤرخ المتفنن صلاح الدين أبي الصفاء خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي الدمشقي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط ١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- الورع، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق محمد الحمود، ط ١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، الدار السلفية، الكويت.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للإمام القاضي المؤرخ الأديب أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط ١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- اليقين، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا القرشي البغدادي (ت ٢٨١هـ)، تحقيق ياسين السواس، ط ١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.



محتوى الكتاب

محتوى الجزء الأول

- بين يدي الكتاب ٧ / ١
- تقريظ الكتاب بقلم الدكتور محمد ياسر القضماني ١٣ / ١
- ترجمة الإمام السهروردي ١٧ / ١
- كلمة موجزة عن التصوف ، وكتاب «عوارف المعارف» ٤٨ / ١
- منهج العمل في الكتاب ٦٦ / ١
- وصف النسخ الخطية ٧٣ / ١
- صور من المخطوطات المستعان بها ٨٩ / ١



- عقيدة السهروردي ١٠٣ / ١
- وصية السهروردي ١٠٩ / ١



- «القصيدة الشريشية» ١١٧ / ١
- كلمة موجزة عن «القصيدة الرائية» ومؤلفها تاج الدين الشريشي ١١٩ / ١
- القصيدة الشريشية ١٢٥ / ١



«عوارف المعارف»

١٤٩/١

خطبة الكتاب ١٥١/١

الداعي إلى تأليف الكتاب ١٥٥/١

محتوى الكتاب ١٥٦/١

الباب الأول: في ذكر منشأ علوم الصوفية ١٦٣/١

الباب الثاني: في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع ١٧٩/١

الباب الثالث: في بيان فضيلة علوم الصوفية والإشارة إلى أنموذج منها. ١٩٩/١

الباب الرابع: في شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم ٢٣٢/١

الباب الخامس: في ماهية التصوف ٢٤٥/١

الباب السادس: في ذكر تسميتهم بهذا الاسم ٢٥٨/١

الباب السابع: في ذكر المتصوف والمتشبه به ٢٧١/١

الباب الثامن: في ذكر الملامتي وشرح حاله ٢٨٤/١

الباب التاسع: في ذكر من انتمى إلى الصوفية وليس منهم ٢٩٦/١

الباب العاشر: في شرح رتبة المشيخة ٣٠٥/١

الباب الحادي عشر: في شرح حال الخادم ومن يتشبه به ٣٢٣/١

الباب الثاني عشر: في شرح خرقة المشايخ الصوفية ٣٣٠/١

الباب الثالث عشر: في فضيلة سكان الربط ٣٤٦/١

الباب الرابع عشر: في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة ٣٥٥/١

الباب الخامس عشر: في خصائص أهل الربط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به	٣٦٣ / ١
الباب السادس عشر: في اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام ..	٣٧٦ / ١
الباب السابع عشر: فيما يحتاج إليه المسافر في سفره من الفرائض والفضائل	٣٩٧ / ١
الباب الثامن عشر: في القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه	٤١٣ / ١
الباب التاسع عشر: في حال الصوفي المتسبب	٤٢٨ / ١
الباب العشرون: في ذكر من يأكل من الفتوح	٤٣٩ / ١
الباب الحادي والعشرون: في شرح حال المتجرد والمتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم	٤٥٧ / ١
الباب الثاني والعشرون: في القول في السماع قبلاً وإثارة	٤٧٩ / ١
الباب الثالث والعشرون: في القول في السماع رداً وإنكاراً	٥٠٨ / ١
الباب الرابع والعشرون: في القول في السماع ترفعاً واستغناء	٥١٩ / ١
الباب الخامس والعشرون: في القول في السماع تأدباً واعتناء	٥٣٢ / ١
الباب السادس والعشرون: في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية	٥٤٦ / ١
الباب السابع والعشرون: في ذكر فتوح الأربعينية	٥٥٩ / ١
الباب الثامن والعشرون: في كيفية الدخول في الأربعينية	٥٧٦ / ١
محتوى الجزء الأول	٥٩٠ / ١



محتوى الجزء الثاني

- الباب التاسع والعشرون: في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق ... ٥ / ٢
- الباب الثلاثون: في ذكر تفاصيل أخلاق الصوفية ٢٦ / ٢
- الباب الحادي والثلاثون: في ذكر الأدب ومكانه من التصوف ١٠٢ / ٢
- الباب الثاني والثلاثون: في آداب الحضرة الإلهية لأهل القرب ١١٣ / ٢
- الباب الثالث والثلاثون: في آداب الطهارة ومقدماتها ١٢٥ / ٢
- الباب الرابع والثلاثون: في آداب الوضوء وأسراره ١٣٤ / ٢
- الباب الخامس والثلاثون: في آداب أهل الخصوص والصوفية في الوضوء .. ١٤٢ / ٢
- الباب السادس والثلاثون: في فضيلة الصلاة وكبر شأنها ١٥٠ / ٢
- الباب السابع والثلاثون: في وصف صلاة أهل القرب ١٦١ / ٢
- الباب الثامن والثلاثون: في ذكر آداب الصلاة وأسرارها ١٨٥ / ٢
- الباب التاسع والثلاثون: في فضل الصوم وحسن أثره ٢٠١ / ٢
- الباب الأربعون: في اختلاف أحوال الصوفية بالصوم والإفطار ٢٠٨ / ٢
- الباب الحادي والأربعون: في آداب الصوم ومهامه ٢١٥ / ٢
- الباب الثاني والأربعون: في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة
والمفسدة ٢٢٤ / ٢

الباب الثالث والأربعون: في آداب الأكل ٢٣٣ / ٢

الباب الرابع والأربعون: في ذكر آدابهم في اللباس، ونياتهم

ومقاصدهم فيه ٢٤٦ / ٢

الباب الخامس والأربعون: في ذكر فضل قيام الليل ٢٦٠ / ٢

الباب السادس والأربعون: في ذكر الأسباب المعينة على قيام الليل

وأدب النوم ٢٦٧ / ٢

الباب السابع والأربعون: في أدب الانتباه من النوم والعمل بالليل ٢٧٥ / ٢

الباب الثامن والأربعون: في تقسيم قيام الليل ٢٨٦ / ٢

الباب التاسع والأربعون: في استقبال النهار، والأدب فيه ٢٩٤ / ٢

الباب الخمسون: في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات .. ٣١٣ / ٢

الباب الحادي والخمسون: في أدب المريد مع الشيخ ٣٣٦ / ٢

الباب الثاني والخمسون: في أدب الشيخ، وما يعتمد عليه مع

الأصحاب والتلامذة ٣٥٨ / ٢

الباب الثالث والخمسون: في حقيقة الصحبة وما فيها من الخير

والشر ٣٧٠ / ٢

الباب الرابع والخمسون: في أداء حقوق الصحبة والأخوة في الله

تعالى ٣٨٥ / ٢

الباب الخامس والخمسون: في آداب الصحبة والأخوة ٣٩٥ / ٢

الباب السادس والخمسون: في معرفة الإنسان نفسه ومكاشفات

الصوفية من ذلك ٤٠٥ / ٢

الباب السابع والخمسون: في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها . . ٢ / ٤٣٤

الباب الثامن والخمسون: في شرح الحال والمقام والفرق بينهما . . ٢ / ٤٤٩

الباب التاسع والخمسون: في الإشارة إلى المقامات على

الاختصار والإيجاز ٢ / ٤٥٨

الباب الستون: في ذكر إشارات المشايخ في المقامات على الترتيب ٢ / ٤٧٩

قولهم في التوبة ٢ / ٤٧٩

قولهم في الورع ٢ / ٤٨١

قولهم في الزهد ٢ / ٤٨٥

قولهم في الصبر ٢ / ٤٨٩

قولهم في الفقر ٢ / ٤٩٥

قولهم في الشكر ٢ / ٤٩٩

قولهم في الخوف ٢ / ٥٠٢

قولهم في الرجاء ٢ / ٥٠٤

قولهم في التوكل ٢ / ٥٠٦

قولهم في الرضا ٢ / ٥٠٩

الباب الحادي والستون: في ذكر الأحوال وشرحها ٢ / ٥١٤

قولهم في المحبة ٢ / ٥١٤

من الأحوال السنية في المحبة ٢ / ٥٢٦

الشوق ٢ / ٥٢٦

الأنس ٥٣٠ / ٢

القرب ٥٣٤ / ٢

الحياء ٥٣٦ / ٢

الاتصال ٥٣٩ / ٢

القبض والبسط ٥٤٢ / ٢

الفناء والبقاء ٥٤٦ / ٢

الباب الثاني والستون: في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال

من اصطلاح الصوفية ٥٥١ / ٢

الجمع والتفرقة ٥٥٤ / ٢

التجلي والاستتار ٥٥٧ / ٢

الاستتار ٥٥٧ / ٢

التجلي ٥٥٧ / ٢

التجريد والتفريد ٥٥٨ / ٢

الوجد والتواجد والوجود ٥٥٩ / ٢

الغلبة ٥٦٠ / ٢

المسامرة ٥٦٠ / ٢

السكر والصحو ٥٦٠ / ٢

المحو والإثبات ٥٦١ / ٢

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ٥٦١ / ٢

الوقت ٥٦٣ / ٢

الغيبة والشهود ٥٦٤ / ٢

الذوق والشرب والري ٥٦٤ / ٢

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ٥٦٤ / ٢

الطوارق والبوادي والبواده، والواقع والقادح والطوالع واللوامع

واللوائح ٥٦٥ / ٢

التلوين والتمكين ٥٦٥ / ٢

النفس ٥٦٦ / ٢

الباب الثالث والستون: في ذكر شيء من البدايات والنهايات

وصحتها ٥٦٧ / ٢



خواتيم النسخ الخطية وبعض السماعات والإجازات ٥٩١ / ٢



الفهارس العامة

٦١٥ / ٢

فهرس الآيات القرآنية ٦١٧ / ٢

فهرس أطراف الأحاديث ٦٣٣ / ٢

فهرس الآثار والأقوال ٦٥٣ / ٢

فهرس القصص والمنامات والوصايا ٦٩٣ / ٢

فهرس الأشعار ٧٠٥ / ٢

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق ٧١١ / ٢



محتوى الكتاب ٧٥٥ / ٢

